# السنة النبوية وتحدياتها المعاصرة

تحرير:
أحمد قاسم كسار
ثابت أحمد أبو الحاج
فيصل أحمد شاه






# السنة النبوية وتحدياتها المعاصرة

❁❁❁❁❁

تحرير:

أحمد قاسم كسار

ثابت أحمد أبو الحاج

فيصل أحمد شاه

٢٠١٣




أحمد قاسم كسار، ثابت أحمد أبو الحاج، فيصل أحمد شاه- **السنة النبوية وتحدياتها المعاصرة**

٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ

ISBN: 978-967-5534-33-1

الناشر:

قسم القرآن والحديث

أكاديمية الدراسات الإسلامية

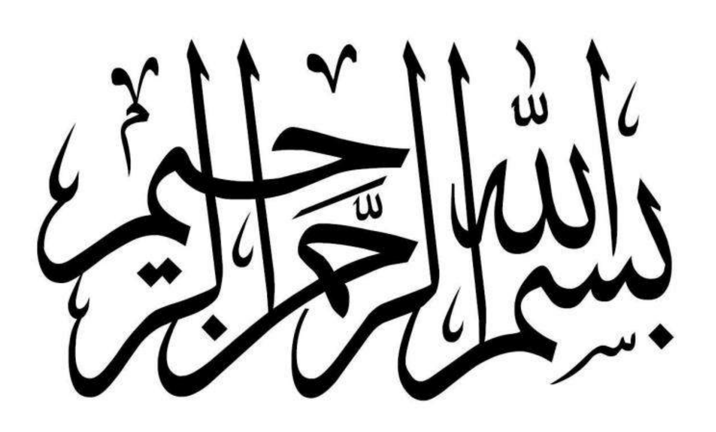
بجامعة ملايا

كوالا لمبور، العاصمة الماليزية

api_quran@um.edu.my

هاتف: 6010 7967-603+

فاكس: 6143 7967-603+


بسم الله الرحمن الرحيم

# المُحتَويات

## المحور الثاني
## التحديات المعاصرة على الحديث الشريف: نصاً وتصنيفات

## المحور الثالث
## التحديات المعاصرة على أهل الحديث: رجالاً ومؤسسات

## المحور الرابع
## التحديات المعاصرة على أهل السنة والجماعة: دولاً وأقليات

# المقدمة

السنة النبوية هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية التي لولاها لما اهتدى المسلمون إلى المعاني والفوائد والأسرار الكامنة في فحوى المصدر الأول لها وهو القرآن الكريم، وبها تتجلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث بالرسالة من عند الله سبحانه وتعالى، فقد بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة منذ أول يوم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى اليوم الذي انتقل فيه إلى رفيقه الأعلى تاركاً الإرث العظيم الذي ما إن تمسكنا به لن نضل بعده أبداً. فتبقى على عواتق العلماء على مرّ العصور أمانة التبليغ وتطبيق صحيح الدين إلى يومنا هذا الذي يشهد التحديات الكبيرة التي لم تخطر على البال في محاولة الحط من مكانة السنة النبوية. وفي مواجهة الاتهامات والتطاول غير اللائق من قبل العابثين، فلا بد أن تكون هناك جهود تنويرية لمحو الأمية الثقافية حول السنة النبوية تأخذ بأيدي العوام ومنكري السنة إلى بر الأمان بجانب السعي الدائم لتوريث المفاهيم والحقائق عن السنة النبوية لجيل الطلبة والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية. وكفى بالأمة إهانة بإصدار رسوم الكاريكاتور والفيلم المشوّه لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الذي من المفترض أن يتصدّى له التصرف الذكي والوقوف الرادع من تكرار هذه المهازل مرة أخرى. وفي صدد حفظ السنة والدفاع عنها، لا نستطيع أن نلقي جانباً أهمية إعداد الإستراتيجيات الفعّالة وتخطيطها إزاء مواجهة مثل تلك التحديات.

فلم يكن عنوان الكتاب محض الاختيار، بل هو تنديد بحملة الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الآونة الأخيرة وفي الوقت نفسه بسطاً للساحة الخصبة تجني -بإذن الله تعالى وتوفيقه- الأمة بالأبحاث العلمية التي تبرز مقام السنة وتمحق الأقوال الباطلة التي لا تمتّ بصلة إلى علو مكانة خاتم النبوة. ويضم هذا الكتاب بحوثاً قيمة في وصف التحديات المعاصرة وكيفية مواجهتها، وفيه أيضاً حلول واقعية سديدة إزاء مواجهة القضايا المثيرة للجدل حول السنة النبوية، وهذا الكتاب بمجمله هو دعوة للاعتصام بالكتاب والسنة النبوية.

وبين أيدكم أخوتي القراء وأخواتي: كتاب السنة النبوية وتحدياتها المعاصرة الذي يصدره قسم القرآن والحديث في أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا في ماليزيا، وهو مجموع يضم ثمانية وستين بحثاً باللغة العربية، موزعة على أربعة محاور رئيسة، شارك في إعداده أساتذة جامعيون، وطلبة دراسات عليا من إحدى عشرة دولة، هي: الإمارات، تركيا، الجزائر، السعودية، السودان، العراق، لبنان، ليبيا، ماليزيا، مصر، المغرب، والباحثون من جنسيات متعددة، وكلهم من المختصين والمهتمين بالسنة النبوية الشريفة وعلومها المباركة.

**هيئة التحرير**

# المحور الأول

## التحديات المعاصرة التي تواجه شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

# حملة التعريف برسول الله صلى الله عليه وسلم

## {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (١٠٧) سورة الأنبياء

**أحمد أسامة عبد المنعم فهمي**

جامعة مصر للعلوم والآداب الحديثة- القاهرة

**شاهيناز مصطفى علي يوسف**

جامعة القاهرة

الهيئة العالمية للإعجاز في القرآن الكريم والسنة

**الشريف المهندس الحسن أسامة عبد المنعم**

مهندس حر



### الملخص

الذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب إسلامي. إن الناس في الغرب وأمريكا بل وفي آسيا لا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلينا نحن المسلمين أن نقوم بدور إيجابي بإظهار حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرقة. ومن ذلك عمل فيلم عالمي عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا وقد أسلم حديثاً أرناود فإن دورن السياسي السابق في حزب الحرية الهولندي وأحد المشاركين في إنتاج فيلم 'الفتنة' المسيء للإسلام، عزمه بعد إعلان إسلامه إنتاج فيلم يدافع فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أعقاب عمرة قام بها وزيارة للمدينة المنورة وبكى عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا شك أن انتاجه فيلم المناصرة سيكون له وقع عظيم فى نفوس الناس وسيحث الكثيرين على اعتناق الإسلام.

وكذا يمكننا إصدار فيديوهات إسلامية عن مقتطفات من حياة الرسول كل منها لا يزيد عن خمس دقائق وبلغات مختلفة. وتتضمن هذه الفيديوهات قصصاً متنوعة من رحمته بالحيوانات وحلمه ومعجزاته وطفولته وهجرته وحثه على طلب العلم ومقابلته الإساءة بالاحسان. ونزول الوحي عليه وبيان أن خلقه كان القرآن. كل هذه الإصدارات تكون بطريقة إسلامية لا يرى فيها الرسول نفسه.

كذلك يمكن إصدار مجموعة من الفيديوهات العلمية التي تتعرض للإعجاز العلمي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى.

### المقدمة:

لقد دأب المبطلون منذ قديم الزمن على السخرية والاستهزاء برسل الله سبحانه وتعالى ومن ذلك قوله تعالى: **{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ**

**كَمَا تَسْخَرُونَ} (٣٨) سورة هود**، بل قد يصل بهم الأمر إلى التطاول على القرآن الكريم: **{وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (٩) سورة الجاثية، {ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (٣٥) سورة الجاثية.**

فما هو المنهاج الاسلامى لمواجهة هؤلاء المستهزئين، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} (٥٩) سورة المائدة.**

المواجهة هي عدم اتخاذ الكفار وأهل الكتاب أولياء. ونذكر أن رجلاً إسرائيلياً بالتعاون مع أقباط المهجر هم الذين تعاونوا على الإثم والعدوان وعملوا الفيلم الذى أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا ننسى الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول فى الدنمارك وغيرها من البلدان، وكذلك رفض موقع جوجل إزالة الفيلم من الشبكة العنكبوتية حتى بعد أمر من الحكومة الأمريكية بحجة حرية الرأي.

فالواجب علينا نحن المسلمين مقاطعة بضائع البلاد التي تسمح بالإساءة للرسول الكريم والقرآن العظيم وقد أدت مقاطعة البضائع الدنمراكية في السعودية والبلاد العربية إلى الضغط الاقتصادي من الشركات التي تصدر إلى تلك البلاد على حكوماتها وإلى نشر هذه الشركات اعتذارات إلى المسلمين في الصحف العربية. وعلينا أيضاً مقاطعة إعلانات جوجل لأن ذلك سيخسرها أموالاً طائلة ومحاولة إنشاء بديل عربى إسلامي لجوجل.

إن سياسة الاستهزاء امتدت من التقليل من شأن القرآن والرسول الكريم إلى الاستهزاء برؤساء الحكومات وخاصة الرموز الإسلامية منهم لافقادهم الاحترام ووضع الدولة في وضع الضياع.

الأمة الاسلامية حالياً كالغثاء فالمسلمون مضهدون في بورما ومشغولون في بلادهم في صراعات، وإذا أردنا أن نفرض أنفسنا على العالم فيجب أن نتوحد ونكون قوة اقتصادية وعلمية في العالم أجمع، وعلينا أن نربى أولادنا على حب الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته والعمل بالشريعة الاسلامية.

كذلك علينا أن نعطى الدعوة أهمية عظمى ونعمل على نشر الإسلام في بقاع العالم المختلفة وذلك بالقدوة الحسنة والتوسع في استخدام التكنولوجيا الحديثة من اليوتيوب والمواقع الإسلامية المتنوعة بلغات العالم المختلفة والمؤتمرات الإسلامية في هذه البلاد.

إن هذا البحث يقترح عمل فيلم عالمى عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشجع عمل العديد من الفيديوهات عن مقتطفات من حياة رسول الله، وكذا الاهتمام بالإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية والطب النبوي وبثها على شبكة الانترنت.

**كان خلقه القرآن:**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الأرض. كان رسولاً كريماً ورئيس دولة أمرها شورى بين المسلمين. كان قائد جيش شجاع يأخذ بالأسباب وبالرأي والمشورة وكان سياسياً عظيماً وكان خير زوج وخير أب يصل الرحم ويقرى الضيف و يرعى اليتيم ويحض على طعام المسكين. كان حليماً أميناً صادقاً صادق الوعد رؤوفاً عطوفاً على الناس والحيوان. كان متواضعاً لا يعرف من بين أصحابه. أدبه ربه فأحسن تأديبه وشهد له سبحانه وتعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم**

هذه إنما هي بعض الجوانب في حياة ذلك الرسول العظيم، ونقترح أن تقوم هيئة من أولي العلم والتكنولوجيا بإصدار فيديوهات قصيرة عن قصص من مواقف في حياته وسنوجز في هذا البحث بعضاً من هذه المواقف.

**رحمته بالحيوان:**

عندما كان الجيش الإسلامي قادماً لفتح مكة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلبة في حالة ولادة فغير اتجاه سير الجيش حتى لا يفزعها وترك بجانبها من يرعاها.

بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطَشُ فوجدَ بئرًا فنزلَ فيها فشرِبَ ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرَى منَ العطَشِ فقالَ الرَّجُلُ لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الَّذي كانَ بلغَ بِي فنزلَ البئرَ فملا خفَّهُ ثم أمسَكهُ بفيهِ فسقى الكلبَ فشكرَ اللَّهُ لهُ فغفرَ لهُ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وإنَّ لنا في البهائمِ أجرًا فقالَ في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ[١].

**الحث على طلب العلم:**

من سلك طريقًا يطلُبُ فيه عِلمًا؛ سلك اللهُ به طريقًا من طرُقِ الجنَّةِ، والملائكةُ تضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السَّماواتِ ومن في الأرضِ، والِحيتانُ في الماءِ، وفضلُ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وأَوْرثوا العلمَ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ[٢].

(١) صحيح البخاري برقم: ٦٠٠٩.

(٢) حديث حسن، صحيح الموارد برقم: ٦٨.

**المحافظة على الأسنان:**

لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، قال أبو سلمة: فرأيت زيداً يجلس في المسجد وأن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، فكلما قام إلى الصلاة استاك(٣).

**الترغيب فى حسن الخلق:**

إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي يومَ القيامةِ أحاسنُكم أخلاقًا وإنَّ أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني أَساوئُكم أخلاقًا الثَّرثارونَ المتشدِّقونَ المتفيقِهون(٤).

**الحث على كفالة اليتيم:**

أنا وَكافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هَكذا. وقالَ بإصبعيهِ السَّبَّابةِ والوُسطَى(٥).

**حسن صحبة الوالدين:**

قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ! من أحقُّ بحسنِ الصُّحبةِ؟ قال "أمُّكَ . ثم أمُّك . ثم أمُّك . ثم أبوك . ثم أدناك أدنَاك"(٦).

**اتقان العمل:**

إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ(٧).

**المسؤولية:**

كُلُّكُم راعٍ ، وكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِه، الإمامُ راعٍ ومَسؤُولٌ عنْ رعِيَّتِه، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِه وهو مَسْؤُولٌ عن رعيَّتِهِ، والمرْأةُ راعِيةٌ في بيتِ زوجِها ومَسْؤُولةٌ عن رعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سيِّدِه ومَسْؤُولٌ عن رعيَّتِه. قال : وَحَسِبْتُ أنْ قدْ قال: والرَّجُلُ راعٍ في مالِ أبِيهِ ومَسْؤُولٌ عن رعيَّتِه، وكُلُّكُم راعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِه(٨).

**الحث على الزراعة:**

إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها(٩).

---

(٣) حديث صحيح، السنن الكبرى للبيهقي: ٣٧/١.

(٤) حديث حسن، تخريج مشكاة المصابيح: ٣٦٨/٤.

(٥)صحيح البخاري برقم: ٦٠٠٥.

(٦)صحيح مسلم برقم: ٢٥٤٨.

(٧) حديث حسن، صحيح الجامع برقم: ١٨٨٠.

(٨) صحيح البخاري برقم: ٨٩٣.

(٩) مجمع الزوائد برقم: ٤-٦٦

**التسامح:**

يا معشرَ قريشٍ ما ترَونَ أنِّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ، فقال: اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ[١٠].

**محمد النبى الأميّ:**

هو رسول الله إلى الناس جميعاً، **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (١٥٩) سورة الأعراف.**

ولقد أوضح القرآن الكريم الحكمة من كون النبى صلى الله عليه وسلم أمياً منعا للارتياب، **{وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} (٤٨) سورة العنكبوت.**

**جوانب من الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية:**

يعد الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية دليل قاطع على أن محمداً رسول الله. ويشجع هذا

البحث إعلام البحث العلمي من إبراز الإعجاز والسبق العلمي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسألقى هنا الضوء على الإعجاز فى كيفية صلاة الكسوف.

**كسفتِ الشَّمسُ، فأمرَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ رجلًا فنادى أنِ الصَّلاةَ جامعةً فاجتمعَ النَّاسُ فصلَّى بِهِم رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فكبَّرَ ثمَّ قرأَ قراءةً طويلةً ثمَّ كبَّرَ فركَعَ رُكوعًا طويلًا مثلَ قيامِهِ أو أطولَ ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ سمعَ اللَّهُ لمن حمدَه ثمَّ قرأَ قراءةً طويلةً هيَ أدنى منَ القراءةِ الأولى ثمَّ كبَّرَ فركَعَ رُكوعًا طويلًا هوَ أدنى منَ الرُّكوعِ الأوَّلِ ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ سمعَ اللَّهُ لمن حمِدَه ثمَّ كبَّرَ فسجدَ سجودًا طويلًا مثلَ رُكوعِهِ أو أطولَ ثمَّ كبَّرَ فرفعَ رأسَهُ ثمَّ كبَّرَ فسجدَ ثمَّ كبَّرَ فقامَ فقرأَ قراءةً طويلةً هيَ أدنى منَ الأولى ثمَّ كبَّرَ ثمَّ رَكعَ رُكوعًا طويلًا هوَ أدنى منَ الرُّكوعِ الأوَّلِ ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ سمعَ اللَّهُ لمن حمدَه ثمَّ قرأَ قراءةً طويلةً وَهيَ أدنى منَ القراءةِ الأولى في القيامِ الثَّاني ثمَّ كبَّرَ فركَعَ رُكوعًا طويلًا دونَ الرُّكوعِ الأوَّلِ ثمَّ كبَّرَ فرفعَ رأسَهُ فقالَ سمعَ اللَّهُ لمن حمدَه ثمَّ كبَّرَ فسجدَ أدنى من سجودِهِ الأوَّلِ ثمَّ تشَهَّدَ ثمَّ سلَّمَ فقامَ فيهم فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليْهِ ثمَّ قالَ إنَّ**

(١٠) دفاع عن الحديث برقم: ٣٢.

**الشَّمسَ والقمرَ لا ينخسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ولَكنَّهما آيتانِ من آياتِ اللَّهِ ، فأيُّهما خُسِفَ بِهِ أو بأحدِهما فافزعوا ، إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ بذِكرِ الصَّلاةِ**[١١].

**كيفية صلاة الكسوف والخسوف:**

صلاة الكسوف تشبه صلاة الصبح إلا أنها أربع ركعات، على ما يأتي:

١- قيام وقراءة الفاتحة وقراءة طويلة.

٢- ركوع أول طويل ثم قيام منه بعد قول سمع الله لمن حمده.

٣- قراءة الفاتحة ثم قراءة طويلة.

٤- ركوع ثان طويل ثم قيام منه بعد قول سمع الله لمن حمده.

٥- سجود سجدتين ثم القيام منهما.

٦- قراءة الفاتحة وقراءة طويلة.

٧- ركوع ثالث طويل ثم قيام منه بعد قول سمع الله لمن حمده.

٨- قراءة الفاتحة ثم قراءة طويلة.

٩-ركوع رابع طويل ثم قيام منه بعد قول سمع الله لمن حمده.

١٠- سجود سجدتين.

١١- قراءة التحيات لله ثم التسليم.

وفي ذِلك التريب إعجاز فلكي أيما اعجاز، فالقمر يتحرك ليغطى قرص الشمس فيحجب ضوءها كلية أثناء الكسوف ثم ينسحب عنها. ويحدث هذِا على مدى أربع تلامسات ظاهرية هي:

التلامس الأول: وفيه تلامس حافة قرص القمر الأولى الشمس من الخارج.

التلامس الثانى: ويدخل القمر ظاهرياً على الشمس بحيث تلامس حافته الثانية قرص الشمس من الداخل، وهذِان التلامسان يماثلان الركوعين الأول والثاني لصلاة الكسوف.

التلامس الثالث: وفيه تلامس حافة قرص القمر الأولى الشمس من الداخل.

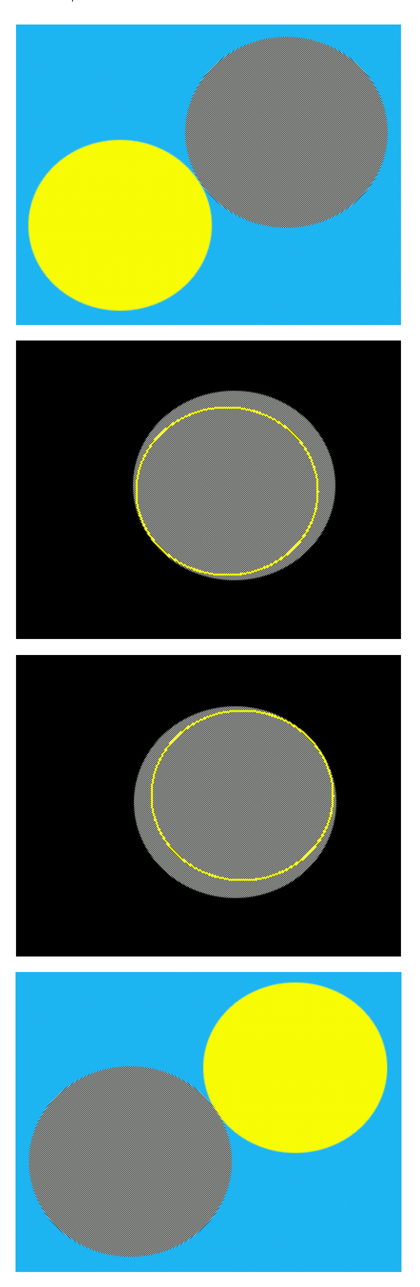
التلامس الرابع: وفيه ينتهى الكسوف بلامسة الحافة الثانية لقرص القمر حافة قرص الشمس الخارجية، وهذِان التلامسان يماثلا الركوعين الثالث والرابع لصلاة الكسوف. وتظلم السماء فى وضح النهار ما بين التلامسين الثاني والثالث .

فصلاتنا أثناء الكسوف هي مشاركة منا للشمس والقمر والأرض في صلاتهم الكونية حيث تصطف هذِه الأجرام الثلاثة فى صف واحد ويقع ظل القمر على الأرض ساجداً لله تعالى.

---

(١١) حديث صحيح، صحيح النسائي برقم: ١٤٩٦

من الذِي علم الرسول الأمي كيف يحدث كسوف الشمس؟ وأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد (حيث مات ابنه الرضيع إبراهيم مباشرة قبل كسوف الشمس فقال الناس إنما كسفت الشمس لموته). {**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (٥) سورة النجم**



شكل ١:

التلامسات الأربع للقمر والشمس أثناء الكسوف الكلي للشمس (من أعلى إلى أسفل- جامعة لانكستر) وهي تماثل الركوعات الأربع لصلاة الكسوف.

**ثانياً: الإعجاز في حديث المفاصل**

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**"إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله،**

**وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظما من طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى. فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار(١٢).**

عن الدكاترة جلال والعياط وعبد المنعم ننقل بيان عدد المفاصل فى جسم الإنسان:

| **الموضع** | **عدد المفاصل** |
|---|---|
| مفاصل الجمجمة | ٨٦ |
| مفاصل الحنجرة | ٦ |
| مفاصل القفص الصدري | ٦٦ |
| مفاصل العمود الفقري والحوض | ٧٦ |
| مفاصل الأطراف العلوية ٢ (٣٢) | ٦٤ |
| مفاصل الأطراف السفلية ٢ (٣١) | ٦٢ |
| **المجموع** | **٣٦٠** |

**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ:**

يطيب الله وتعالى خاطر الرسول الكريم فيعطيه نهراً في الجنة ويتوعد من يسئ إليه، فقال:

**{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} سورة الكوثر**

وعندما أساء إليه القوم عند دعوته إليهم في الطائف دعا ربه: "**اللهمَّ إليكَ أشكو ضعفَ قوتِي وقلةَ حيلتِي وهوانِي على الناسِ يا أرحمَ الرحمينَ إلى منْ تكلُنِي إلى عدوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أو إلى قريبٍ ملكتَهُ أمرِي إنْ لمْ تكنْ ساخطًا عليَّ فلا أُبالِي غيرَ أنَ عافيتَكَ أوسعُ لِي أعوذُ بنورِ وجهِكَ الكريمِ الذي أضاءَتْ له السماواتُ والأرضُ وأشرقتْ لهُ الظلماتُ وصلُحَ عليهِ أمرُ الدنيا والآخرةِ، أنْ تُحِلَّ عليَّ غضبَكَ، أو تُنزِلَ عليَّ سخطَكَ، ولكَ العُتْبَى حتى تَرضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بكَ**(١٣).

فاستجاب له ربه واستضافه في رحلة عظيمة رحلة الإسراء والمعراج، فصلى بالأنبياء إماماً في المسجد الأقصى، ثم عرج به في السماء حتى انتهى به المقام عند سدرة المنتهى. وسنعرض هنا الإعجاز العلمي:

**النجم الذى هوى ليلة أعرج بالنبى صلى الله عليه وسلم.**

**{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)} سورة النجم**

---

(١٢) صحيح مسلم، برقم: ١٠٠٧

(١٣) حديث حسن، الجامع الصغير، برقم: ١٤٨٣

تحدث القرآن الكريم عن الإسراء فى سورة الإسراء، أما المعراج فتحدث عنه في سورة النجم. فما هو النجم الذي هوى؟ النجم الوحيد الذى ذكر باسمه في هذه السورة هو الشعرى اليمانية وهو حالياً ألمع نجم في السماء.

**{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩)} سورة النجم**

كان يعبده العرب وقدماء المصريين وغيرهم، وكان لونه أحمر، مما يشير فلكياً إلى أنه كان نجماً عظيم الحجم، ولقد رصده الرهبان في المانيا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأشاروا إلى لونه الأحمر حيث نشر Schlosser and Bergman (1985) أنه كان أحمر اللون من ١٤٠٠ سنة.

وقد كشفت صور التلسكوبات الحديثة أن نجم الشعرى الذى نراه الآن له زوج قزم لا يرى بالعين المجردة. هذا النجم القزم هو الذى رآه القدماء وعبدوه حين كان عملاقا أحمر اللون. فماذا حدث؟

وجد العلماء Joss, Appaport and Lewistn في عام ١٩٨٧ أن المادة أن انتقلت من العملاق الأحمر إلى زوجه الذي يعرف حالياً بالشعرى تضاءل حجم ذلك العملاق وهوى على نفسه ليصبح ضئيل الحجم قزماً أبيضاً لا يرى للعيان وخر ساجداً لله تعالى (تأمل صغر حجم المصلي ساجداً لله تعالى) كما قال تعالى **{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)} سورة الرحمن**

بينما تزايد حجم زوجه الآخر الشعرى واشتد لمعانه فأصبح ألمع نجم في السماء ( Shahinaz Yousef 2013) وقد تمت المرحلة الأخيرة لهذا التحول والتقلص ليلة أعرج برسول الله صلى الله عليه وسلم.



على اليمين النجم الذي هوى ليلة المعراج ساجداً لله تعالى بجوار صاحبه نجم الشعرى اليمانية.

**يا حبيبى يا رسول الله:**

بأبى أنت وأمى يا رسول الله. سألتك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: **"يا رسولَ اللهِ ! هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أُحُدٍ ؟ فقال ( لقد لقيتُ من قومِك . وكان أشدَّ ما لقِيتُ منهم يومَ العقبةِ . إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ يا ليلِ بنِ عبدِ كلالٍ . فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ . فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي . فلم أَستَفِقْ إلا بقرنِ الثعالبِ . فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني . فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ . فناداني . فقال : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد سمع قولَ قومِك لك وما رَدُّوا عليكَ . وقد بعث إليك ملَكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئتَ فيهم . قال : فناداني ملكُ الجبالِ وسلَّم عليَّ . ثم**

**قال : يا محمدُ ! إنَّ اللهَ قد سمِع قولَ قومِك لكَ . وأنا ملَكُ الجبالِ . وقد بعثَني ربُّك إليك لتأمرَني بأمرِك . فما شئتَ ؟ إن شئتَ أن أُطبقَ عليهم الأخشبَينِ ) . فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (بل أرجو أن يخرِجَ اللهُ من أصلابِهم من يعبدُ اللهَ وحدَه ، لا يشركُ به شيئًا)** (١٤).

رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم الانتقام ممن أساؤا إليه فربما آمن أولادهم وأحفادهم. يا له من رسول كريم. هذا هو خلق رسول الله فلنغضب له ولكن بخلق رسول الله. ولنعمل على نشر هذا الدين العظيم.

ولنتذكر أن الغافلين قد ينتبهون عندما يكثر الجدل ومنهم من يحاول أن يتعرف على هذا الدين فلنكن جاهزين لادارة هذه الأزمات لصالح هذا الدين العظيم ولنتذكر بعض الأحداث،

ففى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر استشهد الرئيس الأمريكى بوش بآية من القرآن الكريم ألا وهي: **{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)} سورة المائدة**

وكان لهذا الخطاب ولأحداث سبتمبر وقع كبير حتى أن جميع نسخ القرآن الكريم قد نفذت من المكتبات. هذا بالإضافة إلى إسلام العديد من الدنماركيين بعد حملة الرسوم المسيئة.

ولا ننسى أن الله تعهد بإظهار هذا الدين، فقال سبحانه: **{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)} سورة الفتح**



(١٤) صحيح مسلم، برقم: ١٧٩٥

# اسمُ محمَّد صلى الله عليه وسلم بين المبنى، والمعنى، والأثر

**د. أحمد بن عبدالقادر عَزي**

جامعة الإمارات، الإمارات



**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

قضت سنن الله تعالى في هذا العالم بالصراع الأبدي بين الحق والباطل، قال تعالى: {ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم} سورة محمد، آية (٣). وقال تعالى: {ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق} سورة الإسراء، آية (٥٦). وقال تعالى: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا} سورة الفرقان، آية (٣١).

فالصراع بين الحق والباطل من السنن الكونية الدائمة المرئية تارة، والخفية تارة أخرى، وهو صراع لا يفتُرُ، ولا يهدَأ أبداً. و قدَرُ الإسلام أن يكون هو أكثرَ الأديان تعرضاً للنقد، والقرآنُ أكثرَ الكتب تعرضاً للنقض، ونبيُّه صلى الله عليه وسلم هو أكثرَ الناس تعرضا للنبز، والطعن، ولكنه في مقابل ذلك هو أكثرُ الأديان انتشاراً في الميدان، والنبي صلى الله عليه وسلم أكثر الأشخاص تعظيماً في قلوب محبيه من المؤمنين، وهو أكثر الشخصيات تأثيراً في هذا العالم على الإطلاق، وما زال القرآن هو المعجزة الكبرى على مدى الأزمان.

ولذلك الصراع ألوان، وصور شتى، وقد شاء الله تعالى أن يتم دفع ذلك الباطل من أهل الحق بجهد بشري، ومغالبة جادة، ومدافعة صادقة ابتلاءً منه سبحانه لعباده المؤمنين.

وموضوع بحثي يندرج في هذا المحور محورُ التحديات المعاصرة على أهل الحديث: رجالاً ومؤسسات، وبالذات تحدي دفع التشويه المتعمد لاسم النبي صلى الله عليه وسلم، وسبل مواجهة ذلك، وقد عنونته بـ"اسم محمد صلى الله عليه وسلم بين المبنى، والمعنى، والأثر" وانتظم البحث في العناصر التالية:

- تمهيد.
- المبحث الأول: اسم محمد صلى الله عليه وسلم من حيث المَبْنى، والمعنى.
- المبحث الثاني: اسم محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الأثرُ والآثار.

- المبحث الثالث: اسم محمد صلى الله عليه وسلم في المفهوم الغربي القديم والمعاصر.
- المبحث الرابع: سبل مواجهة تشويه اسم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه.
- الخاتمة.

**تمهيد:**

إن الناظر في المواجهة بين الإسلام، ومن انبرى له من خصومه يجد أن جملة كبيرة من الطعون موجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أساساً، ولا يكاد يوجد فرع متعلق به، أو بسنته إلا ألفينا فيه طعنا، أوقدحا، أوتشكيكا، أو هَمْزا، أو لَمْزا، أو غَمْزا. وإنّ مسؤولية مواجهة ذلك هي على مسلمي العصر، فالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم هو من واجبات الوقت كما يقول الفقهاء، وهذا يعني أنه ينبغي أن تنفر طائفة منهم لتتخصص في الكشف عن تلك الطعون، ومعرفة مضمونها، والرد عليها بمنهجية علمية، وطريقة موضوعي. وقبل الدخول في بيان سبل مواجهة ذلك يحسن التقديم بثلاثة مباحث ممهدةٍ له هي:

**المبحث الأول: اسم محمد صلى الله عليه وسلم من حيث المبنى والمعنى**

لقد تفنن علماء السير، ودلائل النبوة، والشمائل، والخصائص، وكذا اللغويون، والمفسرون، والمؤرخون في اسم النبي صلى الله عليه وسلم، فتكلموا عن أصله اللغوي، ومشتقاته، ومبانيه، ومعانيه، ومَنْ الذي سماه؟ وكيف سُمِّي؟ وشرَح بعضهم تلك الأسماء، وتوصيف مهمات ذلك بإيجاز على النحو التالي:

١. أجمعت المصادر اللغوية على أن اسم محمد يعود إلى الفِعْل "حمِدَ"بكسر الميم من باب فَهِمَ. قال ابن فارس: "والحاء والميم والدال كلمة واحدة، وأصل واحد يدل على خلاف الذم. يقال حمِدت فلانا أحمده، ورجل محمود، ومحمَّد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة ... ولهذا الذي ذكرناه سُمي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"[١]، فالاتفاق قائم بين اللغويين[٢] على أن الحمد، واشتقاقاته تتضمن الثناء على المحمود بجميل الصفات والأفعال.

٢. قال ابن القيم: "هذا الاسم -يعني اسم محمد- هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم، وهو اسم منقول من الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود، ومحبته، وإجلاله، وتعظيمه. هذا هو حقيقة الحمد، وبني على زِنة مُفَعَّل مثل مُعَظَّم ومُحبَّب ومُسوَّد ومُبجَّل، ونظائرها؛ لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كَثُر صدور الفعل منه مرة بعد مرة كمُعَلِّم ومفهِّم ومبيِّن ومخلِّص ومفرِّج ونحوها.

---

[١] مقاييس اللغة (٢/١٠٠).

[٢] انظر: العين لفراهيدي (١٨٩/٣) ، و مختار الصحاح للرازي (٦٤) ، ولسان العرب لابن منظور (١٥٥/٣) ، وتهذيب الاسماء للنووي (٦٧/٣) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٣٥٥) ، وتاج العروس للزبيدي (٣٨/٨) .

وإن اشتق منه اسم مفعول فمعناه من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى إما استحقاقا، أو وقوعا، فمحمد هو (من) كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى. ويقال حمد فهو محمد كما يقال علم فهو معلم، وهذا عَلَمٌ وصفةٌ اجتمع فيه الأمران في حقه صلى الله عليه وسلم، وإنْ كان علَما محضا في حق كثير ممن تسمى به غيره"[٣].

٣. وقد ورد اسم النبي صلى الله عليه وسلم في أربع آيات في القرآن الكريم وهي :

- الأولى: قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدإِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ} سورة آل عمران، آية (١٤٤).
- الثانية: قوله تعالى: {ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} سورة الأحزاب، آية ( ٤٠ ) .
- الثالثة: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} سورة محمد، آية (٢).
- الرابعة: قوله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ...}الآية. سورة الفتح، آية ( ٢٩).

٤. وورد بلفظ أحمد مرة واحدة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...}الآية. سورة الصف، آية (٦).

٥. وأخرج الشيخان[٤] عن جبير بن مطعم أنَّ رسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ لي أسْمَاءً: أنا مُحمَّدٌ، وأنا أحْمَدُ، وأنا الْماحِي الذي يمْحُو الله بيَ الْكفْرَ، وأنا الْحاشِرُ الذي يُحْشرُ الناس على قدَمَيَّ، وأنا الْعاقِبُ الذي ليس بعْدَهُ أحَدٌ" وقد سمَّاهُ الله رؤفا رحِيمًا".

٦. وقد أُلف في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مؤلفات أورد في أحدها السيوطي (٣٤٠) ثلاثمائة وأربعين اسما مأخوذة من القرآن، والاحاديث، والكتب القديمة[٥].

٧. وذكروا لاسم محمد من النعوت والفضائلِ الشيءَ الكثير، ومنها مثلاً قولهم: إن الله تعالى اشتق اسمه من اسمه المحمود، كما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

**وضَمَّ الإلهُ اسمَ النبي إلى اسمه إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أشهدُ**

[٣] جلاء الأفهام (١٧١).

[٤] صحيح البخاري (١٨٨٥/٤) ، وصحيح مسلم (٤/ ١٨٢٨) ، واللفظ المسوق لمسلم .

[٥] الخصائص الكبرى (١٣٣/١).

**وشَقَّ له من اسمه لِيُجِلَّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمد**[٦]

والخلاصة فقد ذهب أهل العلم من المسلمين في تجلية ما يتعلق بهذا الاسم كلَّ مذهب، وأجابوا فيها عن كل سؤالٍ ومطلبٍ، مما يجعل الباحث يشعر أنهم بلغوا الغاية، وأوفوا على النهاية في ذلك.

**المبحث الثاني: اسم محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الأثر والآثار**

أما من حيث الأثر: فإن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت نبأً عظيما في عصره هزَّ الجزيرة العربية التي كانت خاملة في ذلك الزمن هزًّا عنيفا، وأثَّر فيها تأثيرا كبيرا، وتجاوز ذلك في سنيات قليلة إلى الشام، والعراق، ومصر، وشمال إفريقيا، وفارس، وما وراءها ففُتِحت كلها، ثم بلغ خبره معظم العالم المسكون حينئذ. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن أثر اسمه سيكون قوياً، ومن ذلك ما رواه الشيخان[٧] من حديث جابر بن عبدالله أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعْطِيتُ خمْسًا لم يُعْطهُنَّ أحَدٌ قبْلِي: نصِرْتُ بِالرّعْبِ مسِيرَةَ شهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الْأرْضُ مسْجِدًا وطَهُورًا"...الحديث. قال الحافظ ابن حجر[٨] : "قوله: نُصِرت بالرعب زاد أبو أمامة: "يُقذف في قلوب أعدائي". أخرجه أحمد. قوله: "مسيرة شهر..."، فالظاهر اختصاصه به مطلقا، وإنما جعَلَ الغايةَ شهرا؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحدٌ من أعدائه أكثر منه. وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر".

ويدل لذلك الرعب المصاحب لاسمه منذ الأيام الأولى في الأمم المحيطة بالجزيرة العربية ما جاء في حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ أبَا سُفْيانَ أخبره أنَّ هرَقْلَ أرْسَلَ إليه وهُمْ بإِيلِيَاءَ، ثمَّ دعَا بكِتَابِ رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم، فلما فرَغَ من قرَاءَةِ الْكتَابِ كثُرَ عنْدَهُ الصّخَبُ، فارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ، وَأُخْرِجْنَا، فقلت لأَصْحَابِي حين أُخْرِجْنَا": لقد أَمِرَ أَمْرُ بنُ أبي كَبشَةَ، إنه يخَافُهُ ملِكُ بنِي الأَصْفَرِ"[٩].

وأما من حيث ورود اسمه في آثار الأمم السابقة فلقد أثبت القرآن الكريم بنصيْن قاطعين لا مجال للتأويل فيهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معروفاً عند اليهود، وعند النصارى على السواء باسمه:

- ففي الآية الأولى قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} سورة الأعراف، آية (١٥٧) .
- وأما الآية الثانية فأثبت القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام بشّر بالنبي صلى الله عليه وسلم باسم أحمد كما في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

[٦] سبل الهدى والرشاد (٤٠٨/١).
[٧] صحيح البخاري (١٢٨/١) ، وصحيح مسلم (٣٧٠/١) ، واللفظ المسوق للبخاري .
[٨] فتح الباري (٤٣٧/١).
[٩] صحيح البخاري (١٠٨٧/٣).

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} سورة الصف، آية (٦).

ولما كان التحريف والتبديل قد وقعا في التوراة والإنجيل[١٠] بنص القرآن الكريم كما في قوله تعالى: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} سورة البقرة، آية (79). وفي قوله تعالى: {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه} سورة المائدة، آية (١٣)، فإن الوصول إلى اسمه صريحا في نُسخ الإنجيل غدا عسيرًا. هذا فضلا على أن نسخ الإنجيل الموجودة هي ترجمة يونانية من اللغة الآرامية التي نطق بها المسيح عليه السلام كما أثبت ذلك كثير من الباحثين[١١]. وقد توصل عبد الأحد داود القس السابق، وأستاذ اللاهوت بعد دراسة استقرائية أن النبي صلى الله عليه وسلم ورد في نسخة لوقا السريانية باسم "يودوكيا" بمعنى حمد، ومحمود، وفي النسخة اليونانية باسم "البرقليط"، وتعني "أحمد أو محمود"[١٢]. أما الإشارة إليه بصفاته صلى الله عليه وسلم، أو بقرائن دالة عليه فقد وجدت في مواضع متعددة في الكتابين[١٣].

وذكر ابن القيم أن النبي صلى الله عليه وسلم ورد اسمه بلفظ محمد صلى الله عليه وسلم فقال: "وفي التوراة ما ترجمته بالعربية: "وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاك، ها أنذا قد باركت فيه، وأثمره، وأكبره بمأذ بمأذ. مُأذ هكذا هي اللفظة، مُأَذ على وزن عُمر"[١٤].

ونقل نحو هذا أيضا في جلاء الأفهام١٥، وزاد : "والمقصود أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة محمد كما هو في القرآن، وأما المسيح فإنما سماه أحمد كما حكاه الله عنه في القرآن"[١٦]. وذكر نحو ذلك النص المصرح فيه بالاسم الشوكاني[١٧]، وجزم بأن اسم النبي بالعبرانية "مأذمأذ".

---

[١٠] انظر: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق لعبدالوهاب طويلة (١٥٥).

[١١] ومن أشهرهم عبد الأحد داود المتوفى سنة (١٩٤٠) م الذي كان قسا كاثوليكيا روميا كلدانيا ، ثم أسلم ، وكان متضلعا في نصوص التوراة ، والإنجيل . من مصنفاته الهامة "محمد في الكتاب المقدس ". وقد طُبِع الكتاب باللُّغة الإنجليزيَّة بسنغافورة على نفقة رئاسة المَحاكم الشرعية والشُّؤون الدينية بدولة قطر، بناءً على طلبٍ من جَمعية "نَهضة الإسلام، برستو، سرواك". كما طبع أيضا بعنوان "محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى " نقله إلى العربية محمد فاروق الزين مع مقدمة له .

انظر : http://www.alukah.net/Web/fouad/10831/28750/#ixzz2OXXg1LA1 ، ومحمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد داود (٢٣٩).

[١٢] لقد كان علماء النصارى يعرفون جيدا أن الفارقليط تعود لاسم محمد ﷺ ، ويشهد لذلك ما رواه عبدالله الترجمان الميورقي في كتابه تحفة الأريب (٦٦) حيث كان حادما لقس نصراني كبيرفي الأندلس قبل سقوطها ، فأرشده إلى معناها الصحيح ، وأن المقصود بها النبي محمد ﷺ ، ونصحه باعتناق الإسلام ، فهداه الله إلى ذلك ، وألف كتابه المذكور وذكر فيه قصة هروبه ، ولجوئه إلى تونس حيث أسلم ، وعاش هناك إلى وفاته بها سنة (٨٣٢)هـ

[١٣] المصدر السابق . وانظر أيضا :تحفة الأريب للميورقي (٢٦٨)، وحقيقة محمد في التوراة والإنجيل – قيس الكلبي (٤٧٦) ، والاختيار بين الإسلام والنصرانية لأحمد ديدات (٧١).

[١٤] هداية الحيارى (٦١).

[١٥] (١٩٥/١) .

[١٦] جلاء الأفهام (٢٠٠/١).

[١٧] إرشاد الثقات (٢٧).

وجاء في نسخة حجي التوراتية بالعبرية قوله: "وسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي حِمْده (أو حمددويت، أو حمدوث) لكل الأمم، وسوف أملأ هذا البيت بالمجد"[18].

وأما في الزبور: فقد قال ابن تيمية[19]: "وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه". وذكره في موضع آخر بما نصه: "وقال داود في مزمور له: "إلهنا قدوس، ومحمد قد عمَّ الأرض كلها فرحا". والنص نفسه نقله ابن القيم في هداية الحيارى[20].

هذه جملة من النصوص العبرية التي تنص على ورود اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيها، وقد شط أهل الكتاب في تأويل تلك النصوص كل الشطط بما يتوافق واعتقاداتهم، ومذاهبهم، وجنوحهم عن الحق.

**المبحث الثالث: اسم محمد في المفهوم الغربي القديم والمعاصر**

كان الأصل الذي يتفق والفطرة والمنهج القويم ممن شهد دعوة الإسلام عند إعلانها، أو بعد ذلك هو الإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، والتصديق بما أخبر به لا سيما من أهل الكتاب المبشرين به، ولكن الذي وقع هو أن الكثير ممن عاصر النبي صلى الله عليه وسلم عاقته عوائق التفكير السليم من هوى، أوتقليد، أوظن سيء، وأعمته عن رؤية الحق، وأصمَّته عن الإصغاء له، فلم يؤمن بالهدى، وكثير منه خاصم، وفجر في الخصومة، وحولها إلى طعن في اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وشخصه، ودعوته، وهو ما سنذكر له نماذج:

أ. طعن مشركي مكة في اسم النبي صلى الله عليه وسلم:

سبق مشركو مكة كل الأمم في نبز اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وغيروا اسمه بما يفيد تقبيحه فقالوا هو: مُذَمَّم، ومذمم من حيث اللغة يقال: ذمَّه ذَمًّا، ومَذَمَّة، فهو مذموم، وذميم، ضد مدحه، ورجل مُذَمَّم كمُعَظَّم: مذموم جدا[21].

روى البخاري[22] من حديث أبي هرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "ألا تَعْجَبونَ كَيفَ يَصْرفُ الله عَنّي شَتمَ قرَيْشٍ وَلَعْنَهم !! يَشْتِمونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنونَ مذَمَّمًا، وأنا محَمَّدٌ". ورواه الحاكم[23] مطولا من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: لما نزلت تبت يدا أبي لهب أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة، وفي يدها فِهْر، وهي تقول:

**مُذَمَّما أبينا ودِينَه قَلَيْنا وأَمْرُه عصينا**

[18] محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى لعبد الأحد (٤٨) ، والنص أيضا في حقيقة محمد في التوراة والإنجيل لقيس الكلبي (٣٥٤).

[19] في الجواب الصحيح ( ٢/ ٢٧ )

[20] هداية الحيارى (٧٢).

[21] القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٤٣٤/١).

[22] الجامع الصحيح (١٢٩٩/٣).

[23] المستدرك على الصحيحين (٣٩٣/٢)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". والفِهْر هو الحَجَر.

والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبَلَتْ، وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تراني" وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال، وقرأ: {وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا}. فوَقَفَتْ على أبي بكر، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فولت وهي تقول: "قد علمت قريش أني بنت سيدها".

قال الحافظ ابن حجر: "كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم. وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفا إلى غيره"[٢٤].

ب. الغربيون واسم محمد صلى الله عليه وسلم:

ليس من العسير في هذا العصر الوصول إلى معظم ما قيل في اسم محمد صلى الله عليه وسلم من خصومه في الغرب والشرق، وما اعتور ذلك من تغيير، أو تحريف مقصود، وغير مقصود. وقد استوقفني بحث متعلق بصميم الموضوع أُراهُ شاملا ودقيقا، فأردت الإفادة منه، ولخصت مجمل ما فيه.

**كلمة لا بد منها:**

يجب التنبيه إلى أنَّ نَقْلَ ما قيل في النبي صلى الله عليه وسلم من أعدائه، وخصومه عموما يقصد من ورائه الدراسة العلمية لمعرفة ما قيل حقا لكون بعضهم ينكر ذلك، ولبيان أسبابه، والإطلاع على ثقافة الشعوب التي يراد دعوتها، أو مواجهة مفترياتها بالحجة الدامغة. وقد نقل الله سبحانه وتعالى ما قاله مشركو الأمم السابقة في أنبيائهم حيث رموهم بكل نقيصة، ووسموهم بكل قبيحة كقولهم في نوح عليه السلام: {وقالوا مجنون وازدجر} سورة القمر، آية(٩). وقولهم في صالح عليه السلام: {بل هو كذاب أشر} سورة القمر، آية (٢٥). وقول فرعون وملأه في موسى عليه السلام: {فقالوا ساحر كذاب} سورة غافر، آية (٢٤)... وقولهم في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أقوالا كثيرة مشينة. وقد أخرج أصحاب الصحيح والسنن والمسانيد ما قاله المشركون فيه دون حذف. وحاشاه صلى الله عليه وسلم، وجميع الأنبياء عليهم السلام من تلك البواطيل، والافتراءات، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ذلك، ونؤمن أن الأنبياء هم أفضل الخلق، ويسعنا قوله سبحانه الذي ذكر ثلة منهم، ثم قال: {أولئك الذي أنعم الله عليهم من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا} سورة مريم، آية (٥٨)، فالنبوة نعمة عظيمة من الله تعالى وهداية واجتباء وانتقاء. وقال في نبينا عليه السلام: {وإنك لعلى خلق عظيم} سورة القلم، آية (٤). وقال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم

[٢٤] فتح الباري (٦/٥٥٨).

يوم القيامة"[٢٥]. ولا يضره صلى الله عليه وسلم كلام من تكلم فيه، فإن شانئه هو الأبتر المقطوع كما قال تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر} سورة الكوثر، آية (١-٣).

**توصيف البحث :**

فيما يلي التعريف بالمعالم الأساسية للبحث الذي تناول اسم محمد في اللغات الأوروبية.

عنوان البحث: حول صورة اسم محمد ( A propos de la forme du nom de Mahomet)

اسم كاتب البحث: ميشال ماسون (Michel Masson). جامعة باريس ٣ – السوربون الجديدة. اللغة المكتوب بها: اللغة الفرنسية. عدد صفحات البحث: ثماني صفحات.

ذكر الباحث في المقدمة أنَّ الاسمَ العَلَمَ قد يحافظ أحيانا في النطق به على صورته الأصلية، لكنه إذا انتقل إلى لغة أخرى، وغدا مألوفا فيها فإنه يخضع غالبا إلى عوائد اللغة المنقول إليها، ويرجع ذلك الإخضاع إلى النظام الصوتي المختلف، وقد يعاد تصميم ذلك الاسم بشكل يوهم أنه جزء من التراث اللغوي المنقول إليه. ومثَّلَ لذلك ببعض الكلمات منها: (Londres)، وكلمة (La Haye)، وكلمة (Saladin) حيث تغير النطق بها عن لغتها الأصلية[٢٦].

ثم جاء لاسم محمد فذكره باللغة الفرنسية مطابقا للنطق العربي فيما يرى، وكتبه باللغة الفرنسية (Muhammad).

وقال: إنه ناله تغيير يسير في اللغة الانجليزية المعاصرة، وكتبه هكذا (Mohammad)، ونحوه أيضا في التغيير اليسير للاسم في اللغة الألمانية، والهولندية، ورسمه هكذا (Mohammed).

وقد لا حظ الباحث تغييرا لاسم محمد في النطق والكتابة، و تحميلا للمعنى على النحو التالي:

أولا: تغيير اسم محمد في النطق والكتابة : قد استغرب المؤلف ذلك التنوع والاختلاف في اللغات الأوروبية حيث كُتِبَ بطرق متباينة منها:

في اللغة لفرنسية القديمة: (Macomet)

في اللغة اللاتينية: (Machumetus, Machometus,Machometha)

في اللغة الإيطالية : (Macometto)

في اللغة الروسية: (Magomet)

في الانجليزية في العصور الوسطى: ( Mac(h)amethe, Makomete, Makamete, Machomete(e).)

في الفرنسية الأقدم: (Mahum, Maho)

---

[٢٥] أخرجه مسلم (١٧٨٢/٤) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة ، وزاد في رواية ابن حبان من حديث عبدالله قوله : " ولا فخر".

[٢٦] فالكلمة الأخيرة مثلا في لغتها الأصلية العربية هي صلاح الدين يعنون به الأيوبي، وقد أعيد صياغتها في اللغات الأوروبية فأصبحت صلادين .

في الإسبانية الكتالونية: (Mahoma)

في اللغة السردينية: (Maom(ma), Maomo, Meomo , Maiumma)

في الإيطالية القديمة: (Macone)

في الانجليزية الأقدم: ( Mahum, Mahun, Mahoun(e), Mahon(e), Mawhown, (Machoum, Mahownd, Machound, Mahound, Mauhound).

ثم تحدث عن التحوير الذي اعتور بعض حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم في تلك اللغات لا سيما حروف (g) (k) (h) التي لم ير عجبا في تغييرها في حناجر أولئك الأقوام . كما عرج على الحروف اللينة [٢٧] (a,u,i,o) مشيرا إلى الإبدال، والإحلال لبعضها بعضا، وألمح إلى الترخيم الوارد، وبعض الخصائص اللغوية للهجات الأوروبية، وكذا التشويه الحاصل لبعض الأحرف فيها.

ويذكر المؤلف بأن الاتصال الواقع بين المتحدثين بالعربية، واللغات الرومانية في الأندلس، ثم في صقلية في جنوب إيطاليا، وشمال إفريقية لم يغير من تحوير النطق باسم محمد، وقد وُجِد في اللغات الأوروبية القديمة اشتقاق من اسم محمد فأطلق على المساجد اسم ( Mahomerie, Mahumerie, Mahommerie) .

### تغيير معنى اسم محمد:

أورد المؤلف أربعة اتجاهات حُمِّلها اسم محمد من حيث المعنى في اللغات الأوروبية ، وهي:

١. (Mahoumet): تعني حسب قوله: مَلاك الشر، أو روح شريرة. و(Maumet) تعني إبليس. و(Mahouns) وتعني الشرك الإلهي، أو الشيطان، ونحو هذا من المعاني القبيحة.

٢. (Moumo): تعني عند بعضهم: الصنم. و(Mahomet) تعني المعبود، و(Mawoumet) تعني صورة كاريكاتورية، أو تمثال من تبن يوضع أمام بيت من يُهزأ به.

٣. (Mahom): تعني ثقيل، وخشن. و(Magon) إنسان وسخ.

٤. (Mahoume) تعني حسب بعض معتقداتهم من يتشكل ليلا على شكل ذئب، ويتحول نهارا إلى إنسان. أو امرأة ذات سمعة سيئة. والعجيب أن المؤلف ذكر في هذا القسم الرابع أن في بعض معاني (Mahomet) في اللغة الفرنسية القديمة هو المفضل، والجميل الجذاب ( mignon , favori) [٢٨].

---

[٢٧] الحروف اللينة في اللغة الفرنسية ست هي (a,e,i,o,u,y). انظر : http://www.ladictee.fr/grammaire/
http://www.orthogram.com/lalphabet_francais.html

[٢٨] وقد تركت بعض ما أورده الباحث من معاني أخرى قبيحة ألصقت في اللغات الأوروبية باسم محمد النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: Masson Michel – A propos de la forme du nom de Mahomet (4

**نظرة تحليلية لاسم محمد صلى الله عليه وسلم في اللغات المذكورة :**

بعد هذا الاستعراض يمكن ملاحظة مجموعة من الملحوظات:

- حضور اسم محمد بشكل لافت في اللغات الأوروبية، وثقافتها، وخيال شعوبها، وإنْ بتحريف للمعنى يستوقف كل باحث، ودارس عن سر هذا الحضور القوي، وهذا التنوع من التحميل المخترع للمبنى والمعنى.
- هناك تغاير متفاوت في الدرجة في اسم محمد في اللغات الأوروبية نطقا وكتابة.
- أكثر الاختلاف وقع في الأحرف العربية التي لا نظائر لها في تلك اللغات، أو نظائرها ضعيفة.
- من الواضح أنه لم يلتفت إلى المعنى العربي الصحيح لاسم محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا في اللغات الأوروبية، و كان التركيز على ظاهر الاسم من حيث كيفيةُ النطق به، ثم تحميلُه معاني بعيدة عن حقيقته شعورا وتخيلا.
- من الجلي أن هذا الاسم النبيل حُمِّل معاني سيئة، وقبيحة، بل ساقطة شوهت شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وهي على خلاف مضمونه تماما.
- تراوح نوع المعاني المختلقة لاسم محمد من السيء إلى الأسوء، ومعظمها ضلال نصرانية، وإسقاطات لخيالٍ مريضٍ من تلك الشعوب التي شُوِّه لديها المعنى.
- السبب الأكبر لذلك التشويه لاسم محمد هو تنفير تلك الشعوب من الإسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم.
- يستشعر الناظر في تنوع تلك الحمولات الكاذبة، واختلاف تلك المطاعن أنها ليست عفوية، أو فردية، بل وراءها جهة، ومؤسسة متخصصة في صناعة الكراهية بمنهجية، وتخطيط، وهدف مرجو من وراء ذلك التشويه.
- ينبغي القول بأن وقوع الاختلاف في النطق طبيعي، وسائغ لكونه ناشئا عن أسباب خِلْقية، وبيئية، وقد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك من آياته في قوله: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم} سورة الروم، آية (٢٢).
- كما لا إشكال في تحوير الاسم تبعا لذلك بما لا يخالف معناه لكون اسم النبي صلى الله عليه وسلم عَلَم، وصفة، وقد حوَّرت كثير من شعوب الأمم الإسلامية، وأجناسِها اسمَ محمد تبعا لطريقة نطقها، وعوائد تلفظها، بل إن من ينتسب إلى العرب أنفسهم قد حور الاسم فتجدهم يقولون (مْحمَّد بتسكين الميم) ، (مِحمَّد بكسر الميم، وفتح الحاء المهملة، وترقيقها)، (مِحمَّد بكسر الحاء، وتفخيمها).
- وتجد من يقول: (مُوح بضم الميم، مَحْيُو ، مُحَنَّد، مْحَنْذ)، وتجد من يقول: (مَحْمَت، مامادو، دو).

- ولـم يُخـف الباحـث أن سـبب هـذا التحريـف للمعنى هـو الكـره المسـتكن في قلـوب الشـعوب الأوروبيـة المتنصـرة لـذلك الاسـم الشـريف، وذلك لكون المسـلمين هزمـوا النصـرانية في الشـرق، وهـددوها في الغـرب، فبصـمات النصـرانية واضـحة في ذلـك التحريـف. ويقـول المؤرخ الأسـباني خوسي دي مونتيرو فيدال (Jose de Montero Vidal) في كتابه "محمد: حياته والقرآن": "من النـادر أن تجـد في أدبيـات رجـال الـدين، والكتـاب الكاثوليـك شخصـية تعرضـت للتشـنيع كمـا تعرض لها محمد (صلى الله عليه وسلم)، إذْ تتطلبُ مهمةُ تسجيلِ، وتعدادِ كل ما اختلقوا من أباطيل بدافع الكراهية الشديدة لشخصه، وعقيدته عدَّةَ مجلدات"[29].

- وما يزال ذلك النبز، والتحريف قائمين إلى يوم الناس هذا، وقد صرح محمد أسد[30] بعلة ذلك فقال: "إلا أن الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكنه كان قبل كل شيء، وفي مقدمـة كل شـيء شـرا ثقافيـا. لقـد نشـأ تسـميم العقـل الأوروبي عمـا شـوهه قـادة الأوروبيين مـن تعـاليم الإسـلام، ومثلـه العليـا أمـام الجمـوع الجاهلـة في الغـرب. في ذلـك الحـين اسـتقرت الفكـرة المضحكة في عقـول الأوروبيين من أن الإسـلام دين شـهوانية، وعنـف حيـواني، وأنـه تمسـك بفـروض شـكلية، ولـيس تزكيـة للقلـوب وتطهيرا لهـا، ثـم بقيـت هـذه الفكـرة حيـث استقرت. وفي ذلك الحين أيضا نُبِزَ محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم: "كلبي".

- وقد دخلت عددا من المواقع الغربية والشرقية المتعلقة بالأديان، ولا سيما المنتديات، وألفيت بعد تأمل أن الناس منقسمون فيها تقريبا إلى ثلاث طوائف:

- كثير من القـوم لـم يبرحـوا مكانهم من التـوجس من اسـم محمـد، ومـا يـزال الكثير منهم يردد مقـولات قُسُـس النصـارى، وكهنـة القـرون الوسـطى ممـا ذُكـر في البحـث، أو يجتـر طعـون المستشرقين المناوئين للإسلام التي هي تكريس لها.

- قليلٌ من الباحثين، والأكاديميين، والدارسين يعترف بالدور الفاعل للإسلام في صوغ الحضارة الإنسانية، و يقر بالأثر القوي لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وما أقيم ضده من حملات معادية لدينه، واسمه خلال قرون طويلة، والأقلُّ منهم من يصل إلى الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وربما يمزج ذلك بأخلاط فكرية من بيئته، وفكر الجهة التي ينتمي إليها.

- عـدد منهم يتخـذ موقـف المتوقـف الصـامت، وربمـا المحايـد، أو المتردد الـذي لايبـين منـه شـيء واضح، أو قاطع.

[29] مؤتمر السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية، الندوة الدولية لكلية الآداب، فاس . ٢٠٠٨م ص (١٥٣).

[30] الإسلام على مفترق الطرق (٦٠). وشرح كيف يتم نبز اسم النبي صلى الله عليه وسلم في اللغة الألمانية فقال في الحاشية: " كلبي Mahound. وازن بين صورة Mahomed، وصورة Mahound. إن Ma ضمير المتكلم (ضمير جر)، و houned من هوند Hund الجرمانية بمعنى الكلب . وقد كان أولئك النابزون يتلاعبون بظاهر اللفظتين: ماهومد، وماهوند".

- لقد ظن كثير من المسلمين أن حلول العلمانية دينا جديدا في الغرب سيُفضي إلى التحلي بالموضوعية، والإنصاف، وأن عهد سيطرة الأديان المنحرفة وَلّى مدبرًا، ولكن التأمل في كتابات القوم، وغشيان منتدياتهم يكشف أن الطعن في الإسلام عموما، والنبي صلى الله عليه وسلم خصوصا لم يتغير أبدا، نعم سمح ذلك بإظهار بعض المنصفين في آرائهم، لكن الخلفية الثقافية المتعصبة بقيت دون كبير تغيير. يقول نيقولاس نيبورت الأستاذ في جامعة مالاقا بإسبانيا: "وتبقى شخصية محمد هي الشخصية التاريخية الوحيدة التي لم ينصفها الغرب لحد الآن...لأن الغربيين ليسوا قادرين على الاعتراف بأي فضل لها حيث إنه لا توجد أي مسرحيةٍ، أو شريطٍ، أو كتابٍ حَقَّق شهرة عالمية لسبب، أو لآخر إلا تناول شخصية النبي بشكل سلبي، بل بأعلى درجة ممكنة من السلبية"[٣١].

- استلت الجهات المعادية للإسلام اسم محمد صلى الله عليه وسلم من حطام الثقافة الأوروبية وركامها، وجعلته جزءا من سلاح جديد فتاك اسمه الرُّهاب من الإسلام، وأصبح ذلك مطرقة لا تتوقف من التخويف من دين محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه. وفي إثر ذلك غدت الإحصائيات تتوالى يوما بعد آخر عن عدد المسلمين، وتكاثرهم في أوروبا، وأن اسم محمد تجاوز اسم جورج، أو اسم فرنسوا في تسمية المواليد، وأن منتصف القرن الحالي ستتحول مدارس أوروبا إلى كتاتيب لتحفيظ القرآن..وهكذا دواليك من أنواع الأخبار التي يُقصد منها نشر الخوف، والفزع.

**المبحث الرابع: سبل مواجهة تشويه اسم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه**

إن الدفاع عن اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يراد تشويهه هو دفاع عن الإسلام؛ ذلك أن مراد المحرفين لمعنى الاسم هو نشر الشنآن لدينه بين الناس. وبما أن ذلك التحريف ليس بجديد، حيث بدأ منذ فجر دعوة الإسلام في مكة المكرمة، فإن البحث ينبغي أن ينصب على معرفة منهج رد النبي صلى الله عليه وسلم على من حرَّف اسمه من خصومه المشركين، والطاعنين عليه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمناوئين له إجمالا، والتأسي بذلك المنهج، ثم استحداث وسائل جديدة لمواجهة ذلك، ووضعها موضع التطبي .

أ. السبيل الأول: منهج رد النبي صلى الله عليه وسلم على تحريف اسمه، والطعن على دينه.

يفيد البحث في ألفاظ الحديث المسوق سابقا أنه عند بلوغ النبي صلى الله عليه وسلم تغيير المشركين لاسمه إلى آخَرَ قبيح، ومناقضٍ له في المعنى، لم يصدر عنه أيُّ رد في دفع ذلك، أو بيان أنه خطأ، أو كذب، أو ظلم، كما أنه لم يظهر سخطا، أو غضبا، بل أبدى في تلك المرحلة تعجبه كيف صرف الله عنه ذلك الشتم فقال: "ألا تَعْجَبونَ كَيفَ يَصْرِفُ الله عَنّي شَتمَ قرَيْشٍ وَلَعْنَهم !! ". وهذا يُشعر أن النبي

[٣١] مؤتمر السيرة النبوية في الكتابات الإسبانية ، الندوة الدولية لكلية الآداب ، فاس . ٢٠٠٨م ص (١١٨).

صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى ما تفوه به خصومه من ألفاظ سيئة في حقه، بل قابلها بعدم الرد عليها، والسكوت عنها، وإرجاعُ فضل صرف ما أطلق عليه إلى الله تعالى وحده، حيث نسب الفضل إلى صاحب الفضل سبحانه. وقد كان هذا دأْبَه صلى الله عليه وسلم، يقابل الإساءة بالإحسان للمسيء، وذلك بالسكوت عن إساءته غالبا. وإنْ رَدَّ فإنه لا يسب، ولا يفحش، وإنما يبين وجه ما أنكر عليه، وربما أجاب جوابا ذكيا جدا لا خشونة لفظية فيه، ولا وعيد.

فعن عائِشَةَ رضي الله عنها أنَّ اليَهُودَ أَتَوا النبي صلى الله عليه وسلم فقَالُوا: السّامُ عَلَيكَ. قال: "وَعَلَيكُمْ". فقالت عائِشَةُ: السّامُ عَلَيكُمْ، ولَعَنَكُمْ الله، وغَضِبَ عَلَيكُمْ. فقال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَهلًا يا عائِشَةُ، عَلَيكِ بِالرِّفقِ، وإِيَّاكِ وَالعُنْفَ، أو الفُحْشَ". قالت: أو لم تَسمَعْ ما قالوا؟؟ قال: "أو لم تَسمَعِي ما قلتُ؟ رَدَدتُ عليهم، فَيُستَجَابُ لي فيهِمْ، ولا يُستَجَابُ لهم فِيَّ"[٣٢].

وعن أَنَسَ بن مَالكٍ قال: مرَّ يَهودِيٌّ بِرَسولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: السّامُ عَلَيكَ. فقال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "وَعَلَيكَ". فقال رسول اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَتَدْرونَ ما يقول؟ قال: السّامُ علَيْكَ". قالوا: يا رسُولَ اللّهِ ألا نقْتُلُهُ؟ قال: لا، إذا سلَّمَ علَيْكُمْ أهْلُ الْكتَابِ فقُولُوا: وعَلَيْكُمْ"[٣٣].

بَيْد أنه صلى الله عليه وسلم إذا سمع ما يَخْدِش جَناب التوحيد من شركٍ أو كفرٍ فإنه يَرُد على ذلك فورًا، أو يأمر من يرُد على القائل كما وقع عقِب غزوة أحد[٣٤].

**وفي الحديثين المذكورين –حديث عائشة، وحديث أنس- فائدتان مهمتان:**

الفائدة الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر استنكار عائشة، ولا أنس، بل طلب توجيه ذلك، وتسديده، فلا لوم على من أظهر الاستنكار، وصرح به، ولعل في هذا إشارة إلى جواز الاحتجاج والغضب على الطاعنين المعلنين بذلك.

الفائدة الثانية: أن في الحديثين تلميحاً إلى ابتكار رد ذكي، ومناسب على الإساءة وترك التفحش، والتعنيف، أو إظهارهما. وهو خلاف ما يفعله عامة المسلمين عند صدور الإساءات في حقه صلى الله عليه وسلم، أو في الإسلام عموما، فإنه كثيرا ما تصدر من بعضهم ردود أفعال غاضبة، وغير مدروسة يستغلها خصوم الإسلام في مزيد من التشويه له. كما أن التجارب أثبتت أن العواطف

[٣٢] صحيح البخاري (٢٣٥٠/٥). والسام هو الموت .

[٣٣] المصدر السابق (٢٥٣٨/٦).

[٣٤] فقد قال أبو سفيَانَ : أَفي القَوْمِ محَمَّدٌ ثلَاثَ مرَّاتٍ ؟؟ فنَهَاهمْ النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يجِيبُوهُ . ثمَّ قال: أَفي القَوْمِ ابن أبي قحَافَةَ ثلَاثَ مرَّاتٍ . ثمَّ قال : أَفي القَوْمِ ابن الخَطَّابِ ثلَاثَ مرَّاتٍ . ثمَّ رجَعَ إلى أَصْحَابهِ فقال : أمَّا هَؤلَاءِ فقَدْ قتِلُوا . فما ملَكَ عمَرُ نفسَهُ فقال : كَذَبتَ والله يا عدُوَّ اللّهِ ، إنَّ الَّذينَ عدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كلهم ، وقد بَقيَ لك ما يسوؤك... ثمَّ أخَذَ يَرْتَجزُ: أُعلُ هُبلْ ، أُعلُ هُبلْ. قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا تجيبونه ؟ ". قالوا يا رسُولَ اللّهِ : ما نقُولُ ؟ قال : " قولُوا الله أعْلَى وأَجَلُّ". قال : إنَّ لنا الْعُزّى ولا عُزّى لكُمْ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا تجيبونه ؟ قال: قالوا يا رسُولَ اللّهِ ما نقُولُ؟ قال : " قولُوا: الله مَولَانَا ولا مولى لكُمْ". صحيح البخاري (١١٠٥/٣).

الجياشة، والانفعالات العصبية، وردود الأفعال الغوغائية ليست فعالة في دفع تلك الطعون والاعتداءات.

ومن أسف أن بعض تصرفات المسلمين في رد إساءات المسيئين تفتقر إلى الحكمة، و لا تمثل أخلاق سيد الأنبياء، ولا إيمان الأتقياء، ولا كياسة الأذكياء، بل إنها تشوه صفاء الدين، وسمو أدب الإسلام.

وإن من الواجب مواجهة خصوم الإسلام، وبيان بواطيلهم، ولكن مسلك المواجهة ينبغي إعادة النظر فيه، وترشيده . فالأهدى في الرد على الإساءة هو الاهتداء بهديه، وشمائله في ترك مظاهر التعنيف، والشدة، والتحلي بمكارم الأخلاق التي هي جزء أساسي ومطلوب لكل مسلم، سيما من كان متصديا للدعوة الإسلامية. كما أنه في الوقت ذاته يجب تصريف ذلك الإنكار تصريفا شرعيا، وعقلانيا، والبحث عن وسائل مناسبة، وفعالة تلائم الشرع ،ثم العصر، وهو ما سيكون الحديث حوله في التالي.

ب. السبيل الثاني: استحداث وسائل جديدة ووضعها موضع التطبيق

إن المتامل في مواجهة المتقدمين من أهل العلم للإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنها إما ردود علمية لتفنيد تلك الإساءات، وإبطال حججهم كما فعل الأئمة ابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم، أو إصدار أحكام شرعية في حق المسيئين، كل ذلك بمراعاة نوع الإساءة، وزمانها، ومكانها، والشخص المسيء من حيث كونه مسلما، أو محاربا، أو ذميا معاهدا.

ولما كان الرد على تشويه اسم النبي صلى الله عليه وسلم هو جزء من الدعوة إلى الإسلام، وبيان أنها الدين الحق، فإن الدعوة صناعة عمادها الإخلاص لله تعالى، و أساسها العمل الصواب، و استمرارها الفعال يكون باستحداث وسائل تناسبها من حيث التوقيت، والمكان، وربما إعادة النظر في المستخدم منها مما أثبت عدم نجاعته . وباب الوسائل واسع جدا يتجدد بحسب المتاح من وسائل العصر، فلذلك ينبه هنا على جملة من الوسائل أرى التنويه بها، والتأكيد عليها، ومن ذلك:

١- الحوار الموضوعي للنخبة العلمية من أساتذة وطلبة جامعيين، ومثقفين: حيث ينبغي التركيز عليهم ، ومحاورتهم، ومجادلة المعاندين منهم بالحسنى. ولو تقفينا السيرة النبوية لألفينا أن ابن كثير[٣٥] ذكر أن الله أنزل آيات كثيرة في محاورة وفد نصارى نجران مِنْ صدر سورة آل عمران إلى آية ثلاث وثمانين، حيث كانوا يجادلون في عيسى عليه السلام، وأمه مدعين لهما النبوة، والإلهية، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساءهم، وأُوْلُوا الرأي فيهم، وناقشهم في جلسات متعددة، فلم يطردهم، ولم يبكتهم. وعندما أصروا على البقاء على دينهم طلب منهم المباهلة لتبيان صاحب الحق منهما، فخافوا، فكاتبهم على دفع الجزية، ولم يفرض عليهم سوى

[٣٥] تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٩ ، ٣٤٤).

ذلك. وفي دلائل النبوة [٣٦] أن النبي صلى الله عليه وسلم أذِنَ لهم بالصلاة كما في دينهم في المسجد النبوي، ثم إن أحدهم أسلم بعد ذلك وهو كُرْز بن علقمة.

٢- الحوار المدروس مع عوام الناس: وهي طريقة مجدية لدفع الشبهات، وإبطالها، وربما كانت سببا للهداية. وأهم ما يساعد على خوضها هو العلم الواسع، والمنهج القويم في الجدال، والصبر المديد. والكل رأى وشاهد تداعي الكثير ممن سمع محاضرة واحدة من داعية متمكن فأزال له شبهة، فكانت سبباً في هدايته.

٣- نشرُ سير النبي صلى الله عليه وسلم التي كتبت عنه بموضوعية بلغاتها الأصلية، ومؤلفيها بأسمائهم الأصلية، والتعليق عليها عند الحاجة إن كان ذلك متاحا.

٤- جمع مقالات الداخلين إلى الإسلام، وترتيبها، لا سيما ما كان منها بسبب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وعموم محاسن الإسلام، ونشر ذلك.

٥- جمع الشبهات المتكررة في تشويه الإسلام، ونبيه صلى الله عليه وسلم بدقة، والرد عليها بعلم، وإنصاف، وموضوعية.

٦- الإلحاح في طلب إعادة التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم، والإسلام عموما في المناهج الدراسية الغربية والشرقية حيث وجد التشويه، وإزالته منها.

٧- الطلب الرسمي من وسائل الإعلام الغربية على وجه الخصوص التي يشيع في لغات شعوبها تحريفُ معنى اسم محمد باستخدام اسم النبي صلى الله عليه وسلم المعروف في لغته الأصلية، إذْ إن في ذلك إسقاطا تلقائيا للمعاني المحرفة، والمتخيلة في ثقافات تلك الشعوب. وقد دارت مناقشات حامية في منتديات الشبكة العنكبوتية حول طلب التغيير الذي اقترحته بعض الجهات الإسلامية، وقدمته إلى الأكاديمية الفرنسية الخاصة باللغة، ولكن دون جدوى حتى الآن . وحجة الرافضين للتغيير أن هذا من صميم تراث اللغة الفرنسية التاريخي نافين وجود تلك المعاني الساقطة؟؟

٨- البحث عن دعاة مستبصرين واعين من أصول الدول التي يصدر منها تلك الإساءات، ودعمهم، وتشجيعهم على الرد عنها، لقوله تعالى: {وما أرسلنا مِن رسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ليبين لهم} سورة إبراهيم، آية (٤).

٩- تشجيع استخدام وسائل الإتصال الجماهيري المباشر: لقد انتهت عصور الحدود والسدود، وتراجع الحجب والمنع، وبات الناس يتواصلون في مشارق الأرض، ومغاربها على مدار الساعة دون إذن من رقيب، ولا حسيب، وتجاوز الناس وسائل الإعلام المتحكم فيها من صحف، ومجلات، وإذاعة، وتلفاز، وغدت وسائل الاتصال الجماهيري الأخرى، وبرامجها وسيلة فعالة لدفع كثير من الاتهامات، وتوضيح الغموض الذي قد يكتنف القضايا الإسلامية في وسائل

[٣٦] البيهقي (٥/٣٨٢ ، ٣٨٢ ).

الإعلام الغربية. ومن هنا ينبغي أن يشجع من له عِلْم، وفهم بالتواجد في المنتديات، والمدونات، ومجموعات النقاش، ونحوها لتصحيح التشوهات الواقعة على هذا الدين، وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم.

١٠- التحلي الشخصي بالقيم، والمبادئ السامية: لا ينعدم في البشرية من يتأثر بخُلُق كريم، أو كلمة طيبة، أو لفتة حانية، والمسلم هو أَوْلى الناس بذلك، فالواجب على كل من انتسب إلى هذا الدين أن يتحلى بأخلاق نبيه الكريم من حِلْم، ونبل، وكرم، وعطف، ورحمة، وإيثار، ومحبة، وإغاثة، وصدق، وأمانة، ووفاء، وعدل. وقد رُوِي عنه صلى الله عليه وسلم مِن حديث أبي هريرة قوله: "إنما بُعِثتُ لأُتمِّمَ صالِحَ الأَخلاَقِ" [٣٧]. وفي رواية بلفظ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [٣٨]. وما أجمل تلك الكلمة البليغة التي رواها أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم: "الْكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ صدَقَةٌ". [٣٩] وما رواه عنه عدي بن حاتم مرفوعا: "فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة". [٤٠]

**الخاتمة:**

يمكن تلخيص نتائج هذا البحث في التأكيد على أن اسمَ محمد صلى الله عليه وسلم عَلَمٌ، وصِفة، وهو اسمٌ مشتمل لمعاني نبيلة، ومضامين شريفة، فمُحمَّد هو من كثُر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى. وقد حصل تغيير في كتابة الاسم، ونطقه في كثير من لغات العالم تبعا للنظام الصوتي لتلك اللغات مما يعد أمرا طبيعيا، ولكن خصوم دين الإسلام من مشركين، ويهود، ونصارى، وملاحدة حرَّفوا في اللغات الغربية المعنى، وقلبوه إلى ضد ذلك تماما، فأصبح محملا بحَمُولات سلبية، ومستكرهة بقصد تنفير السامع من هذا الاسم، وبالضرورة دينه. وأنَّ الواجب على الأمة الإسلامية أنْ تتصدى لذلك باعتماد هديه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع هذا النوع من التحريف، واستحداث وسائل مناسبة لكل عصر في الرد عليها، والكشف عن غاياتها بيانا للحق، ونصرة لدين رب العالمين.



---

[٣٧] مسند أحمد بن حنبل (٣٨١/٢). وأخرجه الحاكم (٦٧٠/٢) وصححه على شرط مسلم .

[٣٨] مسند البزار (٣٦٤/١٥).

[٣٩] ذكره البخاري في صحيحه (٢٢٤١/٥) معلقا مجزوما به ، ورواه ابن حبان موصولا .

[٤٠] أخرجه البخاري (٥١٢/٢) ، ومسلم (٧٠٣/٢).

# موقف المسلم الشرعي من الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم

**د. آمنة بنت علي الوثلان**

**أستاذ الفقه المساعد في جامعة الأميرة نورة بنت علي الوثلان**



**المقدمة:**

تعرض الورقة الموقف الشرعي الصحيح الذي يجب على المسلم اتباعه تجاه الإساءة إلى نبينا، وقدوتنا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ويأتي هذا البيان في وقت ظهرت الحجة إليه جليةً واضحة، بسبب ما تعرض له مقام نبينا صلى الله عليه وسلم خير الخلق أجمعين وسيد الأولين والآخرين، من هجمات شرسة مبعثها حقد دفين على أمة الإسلام وأهله، فكان بيان موقف المسلمين منها وما يتحتم عليهم فعله لنصرة نبيهم ضرورة تدعو الحاجة إليها، ومن الوهن والضعف تأخير بيانه، أو التهاون في صد أخطارها. وما هذه الورقة التي بين أيديكم سوى جهد المقل، جمعت فيها ما تيسر من منهج ينبغي اتباعه، وثنيت بوسائل تسهم في نصرته عليه السلام أفراداً، وجماعات، ثم ختمتها بنتائج وتوصيات.

## المحور الأول

## بيان موقف المسلم الشرعي من الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

يجب أن يعلم كل مسلم أن ما حدث ويحدث من طعن في دين الله واستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم على مر العصور والأزمان هو من الابتلاء الذي ينبغي أن يقابله المسلم بالصبر، وما يحدث في هذه الأيام من استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالأمر الجديد، بل هو من القديم المتجدد، فقد سب مشركو قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عنه إنه ساحر أو كاهن أو مجنون... إلى غير ذلك من ألفاظ السب، فما أضر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقص من قدره، فهم في الثرى وهو في الثريا، وشتان ما بين الثرى والثريا، وإن هذا مما يزيدنا يقيناً في رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا ويزيدنا محبة له وانقيادا لأوامره[١]. قال تعالى: و{**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**} (البقرة:١٢٠) و{**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**} (البقرة:٢١٧) و{**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**} (البقرة: ١٠٩) و{**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**} (ابراهيم:٤٦) { **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**} [الأنعام:١٠]. وغير ذلك من الآيات القرآنية المتكاثرة التي تقرر هذه الحقيقة الشرعية الثابتة.

---

[١] مركز الفتوى http://fatwa.islamweeb.net

**ويتجلى الموقف الشرعي للمسلم في الأمور التالية[٢]:-**

**أولاً**:- أن نعلم يقيناً أن هذه الإساءات المتعاقبة لا تضر مقام النبي عليه الصلاة والسلام ولا تحط من قدره لا من قريب ولا من بعيد بل تزيدنا حبًا له وصلاةً وسلامًا عليه وربطًا لحياتنا بسنته الشريفة وشوقًا لرؤيته في الآخرة ومما يؤكد أن مثل هذه الإساءات لا تضر نبينا ولا ديننا بدليل قوله تعالى: **(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)** [الحجر:٩٥] وقوله تعالى **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)** [الكوثر:٣] وفي الحديث القدسي: "من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب" رواه البخاري[٣]

**ثانياً**:- اليقين بأن الله تعالى له حِكمٌ وأقدار بالغة لا يستطيع كل أحد أن يدركها أويعرفها، ولذلك قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة: ٢١٦)

**ثالثاً**:- أن ندرك الرد الحكيم ،والفاعل ،والمؤثر، والشرعي الذي به إغاضة للأعداء تجاه هذه التصرفات الحمقاء من سفهاء الكفار ألاهوالرجوع لديننا ،وسنة نبينا عليه السلام ونلتزم بهما ونعلّم أنفسنا وأبنائنا وأهلينا شرع الله وسنة نبيه ونستغل الفرص المتاحة الآن وما أكثرها في نشر الإسلام، ومحاسنه، وفضائله ،وأحكامه ونحو ذلك مما ينفع وتقر به عين النبي عليه السلام لو كان بيننا مع الابتعاد عن مظاهر الفوضى وما قد يترتب عليها من مفاسد لاترضي الله تعالى ،وطاعة الحكام المسلمين وقوانين الدول من طاعة الله وعدم جر بلاد المسلمين لما لا تحمد عقباه.[٤]

**رابعاً**:- الرجوع إلى أهل العلم والبصيرة والعمل بنصحهم وتوجيههم عملا بقول الله سبحانه: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ {النساء: ٨٣}.[٥] فلا ينبغي الإقدام على قول أو فعل إلا وفقاً لتوجيه هؤلاء العلماء، ونخص هنا ما دعا إليه علماء الأمة من المقاطعة الاقتصادية لمنتجات الدول التي تبنت هذه الأفكار، وكذا غير المقاطعة من وسائل يمكن أن تتحقق بها المصلحة الشرعية.

**خامساً**:- يجب أن يغتنم المسلمون هذه النعمة العظيمة، وينتقلوا من حالة "الدفاع عن الرسول" بالطرق التقليدية، إلى "حالة الهجوم"، بالطرق غير التقليدية. وأن يصبح توجههم إلى الغرب بهدف "الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنى و الدعوة مفتوحة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ،ومغاربها، بكل لغاتهم، بتوجيه رسائل دعوية تدعو إلى الله على بصيرة وتبين موقف الإسلام من الأنبياء والرسل أجمعين.[٦]

---

[٢] الموقف الشرعي المنضبط من الإساءة لمقام الرسول الكريم –وضاح بن سعيد الشعبي- منتديات كل السلفيين

[٣] الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب التواضع رقم الحديث ٦٥٠٢-وقد تفرد البخاري رحمه الله بإخراجه دون بقية أصحاب الكتب فهو من غرائب الصحيح .

[٤] انظر الموقف الشرعي –وضاح الشعبي

[٥] مركز الفتوى

[٦] صيد الفوائد-الإساءة للرسول بداية نصر جديد لو تعلمون – معمر الخليل http://www.saaid.net

**سادساً**:- دعوة المسلمين في أنحاء المعمورة إلى التعمق في دراسة سيرة النبي، صلى الله عليه وسلم، وتعليمها لأبنائهم، والاقتداء به عليه الصلاة والسلام، وأخذ الأسوة منه باتباعه والتخلق بخلقه العظيم، والبعد عن المواقف المرتجلة، أو الانسياق وراء ردود الأفعال، والتعامل مع حالات الاستفزاز والإساءة وفق نهج النبي، صلى الله عليه وسلم، بالرد الحكيم الذي لا يجيز للمسلمين الانفعال الذي يتجاوز الحق، أو الاعتداء على الغير .

وهذا ما دعت إليه هيئة علماء المسلمين في بيان أصدره الأمين العام للرابطة، رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية للعلماء المسلمين، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، أدان فيه قيام جهات غير مسئولة في الولايات المتحدة بإنتاج فيلم مسيئ للنبي الكريم ، ووصفت الهيئة هذا العمل بالمشين، وعدته جريمة نكراء لا يجوز السكوت عليها، وقالت إن حرية التعبير تكون فيما لا يمس الأديان والقيم والمقدسات وفق ما نصت عليه القوانين الدولية، وما اتفق عليه في مؤتمرات الحوار بين أتباع الأديان والثقافات، المسلمين وطالبت بمحاكمة منتجي الفيلم وفق ما تقتضيه القوانين والاتفاقات الدولية، وعدم الاكتفاء بالشجب والتنديد، لمخالفتهم الصريحة للقرار الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٠ / ٣ / ٢٠٠٨م، بشأن احترام الأديان، وعدم الإساءة إلى الدين الإسلامي، ورفض أي إساءة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.[٧]

## المحور الثاني

## وسائل نصرة النبي صلى الله عليه وسلم أفراداً وجماعات

**أولاً: على مستوى الفرد :**

١. التفكير في دلائل نبوته القاطعة صلى الله عليه وسلم الثابتة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.
٢. الأمر باتباعه عليه الصلاة والسلام والاقتداء به ووجوب طاعته.
٣. العلم والمعرفة بحفظ الله تعالى لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.
٤. استشعار محبته وقراءة شمائله وسجاياه الشريفة وأنه قد اجتمع فيه الكمال البشري في صورته وأخلاقه[٨].
٥. عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به إليه صلى الله عليه وسلم بعد فضل الله تعالى ومنته، إذ كان هو صلى الله عليه وسلم سبيلنا وهادينا إليه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.
٦. تعلم سنته صلى الله عليه وسلم، بقراءة ما صححه أهل العلم من الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم، مع محاولة فهم تلك الأحاديث، واستحضار ما تضمنته تلك التعاليم النبوية من الحكم الجليلة والأخلاق الرفيعة والتعبد الكامل لله تعالى، والخضوع التام للخالق وحده[٩].

[٧] موقع الفقه الإسلامي –الجمعة –جمادى الآخرة -١٤٣٤

[٨] موقع قصة الإسلام –إشراف الدكتور :راغب السرجاني –(وسائل نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم)

**ثانياً:-على مستوى الجماعات:**

١- العمل على تغيير حال الكثير من المسلمين ،بحثهمعلى التمسك بالمنهج النبوي الصحيح الذي حدده القرآن بقوله تعالى " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " الرعد الآية ١١ .وهو تغيير لا يقف عند حدود الوثبة الروحية , و صحوة الوجدان , بل يمتد إلى سائر مكونات الذات المسلمة عن طريق الشحن النفسي , و الاستعداد الروحي و العقلي و الأخلاقي و الجسدي – كذلك- حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات من أي نوع كانت , و بأي درجة جاءت.[١٠]

٢- عقد الندوات والمنتديات الثقافية لإبراز منهجه وسيرته وبيان مناسبة منهجه صلى الله عليه وسلم لكل زمان وكان .

٣- إعداد المسابقات الإعلامية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتخصيص الجوائز القيمة لها.

٤- كتابة المقالات والقصص والكتيبات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- الاقتراح على رؤساء تحرير الصحف والمجلات لتخصيص زاوية يبين فيها الآيات والأحاديث التي تدل على وجوب محبته صلى الله عليه وسلم وأن محبته مقدمة على الولد والوالد والناس أجمعين بل ومقدمة على النفس وأن هذه المحبة تقتضي تعظيمه وتوقيره وإتباعه وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق .

٦- الاقتراح على مدراء القنوات الفضائية لإعداد برامج خاصة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيفية تعامله مع زوجاته وأبناءه وأصحابه وأعدائه وغير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية.

٧- حث مؤسسات الإنتاج الإعلامي على القيام بإنتاج أشرطة فيديو تعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة احترافية شيقة. وفق الضوابط الشرعية.

٨- التحذير في الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة من الغلو فيه صلى الله عليه وسلم ، وبيان الآيات التي تنهي عن الغلو وبيان أن المحبة الصادقة هي في اتباعه صلى الله عليه وسلم.

٩- حث الناس على قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مصادرها الأصلية وتبيين ذلك لهم.

١٠-دحض وتفنيد الشبهات والأباطيل التي تثار حول الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته[١١] .

---

[٩] اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء http://wwwicsfp.com/ar

[١٠] موقع المسلم –إشراف الشيخ الدكتور ناصر العمر

[١١] اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء

## الخاتمة:

يطيب لي في نهاية هذه الورقة ،عرض أبرز النتائج ،وهي :-

١- يجب على المسلم اتباع المنهج الشرعي تجاه الإساءات المتكررة لمقام عليه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة ،وأتم التسليم ،ويتلخص باليقين بسفاهة تلك الدعوات ،والإيمان التام بأن الله تعالى قد كفاه أذاهم في حياته ،وبعد موته .

١- على المسلم الاتصاف بالحكمة ،في مواجهة تلك الدعوات المغرضة ،ويوجهها لصالح الإسلام ،بحيث يعكس مرادهم بما يحقق الخير لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ،ويسهم في نشر دعوته في الآفاق .

٢- إن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم لن تتحقق على الوجه الأكمل إلا بتضامن جهود المسلمين،أفراداً ،وجماعات ،بمختلف مستوياتهم الثقافية ،و الاجتماعية.



# الأسباب التاريخية للصور النمطية المعاصرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجتمعات الغربية

**د. حسن عزوزي**
أستاذ بجامعة القرويين بفاس
رئيس مركز الدراسات والأبحاث في مجال تصحيح صورة الإسلام



**المقدمة:**

تقوم منابر التثقيف والتوجيه والإعلام في أي مجتمع بوظيفة أساسية هي صنع وتشكيل الصور الذهنية لأفراد المجتمع والترويج لها وترسيخها في الأذهان، وإذا كانت الأحكام القبلية Prèjugés والصور النمطية المتأصلة في العقل الغربي عن الإسلام قد تولدت من جراء التباعد الثقافي في الماضي بين الكتلتين الحضاريتين المتنافستين والمتعاديتين في الوقت ذاته، فما الذي يبرر وجودها في عصرنا الراهن خاصة في ظل تقارب الحضارات وتلاقح الثقافات، وهل هذه الصور النمطية عن الإسلام ونبيه عليه السلام عفوية التكوين أم أنها ناتجة عن تراكمات من التصورات والأوصاف والنعوت الثابتة تشكل حصيلة كتابات تاريخية إقصائية تتسم بالعداء والكراهية لكل ما له صلة بالإسلام ونبيه عليه السلام منذ العصور الوسطى حتى اليوم.

إن البحث عن طبيعة المصادر المغذية للصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستجلاء الأسباب التاريخية التي تقف وراء استمرار رجوع الوعي الجمعي للمجتمعات الغربية المعاصرة إلى مخزون الصور النمطية الكريهة والمسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم الضاربة في القدم يستدعيان الوقوف عند أبرز العوامل التاريخية التي كان لها دور رئيس في إنتاج الصور النمطية فضلا عن الوسائل المتنوعة التي استخدمت في صياغة تشكيل تلك الصورة عبر التاريخ.وفيما يلي جملة من تلك الأسباب التاريخية متبوعة بأبرز الأفكار التي يمكن من خلالها تجاوز ومواجهة الصور النمطية السلبية عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

**الخطاب القروسطوي:**

لاشك أن إيديولوجية التعصب والعداء ضد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ذات جذور تاريخية موغلة في القدم تستمد نسقها من حقبة الحروب الصليبية، فالغرب المسيحي يستمد صورته الذهنية عن الإسلام ونبيه عليه السلام من خلال المواجهة الفعلية بين الإسلام والنصرانية خلال القرون الوسطى وإلى نهاية الحروب الصليبية ،وهو ما أنتج استعادة ذاكرة الاحتكاك العنيف الذي طبع تاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب، وتعتبر هذه الفترة التي درسها بشيء من التفصيل نورمان دانييل Norman Daniel في كتابه "الإسلام والغرب" مشحونة بالأوصاف والتصورات السلبية التي تم نسجها

في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث اعتبر الدين الجديد هرطقة وسوطا من سياط العقاب الإلهي، وتم إطلاق العنان لجهل الخيال المنتصر فكان محمد صلى الله عليه وسلم في عرف مسيحيي القرون الوسطى ساحرا ومنشقا ويذكر العالمان السويسريان "هوبرت هيركومر وجيرنوت هوتر" في كتاب لهما عن الصورة الغربية عن النبي صلى الله عليه وسلم قولهما: "لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمدا رجلا عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينا لا كاثوليكيا تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاما من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمدا المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية"[١].

ويحدثنا ريشارد سوذرن أن غيبلبرت دو نوجنت اعترف بأنه لا توجد لديه مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال في الختام بسذاجة تكشف عن الأساس الحقيقي لكل نقد الايديولوجيين "لا جناح على الإنسان إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء"([٢]).

وتعتبر الملاحم الشعبية أكبر المكونات لثقافة الصور النمطية التي تم نسجها خلال القرون الوسطى، فملحمة رولاند La chanson de Roland الشعبية التي ظهرت في حدود عام ١٠٠٠م تصور المسلمين وثنيين يعبدون ثالوثا مكونا من Apolin وTervagent ومحمد (صلى الله عليه وسلم) Mahomet ([٣])، والإسلام دين جنس وملذات (إشارة إلى تعدد الزوجات في الإسلام)، وقد عاودت الأساطير والخيالات المتضمنة فيها الظهور مرة أخرى عام ١١٣٠ مع نشيد الضعفاء Chanson des chétifs وفي نشيد أنطاكية Chanson d'Antioche عام ١١٨٠([٤])، يقول أليكسي جورافسكي، وهو يمتعض من هذه الترهات الواردة في الملاحم المشهورة: "وللحقيقة يجب القول إن تلك الأساطير المختلقة تمثل سخرية مأساوية لأن النبي محمدا حارب أكثر من أي مخلوق آخر عبادة الأوثان والذي حطم جميع أصنام الكعبة يتحول في تصور المسيحيين إلى صنم يؤلهه أتباعه الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقارا لقب "عبيد سارة" أو "أبناء الجارية"([٥]).

وهكذا تحولت وقائع الحركة الصليبية إلى أساطير وقصص وأشعار ومسرحيات تاريخية تضمنت أبشع النعوت والأوصاف في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ترسخت في الأذهان جيلا بعد جيل وأصبحت صورا نمطية مفعمة بالكراهية للشرق والمسلمين، وقد تواصلت قرونا عدة عابرة الزمن والتاريخ لتتكرر و تترسخ أكثر.

---

[١] -صورة الإسلام في التراث الغربي، ترجمة ثابت عيد، طبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٩٩ (سلسلة في التنوير الإسلامي) ص ٢٣

[٢] -سوذرن : ٢٨ (ينظر الترجمة العربية).

[٣] -الأبيات ٢٥٨٠-٢٥٩١ وهي الأبيات التي تتحدث عن المسلمين الذين انهزما على يد كارل نتيجة لسخطهم وحقدهم وكفرهم.

[٤] - مجلة الفكر العربي ع ٣١(مارس ١٩٨٣) ص ١٦٥.

[٥] الإسلام والمسيحية ص ٧٧.

وخلال القرون الوسطى كان لخطاب فلاسفة الكاثوليكية دور بارز في تكوين جهاز من الصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أسهم اللاهوت والفلسفة الدينية في تشكيل صور ذهنية موغلة في الازدراء والكراهية. ويمكن القول بأن أدب أوروبا الوسطى حول الإسلام وضع في غالبيته العظمى من طرف رجال الدين المسيحيين الذين استندوا إلى مصادر شديدة التمايز كالحكاية الشعبية وقصص الأبطال والحجاج والقديسين والمؤلفات اللاهوتية ذات الطابع الجدالي. وتزعم ذلك فلاسفة دينيون مشهورون أمثال توماس الاكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) ومارتن لوتر (١٤٨٣-١٥٤٦) ودانتي(١٢٩٥-١٣٢١). فهذا الأخير على سبيل المثال قد عبر عن كامل حقده وبغضه للرسول عليه السلام من خلال (الكوميديا الإلهية) التي غدت معلما من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه اللحظات ونصا يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات.وقد وضعت الكوميديا الإلهية رسول الله صلى الله عليه وسلم برفقة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم، لأنهم بنظر -دانتي- من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في سعير الكوميديا الإلهية"([٦]).

أما توماس الأكويني وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها فقد صور لقومه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :" لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية"([٧]).

إن هذه الإشارات وغيرها تفصح –بدون شك- عن عناوين الصورة الشعبية والدينية التي رسمها اللاهوتيون المسيحيون في القرون الوسطى عن الإسلام ونبيه عليه السلام وهي الصورة التي لم تتغير لقرون عديدة وإن تعدلت وفق صور وقوالب أخرى في فكر "التنوير الغربي".

لقد أكد نورمان دانييل في كتابه السالف الذكر أن الوعي الأوروبي -على وجه الخصوص- مشحون بالذاكرة التاريخية المرتبطة بمواجهة الغرب الكنسي للإسلام خلال القرون الوسطى وقد كانت النظرة إلى الإسلام وقتئذ شعبية مفعمة بالحقد ومشبعة بالخيالات الغريبة والتصورات الموغلة في التهويل والتشويه والتمييع ([٨]) ولذلك لم يتردد دانييل الذي جمع في كتابه كل الأوصاف والتصورات السلبية التي نسجت خلال القرون الوسطى من أن يمهد لكتابه وفي الصفحة الأولى بقوله: "ناقل الكفر ليس بكافر" nulla falsa doctrina est quae aliquid varitatis non immisceat ومن أبرز الصفات والنعوت التي أطلقت على المسلمين «Barbares» «Agarénes» «Sarrasins» «Ismaélien» إسماعليون، هاجريون، سراقون وهم أيضاً "أمة اللؤم والخداع" شعب هدام ومدمر" أناس قبيحو المنظر" ....إلخ

وكل هذه التسميات والنعوت تقدم لنا فكرة عن طبيعة الصورة القروسطوية عن الإسلام والمسلمين، وقد أسهم في تكوين هذه الصورة المؤسسة الكاثوليكية التي أظهرت الإسلام والمسلمين

[٦] صورة السلام في التراث الغربي ص ٢٤.

[٧] -محمد عمارة : الغرب والإسلام ، سلسلة (في التنوير الإسلامي رقم ٦٦) ط ١/ ٢٠٠٦ ص ٢٣.

[٨] 4-Norman Daniel ; L'Islam et l'occident p 8

بمظهر "الكارثة الطبيعية المدمرة" وقد بلغ تزييف الإسلام وتكوين والأوهام والتصورات الخيالية حوله من طرف الكنيسة ذروته خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر ([9]). وسيظل ديركلوني CLunny معلما تنويريا في تاريخ العلاقة بين المسيحية والإسلام للعمل الضخم الذي قام به رئيسه بطرس المبجلPeter Le Venerable عندما مارس أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية عام ١١٤٣م وكان يرى أنه "إذا كان الإسلام لا يشكل خطرا عسكريا مباشرا فلا شك أنه شديد الخطورة فكريا، لذا لابد من التعرف عليه للتمكن من مكافحته([10]).

وهكذا فقد كان للدين واللاهوت والفلسفة الدينية المسيحية أكبر الدور في تكوين العقل الغربي والثقافة الأوروبية في عصورها الوسطى، وقد تحدد موقف لاهوتيي القرون الوسطى من الإسلام من خلال محطتين رئيسيتين: **أولاهما:** ضرورة التعلم منه كونه الأقوى والأعلم من جهة **وثانيتهما:** التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية من جهة أخرى ، ومن خلال ذلك تشكلت في الوعي المسيحي (الشعور واللاشعور) القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباط مسبق وارتهان شرطي بنوع وطبيعة الموقف التقليدي للكنيسة من الإسلام ، وبشكل عام فإن صورة الإسلام المتكونة أنذاك، وهي مزيج متناقض لمعارف موضوعية مع تشويهات خطيرة، ضمت في الوقت ذاته تصورات في منتهى الخيالية والتوهم حيث هيمنت بشكل ثابت وراسخ لمدة تاريخية طويلة على عقل الإنسان الأوروبي ومنطقه ومدالركه تجاه الإسلام وحضارته([11]).

**خطاب عصر الأنوار:**

بالرغم من فضل عصر الأنوار في إخراج الغرب من قبضة الكنيسة وتحجرها إلا أنه لم يستطع التخلص نهائيا من العقلية اللاهوتية التي وقفت من الإسلام موقف النابذ والمعادي، وبقدر ما كان خطاب هذا العصر في حق الإسلام والمسلمين خطابا لاهوتيا، كان أيضا خطابا توفيقيا يطبعه التردد والتذبذب بين المدح والإعجاب من جهة والذم والسخرية من جهة أخرى، حتى إنه أصبح من غير الممكن الحكم على أي كان من فلاسفة عصر النهضة والأنوار بأنه متعاطف مع الإسلام كلية أو أنه متعصب ضده تعصبا تاما، وبقدر ما يتم الاستشهاد بالواحد منهم بكونه مدح نبي الإسلام عليه السلام وأشاد به يتم الاستشهاد به مرة أخرى كواحد ممن أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بأقبح الأوصاف، وهكذا يمكن القول بأن فلسفة عصر الأنوار قد ظلت حبيسة رؤية مترددة ومتناقضة.

إن الفيلسوف والكاتب الفرنسي فولتير الذي ألف كتابه "محمد أو التعصب" Mohomet ou la Fanatismeالذي أهداه إلى البابا وحول إلى مسرحية تم عرضها في الكوميديا الفرنسية المشهورة قد وصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه "خائن" و"متمرد" و " مجرم" و "دجال" ولم يكون أمة إلا

[9]- 5- Philippe Senac ; l'Image de l'autre ; Histoire de l'occident médièval face à l'Islam- ed Flamarion – Paris 1983 p 17

[10]-ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى- ترجمة د رضوان السيد ص ٣٨.

[11]-الإسلام والمسيحية ص ٦٨.

من أجل الصلاة والتكاثر والقتال([١٢])، وقد استخدم فولتير شخصية النبي عليه السلام في حملته على الكنيسة الكاثوليكية. بالمقابل نجد فولتير في كتابه Catéchisme de l'honnete homme الذي ألفه عام ١٧٦٣ قد كتب فيه أن الإسلام "أروع دين جاء من الإله" ويدفع فكرة انتشار الإسلام بالسيف([١٣])، كما أنه في كتابه Essai sur l'histoire générale et sur les moeurs الذي أصدره عام ١٧٥٦ قد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره أحد المشرعين الثلاثة العظام في تاريخ العالم.

أما الشاعر الألماني جوته (١٧٤٩-م١٨٣٢) فقد عرف عنه مدحه للإسلام واعجابه بالثقافة العربية، فقد أعلن حينما بلغ السبعين من عمره احتفاله بخشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن على النبي عليه السلام، وتزداد الدهشة عندما نقرأ كتابه "الديوان الشرقي" الذي عبر فيه عن إعجابه الشديد بالإسلام ونبيه عليه السلام، ولذلك فاقت تعبيراته وتصريحاته عن الإسلام كل ما كان قد قيل عنه في ألمانيا حتى ذلك الحين من حيث القوة والجسارة والتحدي، ولقد توصل جوته إلى علاقته الإيجابية الحقيقية بالإسلام عن طريق اكتشافه لتطابق بعض تعاليمه مع تفكيره الشخصي مما أيقظ في نفسه التعاطف العميق معه([١٤]).

بالمقابل نجد جوته لا يتورع من ترجمة مسرحية فولتير القادحة والمسيئة لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اللغة الألمانية، ومهما دافع عنه بعض الباحثين على اعتبار أن جوته لم يكن موافقا على ما ورد بالمسرحية الفولتيرية من تحامل وأفكار سخيفة سمجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهما قيل لتبرير تصرفه ومهما قال هو نفسه في رسائله إلى بعض أصدقائه للاعتذار عنه فستبقى ترجمته لهذه المسرحية نقطة سوداء في صفحة حياته وأدبه وتدينه. كما أن جوته هو القائل في حق القرآن الكريم "إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي فيثير اشمئزازنا دائما كلما شرعنا في قرءته"([١٥]).

ومهما كان جوته منصفا في كثير من كتبه التي أشاد فيها بالإسلام ونبيه عليه السلام فإن في إقدامه على ترجمة مسرحية فولتير وتعريف الشعوب الجرمانية بمضامينها المتهكمة والساخرة بنبي الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام كاف للقول بأن الرجل أسهم في تكريس الصور النمطية وترسيخها في الأذهان، خاصة وان المسرحية لا تزال فصولها محل بحث ودراسة من طرف المهتمين والمتخصصين الذين يسهمون بدورهم في نشر وإذاعة تلك الصور الذهنية بشكل واسع.

وهناك رجل آخر يجسد التناقض الحاصل في كتابات بعض فلاسفة عصر الأنوار وهو توماس كارليل (١٧٩٥-م١٨٨٠) المعروف بإشادته الرائعة بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي وضعه على رأس لائحة الأبطال وكبار المصلحين الدينيين في كتابه "البطولة وعبادة الأبطال" ولكنه هو القائل أيضاً: "إن

---

[١٢] Jawad Hadidi ; Voltaire et l'Islam paris 1974 p 154 .

[١٣] - opcit p 156.

[١٤] كاتارينا مومزن : جوته والعالم العربي ترجمة د عدنان عباس علي ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم ١٩٤ فبراير ١٩٩٥ ص ١٧٩

[١٥] صورة الإسلام في التراث الغربي ص ٢١

محمدا شيء والقرآن شيء آخر، فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش جاف وغليظ،باختصار هو غباء لا يحتمل"([16]).

وهكذا يمكن تفسير التناقض الحاصل في كتابات كثير من فلاسفة عصر الأنوار بكون هؤلاء كانوا يوظفون الإسلام لخدمة أفكارهم في مرحلة كانت تحت قبضة الفكر الكنسي التسلطي ،كما استخدموه أيضا في مواجهتهم لقمع الكنيسة وتعصبها. فكلما توافق الإسلام مع أفكارهم وتعارض مع أفكار الكنيسة مدحوه وزايدوا في المدح ، وفي غير ذلك هاجموه ووصفوه بأقدح الأوصاف والتهم والافتراءات.

لقد وجدت الانتلجنسيا الأوروبية تعبيرا عن نزعاتها وأمزجتها للهيئات الكنسية وللسلطات الملكية المطلقة"([17]).

إن الذي يهمنا في حديثنا عن فلاسفة عصر الأنوار الوقوف عند أحكامهم وتصوراتهم عن الإسلام ونبيه عليه السلام ،لأن لها من القيمة وقوة التأثير ما ليس لغيرها ، فشهرة هؤلاء في تاريخ أوروبا التنويري جعلت مواقفهم السلبية تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم تبقى راسخة ومتداولة عبر الأجيال ما دام فكرهم وتراثهم يدرس في رحاب المؤسسات التعليمية وفي الدوائر الثقافية ،ليس في أوروبا فحسب وإنما في جميع الدول الغربية.

**الخطاب الاستشراقي وإعادة إنتاج الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين:**

إلى جانب الفلاسفة الأوروبيين والأديان وشعراء القرنين السابع والثامن عشر انجذب الجميع إلى الموضوعات الشرقية التي أصبحت آنذاك "موضة العصر" وعلى مدى مائة سنة كاملة تآلفت أوروبا وتعايشت مع تصوراتها الخاصة عن الشرق بوصفه ذالك العالم الغريب وغير العادي ، وتحت تأثير هذه التخيلات الذهنية من عرفوا بالمستشرقين المشتغلين في إطار عدد من الدوائر العلمية الوروبية في الكتابة عن الإسلام وحضارته بروح عدائية ومتحاملة ، ومهما ادعى عن الاستشراق الحديث نهجه سبيل الموضوعية وتجاوز الأفكار القديمة التي تم نسجها عن الإسلام، فإن المناهج الاستشراقية تظل حبيسة المفاهيم والأفكار القروسطية لكن ضمن قوالب جديدة مغلفة ومصطبغة بالصبغة العلمية القائمة على الأضاليل العتيقة" ومن هنا –كما يقول جورافسكي- يلاحظ أي باحث موضوعي أن الأغلبية من المواقف المسبقة الموجهة ضد الإسلام سواء أكان عداؤها صريحا مباشرا أو عنيفا أم كان يتسم بعدم الارتياح تجاه الشعوب الإسلامية "([18]).

وهكذا فمن المؤكد أن الصورة التي صيغت عن الشرق والإسلام سواء من طرف المستشرقين القدامى أو المحدثين هي صورة مشوهة قائمة على تعميمات خاطئة وتشويهات متعمدة وافتراءات

---

[16] -المرجع السابق ص ٢٢.

[17] -الإسلام والمسيحية ١٠٢.

[18] - الإسلام والمسيحية ١٠٥.

باطلة. وهي جميعها تعبر عن نظرات سكونية ثابتة لا تتغير، إذ أن التصور المشوه للإسلام يبقى في جوهره وطبيعة الخلفيات التي يقوم عليها كما كان منذ قرنين أو ثلاثة، وبالتالي فمهما بدا للمتأمل في كتابات المستشرقين تغير أو تحول على مستوى المنهج والطريقة فإنه عل مستوى المضمون ليس هناك تحول أو تغير. يقول إدوارد سعيد : "ما زالت تنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الإسلام والعرب دون أن تمثل تغيرا إطلاقا بالقياس إلى المماحكات الزعاف التي سادت القرون الوسطى وعصر النهضة"([١٩]).

لقد أراد الاستشراق أن ينتج نماذج راكنة وثابتة لما يتعلق بالإسلام والمسلمين ، فهذا المتحول الموصوف بالتخلف وسط ركام من الأوصاف الدونية اللامتناهية والصور الذهنية الكريهة كان يراد له أن يظل تابعا منقادا ، يكرر نفسه بما يتناسب ومصالح الفاعل الغربي المقيد له والمرتهن لواقعه ، وهكذا لما بقي العالم الإسلامي متحديا للغرب ممتنعا عن الانقياد له ظلت تلك الصور الذهنية والنمطية مستمرة من غير توقف في أداء وظيفتها من حيث اختزال الإسلام في صور بالغة الازدراء والاستخفاف بالتعاليم والمسلمات والبداهات التي يؤمن بها المسلمون ، وهكذا لبث الأمر كما كان من قبل ، وبقيت تلك الصور النمطية القديمة طافية على السطح لكن في ثوب جديد ،وأضحت تشكل نمطا محددا من المعرفة تمتد جذورها في تاريخ العداء لديننا وتحتد اليوم أكثر في ظل بروز الإسلام كاكبر تحد حضاري وديني.

لقد أسهم المستشرقون من حيث يشعرون أولا يشعرون في تكريس رؤية نمطية مشكلة بشكل نموذجي، فكل من اقتحم ميدان الاستشراق من الغربيين وأراد أن يتخصص فيه يصبح مقيدا بذلكم الجهاز الهائل من الأحكام المسبقة والأوصاف القدحية ، وعلى الرغم من أن الاستشراق الحديث والمعاصر قد شهد ظهور وتطور اتجاه علمي موضوعي في دراسة الأديان والحضارات الأخرى، نجد المستشرقين لا يتأثرون كثيرا بهذا الاتجاه في تناولهم الإسلام وحياة المسلمين رغم أن الذين تخصصوا في ديانات الشرق الأقصى قد التزموا بهذا الاتجاه العلمي الموضوعي. ومع اعترافنا بوجود أسباب هامة لهذا الفشل الاستشراقي في تقديم الإسلام منها الكراهية والتعصب الديني والإيديولوجي والخوف من حركية الإسلام ،فهناك استمرار من طرف المستشرقين في تمرير وتكريس الصور النمطية القديمة عن الإسلام ونبيه عليه السلام والاصرار على التبرير لها بدراسات وأبحاث قد تبدو علمية في ظاهرها ، لكنها غير موضوعية تصف الإسلام بما ليس فيه.

وهكذا يمكن التأكيد على أن روح الاستشراق مضادة للإسلام ، ولذلك لا يمكن لهذه الروح أن تبتعد عن تشويه صورة الإسلام ونبيه عليه السلام من خلال الأحكام والمواقف والصور النمطية الجاهزة.

ولعل من أبرز الأسباب التي تأصلت في الروح الاستشراقية وجعلتها لا تتوانى في إنتاج الصور النمطية عن الإسلام ما يلي:

---

[١٩] - ادوارد سعبد: الاستشراق ص ٢٨٧.

١) اعتبار الإسلام دينا منافسا للتراث اليهودي الإسلامي لأنه أتى من داخل دائرة التراث السماوي وبروح نقدية تصحيحية لمعتقدات اليهودية والنصرانية. ولذلك يتم نفيه ورفض مشروعيته والاعتراف به فقط كأمر واقع، يقول المشتشرق الفرنسي جاك بيرك (١٩١٠-١٩٩٥) شهورا قبل وفاته: "إن الإسلام الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث والذي يدين به أكثر من مليار نسمة في العالم والذي هو قريب من الغرب جغرافيا وتاريخيا وحتى من ناحية القيم والمفاهيم قد ظل وبظل حتى هذه الساعة بالنسبة للغرب ابن العم المجهول والأخ المرفوض والأيدي ,,والمبعد الأيدي...والمتهم الأيدي ..فيه الأيدي"([٢٠]).

٢) نجاح الإسلام في الانتشار انطلاقا من مبدأ العالمية ونجاحه بالتالي في الحد من نفوذ وتوسع اليهودية والنصرانية في العالم، وضم مناطق جغرافية كانت إلى عهد قريب تدين للنصرانية ،فالإسلام في نظر المستشرقين دين منافس دينيا وسياسيا .

٣) ان الإسلام كمصدر لهذا الخطر الديني والسياسي المستمر لا يمكن مقاومته إلا من خلال تشويه حقائقه وتمييع النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل على نسج صور نمطية وقوالب ذهنية يتم العمل على ترسيخها في الأذهان قصد الحيلولة دون الإقبال على هذا الدين، ويبدو أن مهمة تشويه صورة الإسلام والمسلمين قد أسندت للفكر الاستشراقي بعد فشل التجارب العسكرية والاستعمارية خلال فترات الصراع الأولى مرورا بالحروب الصليبية وانتهاء بالمرحلة الاستعمارية.

٤) استشراء روح الخوف الاستشراقي من الإسلام كدين وحضارة مما لا يساعد على تقديم وصف موضوعي للإسلام وفهم صحيح له، ولذلك يتم الاستسلام لإنتاج الأحكام الخاطئة والمواقف المتحيزة التي يأتي الكثير منها ضمن قوالب محددة تستغلها مختلف مكونات وسائل الإعلام الغربية للترويج لصور نمطية بالغة السلبية والإساءة للإسلام والمسلمين.

**الاستشراق الصحافي:المصنع الجديد لانتاج الصور النمطية:**

يعتبر "الاستشراق الصحافي"([٢١]) أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة، يشتغل في إطارها مجموعة من الصحفيين الكتاب الذين هم أقرب إلى العمل الاستشراقي من العمل الصحفي الخالص او بالأحرى هم كتاب صحفيون مالوا إلى احتراف مهنة الاستشراق التي باتت بالية ومتجاوزة.

وتتسم نظرة هؤلاء المستشرقين الجدد المنتمين إلى دائرة "الاستشراق الصحفي" إلى الإسلام ونبيه عليه السلام بتنوعها وتعدد مشارب اصحابها لكنها تختلف عن نظرة المستشرقين الأكاديميين في مصدرها وخلفياتها الفكرية. فهم لا يميلون إلى الدراسات الإسلامية التقليدية والمتخصصة التي تعتمد

[٢٠] -مقال حوتة المصباحي في الشرق الأوسط ٢٠٠/١١/١م.

[٢١] -انظر في تبرير هذا المصطلح كتابي : الغرب وسياسة التخويف من الإسلام ، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ط ١ / ٢٠٠٢ ص ٤١.

على الكتب كمصادر ومراجع لأبحاثهم وإنما يعتمدون على الدراسات الميدانية المؤسسة على منهجيات العلوم الإنسانية والاجتماعية .

قد يتم التساؤل عن هوية هؤلاء الكتاب الصحفيين الذين لا يترددون في إسعاف وسائل الإعلام الغربية بكل ما تحتاج إليه من مادة صحفية غزيرة تهم كل القضايا الإسلامية المرتبطة بالوقائع والأحداث التي تقع في البلاد الإسلامية أو في البلدان الغربية أيضا عندما يتم افتعال أزمات ذات صلة بالإسلام والمسلمين.

قد يتم التساؤل أيضا عن طبيعة التكوين المعرفي لهؤلاء، وهل يمكن اعتبارهم مستشرقين ما داموا يظهرون للجميع أنهم باتوا يفهمون الإسلام والسيرة النبوية ويستطيعون تحليل الأنماط السياسية والاجتماعية والأبعاد الفكرية والثقافية للحضارة الإسلامية، وما دامت أيضا كل الصور النمطية عن الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يعملون على تكريسها وترسيخها في الأذهان هي عينها تلك التي طالما رددها المستشرقون التقليديون في كتبهم المتخصصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ان هذه الظاهرة ظاهرة "المستشرقين الصحفيين" التي أخذت تبرز بشكل مثير وجذاب في العقود الثلاثة الأخيرة وأخذت تتوهج مع الأيام ومع تطور تقنيات الاتصال وبخاصة في أوقات الأزمات المفاجئة التي يكون فيها الشأن الإسلامي مناط الحديث والخبر والصورة في الإعلام الغربي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين. وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز اختصاصاتهم، فهم لا يتوانون في تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها – على وجه السرعة والاستعجال – بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري المحض تعتمد على عامل الإثارة الذي يستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في الأحكام والاستنتاجات ولي أعناق النصوص وتحريف الوقائع المرتبطة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل يثير الاستغراب هادفين من وراء ذلك تحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع لأعمالهم وتحقيقاتهم وبشكل أوسع ، وتميل دراسات القوم إلى كثير من السطحية والتعميم بالرغم من أن مستندهم الأساس في إثارة الشبهات والافتراءات وتشكيل الصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون لأن خلفياتهم الثقافية في ميدان الإسلاميات ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى يخول الحديث والنقاش حول قضايا دقيقة ترتبط بالتشريعات الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

فهذا الصحفي الفرنسي الشهير بول بالطا الذي عمل طويلا مراسلا لجريدة لوموند الفرنسية بالبلاد العربية يقول وهو الأستاذ المحاضر في مدرسة إعداد الصحفيين بباريس: "إن طلاب هذه

المدرسة من حملة الإجازة في العلوم الإنسانية، وكم يؤسفني أن معظمهم لم يسمع بابن خلدون... فهم يقطعون مسافات في حياتهم من دون أن يلتقوا بالإسلام أو بالعالم العربي"([٢٢]).

بالمقابل نجد أن كثيرا من المستشرقين الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لا يتم ابتعاثهم إلى البلد الإسلامي المحدد إلا بعد أن يلقن ويشحن بكم هائل من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنوطة به، بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة .

إن ما نود التأكيد عليه هو أن دراسات وتحقيقات واستطلاعات هؤلاء المستشرقين الصحفيين تعتبر أكبر مصنع منتج للصور النمطية المسيئة للإسلام ونبيه عليه السلام، فالمادة الإعلامية التي يتم إنتاجها والتي هي في الغالب أبعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة تعتبر مصدرا أساسا لوسائل الإعلام الغربية المكتوبة والمسموعة والمرئية ، بل حتى الرسوم الكاريكاتورية التي يتم نسجها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمد خلفيتها من دراسات المستشرقين الصحفيين ، والجدير بالتنبيه أن وسائل الإعلام الغربية لا تتردد في أن تضفي على الصورة القاتمة التي أفرزها هؤلاء نوعا آخر من التضليل والتمويه ،وبذلك تتم تغطية الإسلام وسيرة الرسول عليه السلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه الاستشراق الصحفي من صور نمطية موغلة في التشويه والتضليل تعمل على تكريس نزعة التخويف من الإسلام وتصويره وفق قوالب محددة بالغة التعميم تم الاعتماد في خلقها على حفنة من "الكليشهات" الرائجة الانتشار والقابلة للتصديق.

والأخطر في كتابات هؤلاء على عكس كتابات المستشرقين الأكاديميين أنها تتوفر على وسائل دعائية وترويج هائلة تتمثل في استغلال وسائل الاعلام المختلفة حيث تتمكن بذلك من الوصول إلى أكبر عدد من الناس ، كما أن الكتب التي يصدرها هؤلاء في موضوعات إسلامية ذات صلة بالقضايا المعاصرة تطبع وتوزع وتترجم بآلاف النسخ ويمكن العثور عليها حتى في المطارات الدولية وبعض الأكشاك الضخمة عكس كتب المستشرقين التي تطبع بأعداد محدودة ولا تكاد تباع سوى في المكتبات العلمية . وهكذا بدل ان تكون الدراسات الاستشراقية الصحفية عنصر توازن ومصدر معرفة متوازنة ووسيلة للتواصل الحضاري بين الإسلام والغرب في عالم طغى فيه أسلوب الإثارة الدرامية والتمويه والتضليل الإعلامي التي كرستها وسائل الإعلام المختلفة، نجد أنه يتم التعاون والتنسيق والتنافس أحيانا بهدف إنتاج صور نمطية جديدة عن الإسلام ونبيه عليه السلام والبراعة في التقاط الأخبار المثيرة التي تساعد على توصيف الإسلام في قوالب نمطية موغلة في الازدراء والتشويه. يقول المؤرخ الفرنسي ذو الكتابات المنصفة عن الإسلام مارسيل بوازار Marcel Boisard: "إن كتابات المستشرقين -

---

[٢٢] - في حوار معه بجريدة (لوموند) العدد ١٣٧٦٢ ( ١٩٨٩/٤/١٤).

عدا بعض الاستثناءات النادرة- لم تسهم كثيرا في تصحيح الفهم للإسلام أو إعادة تدقيق الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح"[٢٣].

**خطاب الكتاب المدرسي الغربي:**

تعتبر صورة الإسلام ونبيه عليه السلام في الكتب والمناهج الدراسية الغربية امتدادا للصورة التاريخية التراكمية السلبية المشوهة للدين الإسلامي وحضارته وأتباعه.

وتبقى الصور الذهنية السلبية التي ينتجها الكتاب المدرسي الغربي ذات خطورة لا تقل عن خطورة ما يبثه المستشرقون الصحفيون عبر مختلف وسائل الإعلام ، إذ تتوجه إلى الأطفال والتلاميذ الذين ينشأون منذ الصغر على فكرة أن نبي الإسلام أقل شأنا من السيد المسيح وبالتالي فهو لا يستحق الاهتمام ما دامت الحضارة الإسلامية أقل شأنا من الحضارة الغربية والدين المسيحي.

وهكذا يغلب أن يصور الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب التاريخ المدرسية على أنه كان غازيا معتديا وشريرا غليظا، ويصور انتشار الإسلام على أنه كان سريعا ومخيفا وكاسحا ويتم الوقوف عند زحف المسلمين على أوروبا سواء من بوابة الأندلس أو على مشارف فيينا على أنه كان استيلاء بقوة السيف ونتيجة الدعوة إلى الجهاد الذي هو حث على القتال والقضاء على الآخر ضمن ما يعرف بالحرب المقدسة.

والملاحظ أن الكتب والمناهج الدراسية في كل بلد من البلدان الغربية تستند إلى موروثها التاريخي ومخزونها الإيديولوجي ، فعندما يتم الحديث في الكتب الدراسية الفرنسية عن بلوغ الجيوش الإسلامية إلى جنوب فرنسا تتم الإشارة بفخر واعتزاز إلى شهامة قائد الجيوش الفرنسية شارل مارتيل charles Martel الذي أوقفها وسحقها في معركة بواتييه Poitiers عام ٧٣٢م.

والذي يزيد الأمر إيلاما هو تعزيز ما هو مكتوب أحيانا بصور مثيرة تعمل على ترسيخ الأفكار والصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الطلبة والتلاميذ ، وهي صور تنقل في الغالب من قصص وكتب مغامرات دونها وتخيلها رهبان الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى ليروجوا بها للحروب الصليبية ويرسمون حسب أهوائهم تخيلاتهم عن أرض المعركة.

وعلى سبيل المثال نجد في كتاب هاتييه للصف الأول الثانوي بالمدارس الفرنسية صورة ملونة كبيرة (نصف الصفحة تقريبا) نشرت تحت عنوان "المواجهة الدينية" وهي تمثل فريقين من المتحاربين ، من ناحية المسلمون يحملون السيوف الثقيلة ورؤوسهم عارية، ومن الناحية الأخرى الصليبيون المدججون بالخوذات التي تخفي رؤوسهم تماما وبالدروع المعدنية التي تخفي صدورهم ( لتوضيح تمايز القوة العسكرية والتقدم الحربي) بينما على الأرض رؤوس بعض القتلى من المسلمين عراة الرأس ، وقد كتب تحت الصورة التعليق التالي : ( كان الله معنا يقودنا فوصلنا أمام القدس....وغدا أردتم أن تعرفوا

[٢٣] - Marcel Boisard : L'Islam aujourdhui : p 8

ماذا فعلنا بالأعداء الذين وجدناهم هنا فاعلموا أنه تحت بوابة سليمان وفي معبده كان جنودنا يتشابكون معهم من فوق الجياد التي تسبح في دماء السارازان (المسلمين) حتى الركب" [٢٤]

أما القوالب النمطية في كتب التاريخ المدرسية في الولايات المتحدة الأمريكية فليس فيها تصوير لغزاة مسلمين ما دامت أمريكا لم تصلها جيوش المسلمين ،لكن يتم تصوير الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون عموما ضمن قوالب نمطية أخرى مثل العربي الشرير مقابل راعي البقر الأمريكي الصالح ، ويغلب أن يصور المسلمون رمزا للشرور ([٢٥]). وهو نعت كان له رواج إبان العصور الوسطى ضمن الأحكام الجاهزة التي كان يسقطها رجال الدين النصارى على الإسلام ([٢٦]). ويتم تقديم العرب المسلمين أيضا في كتب المناهج الدراسية الامريكية على انهم شيوخ أثرياء يتسببون في ارتفاع أسعار النفط والعقارات وأنهم يشكلون خطرا على الغرب وهم " أعداء العالم ومثيرو الحروب ويكرهون المسيحيين" وقد خلص الباحث سليمان قناوي في دراسته عن صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية في أمريكا إلى أن المعالم الرئيسية لصورة العربي المسلم هي " رقص هز البطن ولباس العربي والحجاب للمرأة وآبار النفط وسيارات الليموزين الطويلة واللحية السوداء الضخمة والنظارات الشمسية السوداء"([٢٧]).

أما دومينيك منجنيو Maingueneau Dominique ففي دراسة له حول خطاب وايديولوجية الكتب المدرسية في عهد الجمهورية الثالثة ([٢٨]) حاول أن يقف عند الصور النمطية البالغة السلبية التي سردتها بعض الكتب المدرسية في ذلك العهد فذكر أن دين محمد عليه السلام قدم على أنه مأخوذ من الديانتين اليهودية والمسيحية ويحمل بين ثناياه الكثير من الخرافات والممارسات العقيمة ، وهو دين جنس وملذات وتطرف، يحث أتباعه على شن الحروب المقدسة ضد الشعوب الآمنة والمسالمة، إنه دين غزوات ومذابح وهو لا يشجع على تطور الإنسانية ، أما المسلمون والعرب خصوصا فهم أناس "شبه متحضرين" تتحكم فيهم قيم التواكل وهم كسالى خاملون يحملون دائما خناجر وسيوفا.

وهناك دراسة أخرى للباحثة اللبنانية مارلين نصر حول "صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية" أكدت فيها على أن الإسلام يختصر في "العربي" "البدوي" "ساكن الصحراء" "ومحتكر النفط"، إلى غير ذلك من الأوصاف النمطية الثابتة التي لا تزال راسخة في أذهان كثير من التلاميذ والطلاب الغربيين.

---

[٢٤] - كتاب : هانتيه، الصف الأول الثانوي ٢٠٠١ ص ٨٣.

[٢٥] - نذكر بهذا الصدد أن عبارة " إمبراطورية الشر الجديدة" التي كان قد أطلقها الرئيس الأمريكي السابق رولاند ريغان على الاتحاد السوفياتي أيام الحرب الباردة هي نفسها التي تلقفتها بعض وسائل الإعلام الأمريكية لتصف بها الإسلام على اعتبار أنه حل محل الشيوعية .

[٢٦] -هناك ادبيات كلاسيكية اهتمت بالموضوع منها كتاب سوذرن : صورة الإسلام في العصور الوسطى ، ترجمة د رضوان السيد . وراجع كتاب (G.Zananiri ; L'Eglise et l'Islam ' Paris 1969 ,

[٢٧] - سليمان قناوي : صورة العرب والمسلمين في العالم.

[٢٨] - D, Maingueneau : les livres d'ecole de la République (1870-1914) Discours et idéologie-- -Paris 1979

ومهما تحسنت مضامين الكتب المدرسة الحديثة بعد ان تم العمل على تنقيتها من الصور النمطية الموغلة في الازدراء والاستخفاف، فإنها في واقع الأمر لا تزال تخضع لنفس الضغوط التاريخية والنفسية التي تسعى إلى اختصار الإسلام بطريقة سلبية في مجموعة من الأوصاف والنعوت القدحية. ولعل ما يثير الدهشة والاستغراب أن التركيز على ألفاظ العنف والجهاد والإرهاب قد ازدادت في الطبعات الجديدة لكتب التاريخ الغربية التي طبعت بعد أحداث ١١ شتنبر ٢٠٠١، وتشترك في هذا الأمر جميع الدول الغربية في تعاطف واضح مع الولايات المتحدة الأمريكية . وهذه النعوت وإن كانت قد تجاوزت الأساليب البالية (في عهد الجمهورية الثالثة كما رأينا أي قبل أكثر من قرن من الزمن) من حيث الوقاحة والإسفاف والاحتقار فإنها في صورتها الحديثة تتحاشى إبراز العداوة المباشرة .لكن المتأمل في المعالجة البيداغوجية التي تضمنتها هذه الكتب المدرسية يلاحظ أنها تحمل في طياتها مفاهيم واحكاما غير موضوعية تحط من قدر الإسلام كدين حضاري وتقلل من شأن المسلمين الذين يعيشون في عوالم متخلفة ويعتمدون على المساعدات الغربية لأنهم غير منتجين ولا يملكون سوى تصدير النفط واليد العاملة والتطرف والعنف.

وإذا كانت الكتب الدراسية تزود التلاميذ والطلاب بما يحتاجون إليه من معلومات عن تاريخ الإسلام وحضارته فإن المدرسين يمثلون العنصر الآخر في عملية التعليم وهم لا يقومون بتلقين المعلومات فقط بل يقدومن تفسيرا لمختلف الثقافات أيضا ، ويتأثر التلاميذ والطلاب بما يختاره المدرسون منه نصوص وبما يولونه من تأكيد لموضوعات معينة ، كما أن مضمون المحاضرات واتجاه النقاش في قاعة الدرس، كل ذلك يؤثر تأثيرا كبيرا على تفكير الطلبة.

وهذه التأثيرات وغيرها تتدخل في نظرة الطالب الثقافية والفكرية إلى الإسلام والمسلمين.

وإذا كانت الدراسات المتعلقة بعملية التشكيل الاجتماعي ان التعليم المكتسب في المدرستين الابتدائية والثانوية له تأثير دائم فإنه من السهل إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه الإسلام إلى التجارب التربوية الأولى.

**الخطاب الإعلامي الغربي ودور القولبة الإعلامية المعاصرة:**

بعد كل ما ذكرناه من أسباب وعوامل تاريخية أسهمت في تنميط الإسلام والمسلمين وإنتاج القوالب والصور الذهنية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الإعلام بكل مكوناته المكتوبة والمسموعة والمرئية وبكل ما بلغه من قوة في التأثير في صياغة الأفكار والأذهان وفاعلية في تزويد الجماهير بالأخبار والمعلومات القابلة للتصديق لكي يدخل ميدان إنتاج الصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث تحرص وسائل الإعلام الغربية على أن تجعل الصور النمطية السلبية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شيوعا وذيوعا من كل ما عداها مع السعي على أن تطابق تلك الصور ما تعده شرائح واسعة من جمهورها سواء كانوا من القراء أو المشاهدين انه هو كذلك ،

ويمتلك هذا الجمهور الرغبة والعزم على نشر وترويج تلك الصور المشوهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتستغل وسائل الإعلام الغربية كل الإمكانات والوسائل لإحياء القوالب والأفكار النمطية الثابتة القديمة وربطها بالأحداث والوقائع المشكلة للأزمات الحادة في علاقة الغرب بالإسلام وإضفاء نوع من التضليل والتمويه عليها لتلقى الترحيب الكامل والتصديق الشامل من طرف جماهير القراء والمشاهدين الغربيين.

إننا لن نسترسل هنا في الحديث عن الدور الهائل للخطاب الإعلامي الغربي في تقديم القوالب التاريخية الجاهزة حول الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم للجماهير الغربية ، فقد تحدثت عن ذلك كثير من الكتب التي ظهرت في السنوات الأخيرة لباحثين مسلمين أمثال: المرحوم الدكتور عبد القادر طاش([٢٩]) والدكتور الصادق رابح ([٣٠]) والدكتور محمد بشاري([٣١]) والدكتور حلمي خضر ساري[٣٢] والدكتور سامي مسلم ([٣٣]) وغيرهم ولكننا سنركز حديثنا وباختصار مرة أخرى عن دور القولبة الإعلامية الغربية في تنميط الصورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**دور القولبة الإعلامية المعاصرة:**

تعتبر القولبة الإعلامية Stéréotypie أبرز وسيلة ينهجها الإعلام الغربي من أجل توصيف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطار قوالب نمطية وصور ذهنية موغلة في الازدراء والتشويه ، ويعبر مفهوم القولبة الإعلامية عن تحديد مسبق لفكرة أو مجموعة من الأفكار تغذيها خلفيات معرفية محددة ، وتهدف بشكل تبسيطي وتعميمي إلى وصف الآخر انطلاقا من انتماءاته الدينية أو العرقية أو غير ذلك.

والقولبة الإعلامية التي يحلو للإعلاميين الغربيين اللجوء إليها عندما يراد الحكم على الإسلام ونبيه عليه السلام تستند إلى جهاز كامل من الأحكام المسبقة préjugés والتي لها رصيد ضخم في المخيلة الغربية مما يجعل تصور دين الإسلام ونبيه إنما يتم من خلال خلفيات فكرية سابقة تهدف بالأساس إلى الدفاع عن مصالح وأهداف معينة. وعملية القولبة الإعلامية كما يمارسها الإعلام الغربي في حق الإسلام يبتغي من ورائها إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بالإسلام وذلك من أجل الحيلولة دون إقبال الغربيين على الإسلام أو حتى التعرف عليه ، فالصورة النمطية المشوهة التي ترسخها عملية القولبة الإعلامية الغربية في ذهن الإنسان الغربي تهدف إلى التخويف من هذا الدين والترويع من كل ما يمت بصلة إلى المسلمين الذين يوصفون أحيانا بأقذر الأوصاف وأقبحها.

---

[٢٩] -صورة الاسلام في الاعلام الغربي-الزهراء للاعلام-القاهرة١٩٩٣

[٣٠] 17- L'Islam dans le discours médiatique ,comment les médias se representent l 'Islam en France – Paris 1998.

[٣١] -صورة الإسلام في الإعلام الغربي.دار الفكر بدمشق٢٠٠٤

[٣٢] -صورة العرب في الصحافة البريطانية ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨.

[٣٣] -صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٦.

وقد عبرت الصور الكاريكاتورية الدانماركية المسيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعبيرا واضحا عن ذلك ، فواحدة من تلك الصور ( وبئس الصورة) تصور رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يحمل قنبلة فوق رأسه، ولا شك أن الصحفي الكاريكاتوري الذي نسج هذه الصورة كان ينطلق من خلفية ذهنية مشحونة بما يفيد لديه أن الإسلام يقرن بالإرهاب والعنف.إنها ليست مجرد صور نمطية مجردة أو تهكم وازدراء عابرين ، وإنما هي عبارة عن جزء من بناء فكري مركب نما وتكون عبر تاريخ الاحتكاك العنيف بين الغرب والشرق .

ان المتتبع لحركة تشكيل وتكوين الصور النمطية عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم يتبين له أن مواقف الغربيين الموروثة جيلا بعد جيل والتي تزخر بالعداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل على تشويه صورته لا تزال تدفعهم إلى اتخاذ مواقف سلبية من تراث الإسلام ومقدساته . ويرتبط هذا الشعور المعادي للإسلام في العقل الغربي بعقدة " التفوق العنصري" وهي العقدة التي تشكل عنصرا نفسيا بارزا من عناصر التكوين الفكري للإنسان الغربي، وهو ما أدى به إلى أن يكون عقلا أحادي النظرة تجاه غيره ، ولذلك لم يستطع ان يفهم الإسلام على حقيقته ، ولذلك مهما انتشر المسلمون في مختلف البلدان وظهر أمر دين الإسلام ،ومهما أسهمت الدعوة الإسلامية المنتشرة في كل مكان في إبراز حقيقة الإسلام وتعاليمه وحدود مقدساته، فإن كل هذه الحقائق الناصعة تذوب وتنمحي في نمط التفكير السائد لدى الغربيين الذي لا يفهم حقيقة الإسلام ولا يريد أن يفهم ذلك،وبذلك كان هذا النمط هو الذي يصعب تغييره وبالتالي فإنه يقف وراء تكرار إعادة إنتاج الصور النمطية عن الإسلام ونبيه عليه السلام .فعلى سبيل المثال عندما نقرأ بأن العرب المسلمين هم الذين اخترعوا الخنجر،السلاح التقليدي في عمليات الاغتيال على مر العصور نجد أن هذا الوصف يعتبر أصدق تعبير عن دور القولبة الإعلامية الغربية في صنع الصورة النمطية الموغلة في التمييع والتشويه.فهذا الهراء يرمي بشكل واضح الى تكريس العرب لأداة الغدر والإيقاع بالغير،مقابل السيف الذي يمثل عنوان وشعار الفروسية والشهامة في القتال.أما البعد الآخر الذي يرام تحقيقه من وراء ذلك فهو اعتبار العربي المسلم مصدر تهديد وإرهاب لحياة غيرهم وهو ما عبرت عنه إحدى الصور الكاريكاتورية الدانماركية التي أوهمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تقرن حياته بالإرهاب([٣٤]).

وهكذا يكون مصدر تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم واختزالها في صور بالغة الازدراء والاستخفاف ليس مجرد جهل وإنما نمط محدد من المعرفة تمتد جذورها في تاريخ العداء لديننا ولرسولنا وتَحتَد اليوم أكثر في ظل بروز الإسلام كأكبر تحد حضاري وديني.

ومما لا شك فيه ان من وراء تكوين صور نمطية عن الإسلام ونبه صلى الله عليه وسلم تقف ترسانة إعلامية ضخمة هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التمييع والتشويه.

ويستند العمل الإعلامي في الغرب إلى مجموعة من المعايير أو ما يسمى ب " القيم الإخبارية" التي تؤثر على العاملين في وسائل الإعلام سواء في اختيار المواد أو الأخبار أو الآراء التي يتيحون لها الفرصة للنشر

---

[٣٤] - د حسن عزوزي : "الإسلام وتهمة الإرهاب" طبع رابطة العالم الإسلامي بمكة ١٤٢٦ ص ٩١.

أو في صياغتها والتعبير عنها ، ومن هذه المعايير الاتجاه نحو الاستجابة لرغبات الجمهور الذي لا يكاد يعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بعض الكليشيهات التي سبق أن تكونت لديه من روافد غربية مختلفة، والتي هي في حد ذاتها تعتبر رائجة الانتشار وقابلة للتصديق .ولذلك ترتكز التغطيات الإعلامية الغربية على كل ما هو سلبي وغريب ومثير في الإسلام وعالم المسلمين ، وهكذا ومن خلال تلك الصور النمطية التي يفرزها الإعلام الغربي بمختلف مكوناته يتم تزويد مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون أن يشعروا بأسلوب التضليل والتمويه الذي يمارسه الإعلام بخصوص موضوع الإسلام.

هكذا يتبين لنا من خلال ما تم استعراضه من أسباب تاريخية كامنة وراء إنتاج الصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ومنذ العصور الوسطى يعاد إنتاجها بصيغ مختلفة ومن جهات متعددة اتخذت مواقف معادية تتسم بإطلاق أقذع الأوصاف والنعوت ومختلف انواع الشتم والتجريح البذيء ، وقد أثمرت تراكمات تلك الأوصاف والمفردات القدحية مخزونا من ثقافة الكراهية والحقد ضد الإسلام ونبيه ورسالته ،وشاعت مكونات ومجزوءات ذلك المخزون وترسبت وتكلست في كثير من ميادين الثقافة والفكر والإعلام لدى الغربيين في الفترة المعاصرة تسيطر عليها عقلية الإقصاء والقبليات والأحكام النمطية الجاهزة ويطبعها اختزال الإسلام والمسلمين في مجموعة من السلبيات التي يقصد التضخيم منها والتهويل في نشرها وإذاعتها ، وبذلك تثبت مختلف المقاربات الغربية للإسلام وحياة المسلمين انها عاجزة عن فهم الإسلام وتمثل حركيته داخل التاريخ حيث تم إفراغه من أية نزعة إنسانية او حضارية يمكن احترامها وتقدير دورها في بناء الحضارة وصياغة التاريخ.

وهكذا فإن مجموع ما أتينا على ذكره من خطابات حول الإسلام ونبيه عليه السلام وفق قوالب وصور نمطية محددة تعتبر ذات وحدات ذهنية ثابتة تسهم في تكوين المخيلة الجماعية الغربية السلبية عن الإسلام والمسلمين ، وهي تتغذى من نفس المصادر والخلفيات التاريخية وذلك مهما تعددت أشكالها وتمايزت في تعبيراتها وطرق مقاربتها للإسلام دينا وثقافة وحضارة وسلوكا.

وبالرغم من تأكيدنا على الأسباب والعوامل التاريخية للصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في الوعي الجمعي المعاصر للمجتمعات الغربية فان ثمة أسبابا وممارسات تحصل داخل الفضاءات العربية والإسلامية تقف وراء تكريس تلك الصور النمطية حيث إنها تشكل ارضية خصبة لإنتاج الناظر والملاحظ الغربي لصور غير واقعية يتم تعميمها وجعلها قابلة للتطبيق على العالم العربي والإسلامي كله ، ويتم عادة تزكية وتدعيم ذلك بما يحصل أثناء أوقات الأزمات أو ما يسمى "اللحظات المثيرة" التي يكون فيها النقاش حول حدث إسلامي معين ، لذلك فعندما تشوب صور المسلمين في الداخل بعض الانحرافات والسلوكات المشينة ويتم رصدها من قبل الإعلام الغربي، فإنها تكون مادة مثيرة وقابلة لتشكيل صور نمطية سلبية عن الإسلام ونبيه عليه أفضل الصلاة والسلام.

**سبل تجاوز ومواجهة الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين:**

إذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الغرب ذات جذور تاريخية وفكرية امتدت لقرون عديدة ابتداء من المرحلة اللاهوتية خلال القرون الوسطى ومرورا بالمرحلة الاستشراقية، فإنه يمكن القول بان هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها في السنوات الأخيرة وسائل الإعلام الغربية التي استطاعت أن تنقل صور التشويه والتمييع من بطون الكتب والدراسات الاستشراقية إلى أن تكون زادا مثيرا تقتات منه وسائل الإعلام في كل مكان ، وغدت تلك الصور واسعة الانتشار لدى الجماهير بعد ان كانت متداولة في أوساط النخب.

ولقد تمكنت وسائل الإعلام الجماهيرية في الغرب بما تمتلكه من قدرة على الانتشار من ان تجعل الصورة النمطية المشوهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن اهتمامات الإنسان الغربي حتى أصبحت – وخصوصا في أوقات الأحداث والأزمات- حديث المجالس والمنتديات ، وهو ما يظهر الخطورة الجسيمة للدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجماهيرية في ترسيخ الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في العقل الجمعي للمجتمعات الغربية.

من هنا تبدو ضرورة بحث سبل تجاوز ومواجهة هذه الصور النمطية التي تتسم بالأحكام التعميمية الثابتة والجامدة ، وهو ما يعتبر بمثابة سعي لتجريد الغرب من ذلك السلاح العظيم الأثر خاصة إذا أخذنا في الاعتبار المخاطر التي تترتب على اعتياد الرأي العام على المزاعم السلبية التي تتردد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة حياته وسيرته العطرة، الأمر الذي يجر إلى ردود أفعال خطيرة في التعامل الغربي مع القضايا الإسلامية.

لذا بات من الضروري التصدي لمخاطر المؤسسات الإعلامية والثقافية الغربية في تشكيل صور نمطية عن الرسول عليه السلام، وذلك حفاظا على صورة الإسلام الصحيحة والأصيلة وكذا على المصالح الحيوية للعالم الإسلامي ، من أجل ذلك لابد من تغيير جذري لآليات العمل وأساليب التعامل مع الغرب لمخاطبته بلغته ومواجهته بمنطقه واستخدام كل الأساليب والوسائل التي من شأنها أن تؤثر فيه وتدفع به إلى تغيير مواقفه وتعديل نظرته إلى ديننا ورسولنا وحضارتنا.

ولقد آن الأوان لتجاوز حدود التشخيص والتوصيف والانتقال إلى مرحلة التدبير الاستراتيجي ورسم الخطط والبرامج المناسبة لمواجهة الصور النمطية الجاهزة عن نبينا عليه السلام، ومن أجل ذلك يمكن اقتراح بعض وسائل وسبل مواجهة الصور النمطية الغريبة عن الإسلام والمسلمين من خلال ما يلي :

**على المستوى الإعلامي:**

بالنظر الى الأثر الهائل والواسع لوسائل الإعلام المختلفة في التأثير على الرأي العام العالمي فإن البحث عن سبل مواجهة انتشار الصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين يقتضي توظيف السلاح الإعلامي ذاته خاصة في ظل تطور مؤسسات الاتصال الجماهيري الحديثة بدول العالم الإسلامي ووفرة

الإمكانات والسائل التكنولوجية المتطورة في التبليغ والإعلام والتواصل وتنوع الطاقات العلمية والإعلامية سواء داخل العالم الإسلامي أوفي مجتمعات الأقليات الإسلامية (قادة العمل الإسلامي وأصحاب الكفاءات العلمية) .

ويمكن للإعلام الإسلامي الموجه بمختلف اللغات إذا كان هادفا ومتطورا، وإذا أتقن أداؤه وحسن استغلاله أن يكون قمينا بتصحيح الصور النمطية السائدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يقتضي استثمارا جيدا يكفل لمهمة مواجهة وتفنيد الصور النمطية عن الإسلام ونبيه أسباب النجاح والتأثير ، ولتحقيق ذلك يمكن باختصار اقتراح ما يلي :

أ) العمل من أجل توفير التدفق الإعلامي المطلوب نحو المجتمعات الغربية .ولا شك أن امتلاك الإعلام المعاصر وخاصة المرئي منه (الفضائيات على وجه الخصوص) القدرة على الوصول إلى جميع أنحاء العالم هو في صالح مهمة البحث عن سبل تجاوز ومواجهة الصور النمطية الرائجة.

ب) تحديد أولويات وبرامج خطط العمل الإعلامي المناسبة ، وتطوير الأساليب والوسائل وطبيعة الموضوعات والمضامين وطرق العرض والتقويم مع مراعاة أنماط التفكير لدى الجماهير التي يتوجه إليها الخطاب الإعلامي التصحيحي ، علما بأن رسوخ بعض الصور النمطية الأشد إيلاما وإيذاء في أذهان الغربيين (صورة الرسول عليه السلام المقاتل العنيف مثلا) لن يكون من السهل محوها واستئصالها.

ت) توفير خبراء متخصصين من رجال الإعلام والدعوة والفكر يتصفون بالمهارة والإخلاص والقدرة على استيعاب الصورة الكلية والرؤية الشاملة لأسلوب التعامل مع الصور النمطية عن الإسلام -الأكثر ذيوعا وانتشارا- والعمل على تصحيحها، وهي المهمة التي ينبغي منحها أكبر قدر من التأثير والجاذبية من خلال مراعاة العقلية غير الإسلامية ونمط تفكير الإنسان الغربي ونهج أسلوب الحوار والإقناع والتقنية العالية في التبليغ والتواصل.

ث) ضرورة استثمار الفضاء الإعلامي الغربي ، وهو مجال مهما كان محدودا إلا أنه يعد من أنجع سبل مواجهة الصور النمطية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن استغلال المنابر الإعلامية الغربية التي يستدعى إليها قادة العمل الإسلامي والكفاءات العلمية المهاجرة في الغرب كفيل بتحقيق نتائج أفضل في سياق توضيح صورة الإسلام الصحيحة وتصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة التي تنتج وتنضج القوالب الذهنية والنمطية السلبية عن الإسلام ونبيه.

ج) العمل على استغلال شبكة الانترنت من خلال إنشاء مواقع إسلامية ضخمة تقدم الإسلام وفق أبهى صور التشويق والإقناع لغير المسلمين وتعمل على تبديد الصور النمطية السلبية الذائعة الانتشار ، وبما أن الانترنت شبكة مفتوحة لكل العالم يمكن للتدفق الإعلامي والمعلوماتي من أن ينساب بتلقائية ويسر إلى أي مكان في العالم ، فإنها منبر ذو قيمة وأهمية بالغتين لمواجهة الصور

النمطية وحملات التشويه الإعلامي لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. ويمكن القول بأن هذه الوسيلة الإعلامية تعد من أجدى الوسائل المفيدة في مجال العمل على تجاوز ومواجهة الصور النمطية والحد من شيوعها وانتشارها.

**على المستوى الثقافي والتربوي:**

تتعدد جوانب ومجالات الثقافة لتشمل كل ما من شأنه أن يسهم -ثقافيا- في تصحيح الصورة النمطية الذائعة الانتشار عن الرسول عليه السلام.وقد تكفلت استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب التي أنضجتها منظمة الإيسيسكو لمعالجة كثير من القضايا المرتبطة بهذا الموضوع ، ولاشك أن العمل الثقافي الإسلامي سواء داخل بلدان العالم الإسلامي أو في مجتمعات الأقليات المسلمة في الغرب مطالب اليوم أكثر من أي وقت مضى بالبحث عن سبل مواجهة الرصيد الهائل من القوالب النمطية عن الإسلام والمسلمين وتقديم صورة أنجع واوضح عن كل المفاهيم الإسلامية التي يكثر حصول النقاش حولها من طرف الغربيين وذلك في سبيل تبديد الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والمسلمين ، ولتحقيق ذلك يمكن اقتراح ما يلي :

أ) دعوة قادة العمل الإسلامي والكفاءات العلمية المهاجرة إلى استغلال جميع المنابر الثقافية المتاحة في البلدان الغربية ونسج العلاقات مع مختلف الجهات الثقافية والعلمية والفكرية (كتاب – مفكرون- مستشرقون- تربويون....) وذلك من أجل تمرير الخطاب الإسلامي الهادف إلى تبديد الأفكار والمفاهيم الخاطئة المنتجة للصور النمطية .

ب) تكثيف تنظيم مؤتمرات ومناظرات علمية حول المفاهيم والقضايا الإسلامية الأكثر إثارة للنقاش والتساؤل من طرف الغربيين (العنف-الجهاد-وضعية المرأة–حقوق الإنسان– الإرهاب.......) ولا شك أن العمل على تعزيز التغطية الإعلامية الدولية لها قمين بالتعريف بحقائق الإسلام ومعطيات السيرة النبوية الناصعة وفضح الأحكام الجاهزة والافتراءات المتهافتة التي تحكم إنتاج القوالب الذهنية الثابتة حول الإسلام ونبيه عليه السلام. كما أن الحرص على المشاركة الإسلامية الهادفة في الندوات والمؤتمرات الغربية التي يكون موضوعها حول الإسلام كفيل بإبراز الصوت الإسلامي الأصيل وتصحيح الأفكار وتقويم الآراء والمعلومات من أجل الحد من انتشار الصور النمطية السلبية. وإذا كانت وسائل الاتصال الجماهيري التي سبق التأكيد على أهميتها تتميز بالسرعة الفائقة في نقل الخبر أو تصحيح الفكرة وفي نشر ذلك على نطاق واسع، فإن ذلك لا يغني عن الاتصال المباشر من أجل الإقناع والتأثير. فمرحلة الإقناع تتطلب المواجهة المباشرة مع الجمهور كي تؤدي دورا فاعلا في عرض الحجج المنطقية والبراهين المقنعة في سبيل تصحيح وتحسين صورة الإسلام ونبيه عليه السلام.

ت) تعتبر الكتب المدرسية المصدر الأساس الذي يستمد منه التلميذ أو الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء الكثير من الجماعات العرقية والدينية المختلفة، وفيما يخص القضايا والمفاهيم المرتبطة بالإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم المعروضة في تلك الكتب والتي تتسم بالسلبية والإيغال في

التشويه والقولبة فيمكن معالجتها وتصحيحها عن طريق رصد المغالطات المبثوثة في مناهج التعليم والتدريس الغربية والعمل على تحديد مصادرها وأسبابها وخلفياتها ثم السعي عن طريق المنظمات الإسلامية والجهات الرسمية (وزارات التربية الوطنية في البلدان الإسلامية مثلا التي تربطها اتفاقيات تعاون مع نظيراتها الغربية) إلى تنبيه الجهات الغربية المسؤولة، والعمل من أجل الاتفاق معها على تكريس مفهوم الاحترام المتبادل للمقدسات والقناعات الدينية والحرص على التأكد من صحة المعلومات والمعطيات المراد تقديمها عن الإسلام والسيرة النبوية في الكتب والمناهج الدراسية .

**الاستفادة من رصيد الكفاءات العلمية المهاجرة:**

سبق للإيسيسكو أن أنجزت استراتيجية للتعامل مع ظاهرة العقول المهاجرة والاستفادة منها تعتبر رائدة في هذا المجال ، وتعتبر الكفاءات العلمية المهاجرة في الغرب الأقدر على الإسهام في مواجهة الحملات الإعلامية الغربية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم وتصحيح الصور النمطية التي تنتجها مختلف مكونات الإعلام الغربي ، وهو ما لا يتسنى إلا من خلال استقطابها ورفع كفاءاتها وتوجيهها والتأكيد على أهمية دورها خاصة وأنها تمثل مدخلا من مداخل توطيد العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب.

وفي مجال العمل على تجاوز التأثير السلبي للصور النمطية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومواجهة الأسباب والعوامل الكامنة وراء انتشارها وذيوعها يمكن الاستفادة من الكفاءات العلمية المسلمة في الغرب من خلال ما يلي:

أ) العمل على توجيه هذه الطاقات والكفاءات إلى القضايا الأساس المتعلقة بمجال رصد ومتابعة حملات التشويه الإعلامي الإسلامي لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والتركيز على سبل مواجهتها.

ب) تعزيز إسهام الكفاءات العلمية المسلمة في الغرب في تعميق جسور الحوار الثقافي والحضاري مع المؤسسات الإعلامية والثقافية الغربية بما يخدم مبادئ الاحترام المتبادل وترسيخ قيم التفاهم والتعايش وعدم التهجم على معتقدات وقناعات الآخر.

ت) التشجيع على إنشاء جمعيات للصداقة بين الجمعيات الثقافية التي تنضوي تحتها هيئات وتجمعات الكفاءات المسلمة المهاجرة وبين الجمعيات الإعلامية والثقافية الغربية في البلدان المضيفة وهو ما يضمن التفاهم والتعاون من أجل تحسين صورة الإسلام ونبيه عليه السلام والتخفيف من حدة التحامل الغربي على الإسلام والمسلمين.

ث) إسهام الكفاءات العلمية المسلمة المشرفة على العمل الثقافي الإسلامي في الغرب في القيام بحملات توعية وتوجيه في أوساط أبناء الجاليات المسلمة التي يسهم الكثير منهم في الإساءة إلى صورة الإسلام في الغرب تحت تأثير ضغوط الغربة والأوضاع غير المستقرة .

ج) رصد ومتابعة ما تنتجه المؤسسات الإعلامية والثقافية الغربية من أفلام ورسوم كارتونية صور نمطية عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل على نهج أسلوب الإنكار والاحتجاج والمطالبة ببيان الحقائق عبر الإعلام المرئي والصحافة المكتوبة ، ومن المعلوم ان الاحتجاج يثير الرأي العام ويدفع الجهات الإعلامية التي تقف وراء التحامل ضد الإسلام ونبيه عليه السلام إلى التحفظ وأخذ الحيطة والحذر ([٣٥]).

من جهة أخرى ينبغي العناية بتطوير وتكثيف وسائل الضغط التي يمكن للكفاءات العلمية المهاجرة توظيفها خدمة لجهود مواجهة الصور النمطية الشائعة وصناعة الصورة البديلة.



[٣٥] - د حسن عزوزي : من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب ، كتيب المجلة العربية عدد ٦٣ الرياض ٢٠٠٢ ص١٦.

# منهج التربية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة في مجال القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

**أ.د. خالد بن محمد يوسف التويم**

السعودية /جامعة أم القرى/ مكة المكرمة



**المقدمة:**

الحمد لله والصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد:

يواجه المسلمون في هذا العصر تحديا خطيرا للغاية متمثل في الهجمة الشرسة على شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين وهي على مستويات متفاوتة وفي ميادين عددية منها ميدان العلوم حيث التشكيك في صدق القرآن بتبني نظريات تخالف ما ذكره الله من حقائق حول أصل الخلق أو غير ذلك، ومنها في مجال الفلسفة من الاعتراض على عقائد الدين والتشكيك فيها، ومنها في مجال التنفير من رسالة النبي واعتباره يدعو إلى العنف، والقسوة، واستنقاص المرأة، ومن تلك التحديات الاستهزاء بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم للتنفير من دعوته وصد الناس عنها كما استخدمت الرسوم الساخرة في بعض البلاد الغربية.

والمتبصر في القرآن العظيم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أن فيه منهج لمواجهة مثل تلك التحديات بل أن الله قد بين لنا أن عداوة المشركين حادث لا محالة ثم وضع لنا منهجا لمواجهة تلك التحديات وهي من ضروب الجهاد في سبيل الله، وسيقوم الباحث بالكشف عن منهج الإسلام في مواجهة التحديات في القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

**موضوع البحث:**

استنباط منهج التربية الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة في مجال القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

**أهداف البحث:**

١- التعرف على العوامل التي ساهمت في القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢- الكشف عن منهج التربية الإسلامية في مواجهة التحديات في مجال القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم المعاصرة.

**منهج البحث** :المنهج الاستنباطي

## المبحث الأول

## الجذور الأولى في عداوة المشركين وأهل الكتاب والملحدين للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومنهج التربية الإسلامية في مواجهتها

**تمهيد:**

بادئ ذي بدء ينبغي أن نعود إلى الجذور الأولى للعداء للرسول صلى الله عليه وسلم ونتعرف على منهج التربية الإسلامية في مواجهته إذ لا تعد أن تكون هذه التحديات المعاصرة كالتحديات التي قابلت المسلمين في بداية الدعوة فينبغي أن تعرف على منهج التربية الإسلامية في مواجهتها وقد قابلت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة أصناف من الأعداء وهم مشركي مكة من قريش وقبائل العرب الأخرى، واليهود، والنصارى، والملحدين، والمنافقين، ولكل صنف وسائل لمواجهته وإن كانت هناك وسائل مشتركة بين الوسائل إلا أن لكل فئة منهجا ملائما لمواجهتها وسنعرض لمن يتشابهون مع المجتمع الأوروبي المعاصر حيث يتكون في معظمه من النصارى والملحدين المكذبين بالرسول واليهود ومن يشبهوا مشركي العرب كبقية الوثنيين أي سنعرض لمنهج التربية الإسلامية في مواجهة عداوة المشركين، واليهود، والنصارى، والملحدين أما المنافقون فلا يظهرون في المجتمعات المعاصرة الأوروبية لأنهم لا يظهرون إلا عند غلبة الإسلام وقيام دولته

**أولا: معادة المشركين للرسول محمد صلى الله عليه وسلم**

منذ ان بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصدع بالدعوة وعرف المشركون حقيقة الدعوة وأنها تعني نبذ الأصنام وأفراد الله بالعبادة وإتباع محمدا صلى الله عليه وسلم ومنذ ذلك الوقت بدأت العداوة.

واستشعر المشركون أن دين محمد يعارض ويناقض معتقداتهم التي ورثوها عن آبائهم وكانوا يعتمدون في رئاستهم على القبائل على وجود البيت وعلى تلك الأصنام ولأن النفوس مفطورة على محبة الشرف فظنوا أن رئاستهم ستزول إن اعتنقوا هذا الدين وإن المصالح المكتسبة من وجود الأصنام ستنتهي ومن ناحية أخرى فأن النفوس تميل إلى تقليد الآباء والعادات الشائعة والدين الجديد يهدم ويسفه ما كان يعبد الآباء قال تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** } [المائدة: ١٠٤] وقال تعالى {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** } [لقمان: ٢١، ٢٢] فشعروا بأن من آمن بالدين الجديد فأنه مكذب وتارك لآلهتهم وآلهة آبائهم وهذا انشقاق عن العادات والتقاليد مرفوض في المجتمعات الجاهلية وخاصة المجتمع العربي الذي يفاخر بالآباء ويعتبر الكمال في عقولهم وهناك طوائف أخرى بعث فيهم عداوة الرسول حب الرئاسة والحسد قال تعالى {**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**} [الزخرف: ٣١] حيث شعروا أن محمدا سيكون له الصدارة في الدين الجديد وأن زعامتهم ستنتهي ومن

تلك الأسباب وغيرها أنطلق العداء وأعلن أن من اتبع محمدا فقد خرج عن قريش بل هو عدوا لها لتناقض الدين مع عبادة الأوثان فهبت قريش تكبت الدعوة وتقاومها والدعوة تشتد وأتباع محمد يكثرون وبلغ الأمر تعذيب وتنكيل كل من اتبع محمدا حتى بلغ الأمر أن أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ثم هاجروا إلى يثرب وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم معهم.

**وأبرز أنواع العداوة**

١- اتهام الرسول بالكذب والسحر قال تعالى { **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** } [ص: ٤]

٢- اتهامه بالجنون قال تعالى {**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**} [المؤمنون: ٧٠]

٣- اتهامه بالشعر قال تعالى {**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**} [الأنبياء: ٥]

٤- اتهامه بالكهانة قال تعالى { **وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**} [الحاقة: ٤٢]

٥- اتهامه بأن الدين الذي يدعو إليه أساطير الأولين قال تعالى { **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** } [الفرقان: ٥]

٦- الضحك من المسلمين قال تعالى {**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ** } [المطففين: ٢٩]

٧- الأستهزاء بالرسول قال تعالى {**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** } [الأنعام: ١٠]

**منهج التربية الإسلامية في مواجهة العداء في الفترة المكية:**

١- بناء الشخصية المؤمنه المستعدة لهذا العداء:

وقد بنى الإسلام الشخصية المؤمنة المستعدة لهذا العداء عن طريق مجموعة من المبادئ التي ربى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اصحابه عليها ومن تلك المبادئ:

أ- تعريفهم بسنن الله تبارك وتعالى في الصراع بين الحق والباطل ومعاداة أهل الباطل لأهل الحق

فمنذ أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعرض أمر الوحي الذي نزل عليه على ورقة بن نوفل إذ أخبره بأن عداوة قريش وغيرها له حاصلة وتلك سنة الله في صراع الحق والباطل فقد أخرج البخاري عن طريق عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أخبر ورقة بما حصل له من الوحي قال **وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ**

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ[1]، ثم نزل فيما نزل في مكة من القرآن قوله تعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢][2].

ب- تعريفهم بصبر الأنبياء السابقين وأتباعهم على عداوة المكذبين

ومما يشرح صدر المؤمن ويورثه الصبر معرفة أن هذا ديدن الأمم مع رسلهم فلا يستنكر مثل هذا الهجوم قال تعالى {وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [العنكبوت: ١٨]، قال تعالى {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [آل عمران: ١١]، قال تعالى { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: ٦٥ - ٦٧]. قال تعالى { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف: ٧٣]. قال تعالى {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ٨٥]قال تعالى {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ } [العنكبوت: ٣٨]، قال تعالى {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٣٩، ٤٠].

ت- تربيتهم على اليقين

واليقين هو الإيمان بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبما أخبر به من عقائد وشرائع وبما وعد الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة وقد غرس النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه اليقين ورباهم عليه فقد جعل الله اليقين قرينا للصلاة والزكاة في مواضع عديدة من كتابه قال تعالى {الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

[1] البخاري ، الصحيح ٩/ ٢٩

[2] انظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٧

[لقمان: ١ - ٥]، وقال تعال في سورة البقرة {**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** } [البقرة: ١ - ٣].

قال ابن القيم اليقين: وهو من الإيمان منزلة الروح من الجسد. وبه تفاضل العارفون. وفيه تنافس المتنافسون. وإليه شمر العاملون. وعمل القوم إنما كان عليه. وإشاراتهم كلها إليه. وإذا تزوج الصبر باليقين: ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال الله تعالى، وبقوله: يهتدي المهتدون قال تعالى {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** } السجدة: ٢٤.[٣]

ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا. وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم. فامتلأ محبة لله. وخوفا منه ورضا به، وشكرا له، وتوكلا عليه، وإنابة إليه. فهو مادة جميع المقامات والحامل لها.[٤] إن اليقين يمد المؤمن بقوة التحمل في مواجهة الأعداء فهو يرى الآخرة كأنه يراها رأي العين فتصغر الدنيا في عينية وتهون المصائب ويشعر أنها أيام معدودة ثم لقاء الله والجنة فيصغر الأعداء في عينة ولا يحس بألم مواجهتهم ولا يتأذى بهمزهم وسخريتهم لأنه متعلق قلبه بالآخرة فقد تجلت الدنيا في عينة ورآها دار ابتلاء لكل من تابع رسوله الذي بعث له

ث- تربيتهم على التوكل على الله

وقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على التوكل على الله، قال تعالى {**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** } [التغابن: ١٣]وقال أيضا {**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } [المائدة: ٢٣]، وقال الله تعالى عن تربية موسى لقومه على التوكل { **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** } [يونس: ٨٤، ٨٥]:

قال ابن القيم: التوكل نصف الدين. والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة.فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة. قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. ومعنى ذلك أنه عمل قلبي. ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.[٥]

إن الاعتماد على الله عز وجل في دفع الأعداء يهون معاداتهم ويشعر المرء أن الله معه مما يزيد في شجاعته وقوة تحمله فيشعره كل ذلك بالاطمئنان الذي هو في أمس الحاجة له عند اجتماع الخصوم وكثرة مكرهم وشرهم ولذا فالاهتمام بالتوكل ركن رئيس عند منازلة الأعداء فهو من أشد اسلحة المؤمن فتكا

---

[٣] بن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ج٢ ص ٣٧٥

[٤] المرجع السابق ج٢ ص ٣٧٥

[٥] المرجع السابق ج٢ ص١١٤ باختصار

ج- تربيتهم على الصبر

عدة المؤمن في ملاقاة الأعداء الصبر؛ بل في كافة شئونه ففي عبادته يحتاج إلى مجاهدة نفسه وليس ثم الصبر علاج لأهواء النفس وعند مواجهته للأعداء فليس ثم الصبر عدة يلتجئ إليها المسلم

وقد أامر الله رسوله محمدا بالصبر على الأعداء وأقوالهم وسخريتهم فقال تبارك وتعالى{**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** } [ص: ١٧] { **واصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** } [النحل: ١٢٧] { **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** } [المزمل: ١٠]، وأمر الله المؤمنين بالصبر{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [آل عمران: ٢٠٠] {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**} [البقرة: ١٥٣]، وأخبرهم بما هو كأن لهم من الأزمات والأحداث الجسام وأمرهم بالصبر فقال تعالى{ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** } [البقرة: ١٥٥]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على الصبر **فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَطْحَاءِ فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَمَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأُمِّ عَمَّارٍ وَهُمَا يُعَذَّبَانِ فَقَالَ: «اصْبِرُوا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»**[٦].

وأخرج البخاري عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، **قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[٧]

قال ابن القيم عن الصبر: وهو واجب بإجماع الأمة. وهو نصف الإيمان. فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر.[٨]

ح- تربيتهم على التعاون والتراحم

ومما يهون المصيبة ويشد من أزر المؤمن هو الترابط والتآزر وتعميق روابط المحبة فيما بينهم فيعوضهم ذلك ما يواجههم من سخرية بنبيهم قال تعالى {**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ**

---

[٦] ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي ا المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، انتقاء بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) .تحقيق حسين أحمد صالح الباكري مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة ط١ ١٤١٣هـ ٢/ ٩٢٣

[٧] البخاري ، الصحيح ٤/ ٢٠١

[٨] ابن القيم مدارج السالكين مرجع سابق ٢/ ١٥٣

**وَالْعُدْوَانِ**} [المائدة: ٢] لنُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»[٩]، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[١٠].

٢- أمرهم بكف اليد عن الأعداء

وفي المرحلة المكية أمر الله المسلمين بكف اليد عن اعدائهم لحكمة عظيمة منها: إن قوة الأعداء أكبر من قوتهم وفي مقابلتهم قضاء على الأقلية المسلمة واستئصال لوجودهم ومنها: تعاطف الناس معهم واستبان للناس أن صبرهم دليلا على صدق دعوتهم وأن هؤلاء مظلومون معتد عليهم دون مبرر، قال ابن تيمية إن المسلمين كانوا ممنوعين قبل الهجرة وفي أوائل الهجرة من الابتداء بالقتال وكان قتل الكفار حينئذ محرما وهو من قتل النفس بغير حق [١١]كما قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**}، {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَا**} [النساء: ٧٧]، قال ابن الجوزي أنها نزلت في نفر من المهاجرين، كانوا يحبون أن يؤذن لهم في قتال المشركين وهم بمكّة قبل أن يُفرَضَ القتال، فنُهوا عن ذلك[١٢].

٣- ارشادهم إلى الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة

قال تعالى {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } [النحل: ١٢٥]

٤- تبشرهم بالنصر والتمكين في الأرض

قال تعالى: {**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** } [آل عمران: ١٢] قال تعالى: {**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** } [الأنعام:٦]

٥- تأليف قلوب الناس بالإحسان والعطاء

إن أول ما يجذب الناس إلى الدين هو معرفتهم بمنافع الدين وخاصة المنافع المباشرة الجلية التي يدركها عوام الناس ولقد نجح أسلوب الإحسان وتأليف القلوب نجاحا باهر إذ زاد عدد الداخلين في الدين الجديد وعرف الناس حقيقته وأنه يدعو ألى نبذ الأصنام وإلى محاسن الأخلاق وإن رسوله يعطي عطاء من لا يخش الفقر مما ساهم في تأليف القلوب.

---

٩ البخاري، الصحيح ٨/ ١٠

١٠ البخاري، الصحيح ١/ ١٢

١١ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر الحرس الوطني السعودية ص: ١٠٢

١٢ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ١/ ٤٣٣

فقد أخرج الأمام البخاري ومسلم عن **أَبِي ذَرٍّ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ**[13].

عَنْ أَنَسٍ، **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»**[14].

٦- اجتناب سب آلهتهم وأصنامهم التي تعبد من دون الله

قال تعالى{**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } [الأنعام: ١٠٨].

٧- مواجهة التحديات في العهد المدني

في المرحلة المدنية تشكلت قوة المسلمين وأصبحت لهم دولة مستقلة وشرعوا في صد العدوان بالقوة العسكرية وبالوسائل الأخرى كالرد عليهم بالشعر كما صنع حسان وغيره من الشعراء الذين واجهوا الحملة الظالمة للقدح في الرسول والمسلمين.

**ثانياً: عداء اليهود للرسول محمد صلى الله عليه وسلم**

ومنذ أن شاع خبر بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا وظن اليهود أن هذا الدين سيظهر حقيقة تحريفهم لكتابهم وكذبهم على الله عز وجل فعلموا أن انشار الإسلام والقرآن يهدد دينهم المحرف ومن هنا نشأت العداوة وساهم أيضا انبعاث الحسد في بعضهم إذ كانوا يظنون أن النبي القادم سيكون من اليهود ولما بعث من العرب ساءهم الأمر وهكذا انبعث عداوة اليهود وبدؤوا يعادون الدعوة بطرق مختلفة منها مناصرة قريش ومنها تشويه سمعة محمد ومنها التشكيك في دعوته قال تعالى { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**} [النساء: ٥١]

عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد، فقالوا: ما أنتم وما محمد. فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج -ومحمد صنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج بنوغفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا. فأنزل الله {**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا**] (٩) }[15].

---

[13] مسلم، الصحيح ٤/ ١٨٠٦و**البخاري ٤/ ١٨٤**

[14] البخاري، الصحيح ٤/ ١٨٤

[15] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٣٤

ومنها السعي لاغتياله بالسم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ،** [١٦]

**منهج التربية الإسلامية في مواجهة عداء اليهود:**

١- بناء الشخصية المؤمنه المستعدة لهذا العداء

ولقد أسس الإسلام شخصية المؤمن المستعد لمواجهة عداء اليهود بوسائل متنوعة منها:

أ- الكشف عن حقيقة دعوة موسى عليه الصلاة والسلام

وأنها مثل دعوة محمد صلى الله عليه وسلم{ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** } [آل عمران: ٦٤)

ب- بيان تحريف اليهود دين موسى

قال تعالى عن تحريفهم للتوراة{ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** } [النساء: ٤٦].

ت- حقيقة الشخصية اليهودية التي لم تلتزم بشريعة موسى

حيث تتميز بالمكر والكذب والخداع وقتلهم الأنبياء وقد فضح القرآن مواقفهم من أنبيائهم فكيف يكون حالهم مع نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قال تعالى{**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**} [آل عمران: ٧١ – ٧٣ قال تعالى {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** } [النساء: ١٥٥ - ١٥٨].

٢- تأليف قلوب اليهود

ألف الإسلام قلوب اليهود بوسائل شتى منها:

[١٦] البخاري، الصحيح ٤/ ٩٩

أ- اثبت نبوة موسى عليه السلام وفضله وأن الله خصه بالتكليم

ب- قال تعالى {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** } [الأحزاب: ٧، ٨]

ت- {**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** } [النساء: ١٦٤]

ث- تذكيرهم بفضل الله على موسى عليه السلام بتأييده بالمعجزات الباهرة التي خضع لها السحرة وشهدوا له بالنبوة وصدق دعواه

ج- تذكيرهم بفضل الله على موسى عليه السلام حين حفظه في طفولته وشبابه وفي صراعه مع فرعون وذلك حين القته أمه في اليم وكيف تربى في بيت فرعون ثم أنجاه الله من فرعون ثم في صراعه لفرعون حيث غلبه ونجى من مكره ثم إن الله أغرق فرعون وجنوده وأرث موسى والمؤمنين معه الأرض من بعدهم

ح- ذكر موسى عليه السلام في القرآن في أكثر من ١٢٨ موضعا وذكر أخيه هارون في ٢٠ موضعا وعرض الله قصة صراعه مع فرعون في مواضع عديدة

خ- إيضاح كثيرا من المشكلات التاريخية الغامضة في تاريخ بني اسرائيل والتي كانت مكان نقاش بينهم وذلك لإثبات صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى{**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** } [النمل: ٧٦]

د- سماهم بأهل الكتاب وأباح أكل طعامهم والزواج منهم

**ثالثاً: عداء النصارى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم**

تأخر عداء النصارى للرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يحتكوا بالدعوة إلا بعد أن هاجر أصحاب النبي إلى الحبشة فتعرف ملكها النجاشي على هذا الدين وعلم أنه حق وآمن خفيه وكان النصارى في أول أمرهم من أقرب الأمم إلى الإسلام لقرب عهد رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام من رسالة محمد ولأنهم أرق أفئدة وأعرف بالحق من غيرهم قال تعالى{ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ** } [٨٢-٨٤، المائدة:].

ولقد آمن بعض النصارى فعلموا أن هذا الدين ناسخ للدين النصراني وأن دينهم محرف قد تحول من التوحيد إلى الشرك وقد تبدلت كثيرا من احكامه ومن النصارى من بقى على دينه وعلم أن هذا الدين الجديد الإسلام سيفضح تحريفهم ويكشف كذبهم ويهدد رئاستهم بل سيحرر المناطق التي

بسط الروم نفوذهم عليه كالشام ومصر فعندئذ شرعوا بمعاداة هذا الدين ومحاربته وقد كان منهج التربية الإسلامية في مواجهة عداء النصارى يشبه منهجها في مواجهة عداء اليهود.

**منهج التربية الإسلامية في مواجهة عداء النصارى**

١- بناء الشخصية المؤمنه المستعدة لهذا العداء من ذلك:

أ- الكشف عن حقيقة خلق عيسى

كان خلق عيسى معجز وكرامة من الله وروح منه حيث خلقه من غير أب قال تعالى( **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)}** [آل عمران: ٤٥-٤٦- ٤٧] لكن النصارى جعلوه أبن لله تعالى الله عن ذلك عوا كبيرا قال تعالى مستنكرا مقولتهم الشنيعة { **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم: ٨٨ - ٩٣]**

ب- وبيان حقيقة دعوة عيسى عليه السلام

دعوة عيسى هي نفس دعوة محمد عليهما الصلاة والسلام حيث بين الله عز وجل لأهل الكتاب حقيقة دعوه عيسى وأنه يدعو إلى عبادة الله عز وجل ولم يأمر أحد أن يتخذه آله من دون الله قال تعالى { **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** } [المائدة: ١١٦، ١١٧] **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (}** [النساء: ١٧١] **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت: ٤٦]**

٢- تذكير أهل الكتاب بالمعجزات التي أيد الله بها عيسى في دعوته

يذكر الله أهل الكتاب بفضله عليهم وعلى نبيهم عيسى حيث أيده بالمعجزات الباهرة التي تدل على نبوته ورسالته وصدق دعواه قال تعالى {**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** } [آل عمران: ٤٩ - ٥١]

٣- تذكيرهم بفضل الله على عيسى وإكرامه بحفظه من اليهود عندما هموا بقتله فرفعه إليه فقال تعالى{**قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** } [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]

٤- تأليف قلوب النصارى بتمييزهم عن المشركين، بما يلي:

أ- اباحة طعامهم والزواج من نسائهم

وكرمهم الله تبارك وتعالى أن اباح للمسلمين طعامهم والزواج من نسائهم قال تعالى {**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } **[المائدة: ٥]**

ب- تسميتهم بأهل الكتاب

ت- الثناء على الصالحين منهم

قال تعالى { **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ** } [آل عمران: ١١٣، ١١٤]

ث- ذكر عيسى في القرآن فيما يقارب ٢٣ موضعا ومريم أكثر من ٣٠ موضعا بينما لم يذكر محمد إلا في اربعة مواضع ولم تذكر اسم والدة النبي ولا أحد من زوجاته

ج- ثناء الله على مريم عليها السلام ووصفها بالطهارة والعفة والتقى

قال تعالى {**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** } [التحريم: ١٢]{

ح- جعل مريم عليها السلام مثلا للنساء المؤمنات

قال تعالى مبينا فضل مريم عليها السلام وأنه مضرب مثلا للمؤمنات{**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)**} [التحريم: ١١، ١٢]

وكذلك اثنى الرسول صلى الله عليه وسلم عليها وبين كمال عقلها فقد أخرج الأمام البخاري عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ** "[١٧]

خ- دعوتهم إلى الإسلام بالرفق واللين

وأمر الله تبارك وتعالى بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى

قال تعالى{**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** } [العنكبوت: ٤٦]

٥- مقابلتهم بالحجج العقلية

{**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ** } [آل عمران: ٧٩]{ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } [آل عمران: ٦٤ - ٦٧]

**رابعاً: عداء الملحدين الماديين المكذبين بالرسول والمنكرين لوجود الله**

ثم إن هناك طائفة من الماديين الذين لا يؤمنون بخالق وهم قلة في المجتمع الجاهلي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمون الدهريين لأنهم يقولون لا يهلكنا إلا الدهر قال تعالى { **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** } [الجاثية: ٢٤] وهؤلاء يرون في بعثة النبي صلى الله عليه نقضا لمبدئهم المعتقدين فيه وهم في الغالب يسعون في

[١٧] البخاري، الصحيح ٤/ ١٥٨

نشر معتقدهم الإلحادي بين الناس كما يصنع الملحدون في كل المجتمعات فيرون أن الإسلام يضاد ويناقض معتقدهم الفاسد فيبادرون بمعاداته كما هي حال الملحدين في كل الأمم

**منهج التربية الإسلامية في مواجهة الملحدين**

١- بناء الشخصية المؤمنه المستعدة لهذا العداء من ذلك

**إن تهيئة الشخصية المؤمنة التي تواجه تحديات الملحدين وعداوتهم في كبت الدعوة والسخرية من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هي حجر الأساس حيث يحتاج المؤمن للتربية على الصبر والتقوى ومعرفة نفسية الملحد وبواعث العداء حتى يستطيع ان يتعامل بحكمة ويجتنب شره بل ويقضى عليه**

ومبعث العداوة الكبر والحسد قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } [غافر: ٥٦، ٥٧]

وقال تعالى {**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** } [الأنعام: ٣٣]

٢- مواجهة الملحدين بالحجج العقلية

وبيان تهافت حججهم وتناقضها مع العقل والفطرة قال تعالى{**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** } [الأنبياء: ٢٢]

وقال تعالى {**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** } [يس: ٧٨ - ٨١]

٣- إثبات إن الله الخالق

قال تبارك وتعالى {**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**} [غافر: ٥٦، ٥٧]

٤- إثبات النبوة والرسالة

قال تعالى {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ** } [فصلت: ٦] {**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [التوبة: ١٢٨]

## المبحث الثاني

## العوامل التي أججت عداوة القادحين  في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في العصر الراهن

١- انتشار الإسلام في ربوع أوروبا مما أقلق الملحدين فاستشعروا الخطر الداهم من الإسلام الذي يضاد الإلحاد إذ ما انجزوه خلال الثلاثمائة سنة في نشر الالحاد وتمكينه في شعوب اوربا أصبح مهددا

٢- استشعار العلمانية أن الدين الإسلامي يخالف اصولها بإرجاع التشريع لله عز وجل بدلا من البرلمان فاعتبرته عدوا لمبادئها

٣- اعتقاد كثيرا من علماء الاجتماع والمؤرخين الأوربيون أن العرب أمة منحطة  قبل الإسلام وأن الإسلام هو السبب في مدها بأسباب الحضارة التي سادت بها العالم في القرون السابقة ثم عادت إلى وضعها السابق من الانحطاط بعد ضعف الإسلام[١٨]

٤- استشعار المفكرون الأوروبيون أن الإسلام سيبعث في المسلمين القوة في استرداد اراضيهم المسلوبة وبعث روح الاستقلال الثقافي والاقتصادي والسياسي [١٩]

٥- انتشار شعائر الإسلام في المدن الأوروبية كالمساجد والحجاب والمحلات المتخصصة في الطعام الحلال مما أصبح يهدد الثقافة الغربية في عقر دارها

٦- الجهل بحقيقة الإسلام من الشعوب الأوروبية بسبب عوامل تاريخية كثيرة منها:

أ- دور المستشرقين في تشويه الإسلام وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم[٢٠]

ب- دور المنصرين في تنفير الأوروبيين من الإسلام[٢١]

ت- دور الساسة في تشويه صورة العرب والمسلمين

ث- دور علماء الاجتماع في تصوير العرب والأفارقة والآسيويين بأنهم شعوب منحطة وأن الشعب الراقي هو الجنس الأبيض[٢٢]

٧- تردي اخلاق المسلمين المستوطنين والمهاجرين إلى أوربا والربط بينهم وبين الإسلام واعتقاد الأوروبيون أن الإسلام يقرهم على الخصال المذمومة كالكذب والغش والفوضى والخيانة والكسل

---

[١٨] انظر لوبون ، غستاف . سر تطور الأمم . ترجمة : أحمد فتحي زغلول باشا . ط١ – بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٧ هـ .ص١٥

١٩ انظر ستودارد ، لوثروب . حاضر العالم الإسلامي . ترجمة عجاج نويهض ، وتعليق شكيب أرسلان . ط٤ – بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م

٢٠ -انظرالميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكه . أجنحة المكر الثلاثة . ط٥- دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢١ انظر الخالدي ، مصطفى ، وعمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ط١- صيدا . لبنان : المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

٢٢ جوستاف لوبون ، سر تطور الأمم ، المرجع السابق ص٤٦

٨- استشعار الساسة الأوروبيين أن الإسلام دين واضح جذاب للنفوس ومن المعلوم تفشي القلق النفسي في المجتمعات الأوروبية وهذا الدين مبدد للقلق ومشبع للعواطف الإنسانية ولقد وجد قبول له في بين الأوروبيين ولاحظوا تدفق الناس لاعتناقه حتى أصبح الديانة الثانية في بعض دول أوروبا فخشوا استمرار انتشاره مما قد يترتب عليه اختلال الثقافة الأوروبية

## المبحث الثالث

## منهج التربية الإسلامية في مواجهة التحديات في مجال القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

١- بناء الشخصية المؤمنه المستعدة لهذا العداء من ذلك

أ- الكشف عن سنن الله تبارك وتعالى عند بعثة الأنبياء حيث يشرع الباطل في معاداة أهل الإيمان من صور هذا العداء السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** } [الحجر: ١٠، ١١]

قال تعالى {**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**} [يس: ٣٠]

وهذا من التهيئة النفسية لما قد يسمعوه من شتم الرسول وإخبارهم بالأذى المنتظر حصوله من أهل الكتاب والمشركين وهذا من سنن الله عز وجل

قال تعالى {**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**} [آل عمران: ١٨٦]

وأيضا لا بد من بيان تلك السنن في أخبار الأمم السابقة

قال تعالى{**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** } [غافر: ٨٣ - ٨٥]

قال تعالى { **وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ**} [الزخرف: ٦ - ٨]

قال تعالى {**أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ** } [الأحقاف: ١٨]

ب- غرس التقوى

قال تعالى { **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** } [آل عمران: ١٢٠]

ت- الاعتصام بالله عزوجل

ويشمل الاعتصام بالله التوكل عليه قال تعالى {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } [آل عمران: ١٠٣]

٢- التعريف بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دعوته

قال تعالى { **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [يوسف: ١٠٨]

٣- التعريف بموقف الإسلام من عيسى وأمه مريم وأنبياء بني اسرائيل كموسى وهارون وسليمان وداود عليهم السلام كما عظمهم الله عزوجل في كتابه

٤- كف اليد عن الأعداء للمستوطنين عندهم لأنهم اشبه بالمسلمين في العهد المكي

٥- اجتناب الشتم والتعرض لشعائر دينهم

٦- الدعوة إلى عقائد وأخلاق الإسلام وبيان حقيقة الدين

## المبحث الرابع

## أخطاء في مواجهة حملة القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

## ومنهج التربية الإسلامية في تصحيح تلك الأخطاء

**المظاهرات: قيام المظاهرات التي تندد بتلك الأعمال**

وهي تهييج للعامة والدهماء ضد حكومات وشعوب الدول الأوروبية التي نشرت صحف فيها سب الرسول صلى الله عليه وسلم والمظاهرات لا تؤدى إلى نتائج تذكر لأن الحكومات الاوروبية ليس لها سلطة على وسائل الأعلام بل أن الصحف فيها تشتم وتقدح في رؤساء تلك الدول بل يستهزئ بالدين النصراني بل قد يصل الأمر بالاستهزاء بعيسى عليه السلام ثم إن القائمين على حملة التشويه يفرحون بإغاظة المسلمين وفي المظاهرات كشف لتألم المسلمين فيزدادون أمعانا في الشر ثم إن المظاهرات تساهم في نشر الصور وفي لفت انظار الغافلين من الناس مما يحمل بعضهم حب الاستطلاع إلى البحث عن موضوع الاستهزاء محل العدوان فينظرون إلي الصور وهذا مبتغى أولئك المعتدون بل قد تعلق

بعض الشبهات في بعض النفوس كما أن النظر إليها فيها مشاركة في رؤية العدوان والزج بالعوام في مثل تلك الأحداث يخالف أمر الله بالرد إلى أهل العلم والاختصاص من ولاة الأمر

قال تعالى {**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)**} [النساء: ٨٣]

**المقاطعة: القيام بمقاطعة الشركات المنتمية للدول التي ضلعت بعض صحفها في نشر الصور المسيئة**

والامتناع عن شراء بضائع الأعداء ضرب من السلاح غير معروف في التاريخ الإسلامي عرف حصار الأعداء ومنع البضائع أن تصلهم أما الامتناع عن الشراء فأشتهر كأسلوب للضغط على الأعداء من الزعيم الهندي "غاندي" "ت ١٩٤٨" عندما كان يناضل في استقلال الهند عن بريطانيا[٢٣]

وقد يضر بشركات ليس لها سلطة على الصحف التي نشرت الصور وفي ذلك اعتداء غير مبرر وهذا الأسلوب يتعارض مع المنهج الإسلامي في اقتصار العدوان على المعتدي قال تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (٨)} [المائدة: ٨]

وقال تعالى: {**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (١٩٠) } [البقرة: ١٩٠]

وقد يترتب عليها أن يحرم أناس شراء بضاعة تلك الدول ظنا منهم أن المقاطعة واجبة فيحرمون أنفسهم من أشياء قد يحتاجون إليها بل قد يقع البعض مما يحرم شراء هذه البضائع في قوله تعالى: {**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** (١١٦)} [النحل: ١١٦]

بل قد يضيقون على أنفسهم ولم يكن ذاك منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في جهاده لأعدائه

**التعرض لكتابهم المقدس بالإهانة كالتمزيق أو الإحراق ونحو ذلك:**

وكتابهم المقدس يشمل التوراة والإنجيل وأن كانت محرفة فلا ينبغي التعرض لها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لها كما أن هذا السلوك مرفوض لأنه يضاد دعوتهم بالموعظة الحسنة بل يزيد في تنفيرهم من الإسلام وتأجيج عداوتهم للمسلمين.

[٢٣] **موسوعة السياسة** غاندي، موهندس كرمشاند (المهاتما) ،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد الرابع، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ٣١٥ - ٣٢

**إثارة الموضوع خلال وسائل الإعلام:**

وفي هذا مساهمة غير مباشرة في نشر الصور فالتركيز عليها يحمل العوام على الاطلاع عليها وهذا ضرب من القعود معهم في الاستهزاء بآيات الله

قال تعالى: { **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)**} [النساء: ١٤٠]

ومن صور القعود المنهي عنه النظر إليها إلا لمن اراد أن يرد عليها من المتخصصين في دفع هذه الشبهات والرد عليها

**نتائج البحث**

١- حملة الشتم والسب مؤشر على نجاح الدعوة الإسلامية في العالم وخاصة في أوربا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الدعوة يسمونه الأمين والصادق وبعد البعثة والدعوة قالوا أنه مجنون وكاذب ونحو ذلك من الشتم فلو لم يبعث ولم يدعوهم لما شتموه فهذا يدل على نجاح الدعوة

٢- لم يسارع النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتداء والدفاع بل بالصبر وكف اليد حتى استبان للجميع أنه مظلوم هو اتباعه فهاجروا ولم يغتالوا أحد حتى إذا تكونت الدولة المستقلة القوية شرع في صد عدوانهم وغزوهم

٣- من أخطر الأمور في طريق الدعوة مقابلة تلك الحملة بالاغتيالات والتفجير والتهديد فهذا مما يزيد في ضراوتها ويبرر عدوانهم

٤- لم يذكر في السير أن النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه قابلوا حملة القدح بالمظاهرات والاحتجاجات بل بالصبر والتجاهل والثبات على الدعوة

٥- لم يذكر في السير أن النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة قاطع منتجات الكفار أو أمر بمقاطعتها كأسلوب للضغط عليهم أو لدفع عدوانهم .

٦- مبعث القدح في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم يعود إلى عدة عوامل

أ- انتشار الإسلام في العالم وفي أوروبا خاصة وتهديده للنصرانية

ب- ضعف الحركات الإلحادية والمادية وشعورها أن عدوها الإسلام

ج- الجهل بحقيقة الدين الإسلامي

هـ- الجهل بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم



# الرّسوم المسيئة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم بين حريّة التّعبير واحترام المقدّسات

د. خشمون مليكة
د. كاملي مراد
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أم البواقي، الجزائر.



**المقدمة:**

تُعد الرّسوم الكاريكاتوريّة من الفنون الصحفيّة المميّزة، وذلك لما تتوفّر عليه من قدرة فائقة على اختراق فكر القارئ أيّا كانت جنسيّته أو لغته أو مكان تواجده. ولا أدلّ على ذلك ممّا فعلته الرّسوم الكاريكاتورية المسيئة لشخص النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم- الّتي نشرتها الصحيفة الدانماركية يولاندس بوستن لصاحبها الدانماركي الملحد كورت فيسترجاد في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥[١]. فقد أحدثت هزّة عميقة طالت العالم الإسلاميّ ورافقتها ثورة عارمة في شوارعه، وزادتها تأجّجا عند إعادة نشر بعض الصّحف الغربيّة لتلك الرّسوم[٢].

وبغض النّظر عن تعريف الرّسم الكاريكاتيري وأنواعه[٣] فإنّه لا أحد ينكر مدى تأثيره على الرّأي العامّ وعلى أطياف المجتمع، خاصّة إذا تعلق موضوعه مباشرة بالحقوق الشّخصية للإنسان كالمعتقد، كما يُعتبر كاريكاتير الشخصية (هو الذي يكون موضوعه الشّخص ذاته) والذي يركّز صاحبه على تشويه ملامحها أكثرها تأثيرا، وهو الّذي عنى الرّسام الدانماركي بتجسيده في رسمه لشخص المصطفى محمد صلى الله عليه و سلم.

والحقيقة أنّ هذه الرّسوم عكست أوصافا لا تليق برسول الله عليه الصلاة والسلام، وعارية عن الحقيقة والصّحّة عند كلّ باحث متجرّد.

وهي –أي الرّسوم- تنبئ في حقيقتها عن نفس مريضة لصاحبها وغير متزنة، وهو الذي أكّدته بعض الدّراسات المتخصّصة، منها الدراسة التي قام بها الدكتور رامز طه تحت عنوان "التحليل النفسي

---

١- من مواليد ١٣ يوليو ١٩٣٥ سنة، عمره يناهز ٧٧ سنة، خريج جامعة كوبنهاجن، رسام كاريكاتير (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا).

٢- منها صحيفة **مغازينات** النرويجية في ٢٠٠٦/٠١/١٠، والصحيفة الألمانية **دي فيلت** والصحيفتين الاسبانيتين **ايه بي سي** **والبريوديكو** عندما أعادت نشر هذه الرسوم في ٢٠٠٦/٠٢/٠١ بدعوى حرية التعبير (لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الحرة: ar.wekipedia.org).

٣- لم أشأ التّطرق إلى مختلف تعريفات الكاريكاتير وأنواعه، واكتفيت بالتركيز على تأثيره على الرأي العام. (لمزيد من التفصيل انظر: شوقية هجرس. فن الكاريكاتير، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥. ص ٣٠).

للرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة و السلام" [٤]. فلقد كشفت عن الكثير من الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية لأصحاب تلك الرسوم، يقول المؤلّف: "وقد وجدت الكثير من دلالات العدوانية والتعصب عند تحليل هذه الرسومات المسيئة...فعلى سبيل المثال أظهرت كثير من هذه الرسوم المبالغة في حجم الرأس وتأكيد ملامح الوجه بصورة قبيحة، ويُعتبر هذا دلالة اهتمام الرسام بالمظاهر الخارجية وانعكاس لعدوان مكبوت يصاحبه في نفس الوقت اعتراف لا شعوري بقوة الشخص المرسوم ومكانته".

ويضيف قائلا: "ظهر في رسوم أخرى عدم وجود الفم مطلقا، رغم وجود باقي ملامح الوجه، ويعتبر ذلك من الدلالات اللاشعورية على ميل الرسام لرفض الاستماع للآخر، ربما هربا أو خوفا من قوة الحجة والاستمرار في إنكار الحقيقة التي جاء بها الرسول صلّى الله عليه وسلّم-، كما تشير إلى العدوان السلبي بالترك، وقد يكون دلالة أيضا على تضخم الذّات ورفض التّواصل مع الآخر".

ورغم كون هذه الرسوم تشكّل في حقيقتها اعتداء صارخا وتجاوزا غير مقبول على شخص الرسول الكريم، إلاّ أنّها تضمنت في ثناياها إقرارا بتميز وكمال هذه الشخصية الكريمة، فتحليلها أبرز محاسن الرسول صلى الله عليه و سلم و كشف مساوئ وخبائث أصحابها الذين أراودوا إحراق مشاعر المسلمين بفعلهم الشنيع، فرسم هؤلاء الرسامون أنفسهم وأسقطوا على الرسوم خبايا نفوسهم المريضة وليتهم قرأوا عن جمال وجهه الشريف، وطهارة سلوكه العفيف.

ولئن تقمّصت هذه الرّسوم الكاريكاتيريّة ثوب حريّة التّعبير وحريّة ترجمة الأفكار كما يدّعي مروّجوها فإنّها تضمّنت مساسا بأحد أعظم مقدّسات ومعتقدات المسلمين، ممثّلا في شخص النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم-، متجاوزة أدنى الضّوابط الأخلاقيّة والإنسانيّة الّتي يجب مراعاتها عند ممارسة هذا الحقّ، وهو ما يدعونا إلى البحث في الخطوط الفاصلة بين حريّة التّعبير واحترام خصوصيّات الغير ومقدّساته من نظرة إنسانيّة موضوعيّة متجرّدة.

إنّ ورقتنا البحثية هذه تهدف إلى الغوص في إشكاليّة أساسيّة تتلخّص حول كيفية التّوفيق بين ممارسة الفرد لحق من حقوقه الشّخصيّة -الثابتة له منذ الأزل- والمتمثلة في حريّة التّعبير وبين ضرورة احترام خصوصيّة الغير وعدم المساس بمقدّساته، وتهدف إلى بيان أنّ هذه الرّسوم لم تراع حدود ممارسة هذه الحريّة، خلافا لما قرّرته الشرائع السّماويّة ونصّت عليه المواثيق الدّوليّة.

لأجل ما تقدّم سنعرض لهذه المسألة على النّحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم حريّة التعبير.

المطلب الثاني: تقرير حرية التعبير في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية

---

[٤]- استشاري الطب النفسي، مصري حاصل على دكتوراه في الطب النفسي من كلية الطب جامعة الأزهر سنة ١٩٩٤، يشتغل حاليا منصب رئيس وحدة مستشفى الطب النفسي بالكويت، صدر له ٢٨ بحثا منشورا، إضافة إلى نشر ١٣ كتابا. (راجع بالتفصيل هذه الدراسة في الموقع الالكتروني: www. Ramztaha.net).

المطلب الثالث: ضوابط حريّة التّعبير.

المطلب الرابع: حرية التعبير والمقدّسات الدينيّة. (شخص النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نموذجا)

خاتمة (نتائج البحث).

## المطلب الأول

## مفهوم حريّة التعبير

تُعد حريّة التّعبير من الحريّات الأساسيّة اللّصيقة بشخص الإنسان، وهو حقّ يرتبط بآدميّة الإنسان ووجوده، وتمييزه بالعقل واللّسان عن سائر الموجودات، ويعكس فطرة الإنسان في التّواصل مع الغير وتنمية فكره عن طريق التّعبير عن مكنونات نفسه بمختلف الوسائل المتاحة.

كما أنّها ككلّ الحريّات والحقوق مهما كانت أهميّتها تتقيّد بضوابط معيّنة حتّى لا تعود ممارسة بعضها على بعض بالإلغاء، وحتّى لا تؤدّي نتيجة عكسيّة لما قُرّرت لأجله من الأهداف.

تُطلق كلمة حرّ في اللّغة للدلالة على معان مختلفة، فيقال الحرّ وهو خلاف العبد، وسُمّي كذلك لأنّه خَلُص من الرّق[٥]، والحرية الفعل الحسن، وحرة السحاب كثيرة المطر، والحرية الأرض اللّينة، والحرّ من العرب أشرافهم[٦]. فيتبين لنا أن معنى الحرية في الاستعمال الغوي تتّسع لتدلّ على الانطلاق، والفعل الخيّر والحسن، والعطاء الكثير، والشرف...

أمّا مفهوم الحريّة في الاصطلاح القانوني فقد اقتفى الباحثون أثر الإعلان الفرنسيّ لحقوق الإنسان والمواطن الصّادر عقب الثّورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م في تعريفهم للحريّة[٧] فقيل: إنّها القدرة على عمل كلّ شيء لا يضرّ بالآخرين[٨].

وعُرفت أيضا بأنّها "أن يقدّر المرء ما يجب أن يتقبله ويصبغ به سلوكه وحياته تقديرا نابعا عن داخله وغير مفروض عليه من أية قوة خارجية[٩].

وبالنّظر في هذه التعريفات السابقة للحرية في الفكر القانوني يمكن القول: إنها تتفق جميعا على اعتبارها "قدرة الشّخص على التّصرف بإرادته الخاصّة دون إكراه عليه من طرف الغير قصد تحقيق غرض مشروع ودون الإضرار بالآخرين".

---

٥- الفيومي. المصباح المنير في غريب الشرح للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج١ ص٩. وقد وردت اشتقاقات لفظ الحرية في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، منها الآية ١٧٨ سورة البقرة، والآية ٣٥ من سورة آل عمران.

٦- الفيروزآبادي. القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان. ج٢ ص ٧-٨.

٧- كمال محمد الصغير. الحرية الشخصية للمتهم في إطار نظام الشرعية الإجرائية، دراسة تحليلية تأصلية، رسالة دكتوراه في القانون، إشراف مأمون محمد سلامة، كلية الحقوق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣. ص٣.

٨- عبد الغني بسيوني. النظم السياسية، دراسة لنظرية الدولة والحكومة والحقوق والحريات في الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي. منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط ٤، ٢٠٠٢. ص ٣٨١.

٩- نعيم عطية. مساهمة في دراسة النظرية العامة للحريّات الفردية، رسالة دكتوراه، إشراف محمد فؤاد مهنا، كلية الحقوق، القاهرة، مصر، ١٩٦٣-١٩٦٤. ص ٢٦.

والحقيقة أنه يعسر إعطاء تعريف دقيق للحرية، لأن مفهومها يتسع ويضيق، ويتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأنظمة، ويتعدد بتعدد المرجعيات والإيديولوجيات والبيئة التي تنشأ فيها، لذلك قال مونتسيكيو: "لا توجد كلمة لقيت أكثر من معنى مختلف مما لقيته كلمة الحرية"[١٠].

أمّا مفهوم الحرية في الاصطلاح الشرعي، فإن مصطلح الحرية بالمعنى المقصود حديثا لا يوجد إلا عند المحدثين من علماء الإسلام، في محاولة منهم لبيان مفهومها[١١].

من ذلك ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في تعريفه للحريّة بأنّها "عمل الإنسان ما يقدر على عمله حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره)[١٢].

كما عرفها وهبة الزحيلي بقوله: "هي ما يميز الإنسان عن غيره ويتمكن بها عن ممارسته أفعاله وأقواله وتصرفاته بإرادة واختيار، من غير قصر ولا إكراه، ولكن ضمن حدود معينة)[١٣].

وبالفعل فالحرية هي الّتي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، غير أن حريته نسبية وليست مطلقة، حيث ترد عليها قيود من أظهرها عدم الإضرار بالغير.

وممّا سبق يمكن القول أن الحرية في الفكر الإسلامي الحديث تعني "مكنة أو رخصة يسمح بها الشرع لممارسة حق من الحقوق، فينبغي على ذلك تفاوت المراكز بالنسبة للأشخاص في مسألة الحق، و تساويهم في المراكز إذا تعلق الأمر بالحرية"[١٤].

فيكون معنى حريّة التّعبير أن "يستطيع كل إنسان التّعبير عن آرائه وأفكاره للناس سواء كان ذلك بشخصه أم برسائله أم بوسائل النشر المختلفة، أم بواسطة الروايات التمثيلية أم الأفلام السينمائية ونحوها"[١٥].

وبهذا المعنى فإنّ حرية التّعبير تتّسع لتشمل مختلف الوسائل التي تعبر عن مكنونات النفس وما يدور في عقل الإنسان، ومحاولة ترجمته وإيصاله إلى الغير، سواء بالكلام أو الكتابة أو الرسم، أو النحت أو التمثيل....

---

[١٠]- أحمد فتحي سرور. الحماية الدستورية للحقوق والحريات، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ٢، ٢٠٠٠. ص ٥١.

[١١]- هذا الذي أشار إليه العلامة الطاهر بن عاشور –رحمه الله – في قوله: "فلفظ الحرية معنى حديث استعمله فيه المولّدون على وجه المجاز، فشاع شيوعا واسعا بين الناطقين بالعربية، ولا سيما بعد أن تُنوسيت أحوال الرق أو أوشكت على أن تُنسى منذ القرن الماضي، فكاد أن يضمحل إطلاق اسم الحرية على معناه الحقيقي" أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩. ص ١٦٠.

وعليه فاستخدام مصطلح الحرية في العصر الحديث للدلالة على نقيض الرق والعبودية -رغم أنه المعنى الحقيقي للفظة- لم يعد له جدوى، لزوال هذا النظام (الرق)، بل أصبح يُطلق ويقصد به معنى مجازي، وهو المعنى المراد من الحرية في العصر الحديث.

[١٢]- المصدر نفسه.

[١٣]- حق الحرية في العالم، دار الفكر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧. ص٣٩.

[١٤]- يُفرق بين الحق والحرية في كون الحق استئثارا لشخص بشيء، أما الحرية فهي رخصة مباحة للجميع، وكما قيل: "الفرق بين الحق والرخصة كالفرق بين الطريق الخاص والطريق العام" (انظر: حسن كيرة، أصول القانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ص ٥٦٤- ٥٦٥). فالطريق الخاص يقابل الحق والطريق العام يقابل الحرية.

[١٥]- حقّ الحريّة في العالم. ص٧٣.

ومن ثمّ يمكن القول أنّ حرية التعبير تعني "السماح لكل إنسان بالإدلاء بما يشغله من أفكار بمختلف الوسائل الشفهية أو الكتابية في مختلف المجالات والقضايا الخاصة والعامة من أجل تحقيق النفع العام".

والملاحظ أنّ حريّة التّعبير لم تحض بتعريف أكاديمي دقيق لها عند العلماء المسلمين، رغم الكثير من المحاولات التي كان أغلبها متأثرا بالتعريف القانوني، ورغم وجود أصول هذا الحق في الكثير من النصوص الشرعية، وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء رضوان الله عليهم.

وذلك في رأينا سببه تغييب هذا الحق عن ساحة العمل به بعد انقضاء عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة، فاستبعدت حرية التّعبير من نظام الحكم بعد انتشار الاستبداد السياسي في المجتمعات الإسلامية، واتباع سياسة تكميم الأفواه بحجة المحافظة على الأمن والاستقرار في الدولة، فلم تعد حرية التعبير منهجا للحياة ولا مرجعية لتسيير شؤون الفرد والدولة.

فانصرف المفكرون والباحثون في شؤون الدولة والحكم وقضايا حقوق الإنسان إلى البحث في فروع الفقه خاصة ما تعلق بجانب العبادات والمعاملات، فكثر التأليف هنا وقل هناك، فكان ذلك من الأسباب الواضحة التي حالت دون قيام علماء الشريعة بالبحث في مختلف المسائل السياسية والدستورية، ومنها حرية التعبير التي يتعلق جانب كبير منها بمواجهة السلطة العامة في الدولة.

## المطلب الثاني

## تقرير حرية التعبير في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية

تُعدّ حرية التّعبير من الحقوق الأصيلة للإنسان، حيث أثبتتها الشرائع السماوية وعلى رأسها الإسلام، وأقرتها المواثيق الدولية، ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٨.

فمن نصوص الشّريعة الإسلاميّة الّتي تؤسّس لحريّة التّعبير قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ"[١٦]، ذلك أنّ ممارسة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يتأتّى إلا من خلال التعبير وإبداء الرأي، فتكون ممارسة التعبير عن الرأي سمة خيريّة أمّة الإسلام في ميزان القرآن.

وهو ما أكدته الآية الكريمة في قوله تعالى: "الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور"[١٧].

[١٦]- سورة آل عمران، الآية ١١.

[١٧]- سورة الحج، الآية ٤٠-٤١.

كما أنّ -قوله صلى الله عليه وسلم- "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[١٨] يؤسّس لهذه الحريّة، ويرتفع بها من مجرّد الحقّ إلى الواجب.

ونخلص إلى القول أنّ حرية التعبير في الإسلام يجب أن ينظر إليها في إطار المفهوم العام للحرية، والتي تعني تحرير الإنسان من الولاء، أيا كان نوعه ومصدره، ومن العبوديّة أيّا كان نوعها، إلا ما تقتضيه عبادة الله، فيكون المسلم بذلك محررا من الولاء لغير شرع الله، فتكون بذلك الحرية مقيدة بضوابط الشرع وبمنهج الإسلام في التعبير عن الرأي، سواء من حيث الهدف أو الوسيلة، ولا تعني بأي حال من الأحوال الانفلات من القيود والضوابط، وهذا هو المفهوم الصحيح للحرية بشكل عام و منها حرية التعبير.

أما في المواثيق الدولية فنجد في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ م ما نصه: "لما كان الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصلية فيهم، ومن حقوق متساوية وثابتة، يشكل أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ولما كان تجاهل حقوق الإنسان و ازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال أثارت ببربريتها الضمير الإنساني، وكان البشر قد نادوا ببزوغ عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة والتحرر من الخوف والفاقة كأسمى ما ترنو إليه أنفسهم".

ونصت المادة ١٨ منه على أنه "لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين..."، ونصت المادة ١٩ منه على أنه "لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود).

أما حرية التعبير في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية[١٩] فقد ورد في ديباجته "إن الدول الأطراف في هذا العهد إذ ترى أن الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم، ومن حقوق متساوية وثابتة، يشكل وفقا للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، أساس الحرية والعدل والسلام في العالم".

ونصت المادة ١٨ منه على أنه "لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين..." ونصت مادته ١٩ الفقرة ٢ منه على أنه "لكل إنسان حق في حرية التعبير ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو أي قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها".

وما يلاحظ أن الحرية في الفكر الغربي ومنها حرية التعبير لم تعرفها تلك المجتمعات إلا بعد خوضها الثورات ضد حكامها، فعاشت فترة من القهر والاضطهاد خاصة في القرون الوسطى أين

---

[١٨]- رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. ح٤٩، ج١ ص٦٩.

[١٩]- عرض للتوقيع والمصادقة عليه في الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٦٦/١٢/١٦ وبدأ نفاذه والعمل به في ١٩٧٦/٠٣/٢٣ طبقا لمادته ٤٩.

سيطرت الكنيسة على الحياة السياسية حيث أجبرت الناس على اعتناق المسيحية وعلى تكميم الأفواه فضاقت معها حرية التعبير واختنقت، وعانت فترة من الزمن خاصة بعد تحالف الدولة مع الكنيسة باسم الحق الإلهي[٢٠].

وهكذا فإنّ حرية التعبير في الغرب بوجه عام لم تبزغ شمسها إلا بعد نضال كبير للشعوب الغربية خاصة في القرن السابع عشر بعد انتشار كتابات جان جاك روسو ومونتسيكيو وآدم سميث وغيرهم، متبنين في ذلك النزعة الفردية القائمة على أساس تقييم وتقدير الإنسان للمنفعة، فما يعتبره هذا الأخير نافعا ومفيدا فهو كذلك وما يراه ضارا فهو ضار.

وهكذا نجد أن حرية التعبير في الغرب في حقيقتها لم تتشكل إلا من كبت واضطهاد، فنادوا بضرورة التحرر من كل القيود والضوابط، خاصة الدينية منها، ناهيك عن غياب مرجعية موحدة يؤصلون عليها تلك الحرية ويحدون مجالاتها، فتعددت تلك الفلسفات والمذاهب العقائدية وتنوعت تبعا لتنوع الحياة السياسية والاقتصادية التي نادى بها المذهب الليبرالي[٢١].

وهكذا نجد أن حريّة التعبير، سواء في الشرائع السماوية أو في المواثيق الدولية حق مشروع للجميع دون تمييز بسبب الجنس أو اللون أو الدين، ناهيك عن اعتبار هذا الحق من الحقوق الأساسية للإنسان، إذ يرتبط مباشرة بالكرامة الإنسانية، لكونه يتعلق بحقوق المواطنة في ظل دولة القانون، التي تبني قوامها على الخيار الديمقراطي، وهذا لا يأتي إلا في رحاب الحرية.

## المطلب الثالث

## ضوابط حرية التعبير

من خلال ما سبق عرضه من حديث عن حرية التعبير في الفكر الإسلامي والغربي يتراءى لنا أن حرية التعبير في الإسلام مقيدة منذ تقرير الإسلام لها بضوابط الشرع وهذا التقييد مرتبط أساسا بتقيد المسلم في شتى شؤون حياته، ولعل أهم تلك الضوابط يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

**أوّلا**: وجوب ارتباط حريّة التّعبير بأهداف الشرائع السّماويّة.

إنّ أحكام الشرائع السّماويّة والقوانين البشرية مرتبطٌ وجودها بتحقيق مصالح العباد بما يصلح أمرهم، "فوضع الشّرائع إنّما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا"[٢٢]، وتعلقّ هذه المقاصد والأهداف بالإنسان أوّلا لكونه المكلّف بتلك الأحكام ابتداء.

---

[٢٠]- حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، مصر، ط؛ ٢٠٠٦. ص ٣٩-٤٠.

[٢١]- يتضح ذلك جليا في كتابات جون ستيوارت ميل في ذكره لمبادئ الفلسفة النفعية. (راجع تفصيلها: حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي. ص٦١).

[٢٢] الشّاطبي. **الموافقات في أصول الشّريعة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣.ج٢ ص٤.**

ولقد أضحت حريّة التّعبير من الحقائق المستقرّة ومن الثّوابت الّتي يجب أن توفّرها الدّول لمواطنيها، حيث يُعدّ ذلك من صميم وظيفتها، خاصّة بعد زيادة تدخّلها في مجال نشاط الأفراد وتحوّلها إلى وسيلة تعمل على حماية حرّيّات الفرد[٢٣].

"فالحقّ مفهوم محوريّ لدوران كثير من المفاهيم الأخرى حوله وارتكاز العديد من الأسس والنّظريّات"[٢٤]. فيعلو بذلك شأنه وتسمو غايته عن أيّة وثيقة يضعها البشر، لأنّه حقّ يكسب حصانته من ذاتيته، فلا تسقط عنه بإرادة الأفراد ولا بتنازلهم عنه ولا بإرادة المجتمع ممثّلا في مؤسّساته وسلطاته المختلفة[٢٥].

ولا يمكن لحريّة التّعبير أن تتحقّق بمعزل عن الحقوق الأخرى، لذلك حرصت الشرائع السّماوية منذ البدء في تقريرها لمنظومة الحقوق والحرّيّات أن تربطه بمقاصد الشّرائع وأهدافها وتنزله منزلة الضّروريات، وهذه النّظرة المتكاملة ينادي بها اليوم الكتّاب والباحثون في هذا المجال على أساس أنّ حريّة التّعبير يجب أن تحيط بكلّ النّشاط الإنساني.

**ثانيا**: ضرورة تقيّد حريّة التّعبير بعدم المساس بمصلحة الجماعة.

رغم اعتراف الشّرائع منذ الوهلة الأولى للفرد بشخصيّته المستقلّة عن بني جنسه من خلال تعلّق المسؤوليّة بكلّ فرد في المجتمع في إطار الدّائرة الّتي يشغلها، والّتي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:"وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا"[٢٦]، وأوضحها الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- جليّا في قوله:"كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته، الإمام راع ومسؤول عن رعيّته"[٢٧].

إلاّ أنّ هذه الاستقلاليّة ليست مطلقة، فما من حقّ تثبته الشّرائع للفرد إلاّ ويتعلّق به حقّ الجماعة، حتّى ولو غلب الأوّل على الثّاني في بعض الأحيان، فحريّة التّعبير بالنّسبة للفرد يرتبط وجودها أساسا باحترام حقّ الجماعة أيضا، لأنّ الفرد عنصر في المجتمع، ولا يمكن أن يعيش بمعزل عنه كما يقول ابن خلدون: "فالاجتماع الإنسانيّ ضروريّ"[٢٨].

---

[٢٣] سمير محمّد عبد المقصود هندي. **الاشتباه وحرّيّة المواطن بين الفقه الإسلاميّ والقانون الوضعيّ**. رسالة دكتوراه، كلّيّة الحقوق، عين شمس، مصر. إشراف نبيل مدحت سالم وعبد المجيد محمود مطلوب، ١٩٩٢م. ص٥٢.

[٢٤] عصام أنس الزّفتاوي. **مفهوم الحقّ في الإسلام**. مقال نشر بالموقع الإلكتروني:http :examanas.googlepages.com بتاريخ: ٢٠٠٩/٠١/١٠.

[٢٥] حسن محمّد ربيع. **حماية حقوق الإنسان والوسائل المستحدثة للتحقيق الجنائي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، مصر**، ١٩٨٥. ص١٨.

[٢٦] سورة الإسراء.

[٢٧] أخرجه البخاريّ عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه- (انظر: **صحيح البخاريّ**. كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن. حديث رقم ٨٨٢. ج٣ ص٣٦).

[٢٨] **المقدّمة**. دار الرّائد العربيّ، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢. ص٤١.

وهذه الثّنائيّة يمكن تحقيقها دون أن تطغى إحداهما على الأخرى، ويظهر تحقيق هذا التّوازن بين حريّة الفرد في التّعبير ومصلحة الجماعة من خلال تقسيم علماء الأصول للحقّ في الإسلام والدّائر أساسا بين حقّ الله (حقّ الجماعة) وحقّ العبد.

وهو الموضّح في الحديث النبوي الشهير في قوله –صلى الله عليه وسلم-: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استَهَمُوا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الّذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"[٢٩].

فهذه النّصوص وغيرها تظهر لنا ذلك التّفاعل بين الفرد والجماعة في المجتمع المسلم، فمهما علا شأن الفرد لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن الجماعة، وكذا حقيقة هذه الأخيرة مجموعة من الأفراد.

وهذا التّفاعل وهذا الارتباط يبرز لنا ذلك التّلازم بين كلمتي "الحقّ" و"الواجب" في الإسلام، فتكون الواجبات ضروريّة لممارسة الحقوق[٣٠].

وتوفير حريّة التّعبير لا تكون إلاّ من قِبَل الغير، متمثّلا في باقي الأفراد (الجماعة) والدّولة، وبالتّالي لا يجوز لهذه الأخيرة أن تصادر هذه الحريّة بحجّة حماية المصلحة العامّة ما عدا في حالات ضيّقة جدّا.

على أن أشير إلى مسألة في غاية الأهمّيّة، وهي أنّ حريّة التّعبير موجودة مع الإنسان حين وهبه الله تعالى عقلا ولسانا، وعليه فلا تملك الدّولة حقّ هبة هذه الحريّة، وليس لها سلبها، وتدخّلها في ذلك يكون بقدر تحقيق المصلحة العامّة، بحيث لا يؤدّي تمتّع الفرد بذلك الحقّ إلى إلحاق الضّرر بالآخرين[٣١].

وفي المقابل يجب على الفرد أن يكون مطيعا للجماعة (الدّولة) في إطار إقامة هذه الأخيرة للقوانين حتّى تتمكّن من تحقيق أمنها والاستقرار في علاقاتها مع أفرادها في الدّاخل، ومع غيرها من الدّول.

بل إنّ واجب الجماعة (الدّولة) أن توفّر حريّة التّعبير لأفرادها وتعمل على تمكينهم منها، كما تطالب بحمايتها والضّرب على أيدي المنتهكين لها.

---

[٢٩] رواه البخاريّ عن النّعمان بن بشير –رضي الله عنهما- (انظر: **صحيح البخاري**.كتاب الشّركة، باب هل يقرع في القسمة. حديث رقم ٢٤٥٠، ج٥ ص٤٢٩).

[٣٠] أحمد الرّشيديّ، عدنان السيد حسن، **حقوق الإنسان في الوطن العربيّ**، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢. ص١٠٣.

[٣١] فتحي الدّريني. **الحقّ ومدى سلطان الدولة في تقييده**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤. ص٧٣.

**ثالثا:** وجوب تحدّد حريّة التّعبير بالحقوق الأساسيّة الأخرى.

إذا كانت حريّة التّعبير يُنظر إليها على أساس أنّها حقّ الفرد والمجموعات في الإدلاء بما يعتقدونه ويتصورونه، فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنّ هذا الحقّ مبتور الصّلة بغيره من الحقوق الأخرى كالحقّ في حماية المقدسات، وحماية أعراض النّاس وخصوصياتهم، والحقّ في الرّدّ والتّوضيح.

وبغضّ النّظر على تلك العقبات الّتي تعترض عالميّة حقوق الإنسان خاصّة في بعض موادّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[٣٢] فإنّ حريّة التّعبير تبقى من الحقوق العالميّة الّتي أكّدت نصوصه على ضرورة توفّره لكلّ شخص في العالم بغضّ النّظر عن جنسه وهويّته، وبالتّالي فإنّه لا تطاله النّسبيّة المتعلّقة بحقوق الإنسان عامّة.

ذلك أنّ حرية التّعبير بمفهومها الواسع تمتدّ لتشمل كلّ أفراد المجتمع، إذ يجب أن يمنح كلّ واحد الحقّ في التّعبير، ممّا يعني وجوب أن يراعي كل واحد منهم خصوصية الآخر، إضافة إلى شّعورهم باحترام الدّولة كذلك لهذا الحق، فلا يُخشى من تعسّفها أو إجحافها في حقّ الأفراد جراء ممارستهم له[٣٣].

وهكذا يمكن القول أنّ توفير حريّة التّعبير لا يمكن أن تتحقّق وجودها في ظلّ غياب الحقوق الأخرى -خاصّة الشّخصيّة منها- سواء بمنع الاعتداء على الإنسان في نفسه وجسمه أو عرضه، أو بإذلاله وتحقيره، فحرّم السّبّ والقذف والشّتم.

كما أنّه حقّ عامّ لكلّ أفراد جنس الإنسان، مسلمه وكافره، لقوله –تصلى الله عليه وسلّم- :"من آذى ذمّيّا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"[٣٤]. ومعلوم أنّ المساس بخصوصيّة الآخر ومعتقداته ضرب من الأذى.

**رابعا:** لزوم تقيّد حريّة التّعبير بالغاية من إقرارها وعدم إطلاقها.

إنّ حريّة التّعبير لم تُشرّع لذاتها، وبالتّالي فهي ليست غاية في حدّ ذاته، بل وسيلة إلى تحقيق مصالح مشتركة بين الفرد والجماعة البشريّة على السّواء، فليس لصاحب الحقّ كامل الحرّيّة في أن يتصرّف فيها وفق هوى نفسه ونزواتها، فلا وجود للحرّيّة المطلقة أو الحقّ المطلق.

فإذا كان ليس للدولة أن تصادر حقّ الأفراد والجماعات في ممارسة هذه الحريّة، فلا يجوز لها أن تمنع الفرد من التعبير عن أرائه وامتلاك الوسائل التي تمكنه من ذلك وتبليغها ونشرها، كالكتابة والرسم والتمثيل...، فإنّه ليس للفرد كذلك أن يتصرّف في حقّه ذاك بكلّ إطلاق وحرّيّة، لأنّه مرهون بأن يمارس حريّته هم ذلك ويتمتّع بها في إطار عدم المساس بحرية الآخرين وخصوصياتهم، فمتى كان

---

[٣٢] راجع تفصيل هذه العقبات عند: قادري عبد العزيز. **حقوق الإنسان في القانون الدّوليّ والعلاقات الدّوليّة المحتويات والآليّات**، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٥م. ص٣٤-٥٠.

[٣٣] محمّد الشّربيني. **حقّ المواطن في الأمن**. ص٢٤٤.

[٣٤] البغداديّ أحمد بن علي أبو بكر الخطيب. **تاريخ بغداد**. دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان. ج٨ ص ٣٧٠. وذكر حديثا قبله ثمّ قال: "هاذان الحديثان منكران بهذا الإسناد".

مُلحقا لضرر ما بالجماعة وجب على السّلطة العامّة في الدّولة أن تتصدّى لذلك بالحظر والتّقييد، ولكن بقدر النّتيجة الّتي تتوخّى تحقيقها من خلال إجراءات المنع والتقييد[٣٥] وقصد تحقيق منفعة أعمّ ومصلحة أجدر بالحماية، كمنع الفرد من إذكاء نار الفتن بين الشعوب وترويج الدعايات المغرضة، والسب والقذف، والوشاية الكاذبة...

وهذا التّقييد مبني على أساس قاعدتي "الضّرورات تبيح المحظورات" و"الضّرورات تقدّر بقدرها"[٣٦]، ومنه أمكن للحاكم أن يضيّق الدّائرة على حريّة الفرد فيقيّده أو يحدّ منه، بل يمكنه إلغاؤه عند الضّرورة[٣٧].

ومبنيّ كذلك على فكرة نشوء الحقّ في الإسلام، حيث يعتبر منحة من الله تعالى للعبد، وبالتّالي ليس للممنوح أن يتصرّف فيه كيف يشاء ووفق ما يريد باسم الحريّة الشّخصيّة أو الحقّ المطلق، بل له أن يتمتّع بحقّ أمنه في إطار جملة الأوامر والنّواهي الّتي تضمّنتها أحكام الشّريعة الإسلاميّة والهادفة إلى تحقيق مصالح مشتركة للفرد والجماعة على السّواء.

وتقييد حريّة التّعبير في الشّريعة الإسلاميّة شأنه شأن مختلف الحقوق والحريّات الأخرى ما أدخل عليها التّقييد -أو كما يسميّه ابن عاشور التّحجير- إلاّ إذا حدث تعارض مع متعلّقاتها فيقول:"...ولم يدخل عليه [يعني على وصف الحريّة] التّحجير في أعماله إلاّ بتعارض متعلّقاتها مثل أن تتعلّق إرادته بفعل شيء يبتغيه. فتضيق حريّة أحدهما أو كليهما لا محالة ضيقا مبعّضا"[٣٨].

كما يشترط أن يكون هذا التّضييق (التّحجير) في ممارسة هذا الحقّ لأجل منفعة أرجح لـ"أنّ الحريّة خاطر غريزيّ في النّفوس البشريّة فيها نماء القوى الإنسانيّة...فلا يحقّ لها أن تسام بقيد إلاّ قيدا يدفع به عن صاحبها ضرّ ثابت أو يجلب به نفع..."[٣٩].

وهذا التّحجير في حريّة الإنسان بدأ مع خلق آدم -عليه السّلام- عندما أسكنه الله وحوّاء الجنّة، ومنعهما من الأكل من شجرة من أشجارها ثمّ تواصل تقييد حريّته بمختلف الأحكام الّتي تضمّنتها الشّريعة الإسلاميّة والقائمة على صلاح الفرد والمجتمع وتقرير الحقوق وتمييزها عن بعضها البعض[٤٠].ممّا يعني "أنّ الحريّة ولدت مع الإنسان ولكنّها ولدت مقيّدة من اللّحظة الأولى"[٤١].

---

[٣٥] نعيم عطيّة. **مساهمة في دراسة النّظريّة العامّة للحريّات الفرديّة.** ص٢٢٩-٢٣٠.

[٣٦] أحمد الزرقا. **شرح القواعد الفقهيّة**. تقديم مصطفى أحمد الزّرقا وعبد الفتّاح أبو غدة، مراجعة وتصحيح عبد السّتّار أبو غدّة. دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ص١٣١-١٣٣.

[٣٧] حسن محمّد ربيع. **حماية حقوق الإنسان**...ص١٠٣.

[٣٨] **أصول النّظام الاجتماعي**... ص١٦٢.

[٣٩] الطّاهر بن عاشور. **أصول النّظام الاجتماعي**... ص١٦٣.

[٤٠] نفسه. ص١٦٢.

[٤١] أحمد الريسوني.**الحريّة في الإسلام أصالتها وأصولها**. مقال منشور بالموقع الإلكتروني www.raisouni.org. اطُّلع عليه بتاريخ ٢٠٠٩/٠٥/٢٠.

**خامسا**: الالتزام بالنزاهة والموضوعية.

إن ممارسة الإنسان لحرية التعبير يجب أن لا تفقده النزاهة والتحلي بالموضوعية، وذلك بالتزامه الصدق والأمانة، بعيدا عن الكذب وتزييف الحقائق، فيكون هدفه وهو يستخدم أية وسيلة من وسائل التعبير إحقاق الحق ونصرته لكافة الناس مسلمهم وكافرهم، ممتثلا في ذلك لقوله تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا[٤٢]،

وكذلك مصداقا لقوله صلى الله عليه و سلم: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[٤٣].

## المطلب الرابع:
## حرية التّعبير والمقدّسات الدينيّة
## (شخص النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نموذجاً)

تُعتبر المقدسات الدينية من الأمور التي لا يُقبَل المساس بها أو التعدي عليها في سائر الديانات، وقد كفلت لها القوانين والتشريعات حماية خاصة.

لا يمثل الدّين مجرد قناعة فكريّة تختلف فيها الآراء وتتمايز المذاهب، بل إنه في الحقيقة حاجة فطرية، لا ينكرها إلا من يناقض فطرته، ويجادل جبلته، يقول المؤرخ الإغريقي (بلوتاك): "قد تجد في التاريخ مدنًا بلا أسوار ومدنًا بلا ملوك ومدنًا بلا ثروات ومدنًا بلا مسارح، ولكنك لن تجد مدينة بلا معبد أو بلا ديانة".

كما أن الإيمان بمسائل الدين إجابة للتساؤلات الخالدة التي ارتبطت بوجود الإنسان وفكره، ولا يمكن لغير الإيمان أن يشبع الاحتياجات الفكرية والنفسية للبشر، ولهذا فإنهم إذا لم يُهدوا أو يهتدوا للإيمان الحق اختلقوا لأنفسهم اعتقادات ومقدسات يملأون بها حاجاتهم.

من هنا كان احترام المقدس احترام لحاجة الإنسان الفطرية، وتسليما بتمسكه بما يدين به تجاهها. ولأجل إقامة الفطرة السليمة وإشباع حاجة التدين بعث الله الأنبياء لإبلاغ الدين الصحيح للناس، ويعلموهم بمسائل الغيب الخافية عن إدراكاتهم، حتى لا يضلوا في متاهات الكفر والإلحاد. وسواء أكان الدين متوارثًا عن الآباء والأجداد أم مختارا من معتنقه فإنه يتحول إلى مقدس، وهو ما يسري على رموزه وطقوسه، ولو اشتملت على دروب من الأساطير والمتناقضات.

---

[٤٢]- سورة المائدة، الآية ٨.

[٤٣]- انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤١٢، ج ١٦ ص ٢٤١.

ولقد كان من أعظم هدي الشريعة الإسلامية التي ندين الله بها أنها دعت إلى احترام مقدسات الغير وعدم الاستخفاف بها، أيا كان منزعها، ذلك أن الانتقاص منها وتسفيه أصحابها والمساس برموزها دعوة للصراع وإشعال نار الفتن بين متبعيها، وهو منهي عنه بنص الآية الكريمة "وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"[٤٤]، ذلك أن التّعرّض لمقدسات الغير من طرف المسلم مجلبة للتّعرض إلى مقدسات الإسلام، بل وسبّ الله تعالى كما وضحته الآية.

بل إن الآية بذلك تضمنت نهيا عظيما عن التعرض لمقدسات الغير بالنظر إلى النتيجة الخطيرة التي حذّر الله منها، والتي لا يمكن للمؤمن أن يقبل بها.

كما أنّها وجّهت المسلم إلى مجادلة المخالف في الدّين بما قد يرغّبه في اعتناق الإسلام والإيمان به، وذلك لا يكون البتة بالسب والشتم، لأن ذلك سيزيد المعتنق للضلال نفورا وابتعادا.

ناهيك عن كون السّب وسيلة من لا وسيلة له، ومن لا يملك على دينه حجّة ودليلا، وهو ما لا يتناسب مع عقيدة الإسلام المؤسسة على النظر والتعقّل والاقتناع.

ولقد حرص الإسلام على تعليم معتنقيه احترام وتقديس شعائر الله، قال تعالى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"، كما علمهم حبها وحب رسوله مقترنة جميعها بحب الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين".

وقد ألزم المؤمنين بالأدب مع رسوله –صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول" وقوله: "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا"، كما حذر من إيذاء النبي –صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: "وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا أن ذلكم كان عند الله عظيما". وقرن إيذاءه بإيذائه في قوله تعالى: "إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا"، فقد جعل عاقبة الذين يؤذون رسوله اللعنة والعذاب الأليم، ولما كان الاستهزاء ضرب من الأذى البالغ فقد بيّن عاقبة المستهزئين برسله في قوله تعالى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون".

مما تقدم يتبين أن احترام المقدسات واجب ديني، وأن تقديس واحترام الأنبياء عامة، والرسول محمد –صلى الله عليه وسلم- خاصة من أوكد واجبات الإسلام.

كما تبين أن كل أشكال الإيذاء للأنبياء والاستهزاء بهم هو من أشنع الجرائم التي يقدم عليها المعارضون، بله المتبعون.

---

[٤٤]- سورة الأنعام ، الآية ١٠٨.

ومعنى هذا أنه لا يجوز التذرع بحرية التعبير من طرف المسلم لكي يمس بقداسة الأنبياء – صلوات الله عليهم جميعا-، على اعتبار أنهم من أقدس المقدسات كما دلت على ذلك النصوص.

كما أنه مدعو إلى أن يجتمع مع غير المسلمين من أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى على كلمة سواء مضمونها احترام المقدسات التي أجمعت عليها الأديان، ومن أظهرها أنبياء الله تعالى، ما اتفق عليه منهم وما لم يُتفق عليه، خوفا من مظنة اتخاذ الخلاف مطية للمساس ببعضهم.

وهو مدعو أيضا إلى أن ينخرط باعتباره فردا أو جماعة أو دولة في كل ما يؤسّس لاحترام هذه المقدسات، وينضم لكل أشكال الاتفاقيات الدولية التي يكون مضمونها وهدفها تمكين احترام المقدسات.

**خاتمة (نتائج البحث):**

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى تسجيل النتائج الآتية:

١. ضرورة السعي نحو وضع مفهوم موحد لحرية التعبير بين الثقافات والشعوب.

٢. ضرورة السعي نحو الاتفاق على ضوابط محددة لممارسة حرية التعبير وفق قيم أخلاقية وإنسانية، تتضمن أساسا احترام المقدسات الدينية.

٣. ضرورة السعي نحو عقد اتفاقيات دولية تؤسّس لمبدأ احترام المقدسات الدينية.

٤. ضرورة الاستمرار في مسعى الحوار بين الحضارات والأديان، لما لذلك من أثر في تحديد قواسم فكرية مشتركة تتركز أساسا على احترام المقدسات والرموز الدينية.



# المنهج الشرعي في الرد على المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم

**د. ريم بنت عبدالمحسن بن محمد السويلم**
أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
المملكة العربية السعودية/الرياض



## المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته، وهذا الحبُّ العميق الدقيق ليس حباً إدعائياً، ولا عاطفة مجردة، ولكنه حب برهانه الاتباع والطاعة والانقياد والاستسلام.

كما أن من الواجب على أهل الإسلام في ظل الهجمات الشرسة على الإسلام ونبي الإسلام؛ أن يتحلّوا باليقظة والوعي لما يتعرّض له الإسلام والمسلمون من تهديدات ومخاطر، وأن لا يستجيبوا لاستفزازات المتعصبين، ولتكن مواقفهم محسوبة، مع حُسن تقدير للعواقب، كما يجب التآزر والتعاون في التصدي لهذه الحملات المغرضة الجائرة، وأن يبذلوا كل جهدٍ ممكن وإمكانات متوفرة من أجل دحض هذه الافتراءات وكشف زيفها وكذبها. متبعين بذلك المنهج الشرعي.

ومن هنا جاء هذا البحث ليجلي المنهج الصحيح المستقى من الكتاب والسنة للتصدي والرد على المستهزئين بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

## المبحث الأول

## مفهوم الاستهزاء وأنواعه وحكمه

### المطلب الأول: الاستهزاء في اللغة والاصطلاح

١. **الاستهزاء لغة :**

قال ابن فارس[(١)]: الهاء والزاء والهمزة كلمة واحدة. يقال:هَزِئَ واستهزَأَ، إذا سَخِرَ. والهُزْءُ والهُزُؤُ: السُّخْرِيةُ، هُزِئَ به ومنه وهَزَأَ يَهْزَأُ فيهما سَخِرَ[(٢)].

٢. **الاستهزاء اصطلاحاً:**

قال الطبري[(٣)]: معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهارُ المستهزِئ للمستهزئ به من القول والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قِيله وفِعْله به مُورِثه مَساءة باطنًا . وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر.

قال الغزالي[(٤)]: في معرض حديثه عن السخرية والاستهزاء : ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة.

ونقلها عنه الألوسي[(٥)] معرفاً بها الاستهزاء.

### المطلب الثاني:أنواع الاستهزاء التي تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم:

**القسم الأول: من صور الاستهزاء التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة من قبل مشركي قريش:**

**أولاً: التهكم بنبوته:**

أما استهزاؤهم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم رغم اعترافهم بصدقه صلى الله عليه وسلم وأمانته وغاية صلاحه وتقواه، إلا أنهم كانوا يلمزون أمر نبوته بوجوه متعددة:

**الأول: إثارة الاستغراب من كونه بشراً نبياً:** والرسول لا يكون بشرًا حسب اعتقادهم.

فلما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبوته، ودعا إلى الإيمان به تحيروا وقالوا : { مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ } [ الفرقان : ٧ ] ، وقالوا : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم بشر،و { مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ }[الأنعام:١٩]

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٥٢)

(٢) مختار الصحاح (ص: ٧٠٥)، لسان العرب (١/ ١٨٣)

(٣) تفسير الطبري (١/ ٣٠٣)

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ١٣١)

(٥) روح المعاني (١/ ١٥٨)

فجاء قولهم:{ مَالِ هَذَا الرَّسُولِ} أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ تهكما منهم واستهزاءا[٦].

**الثاني:الاستفهام الاستنكاري من اختيار الله له نبياً دون غيره من عظمائهم؟** فقالوا : ألم يجد الله لحمل رسالته إلا هذا اليتيم المسكين، ما كان الله ليترك كبار أهل مكة والطائف ويتخذ هذا المسكين رسولًا { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [ الزخرف : ٣١]، وكانوا يكررون استنكارهم الاستهزائي كلما رأوه على جهة التنقص والازدراء والاحتقار كما في قوله تعالى : {وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً} [ الفرقان :٤١] ففي قوله : {وإذا رأوك}دليل على تكرار ذلك عند كل رؤية له صلى الله عليه وسلم في الطرقات والأسواق وأمام الكعبة وغيرها[٧].

**الثالث: وصفهم له بالنبوة برغم عدم إيمانهم به** كما في قوله تعالى :{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [سورة الحجر:٧/٦] وتبدو السخرية في ندائهم :{ يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر} . .

فهم ينكرون الوحي والرسالة؛ ولكنهم يتهكمون على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويدل على سخريتهم منه بقية الآية حيث اتهموه بالجنون ، ثم طلبوا منه إتيان الملائكة للدلالة على صدقه..وفي هذا كله استخفاف وسوء أدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم.[٨]

**ثانياً: الاتهامات اللفظية والشتائم السفيهة:**

١. حيث رموا النبي صلى الله عليه وسلم **بالجنون** كما في قوله تعالى :{ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } [ الحجر: ٦ ] أي غير عاقل وإلا لما ادعيت النبوة. وفي قولهم هذا استهزاء ظاهر بالرسول صلى الله عليه وسلم[٩]

فطعنوا في عقل النبي – صلى الله عليه وسلم – و أكدوا وصفه بالجنون بحرفيّ توكيد؛ إن واللام، مبالغة في الاستخفاف والاستهزاء بمقامه الشريف [١٠] .

٢. ووصموه **بالسحر والكذب** { وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } [ص:٤] فبالرغم من معرفتهم حق المعرفة بصدقه صلى الله عليه وسلم وأمانته إلا أنهم اتهموه بالكذب والسحر تكبراً عن قبول الحق ولاتخاذ هذه التهم سلاحاً من أسلحة التهويش والتضليل وحرب الخداع لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق الذي يتمثل في هذه العقيدة؛ ويزلزل القيم الزائفة والأوضاع الباطلة[١١].

---

[٦] تفسير السعدي (ص: ٥٧٨)

[٧] يراجع : أيسر التفاسير لجابر الجزائري(٦١٧/٣)، الكشاف للزمخشري(٢٨٦/٣)، الرحيق المختوم (ص: ٦٣).

[٨] يراجع: البحر المحيط(٣٦٣/٥)، تفسير الرازي (٢٦٥٩) ، أضواء البيان(٢٥٣/٢)، تفسير القرطبي (٤/١٠)، في ظلال القرآن (٤٢٠/٤)، صفوة التفاسير(٥/٧).

[٩] أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٧٢)

[١٠] صفوة التفاسير، ( ٧ ، ٥) .

[١١] يراجع: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٤٤)، البحر المديد . (٦/ ٣٠٥)، في ظلال القرآن_(٦/ ٢٠٠)

٣. **تعييره بضد اسمه** فلا يسمونه باسمه الدال على المدح بل يعدلون إلى ضده فيقولون مذمم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ"[١٢]

٤. **الاستهزاء بأصحابه** من المستضعفين على جهة التنقص والازدراء حيث قالوا : هؤلاء جلساؤه {مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا } [ الأنعام : ٥٣ ] .

**ثالثاً: الاستهزاء بما جاء به من الحق:**

١. **استهزاؤهم بالإيمان بالبعث:**

يقول تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) [سورة سبأ : ٧] . فبالرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشهورا علما في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم، إلا أنهم عبروا عنه بلفظ (رجل) فنكروه وعرضوا عليهم الدلالة عليه، كما يدل على مجهول في أمر مجهول. وهم يقصدون بذلك الطنز والهزؤ والسخرية، فأخرجوه مخرج التحكي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي، متجاهلين به وبأمره[١٣].

٢. **الاستهزاء بالمعجزات البينة الواضحة:**

يقول تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ) [ سورة الصافات: ١٤ ] وقد بلغ الاستهزاء عند الكفار مبلغاً عظيماً ؛ حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بالمعجزة الواضحة البينة فيسخرون وذلك لأنهم ألفوا السخرية والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم - .[١٤]

**رابعاً: الاستهزاء والإيذاء الفعلي:**

فلم يقف استهزاء الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم عند حد الكلام فقط ، بل تجاوزوا الأمر إلى الفعل. فقد روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنه: قَالَ: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثُمَّ سَمَّى اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ عبد الله فَوَ اللَّهِ

---

[١٢] صحيح البخاري ( كتاب المناقب/ بَاب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث: ٣٥٣٣)

[١٣] الجامع لأحكام القرآن ،(١٤/ ٢٦٢)

[١٤] المقتطف من عيون التفاسير (٣٧١/٤)

لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً"[١٥]

وقد أكثروا من السخرية والاستهزاء وزادوا من الطعن والتضحيك شيئًا فشيئًا حتى أثر ذلك في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى : { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [ الحجر : ٩٧ ] ، ثم ثبته الله وأمره بما يذهب بهذا الضيق فقال : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [ الحجر : ٩٨، ٩٩ ] ، وقد أخبره من قبل أنه يكفيه هؤلاء المستهزئين حيث قال : { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ } [ الحجر : ٩٥، ٩٦ ] ، وأخبره أن فعلهم هذا سوف ينقلب وبالًا عليهم فقال : { وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ} [الأنعام: ١٠][١٦].

**القسم الثاني: من صور الاستهزاء التي تعرض لها في المدينة من قبل اليهود والمنافقين.**

**أولاً: الاستعلام على سبيل الاستهزاء والتنقص**

قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ) [سورة محمد : ١٦]

حيث كان المنافقون يحضرون عند النبي عليه السلام فيسمعون كلامه وتلاوته فإذا خرجوا قال بعضهم لمن شاء من المؤمنين الذين علموا وانتفعوا "ما ذا قال آنفا" يعني ما الذي قال الساعة؟ على طريقة الاستهزاء والاستخفاف وإن كان بصورة الاستعلام[١٧] .

وسؤالهم ذاك بعد استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم والاستماع معناه السماع باهتمام يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهراً بأنهم يلقون سمعهم وبالهم للرسول صلى الله عليه وسلم وقلوبهم لاهية غافلة و مطموسة مغلقة . كما أنه قد يدل من جانب آخر على الغمز الخفي اللئيم إذ يريدون أن يقولوا بسؤالهم هذا لأهل العلم : إن ما يقوله محمد لا يفهم ، أو لا يعني شيئاً يفهم. فهاهم أولاء مع استماعهم له، لا يجدون له فحوى ولا يمسكون منه بشيء! كذلك قد يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه - كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم مع كل كلمة يتلفظ بها الرسول الكريم فهم يسألونهم أن يعيدوا ألفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة أو الخفية..وكلها احتمالات تدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين.[١٨]

---

[١٥] ) رواه البخاري في كتاب الصلاة ، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، حديث ٤٩٨.

[١٦] الرحيق المختوم (ص: ٦٣)

[١٧] يراجع: البحر المديد . (٧/ ١٦٢) المحرر الوجيز (٥/ ١٠١) الوجيز للواحدي (ص: ١٠٠٢) تفسير الطبري (١٦٩/٢٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٨) روح المعاني (٢٦/ ٥٠) أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٧٩)

[١٨] في ظلال القرآن (٦/ ٤٤٧)

**ثانياً: التندر والسخرية من شخص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه**

عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول: "يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب!"، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:( ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)[١٩]. [سورة التوبة: ٦٥، ٦٦].

**ثالثاً: الإساءات اللفظية :**

ومن أمثلتها سلام اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ السام ويعنون به الموت فعن عائشة -رضي الله عنها-: أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ[٢٠] عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ.

قَالَ: ((مَهْلاً يَا عَائِشَةُ! عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ)).

قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا!!

قَالَ: ((أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ))[٢١].

**القسم الثالث: من صور الاستهزاء التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم في زمننا المعاصر:**

لقد تبجح المستهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحاضر بألوان وصور من الاستهزاء ولنا أن نقسمهم إلى قسمين :

١. المنتسبون للإسلام
٢. الكفار من أهل الذمة والعهد

فأما **القسم الأول**: فهم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وهم أخطر على ديننا من أعدائه الأصليين ، وقد استخدموا في استهزائهم ألواناً مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[١٩] أخرجه الطبري في جامع البيان في تفسير القرآن- سورة التوبة - القول في تأويل قوله تعالى :ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا -(١٤/ ٣٣٣)، الأثر: ١٦٩١٢ قال أحمد شاكر: وهو صحيح الإسناد.

[٢٠] السام: الموت. (غريب الحديث، لابن قتيبة ٣٥٧/١ ، تهذيب اللغة ٧٦/١٣ ، غريب الحديث، لابن الجوزي ٥٠٩/١ ، مادة س م).

[٢١] متفق عليه، أخرجه البخاري -واللفظ له- (كتاب الدعوات/ باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا))، حديث: ٦٤٠١ ، وهذا لفظه، كتاب الأدب/ باب: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، حديث: ٦٠٣٠ به، باب: الرفق في الأمر كله، حديث: ٦٠٢٤ ، كتاب الجهاد والسير/ باب: الدعاء على المشركين، حديث: ٢٩٣٥ ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب: إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث: ٦٩٢٧ ، جميعها بألفاظ مقاربة).ومسلم (كتاب السلام/ حديث: ٢١٦٥/ ١٠ - ١١) بلفظ مقارب.

- **الشعر الحداثي** – إن صح تسميته بشعر- فقد وقع بعض شعراء الحداثة فريسة للأفكار الإباحية الكفرية التي استوردت من مذاهب أدبية غربية وشرقية كافرة.
- **الكاريكاتير الساخر** بتصوير صور هزلية ترمز للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه استهزاء به ومن أمثلته كاريكاتير (محمد أفندي جوز التسعة)[٢٢]
- **المقالات المنتقصة** لقدر النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء من سنته كمن شكك في حديث الذبابة لعدم موافقته للذوق العام، أو حديث "ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" ومنافاته لواقع العصر من تمكين المرأة. وكذا حديث أبوال الإبل حيث جعلها الكاتب ضد الفطرة السليمة.
- **الخواطر** التي فيها امتهان للجناب النبوي و تبثها وسائل الاتصال الحديثة كتويتر وغيره

**القسم الثاني:** وهم المستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم من الكفار من أهل الذمة والعهد..

وقد تنوعت إساءاتهم واستهزاءهم بالجناب النبوي اذكر منها:

- **الكاريكاتير:** ومنه الكاريكاتير الدانماركي الساخر والذي يصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة رجل بدوي بشع المنظر ومن ورائه إحدى عشرة امرأة.، وكذا الكاريكاتير الفرنسي الذي يصور يهودي يقود النبيصلى الله عليه وسلم على كرسي عجلات.
- **الأفلام التمثيلية**: ومن أمثلتها الفيلم الأمريكي الساخر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، الذي صدر في عام ٢٠١٢م
- **كتابات المستشرقين**: المشككة بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث وصف بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمصروع.

**المطلب الثالث:حكم الاستهزاء بالرسول** صلى الله عليه وسلم

الاستهزاء خُلق من أخلاق أعداء الله ، تخلق به الكفار والمشركون ، وتخلق به المنافقون الذين احترقت أحشاؤهم على دين الله وأهله . ولذلك كشف الله تعالى هذا الخُلُقَ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ووردت آيات كثيرة في كتاب الله تبين موقف الأنبياء والرسل من هذا الخلق الرديء وأصحابه ، بل صرحت هذه الآيات بكفر هؤلاء الهازلين المستهزئين [٢٣] .

وقد انعقد إجماع العلماء رحمهم الله في الماضي والحاضر على أن الاستهزاء بالله وبدينه وبرسوله كفر بواح، يخرج من الملة بالكلية

- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر،

---

[٢٢]واقعنا المعاصر ص: ٣٥٨

[٢٣] الاستهزاء بالدين وأهله كتبه :محمد بن سعيد بن سالم القحطاني

يكفر به صاحبه بعد إيمانه»[٢٤].

- قال ابن قدامة المقدسي: رحمه الله تعالى: «من سبَّ الله تعالى كفر، سواءً كان مازحًا أو جادًا، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه، قال الله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** [التوبة: ٦٥، ٦٦] وينبغي أن لا يُكتفى من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام حتى يؤدَّب أدبًا يزجره عن ذلك»[٢٥].

- ونقل القرطبي [٢٦] رحمه الله عن القاضي ابن العربي وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قوله : لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جاداً أو هزلاً ، وهو كيفما كان كفر ، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة ، فإن التحقيق أخو العلم والحق ، والهزل أخو الباطل والجهل .

- وقال القاضي عياض[٢٧] : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشئ على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل، ولا يمترى فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا.

- وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باباً في كتابه التوحيد عنونه بقوله: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول أي فقد كفر[٢٨].

**هذا حكم المسلم فأما الذمي فما حكمه إذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟**

- قال القاضي عياض[٢٩]: (إذا صرح الذمي بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذى كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو

---

[٢٤] الفتاوى (٢٧٣/٧).

[٢٥] المغنى (١١٣/١٠).

[٢٦] الجامع لأحكام القرآن( ٣٩٧/٨ )

[٢٧] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١٤)

[٢٨] كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد ص ٥٢٠ تحقيق : الأرناؤوط سنة ١٤٠٢هـ دار البيان

[٢٩] الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٦٢)

العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري واتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعذر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى: {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ } [سورة التوبة :١٢] ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون لكفرهم).

- قال القرطبي في التفسير[٣٠]: من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلا ورأسا في الكفر، فهو من أئمة الكفر على هذا.. وقال أيضاً : واستدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين؛ إذ هو كافر.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣١]: (فأما الذمي فيجب التفريق بين مجرد كفره به وبين سبه فإن كفره به لا ينقض العهد ولا يبيح دم المعاهد بالاتفاق لأنا صالحناهم على هذا وأما سبه له فإنه ينقض العهد ويوجب القتل).

قال القاضي أبو يعلى: "عقد الأمان يوجب إقرارهم على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لا على شتمهم وسبهم له".

والآثار عن الصحابة والتابعين والفقهاء مثل مالك وأحمد وسائر الفقهاء القائلين بذلك كلها مطلقة في من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو معاهد فإنه يقتل ولم يفصلوا بين شتم وشتم ولا بين أن يكرر الشتم أو لا يكرره أو يظهره أو لا يظهره وأعني بقولي لا يظهره: أن لا يتكلم به في ملأ من المسلمين وإلا فالحد لا يقام عليه حتى يشهد مسلمان أنهما سمعاه يشتمه أو حتى يقر بالشتم وكونه يشتمه بحيث يسمعه المسلمون إظهارا له اللهم إلا أن يفرض أنه شتمه في بيته خاليا فسمعه جيرانه المسلمون أو من استرق السمع منهم.

قال مالك وأحمد: "كل من شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقصه مسلما كان أو كافرا فإنه يقتل ولا يستتاب" فنصا على أن الكافر يجب قتله بتنقصه له كما يقتل بشتمه وكما يقتل المسلم بذلك وكذلك أطلق سائر أصحابنا أن سب النبي صلى الله عليه وسلم من الذمي يوجب القتل).

---

[٣٠] تفسير القرطبي (٨/ ٨٤)

[٣١] الصارم المسلول على شاتم الرسول ص (٥٣٢)

## المبحث الثاني

## منهج الرد على المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم

### المطلب الأول: الرد على المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم بين الإفراط والتفريط.

إبان الهجمات الشرسة على جناب النبي صلى الله عليه وسلم في وقتنا الحاضر من الداخل والخارج جعلت ردود أفعال المسلمين تنقسم إلى ثلاثة أقسام: وسط وطرفا نقيض.

أما **الوسط** فهم من اتخذ المنهج الشرعي في ردهم على المستهزئين ، -وهم محور المطلب الثاني من هذا المبحث- وأما الطرفان النقيضان ، **فالأول**: مُفَرِّط متهاون لم تتحرك غيرته على دين الله حين أُستهزيء برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بجنابه، بل وزاد ذلك بالتبرير لفعلة المستهزيء، فإن كان مسلماً لمس له عذر الجهل ، أو صغر السن، أو فسر كلامه وأَوَّله، واتهم من نقمه بالتعنت والتشدد واتهام النيات،..وإن كان المستهزيء معاهداً نافح عنه بدعوى حرية الرأي والفكر، وأن لبلادهم وضع مختلف، فالحرية الإعلامية لديهم مطلقة، ولو انتقدوا حكامهم ورؤساءهم، بل وحتى أنبياءهم علانية!!

ولا شك أن هذا رأي ظاهره النفاق الذي لا يقيم للدين وزن ولا ثقل، ولا يعظم حرمات الله.. وقد نزلت الآيات في تكفير المستهزيء دون النظر لمقصده ونيته كما سلف في سورة التوبة.

وأما دعوى الحرية المزعومة فهي دعوى باطلة إذ لا يوجد في الدنيا ولا سائر الشرائع حرية مطلقة يؤمن بها بشر، بل وحتى المدعون للحرية تجدهم قد سنوا قوانين ووضعوا العقوبات لتجاوزها، واعتبروا الحرية مفهومهم الذي وضعوه، وما عداهم اعتبروه إرهاباً!!

**وأما الطرف الثاني**: فهو على النقيض تماماً مما ذكرنا، حيث أفرط في عدائه حتى تجاوز الحد الشرعي، وانفلتت مشاعره واضطربت انفعالاته، ولم يحتكم إلى كتاب وسنة ،أو رأي عالم معتبر، فاندفع إلى إيذاء من ليس له ذنب في ذلك؛ فإن كان المستهزيء من المسلمين؛ تعدى على أهل بيته، وإخوانه، وأقاربه.. بل وكل معارفه وأصدقائه، وهم برءاء من فعلة صاحبهم!!

وإن كان المستهزيء من المعاهدين، عمد إلى التحريق والتخريب للسفارات في الدول، أو تهديد المستهزيء بالقتل بشكل شخصي، أو ايذاء رفقته وصحبه.. دون تقدير للمصالح والمفاسد،

ولاشك أن دين الاسلام هو دين العدل لا يجيز أن يؤخذ أحد بجريرة أحد والله عز وجل يقول:**{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }** [سورة الأنعام :١٦٤]

ومن هنا وجب تحرير الموقف الشرعي الوسطي في هذه المسألة.

### المطلب الثاني: المنهج الوسطي في الرد على المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء الكتاب والسنة.

إن التهاون في الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان، أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته فهو

كاذب في دعواه، إذ لو كان صادقاً لانتصر له، قال محمد بن المرتضى[(٣٢)]: (المحامي عن السنة الذاب عن حماها كالمجاهد في سبيل الله تعالى يعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة كما قال الله سبحانه: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ } [سورة الأنفال :٦٠] وقد ثبت في الصحيح[(٣٣)] أن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله في أشعاره فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده إيمانا به وحبا ونصحا له..)

ويجب التنبه أن الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم واجب شرعي في عنق كل مسلم لذا فهو مؤطر بالأطر الشرعية التي تحتكم إلى الكتاب والسنة وما دلا عليه مما فهمه العلماء الراسخون، من مقاصدهما ودلالاتهما، والمتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهديه في التعامل مع المستهزيء يجد أنه قد تنوعت طريقته صلى الله عليه وسلم في الرد عليهم باختلاف أحوال الدولة الإسلامية قوة وضعفاً.

فهذا كعب بن الأشرف قد استمر في أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وتشجيع قريش لمحاربة المسلمين، واستغوائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قام بجرائم كثيرة، وخيانات عديدة وإساءات متعددة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين والمسلمات القانتات العابدات، وكل جريمة من هذه الجرائم تعد نقضًا للعهد تستوجب عقوبة القتل، فكيف إذا اجتمعت هذه الجرائم كلها في هذا اليهودي الشرير؟

إن ابن الأشرف بهجائه للنبي صلى الله عليه وسلم وإظهاره التعاطف مع أعداء المسلمين ورثاء قتلاهم وتحريضهم على المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محاربًا مهدور الدم، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وقد فصل البخاري خبر مقتله، فقد روى في صحيحه[(٣٤)] بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله» فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»...الحديث.

إن في مقتل كعب بن الأشرف دروسًا وعبرًا وفوائد في فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع خصوم الإسلام والدولة الإسلامية، فقد اتضح أن عقوبة الناقض للعهد القتل، وهذا ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم، وعقوبة المعاهد الذي يشتم الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤذيه بهجاء أو غيره هي القتل، وهذا ما كان لابن الأشرف، ويؤخذ من هذا أن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٣٢) إيثار الحق على الخلق (ص: ٢٤)

(٣٣) متفق عليه :أخرجه البخاري(كتاب المغازي/ باب حديث الإفك حديث:٣٩١٤) ، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة/ حديث ٢٤٨٧) عَنْ عروة بن الزبير قَالَ ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَا تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتْ عَائِشَةُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَالَ كَيْفَ بِنَسَبِي قَالَ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنْ الْعَجِينِ." واللفظ للبخاري.

(٣٤) الصحيح( كتاب ارهن/ باب رهن السلاح حديث: ٢٣٧٥)

سواء كان معاهدًا أو غيره تضرب عنقه عقوبة له، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية في تفصيل هذه الأحكام في كتابه القيم الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم.

و يؤخذ من طريقة تنفيذ حكم الرسول صلى الله عليه وسلم باليهودي ابن الأشرف، أن مواجهة الكفار أعداء الإسلام ومحاربي الدولة الإسلامية لا تقتصر على مواجهتهم في ميدان المعارك، وإنما تتعدى ذلك إلى كل عمل تحصل به النكاية بالأعداء، ما لم يكن إثمًا، وقد يوفر القضاء على رجل له دوره البارز في حرب المسلمين جهودا كبيرة وخسائر فادحة يتكبدها المسلمون.

وهذا مشروط بالأمن من الفتنة، وذلك بأن يكون للمسلمين شوكة، وقوة ودولة، بحيث لا يترتب على نوعية هذا العمل فتك بالمسلمين، واجتثاث الدعاة من بلدانهم، وإفساد في مجتمعاتهم[٣٥].

إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بمحاولة تصفية لأي أحد من المشركين في مكة مع القدرة على قتل زعماء الشرك كأبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة، ولو أشار إلى حمزة أو عمر بذلك أو غيرهما من الصحابة، لقاموا بتنفيذ ذلك، ولكن الهدي النبوي الكريم يعلمنا أن فقه قتل زعماء الكفر يحتاج إلى شوكة وقوة، كما أن هذا الفقه يحتاج إلى فتوى صحيحة من أهلها، واستيعاب فقه المصالح والمفاسد، وهذا يحتاج إلى علماء راسخين، حيث تتشابك المصالح في عصرنا، وحيث للرأي العام دوره الكبير في قرارات الدول، وحيث احتمالات توسع الأضرار[٣٦].

وبعد هذه المقدمة اليسيرة يتبين أن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم يجب ألا تكون ردود أفعال غير محسوبة تهيجها المشاعر فحسب تضر بالمسلمين أكثر مما تنفع؛ فلا بد من دراسة الوضع وتقنينه على المدى البعيد، واعتبار أن ما حصل في حقه صلى الله عليه وسلم من استهزاء وتشويه، ما هو إلا سبيل ليقظة الأمة وإدراكها بالخطر الذي يهدد حصونها من الداخل والخارج،

وهنا يأتي السؤال ما هو واجبنا الشرعي في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأفراد، ولا شك أن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى رسم خطة عملية يهب لانجاحها المسلمون كافةً، وعلى جميع الأصعدة، الشخصي، والداخلي، والخارجي..

فأما **الصعيد الشخصي** فيتحقق ذلك عن طريق:

- الإيمان به المتضمن طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر لقوله تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}[سورة الحشر:٧]

---

[٣٥] التاريخ الإسلامي للحميدي (٥٤/٥).

[٣٦] الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية (٥٣٧/٢).

- محبتهصلى الله عليه وسلم محبة تفوق محبتنا لأنفسنا وآبائنا و أولادنا وأزواجنا وكل ما نملك، لقوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولد والناس أجمعين"[٣٧]

- الصلاة والسلام عليه لقوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } [سورة الأحزاب :٥٦]

- الرضا بحكمه وتحكيم سنته، والتحاكم إليها لقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } [سورة النساء:٦٥]

التمثل بأخلاقه.لقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [سورة القلم :٤].

**وعلى الصعيد الداخلي**: وأقصد به داخل الدول الإسلامية باتباع ما يلي:

- اتخاذ الإجراءات الصارمة وإقامة الحد لكل من سولت له نفسه الاستهزاء بالني صلى الله عليه وسلم أو التنقص من جنابه أو الطعن في سنته.

- استمرار العناية بالسنة النبوية، ذلك الإرث النبوي المتجدد، ودراستها، وتحليل مضامينها التربوية، التي تسهم في بناء الأجيال، بناءً إسلاميّاً أصيلاً.

- إقامة الندوات في المدارس والمساجد لمختلف موضوعات السيرة وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم

- على الدعاة إلى الله، والخطباء، والمربين: الرجوع إلى معين السنة النبوية الصافي، والنهل منه، والحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتصحيح بعض الأفكار والممارسات والعادات والتقاليد الاجتماعية التي ليست من الإسلام، واستغلها أعداؤه لعرض شبههم وتوصياتهم.

- تنشئة الأجيال المسلمة على القراءة المتأنية الدقيقة لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفهمها الفهم الصحيح، واستنباط الدروس والعبر منها، وعدم الاقتصار على الحفظ المجرد للسنة، بل لا بد من الفهم الصحيح؛ ليتم تطبيق السنة النبوية كمنهاج حياة.

وأخيراً على **الصعيد الخارجي** باستخدام الوسائل والسبل التالية:

- المقاطعة الاقتصادية الشعبية للدول المعلنة للسخرية به على أن تبنى على اجتهاد العلماء والعقلاء من أصحاب المال والمفكرين.

- المقاطعة السياسية والدبلوماسية: وهي مسؤولية القادة وأصحاب القرار السياسي.

[٣٧] متفق عليه ، أخرجه البخاري واللفظ له( كتاب الإيمان/ باب حب الرسول ﷺ من الإيمان حديث ١٥) ومسلم (كتاب الإيمان حديث: ٤٤)

- تكثيف الجهود الدعوية في المراكز الإسلامية في الغرب والشرق لبيان حقيقة هذا الدين وإبراز شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ورسالته.
- تمويل البرامج والحملات الإعلامية الهادفة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحماية سنته، من قبل التجار وأرباب المال.
- مطالبة الصحف بالاعتذار الجاد الواضح ،ومطالبة الدول بمعاقبة المجرمين على جرمهم والكف عن عن العداء للإسلام والمسلمين.
- كتابة المقالات القوية الرصينة لتنشر في المجلات والصحف ومواقع الإنترنت باللغات المتنوعة.
- الحوار الدائم من قبل المختصين مع الطبقات المثقفة المؤثرة في مجتمعاتهم لإعطائهم الصورة الصحيحة للإسلام، ورسول الإسلام.

**الخاتمة**

بعد الدراسة السريعة لقضية من أهم القضايا المعاصرة التي تؤرق المسلمين وتشغل ساحتهم، بالبحث عن المنهج الشرعي لرد الهجوم الشرس على نبي الأمة صلى الله عليه وسلم تبين مايلي:

- أن من الحقيقة التي نؤمن بها أن الهجوم على الإسلام ونبيّ الإسلام لا يزيد الدين وأهله إلا صلابة وثباتاً وانتشاراً وظهوراً، وفي كتاب ربنا: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) (الفتح: ٢٨).
- أن على أهل الإسلام أن يتحلّوا باليقظة والوعي لما يتعرّض له الإسلام والمسلمون من تهديدات ومخاطر، وأن لا يستجيبوا لاستفزازات المتعصبين، ولتكن مواقفهم محسوبة، مع حُسن تقدير للعواقب، كما يجب التآزر والتعاون في التصدي لهذه الحملات المغرضة الجائرة، وأن يبذلوا كل جهدٍ ممكن وإمكانات متوفرة من أجل دحض هذه الافتراءات وكشف زيفها وكذبها.
- أن ساب النبي صلى الله عليه وسلم أو المستهزيء به مرتد بلا خلاف إن كان مسلماً قبل ذلك، ومن تعدى عليه من أهل العهد والذمة فعهده منقوض بلا خلاف، ودمه هدر، ويجب على ولي أمر المسلمين أن يقيم فيه حد الله وهو القتل إن كان تحت ولايته وقدر عليه، ويجب على المحكوم رفع أمره إلى الحاكم ليقيم فيه حد الله، ولا يجوز له قتله بنفسه فإقامة الحدود للحاكم لا للمحكوم.



# الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء التحديات المعاصرة

## صورها-دوافعها-آثارها-حكمها

**عبدالله بالقاسم محمد الشمراني**
المملكة العربية السعودية-مكة المكرمة



**الملخص**

نظرا لأهمية هذا الموضوع، والحاجة الظاهرة للكتابة فيه في مثل هذه الأيام، وبيان الرؤية الفقهية لذلك في ضوء التحديات المعاصرة، فإنني حاولت من خلال هذا البحث أن أبين فيه وجوب تعظيم النبي ﷺ، وما يجب في حقه، وصور الإساءة إليه عليه الصلاة والسلام، ودوافع ذلك، محاولاً الربط بين الإساءات التي كانت في حياته وما يحصل في أيامنا المعاصرة، ثم الآثار المترتبة على ذلك في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، وحكم الإساءة من المسلم وغير المسلم، وأخيراً واجب المسلمين تجاه المسيئين إليه عليه الصلاة والسلام. وختمت البحث بذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال النظر في هذه المسائل.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، الملكِ الحق المبين، أرسل رسله بالبينات والهدى، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور على المدى، ويهدوهم إلى صراط الله الحميد، الذي يبدئ ويعيد، وهو على كل شيء قدير. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، بعثه ربه تعالى رحمةً للعالمين، وخاتماً للنبيين، يتلوا على الناس القرآن، ويعلمهم الكتاب والحكمة والبيان، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبعد..

فإن الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه، أعظم عباد الله، وأكرمهم عند الله، اختاره ربه جل وعلا ليكون مبلغاً عنه، ومرشداً وهادياً للناس، ومخرجاً لهم من الظلمات إلى النور، فقام عليه الصلاة والسلام بأداء الأمانة وتبليغ الرسالة على نحو ما أمره الله تعالى به، وقد حثنا القرآن الكريم في أكثر من موضع على طاعته عليه الصلاة والسلام، وتوقيره وتعظيمه والإقتداء به، لما يمثله ذلك من خير لنا في الدنيا والآخرة.

ولهذا وجب على المسلمين أن يُحسنوا التعامل مع رسول الله ﷺ حال حياته وبعد موته، وكذلك مع سنته، ولئن وجد في الماضي والحاضر من يسيء إلى رسول الله ﷺ بالقول أو الفعل، فإن

ذلك لم ولن ينقص من قدر رسول الله ﷺ شيئاً، حيث رفع الله قدره وذِكْرَه بين العالمين، فقال سبحانه:( وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [سورة الشرح:٤] .

وما يفعله المسيئون نحو رسول الله ﷺ إنما هو نقص في العقول وخلل في الدين، إن كانوا من المسلمين، وعتواً وجحوداً إن كانوا من غير المسلمين.

ولما كان هذا المؤتمر يطرح قضايا تتعلق بسنة النبي ﷺ وبشخصه الكريم، وما يتعلق بذلك في ضوء التحديات المعاصرة، استخرت الله تعالى في الإسهام في أحد محاوره بهذه الإسهامة المتواضعة التي بعنوان:**(الإساءة إلى النبي ﷺ في ضوء التحديات المعاصرة"صورها-دوافعها-آثارها-حكمها)** وذلك كمحاولة مني في إلقاء الضوء على صور الإساءة للرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، والتي تعددت في الماضي والحاضر، حيث أتناول أبرز دوافعها وأشكالها المختلفة، والآثار التي تترتب على ذلك في عدة نواحي، والحكم الشرعي في الإساءة للنبي ﷺ التي تصدر من المسلم وغير المسلم، ثم بيان موقف المسلمين الواجب عليهم اتخاذه نحو المسيئين للنبي ﷺ، لا سيما وقد تهافت بعض الجهلة في التطاول على شخص رسول الله ﷺ بأقوالهم وأفعالهم وكتاباتهم.

ولا أحسب نفسي بذلك أوفي رسول الله ﷺ حقه، فحقه عليه الصلاة والسلام أعظم وأشمل من أن يوفيه أحد، ولكنها لبنة صغيرة أتقرب بها إلى الله تعالى للدفاع عن رسول الله ﷺ والذود عنه وعن سنته.

وأتناول هذا الموضوع من خلال الخطة التالية:

**المبحث الأول: تعظيم النبي ﷺ وما يجب في حقه. وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: وجوب تعظيمه ﷺ.

المطلب الثاني: الآداب الواجبة في حقه ﷺ.

**المبحث الثاني: صور الإساءة إلى النبي ﷺ في التحديات المعاصرة ودوافعها. وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: صور الإساءة إلى النبي ﷺ، وفيه فرعان:

الفرع الأول: الإساءة القولية والكتابية (الشعر والنثر والرسوم).

الفرع الثاني: الإساءة الفعلية (الأفلام والتمثيل).

المطلب الثاني: دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ:

أولاً: دعوى حرية التعبير عن الرأي.

ثانياً: دعوى تعليم سيرة النبي ﷺ.

ثالثاً: بغض النبي ﷺ أو بغض دينه والاستهزاء به.

رابعاً: جهل بعض غير المسلمين-أو حديثو العهد بالإسلام- بمكانة النبي ﷺ.

**المبحث الثالث: آثار الإساءة إلى النبي ﷺ وحكمها وواجب المسلمين تجاهها. وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: أر الإساءة إلى النبي ﷺ. وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر الإساءة إلى النبي ﷺ على المجتمعات المسلمة.

الفرع الثاني: أثر الإساءة إلى النبيﷺ على المجتمعات غير المسلمة.

المطلب الثاني: حكم الإساءة إلى النبي ﷺ. وفيه فرعان:

الفرع الأول: حكم إساءة المسلم للنبي ﷺ.

الفرع الثاني: حكم إساءة غير المسلم للنبي ﷺ.

المطلب الثالث: واجب المسلمين تجاه الإساءة إلى النبي ﷺ.

## المبحث الأول

## تعظيم النبي ﷺ وما يجب في حقه

للنبي عليه الصلاة والسلام مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة في قلوب ونفوس أمته الإسلامية، وهذه المنزلة وتلك المكانة تتطلب من المسلمين تعظيم قدر النبي عليه الصلاة والسلام، ووجوب تعظيمه حيًا، وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى، وهو ما ألقي الضوء عليه في المطلبين التاليين:

**المطلب الأول: وجوب تعظيمه ﷺ:**

قال الله تعالى: (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم..)[سورة النساء:٥٩]. وقال سبحانه: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [سورة المائدة:٩٢].. وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[سورة النور:٥٤]. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)[ سورة محمد:٣٣]. إلى غير ذلك من الآيات. وقد دلت مجموع هذه الآيات الكريمة على الأمر بطاعة النبي ﷺ، كما قرن الله سبحانه طاعته بطاعة رسوله محمد ﷺ في أكثر من موطن من كتابه.

يقول الأمين الشنقيطي: (ولا شك عند أحد من أهل العلم أن طاعة الله ورسوله المذكورة في هذه الآيات ونحوها من نصوص الوحي، محصورة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ)[(١)]. وقال ابن عاشور: فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشروع لهم وعلى تنفيذه.. وإنما أعيد فعل "وأطيعوا الرسول" مع أن حرف العطف يغني عن إعادته، إظهاراً للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول، لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولينبه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي، لئلا يتوهم السامع أن طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلغه عن

(١) أضواء البيان:(٣٠٣/٧).

الله، دون ما يأمر به في غير التشريع، فإن امتثال أمره كله خير[٢]. وقال الزمخشري: (كررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها)[٣].

وإن من تعظيم الله تعالى تعظيم رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [سورة الفتح:٨-٩]. فذكر الله تعالى حقاً مشتركاً بينه وبين رسوله وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به تعالى وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير[٤]. والتعزير: هو النصرة مع التعظيم، نصرة بقمع ما يضره عنه[٥]. والتوقير: من أوقره بمعنى وقّره، وهو الاحترام والإجلال والإعظام، والقيام بحقوقه[٦]. قال ابن تيمية: (والتعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار)[٧]. قال ابن القيم: (وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله، من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ)[٨]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله)[٩].

**المطلب الثاني: الآداب الواجبة في حقه ﷺ:**

ثمت آداب مهمة ينبغي مراعاتها في حق النبي عليه الصلاة والسلام، أبرزها ما يلي:

١- إن الله وقّره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسنى صفاته، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)[سورة الانفال:٦٤]، (ويَا أَيُّهَا الرَّسُولُ..)[ سورة المائدة:٤١]، وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن جميع الرسل نودوا بأسمائهم، فقال تعالى: (يا آدم اسكن)[سورة البقرة:٣٥]، (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ)[سورة المائدة:١١٠]، (يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ)[سورة القصص:٣٠]، (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ)[سورة هود:٤٨]، (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)[ سورة ص:٢٦]، (يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)[سورة الصافات:١٠٥]، (يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ)[سورة هود:٨١]، (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ)[سورة مريم:٧]، (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)[سورة مريم:١٢].

---

(٢) انظر: التحرير والتنوير:(١٦٤/٤).

(٣) الكشاف:(٢٥٢/٣).

(٤) انظر: الموقع الالكتروني التالي: http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1959.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن:(٣٣٣/١)

(٦) انظر: التحرير والتنوير:(١٣٢/٢٦), الكشاف:(٣٣٥/٤), تفسير القرآن العظيم:(٣٢٩/٧), تيسير الكريم المنان:(٧٩٢/١).

(٧) الصارم المسلول:(٤٢٥/١).

(٨) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام:(١٨٧/١).

(٩) الصارم المسلول:(٢١٩/١).

ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف العلية والأخلاق السنية، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام، التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق، دل ذلك على أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه(10).

٢- أمر الله الأمة بأن لا ينادونه باسمه، بل ينادونه: يا رسول الله، أو يا نبي الله(١١)، قال الله تعالى: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا..)[سورة النور: ٦٣].

نهى الله الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول- كما هو الحال بين الناس- حتى لا تحبط أعمالهم، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)[ سورة الحجرات:٢]. وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته، وحرمة النبي ﷺ بعد وفاته، كحرمته في أيام حياته(١٢).

٣- أمر الله تعالى الأمة إذا أرادوا مناجاة النبي ﷺ أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، ثم إن الله قد نسخ ذلك، وأمرهم بالطاعة، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[سورة المجادلة: ١٢].

٤- حرم التقديم بين يديه بالكلام حتى يأذن، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[سورة الحجرات: ١]. قال ابن كثير: أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، أي: لاتسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور(١٣).

٥- ذم الله تعالى الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه، فقال: (أكثرهم لا يعقلون).

٦- الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[سورة الأحزاب: ٥٦].

---

(١٠) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة:(٤٠٢/٢) نقلاً عن غاية السول.

(١١) انظر: تفسير القرآن العظيم:(٣٦٨/٧).

(١٢) انظر: أضواء البيان:(٤٠٣/٧).

(١٣) انظر: تفسير القرآن العظيم:(٣٦٤/٧).

## المبحث الثاني

## صور الإساءة إلى النبي ﷺ في التحديات المعاصرة ودوافعها

### المطلب الأول: صور الإساءة إلى النبي ﷺ. وفيه فرعان:

**الفرع الأول:** الإساءة القولية والكتابية (الشعر والنثر والرسوم وغيرها):

تعرض النبي ﷺ إلى صور عدة من الإساءات، وكانت سيرته مليئة بالإبتلاءات، سواءً التي في حياته أو بعد مماته. ومن ذلك إيذائه بالشعر فقد ورد أن كعب بن الأشرف سب النبي ﷺ بالهجاء، والشعر كلام موزون يحفظ ويروى وينشد بالأصوات والألحان، ويشتهر بين الناس، وذلك له من التأثير في الأذى والصد عن سبيل الله ما ليس للكلام المنثور، ولذلك كان النبي ﷺ يأمر حسان أن يهجوهم، وكان يقول:(فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)[١٤] فيؤثر هجاؤه فيهم أثراً عظيماً، يمتنعون به من أشياء لا يمتنعون عنها لو سبوا بكلام منثور أضعاف الشعر[١٥].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ:(مَن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله و رسوله؟)[١٦] فجعل علة الندب إلى قتله أنه آذى الله ورسوله، وأذى الله ورسوله اسم مطلق ليس مقيدا بنوع ولا بقدر، وقليل السب وكثيره، ومنظومه ومنثوره، أذى بلا ريب، فيتعلق به الحكم وهو أمر الله ورسوله بقتله، ولو لم يرد هذا المعنى لقال: مَن لكعب؟ فإنه قد بالغ في أذى الله تعالى ورسوله، أو قد أكثر من أذى الله ورسوله، أو قد داوم على أذى الله ورسوله. وهو ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، ولم يخرج من بين شفتيه ﷺ إلا حق في غضبه ورضاه، وكذلك قوله في الحديث الأخر:(إنه نال منا الأذى، وهجانا بالشعر ولا يفعل هذا أحد منكم إلا كان للسيف)[١٧] ولم يقيده بالكثرة[١٨].

وقد آذاه بهجائه المنظوم، واليهودية بكلام منثور[١٩]، وكلاهما أهدر دمه، فعُلم أن النظم ليس له تأثير في أصل الحكم، إذ لم يخص ذلك الناظم، والوصف إذا ثبت الحكم بدونه، كان عديم التأثير، فلا يجعل جزءاً من العلة، ولا يجوز أن يكون هذا من باب تعليل الحكم بعلتين، لأن ذاك إنما يكون

---

(١٤) أخرجه الترمذي في كتاب: الأدب عن رسول الله، باب: ما جاء في إنشاد الشعر (١٣٩/٥)، رقم الحديث:(٢٨٤٧).

(١٥) انظر: أحكام أهل الذمة:(١٤٤١/٣).

(١٦) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: قتل كعب بن الأشرف (١٤٨١/٤)، رقم الحديث:(٣٨١١). ومسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (١٨٤/٥)، رقم الحديث:(٤٧٦٥).

(١٧) ذكره الواقدي في المغازي ص:(١٩٢)، ونقله عن ابن القيم في أحكام أهل الذمة:(١٤٢٠/٣)، ولم أقف عليه.

(١٨) انظر: الصارم المسلول:(٩٠/١).

(١٩) عن علي رضي الله عنه: أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله دمها. أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٢٢٦/٤)، رقم الحديث:(٤٣٦٤)، والبيهقي في السنن الكبرى، في كتاب: النكاح، باب: استباحة قتل من سبه أو هجاه امرأة كان أو رجلاً:(٦٠/٧)، رقم الحديث:(١٣١٥٤).

إذا لم تكن إحداهما مندرجة في الأخرى، كالقتل والزنا، أما إذا اندرجت إحداهما في الأخرى، فالوصف الأعم هو العلة، والأخص عديم التأثير[٢٠].

ولا فرق بين قليل الأذى وكثيره، وغليظه وخفيفه، في الجنس المبيح للحكم المترتب على ذلك، سواءً كان قولاً أو فعلاً، كالردة والزنا والمحاربة ونحو ذلك، وهذا هو قياس الأصول. فمن زعم أن من الأقوال أو الأفعال ما يبيح الدم إذا كثر، ولا يبيحه مع القلة، فقد خرج عن قياس الأصول، و ليس له ذلك إلا بنص يكون أصلا بنفسه، ولا نص يدل على إباحة القتل في الكثير دون القليل[٢١].

ومن صور الأذى المعاصرة: الإساءة إلى مقامه الكريم وجنابه الطاهر بالرسوم الكركاتيرية، ولا شك أنها من جنس الإساءة بالشعر والنثر المتقدم، وحكمُها حكمَها، ولا فرق بين الإساءة القولية أو الكتابية، بل إن الرسوم الكركاتيرية المعاصرة أبلغ في الإستهزاء والأذى، وأعم في الانتشار، وأعظم ضرراً، من الأذى الذي لاقاه ﷺ من الشعر أو النثر في زمنه ﷺ، وقد تكون الكتابة أبلغ وأعظم وأسوأ من المقالة، والعلة متحققة في ذلك، والله أعلم.

ومن صور الإساءات والأذى للنبي ﷺ ما يلي:

١ – السب الصريح لرسول الله ﷺ حال حياته، أو بعد لحوقه بالرفيق الأعلى.

٢- انتقاص النبي ﷺ ووصفه بما لا يليق بجنابه ومقامه الشريف، كوصفه بالسحر والكهانة والكذب والشعر ونحو ذلك.

٣- النيل من سنة رسول الله ﷺ بالإهانة والتعييب والانتقاص والازدراء.

٤- سب آل بيت رسول الله ﷺ أو قذفهم كما وقع في حادثة الإفك للسيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها.

٥- إيذاء والدي رسول الله ﷺ بالقول، كما وقع من وصف بعضهم لوالد النبي بأنه في النار، أو سب أم النبي ﷺ.

٦- ومن أمثلة الإساءات التي ذكرها بعض فقهاء المالكية:سبه بغير ما به كفر، أن يقول قولاً قبيحاً، أو يقول ليس بنبي، ومثال سبه بما به كفر: أن يقول: ساحر، أو يقول اليهودي: ليس برسول إلينا، وإنما رسولنا موسى، أو يقول النصراني: إنما رسولنا عيسى[٢٢].

**الفرع الثاني:** الإساءة الفعلية (الأفلام والتمثيل):

يأتي سب النبي ﷺ والإساءة إليه أو إلى أحد من أهله أو آل بيته على نواح شتى، وقع منها ما وقع قديماً، ووقع بعضها حديثًا، وأشهر هذه الإساءات ما يلي:

---

(٢٠) انظر: الصارم المسلول:(٩٠/١).

(٢١) انظر: الصارم المسلول:(٩١/١).

(٢٢) كفاية الطالب الرباني:(٤١٣/٢)

١- محاربة النبي ﷺ أو التعدي عليه بالضرب أو الجرح كما وقع في غزوة أحد، حيث شُجَّ رأسه وكسرت رباعيته(٢٣).

٢- إلقاء القاذورات على النبي ﷺ حال حياته ، كما وقع من كفار قريش(٢٤).

٣- إهانة قبر النبي ﷺ أو التعدي عليه بالهدم أو التدنيس.

٤- تصوير سنة رسول الله ﷺ القولية أو الفعلية بصورة فيها انتقاص أو ازدراء أو محاولة تشويهها وتحريفها.

٥- تمثيل شخصية النبي ﷺ، ولا يخفى ما في ذلك من المحاذير والإساءة إلى مقامه الكريم ﷺ، إذ أن في ذلك انتهاكاً لمكانة الأنبياء والنبوة والرسالة، ويؤدي بصاحبه إلى الردة، وانتقاصاً من قدره أمام المسلمين وغير المسلمين، وتلويثاً لأذهان الصغار والتشويش على عقولهم بمثل هذه الأفلام، كما أن في ذلك أخذاً للسنة والسيرة من غير مصادرها الموثوقة، والإساءات المقصودة وغير المقصودة.

وقد نقض العلماء وردوا كثيراً من كتابات المستشرقين في السيرة، لما انطوت عله من محاذير ومحاولات لتشويش صورة السيرة النبوية والسنة المحمدية في قلوب الناس(٢٥)، ولا يخفى على الجميع أن أثر التمثيل والأفلام في هذا العصر أعظم بكثير من الكتابات والتآليف.

**المطلب الثاني: دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ:**

تتعدد دوافع الإساءة للنبي ﷺ وتختلف من حالة لأخرى ومن وقت لآخر، فعلى سبيل المثال: كانت إساءات الكفار واليهود للرسول ﷺ إبان حياته، منشؤها البغض لدينه القويم، أو شخصه الكريم، أو صدًا لدعوته.

ولا يختلف الحال كثيرًا في أيامنا هذه، إلا أن هذه الدوافع قد اتخذ بعضها نطاقًا مختلفًا، وهو ما أشير إليه فيما يلي:

**أولاً**: دعوى حرية التعبير عن الرأي:

إن من أشهر صور الإساءات المعاصرة للنبي ﷺ ما رأيناه من نشر الصور والرسوم الكاريكاتورية المسيئة لشخصه الكريم ﷺ أو لآل بيته الطيبين الطاهرين.

---

(٢٣) أخرجه الترمذي في السنن، في كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة آل عمران (٢٢٦/٥)، رقم الحديث:(٣٠٠٢).

(٢٤) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الحديث الرابع والثلاثون:(٢٤٢/٢٢). وما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض..الخ.

انظر: كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (١٧٩/٥)، رقم الحديث:(٤٧٥٠).

(٢٥) مثل كتابات جورجي زيدان في السيرة النبوية، وقد نقضت بعض كتاباته في ذلك.

واعتبر القائمون بهذه الإساءات ذلك نوعًا من حرية الرأي، وحق التعبير عنه بالوسائل المختلفة في الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروؤة.

وهذا دافع لا يقبله عقل سليم ولا منطق قويم، إذ إن في منظور الناس العادي، لا ينبغي أن تنال حرية الرأي من مكانة الآخرين، هذا على مستوى الأشخاص العاديين، فما بالنا بأعظم شخصية عرفتها البشرية ﷺ.

**ثانياً**: دعوى تعليم سيرة النبي ﷺ:

كذلك من دوافع الإساءة للنبي ﷺ هو ادعاء القائمين بذلك أنهم يعلمون الناس سيرة النبي ﷺ بما يقدمونه من أعمال تمثيلية أو سينمائية، ولا يدعون أن ذلك من الإساءة بل يعتبرونه –كما هو مشهور لدى أهل الفن- أن هذه رسالة، أي رسالة يوجهونها للناس تعليماً وتثقيفًا.

والحق أن هذا الدافع باطل لفظًا ومعنى، إذا أدى إلى الإساءة للرسول الكريم ﷺ، وذلك لأن تعليم السنة يتأتى من خلال الطرق المعروفة من التدريس والتعليم ورواية الأحاديث، ونشر سيرته العطرة، ومواقفه العظيمة، وتأليف الكتب والبحوث التي تعنى بهذا الشأن، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تقدم للشرق والغرب رؤية واضحة عن شخص الرسول ﷺ.

ولا يتأتى تعليم السيرة من خلال تجسيد شخصية معلم البشرية، وشفيع الأمة على شاشات التلفاز والسينما، لما في ذلك من الكذب على الله والافتراء على رسوله الكريم ﷺ.

ولما في ذلك أيضاً من تشبيه الممثلين - الذين يتقلبون على كل لون- بأعظم إنسان خلقه الله تعالى، وشتان ما بين رسول كريم مرسل من عند الله عز وجل، وبين ممثل يقدم مشاهد مختلفة، قد يكون في بعضها فساد أخلاقي.

**ثالثاً**: بغض النبي ﷺ أو بغض دينه والاستهزاء به:

ومن أبرز الدوافع المؤدية إلى الإساءة – وهو دافع قديم وحديث في آنٍ واحدٍ- هو بغض النبي ﷺ كنبي ورسول، وبغض دينه القويم كشريعة ومنهج حياة، وأغلب ما يتأتى ذلك من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، وغيرهما من أصحاب الملل والنحل الباطلة، وبتتبع السيرة والتاريخ نجد أن هذا الدافع قد ولد منذ بدء دعوة النبي ﷺ في مكة، وانتقل بعد ذلك إلى المدينة، وظهر في تصرفات المنافقين واليهود.

وحاليًا تهافتت النحل الباطلة، وأصحاب الديانات السماوية المحرفة بالإساءة للرسول الكريم ﷺ تحت ستار الحرية والرأي، وتحت ستار من منظمات دولية وعالمية تدعي التقدم والرقي، وما الأمر في حقيقته إلا بغض لله، وبغض لدين لله، وبغض لرسول الله ﷺ.

كذلك فإن من يسيء إلى رسول الله ﷺ يهدف من وراء ذلك إلى صد الناس عن الدخول في الإسلام، ومنع انتشاره، ومنع انتشار دعوة النبي ﷺ في أرجاء الأرض، حيث يقومون بالإساءة تنفيرًا للناس عن دينه وصرفا لهم عنه.

وكان من الأساليب التي كانوا يفعلونها مع النبي ﷺ في حياته، لمجابهة دعوته ورسالته، السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب والتضحيك، قصدوا بذلك تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فرموه بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون[٢٦]، (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)[سورة الحجر:٦]، ويصمونه بالسحر والكذب(وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[سورة ص:٤]. وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة[٢٧]،(وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)[سورة القلم:٥١]. وكذلك تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة،ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم، وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته[٢٨].

**رابعاً**: جهل بعض غير المسلمين-أو حديثي العهد بالإسلام- بمكانة النبي ﷺ:

وقد كان لمثل ذلك نظائر حدثت في عصره عليه الصلاة والسلام من بعض الإساءات القولية أو الفعلية والتي كان يحتملها ﷺ، فمن ذلك ما رواه أحمد في مسنده حينما كان النبي ﷺ بالجعرانة يقسم غنائم هوازن بين الناس، فقام رجل من بني تميم، فقال: اعدل يا محمد، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل[٢٩].

وعن عروة ابن الزبير رضي الله عنه قال: سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال:( أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)[٣٠][سورة غافر:٢٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة، حتى رأيت صفح أو صفحة عنق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد، أعطني من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[٣١].

وقوله تعالى:( إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[سورة الحجرات:٤].

---

(٢٦) انظر: الرحيق المختوم ص:(٧٢).

(٢٧) انظر: الرحيق المختوم ص:(٧٢).

(٢٨) انظر: الرحيق المختوم ص:(٧٣).

(٢٩) أخرجه أحمد في مسنده من مسند جابر بن عبدالله رضي الله عنه:(٣/٣٥٤), رقم الحديث:(١٤٨٦٢).

(٣٠) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار, باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة:(٣/١٤٠٠) رقم الحديث:(٣٦٤٣).

(٣١) أخرجه أحمد في مسنده من مسند أنس بن مالك:(٣/١٥٣) رقم الحديث:(١٢٥٧٠).

قال مجاهد وغيره: نزلت في أعراب بني تميم، قدم الوفد منهم على النبي ﷺ، فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء حجرته أن اخرج إلينا، فإن مدحنا زين وذمنا شين، وكانوا سبعين رجلاً، وكان النبي ﷺ قد نام للقائلة(٣٢).

كما أن سورة الحجرات في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب، وذلك لأنه كان في العربي جفاء وسوء أدب في خطاب النبي ﷺ وتلقيب الناس(٣٣).

## المبحث الثالث

## آثار الإساءة إلى النبي ﷺ وحكمها وواجب المسلمين تجاهها

### المطلب الأول: أثر الإساءة إلى النبي ﷺ:

الآثار المترتبة على الإساءة للنبي ﷺ إما أن تكون في المجتمعات المسلمة، وإما أن تكون في المجتمعات غير المسلمة.

**الفرع الأول:** أثر الإساءة إلى النبي ﷺ على المجتمعات المسلمة:

الآثار المترتبة على الإساءة إلى النبي ﷺ في المجتمعات الإسلامية، إما أن تكون آثاراً حسنة، أو آثاراً سيئة، وأبرز الآثار الحسنة: المقاطعة الإقتصادية(٣٤).

حيث يعتبر الاقتصاد عصب الحياة، وله أهمية بالغة كسلاح من أسلحة المقاومة والمعارضة، وتحقيقه يسير، والأصل فيه ما ورد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:(أن ثمامة بن أثال قيل له بعدما أسلم: أصبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي ﷺ) (٣٥).

وأما حكمها الفقهي فمن القواعد الأصولية المقررة عند أهل العلم: أن الأصل في المعاملات الإباحة حتى يرد دليل بالمنع(٣٦)، والتعامل الاقتصادي مع الكفار مباح في الجملة، وعلى ذلك فإن المقاطعة الإقتصادية بالامتناع عن التعامل مع الكفار بالبيع والشراء، مباح أيضا(٣٧)، فالمباح ما اقتضى خطاب الشرع التسوية بين فعله وتركه، من غير مدح يترتب عليه ولا ذم(٣٨).

(٣٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن:(١٦/٢٠٣-٢٠٤).

(٣٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن:(١٦/١٩٨).

(٣٤) عرفت المقاطعة الإقتصادية بأنها: الامتناع عن التعامل مع الغير اقتصاديا أو اجتماعيا, وفق نظام جماعي مرسوم.

انظر: المعجم الوسيط ص:(٧٤٥).

وقيل في تعريفها:(الامتناع عن معاملة الآخر اقتصاديا وفق نظام جماعي مرسوم, بهدف الضغط عليه لتغيير سياسته تجاه قضية من القضايا). انظر: المقاطعة الإقتصادية ص:(١٦).

(٣٥) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي, باب: وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (٤/١٥٨٩) رقم الحديث:(٤١١٤).

(٣٦) انظر: القواعد النورانية ص:(٢٠٢).

(٣٧) انظر: المقاطعة الإقتصادية ص:(٧١).

(٣٨) انظر: شرح الكوكب المنير:(١/٤٢٦).

ولكن ينبغي التنبه إلى تحقق المصلحة وانتفاء مفسدة أعظم من المقاطعة، ففي هذه الحال يتوجه القول بالوجوب. وإما ألا يترتب على المقاطعة إضرار بالكفار، وتفضي إلى مفسدة راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها، ففي هذه الحال يتوجه القول بالتحريم.

وإن كانت المقاطعة تفضي إلى الإضرار بالكفار، وإلى وقوع مفسدة راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها، فهنا تعارضت مصلحة ومفسدة، فإن كانت المفسدة غالبة لم ينظر إلى المصلحة(٣٩)، وإن تساوت المصلحة والمفسدة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح(٤٠). وإما ألا تفضي المقاطعة الإقتصادية إلى إلحاق الضرر بالكفار، ولا تفضي إلى وقوع مفسدة راجحة على المفسدة التي يراد إزالتها، ففي هذه الحالة تندب المقاطعة الإقتصادية(٤١).

ومن الآثار السيئة على المجتمعات الإسلامية: التشكيك في الدين، وضعف الغيرة في قلوب المسلمين، وغير ذلك.

**الفرع الثاني:** أثر الإساءة إلى النبي ﷺ على المجتمعات غير المسلمة:

وكذلك المجتمعات غير المسلمة، فإن لذلك آثاراً قد تكون حسنة أو سيئة، فأبرز الآثار الحسنة: أن كثيراً من حماقات الأعداء يكون لها أثر في نشر الإسلام، وفي التعريف بالنبي ﷺ ومحاولة القراءة عنه، وعن دينه الذي جاء به، وقد حصلت بعض القصص في هذا الجانب، بعد الإساءة التي صدرت من الدنمارك.

ومن الآثار السيئة في ذلك: صد الناس عن الدخول في الإسلام وصرفهم عنه، والتحذير منه.

**المطلب الثاني: حكم الإساءة إلى النبي ﷺ. وفيه فرعان:**

**الفرع الأول:** حكم إساءة المسلم للنبي ﷺ:

أجمع الفقهاء(٤٢) على أن من سب النبي ﷺ من المسلمين فإنه يكفر بذلك، ويرتد عن دين الإسلام، وأن هذا يستوجب إقامة حد الردة عليه، على اختلاف بينهم في مسألتين: إحداهما: هل يقتل مباشرة أو يقتل بعد الاستتابة؟، والثانية: هل تقبل توبته أم لا؟(٤٣).

ونصوص الفقهاء وأدلتهم وافرة في ذلك الشأن، وهذا طرف من نصوصهم.

قال ابن المنذر:(وأجمعوا على أن من سب النبي ﷺ عليه القتل)(٤٤).

---

(٣٩) انظر: المقاطعة الإقتصادية ص:(٧٤-٧٥).

(٤٠) انظر: الموافقات:(٤٦٥/٣), التحبير شرح التحرير:(٢٢٣٩/٥).

(٤١) انظر: المقاطعة الإقتصادية ص:(٧٥).

(٤٢) انظر: حاشية ابن عابدين:(٢٣٣/٤)، تبيين الحقائق:(١٩٠/٥)، الإجماع لابن المنذر:ص(١٧٤)، مختصر خليل:ص(٢٣٩)، التاج والإكليل:(٢٨٨/٦)، الشرح الكبير لابن قدامة:(٦٣٥/١٠)، الفروع لابن مفلح:(١٩٤/١٠)، الجامع لأحكام القرآن:(٥٤/٨).

(٤٣) فعلى سبيل المثال في المسألة الأولى: يرى المخزومي وابن أبي حازم من المالكية أنه لا يقتل إلا بعد أن يستتاب، فإن تاب فلا إشكال وإن لم يرجع قتل. انظر: التاج والإكليل:(٢٨٨/٦). وفي المسألة الثانية خلاف كبير في مذهب الشافعية والحنابلة هل تقبل توبته أم لا. انظر: الفروع لابن مفلح:(١٩٤/١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:(قال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام:أجمع المسلمون على أن من سب رسوله الله ﷺ أو دفع شيئا مما أنزل الله عز و جل أو قتل نبياً من أنبياء الله عز و جل : أنه كافر بذلك، و إن مقراً بكل ما أنزل الله)(٤٥).

وجاء في حاشية ابن عابدين نقلاً عن ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، وهو مقتضى قول أبي بكر رضي الله تعالى عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا: هي ردة، وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وروى الطبراني مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن ينقصه أو برىء منه أو كذبه. وحاصله أنه نقل الإجماع على كفر الساب ثم نقل عن مالك ومن ذكر بعده أنه لا تقبل توبته(٤٦).

وفي حاشية ابن عبدين أيضاً: والحاصل أنه لا شك ولا شبهة في كفر شاتم النبي ﷺ وفي استباحة قتله، وهو المنقول عن الأئمة الأربعة، وإنما الخلاف في قبول توبته إذا أسلم، فعندنا وهو المشهور عند الشافعية القبول، وعند المالكية والحنابلة عدمه بناء على أن قتله حداً أو لا(٤٧).

وعن اسحاق بن راهويه قال:(أجمع المسلمون أن من سب الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئا مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل، أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله تعالى)(٤٨).

وفي تبيين الحقائق: ولو قال: نويت السجود للصليب، أو سب النبي ﷺ كفر ديانةً وقضاءً(٤٩).

وفي مختصر خليل:(وإن سب نبياً، أو ملكاً وإن عرض، أو لعنه، أو عابه، أو قذفه، أو استخف بحقه، أو غير صفته، أو ألحق به نقصاً، وإن في دينه، أو خصلته، أو غض من مرتبته، أو وفور علمه، أو زهده، أو أضاف له ما لا يجوز عليه، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو قيل له: بحق رسول الله فلعن، وقال: أردت العقرب قتل، ولم يستتب حداً، إلا أن يسلم الكافر)(٥٠).

وفي التاج والإكليل:(وكذلك أجمع على تكفير من استخف بأحد الأنبياء، أو آزر عليهم، أو آذاهم، أو حارب نبينا ﷺ فهو كافر بإجماع)(٥١).

وفي التاج والإكليل أيضًا: وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي ﷺ وإن زهده لم يكن قصداً. ثم نقل عن القاضي عياض: أن من سب النبي

(٤٤) الإجماع:ص(١٧٤).

(٤٥) الصارم المسلول:(٩/١).

(٤٦) انظر: حاشية ابن عابدين:(٢٣٣/٤).

(٤٧) انظر: حاشية ابن عابدين:(٢٣٨/٤).

(٤٨) رسائل ابن عابدين- رسالة تنبيه الولاة والحكام:(٣١٦/١).

(٤٩) انظر: تبيين الحقائق:(١٩٠/٥).

(٥٠) مختصر خليل:ص( ٢٣٩).

(٥١) مختصر خليل:ص( ٢٣٩).

ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه، أو دينه، أو نسبه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له والإزراء عليه، أو التصغير لشأنه أو الغض منه أو العيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل[٥٢].

وفي الشرح الكبير على مختصر الخرقي: وقال بعض أصحابنا -فيمن سب النبي ﷺ-: إنه يقتل بكل حال وذكر أن أحمد نص عليه(وماله فيء عند الخرقي، وقال أبو بكر: هو لورثته)[٥٣].

**الفرع الثاني:** حكم إساءة غير المسلم للنبي ﷺ:

إذا سب غير المسلم رسولَ الله عليه السلام، فللفقهاء تفصيل في حكم سب النبي عليه الصلاة والسلام أو الإساءة إليه، ومرد هذا التفصيل إلى أمرين أولهما: هل يقتل بذلك أم لا يقتل؟والثاني: هل ينتقض عهد الذمي إذا سب النبي عليه السلام، وبيان ذلك على النحو التالي:

**آراء الفقهاء في حكم ساب النبي ﷺ من غير المسلمين:**

الرأي الأول: لجمهور الفقهاء: يرى المالكية وفقهاء المدينة[٥٤]والشافعية[٥٥]والإمام أحمد بن حنبل[٥٦] وأهل الحديث أن غير المسلم إذا سب النبي ﷺ فإنه يكفر ويقتل، وممن حكى ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية[٥٧].

وهذه بعض النصوص في ذلك:

جاء في التفريع:(من سب الله سبحانه أو سب النبي ﷺ من مسلم أوكافر قتل ولم يستتب)[٥٨].

وفي التاج والإكليل:....نقل ابن يونس عن ابن القاسم: وإن من عاب رسول الله ﷺ قتل ولم يستتب وميراثه لجميع المسلمين وهو بمنزلة الزنديق الذي لا تعرف توبته بلسانه ويراجع ذلك في سريرته وإن كان نصرانيا فإنه يقتل صاغرا[٥٩].

وقال الإمام الشافعي:(إذا أراد الإمام أن يكتب كتاب صلح على الجزية كتب و ذكر الشروط إلى أن قال: و على أن أحدا منكم إن ذكر محمدا ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به فقد برئت منه ذمة الله ثم ذمة أمير المؤمنين و جميع المسلمين و نقض ما أعطي عليه الأمان و حل لأمير المؤمنين ماله و دمه كما تحل أموال أهل الحرب و دماؤهم)[٦٠].

---

(٥٢) انظر: التاج والإكليل:( ٢٨٥/٦) بتصرف يسير.

(٥٣) الشرح الكبير لابن قدامة:(٦٣٥/١٠).

(٥٤) انظر: التفريع لابن الجلاب:(٣٣٢/٢)، التاج والإكليل:( ٢٨٨/٦)، الصارم المسلول:(١٠/١).

(٥٥) انظر: الأم:(١٩٧/٤)، المجموع:(٤٢٩/١٩)، الصارم المسلول:(١٠/١).

(٥٦) انظر: مسائل أحمد برواية ابنه عبد الله ص:(٤٣١)، الإنصاف:(١٨٥/٤)، الصارم المسلول:(١٠/١).

(٥٧) انظر: الصارم المسلول:(١٠/١).

(٥٨) التفريع:(٣٣٢/٢).

(٥٩) انظر: التاج والإكليل:(٢٨٨/٦).

(٦٠) الأم:(١٩٧/٤).

وفي المجموع نقلاً عن الإمام الشافعي: يقتل الذمي إذا سب النبي ﷺ وتبرأ منه الذمة، واحتج في ذلك بخبر ابن الأشرف.[٦١].

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول :كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه . مسلما كان أو كافرا. فعليه القتل و أرى أن يقتل و لا يستتاب[٦٢].

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول:كل من نقض العهد و أحدث في الإسلام حدثا مثل هذا رأيت عليه القتل، ليس على هذا أعطوا العهد و الذمة، وكذلك قال أبو الصفراء: سألت أبا عبد الله عن رجل من أهل الذمة شتم النبي ﷺ ماذا عليه ؟ قال: إذا قامت البينة عليه يقتل من شتم النبي ﷺ مسلما كان أو كافرا، رواهما الخلال[٦٣].

وفي الإنصاف:(وقيل: يتعين قتل من سب النبي ﷺ، قلت: وهذا هو الصواب وجزم به في الإرشاد وابن البنا في الخصال وصاحب المستوعب والمحرر والنظم وغيرهم واختاره القاضي في الخلاف،وذكر الشيخ تقي الدين أن هذا هو الصحيح من المذهب، قال الزركشي: يتعين قتله على المذهب وإن أسلم. قال الشارح: وقال بعض أصحابنا فيمن سب النبي ﷺ: يقتل بكل حال، وذكر أن أحمد نص عليه)[٦٤].

الرأي الثاني: للحنفية[٦٥]وبعض المالكية[٦٦]: أنه لا يقتل، على تفصيل يسير عندهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن مذهب الحنفية أن الذمي إذا سب رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل ولا ينتقض عهد ذمته، ولكن يعزر على إظهار ذلك كما يعزر على إظهار المنكرات التي ليس لهم فعلها من إظهار أصواتهم بكتابهم و نحو ذلك [٦٧].

غير أنه في التحقيق، فإن كثيراً من فقهاء الحنفية يرون أن الذمي إذا أكثر من سب النبي ﷺ فإنه يقتل، ويكون قتله سياسة[٦٨]. وقد أفرد ابن عابدين من كبار محققي المذهب الحنفي رسالة مطولة سماها "تنبيه الولاة والحكام إلى أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام"، أتى فيها بنصيب وافر من النقول والأدلة وآراء الفقهاء وحرر مذهب الحنفية تحريرًا جيدا في هذه المسألة.

قال ابن عابدين:أفتى أكثرهم بقتل من أكثر من سب النبي ﷺ من أهل الذمة وإن أسلم بعد أخذه وقالوا يقتل سياسة[٦٩].

---

(٦١) انظر: المجموع:(١٩/٤٢٨).

(٦٢) انظر: مسائل أحمد برواية ابنه عبد الله ص:(٤٣١)، الصارم المسلول:(١/١٠).

(٦٣) انظر: مسائل أحمد برواية ابنه عبد الله ص:(٤٣١)، الصارم المسلول:(١/١٠).

(٦٤) الإنصاف للمرداوي:(٤/١٨٥).

(٦٥) انظر: بدائع الصنائع:(٧/١١٣)، اللباب شرح الكتاب:(١/٣٩٦).

(٦٦) انظر: التاج والإكليل:(٦/٢٨٨).

(٦٧) انظر: الصارم المسلول:(١/١٦).

(٦٨) انظر: مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر:(٢/٤٨٢)..

(٦٩) انظر: حاشية ابن عابدين:( ٤/٦٣).

وفي مجمع الأنهر: من شتم النبي عليه الصلاة والسلام من الذمي فأرى للإمام أن يحرقه بالنار فله ذلك، ولا يسقط إسلامه قتله[٧٠].

وقال ابن القاسم والمخزومي وابن أبي حازم-من المالكية-: لا يقتل الذمي إذا سب النبي ﷺ[٧١].

**أولاً: أدلة الجمهور:**

استدل الجمهور على قتل الذمي والكافر إذا وقع منهم السب لرسول الله عليه السلام، وعلى أن الذمي ينتقض عهده بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس، على النحو التالي:

**أولاً: الأدلة من الكتاب العزيز:**

١- قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)[سورة الأحزاب:٥٧].

وجه الدلالة:قال القرطبي: (وأما أذية رسوله ﷺ فهي كل ما يؤذيه من الأقوال في غير معنى واحد، ومن الأفعال أيضا)[٧٢].

٢- قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[سورة التوبة:٦١].

وجه الدلالة:صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة، بأن من يؤذي رسول الله ﷺ له العذاب الأليم[٧٣].

٣ -قوله تعالى:(مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا)[سورة الأحزاب:٦١].

قال ابن عابدين -بعد استشهاده بهذه الآية والتي قبلها-: فهذه الآيات تدل على كفره وقتله، والأذى هو الشر الخفيف، فإن زاد كان ضررًا[٧٤].

هذا وهناك أدلة قرآنية أخرى استدل بها على نقض عهد الذمي بأمور منها سب النبي ﷺ، يطول المقام بذكرها، أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول.

**ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية:**

استدلوا من السنة بعدة نصوص قولية ، ووقائع فعلية منها ما يلي:

١- قول النبي ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين لما خطب في قصة الإفك واستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال:(من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي)، فقال سعد بن معاذ -سيد الأوس-: أنا يا

---

(٧٠) انظر: مجمع الأنهر:(٤٨٢/٢).

(٧١) انظر: التاج والإكليل:(٢٨٨/٦).

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن :(١٥٣/١٤)

(٧٣) انظر: أضواء البيان:(١٤٥/٢).

(٧٤) انظر: رسائل ابن عابدين- رسالة تنبيه الولاة والحكام: ٣١٧/١).

رسول الله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك(٧٥).

وجه الدلالة:أن قول سعد بن معاذ هذا دليل على أن قتل مؤذيه ﷺ كان معلوناً عندهم وأقره النبي ﷺ ولم ينكره ولا قال له أنه لا يجوز قتله(٧٦).

٢- ومن السنة أيضاً حديث عبد الله بن سعد بن أبي السرح، عن مصعب بن سعد عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وسماهم وابن أبي سرح فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به عثمان رضي الله عنه حتى أوقفه على رسول الله فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه مليا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال ما منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا قال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين(٧٧).

٣ - ومنها أيضًا قول النبي ﷺ"من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه"(٧٨).

وأما الوقائع فمنها قصة قتل النبي ﷺ لكعب بن الأشرف، وهي واقعة مشهورة في السيرة النبوية، نظرا لما وقع من كعب من إساءات لرسول الله ﷺ. وهذه الواقعة من أبرز أدلة الإمام الشافعي رحمه الله في المسألة.

ومنها أيضًا: ما روي عن الشعبي عن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها(٧٩).

### ثالثاً: الدليل من الإجماع:

أما الإجماع فقد تقدم ذكر حكاية بعض العلماء الإجماع على قتل من سب النبي ﷺ، ولم يعرف لهم مخالف من الفقهاء(٨٠).

---

(٧٥) جزء من قصة الإفك المشهورة في كتب السيرة والسنة والتفسير.

أخرجه البخاري في: كتاب: الشهادات, باب: تعديل النساء بعضهن بعضا (٩٤٢/٢), رقم الحديث:(٢٥١٨). ومسلم في كتاب: التوبة, باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (١١٢/٨), رقم الحديث:(٧١٩٦).

ومن كتب السيرة, انظر: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار:ص:(٣٠٠-٣٠١)، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص:(١١٧).

(٧٦) انظر: رسائل ابن عابدين- رسالة تنبيه الولاة والحكام:(٣١٧/١).

(٧٧) أخرجه أبو داود في سننه, في كتاب: الحدود, باب: الحكم فيمن ارتد (٢٢٥/٤), رقم الحدث:(٤٣٦١).

(٧٨) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب(٥٤١/٣)، رقم:(٥٦٨٨)، والسيوطي في الجامع الكبير برقم(٥٠٩٧) وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول ص:(٩٨/١): المحدث به عن أهل بيت ضعيف. وقال ابن عابدين: الحديث فيه محمد بن الحسين بن زبالة، وقد جرحه ابن حبان، وغيره، وقد رواه الخلال والأزجي، من حديث علي بن أبي طالب " من سب نبيا قتل، ومن سب صحابيا جلد" وابن الصلاح لم يقف على إسناده فينبغي النظر فيه. انتهى من : رسائل ابن عابدين- رسالة تنبيه الولاة والحكام :(٣١٨/١).

(٧٩) سبق تخريجه.

(٨٠) ممن حكى الإجماع: ابن المنذر والخطاب وإسحاق ابن راهويه والقاضي عياض –كما تقدم-.

**رابعا: القياس:**

ووجهه أن المرتد ثبت قتله بالإجماع والنصوص المتظاهرة ومنها قوله ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنه: "من بدل دينه فاقتلوه"[٨١] والساب مرتد مبدل لدينه[٨٢].

**ثانيًا: أدلة الرأي الثاني:**

استدل القائلون بعدم قتل الذمي إذا سب النبي ﷺ بأدلة لا تنهض أمام أدلة الجمهور، نوردها على النحو التالي:

١ - ما نقل عن بعض المالكية[٨٣] أنه ﷺ لم يقتل بعض اليهود الذين كانوا يقولون له: السام عليك[٨٤]، ولم يقتل اليهودية التي سمت الشاة[٨٥].

وهذا مردود عليه بوجوه منها:

أ- أنهم لم تقم عليهم البينة بذلك ولا أقروا به فلم يقض فيهم بعلمه[٨٦].

ب- وقيل: إنهم لما لم يظهروه ولووه بألسنتهم ترك قتلهم[٨٧].

ج – وقيل: إنه لم يحمل ذلك منهم على السب، بل على الدعاء بالموت الذى لا بد منه، ولذلك قال في الرد عليهم: وعليكم، أي الموت نازل علينا وعليكم، فلا معنى للدعاء به[٨٨]، أشار إلى ذلك القاضى عياض[٨٩].

٢- واحتج الطحاوي بنفس الدليل إلا أنه قال: إن هذا الكلام لو صدر من مسلم لكانت ردة، وأما صدوره من اليهودي فالذي هم عليه من الكفر أشد فلذلك لم يقتلهم النبي ﷺ.

ورد عليه بأن دمائهم لم تحقن إلا بالعهد وليس في العهد أنهم يسبون النبي ﷺ فمن سبه منهم تعدى العهد فينقض فيصير كافرا بلا عهد فيهدر دمه إلا أن يسلم، ويؤيده أنه لو كان كل ما يعتقدونه لا يؤاخذون به لكانوا لو قتلوا مسلما لو يقتلوا، لأن من معتقدهم حل دماء المسلمين ومع ذلك لو قتل

---

(٨١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير, باب: لا يعذب بعذاب الله (١٠٩٨/٣), رقم الحديث:(٢٨٥٤).

(٨٢) انظر: رسائل ابن عابدين- رسالة تنبيه الولاة والحكام:(٣١٨/١).

(٨٣) انظر: الذخيرة:(١٩/١٢).

(٨٤) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(إن اليهود إذا سلموا عليكم يقول أحدهم: السام عليكم فقل: عليك).

(٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله, لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت, قال: ما أصابني شيء منها إلا وهو مكتوب علي وآدم في طينته.

أخرجه أبو دواد في كتاب: الديات, باب: فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه أيقاد منه (٢٩٤/٤), رقم الحديث:(٤٥١٠). وابن ماجه في كتاب:الطب, باب: السحر (١١٧٤/٢), رقم الحديث:(٣٥٤٦).

(٨٦) انظر: عون المعبود:(١٢/١٢), فتح الباري لابن حجر:(٢٨١/١٢), نيل الأوطار:(٧٧٩/٤).

(٨٧) انظر: فتح الباري لابن حجر:(٢٨١/١٢), نيل الأوطار:(٧٧٩/٤).

(٨٨) انظر: عون المعبود:(١٢/١٢), فتح الباري لابن حجر:(٢٨١/١٢).

(٨٩) انظر: المجموع للنووي:(٤٢٧/١٩).

منهم أحد مسلما قتل، فإن قيل: إنما يقتل بالمسلم قصاصا، بدليل أنه يقتل به ولو أسلم، ولو سب ثم أسلم لم يقتل(٩٠).

**الرأي المختار:**

بعدما ما تقدم ذكره من آراء الفقهاء وأدلتهم في مسألة سب النبي ﷺ من غير المسلم، يمكن القول بترجيح رأي جمهور الفقهاء، نظرًا لقوة أدلتهم وسلامتها، وهو الذي يتفق مع فداحة الذي يرتكبه الذمي أو الكافر في حق رسول الله ﷺ.

**المطلب الثالث: واجب المسلمين تجاه الإساءة إلى النبي ﷺ:**

ينبغي على المسلمين اتخاذ مواقف رادعة نحو القائمين بالإساءة إلى رسول الله ﷺ، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، وذلك صيانةً لدين الله تعالى، وحفظًا لمكانة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

**ومن أبرز هذه المواقف التي ينبغي اتخاذها ما يلي:**

أولاً: المحافظة على سنة النبي ﷺ، والتعريف به وبرسالته ودعوته، ومحاولة جعلها في صورة مختصرة واضحة ليمكن الجميع من معرفتها، ونشر سيرته عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: العقوبة الشديدة لمن يتعمد سب النبي ﷺ بصورة لا يتأتى معها عذر أو تساهل، لاسيما إن وقع ذلك من شخص عالم بحرمة ذلك وخطورته على الدين.

ويستلزم ذلك من الدول الإسلامية سن القوانين والتشريعات الصارمة التي تعاقب القائمين بذلك، فتكون زاجرة لغيرهم(٩١).

ثالثاً: إظهار الرفض الشديد لأي محاولات تؤدي إلى النيل من شخص رسول الله ﷺ أو سنته أو آل بيته الكرام، سواء كانت محاولات صريحة أو خفية.

---

(٩٠) انظر: المجموع للنووي:(٤٢٧/١٩)، فتح الباري لابن حجر:(٢٨١/١٢).

(٩١) ويعتبر التعدي على مقام النبي ﷺ مستوجباً للعقوبة والمحاكمة في المملكة العربية السعودية، وذلك بناءً على المواد التالية من النظام الأساسي للحكم:

المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة.

المادة الرابعة والثلاثون: الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والمجتمع، والوطن على كل مواطن، ويبين النظام أحكام الخدمة العسكرية.

المادة الثامنة والثلاثون: العقوبة شخصية، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناءً على نص شرعي، أو نص نظامي، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامي. انظر: النظام الأساسي للحكم ١٤١٢هـ من خلال الموقع الالكتروني التالي: http://faculty.ksu.edu.sa/30520/ar/Documents/Rsa/1.pdf

ومن الدول التي شددت العقوبة في هذا الشأن الكويت، حيث ورد في القانون الكويتي:(كل من أذاع بإحدى الطرق العلنية المبينة في المادة (١٠١) آراء تتضمن سخرية أو تحقيراً أو تصغيراً لدين أو مذهب ديني، سواء كان ذلك في بالطعن في عقائده أو في شعائره أو في طقوسه أو في تعاليمه، يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنة واحدة، وبغرامة لا تتجاوز ألف دينار، أو بإحدى هاتين العقوبتين).

انظر: انتهاك حرمة الأديان- مادة رقم (١١١) من قانون الجزاء الكويتي لسنة ١٩٦٠م، من خلال الموقع الالكتروني التالي: http://www.gcc-legal.org/mojportalpublic/DisplayLegislations.aspx?country=1&LawTreeSectionID=2114

رابعاً: مقاطعة منتجات الدول أو الجهات التي يقع منها سب للنبي ﷺ أو إساءة بأي شكل من الأشكال، على غرار ما حدث من بعض الدول الإسلامية نحو الدنمارك منذ سنوات حين وقعت الإساءة للنبي ﷺ بنشر الرسوم المسيئة له.

خامساً: اتخاذ مواقف سياسية واجتماعية معينة نحو القائمين بسب النبي ﷺ أو الإساءة له.

إذا وقع سب الرسول ﷺ من غير المسلمين تحت حماية دولته أو مؤسسات دولته، فإنه ينبغي على المسلمين اتخاذ مواقف سياسية معينة نحو هذه البلاد أو هذه المؤسسات، مثل: عدم تشجيع العلاقات السياسية بينها، أو قطعها إذا لزم الأمر، أو مطالبتها بالاعتذار الرسمي، أو مقاضاتها في المحاكم الدولية.

وبهذا استبان لنا موقف فقهاء الأمة ممن يتعدى على رسول الله ﷺ بالسب، أو الاستهزاء أو السخرية من المسلمين أو غير المسلمين، وما ينبغي أن يواجه به من عقوبات شرعية، وما ينبغي اتخاذه نحوه من تصرفات من آحاد المسلمين، ومن الجهات الرسمية، وذلك بقصد الذود عن دين الله تعالى وحفظه وصيانته من عبث العابثين.

وأخيرا، هذا ما وفقني الله تعالى للوقوف عليه وكتابته، فإن وفقت فمن الله، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان من ذلك. والله أعلم.

**الخاتمة:**

تم التوصل من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج، منها:

**أولاً**: دلت آيات الكتاب على وجوب طاعة النبي ﷺ وتعظيمه، وأن ذلك من تعظيم الله تعالى.

**ثانياً**: وجوب مراعاة الآداب الواجبة في حق النبي ﷺ، كندائه، ورفع الصوت فوق صوته، والأمر بالصلاة والسلام عليه، وغير ذلك.

**ثالثاً**: تنقسم صور الإساءة على النبي ﷺ سواءً في حياته أو بعد موته إلى قسمين: إساءة قولية وكتابية، كالإيذاء بالشعر والهجاء، والنثر، والرسوم الكركاتيرية، ونحوها. وإساءة فعلية تشمل الأفلام والتمثيل، والمحاربة، وإلقاء القاذورات، وإهانة قبره ﷺ، وتكثيل شخصيته عليه الصلاة والسلام.

**رابعاً**: تتعدد دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ وتختلف من زمن لآخر، وأبرز هذه الدوافع: دعوى حرية التعبير عن الرأي، ودعوى تعليم سيرة النبي ﷺ، وبغض النبي عليه الصلاة والسلام أو بغض دينه والاستهزاء به، وجهل بعض غير المسلمين أو حديثي العهد بالإسلام بمكانته عليه الصلاة والسلام.

**خامساً**: وجوب المقاطعة الإقتصادية إذا كان فيها تحقيق لمصلحة، وانتفاء لمفسدة أعظم، وتحريمها إذا لم يترتب عليها إضرار بالكفار، وتفضي إلى مفسدة راجحة، وندبها إذا لم يترتب عليها إضرار بالكفار، ولا تفضي إلى مفسدة راجحة.

**سادساً**: أجمع الفقهاء على أن من سب النبي ﷺ من المسلمين، فإنه يكفر بذلك، ويرتد عن دين الإسلام، ويجب إقامة حد الردة عليه.

**سابعاً**: إذا سب غير المسلم النبي ﷺ فإنه يكفر ويقتل.

**ثامناً**: يجب على المسلمين اتخاذ مواقف رادعة نحو القائمين بالإساءة إلى النبي ﷺ، **كالمقاطعة** الإقتصادية، واتخاذ المواقف السياسية والإجتماعية حيال ذلك. والله أعلم.



# منهج النبيِّ صلى الله عليه وسلم في التَّعامل مع من سبَّه

**د. عبدالله بن عيد بن عمير الجربوعي**
عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة
المملكة العربيَّة السُّعوديَّة



**المقدمة:**

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فإنَّ الله تعالى قد بعث نبيَّه محمَّدًا صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، وأيَّده بالآيات البيِّنات، والدَّلائل المعجزات، حتَّى لم يبق بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدِّين، بعزِّ عزيز، أو ذلِّ ذليل، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التَّوبة:٣١].

إلا أنَّ أعداء الرِّسالة منذ ذلك الزَّمان وما بعده ما فتئوا يطعنون في هذا الدِّين، وفي المبعوث به؛ تشويهًا وتضليلاً، وحسدًا وحقدًا دفينًا؛ ليصرفوا أنظار النَّاس عنه، وينفِّروهم من التَّعرُّف عليه، أو الدُّخول فيه، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التَّوبة:٣٢].

بل إنَّ من أولئك البعيدين من بلغ مبلغًا عظيمًا في الطَّعن والتَّشويه، فطال ذات النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، سبًّا وشتمًا، وسخرية واستهزاءًا، وهجاءًا وافتراءًا.

ولم يكن النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم ليترك من كان هذا حالهم، بل تعامل معهم بما ينبغي التَّعامل به، وفق أحكام الشَّريعة الإلهيَّة.

وقد أحببت أن أُبيِّن هذا التَّعامل النَّبويَّ وأوضحه في المشاركة بموضوعه في المؤتمر الدَّوليِّ المبارك بماليزيا عن السُّنَّة، وأسميته: ( هدي النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في التَّعامل مع من سبَّه ).

**أهميَّة الموضوع:**

تكمن أهميَّة الموضوع في مسيس الحاجة إليه في هذا الزَّمان، إذ لا يزال أعداء الدِّين الإسلاميِّ يخرجون بين الفينة والأخرى بالسَّبِّ والشَّتم، والسُّخرية والاستهزاء بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وينالون عرضه الشَّريف الطَّاهر المبارك بأنواع الأذى.

**الهدف منه:**

أهدف من المشاركة بهذا الموضوع إلى بيان حكم الشَّريعة الإسلاميَّة في السَّابِّ، بذكر أهمِّ الوقائع التي حدثت في زمن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، والحكم الذي حكم به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فيها.

**خطَّة البحث:**

جعلت البحث في مقدِّمة، فموضوع البحث، ثمَّ خاتمته، فثبت المصادر والمراجع، ففهرس الموضوعات.

فأمَّا المقدِّمة: فذكرت فيها بعد الافتتاحيَّة: أهميَّة الموضوع، والهدف من الكتابة فيه.

وأمَّا موضوع البحث: فذكرت فيه خبر أشهر من نال النَّبيَّصلى الله عليه وسلم بالسَّبِّ والشَّتم، أو السُّخرية والاستهزاء في حياته صلى الله عليه وسلم، وبيان الهدي النَّبويِّ في التَّعامل معهم، ومن أولئك:

- كعب بن الأشرف.
- عبدالله بن سعد بن أبي سرح.
- عبدالله بن خَطَل.
- أبو عَفَك.
- قينتان لعبدالله بن خَطَل.
- سارة مولاة عمرو بن هاشم.
- عصماء بنت مروان.

ثم الخاتمة: وذكرت فيها أهمَّ النَّتائج التي ظهرت من خلال البحث، فثبت المصادر والمراجع.

**موضوع البحث:**

لقد أكرم الله نبيَّه محمَّدًا صلى الله عليه وسلم أن اصطفاه لدعوة هذه الأمَّة، وجعله خاتمًا للنُّبوَّات والرِّسالات كلِّها، وأوحى إليه بالنَّذارة والبشارة بين يدي السَّاعة، وجعله قائمًا بحجَّة الله سبحانهعلى خلقه.

فأخذ صلى الله عليه وسلميدعو إلى الله وحده، في ليله ونهاره، وسرِّه وجهاره، يدعو كلَّ أحد، كبيرًا كان أو صغيرًا، شريفًا كان أو وضيعًا، حرًّا كان أو عبدًا، حتَّى أظهر الله أمره، وأعلى ذكره، وقامت حجَّة الله تعالى بيضاء نقيَّة.

ففرح بدعوته من أراد الله كشف حوالك الظُّلمات عن قلوبهم، فآمنوا به واتَّبعوه، وشرح الله صدورهم لهذا الدِّين، ونوَّرها بنور اليقين.

لكن، كان من النَّاس من استهوته الشَّياطين، وأضلَّتهم عن سلوك سبيل المؤمنين، فعتوا، وتمرَّدوا، ولم يقبلوا نور الله المبين.

فأظهروا العداء لهذا الدِّين، والمبعوث به من ربِّ العالمينصلى الله عليه وسلم، وتنوَّعت أساليبهم، وتعدَّدت مسالكهم في الكفر، والصَّدِّ عن سبيل الله سبحانه.

فكان من بين تلك الأساليب التي انتهجوها، والمسالك التي تقحَّموها: السُّخرية والاستهزاء، والسَّبُّ والهجاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإنَّ النَّاظر في كتب السِّيرة النَّبويَّة، والأحاديث الشَّريفة ليقف على عدد من أولئك، وما أظهروه من سخرية واستهزاء، وسبٍّ وهجاء، وكيف كان تعامل النَّبيِّصلى الله عليه وسلممعهم حينها.

ولم يكن هذا الأمر مقصورًا على زمانهم، بل لا يزال أعداء الدِّين في كلِّ مكان وحين، ينالون فيه عرض النبيِّ صلى الله عليه وسلم الطَّاهر الشَّريف المبارك بمثل تلك السَّخافات والحماقات؛ إفكًا وحسدًا وصدًّا عن سلوك سبيله، فكان هذا الأمر عاملاً من عوامل التَّحديات التي تواجه سنَّته صلى الله عليه وسلم.

وها أنذا أذكرأشهر من تعرَّض للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياته بمثل تلك الأمور، وكيف كان تعامل النبيِّصلى الله عليه وسلم مع كلِّ واحد منهم:

### ١. كعب بن الأشرف:

كان من خبر كعب هذا أن استشاط غيظًا عندما علم بانتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه على مشركي قريش يوم بدر، فخرج حتَّى قدم مكَّة، وجعل يحرِّض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويهجوه هو وأصحابه، ويمتدح عدوَّهم، ويبكي أصحاب القَليب من قريش، وأخذ ينشد الأشعار في ذلك، ثم رجع إلى المدينة، فشبَّب بنساء المسلمين، فآذاهم أذى شديدًا؛ فندب النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى قتله[١].

ففي الصَّحيحين[٢] من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: « نَعَمْ ». قَالَ: ائْذَنْ لِي فَلأَقُلْ. قَالَ: « قُلْ ». فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ - وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا - وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَّانَا. فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ. قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا. قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِى؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ. قَالَ تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ. قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا. قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلاَدَكُمْ. قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ. وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ – يَعْنِي: السِّلاَحَ -. قَالَ: فَنَعَمْ. وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِى عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ. قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلاً، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ. قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ. قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) انظر: مغازي الواقدي (١/١٨٤)، وسيرة ابن هشام (٣/٥٨و٦١)، وعيون الأثر (/٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاريُّ في عدَّة مواضع من صحيحه، أتمُّها في كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف (٥/٩٠ح٤٠٣٧)، ومسلم - واللَّفظ له - في كتاب الجهاد والسِّير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (٣/١٤٢٥ح١٨٠١ ).

مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلاً لأَجَابَ. قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ. قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ. فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ. قَالَ: نَعَمْ؛ تَحْتِي فُلاَنَةُ، هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ. قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ. فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ. قَالَ: فَقَتَلُوهُ.

قال القاضي عياض: (وجَّه إليه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من قتله غيلة دون دعوة، بخلاف غيره من المشركين، وعلَّل ذلك بأذاه له. فدلَّ أنَّ قتله إيَّاه لغير الإشراك، بل للأذى)[٣].

### ٢. عبدالله بن سعد بن أبي سرح:

كان من أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أنَّه كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يقول: والله لو أشاءُ لقلتُ كما يقول محمَّد، وجئت بمثل ما يأتي به؛ إنَّه ليقول الشَّيء، وأصرفه إلى الشَّيء، فيقول: « أصبتَ ». وافتتن. وخرج هاربًا من المدينة إلى مكَّة مرتَّدًا، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح[٤].

روى سَعْدُ بن أَبي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، اخْتَبَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاَثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ». فَقَالُوا: مَا نَدْرِى يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ »[٥].

---

(٣) الشِّفا (٢٢١/٢).

(٤) انظر: مغازي الواقدي (٨٥٥/٢)، وسيرة ابن هشام (٥٧/٤).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتدَّ (٥٢٧/٤ح٤٣٥٩)– واللَّفظ له -، والنَّسائيُّ في كتاب تحريم الدَّم، باب الحكم في المرتدِّ (٩٧/٧)، وأبو يعلى في المسند (١٠٠/٢ح٧٥٧)، والحاكم في المستدرك (٤٥/٣) وقال: (صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه) - ووافقه الذهبيُّ -، من طرق عن أحمد بن المفضَّل، عن أسباط بن نصر قال: زعم السُّدِّيُّ، عن مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه به.

قلت: في إسناده أحمد بن المفضَّل قال فيه الحافظ في التَّقريب (ص/٨٤ت١٠٩): (صدوقٌ في حفظه شيء )، أخرج له أبو داود، والنسائيُّ ولم يخرِّج له مسلم شيئًا. فيتعقَّب به على الحاكم، والذهبيّ.

وأسباط بن نصر (صدوقٌ كثير الخطأ يغرب ) كما في المصدر نفسه (ص/٩٨ت٣٢١).

والسُّدِّيُّ - واسمه: إسماعيل بن عبد الرَّحمن بن أبي كريمة الكوفيُّ - صدوقٌ يهم كما في المصدر السَّابق (ص/١٠٨ت٤٦٣).

وله شاهدٌ من حديث ابن عبَّاس - رضي الله عنهما -: أخرجه أبو داود في نفس الكتاب والباب برقم (٤٣٥٨)، والنسائيُّ في نفس الكتاب والباب أيضًا (٩٩/٧) من طريق عليّ بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحويّ عن عكرمة، عن ابن عبَّاس ولفظه: كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشَّيطان فلحق بالكفَّار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفَّان ﷺ، فأجاره رسول الله ﷺ.

وإسناده حسنٌ؛ عليّ بن الحسين صدوقٌ يهم كما في التَّقريب (ص/٤٠٠ت٤٧١٧)، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ.

وللحديث طرقٌ أخرى كثيرة، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في الصَّارم المسلول (ص/١١٥): (وهو مما اتَّفق عليه أهل العلم، واستفاض عندهم استفاضة تستغني عن رواية الآحاد كذلك، وذلك أثبت وأقوى ممَّا رواه الواحد العدل ).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: (وهذا الطَّعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كتابه، والافتراء عليه بما يوجب الرَّيب في نبوَّته قدر زائد على مجرَّد الكفر به، والرِّدَّة في الدِّين، وهو من أنواع السَّبِّ)[٦].

قال ابن هشام: (ثمَّ أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطَّاب ﷺ بعض أعماله، ثمَّ ولاه عثمان بن عفَّان ﷺ بعد عمر)[٧].

### ٣. عبد الله بن خَطل:

كان عبدالله بن خطل مسلمًا، فارتدَّ عن الإسلام، وهرب إلى مكَّة، فقال له أهل مكَّة: ما ردَّك إلينا؟ قال: لم أجد دينًا خيرًا من دينكم. فأقام على شركه، وكان يقول الشِّعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقتله، فظُفر به يوم الفتح، كما في حديث أنس ﷺ المخرَّج في الصَّحيحين[٨]، فقال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وسلم: « اقْتُلُوهُ ».فقتله أبو برزة الأسلميّ ﷺ - في أثبت الرِّوايات كما قال الواقديّ - وهو متعلِّق بأستار الكعبة، بين الرِّكن والمقام.

### ٤. أبو عَفَك:

وكان شيخًا كبيرًا، قد بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يحرِّض على عداوة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأخذ ينشد الأشعار في ذلك. وقتله سالم بن عمير من بني النَّجَّار، عقب مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر.

### ٥. قينتان لابن خَطَل:

يقال اسم إحداهما: فَرْتَنَى، والأخرى: أرنبة، أو: قريبة. وكانتا تغنِّيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ابن خَطَل يأمرهما بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدخل عليه وعلى قينتيه المشركون، فيشربون الخمر، وتغنِّي القينتان بذلك الهجاء. فقُتلت إحداهما، وهربت فرتنى، حتَّى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمَّنها، ثم آمنت بعدُ.

### ٦. سارة مولاة عمرو بن هاشم:

وكانت مغنِّية نوَّاحة بمكَّة، وكان يُلقى عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغنِّي به.ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمَّنها.

---

(٦) الصَّارم المسلول (ص/١٢٢).

(٧) السِّيرة (٥٨/٤).

(٨) أخرجه البخاريُّ في عدَّة مواضع، منها في كتاب الجهاد، باب قتل الأسير، وقتل الصَّبر (٦٧/٤ح٣٠٤٤)، ومسلمٌ في كتاب الحجِّ، باب جواز دخول مكَّة بغير إحرام (٩٨٩/٢ح١٣٥٧).

**٧. عصماء بنت مروان:**

وكانت تؤذي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وتحرِّض على ترك دينه، وذمٍّ له، ولمن اتَّبعه، وتقول الشِّعر في ذلك. وقتلها عمير بن عديّ بن خرشة الخطميّ، عقب مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر[٩].

**الخاتمة:**

بعد هذا الاستعراض لحوادث أشهر من كان يؤذي النبيَّ صلى الله عليه وسلم في حياته ويسبّه، ظهرت منه بعض النَّتائج، أوجز أهمَّها في الأمور التَّالية:

١. الحكم بكفر من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وتحتُّم قتله، وعلى ذلك أجمع المسلمون[١٠]، ومن النُّقول عنهم في ذلك: ما رواه ابن القاسم، عن الإمام مالك قال: من سبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قُتل، ولم يُستتب.

وفي رواية المدنيّين عنه قال: من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو شتمه، أو عابه، أو تنقَّصه قُتل، مسلمًا كان أو كافرًا، ولا يُستتاب.

وروى بعض المالكيَّة إجماع العلماء على أنَّ من دعا على نبيٍّ من الأنبياء بالويل، أو بشيء من المكروه أنَّه يُقتل بلا استتابة[١١].

وما رواه إسحاق بن منصور، عن الإمام أحمد - وقد سأله: يُقتل أحد بشتم أحد؟- فقال: (إن شتم النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فنعم، وأمَّا غير النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فلا). قال إسحاق بن راهويه: (كما قال)[١٢].

وقال ابن راهويه أيضًا: (أجمع المسلمون على أنَّ من سبَّ الله، ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئًا مما أنزل الله تعالى، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله تعالى أنَّه كافر بذلك، وإن كان مُقرًّا بكلِّ ما أنزل الله)[١٣].

وقال محمَّد بن سحنون: (أجمع العلماء على أنَّ شاتم النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، المتنقِّص له كافرٌ، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمَّة القتل، ومن شكَّ في كفره وعذابه كفر)[١٤].

وقال أبو سليمان الخطَّابيّ: (إنَّ السَّبَّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدادٌ عن الدِّين، ولا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إن كان مسلمًا)[١٥].

---

(٩) انظر في ما تقدَّم: مغازي الواقدي (١/١٧٢و١٧٤)،(٢/٨٢٥و٨٥٩-٨٦٠)، وسيرة ابن هشام (٤/٥٨-٥٩و٢٩٢-٢٩٣)، وطبقات ابن سعد الكبرى (٢/٢٧-٢٨و١٣٦)، وتاريخ الطبريّ (٣٥٨-٦٠).

(١٠) انظر: المجموع للنَّوويّ (١٩/٤٢٦)، والتَّاج والإكليل (٨/٨٣٠).

(١١) انظر: الصَّارم المسلول (ص/٥٢٧).

(١٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (٧/٣٣٩٥-٣٣٩٧رقم المسألة٢٤٤٤).

(١٣) انظر: الصَّارم المسلول (ص/٩).

(١٤) انظر: الشِّفا للقاضي عياض (٢/٢١٥-٢١٦).

وقال ابن عتَّاب: (الكتاب والسُّنَّة موجبان أنَّ من قصد النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم بأذى، أو نقص، معرِّضًا أو مصرِّحًا وإن قلَّ فقتله واجب)[١٦].

وقال ابن المنذر: (أجمعوا على أنَّ من سبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم له القتل)[١٧].

وقال القاضي عياض في كتاب الشِّفا[١٨]: (اعلم - وفَّقنا الله وإيَّاك - أنَّ جميع من سبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصًا في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به، أو شبَّهه بشيء على طريق السَّبِّ له، أو الإزراء عليه، أو التَّصغير لشأنه، أو الغضِّ منه، والعيب له، فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم السَّابِّ، يُقتل - كما نبيِّنه -، ولا نستثني فصلًا من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا يمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنَّى مضرَّة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذَّمِّ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام، وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيَّره بشيء ممَّا جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمضه ببعض العوارض البشريَّة الجائزة والمعهودة لديه.

وهذا كلُّه إجماع من العلماء، وأئمَّة الفتوى، من لدن الصَّحابة - رضوان الله عليهم -، إلى هلمَّ جرًّا ... ). قال: (ولا نعلم خلافًا في استباحة دمه بين علماء الأمصار، وسلف الأمَّة، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: (إنَّ من سبَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر فإنَّه يجب قتله، هذا مذهبٌ عليه عامَّة أهل العلم)[١٩].

إلا أنَّ أبا حنيفة وأصحابه، وهو مرويٌّ عن الثَّوريِّ قالوا: بعدم انتقاض عهد الذِّمِّيِّ بالسَّبِّ، وأنَّه لا يُقتل بذلك، لأنَّ ما هم عليه من الشِّرك أعظم، ولكن يؤدَّب ويعزَّر، ما لم يُشترط انتقاض عهده بذلك، فإذا اشترط انتقض. وعلَّلوا ما ذهبوا إليه بقولهم: إنَّ كفره المقارن لم يمنع العهد، فالطَّارئ لا يرفعه. وقالوا: إلا إذا تكرَّر منه ذلك وأظهره، واعتاده، فحينها قالوا: بقتله سياسة، لا حدًّا[٢٠].

وأجابوا عن تلك الحوادث التي قتل فيها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من سبَّه وآذاه بأنَّ هذا من باب التَّعزير، وللإمام أن يعزِّر بما شاء، ولو بالقتل إن كانت المصلحة تقتضيه[٢١].

---

(١٥) معالم السُّنن (٣/٢٥٥).

(١٦) انظر: الشِّفا (٢/٢١٩).

(١٧) الإجماع (ص/١٢٢).

(١٨) (٢/٢١٤).

(١٩) الصَّارم المسلول (ص/٩).

(٢٠) انظر: الشِّفا (٢/٢٦٣)، والهداية (٢/٤٠٥)، واللُّباب في شرح الكتاب (٤/١٨٣-١٨٤)، وحاشية ردّ المحتار (٤/٢١٥). وقتل السِّياسة هو: ما يكون من باب الزَّجر والتَّأديب كما في حاشية ردّ المحتار (٤/١٤).

(٢١) انظر: الصَّارم المسلول (ص/١٦).

وعلى هذا يكون الإجماع الذي تقدَّم حكايته عن أهل العلم محمول على إجماع الصَّدر الأوَّل من الصَّحابة والتابعين. أو يكون المقصود به إجماعهم على أنَّ سابَّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يجب قتله إذا كان مسلمًا.

وعليه نقول: إن كان السَّابُّ مسلمًا فإنَّه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وإن كان ذمِّيًّا فإنَّه يقتل أيضًا في قول أكثر أهل العلم، إلا أنَّ الحنفيَّة قيَّدوه بمن تكرَّر منه ذلك وأظهره، فيقتل حينئذ تعزيرًا(٢٢).

٢. أنَّ النّسوة اللاتي أمر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقتلهنَّ إنَّما كان ذلك موجب سبِّهنَّ له صلى الله عليه وسلم، لا لأجل الكفر المحض، إذ كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يوصي غزاته بعدم قتل النِّساء، ففي الصَّحيحين(٢٣) من حديث عَبد اِلله بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. فعلم بذلك أنَّ سبَّهن للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هو الأمر الذي أستحققن به القتل، غير الكفر(٢٤).

٣. أنَّ للنبيِّ صلى الله عليه وسلمفي حياته الخيار في حكم من سبَّه، إمَّا القتل، وإمَّا العفو؛ لأنَّه حقٌّ ثابت له، فالخيار فيه إليه، وأمَّا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا حكم القتل فيمن سبَّه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: (إنَّ سبَّ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كان موجبًا للقتل في حياته، وكان إذا علم بذلك تولَّى هذا الحقَّ، فإن أحبَّ استوفى، وإن أحبَّ عفا. فإذا تعذَّر إعلامه: لغيبته، أو موته، وجب على المسلمين القيام بطلب حقِّه، ولم يجز العفو عنه من الخلق) (٢٥).

وقال أيضًا ما ملخَّصه: (إنَّ الأحاديث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم تدلُّ على أنَّ من كان يسبُّه صلى الله عليه وسلم ويؤذيه من الكفَّار فإنَّه كان يقصد قتله، ويحضُّ عليه لأجل ذلك، ثمَّ من هؤلاء من قُتل، ومنهم من جاء مسلمًا تائبًا، فعصم دمه لثلاثة أسباب:

أحدها: أنَّه جاء تائبًا قبل القدرة عليه.

الثَّاني: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خلقه أن يعفو عنهم.

الثَّالث: أنَّ الحربيَّ إذا أسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهليَّة، لا من حقوق الله تعالى، ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه)(٢٦).

---

(٢٢) انظر: الشِّفا (٢/٢١١)، والصَّارم المسلول (ص/٩-١٠).

(٢٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجهاد، باب قتل النِّساء في الحرب (٤/٦١ح٣٠١٥)، ومسلمٌ في كتاب الجهاد والسِّير، باب تحريم قتل النِّساء والصِّبيان في الحرب (٣/١٣٦٤ح١٧٤٤).

(٢٤) انظر: الصَّارم المسلول (ص/١٥٩و١٦٩).

(٢٥) الصَّارم المسلول (ص/٤٤٧).

(٢٦) المصدر نفسه (ص/١٥٩و١٦٩).

# الردود العقلية على من طعن في صحب خير البرية

عزيزة بنت سعيد بن شاهر الصاعدي



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.وبعد:

فإنه لا يغيب عن المسلمين فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانتهم، كما نطق به الكتاب والسنة وأجمع عليه علماء المسلمين، ومع أن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة؛ إلا أن الواقع اليوم يخالف ذلك؛ فقد نالهم من صنوف الأذى والكذب عليهم والتجني شيئا كثيرا.

وكانت الطعون تتوالي عليهم من كثير من الطوائف المنتسبة لدين الإسلام.

والطعون على الصحابة رضي الله عنهم هي قديمة وحديثة ومتجددة في كل وقت وزمان، وهذه الطعون بحاجة للرد عليها رداً يبطلها، ولما كان كثير من هؤلاء لا يؤمن ولا يثق بالقرآن العظيم، وكانت شبههم وطعونهم تسللت إلى قلوب بعض العوام أحببتُ أن أرد عليهم بأدلة عقلية، بعضها موجود في كتب أهل العلم ولكنها مبثوثة متفرقة فجمعتُ من ذلك ما يسره الله وأضفتُ إليه ما فتح الله لي من رحمته، ورأيتُ جمع ذلك في مكان واحد مناسبا؛ ليكون أنفع وأقوى في الرد على هؤلاء.

وأنا لم أقف على من ذكرها وجمعها في مكان واحد، ولا من أفرد هذه الردود العقلية بهذه الطريقة، فهي طريقة مبتكرة. وليس معنى هذا أننا لا نعتمد على كتاب ربنا وسنة نبينا، ولكن السبب هو ما ذكرتُه آنفا. وليس في استخدام العقل إقصاء للنص، بل هو منه، إذ كثير ما تكون الردود العقلية منتزعة منه، راجعة إليه. ولستُ ببدع بهذا فقد سبقني إليه أئمة أعلام في هذا،وهذه بعض أدلتهم العقلية التي استخدموها في الرد على الطاعنين في صحابة رسول اللهصلى الله عليه وسلم: قال الخطيب البغدادي: «...على أنَّه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله فيهم شيءٌ ممَّا ذكرناه لأوجبتِ الحالُ التي كانوا عليها- من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المُهَجِ والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدِّين وقوة الإيمان واليقين- القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنَّهم أفضل من جميع المُعَدِّلين والمُزَكِّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافةُ العلماء ومن يُعتدُّ بقوله من الفقهاء»[1].

---

(١) "الكفاية في علم الرواية" (٤٨/١).

وبنحو هذا قرر الآمدي إثباته لعدالة الصحابة،حيث قال: «ومنها ما ظهر واشتهر بالنقل المتواتر الذي لا مراء فيه: من مناصرتهم للرسول ،والهجرة إليه ،والجهاد بين يديه، والمحافظة على أمور الدِّين وإقامة القوانين، والتشدد في امتثال أوامر الشرع ونواهيه، والقيام بحدوده ومراسيمه، حتى إنَّهم قتلوا الأهل والأولاد حتى قام الدِّين واستقام ولا أدل على العدالة أكثر من ذلك»(٢).

هذا دليل عقلي وهو دليل الشهرة والاستفاضة والتواتر،وهو مما استخدمته الباحثة.

قال أبو زُرعة: «إذا رأيتَ الرَّجل ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وسلمفاعلم أنَّه زنديق؛ وذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلمعندنا حقٌ، والقرآن حقٌ؛ وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإنَّما يريدون أن يُجرِّحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُنَّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٣).

وهذا دليل عقلي وهو الأخذ بالمآل واعتباره، فالإمام الرازي يشير إلى أن الطعن في الصحابة يستلزم الطعن في الكتاب والسنة ويبطل الاحتجاج بهما وهذا دليل عقلي ظاهر.

وقال إمامُ الحرمين: «ولعلَّ السبب الذي أتاح الله الإجماع لأجله، أنَّ الصحابة رضي الله عنهم هم نقلة الشريعة، ولو ثبت توقفٌ في رواياتهم؛ لانحصرت الشريعةُ على عصر رسول صلى الله عليه وسلملما استرسلت على سائر الأعصار»(٤).

إذ الدِّين هو الكتاب والسُنَّة، وما وصلا إلينا إلا عن طريقة الصحابة رضي الله عنهم، وإذا لم نعتقد عدالتهم فكيف نقبل ديناً نَقَلَتُهُ غير عدول؛ ولذلك قال ابنُ عبدالبر: «ولا أعدل ممَّن ارتضاه الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»(٥).

فحفظ الدِّين يقتضي عدالتهم إذ كيف يَعِدُ الله تعالى بحفظ دينه بينما يكون حملته ونقلته عن نبيه صلى الله عليه وسلم مطعون في عدالتهم ونزاهتهم، وييسر للأمة مع ذلك الإجماع على عدالتهم وقبول رواياتهم بغير شك وريبة؟ فإنَّ هذا ممَّا لا يستقيم(٦).

فالقول بعدم عدالة الصحابة رضي الله عنهم يدعو عقلاً إلى الشك بكون الإسلام ديناً صحيحاً، صالحاً لكل زمان ومكان.

وقال ابنُ تيميَّة: «ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ،لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله»(٧).

---

(٢) "الكفاية في علم الرواية" (ص٤٩).

(٣) "الإحكام في أصول الأحكام" (١٠٣/٢).

(٤) "البرهان في أصول الفقه" (٦٣٢/١).

(٥) "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٢/١).

(٦) "تنبيه ذوي النجابة إلى عدالة الصحابة" (ص٢٥).

(٧) "العقيدة الواسطية" (ص١٦١).

وقال الزرقاني: «والواقع أنَّ العقل المجرد من الهوى والتعصب، يحيل على الله في حكمته ورحمته، أنْ يختار لحمل شريعته الختامية، أمة مغموزة، أو طائفة ملموزة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[٨].

ومن هنا كان توثيق هذه الطبقة الكريمة طبقة الصحابة، يعتبر دفاعاً عن الكتاب، والسُنَّة، وأصول الإسلام من ناحية، ويعتبر إنصافاً أدبياً لما يستحقونه من ناحية ثانية، ويعتبر تقديراً لحكمة الله البالغة في اختيارهم لهذه المهمة العظمى من ناحية ثالثة، كما أن تَوْهِينهم والنيل منهم، يُعدُّ غمزاً في هذا الاختيار الحكيم، ولمزاً في ذلك الاصطفاء والتكريم، فوق ما فيه من هدم الكتاب، والسُنَّة، والدِّين.

واخترتُ الصحابة رضي الله عنهم لأنهم الواسطة بينا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم أساس الحديث. وسيقتصر هذا البحث على الرد وإبطال التهم الموجهة للصحابة بالفسق وغيره عند كل من طعن فيهم؛ وذلك من خلال أمرين:

**الأمر الأول:** ذكر الأدلة العقلية وبيانها؛ لأن كثيرا من المخالفين لنا لا يعترفون بمصادرنا في الجملة كالقرآن الكريم والسنة النبوية.

**الأمر الثاني:** ذكر الأدلة النقلية تعضيدا لما يشهد له العقل، ولإثبات ما يأتي:

- أن العقل الصحيح لا يمكن أن يخالف النقل الصحيح.
- وأن ما ذهبتْ إليه بعض الفرق المخالفة في هذا الباب قد شهد العقل واتفق مع النقل على بطلانه.

وقد قسمت البحث إلى :مقدمة، ومبحثين وخاتمة .

**المقدمة:** ذكرت فيها أهمية الموضوع ,وخطة البحث.

**المبحث الأول: تعريف الصحابي ،وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: معنى الصحابي في اللغة.

المطلب الثاني: معنى الصحابي في الاصطلاح

**المبحث الثاني:الأدلة العقلية على عدالتهم ومكانتهم ،وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول:الاستدلال بفضل الرسولصلى الله عليه وسلم ومكانته على فضل الصحابة ومكانتهم.

المطلب الثاني: الاستدلال بالكتب السماوية السابقة على فضلهم ومكانتهم.

المطلب الثالث: الشواهد التاريخية على فضلهم ومكانتهم.

(٨) "مناهل العرفان في علوم القرآن" (١/٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الرابع: النتائج المترتبة على اعتقاد كفرهم.

**الخاتمة:**ذكرت فيها أهم النتائج.

## المبحث الأول
## تعريف الصحابي

### المطلب الأول: تعريف الصحابي في اللغة.

قال ابنُ فارس: «الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ،يدلُّ على مقارَنة الشيء ومقاربته، من ذلك: الصَّاحب والجمع الصَّحْب»[٩]. وقال أبو بكر بن الباقلاني: «لا خلاف بين أهل اللغة في أنَّ القول صحابي مشتق من الصحبة، وأنَّه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً، ويُقال: صحبتُ فلاناً حولاً، ودهراً، وسنةً، وشهراً، ويوماً، وساعةً، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع منها وكثيرة؛ وذلك يوجب في حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قدر من الوقت»[١٠].

وعلى هذا التعريف اللُّغوي جرى أصحاب الحديث في تعريفهم الصحابي اصطلاحاً: فذهبوا إلى إطلاق الصحابي على كل مَنْ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، صحبة كثيرة أو قليلة، ولو ساعة واحدة من نهار فما فوقها، وهذا يعني أنَّ الصحبة في اللُّغة لا يُشترط في إطلاقها أن تكون الملازمة بين الشيئين مدة طويلة، بل يصحُّ إطلاقها على كل من صحب غيره مهما كان مقدار الصحبة؛ ولذلك قال: « الصحابي لغة: يقع على من صحب أقلَّ ما يُطلق عليه اسم صحبة فضلاً عمَّن طالتْ صحبته وكثُرتْ مجالسته»[١١].

### المطلب الثاني: تعريف الصحابي في الاصطلاح.

اختلف العلماء -رحمهم الله- في تعريف الصحابي اصطلاحاً على أقوال عديدة أشهرها ما يلي:

١- قول الأصوليين، حيث اشترطوا للصحبة: «طول المكث، وكثرة المجالسة، والملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم»[١٢]. قال السمعاني: «هو من حيث اللغة والظاهر: من طالت صحبته مع النَّبي صلى الله عليه وسلم،وكثُرتْ مجالسته له؛ ولهذا يوصف من أطال مجالسة أهل العلم بأنَّه من أصحابه، ثمَّ قال: هذه طريقة الأصوليين»[١٣].

٢- قول المُحدِّثين: وهو أنَّ الصحبة تقع بمجرد الرُّؤية والصحبة. قال البخاري: «باب فضائل أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم وهم: من صحب النَّبيصلى الله عليه وسلم أو رآه من

---

(٩) " معجم مقاييس اللغة" (٣/٢٦١).

(١٠) يُنظر: "الكفاية في علم الرواية" (ص٥١) ، "أسد الغابة " (١/١٩).

(١١) "فتح المغيث شرح ألفية الحديث" (٣/٧٩).

(١٢) "المستصفى في علم الأصول" (١/١٦٥).

(١٣) "البحر المحيط في أصول الفقه" (٣/٣٥٩).

المسلمين فهو من أصحابه»[١٤]. وذكروا «أنَّ اسم الصحابة يُطلق على كُلِّ من روى عنه حديثاً أو كلمةً، ويتوسعون حتى يعدُّون من رآه من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النَّبي صلى الله عليه وسلم أعطوا كُلَّ من رآه حكم الصحابة رضي الله عنهم»[١٥]. قال الحافظ ابنُ حجر: «وأصحُّ ما وقفتُ عليه من ذلك أنَّ الصحابي من لقي النَّبي صلى الله عليه وسلم، مؤمناً به، و مات على الإسلام، ولو تخللتْ ذلك ردة على الأصح»[١٦].

وشَرَحَ الحافظ ابنُ حجر أجزاء التعريف فقال:

- قوله: "من لقيه": يدخل فيه من طالتْ مجالسته له، أو قصُرتْ، ومن روى عنه، أو لم يرو عن، ومن غزا معه، أولم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

- وقوله: "الإيمان": يخرج به من لقيه كافراً، ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع معه مرة أخرى.

- وقوله: "مؤمناً به": يُخرج من لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

- وقوله: "ومات على الإسلام": يُخرج من لقيه مؤمناً به ثمَّ ارتد، ومات على ردته والعياذ بالله،

ويُدخل فيه من ارتدَّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم، مرة أخرى أم لا[١٧].

وخلاصة ما سبق أنَّ الصحابي يُطلق على من توفرتْ فيه الشروط التالية:

- أنْ يكون قد لقيَ النَّبي صلى الله عليه وسلم.
- أنْ يكون قد دخل في الإسلام.
- أن يموت على دين الإسلام.

وبعد سرد أقوال أهل العلم -رحمهم الله- في تعريف الصحابي يظهر أنَّ التعريف الراجح هو تعريف المحدثين وهو الذي اعتمده الحافظ ابنُ حجر؛ وذلك لما يلي :

**أولاً**: «أنَّه يتلاءم مع المدلول اللغوي لكلمة الصحبة، ولا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا عند وجود مقتضٍ لذلك من نصٍّ أو مانع، ولا وجود لشيء من ذلك.

**ثانياً**: أنَّ هذا التعريف استحسنه وقَبِله أهل العلم بعده.

**ثالثاً**: أنَّ من شروط التعريف الصحيح أن يكون جامعاً مانعاً، وقد انطبق هذا الشرط على تعريف الحافظ ابن حجر، فهو تعريف جامع ومانع، فجامع؛ حيث جمع أجزاء المحدود ومانع؛ حيث أخرج ما لا يكون داخلاً في المحدود.

(١٤) صحيح البخاري (١٣٣٣/٣).

(١٥) " مقدمة ابن الصلاح " (ص٢٩٣).

(١٦) "الإصابة في تمييز الصحابة" (٢٣٨/١).

(١٧) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها.

**رابعاً**: لشرف منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وعُلو قَدْره صلى الله عليه وسلم، وأنَّ لصحبته عليه - الصلاة و السلام -مزية تختلف عن صحبة غيره، فالتوسع في إطلاق الصحبة فيه وجه من وجوه الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدير لمكانته عليه الصلاة والسلام، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى: تكريم لجماعة من البشر اختارهم سبحانه ليكونوا معيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصري دينه، وناشري شريعته».(١٨)

## المبحث الثاني

## الأدلة العقلية على عدالتهم ومكانتهم

### المطلب الأول: الاستدلال بفضل الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته على فضل الصحابة ومكانتهم.

لقد كان من حكمة الله في خلقه أن يصطفي من شاء من عباده، وكان الأنبياء صفوة خلق الله سبحانه وتعالى، ففاضل بينهم، وكان أفضل من اصطفى الله منهم أولي العزم، وأولو العزم هم  الذين ورد ذكرهم في سورتي الأحزاب والشورى.

وكان أفضل هؤلاء الخمسة محمدصلى الله عليه وسلم، وقد اختار الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خير الشرائع وأنزل عليه خير الكتب وأرسله للناس كافة وختم به الرسالة،فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ نَبِي اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَوْ إِنَّ رَبِّي أمرني أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا علمني يومي هَذَا». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِىَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحْرِقَ قُرَيْشًا. فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً فَقَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا أَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نَغْزُ بِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ أَمْثَالِهِ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ»(١٩).

**ومن الأدلة العقلية التي تُثبت انتفاع الصحابة** رضي الله عنهم **برسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلي:**

- **أن  العادة قضت بأن الجليس يتأثر بجليسة ويتجاذب معه و يتحاكى به:**

فإنه من المقرر عقلا تأثير الجليس بجليسه،حتى قالوا: إن الطبع سرَّاق، وقالوا: الإنسان مديني بطبعه يشيرون إلى حب الإنسان للاتصال بالناس والتأثر بهم.

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطورة المخالطة وأنها عملية تأثير وتاثر فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً

---

(١٨) "عدالة الصحابةﷺ عند المسلمين" (ص٣٨).

(١٩) أخرجه مسلم (٢١٩٧/٤ رقم ٢٨٦٥).

خبيثة»[٢٠]. فكيف بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لازموه حضرا وسفرا ،وليلا ونهارا لا يتأثرون به في خُلقه وسلوكه وفي زهده وعبادته.

- **الجزاء من جنس العمل:**

أنه من المقرر في حياة الناس: أن الجزاء من جنس العمل، وأن من جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر[٢١]، فهل يعقل أن هؤلاء القوم الذي بذلوا في سبيل الله الغالي والنفيس من مفارقة الأهل والأوطان وترك الأحباب والخلان، أن يرتدوا على أعقابهم كافرين، وأن يكافئهم الله بذلك.

- **مقارنة بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرسل السابقة عليهم السلام.**

أنه من المقرر فيمن كان قبل الصحابة من الأمم السالفة أن أحدهم لا يرتد عن دينه ولو نُشر بالمنشار كما في حديث خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[٢٢].

وقال هرقل لأبي سفيان: «وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب»[٢٣].

وكذلك هم لم يكونوا ببدع ممن قبلهم، فهم أسلموا والإسلام كان ضعيفا مع قلة النصير والمعين، فكيف يرتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في حال الأمن والنعيم والعيش الرغيد!!!

- **كانت الأمم السالفة تحترم أتباع الأنبياء وتبالغ في تعظيهم ،فماذا يجب علينا تجاه الصحابة** رضي الله عنهم**!!**

فقد سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم»[٢٤].

وقال الإمام محمد بن صُبيح بن السماك _رحمه الله تعالى_ لمن انتقص الصحابة: «علمتَ أن اليهود لا يسبون أصحاب موسى -عليه السلام- وأن النصارى لا يسبون أصحاب عيسى -عليه السلام- فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ وقد علمتُ من أين أوتيتَ لم يشغلك ذنبك

(٢٠) أخرجه البخاري برقم: ٥٥٣٤

(٢١) هذا عجز بيت من قصيدة لأبي فراس الحمداني وصدر البيت: تهون علينا في المعالي نفوسنا . . ديوان أبي فراس الحمداني (١ / ١٥٨).

(٢٢) البخاري (١٣٢٢/٣ ، رقم ٣٤١٦) .

(٢٣) صحيح البخاري (١ / ٧ح٧).

(٢٤) منهاج السنة النبوية - (١ / ١١).

أما لو شغلك ذنبك لخفت ربك، ولقد كان في ذنبك شغل عن المسيئين فكيف لم يشغلك عن المحسنين؟ أما لو كنت من المحسنين لما تناولت المسيئين، ولرجوت لهم أرحم الراحمين، ولكنك من المسيئين فمن ثَمَّ عبت الشهداء والصالحين، أيها العائب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لو نمتَ ليلك، وأفطرت نهارك لكان خيرا لك من قيام ليلك، وصوم نهارك مع سوء قولك في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فويحك لا قيام ليل، ولا صوم نهار، وأنت تتناول الأخيار فأبشر بما ليس فيه البشرى إن لم تتب مما تسمع وترى..وبم تحتج يا جاهل إلا بالجاهلين، وشر الخلف خلف شتم السلف لواحد من السلف خير من ألف من الخلف»[٢٥].

- **فضل الدين الإسلامي على من انتسب إليه.**

ثم إنه من المعلوم أنه لم يأت دين فيه من فضائل الأعمال والتقريب من الملك الديان، والأجر العظيم والتخفيف على عباد الله المؤمنين مثل ما جاء في دين الإسلام الذي بُعث به محمدصلى الله عليه وسلم، فهل من العقل أن يترك المسلم دينا له هذه الفضائل والمزايا إلى الكفر والردة وظلمة القلب!!![٢٦].

**المطلب الثاني: الاستدلال بالكتب السماوية السابقة على فضلهم ومكانتهم.**

- **ذكر صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل.**

روى الحافظ البيهقي بسنده عن وهب بن منبه اليمامي قال: إن الله عز وجل لما قرب موسى نجيا، قال: «رب إني أجد في التوراة أمة: خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة هم خير الأمم الآخرون من الأمم، السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: يا رب إني أجد في التوراة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها، وكان من قبلهم يقرؤن كتبهم نظرا ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاتلون رؤوس الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها نارا فأكلتها، فان لم تقبل لا تقربها النار، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن علمها كتب له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد, لا أغضب عليه أبدا، ولا يغضبني أبدا، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر» [27].

- **ذكر محاسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وما تفضل الله به عليها.**

---

(٢٥) رواه المعافي في الجليس الصالح (٣٩٢/٢).

(٢٦) دلائل النبوة ( ١ / ٣٨٠ – ٣٨٥) والبخاري في التاريخ الكبير (١ / ١ / ١٧٩)

(٢٧) البداية والنهاية - (٦ / ٧٠)

«... أمته مرحومة، أعطيهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني بوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا إلى كل صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم.

يا داود إني فضلت محمدا وأمته على الأمم كلها، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم: لا آخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إن استغفروني منه غفرته لهم، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم جعلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المدخر عندي أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك وأعطيتهم، على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، فإن دعوني استجبت لهم، فإما أن يروه عاجلا، وإما أن أصرف عنهم سوءا، وإما أن أدخره لهم في الآخرة، يا داود ! من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صادقا بها، فهو معي في جنتي وكرامتي، ومن لقيني وقد كب محمدا أو كذب بما جاء به، واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صبا، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار» [٢٨].

- **ذكر أوصاف صحابة رسول صلى الله عليه وسلم**

قال جبير بن مطعم: لما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وظهر أمره بمكة، خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: أمن الحرم أنت ؟ قلت: نعم، قالوا: فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت: نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرا لهم فيه تماثيل وصور، فقالوا لي: أنظر هل ترى صورة هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ فنظرت فلم أر صورته، قلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدير، فإذا فيه تماثيل وصورا أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لي: هل ترى صفته ؟ قلت: نعم، قالوا: هو هذا ؟ - وأشاروا إلى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - قلت: (اللهم) نعم، أشهد أنه هو، قالوا: أتعرف هذا الذي آخذ بعقبه ؟ قلت: نعم، قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده.

وهذه الصفات أول ما انطبقت على من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يشهد لهذا وجود أوصاف الصحابة عند أهل الكتاب كما في قصة فتح بيت المقدس ؛وذلك حين كتب الارطبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرطبون وقال: اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني.

(٢٨) البداية والنهاية - (٦ / ٧١)

وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أني صاحب فتح هذه البلاد، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك.

فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للارطبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال: صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف.

فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له: إني أعالج حربا كؤدا صدوما، وبلادا ادخرت لك، فرأيك.

فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمرا لم يقل ذلك إلا لأمر علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس »(٢٩)

فظهر بهذه الأدلة العقلية فضل الصحابةﷺ وقبح وعظم إساءة من اعتقد كفرهم وضلالهم وأن هذا الوصف به أليق وأحق.

**المطلب الثالث: الشواهد التاريخية على فضلهم ومكانتهم.**

من خلال النظر لواقع الأمة الإسلامية في تاريخها نجد أن وجود الصحابة كان هو الحصين الحصين للأمة الإسلامية من الوقوع في الفتن وخاصة في زمن الخلفاء الراشدين، وأنه كلما تطاول العهد بعد الصحابة رضي الله عنهم كلما كثرت البدع وانتشرت.

ويمكن تجلية هذه الحقيقة من خلال ما يلي :

**أولاً: بيان حرص الصحابة** رضي الله عنهم **على تبليغ رسالة النبي** صلى الله عليه وسلم **ونشر الدين،ومقاومتهم للبدع والرد على كل من خالف السنة ولو كان أقرب قريب،وشواهد هذا كثيرة جدا،منها:**

- **إنكار عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **على صبيغ.**

أن صبيغاً قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ ،فسأله عمر عن أشياء فعاقبه قال أبو بكر: في علمي أنه قال: وحرَّق كتبه، وكتب إلى أهل البصرة ألا تجالسوه. (٣٠)

- **إنكار ابن عُمر** رضي الله عنه **على أحد أبناءه حين عارض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه .**

قال سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: لا تمنعوا نسائكم المساجد إذا استأذنكم إليها, قال فقال بلال بن عبدالله :والله لنمنعهن قال

(٢٩) البداية والنهاية - (٧ / ٦٤)

(٣٠) مصنف عبد الرزاق - (١١ / ٤٢٦رقم ٢٠٩٠٦ ) مسند الدارمي (١ / ٢٥٤رقم١٥٠) اعتقاد أهل السنة - اللالكائي - (٤ / ٦٣٥رقم١١٣٨ ) ذم الكلام وأهله - (٤ / ٢٤٢رقم٧٠٦)

فأقبل عليه عبدالله فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلموتقول والله لنمنعهن»[٣١]

وفي رواية:« فما كلمه حتى مات»[٣٢]

- **إنكار ابن عمر** رضي الله عنه **على القدرية** .

عن يحيى بن يَعْمر قال: « كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة: معبد الجُهني[٣٣] فانطلقتُ أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحِميري حاجَّين أو معْتَمِرَيْن فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلمفسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر، فوُفق لنا عبدالله بن عُمر بن الخطَّاب، داخلاً المسجد فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه ،والأخر عن شماله، فظننتُ أنَّ صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلتُ: أبا عبدالرحمن إنَّه قد ظهر قِبَلِنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذَكَرَ من شأنهم، وأنَّهم يزعمون أنْ لا قدر وأنَّ الأَمر أُنُفٌ[٣٤]، قال: «فإذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أنِّي بريء منهم وأنَّهم برآء منِّي» والذي يحلفُ به عبدالله بن عُمر «لو أنَّ لأحدهم مِثْلَ أُحدٍ ذهباً فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر ».[٣٥]

- **ومن ذلك تنبيه ابنُ عُمر** رضي الله عنه **للحجَّاج وإنكاره عليه .**

عن سالم قال: «كتب عبدالملك إلى الحَجَّاج أن لا يُخالف ابن عُمرﷺ في الحج، فجاء ابنُ عُمرﷺوأنا معه يوم عرفة حين زالتِ الشمسُ، فصاح عند سُرادق الحَجَّاج فخرج وعليه مِلحفة مُعَصْفرة، فقال: مَالَكَ يا أبا عبدالرحمن ؟ فقال: الرَّواح إنْ كنتَ تريد السنَّة، قال: هذه الساعة ؟ قال: نعم. قال فأنظرني حتى أُفيض على رأسي، ثمَّ أخرج، فنزل حتى خرج الحَجَّاج فسار بيني وبين أبي، فقلتُ: إنْ كنتَ تريدُ السنَّة فاقصر الخطبة، وعجِّلِ الوقوف».[٣٦]

فابن عُمر رضي الله عنه أنكر على الحَجَّاج بن يوسف تأخيره لسنة تقديم صلاة الظهر في أوَّل وقتها.

- **ومن ذلك إنكار عُمارة بن رُؤيبة** رضي الله عنه  **على بِشر بن مروان،** حين رآه يرفع يديه على المنبر حيث قال له: « قبَّح الله هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسول الله  صلى الله عليه وسلمما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعيه المسبحة ».[٣٧]

---

(٣١) صحيح مسلم (١ / ٣٢٦رقم ٤٤٢)

(٣٢) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام  (ص: ٢٣٤رقم٤١١ )

(٣٣) هو: مَعْبَد بن خالد الجُهني القدري ويُقال: إنَّه ابن عبدالله بن عُكَيم ويُقال: اسم جده عويمر، صدوق مبتدع وهو أوَّل من أظهر القدر بالبصرة، من الثالثة، قُتل قبل المائة سنة ثمانين. يُنظر: شمس الدِّين أبو عبدالله محمَّد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، " ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١٨٣/٣).و"تقريب التهذيب"(٥٣٩/٢، رقم٦٧٧٧).

(٣٤) أي: مُسْتأنَفٌ اسْتئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير. يُنظر:"النهاية في غريب الحديث والأثر"(١٨٠/١).

(٣٥) أخرجه مسلم (٣٦/١، رقم ٨).

(٣٦) أخرجه البخاري (٥٩٧/٢، برقم ١٥٧٧).

(٣٧) أخرجه مسلم (٥٩٥/٢، رقم٥٣).

وإنكار ابن مسعودﷺ على القوم الحلق في مسجد الكوفة ،فعن عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نَجْلِسُ على بَابِ عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قبل صَلَاةِ الْغَدَاةِ فإذا خَرَجَ مَشَيْنَا معه إلى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أبو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فقال: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أبو عبد الرحمن بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا. فَجَلَسَ مَعَنَا حتى خَرَجَ، فلما خَرَجَ قُمْنَا إليه جميعا، فقال له أبو مُوسَى :يا أَبَا عبد الرحمن إني رأيتُ في الْمَسْجِدِ أنفا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، ولم أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إلاَّ خَيْرًا. قال فما هو؟ فقال: إنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ .قال: رأيتُ في الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا، يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ في كل حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وفي أَيْدِيهِمْ حصا ،فيقول: كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَة، فيقول هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ،وَيَقُولُ سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قال فَمَاذَا قُلْتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أو انتظار أَمْرِكَ.

قال: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أن يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لهم أن لَا يَضِيعَ من حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا معه حتى أتى حَلْقَةً من تِلْكَ الْحِلَقِ ،فَوَقَفَ عليهم فقال: ما هذا الذي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قالوا: يا أَبَا عبد الله حصا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ قال فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أن لَا يَضِيعَ من حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ وَيْحَكُمْ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ما أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلممُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لم تَبْلَ وأنيته لم تُكْسَرْ وَالَّذِي نَفْسِي بيده إنكم لعلي مِلَّةٍ هِيَ أهدي من مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أو مفتتحوا بَابِ ضَلَالَةٍ قالوا والله يا أَبَا عبد الرحمن ما أَرَدْنَا الا الْخَيْرَ قال وَكَمْ من مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ إن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمحدثنا أَنَّ قَوْمًا يقرؤون الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ وأيم اللَّهِ ما أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فقال عَمْرُو بن سَلَمَةَ رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يوم النَّهْرَوَانِ مع الْخَوَارِجِ (٣٨).

**ثانياً:بيان زهد الصحابة** رضي الله عنهم **في الدنيا ورغبتهم في الآخرة .**

فقد عُرف عنهم رضي الله عنهم عظيم الزهد في ملذات الدنيا في حياة رسول اللهصلى الله عليه وسلم وبعد وفاته،والقصص في هذا أكثر من أن تحصى أو تحصر،فلما فتح الله على المسلمين كنوز كسرى وقيصر أنفقها عمر في سبيل الله،وهذا مصداق قول رسول اللهصلى الله عليه وسلم:« والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»(٣٩)

فكان الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومعلوم أن فتح المسلمين كان في عهد عمرﷺ وهذا تزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن ذلك عدم رغبتهم في تولية أبناءهم أمور الأمة بعدهم كمثل الشيخين(أبو بكر وعمر).

(٣٨) أخرجه الدارمي – في سننه (١ / ٧٩رقم٢٠٤ )وبحشل في تاريخ واسط (١٥٠/١) وصححه الألباني في السلسة الصحيحة السلسلة - (٥ / ٤، رقم٢٠٠٥ )

(٣٩) أخرجه البخاري (١١٣٥/٣ ، رقم ٢٩٥٣) ، ومسلم(٢٢٣٧/٤ ، رقم ٢٩١٩) ،

فأجل أبناء عمر عبدالله،حتى قال الذهبي فيه:« كاد أن تنعقد البيعة له يومئذ، مع وجود مثل الإمام علي وسعد ابن أبي وقاص، ولو بويع، لما اختلف عليه اثنان، ولكن الله حماه وخار له. »(٤٠) ومع هذا لم يدخله في النفر الذين اختارهم للشورى،وقال في هذا:

واختار الستة الذين توفي عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض،واستبعد سعيد بن زيد وهو من العشرة لأنه من قبيلته بني عدي.(٤١)

**ثالثاً:مكانة الإسلام ومنزلته في عهد الصحابة ﷺ**

بلغ الإسلام في عهدهم أوجه وكان أقوى ما يكون لقوة الدين وصحة المنهج.

وقد فتح الله على المسلمين مشارق الأرض ومغاربها وتحقق فيهم وفي عهدهم وعد **الله** بقوله: ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)) النور: ٥٥، قال ابن العربي:" وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذِهِ الْآيَةُ وَعْدُ حَقٍّ وَقَوْلُ صِدْقٍ، يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ إمَامَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْهُمْ أَحَدٌ فِي الْفَضِيلَةِ إلَى يَوْمِنَا هَذَا، فَأُولَئِكَ مَقْطُوعٌ بِإِمَامَتِهِمْ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمْ.

وَصَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ فِيهِمْ، وَكَانُوا عَلَى الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ؛ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لَهُمْ، وَقَامُوا بِسِيَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَبُّوا عَنْ حَوْزَةِ الدِّينِ، فَنَفَذَ الْوَعْدُ فِيهِمْ، وَصَدَقَ الْكَلَامُ فِيهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَعْدُ بِهِمْ يُنْجَزُ ، وَفِيهِمْ نَفَذَ، وَعَلَيْهِمْ وَرَدَ فَفِيمَنْ يَكُونُ إذَنْ؟ وَلَيْسَ بَعْدَهُمْ مِثْلُهُمْ إلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَكُونُ فِيمَا بَعْدَهُ.

قَامَ أَبُو بَكْرٍ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَاتِّفَاقِ الْخَلْقِ، وَوَاضِحِ الْحُجَّةِ، وَبُرْهَانِ الدِّينِ، وَأَدِلَّةِ الْيَقِينِ، فَبَايَعَهُ الصَّحَابَةُ، ثُمَّ اُسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَلَزِمَتْ الْخِلَافَةُ، وَوَجَبَتْ النِّيَابَةُ، وَتَعَيَّنَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، ثُمَّ جَعَلَهَا عُمَرُ شُورَى، فَصَارَتْ لِعُثْمَانَ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ، وَالتَّبْجِيلِ الصَّرِيحِ، وَالْمَسَاقِ الْفَسِيحِ؛ جَعَلَ الثَّلَاثَةَ أَمْرَهُمْ إلَى ثَلَاثَةٍ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ إلَى مَنْ اخْتَارَهُ مِنْ الرَّجُلَيْنِ، فَاخْتَارَ عُثْمَانَ، وَمَا عَدَلَ عَنْ الْخِيَارِ، وَقَدَّمَهُ وَحَقُّهُ التَّقْدِيمُ عَلَى عَلِيٍّ.

ثُمَّ قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا فِي نَفْسِهِ، مَظْلُومًا جَمِيعُ الْخَلْقِ فِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ إلَّا عَلِيٌّ أَخْذًا بِالْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلِ، وَانْتِقَالًا مِنْ الْأَوَّلِ إلَى الْأَوَّلِ، فَلَا إشْكَالَ لِمَنْ جَنَفَ عَنْ الْمُحَالِ أَنَّ التَّنْزِيلَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعْدُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. ثُمَّ كَمُلَتْ لِحَالِ أَبِي بَكْرٍ فَاتِحَةً وَخَاتِمَةً. ثُمَّ كَمُلَتْ لِعُمَرَ، وَكُسِرَ الْبَابُ، فَاخْتَلَطَ الْخُشَارُ بِاللُّبَابِ، وَانْجَرَّتْ الْحَالُ مَعَ عُثْمَانَ وَاضِحَةً لِلْعُقَلَاءِ، مُعْتَرَضًا عَلَيْهَا مِنْ الْحَمْقَى، ثُمَّ نَفَذَ الْقَدَرُ بِقَتْلِهِ إيثَارًا لِلْخَلْقِ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ أَحْسَنَ قِيَامٍ لَوْ سَاعَدَهُ النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ الْأُمُورَ نَشْرًا، وَمَا رَامَ رَتْقَ خَصْمٍ إلَّا انْفَتَقَ عَلَيْهِ خَصْمٌ، وَلَا حَاوَلَ طَيَّ مُنْتَشِرٍ إلَّا عَارَضَهُ عَلَيْهِ أَشِرُ، وَنُسِبَتْ إلَيْهِ أُمُورٌ هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ بَرَاءَةَ الشَّمْسِ مِنْ الدَّنَسِ، وَالْمَاءِ مِنْ الْقَبَسِ، وَطَالَبَهُ الْأَجَلُ حَتَّى

---

(٤٠) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٧).

(٤١) البداية والنهاية (١٤٢/٧).

غَلَبَهُ، فَانْقَطَعَتْ الْخِلَافَةُ، وَصَارَتْ الدُّنْيَا مِلْكًا تَارَةً لِمَنْ غَلَبَ، وَأُخْرَى لِمَنْ خَلَبَ، حَتَّى انْتَهَى الْوَعْدُ الصَّادِقُ ابْتِدَاؤُهُ وَانْتِهَاؤُهُ.

أَمَّا الِابْتِدَاءُ فَهَذِهِ الْآيَةُ، وَأَمَّا الِانْتِهَاءُ فَبِحَدِيثِ سَفِينَةَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمْدَانَ عَنْ سَفِينَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهَ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ}.

قَالَ سَعِيدٌ: قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ عَلَيْك، أَبُو بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعُمَرُ عَشْرًا، وَعُثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا.»[٤٢]. فهذا أيضا من ضمن الأدلة العقلية على عظيم فضل الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم.

**المطلب الرابع: النتائج المترتبة على اعتقاد كفرهم.**

بعد ما قدمنا من بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم ومكانتهم وبيان ذلك بدليل الشرع والعقل، يمكننا أن نقول إن الطعن في الصحابة يترتب عليه عدد من الأمور التي لا يقبلها العقل السليم وتأباها الفطرة السوية ويؤدي إلى شر مستطير وفساد كبير، فمن ذلك:

- أن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في الدين؛ لأن الدين لم يصل إلا عن طريقهم،فإذا لم تثبت عدالتهم فلا يثبت الدين الذي نقلوه إلينا من الكتاب الكريم والسنة النبوية،وهذا محال وباطل؛ولهذا قال أبو زُرعة: «إذا رأيتَ الرَّجل ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلمفاعلم أنَّه زنديق؛ وذلك أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ؛ وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإنَّما يريدون أن يُجرِّحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسُنَّة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة» ([٤٣]).
- أن نصوص الكتاب والسنة و الشواهد التاريخية التي ذكرت مآثر الصحابة وعظيم مناقبهم وتفانيهم في خدمة الدين ما هي إلا نوع من الثناء المزيف، وهذا محال وباطل.
- وإذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم مهاجرا له ودارا يسكنها وأرضا يطؤها،ألا يختار له أصحابا يقومون بدينه من بعده وينشرونه بين الناس،ألا يختار له أصحابا يستأمنُهم على سره ويرسلهم وفودا ومعلمين للناس!!!
- والقول بأنهم ارتدوا  هو طعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يستلزم ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يحسن تربية أصحابه، وهذا إخفاق منه، وهذا باطل أيضاً.

(٤٢) أحكام القرآن (٦ / ١٠٩- ١١٠)

(٤٣) "الإحكام في أصول الأحكام" (١٠٣/٢).

- وإذا لم تترب أمة صالحة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى أن لا تخرج من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس،فالردة والكفر أصل في هذه الأمة، وهذا محال أيضاً.
- وإذا لم تخرج خير أمة أخرجت في سبيل الله فهذا يعني عدم وجود عدول في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا باطل.
- وإذا كان هؤلاء الذين رأوا المعجزات الكبيرة والانتصارات الكثيرة لرسول الله مما يوجب الإيمان به والأتباع له لم ينتفعوا بكل هذا فلأن لا ينتفع من بعدهم من المسلمين مما يقرونه في الكتب عن نبيهم من باب أولى.

**الخاتمة:**

بعد أن منَّ الله بفضله وكرمه بكتابة هذا البحث ظهر للباحثة نتائج مهمة وهي:

- إن الحجج العقلية أسلوب مهم ينبغي إتباعه ،وبخاصة مع من لا يؤمن بمصادر المسلمين من الكتاب والسنة.
- وإنَّ استخدم هذا الأسلوب هة من الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرا،وقلما تخلو سورة من سور القرآن من ذلك.
- وإن استخدام الأدلة العقلية نوع من أنواع الأساليب والحجج الشرعية.
- ظهر بطلان ما عليه كثير من طوائف الضلال من اعتقاد ردة الصحابة.
- وإنَّ أهل البدع ضعفاء العقول،حيث يستدلون بشيء هو ضدهم لا لهم.
- وإن صحابة رسول الله لهم القدح المعلى في الفضائل والسابقة لهاذ الدين.
- وإن مكانتهم وعلوهم في الدنيا أمر أثبت من وجود الجبال الراسيات.
- وإن الطاعن في عدالتهم والمشكك في ذلك حاله حال من ذكرهم الشاعر في قوله:

**كناطحٍ صخرة يوماً ليفلقها فلمْ يضرها وأوهى قرنهُ الوعلُ**[٤٤]



(٤٤) ديوان الأعشى (٤٨/٣).

# تعدي العقلانيين المعاصرين على سنة خير المرسلين: د. عدنان إبراهيم أنموذجاً

**د.عصام بن إبراهيم الحازمي**
قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة بالمدينة النبوية



## الملخص

في هذا العصر الذي طغت فيه الأهواء، ونطق الرويبضة، وادعى المفسدون الصلاح والإصلاح، وفي الأمة سمّاعون لهم، ظهرت عصبة تنتسب إلى الإسلام، وتتدثّر بالعقلانية، وتسيء إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من حيث تظن أو يظن السامع أنها تحسن إليه، وتنادي ادّعاءً لا دعوة أنها رائدة التجديد، بأساليب ماكرة تعود على الدين بالهدم، وعلى العقل بالانحراف، وعلى القلوب بالضلال المبين.

وقد حاولت أن أشارك في كشف عوارهم، وإخماد أوارهم في هذا البحث الذي عنونته بـ (تعدي العقلانيين المعاصرين على سنة خير المرسلين، د. عدنان إبراهيم أنموذجاً) وجعلته مشتملاً على ما يلي:

تمهيد: وفيه عرض تاريخي مختصر للمعتدين على سنة خير المرسلين، ثم أتبعته بأهمية التصدي لهم، وثلة من الناصرين لسنة خير المرسلين، وذكرت الأسباب التي دعتني لاختيار د.عدنان إبراهيم أنموذجاً.

المبحث الأول: أقسام المعتدين على سنة خير المرسلين.

المبحث الثاني: أصول المعتدين على سنة خير المرسلين.

المبحث الثالث: أسباب التعدي على سنة خير المرسلين.

المبحث الرابع: الضوابط في اعتبار من رد السنة من المعتدين.

المبحث الخامس: د. عدنان إبراهيم أنموذجاً: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: من هو د. عدنان إبراهيم.

المطلب الثاني: آراؤه وأفكاره.

المطلب الثالث: المنهجية والقواعد التي اعتدى بها على سنة خير البرية.

المطلب الرابع: أنموذجٌ من الأحاديث التي كذَّبها وهي في الصحيحين.

المبحث السادس: الآثار المترتبة من الاعتداء على سنة خير المرسلين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها..

**تمهيـد:**

إن من أضرِّ الهجمات شراسة وتأثيراً؛ في تفريق أمة الإسلام في كل عصر ومصر، هجمات أهل الأهواء (العقلانيون) الذي وجهوا سهامهم إلى سنة خير المرسلين لإسقاطها، وإضعافها في نفوس أصحابها، حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى تحقيق مآربهم، والتمكين لأعداء أمتهم.

واستعانوا على ذلك بوسيلتين، استخدمهما إبليس اللعين، وهما: الأولى: تقديمه لعقله على أمر ربه، فأخذه الكبر أن يذعن، فاعترض وقال: ((قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)) ص: ٧٦، والثانية: تغيير المسميات، حين قال: هل أدلك على شجرة الخلد طه: ١٢٠.

وقد عوّل عليهما العقلانيون المعاصرون، فبالوسيلة الأولى قدّسوا عقولهم، وعظموها، وقدموها على سنة خير المرسلين.

وبالوسيلة الثانية لبّسوا على المسلمين حالهم، فأظهروا أنفسهم أنهم هم المصلحون، وهم المفسدون، وأنهم التنويريون، وهم الظلاميون، يرددون هذه المسميات حتى تنطلي على السذج من المسلمين.

وقد وصفهم وصفاً دقيقاً د. محمد زين العابدين رستم، فقال: "لقد أرادت هذه الفرقة مجاراة الغرب في عزل الدِّين عن واقع حياة المسلمين، واتهامه بأنه سبب هذه الدماء، وهذه الذلة، وهذا التخلف، ومن أجل تحقيق ذلك والوصول إليه، كان لابد من إعادة النَّظر في شعائر هذا الدين جملة وتفصيلاً، قرآناً وسنة، وفقهاً إسلامياً متوارثاً، وذلك من خلال وضع منهاج فكري جديد، يقوم على أساس مراجعة القديم، ومحاولة قراءته قراءةً معاصرة حديثة، تُناسب روح العصر، وتُساير تطورات الفترة الراهنة.

ولم يكن من السَّهل على هذه الطائفة من المفكرين المحْدثين، والكُتَّاب المعاصرين، ممارسة هذه القراءة الجديدة للنصوص المقدَّسة عند المسلمين قرآناً وسنة، من غير التوسل بوسائط، والتذرع بأعذار ووسائل، لِيقينِهم أن الأمة لن تنسلخ من دينها بسهولة، ولن تتبرأ منه في يوم وليلة في طرفة أو لمحْة، فبرزوا على المسلمين في صفة دعاة مخلصين، وأمناء على هذا الدين مدافعين، وقالوا: إننا نحاول إخراج المسلمين من التخلف والتأخر، والفقر والتدهور، ولن يتمَّ ذلك إلا بفهمٍ جديد لهذا الدين، وقراءةٍ معاصرة لمبادئه وشعائره"[1].

وكان أول من بدأ هذه الحرب الضروس أهل الاعتزال، ثم حمل لواءهم في هذه العصور المتأخرة أناس من بني جلدتنا، منهم، جمال الدين الأفغاني، وتلميذه النجيب محمد عبده، وجمال البنا، وغيرهم.

إلا أنه لا يخلو زمن من قائم بالحجة، وناصر للسنة، وقد قاموا بذلك خير قيام وكان من أبرزهم د. مصطفى السباعي في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع"، والعلامة عبد الرحمن المعلمي في كتابه "طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل"، وغيرهم كثير.

(١) انظر: "أسباب الانحراف في القراءة المعاصرة للسنة النبوية" أ.د.محمد زين العابدين رستم. (ص٣).

وما زالت السلسلة (العقلانية) مستمرة، وكان من أولئك الذين استلموا الراية، لقيادة هذه الحرب في هذا العصر، والاستماتة في نصرتها، والدفاع عنها، منهم د. عدنان إبراهيم.

وقد قام مجموعة من فرسان السنة بجهود مشكورة بالرد عليه، وبيان شيءٍ من ضلاله، وانحرافه[٢]، إلا أنها ما زالت تحتاج الكثير والكثير؛ من أجل إيقاف هذه الهجمة الشرسة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا د. عدنان إبراهيم أنموذجاً؟

فأقول -مستعيناً بالله الرحمن الرحيم- لاشك أن أسباباً كثيرة دعتني لاختيار د. عدنان إبراهيم أنموذجاً، ومنها على سبيل الاختصار لا الحصر:

١. كثرة السؤال عنه من طلابي في الجامعة، وتأثرهم به، وبخاصة كليات الطب، والهندسة، فأرادت بادئ ذي بدء أن أتعرف على أفكاره، فوجدت إنساناً متكلماً، يأسر من سمعه من الجهال، والعوام، وأنصاف المتعلمين غير المتخصصين في العلم الشرعي، بما أوتي من لسان عليم، وأسلوب مؤثر، وحافظة قوية، وإلمام بجملة من العلوم.
٢. تبنّيه من قبل بعض المفكرين المشهورين، واحتفاءهم به كطارق السويدان، حيث وجّه له رسالة فيها كل التعظيم والحث للأمة على الإفادة من علمه، وكذلك مشاركته في برنامجه التدريبي "إعداد القادة"[٣].
٣. عظيم الأثر الذي يتركه في نفوس عشرات الآلاف ممن يتابعونه في صفحات التواصل الاجتماعي، وكثير منهم من الطبقة المثقفة من أطباء ومهندسين ومفكرين وإعلاميين.
٤. قوة أثره في تفريق الأمة، ولذلك طمعت فيه جهات كبرى من أعداء الإسلام أو أعداء السنة، فقد قال بالنص[٤]: "تعرفون أيش الفرق بيني وبينكم، لا أحد يجرؤ أن يقترح على عدنان: تكلَّمْ في هذا لا تتكلم في هذا، تعرفون لماذا؟ لأنني لم أسمح لنفسي -ومن فترة بعيدة- أن يشتريني أحد. طبعاً وقد أرادوا أن يشتروني، لن أقول الآن: من هم؟ فقط لكي تعرف، جهات كبرى جداً جداً جداً، أكبر مما تتخيلون"[٥].
٥. طعنه في الثوابت والمسلَّمات، بعبارات لا تقيم وزناً ولا قدراً لبعض ثوابت الشريعة.

ولأجل هذه الأسباب، وغيرُها كثير، استخرت الله، واستشرت في المضي قدماً في بيان حاله، نصحاً للأمة، وبراءة للذمة، فانشرح صدري، فاستعنت بالله، وتوكلت عليه وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(٢) منهم الشيخ عبد الرحمن دمشقية في مقالات ومحاضرات، والشيخ عثمان خميس في سلسلة محاضرات، سلسلة ردود د.بدر العامر" أين الخلل"، ورد للشيخ عدنان بخاري"الرد القويم على عدنان إبراهيم"،وغيرها.

(٣) في هذا الرابط

http://www.youtube.com/watch?v=1zatd53yWBs&feature=share&list=PL70F90C01531031A9

(٤) حرصت على نقل نص كلامه في هذا البحث من دون أي تغيير من باب الأمانة العلمية، مع وجود الألفاظ العامية والأخطاء النحوية كما سيظهر ذلك من خلال النقولات.

(٥) شريط: "ردود وشبهات الجزء الأول".

### المبحث الأول: أقسام المعتدين على سنة خير المرسلين:

لا شك أن المعتدين على السنة، ليسوا سواء، وذلك بسبب اختلاف عقولهم، وتعدد أهوائهم، وتنوع مقاصدهم، فكلما كان المعتدي أكثر جهلاً، وغروراً، كان أكثر عداءً، وردًّا للسنة، كحال من ردَّ السنةَ جملةً وتفصيلاً من القرآنيين مثل سامر إسلامبولي[٦]، ومن خلال البحث تبين لي أنهم ينقسمون إلى قسمين:

**القسم الأول:** المعتدون الذين يردون أكثر السنة، ولم يقتصروا على ما يعارض القرآن، أو يخالف عقولهم، بل كل ما يخالف التطور، والرقي، والاكتشافات، وغالبهم إما كتّاب، وإما أطباء، وإما مهندسون، ومن أشهر أولئك المعتدين، ويُعَدُّ شيخ من جاء بعده[٧]، جمال البنا[٨]، ويُعدّ من أشد المعاصرين هجوماً على السنة وأهلها، ولقد حاول[٩] وضع ضابط منهجي لقبول الأحاديث ورفضها نعته بـ"العرض على القرآن الكريم"، يقول في كتاب "السنة ودورها في الفقه الجديد": "ولو طبقنا معيار القرآن الكريم على الأحاديث...، لاستبعدنا قرابة ألفين، أو ثلاثة ألاف حديث، نصفها على الأقل مما جاء في الصحيحين"[١٠].

ومنهم د.عدنان إبراهيم، وقد مشى على نفس المنهاج، تشابهت قلوبهم فتشابهت أقوالهم، فهو كذلك طعن في السنة، ولم يقم وزناً إلا لما وافق عقله، كما سيظهر في المبحث الخاص به.

**القسم الثاني:** وهم من يعتدون على نصوص السنة برد بعض أحاديثها لأجل أنها تخالف اعتقادهم، أو مذهبهم، وهم من علماء الحديث، فمن أشهرهم محمد زاهد الكوثري[١١]، وكذلك أحمد صديق الغماري[١٢]، ومنهم من ليس من علماء الحديث، وهم مفكرون، ولهم إلمام يسير بسنة خير المرسلين، مع عدم تخصصهم فيها، وهم متمسكون بما عليه السلف من قواعد الحديث، إلا أنهم حكّموا عقولهم في شيء يسير منها، ومنهم الشيخ محمد الغزالي[١٣].

### المبحث الثاني: أصول المعتدين على سنة خير المرسلين:

أول من وقفت عليه من العقلانيين المعتدين على سنة خير المرسلين في تأصيلهم لهذا الاعتداء ووضع قواعد له هو الكاتب جمال البنا، فقد وضع اثني عشر ضابطاً، لا يكاد يسلم معها إلا القليل من أحاديث نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم، وكل من جاء بعده فمستقل ومستكثر إلا أن أحد العقلانيين

---

(٦) سامر بن محمد نزار إسلامبولي، سوري الجنسية، عضو في اتحاد الكتَّاب العرب منذ عام ٢٠٠٨م، من مؤلفاته : "السنة والحديث في القرآن"، "تحرير العقل من النقل"، وغيرها. انظر ترجمته في: مدونة الباحث سامر إسلامبولي.

(٧) ومنهم عدنان الرفاعي في كتابه: "الفارق بين السنة الشريفة وروايات الأحاديث".

(٨) هو جمال البنا ابن المحدث أحمد عبد الرحمن البنا، من آراءه إنكار الحجاب، وأحقية المرأة بالإمامة من الرجال إذا كانت أقرأ، وأن الطلاق بالتراضي بين الزوجين، وغير ذلك توفي في ٣٠/يناير/٢٠١٣م. انظر ترجمته في موسوعة ويكيبديا.

(٩) انظر كتابه نحو فقه جديد الجزء الثاني "السنة ودورها في الفقه الجديد" من(ص٢٤٩-٢٥٧).

(١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٢٦٥).

(١١) ولذلك استشهد به د.عدنان إبراهيم به في تكذيبه لأحاديث البخاري فقال في شريط" مشكلتي مع البخاري": "العلامة الكبير محمد زاهد الكوثري" حكم بتزييف، ورد أربعة عشر حديثا في الصحيحين في العقائد، ظاهرها التشبيه والتجسيم.

(١٢) قال عنه"ممن قطع أيضاً بأن في الصحيحين موضوعات...آخر حفاظ هذه الأمة...أحمد بن صديق الغماري ...".

(١٣) في كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث".

القرآنيين المعاصرين(١٤) فاقه في التعدي، ونافسه في التحدي، فزاد على تلك القواعد سبع قواعد، تنسف ما بقي من الأحاديث، وهذه غالباً هي الأصول التي يتحاكم إليها العقلانيون، في طعنهم في سنة سيد المرسلين، ومنها يصدرون وينطلقون، وبئس ما يصنعون، وفي ما يلي بعض الأصول التي يردون بها الأحاديث الصحيحة:

١- الأحاديث التي تناولت الغيب بدءاً من الموت حتى يوم القيامة...، مما استأثر الله تعالى بعلمه.

٢- الأحاديث التي جاءت بتفسير المبهمات في القرآن، وكل ما جاء عن نسخ في القرآن، أو وجود آيات أو سور ليست في المصحف، كما نتوقف عن الأحاديث التي جاءت عن أسباب النزول.

٣- الأحاديث التي جاءت تخالف أصولاً قرآنية -وبوجه خاص العدل-، وما جاء به القرآن من تحديد المسؤولية الفردية.

٤- نتوقف أمام كثير من الأحاديث عن المرأة، بدءاً من خلقها من ضلع أعوج إلى حجابها حتى لا تُظهر إلا عيناً واحدة.

٥- نستبعد الأحاديث المتكررة عن معجزات الرسول من شق الصدر، أو حنين الجذع. . الخ، لأنها تخالف القاعدة المحورية في الإسلام ألا وهي أن معجزة الإسلام القرآن.

٦- الأحاديث التي تكفل ميزة خاصة لأشخاص، أو أماكن، أو قبائل،... إلخ.

٧- الأحاديث التي تخالف النصوص القرآنية عن حرية المعتقد.

٨- الأحاديث التي تُنذر بعقاب رهيب على أخطاء طفيفة، وتعد بنعيم مقيم لتلاوة أدعية وتسبيحات.

٩- الأحاديث التي جاءت عن الأكل، والشرب، واللبس، والزي، والركوب وما إلى ذلك من شؤون الحياة الدنيا، لا تعد ملزمة في شيء، وإنما هي أخبار.

١٠- الأحاديث التي تنص على طاعة الحكام، و الصلاة خلف كل بر وفاجر موضوعة(١٥).

وقد عمل د. علي صالح علي مصطفى فهرساً ذكر فيه الحديث، ومن طعن فيه من العقلانيين، والأصل الذي بنوا عليه طعنهم في رسالته العلمية بعنوان" طعون المعاصرين في أحاديث الصحيحين الخاصة بأسباب النزول والتفسير بدعوى مخالفة القرآن؛ دراسة نقدية ".

### المبحث الثالث: أسباب التعدي على سنة خير المرسلين:

لا شك أن هذا المبحث من المباحث المهمّة التي يجب أن تُفرَد ببحثٍ مستقلٍّ مطوّلٍ، لكي يتم استقراء كتب المعتدين على سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، وسيرهم، وأحوالهم، ثم يؤخذ منها الأسباب

---

(١٤) وهو سامر إسلامبولي في مقال نشر له باسم "مفهوم السنة والحديث في القرآن. انظر: مدونة سامر إسلامبولي.

(١٥) انظر: السنة ودورها في الفقه الجديد لجمال البنا، من (ص٢٤٩-٢٦١) بتصرف، وكتابه الآخر تجريد البخاري ومسلم مما لا يلزم من (ص١٣-١٤).

التي دعتهم للاعتداء على السنة الغراء، حتى تحذر الأمة تلك الأسباب، وقد قرأت للمعتدين جملة كثيرة من الكتب، حتى أتلمس أسباب التعدي، وتوصلت إلى أسباب كثيرة، وممن أبرزها ما يلي:

١- تقديسهم المفرط للعقل، وذلك بما حبا الله بعضهم من الذكاء، والحفظ، الذي أودى بهم إلى الغرور، وهذه سنة ليست جديدة، وطريقة ليست بغريبة، فقد سبقهم أذكياء العالم، ووصلوا إلى أسوء مما وصل إليه هؤلاء المعتدون، ومنهم الفارابي[١٦]، وابن الراوندي[١٧]، وأبو حيان[١٨] وغيرهم.

قال ابن القيم -وهو يجلي لنا أن أعظم أسباب الفساد الحاصل هو من تقديس العقل وتقديمه على الوحي-: "كل من له مسكة من عقل، يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نُفِي بهذه الآراء من حق، وأُثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأُحيي بها من ضلالة؟ وكم هُدم بها من معقل الإيمان، وعُمر بها من دين الشيطان؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل، بل هم شر من الحمر"[١٩].

٢- الانفتاح على ثقافات المستشرقين، والملحدين، والفلاسفة، والمعتزلة، والعيش بين أظهرهم، والتتلمذ عليهم، ولذلك لا تكاد تجد معتدياً من المعتدين على سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم إلا وتجده مفتوناً بأحد المذكورين، ومتأثراً بهم، ومن ذلك ما ذكره البغدادي كيف دخل الفساد إلى عقيدة النظّام -من رؤوس المعتزلة- ممن خالطهم من الزنادقة، والفلاسفة وغيرهم[٢٠].

ود. الصادق الأمين يبين في رسالته"موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية"أن جل هذه الشبه إنما هي مستقاة وتكرار لما عليه المستشرقون فيقول: "وسوف يتبين لنا بعد عرض تلك الشبه، أن أكثرها تكرار لشبه المستشرقين السابقة، وترداد لمزاعمهم الباطلة، وما كان من هؤلاء المحُدَثين إلا أن أخذوا شبه الاستشراق، فعضدوها، وزادوا عليها أموراً غفل عنها أولئك أو جهلوها، وهؤلاء وإن كانوا ينسبون إلى الإسلام، ويعدون من أبنائه، إلا أنهم يفكرون

---

(١٦) أبو نصر محمد بن محمد الفارابي المنطقي، له تصانيف مشهورة. انظر: ترجمته سير أعلام النبلاء (٤١٦/١٥).

(١٧) أبو الحسن أحمد بن يحيى الملحد، عدو الدين، كان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عوتب، قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، ثم تزندق.انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥٩/١٤-٦٢).

(١٨) أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس قال أبو الفرج ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ...أشدهم على الإسلام أبو حيان. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١٩/١٧).

(١٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٥٤/١).

(٢٠) الفرق بين الفرق للبغدادي (١١٣/١).

بعقول غربية، ويكتبون بأقلام استشراقية، ولا شك أنهم يعلمون من الإسلام أكثر مما يعلمه المستشرقون، ولذلك كان خطرهم أعظم، وشرهم أشد..."[٢١].

٣- الجهل المركب، وذلك أنهم حصلوا على علم السنة، ليس من المحدثين من أهل السنة، ولكنهم أخذوه من المستشرقين، أو من عقولهم، فلذلك كانت معلوماتهم باطلة، وتصوراتهم خاطئة.

ولعل مما يوضح هذا السبب ما حصل مع أسد المدافعين عن السنة د. مصطفى السباعي -رحمه الله- حيث عيّنت مشيخة الأزهر الدكتور علي حسن عبد القادر أستاذاً لهم في الجامعة يدرس تاريخ التشريع الإسلامي، وكان قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً -وهو مجاز من كلية أصول الدين في قسم التاريخ-، ومكث في ألمانيا أربع سنوات حتى أخذ شهادة الدكتوراه في قسم الفلسفة، وكان يدرس تاريخ السنة النبوية ترجمة حرفية عن كتاب جولدتسيهر "دراسات إسلامية"، وكان ينقل عبارته، ويتبناها على أنها حقيقة علمية، واستمر في دروسه، حتى إذا وصل إلى الحديث عن الزهري، واتهامه بوضع الأحاديث للأمويين، ناقشه الدكتور مصطفى السباعي في ذلك فلم يرجع عن رأيه، فطلب منه ترجمة ما قاله جولدتسيهر عن الزهري تماماً، وبعد بحث لثلاثة أشهر، ثبت له تحريف المستشرق، وأخبر الدكنور بذلك، فأجابه: «لا يمكن هذا، لأن المستشرقين -وخاصة جولدتسيهر- قوم علماء منصفون، لا يحرفون النصوص ولا الحقائق! ». .ثم ألقى محاضرة عامة في ذات الموضوع وكان من بين الحاضرين أستاذه علي حسن عبد القادر ، حيث اعترف في نهاية المحاضرة بقصور معرفته، وتراجعه عن رأيه[٢٢].

٤- ومن الأسباب صلاتهم المشبوهة بأعداء الدين من الكافرين، والمستشرقين، وتعاونهم معهم ولعل من أبرز من اشتهر بذلك وعرف عنه جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وهما يعتبران من الرواد والمؤسسين للمدرسة العقلية في العصر الحديث في ردهم سنة خير المرسلين[٢٣].

## المبحث الرابع: الضوابط في اعتبار من رد السنة من المعتدين:

قد يسأل سائل، ويستشكل مستشكل، فيقول: كيف تقولون إن من حكّم العقل في رد الأحاديث النبوية يُعد معتدياً، عصرانياً، في حين أنكم قد وضعتم قواعد وضوابط عقلية في رد السنة النبوية، ولا أدل على ذلك مما وضعه الإمام ابن القيم[٢٤] فأنتم تكيلون بمكيالين، وتزنون بميزانين.

---

(٢١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية (٢/٢٦٨).

(٢٢) السنة ومكانتها في التشريع (ص٢٩).

(٢٣) انظر:العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب(ص٣٦٧-٣٧٣) فقد عقد فصلاً كاملاً باسم العصرانية بين الجذور الغربية، والصلات المشبوهة، تكلم عن الصلات المشبوهة بين مؤسسي هذا الفكر وأعداء الإسلام.

(٢٤) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف من (ص٥٠) إلى آخر الكتاب.

فالجواب: لا ننكر أن العقل له دور في رد بعض الأحاديث، ولكن نُعمله وفق قواعد علمية منضبطة، وليست مجرد أهواء، وشبهات مستوردة من المستشرقين، وغيرهم، ومن تلك القواعد:

١- أن الاعتماد في الأكثر في معرفة صدق الحديث وكذبه إنما هو على صدق الرواة من كذبهم، وفي النادر يلجؤون إلى رد الحديث بتحكيم العقل، وأول من قعّدها وحرّرها، من غير تهويل ولا تضييع، إمام العقلاء في زمانه "الإمام الشافعي" يقول: "ولا يُستدل على أكثرِ صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المُخبِر وكذبه، إلا في الخاصِّ القليل من الحديث، وذلك أن يُستدل على الصدق والكذب فيه؛ بأن يُحَدِّث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبتُ وأكثرُ دلالاتٍ بالصدق منه"(٢٥).

٢- أن يكون وفق القواعد التي سطرها العلماء بعد بحث، ودراسة، ونظر، وليس على القواعد التي قعدها أصحاب العقول المنحرفة، كما فعل عدنان الرفاعي(٢٦)، ومن قبله جمال البنا(٢٧).

٣- أن يكون ممن له معرفة وعناية بعلم الحديث النبوي، وطول ملازمة، يقول الإمام ابن القيم: "وسئلت: هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه...فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز، ما لا يعرفه غيره"(٢٨).

فهل يا تُرى هؤلاء المعتدين اتصفوا بهذه الصفات المباركة الطيبة؟ ، كلا، وألف كلا، بل اتصفوا بخلافها فهُم أبعد الناس علماً، وعملاً، وتطبيقاً، كيف لا؟ وهم الذين قد أُشربت قلوبهم تمجيد وتعظيم المعتزلة، والمستشرقين، والفلاسفة، وغيرهم من أعداء سنة خير المرسلين(٢٩).

## المبحث الخامس: د. عدنان إبراهيم أنموذجاً: وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: من هو د. عدنان إبراهيم؟:

هو د. عدنان إبراهيم، أبو محمد، من مواليد معسكر النصيرات، بمدينة غزة، درس الطب في يوغسلافيا، ثم أكملها في فيينا، درس العلم الشرعي في كلية الإمام الأوزاعي بلبنان والتي تخرج منها بدرجة مشرّف جداً، أتم حفظ كتاب الله في سن مبكرة، حصل الشيخ في سنة ١٩٩٥ على المرتبة الأولى في تجويد القرآن الكريم على مستوى القارة الأوروبية، وليس له مؤلفات، ألف في بداية حياته، ثم توقف عنها ظناً بنفسه السوء، له أكثر من ألف شريط ما بين خطبة ودرس، وندوة، أسّس مع بعض

---

(٢٥) الرسالة للشافعي (ص٣٩٨).

(٢٦) فقد قعد قواعد في كتابه "الفرق بين السنة النبوية وروايات الأحاديث" لم يسبقه إليها إنسٌ، ولا جان.

(٢٧) تقدمت ضوابطه في (ص٥) .

(٢٨) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص٤٤).

(٢٩) ومن الكتب في معرفة منهج النقد عند المحدثين كتاب "مقياس نقد متون السنة"، مسفر الدميني، "جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف" د.محمد طاهر الجوابي، وغيرها كثير.

إخوانه جمعية لقاء الحضارات سنة ٢٠٠٠م، وهو يرأسها منذ ذلك الحين، وعنها انبثق مسجد الشورى حيث يخطب فضيلته ويدرّس.

من أبرز من أثنى عليه د. محمد سعيد البوطي، فقد شهد على الملأ في الشيخ عدنان أنه لم ير في حياته كلها مثله، وأنّه كان يؤكّد دائما على ضرورة وجود العالم الموسوعي الجامع، إلّا أنّه كان يرى ذلك مجرّد نظرية، إلى أن التقى بشيخنا فعلم -ولله الحمد- أنّ هناك مصداقاً واقعياً لهذه النظرية"[٣٠].

**المطلب الثاني: آراؤه وأفكاره:**

يُعدُّ د. عدنان إبراهيم في هذه الفترة مثار جدل واسع بين مؤيدين يصلون فيه إلى حد الغلو، ومن مناوئين وصفوه بالزنديق، والرافضي، والمعتزلي، وسأترك للقارئ الحكم من خلال مجموعة من أفكاره التي سأنقلها من خطبه، ودروسه وهي على سبيل الاختصار جداً، فيما يلي:

**أولًا: أقواله التي يَعلم أن من قالها سيُحكم عليه بالكفر ولكن لا يهمه، ولا يبالي بذلك:**

يقول: "لا أحد يمتلك الحق المطلق، وعنده طريقة جزمية يبرهن بها على مطلقية الحق الذي عنده، لا أحد الآن، سيكفروني بهذه الجملة، لن يفهموها بسهولة، أنا أقول لكم لا يوجد مسلم ولا مسيحي ولا يهودي ولا أي واحد عنده طريقة يستطيع أن يبرهن لك بها بشكل مطلق أن دينه حق، تعرفون لو هذا وجد سينتهي معنا الدين، الدين معناه؛ الإيمان بالغيب، جزء منه إيماني، كما قال سولين كلكيجو: قفزة إلى المجهول في نهاية المطاف"[٣١].

**ثانياً: جرأته على الله جل جلاله، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم:** يقول: "ولا يستطيع أحد أن يتدخل في أفكاري بل أفكاري حرة، الوحيد الذي يستطيع أن يعبث هو الله"[٣٢].

وهل يليق أن يقال: لله جل جلاله أنه يعبث، ولا شك أن هذا فيه سوء أدب.

أما سوء أدبه مع رسوله صلى الله عليه وسلم، فيذكر زوراً أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى الرجال الذين يأكلون مع أزواجه، تمس أيديهم أيدي نسائه، ولا يعجبه ذلك فقط[٣٣].

**ثالثاً: طعنه في الصحابة وسخريته منهم أيما سخرية، وسبهم وشتمهم، حتى أن من يستمع له لا يتربى إلا على عدم تقديرهم، وإجلالهم، وأنهم لا يشكلون للأمة أي اعتبار:**

يقول: "وأنت تترضى على معاوية، الله يحشرك معه يا أهبل، يا أحمق الحمقاء"[٣٤].

ثم يقول عنه: "يحمل الأمة على أن تبايع لابنه الفاسق الزنديق اللعين، لعائن الله عليه إلى يوم الدين،

---

(٣٠) انظر: ترجمته في موقعه www.adnanibrahim.ne

(٣١) رابط الشريط http://youtu.be/u4X4-Sykgxs

(٣٢) شريط: خطبة " التسامح ".

(٣٣) شريط تفسير سورة الأحزاب الحلقة (١٩).

(٣٤) تفسير سورة الأحزاب حلقة (١٤).

لذلك كان معاوية يتاجر بالخمور، ويتاجر بأصنام بوذا"[٣٥].

وهذه غيض من فيض وإلا فهناك نقول كثيرة فيها طعن في أبي هريرة، وبسر بن أرطاة، وطلحة بن عبيد الله، وسمرة بن جندب وغيرهم –رضي الله عنهم- تدل على جرأته، وتهوره، وجسارته.

**رابعاً: وأما العلماء من فقهاء ومحدثين، وغيرهم، من أئمة الدنيا فلهم النصيب الأوفى من السب والشتم، والسخرية:** يقول: "ابن تيمية ناصبي، ابن حزم ناصبي، ابن حجر الهيثمي هواه أموي، الذهبي هواه أموي، ومتهم بالنصب، وابن كثير وابن عساكر مؤرّخا بني أمية"[٣٦].

وهنا أذكّر الدكتور بكلام له في كف اللسان عن العلماء، ينصح به، ليته ثم ليته يراجعه ما بين الفينة والأخرى، حتى يتأدب به، ولا ينساه وهو شريط "دفاع عن القرضاوي دفاع عن العلم والدين".

**خامساً: وأما تمجيده وتعظيمه للشيعة وأئمة الشيعة،** فيقول: "مذهب الشيعة على أني لا أنتحله، مسألة العصمة لا أنتحلها البتة[٣٧]، مذهب الشيعة أقل خطراً على العقل وعلى النفس، أقل خطر منهجياً وتربوياً من هذا المنهج (يعني منهج أهل السنة والجماعة)"[٣٨].

**سادساً:** مدحه للكافرين والملحدين ، والفلاسفة: يقول عن سقراط: "هو الفيلسوف الشهيد إن جاز التعبير"[٣٩]، ويقول: عن نيوتن: "كان نيوتن مؤمناً إلى حد الورع بالله"[٤٠].

**المطلب الثالث: المنهجية والقواعد التي اعتدى بها على سنة خير البرية:**

من المتفق عليه أن المنهجية الواضحة المنضبطة من أقوى الأدلة على انضباط صاحبها، وعلى انضباط مخرجاته، والعكس بالعكس.

وبعد اطلاع واسع لأفكاره المسموعة والمقروءة لم أجد له منهجاً محدداً، واضحاً، تحاكمه إليه، فتارة يكون عقلانياً، وتارة صوفياً، وتارة شيعياً، وتارة سنياً، وهذا السبب الذي مضطرباً.

إلا أنه تبين لي أن المنهج الذي يجمع هذه المناهج كلها هي القضية التي يريد أن يقررها ويقتنع بها، فكلُّ ما يخدم قضيته، أو مسألته، فهو المنهج الحق الذي يستميت من أجل إثباته، أو نفيه.

ولذلك تجده مضطرباً في موقفه من سنة خير المرسلين، فتارة يأخذ بحديث الآحاد، وتارة يرده، وتارة يحتج بالبخاري، ومسلم، وتارة يردهما، ولأجل هذا المنهج المضطرب، اضطربت منهجيته، حتى تعدى على الصحيحين، وجعل بينه وبين البخاري مشكلة، ثم طعن في مئات من أحاديث الصحيحين،

---

(٣٥) شريط خطبة: "كربلاء بين الفاجعة والكارثة الجزء الثاني".

(٣٦) شريط "حكم لعن المعين".

(٣٧) الذين يرون العصمة لأئمتهم هم الإمامية الاثنى عشرية أضل فرق الشيعة، وليس الشيعة بإطلاق.

(٣٨) رابط الشريط http://www.youtube.com/watch?v=Bha7wf9kyn0&feature=share&list=UUFjVK-N4VQFkBcp7yUo6sqA

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) شريط"خطبة ستيفن هوكينج". وقد خصص لهذا النصراني خطبة كاملة يذكر فيها آراءه ويمدحه فيها .

وحكم عليها بالوضع، والخرافة، ولذلك فإنه بعد أن ساق جملة من الأحاديث المكذوبة على زعمه في صحيح البخاري قال: " وما سقت إلا أقل القليل، لأن الأمثلة كثيرة، طبعاً كما سمعتم بالمئات"[٤١].

وقد وقفت من خلال بحثي له على ثلاثة وعشرين حديثاً من الأحاديث التي ردها، وحكم عليها بالوضع، والخرافة من أحاديث الصحيحين، أو أحدهما.

وإليك بعض الأمثلة من الأحاديث التي حكم عليها بالوضع، وبعض العبارات التي كان يعلق بها:

١- ما أخرجه الشيخان[٤٢] عائشة، رضي الله عنها قالت: (سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: "يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي ...) علّق على هذا الحديث بقوله: "حاشاه أن يتسلط عليه هذا الزنديق اليهودي الساحر الحقير.. مستحيل أن يتسلط على رسول الله.. قالوا في البخاري ومسلم.. لا يعنيني.. هذا تكذيب لكتاب الله وتعالى"[٤٣].

٢- أحاديث نزول عيسى بن مريم عليه السلام[٤٤].

٣- أحاديث الدجال، ويأجوج ومأجوج، والجسّاسة، كلها عنده خرافة، وكذب، وأساطير، وأفلام، يقول في مشهد مليء بالسخرية والاستهزاء: "كل من يسمع خطبتي هذه...ممن يبتغي الحق سيقول: واحسرتا على عقولنا، وآسفا على كتابنا،...، بعدين انتبهوا في نفس السياق: حديث عيسى، حديث الدجال، ويأجوج ومأجوج، القصة الطويلة، الحكاية الأسطورية...، ثم يأتي يأجوج ومأجوج على بحيرة طبرية،...، قصة حلوة، سيناريو عجيب، فِلْم فِلْم أسطوري غريب، أي هذه قصة يأجوج ومأجوج...، تعرفون أين موجود بنصه وفصه؟ ، من رواية كعب الأحبار، هنا كعب الأحبار إذاعة إسرائيلية..."[٤٥].

٤- أحاديث المهدي كلها عنده كذب، وخرافة[٤٦].

٥- حديث سجود الشمس تحت العرش أخرجه الشيخان[٤٧]، يقول: "القرآن ليس فيه أن الشمس تدور وتأتي كل ليلة تبيت تحت العرش ساجدة، كلام غير صحيح أبداً، لكن هذا في

---

(٤١) شريط "مشكلتي مع البخاري".

(٤٢) صحيح البخاري (٧/ ١٣٦)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٠).

(٤٣) شريط "مشكلتي مع البخاري".

(٤٤) شريط: "عودة عيسى بين الإقرار والإنكار".

(٤٥) المصدر السابق.

(٤٦) شريط : "المهدي فر المهدي ظهر".

(٤٧) صحيح البخاري (٤/ ١٠٨)، صحيح مسلم (١/ ١٣٨).

الحديث المخرج في الصحيحين، فلذلك لا بد أن نكون واضحين"[٤٨].

**المطلب الرابع:** أنموذجٌ من الأحاديث التي كذَّبها وهي في الصحيحين، والمنهجية التي سلكها في تكذيبه:

**حديث الدراسة**

في هذا المطلب حاولت أن أستخلص منهجيته، وقواعده، في طعنه في السنة من خلال دراسة موسعة لحديث من الأحاديث التي حكم عليها بالوضع مما أخرجه الشيخان وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة، وزكاة، وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة»[٤٩].

وهذا من الأحاديث التي يعتذر العلماء بها عن معاوية رضي الله عنه مما ورد في حديث: "لا أشبع الله بطنك"[٥٠].

**القواعد التي استعملها للطعن في الحديث وردّه:**

**القاعدة الأولى:** أن الحديث فيه إزراء بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه...، واضح ليس في هذا الحديث أنه يؤذيه، يشتمه، يلعنه، يجلده، وهو ليس أهلاً، كما فهم النووي، قال: مؤمن، كأن النبي يقول: إذا أخذنا بظاهر هذا الحديث ما في مؤمن أشتمه ألعنه...، ويستحق هذا، وهذا فيه إزراء على رسول الله، ومش صحيح، ومتناقض، وفي أخرى لهما "فاجعلها له صلاة وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة، واجعل ذلك كفارة له إلى يوم القيامة" عجيب! ! الله أكبر يا أخي إلى يوم القيامة؟ هكذا، يعني بمعنى، بمعنى ما عليك إذا أردت أن الله يكفر كل ذنوبك وإن كانت مثل زبد البحر...، إلا أن تأتي النبي وتتثاقل، كما يقال: يعني تثقل دمك وتستفزه، وتستغضبه -حسب الحديث هذا- حتى تضطره وتحوجه إلى أن يلعنك، أو يسبك، ويجري عليك التكفير إلى يوم القيامة، أنا شخصياً كعدنان، هذه الصياغة لا يمكن أن أؤمن بصحتها"[٥١].

---

(٤٨) شريط: "مشكلتي مع البخاري".

(٤٩) صحيح البخاري (٧٧/٨)، ومسلم (٢٠٠٧/٤)، مسند أحمد (٢٦٢/١٢)، سنن الدارمي (١٨١٩/٣)، وغيرهم.

(٥٠) هذا جزء من حديث رواه الإمام مسلم (٢٠١٠/٤) رقم(٢٦٠٤)عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الصبيان، =فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب، قال فجاء فحطأني حطأة، وقال: «اذهب وادع لي معاوية» قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: «اذهب فادع لي معاوية» قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه». مع أن قوله "لا أشبع الله بطنه" زيادة فيها كلام، ولذلك الإمام أحمد رحمه الله لم يذكرها في جميع المواضع، ولعل الله ييسر بإخراج بحث في ذلك.

(٥١) سلسة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

**الجواب من عدة أوجه:**

**أولاً:** الحديث حكم عليه بعض علماء الحديث بأنه متواتر، فقد روي عن جمع من الصحابة، قال الشيخ الألباني: "هو عندنا متواتر، فقد رواه مسلم من حديث عائشة وأم سلمة كما ذكرنا، ومن حديث أبي هريرة وجابر، وورد من حديث سلمان وأنس وسمرة وأبي الطفيل، وأبي سعيد وغيرهم"[٥٢].

**ثانياً:** أن الطعن في هذا الحديث إنما هو مبني على خلفية مسبقة، وهي إسقاط كل ما يمكن أن يستدل به في الاعتذار عن معاوية رضي الله عنه، ولذلك تجد العقلانيين الذين يكرهون معاوية رضي الله عنه، وكذلك الشيعة يصبون جام غضبهم على هذا الحديث، ومن العقلانيين، المعاصرين نيازي عز الدين[٥٣] كما في كتابه دين السلطان[٥٤].

**وممن طعن من الشيعة في هذا الحديث مجموعة**[٥٥] منهم جعفر مرتضى العاملي[٥٦]، نقل عن **المظفر قوله:** "نعم، ربما يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعض المنافقين، وفراعنة الأمة... لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذي صيروا فيه اللعنة زكاة، ليعموا على الناس أمرهم، ويجعلوا لعن النبي صلى الله عليه وسلم لغواً، ودعاءه على معاوية بأن لا يشبع الله بطنه باطلاً، فجزاهم الله تعالى عن نبيهم ما يحق بشأنهم"[٥٧].

**ثالثا:** أن الدكتور استخدم أسلوب الإيهام بتعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلمبنفي الغضب عنه، وأن إثبات هذا الحديث فيه إثبات الغضب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يؤدي إلى الإزراء به صلى الله عليه وسلم، وإنما رددناه إجلالاً، وحباً، وتعظيماً لقدر الرسول صلى الله عليه وسلم والجواب على هذه الشبهة من أوجه:

١- إن إثبات الغضب للنبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتقاصٌ ولا حطٌ من قدره صلى الله عليه وسلم، لأن الغضب من الفطرة البشرية، ولا تحط من مقام النبوة، فقد ذكر الله عن موسى -كليم الرحمن، ومن أولي العزم من الرسل عليه السلام - آيات عدة تبين غضب موسى -عليه السلام-، وأنه ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه فهل هذا كان فيه حط من قدره؟ لا، ثمَّ لا.

---

(٥٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني(١٦٧/١).

(٥٣) نيازي هو من العقلانيين، وقد أشار ولده وسام الدين بن نيازي أن والده من الشام من أصل شركسي، وأنه تعلم من والده مؤلف كتب المنهج الجديد للإسلام (النسيء, إنذار من السماء, ...، حرية الاعتقاد والقراءة السليمة للقرآن من دون التأثر بآراء السلف، ترجم له ابنه هذه الترجمة من خلال موقع ماي سبيس ميوزك.

(٥٤) دين السلطان لنيازي عز الدين (ص٤٢١).

(٥٥) منهم عبد الحسين الموسوي في كتاب "أبي هريرة، (ص٦٨)، ومحمد النجمي في أضواء على الصحيحين (٢٠٥).

(٥٦) هو آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي لبناني، من أشهر كتبه "السيرة الصحيحة للنبي الأعظم" ويقع في خمسة وثلاثين مجلداً، وقد حاز هذا الكتاب على جائزة كتاب 1992في إيران. انظر: الموسوعة الميزان ، ويكيبيديا.

(٥٧) الصحيح من سيرة للنبي الأعظم لجعفر مرتضى العاملي(١٧٣/٦) ، وبحث آية الله كمال الحيدري هذا الحديث في "موقف النهج الأموي من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاوية (لا أشبع الله بطنه)" في موقعه الرسمي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "منهاج السنة"[٥٨]: "الغضب يعتري بني آدم كلهم - ثم ذكر حديث المشارطة وغيره – وقال: "وأيضا فموسى رسول كريم، وقد أخبر الله عن غضبه بما ذكره في كتابه، فإذا كان مثل هذا لا يقدح في الرسالة..."

٢- وكذلك مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم يغضب ويقول لأصحابه كلاماً في حال الغضب، ما رواه أحمد[٥٩] بسند صحيح[٦٠] من حديث عائشة قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم بأسير[٦١]، فلهوت عنه، فذهب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما فعل الأسير؟ " قالت: لهوت عنه مع النسوة فخرج، فقال: " ما لك قطع الله يدك، أو يديك "، فخرج، فآذن به الناس، فطلبوه، فجاءوا به، فدخل علي وأنا أقلب يدي فقال: "ما لك، أجننت؟ " قلت: دعوت علي، فأنا أقلب يدي، أنظر أيهما يقطعان، فحمد الله، وأثنى عليه، ورفع يديه مداً، وقال: "اللهم إني بشر، أغضب كما يغضب البشر، فأيما مؤمن، أو مؤمنة، دعوت عليه، فاجعله له زكاة وطهوراً".

٣- ثم يُسأل الطاعن في حديث المشارطة: هل تكلم النبي صلى الله عليه وسلم في حال الرضا بكلام لم يوافق عليه فيه أم لا؟ فإن قال: نعم، وهو الصحيح، فمن باب أَوْلى أنه قد يقول في الغضب من الكلام ما لا يوافق عليه، وبذلك ينتقض التعارض الموهوم.

والدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حال الرضا ما لا يوافق عليه ما أخرجه الإمام مسلم[٦٢] من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصواتاً فقال: "ما هذا؟ "، قالوا: يلقحون النخل، فقال: "لو تركوه فلم يلقحوه لصلح" فتركوه فلم يلقحوه، فخرج شيصاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما لكم؟ "، قالوا: تركوه لما قلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به، فإذا كان من أمر دينكم فإِلَيّ".

**رابعاً:** أجاب العلماء عن الإشكال الوارد في الحديث بعدة أجوبة، وملخص تلك الأجوبة:

١- أن تحمل الرواية المطلقة في حديث المشارطة على رواية أنس المقيدة وهي قوله: (**...فأيما أحد دعوت عليه، من أمتي، بدعوة ليس لها بأهل**...) وأما ما قد يستشكل به على هذا التوجيه، وهو كيف يدعو النبي صلى الله عليه وسلم على شخص أو يسبه، وهو ليس بأهلٍ لذلك؟ فالجواب عليه من **وجهين:**

**الوجه الأول:** أن المراد ليس بأهلٍ لذلك عند الله تعالى، وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في

---

(٥٨) منهاج السنة النبوية (٨/ ٢٦٩).

(٥٩) مسند أحمد (٤٠/ ٣٠٤).

(٦٠) قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦١) قال السندي: كان محبوساً في محل لم يكن له إغلاق، فقال لحفصة: انظري لئلا يخرج من محله. حاشية مسند أحمد (٤٢١/١٩).

(٦٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٦).

باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

**الوجه الثاني:** إن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود؛ بل هو مما خرج على عادة العرب في وصل كلامها بلا نية، كقوله: «تربت يمينك، وعقرى حلقى»، وكقوله في حديث أنس ليتيمة أم سليم: «لا أكبر الله سنك» وفي حديث معاوية: «لا أشبع الله بطنه»، ونحو ذلك، لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شيئاً من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى، ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة، وكفارة، وقربة، وأجراً، وإنما كان يقع منه هذا في النادر الشاذ من الأزمان ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا منتقماً لنفسه على من لم يكن أهلاً لذلك[٦٣].

٢- يحتمل أنه أراد أن دعوته عليه، أو سبه، أو جلده كان مما خُيِّر بين فعله له عقوبة للجاني، أو تركه والزجر له بما سوى ذلك، فيكون الغضب لله تعالى بعثه على لعنه، أو جلده ولا يكون ذلك خارجاً عن شرعه[٦٤].

٣- ويحتمل أن يكون ذلك خرج مخرج الإشفاق، وتعليم أمته الخوف من تعدي حدود الله، فكأنه أظهر الإشفاق من أن يكون الغضب يحمله على زيادة يسيرة في عقوبة الجاني لولا الغضب ما زادت، ويكون من الصغائر على قول من يجوِّزها، أو يكون الزجر يحصل بدونها[٦٥].

**خامساً:** ثم إن الدكتور ذكر رواية، ونسبها للشيخين، وهي:"واجعل ذلك كفارة له إلى يوم القيامة"، ثم بدأ بحرب شعواء على هذه الجملة، ولم يقبلها فمرة يستعجب، ومرة يكبر، ومرة يسخر!!

وهذه اللفظة لم أقف عليها في الصحيحين، ولا في غيرهما، ولعله نقلها من "البدر المنير"[٦٦] لابن الملقن، ولو كان ناقداً منصفاً لوجب عليه أن يراجع الصحيحين، ولكن هي العجلة والتعالم.

**سادساً:** ثم أراد أن يشكك في الحديث ويرده بطريقة افتراضيه تهكمية، فيقول: "عجيب! ! ! الله أكبر يا أخي إلى يوم القيامة؟ هكذا، يعني بمعنى، بمعنى ما عليك إذا أردت أن الله يكفر كل ذنوبك وإن كانت مثل زبد البحر...، إلا أن تأتي النبي وتتثاقل...، وهي أنه ما دام السب، واللعن...، رحمة، فليذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويتثاقل ويسبه فتصبح له رحمة..."[٦٧].

---

([٦٣]) انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥١)، وطرح التثريب شرح التقريب لأبي زرعة العراقي (٨/ ١٢)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧١).

([٦٤]) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧١).

([٦٥]) المصدر نفسه.

([٦٦]) انظر: البدر المنير (٧/ ٤٦٦).

([٦٧]) سلسلة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

وللجواب عليه أقول للدكتور: "ما رأيك في الحديث الذي رواه الشيخان[٦٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن عبدا أذنب ذنباً - فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله أو أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت آخر، فاغفره؟...، غفرت لعبدي ثلاثاً، فليعمل ما شاء"؟.

هل يقال: إذا أردت أن تفعل ما تشاء من الذنوب، ويغفر لك، ما عليك إلا أن تكرر الذنب عدة مرات، ثم يغفر الله بعد ذلك ما شاء من الذنوب، لا شك ولا ريب أنه لا يقول بهذا إلا عقل غير موفق.

إذاً فالمعنى الصحيح للحديث أن من حصل له ذلك من غير قصد، فمن شفقة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته حتى لا يحل عليه غضب الله أن يجعل له ذلك السب، أو الشتم رحمة، وزكاة، وقربة، قال النووي[٦٩]: "هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم".

**وأما القاعدة الثانية:** التي سلكها في ردّه للحديث، وهي نظرية **"المؤامرة الأموية"** فهذه القاعدة الطائفية من القواعد العظيمة، المتينة، الساحقة، الماحقة التي لا يحتاج معها إلى أي دليل آخر في رد الأحاديث.

وهذه القاعدة لم يقتصر الدكتور في الاعتماد عليها، والتحاكم إليها على نسف الأحاديث فقط، بل نسف بها كل ما يقف أمامه فيما يتعلق بالنواصب-والدكتور يجعل منهم أهل السنة-، ولذلك خوّن بها الأمة[٧٠]، واتهم بها الأئمة: من المحدثين، وغيرهم[٧١]، وضلل بها كتبهم[٧٢]، ونال بها من معاوية رضي الله عنه[٧٣] ما لم ينله منه الكافرون[٧٤]، ويقول في كل ما صح في فضلهم: "مش صحيح"، لماذا لأنه كما يقول: "لعل بني أمية لهم يد في وضع هذه الأحاديث؛ لأنهم أكثر قبيل من العرب لعنهم الرسول، ولعن أفراداً منهم، وحذر منهم، فكيف حيتخلصوا من اللعنات هذه، الله! ! موضوع لا أقطع به، يحتاج إلى بحث دقيق. . ويحتاج إلى أن تدرس هذه الأحاديث دراسة دقيقة، وينظر في رواتها، وهل هم من عملاء بني أمية، أو بعضهم، ولو واحد قد يكون هو العلة من عملاء بني أمية ينبغي أن ندرس كل طريق عن جابر، وعن عائشة، وأبي هريرة، وجميع الطرق بحثاً دقيقاً، نبحث في كل الطرق، يقوم على الاسترابة..."[٧٥].

---

(٦٨) صحيح البخاري (٩/ ١٤٥)، صحيح مسلم(١٤٥/٩).

(٦٩) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥١).

(٧٠) يقول: "كتمت الأمّة علومهم، وحاربت حتّى ذِكْرَهم وأسماءَهم أهل البيت". بين الحسين عليه السلام ويزيد.

(٧١) فيقول: "فإمامٌ مثل الإمام عليّ عليه السلام، باب مدينة العلم، ...،لم يُروَ عنه كما قال ابن حزم إلّا خمسون حديثاً، وله في الصحيحين عشرون منها، الإمام عليّ يُستَشهد سنة أربعين للهجرة، وقبل ذلك مكث ثلاث عشرة سنة في الإسلام المكّي المحمّدي، فهذه ثلاث وخمسون"؟.شريط "بين الحسين بن علي عليه السلام ويزيد".

(٧٢) مثل كتاب "العواصم من القواصم" للعلامة ابن العربي.راجع شريط بين الحسين بن علي عليه السلام وبين يزيد.

(٧٣) راجع شريط "بين الحسين عليه والسلام ويزيد".

(٧٤) يحب أوباما ويمدحه ، في حين يسب جمعاً من الصحابة، فيقول:"ضميري يحبه".

http://www.youtube.com/watch?v=WH7Io2NcweY

(٧٥) سلسة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

**وقفات مع كلام الدكتور:**

**أولاً:** إنني أسأل الدكتور هل يرضى لنفسه أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم لكي يرضي فلاناً، لا أظن أنه يرضى ذلك، فكيف يتهم به المحدثين الذي بذلوا الغالي والنفيس من أجل رضا رب العالمين؟، لو أردنا أن نأخذ بهذه المنهجية الطائفية لما صح لنا حديث، ولا تم لنا دين.

وإليك المثال: فمن الأحاديث التي اعتمد عليها الدكتور في الحكم على معاوية رضي الله عنه بأنه منافق لم يدخل الإيمان في قلبه، وأنه منافق، وأنه...، الحديث الوارد في فضائل علي رضي الله عنه الذي رواه الإمام مسلم[٧٦] من طريق الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر، قال: قال علي: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

ثم تأتي المعادلة المنطقية المنهجية عنده كالآتي: لا يبغض علياً إلا منافق، معاوية يبغض علياً، إذن النتيجة معاوية منافق.

ماذا سيقول المخالف من منطلق منهجية الدكتور لهذا الحديث، سيقول: هذا الحديث كذب، وهو من افتراء عملاء الشيعة الغلاة في علي رضي الله عنه، فالطريق الذي رواه مسلم -رحمه الله- من طريق الأعمش عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي به، ومعروف أن عدي بن ثابت شيعي، مفْرِط في التشيع، قال الدارقطني: "رافضي غالٍ، وهو ثقة". وقال الذهبي: "شيعي جلد"[٧٧]، وأما الراوي الثاني في الحديث فهو الأعمش، قال عنه العجلي: "وكان فيه تشيع"[٧٨]، وأما الراوي الثالث فهو زر بن حبيش، قال عنه أبو بكر بن أبى عاصم: "وكان علوياً"[٧٩].

فيقول الخصم فقل لي بربك كيف أقبل حديثاً مسلسلاً بالشيعة ومنهم شيعي جلد، غالٍ، مفرطٌ في التشيع، وعليه مدار الحديث، فضلاً عن أن الحديث معلول، فهذا إمام الدنيا في العلل في زمانه الإمام الدارقطني ذكر في كتابه العظيم " العلل"[٨٠] أنه مختلف في أسانيده، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في علله[٨١]، وذكر أنه لا يعرف إلا من طريق عدي.

ولكن ليس هذا منهج المعتدلين والمقسطين من أهل السنة والجماعة، وليس حالهم كحال المحترقين في الطائفية، والحاقدين، والمنفذين لمخططات أعداء الدين بزرع الفرقة والأحقاد بينهم.

**ثانياً:** صفة سيئة يرمي بها الآخرين، وهو متلبس بها على أكمل وجه وأتمه، ومع من؟ مع من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له وحيه، وهو التعدي على ما اختص الله به نفسه، وهي الاطلاع على ما في صدور الناس، فقد اتصف بها الدكتور عندما قال عن معاوية رضي الله عنه "إنه يريد أن يحقر مقام

---

(٧٦) صحيح مسلم (١/ ٨٦).

(٧٧) انظر: تهذيب الكمال (٥٢٢/١٩) ، ميزان الاعتدال للذهبي(٦٢/٣)، موسوعة أقوال الإمام أحمد(٤٣٩/٢).

(٧٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٢/ ٨٧).

(٧٩) المصدر نفسه (٩/ ٣٣٧).

(٨٠) علل الدارقطني (٣/ ٢٠٣).

(٨١) علل الحديث لابن أبي حاتم (٦/ ٥١٠).

النبوة" حين رد ابن عباس بأنه يأكل وهذا فيه من الخطورة ما تهد له الجبال، حين يتهم معاوية رضي الله عنه بأنه يريد أن يحقر مقام النبوة، وأيُّ كفر أعظم من كفر هذا؟! ، وهذا الكلام الباطل الذي ذكْرُهُ يكفي عن الانشغال برده.

إلا أني سأترك المجال لعدنان إبراهيم يرد على عدنان إبراهيم، من خلال قوله: "أنبه إخواني المشايخ الفضلاء (يقصد عثمان خميس وغيره)-أصلح الله أحوالهم- إلى أن يتخففوا،وإذا استطاعوا أن يقلعوا بالكلية خيرٌ من أن يدّعوا المعرفة ببواطن الأمور، يعرفون باطن عدنان، وباطن غيره، يقولون: خبيث، وباطنه أخبث من ظاهره، أقول لهم: اتقوا الله تعالى، لا تشاركوا الله في صلاحياته..."[٨٢].

**القاعدة الرابعة:** وأما القاعدة الرابعة وهي التناقض بين الأحاديث حيث يقول: "**ومتناقض**..." ثم يقول: "وإلا يبقى علينا أن نقول: عادي، النبي بشر عادي، ولكنه يغضب ويرضى، فربما سب، أو شتم، أو لعن وهو لا يريد ذلك، ولا يقصده وحاشاه،...كلام النبي يتصادق ولا يتكاذب،... هذا الحديث حديث المشارطة، يتناقض مع أحاديث في ذهني كثيرة صحيحة..." وذكر ثلاثة أحاديث وهي:

**أما الحديث الأول**: ما أخرجه أحمد[٨٣] عن عبد الله بن عمروضي الله عنه، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله صلى الله عليه وسلميقول في الغضب والرضا؟ فأمسكت، حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج منه إلا حق».

علق عليه الدكتور فقال: "إش يقول له؟ اكتبه، سب، لعن، شتم، أي حاجة، لذلك أبو هريرة اعترف أش قال: ولم يكن أحدٌ أكثر مني حديثاً إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب،... يتعارض أو لا يتعارض، ما قلوش صدقوا أنا بشر أرضى وأغضب، وممكن أحكي كلام ما يكون، قله: لا، ولا شيء بطلع مني إلا حق، يا الله هذا صحيح طبعاً وفي رواية...، لا تقلي بشر أغضب وأرضى كله حق...، حديث المشارطة لس حتشوفوا..."[٨٤].

**الجواب عليه:**

**أولاً**: لو قيل بمنهج الدكتور لكان حديث المشارطة هو الذي يقضي على حديث "لايخرج مني إلا حقاً"؛ لأن حديث المشارطة روي عن عدة من الصحابة، وجميع الروايات في الصحيحين، وأما حديث "لا يخرج مني إلا حق" لا يرويه إلا عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- وقد ضعف الحديث بعض محدثي العقلانيين[٨٥] الذي يعتمد عليهم عدنان إبراهيم، فكيف يكون التعارض بين حديث مختلف في صحته و حديث في الصحيحين روي عن عدة من الصحابة؟.

---

(٨٢) شريط "شبهات وبينات حلقة واحد".

(٨٣) مسند أحمد (١١/ ٤٠٦).

(٨٤) شريط "شبهات وبينات حلقة واحد".

(٨٥) مجلة المنار لمحمد رشيد رضا (٧٦٦/١٠).

وقد نص جمع من أهل العلم[86] أن الحدثين إذا تعارضا، ولم يمكن الجمع بينهما، فإنه يعمد إلى الترجيح، فالأصح يقدم على الصحيح، فكيف وأحدهما قد ضُعِّف، والآخر صحيح بل متواتر.

**ثانياً:** لا يوجد تعارض بين الحدثين، والجمع هو أن يحمل حديث "لايخرج مني إلا حق" على ما كان متعلقاً بالشرع من أحكام الحلال والحرام، وأما حديث المشارطة فيحمل على ماهو من طبيعة البشر التي يتصف بها كل أحد، ومنهم الأنبياء عليهم السلام، فيغضبون كما يغضب البشر، وهذا لا ينقص من قدرهم.

**ثالثاً:** أنه لم يشر إلى التعارض أحد ممن كتب في مشكل الحديث، أو مؤتلف الحديث، ولذا نجد أن عدنان إبراهيم نقم على الإمام الطحاوي عندمالم يذكر فيه أي تعارض مع حديث آخر، ولذا قال: "وقد أورد حديث الاشتراط هذا –أي الطحاوي في كتابه مشكل الآثار- فكان المفروض أول ما يعمد، يعمد إلى ماذا؟ إلى كشف وجه الصواب عن تعارض حديث الاشتراط مع الأحاديث التي سأتلوها عليكم بعد قليل، وهي كثيرة، ست سبعة على الأقل، على أنه لم يلتفت وغفل عن ذلك!"[87].

**وأما الحديث الثاني**: عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة، فأوجز فيها، فقال له بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة، فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قام تبعه رجل من القوم هو أبي غير أنه كنى عن نفسه، فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: «اللهم بعلمك الغيب...، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب...»[88].

قال معلقاً عليه: "...النبي إذا رضي وإذا غضب ...، لا تقلي النبي: بيغضب بيروح بيسب، بيلعن، بيجلد، بيضرب، وأنت ما تستاهل، عظيم هذا، صح في علامة استفهام كبيرة؟؟ ما الذي حدث؟"[89].

**فالجواب عنه:**

**أولاً:** يقال فيه ما قيل في الحديث الأول أن حديث المشارطة أصح من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

**ثانياً:** أنه لا تعارض بين الحديثين، فالجمع ممكن، وهو أن الله استجاب له في الأعم الأغلب، ولكن ليس معناه أنه معصوم، بل قد يقع منه شيء بصفة البشرية، كما مر تقرير ذلك في الجواب السابق[90].

**ثالثاً:** ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قد لا يُستجاب له في بعض أدعيته، ومنها: أنه لعن أناساً ولم يستجب له فيهم، فهداهم الله للإسلام[91].

---

(86) انظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (٢/٦١)، شرح نخبة الفكر للقاري (ص: ٣٥٩)، شرح ألفية العراقي عبد الكريم الخضير (٧/٤٠، بترقيم الشاملة آليا).

(87) سلسة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

(88) مسند أحمد (٣٠/٢٦٤)، سنن النسائي (٣/٥٤).

(89) سلسة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

(90) تقدم في (ص١٤).

(91) مسند أحمد (١٠/ ٧٥)، صحيح البخاري (٥/ ٩٩).

**وأما الحديث الثالث**: الذي يعارض حديث المشارطة، ما أخرجه الشيخان(٩٢)عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلملنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله».

علق عليه فقال: "هذا في الصحيحين، لا تقلي يغضب؛ لكن يغضب لله، والغضب لله حق صح...، طيب عرفنا يغضب لله؛ لكن ممكن يجاوز في كلامه حدود العدل، أستغفر الله، ...وأقسم أنه ما يخرج منه إلا حق، في الرضا والغضب، قال: في الرضا والغضب، شفتوا، لنكن واضحين، هذا النبي معصوم منزه، إذاً لا يغضب لنفسه...،أما حكاية أنه سب ولعن وبشتم، في قلبي شيء كأن بني أمية.."(٩٣).

**فالجواب عنه:**

**أولاً:** الجمع يسير جداً بإذن الله، وهو أن يحمل الغضب الوارد في حديث المشارطة على الغضب لله، والمنفي في الحديث على الانتقام لنفسه، ولا تعارض بينهما(٩٤).

**ثانياً:** ثم على افتراض أن الغضب الذي في حديث المشارطة كان لنفسه، فيجاب عنه بجوابين:

**الجواب الأول:** أنه وإن كان غضب لنفسه، فهو فيه مصلحة للمغضوب عليه من باب التأديب، والتحذير للآخرين، فيكون مشتملاً على مصلحة، ويحمل حديث الانتقام على ما كان لغير مصلحة.

**الجواب الثاني:** يقال هذا على حسب علم عائشة -رضي الله عنها- وهي لم تلازمه في كل الأوقات.

**الخاتمة**

في ختام هذا البحث يطيب لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

١- إن خطر العقلانيين المنكرين لجزء من السنة أشد وأنكأ من المنكرين للسنة كلياً؛ لخفاء حالهم، وعدم وضوحهم، ولنفرة الناس الفطرية في التجافي عن المنكرين كلياً لسنة خير البرية، ولتتبع الدول لهم، ومحاسبتهم، والقضاء عليهم، ولحكم أكثر العلماء بالكفر على منكري السنة.

٢- إن عدنان إبراهيم يشكل خطراً كبيراً في تفريق الأمة، لفصاحته، وحفظه، وذكائه، وموسوعيته، ومما يدل على ذلك طمع جهات كبرى في السعي لشرائه.

٣- إن قاعدة: أن البدعة الرد عليها نشر لها وعدم الرد عليها وأدٌ لها، صالحة لذلك الزمان الذي لم يكن العالم فيه كقرية صغيرة، وأما في هذا الزمان فيجب على الأمة أن تستنفر مجاهدين أفذاذاً لكي يجاهدوا المعتدين على السنة باللسان؛ لأن الباطل في هذا الزمان ينتشر انتشار الضوء بسبب وسائل الإعلام.

---

(٩٢) البخاري (٨/ ٣٠)، ومسلم (٤/ ١٨١٣).

(٩٣) سلسة معاوية في الميزان رقم الشريط"١٦".

(٩٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧٢).

٤- من الجهود المبذولة والمشكورة في تتبع طلبة العلم، فهرس للطاعنين في السنة ومدى توافقهم، وسبب ردهم بحيث يتضح لك تشابه قلوبهم فتشابهت أقوالهم، وأحوالهم.

٥- حرص أعداء الدين وأعداء السنة النبوية خاصة على شراء مثل هؤلاء المعتدين؛ لأنهم يحققون لهم ما لم يحققه غيرهم، ولذلك تجد منهم من يتهم بأنه عميل للماسونية، أو للمجوسية، أو لطاغوت العصر أمريكاً، كما أشار د. عدنان إبراهيم عندما ذكر أنه قد عرضت عليه عروض خيالية لشرائه.

٦- يظهر من خلال البحث أن البارزين والذين لهم دور من المعتدين، والطاعنين ثلة قليلة في كل زمان، ومكان، ولكن لبذلهم، وجهدهم، وقد يكون دعمهم، أصبح لهم الأثر الكبير، والتأثير السريع.

٧- إن بعض المعتدين على السنة وإن كان ظاهرهم أنهم لا ينكرون السنة ولكن مآل أمرهم، ولازم فعلهم إنكار السنة؛ لأنه مع الضوابط التي قعدوها كما فعل جمال البنا فإنه أخرج من الصحيحين ألفي حديث، فماذا بقي من الأحاديث؟.



# نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه في العصر الحديث
# المملكة العربية السعودية نموذجاً من خلال موقفها تجاه حادثة الرسوم المسيئة

**د. علي بن محمد عبد الله الطالب الأمين الشنقيطي**
أستاذ الدعوة والدراسات الإسلامية المشارك بجامعة طيبة



**المقدمة:**

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فالإسلام هو الدين الحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم للعالمين، وهو دين الفطرة الذي يدعو إلى الهدى والنور، ومنذ اللحظة الأولى لإعلان الدعوة المحمدية واجه صاحبها صلى الله عليه وسلم مختلف أنواع الأذى والفتن والمحن، لإضعافه ووأد دعوته في مهدها، وقبل اشتداد عودها والفتنة مستمرة إلى قيام الساعة، ولكن الله متم نوره، وناصر دينه ولو كره الكافرون.

والمتأمل في سيرته صلى الله عليه وسلم يتبين له من خلال الأحداث والوقائع؛ ما تعرض له من الأذى بشتى أنواعه، وبخاصة في بداية بعثته وظهور نبوته، وقد تولى كبر هذه المهمة وبدأها كفار قريش، فوقفوا في وجهه صلى الله عليه وسلم للقضاء على دعوته بتشويه صورته؛ فحاربوه صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وسلبوا منهم الديار والأموال وبيتوا النية لقتله صلى الله عليه وسلم وأخرجوه من أحبِّ البقاع إليه، وفي المقابل وبعد طول معاناة وأذيّة، وفي الجانب الآخر؛ تنفرج الظلمة، وينبلج الصبح، ليتحول الحال من الإيذاء إلى النصرة، وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوة، بالانتقال إلى المدينة ولتأتي نصرة الأنصار الذين آووه ونصروه، فمكّن الله للدين، وكانت العاقبة للمتقين.

ومن خلال هذه التقدمة ننطلق في بحثنا هذا، لنبين مفهوم الإيذاء والنصرة، ونقرر حقيقة مهمة أن دعوة الله ودين الله منصور ، وكلّما تجددت الأذية لهم قام من يذود عنهم، ويسارع في واجب النصرة ، كما فعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حيث ناصروه بكلّ ما يملكون من السبل والوسائل، ولم يدخروا في ذلك بشيء، بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، واستمرت النصرة إلى ما شاء الله، وتتجدد على يد الأمة كلما تجددت الهجمة والأذية عليه صلى الله عليه وسلم.

ومن وقائع الإيذاء في العصر الحديث؛ حادثة الرسوم الدنمركية المسيئة لشخصه الكريم وجنابه الموقر، وماتلا ذلك من جهود بذلها أتباعه من المسلمين لنصرته والدفاع عنه وسيكون تسليط الضوء على تلك الجهود المبذولة من المملكة العربية السعودية التي أخذت على عاتقها واجب الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم ونصرته لأنها قامت على أساس الدين والدعوة فهي قبلة المسلمين وترعى

الحرمين الشريفين وترعى مشروع التضامن الإسلامي ولها في قلوب المسلمين المحبة والمكانة، التي أهلتها لتكون الرائدة والسباقة في كلّ شيء.

والقصد هنا في هذه الورقات إن شاء الله تعالى، هو إبراز تلك الجهود الرسميّة والشعبية للمملكة العربية السعودية، تجاه ما حصل من إساءة طارت بها الركبان، وبلغت القاصي والداني للنبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما ظهر في وسائل الإعلام من رسوم دنمركية مسيئة، أغضبت المسلمين في كلّ مكان، بل وأغضبت حتى أحرار العالم والمحترمين منه، ممن يقدرون قيمة المقدسات ويحترمون الرموز، ويعرفون مكانة الأنبياء.

وسيتناول البحث واجب النصرة الشرعيّة لخير البريّة صلى الله عليه وسلم، مقابل هذه الإساءة، وتلك الأذية، ونقف بالتفصيل على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه في العصر الحديث ونموذج المملكة في ذلك من خلال موقفها من حادثة الرسوم الدنمركية المسيئة، وسيظهر في هذا البحث إن شاء الله تلك الجهود الحكومية والرسمية التي قامت بها المملكة العربية السعودية منذ أول يوم ظهرت فيه تلك الإساءة، كما ستشير في هذه الورقات إلى طرف من الجهود الشعبية للسعوديين كأفراد ومؤسسات، وسيتطرق البحث لتمهيد حول مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وحكم نصرته والدفاع عنه، ومكانة المملكة وجهودها في الدعوة والدفاع عن قضايا المسلمين وحماية معتقداتهم، وننطلق بعد ذلك في مبحثه الأول لبيان مفهوم الإيذاء والنصرة وتاريخهما، ويأتي بعده المبحث الثاني؛ لبيان تاريخ الإساءة والإيذاء في العصر الحديث من خلال حادثة الرسوم المسيئة لجناب النبي صلى الله عليه وسلم والتفصيل فيها من ناحية تاريخية، ومن ناحية قانونية، ليصل المبحث الثالث والأخير إلى صلب الموضوع، وبالتحديد إلى هدفه المقصود في إبراز : **جهود المملكة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال حادثة الرسوم المسيئة.**

وسيكون البحث بتفصيلاته على النحو التالي:

**التمهيد: في مكانة النبي صلى الله عليه وسلم و حكم نصرته والدفاع عنه، ومكانة المملكة وجهودها في الدعوة والدفاع عن قضايا المسلمين وحماية معتقداتهم:**

أولا: في مكانة النبي صلى الله عليه وسلم و حكم نصرته والدفاع عنه

ثانيا: في مكانة المملكة وجهودها في الدعوة والدفاع عن المسلمين وحماية معتقداتهم

**المبحث الأول: في مفهوم الإيذاء والنصرة وتاريخهما:**

المطلب الأول: مفهوم الإيذاء والنصرة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الإيذاء والنصرة في حياة الأنبياء والمرسلين

المطلب الثالث: تاريخ الإيذاء والنصرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودوافعه

**المبحث الثاني: حادثة الرسوم المسيئة لجناب النبي صلى الله عليه وسلم وتداعياتها :**

المطلب الأول: تاريخ الإساءة والإيذاء في العصر الحديث

المطلب الثاني: حادثة الرسوم المسيئة من ناحية تاريخية

المطلب الثالث: حادثة الرسوم المسيئة من ناحية قانونية

**المبحث الثالث: جهود المملكة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال حادثة الرسوم المسيئة:**

المطلب الأول: الجهود الرسمية والسياسية

المطلب الثاني: الجهود الشعبية وغير الرسميّة

المطلب الثالث: جهود الجهات والمنظمات التي للملكة فيها عضوية

المطلب الرابع: الإقامة والمشاركة في هيئات ومنظمات النصرة

المطلب الخامس: الإقامة والمشاركة في مؤتمرات النصرة

ولعلنا بهذا التمهيد والمباحث الثلاثة وما فيها من المطالب والمضامين سندرك وبشكل واضح، وبالبحث العلمي، ورصد المواقف ما أشار إليه المحور الثاني في مؤتمرنا هذا من **(حقيقة مواقف وجهود المملكة في خدمة قضايا المسلمين في العالم)** والذي شمل موضوع: **[نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه]**.

**التمهيد:**

أولا: في مكانة النبي صلى الله عليه وسلم و حكم نصرته والدفاع عنه:

( أ ) مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته العالية الرفيعة:

لقد تبوء النبي صلى الله عليه وسلم المكانة الرفيعة والعالية، والتي لا يدانيه ولا يجاريه فيها أحد، وستستمر هذه المكانة وتبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأن الله تعالى قد رفع ذكره، كما قال تعالى:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾[١] ومكانته صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى بيان ولا إلى شهادة من أحد، بعد أن شهد له الواحد الأحد سبحانه بقوله:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[٢].

ومما يدلّ على مكانته ومقامه؛ صدارته للأنبياء والرسل عليهم السلام؛ وهم عباد الله المصطفون؛ الذين اختارهم الله ليكونوا الواسطة بينه وبين عباده؛ فهم خيار من خيار ، يقول صلى الله عليه وسلم في علاقته بهم ومكانته بينهم: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[٣].

---

[١] سورة الانشراح الآيات (١-٤)

[٢] سورة القلم الآية (٤)

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (١٧٩١/٤)

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين بلا منازع؛ رغم أنه آخرهم وخاتمهم[٤]، فضلا عن سيادته للبشر والمخلوقات جميعها، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع))[٥] ، ومن صور وأدلة تفضيله صلى الله عليه وسلم تقديمه في الذكر على غيره من الأنبياء الذين سبقوه، وأفضل الرسل هم أولوا العزم الذين امتدحهم الله بقوله:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٦] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أفضل أولياء الله هم أنبياؤه وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أو لو العزم)[٧] ، ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (الطبقة الأولى من طبقات المكلفين وهي العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة، وأكرم الخلق وأخصهم بالزلفى لديه رسله ... وأعلاهم منزلة أو العزم[٨].

ولا خلاف أنّه صلى الله عليه وسلم هو أفضل أولي العزم من الرسل[٩] الذين هم أفضل الرسل، وبالتالي فهو أفضل خلق الله، ومكانته صلى الله عليه وسلم فوق ما يتعرض له، وما يقال فيه، ولن يضره صلى الله عليه وسلم ما يفعله الحاقدون من الدنمركيين وغيرهم:﴿ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ ﴾[١٠] ولن تزيدنا تلك الكتابات ، وهذه الإساءة لنبينا صلى الله عليه وسلم إلا حباً وتقديراً واقتداء واتباعا له لأنّه الذي لا ينطق عن الهوى، والذي شهد له القاصي البعيد قبل الداني القريب[١١].

والذين أساءوا بالرسوم الآثمة ارتكبوا أكبر خطيئة في حق الأديان والرسل أجمعين وأصبح من الضروري على العالم بأجمعه أن يحاسبهم ويعاقبهم سريعا وعاجلا؛ حتى لا تتكرر إساءتهم بعد ذلك؛ صيانة للثوابت والمقدسات، واتقاءً لِلفتنة، وعلى الأمة الإسلامية في كل مكان أن تكون على مستوى المسئولية، فتطبق تعاليم الرسولصلى الله عليه وسلم وتقتدي به وتتأسى بسلوكه وأنْ توحّد صفوفها وتجمع كلمتها، وتصون عقيدتها وهويتها، وتنصر نبها صلى الله عليه وسلم.

---

[٤] وقد وضّح صلى الله عليه وسلم بعض أوجه تفضيله على غيره من إخوانه الأنبياء فقال صلى الله عليه وسلم : ( فضلت على الأنبياء بستّ : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرّعب ، وأحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً،وأرسلت إلى الخلق كافّة، وختم بيّ النبيّون )) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة ، برقم (٥٢٣) ، (٣٧١/١)

[٥] أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ، برقم (٢٢٧٨) ، (١٧٨٢/٤)

[٦] سورة الأحقاف الآية (٣٥)

[٧] انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ص (٧)

[٨] انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص (٢٤٩)

[٩] ويطرح الإمام ابن الجوزي رحمه الله ؛ سؤالا ويجيب عليه فيقول: ( فان قيل: لِمَ خصَّ الأنبياءَ الخمسة بالذِّكر دون غيرهم من الأنبياء ؟ فالجواب : أنه نبَّه بذلك على فضلهم لأنهم أصحاب الكتب والشرائع ؛ وقدَّم نبيَّنا صلى الله عليه وسلم بياناً لفضله عليهم ) انظر زاد المسير، لابن الجوزي (١٢٣/٥)

[١٠] سورة التوبة الآية (٦٤)

[١١] كشهادة هرقل عظيم الروم للنبي صلى الله عليه وسلم فبعد أن سمع وصفه من خصمه آنذاك أبو سفيان بن حرب ، والتي قال في آخرها : ( فلو أني أعلم أني أخلُص إليه لتجشّمتُ لقاءه ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه ) أخرجه البخاري ، في كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥/١)

( ب ) حكم نصرته صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه بأبي هو وأمي:

(أ) حكم إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم :

من المقرر شرعا حرمة إيذاء المؤمنين والمؤمنات، ومعلوم ما يترتب على هذا القذف والإيذاء من عقوبات مقررة قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[12] ، وإيذاء خاصتهم أشد إثما كأهل العلم والفضل فلحومهم مسمومة، وجاء في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[13] ، أما إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم بمختلف أشكاله وصوره فهو كفر صريح؛ كما فصَّله القاضي عياض رحمه الله بقوله: (اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه، أو نسَبِه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له؛ فهو سابٌّ له، والحكم فيه حكم الساب، يُقتل كما نبينه..، وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه)[14] ، وقد قرر العلماء بالاتفاق أن عقوبة سابِّ النبي صلى الله عليه وسلم صراحة موجب للقتل لأنه كفر[15] يقول الإمام مالك رحمه الله: (من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه، قُتل؛ مسلماً كان أو كافراً، ولايُستتاب)[16] ، ويختلف حكم سبِّ النبي صلى الله عليه وسلم باختلاف الصادر عنه، وهو إما مسلم أو من أهل الذمة والعهد.

**١- فإذا كان مسلماً:** فأجمع العلماء على كفره، وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء، فمن ذلك: قول الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله: (أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئا مما أنزل الله عز وجل، أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله)[17] ، وقال الإمام محمد بن سحنون رحمه الله: (أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كُفره وعذابه كَفَر)[18] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وتحرير القول فيه أن السابَّ إن كان مسلماً فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم...فإن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك

[12] سورة الأحزاب الآية (٥٨)

[13] أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، برقم (٦٥٠٢ ) ص (٥٤٥ )

[14] انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ص (٤٢٨) ط١ ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م

[15] انظر محمد صلى الله عليه وسلم بين الجافي والغالي ، للشيخ عبد العزيز بن باز ص (٣٢) دار ابن الأثير ، الرياض

[16] انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ص (٤٢٩) ط١ ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م

[17] انظر الصوارم والحراب على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلموالأصحاب لابن تيمية ص(١٥) مكتبة التوعية القاهرة ١٩٩٨م

[18] انظر الصوارم والحراب على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلموالأصحاب لابن تيمية ص(١٥) مكتبة التوعية القاهرة ١٩٩٨م

محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل)[19].

**٢- وإذا كان ذمياً:** فقد نقض العهد الذي بيننا وبينه مباشرة، بجنايته على عرض النبي صلى الله عليه وسلم وانتهاكه حرمته، وطعنه في عمود الدين وأصله، وهذا معنى زائد على مجرد كونه كافراً، فللإمام قتله قال ابن تيمية: (قد ثبت بالسنة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقتل السابِّ لأجل السبِّ فقط لا لمجرد الكفر الذي لاعهد معه، فإذا وجد هذا السبَّ وهو موجب للقتل والعهد لم يُعصم من موجبه تعين القتل، ولأن أكثر مافي ذلك أنه كان كافراً حربياً ساباً، والمسلم إذا سبَّ يصير مرتداً ساباً، وقتل المرتد أوجب من قتل الكافر الأصلي، والذمي إذا سبَّ فإنه يصير كافراً محارباً ساباً بعد عهد متقدم، وقتل مثل هذا أغلظ)[20].

**٣- وإذا كان محارباً:** فقتله من باب أولى فهو جمع بين الكفر والمحاربة وسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقال: (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه يؤذي الله ورسوله)[21] ويعلل القاضي عياض رحمه الله أن التوجيه النبوي بقتله غيلة من دون دعوة بخلاف غيره من المشركين، مرده أذاه له، فدلَّ أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى[22] وكذلك قَتَلَ أبا رافع اليهودي، قال البراء: (وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه)[23].

فكل من استهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم أوسبَّهُ، أو تَنَقَّصَهُ فهو كافر محكوم بكفره حتى قال بعض أهل العلم لا يستتاب، بل يقتل فوراً، وسواءٍ كان ذلك بفعل أو بقول أو نحوه.

(ب) حكم نصرته صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه:

إن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم عهد قديم فأخذه الله تعالى على العباد قبل بعثته صلى الله عليه وسلم فقال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[24] ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى نصرته صلى الله عليه وسلم بالإيمان وخصها بالذكر في قوله تعالى:﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[25] ، فالواجب على من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم طاعته، وتوقيره

---

[19] انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية (١٠/١)

[20] انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لابن تيمية (١٧٣/١)

[21] أخرجه البخاري ، كتاب الرهن ، باب رهن السلاح ، برقم (٢٥١٠) ص (١٩٧)

[22] انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ص (٤٣٣) ط١ ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م

[23] أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ، برقم (٤٠٣٩) ص (٣٣٠)

[24] سورة آل عمران الآية (٨١)

[25] سورة الأعراف الآية (١٥٧)

وتعظيمه، ونصرته والذَّبِ عنه، وفداه بالنفس والأهل والمال، كما رُوي عن خبيب بن عدي رضي الله عنه لما أراد المشركون قتله بمكة بعد أن أسروه، قال له أبو سفيان: (أنشدك الله! أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ماأحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه؛ تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي)[٢٦] ،

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ومن علامة الحب المذكور: أن يُعرض على المرء أن لو خُيِّر بين فَقْد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة؟ فإن كان فقدها –أن لو كانت ممكنة– أشد عليه من فقد شيء من أغراضه؛ فقد اتصف بالأَحَبِّيَة المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد؛ بل يأتي مثله في نصرة سنته، والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢٧]، وأي منكر أعظم في حقه صلى الله عليه وسلم من أن يُسَب أو يُشتَم أو يُنتقَص منه -بأبي هو وأمي- ويقف المسلمون مكتوفي الأيدي؟ وإن لم ينتصر له مَنْ يحبه في مثل هذا؛ فمتى؟! ولهذا قال مالك -رحمه الله-: (مابقاء الأمة بعد شتم نبيها؟)[٢٨]، وهذه النصرة تكون بالنفس والمال واللسان، وبكل مايتاح للمرء، وينبغي أن يستفرغ فيها المرء وسعه؛ فإن فعل فقد استبرأ لدينه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ثانياً: في مكانة المملكة وعلاقتها بالدين والدعوة:

لقد قامت هذه البلاد المباركة **(المملكة العربية السعودية)** على الدين والدعوة، فكانت دولة التوحيد، وقبلة المسلمين، وراعية الحرمين الشريفين، والتي لها في قلوب المسلمين المكانة الخاصة، فهي مهوى أفئدتهم، ومحطّ أنظارهم، ولذلك فإنه (لا يوجد بلد في العالم عليه من المسؤوليات والاحترام والتقدير والمحبة لدى الشعوب المؤمنة ما لهذا البلد؛ لما توفر فيه من خصائص ومميزات، وما استقام فيه من عدل واطمئنان بفضل التطبيق الشامل لأحكام الشرع والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يستغرب أن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد الذي تستمد منه هذه الدولة شرعيتها ومصدر قوتها وتماسك شعبها ومبعث الخير العميم الذي يتفجر في أنحاء أرضها)[٢٩] ، وكان اهتمام المملكة بالدعوة وتبنيها ونشرها واضح وجلي في مظاهر عدة:

**أولاً/ خصوصية النشأة والارتباط بالدعوة:**

لقد أكرم الله هذه الجزيرة العربية بالعلم والعلماء، وكان لها من التجديد والمجددين أوفر النصيب عبر الزمان؛ ولعلّ ختام المسك، ظهور الدعوة الإصلاحية المباركة بها[٣٠] والتي أنعم الله بها على هذه

---

[٢٦] انظر السيرة النبوية ، لابن هشام (١٨١/٣)

[٢٧] انظر فتح الباري ، لابن حجر (٧٦/١)

[٢٨] انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ص (٤٣٥) ط١ ، دار الحديث القاهرة ٢٠٠٤م

[٢٩] الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية ، د. صالح بن غانم السدلان ص (٥٩) ، ط١ ، ١٤١٧هـ

[٣٠] والمقصود بالدعوة الإصلاحيّة كما عرفها بعض المتخصصين هي : ( تلك الجهود الكبيرة ، والأعمال الجليلة ؛ التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ لتصحيح الأوضاع الدينيّة الفاسدة ، والأحوال الاجتماعية المنحرفة ؛ التي كانت سائدة في

الجزيرة، وجدّد لها بها دينها، وانطلاقا من ذلك الاتفاق التاريخي بين الإمام المجدد؛ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، والإمام محمد بن سعود رحمه الله، اللذين تعاضدا وتناصرا من أجلها؛ واستمرت تلك الدعوة الإصلاحيّة المباركة وإلى يومنا هذا، وعليها قامت المملكة العربية السعودية (وارتبطت الدولة بالدين والدعوة ارتباطا وثيقا، وظل هذا الارتباط قائما في كل عهودها، وقد وحدها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله في ظل هذا الرباط الوثيق بين الدولة والدين والدعوة، وتابع خلفاؤه من بعده الحفاظ على هذه الخصوصية، التي تنفرد بها المملكة بين بلاد العالم الإسلامي كله)[31] فكان لخصوصية هذه النشأة والارتباط بالدعوة، من أوّل يوم الفضل في قيام هذا الدولة وانتفاع الإسلام والمسلمين بها وبمنهجها الشرعيّ الأصيل، وذلك من توفيق الله تعالى لأهل هذه البلاد، والتي شهد لها الجميع البعيد قبل الغريب[32].

**ثانياً/ النص الصريح في نظام الحكم على القيام بواجب الدعوة وحمايتها:**

الدولة قامت على والكتاب والسنة، وعلى الصلاح والتقوى، وعلى الدعوة إلى التوحيد، حيث كان اهتمام هذا الكيان المبارك؛ بالدعوة وتبنيه لها؛ واضح وجلي، فلقد نصّ نظام الحكم في مادته الأولى: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..) وفي مادته السابعة: (يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة)، وجاء في المادة الثالثة والعشرون من الباب الخامس [الحقوق والواجبات]: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)[33]. وجاء ذلك واضحا في المادة الثالثة والعشرون من الباب الخامس: [الحقوق والواجبات] حيث جاء فيها مانصه: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)[34].

---

الجزيرة العربية بعامة ، وفي وسطها ؛ بخاصة إبان القرن الثاني عشر الهجري ) انظر الدعوة الإصلاحية وأعلامها ، د.عبد الله محمد المطوع ص (١٠)

[31] انظر مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية ص (٧٧) لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، من مطبوعات مركز البحوث والدراسات بوزارة الشؤون الإسلامية ،ط١، ١٤١٦هـ

[32] يقول محمد قطب : ( والحق أنّه لو قدر الله للأمة أن تستيقظ على هدي هذه الحركة لتغير التاريخ ، ولكنّ الأمة في حينها لم تكن على استعداد لأن تصحو ؛ كانت غارقة في السبات العميق ، فخيل إليها حينئذ أن صيحة الشيخ المجلجلة كانت كابوساً مزعجاً ، سرعان ما أصمّت عنه أذنيها ، وأغمضت عينيها مرة أخرى وأسلمت نفسها للرقاد ! ووقع الصدام بين حركة الشيخ وبين الأمة الغافلة ) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص (٢٣٦)

[33] انظر النظام السياسي والدستوري للملكة ، د.أحمد بن باز ص(٢٦٨)ط٢ مطابع دار الشبل ، الرياض ١٤١٩هـ

[34] انظر المرجع السابق ص (٢٦٨)

**ثالثاً: إنشاء الجهات والمؤسسات التي تعني بشؤون الدعوة وتنوعها:**

قامت الوزارات والإدارات التي تهتم بجوانب الدعوة وميادينها المختلفة، وقد توسع في بيان هذه الجهود فضيلة الدكتور غانم بن صالح السدلان في سفره القيم المسمى بـ (الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية) ومن أبرز هذه المؤسسات:

١- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

٢- الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣- الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

٤- الجامعات السعودية وبالأخص الجامعات التي تعنى بالعلوم الشرعية، وبالتحديد الجامعة الإسلامية حيث أعطيت الفرصة أكثر من غيرها للعمل في الداخل والخارج على السواء، وهذه الجامعات هي جزء من الكيان الكبير وهو المملكة التي لا يخفى دورها الواسع في الدعوة إلى الله؛ لدرجة أن كل الجهات المعنية تقوم بواجباتها ومسؤولياتها كما ينبغي، والجامعات في المملكة هي في فلك هذه المنظومة المباركة في حمل الدعوة وبيان رسالة الإسلام وخدمة الحرمين ونشر الخير للبشرية جمعاء، كما أن الجامعات تسعى من خلال برامجها وأنشطتها إلى إبراز هذه الجوانب الخاصة بمجال الدعوة إلى الله، من خلال كليلتها وأقسامها وعماداتها الرئسية والمساعدة، خدمة للعلم وطلابه وتوفيرا للمعرفة الشرعية وفق منهج متميز مراعية في الحسبان الأخذ بأفضل وأنجع الطرق والوسائل في ذلك، وبرامجها في نشر وتأهيل منسوبين وطلابها القادرين على القيام بواجبات الدعوة إلى الله[٣٥].

والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تتميز بميزات لم تجمع لأي جامعة أخرى على وجه الأرض، فقد اجتمع لها مع سمو وأصالة الهدف والغاية شرف المكان وسعة الانتشار ولذلك آتت ثمارها (ولقد لمسنا نفع المتخرجين من الجامعة الإسلامية أينما حللنا لما يتمتعون به من فهم مباشر لكتاب الله وسنة رسوله عن طريق اللغة الأصلية لهما ولكونهم أحسن سلوكا من غيرهم في الغالب)[٣٦].

## المبحث الأول

## في مفهوم الإيذاء والنصرة وتاريخهما

المطلب الأول: مفهوم الإيذاء والنصرة في اللغة والاصطلاح

أولا: تعريف الإيذاء

---

[٣٥] انظر كتاب الدعوة إلى الله في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد للدكتور عبد الرحيم بن محمد المغذوي ، الصادر من سلسلة وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عاما على توليه مقاليد الحكم

[٣٦] كما ذكره الدكتور عبد الله بن أحمد القادري أحد أساتذة الجامعة وعضو الوفد المكلف بمجموعة من الزيارات والجولات ، انظر مجلة الجامعة الإسلامية عدد ربيع الأول رقم (٥٠ ) ص (٣٤٩) سنة ١٤٠١هـ

الإيذاء أصله من الجذر (أذى) جاء في مختار الصحاح: الإيذاء من (أذى) آذاه يؤذيه أذًى وأذَاةً وأذِيَّة وأذاة، وفي اللسان[37]: الإيذاء مصدر، فعله (آذى) إيذاء، والاسم منه: أذية وهو بمعنى: الألم العام على النفس والمال والبدن، ومنه قوله تعالى:﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ [38]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[39]، وهو مايؤذي فيها؛ كالشوك والحجر والنجاسة، ونحوها . إذاً فالأذى: ما يؤلم الإنسان في نفسه أو ماله، أو بدنه أو عرضه، قليلاً كان أو كثيراً، كالشوك والحجر والنجاسة ونحوها. وهو أذى حسي، أما الأذى المعنوي فهو كالبهتان والافتراء، والقذف، والكيد، وهناك ألفاظ ومصطلحات ذات صلة بـ(الإيذاء) وتحمل بعض معانيه، وهي كثيرة منها:

١- **(الضرر)** وقد اشتهر إطلاقه على ما زاد وعظم من الأذية، فنسبة الأذى للضرر كنسبة الصغائر للكبائر، هذا في الغالب، وإلا فمعنى الأذى يحمل جميع أنواع الضرر[40].

٢- **(الابتلاء)** والابتلاء له معان عدة، والمقصود به هنا: الاختبار والامتحان، كما في قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[41] فالأذية نوع من أنواع الامتحان والاختبار، لأن الابتلاء نوع من أنواع المشقة، والمشقة أذية[42].

**ومقصودنا بالإيذاء هنا:** كل مالحق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الألم والمعاناة المعنوية والحسية وخاصة من الكفار والمنافقين واليهود خصوم الدين والدعوة في حياته وبعد مماته، والكتابة هنا في ما لحقه في العصر الحديث من تجرأ أصحاب الرسوم المسيئة على مقامه صلى الله عليه وسلم من أذيه وإساءة لابدّ أن نوقف أصحابها عند حدهم، مكّن الله للدين، والعاقبة للمتقين[43].

المطلب الثاني : تعريف النصرة :

النصرة أصلها من الجذر (نصر ) والاسم: النصرة، والنصير ، والجمع أنصار، كشريف وأشراف، واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليهم و تناصر القوم نصر بعضهم بعضا و انتصر منه انتقم [44]، وجاء في اللسان أنّ (النصرة): إعانة المظلوم، وحُسن المعونة، قال تعالى:﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[45] والنصير فعيل بمعنى فاعل أو مفعول لأن كل واحد من المتناصرين

---

[37] انظر: ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مادة ( أذى ) ج ١٤ ، ص ٢٧ ،بيروت ، دار صادر ، ط١

[38] سورة الأحزاب ، آية : ( ٤٨ )

[39] أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، برقم : ( ١٥٣ ) ص : ( ٦٨٧ )

[40] انظر الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٣٧ ، ص ٥٨

[41] سورة الأحزاب ، آية : ( ١١

[42] انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٨٣

[43] جاء في صحيح البخاري ، في كتاب العقيقة ، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة ، برقم (٥٤٧١ ) (٨٤/٧) ( وأَمِيطوا عنه الأَذى) يريد : الشعر والنجاسة ، وما يخرج على رأْس الصبي حين يُولد ، يُحْلَق عنه يوم سابعه

[44] انظر مختار الصحاح ، للرازي ج١ ص٢٧٦ ، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون ١٤١٥- ١٩٩٥م

[45] سورة الحج ، آية : ( ١٥ )

ناصر ومنصور[٤٦]، وفي القاموس: نصر المظلومَ نصراً ونصوراً: أعانه، ونصره منه : نجاه وخلصه، والنصير: الناصر، وأنصار النبي صلى الله عليه وسلم غلبت عليهم الصفة، والنُصرة : حسن المعونة[٤٧]، وفي المفردات: النصر والنصرة: العون، قال تعالى:﴿ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [٤٨] ، وقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [٤٩] ، والانتصار والاستنصار: طلب للنصرة[٥٠] فهي إذا تعني: حسن المعونة، والنصرة: هي الإعانة ورد الظلم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[٥١] والنصرة: العون والمدد والوقوف مع الغير، ولذلك سُمّي الأنصار: أنصارا؛ لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاونوه على أمور دعوته، ووقفوا معه وصدوا عنه كل من أراد به السوء والظلم والأذية، وجاء فيهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [٥٢] ، يقول الإمام ابن الجوزي: (يعني الأنصار؛ آووا رسول الله، وأسكنوا المهاجرين ونصروهم على أعدائهم[٥٣]، **ومقصودنا بالنصرة هنا:** النصرة الخاصة المتعلقة بشخص النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أتباعه والمؤمنين به، في القديم والحديث، وكلّ مابذلوه من عونٍ ونصرةٍ، ورد للظلم والأذية عنه.

**ثانيا: الإيذاء والنصرة في حياة الأنبياء والمرسلين:**

الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ هم خيرة خلق الله، وسفراؤه الذين يقومون بتبليغهم دعوته ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [٥٤] وقد تكفّل الله بحفظهم فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وجاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهم اليقين، ولقوا في سبيل الدعوة صنوف الأذى والمشقة والعنت والتكذيب، ولم يزدهم ذلك إلا إصراراً على المضي قدما فيما أمرهم الله تعالى به، ونالوا تبعاً لذلك النصيب الأوفى من امتحان الله عزّ وجل لعباده، فصبروا على ذلك، وكان في ذكر أخبارهم سلواناً لفؤاده صلى الله عليه وسلم وحافزا مهماً للتحمل والصبر والمصابرة، قال الله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ

---

[٤٦] انظر لسان العرب ، لابن منظور مادة ( نصر ) ، ج٥ ص٢١٠

[٤٧] انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة( نصر) ط١ (٦٧٠/٢) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤١٧هـ

[٤٨] سورة الصف ، آية : ( ١٣ )

[٤٩] سورة النصر ، آية : ( ١ )

[٥٠] انظر المفردات ، للراغب الأصفهاني ص٤٩٥

[٥١] أخرجه البخاري ، ، كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ، برقم : ( ٢٤٤٣ ) (١٢٨/٣)

[٥٢] سورة الأنفال ، آية : ( ٧٢ )

[٥٣] انظر زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي (٣٨٥/٣) ط ٣ المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ١٩٨٤م

[٥٤] سورة المائدة ، آية : ( ٦٧ )

خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [55].

لقد حصل للرسول صلى الله عليه وسلم من صنوف الإيذاء، وليتبوأ المكانة السامية والمنزلة الرفيعة مع إخوانه من الأنبياء؛ فبمجرد خروجهم وإعلانهم دعوتهم يُكذبون ويؤذون ويُواجهون[56]

ثالثا: الإيذاء والنصرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم :

(أ) تاريخ إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي ودوافعه:

وقد اتخذ العدوان الجاهلي على الرسول صلى الله عليه وسلم صوراً شتى، وألواناً عديدة، وتهماً باطلة كل البطلان، لصدِّ الناس عن اتباع الحق، والنور الذي جاء به ومن أبرز معاني الإيذاء وصوره، التي لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعرض لها في العهد المكي ما يلي:

**١- الإيذاء القولي:**

وهو ما كان يقع بألسنة هؤلاء الخصوم؛ من عبارات وألفاظ تتجاوز الحدود في النيل، من شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم أو دعوته، أو أصحابه، وكل ما يتعلق به، ومن أمثلة الإيذاء القولي التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ما يلي:

- **تلقيبه بألقاب شنيعة، وتوجيه التهم الذميمة له:** كوصفه صلى الله عليه وسلم بالجنون، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) ﴾ [57] وكوصفه بالسحر كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٤) ﴾ [58] ، وغيرها من التهم والافتراءات من هذا النوع وفي هذا السياق.

- **عبارات التشكيك في الدعوة، وصدِّ الناس عن الإسلام:** حيث كان ديدن الكفار في مكة التشكيك في الدعوة والتحذير منها، لدى قبائل العرب، وخاصة عند حضورهم الموسم حتى لا يتأثروا بالدعوة والداعية صلى الله عليه وسلم وكانوا يجتهدون في العبارات والخطابات عند القيام بهذا الدور وصدّ أهل الشرف والمنعة عن الإسلام في كلّ الأوقات ومع جميع الفئات وما موقف صدّ أبي طالب عن الإسلام لما حضرته الوفاة ببعيد[59]، وكانت تلك العبارات والتشكيكات؛ حتى من أقرب الأقربين،

---

[55] سورة البقرة ، آية : ( ٢١٤ )

[56] فالصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة ، وهذا الإيذاء الذي بدأ منذ بزوغ الدعوة سيستمر لآخر لحظة قد يفتر أحيانا، ويقوى في فترة أخرى، لكن عقيدة المسلم أن الإيذاء مستمر وهو علامة صدق الداعية وسلامة منهجه

[57] سورة الحجر ، آية : ( ٦ )

[58] سورة ص ، آية : ( ٤ )

[59] روى البخاري ومسلم في صحيحهما ، عن المسيب بن حزن

وموقف أبي لهب في أول يوم جمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم قومه، وصدع بدعوته من على جبل الصفا فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت سورة المسد[٦٠].

**٢- الإيذاء الفعلي:**

وقد تعدى إيذاؤهم وجرأتهم على مقام النبوة؛ فلم يكتفوا بأذيته بلسانهم، بل تجاوزوا إلى الإيذاء الفعلي والجسدي، بصور وأساليب متعددة ومبتذلة، حتى جمعوا الناس عليه، وعقدوا اللقاءات لمواصلة الإيذاء والمؤامرات، وبدأوا **بالاعتداءات الجسدية**؛ حيث تجرأ كفار قريش عليه **بالضرب والرجم في مكة مرارا**[٦١] وتفننوا في إيذائه صلى الله عليه وسلم فكان **التعدي عليه بالخنق، وبوضع سلا الجزور عليه**؛ فبينما هو صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضع في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، ثم أزاحته فاطمة فدعا صلى الله عليه وسلم على أعيان قريش بأسمائهم[٦٢] **وآذوه برمي الأذى والقاذورات في طريقه**، كما كان يفعله أبو لهب وعقبة بن أبي معيط أشرُّ جارين للنبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم: ((كنت بين شر جارين، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، كانا يأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، فيخرج صلى الله عليه وسلم يقول: يا بني عبد مناف؛ أي جوار هذا؟ ثم يلقيه بالطريق))[٦٣] ووضع الشوك في طريقه كما كانت تفعله زوجة أبي لهب أم جميل، والتي أنزل الله فيها قرآنا[٦٤].

ولقد تجاوز كفار قريش الإيذاء الفعلي والجسدي حتى وصل بهم الأمر إلى المحاولات المستمرة لقتلهصلى الله عليه وسلم ومن أبرزها **[محاولة عقبة بن أبي معيط]**حيث خنق النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد بقصد قتله[٦٥] **[ومحاولة قريش ليلة الهجرة]** واجتماعهم في دار الندوة على قتله مجتمعين؛ بضربة رجل واحد، لكن الله حال بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم[٦٦] **[ومحاولة سراقة بن مالك المدلجي]** وملاحقته للنبي صلى الله عليه وسلم حين خروجه للهجرة من مكة إلى المدينة[٦٧].

(ب) تاريخ إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المدني:

---

[٦٠] أخرجه البخاري ، كتاب التفسير ،الشعراء ، باب: (( وأنذر عشيرتك الأقربين.. )) برقم (٤٧٧٠) ، (٨/٣٦٠)

[٦١] وكذلك فعل أهل الطائف عندما قدم عليهم بعرض الدعوة ، أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ورجموه بالحجارة حتى أدموا قدميه انظر:ابن هشام:السيرة النبوية ج١ ص٤١٩-٤٢٠

[٦٢] أخرجه مسلم ، كتاب الجهاد ، باب مالقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين ، برقم ( ٤٦٤٩ ) ( ٩٩٧ )

[٦٣] انظر: البلاذري : أنساب الأشراف ج ١،ص ١٣ ، وابن الجوزي : الوفاء بأحوال المصطفى ج ١ ، ص ١٨٢

[٦٤] انظر: ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ، ص ٣٥٥

[٦٥] أخرجه البخاري،كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذا خليلا)برقم( ٣٦٧٨)( ٢٩٩ )

[٦٦] انظر السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٣/١) ، والوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي (١٨٦/١)

[٦٧] أخرجه البخاري،كتاب مناقب الأنصار،باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه برقم (٣٩٠٨)ومسلم،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق برقم ( ٦١٦٩) وانظر السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٩/١)

بعد ما أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، بدأت الدولة الإسلامية الأولى وقويت شوكة الإسلام، لكن خصوم الدعوة، لايسرهم ذلك، فظهرت فئام مجرمة، تعارض نشر الدعوة وتعاديها، وعلى رأسهم كفار قريش الذين ما انقطع أذاهم، بل امتد إلى المدينة وما الغزوات المتعددة والمتعاقبة إلا نوع من ذلك الأذى، ومع توسع الدعوة توسع خصومها وظهر مؤذين جدد من المنافقين وأهل الكتاب؛ العدوان الجديدان لدولة الإسلام، ليجتمعا في هذه المرحلة المدنية، وليكونا كتلة واحدة مجتمعة لضرب الإسلام بالتشكيك والإيذاء[٦٨].

- **إيذاء المنافقين للنبي صلى الله عليه وسلم:** والمنافقون هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وخطرهم على الإسلام والمسلمين عظيم، وطبيعتهم التحرك في الظلام والخفاء، وعقد المؤامرات، والطعن في الظهر؛ ولذلك أطلق عليهم المتأخرون (الطابور الخامس) لأنهم كالسوس يظهرون بلا إفساد، ولكنهم ينخرون في الصف حتى يسقط، وقد كانت المرحلة المدنية مرحلة وجود هؤلاء، فآمنوا بلسانهم وكفروا بقلوبهم وسعوا بكلّ مايملكون إلى **إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم وتشويه سمعته،** واستنفذوا كلّ الأساليب الرخيصة لتحقيق ذلك، فقد رماه المنافقون في عرضه، وافتروا على أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق، وهي الطاهرة العفيفة في حادثة الإفك المشهورة [٦٩]، وقد كان عبد الله بن أبيّ هو الذي تولى كبر هذا الإفك[٧٠] فروجه ونشره، وكما قال ابن القيم عنه أنه كان: (يستحكي الإفك، ويستوشيه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه، ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه)[٧١].

وقد وصل بهم الإيذاء إلى التجرأ عليه صلى الله عليه وسلم ومحاولة يوم تبوك عندما كان عائداً من الغزوة، حتى إذا كانوا بالعقبة، اعترضهم اثنا عشر راكباً ليلقوا النبي صلى الله عليه وسلم منها، فصرخ بهم فولوا مدبرين، وكره قتلهم خشية أن يتحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه[٧٢].

- **إيذاء اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم:** اليهود هم خصوم الدعوة الحقيقيون، وقد دفعتهم الغيرة والحسد وانتقال الرسالة منهم إلى غيرهم، إلى الحقد على الرسول والرسالة، كما قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [٧٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [٧٤] ، واليهود أعرف من غيرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم كما

---

[٦٨] ولقد توصل الباحث أن الإيذاء الموجه للدعوة والداعية في العهد المدني رغم كثرته واتساع دائرته ، إلا أنه كان أخف وقعاً من الإيذاء المكي الذي كان يحاصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلا يجدون الناصر والمعين ؛ حتى ضاقت بهم مكة ذرعا ، فأمره الله تعالى بالهجرة ، والبحث عن أرض جديدة للدعوة لتتنفس الدعوة ، وينطلق بها.

[٦٩] انظر القصة بتفاصيلها في زاد المعاد ، لابن القيم ( ١١٣/٢ )

[٧٠] انظر: فتح الباري ( ٤٣٧/٧ )

[٧١] زاد المعاد ( ١١٣/٢ )

[٧٢] أخرجه مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم ( ٩ ، ١٠ ، ١١ )

[٧٣] سورة المائدة ، آية : ( ٨٢ )

[٧٤] سورة البقرة ، آية : ( ١٢٠ )

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [٧٥] ، ومع ذلك لم يؤمنوا به ولم يصدقوه إلا قليلا منهم، والتاريخ يسجل لهم من العداوة والمحاربة للإسلام ما لا يمكن حصره في هذه العجالة، وبدأت هذه العداوة بالغمز واللمز به وبزوجاته، إلى هجائه باللسان، إلى تهديده وأصحابه بالقتل، رغم أنّه بدأ العلاقة بهم بحسن نيّة حيث المصالحة واتفاقية التعايش والسلام، ومن أبرز صور أذيتهم **الطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بالإحراج والتشكيك**[٧٦]، وقد تمثل أسلوب التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم فيما آثاروه حول عدد من القضايا التشريعية كتحويل القبلة ونحوها، حيث اتخذوها اليهود ذريعة للإشاعة والإثارة والتشكيك[٧٧] ، **وقد تجاوزوا في الأذية بمختلف أنواعها إلى محاولات القتل والاغتيال:** فلقد تواطأ اليهود على قتله صلى الله عليه وسلم في قصة الشاة المسمومة[٧٨] كما سعى اليهودي لبيد بن الأعصم إلى سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان صلى الله عليه وسلم يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ومايفعله[٧٩] وقد اتفق عدد من أحبار اليهود أن يغدروا به صلى الله عليه وسلم ويطعنوه بخناجرهم المسمومة، ولكن الله تعالى فضحهم، وسلّم نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد اتفق يهود بنو النضير أن يلقوا عليه حجراً كبيراً من فوق السطح الذي كان يجلس تحته، فأعلمه الله تعالى ونجاه[٨٠].

## المبحث الثاني

## حادثة الرسوم المسيئة لجناب النبي صلى الله عليه وسلم وتداعياتها

### المطلب الأول : تاريخ الإساءة والإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم في العصر الحديث :

الصراع بين الحق والباطل مقرر منذ بداية الخليقة، ولن ينتهي وسيستمر إلى قيام الساعة، والإساءة إلى الرسول والرسالة؛ أمر بدأ منذ ظهور الرسالة المحمدية، واستمر إلى وقتنا المعاصر، وكلما رقَّ الدين، وضعفت دولة المسلمين زادت هذه الإساءات، وتجرأ عليها أعداء الملة والدين، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ،قال: قلنا : يارسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن، قال : قلنا: وماالوهن؟ قال: حب الحياة، وكراهية الموت)[٨١].

---

[٧٥] سورة البقرة ، آية : ( ١٤٦ )

[٧٦] ومن أبرز الحوادث في ذلك أنّ رافع بن حريملة ووهب بن زيد قالا للرسول صلى الله عليه وسلم يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهاراً نتبعْك ونصدّقْك ، فأنزل الله:(( أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل ))[البقرة الآية ١٠٨]انظر السيرة النبوية لابن هشام(٥٤٨/١)

[٧٧] الواحدي " أسباب النزول " صفحة : ٣٩

[٧٨] أخرجه البخاري ، كتاب الهبة ، باب قبول الهدية من المشرك ، برقم : ( ٢٦١٧ ) ، ص : ( ٢٠٦ )

[٧٩] أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، برقم : (٣٢٦٨ ) ، ص : ( ٢٦٤)

[٨٠] انظر تفصيل القصة : ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ج ١ ، ص ٥٦٣ ، وابن كثير ، السيرة النبوية ٣ / ١٤٥

[٨١] انظر: الإمام أحمد ، مسند أحمد ، حديث رقم ( ٢٢٤٥٠ )

ومشكلة الإساءة للإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ليست وليدة البارحة ولا تعود للرسوم المسيئة التي نشرتها في الصحف في الدنمركية وغيرها، بل المشكلة لها جذور في التاريخ فهناك أفلام ومقالات وكتابات وقصص عديدة، شوّهت الإسلام وأساءت للرسول صلى الله عليه وسلم ورسمت له صورة ذهنية ومرسومة مشوهة، فمع اختلاط المسلمين بالأقوام الأخرى وتأثر بعضهم بعادات الديانات الأخرى، تم رسم بعض الصور للرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن وجهه الشريف لم يرسم أبدا، وكان هناك دائما نوع من الحجاب على وجه الصور، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، جاءت ظاهرة الإسلاموفوبيا[٨٢] لتجعل من الإسلام العدو الكبير للغرب، والخطر الدائم على أمنه وسلامته واستقراره وديمقراطيته وحريته. والقضية كلها تتمثل في صراع حضاري ثقافي ديني، والخصم الجديد وهو الإسلام يجب أن يُطوق، ويُحاصر ويُحتوى من كل الزوايا والجهات، والعدو اللدود الذي يجب استئصاله، والقضاء عليه نهائياً، ولذلك حاكوا المؤامرات، **وتنوعت صور وأساليب إيذاء النبي** صلى الله عليه وسلم **في العصر الحديث، وكان من آخرها ما يلي:**

**١-رواية آيات شيطانية**[٨٣]: كتاب لبريطاني الجنسية: من أصل هندي يدعى: سلمان رشدي، الذي أعرب عن تأييده للصحيفة الدنمركية التي نشرت الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد صدر له في لندن في ٢٦ سبتمبر ١٩٨٨م هذا الاكتاب المشؤوم، وبعد ٩ أيام من إصداره منعت الهند سلمان رشدي من دخول بلادها، وتلقى دار النشر الذي طبع الكتاب الآلاف من رسائل التهديد، والاتصالات الهاتفية المطالبة بسحب الكتاب، من دور بيع الكتب، وظهرت أزمة عالمية؛ وقامت دول إسلامية وأخرى متعاطفة معها بمنع الكتاب، وخرجت مظاهرات تنديد بالكتاب في إسلام آباد ولندن وطهران وبومباي ودكا واسطنبول والخرطوم ونيويورك، وحرّقت أعداد كبيرة منه في برادفورد في بريطانيا ١٤ /١٩٨٩/٠١م وظهرت فتاوى بإباحة دم سلمان رشدي[٨٤].

**٣- فيلم (فتنة) الهولندي**[٨٥]: فيلم من إنتاج السياسي الهولندي النائب (غيرت فيلدرز) قائد حزب الحرية الهولندي، يبحث فيه عن علاقة الإسلام والقرآن أو تأثيرهما في الإرهاب. تم إصدار هذا

---

[٨٢] الإسلاموفوبيا Islamophobia أو إرهاب الإسلام هو : مصطلح يشير إلى الإجحاف و التفرقة العنصرية ضد الإسلام و المسلمين، مثير للجدل ، لوحظ استخدامه منذ عام ١٩٧٦م واكتسب شيوعا هائلا منذ أواخر الثمانينات من القرن ثم عاد ليستخدم بشدة بعد هجمات سبتمبرعام ٢٠٠١ م ، انظر: موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org ، وصراخ الحضارات أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الحليم حمود ص ٤٣

[٨٣] وتتخلص رواية ( آيات شيطانيّة ) في الإساءة للمسلمين ، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ؛ وبأنّ المسلمين هم مفجري الطائرات ، وإساءات صريحة إلى نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ووصف مكة المكرمة بمدينة الجاهلية التي يوجد فيها دار للدعارة ، وفيها اثنتا عشرة امرأة داعرة أسماؤهن مطابقة لأسماء زوجاته صلى الله عليه وسلم واتهامات قبيحة في هذا السياق ، واستغفر الله العظيم انظر موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk بتاريخ ٢٠٠٧/٠٦/١٦م

[٨٤] انظر موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org

[٨٥] ملخص الفيلم : عرض لإحدى الصور المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم المنشورة في الصحيفة الدنمركية ، وصور عدة تفجيرات زعماً منهم أن منفذيها مسلمون ، ثم مقاطع من خطب وأدعية لشيوخ وأطفال ، يدعون على غير المسلمين ، وتصوير مخيف لانتشار الإسلام في هولندا خاصة وأوربا عامة ، ثم تمزيق المصحف من قبل النائب الهولندي ( فيلدز ) – مزق الله يديه وجسده - ( انظر:

الفيلم (فتنة) إلى الانترنت في موقع (لايفليك) ومدته ١٧ دقيقة، بتاريخ: ٢٠٠٨/٠٣/٢٧م، والفيلم في مجمله اختزال للإسلام في مواقف شخصيات متشددة، استخدمت الإسلام وعملت على الإساءة إليه بطريقة مخزية، وشخصيات أخرى لتمثيل الإسلام وتصويره وتقديمه بصورة مشوهة؛ خلاصته: أن الإسلام دين قتل أو نحر أو تهديد، أو تفسير خاطئ للإسلام وآياته القرآنية، والإسلام بريء من ذلك كله.

وقد أثار الإعلان عن نشر الفيلم عاصفة من الاحتجاج في بعض البلدان الإسلامية، وتبرأت الحكومة الهولندية من الفيلم على لسان رئيس وزرائها (يان بيتر بالكانندا)، الذي قال: بأن الفيلم يساوي بين الإسلام والعنف، ونحن نرفض هذا التفسير، ولا يخدم أي هدف ما عدا الإساءة، لكن الإحساس بالإهانة لا يجب أن يُتخذ ذريعة لارتكاب العدوان، وإلقاء التهديدات، وحملت الحكومة النائب (فيلدرز) المسؤولية الكاملة عن هذه الإساءة، وقد رفضت أيضاً وسائل الإعلام الهولندية نشر الفيلم[٨٦].

ومهما رسمت صوره صلى الله عليه وسلم عبر عصور التاريخ المختلفة، فلا أبدع ولا أجمل ولا أروع ولا أحسن ولا أصدق من وصف أنس بن مالك رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم إذ قال: (كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل، أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه، ولحيته عشرون شعرة بيضاء)[٨٧].

وحريٌّ بكل مسلم أن يجسد ذلك في مخيلته، ويتمثل به عليه الصلاة والسلام قولاً وعملاً، لأنه القدوة والأسوة الحسنة، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة))[٨٨]، وما هذه الحادثة ومثيلاتها إلا صورة متجددة متكررة، من صور الصراع التي بدأت ولن تنتهي، والعقل والحكمة يقتضيان دراستها واستثمارها، واستخلاص الدروس والعبر منها، حمايةً للمسلمين ونشراً للدين.

وكانت آخر صورة مثيرة من صور هذا الصراع والإساءة في العصر الحديث؛ ما نُشر من الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في عدد من الصحف والمجلات الأوربية، والتي أثارت طوفانا من الغضب والاشمئزاز بين ملايين المسلمين، وسنقف عند هذه الحادثة **(حادثة الرسوم الدنمركية المسيئة)** والموقف الشرعي والرسمي والشعبي منها ومواجهتها ممثلا في البلد التي تمثل المسلمين وتعبر عنهم؛ وهي قبلتهم وقدوتهم **(المملكة العربية السعودية)**.

---

موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk بتاريخ : ٢٠٠٨/٠٣/٢٨ ، وموقع العربية نت www.alarabiya.net ، بتاريخ : ٠٧/ ٢٠٠٨/٠٤م

[٨٦] انظر : موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk ، بتاريخ : ٢٠٠٨/٠٣/٢٨م ، وموقع العربية نت www.alarabiya.net ، بتاريخ : ٠٧/ ٢٠٠٨/٠٤م

[٨٧] انظر: البخاري ، صحيح البخاري ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٠٢/٣)

[٨٨] سورة الأحزاب ، آية : ( ٢١ )

المطلب الثاني: حادثة الرسوم المسيئة من ناحية تاريخية:

في ١٧سبتمبر ٢٠٠٥م نشرت صحيفة (بلوتكن) الدنماركية مقالة بعنوان: (الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام) وتحدثت عن الصعوبة التي لاقاها (كاري بلوتكن) الصحفي الدنماركي، الذي كتب كتاباً عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم موجهة للأطفال باسم (القرآن وحياة الرسول محمد) ولكنه وجد صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول إلى كتابه، ووصل الخبر لصحيفةَ يولاندس بوستن، التي قامت باجراء مسابقة بين (٤٠) رساما كاريكاتيريا، لرسم صور تعبر عن معاناة (بلوتكن) في ايجاد رسامين لكتابه وإبراز الادعاء القائل: إنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن محمد دون إبقاء اسمه سريا[٨٩].

وأثناء المسابقة انسحب ثلاثة من الرسامين، وعلل أحدهم انسحابه: بخوفه أن يحدث له ما حدث للمخرج (ثيو فان غوخ) الذي قتل في ٢٠٠٤/١١/٠٢م لإخراجه فيلما قصيرا (١٠دقائق) باسم فيلم الخضوع، وكان الفيلم محاولة من المخرج لتصوير ما يدعيه من معاملة المرأة في الإسلام، وربطه بنصوص من القرآن، وعلل رسام آخر انسحابه: من خوفه أن يهاجم مثل المحاضر في معهد (نيبور) النصراني في كوبنهاغن والذي تعرض للضرب من قبل خمسة طلاب في أكتوبر ٢٠٠٤م لأنه حسْبَ بعض المصادر "قرأ نصوصاً من القرآن على حشدٍ من غير المسلمين"، وأثار انسحاب هؤلاء نوعاً من روح التحدي عند رئيس التحرير، الذي اعتبر ذلك منافيا لحق حرية التعبير حسب وصفه، فقامت صحيفته بتاريخ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م، والتي يصل توزيعها إلى ما يقارب ١٦٠ ألف نسخة، بنشر مقالة في الصفحة الثالثة، بعنوان : "وجوه محمد"[٩٠]، ونشر مع المقال اثنتي عشرة رسمة، في بعضها استهزاء وسخرية من النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الرسوم مصاحبة لمقال حرية التعبير ، بقلم: (كار بلوتكن) وكان المقصود من المقال إبراز الإدعاء؛ إنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن محمد دون إبقاء اسمه سريا، خوفاً من عمليات انتقامية، يقوم بها متطرفون إسلاميون، بسبب الاعتقاد بأن رسم محمد محرّم في الإسلام[٩١].

ووصف الصور التي رسمت على يد اثني عشر رساما مختلفا، وهي صور مختلفة الأنواع والمضامين، ومن أبرز تلك الصور المسيئة ما يلي[٩٢]:

١- رجل ملتحٍ يحمل خنجراً، وخلفه امرأتان منقبتان.

٢- رسم يشير تعليقه إلى أن محمداً كان يضطهد النساء.

٣- رجل ملتحٍ ومعتمّ بعمّة، كتب عليها: "لا إله إلا الله" والعمّة تمثّل قنبلة كروية لها فتيل.

---

[٨٩] انظر صراخ الحضارات أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الحليم حمود ص ٢٥،ط١دار الهلال،بيروت٢٠٠٦م

[٩٠] انظر: موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk بتاريخ : ٢٠٠٦ /٠١/٣١

[٩١] انظر: موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk ، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٢/٠٨ ، عبدالحميد ، إسلام منصور ، ، إلا رسول الله ، ص ٣٦ ، القاهرة ، مكتب الشهاب للبحث العلمي ، ٢٠٠٦م ، ط ١

[٩٢] انظر: موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk بتاريخ : 2006/02/18

٤- رجل رسّام يرسم وجها لرجل ملتحٍ يرتدي كوفية وعقال، كتب فوقها: محمد، والرسام يبدو خائفا، يتصبب عرقا، ويضع يده كمن يمنع الناس من الرؤية.

٥- رجل في مركز الشرطة، ينظر إلى سبعة من المشتبهين بهم ويقول: [هممم، لاأستطيع تمييزه]، والأشخاص الواقفون في الصف هم: (شخص هيتي متحرر من السبعينيات -سياسية دنمركية– المسيح -من المحتمل بوذا- من المحتمل محمد -شخصية دينية هندية- الكاتب (كاري بلوتكن) مؤلف كتاب الأطفال "القرآن وحياة الرسول محمد"].

وقد تم إعادة نشر الرسوم المسيئة بحجة التأكيد على حرية التعبير، وإمعانا من الصحف الدنمركية في الإساءة للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم وتأكيداً لعدم احترام الأديان والأنبياء، ومثالاً واضحاً للإفلاس الحضاري، والانحطاط الأخلاقي، وإبراز صورة من صور الحقد الأعمى، والعنصرية البغيضة لديها، والاستفزاز الذي قد يؤدي إلى إحياء الصراعات، وإعادة صولات والحروب الصليبية وجولاتها، وقد توسعت دائرة نشر تلك الصحف في العالم، حتى وصل الأمر إلى نشر بعض صحف الدول العربية والإسلامية لها من باب المهنية الإعلامية، وبيان فداحة العمل وشناعته كما يحسن البعض الظنّ بهم[٩٣]، وقد امتنعت معظم الصحف الإسلامية والعربية عن نشر الرسوم المسيئة، احتراما للتعاليم الإسلامية، التي تحظر رسم صور النبي صلى الله عليه وسلم أو نشرها، وأفاد تحقيق نشرته مجلة: (أي يور) التابعة لمعهد الصحافة الدنمركية أن الرسوم المسيئة، التي نشرت في صحيفة **(يولاند بوستن)** نشرت في: ١٤٣ صحيفة، من ٥٦ بلداً، منها ٨ دول إسلامية[٩٤].

المطلب الثاني : حادثة الرسوم المسيئة من ناحية قانونية:

بعيداً عن ماهو مقرر شرعاً؛ من رفض ماحصل من إقدام الصحيفة الدنمركية على نشر الرسوم، جملةً وتفصيلا، فإن القوانين الوضعية، والأنظمة الدولية، وقفت مواقف حازمة تجاه هذا النوع من التجاوزات، وجعلت له حدوداً وضوابط، وقوانين لحرية التعبير التي تضمن ذلك للأفراد والمؤسسات؛ حتى لا يحصل الفساد والتخريب، باسم **حرية التعبير والتجاوز والإساءة للآخرين في معتقداتهم، ورموزهم الدينية والثقافية**[٩٥].

والإسلام دين يرفض الترويع، ويقاوم الظلم والعدوان بأنواعه وصوره كافةً، وما الهدف من الإساءات والتضليل والتشويه إلا تأليب الشعوب الأوروبية على الوجود الإسلامي المتنامي بداخلها، وعلى

[٩٣] والظنّ بالصحافة المحترمة خيرا ، وأحسب بعضهم كان دافعه الغيرة والتحريض في النصرة

[٩٤] انظر : موقع العربية نت www.alarabiya.net، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٣/٠١ م ، انظر : موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء www.icsfp.com/AR

[٩٥] مع الأسف ما يزال الغرب ينظر للآخر على أنه متخلف ، وجاهل ولا يملك مقومات النجاح والتفوق، وما زالت مشاعر الاستعلاء والاحتقار والازدراء للآخر والاستهزاء به ، واضحة في جميع أشكال الرأي العام عنده

استمرار العدوان على أرض المسلمين[٩٦]، وفي هذا المطلب سأعرض باختصار إلى مجموعة من الأنظمة والقوانين الإسلامية والوضعية التي تجرم الإساءة:

**١- قانون منظمة المؤتمر الإسلامي**[٩٧]: وقد ظهر جلياً في المادة (٢٢) من اتفاقيتهم حول حقوق الإنسان، الصادر عن مؤتمرهم التاسع عشر في ١٩٩٠/٠٨/٠٥م، وقد نصت أنّ: (لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه، بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية...والإعلام ضرورة حيوية للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله، والتعرض للمقدسات، وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم، أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد).

**٢- قانون جامعة الدول العربية**[٩٨]: ويظهر ذلك جلياً في المادة (٣) والتي تعهدت الدول فيها؛ بأن تكفل لكل شخص خاضع لولايتها حق التمتع بالحقوق والحريات، من دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس، أو اللغة أو المعتقد الديني، أو الرأي أو الفكر. وفي المادة (٣٠) والتي في مضمونها أنّ؛ لكل شخص الحق في حرية الفكر، والعقيدة والدين ولا يجوز فرض أية قيود عليها إلا بما ينصّ عليه التشريع النافذ.

**٣- قانون الأمم المتحدة:** والتي أصدرت (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) ومن البنود التي جاءت صريحة في حفظ الكرامة الإنسانية، واحترام الدين والمقدسات مايلي: [المادة (١) ولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء، المادة (٢) لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس، أو اللغة أو الدين، أو الرأي السياسي ،أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة أو الميلاد، أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء][٩٩] .

وقد تفاعلت الدول والمنظمات العالمية والإقليمية المهتمة بالشأن الحقوقي مع قوانين الأمم المتحدة ومواثيقها، التي تنضوي هذه الدول تحت لوائها، ومن أبرزها:

- **فالقانون الدنماركي**[١٠٠]: الذي نصّ على أنّه لا يسمح بالتعرض لأحد للتمييز بسبب جنسه، أو أصوله العرقية، أو لون بشرته، أو معتقداته، أو اتجاهاته الجنسية.

---

[٩٦] فعلى الغرب وعقلائه المنصفين الذين يستندون في حل معضلاتهم إلى القوانين التي وضعوها ، أن يقوموا على إعمالها وتنفيذها داخل مجتمعاتهم ، وخاصة تلك التي تمسُّ الثوابت والرموز الدينية ، والمقدسات الإسلامية

[٩٧] انظر: موقع منظمة المؤتمر الإسلامي www.oic-oci.org

[٩٨] هذه المواد نصوص من الميثاق العربي لحقوق الإنسان التي تم اعتمادها من قبل القمة العربية السادسة عشرة التي استضافتها تونس بتاريخ : ٢٠٠٤/٠٥/٢٣

[٩٩] انظر: موقع الأمم المتحدة www.un.org/arabic ،إدارة شؤون الإعلام ٢٠٠٣ ، المواد المذكورة مأخوذة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، المعتُمد بموجب قرار الجمعية العامة المؤرخ في ١٩٤٨/١٢/١٠م

[١٠٠] انظر موقع وزارة شؤون اللاجئين والهجرة ، مصلحة الهجرة الدنماركية/www.nyidanmark.dk/ar-AE

- **أما القانون الأوربي فينص على**[١٠١]: أنّه لا تخضع ممارسة الحقوق والحريات التي نصّت عليها هذه الاتفاقية، لأي تمييز أساسه الجنس، أو العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الدين، أو الآراء السياسية، أو أية آراء أخرى.

- **أما منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش)**[١٠٢]: فأكدت رفضها لما تَنُمُّ عنه الرسوم؛ من تحاملٍ وقلّة احترام .وبينت إدراكها التام أنَّ كثيراً من المسلمين يرون في هذه الرسوم، والتي نُشرت في البداية في صحيفةٍ دنماركية في سبتمبر، خرقاً للحظر المفروض على تصوير النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم يرون فيها إهانةً جسيمة لمعتقداتهم[١٠٣].

## المبحث الثالث

## جهود المملكة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال حادثة الرسوم المسيئة

المطلب الأول: الجهود الرسمية والسياسية:

كان تداعيات الرسوم الدنماركية واضحة، وآثارها متشعبة في جميع الدول، وتعددت المواقف تجاه ذلك، وسأقتصر في الحديث هنا في هذا السياق على الموقف السعودي وجهود المملكة العربية السعودية المبذولة في هذا الاتجاه لخصوصيته في كلّ الاتجاهات[١٠٤]، فهي قلب العالم الإسلامي النابض، وأرض الحرمين، التي ضمّت في جنباتها أطهر بقعتين على وجه الأرض، ففيها بيت الله الحرام، ومثوى سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وهي قبلة أكثر من مليار مسلم، في العالم يتوجهون إليها خمس مرات في اليوم والليلة، ولما لها من ثقل ومكانة عظيمة في نفوس المسلمين، ولدورها الريادي والقيادي، في الأنظمة السياسية والاقتصادية، فموقفها ليس كموقف غيرها، ومن مظاهر هذا الموقف ما يلي:

---

[١٠١] هذه المواد نصوص من الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان ، والحريات الأساسية ، التي وقعت بروما في ١٩٥٠/١١/٠٤، وجاءت هذه الاتفاقية مراعاة منها للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ،بتاريخ : ١٩٤٨/١٢/١٠م

[١٠٢] Human Rights Watch هي : منظمة أمريكية غير حكومية معنية بأبحاث حقوق الانسان والدعوة لها، مقرها مدينة نيويورك (انظر: موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org)

[١٠٣] انظر: موقع هيومن رايتس ووتش www://hrw.org/arabic/docs ، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٢/١٦

[١٠٤] لمعرفة الجميع بما فيهم الدولة التي صدرت الإساءة من صحفها لمكانة المملكة ودورها وأثر مثل هذه الإساءة على مواقف قيادتها وشعبها ، ولذلك حاولوا خطب ودها واسترضائهما بشتى الطرق ، حيث أبدى السفير الدنماركي لدى المملكة اعتذار حكومة بلاده للمسلمين في العالم، بشأن الرسوم المسيئة ، للرسول محمد صلى الله عليه وسلم التي نشرتها صحيفة دنماركية، انظر موقع وكالة الأنباء السعودية(واس ) www.spa.gov.sa بتاريخ : ٠١ / ٠٣ / ٢٠٠٦م

**- موقف القيادة السياسية:**

وكان موقفها العملي الصلب الذي تُشكر عليه؛ هو سحب سفيرها في الدنمارك [١٠٥] كما بادر **مجلس الوزراء السعودي مؤكدا** أن الإيمان وتبجيل الأنبياء والرسل واحترامهم كافةً، منصوص عليه في القرآن الكريم ويشكل أساساً لإيمان المسلم، وأن المملكة تتوقع أن تقف جميع الدول والحكومات والمؤسسات الأهلية، بوضوح في صف احترام مقدسات الأمم، ودعم تعايش الحضارات، وفهم خصوصيات الثقافات، وتقدر كل الحكومات والجهات التي صرحت بمثل هذه المواقف، وعبر عن استنكار المملكة لما ورد في بعض الصحف الأوروبية من إساءة لشخص الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، والتي تتنافى مع احترام وقدسية الأديان والرسل، ولايعني حرية الرأي التعرض لمعتقدات الآخرين، والاستخفاف بها، خاصة مع استمرار نشر ثقافة الكره ضد المسلمين، في الصحافة الغربية [١٠٦].

وأوضحت المملكة العربية السعودية سوء عاقبة استمرار الأزمة، وأن الحل هو وأدها لأنها من أشد ما ينشر الكراهية، ويزيد الفرقة والعداء، في وقت أحوج ما يكون العالم فيه إلى ما يقوي أواصر التعاون بين شعوبه ومجتمعاته، ودعت إلى إصدار قرار دولي، يُلتزم به دولياً، لاحترام الأديان السماوية، وعدم المساس بمقدسات الآخرين [١٠٧].

فيما شدد سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية السعودي، على احترام المملكة لحرية الرأي، ومن حق كل فرد إبداء رأيه، و ليس من المقبول أن تصل الحرية إلى هذا الحد، في التعدي والإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر أن أصحاب الأديان يرفضون الإساءة للأنبياء والرسل، لأنهم مقدسون، ناهيك عن المسلم الذي لا يستطيع ولا يعمل ذلك، وطالب حاضرة الفاتيكان بيان رأيها وشجب هذه الحادثة [١٠٨]، وقال سفير المملكة لدى الولايات المتحدة الأمريكية السابق سمو الأمير تركي الفيصل: إنه عاجز عن تصور إمكانية انطباق حرية التعبير على الرسوم المسيئة [١٠٩].

**- موقف القيادة التشريعية:** وأكد فضيلة الشيخ صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى السعودي؛ أن حرية الرأي يقر بها الجميع، موضحاً أن الإسلام أول من نادى بها، وليس من حرية التعبير الاستهزاء بالناس، والسخرية منهم، فكيف إذا كان الاستهزاء بأعظم وأفضل رجل في التاريخ، وأبدى استغرابه لما صدر من بعض الصحف الدنمركية والنرويجية، بنشر الرسوم المسيئة، لما تمس مشاعر

---

[١٠٥] انظر : موقع هيئة الإذاعة البريطانية www.bbc.co.uk بتاريخ ١٢ / ٠٢ / ٢٠٠٦م وموقع شبكة سي إن إن بالعربية www.arabic.cnn.com، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٣/٠١، تم الاستدعاء بتاريخ : ٢٠٠٦/٠١/٢٦م

[١٠٦] انظر: موقع وزارة الخارجية السعودية www.mofa.gov.sa

[١٠٧] انظر: موقع وزارة الخارجية السعودية www.mofa.gov.sa

[١٠٨] انظر: موقع الجزيرة نت www.aljazeera.net ، بتاريخ : ٠١ / ٠٢ / ٢٠٠٦م

[١٠٩] انظر: موقع العربية نت www.alarabiya.net، بتاريخ : ٠٨ / ٠٣ / ٢٠٠٦م

عموم المسلمين، وهو تصرف يرفضه كل حكماء العالم وعقلائه لأن هذه الإساءات تؤجج الفتن وتزيد من التنافر بين الشعوب والأديان[١١٠].

**- موقف القيادة الدينية (هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية)[١١١]:**

استنكرت هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية الرسوم المسيئة، ووصفتها بالبهتان العظيم، الموجه لنبي الإسلام، وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، وسبه والاستهزاء به، وأن في هذا انتهاك لحرمته، وتنقيص لقدره، وإيذاء لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، وتشجيع -للنفوس الكافرة والمنافقة- على الإسلام وأهله، وهذا من السعي في الفساد، ونشر الأحقاد، والخصومات بين الشعوب والحضارات. وقد طالب مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، المسؤولين في حكومة الدنمارك بمحاسبة الصحيفة، التي نشرت الرسوم، وإلزامها بالاعتذار عن جريمتها النكراء، وإيقاع الجزاء الرادع على من شارك في إثارة هذا الموضوع[١١٢].

وتأكيداً على هذا الموقف والبيان، تحركت الهيئة بخطوات عملية؛ بدأت باجتماع وفد من الجالية الإسلامية في الدنمارك مع سماحته، وتم عرض مجموعة من الرسوم المسيئة المنشورة، وأبدى المفتي استياءه من هذه الرسوم[١١٣]، ويذكر أن بيانات الهيئة وفتاويها لها أثره الواضح في المؤسسات الدينية، والشخصيات الاعتبارية داخل المملكة وخارجها.

وقد شجب العلماء وطلاب العلم هذا الاعتداء الأثم، وما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم من إساءة وتعدي، وظهر ذلك في كم الخطب والمحاضرات والندوات والبيانات التي جاءت في هذا السياق وفي مختلف أطراف البلاد، وعلى جميع المستويات الرسمية والشعبية.

المطلب الثاني: الجهود الشعبية وغير الرسميّة:

**- المقاطعة الاقتصادية:** مع تصاعد الأزمة؛ تصاعدت حدة الموقف الشعبي في المملكة العربية السعودية، حيث إن مكانتها تحتم لدى ملايين المسلمين في أقطار المعمورة، تحتم عليها أن تكون

---

[١١٠] وقد جاء اعتذار السفير في لقائه مع رئيس مجلس الشورى السعودي وقال : إن حكومة بلاده وشعبها ، يستنكرون هذه الإساءة ، التي لا يرضى بها أحد لشخصية أسهمت في التاريخ الإنساني ، بشكل مؤثر ومهم ، وقال : إن حكومة الدنمارك أصدرت بيانا لتوضيح موقفها ، وانزعاجها من الصحيفة التي نشرت هذه الرسوم المسيئة ، مشيراً إلى أن بلاده تتمتع بحرية في التعبير ، وطرح الآراء ، لكنها يجب أن تكون مدخلاً للحوار الإيجابي والبناء ، بين الشعوب ، وليست وسيلة للإساءة إلى الرسل والمعتقدات الدينية ، أو ثقافات المجتمعات . انظر : موقع وكالة الأنباء السعودية(واس ) www.spa.gov.sa ، بتاريخ : ٠١ / ٠٣ / ٢٠٠٦ ، وحمود ، صراخ الحضارات أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٩٠

[١١١] هي : هيئة دينية إسلامية تضم لجنة من كبار فقهاء المملكة العربية السعودية ، ورئيسها هو مفتي الديار السعودية ، وهي مخولة باصدار الفتاوى، وابداء حكم الشرع في أمور الدين والحياة(انظر : موسوعة ويكيبيديا الموسوعة الحرة http://ar.wikipedia.org)

[١١٢] انظر : موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية وآلافتاء www.alifta.com ، مجلة البحوث الإسلامية ، العدد السادس والسبعون ، الإصدار : من رجب إلى شوال لسنة ١٤٢٦هـ ، الصفحة : ٣٧٥ – ٣٧٩ ، وموقع العربية نت www.alarabiya.net ، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٣/٠٨

[١١٣] انظر : موقع العربية نت www.alarabiya.net ، بتاريخ : ٢٠٠٦/٠٣/٠٨

مواقفها، ومواقف شعبها قدوة للشعوب الأخرى، وبحكم الوازع الديني القوي، المتأصل في نفوس الشعب، قامت شركات وأفراد بمقاطعة المنتوجات الدنماركية، وزَهِدَ الناس في شرائها فبارت السلع الدنماركية، وكسد سوقها، حتى اضطر وكلاؤها إلى توزيعها على الفقراء والمحتاجين، قبل نفاد صلاحيتها [114] وأوضحت الحكومة أن قرار المقاطعة موقف شعبي، وليس قراراً حكومياً [115] ، وأكد تصريح سمو الأمير سعود الفيصل؛ وزير الخارجية السعودي: بأن المقاطعة مقاطعةٌ شعبيةٌ، ولا أعتقد أن من المسلمين لم يكن قد تأثر وتأذى مما ورد على لسان الصحيفة، فإن عملها لم يكن مبرراً، وفيه استخفاف بمقدسات الدول الإسلامية. وهذه الإساءة -دون شك- تؤثر في كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية [116].

وقد قرر علماء ودعاة مشهورون، ورجال أعمال سعوديون [117] ، وجمعيات ومؤسسات أهلية واجتماعية، إعلانَ المقاطعة في الصحف ونشر ذلك في الوسائل الإعلامية، داعين جماهير الأمة لتفعيل هذا الموضوع، غَيرةً للنبي صلى الله عليه وسلم، ونصرةً منهم واعتبروا ذلك أقل ما يفعله مسلم، تجاه إظهار حبه لنبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته، فكان التجاوب عظيما ورائعاً، يُظهر أن الأمة بخير، وأن أبناءها يحتاجون للدعوة والتذكير بواجباتهم ومسؤولياتهم، وهذا الموقف من هذه البلاد غير مستغرب، وهو أقل الواجب._وظهر أثر سلاح سلاح المقاطعة الاقتصادية وأنّه سلاح مدمر ذو تأثير قوي، وكسب تجار المسلمين من خلاله الموقف وجمع الله لهم بين الأجرين: أجرٌ بمقاطعتك أنت وأجرٌ لتسهيلك على الناس ومساعدتك لهم ليقاطعوا هذه السلع والمنتجات.

**- النصرة الإلكترونية:**

مواقع السعودية في الانترنت أصالة أو ضمنا؛ تؤكد على أهمية الانترنت في الدعوة والنصرة، ولا يخفى على أحد أهمية هذه التقنية، حيث أنها انتشرت انتشاراً واسعاً فقربت المسافات ووفرت الكثير من الجهود، وصار الداعية من خلالها يستطيع الوصول إلى شريحة كبيرة وبطريقة جديدة وشيقة ومبتكرة، خاصة وأن استخدام تلك التقنية في الدعوة بديلاً عن الاستخدامات الأخرى قليلة النفع، وهناك العديد من الوسائل التي يمكن من خلالها الإفادة من هذه الشبكة العالمية ذات الآفاق الواسعة في مهمة الدعوة والنصرة، ومنها:

١-إنشاء المواقع الدعوية الإسلامية ٢-استخدام البريد الإلكتروني ٣-المُشاركة الفاعلة والإيجابية في ساحات ومُنتديات الحوار ٤- الحوار عبر غرف الدردشة، وقد أخذت حادثة الرسوم المسيئة ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم والذب عنه وعن سنته من خلالها، حيزاً جيداً في مواقع الانترنت، وكان لها

---

[114] انظر: موقع العربية نت www.alarabiya.net ، بتاريخ: ٢٠٠٦/٠٤/١١

[115] انظر: موقع وزارة الخارجية السعودية www.mofa.gov.sa

[116] انظر: موقع وزارة الخارجية السعودية www.mofa.gov.sa، جاء ذلك في معرض اجابته على سؤال عن موقف الاتحاد الأوروبي من تقديم شكوى إلى منظمة التجارة العالمية ضد السعودية لمقاطعتها المنتجات الدنماركية

[117] من رجال الأعمال الداعين إلى المقاطعة وطبقوا ذلك أسواق العثيم والسدحان وشركة صالح السلمان وأولاده وأسواق بنده العزيزية وغيرهم (انظر: موقع العربية نت www.alarabiya.net بتاريخ: ٠٨ / ٠٣ / ٢٠٠٦م )

صداها وتأثيرها في إيصال الرأي الإسلامي للعالم والوصول إلى غير المسلمين في مواقعهم عبر مواقع الانترنت المختلفة، ومن أبرز تلك المواقع التي تحققت بها النصرة في العصر الحديث وكان لها دور متميز ومستمر مايلي:

**أولا: مواقع النصرة المهتمة بها استقلالا:** [ أ-رسول الله صلى الله عليه وسلم[١١٨] ب- موقع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لا للدنمارك[١١٩] ج- موقع الانتصار للنبي المختار صلى الله عليه وسلم[١٢٠] د- موقع عذرا رسول الله[١٢١] هـ- موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٢٢] و- موقع نبي الرحمة[١٢٣]] .

**ثانيا: مواقع النصرة المهتمة بها ضمنا:** [ أ-إسلام أون لاين (محمدصلى الله عليه وسلم)[١٢٤] ب- الإسلام اليوم (ملف مليار مع الرسول صلى الله عليه وسلم)[١٢٥] ج- موقع صيد الفوائد (أعظم إنسان)[١٢٦] .

المطلب الثالث: جهود الجهات والمنظمات التي للملكة فيها عضوية:

**- مواقف المنظمات والهيئات الإسلامية العالمية:**

وعلى رأس قائمة المنظمات والهيئات منظمة المؤتمر الإسلامي؛ بوصفها الممثل الرسمي للدول الإسلامية السبعة والخمسين، حيث قامت باتخاذ مواقف عدة من أبرزها ما يلي[١٢٧]:

١- المبادرة إلى لفت نظر الدول المسلمة إلى أن أزمة الرسوم ليست أزمة عابرة.

٢- التحرك لاستصدار قرار دولي من الأمم المتحدة يدين التطاول على الإسلام ورموزه ويقضي بتجريم الممارسات العدوانية، ومحاسبة المتورطين في هذه القضية قضائياً.

٣- التحذير من أعمال العنف خلال المظاهرات والتعدي على البعثات الدبلوماسية، وضبط النفس، وعدم مبادلة الإساءة بالإساءة، اقتداء بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤- الاتصال بوزراء خارجية الدول الأعضاء، لعقد مؤتمر وزاري عاجل، لهذا الغرض.

**ومن جهود الجهات والمنظمات الإسلامية والتي للملكة فيها عضوية مايلي:**

---

[١١٨] انظر: موقع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم www.nosra.islammemo.cc

[١١٩] انظر: موقع إلا رسول الله .. لا للدنمارك www.no4denmark.com/ar/

[١٢٠] انظر: موقع الانتصار للنبي المختار صلى الله عليه وسلم www.islameiat.com/entsar

[١٢١] انظر: موقع عذراً رسول الله www.islamway.com/mohammad/ar/

[١٢٢] انظر: موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم www.rasoulallah.net

[١٢٣] انظر: موقع نبي الرحمة http://mercyprophet.org

[١٢٤] انظر: موقع محمدصلى الله عليه وسلم www.islamonline.net/arabic/

[١٢٥] انظر: www.islamtoday.net

[١٢٦] انظر: http://saaid.net/mohamed/ns.htm

[١٢٧] انظر: موقع منظمة المؤتمر الإسلامي www.oic-oci.org، بتاريخ : ٢٠٠٨/٠٢/١٦ م

**١- جهود رابطة العالم الإسلامي:** فقد عبّرت رابطة العالم الإسلامي، عن استياء المسلمين الشديد، واستنكارهم لاستمرار بعض وسائل الإعلام الغربية، في شن الحملات الإعلامية على الإسلام والافتراء عليه بقصد تشويه مبادئه، بالإضافة إلى الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصويره بصور مزرية ومهينة، ورسم هيئات ساخرة ومسفة وترويجها عبر بعض الصحف بقصد تشويه دعوته والنيل من رسالته، وطالبت الرابطة الهيئات الدولية؛ بتطبيق نصوص القانون الدولي؛ الذي يمنع التطاول على رسالات الله وأنبيائه، وطالبت الأمم المتحدة بإصدار قانون يجرّم المؤسسات والأفراد، ووسائل الإعلام التي تسئ إلى رسالات الله وأنبيائه، ودعت الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك كوفي عنان إلى مطالبة الدول التي تسيء صحافتها إلى الإسلام؛ بضمان منع تكرار الإساءة، لما تثيره من كراهية بين الشعوب، وقد تتابعت مواقفها وشددت على اتخاذ مواقف أكثر صرامة في الموضوع، وحثت المراكز والمنظمات الإسلامية والمسلمين في الدنمارك، على ضبط النفس، وممارسة الحوار مع غيرهم[١٢٨].

وقد أدانت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إعادة نشر سبع عشرة صحيفة دنماركية الرسوم المسيئة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت نشرتها صحيفة «يولاندس بوستن» الدنماركية عام ٢٠٠٦م واستنكرت الرابطة والهيئات والمراكز الإسلامية التابعة لها في أنحاء العالم تكرار التطاول على الرسول صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه وإلى رسالة الإسلام. في الوقت ذاته وجه أكثر من مائة وخمسين عالما ومفكرا اسلاميا من مختلف دول العالم الاسلامي نداء الى الامم المتحدة للمطالبة بإصدار قرار يحظر ازدراء الأديان، مؤكدين ضرورة اعتماد المسلمين وسائل حضارية وعملية في التعامل مع هذه القضية وان يكونوا اكثر عقلانية، ووصف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمين العام للرابطة العالم رئيس البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة في بيان اصدره أنّ إعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم في عدد من الصحف الدنماركية، بأنه «إصرار على الإساءة الى دين الله الخاتم وإلى نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه».

ونبه التركي إلى أن هذا العمل يثير الكراهية والبغضاء بين البشر «حيث يسيء الى مسلمي العالم وهم مليار ونصف المليار من الناس»، مبينا أن الشعوب الإسلامية تتطلع الى التواصل والتعاون والتعايش بين شعوب العالم وهي تحرص على الإسهام في تحقيق الأمن والسلام للبشرية، محذرا من نتائج الاعتداء على الدين الاسلامي وعلى مشاعر المسلمين الذين لا يقبلون الإساءة إلى دينهم والى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم. وقال الدكتور التركي : (إن المراكز والهيئات الإسلامية التابعة للرابطة أعربت عن ألمها العميق واستيائها الشديد لتكرار نشر الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم)[١٢٩].

---

[١٢٨] انظر: موقع رابطة العالم الإسلامي www.themwl.org ، بتاريخ : ٢٩ / ٠١ / ٢٠٠٦ م

[١٢٩] انظر جريدة الشرق الأوسط ٢١٤٢٩/٢/١١ هـ العدد ١٠٦٧٤، وموقعها http://www.aawsat.com

وسعت إلى **عقد مؤتمر مكة المكرمة السابع**[١٣٠]: عَقَدَته رابطة العالم الإسلامي في رحاب مكة المكرمة برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود وبرئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة تحت عنوان: (نصرة نبي الأمة صلى الله عليه وسلم)، وقد شارك في المؤتمر نخبة متخصصة من العلماء والدعاة والمفكرين وأساتذة الجامعات، في الفترة من ٥-١٤٢٧/١٢/٧هـ، الموافق: ٢٦-٢٠٠٦/١٢/٢٨م.

٢- **جهود مجمع الفقه الإسلامي الدولي:** وصف مجمع الفقه الاسلامي الدَّوْلي حادثة نشر الرسوم: بأنها من الأذى والسخرية والاستهزاء، والاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم، واعتداء عليه. وقد أكد حق المسلمين في الاحتجاج على ما يشيعه أعداء الإسلام من المنكرات، وردهم بقوة على مواقف الضالين المعتدين، الذين لا يرقبون في المسلمين إلاً ولا ذمة، ولا يحترمون دينهم ولا عقيدتهم. وحين إعادة الرسوم استنكرت أمانة المجمع ذلك العمل، وشجبته بأشد عبارات الاستنكار والشجب، لتلك الفعلة الشنعاء، والجريمة النكراء ورأت أنها تنم عن تحدٍّ واضح لمشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، كما تنم عن حقد دفين تجاه عقيدة المسلمين، ورسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم وأكدت على دعواتها السابقة للمجتمع الدولي؛ لاستصدار قرار يمنع الإساءة إلى الأديان السماوية ورموزها، والوقوف أمام الجرائم التي تُمثل قمة الإساءة إلى العقائد والأديان، وتدعوه إلى إعادة النظر في حرياته لضبطها، وتهذيبها بحيث لا تُسيء إلى الآخرين، أو إلى مقدساتهم، كما تدعو رجال الدين والمؤمنين بالله في الدول الغربية إلى شجب هذه الجريمة واستنكارها وأمثالها[١٣١].

ولما أعيد نشر الرسوم الدنكاركيّة المسيئة شجبت أمانة مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة إعادة ذلك وأكد المجمع في بيان صحافي أمس من مقره في جدة، بأن تلك الفعلة التي وصفها بـ[الشنعاء والجريمة النكراء] تنم عن تحد واضح لمشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وحقد دفين تجاه عقيدة المسلمين ورسولهم الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ودعا المجتمع الدولي لاستصدار قرار يمنع الإساءة إلى الأديان السماوية ورموزها ويمنع من تكرار مثل تلك الأفعال، وطالب البيان الغرب عامة والحكومات خاصة بالوقوف أمام تلك الجرائم التي تمثل قمة الإساءة إلى العقائد والأديان ويدعو إلى إعادة النظر في حرياته لضبطها وتهذيبها بحيث لا تسيء إلى الآخرين أو إلى مقدساتهم، وبيّن البيان أن هذه الجريمة هي (إساءة إلى الله تعالى الذي يعبدونه، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله وأن الله سبحانه وتعالى منزه عن إرسال المتطرفين والإرهابيين كما تصور من أقدموا على تلك الفعلة الشنيعة)[١٣٢].

---

[١٣٠] انظر: موقع رابطة العالم الإسلامي www.themwl.org/News وموقع نبي الرحمة /www.mercyprophet.org

[١٣١] انظر: موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي www.fiqhacademy.org.sa، بتاريخ : ١٦ / ٠٢ / ٢٠٠٨

[١٣٢] انظر جريدة الشرق الأوسط ١٤٢٩/٢/١١ هـ العدد ١٠٦٧٤، وموقعها http://www.aawsat.com

**- مواقف المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية:**

**أ- الأمم المتحدة:** يُعَدُّ موقف هيئة الأمم المتحدة، التي تضم في منظومتها: ١٩٢ دولة، من الأهمية بمكان، حيث إنها تمثل انعكاسا لمواقف دول العالم، تجاه الأحداث، ويتلخص موقفها من حادثة الرسوم فيما يلي[١٣٣]:

١- الدعوة إلى ضبط النفس، والوقف الفوري للجو السائد، الذي يهدد بزرع بذور الشقاق بين الطوائف، والمجتمعات والبلدان، والتأسف لما سببته الرسوم من إهانات وخسائر.

٢- التأكيد على الحق العالمي في حرية التعبير وممارسته بمسؤولية، وبأسلوب يحترم العقائد.

٣- التأكيد على الحق في التظاهر السلمي، لماسببته الرسوم من جرح لمشاعر المسلمين، وحثّ الجميع على مقاومة الاستفزاز وعدم المغالاة في ردود آلافعال واللجوء للحوار.

٤- الدعوة إلى التهدئة في قضية الرسوم، وقبول اعتذار الصحيفة الدنماركية.

وطالبت مقررة الأمم المتحدة لحرية الأديان، السيدة (أسماء جاهانجير)، الحكومات والمسؤولين تضمين المادة العشرين من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية تقديم مرتكبي أفعال تنتهك حرية الأديان أو العقيدة؛ أو أي حقوق أخرى إلى العدالة، طبقا للقوانين الجنائية القائمة، مشيرة إلى أن حرية الأديان والعقيدة تحتاج إلى ممارسة الحقوق الأخرى بما في ذلك حرية التجمع وحرية التعبير التي لا تمنح الحق للإعلام ببثِّ رسائل قد تؤدي إلى الإساءة وكره الأديان، وفي السياق نفسه نعرض لموقف أهم منظمتين، داخل هيئة الأمم المتحدة، التي لها ثقل في استصدار قراراتها ، في شتى الأمور، وهي:

**١- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، (اليونسكو):**

أبدى مدير عام اليونسكو (كويشيرو ماتسورا) تأثره الشديد حيال المشاعر التي ظهرت في كل أنحاء العالم الإسلامي، جراء نشر الرسوم المسيئة، ودعا إلى التمسك بمبدأ حرية التعبير ، ومبدأ احترام المعتقدات الشخصية والأخلاقية والدينية[١٣٤].

**١- جامعة الدول العربية:**

ناقشت ما ظهر في الرسوم الدنماركية المسيئة بدعوى أن الدين والمعتقدات ليست بمنأى عن الحوار الديمقراطي، أو حرية التعبير عن الرأي، وكلفت الأمين العام بالتنسيق مع أمين عام منظمة المؤتمر

[١٣٣] جاء هذا الموقف ضمن البيان المشترك للأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، والأمين العام لجامعة الدول العربية ، ومجموعة من القيادات الإسلامية والعربية بتاريخ ٢٠٠٦/٠٢/٢٦ ، وقد طلبت المجموعة من الأمين العام للأمم المتحدة إطلاع الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي على هذه الوثيقة ، انظر موقع الأمم المتحدة www.un.org/arabic

[١٣٤] للرجوع إلى نص بيان اليونسكو انظر: موقع منظمة الأمم المتحدة واليونسكو /www.unesco.org/ar

الإسلامي، لاتخاذ اللازم في الاتصال بالحكومة الدنماركية، لمتابعة الموضوع وتمخض بعد ذلك موقفها مشترك من أبرز محاوره ما يلي:

١- الدعوة إلى ضبط النفس والتهدئة الفورية للجو السائد، الذي يهدد بزرع بذور الشقاق والتأسف لما سببته الرسوم من إهانات، وخسائر في الأرواح والممتلكات في عدد من البلدان.

٢- التأكيد على الحق العالمي في حرية التعبير، وممارسته بمسؤولية، محترما العقائد الدينية[١٣٥].

**٢- مجلس التعاون لدول الخليج العربية:**

كان موقف المجلس واضحا من حادثة الرسوم المسيئة، وأدان المجلس إعادة نشر الرسوم، وطالب على لسان أمينه العام الجهات المسؤولة فى الدنمارك؛ بوضع حد لهذه التصرفات الاستفزازية، وعدم تكرارها[١٣٦]، وتلخص موقف المجلس فيما يلي:

١- التأكيد على ضرورة احترام الأنبياء والرسل، وعدم الإساءة إليهم، ونبذ التطرف والعنف، والحقد والكراهية والعنصرية، وماتمَّ نشره من رسومات مشينٌ ومسيء للإسلام، ومستفزٌ لمشاعر المسلمين، ويشكل انتهاكاً للقيم والأخلاق الإنسانية، والأديان كافة والمواثيق والأعراف الدولية، ويتجاوز حرية التعبير والصحافة جميعا.

٢- إدانة أعمال العنف المصاحبة للمظاهرات، وتأييد موقف منظمة المؤتمر الإسلامي.

٣- الترحيب بالبيان المشترك للأمين العام للأمم المتحدة، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمين العام لجامعة الدول العربية، ووزير خارجية قطر وإسبانيا وتركيا، وتفعيل التوصيات المهمة التي جاءت في ذلك[١٣٧].

المطلب الرابع: الإقامة والمشاركة في هيئات ومنظمات النصرة:

بعد حدوث أزمة الرسوم المسيئة كانت للنصرة أساليب عدة، ومنها توجه بعض الجهات والمنظمات الإسلامية، وبعض الأفراد الغيورين سواء في داخل البلاد الإسلامية، أو خارجها إلى إنشاء هيئات ومنظمات نصرة، مهمتها الأساسية هي الذب عن عرض النبي صلى الله عليه وسلم وذلك إدراكاً منها أن هذه المنظمات والهيئات المكتسبة للصفات القانونية والنظامية في بلد منشئها، يمكن أن تكون أداة فاعلة قوية في تفعيل النصرة.

---

[١٣٥] انظر: موقع الأمم المتحدة www.un.org/arabic، جاء هذا الموقف ضمن البيان المشترك للأمين العام للأمم المتحدة والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي والأمين العام لجامعة الدول العربية والنائب الأول لرئيس الوزراء، وزير خارجية قطر، ووزير خارجية إسبانيا، ووزير خارجية تركيا، بتاريخ ٢٠٠٦/٠٢/٢٦ ،وقد طلبت المجموعة من الأمين العام للأمم المتحدة إطلاع الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي على هذه الوثيقة

[١٣٦] انظر: موقع وكالة الأنباء القطرية ( قنا ) /www.qnaol.net/QNAAr بتاريخ : ١٩ / ٠٢ /٢٠٠٨.

[١٣٧] انظر موقع مجلس التعاون لدول الخليج العربي www.gcc-sg.org جاء الموقف ضمن البيان الصحفي للدورة الثامنة والتسعين للمجلس الوزاري لمجلس التعاون ، الرياض . المملكة العربية السعودية ٢٠٠٦/٠٣/٠١م

وكذلك تكاتفها يعطيها منعةً قوية تجاه من يريدون الإساءة للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، والتنسيق بين هذه الجهود المسلمة من خلال هيئات ومنظمات مقننة يعطي بعداً في وضع إستراتيجية معتمدة للتعريف ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على العمل المؤسسي الكامل الذي يتميز بالديمومة والاستمرار، خلاف الجهود الفردية التي تندثر مع مرور الوقت.

وقد كان لهذه الهيئات دور فاعل في مخاطبة غير المسلمين بالدرجة الأولى، ولفت نظرهم إلى ماصدر من بني جلدتهم تجاه نبي الإسلام، وكانت فرصة جيدة ، ومدخلاً مناسباً استغلتها هذه الجهات والهيئات في الدعوة إلى الله، ودخول الإسلام.

**المطلب الثاني: هيئات النصرة ومنظماتها المنطلقة من بلاد إسلامية:**

**أ- منظمة النصرة العالمية**[١٣٨]: وهي: مؤسسة خيرية، تهدف للتعريف بالإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، وإيصال رسالته إلى العالمين، عبر الوسائل الإعلامية المتاحة، وهي تطمح إلى تعاون القادرين كلِّهم في مجال تخصصهم، لتحقيق هذا الهدف العظيم[١٣٩].

**ب- اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم**[١٤٠]: تمَّ إنشاء اللجنة العلمية لنصرة خاتم الأنبياء، عام : ١٤٢٣/ ٢٠٠٢، وقام بإنشائها مجموعة من الأكاديميين، وطلبة العلم، والمهتمين بالعمل الخيري؛ منهم: الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني[١٤١] المشرف العام على اللجنة، والدكتور علي جمعة الأمين العام للجنة، والمهندس سليمان البطحي المتحدث الرسمي باسم اللجنة.

المطلب الخامس: الإقامة والمشاركة في مؤتمرات النصرة:

وقد كان لمؤتمرات النصرة التي عقدت في داخل السعودية وخارجها، أثرها الفاعل في إعلام الناس، بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وماجاء به من الشرائع السماوية، والأحكام الدينية.

وهذه المؤتمرات كانت مجالاً خصباً لهيئات ومنظمات النصرة، التي كانت تناقش خططها واستراتيجياتها في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع الوسائل المناسبة وتطويرها مستقبلا، بالإضافة إلى صياغة ورفع الدعاوى القضائية ضد الجهات المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم فبعد الإشارة إلى **مؤتمر مكة السابع** الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي، في رحاب مكة المكرمة،برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وبرئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، المفتي العام للمملكة تحت عنوان: (نصرة نبي الأمة صلى الله عليه وسلم)[١٤٢] جاء:

---

[١٣٨] انظر: موقع منظمة النصرة العالمية www.nusrah.org/AR

[١٣٩] تعريف الأمين العام للمنظمة الدكتور سلمان بن فهد العودة ، انظر: نشرة تعريفية بمنظمة النصرة العالمية، ص ١

[١٤٠] انظر: موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء /www.icsfp.com/AR

[١٤١] الأستاذ المساعد بقسم السنة بجامعة أم القرى ، وعضو مجلس الشورى السعودي

[١٤٢] انظر: موقع رابطة العالم الإسلامي www.themwl.org/News وموقع نبي الرحمة /www.mercyprophet.org

**أ-المؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم**[١٤٣] بدعوة من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وجمعية "الأصالة" في مملكة البحرين، ومؤسسة "الإسلام اليوم" والندوة العالمية للشباب الإسلامي، واللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم تم تنظيم المؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وعقده، في المنامة بمملكة البحرين خلال الفترة من ٢٢-١٤٢٧/٢/٢٣هـ وقد استجاب للدعوة، أكثر من (٣٠٠) عالم وداعية ومفكر فحضروا المؤتمر من أقطار شتى.

**ب- مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام**[١٤٤]: بدعوة من مجلة:(البيان) الإسلامية السعودية، ومبرة الأعمال الخيرية الكويتية[١٤٥]، وباستضافة دولة الكويت، برعاية وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، بالكويت الدكتور: عبدالله المعتوق، انعقد مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام، على مسرح الهيئة الخيرية الإسلامية بدولة الكويت، وبحضور أكثر من ثلاثمئة عالم ومفكر وداعية، ووسط حضور جماهيري كبير، خلال الفترة من: (٣-١٤٢٨/١/٥هـ، ٢٢-٢٠٠٧/١/٢٤م) .

**ج-مؤتمر أثر معرفة النبي صلى الله عليه وسلم على العلاقة والتعايش بين العالم الغربي والإسلامي**[١٤٦].

أقام البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة **صلى الله عليه وسلم** مؤتمره الأول مع معرض مصاحب بمدينة (لندن) بالمملكة المتحدة في الفترة من ٤-١٤٢٧/١١/٥هـ الموافق 25-2006/11/26 وقد شهد المؤتمر الذي نظم تحت عنوان : (أثر معرفة النبي صلى الله عليه وسلم على العلاقة، وسبل التعايش بين العالم الغربي والعالم الإسلامي)، برئاسة الأمين العام للبرنامج: الدكتور عادل بن علي الشدي، وإدارة الدكتور : أحمد سيف الدين تركستاني، بمشاركة نخبة من المثقفين والإعلاميين، وعدد من القادة، والبرلمانيين، والعلماء والأكاديميين من المسلمين وغير المسلمين، الذين قدموا من عدد من الدول في أوربا، والولايات المتحدة الأمريكية، والعالم الإسلامي، وحضور جماهيري حاشد، قُدِّر بتسعين ألف زائر يومياً.

**د- الندوة الدولية للأئمة والدعاة للتعريف بنبي الرحمة**[١٤٧]:

تحت رعاية الهيئة السويدية لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والدفاع عن المقدسات الإسلامية في السويد، وبمعاونة البرنامج العالمي، للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، تم عقد الندوة الدولية للأئمة والدعاة، ومسؤولي المؤسسات الإسلامية في (إسكندنافية) للتعريف بنبي الرحمة وأساليب التعامل الحضاري، وذلك في قاعة الجامع الاسلامي الكبير، التابع للمركز الإسلامي في مدينة (مالمو السويدية) بتاريخ ٢٠٠٨/٥/١٠م وقد حضر الندوة حشد كبير من الخطباء، والأئمة والدعاة،

---

[١٤٣] انظر: موقع منظمة النصرة العالمية www.nusrah.org/AR

[١٤٤] انظر: موقع وزارة الأوقاف بالكويت http://islam.gov.kw/site/news/details.php وموقع منظمة النصرة العالمية /http://www.nusrah.org/AR

[١٤٥] يرأسها النائب في مجلس الأمة الكويتي ، الدكتور : وليد الطبطبائي

[١٤٦] انظر: موقع نبي الرحمة www.mercyprophet.org

[١٤٧] انظر: موقع نبي الرحمة www.mercyprophet.com

ومسؤولي المراكز والمؤسسات وشخصيات دينية وثقافية[١٤٨] من مجموعة الدول الإسكندنافية ومن المقاطعات السويدية كافةً، والعاصمة (استكهولم) حيث مثلت جسراً حقيقياً للحوار والتواصل، وورشة عمل لرسم منهاج واضح ومتكامل، لعمل الجاليات الإسلامية، ونصرة الرسول الكريم، والرسالة الإسلامية في دول الغرب، وخاصة الدول ( الاسكندنافية ) للتاثير في عقلية الفرد الغربي، التي انطوت على الكثير من الشبهات والأباطيل، التي روج ويروج لها الحاقدون على الإسلام والمسلمين

**الخاتمة:**

بذلت جهدي لإبراز تاريخ الإيذاء الذي لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وواقعه المعاصر، وما بذلته المملكة من جهود في حادثة معاصرة، مسّت بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ليظهر لكلّ راصد ومنصف ما تقوم به هذه البلاد من جهد وخدمة لقضايا المسلمين، مما أشرنا إلى طرف منه، إلاّ فالحقيقة والواقع أنّ الجهد كان أكثر ولعلّ هذه الورقات تكون مدخلا في بيان الجهود التي تُبذل دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم **من هذه المملكة حرسها الله**.



[١٤٨] أبرز المشاركين : الدكتور عادل الشدي الأمين العام للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومساعد الأمين العام الدكتور: خالد الشايع، والمستشار الإعلامي للبرنامج الدكتور أحمد سيف الدين التركستاني من السعودية وغيرهم من علماء ودعاة المسلمين في أوربا

# دورنا مع الشباب في ظل ما يتعرض له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من إساءات

علي محمد الشيخ

## أولاً: بين يدي الموضوع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فلا يخفى على أحدٍ ما يتعرض له مقام النبوة في هذا العصر من إساءةٍ ظالمةٍ وتعدٍّ سافرٍ من خلال: صورٍ، وأفلامٍ، ورسومٍ مسيئةٍ،وأفكارٍ خبيثةٍ مسمومةٍ، وشُبَهٍ زائفةٍ، وذلك كله حلقة في سلسلةالصراع بين الحق والباطل المستمر إلى يوم القيامة، المتمثل في الحرب على الإسلام بكلِّ ما تحمل هذه الكلمة من معنى ودلالات، وما نشهده في عصرنا هذا من حرب على القرآن الكريم، والنبي الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، إلا أكبر دليلٍ على ذلك.

ومع تراجع الغرب وفشله في كثير من الصعد لا سيما النفسية والروحية والاقتصادية وغيرها، وبروز منهج الإسلام في ذلك نقياً واضحاً ناجحاً سهل التطبيق، منهجاً بديلاً عن كل منهج بشري يُطرح في هذا العصر، تطلُّ علينا هذه الوسائل المستخدمة في الحرب على الإسلام ونبيه عليه الصلاةوالسلام بعدة أهداف، ومن أخطر هذه الأهداف تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أمام المسلمين وغير المسلمين، بقصد إبعادهمعن هذا الدينالعظيم وعن نبيه الصادق الوعد الأمين فيصدون غير المسلمين عن الإسلام تنفيراً لهممنه، وتخويفاً إيَّاهم من اعتناقه والدخول فيه، ويبعدون المسلمين وخصوصاً فئة الشباب منهم عن نبيهم وقدوتهم وأسوتهم محمد صلى الله عليه وسلم، يرافق ذلكدراسة وتحليل نفسياتهؤلاء الشباب (ذكوراً وإناثاً) من خلال ردات الفعل على تلك الوسائل المستخدمة من إساءة وغيرها، والتي بالغالب تكون عاطفيةً ومتهورةً وغيرَ ممنهجةٍ ولا مدروسةٍ، من أجل استخدام هذه التحليلات لاحقاً في حلقة من حلقاتهذه الحرب المتتابعة والمترابطة، ولتعديل الخطة المتبعة بناءً على ذلك.

والمسلمون اليوم يرون أنَّه ما من إساءة، أو تشويه يصدر من أحدٍ ضدَّ الإسلام ونبيه عليه الصلاةوالسلام إلا وانقلبت ضده، فأعداد الذين يدخلون بالإسلام عقب الإساءة يعدون بالآلاف، وما يقومون به يؤدي من حيث لا يشعرون إلى إثارة حمية المسلمين ليتعرفوا إلى دينهم أولاً، وإثارة فضولِ غير المسلمين ليتعرفوا على دين الإسلام ونبيه عليه السلام ثانياً، فما من بلد حدثت فيه الإساءة إلا ونفدت فيه نسخ المصحف الشريفمن المكتبات والمراكز الإسلامية مهما كثر عددها، وتهافت الناس على شراء أيّ كتابٍ يتحدث عن الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، وصدق الله تعالى في شأنهم هذا إذ

يقول:(إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنَّم يحشرون) سورة الأنفال، الآية:٣٦.

**ثانياً: التعرض لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ليس بدعةً جديدةً**

إنَّ التعرض لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ليس بدعةً جديدةً، ولن تكون الأخيرة، وقد بدأ ذلك من بداية الدعوة عندما وقف صلى الله عليه وسلم على صخرة الصفا استجابةًلأمر ربه عزَّ وجَّل(وأنذر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء، آية:٢١٤، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال:"يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أنَّ لكم رحماً سأبلها ببلالها"فتصدَّى له عمه أبو لهب بقوله"تبّاً لك ألهذا دعوتنا" استخفافاً واستهزاءً وتكبراً وإعراضاً.

ومن تلك اللحظة بدأ أعداء الإسلام يرمونه بالتهم المختلفة حتى رمي بالسحر، والجنون، والضلال، واتباع الهوى، وتعرض عليه الصلاة والسلام للضرب والقتل وغير ذلك مما هو معروف ومشهور في كتب السيرة النبوية، وراحوا يصبُّون عليه وعلى أصحابه شتَّى أنواع العذاب والأذى،وخصوصاً بعد وفاة عمه أبي طالب، فقد تجرأت عليه قريش بعد وفاة عمِّهِ مالم تكن تتجرأ عليه في حياته،حتى وصلت بهم الجرأة إلى رمي سلا الجزور عليه وهوساجد أمام الكعبة المشرفة،بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، واجتمعوا متآمرين عليه في دار الندوة يناقشون خيارات ثلاث: القتل أو السجن أو النفي والإبعاد، وقد ذكر الله تعالى هذا المكر بقوله:(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال، آية:٣٠.

**ثالثاً: استراتيجية التعدي والإساءة عند أعداء الأمة**

ولن تتوقف هذه الإساءات في يوم من الأيام، ولكن أساليبها تتغير وتتبدل، ووسائلها تتطور مع تطور العصر، والغريب هو استغرابنالهذه الإساءة-نحن المسلمين- الذين نقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونعلم من خلال هذه القراءة استراتيجية أعداء الأمة في التعامل معها بخصوص هذا الموضوع، فقد بيَّنها لنا القرآن الكريم بياناً واضحاً في عدة مواضع، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- قوله تعالى:(إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) سورة الأنفال، الآية:٣٦، فأهل الكفر يجتمعون ويتعاونون ويجمعون الأموال بهدف الصدّ عن سبيل الله، وصيغة "ينفقون أموالهم" تفيد استمرار الانفاق، و"ليصدوا" تفيد وضوح

الهدفمن هذا الإنفاق، فهم في تعاونٍ دائمٍ وإنفاقٍ مستمرٍ للوصول إلى الصدِّ عن سبيل الله تعالى، وخابوا وخسروا لأنها ستنقلب عليهم بإذن الله ثم تكون حسرتهم كبيرةً بعد أن يغلبوا.

٢- وقوله تعالى في سورة فصلت:(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)، الآية:٣٦، فالصدُّ عن سماع القرآن والتشويش عليه، والتعدِّي على أحكامه ومنهجه وتعاليمه أمر مشهور معروف، لأنهم يدركون أنَّ القرآن الكريم هو مصدر عزة الإسلام وأهله، ولا يغيب عنا في هذه العجالة ما قاله **"جلاد ستون"** رئيس وزراء إنكلترا وقد وقف في أواخر القرن الماضي في مجلس العموم البريطاني وقد أمسك بيمينه القرآن المجيد وصاح في أعضاء البرلمان قائلاً:"إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان ولابد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر: أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً، بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال: "وهذه الكعبة"،وقال أيضاً:"ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان"، وقال أيضاً:"لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن"، فهو ينطق بمفهوم الآية الكريمة:(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)، وهذا هو منهج أعداء الدين من قديم الزمان، وهذا من مقتضيات الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة.

٣- وقوله تعالى في سورة الذاريات:(كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون . أتواصوا به بل هم قوم طاغون)، الآية: ٥٢-٥٣، فكأنَّ منهجهم واحد يوصي بعضهم بعضاً به على مر العصور والأزمان، من إلقاء التهم الباطلة، والصفات المنفرة: ساحرٌ أو مجنون، وهذا هو الطغيان بعينه.

٤- وقوله سبحانه في سورة الحاقة:(إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون . تنزيلٌ من رب العالمين)، الآيات:٤٠-٤٣ فاتهام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر، أو كاهن، أو شاعر، بدأ من أول يوم في دعوة الإسلام، والله عزَّ وجلَّ يردُّ على هذه التهم والافتراءات.

**رابعاً: التحديات**

إنَّ التحديات التي نواجهها في هذا الموضوع تظهر لنا من خلال ما يأتي:

١- سيل من الإساءات الموجهة لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهدف تشويه صورته لدى المسلمين وغير المسلمين، سواءٌ في صفاته الشخصية، أو سنته المطهرة، أو شريعته الغرَّاء، وقد تولَّى توجيه هذه الإساءة صنفان من الناس:

**الصنف الأول:**أعداء هذه الأمة على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأماكنهم، فقد توحدت جهودهم من كل حَدْبٍ وصوب على توجيه الطعن والإساءة للإسلام ورسوله سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، تارةً بإخراج فيلم مسيء، وأخرى برسوم كاريكاتيرة مسيئة، وأحياناًبرميه عليه السلام بتهمة الإرهاب

ونشر الإسلام بالقوة والسيف، وتارةً أُخرى بإثارة الشبه حول سيرته المشْرِقَة، وحياته الخاصة الطاهرة، وغيرها من الإساءات المعروفة والمشهورة.

**الصنف الثاني:** منافقو هذه الأمة من أصحاب القلوب المريضة،من وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأنهم دعاة على أبواب جهنم، من جِلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قال حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال:"نعم"، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال:"نعم، وفيه دخن"، قلت: وما دخنه؟ قال:"قوم يهدون بغير هديي، تَعرفُ منهم وتُنكرُ"، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال:"نعم، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها"، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، فقال:"**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**..." أخرجه البخاري، وأعني من يتكلم بلغتنا ويطرح فكر غيرنا، وينشر شبه أعدائنا في أمتنا من العلمانيين وأشباههم.

٢- تراجع الأُسرة عن دورها في تربية أبنائها، واستقالت أركانها من مهمتهم في التربيةوالرعاية، والتأديب، والتعليم وخصوصاً في الجانب الديني والأخلاقي والتربوي والروحي، وصار غبش الرؤيا واضحاً من حيث علاقة الانسان مع نفسه ومع غيره ومع ربه، وتقدم مكان الأسرة أمورٌ عدة لتحلَّ محلها في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، من خلال سيل جارف مما تبثه وسائل الإعلام بمختلف أصنافها من أفلام ومسلسلات وبرامج هدَّامة، والتواصل الاجتماعي الالكتروني، ناهيك عن رفقاء السوء وما لهم من أثر كبير على الأجيال وخصوصاً الشباب.

فتُرِكَ هذا الجيل فريسةً ضعيفةً بين يدَيّ آكليه من الوحوش الضارية، وأمعن في الفتك فيه بكل ما أُوتي من قوةٍ، ومكرٍ، وكيدٍ، مستخدماً ما سُخِّرَ له من وسائل وإغراءات وشبهات، وكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يصف حالنا هذه بقوله:"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذٍ؟! قال:"بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن"، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال:"حُبُّ الدنيا وكراهية الموت" أخرجه أحمد وأبو داوود، فَهُنَّا على عدونا، وضاع شبابنا، فضاعت أمتنا وتراجعت عن دورها.

٣- ندرةُ المحاضن التربوية(على اختلاف أنواعها: التربوية، الثقافية، الرياضية، الترفيهية) المؤَهَّلة لاستيعاب الشباب (ذكوراً وإناثاً)، وخصوصاً الإناث، لأنَّ الفتاة في هذه الدول المسماة بالعربية والإسلامية إذا قررت الالتزام بدينها والعودة إلى شريعة ربها لا تجد مؤسسةً في المجتمع تساندها وتقف إلى جانبها وتساعدها على الثبات على ذلك، وكذلك الشاب، إلا أنَّ المساحة أمامه أوسع من الفتاة، فندرة هذه المحاضن ألقت بظلالها على شباب الأمة، لا سيما حديثي العهد بالالتزام، فكأنَّهُ تُرِكَ وحيداً دون توجيه وتعليم ورعاية، سوى ما يقوم به هو نفسه من خلال حرصه على قراءة مقالٍ أو كتاب، أو

مشاهدة حلقةٍ تلفزيونيةٍ، أو متابعة برامج إسلامية، أو الدخول إلى موقع علمي إلكتروني، ولا يخفى على أحد أنَّ هذه الأمور لا تبني شخصيةً علميةً واعيةً ناضجةً، ناهيكعمَّا في ذلك من مخاطر.

٤- غيابُ الصورة الصحيحة والنقية الواضحة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن عقول وقلوب شبابنا، تلك الصورة الناصعة المنيرة التي تظهر فيها شخصيته صلى الله عليه وسلم شخصيةً متكاملةً من جميع جوانبها، صنعها الله تبارك وتعالى على عينه، أدبه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمهُ، وهيئهُ قدوةً صالحةً للبشرية جميعاً، بل حصر عنوان رسالته بالرحمة للعالمين(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)مما يجعل المسلم يفتخر بانتسابه إليه، ويحمله على الاقتداء به، والسير على منهجه.

٥- ارتباطُ المسلمين اليوم -إلا من رحم الله- بنبيهم عليه الصلاة والسلام ارتباطاً روحياً عاطفياً فقط، لا ارتباطاً عملياً سلوكياً منهجياً، فنسمع منهم عبارات الحب والتقدير والإجلال والاحترام، لكنَّ واقعهم العملي العقدي منه والأخلاقي والسلوكي تجده في أغلب الأحيان مغايراً لذلك، بل مناقضاً في كثيرٍ منها، فأصبح لديهم هوةٌ كبيرةٌ فاصلة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام، يحبونه ويخالفون أمره، ينتسبون إليه ولا يتخلقون بأخلاقه، يشهدون له بالرسالة ولا يتبنون منهجه في جميع تفاصيل حياتهم اليومية، يدعون حبَّ سنته ويُحبونَ من يخالفها بل ويعاديها أو ينتقص منه، فصاروا في وادٍ آخر غيرَ وادي الإسلام، فتعلقوا به عليه الصلاة والسلام تعلقاً عاطفياً فقط دون أن يحولوا ذلك إلى واقعٍ عمليٍ، ودون أن ينقلوا ذلك إلى موقع الأُسوة والقدوة والطاعة والاتباع.

٦- غيابُدور العلماء والذين هم ورثة الأنبياء. ولا شك أنَّ غياب دورهم ألقى بظلاله على جميع أفراد الأمة لا سيما شبابها، فلقد انقسم علماؤنا في هذا العصر – إلا من رحم الله تعالى- إلى أقسامٍ عديدةٍ، ساهم كلُّ قسمٍ منهم بسببٍ أو بآخر في إبعاد هذا الجيل عن منهج الاسلام، أو جعلهم ينفرون من العلماء وطلبة العلم، وبناءً على ذلك ومع تخلي الآباء عن مسؤولياتهم نشأ جيلٌ جديدٌ من الشباب لا يعرف عن لإسلام إلا اسمه وعن القرآن إلا رسمه، وربما وجدته يعرف عن اللاعبين والممثلين أكثر بكثير مما يعرفه عن رسوله وقدوته محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد أصبح علماؤنا -إلا من رحم الله- على النحو التالي:

أ- قسم زهد في الآخرة وأقبل على الدنيا، فترك وظيفته المقدسة من كونه وريثاً للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم واستقال منها، وراح يلهث خلف منصبٍ أو جاهٍ، أو سلطان.

ب- وآخر اعتقد أنَّ جماعته التي تمثِّلُ رأيه وفكره هي الطائفة المنصورة والفرقة الناجية دون غيرها من الطوائف والآراء والأفكار، وأفرغ كلَّ جَهدِهِ في اثبات ذلك مستميتاً في الدفاع عنه، مستعدياً كلَّ من لا يوافقه الرأي من المسلمين، معتبراً أنَّ جماعته وحزبه سفينة النجاة، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك، وما أجمل ابن سينا في هذا المقام"بُلينا بقومٍ يظنون أنَّ الله لم يهدِ سواهم".

ج- ومنهم من اتخذ من اليأس والانهزام النفسي لباساً له لا ينزعه عن نفسه، خصوصاً إذا نزل البلاء واشتدت المحن، فتراه يحتاج قبل غيره إلى من ينقذه، فكيف سينقذ غيره!!

د- وعلى العكس من ذلك آخرون لبسوا لباس الغَيرة على حرمات الأُمَّة وما ينزل فيها من فتنٍ وأهوالٍ ومصائب، فلبسوا لباس الجهاد دون غيره، ورفعوا رايته، وحملوا لواءه، منفردين بقرارهم وعملهم وأحكامهم، لا يحترمون لعالمٍ رأياً، ولا يستفتون إلا من وافق رأيهم، ولو كان من أعلم أهل الأرض، مقررين لوحدهم عن الأمة جمعاء بما يعود أثره على جميع أفراد الأمة في كل مكان من هذه المعمورة.

ولا أنكر أنَّ هناك طائفةً من العلماء وطلبة العلم حملوا الدعوة بصدق، ولبسوا لباس الحكمة والبصيرة، فاتصفوا ببعد النظر، وانتبهوا إلى مقاصد الأعمال ومآلات الأمور، إلا أنهم مع الأسف هم الأقلون في هذا العالم الإسلامي الكبير، والأضعف قوةً وتأثيراً، والحاجة إليهم في كل زمان ومكان أشدّ من حاجة الناس إلى الطعام والشراب.

**خامساً: مواجهة التحديات**

**١- تمهيد**

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصورة العملية التطبيقية لهذا الدين، ويمتنع أن تعرف دين الإسلام ويصح لك إسلامك بدون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كان هديه وعمله وأمره ونهيه، ولذلك كان الطعن به صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه وإلى سنته طعناً بالدين كله.

لقد سالم وحارب، وأقام وسافر، وباع واشترى، وأخذ وأعطى، وما عاش صلى الله عليه وسلم وحده، ولا غاب عن الناس يوماً واحداً، ولا سافر وحده. وقد لاقى أنواع الأذى، وقاسى أشدَّ أنواع الظلم، وكانت العاقبة والنصر له صلى الله عليه وسلم.

بُعِثَ على فترةٍ من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفِطَر، وواجه ركاماً هائلاً من الضلال والانحراف والبعد عن الله، والإغراق في الوثنية، فاستطاع بعون الله تعالى أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة.

فأحبوه وفَدَوه بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وجعلوه نبراساً لهم يستضيئون بنوره ويهتدون بهديه فأصبحوا أئمةَ الهدى وقادةَ البشرية.

هل تطلبون من المختارمعجـزة  يكفيه شعب من الأجداث أحياه

من وحدَّ العرب حتى كان واترهم  إذا رأى ولـد الموتـور آخاه

وما أصيب المسلمون إلا بسبب الإخلال بجانب الاقتداء به، والأخذ بهديه، واتباع سنته، حتى اكتفى بعض المسلمين من سيرته بقراءتها في المنتديات والاحتفالات ولا يتجاوز ذلك إلى موضع الاقتداء والتطبيق.

وهذا راجع إما لجهل بأصل مبدأ الاتباع والاهتداء والاقتداء، أو لعدم الإدراك أنَّ هذا من لوازم المحبة له صلى الله عليه وسلم.

ولن يعود لهذه الأمة المباركة العظيمة مجدُها وعزُّها ومكانتها بين الأمم، ولن تصحوَ من غفوتها وتنهض من كبوتها إلا بعودتها إلى ربها ودينها الحق الذي هو رحمةٌ للعالمين، ولن يصحّ هذا الرجوع إلا بالتأسي والاقتداء بالرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أشار إليه الإمام مالك بن أنس، رحمه الله تعالى، بقوله:"لن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله".ذكره القاضي عياض في كتابه:الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

**٢- أهمية السيرة النبوية**

إنَّ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي التجسيد العملي والتطبيق الدقيق للإسلام كما أراده الله تبارك وتعالى، فلذلك كانت سيرته على هذا الجانب من الأهمية.

لقد خلف التاريخ عظماء وملوكاً وقوّاداً، وشعراء وفلاسفةً، فَمَنْ منهم ترك سيرةً وأسوةً يُقتدى بها في العالمين؟ لقد طوى التاريخ ذكرهم فلم يبقَ منه شيء وإن بقيت بعض أسمائهم.

لقد أصبحت سير كثير من العظماء أضحوكة للبشر على مدار التاريخ كله. فأين نمرود الذي قال لإبراهيم:(أنا أحيي وأميت) سورة البقرة: ٢٥٨، وأين فرعون الذي قال:(فقال أنا ربكم الأعلى) سورة النازعات، آية:٢٤، والذي قال:(ما علمت لكم من إله غيري) سورة القصص، آية:٣٨. إنَّ هؤلاء العظماء في زمانهم يسخر منهم اليوم الصغير والكبير والعالم والجاهل، فإن كانوا دلَّسوا على أقوامهم في زمنهم، واستخفوا بهم فأطاعوهم، فقد افتضح أمرهم بعد هلاكهم، وأصبحوا محلَّ سخريةٍ على مدار الزمان.

إنَّ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل مجموعة الأحكام الشرعية التي أخرجت الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن فساد العبادة إلى نور العمل الصالح، ومن انحلال الأخلاق إلى صلاحها، ومن انحراف المجتمع إلى استقامته، قال تعالى:(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) سورة المائدة، آية: ١٥ -١٦.

**٣-ميزات وخصائص من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم**

لم تكن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كحياة غيره من البشر، بل تميَّزت بميزات وخصائص كثيرة منها:

**أولاً:أنها معلومة ومسجلة ولم يخف منها شيء**، فما ترك علماء الإسلام على مر التاريخ باباً من أبواب السيرة إلا وقد ألفوا فيه مؤلفاً مستقلاً، شمل ذلك كلَّ دقائقها وجزئياتها حتى أصبح المسلم عند قراءته لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يعايشه ويشاهده تماماً لوضوحها وشمولها.

**ثانياً: ما تميزت به من الصدق والأمانة في نقلها**، فقد حظيت بما حظيه الحديث من التمحيص والتحقيق والمقارنة والتثبت من النقلة ومعرفة الصحيح منها من الضعيف، فأصبحت أصحَّ سيرة نقلت إلينا عن نبي أو عظيم.

**ثالثاً:أنَّ رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لجميع الخلق مع خلودها.** فسيرته قدوة وأسوة لكل البشر قد ساوت بين الملوك والعبيد، سيرة ينتفع بها صغار الناس وكبارهم، فهم في دين الله سواء، قد رفع الله من شأن الجميع.

ولا شك أنه ما من خير وصلاح وسعادة في الدنيا والآخرة إلا وهو مستقى منها، وما من شر وفساد وشقاء وظلم وجور إلا بسبب جهلها والبعد عن الاقتداء بها.

لقد أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو بعد في مكة ومحاصر فيها- قوله تعالى:(وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) سورة الأنبياء، آية:١٠٧، فهو الرحمة المسداة والنعمة المهداة للبشرية جميعاً، رحمةً بهم ومنقذاً إياهم من الشقاء والضلال والظلم والفساد والضياع والانحطاط، إلى السعادة والهداية والعدل والصلاح والرفعة والعلو والكرامة قال تعالى:(وما أرسناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراًولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون)سورة سبأ، آية:٢٨، وقال سبحانه:(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) سورة الفرقان، آية: ١.

وقال صلى الله عليه وسلم:"وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة"، أخرجه البخاري.

**رابعاً: كمالها بلا عيب أو نقص أو ضعف أو خلل.** قلّب بصرك وعقلك في ثنايا السيرة النبوية الشريفة هل ثمَّة شيء تنتقده، أو عيب تجده.

إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقض وقته بين أحبابه وأصحابه، بل قضى أغلب عمره بين ألدِّ أعدائه وهم المشركون، وفي آخر عمره كان يجاوره اليهود والمنافقون، فلم يستطيعوا أن يرموه بنقيصة في أخلاقه وشمائله وصدقه، على الرغم من حرصهم الشديد البحث والتنقيب عنها، فقد رماه أهل مكة بالألقاب السيئة وعيروه بالأسماء القبيحة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقدحوا بشيء من أخلاقه، أو يدنسوا عرضه الطاهر على الرغم من إنفاقهم أموالهم وإزهاقهم أرواحهم في عدائه، قال تعالى:(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون) سورة الأنعام، آية:٣٣.

وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما في صعود النبي صلى الله عليه وسلم الصفا لتبليغ الناس حيث قال:"أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً"، أخرجه البخاري.

وجُلُّ العظماء حالتهم مع الناس غير حالتهم مع أهلهم وفي بيوتهم، ولا يرضون لزوجاتهم أن تخبر عن أحوالهم، بل تعتبر حياتهم الخاصة سراً من الأسرار يعاقب على إفشائها، وكل الناس كذلك لا يرضون أبداً أن يطلع أحد على كثير من حياتهم الأسرية الخاصة.

ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لم يرض فقط، بل أمر أن ينقل عنه كل شيء، فبلغ عنه أزواجه كلَّ ما رأوه منه، حتى إن زوجته لتبلغ عنه ما كان تحت اللحاف فيما بينه وبينها،

وعن غسلها معه من الجنابة، حتى إن الرجل ليعرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرفه عن أبيه الملاصق له والساكن معه.

**خامساً: شمولها لجميع نواحي الحياة مع الوضوح التام فيها.**

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم بين صحابته وتزوج بتسع نسوة، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، وقال صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" أخرجه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم:"نضر الله أمرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع" أخرجه أبو داود والترمذي.

وما سافر صلى الله عليه وسلم وحده قط، ولا اعتزل الناس في يوم من الأيام أبداً، وقد تضافر الصحابة على نقل كل شيء عنه، بل تفرغ عدد منهم للرواية والمتابعة له كأهل الصفة.

لقد وصفوه صلى الله عليه وسلم في قيامه وجلوسه، وكيف ينام، وهيئته في ضحكه وابتسامته، وكيفية اغتساله ووضوئه، وكيف كان يشرب ويأكل وما يعجبه من الطعام، ووصفوا جسده الطاهر كأنك تراه، حتى ذكروا عدد الشعرات البيض في رأسه ولحيته حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه:"توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لحيته عشرون شعرةً بيضاء"، ولمحة سريعة في كتاب من كتب السيرة والشمائل تجد العجب من هذا الشمول وهذه الدقة في الوصف والنقل.

**سادساً:** أنها بعمومها لم تتعد القدرة البشرية، أي أنها لم تتكئ على الخوارق، أو قامت فصولها على معجزة من المعجزات خارجة عن قدرات البشر، بل إنه من السهل التعرف إليها وتطبيقها، والاقتداء بها، فليست مثالية التطبيق، ولذلك جعله الله عزّ وجلّ قدوةً صالحةً وأسوةً حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وهذا أكبر دليل على إمكانية تطبيقها والتأسي بها في كل زمان ومكان.

**٤- نبي الملحمة أو نبي المرحمة**

الذين قالوا:إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم رفع السيف، ونشر على حدِّه دعوته، ماذا كانوا يريدون منه أن يفعل بعد ما لقي من أذى المشركين ما يفوق احتمال البشر، وما أكثر الأمثلة على ذلك .

- فها هي حمَّالة الحطب أم جميل بنت حرب كما روى البخاري تجمع الشوك والأقذار من كل مكان لتضعها على بابه وعلى طريقه؛ فلما نزل فيها وفي زوجها قوله تعالى:(وامراته حمَّالة الحطب.في جيدها حبل من مسد) سورة المسد، آية:٤-٥، زادها الوعيد عنفاً، فأقبلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وكان جالساً بالمسجد مع أبي بكر، وبيدها حجر ضخم تريد أن تدق به فم الرسول صلى الله عليه وسلم، فصرف الله بصرها عنه، وقالت لأبي بكر: والله لَوْ وَجدْتُه لضَرَبْتُ بهذَا الحجَرِ فَمَه، ثم أنشدت من شعرها تسب الرسول وتتحداه:

مُذَمَّماً عَصَيْنَا   وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا  وَدِينَهُ قَلَيْنَا

وكان أمية بن خلف إذا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم سبَّه علانية، وآذاه، وسخر منه حتى نزل فيه قوله تعالى:(ويلٌ لكل همزة لمزة. الذي جمع مالاً وعدده) سورة الهمزة، آية:١-٢.

وكان النضر بن الحارث يصف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أساطير الأولين، وفيه نزل قوله سبحانه وتعالى:(ويل لكل أفَّاك أثيم.يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصِرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم) سورة الجاثية، آية:٧-٨.

ومشى عقبة بن أبي معيط يوماً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتفل في وجهه بعد ما حرضه عليه أُبَيُّ بن خلف حتى قال الله فيه:(ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) سورة الفرقان، آية:٢٧-٢٨.

أما الوليد بن المغيرة فقد وقف مستهيناً بالرسول يقول: أينزل على محمد وأُترك، وأنا كبير قريش وسيدها؟ ويُتْرَكُ أبو مسعود بن عمر سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين، إنَّ هذا لغير معقول، وقد أجابه الله تعالى بقوله:(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) سورة الزخرف، آية:٣١.

هكذا كانوا يعاملون الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرعون حرمته، ولا يجاملون أهله وقرابته، ولا يترفقون به، حتى كان في مناجاته ربه يهتف بصوت يخنقه الألم: "الَّلهم إنِّي أَشْكُو إلَيكَ ضَعْفَ قُوَّتي، وَقِلة حيلتي، وهواني عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين! أنْتَ ربُّ المُستَضعَفِين، وأَنْتَ رَبِّي، إلى مَنْ تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمُني، أم إلى عدوٍّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أُبالي..." أخرجه الترمذي.

ولم يكن العذاب منصباً على الرسول صلى الله عليه وسلم وحده، بل لعل ما عاناه -على قسوته- كان أخف كثيراً إذا قيس بنصيب أصحابه من العذاب.

فقد لقي بلالُ بن رباح رضي الله عنه من أذى أُمَيَّةَ بن خلف حتى قال له أبو بكر يوماً: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حَتَّى متى؟ قال أمية: أنت الذي أفسدته فإن شئت فَأَنْقذهُ، فأنقذه الصديق وأعتقه.

ولقي عمار بن ياسر وأمه وأبوه رضي الله عنهم من بني مخزوم من الأذى ما لا يكاد يوصف. ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يملك إلا أن يقول لهم حين يراهم قولته الشهيرة:"صَبْراً آلَ يَاسِر، فَإنَّ مَوْعِدَكم الجَنَّة"أخرجه الأصبهاني في الحلية.

فلمَّا تمادى المشركون في طغيانهم، وأحس الرسول صلى الله عليه وسلم من نفسه العجز عن حماية أصحابه، ورَفْع الضُّرِّ عنهم آذنهم بالهجرة، وكان مهجرهم الأول خارجَ حدود الجزيرة إلى أرض الحبشة.

بل إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي اختار المكان لهم حين قال:"لَوْ خَرَجْتُم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عندهُ أحدٌ، حتَّى يَجْعَلَ الله لكم فَرجاً مِمَّا أنتم فيه"، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى.

فما الذي كان يريده المفترون على محمد صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعد ما اشتدَّ عليه العدوان هكذا، حتى كاد يقضي عليه صلى الله عليه وسلم.

إن الدنيا لَتَعرف كيف تَكَتَّلَ الكفار ضده في الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي المشهور والمعروف بحصار الشُعَبِ الذي أنزل بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وبعض قرابته من الضُّر ما آذاهم حتى أكل بعضهم يوماً من الجوع أوراق الشجر، ولولا رحمة الله التي عطفت عليه قلوب بعض الكرام لبلغ الكفار مرادهم، مما أكره الرسول صلى الله عليه وسلم على الإذن لصحبه بالهجرة الكبرى إلى المدينة.

ثم أدركهم بعدها صبيحة الليلة التي جمع الكفارُ فيها من كل قبيلة فتى وقرروا أن ينْهُوا حياته صلى الله عليه وسلم بالسيف، حتى يضيع في القبائل دمه، وما تقوى على حربهم قريش.

فأيُّ صبر كانوا ينتظرون من الرسول صلى الله عليه وسلم فوق هذا الصبر؟ وكيف تكون الموادعة بعد هذا سبيل التفاهم من أناس رفعوا عليه السيف، ولم يحمه منه أحد غير رعاية الله له ؟

إنَّ صبر محمد صلى الله عليه وسلم على قومه حتى هذا المدى لهو آية الآيات على عظمة التسامح والمسالمة عنده صلى الله عليه وسلم، وإرخائه العَنان لقوم لم يكونوا يستحقون سوى الكبريت والحطب.

لقد سَالَمَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم المشركين، وجاوز حدود الصبر، فما أجدت المسالمة، ولا أفاد الصَّبْرُ، وأصبح الاستمرار عليهما مما لا يتفق ومنطقَ الحياة، ومما لا يتفق -كذلك- ومنطقَ النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء قوياً كفرسان العرب، عظيماً في حسبه ونسبه وفضائله، والذي جاء قبل هذا ليكون رسول حياة يخاطب أهلها بما يفهمون.

وما دامت السماء، بل ما دام التطور الزمني للمجتمعات قد جعل هذا نصيبه، فليكن هذا نصيبه.

إن لقيه الناس بالإحسان فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وإن كانت الأخرى فدين محمد صلى الله عليه وسلم فيه ترياق السموم، وقرع الحديد بالفولاذ.

وإذا كان الشر قد انتصر على الخير حيناً في نُبُوَّة مُوسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فقد أُذن لمحمد بالقتال حتى يَفْرِضَ الخير وجوده، ومن عَجَبٍ أن ما اتخذه محمد صلى الله عليه وسلم سلوكاً لنفسه، وطريقاً لحماية دعوته هو نفسه الطريق الذي آثرته البشرية دون غيره لضمان البقاء منذ القرون الطوال.

ولو خضع الناس، وأداروا خدودهم اليسرى لمن يصفعهم على اليمنى لما قامت على وجه الدنيا ثورةٌ واحدةٌ في وجه ظالم، ولعاش الطغاة أعمارهم محفوفين بالإجلال والإعظام. ولو قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مقالة أصحاب موسى:(فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) سورة المائدة، آية: ٢٤، لما قُدِّرَ للحياة أن تفيد من أسرار هذا الدين العظيم الذي لا يوجد لمشكلات عالم اليوم من حلول أفضل مما فرضها لها دين محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا هو نبي الملحمة الذي قال الله فيه:(أُذِن للذين يقاتلون أنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير) سورة الحج، آية:٣٩، ومع ذلك وبنظرة سريعة على الغزوات والسرايا التي قام بها صلى الله عليه وسلم لوجدنا الفرق الشاسع بين غزواته وحروب غيره، ويتجلى لنا بكل وضوح معنى قوله تعالى:(وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين) سورة الأنبياء، آية:١٠٧.

**٥-غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه**

لقد خاض النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين تسع عشرة غزوةً، ونقل أهل السير أنَّ غزواته خمس وعشرون وقيل: سبع وعشرون وقيل: تسع وعشرون.

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله بعدما ذكر هذه الأقوال أوجهاً للجمع بينها، منها أن الذي ذكر العدد الكثير عدَّ كلَّ وقعة على حدة وإن تقاربت مع غيرها في الزمن، وأنَّ الذي ذكر العدد القليل أو المتوسط ربما جمع الغزوتين المتقاربتين زماناً فعدهما غزوةً واحدةً كالخندق وبني قريظة، وكحُنين والطائف.

أما السرايا فهي أكثر من الغزوات، والخلاف فيها أكثر فهي من نحو الأربعين إلى السبعين، وقال الحافظ في الفتح في آخر كتاب المغازي "وقرأت بخط مغلطاي أنَّ مجموع الغزوات والسرايا مائة، وهو كما قال"، والغزوة هي ما كان يحضرها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، والسرية هي التي لم يحضرها النبي صلى الله عليه وسلم.

إنَّ أغلب هذه الغزوات هي من تخطيط وتدبير أعدائه من الكفار واليهود والروم النصارى لغاية القضاء على دين الله وأتباعه، وبنظرة سريعة على عدد قتلى الكفار الذين لم يتجاوزوا ٢٠٢ إنساناً حسب إحصائيات قام بها علماء الإسلام، نرى كيف كان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين مؤمنهم وكافرهم، فالإحصاء الذي قام به الدكتور محمد عمارة في كتابه الغرب والإسلام عن عدد قتلى المسلمين والكفار كانت النتيجة على النحو الآتي:

- -غزوة بدر (٧٠ مشركاً / ١٤ مسلماً)
- غزوة السويق (٠ مشركاً / ٢ مسلماً)
- بعث كعب بن الأشرف (١ مشركاً / ٠ مسلماً)
- غزوة أحد (٢٢ مشركاً / ٧٠ مسلماً)
- غزوة حمراء الأسد (مشركاً ١ / ٠ مسلماً)

- بعث الرجيع (٠ مشركاً / ٧ مسلماً)
- بعث بئر معونة (مشرك ٠ / ٢٧ مسلماً)
- غزوة الخندق (٣ مشركاً / ٦ مسلماً)
- غزوة بني قريظة (٠ مشركاً / ٠ مسلماً)، وأما بالنسبة لـ: ٦٠٠ الذين قتلوا من بني قريظة لم يقتلوا في الحرب، وإنما قتلوا قضاءً بالتحكيم الذي ارتضوه جزاءً على خيانتهم فلا يحسبون في قتلى المعارك.
- بعث عبد الله بن عتيك (١ مشركاً / ٠ مسلماً)
- غزوة ذي قرد (١ مشركاً / ٢ مسلماً)
- غزوة بني المصطلق (٠ مشركاً / ١ مسلماً )
- غزوة خيبر (٢ مشركاً / ٢٠ مسلماً)
- غزوة وادي القربى (٠ مشركاً / ١ مسلماً)
- غزوة مؤتة (٠ مشركاً / ١١ مسلماً)
- فتح مكة (١٧ مشركاً / ٣ مسلماً)
- غزوة حنين (٨٤ مشركاً / ٤ مسلماً)
- غزوة الطائف (٠ مشركاً / ١٣ مسلماً)
- المجموع (٢٠٢ من المشركين/ ١٨١ من المسلمين)

بعد قراءة هذه الأرقام يظهر لنا بكل وضوح كيف كان صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين في حربه وسلمه، وباستطاعة القارىء الكريم ومن خلال مقارنة متواضعة مع أرقام أيّ حرب أو معركة في القديم والحديث وما يُرتَكبُ فيها (من مجازرَ وتشويه وتعذيب وأسر وإعدام وانتهاك للحرمات وهتك للأعراض وانتقاماتٍ ووحشيةٍ تشيب منها مفارق الولدان) أن يجد الفرق واضحاً بين ما يُتهم به سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وبين غيره، ويظهر لكل ذي عقل حقيقة الحقد والكراهية الذي يتصف بهما من يدَّعي أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم قد نشر الاسلام بحدِّ السيف والقوة والقهر.

**٦-تأملات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تشهد بصدق نبوّته**

ادَّعى بعض المستشرقين أن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم استكتبه لغايات ومآرب شخصية، وبالتالي فهو ليس رسولاً من عند الله، ونقول إن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم ينفي الشك بأنه مدّع للنبوة كذباً، فقد كان مشهوراً بمكارم الأخلاق حيث سمّاه معاصروه: الصادق الأمين.

مضى من عمره أربعون سنة لم يُحدِّث فيه قومَهُ بنبوةٍ ولا رسالة، وإنَّ أكثر المغامرين يكونون في ريعان الشباب، بعد سن الأربعين صار صلى الله عليه وسلم يميل إلى الوحدة، ويمكث في الغار ليالٍ متعددةً للتفكر والتأمل، ولما جاءه الوحي رجع إلى أهله وهو يرجف ويقول:"لقد خشيت على نفسي"، والذي يؤكد على هذا زيارته لورقة بن نوفل (قريب زوجته السيدة خديجة رضي الله عنه) الذي كان

عالماً بالإنجيل، فإنه لما سمع قصة نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم قال:"هذا هو الناموس (أي الوحي) الذي أنزل اللهُ على موسى وعيسى" أخرجه البخاري.

ولما دعا قومه لأول مرة على جبل الصفا ناداهم قائلاً:"أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم وما جرّبنا عليك كذباً ..."، أخرجه البخاري.

ولو أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم ادَّعى الرسالة والنبوة لتبيّن لمن اتبعه من ذوي العقول الكبيرة شيء مما ينقض هذه الدعوى.

وقد عاش النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد دعوة الرسالة نحواً من ثلاث وعشرين سنة وهي مدّة كافية لمن أراد أن يرقب سيرة صاحبها لعله يقف على أثر يدلّه على أنه يعلن غير ما يبطن، أو أنه يقول على الله ما لم يعلم. ومن الملاحظ أن أشدّ الناس إيماناً به وأملأهم قلوباً بمحبته هم أطول الناس صحبة له، ومن لا يكادون يفارقونه إلا قليلاً كالسابقين من المهاجرين والأنصار.

باحثة بلجيكية درست سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقفت عند قوله تعالى:(والله يعصمك من الناس) سورة المائدة، آية: ٦٧، لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية، أمر الصحابة الذين كانوا يقومون بحراسته أن يتوقفوا عن ذلك.

قالت: محمد لو كان كاذباً ما استغنى عن الحرس لأنه لو خدع كلَّ الناس ما كان ليخدع نفسه، وإني لا أملك إلا أن أُصدِّق هذا الرجل وأشهد بملء اليقين أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

لقد تجرّد النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مطمع دنيوي، بل قال:"نحن معشر الأنبياء لا نورّث" أخرجه البخاري، وعند وفاته كان درعه مرهوناً عند يهودي لنفقة عياله. وقد دلَّ التاريخ أنَّ كل زعيم يكون له أصدقاء على شاكلته يعاونونه ويشاطرونه المغنم، أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أخصّ أصحابه ونساؤه مثالاً في الزهد والإعراض عن الدنيا والإقبال على العبادة، فهل هناك دليل أقوى من هذا على صدق نبوّته؟

**٧- والفضل ما شهدت به الأعداء**

إنَّ المتأمل لما كُتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يدرك أنه لم تحظ شخصية في التاريخ البشري العريض بمثل ما حظيت به شخصية النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من الاهتمام والإشادة والتمجيد من كافة الأعراق والشعوب والطوائف والملل، وفي شتى اللغات.

وبالرغم من وجود من حاولوا الطعن في نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والتشكيك في رسالته بسبب الحقد على الإسلام، وإطباق الجهل بالإسلام على هؤلاء والبعد عن الموضوعية العلمية في البحث والتدقيق، فإنَّ التيار العام ظل يسير في ناحية التقدير الحقيقي لشخصية محمد صلى الله عليه وسلم المؤثرة في تاريخ البشرية، وفضل رسالته على الإنسانية، بشكل يتوخى الإنصاف والموضوعية بعيداً عن الأحقاد الصليبية وتعاليم الكنيسة في القرون الوسطى.

وبالاطلاع على ما قيل في النبي صلى الله عليه وسلم من طرف المفكرين والمستشرقين والفلاسفة الغربيين المنصفين نجد أنَّ هؤلاء الذين يمثلون كبار مفكري الغرب وأعمدة الفكر والفلسفة فيه، وقد حاولوا الوقوف على عظمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، منبهرين بشخصيته العظيمة ونبل أخلاقه وطهارة حياته وخلوها من كل ما يثلم أخلاقه القرآنية.

والبعض منهم اكتفى بوضع شخصية نبي الإسلام في إطارها الحقيقي الذي يعرفه المسلمون أجمع، دون أن يلمس الإسلام ودعوته شغاف قلوبهم، والبعض الآخر ممن ظلوا بعيدين عن الإسلام تعرضوا للشخصية العامة للنبي صلى الله عليه وسلم كواحد من الأبطال والعباقرة الذين أثروا في مسيرة التاريخ، لكن فئة من هؤلاء كان اطلاعهم على خصائص شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وفضائلها مدخلا إلى البحث في الإسلام، ومن ثمَّ إلى إعلان إسلامهم على الملأ.

فهذا المؤرخ الأوروبي "جيمس ميتشنر" يقول في مقال تحت عنوان (الشخصية الخارقة) عن النبي صلى الله عليه وسلم:"... وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية، وفي الشرق كله، فقد حطم الأصنام بيده، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بالله وحده".

ويقول الفيلسوف الفرنسي"كارديفو":"إنَّ محمداً كان هو النبي الملهم والمؤمن، ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها، إنَّ شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد بين أعضاء الكتلة الإسلامية كان يطبق عملياً حتى على النبي نفسه".

أما الروائي الروسي والفيلسوف الكبير تولستوي الذي أعجب بالإسلام وتعاليمه في الزهد والأخلاق والتصوف، فقد انبهر بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وظهر ذلك واضحاً على أعماله، فيقول في مقالة له بعنوان (من هو محمد؟):"إنَّ محمداً هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمةً برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال".

ومن هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل (١٧٩٥م-١٨٨١م)، فقد خصص في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) فصلاً لنبي الإسلام بعنوان "البطل في صورة رسول: محمد-الإسلام"، عدَّ فيه النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من العظماء السبعة الذين أنجبهم التاريخ، وقد رد كاريل مزاعم المتعصبين حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"يزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أنَّ محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان... كلا وأيم الله! لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات، المتورد المقلتين، العظيم النفس المملوء رحمةً وخيراً وحناناً وبراً وحكمةً، أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صامتة، وهو رجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين".

وبعد أن يتعرض بالتحليل والتفسير لعظمة نبي الإسلام ونبوته وتعاليمه السامية، يقول:"وإني لأحبُّ محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع".

**٨- ماذا نفعل؟**

ويأتي السؤال الذي يطرح نفسه دائماً بعد كلِّ إساءة: ماذا نفعل؟ وما هو المطلوب منَّا كأفراد هذه الأمة رجالاً ونساءً وشباب من هذه الأمة يهان نبيها أمام أعينها كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً...، وأريد في الجواب على هذا السؤال، وأنا أُخاطب الشباب خاصةً دون غيرهم، وإن كان الكلام يعنيهم ويعني غيرهم، أن أتجاوز منطق ردات الفعل العاطفية والآنية فحسب، والتي قد تُفسد أكثر مما تُصلح، وتُسيء أكثر مما تُحسن، ولغة ردات الفعل الباردة التي يكتفي البعض فيها من خلال تعليق باردٍ على ما حدث بكلمةٍ مختصرةٍ، أو دعاءٍ خجولٍ على أعداء الإسلام، أو التأفف والتضجر من كثرة الإساءة والتعرض لمقام النبوة، دون القيام بأدنى تحركٍ عمليّ أو تغييرٍ فعَّال، أوبذل أيّ جُهدٍ يُذكر.

أريد أن أبتعد عن التفكير في ردات الفعل السلبية التي قد تظهر خِفَةَ عقل المسلم أو سَفَهَ تصرفاته، والتي قد تُسيء أكثر مما تُحسّن، والتي قد تصبُّ – بقصد أو بغير قصد-في الهدف الذي أراده من يقف خلف هذه الإساءة.

وأريد أن أخرج من دائرة الاكتفاء بمجرد إلقاء اللوم على الآخرين من الطغاة والمتجبرين والماكرين، والكفر العالمي...،-دون أن أُبَرِّأَهُم- وغير ذلك من الأمور التي نجعلها شمَّاعةً نعلق عليها تقصيرنا وقلة علمنا، وغفلتنا، وبعدنا عن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

لذلك كان علينا أن نحسن توجيه الشباب-وقد ألهبت أحداث الإساءة أفئدتهم، وأشعلت عاطفتهم-، مستثمرين هذه العاطفة، فنوجههم توجيهاً مدروساً ممنهجاً نعود بهم من خلال ذلك إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم حُبَّاً وعلماً وطاعةً وتأسياً واقتداءً.

شبابنا محتاجون أن نزرع فيأعماققلوبهم عاطفةً صادقةً نبيلةً، ومحبةً متأصلةً صحيحةً، يُتَمِّمُها العملُ المتقَنُ الجادُّ المبني على تصورٍ واضحٍ، وعلمٍ نافعٍ، وفهمٍ صحيحٍ سليمٍ للإسلام ومقاصده وأهدافه، كي ينطلقوا في محبته واتباعه قولاً وفعلاً وتأسياً، فهو القدوة والأسوة صلى الله عليه وسلم، ثم يُعَرِّفون الناس كلَّ الناس بمن يتشرفون ويفتخرون بأنهم من أتباعه ويسيرون على منهجه، ويوقنون بأنَّ أولئك القوم المعتدين أو أغلبهم لو عرفوه حقَّ المعرفة لأحبوه واحترموه وتأدبوا مع جنابه الكريم صلى الله عليه وسلم بدلاً من الإساءة إليه.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الذي قدمناه في مقابل ذلك؟! كيفنحصِّن أجيالنا أمامهذاالمكر الكبير والكيد العظيم الذي وصفه ربُّ العزة تبارك وتعالى(وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) سورة ابراهيم، الآية:٤٦.

**٩- البداية بالعِلم**

البداية مستمدة من بداية هذا الدين العظيم ومع أولِّ أمرٍ نزل من عند الله عزَّ وجلَّ (اقرأ) سورة العلق، آية:١، ومعنى (اقرأ) أعمّ وأوسع من مجرد القراءة، بل معناها: تعلم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، بكل أسلوب ووسيلة وطريقة تؤدي إلى العلم، وإنَّ تربية وتعليم وتحصين أفراد الأُمَّة تبدأ بالعلم الذي هو أصل من أصول الإسلام وأساسٌ من أساسات العقيدة الاسلامية، وهو أول أمرٍ ابتدأبه ربُّ العزة تبارك وتعالى رسالته، بل جعله عنواناً لها، فكانت أولَ آياتٍ نزلت هي قوله تعالى:(اقرأ باسم ربك الذي خلق.خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق، الآيات:١-٥.

فالعلم قبل القول والعمل، كما بيَّنَ ذلك الامام البخاري رحمه الله تعالى في أولِّ كتابه الصحيح والذي يعتبر أصحُّ كتاب بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ، ومن أساسيات العقيدة معرفة صفات وحقوق وواجبات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك من مقتضيات شهادة(وأشهد أنَّ محمداً رسول الله) صلى الله عليه وسلم.

**١٠- استراتيجية مواجهة التحديات من القرآن والسنة**

لقد وضع لنا القرآن الكريم استراتيجية المنهج الصحيح في التعامل مع الإساءة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما ذكر لنا عدة مواقف من حياته صلى الله عليه وسلم نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

**أولاً:** قوله سبحانه وتعالى في سورة الحِجْر:(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنَّا كفيناك المستهزئين . الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون . ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، الآيات: ٩٤-٩٩، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:"أي وإنَّا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدرٍ وانقباض، فلا يَهِيدنَّكَ ذلك ولا يُثْنِيَنَّكَ عن إبلاغك رسالة الله، وتوكَّل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغلْ بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة، ولهذا قال:(فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين)". تفسير ابن كثير:٧٢٩/٢.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من الإساءة،إلا أنَّ الردَّ يكون كما علمه ربهُ عزَّ وجلَّ بالصبر والتسبيح والثبات على الحق.

فهناك منهجٌ نلتزم به، وطريقٌ للدعوة نسير عليه، لا حسب رغباتنا، ثم إذا تعرضنا في طريقنا للإساءة فالمنهج في الردِّ كذلك موجود، فكيف سنلتزم ذلك المنهج إذا كنا لانعرفه!!! كيف نطالب به شبابنا إذا كانوا لم يسمعوا شيئاً عنه!!! وفاقد الشيء لا يعطيه.

**ثانياً:** قوله تعالى في سورة القلم:(ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإنك لعلى خلقٍ عظيم)، الآيات: ٣-٤، فاتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون بسبب ما أتى به من الرسالة يكون الردُّ عليه ببيان ما هو

عليه عليه الصلاة والسلام من خُلُقٍ عظيم، وأدبٍ كريمٍ، وصفاتٍ حميدةٍ، ما فاق به الأنبياءَ وسائرَ البشر، والله عزَّ وجلَّ قد زكَّاه أعظمَ تزكيةٍ وأشرفَها وأرفَعها، زكَّاه في عقلهِ، ولسانهِ، وفؤادهِ، ورفع عنه وزرَهُ، وشرح له صدرَهُ، ورفع له ذِكرَهُ، وجعله سيد الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه.

**ثالثاً:** قوله تعالى في سورة الحاقة:(إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون . تنزيلٌ من رب العالمين)، الآيات:٤٠-٤٣ فاتهام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر، أو كاهن، أو شاعر، كان الردَّ عليه بقوله سبحانه:(إنَّه لقول رسول كريم) أي ببيان صفات هذا الرسول الكريم وتذكيرهم بتلك الصفات العظيمة التي كانت محط إعجاب زتقدير واحترام من كل الناس لا سيما قريش.

**رابعاً:** قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:"ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتمَ قريشٍ ولعنَهم، يشتمون مذمَّماً، ويلعنون مذمَّماً، وأنا محمَّدٌ" أخرجه البخاري، فمهما قيل فيه من الشتائم والإساءة والأذى فلن يناله من ذلك شيء، فهو عليه الصلاة والسلام معروف بأنه محمودُ الخصالِ والصفاتِ والخُلُقِ والفِعَال، فلا يمكن أن يتوجه الذمُّ إليه صلى الله عليه وسلم بحال من الأحوال، وهذا يقتضي أن يعرف بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم تعريفاً كافياً شافياً حتى يُحمد على كما صفاته وحميد فِعاله.

ومن هنا وجب علينا القيام بالتعريف بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، صفاته، معجزاته، خلُقِه، حقوقه، فضله على البشرية جمعاء، شهادة عقلاء الغرب فيه،...وهكذا، فإذا قمنا بذلك حقَّ القيام، انصرف الذمُّ إلى غيره، لأنه بعيدٌ كلَّ البعد عن تلك الصفات والإساءة، لكن إذا لم يكن معروفاً لدى الناس ظنَّ الجاهلون بصفاته أنه موصوف بها، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

**١١- مقترحات في مواجهة التحديات**

بناءً على ما تقدمفإنني أقترح خطةً متواضعةً للعمل على تحويل الآثار السلبية للإساءة إلى ثمرات إيجابيةً مع المسلمين خاصة مع شبابهم والذين أحببت أن يكون كلامي موجهاً إليهم من خلال هذه الورقة مستفيداً من هذه الهجمة الشرسة والسيئة على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال ما يأتي:

١. السعي إلى إنشاء الأسرة الصالحة ذلك المحضن التربوي الأول والحصن الآمن الذي فيه يتربى شباب الأُمَّة أَمَلُ المستقبل، وقد نبَّهَ الإسلام على ذلك، فقد أشار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله:"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة رعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..." أخرجه البخاري، وكذلك قول عمر رضي اللله عنه:"من حق الولد على ابيه أن يحسن اختيار أمه واسمه وأن يعلمه القرآن"، وعندما خيَّر ملك الجبال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد

عودته من الطائف أن يطبق على أعدائه الجبلين فيهلكهم جميعاً قال صلى الله عليه وسلم:" لا، عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً".

٢. القيام بتأليف عدة كتب مخلتفة توجه إلى مختلف الفئات وبعدة لغاتعن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يعرِّفُ المسلمين وغير المسلمين ببعض صفاته صلى الله عليه وسلم وفضائله، ومعجزاته، وتعدد زوجاته: الأسباب والحكم، وبيان معنى الجهاد في سبيل الله، وكيف كان جهاده عليه السلام، وكيف نشر دينه بالرحمة والعدل والمساواة، وما هي حقوقه، ويردُّ فيها ردّاً علمياً على ما يثار حوله صلى الله عليه وسلم من شبهاتٍ وافتراءاتٍ، وتكون هذه الكتب متنوعةً بين المختصر والمتوسط من أجل أن يتماشى مع سرعة العصر وضعف الهمة عن القراءة.

٣. ٣- الفضل ما شهدت به الأعداء، ويكون ذلك بجمع أقوال عقلاء الغرب المنصفين في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتجعل في رسالة مختصرة توزع على غير المسلمين، خصوصاً عندما يكثر الطلب على ما كتب عنه عليه السلام من قبل غير المسلمين، ويزود بها شباب الإسلام من باب تعريفهم بنظرة عقلاء الغرب لنبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤. تكثيف المادة التي تُعَرِّفُ برسول الله صلى الله عليه وسلم في مادة التربية الدينية في جميع المراحل التعليمية، وخصوصاً في المراحل الأُولى، على أن تراعى خصوصية كلِّ مرحلة من المراحل، فعلى سبيل المثال مرحلة المراهقة يركز على المرحلة العمرية عند النبي صلى الله عليه وسلم القريبة من أعمارهم، وفي المرحلة الثانوية كذلك كيف كان عليه السلام في سن الشباب، ومناقشة القضايا الفكرية والشبه حول شخصه الكريم وسيرته العطرة وسنته الشريفة صلى الله عليه وسلم.

٥. إقامة دورات تعليمية لمدة ثلاثة أيام –على سبيل المثال لا الحصر- يتعرف فيها الإنسان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوقه وواجباته وهكذا، ويعطى فيها جوائز وشهادات مشاركة، ويقام بعدها مسابقات تشجيعية بجوائز قيّمة وذلك تعليماً للمسلمين وخصوصاً الشباب منهم بنبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم، وهذا من مقتضى الشهادة(وأنَّ محمداً رسول الله).

٦. تشجيع من يخضعون لهذه الدورات على مسؤولية حمل الدعوة وتبليغها للناس مؤمنين وغير مؤمنين، وفي كل مكان وبجميع لغات الأرض، مستفيدين في ذلك بكل ما هو متاح من وسائل تواصل عبر الإنترنت وغيرها، جاعلين شعارهم في ذلك قوله تعالى:(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) سورة فصلت، آية:٣٣.

٧. إقامة المخيمات الشبابية التي تحمل عنواناً جذاباً مثل:"أتعرف إلى رسولي"، "أُحبُّ رسولي"، " فضل رسول الله عليَّ"، "رسول الله يحبني فهل أنا أحبه"...، وتكون هذه المخيمات معدةً إعداداً جيداً، يتخرج الشباب منهاوقد تعرفواإلى رسولهم،وحقوقه،وعلامات محبته،مدركاً أهمية اتباعه، وهكذا.

٨. وفي الختام علينا القيام بالقضاء على ثقافةُ لعنةِ الظلام، وإلقاءِ اللوم على الآخرين، والأخذ بأيدي المسلمين لنستيقظَ من مرض الغفلة والكسل واللامبالاة، ولنبتعدَ عن صفة المتفرج المراقب، والمتحسر المتوجع، ولنحملَ مشعلَ الهداية عالياً، ولنشعل النور نضيء به الدنيا من ظلامها الدامس، جاعلين شعارنا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم.



# التحديات المعاصرة التي تواجه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

**د. محمد بن عبد الله حميدان آل أحمد**
قسم السنة وعلومها-كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد



**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا بحث حول التحديات المعاصرة التي تواجه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك وفق الخطة التالية:

التمهيد: التعريف بالمصطلحات في مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالتحديات.

المبحث الثاني: التعريف بمصطلح المعاصرة.

الفصل الأول: أمثلة على "التحديات التي واجهت الرسل عامة والنبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة"، ويشمل مبحثين :

المبحث الأول: أمثلة من التحديات التي واجهت الرسل عليهم السلام قديماً وحديثاً.

المبحث الثاني: أمثلة من التحديات التي واجهت نبيناً محمد صلى الله عليه وسلم في حياته، وبعد موته.

الفصل الثاني: التحديات المعاصرة (الرسوم المسيئة، والأفلام)، توقيت ظهورها والدوافع وراء ذلك، ويشمل أربعة مباحث:

المبحث الأول: وقت ظهور الرسوم والأفلام والدوافع وراء ذلك.

المبحث الثاني: العقوبات الربانية لمن يفعل ذلك.

المبحث الثالث: استخراج الحكم الإلهية من الهجوم على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسوم والأفلام.

المبحث الرابع: واجب المسلمين، وغير المسلمين في الدفاع عن جناب النبي صلى عليه وسلم.

الخاتمة.

ويأتي هذا البحث كأقل واجب ممكن في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفاعلاً مع الدور الكبير الذي تقوم به جامعة الملايا بماليزيا في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم،في عرض

تأريخي لأهم جوانب الصراعودوافعه، والبشارة أن العاقبة له صلى الله عليه وسلم،وهو إمام المتقين،وسيد الغر المحجلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

**التمهيد: التعريف بالمصطلحات في مبحثين:**

**المبحث الأول: التعريف بالتحديات.**

وهو من حدا، حدأ: يقال فلان يتحدى فلاناً أي: يباريه وينازعه الغلبة،والتحدي: طلب المعارضة على شاهد دعواه، وجمعه تحديات والألف واللام للتعريف[1]، وقد تحدى المولى سبحانه وتعالى العرب أن يأتوا بعشر سور من القرآن، ثم سورة،ثم آية، ثم تحدى الثقلين الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2]، وبين سبحانه في سورة الفرقان: أنه لكل نبي عدو من المجرمين قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[3].

فتحدي الرسل عليهم السلام وأتباعهم من قبل مجرمي الناس منذ الأزل كقوم نوح،وهود،وإبراهيم، والنمرود، وصالح ، وفرعون!وهو سنة ماضية، ثم يظهر الله رسله عليهم السلام ومن تبعهم على من خالفهم، قال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

ومن أمثلة التحدي المعجزات التي أيد الله بها الرسل عليهم السلام على أقوامهم؛ كناقة صالح، وعصى موسى، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص بإذن الله،والقرآن العظيم المعجزة الخالدة للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال محمد الفيروز آبادي: "ومُعْجِزَةُ النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدّي والهاءُ للمُبالَغَةِ"[5].

والإنسان في تحدي مع نفسه، والشيطان، والدنيا، والهوى،حتى ينجو بإذن الله، قال الليث: الحُدَيَّا من التَّحَدي، يقال فلان يتحدى فلاناً أي: يُباريه ويُنازِعُه الغلبة، تقول أنا حَدَيَّاك بهذا الأمْرِ أي أبرُزْ لي وجَارِني[6].

---

[1]- انظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٢١) ، المحيط ( ٢/ ١٧٩) ، القاموس المحيط فصل العين.

[2]- الآية (٨٨) سورة الإسراء .

[3]- الآية (٣١) سورة الفرقان .

[4]- الآية (٢١) سورة المجادلة .

[5]- القاموس المحيط فصل العين ( ٦٦٣/١).

[6]- تهذيب اللغة (٥/ ١٢١) ، المحيط ( ٢/ ١٧٩) ، القاموس المحيط فصل العين ( ٦٦٣/١).

**المبحث الثاني: التعريف بمصطلح المعاصرة.**

المعاصرة كلمة تدل على الزمان و يختلف مدلولها بحسب إضافتها لكلمة سابقة وهي تدل على الزمن وأصل المادة:"عصر" قال تعالى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ ﴾[٧]،"والعصر": الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أوصلاة العصر[٨]. ومعنى المعاصرة: أي التي في هذا الزمن الذي نعيشه الآن.

تعريف التحديات المعاصرة باعتبار العلم المركب:

وبناءً على ما سبق يكون معنى التحديات المعاصرة التي تواجه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار اللفظ المركب:

هي معارضة، ومنازعة، ومبارزة، ومباراة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة من العصر-أي الزمن-؛للطعن في دين الإسلام من خلال تشويه شخصه الكريم؛لكثرة الإقبال على دين الإسلام،وللسيطرة على الموارد التي تنتشر في العالم الإسلامي؛ مكان انتشار دين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم،ولتحفيز القوات التي ترابط في أماكن الصراع من العالم الإسلامي.

## الفصل الأول

### أمثلة على "التحديات التي واجهت الرسل عامة والنبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة"

المبحث الأول: أمثلة من التحديات التي واجهت الرسل عليهم السلام قديماً وحديثاً.

المبحث الثاني: أمثلة من التحديات التي واجهت نبيناً محمد صلى الله عليه وسلم في حياته،وبعد موته.

الحمد لله على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ومنهانعمة بعثة خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام،حمداً وشكراً على مايليق بجلال وجه الله وعظيم سلطانه وكريم نعمه وآلاءه،والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فإن من سنن الله التي تكلم عنها في القرآن الكريم المدافعة بين الحق والباطل،وبين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[٩].

وقد بدأ ذلك بين آدم عليه السلام، وإبليس العدو المبين؛ حيث حسد إبليس آدم عليه السلام،فكاد له فأكل من الشجرة،فأهبطهما ربنا تبارك وتعالى إلى دار الابتلاء إلى هذه الدنيا، وجعل

---

[٧]- الآية (١) سورة العصر.

[٨]- انظر: الصحاح مادة (عصر) (٤٤٣/١-٤٤٤)، القاموس المحيط مادة ( عصر ) (٥٦٦/١).

[٩]- الآية (٤٠) سورة الحج .

بعضهم لبعض عدو، وكان هبوط آدم وذريته إلى الأرض؛ لحكم عظيمة منها: عمارة الأرض، والخلافة فيها، والابتلاء لبني آدم أيهم أحسن عملاً.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[10].

وقد أقسم الشيطان بعزة الله ليغوي بني آدم؟!، وهذا أول تحدي للإنسان من عدوه قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[11].

وهكذا بدأ الصراع منذ فجر التاريخ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،ويعتبر تحدي الشيطان لآدم وذريته البداية التي يعقبها صور من التحديات بين الرسل وأتباعهم من جهة، وبين الشيطان وأتباعه من جهة أُخرى وبعد ذلك نوح عليه السلام،وهود،وصالح، ولوط، وشعيب، وإبراهيم، وموسى،وعيسى،عليهم السلام وآخرهم نبينا محمد صلىالله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[12].

ومن صور التحدي التي وردة في القرآن ما دار بين إبراهيم عليه السلام والنمرود كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[13].

وفي هذه الآية يقص الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المناظرة التي دارة بين إبراهيم عليه السلاموالنمرود؛ حيث أخذ البطر والكبر بالنمرود؛ لما آتاه الله الملك فأخذ يجادل إبراهيم ويحاجه فقال له إبراهيم عليه السلام: إن ربي يحي ويميت،فأتى النمرود برجلين فقتل أحدهما وعفا

---

[10]- الآيات ٣٤- ٣٧ سورة البقرة .

[11]- الآيات ٣٩- ٤٢ سورة الحجر.

[12]- الآية (١٨١ ) سورة آل عمران.

[13]- الآية (٢٥٨) سورة البقرة .

عن الآخر؟!.فقال إبراهيم عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر!نقله إبراهيم عليه السلام في المجادلة إلى أمر آخر فدهش الذي الكفر!والله لايهدي ولا يوفق من يجادل بالباطل، وهو ظالم كحال النمرود[١٤].

وهذه من صور التحدي التي ذكرها الله في القرآن الكريم بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم.وكانت العاقبة للمتقين.هذه بعض الأمثلة في ضوء إيجاز البحث وإلا فإن الشواهد كثيرة.

**المبحث الثاني: أمثلة من التحديات التي واجهت نبيناً محمد صلى الله عليه وسلم في حياته،وبعد موته.**

لقد تعرض النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأصناف من الأذى والعذاب حتى من أقرب الناس إليه والذي كان من المفترض أن ينصره ويؤازره،ولكنه انقلب عدو مبين كأبي لهب تبت يداه وزوجه حمالة الحطبوالتي توعدها الله بحبل من مسد ،قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾[١٥]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (( صعد النبي صلى الله عليه و سلم الصفا ذات يوم فقال: (يا صباحاه)، فاجتمعت إليه قريش قالوا: ما لك؟ قال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتمتصدقونني؟). قالوا: بلى، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب:تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[١٦].

**قال صاحب الرحيق المختوم:**لما تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون،وتتحمل عبء تبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعالنة الدعوة،ومجابهة الباطل بالحسنىوأول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[١٧].

وقد ورد في سياق ذكرت فيه أولًا قصة موسى عليه السلام، من بداية نبوته إلى هجرته مع بني إسرائيل، وقصة نجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام، خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله،وكأن هذا التفصيل

---

[١٤]- انظر: تفسير ابن كثير : (٦٨٦/١).

[١٥]- الآيات : ١-٥ سورة المسد.

[١٦]- أخرجه البخاري – كتاب التفسير – باب قوله: { إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد } / ٤٦ /– برقم (٤٥٢٣). (١٨٠٤/٤).ومسلم – كتاب الإيمان – باب في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } – برقم (٢٠٨) (١٩٣/١).كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

[١٧]- الآية : ٢١٤ سورة الشعراء.

جيء بها مع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بجهر الدعوة إلى الله؛ليكون أمامه وأمام أصحابه مثال لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ البداية.

ومن ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسل،من قوم نوح،وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة -عدا ما ذكر من أمر فرعون وقومه- ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب عاقبة أمرهم وما سيلقونه من مؤاخذة الله إن استمروا عليه،وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم وليس للمكذبين[١٨].

وقد تعددت وسائل الأذى من الاستهزاء والتكذيب والسخرية، والاتهام بالسحر، والجنون، والكهانة وتعرض للضرب، وإلقاء سلى الجزور، كما أخرج ابن حبان" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : "بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَسَاجِدٌ وَحَوْلُهُ نَاسٌ، إِذْ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَه، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ ، فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ،وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، شَكَّ شُعْبَةُ،قَالَ:فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ وَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ، غَيْرَ أَنَّ أُمَيَّةَ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبِئْرِ."[١٩].

ثم تعذيب أصحابه كآل ياسر، وبلال، وقتل سمية رضي الله عنهم أجمعين، وأوذي ابن مسعود، من قبل رؤوس الكفر كأمية بن خلف، وأبو جهل، والعاص بن وائل،والوليد بن المغيرة[٢٠]، وفي السنة والسيرة العطرة صور من أصنافالأذى والتحدي الكثيرة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: ((كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلاَمَهُ سَبْعَةٌ:رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ،وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ،فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ،وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ،وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْفِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلاَّ بِلاَلاً، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ)) [٢١].

ثم انتقل التحدي والأذى إلى المدينة المنورة وتعتبر حادثة الهجرة حلقة الوصل بين التحدي المكي والمدني في دار الندوة تعقد المؤامرة بحضور الشيطان،ويوحي إليهم بقتل المصطفى صلى الله عليه وسلم،ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، فيضع المصطفى صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في فراشه، ويخرجوهو يتلو سورة "يس"،ويذر على رؤوسهم التراب تحدياً من الله ورسوله لمؤامرة

---

[١٨]- انظر: الرحيق المختوم (٧١ ).

[١٩]- أخرجه ابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٥٧٠) (٥٣١/١٤).

[٢٠]- انظر سيرة ابن إسحاق(٤/ ١٧٢)،السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة(١/ ٦٤،٦٦ -٢/ ٩٠).

[٢١]- أخرجه ابن ماجه – كتاب – باب( فضل سلمان وأبي ذروالمقداد ) ( ١٥٣ ) (٥٣/١) .وأحمد في المسند برقم (٣٢٣٨)(٤٠٤/١).قال في الزوائد رجاله ثقات .أهـ وصحيح ابن حبان وأخرجه الحاكم، وحسنه الألباني .

المشركين، ويُلقي على أولئك الفتية السنة،ثم يتوجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى غار ثور وهنا تعرض قريشاً مائة ناقة لمن يأتي بمحمد وصاحبة. ويعجزون عن رؤيته عندأقدامهم،ثم ينطلق إلى المدينة ويأتي سُراقة لطلب مائة ناقة، فتسيخ قدما الفرس،ويعجز عن مجارة الإرادة الإلهية، ويصل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في استقبال رائع مجيد من أهل المدينة؛لينتقل الصراع من مكة بلد النبوة ومرابعالصبا إلى ميدان العالمية مع اليهود في المدينة،والمنافقين،ومشركي العربونصارهم[٢٢]،ولم يألوا جهداً صلى الله عليه وسلم في نشر السلام عند قدومه المدينة، وعقد معاهدة مع أهلها،ولكن أخذاليهود بدس المكائد، ومحاولة اغتيال المصطفى صلى الله عليه وسلم ونقض المعاهدات، وانبرى كعب الأشراف، وكان شاعراً لهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم[٢٣].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ((أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ:لاَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم))[٢٤].

وبلغ الأمر ذروته في معركة الأحزاب حيث تحزبت قوى الشر بقيادة الشيطان وأولياءه على حزب الرحمن وأولياءه، وكان لليهود دور في تدبير هذه المعركة وتحزيب قريش ومشركي العرب، وظهرت الخيانة من بني قريظة! وكانت العاقبة للمتقين[٢٥]، قال تعالى:﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾[٢٦].

**الاعتداءات بعد موته صلى الله عليه وسلم:**

وأما بعد موته فمن الأمثلة على ذلك:

ما ورد في كتب التاريخ وقائع أربعة في محاولات الاعتداء على جسد النبي صلى الله عليه وسلم، محاولتان تولى كبرهما الحاكم العبيدي الذي أدعى الربوبية،والثالثة،والرابعة من النصارى خابوا وخسروا،**وبيان ذلك كما يلي الاعتداء الأول :**

قام بهذه المحاولة الآثمة الحاكم العبيدي الزنديق: منصور بن نزار بن معد المصري الإسماعيلي المدعي الربوبية قال عنه الذهبي:" وكان شيطاناً مريداً جباراً عنيداً،كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب،ونبأ غريب،كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها.أمر بسب الصحابة رضي الله عنهم، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد

[٢٢]- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (١/ ١٨٨- ٢١٨) .

[٢٣]- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (١٢١/٢،١٢٠،٥- ١٣١) .

[٢٤]- أخرجه البخاري – كتاب – باب قبول الهدية من المشركين – رقم (٢٤٧٤) (٩٢٣/٢)، ومسلم – كتاب – باب – رقم ( ٢١٩٠) (١٧٢١/٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

[٢٥]- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (٦٢/٣- ٨٤) .

[٢٦]- الآية (٢٥) سورة الأحزاب .

والشوارع"[٢٧] ، ومن ذلك ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء عن هذا الحاكم المريد:"وقد وقع بعد الأربعمائة من الهجرة ما نقله الزين المراغي عن "تاريخ بغداد" لابن النجار قال:

عن أبي القاسم عبد الحليم بن محمد المغربي: ((أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العبيدي صاحب مصر بنقل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة إلى مصر، وزين له ذلك .وقال: متى تم لك ذلك شد الناس رحالهم من أقطار الأرض إلى مصر ، وكانت منقبة لسكانها .فاجتهد الحاكم في ذلك، وأعد مكاناً أنفق عليه مالاً جزيلاً .قال: وبعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشريف، فلما وصل إلى المدينة الشريفة وجلس بها حضر جماعة المدنيين وقد علموا ما جاء فيه.وحضر معهم قارئ يعرف بـ "الزلباني"، فقرأ في المجلس: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٢٨]. فماج الناس،وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومن معه من الجند،ولما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم: الله أحق أن يخشى، والله لو كان علي من الحاكم فوات الروح ما تعرضت للموضع، وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه كيف نهض في مثل هذه المخزية، فما انصرف النهار ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تزلزل من قوتها، حتى دحرجت الإبل بأقتابها، والخيل بسروجها، كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، وهلك أكثرها، وخَلْقٌ من الناس، فانشرح صدر أبي الفتوح، وذهب روعه من الحاكم لقيام عذره من امتناع ما جاء فيه"[٢٩] .

**المحاولة الآثمة الثانية:** وهي محاولة أُخرى من قبل الحاكم العبيدي قاتله الله، ينقلها أيضاً السمهودي حيث يقول:ونقل ابن عذرة في كتاب"تأسي أهل الإيمان فيما جرى على مدينة القيروان"لابن سعدون القيرواني ما لفظه:"ثم أرسل الحاكم بأمر الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الذي أراد نبشهداراً بقرب المسجد، وحفر تحت الأرض ليصل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرأوا أنوارا، وسُمِعَ صائح: إن نبيكم ينبش، ففتش الناس، فوجدوهم، وقتلوهم"[٣٠] .

هذه محاولات المجوس الباطنية الذين يظهرون محبة أهل البيت ويبطنون المجوسية، وأما محاولات النصارى فهذه واقعتين ذكرتها كتب التاريخ عنهم:

**المحاولة الآثمة الثالثة "الأولى من النصارى":** وقعت سنة (٥٥٧هـ) في عهد السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكي رحمه الله،وكان الذي تولى كبرها النصارى،رأى السلطان نور الدين رحمه الله في نومه النبيَّ صلى الله عليه وسلم،وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنجدني، أنقذني من هذين،

---

٢٧- انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/-١٧٣-١٧٤).

٢٨- الآية (١٢-١٣) سورة التوبة .

٢٩- وفاء الوفا للسمهودي (٢/١٨٨) .

٣٠- وفاء الوفا للسمهودي (٢/١٨٩) .

فاستيقظ فزعاً ثم توضأ وصلى ونام، فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام، فرآه أيضاً مرة ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم !.وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي، فأرسل إليه، وحكى له ما وقع له، فقال له: وما قعودك؟! اخرج الآن إلى المدينة النبوية،واكتم ما رأيت فتجهز في بقية ليلته،وخرج إلى المدينة، وفي صحبته الوزير جمال الدين.فقال الوزير:وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وأحضر معه أموالا للصدقة، فاكتبوا من عندكم. فكتبوا أهل المدينة كلهم، وأمر السلطان بحضورهم.وكل من حضر يأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي صلى الله عليه وسلم له فلا يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أن انفضت الناس.فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟ قالوا: لا. فقال تفكروا وتأملوا. فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً، وهما صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره وقال: علي بهما.فأُتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي صلى الله عليه وسلم إليهما بقوله: أنجدني أنقذني من هذين فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجين، فاخترنا المجاورة في هذا المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أصدقاني، فصمما على ذلك. فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة.وأثنى عليهما أهل المدينة بكثرة الصيام والصدقة، وزيارة البقيع وقباء، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيراً في البيت، فرأى سردابا محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة، فارتاعت الناس لذلك!؟.وقال السلطان عند ذلك: أصدقاني حالكما! وضربهما ضربًا شديدًا فاعترفا بأنهما نصرانيان، بعثهما النصارى في حجاج المغاربة، وأعطوهما أموالاً عظيمة، وأمروهما بالتحيل لسرقة جسد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانا يحفران ليلاً، ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة، والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته، ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور، وأقاما على ذلك مدة.فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت، وحصل رجيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال، فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة.فلما اعترفا، وظهر حالهما على يديه، ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره، بكى بكاء شديداً، وأمر بضرب رقابهما، ثم أمر بإحضار رصاص عظيم، وحفر خندقا عظيماً حول الحجرة الشريفة كلها، وأذيب ذلك الرصاص، وملأ به الخندق، فصار حول الحجرة الشريفة سورٌ رصاصٌ، ثم عاد إلى ملكه، وأمر بإضعاف النصارى، وأمر أن لا يستعمل كافر في عمل من الأعمال.ذكر هذه الحادثة جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي (ت٧٧٢هـ) في رسالة له اسمها: "نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى"، ويسميها بعضهم بـ"الانتصارات الإسلامية" نقلها عنه علي بن عبد الله السمهودي (ت٩١١هـ) في كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى"[٣١]. وذكرها الحافظ جمال الدين عبد الله بن محمد بن أحمد المطري (ت٧٦٥هـ)، وكان رئيس المؤذنين في الحرم النبوي، وهو مؤرخ، له كتاب "الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام" قال: "سمعتها من الفقيه علم الدين يعقوب بن أبي بكر عمن

[٣١]- وفاء الوفا للسمهودي (٢/١٨٨- ١٩٠) ، شذرات الذهب (٤/ ٢٣٠).

حدثه من أكابر من أدرك، أن السلطان محموداً...وذكر القصة بنحو ما سبق مع اختلاف يسير"[٣٢] نقلاً عن "وفاء الوفا".

**المحاولة الآثمة الرابعة:**

يذكر هذه المحاولة العلامة الرحالة ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد المتوفى سنة (٦١٤هـ)، وذلك في رحلته سنة (٥٧٨هـ). وذلك بعد وصوله الإسكندرية حيث قال:"لما حللنا الإسكندرية في الشهر المؤرخ أولاً -يعني ذي القعدة-، عاينًا مجتمعا من الناس عظيما بروزاً لمعاينة أسرى من الروم أدخلوا البلد راكبين على الجمال، ووجوههم إلى أذنابها وحولهم الطبول والأبواق، فسألنا عن قصتهم، فأخبرنا بأمر تتفطر له الأكباد إشفاقًا وجزعًا: وذلك أن جملة من نصارى الشام اجتمعوا و أنشأؤا مراكب في أقرب المواضع التي لهم من بحر القلزم -البحر الأحمر- ثم حملوا أنقاضها على جمال العرب المجاورين لهم بِكِراء –أي بأجرة– اتفقوا معهم عليهفلما حصلوا بساحل البحر سمروامراكبهم،وأكملوا إنشاءها وتأليفها،ودفعوها في البحر،وركبوها قاطعين بالحجاج، وانتهوا إلى بحر النعم، فأحرقوا فيه نحو ستة عشر مركبا، وانتهوا "عيذاب" –اسم مكان– فأخذوا فيها مركباً كان يأتي بالحجاج من جدة،وأخذوا أيضاً في البر قافلة كبيرة تأتي من قوص"عيذاب"، وقتلوا الجميع ولم يحيوا أحداً، وأخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة أعزهما الله،وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع مثلها في الإسلام ولا انتهى رومي ذلك الموضع قط.

ومن أعظمها حادثة تسد المسامع شناعة وبشاعة، وذلك أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم،وإخراجه من الضريح المقدس أشاعوا ذلك وأجروا ذكره على ألسنتهم، فأخذهم اللهباجترائهم عليه، وتعاطيهم ما تَحُولُ عنايةُ القدرِ بينهم وبينه، ولم يكن بينهم وبين المدينة أكثر من مسيرة يوم،فدفع الله عاديتهم بمراكب مرت من مصر والإسكندرية، دخل فيها الحاجب المعروف بـ"لؤلؤ" مع أنجاد المغربة البحريين، فلحقوا العدو وهو قد قارب النجاة بنفسه فأخذوا عن آخرهم، وكانت آية منآيات العنايات الجبارية، وأدركوهم عن مدة طويلة كانت بينهم من الزمان، نيف على شهر ونصف أو حوله، وقتلوا وأسروا،وفرق من الأسارى على البلاد ليقتلوا بها، ووجه منهم مكة والمدينة، وكفى الله بجميل صنعه الإسلام والمسلمين أمراً عظيماً، والحمد لله رب العالمين"[٣٣].

**الدروس والعبر من الوقائع السابقة:**

١- حفظ الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ثم أهلاكه لمن أراد أذيته صلى الله عليه وسلم.

٢- محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب المؤمنين حيث هب أهل المدينة لنصرته صلى الله عليه وسلم .

[٣٢]- وفاء الوفا للسمهودي (١٨٨/٢- ١٩٠) .

[٣٣]- رحلة ابن جبير (٣٤-٣٥) .

٣- فضل الملك الصالح نور الدين محمود زنكي، ووزيره جمال الدين الموصلي،حيث أراه الله نبيه واصطفاه لهذه المهمة ولذلك بكى وتأثر لهذه الكرامة والحدث الجلل.

٤- الحذر من تزييف المجوس، والنصارى، والملل المنحرفة التي تدعي الإسلام لمأرب وإنشاء مراكز لدراسة هذه الظواهر والتحذير منها.

٥- الفرق بين حرارة السلف واستشعارهم لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم! وبرود بعض الأجيال المعاصرة تجاه الحملات التي على النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- يجب على أولي الأمر من الأمراء والعلماء التأسي بالملك الصالح نور الدين، والوزير الصالح جمال الدين الموصلي في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٧- أن في كشف الله لهذه الوقائع، وحفظه لنبيه صلى الله عليه وسلم أكبر الدلائل والمعجزات على رسالته صلى الله عليه وسلم مما يستوجب الدخول في دين الإسلام.

**عرض تأريخي للإعتداء المعنوي على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم من قبل القرون الوسطى:**

وقبل القرون الوسطى ظهر يوحنا الدمشقي سنة (٦٧٦- ٧٤٩)،وأستاذه كوسماس والذي أتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن بحيرى النسطوري ساعد الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابة القرآن!،وأن ورقة بن نوفل كان يترجم الإنجيل المحرفة إلى العربية! ثم أخذ يوحنا بكتابة سلسلة من الكتب ومنها كتاب مشهور بـ"الهرطقة"يهاجم فيها الرسول صلى الله عليه وسلم شخصياً؟! ودين الإسلام،وفي الأندلس وبإيعاز من الكنيسة الأسبانية أتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مسكون بالشياطين،وأنه ضدالمسيح عليه السلام؛تمهيداً للحملات الصليبية،ومن أبرز من كتب كتابات مسيئة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم:(مارتن لوثر) (١٤٨٣- ١٥٦٤) الذي زعم زوراً وبهتاناً أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشيطان؟! وهو أول أبناء إبليس؟! وفي هذا تناقظ واضح كيف يكون أب وابن في آن واحد؟! وهذا ليس بغريب، فقد قالوا عن عيسى أنه ابن الله؟!تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً،كما زعم أن الرسول كان مصاباً بمرض الصرع! وكانت الأصوات التي يسمعها جزء من مرضه، يقصد الوحي!حاشاه صلى الله عليه وسلم بل هو وحي من الله جل وعلا.

**أثناء القرون الوسطى**:

على الرغم من حرص علماء الأندلس المسلمين على الحوار مع نصارى الأندلس من خلال بيان المسائل المتفق عليها بين الديانتين إلا أن نصارى الأندلس رفضوا ذلك!وأخذوا بالنيل من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ومن أشهرهم"ايلوجيس" الذي ركز على رفض الإسلام لفكرة الثالوث واعتبار الرسول محمد للسيد المسيح مجرد نبي أو رسول؟!

ثم توالت كتاباته في النيل من الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار رسالته ونبوته صلى الله عليه وسلم، وتزامنت هذه الكتابات مع محاولات من قبل قس آخر يدعى"الفاروس".وكان لهاذين

الكاتبين دور كبير في نشوء ما سمي بالاستشهاديين المسيحيين الذين قاموا ببعض العمليات الانتحارية ضد المسلمين في الأندلس.

## الفصل الثاني

## التحديات المعاصرة ( الرسوم المسيئة، والأفلام)، توقيت ظهورها والدوافع وراء ذلك

لقد ظهرت حملات عدة ضد دين الإسلام ،و نبيه صلى الله عليه وسلم، وكتابه القرآن الكريم، من دوائر فيالعالم ومراكز مشبوهة معروفه تخالف ما تدعو إليه من التسامح واحترام الرأي الآخر وحرية التعبير،ونبذ أسباب العنف والإرهاب والتطرف!؟في حين أنها تمارس أبشع وأشنع صور الأحادية والتطرف والإرهاب؟! ثم ترمي الآخرين بها وتطلب منهم الصمت وعدم رد الفعل في ظلم واضح وعنصرية مكشوفة للأطفال والمجانين؟! فضلاً عن العقلاء، والنبلاء، والعلماء مما يؤججبؤر الصراع في العالم وينذر بالويلات والحروب؟!! وهي امتداد لما سبق من حملات يهود المدينة، ويوحنا الدمشقي، ومارتن لوثر، وايلوجيس، والفاروس. وغيرهم من الأشقياء، وفي العصر الحديث ظهر الدجال سلمان رشدي؟!! ليطعن من جديد في شخص النبي صلى الله عليه وسلم من خلال روايته الآثمة:"آيات شيطانية"؟!!والاسم يدل على المسمى وواضعه؛ حيث صدرت هذه الرواية في لندن ٢٦/ سبتمبر / ١٩٨٨م،وبعد تسعة أيام من صدور هذا الكتاب منعت الهند واضع الكتاب من دخول أراضيها، وتلقت دار النشر التي أصدرت الكتاب آلاف الرسائل والاتصالات بسحب الكتاب، وقامت مظاهرات في أنحاء العالم،وأحرقت آلاف النسخ من الكتاب في المملكة المتحدة في ١٤/ يناير/ ١٩٨٩م.

### المبحث الأول: وقت ظهور الرسوم والأفلام والدوافع وراء ذلك:

في الحادي عشر من سبتمبرعام ٢٠٠١موقع حدث غريب في الولايات المتحدة الأمريكية،وقبل أن ندخل في الكلام عنه نحب أن نذكر بأن دين الإسلام يحوي أسس الحضارة والرحمة والحوار واحترام حقوق الإنسان،وأحكام السلم والحرب حيث سبق معاهدات جنيف في هذا الميدان ولديه من التشريعات الفقهية ما يضمن السعادة للبشرية لأنه من الخالق سبحانه،ومع ذلك فإن خصومه يكيدون له.

وقد لوحظ قبل هذه الأحداث انتشار الإسلام والمراكز الإسلامية في أنحاء المعمورة، وكذا وقوف الولايات المتحدة ضد قضايا العالم لسيطرة القطب الواحد بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي.وخاصة قضايا المسلمين، وعلى رأسها قضية فلسطين، مما ينذر بويلات في العالم، والله سبحانه من ورائهم محيطوقد أتهم المسلمين بهذه الأحداث مباشرة، ودين الإسلام، ونبي الإسلام.؟! وعلى إثرها احتل بلدين مسلمين: أفغانستان، والعراق، وضيق على العمل الإسلامي و الإغاثي في العالم الإسلامي وقد تعجبت لهذه الأحداث في حينها وكنت أتوقع مثل ذلك؛للموقف المتطرف للولايات المتحدة من قضايا المسلمين وخاصة قضية فلسطين، واختلفت الآراء فيمن قام بها، ونسب الأمر للمسلمين؟!.

ومع إنكاري لأي عمل مرتجل لايبنى على علم؟! فقد لاحظت ولأول وهلة من مشاهدتي الحدث أنه ملفق لما يلي:

١- عندما أخبر الرئيس بوش لم يتفاعل بالنهوض عند سماعة للخبر بل اكتفى بالتحديق البسيط.

٢- أن هناك كميرات كانت ترصد الحدث وكأنها مستعدة له؟! ترقب الطائرات لحين قدومها.

٣- أن الطائرات ضربت من أعلى المبنى، وقد قوض من أساسه، وهذا يدل على وجود عملاء في أسفل المبنى.

٤- وجود قرائن تاريخية للإعداد لهذا العمل قبل وقوعه، ومنها تمثيل فلم يصور تعرض هذا المبنى لمثل هذا الهجوم.

٥- وجود قرائن على الرغبة في هدم مبنى التجارة؛ لأن تصميمه قديم وظهر له منافس في بعض أنحاء العالم كالبرجين التؤم في كوالالمبور بماليزيا.

٦- وعلى فرض أن الذي قام به من المسلمين ،فلماذا تعمم التهمة على مليار مسلم، ودين في قارات العالم ورسول السلام صلى الله عليه وسلم ؟!! وقبل البحث في الحدث لماذا لايبحث في أسبابة ومبرراته، قبل أي رد فعل غير محسوب.

٧- يوجد برنامج وثائقي-مع تحفظي- عن الموضوع في قناة الجزيرة يوضح بالأسماء من قام بهذا العمل من اللوبي الصهيوني في إدارة بوش، وكذا وضح الفلم استقالة البعض ممن لم يؤيد التخطيط لهذا العمل.

٨- ظهرت بعد كتب مطبوعة لكبار الشخصيات الأمريكية، وبعضهم كان مرشح للرئاسة ينفي قيام أيتنظيم إسلامي بالقيام به، وينسب ذلك لإدارة بوش الابن؟!وقد ظهر بعد ذلك ما يصدق ما ذهبت إليه على الرغممن أنه لم يكن لدي وسائل للاطلاع كبيرة في حينها،ومن ذلك كتاب" الخدعة الرهيبة " للمؤلف الفرنسي تييري ميسان[٣٤].

٩- بعد هذا الحدث ظهرت كتابات تطعن في دين الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم!؟ومنها:

- ملكة الدنمارك" مارقريت" ألفت كتاباً عن الحضارة الأوربية وذمت الإسلام والمسلمين، والرسول صلى الله عليه وسلم.
- رئيس وزراء الدنمارك أشار ثلاث مرات منذ أحداث سبتمبر إلى أن أهل الإسلام حثالةالشعوب؟!.

---

[٣٤]- انظر:كتاب " كشف المستر لأنور مسعود"، "الخدعة الرهيبة" للصحفي الفرنسي " تييري ميسان " ، التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١- سبتمبر" إدريس لكراني ".كما يوجد أكثر من ثلاثمائة مؤلف في الأحداث، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط عدد رقم " ٨٦٨٥" ١٤٢٣/٧/٢هـ- ٢٠٠٢/١١/٨م.

- عدد من الصحف الدنمركية نشرت مقالات تنتقد فيها الإسلام، ورسول الإسلام؟!. ثم ختمت القضية بالرسومات التي أثارت الناس؟!.

ومن أشهر الكتب في ذلك كتاب اسمه:"نبي الخراب"**!؟** للمؤلف"كريك ونن" حيث وصف النبيصلى الله عليه وسلم بأوصاف لا تليق! وأن هدفه السلطة! ثم بدأت الإساءة في الصحف الدنمركية في سبتمبر ٢٠٠٥م، حيث قامت صحيفة دنمركية مشهورة تسمى:"بلاندز بوستن"بإقامة مسابقة لرسم كاريكاتير للنبي محمد، وقامت باختيار"١٢"رسمة من الرسوم المرسلة، وفيها استهزاء وسخرية من النبي محمد فإحداها تظهر النبي وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل؟! **وقد**حاولت الجالية المسلمة في الدنمارك منع هذه الرسوم، ولكن الجريدة رفضت،وأيدتها الحكومة الدنماركية بحجة: حرية الرأي. وكانت ردت فعل العالم الإسلامي والمسلمين كما يلي:

١- استنكر تكثير من الدول الإسلامية هذا الحدث، وكذا المجالس التي تمثلها مثل:مجلس دول الجامعةالعربية على مستوى الوزراء، والمملكة العربية السعودية حيث سحبت سفيرها في الدنمارك للتشاور، وليبيا أغلقت سفارتها في الدنمارك، وصدرت إدانة من هيئة علماء المسلمين بالعراق،وبرلمان الكويت، ومصر، وبدأت المقاطعة للمنتجات الدانمركية وغالبها من منتجات الألبان وذلك عبر الصحف، والقنوات ورسائل الجوال، والمراكز التجارية الكبرى في الخليج،وحاولت هذه الشركات تفادي المقاطعة لكن دون جدوى، وذلك عبر إعلانات في جريدة الشرق الأوسط،وهبت حملة شعبية، مصاحبة لذلك، بتنفيذ المقاطعة، وأحرقت السفارة الدانمركية والنرويجية بسوريا،والدنماركية بلبنان، واقتحمت السفارة الدنماركية بأندنوسيا من قبل المتظاهرين، وحدث به أضرار جسيمة، وطردت إيران البعثة السياسية الدانمركية، والصحفيون الدنمركيون من أراضيها.

٢- ومن المحاولات الآثمة: كتيب "محمد صدق وإلا" :حيث قامت شركة "كيرسنت مون ببليشنغ" بنشر هذا الكتاب باسم مستعار لرسام وهو"عبد الله عزيز" للحد من تغلغل المسلمين السود في منظمة أمة الإسلام. وهوعبارة عن كتيب"٢٦"صفحة، ويطرح الكتيب السنة النبوية والحديث الشريف بصورة مهينة! ناهيك عن الرسوم التي تظهر النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مشوهة لإقناع السود الأمريكيين بعدما لتحول منظمة أمة الإسلام، والناشر وضع اسمه على الكتاب إلا أنه رفض وضع الكتيب على موقعها لإلكتروني، وترك الدعاية للمؤلف الذي أنشاء صفحة على الانترنت للدعاية والبيع لهذا العمل المشين؟!. ستكتب شهادتهم ويسألون.

٣- ومن الأعمال المسيئة "فلم الخضوع" للكاتبة أيان حرسي علي:حيث قامت "أيان ماجان" مع منتج الأفلام الهولندي "ثيوفان غوخ" بكتابة وتصوير فلم "الخضوع" والذي تدور أحداثه حول الظلم الذي تتعرض له النساء في الثقافة الإسلامية، وقد

قتل منتج الفلم، وتزمعأيان إعادة إنتاجه مرة أخرى، وقد انتقد الفلم بشدة من قبل المسلمين الهولنديين، وغضب المسلمون من ذلك[٣٥].

**والذي ظهر لي من الدوافع وراء هذه الحملة المسعورة ضد رسول الإسلام ودين الإسلام مايلي:**

١- ماصرح به بوش الابن في زلة لسان أن حربه على أفغانستان، والعراق صليبية، فهذه الرسومإمتداد لماذكرمن الحروب الصليبة السابقة.

٢- نظراً للقبول لدين الإسلام مع الانفتاح الإلكتروني والإعلامي، وكثرة الداخلين في الإسلام في أوربا وأمريكا.

٣- لكثرة الانتحار، وعدم القناعة بالعمل من قبل أفراد القوات الغربية وغيرها؛ التي تعمل في مناطق الصراع. كأفغانسان والعراق؛ ولأجل رفع معنوياتهم المنهارة، وعدم قناعة الأسر والشعوب المشاركة في هذه النزاعات،فلا بد من سب رسول الإسلام ودين الإسلام؟! حتى تكون مواجهات بين المسلمين، وتلك الشعوب، فيقتنعون بوجود أبناءهم في مناطق الصراع؛ خاصة مع كثرة النعوش العايدة من تلك الأماكن؛ ولتخف حدة المعارضة الداخلية في تلك الأمم لهذه الحروب.

٤- **الربح التجاري:** فبعض الصحف تعيش أزمة نشر وتوزيع حقيقية، وهي تريد تحقيق رقم مبيعات أعلى لتنقذ نفسها من شبح الإفلاس والإغلاق، وهو ما ذكره المفكر المغربي "المقري" في حواره بموقع إسلام أون لاين في٢٠٠٦/٣/٢٢م، ودلّل عليه بأن أول جريدة فرنسية نشرت الرسوم، وهي: "فرانس سوار"كانت تعيشأزمة نشر وتوزيع، إذ كان رقم مبيعاتها اليومي في الستينيات مليونون صف نسخة، وصار الآن أقل من ٤٥ ألف نسخة. ومثلها الكثير من الصحف الدنماركية،التي تبحث لنفسها عن حدث ما أو خبر ما -كتلك الرسوم- لتستثير بها قومًا آخرين،ومن ثم تعود مبيعاتها إلى الارتفاع مرة أخرى، وتنجو بنفسها من شبح الإفلاس أو الإغلاق.

٥- **تحدي مشاعر المسلمين:**استفزاز مشاعر المسلمين وكان ذلك واضحاً من نشر هذه الرسوم المسيئة أكثر من مرة في دول الاتحاد الأوربي بدأً من الدنمارك إلى غالبية الدول الأوروبية في الأزمة الأولى،ثم أُعيد نشره في (١٧) صحيفة في الأزمة الأخيرة.

٦- **تعجيز أمة الإسلام:**وذلك من خلال تعميم الرسوم على أكثر الدول التي تتعامل معها الدول الإسلامية؛حتى تعجزعن مقاطعة الجميع.

٧- **العدوانية والتعصب:** وهو ما أثبته أحد المتخصصين في مجال الطب النفسي، بعد أن قام بتحليل هذه الظاهرة، وأثبت أن هذه الرسوم تظهر نزعات عدوان يقول الدكتور رامز طه[٣٦] –

---

[٣٥]- انظر موسوعة " ويكيبيديا " على الانترنت بعنوان " الرسوم المسيئة ".وموقع منظمة النصرة العالمية للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

استشاري الطب النفسي- في دراسة حديثة نشرها بموقعه:"لقد وجدت الكثير من دلالات العدوانية والتعصب عند تحليل هذه الرسومات المسيئة، فعلى سبيل المثال: أظهرت كثير من هذه الرسوم المبالَغة في حجم الرأس وتأكيد ملامح الوجه بصورة قبيحة. ويعتبر هذا دلالة اهتمام الرسام بالمظاهر الخارجية، وانعكاس لعدوان مكبوتٍ يصاحبه في نفس الوقت اعتراف لا شعوري بقوة الشخص المرسوم ومكانته، وأضاف أنه ظهر في رسوم أخرى عدم وجود الفم مطلقًا، رغم وجود باقي ملامح الوجه، ويعتبر ذلك من الدلالات اللاشعورية على ميل الرسام لرفض الاستماع للآخر، ربما هروبًا أو خوفًا من قوة الحجة والاستمرار في إنكار الحقيقةالتي جاء بها الرسول، كما قد تشير إلى العدوان السلبي بالترك، وقد يكون دلالة أيضًا على تضخم الذات ورفض التواصل مع الآخر،وبيّن أنه في أكثر من رسم أظهر الرسام الفم بخطوط بيضاوية، أو منحنية مع إبراز الأسنان وتأكيدها،مما يعتبر دلالة على الميول للنزعات العدوانية للرسام أيضًا[٣٦]، وقال الدكتور رامز طه: لقد "رسم هؤلاء الرسامين أنفسهم،وأسقطوا على الرسوم خبايا نفوسهم المريضة،وليتهم قرأوا عن جمال وجهه الشريف وطهارة سلوكه العفيف صلى الله عليه وسلم -إن هذه الرسوم والكلام للدكتور طه- تشير إلى انتقال الغرب من مرحلة الإسلاموفوبيا -والتي تعني الخوف من الإسلام- إلى الإسلام وكوست- والتي تعني كي وحرق مشاعر المسلمين بهذه الحملة من الاستهزاء والسخرية والإهانة، لأسمى رموز الإسلام-لا سيما وأنه لم يصدر من المسلمين ما يشوه أو يسخر من أي عقيدة أو ديانة أو أي رسول من الرسللا تحسبوه شرًا لكمإن العاقل لا يستسلم للأوضاع السيئة ولا يرضخ للأحداث الأليمة، بل يحسن به أن ينظر نظرة أخرى مغايرة لما ينظر إليه أكثرالمسلمين، وهي النظرة الإيجابية لهذا الحدث(رغم سوئه وبشاعته)أو الفوائد التي تعود على هذه الأمة من هذا الحدث، **ولعل من بين تلك الفوائد ما يلي:**

- إيقاظ الأمة من نومها وأحياء روح المدافعة فيها،يقول شيخ الإسلام بن تيمية:"ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه فيُحق الحقَّ بكلماته ويقذفُ بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[٣٧]"[٣٨].

- زيادة أعداد المسلمين الداخلين في الإسلام، -فبعد إثارة مثل هذه الأزمات- يدخل في فرنسا لوحدها (٤٠) فرنسيًا كل يوم.

---

[٣٦]- انظر: موقع الدكتور رامز طه على الانترنت.

[٣٧]- الآية (٨) سورة الصف.

[٣٨]- مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٢٨/ ٥٨) .

- إقبال المسلمين على قراءة السنة والسيرة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتطبيقها في واقع الحياة، وقد طبع أكثر من(١٧,٠٠٠) سبعة عشر ألف كتاب منذ الأزمة الأولى وحتى الآن، تتحدث عن سيرته -صلى الله عليه وسلم-، ومنها ما تُرجم إلى لغات عديدة.
- زيادة محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-في قلوب المسلمين، مصداقًا لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:((فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)) [٣٩].
- تفاعل المسلمين الإيجابي مع الأحداث بتفعيل سلاح المقاطعة التجارية حتى قال أحد الدنماركيين: "ما بنيناه في أربعين سنة خسرناه في أسبوع واحد".
- تحقيق الولاء للمؤمنين والبراءة من أعداء الدين، الذين يعادوننا ويسبون الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ويدنسونكتابه[٤٠].
- التعرف على العداوة التي يكنها كثير من اليهود والنصارى تجاه المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [٤١].

**المبحث الثاني: العقوبات الربانية لمن يفعل ذلك.**

إن الله سبحانه يؤيد رسله وينصرهم على من عاداهم قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [٤٢]، فهي سنة ماضية ذكرها القرآن وشهد لها التاريخ في صفحاته، والمكان في رسومه وأطلاله،ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثاً، فقد أهلك الله قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون وجنوده، وذكر ذلك في القرآن متواتر قال تعالى:﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [٤٣].

---

[٣٩]- أخرجه البخاري -كتاب الأيمان - باب حب الرسول صلى الله عليه و سلم من الإيمان– رقم (١٤) (١٤/١) .

[٤٠]- انظر موقع الدكتور : راغب السرجاني حيث أشار إلى هذه الدوافع، وأضفت بعضها.

[٤١]- الآية (١١٨) سورة آل عمران .

[٤٢]- الآية (٤٠) سورة العنكبوت .

[٤٣]- الآية (٥٢) سورة النمل .

وفي عهد نبينا صلى الله عليه وسلم نصره على الأحزاب في المعركة الشهيرة في حياته، وعاقب بني قريظة بحكم سعد بن معاذ المؤيد بإقرار الله ورسوله له،ومن نصرته لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: **((كان رجل نصرانياً،فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران،فكان يكتب للنبي صلى الله عليه و سلم، فعاد نصرانياً، فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له،فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا:هذا فعل محمد وأصحابه؛ لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا،فألقوه فحفروا له فأعمقوا،فأصبح وقد لفظته الأرض،فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه))** [٤٤].

ثم أهلك من أراد قبره بسوء كالمحاولات التي قام بها الحاكم العبيدي، ووزيره أبو الفتوح حيث أرسل الله عليهم الريح العاتية فأهلكت العير، والخيل وباءت محاولاته في نقل القبر إلى مصر بالفشل، وأيد الله السلطان نور الدين محمود زنكي بالرؤيا الصالحة؛حيث كشف مؤامرة النصارى، وقتل الرجلين اللذين رأهما في المنام وكنا يريدان سرقة الجسد الشريف الطاهر،ثم سلط الله على النصارى الذين قدموا إلى الحجاز للاعتداء على الجسد الشريف فكشف أمرهم من قبل الجند المصريين، والمغاربة كما ذكر ابن جبير في رحلته، وقدم بمن نجا منهم في شرحال، وفي وقتنا المعاصر قتل المخرج الهولندي: "ثيو فان" صاحب فلم الخضوع الذي أساء فيه للنبي صلى الله عليه وسلم، من قبل محمد بويري. قال ابن تيمية رحمه الله: " كنا نحن نحاصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة"[٤٥].

## المبحث الرابع: واجب المسلمين وغير المسلمين في الدفاع عن جناب النبي صلى الله عليه وسلم

**وهذه بعض الواجبات العملية التي تساعدنا في الذود عن نبينا صلى الله عليه وسلم.**

١- الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كافة جوانب الحياة.

٢- إحياء سنته وتطبيقها في واقع الحياة، على فقه وبصيرة.

٣- الدفاع عن جناب الرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال مخاطبة من تجرأ عليه وتوقيع المعاهدات والمواثيق لتجريم من يعتدي على شخصه الكريم،ثم استخدام المقاطعة التجارية والمحاكمات لمن تجرأ على شخصه صلى الله عليه وسلم.

---

٤٤- أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب المناقب – باب علامات النبوة – رقم (٣٤٢١) (١٣٢٥/٣).من حديث أنس .

٤٥- الصارم المسلول (١١٥/٣).

٤- توضيح منهج المسلمين في الإيمان بكافة الرسل عليهم السلام، واحترامهم مما يدل على صحة دينهمفهم لا يعتدون على موسى، وعيسى عليهم السلام. فكيف يليق ببعض أتباعهما الاعتداء على شخص النبي صلى الله عليه؟!إن هذا يدل على تحريف الكتب والديانات السابقة؛ إذ ليس هذا من سماحة الدين الحق.

٥- إقامة دروس السيرة العطرة في المساجد والدور وأخذ الدروس والعبر منها.

٦- تشجيع أفراد المجتمع كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً على حفظ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، والعمل بها ووضع الجوائز على ذلك.

٧- الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك لنستشعر مقدار البذل والتضحية التي قدمها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل توصيل هذا الدين إلينا جميعًا.

٨- استخدام الوسائل الحديثة من وسائل أعلام، ومواقع إلكترونية، ووسائل التواصل الاجتماعي من فيس بوك وتويتر، ويوتيوب؛ لنشر سنته والدفاع عنه بشرط المصداقية والفقه وتكون هذه المواقع باللغات الحية في أنحاء العالم ومنهم من يسلم إثر ذلك.

٩- طبع الكتب والرسائل واستخدام الجديد من الوسائل بالمراكز الغربية- للأوروبيين مثل للتعريف بالإسلام ونبي الإسلام-صلى الله عليه وسلم.

١٠-إنشاء الأوقاف التي تصرف على مشاريع التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم وبعث الدعاة المتخصصين لذلك.

١١-استخدام المقاطعة الاقتصادية في رد هؤلاء وإنشاء محاكم دولية؛ لمقاضاتهم مع بيان الدوافع وراء الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم.

١٢-إقامة حلقات النقاش في الأماكن التي ظهرت فيها الرسوم وإقناعهم بالقواسم المشتركة وأن من يثير الرسوم هدفهم إذكاء الصراع؛ لمصالح اقتصادية ودوافع سياسية لا تمثل شعوب تلك الدول.

**الخاتمة:**

وفي الختام فإن يمكن أن نجمل البحث بإن الحياة تدافع بين الماديات كما ذكر ابن القيم بين الشبع والجوع والري والعطش، والحر والبرد وكذا الإيمان وضده قال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[٤٦] وقد تبين مما سبق رحلة التحديللمنهج الحق المتمثل في الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم عبر التاريخ إلى وقتنا المعاصر ، وأن من عزم الأمور

[٤٦]-الآية (١٨٦) سورة آل عمران.

الصبر والتقوى قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٤٧]، ويمكن أن نوجز أهم النتائج فيما يلي:

١- إن لله حكمة في تدافع الحسيات والمعنويات، للابتلاء وتحفيز العاملين.

٢- إن العداوة والتدافع بدأت منذ رفض الشيطان السجود لآدم عليه السلام.

٣- إن ذلك أمتد بين الرسل وأقوامهم عبر التاريخ البشري وقد عرض القرآن ذلك في أكثر من سورة
كالبقرة، وآل عمران، الأعراف، هود، الشعراء، وغيرها من سور القرآن الكريم.

٤- إن الرسول صلى الله عليه وسلم كمثل سائر الرسل ناله من ذلك الأذى حياً وميتاً صلى الله عليه وسلم كما أشار القرآن الكريم والسيرة إلى ذلك، حيث آذاه الأقربون كأبي لهب وقريش، واليهود في المدينة.

٥- وبعد موته ذكرت كتب التأريخ أربع محاولات للاعتداء على قبره صلى الله عليه وسلم من قبل الحاكم العبيدي، ومن قبل النصارى محاولتان أحدهما قضى عليها نور الدين محمود زنكي،والثانية القائد لؤلؤ مع جندمصر والمغرب كما ذكر ابن جبير رحمه الله في رحلته.

٦- امتداد الاعتداء من قبل القرون الوسطى وأثناءها وبعدها،من قبل"يوحنا الدمشقي، إيلوجيس، الفاروس، سلمان رشدي، ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر،وفي الدنمارك ملكة الدنمارك (مارقريت) بكتابها في ذم الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية، ورئيس وزراء الدنمارك،ثم "كريك ونن" في كتابه "نبي الخراب"،وصحيفة "بلاندز بوستن" بالرسوم المسيئة،وفي أمريكا كتاب"محمد صدق وإلا"والذي نشرته شركت "كيرسنت" لصاحب الاسم المستعار "عبدالله عزيز"،ثم فلم الخضوع لـ"أيان حرسي"،ومنتجه الذي قتل"ثيوفان غوخ" كل ذلك لأهداف استعمارية ولصد الناس عن دين الإسلام.!؟

وفي الختام فإن الله سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الحق، وأن مآل من اعتدى على شخصه الخسران في الدنيا والآخرة والله من وراءهم محيط وعليهم ظاهر وهو العزيز الحكيم.



[٤٧]- الآية (٤٩) سورة هود.

# الإساءات المتكررة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه

**د. مي بنت محمد هلال الحربي**
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك



**مدخل البحث:**

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، نبينا محمد بن عبدالله، الصادق المصدوق، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه الذابين عن سنته وشريعته إلى يوم الدين.. أما بعد:

تزايدت في السنوات الأخيرة حملات منظمة يقوم بها بعض الزعماء الدينيين والسياسيين والمثقفين والإعلاميين، وليس هذا الأمر جديداً على أعداء الرسل والرسالات؛ بل هو قديم قدم الرسالة السماوية المباركة وتضمن البحث الإشارة إلى الإساءات ضد الرسول صلى الله عليه وسلم في القديم وفي الوقت المعاصر والدفاع عنه.

## المحور الأول

## الإساءات للرسول صلى الله عليه وسلم في القديم

الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تتوقف منذ أن نزل عليه الوحي بالرسالة، وكذلك حال جميع الأنبياء قبله وجميع الصالحين بعده، قال الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: ٣١].

قال القرطبي: (أي كما جعلنا لك يا محمد عدو من مشركي قومك فكذلك جعلنا لكل نبي عدو من مشركي قومه، فاصبر لأمري كما صبروا، فإني هاديك وناصرك على كل من ناوأك)([١])، وقال الرازي: (يجوز أن يكون العدو واحداً وجمعاً كقوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ} [الشعراء: ٧٧][٢]).

وقد كانت هذه الإساءات تأخذ صوراً شتى منها:

**أولاً**: إساءات المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم سباً وشتماً وإيذاءً معنوياً ومادياً، وقد سجل القرآن الكريم إساءات الكفار والمشركين ضد شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه بعض إساءاتهم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٣ ص٢٧، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ج٢٤ ص٦٨ ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ

**١. اتهامه بالجنون والكهانة والسحر والكذب:**

- {وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ }[ص: ٤].

- { فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ} [الطور: ٢٩].

**٢. اتهامه بتأليف القرآن وافترائه كذباً على الله.**

- { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا} [الفرقان:٤].

**٣. السخرية من النبي صلى الله عليه وسلم:**

-{ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١].

**٤. قولهم عن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر:**

- { وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ } [الحاقة: ٤١].

**ثانياً**: إساءات اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد تنبأ القرآن بإساءاتهم فقال تعالى: {لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ } [آل عمران: ١٨٦].

قال ابن كثير: (يقول الله تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلياً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، وأمراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج الله تعالى)[٣]، وهذا ما فعله اليهود بعد الهجرة حيث قالوا: السامُ عليك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السّام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله: قد قلت: وعليكم»[٤].

وكذلك محاولتهم قلته بالسم، (وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة قد وضعت فيها السم)[٥].

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج١ ص٤٣٥، ط.عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ

(٤) الحديث صحيح، أخرجه الإمام البخاري في فتح الباري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين (٢٧٢/٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٥) الحديث صحيح، أخرجه البخاري في فتح الباري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمة كله (٤٦٣/١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

ويقرر القرآن الكريم في غير ما موضع فيه قضية العداوة الدينية للإسلام لدى أهل الكتاب وسخريتهم بتعاليمه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

يقول ابن الجوزي في حديثه عن أسباب النزول: (إن اليهود حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك الأذان وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت في هذا الآذان الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت وأسمج هذا الأمر فنزلت هذه الآية)[٦].

ثالثاً: إيذاء المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم:

إيذاء المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بالمواجهة لأنهم أعلنوا كلمة الإيمان، وكان الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم بقلوبهم وفيما بينهم في مجالسهم والقرآن بين أنواع إيذائهم للرسول ومنها أنهم يلمزون في الصدقات، ويقولون هو أذن، ويحلفون له كذباً ليضللوه إلى آخر ما كانوا يفعلونه.

## المحور الثاني

## الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت المعاصر

إن الحملة المعادية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تتوقف منذ أن نزل عليه الوحي بالرسالة ولن تتوقف إلى قيام الساعة.

والإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت المعاصر هي أشد حملات العداء وأعتاها، فاشتد الهجوم في الغرب على الإسلام والمسلمين بعد الهجوم على مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى البنتاجون في واشنطن يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وأصبح الهجوم على الإسلام وبنيه مادة يومية في الصحافة والتلفزيون وشبكة الإنترنت والقنوات الفضائية والأفلام السينمائية و الكاريكاتير... إلخ، وكل مسلم موضع اتهام في الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا بمجرد اكتشاف أنه مسلم[٧].

والإساءة في الوقت المعاصر إما أن تصدر من كفار أصليين، كاليهود والنصارى الحاقدين، ومن مظاهر هذه الإساءة ما يأتي:

**١- الإساءة بالقول:**

وهي ما صرح به عشرات الكتّاب والمفكرين والسياسيين من الدول الغربية في كثير من الكتب والإصدارات ووسائل الإعلام ومن ذلك:

---

(٦) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ج٢ ص٢٩٣)، المكتبة التجارية. مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

(٧) انظر: التطاول المعاصر على النبي صلى الله عليه وسلم مظاهره وبواعثه. أ.د.ناصر العمر.

أ. ما قاله جيري فالويل Jerry Fauell وهو قسيس إنجيلي معروف له برنامج إذاعي وتلفزيوني يصل إلى أكثر من عشرة ملايين أسبوعياً، وله جامعة أصولية خاصة تسمى جامعة الحرية، ويهاجم فالويل النبي صلى الله عليه وسلم من خلال بعض وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، ومما قاله فالويل مساء الأحد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م، في برنامجه ٦٠ دقيقة، ما نصه: (أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه رجل عُنف، ورجل حروب... في اعتقادي المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى، وأنا أعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً!!

ب. بات روبرتسون Pat Robertson وهو قسيس إنجيلي معروف باهتماماته السياسية وتأييده المعلن لإسرائيل، ويملك عدد من المؤسسات الإعلامية، وهو مشهور بمهاجمة الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله: (كل ما عليك فقط أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن، إنه يدعوا قومه إلى قتل المشركين...، إنه رجل متعصب إلى أقصى درجة...، إنه كان لصاً وقاطع طريق)[٨].

وهذه بعض الشواهد وإلا فإن كتاب الله قد أخبرنا عن غاياتهم، ومقاصدهم الدينية يقول سبحانه: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠] [٩].

**٢- الإساءة بالفعل:**

وهذا ما فعلته صحيفة (جيلاندز بوستن) الدنماركية عندما تجرأت في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م على نشر اثني عشر رسماً كاريكاتيرياً تصور الرسول صلى الله عليه وسلم في أشكال مختلفة، وفي أحد الرسوم يظهر مرتدياً عمامة تشبه قنبلة ملفوفة على رأسه، الأمر الذي آثار انتقادات واسعة واحتجاجات من قبل الأقلية المسلمة في البلاد وطالبوا باعتذار رسمي من الصحيفة التي رفضت ذلك محتجة بأن ما نشرته يدخل في إطار حرية التعبير.

ثم قامت مجلة (ماجزينت) النرويجية يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/١/١٠م بإعادة نشر الرسوم نفسها ([١٠]).

وما اشتهر في بعض المواقع، وما نشرته صحيفة (هيوستن برس) الأمريكية الأسبوعية، في ولاية تكساس من إعلان لدار عرض أمريكية تعرض فيلماً إباحياً بعنوان «الحياة الجنسية للنبي محمد» ورغم الاحتجاجات التي تلقتها دار السينما من مسلمي ولاية تكساس، إلا أنها رفضت إيقاف عرض

(٨) الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة، الحسيني معدي، ص١٢، دار الكتاب العربي. بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

(٩) المصدر السابق. وانظر: لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب مع بني الإسلام. د.باسم خفاجي، ص٣٩ وما بعدها.

(١٠) انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة، الحسيني معدي ص٦٢ – ٦٤.

الفيلم، واستعانت بالشرطة لصد المتظاهرين، ومع ذلك لم يتخذ أي إجراء لمنع عرض الفيلم من قبل المسؤولين ([11]).

وكذلك أسهم بعض المرتدين المنافقين من أبناء الإسلام في تشويه صورته وشريعته ونبيه صلى الله عليه وسلم ومنهم:

أيان حرصي علي، وهي صومالية الأصل، وكانت عضواً في الحزب الليبرالي، وألفت قصة فيلم «الاستسلام»، الذي تسبب في اغتيال (ثيوفان جوخ) على يد أحد المسلمين في نوفمبر ٢٠٠٤م، وقد كانت تعيش تحت حماية الشرطة[12].

## المحور الثالث

## الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

إن نصرة رسولنا صلى الله عليه وسلم شرف عظيم لكل من يقوم به، وواجب محتوم فهو صلى الله عليه وسلم وإن كفاه الله المستهزئين بقوله تعالى: { إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ }[الحجر: ٩٥]، إلا أننا مطالبون بالعمل:{ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ } [التوبة: ١٠٥]، وهو الذي حثنا الله تعالى على نصرته: { إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ } [التوبة: ٤٠].

ومن الوسائل في الدفاع عنه:

١- البدء بالمسلمين.

عن طريق تعريف الأمة الإسلامية أكثر بنبيها، فكثير منهم لا يعرفونه حق المعرفة:

١- قسم غالون مفرطون يصفونه بصفات الألوهية ويطرونه بما نهى هو عنه ويعتقدون فيه أموراً مخالفة لما جاء به كلياً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[13].

٢- قسم آخر مفرطون فيه مسيئون للأدب معه، فلا يؤدون حقه، ولا يعرفونه، ولا يعزروه كما أمر الله: {{ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }}[الفتح: ٨، ٩].

قال ابن كثير: («ي» قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد تعظموه «ب» من التوقير وهو

(١١) موقع إسلام ويب www.islamweb.net موقع وكيبيديا العالمية على شبكة الإنترنت ar.wikpedia.avy

(١٢) موقع لوكيبيديا العالمية على شبكة الإنترنت.

(١٣) الحديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (١٤٢/٤).

الاحترام والإجلال والإعظام)[١٤].

فعلينا أن نعرف حقه وأن تعرف الأمة رسولها وفي ذلك فوائد:

- تصحيح عقيدتها ومعرفتها بنبيها.
- تحصيل الاقتداء.
- زيادة الحماس والدفاع عنه والتمسك بسنته.

٢- الانتفاع من وسائل العصر:

حيث لم يُقدر للبشرية أن تتكاثر عليها وسائل الاتصال والتقارب والانتشار كما هي في هذا العصر فكل هذه الوسائل ينبغي أن تُعنى بتصدير الثقافة الإسلامية، وبيان الإسلام على حقيقته والتعريف بنبيه وشمائله وصفاته.

٣- مبادرة الدول العربية والإسلامية والعقلاء من قيادات العالم إلى تبني حملة لقانون دولي يحرم ازدراء الرسل والأديان السماوية.

**النتائج:**

١- تعرض الرسول والأنبياء جميعهم للإساءة والتكذيب والتشكيك من أقوامهم.

٢- الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تتوقف منذ أن نزل عليه الوحي بالرسالة إلى قيام الساعة.

٣- الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم في القديم وهو ما تعرض له من إساءة من المشركين واليهود والمنافقين.

٤- الإساءة في الوقت المعاصر وهي أشد أنواع الإساءة وأعتاها.

٥- الإساءة في الوقت المعاصر إما أن تصدر من كفار أصليين من اليهود والنصارى، أو من مرتدين ومنافقين من أبناء الإسلام.

٦- الدفاع عن الرسول شرف عظيم وله وسائل عدة.



(١٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج٤ ص١٨٥.

# نصرة النبي صلى الله عليه وسلم بين الواقع والمأمول


د. نجم عبد الرحمن خلف

د. ساجدة حلمي سمارة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية




**مقدمة:**

إن جميع الأمم والشعوب تفتخر بقيمها وقادتها وعظمائها وتضع القوانين والأنظمة من أجل حماية رموزها ومقدساتها، وضمان استقرارها،كما أن الدول تكفل لشعوبها حرية التعبير عما تريدوفق ضوابط وشروط تضمن حماية المجتمع وعدم إثارة النعرات والكراهية فيه،كما تضمن ألا تكون تلك الحرية مسيئة للآخرين.

وفي كل مكان في العالم هناك مقدسات ورموز متفق عليها، ويجب على الجميع احترامها وعدم المساس بها؛ مثل الأديان، والمعتقدات، والأنبياء. ومن أشد المطالبين بتطبيق هذه القوانين هم الغرب، ويصفون من يخالف هذه القوانين ويتهجم عليها بالرجعية والدعوة إلى العنف وإذكاء الكراهية بين الشعوب، فما الذي حصل في الدنمارك إذا، ولماذاتجاوز البعض على ذات النبي صلى الله عليه وسلم بصور مسيئة، ثم أفلام مهينة،وكيف تعاملت معها الحكومات الغربية، ولماذا دافعوا عن أصحابها تحت مسوغ حرية التعبير،وكيف كانت ردود الفعل في العالم الإسلامي،وماهي الطريقة الصحيحة والمناسبة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم إزاء هذا العدوان السافر على ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم، وعلى زوجاته الكريمات،وعلى ديننا الإسلامي الحنيف.

ولابد قبل الحديث عن وسائل النصرة التنبيه على بعض القضايا المهمة هنا:

**أولا: "حماية الله لنبيه" صلى الله عليه وسلم**

لقد تكفل الله سبحانه بحماية نبيه صلى الله عليه وسلم من الأذى والقتل ،فقال سبحانه "والله يعصمك من الناس"[1] ،كما تكفل سبحانه بالدفاع والذب عنه "إنا كفيناك المستهزئين"[2]

ومن صور حماية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، أن يصرف الشتيمة والذم والاستهزاء إلى غيره.. فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه فيشتم غيره من حيث لا يشعر، قال صلى الله عليه وسلم :ألا ترون

[1] القرآن الكريم، سورة المائدة،٦٧:٥

[2] القرآن الكريم، سورة الحجر،٩٥:١٥

كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد .حيث كان الكفار من قريش من شدة كراهيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون عنه إلى ضده فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفًا إلى غيره.[٣]

ومن صور حفظ الله لنبيه ممن تعرض له بالأذى أن يحول بين المعتدي وبين ما أراد بخوفٍ يقذفه في قلبه، أو ملك يمنعه مما أراد.. وقد رُوي:**لما غزا رسول الله بني أنمار، نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غورث بن الحارث من بني النجار"**لأقتلن محمدًا، فقال له أصحابه، كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به. فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشمّه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فسقط السيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الله بينك وبين ما تريد."[٤] قلت: **وقصة غورث بن الحارث مشهورة في الصحيح.**

ومثل ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسيره:" من أن أبا جهل قال لقومه واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا".[٥] قلت: والحديث في الصحيح أخرجه مسلم وغيره، "صحيح مسلم، رقم**٧٢٤٣"**

وعن ابن عباس رضي الله عنه:" أن رجالاً من قريش اجتمعوا في الحجر، ثم تعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد فقتلناه قبل أن نفارقه، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: هؤلاء الملأ من قومك لقد تعاهدوا لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل واحد إلا قد عرف نصيبه من دمك. فقال: "يا بنية ائتيني بوضوء"، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليه رجل، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم، وأخذ قبضة من التراب ثم قال: شاهت الوجوه،ثم حصبهم بها فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا.[٦]

---

[٣] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دارالمعرفة: بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، ج٦:ص٥٥٨

[٤] السيوطي عبدالرحمن بن أبي بكر،جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دارالفكر: بيروت،ج ٣:ص١١٨-١١٩

[٥] ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسيرالقرآن العظيم ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دارالكتب العلمية،منشورات محمدعلي بيضون – بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ ج٨:ص٤٢

[٦] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر دلائل النبوة، الناشر: دارالكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هج٢:ص٨١

قلت: والحديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، رقم (٢٧٦٢) ط مؤسسة قرطبة، بالقاهرة.

ومن صور الحماية الربانية: أن الله سبحانه يغير السنن الكونية صيانة لنبيه صلى الله عليه وسلم ورعاية له،والدليل على ذلك قصة الشاه المسمومة، فهذه زينب بنت الحارث اليهودية جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم، بشاة مشوية دست فيها سمًا كثيرًا، فلما لاك النبي صلى الله عليه وسلم منها مضغة لميسغها، وقال: "إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم". ثم دعابها فاعترفت. فقال : ما حملك على ذلك. قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان كذابا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر.قال: فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم .قلت: والحديث أصله في الصحيحين.

فانظر كيف غيرالله سبحانه السنن الكونية من جهتين:حيث أنه لم يتأثر صلى الله عليه وسلم بالسم الذي لاكه. كما أن الله أنطقَ العظم فأخبره - عليه الصلاة والسلام - بما فيه.

**ثانيا: دوافع الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم**

يأتي هذا الهجوم على النبي الكريم كحلقة في سلسلة مستمرة منذ ظهور الإسلام، فقد أعظمت قريش الفرية على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فرمته بالسحر تارة، وبالكذب تارة، وبالجنون أخرى، والله يتولى صرف ذلك كله عنه لفظا ومعنى،وقد تحدثنا عن هذا الأمر بشكل مفصل مدلل في المحور السابق.

كما هو الحال في هذه الرسومات التي نشرت على هذه الصفحات السوداء، فهي قطعا لا تمثل شخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بل هي صور أملاها عليهم خيالهم الفاسد المريض الذي يسعى للنيل من الإسلام ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، لكن عبثا يحاولون.

ومن خلال البحث والتقصي في هذا الموضوع نجد العديد من الدوافع القديمة والجديدة وراء إعادة نشر هذه الرسوم المسيئة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الربح التجاري الذي يجنيه هؤلاء من بيع المجلات والصحف خاصة إذاتعرضت للكساد ولم يعد يقبل عليها الناس كالسابق.

٢- تحدي مشاعر المسلمين واستفزازهم وهم يعرفون مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب المسلمين، لأن عملية تعميم نشر هذه الصور قد بدأ مثل رقعة الزيت وانتقل من الدانمارك إلى غالبية الدول الأوروبية في الأزمة الأولى، ثم أُعيد نشره في (١٧) صحيفة في الأزمة الأخيرة.[٧]

٣- الحرب علىالإسلام وأهله وخوفهم من انتشاره وإقبال الناس عليه حيث أن هناك زيادة واضحة في المقبلين على الإسلام في شتى أنحاء العالم. فعمدت الى تصعيد المواجهة معه عبر الإساءة الى مقدساته وعلى رأسها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٧] مجلة الوعي الإسلامي، العدد٥٣٢، الصادرة بتاريخ ٢٠١٠/٩/٣

## ثالثا: بداية الإساءة

### ١- الصور المسيئة:

في ١٧ سبتمبر٢٠٠٥ نشرت صحيفة Politiken مقالة بعنوان "الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام،وتحدثت المقالة عن الصعوبة التي لاقاها الكاتب الصحفي Kåre Bluitgen الصحفي الدانماركي الذي كتب كتابا عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم موجها للأطفال بعنوان :"القرآن وحياة النبي محمد"Koranen og profeten Muhammeds "ولكنه وجد صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول إلى كتابه ووصل هذا الخبر صحيفة يولاندس بوستن التي قامت بإجراء مسابقة بين ٤٠ رساما كاريكاتيريا لرسم صور تعبر عن معاناة بلوتكن في إيجاد رسامين لكتابه وإبراز الإدعاء القائل أنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن محمد بن عبداللهبدون إبقاء اسمه سري

وفي ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥قامت صحيفة (بيو لاندز بوستن) اليمينية المتطرفة والتابعة للحزب الحاكم بنشر مقال بعنوان :"وجه محمد"وفيه ١٢ صورة كاريكاتورية، تصور رسول اللهفي أوضاع مهينه للغاية، وجاء في المقالة نص ترجمته تقول:"إن بعض المسلمين يرفضون المجتمع العلماني ويطالبون بمنزلة خاصة من ناحية التعامل مع مشاعرهم الدينية الخاصة، وهذا لايطابق المفاهيم الديمقراطية الحديثة لحرية التعبير عن الرأي التي تفرض على كل شخص أن يتقبل النقد والسخرية."[٨]

لقد تم النشر على مدار عدة أسابيع، وبمعرفة وموافقة بل وتأييد من الحكومة، وتفاعل الرأي العام الدانمركي معها، وذلك استهانة بمشاعر أكثر من مليار و(٣٠٠) مليون مسلم، وبالرغم من أن مسلمي الدانمارك والبالغ عددهم (٢٠٠) ألف، (الإسلام هو الديانة الثانية في الدانمارك بعد المسيحية البروتستانتية) حاولوا الاحتجاج على القرار، وذلك عن طريق رفع مذكرة إلى الحكومة الدانماركية، إلا أن الجواب كان هو الرفض، وإصرار الحكومة على دعم حملة الهجوم تحت مسمى "حرية التعبير".

لقد كان الموقف الحكومي الدانماركي أكثر شراسة برفض المدعي العام تلبية طلب الجالية الإسلامية برفع دعوى قضائية ضد الصحيفة بتهمة انتهاك مشاعر أكثر من مليار مسلم في العالم، وقال المدعي العام الدنماركي: إن القانون الذي يُستخدم لتوجيه تهم بسبب انتهاك حرمة الأديان لا يمكن استخدامه ضد الصحيفة.[٩]

وبعد شهور قليلة أي في ١٠ يناير ٢٠٠٦ قامت الصحيفة النرويجية Magazinet والصحيفة الألمانية دي فيلت،والصحيفة الفرنسية France Soir وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشرالصور الكاريكاتورية في تحد سافر لمشاعر ملايين المسلمين في شتى أنحاء العالم.

---

[8] http://ar.wikipedia.org/wiki

[9] http://islamstory.com/ar

**- ردود الفعل الأولية تجاه الصور المسيئة**

في ٩ أكتوبر٢٠٠٥ طالبت جمعية المسلمين في الدنمارك جريدة بولاندس بوستن بالاعتذار لجميع المسلمين لنشرها الصور الكاريكاتيرية

- في ١٤ أكتوبر ٢٠٠٥ قام ٣٥٠٠ شخص بمظاهرة سلمية أمام مقر صحيفة بولاندس بوستن في كوبانهاغن.

- في ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥ وجه سفراء الجزائر، البوسنة والهرسك، فلسطين، أندونيسيا، وإيران، والمغرب، وباكستان، والسعودية، وليبيا، وتركيا، وفلسطين، رسالة إلى رئيس وزراء الدنمارك مطالبينه بعقد اجتماع معهم ولكن راسموسن امتنع عن عقد اجتماع لهذا الغرض وكان جوابه:إن الحكومة لا تستطيع التدخل في حرية التعبير عن الرأي، وأن أي قضية تتعلق بمهاجمة الدين يمكن عرضها على المحاكم.

- في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥ انتقدت جامعة الدول العربية الصحيفة والحكومة الدانماركية لطريقة تعاملها مع الحدث

- في بداية٢٠٠٦ سحبت المملكة العربية السعودية سفيرها للتشاور، وبدأ السعوديون بحملة مقاطعة المنتجات الدنماركية.كما أن ليبيا أغلقت سفارتها في الدنمارك.و استدعت الأردن سفيرها في الدنمارك للتشاور. وسوريا والبحرين واليمن تشجب الصور المسيئة.

**٢-موقف بابا الفاتيكان:**

وكانت هذه الصور هي الحلقة الأولى في حملة الإساءة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام تلاها العديد من الإساءات والتجاوزات، وكان من أشدها وطأة وأعمقها أثرا خلاصة ما قاله بابا الفاتيكان السابق البابا **بندكتوس السادس عشر** :"إن العقيدة المسيحية تقوم على المنطق، بينما الإرادة الإلهية في العقيدة الإسلامية لا تخضع لحكم العقل. ولذا انتشر الإسلام بالسيف لا بالاقتناع العقلي، والنبي محمد لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني".

**وقد رد عليه الكاتب زين الدين الدين الركابي بمقالة طويلة في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية،كان عنوانها :"بابا الفاتيكان جرحت عقيدة المسيح بجرحك عقيدة محمد" حيث قال فيها:**

"والطعنة (البابوية) غائرة الجرح، شديدة الإيلام، فادحة الاساءة لـ٢٥ % من سكان الكوكب الأرضي من بني آدم. وعلى الرغم من ذلك، سنلتزم الهدوء والصبر وتحمل الأذى، ونجادله، ومن معه بالتي هي أحسن ، كما أمرنا إسلامنا: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..»"[١٠]

وبالمناسبة فإن منهج المجادلة بالتي هي أحسن الذي شرّعه دين محمد،إنما هو موقف عقلاني من حيث أن الحجاج العقلي، والحوار المنطقي، لا يصحان ولا يثمران إلا في مناخ هادئ رصين سمح

[١٠] القرآن، سورة العنكبوت،٤٦:٢٩

متفتح عليم يتجرد فيه الأمر للبراهين والأدلة وحدها بدون انفعال متعصب.. ومجادلة عظيم الكاثوليك في العالم تتركز في ثلاث:

أ . العلاقة بين العقيدة والعقل.

ب . دعوى انتشار الإسلام بالسيف.

ج . دعوى أن النبي محمدا لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني.

أولا: قارن البابا بين العقيدة المسيحية وبين العقيدة الإسلامية، فادعى أن الأولى تقوم على المنطق، وأن الثانية منافية لأحكام العقل. وقد قال فيما يتعلق بعقيدة الاسلام :«إن الارادة الالهية في العقيدة الإسلامية لا تخضع لمحاكمة العقل..» وهذا تصور خاطئ ل(الألوهية ذاتها)، وليس لعقيدة الإسلام فحسب، ولو صدر عن ملحد لهان الأمر لأن للإلحاد مقولاته المعروفة.. أما أن يصدر هذا التصور عن (رجل دين) يؤمن بالله وقدرته ومشيئته وإرادته فهذا هو مبعث العجب، بل مبعث الفجيعة. إننا نحسب أن البابا يؤمن بأن الله جل ثناؤه (أراد) أن يخلق إنسانا من أم فقط، أي بلا أب، وأنه سبحانه تجلى بإرادته المطلقة فخلق عيسى ابن مريم من أم دون أب:

أ . «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون".[١١]

ب . «اذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يفعل ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون"[١٢].

بهذا الـ(كُنْ).. بهذه الكلمة: (وفي البدء كانت الكلمة كما يقول الإنجيل)بهذه الكلمة كان السيد المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: كان معجزة في حمله، معجزة في ميلاده، معجزة في نطقه وهو في المهد، وكان نبيا رسولا .بهذا الـ(كُنْ) خرق الله جل شأنه سنن الإنجاب العادي وقوانينه، فكيف تكون إرادة الله خاضعة للعقل في هذا الفعل الالهيولذا نتعجب جدا من مقولة البابا :"إن الإرادة الإلهية في العقيدة الإسلامية لا تخضع لمحاكمة العقل".

إن العقيدة الدينية في الله وإرادته وقدرته ومشيئته المطلقة هي (عقيدة واحدة) تنزلت بها الكتب جميعا، وهتف بها ودعا إليها الأنبياء والمرسلون كافة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر إخوانهم «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»[١٣].

ثانيا: إن دعوى البابا في نفي العقلانية عن الإيمان في الإسلام إنما هي مجرد دعوى بلا دليل، بل الدليل حاسم على ما يضادها. فالعقل في الإسلام هو مناط التكليف أو مناط الخطاب الديني للمكلفين: «إن

[١١] القرآن، سورة آل عمران،٥٩:٣

[١٢] القرآن، سورة آل عمران،٤٦:٣

[١٣] القرآن، سورة الشورى،١٣:٤٢

في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك الذي في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»[١٤].وبقدر حظ الإنسان من العقل يكون حظه من الإسلام: فهما وعملا. بل نستطيع أن نقول: إن الاسلام جاء للعقلاء فقط: «كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون»[١٥]، فلا دين لمن لا عقل له.

٢. بنى البابا دعواه في انتشار الإسلام بالسيف على دعواه بعدم العقلانية فيالإسلام، ذلك أن الدين الذي لا يحترم العقل، يتوسل إلى مقاصده بالسيف، لا بالاقتناع. فهل هذه دعوى صحيحة.. لا. بدليل أن المسلمين ما حملوا السيف إلا للدفاع عن وجودهم المعنوي والمادي (وهذا حق مشروع لأمم الأرض جميعا).. وبدليل: أن العلاقة بين الإنسان وربهفي الإسلام تقوم على الحب، والحب لا يأتي بالسيف قط.. وبدليل أن كل فعل أو أمر يتم بالإكراه إنما هو فعل باطل بيقين في منهج الإسلام.

ولذلك نفى الإسلام نفيا حاسما مؤبدا: الإكراه في الدين، بموجب نص قرآني مدني قطعي ثابت غير منسوخ: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»[١٦].

٣. لندع تلك البراهين كلها التي تدحض دعوى انتشار الإسلام بالسيف، ولنركز على برهان (واقع ماثل) ملموس، إن البابا يعلم أن ألوف الناس مسيحيين وغير مسيحيين يدخلون في الإسلام، وبطريقة مستمرة، بل إنه في الولايات المتحدة نفسها، وبعد احداث ١١ سبتمبر بالذات: يدخل في الإسلام عشرون ألف امريكي كل عام، معظمهم من الذين ظفروا بحظوظ عالية من التعليم.. فمن ذا الذي أكره هؤلاء بـ«السيف» لكي يعتنقوا الإسلام؟.. لا سيف ثم ولا سياف، وإنما هو (الاقتناع الحر): اقتناع العقل الحر واقتناع الضمير الحر، واقتناع اختيار المصير الحر.

ثالثا: استشهد البابا بمقولة شانئ غابر مقولة: إن النبي محمد لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني ونسأل:

١ . هل من السيئ الذي جاء به محمد: التعريف الحق الجميل بمعجزة ميلاد المسيح العظيم ومعجزة ميلاده: «فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا»[١٧]؟.

[١٤] القرآن، سورة البقرة:١٦٤:٢

[١٥] القرآن، سورة الأعراف،٣٢:٧

[١٦] القرآن، سورة البقرة،٢٥٦:٢

[١٧] القرآن، سورة مريم،١٩،٣٣:٢٩

٢ . هل من السوء الذي جاء به محمد: التعريف الكريم الودود بالشخصية الجميلة (الوجيهة) بالسيد المسيح" :"إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين»[١٨] ؟

٣ . هل من السوء الذي جاء به محمد: التعريف بإعجاز نبوة المسيح ورسالته: «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيه فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني»[١٩] ؟

٤ . هل من السوء الذي جاء به محمد: التعريف بالإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا المسيح: «وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين».[٢٠]

٥ . وهل من السوء الذي جاء به محمد: تمجيد أم المسيح: الصدّيقة مريم والدفاع عنها، ورفع ذكرها في الكتاب وترسيخ اليقين بطهرها:

«واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»[٢١]،«وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين»[٢٢]. و«وأمه صدّيقة»؟[٢٣] أي سوء في هذا الجمال والعدل والإنصاف والكمال الذي جاء به محمد . صلى الله عليه وسلم .؟.. وأي عقل صحيح هذا الذي يحول الحسن إلى قبح، والكمال إلى نقص، وخدمة المسيح ودينه وأمه إلى (إساءات غير انسانية)؟"[٢٤]

**١-ردود الفعل تجاه أقوال البابا في مختلف الدول الإسلامية:**

استنكر عدد من أئمة المساجد "تطاول" بنديكتوس السادس عشر على الإسلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم،فقدنددت ليبيا بشدة بما جاء فى محاضرة البابا من إساءة للإسلام وللرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقالت الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة بليبيا : " إن إساءة البابا للإسلام ونبيه، تمثل أفكاراً متعصبة كنا نظن أن العالم الغربى قد تسامى فوقها وتجاوزها بفعل ما قدمته العولمة من أدوات ووسائل كنا نعتقد أنها تساهم فى لقاء الحضارات وحوار الديانات وتقاربها من أجل سعادة البشرية فى كل مكان ."

[١٨] القرآن، سورة آل عمران،٤٥:٣

[١٩] القرآن، سورة المائدة،١١٠:٥

[٢٠] القرآن، سورة المائدة،٤٦:٥

[٢١] القرآن، سورة مريم،١٦:١٩

[٢٢] القرآن، سورة آل عمران،٤٢:٣

[٢٣] القرآن، سورة المائدة،٧٥:٥

[٢٤] صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، العدد ١٠١٥٤،تاريخ ٢٠٠٦/٩/١٦

كما أدان البرلمان الباكستاني بالإجماع تصريحات البابا بنيديكت السادس عشر الأخيرة حول الإسلام، وطالب باعتذار رسمي من البابا وذلك في أول رد فعل رسمي على تلك التصريحات. ووصفت المتحدثة باسم الخارجية الباكستانية تسنيم أسلم تلك التصريحات بأنها تنم عن جهل بالمبادئ الأساسية للإسلام.

وفى الجزائر دانت جمعية العلماء المسلمين فى بيان تصريحات البابا وقالت أنها "تتعارض مع نهج سلفه "البابا يوحنا بولس الثاني" الذى دأب على الدعوة إلى التقارب والحوار بين الأديان والحضارات."

ودعت الجمعية الدول المسلمة إلى استدعاء سفرائها لدى الفاتيكان إن لم تصدر اعتذارات رسمية عن تلك التصريحات، ودعا مسلمون فى أوروبا رأس الكنيسة الكاثوليكية إلى تقديم توضيحات واعتذارات لتصريحاته التى أشار فيها ضمنا الى وجود رابط بين الاسلام والعنف.

وقد تواصلت ردود الفعل المنددة بتصريحات البابا فى العالمين العربى والإسلامى مجمعة على أن تلك الانتقادات بلغت حد الفضيحة، يجب على الفاتيكان محوها، وفى سابقة أخرى دافعت المستشارة الألمانية عن البابا مؤكدة أن تصريحاته أسيء فهما.

وفى سياق ردود الفعل الإسلامية طالب رئيس الوزراء الماليزى عبد الله أحمد بدوى البابا بنديكتوس السادس عشر تقديم اعتذارات بعد تصريحاته حول الاسلام التى أثارت استياءا واسعا فى العالم الاسلامي.

وقال رئيس وزراء ماليزيا التى تتولى رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامى إنه على البابا عدم الاستخفاف فى الفضيحة التى أثارها"، وأضاف أن الفاتيكان يجب أن يتحمل المسؤولية الكاملة عن هذه القضية ويتخذ الإجراءات اللازمة لتصحيح الخطأ.وفي عمان، اعتبر وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية في الأردن عبد الفتاح صلاح تصريحات البابا "مسيئة للغاية، ومرفوضة"،مطالبا الفاتيكان "بتحديد موقفه من هذه التصريحات وبشكل فوري."

وفي دمشق، بعث مفتي سوريا برسالة الى البابا يطلب فيها "استيضاح" ما نسب إليه من "كلام يثير إشكالات فكرية وثقافية ودينية بين أتباع الشرائع السماوية"، على حد قوله.

أما في لبنان، فقد أفاد مصدر حكومي أن رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة طلب من سفير لبنان في الفاتيكان "استيضاح" حقيقة مضمون كلام البابا.

وقال المصدر لوكالة فرانس برس: "فور اطلاعه على ما نشر في وسائل الإعلام عن حديث البابا، طلب السنيورة من سفير لبنان في إيطاليا زيارة وزارة خارجية الفاتيكان واستيضاحهم عن الأمر ."

وفي الهند رأت اللجنة الوطنية للأقليات أن تصريحات البابا حول الاسلام تشبه الدعوة التي اطلقت إلى "الحملات الصليبية في القرون الوسطى."

وفي المغرب، قالت صحيفة التجديد المغربية الإسلامية اليومية، وهي أكبر الصحف الإسلامية هناك: إن بابا الفاتيكان ينضم إلى "التحالف الصهيوني الامريكي ضد الاسلام".

ولم تنجح التصريحات التى أدلى بها مسؤولون فى الفاتيكان فى تهدئة خواطر المسلمين الذين أجمعوا على مطالبة البابا بالاعتذار عن تصريحات أدلى بها فى ألمانيا واعتبرت مسيئة للاسلام، حيث دافعت الكنيسة الكاثوليكية البريطانية عن التصريحات التى أدلى بها البابا فى المانيا وتناول فيها الديانة الاسلامية وأثارت ردود فعل غاضبة فى العالم الإسلامي، وقالت :إن البابا كان يهدف من ورائها أن يبرز الرابط بين "الايمان والعقل". وأوضحت متحدثة باسم الكنيسة أن خطاب البابا لم يكن يهدف إلى وضع دراسة كاملة حول "الجهاد" وإنما بكل بساطة إبراز وجه العلاقة بين "الايمان والعقل."

إلا أن كل هذه التوضيحات لم تفلح فى تهدئة خواطر المسلمين الذين توالت ردود أفعالهم الغاضبة فى كل الدول الإسلامية[٢٥].

لم تكن ردة فعل المسلمين بمستوى الحدث في بادئ الأمر حيثتمثل أكثرها بالاستنكار والشجب والمطالبة بالإعتذار، ولم يكن يعدو في كثير من الأحيان أكثر من ردة فعل سلبية أساءت أكثر مما نافحت ودافعت، وما الإساءة التي حصلت إلا حلقة في سلسلة الإساءات للإسلام وينبغي التعامل معها بوعي وليس بردات فعل وفورات عاطفية ليس أكثر.

لكن فتحت هذه الأزمة الآفاق لاستثمار الفرصة للقيام بعمل إيجابي للتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم، وفتح حوار حقيقي مع الغرب والتواصل مع عقلائه من أجل نصرة القيم الإنسانية فكان من ثمارها:

**أولا: "المؤتمر العالمي لنصرة النبي"**:الذي عقد في البحرين **بالعاصمة البحرينية المنامة الخميس ٢٣-٣-٢٠٠٦ وقد خرج في ختام فعالياته بعدة توصيات:**

أبرزها الدعوة إلى إنشاء "منظمة عالمية لنصرة النبي"، والمطالبة باعتذار ثقافي عن نشر الرسوم المسيئة للرسول في صحف أوروبية، إضافة إلى التأكيد على المقاطعة الاقتصادية كأسلوب حضاري للاحتجاج.

وفيما يلي نص القرارات والتوصيات للمؤتمر العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

**أولاً: القرارات**

١ - إنشاء (المنظمة العالمية لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) لتكون هي الإطار الجامع والمنظم لاستمرار المؤتمر وتواصل أعماله. ويعدّ هذا المؤتمر اللقاءَ التأسيسي لها. وتنبثق أمانتها العامة عن المؤتمر وتتولى استكمال إعداد رؤية المنظمة وأهدافها ولوائحها ومكاتبها المتخصصة. ويتبع المنظمة بصفة أولية أربعة مكاتب هي:

---

[25] http://www.almoslim.net/node/45673

- (مكتب النصرة الاقتصادية): يتولى شؤون المعلومات والدراسات الاقتصادية ويكون مرجعية موثوقة لأعمال النصرة الاقتصادية التابعة للمنظمة كالمقاطعة وغيرها.
- (مكتب النصرة القانونية): يتولى المتابعة القانونية والقضائية لكل من يسيء إلى الإسلام وكتابه العظيم ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويسعى لاتخاذ التدابير القانونية لمنع الإساءة وتجريم مرتكبيها، ويكون مرجعية موثقة لأعمال النصرة القانونية التابعة للمنظمة.
- (مكتب التنسيق والاتصال): يتولى تنسيق أعمال النصرة بين الجمعيات والمؤسسات ذات العلاقة في الدول المختلفة والقيام بمهمة التواصل والحوار مع غير المسلمين.
- (المكتب العلمي والإعلامي): والذي يتولى القيام بالمهام العلمية من دراسات وبحوث، وكذلك الإعلامية من ندوات وبرامج مهمة تبرز أعمال النصرة في العالم كله.

٢ - إنشاء (الصندوق العالمي لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) التابع للمنظمة، لتمويل مشروعاتها وأنشطتها. وتعدّ التبرعات التي وردت لهذا المؤتمر بداية تأسيس الصندوق.

**ثانياً: النتائج والتوصيات،أذكر منها على سبيل المثال:**

١ - يدين المؤتمر ردود الأفعال المخطئة التي تمثلت في حرق بعض دور العبادة والمنشآت وإتلاف بعض الممتلكات لخروجها عن هدي الإسلام، ويوصي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها باعتماد ضوابط النصرة الصادرة عن المؤتمر، والابتعاد عن ردود الأفعال غير المنضبطة حتى لا تسيء إلى صورة الإسلام الحضارية ونبيّه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ - يؤيد المؤتمر استمرار ما بدأت به الدول الإسلامية التي تقدمت بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة ينص على حظر ازدراء الأديان، ويطالب المؤتمر بالعمل على استصدار تشريعات وقوانين وقرارات دولية تحرم وتجرم الإساءة للأنبياء والمرسلين.

٣ - يؤكد المؤتمر على (المقاطعة الاقتصادية) أسلوباً حضارياً في الاحتجاج، لما لها من دور فعال في النصرة.

٤- يوصي المؤتمر دول العالم الإسلامي بتنويع مصادر وارداتها مع التأكيد على دعم الإنتاج المحلي والعمل على الاكتفاء الذاتي في الموارد الأساسية وتشجيع التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

٥ - يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي بوضع منهج للسيرة النبوية الشريفة يدرّس في مراحل التعليم المختلفة، لغرس محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب الطلاب والتربية على اتباعه والتأسي به من خلال تعريفهم بسيرته العطرة.

٦ - يوصي المؤتمر المسلمين أفراداً ومؤسساتٍ ودولاً باستثمار الحدث في التغيير والإصلاح من خلال العودة لكتاب الله تعالى واتّباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع جوانب الحياة.

٧ - يشيد المؤتمر بمسلمي الدانمرك لتعاملهم مع أزمة الإساءة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأسلوب حضاري سلمي جمع بين المواطنة والاعتزاز بدينهم.

٨ - يوصي المؤتمر المسلمين باعتماد استراتيجية المبادرة لا المدافعة ويحث جميع الحكومات والجمعيات والمؤسسات الإسلامية على العمل على تبني مشروعات علمية وعملية في الدعوة إلى الإسلام والتعريف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٩ - يوصي المؤتمر بدعم الجمعيات والمنظمات الإسلامية في العالم عامة والغرب خاصة، التي تعمل على نصرة والتعريف بالإسلام، وضمان حريات وحقوق المسلمين.

١٠ - يثمن المؤتمر موقف شركة آرلا التي أعلنت استنكار وإدانة الرسوم ورفضت أي مبرر لتسويغها، ويرى المؤتمر أن هذه الخطوة هي البداية الصحيحة لفتح حوار بين أمانة المؤتمر والشركة لاتخاذ الخطوات المناسبة تجاه هذه المبادرة.[٢٦]

وقد أطلقت المنظمة العالمية لنصرة النبي محمد عليه السلام موقعها على شبكة الإنترنت على الرابط التالي:

www.nusrah.org

وهي منظمة أهلية عالمية مستقلة لجمع وتنسيق جهود المسلمين (أفراداً ومؤسسات) في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المجالات، وترسيخ مبدأ الحوار الإيجابي القائم على العدل مع غير المسلمين. وفيما يلي بيان منظمة النصرة العالمية حول الرسوم المسيئة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الصحف السويدية.

**ثانيا: جهود رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر العالمي الثاني لمنظمة النصرة العالمية**

من أبرز جهود الرابطة في هذا المجال:

١-**إنشاء البرنامج العالمي للتعريف بني الرحمة صلى الله عليه وسلم** في شهر محرم من عام ١٤٢٧هـ، ثم تطويره مؤخراً بعد أن ثبت نجاحه إلى المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته .

٢-**الإعلان عن الصندوق الإسلامي العالمي لنصرة الرسول** صلى الله عليه وسلم الذي قدر له مبلغ ٢٠ مليون دولار في مرحلته الأولى ، وفتح المجال للحكومات والهيئات والشركات و رجال الأعمال للإسهام فيه.

[٢٦] http://www.qaradawi.net/2010-02-01-08-43-29/4562.html

٣-الحصول على قرار من قادة الدول الإسلامية الذين عقدوا قمتهم الإسلامية في السنغال في شهر ربيع الأول ١٤٢٩هـ ، يتضمن الترحيب بإنشاء الرابطة المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته والصندوق الإسلامي العالمي للنصرة ويحث الدول الأعضاء على التعاون مع الرابطة في ذلك .

٤-**تنظيم مسابقتين عالميتين للتعريف بنبي الرحمة** صلى الله عليه وسلم ونصرته،
٥-عقد مؤتمر مكة المكرمة السابع تحت عنوان نصرة نبي الأمة صلى الله عليه وسلم برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في شهر ذو الحجة من عام ١٤٢٧هـ بمشاركة حشد من المتخصصين .

٦-تكليف فريق متخصص برصد الإساءات الموجهة إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وتقديم دراسات لسبل مواجهتها وإصدار مجموعة من البيانات وعقد مجموعة من المؤتمرات الصحافية للرد وإيضاح موقف الأمة الإسلامية.

٧-بعث مجموعة من الرسائل الموجهة إلى القادة والمؤثرين في القرار السياسي للسعي لاستصدار قرارات ملزمة تمنع الإساءة للأنبياء والتطاول على مقامهم.

بعض التوصيات والمقترحات من الرابطة حتى تتحول النصرة إلى منهج حياة وتحقق شعار المؤتمر: (نحو نصرة دائمة) ومن هذه الرؤى والمقترحات :

١. أهمية اكتساب الصفة القانونية والنظامية لجميع الهيئات والمنظمات المتخصصة في مجال النصرة
٢. الحاجة إلى إقامة مجلس تنسيقي بين الجهات المتخصصة في مجال التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته ، وعقد ملتقى سنوي لهذا الغرض..
٣. إسناد الدور الأكبر في مشاريع التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ونصرته للمواطنين المسلمين في الغرب مع العناية بتأهيلهم.
٤. مراعاة التخصص وتوزيع الأدوار بين الجهات العاملة في هذا المجال بما يؤدي إلى تحقيق التكامل والاستثمار الأمثل للموارد.
٥. عدم الاستغراق في مخاطبة الداخل ، والانطلاق في مشروعات التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم إلى المجتمعات غير المسلمة ولاسيما في الغرب مع تبني إستراتجية حوار الحضارات
٦. التوازن وإشعار عموم المسلمين بالتقدير لغيرتهم وعواطفهم ومحبتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم مع ضرورة ضبط ردود أفعالهم بإتباع السنة النبوية في هذه الحالات[٢٧] .

[27] http://mercyprophet.org/mul/ar/node/5334

**لا تحسبوه شرًا لكم" ورب ضارة نافعة"**

بالرغم من بشاعة هذا الحدث وسوئه على الصعيدين النفسي والأخلاقي إلا أن المتمعن بالأحداث إذا نظر للأمر من زاوية أخرى سيجد أنه له بعض الفوائد والتي تتمثل فيما يلي:

- إحياء الأمة الإسلامية من مواتها، وإيقاظها من نومها، وتحريك عوامل الغيرة على دينها في نفوسها. يقول شيخ الإسلام بن تيمية:

"فَإِنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَعْمَلَ حِزْبَهُ فِي إفْسَادِ دِينِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رُسُلَ هُو أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ. وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ: أَنَّهُ إذَا أَرَادَ إظْهَارَ دِينِهِ أَقَامَ مَنْ يُعَارِضُهُ فَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَ دْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ."[٢٨] ، "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ".[٢٩]

- زيادة أعداد المسلمين الداخلين في الإسلام، ولك أن تعرف أن في بلد كفرنسا يدخل فيه - بعد إثارة مثل هذه الأزمات - (٤٠) فرنسيًا كل يوم.

- طباعة أكثر من(١٧,٠٠٠) سبعة عشر ألف كتاب منذ الأزمة الأولى وحتى الآن، تتحدث عن سيرته - صلى الله عليه وسلم-، ومنها ما تُرجم إلى لغات عديدة

- زيادة محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب المسلمين مصداقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام:""لَايُؤْمِنُأَحَدُكُمْحَتَّىأَكُونَأَحَبَّإِلَيْهِمِنْوَلَدِهِوَوَالِدِهِوَالنَّاسِأَجْمَعِينَ[٣٠]"

- إيجابية المسلمين في تعاملهم مع الحدث، وتفعيلهم سلاح المقاطعة للبضائع الدانماركية وغيرها من البلدان، التي تتجرأ على سب النبي - صلى الله عليه وسلم-، وهو ما عبّر عن خطورته بعض الدانماركيين بقولهم: "ما بنيناه في أربعين سنة خسرناه في أسبوع واحد".

-تحقيق الولاء للمؤمنين والبراءة من أعداء الدين، الذين يعادوننا ويسبون الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ويدنسون كتابه.

-التعرف على العداوة التي يكنها كثير من اليهود والنصارى تجاه المسلمين، يقول الله تعالى

:"قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ[٣١]"

---

[٢٨] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني مجموع الفتاوى، لمحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ /١٩٩٥م،ج٢٨:ص٥٧

[٢٩] القرآن، سورة الصف،٨:٦١

[٣٠] مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج١:ص٦٧ ، ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – في صل عيسى البابي الحلبي،باب في الإيمان،ج١:ص٢٦

[٣١] القرآن، سورة آل عمران،١١:٣

ولا نريد مما ذكرناه آنفاً تخدير الأمة أو الدعوة إلى رضاها بالأمر الواقع، أو أن يقول السطحيون من أبنائها ندعهم يسبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -طالما أن الأمر سيعود علينا بمثل هذه الفوائد، لا، إذْ لابد أن يُظهر المسلم اعتزازه بدينه ورسوله وكتابه، ويعلم أن هذا من مكر الله تعالى لنا ومكره سبحانه بهم، فهم يريدون أمرًا والله تعالى يريد أمرًا آخر"ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[٣٢]" وليعلم العالم كله أن مثل هذه الأمور بمثابة خطوط حمراء عندنا، لا نقبل بها، ولا نرضى عنها، ومن رجع إليها رجعنا إلى معاداته ومقاطعته، مصداقًا لقول الله تعالى في القرآن الكريم:"وإن عدتم عدنا[٣٣]".

**وسائل النصرة التي نطمح لهامن كافة المستويات**

**النصرة الاجتماعية:** أي أن تكون النصرة شاملة لكل فرد من الأمة ، لا يقوم بها فئة دون أخرى، فللعلماء دورهم في توعية الجماهير وإرشادهم، وللمسؤلين دورهم في حماية مقدسات الإسلام بما في أيديهم من سلطة ونفوذ.

- استشعار محبته صلى الله عليه وسلم في القلوب بتذكر كريم صفته الخَلقية والخُلقية ، وقراءة شمائله وسجاياه الشريفة ، وأنه قد اجتمع فيه الكمال البشري في صورته وفي أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

- عزو كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه ونتنعم به إليه صلى الله عليه وسلم بعد فضل الله تعالى ومنته ، إذ كان هو صلى الله عليه وسلم سبيلنا وهادينا إليه ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته

- استحضار رحمته ورفقه بأمته حيث أنه صلى الله عليه وسلم أرأف وأرحم وأحرص على أمته .قال تعالى:" النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم"[٣٤].

- التعرف على الآيات والأحاديث الدالة على عظيم منزلته صلى الله عليه وسلم عند ربه ، ورفع قدره عند خالقه ، ومحبة الله عز وجل له ، وتكريم الخالق سبحانه له غاية التكريم.

- الالتزام بأمر الله تعالى لنا بحبه صلى الله عليه وسلم ، بل تقديم محبته صلى الله عليه وسلم على النفس ، لقوله صلى الله عليه وسلم :" لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين".[٣٥]

- الالتزام بأمر الله تعالى لنا بالتأدب معه صلى الله عليه وسلم ومع سنته لقوله تعالى :" يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون "[٣٦]

---

[٣٢] القرآن، سورةالأنفال:٨: ٣٠

[٣٣] القرآن، سورةالإسراء، ٨:١٧

[٣٤] القرآن، سورة الأحزاب٣٢ : ٦

[٣٥] مسلم، الصحيح،باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ج١:ص٦٧

[٣٦] القرآن، سورةالحجرات٤٩ : ٢

- الانقياد لأمر الله تعالى بالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ومناصرته وحمايته من كل أذى يراد به، أو نقص ينسب إليه ، كما قال تعالى :" لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه".[٣٧]

- قراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة ، مع الوقوف على حوادثها موقف المستفيد من حكمها وعبرها ، والاستفادة من الفوائد المستخلصة من كل حادث منها ، ومحاولة ربطها بحياتنا وواقعنا.

- تعلم سنته صلى الله عليه وسلم ، بقراءة ما صححه أهل العلم من الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم ، مع محاولة فهم تلك الأحاديث ، واستحضار ما تضمنته تلك التعاليم النبوية من الحكم الجليلة والأخلاق الرفيعة والتعبد الكامل لله تعالى، والخضوع التام للخالق وحده
- الحرص على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في المستحبات، ولو أن نفعل ذلك المستحب مرة واحدة في عمرنا ، حرصاً على الاقتداء به في كل شيءالحذر والبعد عن الاستهزاء بشيء من سنته صلى الله عليه وسلم.

- تخصيص درس كل أسبوع عن السيرة النبوية تجتمع عليه الأسرة كلها

- تشجيع الأبناء على حفظ أذكار وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم- وخاصة ما يتعلق منها بالجوانب الحياتية مع متابعة تطبيق ذلك، والتشجيع عليه بالمسابقات والجوائز وغيرها

- اقتناء الكتب والأشرطة عن سيرته صلى الله عليه وسلم

- انتقاء الأفلام الكرتونية ذات المنهج الواضح في التربية

- تخصيص درس أو أكثر في الأسبوع عن السيرة تجتمع عليه الأسرة، وتشجيعهم على حفظ الأذكار النبوية وتطبيق ذلك.

- تشجيع الأبناء على اقتطاع جزء من مصروفهم اليومي من أجل التطبيق العملي لبعض الأحاديث، مثل: كفالة اليتيم، إطعام الطعام، مساعدة المحتاج.

- تعويد الأبناء عل استخدام الأمثال النبوية في الحديث مثل:"الرفق ما دخل في شئ إلا زانه"، "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"، "يسروا ولا تعسروا".

- وضع مسابقات أسرية عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النصرة العلمية: التي تخاطب عقول الناس وفطرتهم، وتسلك طريق المنهج الشرعي في الانتصار لنبينا، وتستفيد من الأساليب والوسائل الفعالة الخاصة بهذا الجانب.

- إبراز شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وخصائص أمته من خلال نشر ذلك والتحدث عنه في المناسبات الإعلامية والثقافية.

---

[٣٧] القرآن، سورة الفتح،٤٨:٩

- التصدي للإعلام الغربي واليهودي المضاد والرد على ما يثيرونه من شبهات وأباطيل عن ديننا، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- عقد اللقاءات الصحفية والإعلامية والثقافية مع المنصفين من غير المسلمين، والتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته.

- عقد الندوات والمنتديات الثقافية لإبراز منهجه وسيرته وبيان مناسبة منهجه صلى الله عليه وسلم لكل زمان وكان.

- إعداد المسابقات الإعلامية الخاصة بكتابة المقالات والقصص والكتيبات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم،وعن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتخصيص الجوائز القيمة لها. .

- الاقتراح على مدراء القنوات الفضائية لإعداد برامج خاصة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيفية تعامله مع زوجاته وأبناءه وأصحابه وأعدائه وغير ذلك من صفاته الخلقية والخلقية.

- حث مؤسسات الإنتاج الإعلامي على القيام بإنتاج أشرطة فيديو تعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة احترافية شيقة.

- حث المحطات التلفزيونية الأرضية والقنوات الفضائية على إنتاج وبث أفلام كرتونية للناشئة تحكي شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض القصص من السنة النبوية.

النصرة الاقتصادية:ينبغي أن يكون للتجار دورهم في نصرة المصطفى ليس فقط في مقاطعة بضائع الأعداء، ولكن أيضا في دعم كل مشروع جاد لنصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فنصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

- دعم النشاطات الدعوية المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة.

- تخصيص أماكن في المعارض والمؤتمرات المحلية والدولية التي تشارك بها المؤسسات لعرض الكتب والأشرطة المرئية والمسموعة التي تبرز خصائص الرسالة المحمدية.

-تخصيص أماكن دائمة لتوزيع الأشرطة والكتب والمطويات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

-تخصيص جائزة قيمة بمعايير متفق عليها سلفاً لأفضل من خدم السنة والسيرة النبوية، وإقامة حفل تكريم سنوي يدعى له كبار الشخصيات.

-تبني طباعة كتب السيرة النبوية باللغات الأجنبية وتوزيعها على مراكز الإستشراق والمكتبات العامة والجامعية حول العالم.

-إصدار مجلة أو نشرة دورية تهتم بالسيرة النبوية المطهرة وتعاليم الدين الإسلامي، وتبرز صفات هذة الأمة ومحاسن هذا الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- المساهمة في إنشاء القنوات الفضائية والإذاعات والمجلات و مواقع على الإنترنت التي تتحدث عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم باللغات المختلفة وبالأخص اللغة الإنجليزية.

- استئجار دقائق في القنوات أو الإذاعات الأجنبية لعرض أطروحات عن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

- إنشاء مراكز متخصصة لبحوث ودراسات السيرة النبوية والترجمة إلى اللغات العالمية.

- طباعة ونشر الكتب والأشرطة والبرامج الإعلامية التي تبرز محاسن الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله بعدة لغات وخاصة اللغة الإنجليزية.

- المساهمة في دعم المسابقات الدعوية التي تهتم بالسيرة النبوية ورصد مبالغ تشجيعية لها.

- الدعوة لإنشاء مشروعات كثيرة ووقفيات كبيرة للتعريف بالإسلام ونبي الإسلام، وذلك في كل دولة من الدول الإسلامية، يستفاد من ريعها في إنشاء مراكز متخصصة في البلدان الأوروبية، مع توظيف دعاة متخصصين في الدعوة والفكر ليتولوا قيادة هذه المؤسسات.

- مقاطعة البضائع الدانماركية مقاطعة حقيقية وفعالة ومستمرة؛ لأنها هي التي بدأت كصحيفة، وأصرت كدولة على عدم الاعتذار، وتلقينهم درسًا اقتصاديًا قاسيًا وطويلاً، ثم ليصبح ذلك درسًا لكل من تسول له نفسه الإساءة لمقدساتنا وشعائرنا.

أما النصرة الإعلامية: وتتحقق من خلال استخدام وسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمنطوقة ووسائل الإنترنت الحديثة في التعريف به صلى الله عليه وسلم.

- تكوين مجموعات تتولى إبراز محاسن هذا الدين ونظرة الإسلام لجميع الأنبياء بنفس الدرجة من المحبة وغيره من الموضوعات ذات العلاقة.

-إنشاء مواقع أو منتديات أو تخصيص نوافذ في المواقع القائمة تهتم بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتبرز رسالته العالمية.

-المشاركة في حوارات هادئة مع غير المسلمين ودعوتهم لدراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به.

-تضمين أو تذييل الرسائل الإلكترونية التي ترسل إلى القوائم البريدية الخاصة ببعض الأحاديث والمواعظ النبوية.

-إعداد نشره إلكترونية - من حين إلى آخر- عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وخاصة في المناسبات والأحداث الطارئة.

-الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

-طباعة مجموعات من الأشرطة والـ CD والـ DVDباللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات، وتوزيعها على المراكز الغربية وأماكن تجمعات الأوروبيين للتعريف بالإسلام ونبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم

-إقامة ندوات وحلقات نقاشية فيالعواصم الأوروبية وغيرها، والاستفادة من الغربيين الذين أسلموا في توصيل الجانب الحضاري المشرق في الإسلام إلى أقوامهم، مما يسهم في رسم صورة مغايرة عن الإسلام في أذهان الغربيين" عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم"[٣٨]

-البعد عن دعوات العنصرية أو الطائفية، أو السباب والشتائم، أو القيام بأية أعمال تخالف القوانين ويكون من شأنها استفزاز المجتمع الغربي وقيامه بردود أفعال عدائية تجاه المسلمين الأوروبيين:"ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم"[٣٩]، لأن المسلم غايته شريفة ووسيلته شريفة أيضًا، وإنما نستثمر كل الوسائل السلمية والقانونية للتأكيد على حقوقنا المشروعة.[٤٠]

وفي الختام فإنه لا بد لنا من الغوص بعلم ووعي وعقلانية في فهم أبعاد وخلفيات ومقاصد ظاهرة الإساءة إلى مقدساتنا من طرف العالم الغربي، كما ينبغي علينا أيضا أن نحشد طاقتنا المختلفة، ونطور من وسائلنا للرد والردع والتوضيح - بما يكافئ لدمغ هذه الإساءات ودحضها - في تصدينا لهذه الحملات الظالمة.

وهذا الوعي، وهذا التجديد في الوسائل والأساليب التي تقتضيها هذه النصرة المباركة لايمكن أن يكون على الوجه الأمثل إلا بتظافر جهود الأمة، وتلاحمها واتحادها، لتحقيق هذا الهدف النبيل بشكله الإيماني والحضاري والناجع الفعال.

نسأل الله ان يوفق الأمة بجميع مكوناتها للنهوض الصادق المسدد بأداء هذا الواجب المقدس خير قيام، أتم قيام، وأشمل وأكمل قيام.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.[٤١]



[٣٨] القرآن،سورة الممتحنة،٦٠: ٧

[٣٩] القرآن، سورة الأنعام، ٦:١٠٨

[٤٠]انظر: http://www.saaid.net/

[٤١] القرآن،سورة محمد، ٤٧: ٧-٩

# المحور الثاني

## التحديات المعاصرة على الحديث الشريف:

## نصاً وتصنيفات

# قراءة تحليلية في السنة النبوية: البيت المسلم نموذجاً

**أحمد سمير العاقور**

كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، مصر



**المقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فإن السنة النبوية تقابل اليوم تحديات عدة، لعل من أكثرها تعقيدا تلك التي تتعلق بجدارتها في تحقيق السعادة للبشر وانتشالهم من كبوتهم الراهنة، يجسد ذلك السؤال الآتي: هل يمكن أن تخط السنة النبوية لنفسها سبيلا مستقلا بين النظريات السلوكية والنفسية التي تكتظ بها السياقات الثقافية المعاصرة؟ على النحو الذي يغري الجموع باحتذاء الآليات التي خلفتها في تأسيس المجتمعات، وهو الأمر الذي يحتم التعرف عليها من جديد عن كثب، وفق نظرة شمولية تتخطى مرحلة القراءات النمطية الاستعادية، التي تقنع في تعاطيها بطريقة شرح مفردات النص، دون انتباه إلى سياقه الأوسع، ودون استشراف مجالاته المعاصرة التي تمنحه الحياة، كمثل ما كان يحيا أول مرة. وإذ يحتل البيت مركز الصدارة في هذا الشأن، فقد وقع عليه اختيارنا لنستشرف النهج النبوي في معالجة القضايا الناشبة به. يشكل مادة البحث الأحاديث والمواقف المروية في كتب السنة التي تنطوي على قيم بارزة، وقد حرصت أثناء انتخابها أن تكون صحيحة السند، أو حسنة في أقل تقدير، إلا في أضيق الحالات التي نبهت فيها على ضعفها، وعلى أي حال فلم تخلف سوى استئناس أو تفريع، ولعلي لذلك تحاشيت إثقال الهوامش بتخريج رواياتها، ما دامت لا تمنحنا بعدا جديدا، والاكتفاء بالإشارة إلى المصدر المباشر الذي وردت فيه اللفظة محل البحث والشاهد، أما المنهج فقد اعتمدت على التحليل الذي يعبأ لا بحشد المعارف وإنما بتحسس التيارات المستقرة، وعلى استحياء تحضر الموازنات حين أضطر إلى بيان أثر السابق في اللاحق، أو التلاقي بين المقولات.

**أولاً:**

من يقارب أحداث السيرة النبوية، سواء أكان ذلك في مرحلة انتقاء محمد صلى الله عليه وسلم، الأفراد أم أثناء توزيعه العطاءات والاهتمامات عليهم، يجد نفسه أمام سؤال ملح مؤداه: لماذا لم يتم الاحتفاء بالغلمان ذوي الفطر السليمة؟ احتفاء يغلب احتفاءه بالعناصر الأخرى، الذين كانت قلوبهم قد امتلأت بجاهليات قريش وحماقاتها؟! يزيد من إلحاح هذا السؤال ما نعرفه عن المعاناة الشديدة التي لقيها أثناء دعوته سادة قريش وكبراءها، وما نشهده اليوم من ممارسات بعض المربين الجانحة نحو التركيز على النشء، والمستندة إلى تصور ذهني مفاده أن حركات البعث والنهوض بالأمم تعتمد بصورة

رئيسة على هذه الفئة العمرية. وللإجابة على هذا السؤال نقترح أن يتخيل قارئ سيرته الوضعَ معكوسا؛ أي يتخيل أنه، صلى الله عليه وسلم، كان بالفعل قد منح هؤلاء الغلمان الاهتمام كله، وليسمح لخياله هذا بأن ينسج الأحداث المرتقبة ساعتها، والمآل المتردي الذي يمكن أن تئول إليها هذه الشريحة من الناس؛ إذ بالنظر إلى ظرفهم التاريخي الخاص تتجلى أمامنا حقيقة أنهم، كمثل غيرهم من الغلمان، لم يكونوا منبتي الصلة عن آبائهم وأمهاتهم، بل أيضا عن قبائلهم، وهو الوضع الذي يعبر عنه تربويا بعدم واحدية مصدر التلقي، ما يعني أن وهن الانتماء للدعوة كان سيعرف طريقه إليهم لو كان تم عزل أصولهم عن بؤرة الاهتمام.

كان هذا المسلك إذن استجابة ضرورية لسنن التكوين، وتأكيدا على أن الفرد الذي ستتوفر عليه العمليات التربوية ليس محصلة النزعات المستكنة داخله والسلوكيات الصادرة عنه فحسب، وإنما هو أيضا بالقدر ذاته مشخصا للقيم الاجتماعية والنزعات الغيرية، ومن ثم يبيت الإسهام في صياغة الوسط المحيط به وتشكيل ملامحه مسئولية لا تنفك عن صياغته هو نفسه. وحقا سيلحظ المرء أن توزيع اهتماماته، صلى الله عليه وسلم، على العناصر المختلفة لم يكن يخضع لسذاجة مبدأ التسوية، وهو ما سنشير إليه بعد قليل، لكنه كان يجيء على النحو الذي يكشف به عن حرصه على توفير المناخ الآمن لصناعة الفرد وترقيه، من حيث تجنيبه تجاذبات أو صدامات كان من الممكن تفاديها؛ فلم تكن العناية بالرجل تعني تهميشا للمرأة، أو العناية بالطفل مكافئة لفصم العلاقات عن أبويه، وإنما كانت محاولة إنشاء مجتمع تتماشج مفرداته وتتراسل على نحو متساوق هو الغاية البارزة. ومن هنا كان المنهج السليم مدفوعا نحو التلويح في وجه الممارسات المفضية إلى عزل الفرد، أثناء عمليات تشكيله، عن الوسط المحيط به، احتجاجا بتكريس النقاء والابتعاد به عن عدوى الآفات؛ لأنه في الواقع تصور لا يهتم بما وراء ذلك من متابعة المخرجات واختبار جدوى المضي قدما في مسيرته، ولو أنه صنع لأدرك دلالات التجارب التي تشير بوضوح إلى أن الشخصية الخاضعة لمقرراته هي من تكون أكثر انشراحا بهذه الآفات التي يحذَرُها، وأشد تقبلا للانجراف العَصِيِّ على الزمام، ونحن نعرف أن الغلاف الذي يسيّج النبتة قد يكون ضروريا لاستكمال نضجها ووقايتها من عوادي العالم الخارجي، لكننا نعرف أيضا أن هذا الغلاف قد يستحيل سببا من أسباب ذبولها وفنائها، كما قد يودي بها بسبب انفصاله المحتوم عنها؛ ما دامت قد اعتادت العزلة وارتضت فحسب بالارتكان إليه، ومن ثم كان ينبغي أن تأتي الممارسات التربوية المنضبطة دائما وسطا بين سعيها إلى إنتاج لبنات تتسم بالاستقلالية وطموحها في الدفع بها إلى انفتاح متزن؛ لا يعاند الاستقلال كما قد يظن، بقدر ما يكون مسهما في تخصيب اللبنة بالمضادات العاملة على رفع قدراتها أثناء مواجهة التحديات المختلفة.

**ثانياً:**

أحسب الآن أن التقصي التفصيلي للفعل النبوي المشتغل بالمجتمع قد صار مطلبا مرتقبا؛ حتى نتمكن من ترسيخ هذه المعاني التي نبهنا عليها، واستجلاء طبيعة الآليات والأدوات والإجراءات المعتمدة في تحقيق مفهوم الأمة، ولا ضير من أن نستند هنا على نحو إجرائي أثناء اتصالنا بالمجتمع النبوي إلى

التصنيف التقليدي ذي الشعب الثلاث: الرجال والنساء والأطفال؛ ما دامت النتائج التي سنعلنها لن تنطوي على الفصم الحقيقي بينها، وإنما ستكشف عن نسيجها المتوحد. ولنبدأ بالرجال؛ فعليهم أنزل الله الكتب الهادية، ومنهم اصطفي أنبياء ومرسلين، وإليهم أوكل وظيفة الخلافة وإعمار الأرض بالتوحيد، وبهم أقام الشرائع، وإذن فلا غرو من أن تنفق القيادة جُلَّ طاقتها فيهم خاصة؛ إن لم يكن بوحي من السماء فبالاستناد إلى القوانين العقلية القاضية بوجوب الاهتمام بالأصل قبل فرعه؛ وهو مسلك كانت له ردة فعل قوية، فيما يظهر، عند نساء المجتمع النبوي المتلهفات للخير، يدل على ذلك تعدد الروايات التي تفصح عن حجم شكواهن، ونسبة الفعل في بعض هذه الروايات إليهن كافة، دون تخصيص واحدة بعينها، يقول أبو سعيد الخدري، رضي الله عنه: "قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ؛ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ.."(١)، وفي رواية أخرى يقول: "جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ؛ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ.."(٢).

هذا يعني أن شيئا من الاهتمام الملحوظ قد كان بالفعل يصرف إلى الرجال، لطبائعهم الجسدية والنفسية الخاصة، التي تتلاءم والأعباء الكبيرة المسندة إليهم، إنْ في الجهاد وإنْ في الدعوة، وهو ما يمكن أن نستشفه من حديث آخر، تنطلق فيه النساء من الموقف نفسه؛ وأقصد موقف الموازنة بين حجم دورهن وحجم الدور المنوط بالرجال، فعن أسماء بنت يزيد بن السكن "أَنَّهَا أَتَتِ النَبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بَينَ أَصْحَابِه فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيكَ وَاعْلَمْ، نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، أَنَّهُ مَا مِن امْرَأَةٍ، كَانَتْ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ، سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ كَافَّةً فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَٰهِكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ وَحَامِلاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ مُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، أَفَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي هَذَا الْخَيرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مُسَاءَلَتِهَا عَنْ أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: «انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَكِ مِنَ النِّسَاءِ: أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَه وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَه يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّه»"(٣).

(١) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ١٠١).

(٢) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٧٣١٠)، ومسلم في صحيحه (برقم: ٢٦٣٣).

(٣) رواه ابن عساكر: تاريخ دمشق (٧/ ٣٦٣، ٣٦٤)، وضعفه الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (برقم: ٦٢٤٢).

إن قراءة هذه الأحاديث وأضرابها بصورة عاجلة لا ينتج إلا أفكارا مبتسرة عن الأسس التي اعتمدها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في صناعته هذا الجيل الفريد، بسبب من أننا قد نظن ساعتها أن توجيه الطاقة إلى الرجال هو الطريق الناجع لتسوية المجتمع المسلم المنشود، وهو ظن تخطئه النظرة المتأملة في هذه الأحاديث نفسها؛ إذ إنها تشف عن رغبة مطردة متنامية في تجاوز القنطرة التي تسمى "رجلا"، تلك التي يتوقف عليها إتمام عملية الاتصال بالمركز، والطمع في أن يكون هذا الاتصال مباشرا دون وساطة، كما تعكس ثقافة المتلقين السائدة، تلك التي نوقن في أنها كانت بدورها إحدى ثمرات الاهتمام بهن، وحين تقدر هذه الرغبة وتثمن هذه الثقافة؛ فإن ذلك ينهض دليلا مجابها لهذا الظن الخاطئ، وإذن فقصارى ما تقوم به هذه الأحاديث، التي يمكن عن طريقها رصد الاهتمام بالرجال، هو تأكيدها ضرورة قيام الرجل على الأسرة، وأنه بوابة العبور إلى البيت، بالمعنى الذي يجعل من أسرته أو بيته بصورة كلية هدفا من أهداف صانع الجيل، وهنا تبدأ أول ملامح التراسل التي نستجليها في البروز، فليس الرجل مفردة هائمة، بل هو بالأحرى مفردة متحدة بعالمها الأوسع، حتى وإن أتيحت لها صلاحيات أرفع وأوسع لحفظ المسيرة من التشتت.

سنلمح ذلك حين تكون المرأة مكلفة بأمر من الأوامر النبوية، مثلها في ذلك مثل الرجل، في حين يتخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، من الرجل سبيلا موصلة إليها، كما في حديث سيدنا كعب بن مالك، رضي الله عنه، بعد تخلفه عن غزوة تبوك وما كان من شأن اعتزال الناس له، فإنه يجيء فيه قوله: "حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلْ اعْتَزِلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ"(٤)، كما يمكن أن نلمح ذلك أيضا حين تكون المرأة هي المقصودة بالهدية، لكن يتم النفوذ إلى عالمها عن طريق الرجل القائم على شأنها، كما يجيء ذلك في حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، الذي يذكر فيه: "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى عُطَارِدًا يَبِيعُ حُلَّةً مِنْ دِيبَاجٍ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ عُطَارِدًا يَبِيعُ حُلَّةً مِنْ دِيبَاجٍ فَلَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَلَبِسْتَهَا لِلْوُفُودِ وَلِلْعِيدِ وَلِلْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ» حَسِبْتُهُ قَالَ: «فِي الْآخِرَةِ» قَالَ: ثُمَّ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حُلَلٌ مِنْ سِيَرَاءَ حَرِيرٍ؛ فَأَعْطَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حُلَّةً، وَأَعْطَى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حُلَّةً، وَبَعَثَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِحُلَّةٍ، وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «شَقِّقْهَا بَيْنَ النِّسَاءِ خُمُرًا»، وَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ ثُمَّ أَرْسَلْتَ إِلَيَّ بِحُلَّةٍ، فَقَالَ: «إِنِّي لَمْ أُرْسِلْهَا إِلَيْكَ لِتَلْبَسَهَا وَلَكِنْ لِتَبِيعَهَا»، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَلَبِسَهَا فَرَاحَ فِيهَا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى أُسَامَةُ يُحَدِّدُ إِلَيْهِ

(٤) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٤٤١٨).

الطَّرْفَ؛ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْتَنِيهَا! قَالَ: «شَقِّقْهَا بَيْنَ النِّسَاءِ خُمُرًا»، أَوْ كَالَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"(٥).

فالمرأة هنا في هذين الحديثين تقف من المركز على مسافة تساوي مسافة الرجل، فكما سيعتزل كعب زوجه؛ ستعتزله هي، وكما سيتقبل الرجل هدية رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ ستتقبلها المرأة، وكل ما هنالك هو أن الرجل يتجلى نافذة ومعبرا. على أننا لا نريد لقولنا هذا أن يعمم إلا بعد أن نتمهل قليلا عند دلالات الخبرين وحكمة الفعل النبوي فيهما، تلك التي تكشف من جانب عن بعض الاحترازات، وتمهد من جانب آخر للتفصيل بعض الشيء عن المرأة؛ ففي الحديث الأول، الذي يعيدنا إلى علاج الغريزة الشهوانية في المبحث الأول، قد نتلقى فعل المربي على أنه التفات إلى العنصر الفاعل، فكعب هو الذي اجترح الإثم، وهو قيم الأسرة، وهو المبادر عادة في مسألة الالتقاء بزوجه، وهو الذي قد يشكل له اعتزاله وَخْزًا مضاعفا لاعتزال المجتمع له، أو على الأقل سيسد بابا كان من الممكن استغلاله في التنفيس عن الكبت الناشيء عنه، ومن ثم كان جديرا بأن يتحمل الرسالة، ويعرض لهذا الاختبار النفسي، ويقحم في التجربة بوصفه مريدا، حتى ينفك تدريجيا عن موقعيته الرابضة حيث رد الفعل أمام الممارسات التربوية، وهي موقعية قد تكون أنتجتها الأربعون ليلة السابقة، بل قد تكون أنتجتها جريمة التخلف عن الغزو، وبهذا يعيد النبي، صلى الله عليه وسلم، تأهيل العنصر المتعثر، بإشراكه في اتخاذ القرار بجرأة وشجاعة، وهو الذي كان قبل ذلك يتلكأ في اللحاق بركب المجاهدين! أما الحديث الآخر فالموقف فيه يتأسس على المكانة التي يتبوأها الرجل بين ذويه، وحاجتنا الملحة للحفاظ عليها، أملا في تجذير قيم الولاء والتبعية والسمع والطاعة، التي لن يستأثر بها حقا مكتسبا سرمديا، بل تلك التي ستكون مرتهنة بنظيراتها التي يوفرها هو إزاء النبي، صلى الله عليه وسلم، ولذا تجيء هذه الوساطة بين المربي والمرأة لا للإبانة عن هوة بينهما، وإنما لتجسيد الأواصر التي تستعصي على الفصام بين لبنات المجتمع جميعها، بصورة تستعير التراتب والهرمية، كما تستهدف إشاعة الحب وتعزيز المودة، ويتبين ذلك بتأمل ما للهدية من أثر في النفوس، وما لها من فاعلية في تجديد ماء الحياة بين الزوجين، وعلى هذا كانت العناية بأن تجيء الهدية على يد الزوج أو القيم، حتى ولو كانت هي عينها ليست سوى هدية قد أهديت إليه منذ قليل.

**ثالثاً:**

بهذا التأمل والتحليل يستبين أن البيت بمكوناته كلها كان محل الاهتمام وبؤرة التركيز، لا الرجل في حضوره المستقل، وبالمثل يمكن أن نلحظ ذلك في المواقف المختصة بالمرأة، ولكن قبل أن نمضي قُدُمًا في التدليل على هذا الجانب، ينبغي التنبيه على عدة أمور؛ الأولى: أننا لسنا معنيين هنا بتوضيح مكانة المرأة الرفيعة التي تبوأتها في دين الإسلام، أو تسفل النظريات الوضعية القديمة والمعاصرة بها، أو غير ذلك من قضايا غطتها دراسات سابقة، حتى باتت أشبه بمسلمات، والثاني: أن قضية المرأة في حاجة لمزيد دراسة من جوانب جديدة وزوايا مغايرة، بحيث نقترب أكثر من أبنية الفكر المنتجة لمواقف

(٥) رواه أحمد: المسند (١٠/ ٤١٢، ٤١٣).

متطرفة إزاءها؛ إما ناحية الانحلال والتفسخ وإما ناحية الجمود والتحجر، والثالث: أنني على يقين بأن تناولَ هذه القضية في ضوء معطيات النصوص القرآنية والنبوية الخاصة بعملية الخلق الأول، ومواقف السيرة العملية لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، تجاهها- هو المخرجُ من هذا الجدال العقيم الذي جررنا إليه في عصورنا الحديثة، ولئن كانت وقفتنا الراهنة ليست تقصد إلى البت في ذلك؛ فإنها تسهم على نحو من الأنحاء.

ولنبدأ بالأحاديث الفائتة نفسها، التي رأينا فيها دلالات الاهتمام بالرجل، فإنها تعكس أيضا الحرص عليهن بصورة ملحوظة، حين نرى النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو يستجيب لرغبتهن في تخصيص يوم يعظهن فيه دون الرجال، وأيضا حين نتلقى مضمون هذا الوعظ الذي يتراءى مستندا إلى الفهم المتعمق عن الجانب النفسي في المرأة من جانب، ومستهدفا دمجها في الكيان الأوسع من جانب آخر، يقول أبو سعيد الخدري: "فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، فَقَالَ: «وَاثْنَيْنِ»"(٦). إن سيدنا أبا سعيد الخدري، رضي الله عنه، لم يذكر لنا شيئا وراء هذا الجزء من الموعظة؛ إلا إذا فهمنا من قوله: "فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ" حضهن على الصدقة، كما صرحت بذلك أحاديث أخرى، وهو ما لعل أبا سعيد كان يقصد إليه قصدا، ليظهر أنه كان محورها، أو على أقل تقدير من أبرز ما يميزها(٧)، وبهذا نشهد الحكمة في إنتاج الوعظ الذي يتلاءم والطبيعة النفسية لهن، إذ يتمتعن بالعواطف الجياشة والأحاسيس المرهفة، ما يجعلهن أكثر جزعا أمام الأحداث المؤلمة، ويستدعي من ثَمَّ التذكير الدائم بما أعد الله لهن حالَ الصبر، كما نشهد الضغط على التكليف الذي يستطعن، وينتمي إلى عالمهن وما جُبِلْنَ عليه من خصائص، إذ يمكن توجيه قوله، صلى الله عليه وسلم: «تُقَدِّمُ» بصورة مبدئية إلى الإسهام في فريضة الجهاد، من حيث نسبة الفعل إليهن، ليكون هذا الحديث مشتركا مع حديث أسماء بنت يزيد الفائت، في تحديد الدور المنوط بهن في هذا الشأن. وهنا سنلحظ التلاحم بين أدوارها التربوية والتحريضية والأمنية في بيتها من جهة وأدوار الرجال في الميدان من الجهة الأخرى؛ فهي الأم القائمة على تربية الغلمان ورفدهم بما يدفعهم إلى الالتحاق بالصفوف الأمامية في معارك الشرف والكرامة، وهي الزوجة التي تحفظ غيبة زوجها وتكفيه مئونة التفكير في الصوارف الحياتية عن أداء هذا الواجب الخطير، وهو التلاحم الذي سيؤكد أن الاعتناء بها لم يكن يصبو إلى عزلها عن المفردات المتعالقة بها حركيا، بل إلى تنشيط دورها المنخرط في منظومة الفعل المجتمعي العام.

لقد تعمدنا أن نبدأ بهذه الأحاديث؛ إمعانا في التأكيد على صلاحيتها لقراءة أخرى، تبرز العناية بالمرأة بوصفها لبنة في كيان كلي عضوي، ومن ثم ستغدو هذه الدلالة أكثر بروزا في غيرها من أحاديث ومواقف تبين مبادرة النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى العناية بها وتسديد وجهتها، دون أن يكون ذلك مجرد استجابة لالتماس تقدمت به مجموعة من النساء، يقول ابن عباس، رضي الله عنه: "خَرَجْتُ مَعَ

---

(٦) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ١٠١).

(٧) يقول ابنُ حجر: "ولم أر في شيء من طرقه بيان ما علمهن، لكن يمكن أن يؤخذ من حديث أبي سعيد الآخر الماضي في كتاب الزكاة، وفيه: فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» الحديث". انظر: ابن حجر: فتح الباري، ١٣/ ٢٩٣.

النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ"(٨)، ففي هذا الخبر يلقانا حرص النبي، صلى الله عليه وسلم، على أن يكون للنساء نصيب من الموعظة التي استمع إليها الرجال، بل أيضا نصيب من التكاليف الملائمة لهن، والتي تعمل على تكريس قوة مضادة لما جبلن عليه من حب المال أو الانبهار بالحلي والزينة، وتكشف روايات أخرى لهذا الخبر عن السبب في اختصاصهن بالموعظة، وأنه كان الظن في أن موعظة الرجال لم تصل إلى أسماعهن، وأن موعظتهن قد امتدت لتمس آفة مستشرية في أوساطهن بصورة ملحوظة، كما تكشف عن حجم الاستجابة العملية لأمرهن بالصدقة، فعن ابن عباس، رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ؛ فَجَعَلَتْ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ"(٩). وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قَالَ: "شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الصَّلَاةَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلَالٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ، فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ؛ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ"(١٠).

إن طائرا يهفو إلى التحليق في السماء ليس بمقدوره أن يستغني عن جناح من جناحيه المرفرفين، بل ربما أبصرنا الترنح الذي يصيب مشيته على الأرض بسبب من جناح عليل، ولذا كان يجب أن يجيء اهتمام صانع الجيل موزعا على الرجل والمرأة كليهما، على نحو يتلاءم وطبيعة الأدوار المنوطة بكل طرف منهما، ولئن كانت المواقف السالفة قد كشفت عن هذا، بصورة قد تبدو متفاصلة على التوالي؛ فإن لدينا في السيرة موقفا يكشف عنه بصورة متداخلة على التوازي، هو موقفه، صلى الله عليه وسلم، من فاطمة، رضي الله عنها، حين حدثتها نفسها بتملك خادم يخفف عنها ما تلقى من أثر الرحى، خاصة بعد أن تنامي إلى علمها أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد أصاب سبيا، ولم لا يكون هذا؟ أليست ابنته وحبيبته؟! لقد جاءت فاطمة، رضي الله عنها، مفعمة بالأمل في أن تظفر ببغيتها، فلم تجد أباها في البيت، فأخبرت عائشة، رضي الله عنها، بهذا الأمر، فلما أن علم النبي، صلى الله عليه وسلم، بما كان منها، أتاها من الليل، وقد أخذت هي وعلي زوجها، رضي الله عنه، مضاجعهما، فقعد بينهما، ثم أنشأ قائلا: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؛ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتَحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»(١١).

هذا الموقف، الذي ربما قرأناه عشرات المرات في يسر، معقد أشد ما يكون التعقيد؛ إذ المربي هنا أحد الأطراف الواقع عليها الفعل التربوي، بالنظر إلى علاقة الأبوة التي تجمعه بفاطمة، وعلاقتَي

(٨) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٩٧٥).

(٩) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٩٨).

(١٠) رواه مسلم في صحيحه (برقم: ٢٠٨٥).

(١١) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٧٠٥)، ومسلم في صحيحه (برقم: ٢٧٢٧).

القرابة والمصاهرة اللتين تجمعانه بعلي، ومن ثم كان عليه أولا أن يأخذ بنفسه، قبل أن يأخذ بأيديهما، إلى مقتضيات الإيمان بالله واليقين فيما عنده والقناعة بما وهب، وإذا كانت فاطمة، رضي الله عنها، هي ابنته، بالمعنى الذي يجعله شريكا لها في أفراحها وأتراحها، وهو ما عبر عنه ذات مرة قائلا: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»(١٢)، فإنها أيضا، من منظور محايث، ليست سوى أَمَةٍ من إماء الله في جموع الأُمة التي يأخذ بها إلى سبل الهداية، وفي مثل هذا الشأن يجيء قوله: «وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»(١٣)، وقوله: «يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»(١٤)، مؤكدا أن المعايير التي يتبناها القائد ينبغي أن تستمد مقوماتها لا من ظروف خاضعة للتبدل، وإنما من الأصول الواحدة الراسخة، حتى لا يكون سلوكه مكذبا ما يدعو إليه من قيم ومبادئ عليا، وعلى هذا فقد كان من المرتقب أن يقف سدا منيعا أمام تنامي رغبة ابنته، خاصة ونحن نقرأ روايات أخرى للحديث(١٥) توضح أنه، وهو قائد الأمة والمسئول عنها، كان يستحضر طائفة الفقراء والمعوزين من أهل الصفة، إذ يقول فيها: «وَاللهِ، لا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ لا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيهِمْ أَثْمَانَهُمْ».

غير أننا نلحظ، في الوقت ذاته، السرعة التي اتسم بها رد الفعل، حتى إن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يرجئ معالجة الأمر إلى الصباح، وهو ما يمكن أن يكون صادرا عنه بوصفه نبيا رسولا، لا يرى شرا إلا وسارع إلى تحذير الأمة منه، وأيضا ما يمكن أن يكون صادرا عنه بوصفه أبا، ينفس عن المشاعر الجبلية التي تختلج بداخله تجاه بيت ابنته، ولعله يعضد من ذلك أنه لم يثبت عنه، بأبي هو وأمي، استمراء إتيان بيوت أصحابه في هذه الساعة المتأخرة، ولا حرج في هذه المشاعر البتة، إذ تظل محصلة الموقف ثابتة على كلا التقديرين.

بوسعنا الآن الانتباه، في هذا الخبر، إلى ما هو أكثر التصاقا بموضوع المبحث الراهن، إذ تتجلى فاطمة فيه لا بهذه الاعتبارات التي أوضحناها فحسب، وإنما أيضا باعتبارات أخرى؛ فهي زوج علي: أحد أهم أفراد الدعوة، وهي أم لغلامين تؤمل فيهما الحركة الإسلامية كل الخير، ولذا كان الخطر الذي يتهددها هو بالضرورة الخطر الذي يتهدد البيت كله، الشيء الذي يحرض صانع الجيل على النفوذ إليها في حضورها الأوسع، والوعي بفاعليتها ودورها المحوري، ومن ثم يأتي الخطاب متجها إليهما: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا..»، وهو ما يمكن أن نتعامل معه وفق مستويين: الأول نرى فيه الوعي بفاعلية المرأة وخطورة انحرافها وأثره على الزوج، وهو وعي تولد من بعض الوجوه عن طريق التجربة الذاتية التي نزل القرآن فيها بقوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ

(١٢) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٧١٤)، ومسلم في صحيحه (برقم: ٦٤٦١).

(١٣) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٤٧٥)، ومسلم في صحيحه (برقم: ٤٥٠٥).

(١٤) رواه مسلم في صحيحه (برقم: ٥٢٢).

(١٥) رواه أحمد: المسند (٢/ ٢٠٢، ٢٠٣).

سَرَاحًا جَمِيلا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٢٨، ٢٩](١٦)، حين سأل نساء النبي، صلى الله عليه وسلم، التوسعة في النفقة.

أما المستوى الثاني: فنرى فيه الحرص على توحيد المنطلقات والغايات ناحية الدار الآخرة، كما تواطأت من قبل في النزوع إلى الدنيا، وهو ما يمكن أن تفصح عنه الرواية الثانية، المشار إليها آنفا، إذ تنسب طلب الخادم إلى علي وفاطمة على السواء، مخلفة صورة طبيعية مرتقبة لرقي المرأة برقي زوجها وفتورها بفتوره، وحقا سنجد نماذج ناتئة عن حدود هذا الإطار، لكن ينبغي التنبه إلى أنها لم تشكل سوى استثناء طارئ، كمثل امرأة لوط وامرأة نوح، اللتين ضربتا نموذجين للتابع العازف عن الهدى برغم القوة الدافعة إليه (نوح ولوط عليهما السلام)، وكمثل امرأة فرعون التي ضربت نموذجا للتابع الراغب في الهدى برغم القوة المضادة له (فرعون)، ولعله مما يشهد لذلك حديث النبي، صلى الله عليه وسلم: «... وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ»(١٧)، خاصة إذا انتهينا إلى بعض شروحه التي جاء فيها أن خيانتها له: "أنها لما رأت آدم قد عزم على الأكل من الشجرة تركت نصحه في النهي له"(١٨).

فوق هذا، فليس الشأن في مجرد المبادرة إلى معالجة الانحراف، وإنما أيضا في اتخاذ الإجراءات والتدابير الكفيلة بتحقيق الهدف، ولعل أول ما يلفتنا في هذا الشأن هو أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد جاءهما وقد اتخذا مضجعهما، وقد مر بنا تعليل ظاهري لهذا الصنيع، ونريد هنا أن نتخذ مدخلا آخر للتفسير، سنعتمد أثناءه فرضية تقصد المربي هذه البقعة لتكون منبرا لإلقاء خطابه، وهذا التوقيت ليشهده ويحتويه، وهو ما يتيح لنا الزعم بتوافر محاولة تكوين البيئة القادرة على حمل مضامين التوحد والانسجام والتراسل بين اللبنات، فالمضجع في هذا الوقت يتجلى مخزن القيم الضخمة التي يخلفها الزواج لكليهما، من مثل السكن والاستقرار والتلاحم الروحي والجسدي والشراكة في المشاعر والرغبات، كما أنه، على الصعيد الآخر، المقر الذي يشهد تنهيدات الألم المكظوم، بعد رحلة الشقاء اليومية المقضية في الأعمال المنزلية، فعليه وحده تلقي المرأة همومها، وإذن فعليه وحده ينبغي أن تتم العملية التربوية الدعوية، بل أيضا عليه، كما يرشد الحديث، ينبغي أن يردد المرء ذكر الله الذي هو خير مما يتطلع إليه من أمور الدنيا..!

الدنيا هي ما كان محمد، صلى الله عليه وسلم، يخشى على أمته، ولذا حذر الأنصار منها، إذ لما سمعوا بمقدم أبي عبيدة بالمغانم من البحرين، وتجمعوا بعد صلاة الفجر أملا في نوال نصيب منها، قال لهم: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١٩)، فهو

(١٦) للمزيد حول سبب نزول هذه الآيات، انظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩/ ٨٤- ٨٧). ونشير هنا إلى مبحث مهم يمكن إفراده بالدراسة لاحقا هو قرآنية الصياغة، إذ كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يتقصد دائما تجسيد الآيات في أحاديثه القولية والفعلية أمام صحابته، ومن ثم حضهم على تمثلها وبعثها في واقع الناس.

(١٧) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٣٣٠)، ومسلم في صحيحه برقم (١٤٧٠)، من حديث أبي هريرة.

(١٨) ابن هبيرة: الإفصاح عن معاني الصحاح، ٧/ ٢٣٠.

(٤٩) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٤٠١٥)، ومسلم في صحيحه (برقم: ٢٩٦١).

مشفق عليهم من إقبالهم على ما فيه هلكتهم، وبهذه الشفقة ذاتها منع عليا وفاطمة الخادم؛ لأن تكاليف الدعوة وواجباتها أثقل بكثير من أن يقوم بأعبائها المترفون المنعمون، ولم يكن علي، رضي الله عنه، منهم في يوم من الأيام، بل كانت حياته حلقات متصلة من القناعة بالقليل، إذ كان أبوه صاحب عيال، فانتقل إلى دار النبي، صلى الله عليه وسلم، وهي دار نعرف صفاتها القائمة على مفارقة الدنايا بكل صورها، ثم ينتقل إلى المدينة وتنتقل معه قناعته، حتى ليتقدم لخطبة فاطمة وهو ليس يملك شيئا يمهرها به سوى درع، كان قد أخذها من الرسول نفسه، ويتزوج في دار يفترش فيها جلد كبش ينام هو وزوجه عليه بالليل، ويعلفان عليه ناضحهم في النهار! وإذن فلماذا يطفر هو وزوجه فجأة؟! ولماذا يسهل لهما المربي السبيل إلى حاجيات لعلها تتسبب في خفوت صلتهما بالله؟! بل خلاف ذلك هو ما ينبغي اتخاذه إزاءهما، وتساوقا مع هذا يكون الترياق الذي يتجرعاه على يد النبي، صلى الله عليه وسلم، لا جدلا براقا أو نقاشا نظريا، من الممكن أن يكون ناجعا في حالات أخرى، وإنما هو الإيغال في الانشغال عن الدنيا بالكلية، والتحليق في فضاءات علوية تستشرف الآخرة، لينتقلا من التفكير الملح في الخادم إلى التفكير المطلق فيمن بيده ملكوت السماوات والأرض، ففي ذاك التفكير المستبدَل به سيتجسد الفقر الحقيقي عن طريق الشعور بالاحتياج، أما التفكير المستبدَل فبه وحده سيتجسد الغنى الحقيقي، من حيث الشعور المتعاظم بالافتقار إلى الله الغني وحده!

**رابعاً:**

لقد ذكرنا أن فاطمة، رضي الله عنها، أيضا أم لغلامين من غلمان الدعوة، وهو ما يعيدنا إلى الفقرات الأولى من المبحث الراهن، حيث الحديث عن هذه الفئة العمرية وتعامل المسئول معها، ونود في البدء التنبيه على أننا لسنا معنيين بالتأكيد على أن الشريعة قد أولتهم اهتماما بالغا، وهو ما يكاد يشكل لدى القارئ اليوم معرفة مستقرة، وإنما فحسب ببيان التصور الضابط لطبيعة حضورهم في البيت والمجتمع، ومن ثم صياغة الفعل التربوي المؤسس عليه. إن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يكن يركز عليهم تركيزا من شأنه إقصاء أصولهم عن دائرة الاهتمام، وإنما كما سبق أن أشرنا كان يعمد إلى إدراجهم في سياقهم الأوسع، حفاظا على استقرار انتمائهم، وطمعا في تجنيبهم احتكاكات تهدر قدرا من الطاقة المختزنة؛ ولننظر الآن إلى هذا المشهد الذي يجمع بين الغلامين: الحسن والحسين، رضي الله عنهما، يقول أسامة بن زيد: "طَرَقْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ فَخَرَجَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ. فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَاجَتِي؛ قُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ؟ قَالَ: فَكَشَفَهُ فَإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، عَلَى وَرِكَيْهِ، فَقَالَ: «هَذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِيَ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»"(٢٠)، وهو المشهد الذي أراه بَيِّنَ الدلالة على ما أرمي إليه؛ إذ تؤلف فيه ألفاظ النبي، صلى الله عليه وسلم، نسيجا موحدا بالاعتماد على العلاقات البشرية الممكنة الآتية: أبوته لهما، أبوته لفاطمة، بنوتهما لفاطمة، حبه لهما، حب الله

(٢٠) رواه الترمذي: السنن (برقم: ٣٧٦٩).

لهما، حب الله لمن يحبهما، وهي العلاقات التي تتأبى على الفصام، إذ تسلم الواحدة لأختها بصورة تلقائية.

الطريف أن هذا الفعل، سيتكرر نظيره مع أسامة نفسه، رضي الله عنه، إذ يروي لنا في حديث آخر أنه كان يأخذه هو والحسن، ثم يقول: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»(٢١)، وقد رأينا الحب الموجه للحسن، في الحديث الفائت، وهو يولد من رحم علاقات النسب المتشابكة، وإذن فمن أين ينبع مثل هذا لأسامة، وهو لا يزال صغيرا لما يقترف بعد ما يحدد طبيعة الشعور إزاءه؟! إننا هنا بصدد إحالة ضمنية إلى أصوله تارة أخرى؛ إذ الأب (زيد بن حارثة) الذي كان قد تبناه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأحبه حبا شديدا، والأم (أم أيمن) التي كانت حاضنة النبي، صلى الله عليه وسلم، في صغره فكانت بمنزلة أمه، والبيت الذي أسسه النبي لهما بعد أن أعتقهما وزوجهما، بالمعنى الذي جعله يتسلم قياده ويتصرف في شئونه، ومن ثَمَّ في ثمرة هذا الاجتماع والتلاقي: أسامة بن زيد نفسه، ولذا كان الحب جديرا بأن ينسرب إلى الجهات كلها، يدعم ذلك تأملنا في هذا الحديث الذي يقص عن مرحلة لاحقة من حياة أسامة، بعد أن بلغ سنا رشيدة وأبلى بلاء حسنا وصدَّق الحدس فيه، إذ ولاه النبي، صلى الله عليه وسلم، إمارة الجيش بعد وفاة أبيه؛ فأظهر الناس تبرما ربما لصغر سن أو تواضع مكانة، فوقف فيهم معلما زاجرا بقوله:«إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ؛ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ كَانَ خَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»(٢٢)؛ فالسياق هنا لا يزال مصرا على استحضار الجذور، رغم أن الحدث في صورته الآنية الظاهرة ليس خاصا إلا بأسامة وحده، لكنه الموقف الذي يصدر عن الربط الذهني والوجداني بينهما، وأيضا المربي الذي يهدف إلى استثمار المواقف السالفة في استقصاء خيوط الانحراف الممتدة، التي تشكل خطورة على المبادئ بين صحابته.

هذا الفهم الذي نحاول تكريسه الآن من الممكن أن نشهد أمارات تحققه في مواقف الصحابة وتصوراتهم، فعن عبد الله بن دينار قال: "نَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، إِلَى رَجُلٍ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: انْظُرْ مَنْ هَذَا لَيْتَ هَذَا عِنْدِي، قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟! هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ، قَالَ: فَطَأْطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ وَنَقَرَ بِيَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَحَبَّهُ"(٢٣)، وعن حرملة مولى أسامة بن زيد: "أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ دَخَلَ الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ، فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَقَالَ: أَعِدْ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: الْحَجَّاجُ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ أُمِّ أَيْمَنَ: فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَوْ رَأَى هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَحَبَّهُ، فَذَكَرَ حُبَّهُ وَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ"(٢٤)، ففي هذين الخبرين يلقانا الفهم الدقيق من ابن عمر، رضي الله عنه، عن عاطفة الحب المتناسلة، وكيف أنها ترتهن بتداعياتها ورموزها

(٢١) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٧٤٧).

(٢٢)رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٤٢٥٠).

(٢٣) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٧٣٤).

(٢٤) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٣٧٣٧).

الشاخصة، يقول ابن حجر تعليقا على الخبر الأول: "إنما جزم ابن عمر بذلك لما رأى من محبة النبي، صلى الله عليه وسلم، لزيد بن حارثة وأم أيمن وذريتهما، فقاس ابن أسامة على ذلك"(٢٥)، ويقول تعليقا على الخبر الثاني: "قوله: فذكر حبه وما ولدته أم أيمن، كذا ثبت بواو العطف في رواية أبي ذر، والضمير على هذا لأسامة في قوله: فذكر حبه، أي ميله. وفي رواية غير أبي ذر: فذكر حبه ما ولدته أم أيمن، فعلى هذا فالضمير للنبي، صلى الله عليه وسلم، وما ولدته إلخ هو المفعول، والمراد بما ولدته أم أيمن ما ولدته من ذكر وأنثى"(٢٦)، وعلى هذا نتصل ببيان جلي واضح في شأن العلاقات المتلاحمة الكائنة بين صحابته، أيا كانت الرواية الحديثية التي سنعتمدها منهما.

من اليسير هنا استخلاص القاسم المشترك بين هذه الأحاديث التي انتخبناها، إنه الحب الذي يوزعه صانع الجيل، صلى الله عليه وسلم، على صحابته وذويه، والحب مصطلح أسيء توظيفه كثيرا على يد بعض السذج؛ سواء أكان ذلك في كتاباتهم أم في سلوكياتهم، حين يقحمونه أحيانا في مواجهة متخيلة مع الحزم والصرامة، وحين يترجمونه أحيانا في واقعهم إلى الترخص والتحلل وابتلاع الأخطاء، وحين يستجيبون أحيانا لدعاوى الحب اللاإرادي الذي لافكاك من ضريبته الجانية على القيم والثوابت، بينما الحب في حقيقة الأمر عاطفة ديناميكية مسئولة، لا تتجلى تنفيسا عن شهوة، خاصة إذا كنا نتحدث داخل إطار علم السلوك، ولذا يحرص بعض الكُتَّاب(٢٧) على تأكيد أن الحب الذي يفتقر إليه المربي إنما هو الحب المسلح، وأحكم من هذا، بحسب التصور الإسلامي، التشبث بما منحتنا إياه الأحاديث الفائتة عينها، إذ حرصت على أن تقيم بين هذه العاطفة وبين مَن قلوب العباد بين أصبعيه سببا متينا مباشرا، فالحب لا يكون إلا من الله وبه وإليه، وعلى هذا النحو تنضبط البوصلة في توجهاتها، ولا تبعثر الشحنات عبثا كيفما اتفق، أو لنقل سيتم التوازن بين الحب الذي يتناسل بصورة تلقائية عن طريق التداعيات في كفة، والإفساح أمام تعديله أو تبديله بحسب ما يطرأ من مستجدات على الشخص الممنوح إياه في الكفة الأخرى.

على أنه من المهم الوقوف أخيرا عند نموذج ينهض بالإبانة عن صورة الاتصال المباشر بالغلام في حضوره المستقل، بجوار الاتصال به عن طريق الوسائط المرتبطة به، لتستقر الصورة بكليتها في أذهاننا عن المزاوجة البديعة التي أداها النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذا الشأن. يقص علينا عبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنه، عن خبر غلامين في غزوة بدر قائلا: "بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلامَيْنِ مِنْ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى

---

(٢٥) ابن حجر: فتح الباري، ٧/ ٨٨، ٨٩.

(٢٦) ابن حجر: فتح الباري، ٧/ ٨٩.

(٢٧) انظر: باولو فريري: المعلمون بناة ثقافة، ص٢٧.

قَتَلاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ:«أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ:«هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالا: لا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ:«كِلاكُمَا قَتَلَهُ»(٢٨).

سنحاول هنا قدر الطاقة الاقتصار على ما يخص موضوعنا، رغم ازدحام الخبر بكثير من الدلالات الجديرة بالتنبيه عليها، ونبدأ أولا بالسؤال عن الروافد، تلك التي لم يتعرض لها الحكي بصورة صريحة، وإن كنا نجد في قول: "أُخْبِرْتُ.." ما يشكل محرضا على الكشف عنها، لنظفر باحتمالات متقاربة، لا تكاد تخرج عن دائرة أسرته الصغيرة: أبيه وأمه، ودائرة أسرته الكبيرة: مجتمع المدينة، فعنهما تم تلقي العقيدة القتالية، واستعذاب الموت في سبيل نصرة الحق، والنهضة في الذب عن الأولياء والمتبوعين، كما شكلتا له أيضا الأداة الإعلامية في نقل الأخبار وبثها، وإذن فمن الغفلة أن يتم النظر إلى الغلامين بوصفهما ظاهرة طفرت في دنيا الناس فجأة، بل العكس هو الصحيح، إنهما نتاج عمليات متراكبة متلاحقة بعيدة القرار، لم يسهما هما فيها إلا من حيث موقعية المستقبل، وهي الموقعية التي تعمل على الإتمام لا الإنشاء، ويتبع ذلك وقفة تأملية أخرى أمام فعلهما بعد قتل أبي جهل، بغية الكشف عن تصوراتهم المضمرة إزاء القائد وإزاء المجتمع، وهو التصور الذي يمكننا من توصيف دورهم الفاعل، لنرى أنهما كانا يتمتعان بصلاحيات الاتصال المباشر الوثيق بالمركز الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين، ويناضلان من أجل اقتناص الاعتراف الجمعي ببطولتهما، كفؤا لاستحالتهما طاقة منحت إرادة الجماعة التحقق في الوجود، وبهذا تتجلى المزاوجة التي ألححنا عليها مرارا، بين أن يشخص الفرد للمربي بنية مستقلة، وأن يكون بنية في بناء كلي، بالمعنى الذي يسمح بتحمل رسالته كاملة، وتفادي معوقات التشويش، ومن ثم أداء المهمات من جهة الإحساس بمسئوليته الفردية، وجهة تمثيله طموحات الأمة وتطلعاتها.



(٢٨) رواه البخاري: الجامع الصحيح (برقم: ٢٩٧٢)، ومسلم في صحيحه (برقم: ١٧٥٢). والغلامان المذكوران هما الصحابيان الجليلان: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن العفراء، رضي الله عنهما، وقد قضى النبي، صلى الله عليه وسلم، بالسلب لمعاذ بن عمرو بن الجموح وحده، ويرى بعض المؤرخين أن ذلك كان بسبب موت الآخر، ويرى بعضهم أنه كان بسبب أن الضربة التي تولد عنها الانتقال من حال إلى حال هي الضربة التي منحها إياه الأول، وجدير بالذكر أن اسم ابن العفراء يقابلنا أحيانا في المصادر هكذا: "معاذ"، وفي كتب التاريخ أن لمعوذ أخا اسمه معاذ، ويذكرون أن معوذا هو الذي مات في بدر بينما امتدت حياة معاذ بن العفراء إلى زمن عثمان، انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ١٨٣، ٢٦٧، والطبري: تاريخ الأمم والرسل والملوك، ٢/ ٣٦، والبيهقي: دلائل النبوة، ٣/ ٨٥.

# حديث علو ماء المرأة مع الرجل في مواجهة تحديات الطب الحديث

**آدم محمد مصطفى (الجدكاوي)**

طالب بمرحلة الدكتوراه بقسم دراسات القرآن والسنة

الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا



**المقدمة:**

إنه لمن الموضوعية العلمية أن يسبق الحكم على الشيء تصور شامل للمسألة، كثر الجدل حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الآونة الأخيرة بين متشدد له ومتساهل فيه، وهذه الدراسة -أمل أن أكون فيها متوسط معتدل- تبحث محاورها عن إجابة لتلك الأسئلة حول مسألة "علو ماء المرأة مع ماء الرجل" حيث أن المسألة لها بعد علمي وآخر إيماني، والبعد العلمي يتمثل فيما يخص الطب بمكتشفاته الحديثة الذي قدم للعالم معطيات علمية يفيد بأن ماء المرأة ليس فيها حوينات منوية على خلاف ماء الرجل، ويفهم من نص الحديث على أن الماءين يحملان نفس المواصفات المنوية، وهذه تعتبر إشكالية ولا تزال قائمة وتحتاج إلى وقفة علمية عندها والتصدي لها بالدراسة المتأنية الهادئة. ويهدف البحث إلى بيان حكم الحديث والوقوف على شواهده وألفاظه، ومن ثم سبر شروح الأئمة على نص الحديث في الغابر والحاضر، وبيان موقف العلماء من التعارض بين نص الحديث والمكتشفات الطبية الحديثة في هذه المسألة بالتحديد، كذلك يضع البحث معايير وضوابط عند إرادة المقارنة بين نصوص الأحاديث والمعطايات الطبية. والمنهجية المتبعة في الدراسة، المنهج الاستقرائ والتحليلي، وذلك لسبر المادة العلمية وشروحها قديماً وحديثاً، كذلك الأمر في المعطيات الطبية إلى أن الإعتماد يكون على المكتشفات المعاصرة فقط. وتم توزيع محاور الدراسة إلى الآتي:

المحور الأول: تخريج الحديث بطرقه وألفاظها.

المحور الثاني: مفهوم الحديث عند العلماء المتقدمين والمتأخرين ما قبل مكتشفات الطب الحديث

المحور الثالث: التحديات التي واجهها الحديث قديماً وحديثاً.

أهم النتائج والتوصيات.

إنه لمن دواعي السرور والبهجة أن يجد الباحث ضالته في بحث بذل فيه أنفس أوقاته وطاقاته من أجل أن يصل إلى نتيجة بسببه يزيل عن الناس اللبس والجهل. والله أسأل أن يكون فاتحة خير لي في هذا البحث الحيوي الذي يخدم السنة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

## المحور الأول

## طرق وألفاظ الحديث

فإنه من المسلم به عند المختصين في السنة أن ما ورد في الصحيحين مفروغ عن الحكم عليه، أي لا يسأل عن حكم حديثٍ ورد في الصحيحين؛ لأن مؤلفيهما اشترطا الصحة في الرواية والتزما بها، وذلك على خلاف أصحاب السنن لم يشترطوا الصحة في كتبهم؛ لذا أحتيج إلى التخريج ومعرفة حكم الحديث فيما رووه، وفي هذا المحور قمت بعملية السبر والتقصي لألفاظ الحديث المعني بالدراسة.

**روايات الحديث في صحيح مسلم[1]:**

**الرواية الأولى:**

رواية أم المؤمنين عائشة: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها، وهذه الرواية هي ركن الزاوية لموضوع الورقة، وسبب ورود الحديث أن امرأة سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الماء والبلل تجده نتيجة الاحتلام، ها هي أم المؤمنين عائشة تروي لنا قصة المرأة قائلةً: أَنَّ امْرَأَةً، قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتِ الْمَاءَ[2]؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ: تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأُلَّتْ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعِيهَا، وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ ذَلِكِ؟ إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ، أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا، أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ ".[3]

التعليق: وفي لفظ هذا الحديث إشارة إلى سبب من أسباب شبه الولد لأخوله وأفاد بأنه يتم ذلك في حالة علو ماء المرأة على ماء الرجل، والعكس في حالة علو ماء الرجل ماء المرأة يكون شبه الولد لأعمامه، ولم يشير لفظ هذا الحديث إلى سبب من أسباب الذكورة ولا الأنوثة، وإنما اكتفى ببيان الشبه ولم يرد في نص الحديث أيضاً كلمة "نطفة" ولا كلمة "مني" وكأن في ذكر الماء سر إعجازي.

**الرواية الثانية:**

---

[1] وله شواهد في الصحيح وكتب السنن وغيرها دونك نماذج منها: (١). أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه ...قوله: "وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا) قال أشهد أنك رسول اللَّه. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ج، ص٨١٨، حديث رقم:٣٣٢٩. وفي كتاب التفسير، باب من كان عدواً لجبريل، ج١٣، ص٤٠٠، رقم٤٤٨. (٢). أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قوله: "إِذَا عَلَا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ، أَشْبَهَ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا، أَشْبَهَهُ". أحمد بن حنبل. المسند. ج٤١، ص١٥٦، رقم ٢٤٦١٠. (٣).أخرج الإمام البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها... قوله: "إِذَا عَلا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَعْمَامَهُ ". البيهقي. السنن الكبرى. ج١، ص٢٦٠، رقم٧٩٤.(٤). أخرج الإمام أبو يعلى الموصلي من حديث عائشة رضي الله عنها... قوله: "إِذَا عَلا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الرَّجُلُ أَخْوَالَهُ، وَإِذَا عَلا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَشْبَهَهُ". أبو يعلى. مسند أبي يعلى. ج٧، ص٣٦٠، قم٤٣٩٥.(٥). أخرج الإمام النسائي من حديث عائشة رض الله عنها... قوله: "أَوَ تَرَى الْمَرْأَةُ ذَلِكَ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: " تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ". النسائي. سنن النسائي. ج١، ص١١٢، رقم١٩٦. وغير ما هنالك من الشواهد وليست هذه على سبيل الحصر.

[2] علماً بأن الماء الذي يوجب الغسل هو "المني" دون الودي والمزي، وتفاصيل ذلك يراجع كتب الفقه ففيه الغنية.

[3] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ج٢، ص١٨٨، رقم ٣١٦.

رواية ثوبان: روى الإمام مسلم أيضاً في صحيحه من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حديث طويل الشاهد منه قوله: "جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ، قَالَ: "مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ"، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ ".[٤]

التعليق: وفي لفظ هذه الرواية عدة وقفات وهذه الوقفات تعتبر هي بيت القصيد ومربط الفرس من متن هذا الحديث الطويل، وسبب ورود الحديث كان حبر من أحبار اليهود جاء يسأل عن أمور لا يعلمها إلا نبي مرسل وأراد بسؤاله هذا يختبر نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قال جئت أسأل عن الولد؛ أي عن جنسه ومتى يكون ذكراً أو أنثى، وجاءت إجابته عليه الصلاة والسلام كالتالي أولاً عرفه بتلك المادة التي منها يخلق الإنسان أي المني، ومن ثم بين له طبعية مني الرجل ومني المرأة بقوله صلى الله عليه وسلم ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، وبعد هذا عرج عليه الصلاة والسلام وذكر له سبب الذكورة والأنوثة بأنه إذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة يكون الولد ذكراً كذلك العكس، وبعد هذا الجواب الشافي عَلِم الحبر بأن هذه الإجابة لم تكن من عند محمد صلى الله عليه وسلم كرجل عربي في شبه الجزيرة العربية؛ بل هي من عند الله العليم الخبير، فلما أيقن أسلم وشهد بنوة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن اختلاف الأئمة في رواية ثوبان هذه في ورود كلمتي الذكورة والأنوثة في متن الحديث، ويأتي تفصيل ذلك لاحقاً من هذا البحث.

**الرواية الثالثة:**

رواية أنس بن مالك: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: "حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ حَدَّثَتْ أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمَرْأَةِ تَرَى فِي مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَتْ ذَلِكِ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ وَهَلْ يَكُونُ هَذَا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلَا أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ"[٥]

التعليق: وفي هذه الرواية وردت فيه صفة كل من ماء الرجل وماء المرأة، حيث وصف صلى الله عليه وسلم ماء الرجل بأنه غليظ مقارنة بماء المرأة الذي هو ماءٌ رقيق، وأشار إلى إمكانية علو أحد المائين أو سبقه على الآخر، وأفاد بأن الشبه ناتج من العلو أو السبق، ولم يرد سبب الذكورة والأنوثة في هذه الرواية كما هو الشأن في الرواية الثانية، وفي هذه الرواية ثمة زيادة في صفة كل من المائين حيث جاء وصف ماء الرجل بأنه غليظٌ، وماء المرأة بأنه رقيقٌ.

---

[٤] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما. ج١، ص٢٥٢، رقم٣١٧.

[٥] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ج٢، ص١٨٥، رقم ٣١٤.

## المحور الثاني

## مفهوم الحديث عند العلماء المتقدمين والمتأخرين

### ما قبل مكتشفات الطب الحديث:

المتتبع والمستقرء لشروح الأئمة العلماء للحديث عند المتقدمين منهم والمتأخرين، فإن حصيلة ونتيجة الاستقراء تتمحور في ثلاث نقاط رئيسة كالآتي:

أولاً: التركيز على المفهوم اللغوي في شرح الحديث.

ثانياً: التركيز على الجانب الفقهي في شرح الحديث.

ثالثاً: محاولة شرح الحديث علمياً في شرح الحديث.

دأب العلماء محدثين ومفسرين على شرح وتفسير نصوص الوحي من خلال المراد اللغوي وذلك للوقوف على أصل الكلمة ومشتقاتها، ومن ثم يأتي المفهوم الفقهي للكشف وتحديد مناط الحكم الشرعي إن كان النص قد ورد في معرض الأحكام الفقهية، وهذه المنهجية والأسلوب المتبع في شرح النصوص هو الشائع والمعهود في تراثنا قديماً وحديثاً، إلا أن التفسير العلمي أخذ حظاً أوفر في العصر الحديث؛ وذلك لتطور العلم وتقدمه سيما في مجال العلوم التجريبية، مما ساهم كثيراً في البحث على تفسيرات لبعض النصوص التي فيها إشارات علمية، ورأينا كيف تعامل معها الأئمة الأفاضل أمثال الإمام الحافظ ابن حجر حيث رأيناه ينقل عن أطباء عصره وشرح النص الحديثي علمياً ولم ينكن نقله مجرد النقل؛ بل كان له منهج يسير عليه رأيناه مرة يرد على ما قرره أهل التشريح عندما خالف استنتاجهم نصاً نبوياً صحيحاً صريحاً، ولخطورة الموقف وحساسيته إجتهد العلماء ووضعوا معايير وضوابط لشرح وتفسير نصوص الوحي علمياً.

وبما أننا في صدد بيان التحديات المعاصرة التي تواجه السنة المتمثلة في أحاديثها حيث شعار مؤتمرنا المبارك يجدر بنا الوقوف على مفهوم المتقدمين لمتن هذا الحديث الذي هو محور موضوع الورقة، ومن ثم نعرج لبيان التحديات التي واجهت الحديث والوقوف عندها بموضوعية علمية هادئة، حتى لا نتهم بالإنحيازية والدفاع المستميد دون حجة ولا برهان.

### أولاً: مفهوم العلماء المتقدمين لعلو الماء:

الإمام ابن حجر العسقلاني[٦]: قال الحافظ ابن حجر: والمراد بالعلو هنا السبق؛ لأن كل من سبق فقد علا شأنه فهو علو معنوي.[٧] ومعنى العلو عند الحافظ بأنه علو شأن وليس علو حسي وذلك في معرض شرح حديث ثوبان، الرواية الثانية وليست الأولى. وأما عن كون الذكورة بسبب علو الماء هذا المعنى أبعده الحافظ ابن حجر ولم يكن وارداً عنده وذلك بقوله: "علا شأنه فهو علو معنوي" وعلق على رواية

[٦] هو الإمام شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي الكناني، العسقلاني، الشافعي. المولود سنة ٧٧٣هـ، والمتوفى رحمه الله سنة ٨٥٢هـ.

[٧] ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٢٧٣.

ثوبان لرفع الإشكال قائلاً: "وأما ما وقع عند مسلم من حديث ثوبان رفعه، فهو مشكل من جهة أنه يلزم منه اقتران الشبه للأعمام إذا علا ماء الرجل، ويكون ذكراً لا أنثى وعكسه، والمشاهد خلاف ذلك؛ لأنه قد يكون ذكراً ويشبه أخواله لا أعمامه وعكسه".[٨]

ويفهم من تعليق الحافظ على الحديث؛ بأن علو الماء ليس على هذا النحو، يعني لا يفهم منه لزوم اقتران الشبه للأعمام يكون بذلك ذكراً أو العكس، وذكر أن مستنده في ذلك الواقع المشاهد - وكما يقال "الواقع سيد الأدلة" - حيث قال قد يكون ذكراً وهو يشبه أخواله لا أعمامه والعكس كذلك.

ويجيب الحافظ على هذه الإشكالية بدرر من نفائس المعرفة وكأنه يتكلم بلسان أهل التشريح الأطباء، حيث يصف تلك الحالة التي تتنافس فيه الحوينات المنوية، فيقول:

أ. يكون السبق علامة التذكير والتأنيث.
ب. والعلو علامة الشبه فيرتفع الاشكال.
ج. وكأن المراد بالعلو الذي يكون سبب الشبه بحسب الكثرة بحيث يصير الآخر مغموراً فيه، فبذلك يحصل الشبه وينقسم ذلك إلى ستة أقسام:
   ١. أن يسبق ماء الرجل ويكون أكثر فيحصل له الذكورة والشبه في ذلك.
   ٢. عكسه.
   ٣. أن يسبق ماء الرجل ويكون ماء المرأة أكثر فتحصل الذكورة والشبه للمرأة.
   ٤. عكسه.
   ٥. أن يسبق ماء الرجل ويستويان فيذكر ولا يختص بشبه.
   ٦. عكسه.[٩]

هذه من المؤكد معلومات طبية ليست لغوية ولا فقهية، ولم نقف على مصادر التي نقل منها الحافظ، ولكن هذه المعلومات جيدة في حينها وهي محاولة من الحافظ لشرح الحديث علمياً لما تضمنه متن الحديث على إشارات علمية، وهذا مما يجعل العالم الباحث أن يبحث في كل مجال من مجالات العلم لعل وعسى أن يجد تفسيراً لتلك الإشارات العلمية، وأخيراً يحصل الحافظ على معلومات علمية قد تعتبر من الحقائق العلمية في زمانه، وإلا ما كان ليقيدها في مؤلفة العظيم فتح الباري، والشيء المستفاد من هذا النقل عن أهل التشريح هو أن كل فن له رجالاته المتخصصين يرجع إليهم حتى يجد الباحث ضالته المنشودة، والحكمة ضالة المؤمن.

ومعنى كلمة (الماء) الوارد في متن الحديث عند الحافظ رحمه الله المقصود به هي النطفة وعرفه تعريفاً بالإمكان القول بأنه تعريفاً طبياً، حيث أورد قائلاً: "والمراد بالنطفة المني وأصله الماء

---

[٨] ابن حجر، فتح الباري ، ج٧، ص٢٧٣.
[٩] المصدر نفسه، ج٧، ص٢٧٣.

الصافي القليل، والأصل في ذلك أن ماء الرجل إذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق من ذلك جنيناً هيأ أسباب ذلك؛ لأن في رحم المرأة قوتين:

أ. قوة انبساط عند ورود مني الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة.

ب. وقوة انقباض؛ بحيث لا يسيل من فرجها مع كونه منكوساً ومع كون المنى ثقيلاً بطبعه.

وفي مني الرجل قوة الفعل، وفي مني المرأة قوة الانفعال، فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالأنفحة للبن[١٠].

فإن الحافظ ابن حجر رحمه الله تناول مفهوم علو الماء لغوياً وعلمياً كما عند أهل التشريح[١١] من الأطباء، وكون الأئمة العلماء من المتقدمين ينقلون عن أهل التشريح في زمانهم؛ حتى يتوصلوا إلى المعنى المراد من الكلمة ما دامة الكلمة لها علاقة بمجال تخصصهم وهم أدرى الناس في ذلك فحسن النقل عنهم؛ حتى ينجلي المراد من الكلمة بأبعاده المختلفة.

الإمام الطحاوي[١٢]: وصف ماء الرجل دون المرأة نقلاً عن العلماء حيث قال: وقد ذهب قوم إلى أن نفس النطفة من الرجل فيها روح، وكان منعها من الرحم وصرفها إلى غيره إتلافاً لذلك الروح.[١٣]

القاضي أبو بكر بن العربي:[١٤] حصر الإمام ابن العربي مفهوم علو كلٍ من ماء الرجل وماء المرأة في أربعة أحوال كالآتي:

١. أن يخرج ماء الرجل أولاً وكان أكثر جاء الولد ذكراً بحكم السبق وأشبه الولد أعمامه بحكم الكثرة.
٢. أن يخرج ماء المرأة أولاً وكان أكثر جاء الولد أنثى بحكم السبق وأشبه أخواله بحكم الغلبة.
٣. أن يخرج ماء الرجل أولاً ويكون أكثر. لكن لما خرج ماء المرأة بعده كان أكثر كان الولد ذكراً بحكم سبق ماء الرجل، وأشبه أخواله بحكم غلبة ماء المرأة
٤. أن يخرج ماء المرأة أولاً ويكون أكثر. لكن لما خرج ماء الرجل كان أعلى من ماء المرأة، كان الولد أنثى بحكم سبق ماء المرأة وأشبه أعمامه بحكم غلبة ماء الرجل.

وبعد هذا السرد للأحوال الأربعة وتحليلها تحليلاً علمياً أقرب إلى تحليل أهل التشريح يضيف قائلاً: وبانتظام هذه الأقسام يستتب الكلام ويرتفع التعارض عن الأحاديث.[١٥] ووصف الإمام ابن العربي

---

[١٠] والأنفحة بكسر الهمزة وقد تشدد الحاء وقد تكسر الفاء: شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر فيعصر في صوفة فيغلظ كالجبن فإذا أكل الجدي فهو كرش. ينظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي،ص٣١٣.

[١١] وقد يسأل سائل هل في زمن الإمام ابن حجر تشريح؟ الجواب نعم، والدليل على هذا ما جاء في فتح الباري في معرض الرد على أهل تشريح زمانه حيث قال -رحمه الله تعالى- " وزعم كثير من أهل التشريح أن منى الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض وأحاديث الباب تبطل ذلك" (الفتح: ج ١١،ص٤٨٠).

[١٢] هو الإمام أحمد بن محمد أبو جعفر الطحاوي. من طحا، قرية بصعيد مصر. المولود سنة ٢٣٨هـ، والمتوفي رحمه الله سنة ٣٢١هـ.

[١٣] الطحاوي، أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م)،

[١٤] هو الإمام محمد بن عبدالله ، أبو بكر ابن العربي. إمام من أئمة المالكية. المولود سنة ٤٦٨هـ، والمتوفي رحمه الله سنة ٥٤٣هـ.

روايات صحيح مسلم عن علو الماء فيما بينها تعارض، وبهذا الشرح والبيان منه ارتفع التعارض في حينه إن كان ثمة تعارض.

الإمام ابن القيم الجوزية[١٦]: يصف طبيعة الماءين بقوله: منى الذكر من جملة الرطوبات والفضلات التي في البدن وهذا أمر يشترك بين الذكر والأنثى، وبواسطته يكون الشبه وإن لم يكن للمرأة مني لما أشبهها ولدها، ولا يقال إن الشبه سببه دم الطمث، فإنه لا ينعقد مع مني الرجل ولا يتحد به وقد أجرى الله العادة بأن التوالد لايكون إلا بين أصلين يتولد من بينهما ثالث، ومنى الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى وقد اعترف أرباب القول الآخر بذلك وقالوا: لابد من وجود مادة بيضاء لزجة للمرأة تصير مادة لبدن الجنين ولكن نازعوا هل فيها قوة عاقدة كما في منى الرجل أم لا؟ وقد أدخل النبي صلى الله عليه و سلم هذه المسألة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان مولاه حيث سأله اليهود عن الولد فقال: "ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا منى المرأة منى الرجل آنث بإذن الله". نعم، لمنى الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع فإن أراد من نفى منى المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب ومنى المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فإن نفى ذلك عنها أخطأ وفي كل من الماءين قوة فإذا انضم أحدهما إلى الآخر اكتسبا قوة ثالثة وهي من أسباب تكون الجنين واقتضت حكمة الخلاق العليم".[١٧]

الإمام ابن القيم، أثبت -كما في رواية أم المؤمنين- على أن للمرأة مني، ورد على بعض الأطباء عن نفيهم أن للمرأة مني بقوله: إن لم يكن للمرأة مني لما أشبهها ولدها، ورأينا كيف تناول المسألة وكأنه ما عرف إلا طبيباً، وكانت الأرضية التي منها ينطلق هو الوحي.

الإمام ابن تيمية[١٨]: قال: فإن تلك النطفة من مني الرجل والمرأة.[١٩] الشاهد من ما ذكره شيخ الإسلام قوله: النطفة من مني الرجل والمرأة.

وقال الإمام الألوسي: في تفسير قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ "أي منى من النطف بمعنى التقاطر، وقال الراغب: النطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل، قيل والتخصيص على هذا مع أن الخلق من ماءين؛ لأن معظم أجزاء الإنسان مخلوق من ماء الرجل، والحق أن النطفة كما يعبر بها عن منى

---

[١٥] القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن.تحقيق: هشام سمير البخاري. الرياض دار عالم الكتب. ط١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م، ج١٦، ص٥١.

[١٦] هو العالم الرباني محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، من أعلام الإصلاح الديني في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق وتتلمذ على يد ابن تيمية، حيث تأثر به تأثرًا كبيرًا وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. وسُجن ابن قيم الجوزية وعُذِّب عدة مرات، وأطلق من سجنه بقلعة دمشق بعد وفاة ابن تيمية. المولود سنة ٦٩١هـ، والمتوفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ

[١٧] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، (دار الفكر)، ص ٢٠٨.

[١٨] هو العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. شيخ الإسلام في زمانه. المولود سنة ٦٦١هـ، والمتوفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ

[١٩] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى. المحقق: أنور الباز وعامر الجزار، (دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.)، ج١٧، ص٢٥٢.

الرجل يعبر بها عن المنى مطلقاً، وكلام الراغب ليس نصاً في نفي ذلك، والظاهر أن المراد النطفة التي يخلق منها كل واحد بلا واسطة.[٢٠]

وعقب الإمام الألوسي على كلام الراغب على تخصيص النطفة بماء الرجل دون المرأة، ويمكن الجمع بين الرأيين؛ لأنه يرد كلمة النطفة ويراد به ماء الرجل دون المرأة والعكس صحيح، ويراد به ماء الرجل وماء المرأة معاً وعلم ذلك بالتفصيل بعد المكتشفات العلمية المعاصرة، وتناول هذه المسألة العلماء الأطباء ودونك الدكتور محمد علي البار المتخصص والباحث في مجال الطب الإسلامي حسب استقرائه يقول: وقد ورد لفظ النطفة في القرآن والسنة المطهرة على ثلاثة معانٍ:

١. النطفة المذكرة: وهي الحيوانات المنوية الموجودة في المني.

٢. النطفة المؤنثة: وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.

٣. النطفة الأمشاج: وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي والبويضة عندما يتم التلقيح.[٢١]

**ثانياً: مفهوم العلماء المعاصرين لعلو الماء:**

وفيما سبق رأينا كيف تعامل المتقدمون من علماء الأمة مع النصوص الحديثية التي فيها إشارات علمية، جلهم بعد شرحهم اللغوي حاولوا جهدهم إيجاد تفسيراً علمياً من خلال علماء عصرهم رأينا ذلك في شرح الحافظ ابن حجر، وكذلك مع القاضي أبوبكر بن العربي وغيرهما، وأن ما أوردوه هي بالفعل معلومات علمية يعدو من مجالات الطب، وبما أن الكلام قد سبق وأن قيل فيه الكثير، دعنا أنتقل بنا إلى رأي المعاصرين لمفهوم علو الماء لدى الرجل والمرأة على حد سواء.

سيد قطب: صاحب تفسير في ظلال القرآن أفاض لنا في هذا الخصوص درراً من العلم والمعرفة بأسلوبه الأدبي الرفيع الماتع قال: إن الدفقة الواحدة من ماء الرجل تحتوي على نحو ستين مليوناً من الحيوانات المنوية كلها تدخل في سباق لتلحق بالبويضة في رحم المرآة، ولا يعلم أحد من الذي يسبق فهو غيب، أو هو قدر غيبي لا علم للبشر به بما فيهم الرجل والمرأة صاحبا الدور في هذا الأمر ثم يصل السابق من بين ستين مليوناً ويلتحم مع البويضة ليكوّنا معاً خلية واحدة ملقحة هي التي ينتج منها الجنين.[٢٢]

ويستأنف الأديب المفسر ليزيدنا من العلم فهماً وهو يصف كلاً من ماء الرجل والمرأة يقول:

أ. ولما كانت كل كروموسومات البويضة مؤنثة.

ب. بينما كروموسومات الحيوان المنوي بعضها مذكر وبعضها مؤنث.

---

[٢٠] الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني. (بيروت: دار إحياء التراث العربي،د.ط.)، ج١٣، ص٣.

[٢١] البار، الوجيز في علم الأجنة القرآني، ص١١-٢١.

[٢٢] سيد قطب. في ظلال القرآن. ج٣، ص٦٦.

فإن غلبة عدد كروموسومات التذكير أو كروموسومات التأنيث في الحيوان المنوي الذي يلتحم بالبويضة، هو الذي يقرر مصير الجنين ذكراً أو أنثى وهذا خاضع لقدر الله الغيبي لا علم به ولا دخل للبشر بما فيهم أبوا الجنين أنفسهما[٢٣] واشتشهد بآيات من الذكر الحكيم ليدعم هذه الحقيقة وأنها من الأمور القدرية الغيبة التي لا دخل للبشر فيها قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) ﴾[الرعد: ٨-٩].

وقال تعالى:﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠)﴾[الشورى: ٤٩-٥٠].

ويضيف قائلاً: هذا هو الغيب الذي يقف أمامه العلم البشري؛ ويواجهه في القرن العشرين، وأن العلم البشري ذاته علم القرن العشرين، يقول: إن كل ما يصل إليه العلم الحديث من النتائج هي احتمالات، وإن الحقيقة المستيقنة الوحيدة هي أن هنالك غيباً لا شك فيه![٢٤] وهكذا أتحفنا الأديب المفسر بدرر من المعلومات النافعة التي جمعت بين الأصالة والمعاصر، الأصالة في ربطه نتائج العلوم بالوحي ورينا استشهد بأيات من التنزيل، والمعاصرة وجدناه وكأنه طبيب متخصص في مجال علم الأجنة يورد المعلومات عن فهم وبكل ثقة.

الشيخ الشنقيطي[٢٥]: وذكر الشيخ الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان عن الماء قوله: فاعلم أنه تعالى بين أن ذلك الماء الذي هو النطفة، منه ما هو خارج من الصلب؛ أي وهو ماء الرجل، ومنه ما هو خارج من الترائب، وهو ماء المرأة،[٢٦] وذلك في قوله جل وعلا: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(٧)﴾[الطارق: ٥-٧]؛ لأن المراد بالصلب صلب الرجل وهو ظهره، والمراد بالترائب، ترائب المرأة وهي موضع القلادة منها".[٢٧]والشيخ الشنقيطي يؤكد بأن النطفة مختلطة من ماء الرجل، وماء المرأة، خلافاً لمن زعم: أنها من ماء الرجل وحده.

شيخ الأزهر السيد طنطاوي[٢٨]: وللسيد طنطاوي في تفسيره الوسيط ذكر بأن المراد من النطفة: المنى الذى هو مادة التلقيح من الرجل للمرأة"[٢٩] وهذا المفهوم كذلك مستاقة من علم الأجنة وليس تعريفاً لغوياً كما هو الشأن عند المفاهيم السالفة الذكر. ونلمس مصطلحاً علمياً معاصراً في تفسير شيخ الأزهر عند قوله "مادة التلقيح"، وذلك أنه ممن عاش المكتشفات الطبية الحديثة حيث يفهم من

[٢٣] المصدر نفسه. ج٣، ص٦٦.

[٢٤] المصدر نفسه. ج٣، ص٦٧.

[٢٥] هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي. عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية. المولود سنة ١٣٢٥هـ، والمتوفي رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ.

[٢٦] يقول الشنقيطي:أن النطفة مختلطة من ماء الرجل، وماء المرأة، خلافاً لمن زعم: أنها من ماء الرجل وحده.

[٢٧] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (بيروت: دار الفكر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ج٢، ص٣٣١.

[٢٨] هو الشيخ السيد محمد الطنطاوي شيخ الأزهر الشريف

[٢٩] طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط. (القاهرة:د.ط) ج١، ص٢٤٩٩.

قوله هذا بأن ماء الرجل هو الذي يحمل الحوينات المنوية دون المرأة وذلك لقوله التلقيح من الرجل للمرأة.

الشيخ عطية سالم: وذكر الشيخ عطية سالم عند شرحه للماء كلاماً علمياً جديراً بأن ينقل قال: والنطفة هنا هي المني، ويقال في العلم: إن الحديث الملي متر المكعب يحتوي على ملايين الحيوانات المنوية، ولا يلقح بويضة المرأة داخل الرحم إلا واحد فقط من تلك الملايين، ووجود هذا الكم الهائل منها يؤدي إلى بقاء النوع، وهذه قضية مطردة في كل ما خلق الله من النبات والحيوان وغير ذلك، والنطفة يجمع منه في بطن الأم واحداً من تلك البلايين، يقول بعض العلماء المتأخرين: لو أن حيوانات المني التي تلقح منها البويضات جمعت من عهد آدم وحواء إلى أن تقوم الساعة لم تملأ كستبان الخياط، يعني: لا تزيد عن إثنين سنتيمتر مكعب، هذه قدرة الخالق سبحانه، وهذا الحيوان الذي لا يرى إلا بالمجهر جعل الله فيه خصائص الشخص وطبائعه وأشكاله وغرائزه من بخل أو كرم، وشجاعة أو جبن، ولون، وطول، وشبه، كل ذلك يولد مع الإنسان في ملايين من تلك الحيوانات، وهذا ما يسمى في لغة العلم الأحيائي بالجينات".[٣٠]

ولكون الشيخ عطية سالم من المعاصرين رأيناه اعتمد على المعلومات الطبية في شرحه لحديث جمع الخلق من غير شك ولا ريب وذلك لسعيه الحثيث لإبراز الإعجاز الكامن في السنة النبوية المطهرة. والأئمة الأوائل كذلك رأيناهم ينقلون عن أهل العلم من أهل التشريح في زمانهم محاولة منهم لابراز مراد الكلمة التي وردت في متن الحديث التي فيها إشارات علمية.

## المحور الثالث

## التحديات التي واجهها الحديث قديماً وحديثاً

فإن التحديات التي واجهت الحديث قديماً وحديثاً تكمن فيما رواه الإمام مسلم من حديث ثوبان حيث ورد في متن الحديث بأن الذكورة والأنوثة سببه علو إحدى المائين أو سبقه، ويمكن وصف هذه المسألة من مشكل الألفاظ ورأينا كيف ناقش الأئمة العلماء قديماً المسألة مناقشة علمية هادئة، وتتلخص مجمل الآراء في ثلاث اتجاهات:

### الاتجاه الأول:

ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى القول بأن الإذكار والإيناث ليس له سبب طبيعي، وأن ما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه وهو الذي اشتمل على النص الذي يفهم من خلاله سبب من أسباب تحديد جنس الجنين ما هو إلا وهمٌ من بعض رواته، وأنه يشير إلى شبهٍ لأحد الأبوين، وليس في تحديد الذكورة والأنوثة، ومن هؤلاء العلماء قديماً شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ العثيمين.

[٣٠] عطية بن محمد سالم، شرح الأربعين النووية. (نسخة الكترونية)، الحديث الرابع، ص١٥.

**الاتجاه الثاني:**

وهو القائل بأن الحديث صحيح، وأنه لا إشكال في كون علو ماء المرأة يسهم في تخلق المولود إلى أنثى إن أذن الله بذلك وقد وقع خلاف في معنى "العلو" هل هو السبق، أو العلو الحقيقي، أو الكثرة والقوة، وأنه حتى في حال علو ماء المرأة فإنه يؤثر في اختيار الحيوان المنوي المذكر أو المؤنث، دون أن يكون له دور رئيسي، فرجع الأمر إلى أن المؤثر الحقيقي هو ماء الرجل، فالمرأة هنا تساهم بدور ثانوي، وذلك بتهيئة الظروف لاستقبال الحيوان المنوي، فالوسط الحمضي يقتل "Y" ويبقي على"X" من الحيوانات المنوية فيكون جنس المولود أنثى "XX".[٣١]

**الاتجاه الثالث:**

وهذا الاتجاه يشير إلى أن المسئولية عن تحديد جنس الجنين مشتركة بين الرجل والمرأة.[٣٢] ولكلا الماءين دور أولي وليس كما ذهب إليه الاتجاه الثاني بأن دور ماء المرأة ثانوي، ويصف هذا الاتجاه مفهوم علو الماء الذي ورد في متن الحديث علمياً لإزالة الإشكال، يقولون: بأن الإخصاب يؤدي إلى تكوين جنين ذكر أو أنثى حسب نوعية النطفة الملقحة، فإذا لقح البويضة حيوان منوي يحمل شارة الذكورة، فإن النتيجة نطفة أمشاج تحمل شارة الذكورة XY [٣٣] وهذا يطابق ما أوضحه الحديث النبوي: "فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل منيَّ المرأة : أذكرا بإذن الله "، وإذا لقح البويضة حيوان منوي يحمل شارة الأنوثة، فإن النتيجة نطفة أمشاج تحمل شارة الأنوثة xx. وهذا ما أوضحه أيضاً الحديث النبوي: "وإذَا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل آنثا بإذن الله"، وبهذا التحليل حسب هذا الاتجاه قد انزاح الإشكال الحاصل من رواية ثوبان.

وكما ذكرنا سلفاً، أن المتقدمين من علماء شراح الوحي، قدموا ما عندهم من معلومات طبية متاحة في زمنهم، وكانوا يعالجون تلك المعلومات واضعين لها معايير منضبطة، وفي هذا العصر تطورت وسائل العلم والمعرفة وكثرة المعلومات، وأضحى الكثير يتكلم بلسان العلماء، لا رابط له وضابط، وبما أننا في صدد بيان التحديات التي تواجه السنة سيما تلك التحديات العلمية التي تطرح في شبكات

[٣١] قال الدكتور. محمد علي البار: وتضمن الحديث يعني: حديث ثوبان وصفاً لماء الرجل وماء المرأة، كما تضمن قضية الذكورة والأنوثة وأرجعها إلى أي الماءين علا، فالإذكار أو الإيناث تبع له. ويبدو ذلك معارضاً للآيات الكريمة التي ذكرت أن جنس الجنين يحدده مني الرجل فحسب، وذكر آية النجم وآية القيامة كما يبدو معارضاً للمعلومات الطبية التي تؤكد أن جنس الجنين إنما يحدِّده الحيوان المنوي الذي سيلقح البويضة فإن كان حيواناً منوياً يحمل إشارة الذكورة " Y " كان الجنين ذكراً، بإذن الله، وإن كان حيواناً منوياً يحمل إشارة الأنوثة "X" كان الجنين أنثى بإذن الله. وفي الواقع ليس هناك تعارض، وربما أثرَّ علو ماء الرجل أو ماء المرأة في الحيوانات المنوية التي سيفلح واحد منها بإذن الله في تلقيح البويضة، ونحن نعلم أن إفرازات المهبل حامضية وقاتلة للحيوانات المنوية، وأن إفرازات عنق الرحم قلوية ولكنها لزجة في غير الوقت الذي تفرز فيه البويضة، وترق وتخف لزوجتها عند خروج البويضة، وإلى الآن لا ندري مدى تأثير ماء المرأة على نشاط الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة، ولا بد من إجراء بحوث دقيقة لنتبين مدى تأثير هذه الإفرازات على الحيوانات المنوية المذكرة أو المؤنثة، ومدى تأثير علوها أو انخفاضها على نشاط هذه الحيوانات، وهناك من يقول: إن معنى العلو هو الغلبة والسيطرة فإن كانت الغلبة للحيوانات المذكرة كان إذكار، وإن كان للمؤنثة كان إيناث بإذن الله . اهـ من خلق الإنسان بين الطب والقرآن. ص ٣٩٠-٣٩١.

[٣٢] ومن رواد هذا الاتجاه الدكتور جمال حمدان حسانين اختصاصي علم التشريح والأجنة.

[٣٣] أنظر: الحسني، أحمد القاسمي. علامات الحياة والممات بين الفقه والطب. ص٧١.

التواصل الاجتماعي، وبعض من الغيورين على السنة وأهلها يحاول جاهداً الإجابة على بعض الأسئلة التي هي قد تتعلق بالأمور الغيبية العقدية التي للسلف الصالح لهم فيها رأي سديد والتي لا يجوز تعديها برأي مخالف، لذا رأى الباحث أن ينقل معايير لشرح أو تفسير لتلك النصوص التي فيها إشارات علمية، ودونك بيانها:

وقد وضع الدكتور كريم نجيب الأغر معاييراً[٣٤] في بيان التعارض بين التفسيرين العلمي وتفسير السلف، وذكر أنه قد ينشأ في بعض الأحيان اختلاف بين تفسير السلف لبعض الآيات وبين التفسير العلمي، وقد يكون مرد هذا الاختلاف لعدة أمور، أهمها:

أ. أن وسائل البحث في أيامنا تختلف تماماً عن أيامهم وبالتالي فقد نصل إلى نتائج مختلفة عن نتائجهم.

ب. وأن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم معانيها واسعة متعددة كما يشير إليه الحديث الشريف: "بعثت بجوامع الكلم". أخرجه البخاري. وبالتالي فقد نستدل بمعان مختلفة عن المعاني التي استدلوا بها.

وفي حالة حصول خلاف ما فعلينا عندئذٍ أن نتحرى أمرين مهمين قبل أن نخوض في حديث ترجيحي قد يكون الخوض فيه غير مجد:

١. أن يكون الاختلاف في النصوص الشرعية للعلم قول فيها: أي آيات أو أحاديث تتحدث عن ظواهر كونية.
٢. أن نفرق بين "النظرية العلمية" و"الحقيقة العلمية" المسلم بها.

فإن لم يكن الخلاف في آيات أو أحاديث عن ظواهر كونية، فليس علينا أن نتقدم على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بدون دليل كما رأى بعض الفقهاء الأصوليين. وإن كان الخلاف في تفسير آيات كونية قائم بين نظرية كونية وقول السلف، فنتوقف عندئذٍ ريثما تنجلي الحقيقة العلمية؛ لأن النظرية العلمية ليست مستقرة، وقد يكون خاطئة، وبالتالي نكون قد تعدينا على قول السلف في حال ظهور خطأ النظرية العلمية فيما بعد بغير علم. أم إن نشأ اختلاف بيّن في تفسير بعض الآيات التي تتحدث عن ظواهر كونية بين علماء يعتمدون في تفسيرهم على حقائق علمية ثابتة وبين السلف، فنواجه عندئذ أحد الأمور الثلاثة:

١. إما أن كلا من الفرقين لديه تفسير مقبول، من استحسان قول أحد الفرقين عملاً بقاعدة النصوص الظنية عند الأصوليين.
٢. وإما أن يكون أحد الفرقين مخطئا.
٣. وأما أن يكون كلا الفرقين مخطئا".[٣٥]

[٣٤] الأغر، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص٢٠-٢١. بتصرف.
[٣٥] الأغر، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص٢٠-٢١.

والأدوات التي سوف تساعدنا على الترجيح هي كالآتي:

١. السياق: قد يكون أحد الفرقين فسّر النص الشرعي تفسيراً لم يراع فيه ما قبله أو ما بعده، وبالتالي فإن قوله يضعّف .
٢. العلم.
٣. العقل.
٤. القرينة الخارجية: قد يكون هناك في كثير من الأحيان شواهد أخرى من قرآن كريم أو حديث شريف تساعد على إلقاء الضوء على الآية المختلف في تفسيرها، وقد يساعد هذا على ترجيح أحد الأقوال التي وردت في صددها.[٣٦]

**الخاتمة:**

فإن كل ما سبق ذكره وعرضه وتفصيله لو تأملناه وأمعنا النظر فيه فإن المسألة التي تنوعت اتجاهاتها في سبيل التصدي لتلك التحديات التي واجهت حديث علو أو سبق كل من ماء الرجل والمرأة قديماً وحديثاً تتلخص في الأمور الآتية:

١. ثبوت الرواية سنداً ومتناً.
٢. مفهوم الماء الورد في متن الحديث لغة.
٣. مفهوم ماء الرجل وماء المرأة في اصطلاح أهل الفن قديماً.
٤. مفهوم ماء الرجل وماء المرأة في اصطلاح أهل الفن حديثاً

أما عن ثوت الحديث سنداً فالأمر مفروغ عنه ليس في إسناده مقال، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه. ومتناً لم يكن شاذاً ولا معللاً، وأما بخصوص قول ابن القيم نقلاً عن شيخه شيخ الإسلام كما جاء في إعلام الموقعين، لم يكن إلا اجتهاداً ومحاولة منه لشرح الحديث ولم يكن طعناً في أصل المتن، وإلى جانب ذلك رأينا الحافظ ابن حجر كيف تعامل مع متن الحديث وقال إنه ثمة إشكال ثم تصدى للإشكال و وفق في إزالتها كذا الحال مع الإمام القاضي ابن العربي شرح الحديث دون أن يطعن في متن الحديث.

وأما عن مفهوم الماء الوارد في الحديث لغة لم يكن ثمة خلاف على المعنى اللغوي، ولكن كان الخلاف في مفهوم "علوه" لم تكن المعلومات العلمية دقيقة في تلك الحقبة الزمنية التي لا يوجد فيها آلات الكشف والتدقيق مثل المجهر وغيره من الأدوات المعملية الطبية.

بل كان علماء التشريح من غير المسلمين، يعتقدون أن الإنسان يتخلق من دم المحيض. وظل هذا الاعتقاد رائجاً حتى اختراع المجهر (Microscope) في القرن السابع عشر، والاكتشافات التالية

[٣٦] المرجع نفسه، ص٢٢.

للحيوان المنوي والبويضة، كما ظلت أفكاراً خاطئة أخرى سائدة حتى القرن الثامن عشر، حيث عرف أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة ضروريان للحمل.[٣٧]

والأمر مختلف تماماً في العصر الحديث، رأينا كيف حدد العلم الحديث طبيعة ماء الرجل وما يحتويه وكذلك ماء المرأة، وفي هذا الخصوص يقول الشيخ الزنداني ما مفاده: وخلال عملية الإخصاب، يرحل ماء الرجل من المهبل ليقابل البويضة في ماء المرأة في قناة البويضات (قناة فالوب)، ولا يصل من ماء الرجل إلا القليل، ويخترق منوي واحد البويضة، ويحدث عقب ذلك مباشرة تغير سريع في غشائها يمنع دخول بقية المنويات. وبدخول المنوي في البويضة تتكون النطفة الأمشاج. ويشير الحديث النبوي إلى أن الإخصاب لا يحدث من كل ماء الذكر، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من كل الماء يكون الولد".[٣٨] وهكذا فإن الخلق من الماء يتم من خلال اختيار خاص، والوصف النبوي يحدد بكل دقة كل هذه المعاني التي كشف عنها العلم اليوم.[٣٩] سبحان الله كلما تطور العلم وانضبطت معالمه ظهر الإعجاز النبوي ظهوراً محكماً.

**النتائج:**

أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة يمكن حصرها في التالي:

١. أن للحديث أكثر من رواية، وأن رواية ثوبان هي التي عليها الاعتراض على أن رواية أم المؤمنين هي المحفوظة قاله ابن القيم نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢. أن مفهوم علو أو سبق الماء لدى المتقدمين: أ. بأنه علو معنوي. وهذا المعنى بعيداً عن المعنى الطبي. ب. يكون السبق علامة التذكير والتأنيث، معلومة طبية في القديم. ج. والعلو علامة الشبه فيرتفع الاشكال، معلومة طبية في القديم.

٣. أن مفهوم علو أو سبق الماء لدى المتأخرين: أ. فقد أثبت العلم أن المنويات التي يحتويها ماء الرجل لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة وهذا شرط للإخصاب. ب. وقد أثبت العلم أيضاً أن ماء المرأة الذي يحمل البويضة يخرج متدفقاً إلى قناة الرحم (فالوب)، وأن البويضة لابد أن تكون حيوية متدفقة متحركة حتى يتم الإخصاب.

٤. ثمة إشارات علمية في السنة وأنها مصدر من مصادر العلم في مخلف المجالات منها الطبية، يرجع فيه إلى أهل الصنعة قديماً وحديثاً ومستقبلاً.

٥. وأن في متن الحديث الواحد عدة أبعاد آنية ومستقبلية.

---

[٣٧] انظر: نظرة تاريخية في علم الأجنة، ص١٣.

[٣٨] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل، ج٢، ص ١٠٦٤.

[٣٩] الزنداني، علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، ص١٢.

٦. للعلماء ضوابط ومعايير لشرح نصوص السنة المتضمنة للإشارات الطبية، وابن حجر رد على أهل تشريح زمانه بموجب تلك الضوبط، حيث قال: "زعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك".

٧. وأن التحديات التي واجهت حديث علو أو سبق الماء قديماً يكمن في محاولة فهم الحديث من خلال قناعات العالم بعيداً عن المعلومات الطبية، والحديث فيه إشارات طبية، ولم يكن ثمة آلات الكشف حينئذٍ المعملمية التي تساعد على التعرف على حقيقة علو الماء أو سبقه. والأمر مختلف في العصر الحديث، حيث أن التحديات كامن في عدم فهم متن الحديث فهماً سليماً بعيداً عن الإنحيازية، والمعلومة الطبية المحددة المجردة في هذا الشأن ومن ثم إقامة المقارنة المادتين العلميتين.

٨. حسب إستقراء الباحث توصل إلى أن ليس ثمة بين الأحاديث الصحيحة والحقائق العلمية التي ثبتت بيقين تضاد، وإنما بينهما التكامل، ورأينا ذلك في بيان ماء الرجل وماء المرأة لدى الباحثين في مجال الطب من أمثال الدكتور على البار، والشيخ عبد المجيد الزنداني وغيرهما.



# حَدِيْثُ فَقْءِ مُوْسَى عليه السلام لِعَيْنِ مَلَكِ المَوْتِ : إشكالية وحلول

**د. إرشاد الحق (إرشاد) الحاج عبد الله باميانى**

**د. شمس الدين يابي**

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية



**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ مِنْ نِعَم الله العظيمة على هذه الأمة أن تكفَّل هو سبحانه وتعالى بحفظ دينها، وعقيدتها من تحريف الزائغين وتأويل المبطلين، وادعاء الجاهلين، فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[1] فكان هذا من الميزات التي تميزت بها هذه الأمة الإسلامية عن اليهود والنصارى، الذين أُوْكِلَ حفظُ كُتبهم إلى علمائهم، فحُرِّفَتْ وبُدِّلَتْ، فتبدل بذلك دينُهم وتغيرتْ عقائدُهم من التوحيد إلى الشرك، ومِنَ الاستقامةِ إِلَى محاربةِ رَبِّ الأرضِ والسَّمواتِ.

وقد جعل سبحانه وتعالى لحفظ دينه أسباباً، تقوم تجاه مَنْ تسول له نفسُه تحريف شيءٍ منه، فاختار من عباده المؤمنين المتقين رجالاً، يقومون بهذا الواجب العظيم، ويذبّون عن هذا الدين كلَّ ما من شأنه أن يغير من تعاليم ربِّ العالمين، فألفوا الكتب الكثيرة لبيان العقيدة الراسخة الصحيحة، والشريعة الخالدة، وردُّوا على من حاولَ أَنْ يحرِّفَ الدين أو يُبَدِّلَ، وإنَّ المكتبات الإسلامية وغيرها لتشهد بهذه الجهود العظيمة، التي بذَّلَتْ من قبل رجالٍ كانت حياتهم كلها لهذا الدين، ولا يبتغون على ذلك أجراً ولا ثناءً من أحدٍ إلاَّ الله الواحد الصمد، فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

مما لا شك فيه أن ايراد بعض الأحاديث النبوية الصحيحة قد أشكلت على بعض كبار العلماء، وقد أشكل بعضها طبياً، وبعضها فلكياً، وبعضها علمياً، وبعضها حسياً، وبعضها دينياً، فكذَّبها فريقٌ وردَّها وتحامل على رواتها، ، فجرأ العامة، وأشباه العامة، على أن يكذِّبُوا كل ما لم يحيطوا بعلمه من صحيح الأخبار، وتكلم فيها فريق آخر كلاماً لم يسر مع الصواب والتوفيق، فزاد كلامه أهل الشك شكاً وريبة، وضَلَّ من أجلها فريق ثالث، فهوى في الشك والحيرة، فرغب عن الدين،

---

[1] - الحجر٤٩/ الآية٩.

وأوغل في الشهوات والملذات. ونحن نسأل الله السلامة من ذلك كله، كما نسأله أن يقضي لنا الرشاد والهداية فيما فعلنا ، وفيما سوف نفعل.

ومِنْ هذه الأحاديث الصحيحة التي تخالف العقلَ البشري، هو حديث فقءِ موسى عليه السلا لِمَلَكِ الموتِ العظيم، الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه مِن صاحب المعجزات محمدٍ رسولِ الله المُخْبِرِ الصادقِ، وقد جعل هذا الحديث الشريف الناس على مواقف مختلفة، منهم أصبحوا بسببه من الضَّالِّين والمُضِلِّين ولايزيد بهم إلاَّ كفراً ونفاقاً، ومنهم المنكرين الملحدين لا يقبلون مثل هذه الآحاديث الصحيحة، لأن معانيها تُبَايِن عقولَهَم القاصرة، وأذهانهم االفاسدة بوسوسة الشيطان الملعون، ولا يؤمنون بأن الإخبار عن هذه الوقائع خارج من نطاق القدرة البشرية، ولا يمكن الاستدلال عليه عن طريق العقل والتفكير والطأويل، كما أخبرنا سبحانه وتعالى عن أحوالهم السيئة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلاَ يَزِيْدُ الظَّالِمِيْنَ إِلاَّ خَسَارًا﴾،[٢] وهناك منهم العلماء المؤمنين المخلصين، يخاشعون الله ورسوله بطاعتهما، ويتبعون أوامرهما ونواهيهما، ويقبلون ما يسمعون من النبيِّ الأمين صلى الله عليه وسلم بغير الشكِّ والترديد، ويحاولون أَنْ يحلُّوا الاستشكالات والمحاولات التي استهدفت التشكيك في النصوص الشرعية وتهوين الأحاديث النبوية في نفوس الناس بالإخلاص والصدق والأمانة.

يتناول هذا البحث أربعة مباحث، المبحث الأول سيُوْرِدُ نصَّ الحديث المبارك من ثلاثة كتب (صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، والمبحث الثاني يتعرض لبيان إشكالية الحديث الشريف، والمبحث الثالث يبيِّن أقوال بعض العلماء المفسرين في الإجابة عن هذه الإشكالية، والمبحث الرابع سيلقي ضوءاً في أقوال المحدثين في الإجابة عن هذه الإشكالية وتأويله وتحليله الصحيح، ثم يأتي من بعدها رأي الباحث، والخاتمة، والتوصية، وذكر المصادر والمراجع. والله أعلم بالصواب.

## المبحث الأول

## نص الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه

الحديث أخرجه الإمام البخارى رحمه الله: حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: عَبْدٌ أَخْبَرَنَا، وَقَالَ: ابْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَىْ رَبِّ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ

[٢]- الإسراء١٧/ الآية ٨٢.

الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»، قال أبو هريرة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: « فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ ».[٣]

حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ وَيُونُسُ قَالاَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ يُونُسُ: رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، «قَدْ كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا، قَالَ: فَأَتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَأَتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلاَ كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنُفْتُ بِهِ، وَقَالَ يُونُسُ: لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ: فَقَالَ: لَهُ اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ لَهُ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ أَوْ مَسْكِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَا بَعْدَ هَذَا قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ فَالآنَ، قَالَ: فَشَمَّهُ شَمَّةً، فَقَبَضَ رُوحَهُ، قَالَ يُونُسُ: فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَيْنَهُ، وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً».[٤]

درجة الحديث: تعليق شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح وفي أوله نكارة وهي قوله " كان مَلَك الموت يأتي الناس عيانًا " وهذه اللفظة تفرد بها عمار بن أبي عمار وعنه حماد بن سلمة.[٥]

قال البيهقي: أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، ورواه البخاري عن محمود بن غيلان ويحي بن موسى، ورواه مسلم عن محمد بن رافع، كلهم عن عبد الرزاق دون حديث الحسن.[٦]

رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.[٧]

## المبحث الثاني

## إشكالية الحديث

إن محاولات الطاعنين في الإسلام لم تقف عند حد معين، بل شملت أنحاء كثيرة في ديننا الإسلامي، فمن محرف للقرآن، ومن محرف للسنة وواضع على الرسول صلى الله عليه وسلم لحسن قصد أو بسوء قصد، إلى مشكك في السنة النبوية طاعناً في بعض الأحاديث، التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وثبتت نسبتها عنه صلى الله عليه وسلم, بل مما أجمعت الأمة على ثبوته، مثل هذا

[٣]-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة ، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، جـ٣، ص١٢٥٠. رقم الحديث ٣٢٢٦. انظر: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب من فضائل موسى عليه السلام، (بيروت: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، د.ط، د.ت)، جـ٧، ص٩٩.

[٤]- ابن حنبل، أ حمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، جـ١٦، ص٥٣٣. رقم الحديث: ١٠٩٠٤.

[٥]- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ١٦، ص٥٣٣.

[٦]-البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، (جدة: مكتبة السوادي، ط١، د.ت)، جـ٣، ص٧٠.

[٧] الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب ذكر موسى الكليم عليه السلام، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ)، جـ٨، ص٣٧٥.

الحديث الذي هو موضوع هذا البحث، ومع ذلك تطاول هؤلاء الطاعنون حتى على ما أجمعت عليه الأمة واتفقت عليه، ومع ذلك فإن قلوبهم المريضة لا تميز بين صحيح أو ضعيف.

وهذا الحديث كما هو واضح مما رواه البخاري ومسلم، فهو مما أجمعت الأمة على قبوله، ومع ذلك طعن فيه الطاعنون، فقالوا: محال هذا يكون ثابتًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل هذا من قد ورد في الحديث كما قال أبو هريرة: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه، وضع بعض الناس، ومحال أن يصدر هذا من النبي صلى الله عليه وسلم، الذي هو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولقد كان طعنهم في هذا الحديث متوجه لجهتين:

١. قد ورد في الحديث، كما قال أبو هريرة: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ.[٨] فدل هذا الحديث على أن موسى عليه السلام يكره أن يموت بل يحب الحياة، بدليل أنه صكَّ عينَ ملَكِ الموت، فصكه عينَه دليل على كراهيةِ موسى عليه السلام الموتَ، فقالوا: كيف لنبِيّ من أولي العزم، الذين كرَّمَهم الله مِنْ بين كثيرٍ مِنَ الأنبياء، يكره الموت التي قدرها الله عليه، فهذا لا يليق بمقام نبِيٍّ مثل موسى عليه السلام، فدلَّ هذا على أنه لا يصح.

٢. جاء في الحديث: "فلما جاء، صكه ففقأ عينه" قالوا: كيف يليق لنبِيٍّ أَنْ يفقَأَ عَيْنَ مَلَكٍ مِنَ مَلائِكة الله، جاء لأمر الله، قالوا: هذا لا يليق لولي من أولياء الله أن يفعله، بل هو النبي من أنبياء الله أَنْ يفعَلَه.

فمن هاتين الجهتين، طعن هؤلاء الطاعنون في هذا الحديث الذي أجمعت الأمة على قبوله وتلقيه عدْلاً عَنْ عدلٍ، حتى وصلَ إلينَا غضًا طريًا كما خرج مِنْ فمِّ الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يترك علماءُ الإسلامِ لمثل هؤلاء الطاعنين أن يعيثوا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فسادًا، بل وَاجَهُوا ذلك أتَمَّ المواجهة أداءً للأمانة وحفظًا لدين اللهِ الذي أخذ اللهُ الميثاقَ على الإنسان أن يحمل ويحفظه، كما سنرى ذلك واضحاً في الموضوع الأتى:

١. الإمام بدر الدين، أبو محمد محمود بن أحمد العيني في كتابه، ( عمدة القاري شرح صحيح البخاري ) قال: وهذا الحديث روه البخاري أولاً موقوفاً من طريق الطاؤوس عنه، ثم أورده عتيبة برواية همام عنه مرفوعاً، وهو مشهور عن عبد الرزاق.

٢. وأخرجه مسلم برقم (٢٣٧٢) عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاؤوس عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً.

---

[٨]-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، باب وفاة موسى وذكره بعد، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة ، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، جـ٣، ص١٢٥٠. رقم الحديث ٣٢٢٦. انظر: مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب من فضائل موسى عليه السلام، (بيروت: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، د.ط، د.ت)، جـ٧، ص٩٩.

٣. وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٨٦١٦) من طريق ابن لهيعة، عن أبي يونس سليما بن جبير، عن أبي هريرة مرفوعاً.

٤. وأخرجه النسائي ٤/ ١١٨- ١١٩ عن محمد بن رافع عن معمر عن ابن طاؤوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً.

## المبحث الثالث

## أقوال بعض المفسرين في الإجابة عن هذه الإشكالية

قال الثعلبي رحمه الله توفي (سنة ٤٢٧ هـ): سمعت أبا سعيد بن حمدون قال : سمعت أبا حامد المقري قال: سمعت محمد ابن يحيى يقول : قد صحّ هذا من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم معنى قصة ملك الموت وموسى لا يردّها إلاّ ضال . وفي حديث آخر:٩ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ ملك الموت كان يأتي النّاس عياناً حتّى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت، فجاء بعد ذلك خفية».[١٠]

قال الإمام البغوي (ت٥١٦): هذا حديث متفق على صحته أخرجه محمد عن يحيى بن موسى، وأخرجه مسلم عن محمد بن رافع، كلاهما عن عبد الرزاق. قال رحمه الله: هذا الحديث يجب على المرء المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر، فيقع في الارتياب، لأَنَّه أمر مصدره عن قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمه، وهو مجادلة بين ملك كريم، ونبي كليم، كل واحد منهما مخصوص بصفة، خرج بها عن حكم عوام البشر، ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خص به، فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما، وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام برسالاته وبكلامه، وأيده بالآيات الظاهرة، والمعجزات الباهرة، كاليد البيضاء، والعصا، وانفلاق البحر، وغيرها مما نطق به القرآن، ودلتْ عليه الآثار، وكل ذلك إكرام من الله عز وجل أكرمه بها، فلما دنَتْ وفاتُه وهو بشرٌ يكره الموت طبعاً، ويجد ألَمَه حسًا، لطف له لم يفاجئه به بغتة، ولم يأمر الملك الموكل به أن يأخذه به قهراً، لكن أرسَلَهُ إليهِ مُنْذراً بالموت، وأمره بالتعرض له على سبيل الامتحان في صورة بشر، فلما رآه موسى استنكر شأنه، واستوعر مكانه، فاحتجز منه دفعاً عن نفسه بما كان من صكه إياه، فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاءه فيها دون صورة الملكية التي هو مجبول عليها، وقد كان في طبع موسى- صلى الله عليه وسلم، حمية وحدة على ما قص الله علينا من أمره في كتابه من وكزه القبطي، وإلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه. وروي أَنَّه كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً، وقد جرت سنة الدين بدفع منقصدك بسوء، كما جاء في الحديث: «عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ «مَنِ اطَّلَعَ فِى بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا

---

[٩]-الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: ابن عاشور أبو محمد - نظير الساعدي، (د.مك: دار إحياء التراث العربي، ط١٤٢٢،١ هـ-٢٠٠٢م)، جا، ص٧٢٨.

[١٠]-فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان (المتوفى: ٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، باب في فضايل الأنبياء عليهم السلام، (د.مك: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ ١٩٨١م)، جا١، ص٥١٠.

عَيْنَهُ».[١١] فلما نظر موسى إلى شخص في صورة بشر، هجم عليه يريد نفسه، ويقصد هلاكه، وهو لا يثبته، ولا يعرفه أنه رسولُ ربِّه دفعه عن نفسه، فكان فيه ذهاب عينه، فلما عاد المَلَكُ إلى ربِّه، رَدَّ الله إليهِ عيْنَه، وأعَادَهُ رسولاً إِلَيْه لِيَعَلَمَ نبَيُّ اللهِ عليه السلام إذا رأى صحةَ عينِه المفقوءةَ، أَنَّه رسولُ الله بعَثَه لقبضِ روحِهِ، فاستسلم حِينَئِذٍ لأمره، وطَابَ نفْسًا بقضائه، وكل ذلك رِفْقٌ من الله عز وجل، ولُطْفٌ منه في تسهيل ما لم يكن بد من لقائه، والانقياد لمورد قضائه، قال: وما أشبه معنى قوله: "ما تَرَدَدَّتَ عن شيءٍ، أَنَا فَاعِلُهُ تردُّدِي عن نفس المؤمن" يكره الموت بترديده رسولَه مَلَكَ الموت إلى نبيه موسى عليه السلام، فيما كَرِهَه مِنْ نزولِ الموت به، وقد ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخَطَّابي في كتابه رداً على من طعن في هذا الحديث، وأمثاله من أهل البدع والملحدين أبادهم الله، وكفى المسلمين شرَّهُم.[١٢]

قال ابن العربي (ت٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م): وهذا كما ترى، فإِنَّ الأنبياءَ معصومون أن يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب. ومنها وهو الصحيح من هذه الأقوال: أَنَّ موسى عليه السلام عرف مَلَكَ الموتِ، وأَنَّه جاء ليقبض روحَه لكنَّه جاء مجيء الجزم بأَنَّه قد أُمِرَ بقبض روحِهِ من غير تخيِيْرٍ، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من: «أن الله لا يقبض روح نبي حتى يخبره».[١٣] فلما جاءه على غير الوجه الذي أعلم، بادر بشهامته، وقوة نفسه، إلى أدبه، فلطَمَه ففَقَأَ عيْنَه امتحانًا لِمَلَكِ الموت؛ إذ لم يصرح له بالتخيير، ومما يدل على صحة هذا، أَنَّه لما رجع إليه مَلَكُ الموت فخيَّرَه بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم. والله بغيبه أحكم وأعلم. هذا أصح ما قيل في وفاة موسى عليه السلام. وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصًا وأخباراً، الله أعلم بصحتها؛ وفي الصحيح غنية عنها. وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة.[١٤]

قال القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ): واختلف العلماء في تأويل لطم موسى عين مَلَك الموت، وفقئها على أقوال؛ منها: أنها كانت عيناً متخيلة لا حقيقة، وهذا باطل، لأنه يؤَدِّي إلى أن ما يراه الأنبياء من صُوَرِ الملائكة لا حقيقة له. ومنها: أنها كانت عيناً معنويةً وإنما فقأها بالحجة، وهذا مجاز لا حقيقة. ومنها: أنه عليه السلام لم يعرف الموت، وأنه رأى رجلاً دخل منزله بغير إذنه يريد نفسه فدافع عن نفسه فلطم عينه ففقأها؛ وتجب المدافعة في هذا بكل ممكن، وهذا وجه حسن، لأنه حقيقةٌ في العين والصك.[١٥]

---

[١١]-مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، باب تحريم النظر في بيت غيره، (بيروت: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة، د.ط، د.ت)، جـ٦، ص١٨١.

[١٢]-البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، شرح السنة للإمام البغوى، باب ذكر الموت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، جـ٥، ص٢٦٥.

[١٣]-لم أجد هذا الحديث في أي مرجعٍ إلا في تفسير الإمام القرطبي رحمه الله.

[١٤]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص١٣٢. انظر: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم، باب سورة المائدة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، جـ٧، ص٢٧٩.

[١٥]-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، باب سورة المائدة، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، د.ط، ١٤٢ هـ-٢٠٠٣م)، جـ٦، ص١٣٢.

## المبحث الرابع

## أقوال بعض المحدثين في الإجابة عن هذه الإشكالية

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة (ت ٢٢٣هـ): غير أَنَّه اعترض عليه بما في الحديث؛ وهو أَنَّ ملك الموت لما رجع إلى الله تعالى، قال: "يا رب أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت" فلو لم يعرفه موسى لما صدق القول من مَلَكِ الموتِ؛ وأيضًا، قوله في الرواية الأخرى: "أَجِبْ ربَّك" يدلُّ على تعريفه بنفسه. والله أعلم. ومنها: أن موسى عليه السلام كان سريع الغضب، إذ غضب طلع الدُّخَانُ من قلنْسَوَتِه ورفع شعر بدنه جبته؛ وسرعة غضبه كانت سببًا لصَكِّه ملكَ الموتِ.[١٦]

وقال أيضاَ: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإِنْ كان لم يعرفْه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب: أن الله لم يبعث مَلَكَ الموتِ لموسَى، وهو يريد قبض روحه حينئذٍ، وإنما بعثَه إليه اختيارًا، وإنما لَطَم موسى مَلَكَ الموتِ لأَنَّه رأى آدمياً دخلَ دارَه بغير إذنِه، ولم يعلمْ أَنَّهُ مَلَكُ الموتِ، وقد أباح الشارعُ فقءَ عينِ الناظِرِ في دار المسلم بغير إذْنٍ، وقد جاءتِ الملائكةُ إِلىَ إبراهيمَ وإِلَى لوطَ في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوطُ لما خاف عليهم من قومه، وعلى تقدير، أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أَنَّ مَلَكَ الموتِ طلبَ القصاصَ من موسى فلم يقتص له؟ قال ابن حجر: لخص الخطابي، وأن الله ردَّ عينَ مَلَك الموت ليعلم موسى، أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ.[١٧]وقد ذهب إليه ابن حبان أيضاً.[١٨]

قال ابن قتيبة: (ت ٢٧٦): كانت عينًا متخيلةً لاحقيقيةً، ومنهم من قال: هي عين معنوية، وإنما فقَأَها بالحجة، وهذان القولان لا يلتفت إليهما لظهور فسادهما، وخصوصاً الأول، فإنه يؤدِّي إِلَى: أن ما يراه الأنبياءُ مِنْ صُوَر الملائكة لا حقيقة له، وهو قول باطلٌ بالنصوص المنقولة، والأدلة المعقولة.[١٩] وقال بهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ( ٨٥٢هـ ).[٢٠]

قال الشيخ الإمام الزاهد أبو بكر بن أبي إسحق محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري- رحمه الله (ت٣٨٠): روَتْ الأئمةُ هذا الحديث مِنْ وجوه كثيرة، ووضعوه في كتبهم، وصححوه، وعدلوا رؤيتَه، واستفظعه قوم فجحدوه، وانكروه فردُّوه لضيق صدورهم، وقصور علمهم، وقلة

---

[١٦]- المصدر نفسه، جـ٦، ص١٣٢.

[١٧]ابن حجر، الإمام الحافظ أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنباء، ٣١ باب وفات موسى، (لبنان: دار المعرفة، د.مط، د.ت)، جـ٦، ص ٤٤٠.

[١٨]- البنا، أحمد عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشياني من أسرار الفتح الرباني مع مختصره بلوغ الأماني، (القاهرة : دار الشهاب، د.مط، د.ت)، جـ١٩، ص ١٠٣.

[١٩]-النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الفضائل, باب ٤٢، راجعه فضله الشيخ خليل الميس، (لبنان: دار القلم، د.مط، د.ت)، جـ١٥، ص ١٣٨، رقم الحديث ١٠٨ ( ٢٣٧٣ ). البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري الأنبياء باب وفاة موسى، رقم الحديث ٤\ ١٩١\٣٤٠٤, جـ٣، ص ٣٤٦- ٣٤٧.

[٢٠]-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، التوشيخ على الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري، (د.مك، د.مط، د.ط، د.ت)، جـ٣، ص ٣٤٦-٣٤٧. رقم الحديث ٤\ ١٩١\ ٣٤٠٧.

معرفتهم بالحديث، وهذا الحديث أدخَلُوه في الصحاح حتى رضوا إسناده أهل العلم بالحديث، وأهل المعرفة بالرجال، والحديث إذا صح مِنْ جهة النقل فإِنَّه يجب قبوله، فإِنْ كان مِنْ باب المتواتر فإِنَّه يوجب العلم والعمل، وإِنْ كان مِنْ باب الآحاد، فإِنُّه يوجب العمل، ولا يوجب العلم، وهذا الحديث وإِنْ كان مِمَّا لا يوجب العلم عند بعض الناس، فإِنَّه مِمَّا يوجب العمل لو كان مِنْ باب العمل لشهرته في نفسه، وعدالة رؤيته وصحتْ إسناده، ومِمَّا كان هذا سبيله، وإِنْ كان لا يوجب العلم فإِنَّه لا يجب رده وانكاره ودفعه، فإِنَّ في رده تكذيب الأئمة وجرح عدول الأئمة. وسمعت أبا محمد بن أحمد بن عبد الله المزني يقول: لعلماء الأثر في تلقي الأخبار المشابهة مذهبان: أحدهما: أَنَّ الإيمان بها فرض كالإيمان بمتشابه القرآن حين يقول تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو﴾،[٢١] أي، كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا، وقد استأثر الله تعالى بعلم المشابهة في هذا القول فلا يعلمه إلا الله سبحانه، قالوا: فَمِثْله المتشابه مِنْ أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حُجب عنا علم تأويله آمنَّا وصدَّقنا بما قال، ووكَّلْنا علمَ تأويلِه إلى الله تعالى ثم: عن الاوزاعي أَنَّه سأَلَ الزهري عن بعض الأخبار المشابهة؟ فقال: من الله العِلمُ ، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم، أَمِرُّوا أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت. وقال عبد الله بن نافع: سُئِل مالك بن أنس عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،[٢٢]كيف استوى ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واحب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً. هذا مذهب كثيرٍ من العلماء. قال: والمذهب الثاني: أَنَّ الإيمان بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فرض، والبحث عَنْ متشابه التنزيل، وأخبار الرسول واجب في الأصول والعقول فراراً مِنْ تعطيل الصفات وآفة التشبيهات، قال: والقدوة في هذا المذهب: علي ابن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهم ومن تابعهما من فقهاء أهل الأثر.[٢٣]

قال أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨): هذا حديث يطعن فيه الملحدون وأهل البدع، ويغمزون به في رواته ونقلته، ويقولون: كيف؟ وكيف؟. والجواب: أَنَّ مَنْ اعتبر هذه الأمور بما جرى به عرف البشر، واستمرت عليه عادات طِباعِهم، فإِنَّه يسرع إِلَى استنكارها والارتياب بها، لخروجها عن سوم طباع البشر، وعن سنن عاداتهم، إِلاَّ أَنَّه أمرٌ مصدرُه عن قدرة الله تعالى، الذي لا يُعجِزه شيءٌ، ولا يتعذر عليه أمر، وإِنَّما هو محاولة بين مَلَكٍ كريمٍ وبين كليمٍ، وكلُّ واحد منهما مخصوص بصفة خرج بها عن حكم عوام البشر، ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خص به مِنْ آثره الله باختصاصه إياه، فالمطالبة بالتسوية بينهما وبينهم فيما تنازعاه مِنْ هذا الشأن حتى يكون ذلك على أحكام طباع الآدميين وقياس أحوالهم غير واجبة في حق النظر، ولله عز وجل لطائف وخصائص يخص بها من يشاء من

---

[٢١] -آل عمران٣/ الآية٧.

[٢٢] طه٢٠/ الآية ٥.

[٢٣] الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، باب أتى ملك الموت موسى صلوات عليهما، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل- أحمد فريد المزيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ج١، ص٣٥٤.

أنبيائه وأوليائه، ويفردهم بحكمها دون سائر خلقه، وقد أعطى موسى صلوات الله عليه النبوة، واصطفاه بمناجاته وكلامه، وأمده حين أرسله إِلَى فرعون بالمعجزات الباهرة، كالعصا واليد البيضاء، وسخَّر له البحر فصار طريقاً يبسًا، جاز عليه هو وقومه وأولياؤه، وغرق فيه خصمَه وأعداؤَه، وهذه أمور أكرمه الله بها، وأفرده بالاختصاص فيها، أيام حياته ومدة بقائه في دار الدنيا، ثم إِنَّه لما دنا حين وفاته، وهو بشر يكره الموت طبعاً، ويجد أَلَمَه حسِّيًا، لطف له بأَنْ لم يفاجئه به بغتة، ولم يأمر الملك الموكل به أن يأخذه قهراً وقسراً، لكن أرسله إليه منذراً بالموت، وأمره بالتعرض له على سبيل الإمتحان في صورة بشر، فلما رآه موسى استنكر شأنه، واستوعر مكانه، فاحتجر منه دفعاً عن نفسه بما كان مِنْ صكه إياه، فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاءه فيها دون الصورة المَلَكِيَّة التي هو مجبول الخلقة عليها، ومثل هذه الأمور مما يعلل به طباع البشر، وتطيب به نفوسهم في المكروه الذي هو واقع بهم، فإِنَّه لا شيء أشفى للنفس مِنْ الانتقام ممن يكيدها ويريدها بسوء، وقد كان من طبع موسى صلوات الله وسلامه عليه فيما دل عليه آي من القرآن حمى وحدة، وقد قص علينا الكتاب ما كان من وكزه القبطي الذي قضى عليه، وما كان عند غضبه من إلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه، وقد روي أَنَّه كان إذا غضب اشتعلتْ قلنسوتُه ناراً، وقد جرتْ سنةُ الدين بحفظ النفس ودفع الضرر والضيم عنها، ومِنْ شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ما سنه فيمن اطلع على محرم قوم من عقوبته في عينه، ولما نظر نبي الله موسى عليه السلام إلى صورة بشرية هجمتْ عليه مِنْ غير إذن تريد نفسه، وتقصد هلاكه، وهو لا يثبته معرفة، ولا يستيقن أَنَّه مَلَكُ الموت ، ورسولُ ربِّ العالمين، فيما يراوده منه، عمد إِلَى دفعه عن نفسه بيده وبطشه، فكان في ذلك ذهاب عينه. وقد أمتحن غير واحد مِنَ الأنبياء صلوات الله عليهم بدخول الملائكة عليهم في صورة البشر، كدخول الملكين على داود عليه السلام في صورة الخصمين، لما أراد الله عز وجل مِنْ تقريعه إياه بذنبه وتنبيهه على ما لم يرضه من فعله، وكدخولهم على إبراهيم عليه السلام حين أرادوا إهلاك قوم لوط عليه السلام،[٢٤] فقال سبحانه: ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾،[٢٥]وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾،[٢٦]وكان نبينا صلوات الله عليه أول ما بدئ بالوحي يأتيه الملك فيلتبس عليه أمره، ولما جاءه جبريل عليه السلام في صورة رجل فسأله عن الإيمان لم يتبينه، فلما انصرف عنه تبين أمره فقال: «هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمر دينكم»،[٢٧] وكذلك كان أمر موسى عليه السلام فيما جرى من مناوشته ملك الموت وهو يراه بشراً ، فلما عاد الملك إلى ربه سبحانه مستثبتا أمره فيما جرى عليه، رد الله تعالى عليه عينه وأعاده رسولاً إليه بالقول المذكور في الخبر الذي رويناه، ليعلم نبي الله صلوات الله عليه إذا رأى صحة عينه المفقوءة، وعود بصره الذاهب، أنه رسول الله بعثه لقبض روحه، فاستسلم حينئذ لأمره وطاب نفساً بقضائه، وكل ذلك رِفْقٌ من الله تعالى به،

[٢٤]- البيهقي، الأسماء والصفات، ج٣، ص٧٠.

[٢٥]- الحجر١٥/ الآية٦٢.

[٢٦]-هود١١/ الآية٧٠.

[٢٧]-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر على صحيح البخاري،باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: مصطفى ديب البغا (بيروت: دار ابن كثير، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج١، ص٢٧.

ولطفٌ به في تسهيل ما لم يكن بد من لقائه، والانقياد لمورد قضائه. قال: وما أشبه معنى قوله: «وَإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِهِ لأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ»،٢٨ بترديد رسوله ملك الموت إلى نبيه موسى عليهما الصلاة والسلام، فيما كرهه من نزول الموت به لطفا منه بصفيه، وعطفا عليه.[٢٩]

قال المازِرِي: (ت ٥٤٦): وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديثَ وأنكر تصوُّرَه، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عينِ مَلَكِ الموتِ قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة آتية:

الأول: أَنَّ هذا على المجاز، والمراد أَنَّ موسى نَاظَرَه وحاجَّه فغلبَه بالحجة، ويُقَال فقَأَ فلانٌ عينَ فلانٍ إذا غالَبَه بالحجة، ويُقَال عَوَّرْتُ الشيءَ، إذا أدخلتُ فيه نقصًا، قال: وفي هذا ضعفٌ لقوله صلى الله عليه وسلم: «فَرَدَّ اللهُ عَيْنَهُ»،[٣٠] فإن قيل أراد ردَّ حجَّتَه كان بعيداً.

والثاني: أَنَّ موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية: "صكه".[٣١]

قال الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ( ٦٥٦هـ ):

لقد ذكر إبراهيم القرطبي قول ابن خزيمة، وهو قال: وتجب المدافعة في مثل هذا بكل ممكن، وهذا وجه حسن، غير أَنَّ هذا اعتراض عليه بما في الحديث، وهو أَنَّ مَلَكَ الموتِ لما رجع إِلَى الله قال: "يا رب! أرسلتَني إلى عبدٍ لا يريد الموتَ" فلو لم يعرفه موسى – وإنما دفعه عن نفسه – لما صدق هذا القول مِنْ مَلَكِ الموتِ.[٣٢]

قلت: قال ابن إبراهيم القرطبي: وقد أظهر لي ذو الطول والإفضال وجهًا حسنًا يحسم مادة الإشكال، وهو أَنَّ موسى عرَفَ مَلَكَ الموتِ، وأَنَّه جاءه ليقبض روحَه، لكنه جاء مجيء الجازم بأَنَّه قد أُمِر بقبض روحِه من غير تخيير، وعند موسى ما قد نص عليه نبينا صلى الله عليه وسلم مِنْ «أن الله تعالى لا يقبض روحَ نبي حتى تخيره».[٣٣] فلما جاءه على غير الوجه أعلم به، بادر بشهامته، وقوة نفسه إلى أدب مَلَكِ الموتِ، فلطَمَه فانفَقَأَتْ عينُه امتحانًا لِمَلَكِ الموتِ إذ لم يصرح له بالتخيير، ومما يدل على صحة هذا: أنه لما رجع إليه مَلَكُ الموتِ، فخيَّرَه بين الحياة والموت، اختار الموتَ واستسلم، وهذا الوجه

---

[٢٨]- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٤٣، ص٢٦١. تعليق شعيب الأرنؤوط فيه: حديث صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الواحد مولى عروة.

[٢٩]- البيهقي، الأسماء والصفات، ج٣، ص٧٠.

[٣٠]-أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (د.مك: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ج٢، ص٣١٥.

[٣١]-النووي، شرح صحيح مسلم ، ج١٥، ص١٣٨-١٣٩.، ص ١٣٨،

[٣٢]-القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، كتاب النبوات، باب وفات موسى، (د.مك، د.مط، د.ط، د.ت)، ج٦، ص ٢٢٠-٢٢٢.

[٣٣]-النووي، شرح صحيح مسلم ، ج١٥، ص١٣٨-١٣٩.، ص ١٣٨.

إن شاء الله، أحسن ما قيل فيه وأسلم، وقد تقدم القول في تمثل الملائكة في الصور المختلفة عقلاً، وثبوت وقوع ذلك نقلا ".[٣٤]

قال الإمام النووي الشافعي: (ت ٦٧٦هـ): أنه لم يمتنع أن يكون موسى قد أذَّن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانًا للملطوم ،والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد، ثم ذكر رأي المازري في كتاب الفتح الباري وقال: وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين، واختاره المازري والقاضي عياض قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنَّه تعمد فقء عينه، فإنْ قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيًا بأنَّه مَلَكُ الموتِ، فالجواب أَنَّه أتاه في المرة الثانية بعلامة، علم بها أنَّه مَلَكُ الموتِ فاستسلم بخلاف المرة الأولى والله أعلم.[٣٥]

قال الإمام أبو عبد الله الأبيِّ (٨٢٧هـ): "هذا الحديث مما طنعت فيه الملاحدة وتلاعبت برواة الآثار بسببه فقالوا: كيف يجوز على نبي مثل موسى أن يفقأ عين مَلَك أو كيف يفقأ عين المَلَك فقيل في الجواب: أن الله تعالى أقدر المَلَكَ أَنْ يتمَثَّل في أي صورةٍ شاء، فقد تمَثَّل لمريم عليها السلام في صورةِ رجل يسمى تقيًا، وكان يأتي للرسول صلى الله عليه وسلم في صورة دحية، فتَمَثَّل لموسى في صورة رجل فموسر، إنما فقَأَ عينًا متخيلة لا عينًا حقيقية، وهذا لا ينجي لأَنَّه إذا علم أن الذي تمَثَّل له المَلَكُ فكيف يصكُّه ويقابله بهذه المقابلة، وقيل: إنَّ المَلَكَ حاج موسى فغلبه موسى بالحجة فعُبِّر عن هذا الغلب بفقءِ العيْنِ من قولهم: فلان إذا غلبه بالحجة ويبعد هذا التأويل قوله: "فردَّ الله عيْنَه عليه" فإنْ قالوا: المعنى ردَّ عليه بالحجة فهو بعيد من السياق. الجواب الثالث لبعض المتكلمين، وهو أمثل ما قيل: إِنَّه لا يبعد أن يكون الله سبحانه أذَّنَ لموسى عليه السلام في هذه اللَّطْمة محنة للمطلوم، لأن الله سبحانه يتعبد خلقه بما شاءَ ولا أحد يمنعه فضيلته أن يتصرف فيه بحكم لتكليف فيما ساء وسر، ونفع، وضر، ويظهر لي الجواب الرابع، وهو أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه مَلَكٌ، وظنَّه أن رجل أتاه يريد قتله فدافعه عن نفسه فأدتْ المدافعة إلى فقء العين، ويجوز أن يدافع الإنسان عن نفسه، وإِنْ أدتْ المدافعة إلى القتل، فكيف بفقءِ العيْن وتقدم أن من اطلع على قوم بغير إذنهم جاز لهم أن يفقئوا عينه كما تقدم في الحديث فكيف بهذا، نعم يبقى على هذان يقال استسلام موسى، ثانيًا: يدل أَنَّه عرفه ويجاب بأنه أتاه ثانيًا بآية عرف بها أَنَّه مَلَكٌ فاستسلم لأمر الله تعالى ولم يأته بها أولاً فدافعه". قال بعض شيوخنا: وليس في لطْمِ موسى مَلَكَ الموتِ ما يعظم ويشنع به، وليس بأعظم مِنْ أخذه بلحية أخيه ورأسه يجره إليه، وأخوه نبي مكرم، كما أن هذا مَلَك معظم والنبي عند المحققين أفضل مِنَ الملك، ولم يستغفر موسى مِنْ ذلك، وما أظهر الندم، ولا عاتبه الله سبحانه عليه، بل اعتذر هارون لموسى عليهما السلام في جميع ذلك، فهو فاعِلٌ باجتهاده في ذات الله تعالى فيما رآه من الجد والمدافعة، ولم يتعمد فقأَ العيْنِ لكن أَدَّتْ إليه المدافعةُ، وهذا الذي استحسنه الإمام سبقه إليه أبو بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ولعله لم يره لهم، قلت: هما سؤلان كيف يليق بالمعصوم أن يفقأَ عينَ

[٣٤]-أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج ٦، ص ٢٢٠-٢٢٢.

[٣٥]-النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٥، ص١٣٨-١٣٩.

أحدٍ، والثاني: كيف يتصور فقء عين المَلَك، والجوابان الأولان من الثلاثة هما جوابان عن السؤال الثاني والجواب الثالث هو جواب عن السؤال الأول والرابع الذي ظهر للإمام هو الذي كان الشيخ يختاره"[٣٦].

عبد الله ابن علي النجدي القصيمي (ت١٩٩٦) قال: هذا الحديث صحيح الإسنادُ فبمعناه إشكالات:

**الأول**: لو فقَأَ أحدُنا عيْن واحدٍ من عامة الناس لعد فاسقًا باغيًا، فما حال من فقَأَ عيْنَ مَلَكٍ مقرَّبٍ؟! إنَّ فسقَه وظلمَه يكون أعظم وأظهر.

**ثانيا**: الحديث يدُلُّ على أَنَّ مَلَكَ الموتِ جاء موسى ظاهرًا فأبصره، وهل مَلَكُ الْمَوْتِ يُبْصَر؟.

**ثالثا**: الحديث يدل على أَنَّ موسى ما كان يعلم بأَنَّه مائت لا محالة، بل يشُكُّ في خلود، ولهذا يقول: "ثم ماذا" كأَنُّه لا يعلم أَنَّ الموتَ من بعد.

**رابعا**: إمَّا أن يكون اللهُ أَرْسلَ مَلَكَ الموتِ إلى موسى ليتوفَّاه، وإمَّا أَنْ يكون المَلَكُ ذهب من تلقاء نفسه، على الأول كيف يرجع إليه قبل توفيه؟! أو ليس قادراً على ذلك إنْ كَرِهِ موسى، والحديث يشهد على أَنَّ الله أَرْسله؟! وعلى الثاني كيف يجوز للمَلَكِ أَنْ يتوَّفى نبيًّا مِنْ أنبياءِ الله المرسلين لإنقاذ البشر من الشرك والفساد بلا أمر من الله، ألا يكون معتديًا أهلاً لما نزل به؟.

**خامسا**: لا شك أَنَّه ما لَطَم المَلَكَ فأطار عيْنُه إلاَّ كراهية الموت وحبًا للحياة، إذنْ ما له لم يقبل ذلك العمر الذي عرضه الله عليه، وهو عدد الشعرات التي تناولتها يده، إذا وضعها على ظهر ثور؟! فيها قد يشعر بشيء من التناقض.

هذه إشكالات قد تعترض القاري، وقد ترد عليه، وإنْ لم يستطع الإبانة عنها، وقد كذب الحديث قوم لذلك، وهي واردات لا تصل إلى إضعاف الحديث الصحيح.

وبيان ذلك أمَّا إشكال الأول: وهو أنه يكون ظلمًا وبغيًا، فيقال: إنَّ موسى ما كان يعلم أنَّه مَلَكُ الموت، وأَنَّ الله بعثه إليه، بل حسب أنَّه إنسي لا يريد عدوان عليه، كما حسب إبراهيم ولوط الملائكة الذين جاؤوهما أناسيَّ، فرأى أَنَّ الدفاع عن النفس جائز أو واجب، كيف وهو رسول الله أرسله لغرض من أشرف الأغراض، وهو إقامة التوحيد والعدل في الأرض، وليس في الحديث ما يشهد بأَنَّه عالم حقيقة المَلَك.

وأيضًا ربما ظنَّ أنَّه تصلح مدافعة مَلَكِ الموت، كما تصلح مدافعة الأقدار والنوازل التي ينزلها الله ويبعثها لقصم العباد، فحسب أَنَّ المكلف يطالب بأن يَّدَافع كل ما هجم عليه مطلقًا، فدافعه، كما يجب علينا أن نُدافع الموتَ ووسائله على قدر طاقتنا، وإنْ كنَّا غير قادرين على دفعه.

[٣٦]-الأبي، عبد الله، شرح صحيح مسلم, إكمال إكمال المعلم، (د.مك، د.مط، د.ط، د.ت)، ج ٦، ص١٦٤-١٦٥.

وأيضًا ربما حسب أَنَّ المَلَكَ ليس ملزمًا بأَنْ يقبض روحَه، فطلب منه الإمهال، فلم يجب، فأصاب بما أصابه، ولعله لم يكن قاصداً فقْأَ عَيْنِه، وقد قص القرآن من فعل موسى ما يقارب هذا، وهو ما حكَاه عنْ قتْلِ القبطي، كما ذكر سبحانه وتعالى قوله في سورة القصص: ﴿فَاستَغثَهُ الّذي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الّذي مِنْ عَدَوِهِ فَوَكزَهُ مُوسى فَقَضَى عليهِ قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَيْطَانِ إنَّه عَدوٌ مُضِلٌ مُبِين۝ قَالَ ربِّ إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْلِي فَغفَرَ لَهُ إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَحِيْمِ﴾[٣٧]. وقال في ذلك، لَمَا ذكَره فرعون فِعْلَتَهُ، كما أورد سبحانه وتعالى قوله: ﴿قَالَ فَعَلتُها إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّيْنَ﴾[٣٨] نرى موسى قتل ذلك القبطي، وإنما أراد أن يخلِّص الإسرائيلي منه فكانت القاضية.

أمَّا الإشكال الثاني: وهو أنَّ المَلَكَ جاءه فرآه، فيقال: إنَّ الملائِكَةَ تأتي الأنبياء بصورة رجال، كما جاؤو إلى إبراهيم وإلى لوط بِهَيْئَةِ أضياف، وكما كان جبرائيل يجيء رسول الله، هذا شيء لا ينكر ولا يستشكل،

وأما رواية التي رواها الإمام أحمد في الحديث وهي: " وكان ملك الموت يأتي الناس عيَانًا " فلا أظنها صحيحة، وهي أن موسى كان يشك في خلوده، فيقال: إنَّ الإستفهام في الكلام يكون لضروب كثيرة، وليس بلازم أَنْ يقارنه الجهل والشك، وقد يستفهم العالم والجاهل فلا يدل الإستفهام مطلقًا على أن المستفهم جاهل وشاك فيما استفهم عنه، فقد جاء الإستفهام في القرآن كثيراً، كقوله تعالى: ﴿هَل أَتَى عَلَى الإنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾.[٣٩]، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَشِيَةِ﴾،[٤٠] و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾،[٤١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾،[٤٢] ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾،[٤٣] و﴿وَإِذ قَالَ اللهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسَ اتَّخذُونِي﴾،[٤٤] وأمثال هذا. فهل الإستفهام هنا يقارنة الشك؟! كلا، ومثل هذا موجود في كلام الناس، فقد يقع الإستفهام منهم كثيراً بلا شك ولا جهل،كذلك قول موسى " ثم ماذا؟ " لا يدل أَنَّه شاك في مصيرة الأخيرة.

وأما الإشكال الرابع فنقول فيه: إنَّ الله أرسل المَلَك إلى توفيه، والروايات شاهدة بذلك، ولكن لما رأَى حِرْصَ موسى على الحياة، وخوْفَة من الممات، ظن أَنَّ الله يسأله في أجله، فتركه. ولهذا يقول: "أَرْسَلْتَنِي إِلى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوتَ" أو أَنَّه أثر فيه ما أصابه من موسى، فرجع إلى ربِّه مستكيا قبل أن يقوم بمهمته، ولا مانع أيضًا أَنْ يكون إرساله لتوفيه ليس على طريق الايجاب والإلزام، بل على طريق التخيير والتفويض، وقد جاء في الصحيح أَنَّ الأنبياء لا يموتون حتى يُسْتشارو ويُخَيَّروا بين الموت والحياة،

---

[٣٧]-القصص٢٨/الآية ١٥-١٦.

[٣٨]-الشعراء٢٦/الآية ٢٠.

[٣٩]-الإنسان٧٦/والآية١.

[٤٠]-الغاشية٨٨/ ١.

[٤١]-الذاريات٥١/الآية ٢٤.

[٤٢]-النازعات٧٩/الآية ١٥.

[٤٣]-ص٣٨/الآية ٢١.

[٤٤]-المائدة٥/ الآية١١٦.

فالمَلَكَ يعلم أن موته في تلك الساعة ليس لازماً، وعليه لم يبادر إلى توفيه، أو أَنَّ المَلَكَ جاءه مُخَيّرًا له بين الموت والحياة، فظنه موسى عاديًا، فلما صكه علم أَنَّه لا يختار الموت فتركه.

وأما الإشكال الخامس: فجوابه ما جاوبنا به الإشكال الأول، وهو أَنَّ موسى لم يعلم أَنَّه مَلَكَ الموت، بل حسبه معتدياً عليه، لطَمَه لذلك دفعًا عن نفسه، لا فرارًا من الموت، ولا رغبًا في الحياة، فلما عرف أنَّه مَلَك الموت رغب في لقاء ربه، واختار جواره، كما اختار ذلك سائرُ الأنبياء بعد أن خُيَّروا، ثم أي مانع من أن يختار الإنسان أولاً الحياة، ثم الموت؟ ليس في ذلك استحالة ولا بعد، فلا يجوز رد الأحاديث الصحيحة بمثل هذه والصحة والجودة. والله أعلم.[٤٥]

**رأي الباحث:**

هذا ما نجده من علمائنا رحمهم الله تعالى من الدفاع عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وصدُّوا لِدَعَاوى المبطلين، الَّذين لم يتركوا في مطاعنهم شيئًا في هذا الدين الحكيم، حتى ولو كان متفقًا عليه، بل تجدهم يرُدُّون أيَّ شيءٍ يخالف عُقُولَهم السقيمة، حتى ولو كان آيةً في كتاب الله، والَّذي أدَّى بهم إِلَى هذا، هو ما درَسُوه على أيْدِي المتكلمين والفلاسفة الزائغين من الأفكار الهَدامة التي تَسْقُمُ العقول وتُمْرِضُها، وتُشَكِّكُها في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلا تجدها تفَرّقُ بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بل تحتقر ذلك، وتستعظم ما قاله الحُكَماُء والفلاسفةُ من أبناء اليونان وعُبُّادِ الكواكب وتقدمها على ما في القرآن والسنة.

الجدير بالذكر، إن الباحث لا حظ عدم التطور في الشروح على هذا الحديث، ونقل بعض شارحي الحديث من البعض. وأغلب الشارحين نقلوا قول المازري وابن خزيمة اللَّذَين ردًّا على منكري هذا الحديث. ولماذا لم يتطور هذا الحديث شرحًا؟.

قيل: هناك أجوبة عديدة على ذلك، إِنَّ هذا الحديث يحكي واقعة لا تتعلق بعقيدةٍ جوهريةٍ رئيسةٍ من عقائد الإسلام، ومن يؤمن به فهو خيرٌ له، ومن رفضه بدليل صح عنده فله عذر، وتبقى عقيدته صحيحة وليس لهذا الحديث الأثر العملي التطبيقي، يعني لا تصنع أَيَّةَ مشكلة صغيرة ولا كبيرة في حياة المسلم المعاصرة، أي هذا الحديث لا يُعَارض معاصرة في أي زمان ومكانٍ ولا الحياة تعارضه. وهناك بعض المعاندين يطالبون القصاص كما كان أَنَّه ثبت من خلال هذا الحديث أن موسى عليه السلام قد آذى مَلَكَ الموت دون وجه حق.

**الخاتمة:**

يمكن للباحث أَنْ يُوجِزَ رُدُودَ العلماء السابقين على إشكالية هذا الحديث من ذكر النقاط التالية:

[٤٥]-القصيمي، عبد الله ابن علي النجدي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، باب مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، (د.مك، د.مط، ط ١، ١٩٩٦م - ١٤١٧هـ) ج١، ص٨٤.

١. إن الله خلق الشرع وخلق العقل، ومحال أَنْ يُخَالفَ ما شرعه الله ما خلقه من عقول الناس، إذ هو العليم الحكيم.

٢. يظهر من مجموع ما نقلته من الأقوال عن علمائنا الأفاضل، أَنَّ العلماءَ رَدُّوا بِعِدَّةِ رُدودٍ على ما ذكره الملاحدة، أذكر في هذه الخاتمة أهم النتائج المستفادة من هذا البحث:

٣. إن ما استشكله العقل مما ورد من الأمور الشرعية، فذلك ليس طعنا في الشرع وإنما قصور عقول الناس هي التي تجعلهم يستشكلون ما ورد عن الله ورسوله.

٤. إن الطعن في القرآن أو السنة إنما هو طعن في الله ورسوله، إذ الله تعالى هو المنزل للوحي، ومحال أن يكون فيه ما يدعو إلى التناقض أو التشكيك.

٥. إن المسلم إذ استشكل عليه شيئ في الكتاب أو السنة، فعليه أن يَتَّهم عقلَه ونفسَه بعدم الفهم، ويسلِّمَ لأمر الله ورسوله وأنه ما جاء عنهما هو حق يجب عليه أن يذعن له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٤٦]

٦. أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم أنه ملك الموت، وإِنَّما ظنَّه رجلاً قصد دارَه ودخلها بغير إذنه، فلذلك لطَمَه.

٧. إنْ تَمَثُّل الملائكةُ في صورة آدميين قد حصل قبل موسى للأنبياء قبله، كما حصل لإبراهيم عليه السلام وكذلك حصل للوط، إذ جاؤوهما في صورة آدميين فلم يعرفاهم، فقدم إبراهيم عليه السلام الطَّعامَ لهم ولو عرفهم لما فعل ذلك، وكذلك خاف عليهم لوط من قومه، ولو عرف أنهم الملائكة لما خاف عليهم.

٨. أَنَّ موسى عليه السلام لم يقصد فقءَ عينِ المَلَكِ، وإِنَّمَا قصَدَ دفعَه، فالفقءُ حصل بالمدافعة، ولم يكن مقصودًا، فإِنَّ المسلم إذا دافع أحدًا فقد يوصل ذلك إِلَى القَتْل لا إِلَى مُجَرَّدِ الفقءِ.

٩. ولو قصد موسى عليه السلام فقءَ عينِ المَلَكِ فإِنَّ ذلك موافقٌ لشَرِيعتنا للحديث الَّذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «من اطلع في بيت قومٍ بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه».

١٠. إنَّ المَلَكَ لما رجع في المرة الثانية جاءه بعلامة عرف بها موسى عليه السلام أَنَّه مَلَكُ الموت، فاستسلم حينئذ وعرف أنه جاءه ليقبض روحه، ولذلك اختار موسى عليه السلام الموت على الحياة، ولو كان يعرف ذلك في المرة الأولى لما فعل ما فعل.



[٤٦]- سورة النور الآية ٥١.

# سنن زوال الأمم والحضارات في السنة النبوية

**د. ثابت أحمد أبو الحاج**
قسم القرآن والحديث - أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا



**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله وأصحابه أجمعين.

فإن الله تبارك وتعالى قد خلق الكون، وأوجد الوجود،ونظم حركة الكون كله،كما نظم كل علاقة بين مفرداته وجزئياته، وأجرى ذلك مجرى القوانين المنضبطة، والقواعد التي لا تتخلف ولا تتردد. فسار الكون الطبيعي والإنساني لا تتقلب مظاهره ولا تتردد مساراته، كل حركة أو سَكنة فيه تدلل على عظمة الخالق سبحانه، وقيوميته على أمر هذا الكون، لا تأخذه سنة ولا نوم، فلا خلل ولا اضطراب، وقد سجل الله سبحانه وتعالى هذه القوانين، التي تضبط مسيرة الكون والحياة، في ثنايا القرآن الكريم والسنة النبوية. كما وجهنا سبحانه إلى تأمل تلك السنن في الآفاق والأنفس، ودعانا إلى اكتشافها والسير على هديها، عبر التأمل في القرون السابقة، والتفكر في انتظام حركة هذا الكون، والوصول إلى لحظة العبرة والموعظة، ومن ثم السير على هدي هذه السنن، وتحقيق العبودية لله وحده.

وفي سياق الاستجابة لذلك، يأتي هذا البحث محاولةً لاستنباط بعض السنن الإلهية، من خلال السنة النبوية، في الجانب الإنساني من هذا الكون وتحديداً في السنن الإلهية التي تحكم زوال الحضارات والأمم.

**أهداف البحث:**

يسعى الباحث من خلال بحثه هذا إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. توضيح مفهوم السنة (الإلهية) لغةً واصطلاحاً.
٢. بيان أهمية البحث في السنن الإلهية.
٣. بيان أقسام السنن الإلهية،وتحديد خصائصها.
٤. بيان مظان استنباط السنن الإلهية من السنّة النبوية.
٥. استنباط عدد من السنن الإلهية من النصوص النبوية.

**الدراسات السابقة:**

لم يحظ موضوع السنن الإلهة على العموم بالاهتمام الكافي عبر تاريخ البحث والتدوين سواء في علوم القرآن والتفسير، أم في علوم السنة النبوية، ويعد البحث في السنن الإلهية من الأبحاث المعاصرة، كما أن جملة ما كتب في السنن الإلهية – وهو قليل جداً- يعتمد على القرآن الكريم، دون النظر في السنة النبوية، ولعل ذلك راجع إلى اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم، أكثر من غيره، تبعاً للأهمية والأولية المصدرية من جهة، ولأن النص القرآني محدد ومنضبط بمواصفات لا تتوفر لغيره من النصوص، ولا حتى للسنة النبوية، مما يجعل استنباط السنن ودراستها من خلال القرآن الكريم أيسر وأوضح، على أن هذا لا ينفيإمكانية استخراج مثل هذه السنن من خلال السنة النبوية بل إنها لا تقل وضوحاً وانتشاراً عما هو في القرآن الكريم.

وقد صدر من الدراسات في البحث عن السنن الإلهية عدة مؤلفات منها على سبيل المثال:

١. سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، محمد صادق عرجون.
٢. السنن الإلهية في بناء الحضارات وزوالها، نداء زقزوق.رسالة علمية،، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م
٣. سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها،محمد هيشور،رسالة علمية، جامعة عين شمس، ١٩٨٢م.

وهذه الدراسات تتمحور جميعاً حول القرآن الكريم، ولم تأخذ السنة النبوية مكانها من هذه الأبحاث.

وسيحاول الباحث من خلال هذا البحث، تقديم منظور نبوي لبعض السنن الإلهية المتعلقة بأسباب زوال الأمم والحضارات وانهيارها، كدليلٍعلى اهتمام السنة النبوية بالسنن الإلهية التي تحكم الأنفس والآفاق،وعلاجا لواقع الأمة الإسلاميةاليوم ،ونهوضا بها، وتوسيعاً لآفاق البحث في هذه القضية بالغة الأهمية.

**منهج البحث:**

يحاول الباحث أن يجمع في بحثه هذا بين المنهج الاستنباطي والاستقراء الناقص، حيث أنه ينطلق من النظرة الكلية في محاولة تحديد مفهوم السنن الإلهية، ووضع تصور نظري كلي لأقسامها وخصائصها، ثم التوجه نحو الجزئيات لاستخراجها على أساس ذلك التصور النظري، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن البحث التطبيقي عن تلك السننهو بحث انتقائي لنماذج من الروايات التي سجلت بعض السنن الإلهية، ولم تكن غاية هذا البحث استقراء جميع ما في السنة النبوية حول السنن الإلهية، ولا استقراء جميع النصوص المتعلقة بسنن زوال الأمم والحضارات، وإنما اختيار بعض النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر.

وقد تم تناول هذه السنن من خلال المباحث الستة التالية:

١. المبحث الأول: مفهوم السنن.

٢. المبحث الثاني: أهمية البحث عن السنن الإلهية.
٣. المبحث الثالث: أقسام السنن الإلهية.
٤. المبحث الرابع: خصائص السنن الإلهية.
٥. المبحث الخامس: مظان استنباط السنن الإلهية من السنة النبوية.
٦. المبحث السادس: سنن زوال الأمم والحضارات في السنّة النبوية.

## المبحث الأول

## مفهوم السنن

**السنّة في اللغة:**

وردت كلمة السنّة في اللغة بمعان عدة ،تشير في عدد منها إلى معنى الاستمرارية والمداومة والتكرار، ومن ذلك قولهم: سن الماء إذا داوم على صبه، وسنّ الإبل إذا داوم على رعيها، وسنّ النصل إذا صقلها، والصقل يأتي بعد تكرار مرور النصل والمسنّ أحدهما على الآخر، ومن معاني السنة في اللغة: الطريقة [١].

وأما السنة في الاصطلاح: فهي القانون ( أو مجموعة القوانين) التي يتحرك وفقها الوجود كله، وتنظم على أساسها الحياة، والعلاقات بين عناصر الوجود[٢].

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم ست عشرة مرة، موزعة على النحو التالي:

١. مطلقة: مرة واحدة وذلك في قوله تعالى " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين" آل عمران: ١٣٦.
٢. مضافة إلى لفظ الأولين ( ٤) مرات وهي الآيات:

- " قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لكم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين" الأنفال: ٣٨.
- "لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين" الحجر: ١٣.
- "وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا"الكهف: ٥٥.
- " فهل ينظروا إلا سنة الأولين" فاطر: ٤٣.

---

[١]- ابن منظور، لسان العرب، مادة سنن ٣٢٠/١٣، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

[٢]- انظر نحو هذا التعريف في: هيشور، محمد: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص٨،ص٢٢، رسالة علمية، جامعة عين شمس، ١٩٨٢م.

٣. وأضيف إلى الذين بلفظ مقارب مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم" النساء:٢٦.

٤. مضافة إلى (من قد أرسلنا قبلك) مرة واحدة وذلك في قوله تعالى " سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا" الإسراء:٧٧.

٥. مضافة إلى لفظ الجلالة أو الضمير الدل عليه (٩) مرات وذلك في قوله تعالى:

- "ولا تجد لسنتنا تحويلا" الإسراء: ٧٧.
- "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا" الأحزاب:٦٢.
- "فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا" فاطر: ٤٣
- " فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون" غافر: ٨٥.
- "سنة الله التي خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا" الفتح: ٢٣.

" وقد أفادت جل استعمالات كلمة سنة في القرآن، معنى واحداً وهو الطريقة والقانون وإن تشعبت تصريفاتها"[٣].

فهي في الجملة تدور حول أمر الله الذيأمضاه في الأمم من قبل ومن بعد، وبمعنى آخرالقانون الإلهي الذي حكم سير الأمم والرسل فيمن مضى وفيمن سيلحق، واللفظ لم يستخدم في غير هذا الإطار كما تدل عليه الآيات.

أما في السنة النبوية فإن جملة المواضع التي وردت فيها الكلمة فهي مضافة في الغالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد في سنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فهو بمثابة التشريع والطريق التي يلتزمها الناس فعلاً وتركاً طلباً أو تخييراً، كما التزمها رسول الله صلى الله عليه وسلم،وصحابته الكرام.

كما أنها وردت في بعض المواطن لتدل على التشريع أو القانون أو العرف السائد في الناس والأمم ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلين، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"[٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم للصحابة، لما طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، كما أن للمشركين ذات أنواط ( شجرة كانوا يعلقون عليها أسلحتهم...) " لتركبن سنة من كان قبلكم" قال الترمذي حسن صحيح[٥].

---

[٣]- هيشور:سنن القرآن في قيام الحضارات، ص٣.

[٤]- البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، ج٦، ص٢٥٢٣، رقم ٦٤٨٨، دار ابن كثير بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

وقوله صلى الله عليه وسلم في المجوس " سنوبهم سنة أهل الكتاب"[٦].

وعليه فنحن نتحدث في بحثنا هذا عن أن هناك جملة من القوانين والضوابط التي وضعها الله تبارك وتعالى ليسير وفقها هذا الكون بكافة جزئياته ومكوناته، إن كانت طبيعية مادية أو بشرية إنسانية ذاتية أو جماعية، فكما أن للشمس قانون يحكمها ويصرّفها، فإن للإنسانية قوانين تحكمها كذلك، فللإنسان الفرد قوانين تحكم حياته، وللإنسان المجتمع والحضارة كذلك قانون يحكمه، وللظاهرة الإنسانية اجتماعية كانت أو حضارية قوانين تحكمها أيضاً، والأمم مدعوة عبر التاريخ الإنساني كله لاكتشاف هذه النواميس والسنن الإلهية في الآفاق وفي الأنفس، لتحسن السير وفقها والإفادة منها وفق أفضل الصور، لتحقيق السعادة في الدارين.

## المبحث الثاني

## أهمية البحث عن السنن الإلهية

ينبع الاهتمامبدراسة السنن الإلهية من كونها تحكم مسيرة الإنسان الحضارية، كما تحكم حركة الظواهر الطبيعية من حوله، وكما تعرّف الإنسان على كثير من القوانين والنواميس التي تحكم حركة الطبيعة، فإنه مدعو وبكل قوة وعزم إلى استكشاف القوانين والسنن التي تحكم مسيرته، وحضارته وحاله ومآله، ولعل من أهم الدوافع التي ينبغي أن تدفعنا للبحث في هذا الاتجاه، دافع البحث عن النهوض الحضاري من جديد، وتجديد العهد التليد، لأن انهيار أمة الإسلام وهذا التهاوي والانحدار الحضاري، أكبر حافز لدراسة هذه الظاهرة وعواملها، والبحث عن سبل التجاوز لها، والنهوض من جديد، فلطالما تحدثنا عن المارد الإسلامي الذي يتململ، ولكن هذا المارد لم يصح بعد أو لم ينهض على قدميه على الأقل، وعلى الرغم مما يبدو من مبشرات الصحوة والنهضة، هنا وهناك في العالم الإسلامي، إلا أن الإنجاز الحضاري لا يزال دون المأمول، بعد نحو قرن أو أكثر من التعثر ومحاولات النهضة. إن عدم قطف الثمار حتى اللحظة مدعاة للبحث عن أسباب التأخر والعمل على العلاج، وهذا شأن المؤمنين بدلا من تعليق الهزائم والنكسات على مشاجب الاستعمار، ولولا قابليتنا -كأمة- لهذا الاستعمار ما جاء إلى بلادنا، ولا استعمرنا كما يرى مالك بن نبي رحمه الله " أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير"آل عمران: ١٦٥. وكما يرى الأستاذ محمد عرجون فإن " إغفال السنن الربانيةوعدم فقهها في ميدان الدراسات الحضارية، في واقع المسلمين الحالي قد أدى إلى ضياع طاقات كثيرة، بذلها مفكرون ومربون إسلاميون عظام، وذهب الكثير منها سدى في غياهب مشكلات المجتمعات المتكدسة، التي يظهر أنها مشكلة واحدة وهي مشكلة

---

[٥]- الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ج٤، ص٤٧٥، رقم ٢١٨٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٦]- مالك بن أنس: الموطأ، كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، ج١، ص٢٧٨، رقم ٦١٥، دار إحياء التراث العربي، مصر.

الإنسان المؤمن، صاحب المنهج، الفقيه بسنن التحضير الخبير بربط عناصر الكون الطبيعية وطاقاته المعنوية بالحياة الاجتماعية لخدمة الإنسان"[٧].

وإن الباحث يعتقد أن هناك منظومة متكاملة من السنن الإلهية تحكم مصائر الأمم والحضارات،ويرى أن اكتشاف تلك السنن من الأهمية بمكان لأنه يشكل آفاق النهوض الحضاري للأمة، وبغير اكتشاف هذه المنظومة-من القرآن والسنة- فإن الباحث يجزم أن الأمة لن تجد سبيلها إلى النهوض، وسيبقى القرآن والسنة كذلك بعيدين عن الفعل الحضاري في الأمة.

ويبدو أن العامل الأساسي في البناء الحضاري وسعادة الأمم هو فقه سنن الله في الحياة والتزامها منهجاً وشريعة في حياة الناس وبذلك ترقى الأمم وتزدهر الحياة، وتتحقق الأماني وتوصل النتائج بالمقدمات لأن الله قضى ألا تكون حياة سعيدة إلا بتحقيق التوازن والتزام سنن الوجود

## المبحث الثالث

## أقسام السنن الإلهية

تتعدد أقسام السنن الإلهية بحسب موضوعها الذي تدور حوله، والنظام الذي تحكمه وهي في الجملة تسير في مسارين عريضين، هما:

١. السنن الطبيعية: ونعني بها السنن التي تحكم الكون الطبيعي شمساً وقمراً، وجبالاً وبحاراً وغير ذلك، وهذه السنن هي الأكثر وضوحاً لدى الناس والأسرع اكتشافاً وقد نص القرآن الكريم على عدد منها وجاء العلم المعاصر ليؤكد الكثير منها مما اكتشفه الإنسان، والبعض لا زال لم يكتشف بعد، ومن الأمثلة الواضحة على تلك السنن، قوله تعالى: " والشمس تجري لمستقر لها ذلك تدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون" يس: ٣٨-٤٠. وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنخسفان لموت أحد ولا لحياة أحد"[٨].

٢. السنن الإنسانية: ونعني بها السنن التي تحكم مسيرة البشرية مؤمنها وكافرها، قديمها ومعاصرها ولاحقها، أفراداً وشعوباً، وهذه السنن أكثر تفاوتاً بين الباحثين والمفكرين في التقسيم والتحديد والاكتشاف، مع أن القرآن الكريم لم يتحدث عن السنن إلا في إطار الأمم والحضارات كما سبق وأسلفنا، إلّا أن هذه النصوص لا زالت بحاجة كبيرةإلى سبر أعماقها ، واكتشاف سنن الله فيها، وتقديمها للبشرية، وحث الأمة على اختيار مسارها وفق هذه السنن الإلهية فهناك من يتحدث عن السنن التاريخية، ويريد بها السنن التي أجراها الله تعالى على الأمم السابقة، عاد وثمود وغيرها من الأمم التي أهلكها الله بسبب تكذيبها، وهناك من يتحدث

---

٧- عرجون محمد صادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص١٦، دار السعودية، ط٣، ١٩٨٤م.

٨- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، ج٢، ص٦١٨، رقم ٩٠١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

عن السنن الاجتماعية، ويريد بها السنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية، وتنظم على أساسها المجتمعات والعلاقات الاجتماعية.

## المبحث الرابع

## خصائص السنن الإلهية

إن النظر في دلالات النصوص التي وردت فيها كلمة السنن يجد جملة من الخصائص المتعلقة بالسنن الإلهية من أبرزها:

١. **الثبات والاطراد:**

وتتضح هذه الخاصية من خلال إشارات عدة وردت في الآيات نذكر منها:

أ- نصت الآيات صراحة في أكثر من موطن على هذا الثبات، وعدم التبديل وعدم التحويلومن ذلك قوله تعالى: " فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً" فاطر: ٤٣.

ب- دعوة الله الناس للنظر في السنن التي حكمت الأمم من قبلهم وهذه الدعوة غايتها العظة والاعتبار، فالله تبارك وتعالى يحذرنا أن يصيبنا ما أصابهم إن كذبنا كما كذبوا، قال تعالى: " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين" آل عمران: ١٣٧. وهذا مؤشر على ثبات السنة والقانون الإلهي الذي يحدد مصائر المكذبين، ولولا هذا الثبات وحتمية تكرار ما سبقإن تكررت المقدمات لولاه ما كانت الدعوة إلى النظر في مصارع الأمم الغابرة ولانتفى المبرر لها.

ت- إن من خصائص القانون العادل الاستقرار والثبات، والتغيير والتبديل المتكرر ينفي عنه صفة القانونية والعدل، هذا على صعيد القانون الوضعي البشري، فمن باب أولى أن يكون القانون الإلهي كذلك ثابت مستمر، وهذا الثبات في السنن الإلهية، يجعلها لا تنخرم، ولا تتغير ولا تتبدل إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى لأحد سلطاناً على هذه السنن، إلا بمعجزة يؤيد بها أحد أنبيائه أو رسله، ليثبت من خلالها صدق نبوته، على أنه ينبغي أن نلاحظ كافة المعجزات التي حدثنا القرآن عنها، خرقت القوانين الطبيعية فقط، لكن السنن الاجتماعية والحضارية لم تنخرم لأحد ولا حتى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.(٩).

٢. **الحتمية:**

فالسنن الإلهية حتمية النتائج إذا تحققت المقدمات،، لكن هذه الحتمية في السنن لا تعني الجبرية التي تلغي إرادة الإنسان في الفعل وتعطلها، بل إنها تنسجم مع هذه الإرادة وتتناغم

٩- قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ قراءة في التراث التاريخي العربي، ص٨١-٨٢، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٥.

معها وحرية الإنسان في الإرادة والاختيار للفعل الذي يشاء، والمعتقد الذي يؤمن به، أمر كفله الله لخلقه منذ بدء الخليقة وإلى يوم الدين " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" البقرة: ٢٥٦. لكن هذه الإرادة الإنسانية فاعلة غاية الفاعلية في اختيار مقدمات القانون وتحديد المسار السنني الذي ستتحقق نتائجه بناء على المقدمات التي اختارها الإنسان بنفسه، فالعدل الإلهي تحقق في بيان طريق الرشد من طريق الغي، وطريق النصر من طريق الهزيمة، وطريق الشقاء من طريق الضلال وأطلق العنان لحرية الإنسان وإرادته في أن يختار ما يوصل إلى الجنة أو إلى النار، كما أنه بيَّن النتائج المترتبة على الاختيار، وهذه النتائج حتمية التحقيق بناءً على المقدمات التي يسلكها الإنسان بكامل إرادته، فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر، وأن تنفذ فيهم سنته، بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم، والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل وهو حمل دليل التكريم لهذا المخلوق التي اقتضت مشيئة الله أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ بمشيئة الله فيه"[١٠].

" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها" البقرة: ٢٥٦.

٣. **العدالة:**

والسنن الإلهية رغم أنها حتمية النتائج ، فإنها عادلة لأن واضعها هو الله العادل، والعدل السنني يتجلى من جهة كون الجزاء من جنس العمل في الدنيا والآخرة، فالعمل الإنساني هو المقدمة والنتيجة السننية هي الجزاء.

كما يتجلى العدل الإلهي في السنن من كونها لا تحابي أحد، ولا تنحاز بجانب أحد دون الآخر، فأيما أمة من الأمم اختارت فعلاً إنسانياً معيناً، ستترتب عليه نفس النتائج سواء كانوا الذين قاموا بهذا الفعل مسلمين أم غير مسلمين، فمقدمة التنازع مثلاً نتيجتها الفشل وذهاب الريح، بغض النظر عن الأمة المتنازعة من تكون " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" الأنفال: ٤٦.

## المبحث الخامس

## مظان استنباط السنن الإلهية من السنة النبوية

إن الناظر لما كتب حول السنن الإلهية في القرآن الكريم، يجد أن الآيات التي تتضمن عبارة الشرط أو معناه تكون غالباً مظنة لاستنباط سنة من السنن، كقوله تعالى: " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" محمد: ٧. وكذلك الآيات التي تقرر ترتب نتائج معينة على مقدمات ما، نحو قوله تعالى: " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم" الأنفال: ٦٠.

[١٠]- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ٢٠٤٩/٤-٢٠٥٠، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٧.

ومثال هذا يمكن أن يقال في السنة النبوية، فالأحاديث التي يمكن أن تكون مظنة لاستنباط السنن الإلهية، يمكن أن تندج تحت الأنواع التالية (على سبيل الغلبة لا التحديد):

١. ما تضمن عبارة الشرط أو معناه: مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"[١١].

وفي هذا الشكل من السنن تتمثل السنة في قضية شرطية تربط بين حادثتين، أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، تؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، وأنه متى تحقق الشرط تحقق الجزاء[١٢].

٢. الروايات التي رتبت نتائج معينة على مقدمات معينة كذلك: نحو قوله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم"[١٣]. قال الترمذي:حديث حسن.

٣. الروايات التي تحدثت عن مصائر الأمم السابقة وأسباب ما حل بها نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"[١٤].

٤. روايات الفتن وأخبار المستقبل نحو قوله صلى الله عليه وسلم: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[١٥].

## المبحث السادس

## سنن زوال الحضارات والأمم في السنّة النبوية

إن ذهاب أمة ونشأة أخرى ليس عبثاً ولا مجرد انتقام من قوم دون آخرين، ولكنها سنة الله في الأمم، لتتجدد خلايا الإنسانية وتداول الحياة الحضارية بين البشر، ليستمر العالم قائماً، على عقيدة سليمة وأسس وصحيحة صالحة للبقاء.

لذا فإن الباحث سيعرض في هذا البحث عدداً من الروايات التي تتضمن عدداً من السنن الإلهية في زوال الأمم والحضارات، نهوضاً وتداولاً وزوالاً من الجهة الأخرى.

---

[١١]- السجستاني: أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، ٢٧٤/٣، رقم ٣٤٦٢، دار الفكر.

[١٢]- الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص١٠٢، دار التعارف، بيروت.

[١٣]- سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف، ٤٦٨/٤، رقم ٢١٦٩.

[١٤]- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٢٨٢/٣، رقم٣٢٨٨.

[١٥]- سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ١١١/٤، رقم ٤٢٩٧.

ولعل من أبرز السنن والروايات التي يمكن أن نتوقف معها ما يلي:

**السنة الأولى: بسط الدنيا والتنافس فيها وتعظيم قيمها ومكانتها على حساب الآخرة يهلك الأمة.**

ومن الروايات التي تندرج في إطار هذه السنة:

١. ما رواه البخاري بسنده، أن عمرو بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدراً، أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين، وأمرّ عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيده بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، وقال: أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء، قالوا أجل يا رسول الله، قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم"[١٦].

"فالتنافس وجعل المصلحة المادية هي الموجّه للعلاقات الإنساينة هو الذي يفسدها، لا بل ويفسد الإنسان نفسه... وإذا شاعت هذه الحالة وانتشرت في المجتمع جرت عليه سنة الله تعالى في الإهلاك، فهناك حشد من الآيات التي تؤكد أن إتاحة المجال لفئة قليلة أن تملك إلى حد الترف بمواجهة كثرة لا تملك إلى حد التضور جوعاً مسألة في غاية الخطورة، لابد أن تؤدي بحياة الأمة، مؤدية بها إلى الاضمحلال[١٧]، " وكم من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم، إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين" القصص:٥٨.

٢. ما رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وفي حديث ابن بشار لينظر كيف تعملون"[١٨].

٣. ما رواه أبو داود بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"[١٩].

٤. ما رواه أبو داود بسنده عن ثوبان، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن

---

[١٦]- صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة، ١١٥٢/٣، رقم ٢٩٨٨.

[١٧]- زقزوق: نداء محمد، سنة اله في إحياء الأمم واضمحلالها، ص١٤٧-١٤٨، رسالة علمية،، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

[١٨]- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة...٢٠٩٨/٤،رقم ٢٧٤٢.

[١٩]- سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، ٢٧٤/٣، رقم ٣٤٦٢.

الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما والوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت"[٢٠].

فالناظر في الروايات السابقة يجد التأكيد واضحاً على أن الأمة إذا تنافست في الدنيا، وجعلتها همها الأكبر ولم تسخرها جسراً للآخرة، تحقيقاً لمرضات الله، فإن الهلاك هو النتيجة الحتمية للحضارة التي تعظم الدنيا والمادة، على حساب الآخرة والروح دون أن تتعامل معها بتوازن ووسطية.

ومن مظاهر هذا التعظيم لقيم الدنيا المادية التي أوردتها الأحاديث السابقة: بيع العينة، والأخذ بأذناب البقر والرضى بالزرع، إشارة إلى الركون إلى الدنيا، والافتتان بالنساء كذلك، وحب الدنيا والتعلق بها، والتنافس حولها، في مقابل قيم الآخرة والروح التي ذكرتها الروايات منها ترك الجهاد وكراهية الموت.

ولعل هذه السنة هي تماماً ما قررته الآية الكريمة في قوله تعالى: " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" التوبة: ٢٤.

"من كل ما سبق ندرك أنه كلما التزمت جماعة ما بمزيد من القيم والأخلاق وسعت إلى صقل هذه القيم وتأصيلها في أعماق البنية الاجتماعية، تمكنت من تأخير عمرها الحضاري، وإبعاد شبح التدهور والسقوط عنها، وكلما بدأت جماعة ما بالتخلي عن هذه الالتزامات آذنت معطياتها الحضارية بمصير سيء قريب"[٢١].

**السنة الثانية:الرضا بالفساد وعدم الإصلاح، من عوامل هلاك الأمم.**

ومن أشهر الروايات التي تدلل على هذه السنة:

١. ما رواه الترمذي بسنده، عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[٢٢]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

٢. ما رواه الترمذي بسنده عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". قال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح[٢٣].

---

[٢٠]- المصدرالسابق، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم ٤٢٩٧.

[٢١]- خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، ٢٨٩، العراق، ط٤، ١٩٨٦.

[٢٢]- سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف، ٤/٤٦٨، رقم ٢١٦٩.

[٢٣]- المصدرالسابق، كتاب الفتن، ٤/.524،رقم٢٢٥٧

فالرواية الأولى تؤكد أن عقوبة عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقاب يحل بالأمة ولن يرفعه الدعاء، والرواية الثانية تربط الحفاظ على النصر والظفر والفتح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقوى، وهذا دال دلالة واضحة أن ذهاب هيبة الأمة وخيريتها وزوال أستاذيتها للأمم، نتيجة مؤكدة إذا تخلت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق الله" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم" آل عمران: ١١٠.

وما أوضح التعبير القرآني " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم" آل عمران: ١٠٤-١٠٥.

فإذا أرادت الأمة حضارة الخيرية والأستاذية فالسبيل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على الخير، كما أن ترك ذلك سيؤدي إلى فرقة الأمة واختلافها وزوال حضارتها من حيث النتيجة.

**السنة الثالثة: الظلم وعدم العدل والتميز بين الناس، أحد العواملالهامة لهلاك الأمم.**

"فالظلم عامل من أكبر عوامل سقوط الحضارات، وله مفهوم شامل وعريض يؤدي إلى فقدان التوازن في كافة مجالات الحياة وعلاقات الإنسان مع نفسه ومع الله مع غيره، وعن هذا تنبثق حالات وظواهر نفسية، اجتماعية، واقتصادية، مرضية، وتصورات فاسدة عن الوجود كله، يعم الفساد الحياة الإنسانية كافة"[(٢٤)].

ومن الروايات التي تؤكد هذه السنة الإلهية:

١. ما رواه البخاري بسنده، عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[(٢٥)].

٢. ما واه مسلم بسنده، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"[(٢٦)].

---

[٢٤] - هيشور، سنن القرآن ،ص: ٢٥٠.

[٢٥] - صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٢٨٢/٣، رقم ٣٢٨٨.

[٢٦] - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ١٩٩٦/٤، رقم ٢٥٧٨.

٣. ما رواه الترمذي بسنده عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب المكيال والميزان:"إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم" قال أبو عيسى: وقد روي هذا بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً.[٢٧]

فالظلم سواء كان بالتمييز بين الغني والفقير، وعدم العدل بين الناس في الأحكام، سبب من أسباب هلاك الأمة، لأنه مخالف لأمر الله في قوله: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" النساء: ٥٨.

والشح في الرواية الثانية مرتبط بالظلم من حيث أنه دفع أصحابه إلى استحلال المحارم وسفك دمائهم فيما بينهم ويرتبط به -في تقدير الباحث- التطفيف في الميزان والمكيال وهو صورة دالة على الشح والظلم،قال تعالى " ويل للمطففين" المطففين:١.

وقد نصت الآيات القرآنية على كون التطفيف في الكيل سبب لهلاك الأمة، وذلك في قوله تعالى:" وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين *بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين" هود: ٨٥-٨٦.

**السنة الرابعة: التنازع والاختلاف، مضعف للأمة، مشتت لطاقاتها، مذهب لهيبتها وحضارتها.**

ومن الروايات الدالة على هذه السنة الإلهية:

١. ما رواه مسلم بسنده أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال: إنما هلك من قبلكم باختلافهم في الكتاب"[٢٨].

٢. ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتمروا ما استطعتم"[٢٩].

٣. ما رواه الإمام أحمد بسنده، عن عبد الله بن مسعود قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة من الثلاثين من آل حم يعني الأحقاف قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، قال: فرحت إلى المسجد فإذا رجل يقرؤها على غير ما أقرأني، فقلت من أقرأك؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقلت لآخر: اقرأها فقرأها على غير قراءتي وقراءة صاحبي، فانطلقت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله إن هذين يخالفاني في القراءة، قال: فغضب وتمعر وجهه، وقال إنما أهلك من كان قبلكم

[٢٧]- سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في المكيال والميزان، ٥٢١/٣ رقم ١٢١٧.

[٢٨]- صحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ٢٠٥٣/٤، رقم ٢٦٦٦.

[٢٩]- أحمد بن حنبل، المسند، ٢٥٨/٢، رقم ٧٤٩٢، مؤسسة قرطبة، مصر.

الاختلاف، قال: زر، وعنده رجل قال: فقال الرجل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما أقرئ فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف، قال عبد الله: فلا أدري أشيئاً أسره إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو علم ما في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والرجل هو علي بن أبي طالب رضوان الله عليه(٣٠)، سنده حسن.

٤. ما رواه الإمام أحمدبسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً قد احمر وجهه يرميهم بالتراب، ويقول: مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً بل يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"(٣١).

وليس من الاختلاف المذموم الذي تتحدث عنه الروايات، التباين في وجهات النظر وتعدد الآراء بما تحمله النصوص، فإن هذا أمر لا بد منه حكم تعدد الأفهام والنظر واحتمالية الدلالات في النصوص، ولكن الاختلاف المذموم الذي تحذر منه هذه الروايات - حسب وجهة نظر الباحث – ما أدى إلى تنازع الأمة وفرقة صفها واختصامها، فإن هذا مندرج في التنازع المؤدي إلى الفشل الذي يذهب قوة الأمة وريحها، كما نصت عليه السنة الإلهية في الاية الكريمة " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" الأنفال: ٤٦.

**السنة الخامسة: التخلي عن القرآن إلى غيره، من أهم عوامل هلاك الأمة الإسلامية.**

ومن الروايات التي رسخت هذه السنّة:

١. ما رواه الدارمي بسنده عن مرة الهمداني قال: جاء أبو قرة الكندي بكتاب من الشام، فحمله فدفعه إلى عبد الله بن مسعود، فنظر فيه فدعا بطست ثم دعا بماء فمرسه فيه، وقال: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم قال حصين: فقال مرة: أما إنه لو كان من القرآن أو السنة لم تمحه، ولكن كان من كتب أهل الكتاب(٣٢).

٢. وما رواه الدارمي بسنده عن الأشعث عن أبيه وكان من أصحاب عبد الله قال: " رأيت مع رجل صحيفة فيها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقلت: أنسخنيها فكأنه بخل بها ثم وعدني أن يعطينيها، فأتيت عبد الله فإذا هي بين يديه، فقال: إن ما في الكتاب بدعة وفتنة وضلالة، وإنما أهلك من كان قبلكم هذا وأشباه هذا، إنهم كتبوها فاستلذتها ألسنتهم،

٣٠- المصدرالسابق، ٤١/١، رقم ٣٩٨١.

٣١- المصدر السابق، ١٨١/٢، رقم ٦٧٠٢، .

٣٢- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي: المقدمة، باب من لم ير كتاب الحديث ١٣٤/١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤٠٧.

وأشربتها قلوبهم، فأعزم على كل أمرئ يعلم بمكان كتاب إلا دل عليه، وأقسم بالله قال شعبة: فاقسم بالله قال أحسبه أقسم لو أنها ذكرت له بدار الهند أراه يعني مكاناً بالكوفة بعيداً إلا أتيته ولو مشياً[٣٣].

فهذان القولان لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه يؤشران على أثر التخلي عن الكتاب، وهو القرآن الكريم والإلتفات إلى غيره، وما رواه الترمذي تالياً يؤكد أثر التمسك بالقرآن والتوجه إليه،مما يوضح معنى السنة الإلهية المشار إليها.

إذ روى الترمذي بسنده عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته، حتى قالوا:" إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به" من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفهإلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال[٣٤].

وهذا الحديث وإن كان في إسناده ما قال الترمذي، فإن الدارمي أخرجه[٣٥] بإسنادين رواة أحدهما رواة الحسن،كما أن معناه صحيح تؤيده جملة نصوص، أشهرها الحديث المشهور " تركت فيكم أمرين إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي"[٣٦]. وقبل ذلك قوله تعالى: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين" الإسراء: ٩١. وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

**السنة السادسة: الغلو في الدين مهلك للأمة.**

وتنطق بهذه السنة الإلهية الرواية التي أوردها ابن ماجه في سننه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته، القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه، ويقول: أمثال هؤلاء فارموا ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[٣٧]. وأخرجه النسائي[٣٨].

---

٣٣- المصدرالسابق١/١٣٥، رقم ٤٧٩.

٣٤- سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ٥/١٧٢، رقم ٢٩٠٦.

٣٥- سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ٢/٥٢٦-٥٢٧، رقم ٣٣٣، ٣٣٣٢.

٣٦- النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ١/١٧٢، رقم ٣١٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٣٧- القزويني، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ٢/١٠٠٨، ررقم ٣٠٢٩، دار الفكر، بيروت.

وخطورة الغلو في الدين تكمن في أنه خروج على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسهم في الصد عن سبيل الله، من خلال تنفير الناس عن الدين بسبب المغالاة، كما أنه يجعل تشدد المتشددين وغلوهم مع مرور الوقت هو الدين الذي يحمل عليه الناس، وليس الدين نفسه.

**السنة السابعة: الأمراض الاجتماعية المفرقة للصف من أسباب هلاك الأمم.**

ويدل على ذلك ما رواه الترمذي بسنده أن الزبير بن العوام حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم، أفشوا السلام بينكم". قال أبو عيسى: هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير، فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد عن مولى الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا فيه عن الزبير[٣٩].

فالحسد والبغضاء أمراض اجتماعية، تملأ صف الأمة حقداً وضغينة، وتزيده فرقة واختلافاً، ولهذا أمرنا الله أن نستعيذ بالله من شر الحسد، ويوجهنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى ما يحول دون تفشي هذه الأمراض التي أفنت الأمم السابقة، ووصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها الحالقة، التي تحلق الدين، وتطغى عليه، فكان التوجيه بضرورة إفشاء السلام والتحاب مقابل الحسد والبغضاء.

**الخاتمة: نتائج البحث**

وبعد هذا التطواف في آفاق السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية،يمكن تقرير جملة من النتائج:

- السنة النبوية كنز المعارف والعلوم، ومنها السنن الإلهية، التي تحتاج الأمة إليها هذا الزمان أيّما حاجة، لأنها تتضمن سبل نهضتها، إن هي أحسنت استخراجها والتعامل معها، والتحدي الحقيقي للسنّة النبوية اليوم،لا يكمن فقطفي الهجمة العالمية على شخص نبينا الكريم ومنهجه،بل هو بتقصر المسلمين في السير على هدي النبي المصطفى - صلى الله عليه وسلم- واستلهام العبر والعظات من مصائر السابقين، والذي يدفع الأمّة للسير القويم على بصيرة في الفكر والمنهج، وبالتالي قيادة البشرية،وتحقيق رسالة الاستخاف.
- يمكن استنباط السنن الإلهية من الأحاديث المتعلقة بأخبار الأمم السابقة والروايات المتضمنة عبارات الشرط أو معناه، وأخبار الفتن وغير ذلك، وقد توقف الباحث أمام بعض النماذج من سنن زوال الحضارات والأمم، لتكون دليلاً على امكانية استنباط السنن الإلهية من السنة النبوية، كما هو الحال في القرآن الكريم.

---

[٣٨] - النسائي: أحمد بن شعيب، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٢٦٨/٥، رقم ٣٠٥٧، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦م.

[٣٩] - سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب، ٦٦٤/٤، قم ٢٥١٠.

- الهدف من إيراد قصص وأخبار السابقين،هو دفع الإنسان إلى التساؤل، والبحث عن الأسباب والعلل التي كانت وراء ازدهار هذه الحضارات ثم انطفاؤها، وهو ما يمكن أن يطلق عليه السنن الإلهية في الحضارات، وهي السنن ( القوانين )التي يتحرك وفقها الوجود كله، وتنتظم على أساسها الحياة والعلاقات بين عناصر الوجود، وبيان حكم حركة التاريخ فيها بشكل منطقي، وبالتالي ينتخب منها ما يقود لتحقيق رسالة الاستخلاف، وعمارة الأرض، وتحقيق الصالح الإنساني العام.
- من خصائص السنن الإلهية: الثبات والاطراد والحتمية والعدالة، ولذلك أصبحت قانوناً ينظم الكون،الطبيعي والإنساني، وهذا القانون خاضع لإرادة الله وحده، ففي أيّزمان حدثت المقدم اتنترتبت عليها النتائج.
- ويرى الباحث أن البحث في مجال السنن الإلهية يحتاج إلى مزيد من التعمق والتأصيل، إلى جانب الاستقصاء والتفصيل، خاصة مجال السنة النبوية، حيث يمكن أن تدرس السنن الإلهية في المجالات المختلفة الكونية والإنسانية، في كل جانب من الجوانب بشكل استقصائي شامل، وصولاً إلى موسوعة السنن الإلهية في القرآن والسنة.





# بعض أحاديث الأحكام الاقتصادية والتحديات المعاصرة

**د. حسن محمد ماشا عربان**
عميد كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية
جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية
السودان



**مقدمة:**

هذا البحث سيتناول بعض الحاديث النبوية الشريفة التى وضعت أحكام تتعلق بالاقتصاد والمال من حيث كسبه، ومشروعيته وتنميته، واستثماره، وذلك بهدف التعرف على المعاملات المالية من خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم ومقابلتها بالأفكار الوضعية المعاصرة، وبيان مشكلة البحث التي هي عبارة عن سؤال محورى يحاول الباحث الإجابة عليه وهو: هل هنالك تحديات معاصرة تواجه تطبيق أحاديث الأحكام الاقتصادية والعمل بها؟ وتفترض الدراسة أن أحاديث الأحكام الإقتصادية لا تواجه أى تحديات فى نصوصها وصلاحها فى العصر الحديث، وإنما التحديات تكمن فى عدم فهمها والعمل بها فى ظل التبعية الاقتصادية للدول الإسلامية للعالم الغربي الذي يؤمن بالنظرية الرأسمالية ولا يدين بالإسلام.

بما أن الأحاديث التى تناولت جانب المعاملات المالية كثيرة سوف يقتصر البحث فى الأحاديث التى يرى الباحث أنها تواجه تحديات معاصرة، وسوف يحرص الباحث على إيراد الأحاديث الصحيحة الثابتة من الصحيحين، والسنن الأربعة وغيرها، وتخريج الأحاديث ببيان مصادرها، والكتب والأبواب التي وردت فيها، وسوف يستعين الباحث بعدد كبير من كتب الشروح والفقه، ودراسة أقوال الفقهاء، وآراء المذاهب إضافة للدلالات الاقتصادية لتلك الأحاديث، وإرشاداتها الاقتصادية. وسوف يستخدم الباحث المنهج الوصفى التحليلي والمنهج الاستنباطي والاستقرائي. ويتكون هيكل البحث من ثلاثة مباحث كل مبحث يحتوى على ثلاثة مطالب.

## المبحث الأول

## أحاديث الملكية والعمل والكسب وضبط السوق

### المطلب الأول: الملكية والعمل

العمل هو أساس الملكية فى الإسلام، ولقد دعت السُنة للعمل ونهت عن العطالة والمسألة. الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها

فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"([1]). كما حثت السُنة على تثمير الأرض (إستغلال الموارد)، قال صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضة ميتة فهى له" ([2]). وهذا الحديث يدل بوضوح على أن سبب ملك الأرض إعمارها وإحياؤها لا مجرد الحجر عليها ولذلك كان عمر يقول: "من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فهي له"([3]).

لقد أباح الإسلام التملك المشروع وحدد له أسباباً تلبية لغريزة حب التملك التي أودعها الله في الإنسان، وبيَّن ما يجوز تملكه وما لا يجوز. وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أسباب التملك المشروع، قال ابن نجيم: (أسباب التملك: المعاوضات المالية، والأمهار، والخلع، والميراث، والهبات، والصدقات، والوصايا، والوقف، والغنيمة، والاستيلاء على المباح، والإحياء، وتملك اللقطة بشرطه، ودية القتيل يملكها أولاً ثم تنقل إلى الورثة، ومنها الغرة يملكها الجنين فتورث عنه)([4])، وقال الحصكفي: "أعلم أن أسباب الملك الثلاثة ناقل كبيع وهبة وخلافه كإرث أوصاله وهو الاستيلاء حقيقة بوضع اليد أو حكماً بالتهيئة كنصب شبكة لصيد"([5]).

كما أن السُنه دعت إلى إستغلال الملكية الفردية لصالح المجتمع، وذلك لأهمية الإستثمار فى عمارة الأرض وأثر ذلك فى توفير الحاجات للأمة، ومكانة ذلك عند الله تعالى. الحديث: "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، و ما سرق منه له صدقة، و ما أكل السبع منه فهو له صدقة و ما أكلت الطير فهو له صدقة، و لا يرزؤه (أي ينقصه و يأخذ منه) أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة"([6]). و دعت إلى العمل من أجل الانفاق فى سبيل الله، والعفة والاستغناء عن المسألة. كما فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله"([7])، والحديث عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرنا بالصدقة إنطلق أحدنا إلى السوق فتحامل فيصيب المد وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف"([8]).

كذلك أكدت السنة أن العمل فى الإسلام يشمل بجانب الكسب والتملك أعمالاً أخرى تعبدية تقرباً لله تعالى. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: "أي العمل أفضل فقال إيمان

[1] رواه البخارى فى صحيحه ، فتح البارى، الحديث ١٤٧١- تعليق ابن باز- (٣ / ٣٣٥)

[2] رواه البخاري شرح الزركشي ج٢/ص١٩١، والحديث روته عائشة رضي الله عنها عن النبي قال : من عمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها . قال عروة : قضى به عمر في خلافته .

[3] كتاب الأموال لأبي عبيد: (١ / ٣٦٧) برقم: (٧١٢) تحقيق: خليل محمد هراس ، دار الفكر- بيروت.

[4] الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي: (ص٣٤٦) مؤسسة الحلبي . مصر. عام ١٣٨٧هـ .

[5] الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي: (ص٣٤٦) مؤسسة الحلبي . مصر. عام ١٣٨٧هـ .

[6] رواه مسلم و أحمد ( ٣ / ٣٩١ ) سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألبانى الباب ٨ ج١ ص٧

[7] صحيح البخاري ج٢/ص٥١٨

[8] صحيح البخاري ج٢/ص٥١٤

بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور([٩]). فالايمان بالله ورسوله تتبعه كل أعمال العبادات من صلاة وصوم وزكاة وذكر وكافة الأعمال الصالحة.

ولقد عرف العمل فى الإسلام بأنه: "كل جهد مشروع يبذله الإنسان ذهنياً أو بدنياً. لايجاد المنفعة المعتبرة شرعاً من سلع وخدمات ذات قيمة لاشباع حاجات المجتمع المادية والمعنوية، نظير أجر أو تبرع"([١٠]).

ولقد أكدت السُنة أن أكل الحلال وسيلة لاستجابة الدعوة فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم: "أن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟" ([١١]). والسنة النبويه تمجد العمل الطيب وترفع درجته وتكرم صاحبه كما ورد فى الحديث: " لقد أشارت السنة إلى أهمية العمل الصالح كما جاء فى الحديث: "مر رجل على النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فرأى الصحابة جده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن كان خرج يسعى على أولاده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يَعفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"([١٢]). كذلك أكدت السنه على تحري الصدق والأمانة فى العمل واتقانه: الحديث: قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأزد على صدقات بني سليم يدعى بن الأتبية فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني([١٣]). والحديث: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك"([١٤]). والحديث: قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"([١٥]). جعلت السنه العلم أولوية لعمارة الأرض ولاشباع الحاجات الروحية والمادية. ومن الأسس التى وضعها الاسلام لتنمية عنصر العمل والتخصص لتوفير كافة حاجات المجتمع. ولذلك دعت إلى السعى لطلب العلم، الحديث قال

---

[٩] صحيح البخاري ج١/ص١٨

[١٠] محمد شوقي الفنجري - المذهب الاقتصادي في الإسلام – دار عقاض – الرياض ١٩٨١- ص١٨.

[١١] صحيح الجامع للالبانى ، مكتبة الشيخ الالبانى ج٢ ص٢٦٠

[١٢] حديث صحيح رواه الطبرانى ، انظر صحيح الألبانى ، باب الترغيب فى الاكتساب والبيع وغيره ج٢ ص ١٤١

[١٣] صحيح مسلم ج٣/ص١٤٦٣

[١٤] أخرجه أبي داود ، وصححه الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة ج١ ص ٧٨٣ .

[١٥] سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألبانى . " ٣ / ١٠٦ .

صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"([16]) كما بينت السنة أهمية العلم ومدى فائدته ونفعه للأمه كما ورد فى الحديث: "عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"([17]).

ودعت السنة إلى أن يُعطى الأجير من الأجر مايكفيه لتغطية حاجاته الضرورية من خلال الحديث الشريف: "عن المستورد بن شداد قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا قال قال أبو بكر أخبرت أن النبي صلى الله عليه و سلم قال من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق"([18]). ولقد قدر الفقهاء حد الكفاية بأنه: يشمل الطعام واللباس والسكن في حدود المعروض ويشير (أبو عبيدة) إلى أن أهل العراق يرون أنه لا يعطي نصاب الزكاة الذي تكون به عندهم الكفاية، فإذا كان للرجال ما وراء الكفاف من المسكن واللباس والخادم مما يكون له قيمته أوقية فليست تحل له الصدقة([19]).

٣/ استيفاء الأجر والتعجيل فى دفع الأجر: فالإسلام يقرر سرعة دفع الأجر للعامل بعد الانتهاء من عمله مباشرة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعطوا الأجير أجره, قبل أن يجف عرقه"([20]). كما يقر استيفاء الأجر للعامل، الحديث : "عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره"([21]).

كذلك وضع الإسلام حماية للملكية سواء كانت خاصة أو عامة. فلا يجوز انتزاع ملكية خاصة نشأت عن كسب حلال إلا للمصلحة العامة، ومع تعويض عادل لصاحبها، كما ورد فى الحديث: "عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين"([22])، كما أن حرمة الملكية العامة أعظم، وعقوبة الاعتداء عليها أشد، لأنه

[16] صحيح البخاري ج١/ص٣٩

[17] صحيح البخاري باب فضل من علم وعلم ج١/ص٤٢

[18] صحيح أبى داوود ج ٢ ص ٥٦٨ ، صصحجه الألبانى فى صحيح الجانع للشيخ الألبانى ج ٣ص ٦٩

[19] أبو عبيدة ، الأموال ج١ص٦٦٨

[20] صحيح ابن ماجه ج ٢ ص ٥٩ ، و صحيح الألبانى ، باب الترغيب للاكتساب بالبيع وغيره ، ج ٢ ص ١٨٣

[21] صحيح البخاري ج٢/ص٧٩٢

[22] رواه أحمد والبخاري ، انظر نيل الأوطار - (٦ / ٥١)

عدوان على المجتمع كله وخيانة للأمة بأسرها، قال عليه الصلاة والسلام: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا منه مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة"([٢٣]).

ويرى الإسلام أن توفير الأعمال من واجبات الراعي على رعيته. كما لا يجوز أن يكون موقفه منهم بصفة دائمة مد اليد بمعونة قلت أو كثرت من أموال الصدقات([٢٤]). فقد روى انس بن مالك أنه قال: "إن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال ألك في بيتك شيء قال بلى حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه وقدح نشرب فيه الماء قال ائتني بهما قال فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده قال من يشتري هذين فقال رجل أنا آخذهما بدرهم قال من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى اهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به ففعل فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه عوداً بيده وقال اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوماً فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال اشتر يبعضها طعاماً وببعضها ثوباً ثم قال هذا خير لك من أن تجئ والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع و دم موجع"([٢٥]). ومما سبق يتضح ضرورة توافر فرص العمل للجميع وعدم تعطيل الأيدي العاملة لان ذلك يحقق التنمية الاقتصادية الشاملة لبلاد الإسلام.

فوائد أحاديث العمل والملكية:

١/ تدعو إلى أن العمل أساس الملكية

٢/ حثت على تثمير وإعمارالأرض

٣/ إستغلال الملكية الفردية لصالح المجتمع

٤/ أن العمل يشمل بجانب الكسب والتملك أعمالاً أخرى تعبدية تقرباً لله

٥/ أن أكل الحلال وسيلة لاستجابة الدعوة

٦/ أن العلم أولوية لعمارة الأرض ولاشباع الحاجات الروحية والمادية

٧/ أن يعُطى الأجير من الأجر مايكفيه لتغطية حاجاته الضرورية

٨/ استيفاء الأجر والتعجيل فى دفع الأجر

٩/ الصدق والأمانه واتقان العمل .

**دلالات وإرشادات الأحاديث الاقتصادية:**

للقيام بعمارة الأرض لابد من العمل الدؤوب كما لابد من العلم من أجل تقسيم العمل للاستغلال الموارد لمصلحة المجتمع، وعلى العامل أن يكون صادقاً واميناً فى عمله وعلى الدولة الإهتمام بالبطالة

[٢٣] صحيح الجامع للأبانى ، مكتبة الشيخ الألبانى ج٣ ص٤٣

[٢٤] القرضاوي يوسف ابن عبد الله – فقه الزكاة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١٥ – ج٢ – ٨٩٤

[٢٥] سنن ابن ماجه ، دار الفكر ، بيروت ،ب ت ، ب ط – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ج٢ ،ص.٧٤٠

وتوفير العمل، والاهتمام بالأجور التى توفر حد الكفاية، وعلى المجتمع الاهتمام بأعمال العبادة بإعتبارها من أفضل الأعمال.

**المطلب الثانى: الكسب الطيب**

الكسب الطيب يقصد به العمل الذي يجلب به المال، ولقد دعت السنه إلى الكسب الطيب كما ورد فى الحديث الشريف: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)([26])، والمعنى: أي عمل من الأعمال يجلب للشخص مالاً، وينال به عيشاً، هو أكثر حلالاً وأعظم، بركة كما فأجاب بأن أطيب المكاسب عمل الرجل بيده ، وأطلقت اليد في الحديث لأنها الجارحة المناط بها الأعمال، ويدخل في ذلك جميع الصناعات، والأعمال الحرفية مثل النجارة والحدادة، كما تدخل الزراعة في ذلك لأنها عمل باليد. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (وكل بيع مبرور) يعني أن البيع المبرور يشارك عمل اليد في كونه أطيب المكاسب، والبيع المبرور، هو البيع الخالص من اليمين الفاجرة، وهو الحلف الغير صادق الذي يمارس أثناء بيع السلعة لتسويقها، كما يعني المبرور البيع الخالص من الغش في المعاملة، فهو البيع المصحوب بالبر ،الذي يكون معه الصدق والسماحة والأمانة.

أما تقديم عمل اليد في الحديث على البيع المبرور يدل على أنه الأفضل، ويدل على ذلك ما روي فى الحديث: "عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"([27]).

**فوائد الحديث وخلاصة الأحكام:**

١/ الحديث يرشد ويدعو إلى الكسب عن طريق عمل اليد واستحبابه

٢/ أصول المكاسب ثلاثة : الزراعة، والصناعة والتجارة .

٣/ استحباب البر في البيع كالسماحة فيه والصدق والأمانة .

٤/ كراهية الحلف في البيع، وتحريم الغش فيه .

٥/ الحث على العمل والإنتاج .

٦/ الحديث يعتبر قاعدة في الاقتصاد الجزئي لدلالته على أصول المكاسب .

دلالات وإرشادات الحديث الاقتصادية :

إن هذا الحديث الشريف يحث على العمل الحرفي اليدوي كالزراعة بآلة غرس الحبوب (الزرَّاعة) وقد يدخل العامل الآلة الحديثة إضافة إلى جهده ليزيد من إنتاجه وإنتاجيته.والحديث يحث على تشغيل الحرفيين للتقليل من البطالة وذلك لاتساع قاعدة أنواع الأعمال الحرفية زراعية أو صناعية أو حرفية

[26] أخرجه أحمد حديث رقم ( ١٧٣٠٤ ). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم ( ١٢٢٩ )

[27] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب، باب كسب الرجل وعمله بيده. ج ٢ /ص ٧٣٠

سواءً اليدوية أو بالآلة الحديثة وإن تواضع نوع هذا العمل ودخله، ولو كان احتطاباً ما دام يغني صاحبه شر المسألة والتبطل.

إن تقديم عمل اليد وأفضليته على البيع فيه حث كبير على العمل المثمر المنتج الحقيقي أولاً من أجل توفير السلعة أو الخدمة ثم يأتي البيع ثانية (التجارة والتوزيع)، فإذا أصبح الكل تجاراً لا يجدون من يبيعونه من سلع لقلة المعروض، له ولذلك تصبح الزراعة والصناعة من القطاعات ذات الأولوية ثم يليها القطاع التجاري كقطاع مشتق يقوم بتوزيع المنتجات الزراعية والصناعية لذا نجد المصارف تأخذ بمبدأ الأولوية في منح التمويل للقطاع الزراعي لكثرة اليد العاملة، ثم الصناعي وهى مكمل للزراعة، ومن ثم قطاع الخدمات والتجارة من أجل استدامة الإنتاج وزيادة الإنتاجية.

كما يرشد الحديث الشريف إلى اتصاف التاجر بقيم الصدق والأمانة والسماحة في البيع بعيداً عن الحلف الممحق لبركة ثمن السلعة والغش في العرضها، وهذا يعتبر قمة ممارسة المنافسة الكاملة التي تركز الأسعار وتقوم بحماية المستهلك. والعمل المعتبر من الناحية الاقتصادية هو ما يتولد منه نفع، وكل ما عظم النفع واتسع كان العمل مفضلاً عللا غيره. وكذلك الأهمية الاقتصادية للبيع لأنه ينقل المنافع (المنتجة) بين الناس، قينتفع المنتج بالثمن وينتفع المستهلك بالسلعة أو الخدمة.

**المطلب الثالث: ضبط السوق**

ويقوم النشاط الاقتصادي الذي يحرك الانتاج من خلال السوق الإسلامية والتي تقوم علي أساس آليات (المنافسة الصافية) التي تدفع عملياً إلى (العدل) في التعامل ومن ثم إلي زيادة الإنتاج وتحسين نوعية المنتجات من خلال المعاوضات المالية العادلة والمشاركات الاستثمارية الواضحة وفي جو من البر والتقوى والتواصي والتناصح والرقابة والتوجيه. والتي تتحقق بتفاعل قوي السوق (العرض والطلب) من خلال ميكانيكية الأسعار مع العمل على إزالة أي شوائب تؤثر على حركة العرض والطلب كالاحتكار والغش والفساد المالى وغير ذلك. من ضوابط السوق الإسلامية التى دعت إليها السنة الشريفة:

١/ تقوم السوق على معايير القيمة العادلة، والصدق قال صل الله عليه وسلم: "التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة"([٢٨]).

٢/ السوق الإسلامية لا تعرف الاحتكار. قال صل الله عليه وسلم: "لا يحتكر إلا خاطئ"([٢٩]).

٣/ التبادل بين الأسواق دون حجر أو حكر لتاجر: إن الاختلاف بين أجزاء الأرض يستوجب التبادل التجاري. قال صل الله عليه وسلم: "من جلب سلعة إلى مصر من الأمصار وباعها بسعر يومه فله أجر شهيد"([٣٠]).

٢٨ المستدرك على الصحيحين ، لمحمد بن عبدا لله أبو عبدا لله الحاكم النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ،١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٤ ج٢ص٧ .

٢٩ سنن بن ماجة كتاب التجارة باب الحكرة حديث رقم ٢١٤٥

٣٠ صحيح البخاري مرجع سابق ط٣ج٥ص٢١٨١

٤/ تحري الصدق والأمانة وحسن التعامل وذلك من تقوى الله، قال صل الله عليه وسلم: "التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة"([٣١]). وقال صل الله عليه وسلم مخاطبا تجار المدينة: (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجار إلا من إتقى وبر وصدق)([٣٢]).

٥/ النهى عن كل البيوع المنهى عنها كالنجش والمنابذة والملامسة وتلقى الركبان وبيع الحاضر للباد بيع الغرر وغيرها([٣٣]).

٦/ الرقابة على التبادل فى الأسواق. وتقوم به الدولة ممثلة فى وظيفة المحتسب أي في ولاية المظالم . ونظر المظالم هو : قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاهد بالهيبة. وكان من شروط الناظر فيها أن يكون جدير القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة ، قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحمى ، وثبت القضاة . فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين([٣٤]).

٧/ ضبط وتوجيه جميع المعاملات التجارية والمالية منعاً لأكل أموال الناس بالباطل، وحظر جميع أنواع البيوع الفاسدة والتي فصلتها السنة النبوية(٣٥) المطهرة جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى))([٣٦]) فالحديث يحث ويدعو إلى السماحة في كل المعاملات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر))([٣٧]).

**دلالات أحاديث (الملكية والعمل والكسب والسوق) والتحديات المعاصرة**

الموضوعات التى تعرضت لها أحاديث العمل والملكية والكسب وضبط السوق، والتى يمكن حصرها فى أن العمل أساس الملكية، والدعوة إلى العمل والعفة، والنهي عن العطالة والمسألة وربط العمل بالتقرب إلى الله تعالى وبالتالى الاجتهاد فى الأعمال التعبدية، والسعى للعمل الصالح وإتقان العمل والصدق والأمانة، وتحرى الكسب الطيب الحلال، والانفاق والتصدق من الكسب، ونشر قيم التكافل، وعدم تبزير الموارد مع الاهتمام باستغلال الأمثل لها، وكذلك طلب العلم المستمر للاعانة على عمارة الأرض. اهتمام الدولة بالقوة البشرية من حيث التعليم والتربية والتدريب وتوفير فرص العمل، وتوفير أجر الكفاية للعامل واستيفائه دون تأخير أو تأجيل. وحماية الملكية الخاصة والعامة. وكذلك ضبط السوق وتحريم البيوع المنهى عنها وضبط المعاملات التجارية.

[٣١] النسائي ، أحمد بن شعيب السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيوت ، ١٩٩١م ، ط١- ج٢- ط ٥٤- تحقيق د. عبد الغفار سليمان البدراوي وسيد كسروي حسن.

[٣٢] المستدرك على الصحيحين – مرجع سابق – ج٢- ط ٧.

[٣٣] صحيح البخاري ج٢/ باب البيوع المنهى عنها ، ص٧٤٥ -٧٧٩

[٣٤] أنظرالحسبة في الإسلام ج٢٨/ص٨١ و الأحكام السلطانية ج١/ص١٢٨ و التراتيب الإدارية ( نظام الحكومة النبوية ) ج١/ص٢٨٤ .

[٣٥] انظر القرطبي ١٥١/٥ .

[٣٦] البخاري – كتاب الوحي ٢٠٧٦ .

[٣٧] رواه مسلم ، صحيح مسلم - مكنز- (١٠ / ٧٢) (الحصاة : أن يقول بعتك على أنك بالخيار إلى أن أرمى بهذه الحصاة )

هذه الموضوعات هى القضايا التي تعاني منها الدول المعاصرة سواء كان المسلمة أو الدول الغربية وتطبيق هذا المنهج النبوي سوف يعالج قضايا البطالة والفقر والهجرة ونقل التكنلوجيا والأجور، وظاهرة الغش فى المعاملات المالية الذي كان من أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية. فضلاً عن ابتعاد المجتمع عن قيم الدين فى الملكية والعمل والكسب التعامل.

## المبحث الثانى

## أحاديث الربا والصرف

### المطلب الأول: مفهوم الربا فى اللغة والاصطلاح

الربا في اللغة يعني الزيادة، يقال ربا المال أي زاد، وقولهم أربى فلان على فلان، قد ظلمه(٣٨). والربا في الاصطلاح الفقهى: هو "كل زيادة بدون عوض بعقد، معنى ذلك كل زيادة بدون مقابل في أي عقد من عقود المعاملات بين صنفين من نفس النوع فهو من الربا المحرم شرعًا، جاء تحريمه نصًا صريحًا بالكتاب والسنة، ويقينًا قطعيًا لا لبس فيه قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)). والحديث عن جابر رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء"([٣٩]).

كذلك أجمع الفقهاء على تحريمه، ففى الحنفية قال السرخسى أن الربا فى الشريعة هو : "الفضل الخالى عن العوض المشروط فى البيع"([٤٠])، أما في المالكية قال القيروانى أن الربا هو: "ربا الجاهلية في الديون إما أن يقضيه وإما أن يربي له فيه ومن الربا في غير النسيئة كبيع الفضة بالفضة يدا بيد متفاضلا، ولا يجوز فضة بفضة ولا ذهب بذهب إلا مثلا بمثل يدا بيد([٤١]). وأما الشافعية قال القليوبى: "الربا هو زيادة أحد العوضين فى متحد الجنس وربا اليد هو تأخير قبض العوضين أو أحدهما مطلقاً من غير ذكر أجل. وربا النساء هو ذكر الأجل فى العقد ولو قصيراً"([٤٢]). وعند الحنابلة قال ابن قدامة في المغنى: "الربا هو كل ما كيل أو وزن من سائر الأشياء فلا يجوز التفاضل فيه إذا كان جنساً واحداً([٤٣]).

ومن المعاصرين يرى العثيمين أن "الربا شرعاً هو زيادة في أشياء ونسأ في أشياء، ولو قيل: إن ربا الفضل هو التفاضل في بيع كل جنس بجنسه مما يجري فيه الربا. وربا النسيئة تأخير القبض فيما يجري فيه الربا. فليس كل زيادة ربا في الشرع، وليس كل زيادة في بيع ربا، إذا كان المبيعان مما تجوز

---

[٣٨] لسان العرب ،لابن منظور الإفريقى ٨٢/١

[٣٩] صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، كتاب اللباس ، باب من لعن المصور ، رقم ٥٩٦٢

[٤٠] المبسوط ، السرخسي ، كتاب البيوع ، باب أنواع الربا ، دار المعرفة بيروت ، ج ١٢ ، ص ١٠٩ .

[٤١] الرسالة ، القيرواني، باب فى البيوع وما شاكل البيوع ،دار الفكر بيروت ، ص ١٠٢ .

[٤٢] حاشيتا قليوبي و عميرة ، كتاب البيوع ، باب الربا ، دار الفكر بيروت ، ج ٢ ص٢٠٩.

[٤٣] المغني لابن قدامة المقدسى ، كتاب البيوع ، باب الربا والصرف ، رقم ٢٧٩٦ ، مكتبة القاهرة ، ج ٤، ص ٤

فيهما الزيادة، فلو بعت سيارة بسيارتين فلا بأس، وكتاباً بكتابين فلا بأس؛ لأنه ليس كل زيادة تكون ربا، بل الزيادة التي تكون ربا هي ما إذا وقع العقد بين شيئين يحرم بينهما التفاضل([٤٤]).

أما معنى الربا فى الاصطلاح الاقتصادي فلقد ورد فى القواميس الوضعية تعريف الربا بأنه هو "ثمن النقود التى ساهمت فى الإنتاج"([٤٥]). أو هو "العائد الذى يتم دفعه لرأس المال نتيجة مساهمته فى الإستثمار"([٤٦]).

ولقد عرف الفكر الرأسمالي الربا كما جاء فى تعريف أدم سميث فى كتابه (ثروة الأمم) أن الربا هو: "الإيراد الذى يحصل عليه صاحب رأس المال إذا قام بتوظيف هذا المال بنفسه أما إذا إعطى هذا المال لآخر ليقوم بتوظيفه بدلاً عنه، فإن العائد الذى يعود على صاحب المال يسمى فى هذه الحالة الفائدة، أو عائد استخدام مال الغير . وهو يمثل التعويض الذى يدفعه المقترض للمقرض نتيجة الربح الذي تحصل علية من استثمار مال الغير . والمقترض استحق جزء من الربح نتيجة تحمله المخاطرة، بينما المقرض استحق الجزء الآخر لإتاحته المال للمقرض ليحقق مكاسب مالية. فالفائدة على النقود هى تعتبر إيراد مستحق على رأس المال سواء حقق هذا الاستثمار ربحاً أو حقق خسارة، ولو أدى ذلك إلى الإقتراض مرة ثانية ليسدد المستحق على رأس المال الأول"([٤٧]).

**أ.ربا الفضل:**

أ. من خلال دراسة موضوع الربا يمكن شرح الحديث الذى فصل فى ربا الفضل ومن ثم التعرف دلالات الحديث وارشاداته.

الحديث :" عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ يَدًا بِيَدٍ فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ"([٤٨]).

شرح الحديث وأحكامه:

الحديث حرم ربا الفضل حيث يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة لا يصح إلا بشرطين أساسيين، أن يكون البدلان مثلا بمثل، أي يتساوى البدلان من الجنس الواحد قدرا، سواء كان وزنا أ و كيلا أو عدا، وأن يكون كلا البدلين حاضرا، أي ناجزاً فلا يؤجل بدل عن الآخر، فقوله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب، والفضة بالفضة أي بيع الذهبُ بالذهبِ والفضةً بالفضة بالرفع على تقدير يباع وبالنصب على تقدير بيعوا، مثلا بمثل، والتماثل المقصود هو

[٤٤] الشرح الممتع على زاد المستقنع ، لمحمد العثيمين ، كتاب البيع ، باب الربا والصرف ، دار ابن الجوزى ، ج ٨ ، ص ٣٩٢ .

[45] WEBSTERS , Dictionary , Currrent English , 1994 .

[46] Macmillan Dictionary of MODERN ECONOMICS, 1984 .

[47] Adam Smith , An Inquiry Into the Nature and Causes of theWealth of Nations, BookI,Ch.6, eBooks,),The University of Adelaide Library, Last updated Sun Aug 29 19:05:19 2010

[٤٨] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، حديث رقم: ( ١٥٨٧ )

التماثل في الوزن فيجب أن يكون وزنا بوزن كما جاء في غير هذه الرواية، ولا اعتبار للرداءة والجودة، أو كون الذهب مكسورا، أو مصاغا، فلا بد من تحقق التماثل وجاء بعض روايات الحديث: (ولا تُشفوا بعضها على بعض)([49]). والمعنى: لا تزيدوا أو تنقصوا في مبادلة الذهب بالذهب ، أو الفضة بالفضة، وتحريم الشفوف فيهما يقتضي قليل الزيادة وكثيرها، فلا يجوز ذلك ولو كان يسيرا([50]). وكذلك كل من الْبُرُّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، فقد اتفق العلماء على تحريم بيع هذا الأصناف الستة بجنسها بزيادة في أحد البدلين، واختلفوا في غيرها فيما ذكره الماوردي إلى أنه يتوقف التحريم عليها([51]).

وألحق جمهور العلماء غير هذه الأصناف الستة إذا شاركتها في العلة، فأما الذهب والفضة فالعلة عند مالك والشافعي فيهما كونهما جنس الأثمان غالبا وهذه علة قاصرة عليهما لا تتعداهما، إذ لا توجد في غيرهما، وقال أبو حنيفة العلة فيهما الوزن في جنس واحد فألحق بهما كل موزون كالحديد والنحاس والرصاص والقطن والكتان والصوف، وكل ما يوزن في العادة([52]). أما الحنابلة فلم يفرقوا العلة بين النقدين (الذهب والفضة) وبين بقية الأصناف الأربعة، فقالوا : كل ما كيل أو وزن من سائر الأشياء فلا يجوز التفاضل فيه إذا كان جنسا واحدا([53]). أما العلة في الأربعة بعد الذهب والفضة، عند غير الحنابلة فمذهب مالك كون الأصناف الأربعة أقواتاً مدخرةً، فحرم الربا في كل ما كان قوتا مدخرا، فيدخل في ذلك الفول والذرة والدخن والأرز، ونفاه عما ليس بقوت كالفواكه، وعما هو قوت لا يدخر كاللحم، وقال الشافعي العلة الطعم فمنع التفاضل في كل مطعوم يكال أو يوزن، ولو كان فاكهة أو خضار، أما أبو حنيفة ذهب إلى أن العلة هي الكيل مع جنس واحد أو الوزن مع جنس فحرم الربا في كل مكيل وإن لم يؤكل . ونفاه عما لا يكال ولا يوزن([54]). أما قوله صلى الله عليه وسلم: يدا بيد، أي حالا مقبوضا في المجلس قبل افتراق أحدهما عن الآخر([55])، بمعنى أنه لا يجوز تأخير أحد البدلين، وقد أجمع أهل العلم على ذلك([56])، أما قوله إذا اختلفت الأصناف بيعوا كيف شئتم يدا بيد، وهذا في حالة بيع ذهب بفضة، أو تمر بشعير وهذا يجوز فيه التفاضل أي زيادة بدل على آخر، ولكن لا يجوز التأجيل([57]).

[49] الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل مرجع سابق ، ٢ / ٧٦١.

[50] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ١ / ١٣٩.

[51] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ١٧ / ٤٤٣

[52] المجموع شرح المهذب، للنووي، ٩ / ٣٩٣.

[53] المغني لابن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ٤ / ١٣٥ .

[54] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ١٧ / ٤٤٣

[55] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبو العلا، دار الكتب العلمية – بيروت، ٤ / ٣٦٨ .

[56] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢/١٠.

[57] فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني ، مرجع سابق ٤ / ٣٧٩.

### ب. ربا النسيئة:

ربا النسيئة وهو الزيادة في الدين نظير الأجل أو الزيادة فيه. وسبب التسمية: مأخوذ من أنسأته الدين: أخرته([٥٨]). لأن الزيادة فيه مقابل الأجل أياً كان سبب الدين بيعاً كان أو قرضاً. وسمي ربا القرآن لأنه حرم بالقرآن الكريم في قول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) ([٥٩]). ثم أكدت السنة النبوية تحريمه في خطبة الوداع وفي أحاديث أخرى. ثم إنعقد إجماع المسلمين على تحريمه. وسمي ربا الجاهلية، لأن تعامل أهل الجاهلية بالربا لم يكن إلا به كما قال الجصاص. والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما إستقرض على ما يتراضون به، وسمي أيضاً الربا الجلي. الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "..وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ"([٦٠]). والمقصود بربا العباس هو ربا الفضل الذى سبق الحديث عنه، وربا النسيئة الذى كان يتم بين صاحب المال والمتاجر المستثمر. حيث يتم قرض المال نظير فائدة بغض النظر إن كان هنالك خسارة أو ربح، وهو نظام الربا أو سعر الفائدة الذى يعمل به النظام الرأسمالى حالياً.

### المطلب الثالث: أحكام الصرف

يعرف الصرف بأنه تبادل نقد بنقد سواء أتحد جنس النقد أم اختلف، أو هو تبادل العملة الوطنية بالعملات الأجنبية داخل البلد الواحد كما هو معمول به في المصارف وصرافات النقد الأجنبي الحديثة وفق سعر الصرف اليومي الذي يحدده عرض وطلب العملات المختلفة حيث أصبح لتبادل العملات سوق عالمي يعرف بسوق النقد الأجنبي والتي تعرف (بأنها السوق التي يتم فيها تبادل العملات الدولية)([٦١]). وذلك لحاجة الناس إليها عند تبادل السلع والخدمات بين دول العالم وهكذا تساعد في حركة الناس عند هجرتهم بين دول العالم وكذلك حركة التجارة الدولية.

الحديث عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: أقبلت أقول، من يصطرف الدراهم؟ فقال طلحة بن عبيد الله، وهو عند عمر بن الخطاب، أرنا ذهبك، ثم ائتنا إذا جاء خادمنا نعطك ورقك، فقال عمر بن الخطاب : كلا والله، لتعطيه ورقه، أو لتردن إليه ذهبه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء)([٦٢]).

شرح الحديث: راوي الحديث مالك بن الحدثان بن عوف بن ربيعة النصري. من بني نصر بن معاوية يكنى أبا سعد رضي الله عنه وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فروى أنه جاء

---

[٥٨] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، (١ / ٧٦) ، ولسان العرب ، (١ / ١٦٦)

[٥٩] سورة آل عمران الآية ١٣٠

[٦٠] صحيح مسلم ، (٤ / ٣٩)

[٦١] ريجارد استروب، جيمس جوارتبي الاقتصاد الكلي والاختبار الخاص، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ص ٥٤١.

[٦٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق ج ٣ / ١٢٠٩.

يطلب صرفا لذهب كان معه بِوَرِق([63]). والصرف هو البيع الذي يكون فيه كلا العوضين من جنس الأثمان، كبيع نقد بنقد سواء اتحد الجنس أو اختلف، وسواء كان النقد من الذهب أو الفضة أو من الأوراق النقدية المتعامل بها في هذا الزمان وهو ما يعرف بصرف العملة، فأراد مالك بن أوس رضي الله عنه أن يصطرف ذهبا بفضة، فقال له طلحة بن عبيد الله أرِنا ذهبك، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويفهم أن أبا طلحة أجابه إلى قبول الصفقة، ثم قال له ائتنا إذا جاء خادمنا نعطك ورقك، فاعترض عمر رضي الله عنه على أبي طلحة في مقولته: (ائتنا إذا جاء خادمنا نعطك ورقك) لما في ذلك من التأجيل حتى يرجع الخادم، ثم ذكر له قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء)، الذي يبين أن الربا يقع في هذه المعاملة إلا أن يكون يدا بيد، وهو معنى ما جاء في هذا الحديث إلا هاء وهاء، أي أنه لا يجوز تأخير أحد البدلين، فلا بد من المناجزة، وقد أجمع أهل العلم على ذلك([64])، وإن كثيراً من الآثار تدل على ذلك، منها ما روي عن أبي المنهال رضي الله عنه قال: باع شريك لي ورقا بنسيئة فجاءني فأخبرني فقلت هذا لا يصلح فقال: قد والله بعته في السوق، وما عابه على أحد، فأتيت البراء بن عازب رضي الله عنه، فسألته فقال: قدم علينا النبي صلى الله عليه و سلم المدينة ونحن نبيع هذا البيع، فقال: ما كان يدا بيد فلا بأس وما كان نسيئة فهو ربا ثم قال لي ائت زيد بن أرقم فأتيته فسألته فقال مثل ذلك([65]). فالنقدان (الورق والذهب) هما جنس للأثمان، وهذه هي العلة التي من أجلها مُنِعَ تأجيل أحد البدلين عن الآخر في الصرف فيقاس عليهما كل ما جعل أثمانا، كالأوراق النقدية، وغيرها، فيحرم فيها التفاضل إذا بيع بعضها ببعض مع اتحاد الجنس إذا كانت من دولة واحدة، فإنها تأخذ حكم الذهب والفضة، لاشتراكها مع الذهب والفضة في علة الربا وهي الثمنية. فإذا بيع ورق نقدي بجنسه، كجنيه بجنيه مثله أو دولار بمثله أو ريالات سعودية بمثلها وجب حينئذ التساوي في المقدار كما يجب التقابض في المجلس. وإن بيع نقد بنقد من غير جنسه، كريالات سعودية، بجنيهات سودانية مثلاً وجب حينئذ شيء واحد وهو الحلول والتقابض في المجلس وجاز التفاضل في المقدار وكذا إذا بيع حلي من الذهب بدراهم فضة أو بورق نقدي وجب الحلول والتقابض في المجلس، وإن افترقا في الصرف قبل قبض العوضين أو أحدهما بطل العقد، وكذلك لا يجوز قبض جزء وتأخير بعض كما لا يجوز التصرف في ثمن الصرف قبل قبضه([66]).

**فوائد الحاديث الربا والصرف وخلاصة الأحكام:**

١/ حرمة ربا الفضل ثابتة في النقدين، والتمر والبر والشعير والملح بصريح النص .

٢/ لا يجوز مبادلة الأصناف الستة المذكورة في الحديث، إلا مثلا بمثل، يدا بيد.

[63] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ، تحقيق محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، ط١، ٣/ ١٣٤٦.

[64] المنهاج شرح صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢/١٠

[65] أخرجه النسائي في السننه ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦م ٢٨٠/٧.

[66] التهذيب في اختصار المدونة، للقيرواني، ١/٣. واللباب في شرح الكتاب، للنووى ، دار الكتاب العربي، ١ / ١٥٨ .

٣/ يشارك الأصناف الستة غيرها في الحكم، إذا شاركتها في العلة.

٤/ ممارسة ربا الفضل يؤدي إلى إتلاف الأطعمة، ويحرم الفقراء من الحصول على ما يقتاتون من طعام بأثمان مناسبة، لدخول الأطعمة في دورة المبادلة الربوية

٥/ ربا النسيئة هو الذى يتم قرض المال نظير فائدة بغض النظر إن كان هنالك خسارة أو ربح وهو الربا الذى حرمه القرآن وحرمته السنة الشريفة .

٦/ربا النسيئة المحرم هو نفسه سعر الفائدة الذى يعمل به النظام الرأسمالية .

٧/ من شروط صرف النقد، أن يكون يداً بيد في مجلس العقد.

٨/ لا يصح الصرف بين نقدين من جنس واحد إلا مثلاً بمثل .

٩/ لا يجوز الافتراق بين المتصارفين وبينهما شيء .

١٠/ لا بد من تقيد شركات تحويل النقد بالأحكام المقررة في الحديث. كالتقابض في مجلس العقد.

**دلالات الأحاديث الاقتصادية والتحديات المعاصرة:**

١/ إن تحريم بيع الصنف بجنسه ذهب بذهب أو تمر بتمر مع اختلاف الوزن نتيجة جودة أحدهما ورداءة الآخر، لأن ذلك ينسحب على بقية الأصناف إذا تم تبادلها تفاضلاً لأرتفع سعر الجيد منها وساد عدم الاهتمام بجودة الإنتاج وهذا يضر بحماية المستهلك .

٢/ المضاربة فى السلع ترفع الأسعار، حيث ينصرف الناس إلى المضاربة فى السلع بدلاً من السعى لانتاجها وبالتالى يقل عرضها مما يسبب ارتفاع فى أسعارها وهذا ما يحدث الآن .

٣/ يصاحب النشاط التجارى فى حالة الربا، الاحتكار والغش والتدليس والبخل والجشع لأن الدافع المادى هو المحرك الأساس للنشاط الاقتصادى. ويعتبر الحصول على المال هو الهدف النهائى للتاجر . وبهذا تتحدد القيم والسلوكيات فى المجتمع، ولهذا يكون تفكير الرأسمالى منصباً على ذاته (تكريس الذاتية والأنانية) دون الإهتمام بغيره خاصة الفقراء .

٤/ لتذبذب سعر الفائدة آثار ضارة على النشاط الاقتصادى . اعتبر أن سعر الفائدة حق لأصحاب رؤوس الأموال لأن النقود تعتبر مخزن القيمة ومن ثم سبب تكون الثروات وتطلب لذاتها، بينما وظيفة النقود الطبيعية هى وسيط لمبادلة السلع والخدمات .

٥/ أن الربح الذى يتحقق من إيجار الأصول يكون وفق حالة النشاط الاقتصادى من رواج وكساد بينما هذا لا يتحقق سعر الفائدة مما يؤدى ضرر كبير للنشاط الاقتصادي.

٦/ علة تحريم الربا فى الاقتصاد يرجع الى وجود فرق بين المال النقدي والمال العيني . وفق ما يراه (محمد باقر الصدر)حيث أجاز الكسب الناتج عن إيجار الأصل الثابت أوالمتداول بسبب اهلاك الأصل، بمعنى آخر هو قسط تعويضى لصاحب العين نتيجة للإهلاك السنوى للأصل المؤجر

بسبب الاستخدام، لأنه معروف أن العين ينقص قيمته نتيجة استخدامه المستمر ويحتاج إلى صيانة دورية بل واصلاح كل فترة معينة نتيجة لهذا الاستخدام ثم ابداله بأصل جديد فى نهاية عمره. لكن هذا الإهلاك لا يحدث للنقود، قد تنقص قيمتها الشرائية، وقد تضيع الفرصة البديلة على صاحبها، لكن هذا ليس اهلاكاً للنقود ولا توجد صيانة دورية للمال النقدي المؤجل ولا عمر افتراضى للنقود تستبدل فى نهايته، علية ليس هناك مبرر لأن يأخذ صاحب المال فائدة على رأس المال. ويمكن لصاحب رأس المال الحصول على العوض من الربح([٦٧]).

كما أن الحديث الشريف يرشد إلى عدم تبادل الذهب بالذهب والفضة بالفضة والفضة بالذهب سواء تفاضلاً عند اختلاف الوزن أو نسيئة وتفاضلاً مجتمعتان لأنهما كانا أثماناً للأشياء وكذلك الأربعة المكيلات "الملح، الشعير، التمر، البر" فعلة بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة تفاضلاً أو نسيئة مع الزيادة هو التمنية وكذلك بيع الأربعة الأخرى بأجناسها تفاضلاً علة تحريمه الطعمة. لأن ارتفاع وانخفاض قيم هذه الأشياء الستة يضر بقيم الأشياء وبأقوات الناس.

ولقد قاس الفقهاء المعاصرين النقود الورقية والمعدنية التي يتعامل بها هذه الأيام على الذهب والفضة فلا يصبح بيع النقود بسعر فائدة نسيئة إذا تساوت القيمة والجنس لتلك النقود مثلاً (دولار أمريكي بدولارين) نسيئة، لكن يجوز بيع (جنيه أسترليني (بريطاني) بدولارين أمريكيين) حسب سعر صرفهما ولكن وفق عقد الصرف الذي يلزم بالتقايض في نفس المجلس قبل الافتراق. ولا يجوز سلف نقد بنقد نسيئة كأن يسلف رجل رجل آخر ١٠٠ دولار بـ ٣٧٥ ريال سعودي لمدة أربعة أشهر وذلك لاشتراك الريال السعودي والدولار في علة الثمنين أي تجمع بسببهما علة. والبديل الشرعي لتبادل العملات تفاضلاً وبنسيئة هو القرض الحسن الذي لا يجر نفعاً ولا فائدة أي زيادة على أصل القرض الذي يحكمه سعر الصرف. في تاريخ المعاملة إن اختلفت جنسية النقدين ويدخل في الصرف تبادل نقد بنقد من جنس واحد إذ لا يجوز صرف واحد جنيه ورقي بوحداته الأصغر بأقل من قيمة الجنيه فمثلاً إذا كان واحد جنيه ورقي يساوي ١٠٠ قرش فلا يجوز صرف واحد جنيه ورقي بتسعين (٩٠) قرشاً.

[٦٧] محمد باقر الصدر، اقتصادنا ، المجموعة الكاملة ، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٧ ، ص (٥٨٩ - ٥٩٢) .

## المبحث الثالث

## أحاديث حقوق التعامل المالي وآدابه

### المطلب الأول: سماحة قضاء الدين

عن أبي رافع رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه و سلم استسلف من رجل بكرا فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره فرجع إليه أبو رافع فقال لم أجد فيها إلا خيارا رباعيا فقال (أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء)"([٦٨]).

شرح الحديث : يروي أبو رافع رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم احتاج أن يقترض، فاقترض من رجل بكرا، والبكر هو الصغير من الإبل كالغلام من الآدميين، فلما قدمت على النبي إبل من الصدقة، أمر أبا رافع ـ رضي الله عنه ـ أن يقضي الرجل بكره، وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقترض البكر لأجل مساكين، فلما قدمت إبل الصدقة قضي ما اقترضه منها وقيل، أنه اقترضه لنفسه فلما قدمت إبل الصدقة أمر بالشراء منها ([٦٩])، والشراء من إبل الصدقة ورد في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لهم اشتروا له سنا، فأعطوه إياه فقالوا إنا لا نجد إلا سنا هو خير من سنه، قال فاشتروه فأعطوه إياه، فإن من خيركم أو خياركم أحسنكم قضاء، أمر بالشراء منها له، وقضاء ما اقترضه([٧٠])، وربما تكون هذه واقعة أخرى، غير الواقعة التي رواها أبو رافع و الله أعلم. حيث لم يجد بكرا في الصدقة مثل ما اقترض النبي صلى الله عليه وسلم، وأقل ما فيها خيار رباع، والرباع هو الذي بلغ ست سنوات ودخل في السابع، ولا شك أنه أفضل من البكر، وثمنه أكبر وقيمته أعلى. فالحديث دليل على جواز اقتراض الحيوان، وقال بذلك كل من، الأوزاعي والليث ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا هو حجة على منع ذلك كأبي حنيفة، وأصحابه، وفقهاء الكوفة، والثوري والحسن بن صالح حيث قالوا: إن استقراض الحيوان لا يجوز، ولا يجوز الاستقراض إلا مما له مثل، كالمكيلات والموزونات والعدديات المتقاربة، فلا يجوز قرض ما لا مثل له من المزروعات والعدديات المتفاوتة لأنه لا سبيل إلى إيجاب رد العين، ولا إلى إيجاب القيمة لاختلاف تقويم المقومين فتعين أن يكون الواجب فيه رد المثل، فيختص جوازه بما له مثل، وأجابوا عن الحديث بأنه منسوخ بآية الربا([٧١]). أما قوله صلى الله عليه وسلم (أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء) دليل على جواز رد الدين بأفضل منه، بل يستحب ذلك، والحديث دال على الاستحباب، بشرط ألا يكون هذا الفضل أو المنفعة مشروطة، عند القرض، فإن اشترطت الزيادة أو المنفعة كانت ربا.

<u>فوائد الحديث وخلاصة الأحكام :</u>

١/ الحديث دليل على جواز اقتراض الحيوان .

---

[٦٨] صحيح مسلم ، ٣ / ١٢٢٤. (يقال للذكر من الإبل إذا طلعت رباعيته رباع وللأنثى رباعية ) لسان العرب ج٨/ص١٠٨)

[٦٩] المنهاج ، شرح صحيح مسلم ، للنووي ، ١١ / ٣٦ .

[٧٠] أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب المساقاة ، باب من استلف شيئاً فقضى خيرا منه ، ٣ / ١٢٢٥ .

[٧١] عمدة القارئ، بدر الدين العيني ، ١٨ / ١٧٧.

٢/ الحديث دليل على جواز الرد بزيادة ومنفعة دون اشتراط ذلك .

٣/ الرد بزيادة ومنفعة من حسن القضاء.

٤/ يستحب حسن القضاء في الدين .

**دلالات وإرشادات الحديث الاقتصادية والتحديات المعاصرة:**

يرشد الحديث إلى قضاء الدين العام من إيرادات مالية الدولة العامة التي تُنفق على المصلحة العامة كالنفقة على الفقراء والمساكين التي أصبحت تضمن في الموازنة العامة للدولة الحديثة تحت بند التنمية الاجتماعية، كما يتم قضاء دين الحاكم العام من حر ماله وليس من إيرادات الدولة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لكافة الحكام وذلك بشرائه البكر ورده لصاحبه.

كما يرشد الحديث إلى ضرورة المال المثلي والذي تنضبط وحداته بالكيل والوزن والعدد المتقارب حتى يتم إثباته وكتابه قيمته في تاريخ الدين تحاشياً من نشوب نزاع بين المتداينين. وهذا مبدأ محاسبي يحتاجه المحاسبون في إثبات الدين وتحديد قيمة الدين والإفصاح عنه في دفاترهم إذا لم يقدر على رد الدين في المكيلات والموزونات والمعدودات فترد قيمتها التاريخية وحسن قضاء الدين والوفاء في أجله يعتبر حسن اقتضاء به يحتاجه الاقتصاد النقدي حيث تقوم النقود بأداء وظيفة تسوية المدفوعات الآجلة والتي تشمل عملية الدين التي يقوم عليها كثير من المعاملات المالية في عصرنا الحاضر فالائتمان المصرفي هو مبادلة قيمة حاضرة في مقابل وعد بقيمة آجلة مساوية لها وغالباً ما تكون هذه القيمة نقداً([٧٢])، الذي يعرف بأنه منح القرض للمستثمر مع الانتظار فترة محددة يرد بعدها الدين فإذا تعمد المستثمر تأخير سداد دين المصرف أصبح مماطلاً ووقع في الظلم الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال صلى الله عليه وسلم: "مطل الغنى ظلم"([٧٣]) بخلاف المعسر الذي يجب أن ينظر حتى تتيسر حالته المادية لقوله تعالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ)([٧٤]). إن تأخير سداد الدين عن أجله يضر بالدائن عند تعرضه لمخاطر الائتمان المتمثلة في أضرار التضخم الذي يعرف بأنه زيادة الكمية المطلوبة عن الكمية المعروضة عند مستوى الأسعار السائد مما يؤدي إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار وبصورة مستمرة([٧٥])، فيعمل على تآكل قيمة العملة محل الدين جراء ارتفاع المستوى العام للأسعار. ولقد عانى عصرنا الحاضر من ظاهرة أزمة الرهونات والتى كان سببها عدم اتباع النظم الشرعية فيمل يتعلق بالرهن من كتابة وشهادة وايفاء وسماحة فى القضاء وعدم مماطلة .

٧٢ د. عثمان يعقوب محمد النقود والبنوك والسياسة النقدية وسوق المال ، ط٣ ٢٠٠٥م ، الخرطوم ص ٢٥.

٧٣ صحيح البخاري ج٢/ص٧٩٩

٧٤ سورة البقرة الآية ٢٨٠ .

٧٥ د. عثمان يعقوب محمد النقود والبنوك مرجع سابق ص ٣٧.

**المطلب الثاني: التسعير**

عن أنس بن مالك قال: غلا السعر بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر، فسعر لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله هو المسعر القابض الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني في دم ولا مال"([٧٦]).

شرح الحديث: يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن السعر غلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله غلا السعر، أي زادت أثمان السلع، وارتفع سعرها، وتحصل هذه الزيادة عند المزاحمة على السلع عندما يكثر الطلب، فترتفع الأسعار، وارتفاع الأسعار إما أن يكون بقلة المعروض من السلعة، أو بإقبال الناس على السلع وزيادة طلبهم لها فقال الناس: (يا رسول الله غلا سعر فسعر لنا) أي ارتفعت الأسعار فحدد لنا سعراً لا بتجاوزه التجار، وهذا هو الذي يعرف بالتسعير. فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسعر لهم، وقال: (إن الله هو المسعر)، والمقصود بذلك أن الأسعار تزيد وتنقص بقدر الله تعالى ووفق سننه الكونية، فما يحصل من زيادة الإنتاج بسبب وفرة الأمطار وملائمة الظروف المناخية، مما يؤدي لانخفاض الأسعار، أو عكس ذلك مثل وقوع الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو الجفاف والتصحر الذي يؤدي إلى هلاك الحرث والضرع فيقل الإنتاج وترتفع الأسعار، إنما يقع ذلك كله بقدر الله تعالى فتأخذ السلع أسعرها بذلك وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله هو المسعر)، فيكون المسعر حقيقة هو الله سبحانه وتعالى وقوله: (القابض الباسط) القابض: يقبض الرزق عن عباده، فتقل السلع، ويغلو السعر، والباسط : أي الذي يبسط الرزق لمن يشاء، فتتوفر السلع، ولهذا يكون دائماً وأبداً الرجوع إلى الله (القابض، الباسط). أما قوله : (الرازق). فهو صريح بأن الله الرازق بتوسيع الرزق للعباد فتنخفض الأسعار، وإذا ضيق عليهم غلت الأسعار، كما أن الإنسان له دور مباشر في زيادة الإنتاج وقلته، فمتى ما أخذ الناس بالأسباب فاجتهدوا في زيادة الإنتاج حصل لهم ذلك، ومتى ما قعدوا، وتركوا العمل وتواكلوا لم يكن هناك إنتاج، وترتفع الأسعار. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم سبب منعه للتسعير فقال: (وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني في دم ولا مال). وذلك بسبب وقوع الظلم الذي يقع بسبب التسعير، فالتاجر الذي يشترى سلعة وفق سعر حر ويلزم ببيعها بسعر محدد ربما يكون أقل من ثمن شراءها فإن ذلك ظلم له، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم التسعير بسبب ما يقع على بعض التجار من الظلم، وهو ما ينافي التراضي في البيع، وهو شرط في صحته، وعليه ذهب أكثر أهل العلم على منع التسعير عملاً بالحديث، وروي عن الإمام مالك أنه أجاز التسعير، كما استحسن الأئمة المتأخرون تسعير السلع ما عدا القوتين رعاية لمصلحة الناس ودفع الضرر عنهم([٧٧]).

<u>فوائد الحديث وخلاصة أحكامه:</u>

١/ ظاهر الحديث يقرر تحريم التسعير.

---

٧٦ سنن أبي داود ، للأشعث أبو داود الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الفكر، ٢ / ٢٩٣ .

٧٧ سبل السلام شرح بلوغ المرام ، الصنعاني ، ٤ / ١٢٥ .

٢/ يمنع التسعير مظنة وقوع الظلم على التجار، وانتفاء التراضي الذي هو شرط صحة البيع .

٣/ منع التسعير يسهم في إيجاد منافسة بين التجار، وبالتالى تجويد المنتج وتقليل تكلفته، وعرضه بالسعر المناسب .

٤/ يؤدي التسعير إلى ندرة السلع المعروضة، فتدخل السوق ( السوداء ) فتباع بأسعار أعلى بكثير مما إذا بيعت بتحرير سعرها .

٥/ لفقه المقاصد أثر كبير على حكم التسعير.

٦/ إذا اقتضت المصلحة العامة التسعير، جاز شريطة إعمال قواعد فقه المقاصد، كقاعدة: الضرر يزال، ولا يزال الضرر بمثله .

**دلالات وإرشادات الحديث الاقتصادية والتحديات المعاصرة:**

تحدد الأسعار وفق قانون الأثمان أي نظرية العرض والطلب فيتحدد السعر التوازني -الرضائي- نتيجة

تساوي العرض مع الطلب حيث تتحدد الكمية التوازنية والسعر التوازني بصورة تلقائية يقدرها الله سبحانه وتعالى ففى السوق نجد أن المنتج يعرض والمستهلك يطلب ، وهكذا فإذا قل العرض ولم يتغير

الطلب ارتفعت الأسعار . ولكن قد ترتفع الأسعار بسبب احتكار التجار الممنوع شرعاً وذلك لغياب المنافسة

الصافية فى العصر الحاضر وانتشار ظاهرة الاحتكار.

ولم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم السعر حين طلب منه ذلك وإنما قال: "إن الله هو المسعر"([٧٨])،

وقوله صلى الله عليه وسلم: "المحتكر ملعون والجالب مرزوق"([٧٩]) يعالج قلة العرض ويحافظ على السعر

التوازني وذلك في ظل منافسة صافية شريفة بعيداً عن الاحتكار حتى تتم حماية المستهلك والمنتج على حد سواء. لذا يجب ترك الأمر في العرض والطلب لتقدير الله عز وجل لأن في ذلك دفع للمنتج لزيادة الإنتاج عند قلة المعروض ومن ثم زيادة الوفرة التي يتركز معها السعر ولعل ارتفاع السعر فيه تحديد وتنظيم سلوك المستهلك غير الرشيد ليستهلك بقدر. وأما في حالة الاحتكار تتدخل الدولة لوضع حد للغلاء الناجم عنه وحفظ توازن السوق من أجل حماية المستهلك التي تحكمها قاعدة لا ضرر ولا ضرار الفقهية. يلاحظ فى هذا العصر احتكار التكنولوجيا والمعلومات من قبل الدول الغربية وبالتالى احتكار سوق السلع والخدمات على مستوى العالم والسيطرة عليه ، وجعل الدول الاخرى تابعة له . ويتحكم فى مستوى الأسعار.

---

٧٨ سنن أبي داود ج٣/ص٢٧٢

٧٩ المستدرك على الصحيحين ج٢/ص١٤

### المطلب الثالث: الرهن والانتفاع

أ.الرهن : عن أنس رضي الله عنه قال: ولقد رهن النبي صلى الله عليه و سلم درعه بشعير، ومشيت إلى النبي صلى الله عليه و سلم بخبز شعير وإهالة سنحة ولقد سمعته يقول: "ما أصبح لآل محمد صلى الله عليه و سلم إلا صاع ولا أمسى وإنهم لتسعة أبيات"([٨٠]).

شرح الحديث وأحكامه: يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي، والرهن بفتح الراء وسكون الهاء في اللغة يعني الاحتباس، من قولهم رهن الشيء، إذا دام وثبت، ومنه قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ))([٨١]). وقام الرهن في باب التوثق في الحال التي لا يصل فيها إلى التوثق بالكتاب والإشهاد مقامها وإنما ذكر حال السفر لأن الأغلب فيها عدم ا لكتاب والشهود([٨٢]). وفي الشرع هو: جعل مال وثيقة على دين، ويطلق الرهن أيضا على العين المرهونة تسمية للمفعول باسم المصدر([٨٣]) وقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي، يقال له أبو الشحم، رجل من بني ظفر بطن من بطون الأوس كان حليفاً لهم، والدرع الذي رهنه النبي صلى الله عليه وسلم درع حرب من حديد لأن الدرع يطلق أيضا على القميص([٨٤]). وقد ذكر بعض أهل العلم الحكمة من رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه عند يهودي، وقالوا معاملته لليهودي ورهنه درعه عنده دون الصحابة، لبيان جواز ذلك، فإنه يجوز معاملة أهل الكتاب بالاستقراض منهم، والبيع لهم، والرهن عندهم، وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمة والكفار، إذا لم يتحقق تحريم ما معهم، لكن لا يجوز للمسلم بيع السلاح، وما يستعينون به في إقامة دينهم، ولا بيع المصحف، ولا عبد مسلم لكافر مطلقا. و قيل أنه صلى الله عليه وسلم عامل اليهودي لأن الصحابة رضوان الله عليهم لا يأخذون رهنه ولا يتقاضونه الثمن فعدل إلى اليهودي لئلا يضيق على أصحابه([٨٥]). (ومشيت إلى النبي صلى الله عليه و سلم بخبز شعير وإهالة سنخة) هو قول أنس بن مالك رضي الله عنه، وخبز الشعير معروف أما الإهالة هي ما يذاب من الشحم، وقيل هي كل دهن أو تدم، وقيل هي ما يذاب من شحم الألية، وقيل هي الودك، وقيل الدسم إذا جمد على رأس المرقة. وإهالة سنخة أي متغيرة الرائحة من وطول المدة([٨٦]). فأراد أنس رضي الله عنه أن يبين لنا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الزهد في الدنيا، والتقلل منها. وروى لنا ما سمعه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أصبح لآل محمد (صلى الله عليه و سلم) إلا صاع ولا أمسى). وقوله صلى الله عليه وسلم هذا ليس من باب الشكوى، وإنما هو لشرح الحال وفائدة ذلك من وجهين: أحدهما تعليم الناس الصبر فكأنه قال أنا أكرم الخلق على الله تعالى وهذه حالي، فإذا ابتليتم فاصبروا. والثاني إعلام الناس

---

٨٠ الجامع الصحيح المختصر، الإمام البخاري ٢ / ٨٨٧. و انظر: المجتبى من السنن، الإمام النسائي، ٧ / ٢٨٨

٨١ سورة البقرة الآية ٢٨٣.

٨٢ أحكام القرآن للجصاص (باب الرهن )ج٢/ص٢٥٨

٨٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، ٥ / ١٤٠ .

٨٤ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، ١٧ / ٢٨١ .

٨٥ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا على القاري، ٩ / ٣٥٤.

٨٦ فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق ، ٥ / ١٤١.

بأن البلاء يلصق بالأخيار ليفرح المبتلى، أما قوله: (وإنهم لتسعة أبيات) إشارة إلى أهله يعني أزواجه والأبيات التسعة هي أبيات أزواجه اللواتي توفي عنهن وهن عائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وأم سلمة وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وصفية([٨٧]).

فوائد الحديث وخلاصة الأحكام:

١/ الحديث دليل على جواز معاملة أهل الكتاب بالاقتراض منهم، والرهن إليهم

٢/ لا يجوز بيع السلاح للكفار وأهل الكتاب، وكل ما يضر بالمسلمين .

٣/ لا حرج في بيان الحال إذا لم يكن على وجه الشكوى للناس.

٤/ الرهن يبني جسور الثقة بين المقرض والمقترض. وتحفيز للإقراض، ورد القرض .

**دلالة وإرشادات الحديث الاقتصادية:**

رهن الرسول صلى الله عليه وسلم درعه ليهودي مقابل أخذه شعيراً وشحم (زيت) يعنى جواز المتاجرة بيعاً وشراء مع غير المسلم من أهل الديانات الأخرى في السلع الطيبات. وكذلك التسويات الآجلة (الديون) التي تضمن بتوثيق الرهن خاصة في القروض السلعية التي يحتاجها الأفراد أو الدولة في الظروف الصعبة كما في حالات الحرب والجفاف والتصحر والفيضانات والزلازل .

والرهن المقبوض الموثق أخذت به كافة المؤسسات المالية والتجارية في البيوع الآجلة سواء أكانت على المستوي المحلي (التجارة المحلية) أو التجارة الدولية .

ففي المصارف الإسلامية يشترط الرهن كضمان لمنح التمويل حتى يمكن الرجوع إلى المرهون في حالة تعدي وتقصير المستثمر ولقد جرى العرف على إدخال أنواع كثيرة في باب ما يقبل رهناً مثل العقار الموثق بوصفه وقيمته السوقية وكذلك المنقولات كالسيارات والآلات وما في حكمها والأرصدة المحجوزة مثل الودائع الاستثمارية. والضمان الشخصي.. ولذلك ويعتبر الرهن شرط لمنح التمويل وهذا ما تلزم به المصارف المركزية المصارف التجارية عند منحها التمويل لزبائنها ولقد نص قانون العمل المصرف السوداني على أنه (لا يجوز لأي مصرف أن يمنح قرضاً أو تمويلاً أو أن يقدم كفالة أو ضمانات أو أن يتحمل أي التزام مالي آخر لصالح شخص بمبالغ يتجاوز في مجموعها النسبة التي يحددها مصرف السودان من رأس المال المدفوع والاحتياطي القانوني للمصرف"([٨٨]).

ب.الانتفاع بالرهن: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول: (الرهن يركب بنفقته ويشرب لبن الدر إذا كان مرهونا)([٨٩]).

[٨٧] كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ، تحقيق حسين البواب ، دار الوطن - الرياض، ١٩٩٧م ، ١ / ٨٥٦ .

[٨٨] التشريع الخاص للجريدة الرسمية لجمهورية السودان رقم ١٥٧٢ عام ١٩٩٣م ، قانون العمل المصرفي المادة ١٧ ص١٠

[٨٩] الجامع الصحيح المختصر، الإمام البخاري ٢ / ٨٨٨.

شرح الحديث وأحكامه : هذا الحديث يتناول موضوع الانتفاع بالرهن، وقوله صلى الله عليه وسلم الرهن يركب بنفقته، أي العين المرتهنة، ويوضح ذلك ما جاء في رواية أخري بلفظ: (والظهر يركب بنفقته إذا كان مرهوناً)، ولبن الدر أي لبن ذات الضرع الدارة، إشارة إلى البهيمة التي تحلب، فإنه يشرب لبنها بالنفقة عليها، وركوب الدابة، وشرب اللبن منها من المنافع، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك يكون بالنفقة عليها.

وقد اختلف أهل العلم في من الذي ينتفع بالرهن فقالت طائفة: كل ذلك للراهن ليس للمرتهن أن ينتفع بشيء من ذلك. وروى ذلك عن الشعبي، وابن سيرين، فإن للراهن أن يركب الرهن ويشرب لبنه بحق نفقته عليه، ويأوي في الليل إلى المرتهن. وأجازت طائفة من أهل العلم الانتفاع بالرهن المركوب والمشروب فقط، ولا يتعدى هذا الحكم إلى غيره من سائر الرهون عملا بظاهر الحديث، وقال بذلك الإمام أحمد وإسحاق. وقال أبو ثور: إن كان الراهن لا ينفق عليه وتركه في يد المرتهن فأنفق علي، فله ركوبه واستخدامه على ظاهر الحديث([٩٠]). وقال جمهور العلماء لا يجوز للمرتهن أن ينتفع بشي من الرهن لأنه تصرف في ملك الغير بدون إذنه([٩١]). وقيل إن اللفظ في الحديث مبهم ليس فيه بيان من يركبه أو يحلبه، وإن كان يحتمل أن يكون ذلك للمرتهن فلا يخلو من أن يكون احتلاب المرتهن له بإذن الراهن أو بغير إذنه فإن كان بغير إذنه فهناك من الآثار ما يرد هذا الاحتمال فقد ورد عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "لا يحتلبن أحد ماشية أحد بغير إذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته، فتكسر خزانته فينتقل طعامه، وإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم، فلا يحتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه([٩٢])، وإن كان بإذنه ففي الأصول المجمع عليها في تحريم بيع المجهول وبيع الغرر وبيع ما ليس عندك وبيع ما لم يخلق ما يرده([٩٣]).

<u>فوائد الحديث وخلاصة الأحكام:</u>

١/ ظاهر الحديث يبيح الانتفاع بالرهن .

٢/ منع جمهور العلماء الانتفاع بالرهن باعتباره تصرف في ملك الغير بدون إذنه

٣/ أجاز أحمد بن حنبل الانتفاع بالرهن المركوب والمشروب فقط .

٤/ يشترط على من انتفع بالرهن الإنفاق عليه .

**دلالة وإرشادات الحديث الاقتصادية والتحديات المعاصرة:**

في الحديث إشارة لأنواع الرهن ومدى ملائمته في مقابلة الدين عند الرجوع إليه في حالة التعدي والتقصير عن الوفاء بالدين، كالفرس الذي يركب على ظهره لقطع المسافات والناقة الحلوب التي تنتج

[٩٠] فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق ، ١٤١/٥ .

[٩١] سبل السلام، أحمد محمد بن إسماعيل الصنعاني، ٢٢٠/٤ .

[٩٢] أخرجه البخاري في باب لا تحلب ماشية أحد، ٨٥٨/٢. وأخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم (١٧٢٦)، ١٣٥٢/٣.

[٩٣] الباب في الجمع بين السنة والكتاب، للإمام أبي محمد المَنْبَجي، القلم دمشق الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ٢ / ٥٢٠.

اللبن من ضرعها ذو الدر الوفير مع النفقة عليها بتوفير العلف من جانب الراهن وهذا النوع من الرهن يعد من الرهون المتحركة كالسيارة مثل حافلة الركاب التي ترهن بتوثيق أوراقها وتترك لصاحبها للانتفاع بإيرادها من أجرة نقل الركاب وكذلك رهن العقار بأن يحجز للمراهن له وأن لا يتصرف فيه صاحبه ويترك كذلك لصاحب الرهن رعايته وإجارته للاستفادة من ريعه وكذلك احتجاز مبالغ الوديعة الاستثمارية المصرفية لصالح المصرف وذلك بعدم السماح لصاحبها السحب منها مع استثمارها الصالح لصاحبها، كل هذه الأنواع من الرهون تجريها المصارف الإسلامية والمؤسسات المالية الإسلامية الأخرى مقابل تمويلها المستثمرين أفراداً كانوا أم مؤسسات وذلك لضمان وسلامة ودائع المودعين وأصحاب حقوق الملكية ضد الديون الهالكة فضلاً عن تقوية ثقة المتعاملين مع تلك المؤسسات التمويلية لاستدامة ضخ ودائعهم لتلك المصارف.

إن عدم اتباع قواعد السنة فيما يتعلق بالرهن والانتفاع به فى العصر الحاضر نتجت عنه الأزمة المالية العلمية التى كانت فى الأصل أزمة الرهونات العقارية فى الولاية المتحدة الأمريكية، حيث غابت فيها القيود الأخلاقية والدينية ، فانتشرت النار فى الهشيم فى جسد الاقتصاد العالمى المتهالك بفعل النظام الرأسمالى الخالى من الاخلاق والقيم الدينية.

**النتائج:**

توصل الباحث إلى نتائج من خلال الدراسة يمكن حصرها فيما يلي:

١/ الأحاديث التى تعرض لها البحث وهى الملكية والعمل والكسب وضبط السوق، والربا والصرف، وقضاء الدين والتسعير والرهن والانتفاع به. بينت أن السُنة النبوية الشريفة قد وضعت من الأحكام الاقتصادية إذا تم تطبيقها ستكون العلاج الناجع لكل القضايا الاقتصادية المعاصرة.

٢/ إن التحديات المعاصرة التى تواجه السُنة النبوية لم تكن تحديات تتعلق بقصور فيما جائت به من نظم وأحكام، وإنما التحدى فى البعد عن تطبيق ما جائت به السُنه، بسبب سطوة وقهر النظام والفكر الاقتصادى الرأسمالي العالمي على المجتمع المسلم. وكذلك تراخي المجتمع المسلم فى تطبيق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو (الحق). واتباعه للنظام والوضعي وهو (الهوى). قال تعالى ((وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ )) (المؤمنون الآية ٧١).

٣/ الأزمة الاقتصادية العالمية المعاصرة كل أسبابه ذات علاقة وثيقة بعدم تطبيق توجهات السُنة فيما يتعلق بالمعاملات المالية ويظهر ذلك من خلال :

أ/ التوسع في القروض الربوية العقارية في الأسواق العالمية عامة .

ب/ ضعف الرقابة على المؤسسات المالية .

ج/ انتشار ثقافة الربح السَّريع و الدخول في المغامرة بصفقات لا يتوافر فيها الضبط القانوني والإداري

د/ تزايدت المعاملات المالية خارج الأسواق المنظمة (البورصات). حيث تتم المعاملات خارج نطاق التحكم والسيطرة ؛ لأنها لا تظهر في القوائم المالية للمؤسسات .

هـ/ الفساد الأخلاقي الاقتصادي: نسبة للجشع والطمع وحب الذات والانانية وغياب الضابط الدينى ، فانتشر الفساد الأخلاقي الاقتصادي، مثل الاستغلال والكذب والغش والتدليس والاحتكار والأرباح الفاحشة والأسعار.

و/ انعكست الأزمة المالية على العالم الإسلامي من خلال مؤسساته المالية المرتبطة بالاقتصاد الغربي ومعاملاته المالية، وتبعيته لهذا الدول، دون أن يلتزم بسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم في أحياء أرضه وتوجيه اقتصاده بضوابط السّنة. فأصبح تابعاً للنظام العالمى متأثراً بأزماته.



# جمع السنن والمسانيد: فوائده وأبعاده

**د. خالد ضيف الله الشلاحي**
أستاذ مساعد بجامعة شقراء
قسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والآداب بساجر



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وبعد :

فإن من نعم الله علينا أن تكفل بحفظ القرآن الكريم. ووكل الله حفظ السنة إلى العلماء المخلصين، فحفظت السنة في صدور الرجال ولما كثر ابتداع الناس، وظهر الوضَّاعون، وانتشرت الفرق كالخوارج، والروافض، ومنكري القدر...؛ مما أدى إلى جمع السنة فأول من جمع السنةَ الصحابةُ - رضوان الله عليهم- في صحائف ثم الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما. كما ذكر لحافظ ابن حجر العسقلاني.

ثم أتى عمر بن عبد العزيز ووجَّه أبا بكر بن حزم إلى كتابة السّنة، وأمر بذلك أيضًا ابن شهاب الزهري، وقد مر تصنيف السنة على مراحل، وما زالت جهود المحدِّثين، جمعًا وتأليفًا وشرحًا وتصحيحًا وتعليلاً قربة إلى الله، وخدمة للمصدر التشريعي الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية.

وفي هذا العصر ظهر جملة من التحديات المعاصرة ومن أهمها كثرة المصنفات في السنن والمسانيد وضعفت الهمم وكثرة الملهيات والشواغل ، حتى زهد الكثير في قراءة كتب السنن والمسانيد، وأصبحت عند الكثير، إن وجدت عنده فهي مجرد مراجع بحث ، لهذا من الأجدر بناء تقريب كتب السنن والمسانيد للأمة، ومواكبت تطلعات العصر، لأن إيصال السنة للجميع مطلب وضرورة شرعية. مما يحقق عالمية الإسلام بإتاحة مصادره الرئيسة للجميع.

ولا عجب أن يرد جملة من معارضات ووجهات نظر ، لأن الجديد مستغرب وقد يكون مستنكر، فلما بدأ بجمع السنة في العصور الأولى حصل معارضات، كذا لما ألف في الصحيح المجرد، وهكذا. وجمع السنن والمسانيد هو إتمام لما بدأه الأئمة والعلماء والأوائل .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على العناية بالسنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني

شبعانًا على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه..»[١].

وفي رواية قال: « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه »[٣].

**أخيراً** : من بركة العلم إضافة القول إلى قائله والحديث إلى مسنده لهذا نشكر الدكتور الفاضل أحمد ال مريعي الذي كان له قدم السبق إلى هذه الفكرة، وترتيب وتلقيح عناصر وأفكار المشروع، نسأل الله أن لا يحرمه الأجر والمثوبة.

**البعد التاريخي لجمع السنن والمسانيد:**

لقد جمع الصحابة -رضوان الله عليهم- السنة النبوية في أول صدر الإسلام السنة في صحائف ثم عصر التابعين، فجمع الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، ثم أتى عمر بن عبد العزيز ووجَّه أبا بكر بن حزم إلى كتابة السّنة. ثم بدأت مرحلة الترتيب والتدوين (١٢٠-١٥٠هـ) : فقد بدأ الجمع عبد الملك بن جريج (٨٠-١٥٠)هـ ثم مالك بن أنس (٩٣-١٧٩). ثم بدأت مرحلة كتب المسانيد مثل مسند الإمام أحمد بن حنبل ومسند الإمام الحميدي. ثم بدأت المصنفات مثال المصنف لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، والمصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، ثم بدأت كتب السنن مثاله: سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه. ثم المعاجم: مثال المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ) . ثم كتب الأطراف: مثال تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف... للإمام المزي، كتب الجوامع مثال الجامع الصغير من حديث البشر النذير للسيوطي (٩١١هـ)، وما زالت جهود المحدِّثين تتوالى حتى ظهرت في أيامنا هذه فكرة جمع السنة المطهرة، وهي فكرة جليلة تستحق التقدير والاحترام. وقد انتقل بعضهم بهذه الفكرة من المجال النظري إلى الميدان العلمي.

وذكر الدكتور أحمد المريعي[٤](جمع السنة النبوية في كتاب واحد) وذكر فوائده وأهميته: فتحدث عن البعد التاريخي لجمع السنة النبوية، وأن الأمة متطلعه إلى جمع السنة في مصنف واحد وقال: من الملاحظ أن أحدًا من المُحَدِّثين قديمًا وحديثًا لم يوفق إلى الإحاطة بجميع السنة النبوية في مصنَّفٍ واحدٍ، أومُدَوَّنٍ جامعٍ شاملٍ لأحاديث المصطفى الكريم، بحيث يستوعب جميع ما روته كتب السنة والحديث ولا يغادر منها شيئًا...صحيح أن التاريخ احتفظ لنا بجهودٍ متفاوتةٍ زمانًا وتنظيمًا

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند: ١٣٠/٤

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٢٠٠/٤) والترمذي في جامعه: ٣٧/٥)

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٧١/١.

(٤) المجلة العربية – العدد (٣٦٠) محرم ١٤٢٨هـ. وسيأتي نص قوله .

واستيعابًا تَطلَّعت إلى تحقيق ذلك الأمل الكبير، وحيازة شرف العمل به والنسبة إليه، مثل: (التجريد للصحاح الستة) (لرزين السرقسطي (ت٥٣٥هـ)، و(جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، و(جامع المسانيد والسنن) للعلامة ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، و(جمع الجوامع أو الجامع الكبير) للسيوطي (ت٩١١هـ)، و(كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، و(الجامع الأزهر في أحاديث النبي الأنور) للعلامة عبد الرءوف المناوي (ت١٠٣١هـ)، و(الفتح الكبير) للنبهاني (ت١٣٥٠هـ)، وغيرها من الاجتهادات المستمرة إلى يومنا هذا؛ مثل: جهود الشيخ الألباني، ود. محمد مصطفى الأعظمي، ود. عبد الملك بن بكر قاضي، ود. همام عبد الرحيم سعيد، ود. عبد العظيم الديب، ود. محمود الميرة، ومشاريع أخرى أرادت أن تنهض لجمع السنة النبوية، مثل: مشروع مركز الكمبيوتر الإسلامي في لندن ببريطانيا، ومشروع (أنوما ستيكون آرابيكوم) للتراث العربي في باريس بفرنسا، ومشروع سلسبيل لخدمة السنة والسيرة النبوية، ومشروع السنة (موسوعة الحديث الشريف - شبكة إحسان)، وجهود مركز بحوث السنة والسيرة في دولة قطر، التي يقوم عليها العلامة يوسف القرضاوي، ومركز معلومات السنة النبوية بالقاهرة، إضافة إلى جهودٍ عديدة أخرى تبنتها بعض الجامعات والمراكز العلمية على امتداد العالم العربي والإسلامي، منها: الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

هذه المحاولات المذكورة وغيرها من المحاولات الموسوعية: التراثية، والمعاصرة مجموعةً، أو منعزلةً، لم تستوعب سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدّعِ أصحابها ذلك، وهي جميعًا - على جليل مكانتها، ونبل غايتها، وعظم ما بذل فيها من جهد....ثم ذكر ثناء وتشجيع الشيخ عبد العزيز ابن باز لهذا المشروع. ثم ذكر أنه أهم عمل علمي يمكن إنجازه لخدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العصر، بل قد يكون - من وجهة نظرنا - أهمّ عملٍ يمكن إنجازه في التاريخ الإسلامي بعد جمع القرآن الكريم".

**ثناء العلماء والباحثين على مشروع جمع السنن والمسانيد:**

١- قال الحافظ ابن حجر في جمع السنن والمسانيد كما نقله عنه السيوطي في كتاب التدريب شرح التقريب ١/ ١٠٠: «ولقد كان استيعاب الأحاديث سهلا لو أراد الله تعالى ذلك، بأن يجمع الأول منهم ما وصل إليه ثم يذكر من بعده ما اطلع عليه مما فاته من حديث مستقل أو زيادة في الأحاديث التي ذكرها، فيكون كالدليل عليه وكذا من بعده فلا يمضي كثير من الزمان إلا وقد استوعبت وصارت كالمصنف الواحد، ولعمري لقد كان هذا في غاية الحسن»، ثم قال السيوطي: قد صنع المتأخرون ما يقرب من ذلك فجمع بعض المحدثين عمن كان في عصر شيخ الإسلام زوائد سنن ابن ماجه على الأصول الخمسة...».

قلت: وجمع المتأخرين جمع قاصر جدا، والذي أراده الحافظ ابن حجر هو أنه لما رأى ضعف الهمم وقصور الحفظ في زمنه رأى أن تدون السنة مرة أخرى بطريقة سهلة وميسرة وسالمة من التكرار، فجزم أنه غاية في الحسن.

٢- عُرض هذ المشروع على الشيخ عبد العزيز ابن باز، - رحمه الله - فأثنى على الفكرة، أنه وحث على المضي بالعمل فيه [٥].

٣- ذكر الدكتور أحمد المريعي[٦] مشروعًا "جمع السنة النبوية في كتاب واحد" وذكر فوائده وأهميته. فتحدث عن البعد التاريخي لجمع السنة النبوية، وأن الأمة متطلعه إلى جمع السنة في مصنف واحد "

٤- قال الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد أُستاذ التربية الإسلامية ومدير مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها: مشروع جمع السنة النبوية في كتابٍ واحد أمل الملايين من المسلمين...فهل يتحقق؟ "[٧].

٥- قال الدكتور الشيخ: صالح أحمد الشامي[٨]: ظهرت في أيامنا هذه فكرة جمع السنة المطهرة، وهي فكرة جليلة تستحق التقدير والاحترام. وقد انتقل بعضهم بهذه الفكرة من المجال النظري إلى الميدان العلمي...وحتى كتابة هذه الأحرف – وبعد مضي أكثر من ثلاثين عاما...لم تظهر أي ثمرة لهذه المحاولات. ويرجع في نظري عدم نجاحها إلى أكثر من سبب: ومن ذلك: عدم تصور الهدف والغاية التي تُجمع السنة من أجلها، حتى أصبح (الجمع) بحد ذاته غاية، أما لماذا نجمع السنة؟ فهو السؤال الذي لم يُطرح. وفقدان تصور الهدف، يتبعه عدم التخطيط السليم للعمل. ومن ذلك: أن هذه المؤسسات لم تستأنس بآراء أهل الخبرة والدراية. إن مسألة (جمع السنة) تحتاج إلى تحديد الهدف والغاية أولاً، ثم وضع الخطوات التي توصل إلى ذلك، ولا بد أن يكون ذلك صادرًا عن رأيٍ جماعي يشترك في وضعه العلماء وأصحاب الخبرة في هذه الميادين.

ومن أجل الوصول إلى ذلك فإني أرى من واجبي إبداء الرأي ووضع التصور الذي توصلت إليه بين أيدي أساتذتنا من العلماء، وهو جهد المقل وعسى أن يبارك الله فيه. إن فكرة (جمع السنة) ليست جديدة على العلماء وقد بذلت جهود كثيرة من أجلها، وهي جميعها تصب في الوصول إلى هذا الهدف، ومن ذلك:

أولاً: الجهود التي بذلت في جمع كتابين أو أكثر في كتاب واحد، كجموع الصحيحين، وجامع الأصول...وغيرهما، إنها كانت تهدف إلى تقليل عدد الأحاديث وعدم تكرارها...وبالتالي إلى تقليص مساحة البحث، ففي جامع الأصول ربما كان الحديث في كتابين أو أكثر من الكتب التي حواها هذا الجامع، ومع ذلك فإنه يذكر مرة واحدة، وبهذا تضيق مساحة البحث ويتوفر الوقت.

---

(٥) المجلة العربية – العدد (٣٦٠) محرم ١٤٢٨هـ. وسيأتي نص قوله .

(٦) المجلة العربية – العدد (٣٦٠) محرم ١٤٢٨هـ. وسيأتي نص قوله .

(٧) قاله في مقال علمي. رسالة : جمع السنة.

(٨) قاله في مقال علمي. وسيأتي نص قوله, في آخر هذا البحث.

ثانيا: تلا ذلك الجهود التي عملت على استخراج الزائد في كتاب ما، على ما في كتاب آخر، والتي أطلق عليها اسم (كتب الزوائد) والمثال على ذلك الإمام البوصيري الذي استخرج زوائد سنن ابن ماجه على كتب الحفاظ الخمسة.

إن جمع كتابين أو عدة كتب في كتاب واحد، أو استخراج الزائد في كتاب على كتاب آخر، أو عدة كتب يسّرَ على الباحثين عملهم، ووفر عليهم بعض أوقاتهم. وهو -في الوقت نفسه- خطوة على طريق (جمع السنة)؛ إذ غايته تقليص مساحة البحث. وإذًا ففكرة (حذف المكرر) قد سعى إليها العلماء، وبذلوا من وقتهم وجهدهم الكثير لتحقيقها.

والذي أراه أن الغاية من جمع السنة هو تقريبها من أيدي عامة المسلمين، بحيث يتوفر لكل مسلم ما هو بحاجة إليه من العلم، وإذا كان المسلمون ليسوا على مستوى واحد من حيث حاجتهم – فحاجة العالم غير حاجة طالب العلم، وحاجة الباحث والمجتهد غير حاجة العالم – فالواجب مراعاة ذلك "

٦- قال الدكتور يوسف القرضاوي [٩]«...لهذا كنّا في حاجة إلى موسوعة عصرية تقوم بجهود جماعية، يشترك فيها أهل الاختصاص والخبرة في العالم الإسلامي بالرأي والمشورة، إذا لم يسعفهم الاشتراك بالعمل والجهد، ويُستخدَم فيها ما وصل إليه عصرنا من إمكانات علمية وعملية، لتحقيق أهداف: علمية، وتربوية، وتشريعية، ودعوية، تحتاج إليها أمتنا الكبرى، بل تحتاج إليها البشرية – على تعدد أديانها وأجناسها ولغاتها – لتوازن بين ما كسبته من نتاج العلم، وما تتطلع إليه من رحيق الإيمان.. ».

**جملة من التحديات المعاصرة للسنة النبوية:**

واجهت السنن والمسانيد جملة من التحديات المعاصرة، ومن أهمها:

١- فتور الهمم في هذه الأزمان، وكثرة الملهيات عن الحفظ والبحث. حتى زهد الكثير في قراءة كتب السنن والمسانيد، وأصبحت عند الكثير، إن وجدت، مجرد مراجع بحث .

٢- ظهور فئة من المستشرقين والعلمانيين في محاولة إحداث تعارض وضرب النصوص بعضها ببعض.

٣- صعوبة استقراء نصوص السنة. لكثرة المكرر وعدم توحيد الفصول والأبواب .

٤- وجود فجوة خلاف بين أصحاب التخصصات المختلفة في المعارف الإنسانية والعلوم التطبيقية، وبين السنة النبوية وعلومها.

٥- ظهور مساحة واسعة من الاختلاف في العلوم الشرعية المبني على ضعف استقراء النصوص بين الفقهاء.

---

(٩)انظر سالة جمع السنة في ديوان واحد ص١٢.

٦- كثرة المصنفات في السنن والمسانيد، مما يؤدي إلى حيرة القارئ والمبتدئ في القراءة والاطلاع.

٧- كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين طيات كتب السنة.

**ذكر جملة من فوائد مشروع جمع السنن والمسانيد:**

١- إن وجود نسخة كاملة شاملة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي العلماء والفقهاء والمجامع الفقهية، مرتبة على الموضوعات يُيسِّر استقراء النصوص الشرعية.

٣- لا شك أن السنة مصدرًا رئيسًا في الأحكام الشرعية؛ ولكن هناك مجالاتٍ علميةً أُخرى لا تزال في حاجةٍ ماسةٍ ومُلحةٍ لاستنباطها من السنَّة النبوية، وخاصةً في مجلات العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية، وغيرها من العلوم المعاصرة الأُخرى.

٢- تكميل متطلبات: المجامع الفقهية، والمراكز البحثية من السنة النبوية؛ لإصدار الأحكام الشرعية مواكِبةً للمستجدّات في حياة المسلمين.

٣- تحقيق لأمنية عظيمة اشرأبت لها أعناق علماء الأمة قديمًا وحديثًا.

٤- تضييق الفجوة بين أصحاب التخصصات المختلفة في المعارف الإنسانية والعلوم التطبيقية والبحتة، وبين السنة النبوية وعلومها.

٥- العمل على تحقيق عالمية الإسلام بإتاحة مصادره الرئيسة للمهتمين.

٦- يعين على الوصول إلى تصور صحيح وحكم صائب.

٧- أنه زيادة عناية وحفظ للمصدر الثاني من مصادر التشريع.

٨- يقلص مساحة الاختلاف المبني على ضعف استقراء النصوص بين الفقهاء.

٩- يُفَعِّل الاجتهاد القائم على الدراية والنظر والاستنباط.

١٠-يعزز مفهوم وتجليات الهوية الصحيحة للأمة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة.

١١- دفع دعوى التعارض بين نصوص السنن والمسانيد.

١٢- حذف المكرر بين أحادبث السنة يختصر وييسر البحث فمثلا: بلغ عدد أحاديث الكتب التسعة بالمكرر (٦٢٩٣٧)، وبعد حذف المكرر (١٦٢٩٠) حديثا، بما يعدل الربع، وبهذا يتبين حجم توفير الجهد والوقت. وسيصبح لدى الأمة كتاب واحد في السنة بدلا من (٥٢٠) كتاباً تقريباً.

١٣- جمع السنن والمسانيد بطريقة علمية مقننة يجعل الشريعة الإسلامية سهلة الاطلاع والاستقراء والتعرف عليها. مما يوفر الأوقات والطاقات على الباحثين من العلماء والخطباء والمدرسين والدارسين.

١٤- أن جمع السنن والمسانيد ليس أمرًا محدثًا، بل هو إتمام لما بدأه العلماء السابقون، في العصور الأولى.

١٥- أن تقريب كتب السنن والمسانيد للأمة ، ومواكبت تطلعات العصر، مطلب وضرورة شرعية. مما يحقق عالمية الإسلام بإتاحة مصادره الرئيسة للجميع.

**الجهة التي يمكن أن تتولى القيام بجمع السنن والمسانيد:**

جمع السنَّة النبويَّة سننًا ومسانيدَ في كتابٍ واحدٍ جامعٍ شاملٍ لميراث النبوة العظيم وأحاديث المصطفى تُعد مطلبًا هامًّا وضروريًّا، وأملاً للملايين من أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سيما في هذا العصر الذي زادت الحاجة فيه إلى مثل هذا الجهد العلمي، ويلحظ ما يلي:

١- لا بد أن يقوم على هذا العمل هيئة علمية، أو مؤسسة علمية لها قدرتها وإمكانيتها. بعيدا عن المحاولات الفردية. مثل كراسي البحث العلمية.

٢- لا بُد أن تكون الهيئة جهةً رسميةً مسؤولةً، ومؤهلةً علميًّا وفنيًّا لمثل هذا المشروع الجبار الذي لا يقل في مسؤوليته وأهميته وعظم شأنه عن ذلك المشروع الإسلامي العظيم المُتمثل في (مجمع خادم الحرمين الشريفين لطباعة المصحف الشريف)؛ فكلاهما يُقدم خدماتٍ جليلةً لهذا الدين العظيم وهذه الأُمة الخالدة.

**خطة جمع السنن والمسانيد في ديوان واحد:**

يكون جمع السنة النبوية على عدة مراحل :

١- **المرحلة الأولى (الجمع والتصنيف)** : ولها طريقتان :

**الطريقة الأولى:** تجمع الأحاديث عن طريق الزوائد، بحيث تجمع الأحاديث المتفق عليها ثم أحاديث البخاري ثم زيادات مسلم ثم زيادات السنن ثم زيادات المسانيد ثم بقية كتب السنة ثم زيادات كتب الأجزاء الحديثية...وهكذا بحيث يكون هذا المشروع فيه استيعاب من غير تكرار ولا نقص. ويتم اختيار الألفاظ والرويات الجامعة.

**الطريقة الثانية:** يتم الاستفادة من جهود العلماء السابقة في المراحل الأولى (الجمع والتصنيف) وذلك بإكمال ما قام به العلماء السابقون، بما يلي:

١- أن كتب السنة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

أ- المجموعة الأولى: وتضم الكتب التسعة.

وهي تشمل ثلاثة كتب.

١- الكتاب الأول (الجامع بين الصحيحين).

٢- الكتاب الثاني (زوائد السنن على الصحيحين).

٣- الكتاب الثالث (زوائد الموطأ والمسند على الكتب الستة).

وبهذا يكون جمعنا الكتب التسعة.

ب- المجموعة الثانية: وهي التي تضم ما وراء الكتب التسعة وجمعها يحتاج إلى جهد لهذا تستخرج الأحاديث الزائدة على ما في الكتب التسعة. وفق الخطة السابقة(١٠).

٢- **المرحلة الثانية مرحلة التصنيف والترتيب:**

أ- توحيد المخطط من حيث الأحاديث والعناوين في الكتب والفصول والأبواب.

ب- إذا استكمل الجمع يتم التنسيق بين حصيلة هذه الكتب بحيث يحذف المكرر منها.

ج- الاقتصار على الأحاديث المرفوعة وما في حكمها ثم الآثار.

٣- **المرحلة الثالثة مرحلة التخريج:** يخرج كل حديث تخريجا مجملا: وفق خطة علمية مؤصلة .

٤- **المرحلة الرابعة: مرحلة الحكم على الأحاديث:** ولها حالان:

الحالة الأولى: الأحاديث التي حكم عليها الأئمة : تجمع أحكام الأئمة خصوصًا المتقدمين على كل حديث.

الحالة الثانية: الأحاديث التي لم يحكم عليها الأئمة : يتم اختيار لجنة من العلماء للحكم على الأحاديث صحة وضعفا .

٥- **المرحلة الخامسة مرحلة الشرح والمعاني:** يشار إلى معاني الأحاديث والفوائد والأحكام العلمية.

٦- **مرحلة السادسة مرحلة الأختصار والتجريد:** وضع مختصرات لهذا الجمع مجردة من الأسانيد تيسيرا للحفظ، والاستقراء.

**الخاتمة:**

بعد دراسة موضوع (جمع السنن والمسانيد وفوائده وأبعاده) ظهر لنا جمع من النتائج، وهي:

١- إن جمع السنن والمسانيد الذي ندعو له اليوم هو امتداد وإتمام لجمع السنة في العصور الأولى، وليس أمرا محدثًا، بل فرضته علينا حاجة العصر.

٢- إن جمع السنن والمسانيد ليس بالصعوبة الممتنعة.

٣- إن حاجة العصر تستدعي هذا العمل التاريخي.

٤- إن هذا الجمع يقلص مساحة الاختلاف المبني على ضعف استقراء النصوص بين الفقهاء.

٥- إن تقريب كتب السنن والمسانيد للأمة ، ومواكبت تطلعات العصر، مطلب وضرورة شرعية. مما يحقق عالمية الإسلام بإتاحة مصادره الرئيسة للجميع.

---

(١٠) انظر مقال الشيخ الدكتور: صالح أحمد الشامي حول فكرة جمع السنة , وسيأتي ذكر المقال بتمامه .

# التحديات المعاصرة للحديث الشريف والسبل المقترحة لمواجهتها

**د. خالد بن مرغوب بن محمد أمين**

الأستاذ المشارك بقسم فقه السنة بكلية الحديث الشريف

بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة



**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيدنا ونبينا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**مدخل إلى البحث ووصف ملخص لفكرته:**

نحن قد خلقنا في دار ابتلاء لنتسابق إلى العبادة وإحسان العمل، وإن الله تعالى لما أكرمنا بأن جعلنا من أهل الإسلام وأتم علينا نعمته بحفظ وحيه وأوجب علينا عبادته ، قد تكفل بتوضيح هذه العبادة، وأنها لا تقتصر على أذكار وصلوات نتوجه بها إليه في ذواتنا منعزلين عما حولنا فلا بد من أن نعمل العمل الصالح بمفهومه الشامل ونحقق مراد الله تعالى فنستبين سبيل المجرمين ونكون أنصارا للحق وندفع الباطل ومن واجباتنا في ذلك المحافظة على السنة ونصرتها وبذل الجهد لذلك. وقد استجدّت في زمننا مشكلات وتحديات تستوجب أن تُصرف العناية إلى علاجها بعد التعرف عليها ودراستها وتصنيفها. وإذا كان الأمر بهذه المثابة؛ فلا شك أن القيام بواجب البيان والتحذير من تلكم الشبه والأخطاء من فروض الكفايات، وهو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن التواصي بالحق، ومن النصح لكل مسلم.

والمراد بالتحديات الصعوبات والمشكلات التي تحدّ من قبول الحديث والعمل به سواء كانت بسوء نية أم كانت جهلا أم كانت غفلة وتقصيرا أم كانت عجزا، والمراد بالسبل المقترحة اقتراح سلوكيات عملية وأنشطة علمية ومشاريع مادية لتلافي ما سبق.

**أهمية موضوع البحث:**

هذا البحث مهم جدا لأنه جهد في معرفة الواقع، واجتهاد في كيفية نصرة السنة، وتحقيق لمبدأ المعاصرة مع الأصالة.

**أهداف البحث وسبب اختياره:**

١- التعرف على التحديات التي تواجه الحديث الشريف ومحاولة التغلب عليها.

٢- الأسباب المؤدية إلى المستوى الحالي للمشتغلين بعلم الحديث الشريف، والرغبة الطموحة إلى الارتقاء به إلى درجة متقنة .

٣- التنبه للشبهات التي توقع المنخدع بها في مناهضة السنة أو التقصير في اعتمادها.

٤- تحصين الشباب من الشبهات الكثيرة التي يتعرضون لها من خلال شبكة الانترنت والقنوات الفضائية.

٥- التحذير من الطبعات والبرامج التجارية، والإرشاد إلى الاهتمام بالطبعات المفضلة في كتب السنة.

٦- اقتراح مشاريع علمية وعملية لمقاومة التحديات المذكورة بأنواعها.

**الدراسات السابقة:**

كتب كثير من العلماء حول مكانة السنة وحجيتها والرد على الشبهات المثارة حولها وقد رجعت إلى كتبهم مثل كتاب السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ، ونصرة الحديث في الرد على منكري الحديث للعلامة حبيب الرحمن الأعظمي.

وكذا كتبوا حول منهج التحقيق لمخطوطات الحديث الشريف مثل كتاب دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات للدكتور أكرم ضياء العمري.

وكتبوا حول آداب طالب الحديث والأخلاق الإسلامية عموما مثل حلية طالب العلم، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، ومعالم إرشادية لصناعة طالب العلم للشيخ محمد عوامة.

وبالإضافة إلى ذلك فقد استفدت من عدد من المقالات والبحوث المعاصرة من خلال شبكة الانترنت مثل بحث الأستاذ الدكتور نور الدين محمد عتر الحلبي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه في كليات الشريعة والآداب في جامعتي دمشق وحلب بعنوان السُنَّة المطهرة والتحديات.

ومع ما لهذه الدراسات من أثر عظيم ونفع كبير وهي مصادري في هذا البحث إلا أنها حسب اطلاعي لم يتكلم شيء منها عن هذه التحديات بالشكل الذي فصلته حولها حيث قسمتها إلى أقسام ، وذكرت اقتراحات عدة لمواجهتها.

**خطة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة وفهرس الموضوعات

المقدمة

الفصل الأول التعرف على أنواع التحديات بشكل موجز

المبحث الأول التحديات الفكرية .

المبحث الثاني التحديات العلمية العامة .

المبحث الثالث التحديات العلمية الطباعية .

المبحث الرابع التحديات العلمية المتعلقة بالتقنية الحاسوبية .

المبحث الخامس التحديات العملية.

المبحث السادس التحديات المادية .

الفصل الثاني مقترحات لمواجهة التحديات المذكورة سابقا .

المبحث الأول مقترحات تتعلق بمواجهة الشبهات .

المبحث الثاني مقترحات تتعلق بمواجهة الطبعات التجارية والضعيفة.

المبحث الثالث مقترحات تتعلق بالبرامج الحاسوبية

المبحث الرابع مقترحات للمؤسسات العلمية وأصحاب الأموال وصانعي القرار

المبحث الخامس مقترحات سلوكية للمسلمين عموما وللمتدينين والصالحين خصوصا

المبحث السادس مقترحات موجهة إلى طلبة العلم والمتخصصين في الحديث الشريف

الخاتمة وفيها تلخيص نتائج البحث.

## الفصل الأول

## التعرف على أنواع التحديات بشكل موجز

### المبحث الأول: التحديات الفكرية

- **أولا:** الجذور التاريخية للشبهات المتداولة ضد الحديث الشريف ومواجهة السلف لها.

لقد تولى كبر شبهات الطعن في السنة طوائف شتى، منهم :

١- الزنادقة من خلال حركة الوضع على الحديث .

٢- والرافضة الطاعنون في الصحابة والمنكرون للأحاديث التي رووها.

٣- والمعتزلة الذين قدموا العقل على النقل وردوا من الحديث ما خالف عقولهم .

وقد قام السلف الكرام بجهود عظيمة في مواجهتهم واجتهدوا في مواجهة التحديات التي واجهتهم في هذا الصدد حيث كان الزنادقة الذين كانوا يفترون الأحاديث الموضوعة وينسبونها إلى النبي عليه الصلاة والسلام وفضحوا مكايد أهل البدع الذين كانوا يردون السنة مطلقا أو بعضها، فنشطوا في تدوين الحديث بنطاق واسع منذ أواخر القرن الأول وخلال القرن الثاني الهجري وظهرت قواعد نقد الحديث وتبلورت في كتب مصطلح الحديث كما تجمعت الملاحظات المنوعة عن رواة الحديث في كتب الرجال، وأفاض جمع من العلماء في شرح الحديث وبيان فقهه وشرح مشكله وتأويل مختلفه ، وبهذا كانت تلك التحديات سببا لنتائج إيجابية أثرت في إشادة صرح السنة[1]، فكانوا خير قدوة لنا نتأسى بهم في هذا الجانب كما نفعل في غيره.

[1] - انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة / د. أكرم ضياء العمري ص ٢٠ ، بساط ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥،

وإن غالبية الشبهات التي يتداولها منكرو السنة في زمننا لها جذور تاريخية لدى الزنادقة والمبتدعة الذين حاولوا إجهاض حضارة المسلمين في عهودهم الأولى.

وقد تصدى لهم المسلمون وقام علماؤهم وأمراؤهم بالواجب المنتظر منهم، ثم توالت الجهود في القيام بهذا الواجب ، ونهض إلى أدائه نبلاء الأمة الذين شرفهم الله بذلك في كل جيل، فأثمرت هذه الجهود أن تحقق وعد الله بحفظ دينه ووصلتنا الأمانة لنقوم بواجبنا في حملها.

وفي هذا العصر قام المستشرقون والقرآنيون والعَلمانيون والعقلانيون بإنكار حجية السنة الشريفة وافتراء الشبهات الداحضة حولها.

والاستشراق اتجاه فكري يُعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، وحضارة العرب والإسلام بصفة خاصة. والمستشرقون هم علماء من الغرب اعتنوا بدراسة الإسلام واللغة العربية وكذلك لغات الشرق وأديانه وآدابه.

وتدور شبهات المستشرقين الطاعنين في السنة وعلومها حول تاريخ توثيق الحديث النبوي وكتابته وتدوينه، ويُفسِّر الشيخ الدكتور مصطفى السباعي السببَ الباعثَ للمستشرقين على بثِّ مثل هذه الشبهات عن السنة وتاريخ تدوينها ومعاني أحاديثها، فيقول:"..والذي حملهم على رُكوب الشطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مُدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرَّسول، فادَّعوا أن هذا لا يُعقل أن يَصدر كله عن محمَّد الأمي، بل هو عملُ المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى.."[٢].

وقد أدى اشتغال المستشرقين بنتاج الفكر الإسلامي إلى إثارة شبهات حول السنة النبوية؛ حيث شعروا بأهمية ذلك الرصيد الضخم، فركزوا طعونهم عليها ليتسنى لهم الطعن في القرآن، ولقد وجدوا في منهج المعتزلة ما يخدم أغراضهم، فتبنوه ودافعوا عنه وساروا على منواله في محاربة السنة والتهوين من شأنها، ولقد كان عدم التصديق بنبوته – صلى الله عليه وسلم – هو القاعدة التي انطلقوا منها في بث كل شكوكهم ومطاعنهم في بقية جوانب الإسلام.

وعلى خطى المعتزلة والمستشرقين في موقفهما من السنة النبوية سارت المدرسة العقلية الحديثة؛ حيث استطاع المستشرقون أن يستقطبوا كثيرًا من أبناء الإسلام الذين تأثروا بثقافتهم وانخدعوا بآرائهم وما روجوه لأنفسهم بالتزام المنهجية والحيادية في البحث العلمي، وهؤلاء المقتفون لآثار المستشرقين كانوا يمثلون رموزًا بارزة في بلدانهم، مما كان له أثر بالغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين، وانخداع السُّذج منهم بها، وتفلُّت كثير منهم من التمسك بالشرع الشريف.

كما أن تتلمذ بعض أبناء المسلمين على أيدي المستشرقين جعل كثيرًا منهم يحذو حذوهم، فكان خطرهم أكبر وإفسادهم أعظم؛ لأن هدم الحصون من داخلها أشد خطرًا من أي عدوان خارجي.

[٢] - انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ص ١٨٧-٢٣٥ ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي بيروت

كما أن جهل تلاميذ المستشرقين بالسنة النبوية وبالجهود التي بذلها الأئمة في نقلها ونقدها وتمييز صحيحها من سقيمها، جعلَهم يتلقفون شبهات المستشرقين وينخدعون بأقوالهم وآرائهم.

ويضاف لما سبق: ضعفُ الوازع الديني عند بعضهم، الأمر الذي جعلهم يستجيبون للضغوط فيروجون لبعض الأفكار، ولو على حساب دينهم!

ولا شك أن ضعف الأمة الإسلامية وانصرافها عن دينها أدى إلى انبهارها بالغرب وتشبثها بأذياله وتبعيتها لأفكاره.

وقد كاد الحديث طائفة أخرى عرفت بالقرآنيين وهو يزعمون زورا أنهم مسلمون فيقوم التيار القرآني المعاصر على الاعتقاد بأن القرآن هو المصدر الوحيد للإسلام و شريعته ، والاعتقاد بأن بعض ما في السنة يصادم صريح القرآن الكريم[٣] .

ثانيا: أقسام الشبهات والردود الإجمالية عليها.

والشبهات تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول : شبهات رد السنة مطلقا.

ويراد بها محو السنة النبوية من الأساس.

ويظهر في كلام أصحابها الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحديث.

مثل دعوى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن ، وتأخر تدوين السنة وكونها مروية بالمعنى ودعوى تعارض الأحاديث ببعضها.

القسم الثاني: شبهات التشكيك في صحة كتب الأحاديث النبوية ، وفي نسبة صدورها من النبي صلى الله عليه وسلم.

مثل الطعن والتجريح في كتب السنة ورواياتها، والطعن والتجريح في الصحابة ورواة الحديث، وتضخيم الاختلاف في الجرح والتعديل ، واتهام المحدثين بمداهنة حكام الأمويين في مشروعهم الحضاري العظيم لتدوين الحديث الشريف.

ويراد من هذا القسم إضعاف هيبة الحديث وتجرئة الناس على مخالفته . ويظهر في كلام أصحابه الاستهزاء بعلماء الحديث، ومعارضته بأنهم ليسوا معصومين وأنهم وقع لهم بعض الأخطاء.

القسم الثالث : فهو شبهات مجاوزة الحد في استعمال العقل في فهم السنة النبوية .

وتقصد مواكبة العصر والظهور بمظهر حضاري عند الناس وتؤدي أحيانا كثيرة إلى عزل السنة عن حياة المسلمين ولو صححت الأحاديث المروية فيها ، وذلك مثل إهمال الأحاديث الواردة على خلاف الرغبات والعادات والقول بأن المحدثين اهتموا بنقد السنة دون المتن[٤].

---

[٣] - هذا التعريف بالتيار القرآني المعاصر مأخوذ من موقع أهل القرآنwww :ahl-alquran.com

ويظهر في كلام أصحابها تأويل الأحاديث، ودعوى معارضتها للعقول والآراء. وهو تيار يحاول تطويع فهم الحديث للعقل، ويدفع بعضهم ما يستشكلونه بدعوى مخالفة الأذواق العصرية، ومقتضى الواقع، ومتطلبات الفترة الراهنة، وقانون العلم الذي يتميز به العصر الحديث[٥].

❍ ثالثا: أسباب الانحراف الفكري عموما ترجع فيما يظهر إلى :

١- إيثار الدنيا وجعل العلم الشرعي وسيلة لها .

٢- ضعف الباحث في اللغة العربية وأصول الفقه

إذ من الأمور الواضحة أن الفهم الصحيحة يحتاج إدراك القارئ للغة العربية التي هي لغة الحديث، وإلى فهم دلالات الألفاظ ومناهج الاستنباط.

٣- ضعف التأصيل العلمي عموما للباحث

من أسباب وقوع الأخطاء في البحوث: الضعف العلمي، إذ العاطفة الإيمانية وحدها لا تكفي مؤهلا للبحوث التي تنوء بغير المؤصلين علميا.

٤- انحراف الباحث في الاعتقاد عن جادة الحق – اعتقاد أهل السنة والجماعة - .

أما من لم يكن من أهل الإسلام أصلا – كاليهود والنصارى وأذنابهم كالقاديانيين - فهؤلاء إن كتبوا في السنة فالغالب أن لهم مآرب سيئة: طعنا في الحديث، وتشكيكا في أحكامه، وتحريفا لمفاهيمه.

٥- غياب المراجعة الدقيقة للبحوث والاستعجال في نشرها دون الاستفادة من رأي العلماء أو الزملاء فيها.

## المبحث الثاني التحديات العلمية العامة

❍ أولا: الجهل بمكانة السنة النبوية وارتباطها بالقرآن الكريم؛ فإن الجهل بحجيتها وكونها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي يعد من أهم التحديات التي تواجه السنة النبوية في الوقت الحاضر.

وقد روى الأئمة أبو داود والترمذي وابن ماجه والشافعي والحميدي والطحاوي والحاكم بأسانيدهم عن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ .

---

[٤] - انظر اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ، الدكتور محمد لقمان السلفي، ص ٣٠٩ فما بعدها، الطبعة الأولى ١٤٠٨، الرياض، نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث للعلامة حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الرابعة ١٤٢٢ دار رحاب طيبة المدينة المنورة، ، السُنَّة المطهرة والتحديات ص ١٥٦ وهو بحث من إعداد الأستاذ الدكتور نور الدين محمد عتر الحلبي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه في كليات الشريعة والآداب في جامعتي دمشق وحلب ، منشور في مجلة مركز بحوث السُنَّة والسيرة - قطر، العدد الثالث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

[٥] - انظر تدوين السنة النبوية / د. محمد مطر الزهراني، ص ٤٣-٤٨، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ مكتبة دار المنهاج الرياض، المدخل إلى دراسة الحديث والسنة، د. سمر العشا ص ٢٧٨ فما بعدها، مطبوع بدون معلومات

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : وهو صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي[٦] ، وقال الشافعي رحمه الله: الأريكة السرير ، وقال الطحاوي رحمه الله بعد أن رواه : " فحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلاف أمره كما حذر من خلاف كتاب الله عز وجل فليحذر أن يخالف شيئا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحق عليه ما يحق على مخالف كتاب الله " .

وقوله صلى الله عليه وسلم (لا ألفين) بضم الهمزة وبالفاء المكسورة، بصيغة المتكلم المؤكدة بالنون الثقيلة من قولك ألفيت الشيء إذا وجدته ، وظاهره نهي النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عن أن يجدهم على هذه الحالة ، أي لا أجدن أحدكم على هذه الصفة ، والمراد نهيهم عن أن يكونوا على هذه الحالة ، ومعناه لا تعملوا عملا أجدكم بسببه على هذه الصفة .

وقوله صلى الله عليه وسلم (ما وجدنا) "ما" موصولة مبتدأ، خبره "اتبعناه"[٧].

- ثانيا: الجهل بجهود علماء الحديث في نقله[٨]، وتاريخ تدوين السنة وما قبل التدوين والظروف التي حفظت فيها السنة[٩]؛ فإن الجهل بذلك مدعاة للانخداع لما يقوله المغرضون من المستشرقين ومن تتلمذ على كتبهم.

- ثالثا: انتشار الأحاديث الموضوعة وتداولها في الرسائل المتبادلة بالجوال والبريد الالكتروني، وفي المقالات والخطب والمواعظ .

- رابعا-: التسرع في الحكم على الأحاديث دون استكمال الأدوات اللازمة لذلك .

- خامسا: التساهل أو التشدد في نقد الأحاديث .

---

[٦] - **سنن أبي داود** ٤ / ٢٠٠ ( كتاب السنة - باب في لزوم السنة - رقم ٤٦٠٥ ) تأليف : الإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ( ٢٠٢ – ٢٧٥هـ ) ، تحقيق : عزت عبيد الدعاس ، دار الحديث للطباعة والنشر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ. **سنن الترمذي** ٥ / ٣٧ ( كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم - رقم ٢٦٦٣، تأليف : الإمام محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي ( ٢٠٩ – ٢٧٩هـ ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، **سنن ابن ماجه** ١ / ٦ ( باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه - رقم ١٣)، تأليف : الإمام محمد بن يزيد القزويني ( ٢٠٧- ٢٧٥هـ ) ، تحقيق : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة المصرية ، دار الفكر – بيروت، **مسند الشافعي** ص٢٣٣ الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس ( ١٥٠ – ٢٠٤هـ) رواية الأصم عن الربيع عنه، دار الكتب العلمية – بيروت ، **مسند الحميدي** ١ - ٢٥٢ تأليف : الإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المتوفى سنة ٢١٩هـ ، تحقيق : العلامة حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية , مكتبة المتنبي – بيروت , القاهرة ، **شرح معاني الآثار** ٤ / ٢٠٩، تأليف : الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ( ٢٢٩ – ٣٢١هـ ) ، تحقيق : محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ. **المستدرك على الصحيحين** ١ /١٩٠ ، تأليف : الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ( ٣٢١ – ٤٠٥هـ )، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ

[٧] - انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ١٢/ ٢١٦ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، وانظر لمزيد من التفصيل حول التحذير من ترك السنة بدعوى الاكتفاء بالقرآن كتاب لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث / للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٩-٢٠، الطبعة الرابعة ١٤١٧، دار البشائر الإسلامية بيروت

[٨] - انظر كتاب لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث / للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ١٣٨ فما بعدها

[٩] - انظر كتاب تدوين السنة النبوية / د. محمد مطر الزهراني، ص ٦١ فما بعدها

- سادسا: قلة الدارسين للحديث وقلة حلقاته العلمية وقلة المدارس المتخصصة في الحديث وندرة العلماء الراسخين فيه .

- سابعا: دخول من ليس بمؤهل علميا في الحديث إلى ساحة التخريج.

**المبحث الثالث التحديات العلمية الطباعية .**

من التحديات العظيمة وجود الطبعات غير المتقنة لكثير من الكتب الحديثية وضعف إخراج غالبيتها مع أهمية تقديم طبعات حديثية صحيحة ومقومات ذلك بناء على قواعدَ متفق عليها لتحقيق مخطوطات الحديث وعلومه[١٠].

ومن نماذج التقصير في التحقيق لكتب الحديث الشريف طبعات الموطأ مع أهميته حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله في حقه : ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابا من موطأ مالك ، ذكره الذهبي رحمه الله وقال : هذا قاله قبل أن يؤلف الصحيحان[١١] .

وهي في غالبها طبعات ملفقة، إما بين طرق رواية يحيى الليثي، أو بين رواية يحيى وغيرها من الروايات، خاصة طبعة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كما صرح بذلك في المقدمة التي وضعها على الموطأ.

ومع كون طبعة الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي من أكثر الطبعات انتشارا وذيوعا، إلا أنها غير معتمدة على أية نسخة خطية، بل قد صرح في مقدمته أنه اعتمد على خمس نسخ كلها مطبوعة.

كما قام الأستاذ فؤاد عبد الباقي بالتصرف في تقسيم كتب وأبواب الموطأ، حيث غيّر في تقسيم مالك لكتب وأبواب موطئه، وحجته في ذاك التغيير كما ذكر في مقدمة طبعته: أنه أراد أن يجعل تقسيم الكتب والأبواب موافقاً مع الأرقام التي وضعها المستشرق الهولندي فنسنك في مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي صنعه جماعة من المستشرقين.

| الخطأ في ط. عبد الباقي | موضعه في الطبعة | التصويب من نسخة عبيد الله |
| --- | --- | --- |
| عبد الرحمن بن يزيد | ٢٧/١ | عبد الرحمن بن زيد |
| فلا يذادن | ٢٩/١ | فليذادن |
| في خبيئته | ١٩٩/١ | في أخبيته |
| يجتمعان في الصدقة | ٢٦٣/١ | يجمعان في الصدقة |
| أن عاتكة ابنة زيد | ٢٩٢/١ | أن عاتكة ابنة سعيد بن زيد |

[١٠] - انظر دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات للدكتور أكرم ضياء العمري ص ١٢٤-١٤٧ ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، معالم إرشادية لصناعة طالب العلم للأستاذ محمد عوامة ٣٨٢ ، دار المنهاج جدة الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣.

[١١] - سير أعلام النبلاء / للحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ( ١١١/٨ ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

| فقد انقضى العمل | ٣٢٧/١ | فقد انقطع العمل |
|---|---|---|
| فإذا أذّن | ١/ ٧٤ | فإن أذّن |
| فافعل | ١٥٨/١ | فاصنع |

وهذه نماذج من الأحاديث والأسانيد الساقطة في طبعة فؤاد عبد الباقي:

| العبارة الوارة في ط. فؤاد عبد الباقي | موضعها | العبارة بعد استدراك السقط |
|---|---|---|
| لينزع خفيه وليغسل رجليه | ٣٧/١ | لينزع خفيه ثم ليتوضأ وليغسل رجليه |
| يغسل بذلك فرجه | ٥٧/١ | يغسل بذلك الماء فرجه |
| فأتى فوجد أبا بكر | ١٣٦/١ | فأتى المسجد فوجد أبا بكر |
| عن عبيد الله بن عتبة أنه قال | ١٥٤/١ | عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أنه قال |
| منها ركعة وكذلك سنة | ٦٩/١ | منها ركعة مع الإمام، قال مالك: وكذلك السنة |
| صلى مع الإمام هل له | ١٨٢/١ | صلى مع الإمام يوم الفطر، هل له |
| سقط حديث كامل بعد حديث رقم ٥ في كتاب الجنائز | | |
| من التمر وما يقطف | ٢٧٤/١ | من التمر أو ما يقطف |
| عن زيد بن أسلم عن إبراهيم قال مالك ولم يكن | ٤٢٣/١ | عن زيد بن أسلم عن نافع عن إبراهيم قال مالك قال ابن شهاب : ولم يكن |

وهذه بعض المواضع التي حصل فيها سقط في طبعة عبد الباقي:

١) ص ٢٠ سطر ٤ : يتوضأ بالماء لما تحت ، وفي الخطية: يتوضأ بالماء وضوءً لما تحت

٢) ص ٢٥ سطر ١ رأى ربيعة بن عبد الرحمن يقلس مرارا وهو، وفي الخطية: رأى ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقلس مرارا ماء وهو

٣) ص ٣٧ سطر ٧ فقال: لينزع خفيه وليغسل رجليه، وفي الخطية: لينزع خفيه ثم ليتوضأ وليغسل رجليه

٤) ص٥٧ سطر ١ يغسل بذلك فرجه، وفي الخطية : يغسل بذلك الماء فرجه.

٥) ص٨٠ سطر٦ نهى عن لبس القسي وعن تختم الذهب، وفي الخطية :نهى عن لبس القسي والمعصفر وعن تختم الذهب

وهذه بعض الاختلافات في الطبعات الثلاثة: عبد الباقي وبشار والأعظمي والظاهر أن فيها تصحيفا:

١) في طبعة عبد الباقي وبشار:

كتاب الحج ، باب ما جاء فيمن أحصر بغير عدو: ( مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار أن سعيد بن حزابة ...) قولهم: " سعيد " تصحيف، والصحيح كما في نسخة ابن الطلاع :" معبد بن حزابة"

٢) في طبعة بشار: كتاب البيوع ، باب الحكرة والتربص:" مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: لا حكرة في سوقنا، ولا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا ، فيحتازونه علينا، فيحتكرونه...) في نسخة ابن الطلاع: ( بساحتنا ، فيحتكرونه علينا..)

٣) في كتاب النكاح، نكاح الرجل أم امرأة قد أصابها على وجه ما يكره،في طبعة بشار : (يَكْرَه) والصحيح: (يُكْره)

٤) في كتاب البيوع، باب جامع الطعام، (قال مالك: ولا ينبغي أن يشتري رجل طعاماً بربع أو بثلث، أو يكسر من درهم على أن يعطي...)، في ط. بشار: (فيعطي) بالياء، وفي طبعة عبد الباقي: (فيعطى) بالألف المقصورة.

٥) في كتاب البيوع،باب ما جاء في بيع الغرر:

قال مالك في رجل باع سلعة من رجل على أنه لا نقصان على المبتاع، وفيه: (وللمبتاع في هذا أُجرةٌ...)كذا عند بشار و عبد الباقي، والصحيح: ( وللمبتاع في هذا أَجره )

٦) كتاب الأقضية، باب القضاء في استهلاك العبد اللقطة.

عند عبد الباقي: إثبات لفظة العبد، وعند بشار دونها

٧) كتاب الوصية، باب الأمر بالوصية (أحب أن يطرح تلك الوصية ويبدلها) هكذا عند عبد الباقي، وعند بشار: ( أو يبدلها).

٨) كتاب الوصية, باب الوصية في الثلث لا تتعدى، قوله (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله) في طبعة بشار بإثبات لفظة بها وليست في طبعة عبدالباقي.

٩) كتاب العتق والولاء باب الشرط في العتق

قال مالك: من اعتق عبداً له .......وتتم حرمته هكذا عند بشار وعند عبدالباقي تتم حريته

١٠) كتاب الحدود باب ماجاء في الرجم: في الإسناد عن زيد بن طلحة عن عبدالله بن ابي مليكة هكذا في كلا الطبعتين (عن) وصوابه (بن ) .

وقد ذكرت هذه الملاحظات أمام فضيلة الدكتور بشار عواد حفظه الله تعالى في العام السابق ١٤٣٣ هـ فوافقني عليها وقال إن عمله كان قبل ربع قرن ولم تكن لديه المخطوطات والإمكانيات المتوفرة حاليا ، وأقول: قد فعل هو وغيره ما استطاعوه فندعو لهم بالخير ونستفيد منهم ولكن نطمح مع تواصل الجهود وتوفر الإمكانيات في زمننا إلى إعادة الطباعة لهذا الكتاب بشكل يليق به.

**المبحث الرابع التحديات العلمية المتعلقة بالتقنية الحاسوبية .**

- بعض سلبيات الاعتماد على البرامج الحاسوبية في تخريج الحديث النبوي

لا مناص من أن نستفيد من الحاسبات الآلية لكونها سهلت حفظ آلاف من كتب السنة والبحث فيها.

وأبرز البرامج الحاسوبية في خدمة الحديث النبوي هي:

١- برنامج موسوعة الحديث الشريف من إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات ١٩٩٧ م كامتداد لمركز التراث الإسلامي الذي كان يتبع لشركة صخر لبرامج الحاسب الآلي ، والذي مارس نشاطه منذ عام ١٩٨٥م، وهو من أفضل البرامج التي تعنى بالحديث فهو يتميز بالإتقان في إدخال النصوص وضبطها، ويشتمل على الكتب التسعة (الصحيحين والسنن الأربعة وسنن الدارمي والموطأ ومسند أحمد) بالإضافة إلى شروح هذه الكتب، وهو يمتاز بتحقيق نصوص الكتب وشرح الغريب وربط الحديث بالشرح، وترجمة الراوي وإمكانية التخريج، ورسم شجرة الأسانيد والمقارنة بين المتون، وإمكانية البحث عن الحديث بعدة طرق كالبحث الصرفي والبحث بدلالة الراوي أو بدلالة الموضوع، ويقدم اختيار عرض الحديث بترقيمات متنوعة حسب طبعات الكتب المتعددة، وغير ذلك، إلا أنه اقتصر على الكتب التسعة ولا يربطها بالجزء والصفحة في نسخها المطبوعة ولا يوثق ما يقدمه حول الرواة ولا يسمح بنسخ أكثر من فقرة واحدة.

٢- برنامج جوامع الكلم، وهو برنامج مجاني يمكن الحصول عليه عن طريق موقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.net

وهو موسوعة حديثية كبيرة يحتوي على ألف وأربعمائة وأكثر من أربعمائة مخطوط غير مطبوع وفيه فهرس موضوعي للمصادر ويمكن عن طريقه رسم شجرة الإسناد ولكن فيه أخطاء في نتائج البحث وتعيين رجال الإسناد.

٣-برنامج مكتبة الحديث الشريف من إنتاج : شركة العريس وهو برنامج يتضمن في إصداره الخامس، أكثر من ٢,١٠٠ مجلد وكتاب من كتب الحديث الشريف وشروحه وعلومه الأخرى.

٤- برامج مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي وهو مؤسسة أردنية أنشئت عام ١٩٩٣م، بهدف خدمة كتب التراث ، وتسهيل الاستفادة منها بواسطة الحاسوب وقد أصدر المركز برامج عدة في الحديث الشريف

منها الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه عام ١٩٩٧م، واشتمل الإصدار الثاني على (٦٠٠) مجلد وكتاب، ويعنى بالتخريج الآلي للحديث، وهو أظهر خدمات الموسوعة.

ومنها مكتبة الأجزاء الحديثية : وتحوي أكثر من ١٥٠ جزءاً حديثياً، والمكتبة الألفية للسنة النبوية وهي موسوعة إلكترونية لما يقارب ( ١٣٠٠ ) مجلد وكتاب من كتب السنة وعلومها ، بالإضافة إلى بعض الكتب والقواميس المساندة ، ثم صدرت إصدارة جديدة – الإصدار الثالث – في ثلاثة أقراص – أحدها قرص حماية – اشتملت على عدد كبير من الكتب الحديثية ، حيث ضمن فيها برنامج الأجزاء الحديثية الخاص بالشركة ، وبرنامج تاريخ دمشق ، وإضافة مراجع أخرى ، وجاء على

غلاف البرنامج أنه يشتمل على أكثر من ٣٥٠٠ مجلد حاسوبي ، وهي من أشمل برامج المركز في جمع كتب السنة النبوية.

ثم جمعت كل هذه البرامج ، إضافة إلى برامج أخرى في برنامج واحد هو الجامع الكبير.

٥- برنامج المكتبة الشاملة وهي التي تطورت عن (الجامع الكبير) وهي في إحدى الإصدارات الأخيرة للشاملة في مساحة مقدارها ١٨,٤ قيقا بايت ، وتحتوي على ٥٢٩٩ مصدراً ، وهذا الرقم لمجموعة الكتب الأساسية للمكتبة ، دون الإضافات والزيادات التي استقيت من المحاضرات المفرغة ونحوها، ولها إصدار يعرف بالشاملة المكية المربوطة بالمصورات: ومساحتها ٧٠,٢ قيقا ، وتحتوي على ١٠٠٨٠ مصدراً.

ولا زالت المساحة وعدد المصادر غير نهائية ، فهي قابلة للزيادة ، وذلك لأن المجال متاحاً للجميع للإضافة من خلال خاصية (الترقية ، وإمكان الإضافة)، على البرنامج ذاته، أو من خلال موقع المكتبة الشاملة على الشبكة العنكبوتية.

وتمتاز المكتبة الشاملة بكون البرنامج مجانيا وكثرة كتبه وبسهولة البحث وبإضافة أي كتاب عليها وإمكانية تحرير الكتب الموجودة فيها لإصلاح الأخطاء الواقعة قيه ، وإمكانية التعليق عليها وإمكانية ربط الكتاب بطبعاتها المصورة وبشروحه المتوفرة في البرنامج وإمكانية التخريج في أحاديث بعض كتبه، والمقارنة بين التفاسير.

لكن كثرة الكتب ضخمت البرنامج مما أدى إلى بطئه عند تحميله وعند البحث فيه كما أن النصوص المدخلة فيه غير مدققة وتحصل فيها أخطاء تؤدي إلى أن لا يجد الباحث نصا يبحث عنه وهو موجود لكنه مكتوب خطأ، ولا يمكن العزو إلى كتبه غالبا لكون كثير من كتبه لا يتوافق في أرقام الصفحات مع النسخ المطبوعة [١٢].

وهذه التقنية لها ميزات ولها سلبيات.

**فمن مميزاتها :**

١- إمكانية التخزين للمعلومات بكميات هائلة وخيالية، مع صغر المساحة المطلوبة لحفظها، فلا تحتاج إلى مكان واسع لذلك كما هو الحال مع الكتاب الورقي.

٢- تيسر البحث والوقوف على المعلومة داخل نص الكتاب أو الكتب بسرعة.

٣- إمكان نسخ جملة أو صفحة أو أكثر من ذلك ، في أكثر المكتبات الإلكترونية – إن لم يكن في جميعها–، ولصقه في ملفات البحث مباشرة، وإجراء الاختصار والتعديل والإضافة عليه وفق ما يريده الباحث.

[١٢] - انظر المدخل إلى علم التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمد بن عبد العزيز الجمعان ص ٦١-٩٩، الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ /٢٠١٢ دار المسار الرياض

٤- إمكان نشر المادة العلمية تقنياً بشكل واسع وعالمي وسريع، عن طريق شبكة المعلومات (Internet)، وهذا لا يمكن تهيئته في الطباعة التقليدية التي تكون محددة بحسب توزيع دور النشر العادية .

٥- تيسير الحصول وبسرعة على نسخة من أي مادة علمية إلكترونية، وطباعتها أو تخزينها.

**ومن سلبياتها :**

١- كثرة التصحيفات في المكتبات الالكترونية على نحو عام ، -عدا المصورات بصيغة pdf-، وذلك بسبب حرص الشركات على السرعة في الإنجاز ، وما ينتج عن ذلك من عدم الدقة في المراجعة وعند الطباعة ، إضافة إلى عدم وجود مرجعية رقابية دولية على النشر الإلكتروني في البلاد الإسلامية.

٢- العلوم والمعارف تحتاج إلى عقل الإنسان، وفهمه، وتحليله، ودرايته بالمعاني والألفاظ، ومن خلال ذلك يستطيع الباحث الوصول إلى المعلومة في مظانها من المراجع، وهذا ما لا يتوافر من خلال البحث الإلكتروني، لأنه يتعامل مع النص تعاملاً آلياً جامداً، يفتقد إلى روح التفكير، والحدس، والتحليل، والفهم الذي يتعامل به الباحث مع نصوص الكتاب، وأي غلطة ولو يسيرة في إدخال كلمة البحث من قِبل الباحث، أو الكاتب للمادة العلمية للبرنامج، أو عندما يدخل الباحث كلمة مرادفة لما في الأصل، فسيؤدي ذلك إلى عدم الوقوف عليها، مما قد يترتب عليه نفي الباحث لوجودها.

٣- وكما أن الحصول على المادة العلمية يسير وسريع، فإن فقدها كذلك، وذلك لأسباب منها: سوء الحفظ، أو فيروسات الحاسب، أو الأعطال الفنية التقنية التي تؤدي إلى ذلك .

٤- ضعف التوثيق العلمي، فالمكتبات الإلكترونية بشكل عام، تفتقد التوثيق العلمي من قبل جهات علمية تخصصية معتبرة ، ومن أسباب ذلك: جِدّة هذه التقنية ، وعدم وجود آلية عمل واضحة للمتابعة والتوثيق لدى الجهات العلمية المعتبرة ، ولذلك فإن الغالب على المكتبات الإلكترونية عدم الرجوع للكتب الورقية الأصلية ، وافتقادها للتوثيق العلمي المعتبر ، فلا بد إذاً من الرجوع إلى الكتب للتوثق من النص، والتثبت من السلامة من الخطأ أو التصحيف.

٥- ولهذا فإن من أهم ما تنبغي معرفته والعمل به نحو هذه البرامج ، اعتبارها وسيلة بحث، وليست مصدر معلومة، فهي كالفهارس للكتب.

٦- صعوبة الانتقال به، مع الحاجة إلى جهاز الحاسوب، وطاقة كهربائية للتشغيل، خصوصاً أثناء السفر والتنقل في أي مكان، من برِّ أو جو ، ومن صحراء أو مدينة.

٧- إن البرنامج الحاسوبي الالكتروني لا يتيسر لكل أحد، بخلاف الكتاب الورقي، لأنه يحتاج إلى تكاليف مادية لتوفير الجهاز.

٨- ومن السلبيات، أن المتعامل مع المكتبة الإلكترونية لا يتعدى نظره بغيته في البحث، فلا يقف على نصوص ، وفوائد ، لم تكن له على بال، فيبدأ في تحقيقها، والنظر فيها، وهذه الثمرة لا تكون إلا من خلال التعامل مع الكتاب الورقي [١٣] .

٩- وأن أكثر القائمين على إعداد تلك البرامج – مع الأسف الشديد –، غير متخصصين في العلوم الشرعية، مما يشكل خطورة بالغة ، متمثلة في التصحيفات ، والأخطاء الإملائية أو الطباعية، أو الخلل في التصنيف الموضوعي والفهرسة، ونحو ذلك.

**المبحث الخامس التحديات العملية**

توجد لدى بعض الخاصة فضلا عن كثير من العامة عدة ظواهر سلوكية لها أثر سيء على مكانة الحديث الشريف بين الناس.

- أولا: عدم التحري عن تخريج الحديث وثبوته وتناقل الأحاديث الموضوعة أو الشديدة الضعف والعمل بها.
- ثانيا: إهمال تعلم الحديث بالطريقة الصحيحة على علمائه، إذ أن من أنجح الطرق لمقاومة التحديات المستقبلية للسنة النبوية العلم بها وبتاريخها، وذلك بدراسة علوم السنة دراسة منهجية مركزة ملتزمة صحبة المشايخ بآدابها [١٤].
- ثالثا:ضعف تحكيم الحديث الشريف في سائر العلوم والمعارف.
- رابعا: المبالغة في إعلال بعض الأحاديث الصحيحة أحيانا وتطبيق قواعد علمية محتملة لأجل رد كلام من صححها والغفلة عن تمكن أئمة العلماء المحدثين السابقين .
- خامسا: التشديد برفع مدلولات بعض الأحاديث الظنية واحتمال الاجتهاد في فهمها أو المحتملة لكون مقصود الأمر بها التطوع أو إلى درجة القطع ووجوب الاتفاق على مرادها أو الإيجاب.
- سادسا: التغليظ وترك الرفق عند القيام بالنصح وبيان الأحاديث لمن ترك شيئا منها .
- سابعا: الظاهرية المحضة والاجتهاد المحدود والتقصير في الاستفادة من آراء بقية الفقهاء .
- ثامنا: الاعتداد بالرأي الشخصي أو رأي طائفة من العلماء المخالفين لجمهور العلماء في دراسة أسانيد الأحاديث أو في فهم متونها .
- تاسعا: التفرق أحيانا بين المشتغلين بالحديث في أمور اجتهادية محتملة.
- عاشرا: إساءة الظن من العامة تجاه المشتغلين بالحديث وأحيانا منهم لبعضهم .

---

[١٣] - انظر معالم إرشادية لصناعة طالب العلم ، للأستاذ محمد عوامة ص ١٨٤

[١٤] - انظر حلية طالب العلم، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ص ١٥٦ -١٥٧، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ

❍ حادي عشر : تقصير بعض المشتغلين بعلم الحديث في الاقتداء والالتزام بالسنة والتطبيق العملي في بعض الجوانب .

❍ ثاني عشر : التشكيك في النوايا وتصنيف العاملين إلى أحزاب وجماعات متعادية.

❍ ثالث عشر : شدة الردود على المخالفين.

❍ رابع عشر: السطحية والمثالية وقلة التفقه في مقاصد الشريعة وعدم ربط دراسة السنة بالواقع.

**المبحث السادس التحديات المادية.**

❍ أولا: بقاء بعض الكتب الحديثية غير مطبوعة أو طباعتها غير محققة أو غير متقنة وغير جميلة.

❍ ثانيا: حاجة كثير من العلماء الراسخين المخلصين إلى رعاية وتفريغ ليقوموا بدروسهم وأبحاثهم ورحلاتهم العلمية وعدم توفر وضع مكتبي ومنزلي واجتماعي لائق بهم.

❍ ثالثا: احتياج بعض المشاريع المفيدة المتميزة للدعم من أجل استمرارها وإكمالها وارتقائها مثل بعض مشاريع الموسوعات الحديثية المتعثرة والمعرضة للانقطاع ومثل برنامج موسوعة الحديث من شركة حرف الذي سبق الحديث عنه ومثل المطبوعات الرائعة التي تصدرها جمعية المكنز في القاهرة.

❍ رابعا: الإهمال الذي تلاقيه بعض المكتبات الإسلامية العريقة مثل مكتبة حيدر آباد الهند ومثل المكتبات الإسلامية في البلاد التي تقع فيها الفتن حاليا كالشام والعراق .

❍ خامسا: التهديد والتشويه الذي يحيط بعدد من المدارس والجامعات الإسلامية في الهند وتوابعها حيث تتدرج في تدريس العلوم حتى ترتقي إلى الحديث من بداية كتبه إلى أن توصل الطالب إلى الإجازة بالكتب الستة وغيرها بعد دراستها كاملة.

❍ سادسا: ندرة المدارس والجامعات الإسلامية المماثلة في كثير من البلاد.

## الفصل الثاني

## مقترحات لمواجهة التحديات المذكورة سابقاً

المبحث الأول مقترحات تتعلق بمواجهة الشبهات.

١- أن يقوم طلاب الدراسات العليا وغيرهم بتحقيق ودراسة ردود العلماء السابقين على الشبه الموجهة للسنة في زمانهم.

٢- ترجمة كتب السنة وترجمة الردود على ما يثار حولها من شبهات.

٣- إقامة مشروع علمي يجمع كل الشبهات الموجهة للحديث الشريف ويناقشها مناقشة عملية يتبين بها بطلانها.

٤- من أقوى ما يبطل الشبهات الموجهة حول السنة هو إبراز منهج المحدثين بعمقه العملي والفكري وبيان صحة منهج المحدثين , ومعالم الإتقان في قواعده.

٥- لابد من تكوين جيل من الباحثين المتسلحين بثقافة العصر للرد على شبهات هؤلاء القارئين الجُدد لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذين مُكِّن لهم في هذا العصر: نشراً لكتبهم، وظهورا لمقدَّميهم وكبارهم في أجهزة الإعلام.

٦- لا بد من إدراج مواد جديدة في مناهج التعليم الجامعي والعالي لعرض شُبه هؤلاء في الأحاديث التي أشْكلَ فهمُها عليهم، وتفنيد هذه الشُّبه وفق قواعد العلم، ومقتضيات البحث الموضوعي.

٧- عقدُ ندوات ولقاءات علمية في الجامعات والمنتديات ومراكز البحث المعروفة، لمدارسة آخر ما يُصْدره هؤلاء من أراجيف حول السنن التي اشتملت عليها دواوين الحديث، والنظر في سبل الرد عليها، ومناقشتها بالحجة والبرهان.

٨- دعوةُ رجال الدعوة والفكر في هذه الأمة، للإدلاء بدلوهم في الردِّ على شُبهات هؤلاء القارئين المعاصرين للسنة المشرفة، بما أوتوا من خبرة طويلة في مقارعة الخصوم ومجادلة المخالفين، كتابةً ومحاورةً، ونشرُ نتائج ذلك على نطاق واسع، في الصُّحف السيَّارة، والمجلاَّت المحكَّمة، وعلى المواقع الإلكترونية المشهورة بكثرة زوارها والمختلفين إليها، وعلى شاشات الفضائيات التي ينظرُها الملايينُ عبر أرجاء العالم الفسيح.

٩- أن تحرص الجمعيات الإسلامية في بلاد الأقليات على مراجعة ما تحويه المكتبات من كتب مغرضة، مع القيام بما يجب من التوجيه والنصح.

١٠- الرد على هذه الشبهات بمستوى قوي وتفريغ مجموعة من حذاق المحدثين ليكونوا على مستوى التحدي في كل مواضعه .

١١- مناصحة المكتبات العامة والتجارية بشأن الكتب والمقالات المحتوية على الشبهات وبيان ضررها، ودعوتهم إلى مقاطعتها.

١٢- فضح التيارات المغرضة بشكل قوي يؤدي إلى تحصين عامة الناس وحذرهم منها.

**المبحث الثاني مقترحات تتعلق بمواجهة الطبعات التجارية والضعيفة.**

من الضروري قيام دراسات فاحصة شاملة لتلك المطبوعات والبرامج، يتولاها دارسون على قدر رفيع من العلم والفهم والتمكن في علم الحديث وفي الطباعة أو التقنية.

وحبذا لو تولى ذلك طلبة علم أكفاء في الدراسات العليا في رسائل علمية متخصصة، وهذا سيثمر فوائد جمة، أهمها تمييز الطبعات ومعرفة المقبول منها من غيره.

ومن الجدير بالانتباه ما أقدمت عليه بعض دور الطباعة والنشر من إعادة طباعة كتب السنة ونشرها مع شيء من التحقيق أو التهذيب أو الاختصار فينبغي متابعة ذلك بدقة.

**المبحث الثالث مقترحات تتعلق بالبرامج الحاسوبية .**

وهي عبارة عن توجيهات لمن يستفيد من تلك البرامج:

١- أن يحرص من يريد الاستفادة من هذه المكتبات الالكترونية، على معرفة مصدرها، ومدى الثقة بالشركة المنتجة، والقائمين على العمل، مع السؤال عن أفضل هذه البرامج قبل الشراء.

٢- أن يدرك أن هذه المكتبات الحاسوبية يعتريها النقص والضعف والخلل ، ولهذا ينبغي أن يعتبرها الباحث فهارس لا تغنيه عن الرجوع للأصول الورقية ، فيحتاج إلى الرجوع إلى الطبعات المتقنة وعدم الاكتفاء بالبرامج من أجل تلافي السلبيات الواقعة في استخدام البرامج الحاسوبية والتأكد من صحة الإحالة، وسلامة النص ، وكل ذلك لأهمية التوثيق.

٣- إذا لم يقف الباحث من خلال طرق البحث الآلي على المعلومة المطلوبة، فلا ينفي وجودها بناءً على ذلك، وإنما ليبحث عن المعلومة في مظانها من المصادر العلمية الورقية.

٤- ضرورة التنسيق بين مهندسى الحاسبات العاملين فى هذا الحقل الشريف والباحثين والمحققين المختصين بعلوم السنة النبوية ، وذلك لتخرج الأعمال الموسوعية دقيقةً متميزةً من الناحية العلمية , مع الإفادة فى الوقت نفسه من التقنية الحديثة فى مجال السنة .

٥ - ألا يغفل الباحث وطالب العلم ، عن أن البرامج الحاسوبية لا تغنى عن التواصل مع العلماء والمشايخ وطلاب العلم ، فسنة الطلب ستبقى بمجالسة العلماء والتلقي عنهم ، ومدارستهم ، والأخذ من سمتهم وأدبهم وأن تبقى مكانة الكتاب الورقي في المكتبة الإسلامية ، وألا يقل اهتمام الباحث بالأصول ، فهي الأوثق والأنفع ، فإن البرامج الحاسوبية تعتمد عليها القراءة السطحية والبحث السريع، أما القراءة المتعمقة المستمرة لفترة طويلة فلا بد لها من مطالعة الكتاب.

**المبحث الرابع مقترحات للمؤسسات العلمية وأصحاب الأموال وصانعي القرار:**

١- أحثّ المؤسسات العلمية ووزارات الشئون الإسلامية، وإدارات البحوث العلمية والإفتاء، والجامعات الإسلامية، والجمعيات العلمية الحريصة على الحديث ونفي الشبهات عنه على أن يكون لها أكبر الجهد في العناية بهذا الموضوع من خلال كل ما تستطيعه .

ومن ذلك إنشاء أقسام متخصصة في السنة ملتزمة بنصرة الحديث وروايته وتعليمه والمحافظة عليه تعنى بالحديث الشريف تحقيقا وطباعة ومتابعة للفهوم المنحرفة والشبهات المغرضة .

وتقوم هذه الأقسام بخدمة الحديث في أمور كثيرة منها أمران رئيسان:

**الأول**: بواجبها تجاه الطباعة: رقابة ومراجعة لما يطبع وينشر في الانترنت، وإصدار دوريات ونشرات تتضمن خلاصات للدراسات التي تقوم بها وتشجيع الأعمال الجيدة بطبعها، والكشف عن المغالطات التي تحويها الكتب المغرضة.

**الثاني**: أن تتولى تلك الأقسام تحقيق كتب السنة بصورة علمية صحيحة؛ وبذا تكون هذه الطبعات بديلا عن تلك الطبعات الضعيفة.

وإذا كان أداء هذه الأمانة منوطا بالمؤسسات العلمية عموما؛ فإن أجدرها بالقيام بذلك: المؤسسات العلمية كوزارات الشئون الإسلامية، والجامعات الإسلامية، والجمعيات العلمية وغيرها من الجهات.

ولا أنسى جهود وزارة الشؤون الإسلامية في قطر ومكتبة الأستاذ نظام يعقوبي الخاصة في البحرين في طباعة مجموعة كبيرة من كتب الحديث في أبهى حلة وتسهيل حصول أهل العلم عليها .

وإذا كان مشروع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة مشروعا فريدا في بابه، متميزا في أدائه وثمراته؛ فإن النفوس تتشوف إلى مشروع بمثل حجمه وإمكاناته يُعنى بطباعة الحديث والسنة النبوية، ولمركز السنة والسيرة سابقة مشكورة في ذلك.

٢- توفير المؤسسات العلمية المعتبرة والمكتبات العامة ومتاجر الكتب للنسخ المتقنة والأبحاث الجيدة في الحديث الشرعية والإعراض عن الكتب التي تفوق السهام إلى الحديث أو تشوه صورة المحدثين.

٤- إيجاد المفقود وتكثير الحشود ودعم الموجود وتطوير الجهود القائمة لإشاعة الحديث الشريف وخدمته.

٥- إيجاد قنوات فضائية ومواقع الكترونية ومدارس وحلقات وجامعات من خلال مؤسسات استثمارية تجارية يكون ريعها وقفا لمشاريع علمية وعملية من شأنها رفعة الحديث الشريف.

٦- أدعو أهل الخير إلى التسابق في طباعة كتب الحديث بصورة السنة وتوزيعها، كما أحثهم على الاحتساب في طباعة الدراسات النقدية للشبهات.

٧- العمل على توسيع رقعة المشتغلين بالحديث الشريف إذ من الثابت عند أهل الشأن أنه كلما ازداد نور السنة وشاع في كل أفق فإن الإسلام وأهله يكونون على خير حال في عقيدتهم وأعمالهم وجميع أحوالهم.

٨- أقترح على أصحاب الأموال ومالكي القرار تخصيص مدارس وكليات للحديث الشريف في كل بلد إسلامي والدعم المالي والسياسي لما هو موجود منها ومستهدف من المخالفين.

٩- أدعو إلى حوار أهل القرار مع أمثالهم في الدول التي يظهر دعمها لمثيري الشبهات ضد الحديث الشريف ، ومحاولة منعهم سياسيا والضغط عليهم اقتصاديا بعد محاولات إقناعهم بعدم التعرض

والكيد للسنة ومدارسها وإشاعة الشبه حولها ، وتفهيم المنصفين منهم بأن سلوكهم هذا غير حضاري منهم.

**المبحث الخامس مقترحات سلوكية للمسلمين عموما وللمتدينين والصالحين خصوصا :**

١- على عموم الناس والدعاة وأئمة المساجد وغيرهم الحذر من نقل الأحاديث الموضوعة والشديدة الضعف وأن يقوموا بواجبهم تجاه هذا الموضوع فيحذّروا غيرهم أيضا، ويتوجهوا للبديل النافع.

٢- تقوية سلوكيات ذات أهمية بالغة في نصرة الحديث الشريف كالاعتزاز بالمحدثين من خلال معرفة سيرهم وجهودهم .

٣- ترسيخ معنى اتباع الحديث الشريف في نفوس الناس من خلال ترغيبهم في المحافظة على الصفات المسنونة للأعمال الشرعية والالتزام بسنن العادات والأحوال المتكررة والحرص على السمت الشرعي في المظهر واللباس.

٤- التعود على التثبت من صحة ما ينقل ونحو ذلك.

٥- ترك التعصب الحزبي المتقوقع ضمن تيارات محدودة ولو تسمت بأحلى الأسماء.

٦- الصبر ضد مضايقات المخالفين الشخصية والتحلي بالخلق الحسن في التعامل معهم رجاء هدايتهم ولا سيما من كانوا متخصصين ويتوقع أن لهم اجتهادات مرجوحة.

**المبحث السادس مقترحات موجهة إلى طلبة العلم والمتخصصين في الحديث الشريف :**

١- أرغب في العناية بعلم الإعجاز العلمي في السنة لما له من أثر كبير في رد الشبهات.

٢- الترغيب في ملازمة العلماء وبناء مدارس متخصصة للحديث .

٣- استغلال الفرص المتاحة كالصحف والانترنت والجوال لنشر الأحاديث الصحيحة والرد على الشبهات حولها.

٤- العناية بتحقيق كتب الحديث وخاصة المخطوطات وإخراجها بصورة متقنة ومراعاة المنهجية الصحيحة في الطباعة والرسائل العلمية.

٥- إبراز منهج المحدثين بإتقانه وعمقه العلمي والفكري .

٦- أن تكون "التحديات المعاصرة" من الموضوعات التي يتناولها طلبة الدراسات العليا المؤهلون في رسائلهم العلمية.

٧- التأكيد على أن باب الاجتهاد فى الحكم والتعليق على أحاديث غير الصحيحين بابٌ مفتوحٌ لعلماء الأمة المتخصصين بشرط امتلاك ملكات ذلك الأمر , وتطبيق القواعد المتبعة فيه

تطبيقًا علميًّا دقيقًا فالحكم على الحديث لا ينبغى أن يصدر إلا من العالم المجتهد المتخصص فى علوم السنة ، مع اعتبار الصحيحين حمًى غيرَ قابل للطعن فيه بأى حال من الأحوال.

٨- أن تكون الكتابةُ في مناهج فقه الحديث وفقا للضوابط المنهجية.

٩- أقترح على العلماء التعارف والتواصل والتشجيع لبعضهم.

١٠- تكوين رابطة علماء الحديث الشريف من شتى الأقطار العربية والإسلامية لهدفين أولهما : للتواصل بين المشتغلين بالحديث ونشر المحبة بينهم وتهيئة جسور التكامل بينهم ويكون من أولوياتها أيضا أن تستشرف البلاد وتبحث عن العلماء الراسخين المخلصين المجتهدين في خدمة الحديث في بلاد شتى ربما دون أن يعرفهم الكثيرون لكونهم يعملون بإخلاص ومن دون ضجيج إعلامي أو طلب للشهرة وتتواصل معهم وتدعمهم وتكرمهم وتتيح الاستفادة منهم.

وثانيهما مناقشة القضايا المتصلة بالسنة النبوية حاضرًا ومستقبلاً ، وبداخله هيئة علمية تشرف على ما ينشر من كتب السنة ؛ للتحذير من النشرات التجارية المخربة والمفسدة والمنتحلة لتراث السنة.

١١- الاجتهاد في تعلم الحديث وأخذه عن علمائه والعناية بعقد محاضرات فقهية ووعظية معتمدة على شرح الحديث الشريف وعقد دروس علمية في شرح الحديث الشريف.

وقد دأب العلماء في عدد من الأمصار على توالي الطبقات والأزمان في معاهد علمية وجامعات إسلامية متعددة على تعليم الحديث بطريقة منهجية رائعة.

فبعد أن يتلقى الطالب المتون المختصرة في العقيدة وعلوم العربية والفقه وأصوله والحديث ومصطلحه ، ويكون المتن المختصر غالبا هو الأربعون النووية يدرس بعض المختصرات الجامعة كالعمدة والبلوغ ورياض الصالحين والمشكاة المصابيح ومختصر البخاري.

ويرغَّب الطالب في حفظها ويقوم الشيخ بشرحها شرحا مفصلا.

وقد يتم بعد ذلك المرور على ما تيسر من أمهات كتب الحديث بحيث يقرأ الطالب قراءة متقنة لا تردد فيها ولا لحن ويتوقف في المواضع التي لم ترد في الكتب السابقة على القراءة ليقوم الشيخ فيها بالتعليق عليها بصورة وجيزة ، وإذا كانت القراءة مدرسية يعقد اختبار لطلاب العلم الذين اشتركوا في السماع ويعطى الناجحون إجازة مكتوبة بالرواية [١٥].

وبالإضافة إلى ذلك دأب جمع من العلماء على عقد مجالس الرواية في المساجد أو البيوت يحضرها إما طوال العام أو في أوقات فاضلة أو في عطلات المدارس بحيث تكون لمدة ساعة أو ساعات

١٥ - انظر مقالة اهتمام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بالحديث النبوي وأثره في العقيدة للشيخ الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل، في مجلة الدرعية العدد ٣٣، وعلماء مظاهر علوم سهارنفور وإنجازاتهم ، للشيخ محمد شاهد الحسني السهارنفوري ١/١٠٦-١٠٧ ، الطبعة الأولى ١٤٣١ ، مكتبة الشيخ التذكارية سهارنفور الهند ، ومعالم إرشادية لصناعة طالب العلم للأستاذ محمد عوامة ص ١٩٣، ٣٨٨

يوميا إلى أن يختم الكتاب بصورة لائقة باحترام الحديث تخلو من الهذرمة والمتاجرة والمفاخرة والاستكثار.

وقد يشترك في هذه المجالس العوام طلبا لثواب مجالس الخير وتعلم ما يتيسر لهم منها والصلاة والتسليم على رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد يرى الشيخ أن يجيز للحاضرين في المجلس جبرا لما يمكن أن يكون فاتهم أو رجاء منه الأهلية في الحاضرين مستقبلا ولو كان بعضهم ليس ممن تلوح عليه علامات الإتقان لكونه لم يتدرج بالطريقة السابقة .

فقد يجاز من يغلب على الظن رجاء تأهله في مستقبل الأيام فإن اشتراكه في المجالس على سبيل المداومة والاستمرار مع ما فيها من جهد يدل على رغبته القوية في تعلم الحديث الشريف ، وكان أحمد بن ميسّر المالكي [١٦] يقول : الإجازة عندي على وجهها خير وأقوى في النقل من السماع الرديء[١٧]، أي أن الإجازة المتيقنة بشروطها أفضل من السماع المشكوك فيه أو الذي يكون فيه تشويش أو نوم وكلام بين الناس أو يكون فيه تفويت لبعض المقروء استعجالا، فلا يتم صدق المحدث في دعواه القراءة.

ومع هذا فيجب وضع الإجازة في موضعها وعدم المبالغة في الاعتناء بها والاستكثار منها على حساب السماع والرواية، والتعرف على كتب الحديث، والتفقه، وإتقان العلم.

وقد شاعت في الآونة الأخيرة طريقة جديدة في قراءة كتب السنة النبوية على مجموعة من المسندين سردا بسرعة مفرطة ليحصل الحاضرون على الإجازة بها ، وذلك في مجالس يحضرها العامة والخاصة وقد يكون كثير منهم غير متقن لقراءة الحديث ولا لعلومه ولا لفقهه وفهم غريبه ولم يقرأ الكتب التي تسبق الكتاب المقروء من المختصرات الجامعة كما سبق .

وقد يحرص على أن يكون من يُقرأ عليهم معمرين أو ذوي أسانيد عالية من دون أن يراعى صحة التلقي وشدة الملازمة وعمق التفقه ونحو ذلك .

وقد يتعنت بعض منظمي هذه المجالس بتطويل المجالس جدا بشكل غير محتمل ، وذلك بغية ختم الكتاب في يومين أو ثلاثة ، وقد يتكلف تحديد أرقام الأحاديث التي فاتت البعض ولو فاته سماع جزء من حديث ، وكأننا نثبت بهذه القراءة الأحاديث التي دونت في كتب السنة ، ويترتب على ذلك أن يطلب هؤلاء الذين حصل لهم الفوت على كثرتهم أن تعاد لهم قراءة أفواتهم ، وفي هذا كله من الحرج على كثير من المشايخ المعمرين ما يسكتون عليه حياء ورغبة في تلبية مراد طلاب العلم وإفادتهم .

[١٦] - أبو بكر أحمد بن محمد بن خالد بن ميسر الفقيه الإسكندراني شيخ المالكية صاحب ابن المواز وراوي كتابه ، صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر، توفي في رمضان سنة تسع وثلاث مئة ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٢

[١٧] - فتح المغيث شرح ألفية الحديث للحافظ: شمس الدين أبو الخير السخاوي ج ٢/ ٦٥ -٦٦ ، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ

كما يلاحظ على البعض الحرص الشديد على تحصيل الإجازة بالكتب المقروء موثقة مختومة ليقوم بتدريسه وهو أمر يدل على أنه يريدها شهادة بإتقانه يستدل بها على علمه أكثر من الدلالة على الرغبة في العلم أو بركة سماع الحديث ، مما يشكل حرجا أيضا لأن المجيز لا يثق من خلال هذه المجالس المؤقتة بكون المشتركين فيها على مستوى القدرة على التعليم والإفادة فيكون مشاركا في مسؤولية تقديمهم إلى الناس على أنهم علماء.

وأخشى أيضا أن تثمر هذه المجالس السريعة أحيانا في نفوس المجازين فيها من الدعاوى والاغترار بالنفس وانتقاص كبار العلماء ودعوى مساواتهم أو العلو عليهم ومحاولة سحب بساط الصدارة عنهم .

فهذه الطريقة في مجالس السماع ليست كحال مجالس السماع التي أدعو إليها والتي كانت عند العلماء السابقين ، وأرى أن المنشغلين بها لا يستفيدون كثيرا ، بل ربما يحصل الضرر للبعض حينما يخيل إليه أنه بمثل هذه المجالس يستغني عن ملازمة العلماء الذين أفنوا أعمارهم في تعلم الحديث ويصبح يتفاخر بأنه قرأ أمهات الكتب على عشرة من كبار المسندين مثلا وأن سنده عال، مع أنه لم يمض له في طلب العلم غير بضع سنوات ويجلس للإقراء .

وإنما المفيد حقا هو إتقان المختصرات وحفظها ثم قراءة ما تيسر من الأمهات بتفهم وإجازة ما بقي منها مع الحرص على إكمال بعضها ولو أكمل الصحيحان وحدهما .

فلو أنه اكتفى بقراءة بعض المختصرات وشروحها كالعمدة أو البلوغ مع شرحهما للشيخ البسام مثلا وتذاكر فيها مع طلبة العلم المبتدئين وكان اتصاله بالعلماء هاتفيا أو بالانترنت أو حال اللقاء لسؤالهم عما يشكل عليه أثناء تلك القراءة ورجع وأخبر أصحابه بما استفاده لكان خيرا له ولهم .

ويذهب بعضهم إلى أن هذا من الانشغال بما هو خير من عدمه، وهذا صحيح إن سبقه أو تبعه التفقه والتعلم والتأدب والصحبة والاقتداء وخلا من الدعاوى وسوء الأدب مع العلماء على اختلاف اجتهاداتهم.

ويحتج بعضهم على هذه السرعة بما نقل من ختم عدد من العلماء السابقين كتبا كبيرة على شيوخهم في بعض الأوقات، وهو قياس مع الفارق ، وذلك أن أولئك العلماء كانوا قد سبق لهم تلقي الكتب أولا على ما يرام من الدقة والإتقان والفهم والدراية ثم تلقوها بطريقة السرد رغبة في مقاصد أخرى مثل علو السند وبركة عمارة الأوقات الفاضلة وختم الكتاب في الأمكنة المباركة، وأؤكد أن موقفي من هذه المظاهر الحادثة لمجالس السماع هو موقف الناصح لا موقف من يرفض المجالس عموما أو يقلل من شأنها.

**الخاتمة وفيها تلخيص لأهم نتائج البحث:**

ألخص أهم ما ورد في البحث فيما يلي :

إن هذه التحديات متنوعة ومتفاوتة ، فمنها ما هو محاربة الكافرين بغضا منهم للحق وحسدا للمسلمين على ما أنعم الله به عليهم ، ويظهر في شكل سخرية صريحة تارة وفي شكل كيد مبطن أخرى.

وهذا النوع يلزم الرد عليه وفضحه لإقامة الحجة عليهم ودفع شرهم عمن لا يعرف بطلان خدعهم .

ومنها ما هو جهل من عوام المسلمين الذين لا يعرفون مكانة السنة وجهود العلماء في تدوينها ، ومنها أخطاء ومغالطات علمية واقعة من بعض المثقفين وربما تقع أحيانا من بعض العلماء انهزاما منهم أمام أغاليط الزنادقة وتأثرا بها أو اتباعا للهوى حيث يجدون في تملصهم من اتباع السنة مندوحة في التهرب من تكاليف شرعية ثقلت عليهم أو رغبة منهم في حفظ عقائد بسطاء المثقفين الذين يتخيل لهم أنهم متنورون فيستشكلون بعض الأحاديث التي يصعب عليهم فهمها فيذهبون إلى إنكارها والزعم بأنها غير ثابتة ليبقوا على إسلامهم ، وعلاج هذا وذاك إشاعة العلم والتعمق فيه .

ومنها ما هو من نمط السلوك المخالف للسنة في حقيقته مع كون صاحبه مشتغلا بعلم الحديث مثل إهدار الجهود العظيمة التي توارثتها الأجيال والتشدد العلمي والغلظة في التعامل، وعلاجه المجاهدة والتوجيه والدعوة للمحاسبة والتقوى.

ومنها ما هو من التقصير في اتباع الحديث وتقدير علمائه والنفور منهم وتعميم بعض المواقف الفردية الواقعة من بعضهم على الجميع، وعلاجه تعريف الناس بفضل أهل الحديث وتبصيرهم بتفاوت المشتغلين به وترغيبهم في إحسان الظن.



# دور السّنة النّبويّة في رعاية عناصر البيئة

**زياد محمد علي عبد الحفيظ الذريوي**
جامعة مرمرة - تركيا



**ملَخّص البحث:**

البيئة: هي الوسط المادّيُّ والمعنويّ الّذي يعيش فيه الإنسان فيُؤثِّر فيه ويَتأثَّر به، ومن هنا فإنّ الإسلام لم يُهمل هذا الجانب المُهمّ في حياة الإنسان، وفي هذا البحث سُلّط الضوء على السُّنة النَّبويّة باعتبارها المصدر الثّاني للتّشريع الإسلامي متناولاً دورها الرّيادي في مجال رعاية البيئة سلماً وحرباً، وبخاصّة في مضمار حماية العناصر الأساسيّة للبيئة. ونظراً للكمّ الهائل من النّصوص النّبوية في هذا الميدان، اقتُصر الحديث عن أبرز تلك النّصوص وما يمكن أن نستشقّه منها في مجال حماية العناصر الأساسيّة للبيئة، وبذلك قُسّمت هذه الدّراسة إلى مبحثين: المبحث الأوّل: مدخل إلى مفهوم البيئة. تناول آراء الباحثين المتباينة حول المفهوم اللُّغوي والاصطلاحيّ للبيئة. وكذلك علاقة المسلم بالبيئة مبيّناً أنّ هذه العلاقة هي علاقة ودٍّ واحترام، وكيف أوجدت السُّنّة النّبويّة ترابطاً وثيقاً بين الإنسان المسلم ومكوّنات بيئته إلى درجة التّآنس والتّرابط والتّعاطف. المبحث الثاني: حماية العناصر الأساسية للبيئة في ضوء السنة النبوية. اشتمل المبحث على الشّواهد النّبويّة الّتي تحثّ على حماية كلّ عنصر من عناصر البيئة من الإنسان والحيوان والنّبات والماء والأرض بشيء من التّحليل. وخلاصة البحث تكمن في أنّ السُّنّة النّبويّة قد أولت اهتماما كبيرا بالسّنة النّبويّة، ولكن المشكلة تتجسّد في آليّة فهم السُّنّة فهماً صحيحاً مُوسّعاً بعيداً عن ضيق الفكر وسطحيّة الفهم.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم أمّا بعد:

إنّ حماية البيئة في هذا العصر لم تعد تقتصر على جهة أو دولة أو قارّة معيّنة بل أصبحت مُهمّة جماعيّة، فالأصوات الّتي تنادي بحماية البيئة قد ارتفع صداها في هذا العصر أكثر من أي وقت مضى، وذلك لأن عواقب الإهمال البيئي أصبحت جلية وظاهرة للعيان وتمسُّ كلَّ فرد فينا.

وإن المنظور الضيق في فهم الرسالة الإسلامية هو الذي حال بيننا وبين الاهتمام بحماية البيئة في ضوء الشريعة الإسلامية، فديننا الإسلامي ليس مجرد صلاة وصوم وزكاة فحسب بل يجب أن نرى هذا الدين حيا في سلوكنا وتصرفاتنا وفي محيطنا وفي بيئتنا التي نعيش فيها.

وفي هذا البحث واجهت الباحث بعض المشاكل المتمثلة في قلة المصادر في مكتبة الجامعة، وحتّى إن وجدت هذه المراجع فإنها تتباين تباينا كبيرا في تقسيمها العلمي،حيث لم يجد الباحث نمطا

متفقا عليه في آلية التقسيم ،ومن بين تلك المشاكل تشعب وتبحر الموضوع ،فحاول الباحث جمع بعض الأحاديث ذات العلاقة المباشرة بشيء من التفصيل.

**أهداف البحث:**

١. الإشارة إلى علاقة المسلم بالبيئة.
٢. بيان مدى اهتمام السنة النبوية برعاية البيئة.

**أهمِيّة البحث:**

١. بيان مدى الحرص الشّديد للسُنّة النّبويّة على رعاية البيئة وتنميتها.
٢. بيان كيف حثَّت السُنّة النّبويّة على الحفاظ على كل عنصر من عناصر البيئة.

**أسباب اختيار الموضوع:**

١ الانطلاق من مشكلة معاصرة لمجتمعنا.
٢مراعاة أن حماية البيئة من أهم المعايير التي تصنف على أساسها دول العالم إلى دول العالم الأول، ودول العالم الثاني، ودول العالم الثالث.

**مشكلة البحث:** بعض المسلمين في وقتنا المعاصر وضعوا الاهتمام بالبيئة في ذيل قائمة الأوّلويّات.

**تساؤلات البحث:**

س١ ما علاقة المسلم ببيئته؟
س٢ ما مفهوم البيئة؟
س٣ كيف اهتمت السنة النبوية بالحفاظ على كل عنصر من عناصر البيئة الأساسية؟

**المنهج المُتَّبع في البحث:** سيتم اتباع المنهج الوصفيّ التّحليلي باستعراض الأحاديث النّبويّة ذات الصّلة.

**فرضيّة البحث:** إن السُنّة النّبويّة كانت سبّاقة في مضمار تنمية البيئة ورعايتها والحفاظ عليها .

**الدّراسات السّابقة:**

١. **دراسة على ميلاد الرّيشي بعنوان: ((ومضات إسلاميّة في آفاق البيئة)):** عرضت هذه الدراسة لقضية البيئة بمفهومها الواسع والشامل مشتملة على العلاقة الحميمة التي تربط المسلم ببيئته، وقدمت حلولا للتصدي للانحرافات المهلكة للبيئة.

٢. **دراسة علي علي السُّكري بعنوان :((البيئة من منظور إسلامي)):** تناولت هذه الدراسة المنطلق العلمي للبيئة وتأصيله إسلاميا بعرض بعض الآثار الواردة في ذلك، وأشارت إلى أن الإسلام هو أول من وضع نظام المحميات الطبيعية في منطقتي مكة والمدينة.

**خطَّة البحث:**

**المبحث الأوّل: مدخل إلى مفهوم البيئة.**

المطلب الأوّل: مفهوم البيئة.

المطلب الثّاني: علاقة المسلم بالبيئة.

**المبحث الثّاني: حماية العناصر الأساسيّة للبيئة في ضوء السُّنّة النّبويّة.**

المطلب الأوّل: حماية عناصر البيئة الأساسيّة: ((الإنسان – الحيوان – النّبات –الماء - الأرض)).

## المبحث الأول

## مدخل إلى مفهوم البيئة

### المطلب الأول: مفهوم البيئة.

أولا: المفهوم اللُّغوي للبيئة: البيئة في أصل اللغة من بوأ وهي المنزل، والمسكن، والمحل[١]، وقد ذكر ابن منظور[٢] تبوأ بمعنيين قريبين من بعضهما:

المعنى الأول: وهو الحالة فيقال: باءَتْ بِبيئةِ سُوءٍ أَي بحالِ سُوءٍ وإنه لحَسَنُ البِيئةِ وعَمَّ بعضُهم به جميعَ الحال.

المعنى الثاني: بمعنى النزول والإقامة، كأن تقول: تبوأ المكان أي حله، ونزل فيه، وأقام به(٣)، ومن ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ}[٤] من الذين سكنوا المدينة من الأنصار واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله. قال ابن منظور: جعل الإيمان محلا لهم على المثل، وقد يكون أراد وتبوءوا مكان الإيمان وبلد الإيمان، فحذف[٥]. ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[٦] أي لينزل منزله من النار. وقوله صلى الله عليه وسلم: "يَا مَعْشَرَ

---

١ - لسان العرب، ابن منظور ، مادة: بوأ،ج١/ص٣٦-٣٩.

٢ - (٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى ، انظر الأعلام، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، ط: ١٠ ،١٩٩٢م،ج٧/ ص ١٠٨.

٣- لسان العرب، ابن منظور ، مادة: بوأ،ج١/ص٣٦-٣٩.

٤ - سورة الحشر: الآية ٩.

٥- لسان العرب، ابن منظور ، مادة: بوأ،ج١/ص٣٦-٣٩.

٦ -أخرجه مسلم في صحيحه ،المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ، برقم ٣ ،ج١/ص ٧ .

الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ"[٧]، وهنا أراد بالباءة النكاح والتزويج، والأصل في الباءة التزويج ثم قيل لعقد التزويج باءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا[٨]. وقال الشاعر طرفة بن العبد[٩]:

**طيبو الباءة، سهل، ولهم سبل إن شئت في وحش وعر**[١٠]

وأَبَأْتُ الإبلَ أي: رَدَدْتُها إلى المَباءة، والمَباءة بيتها في الجبل[١١]، ومن هذا العرض اللغوي الموجز يتضح لنا أن البيئة تعني الحالة والنزول والحلول في المكان، ويمكن أن تطلق مجازا على المكان الذي يتخذه الإنسان مستقرا لنزوله وحلوله[١٢].

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للبيئة: استخدم علماء المسلمين كلمة البيئة بمفهومها الاصطلاحي منذ القرن الثالث هجري، ولعل ابن عبد ربه [١٣] –صاحب العقد الفريد– هو أقدم من نجد عنده المعنى الاصطلاحي للكلمة في كتابه الجمانة،للإشارة إلى الوسط الطبيعي الجغرافي والمكاني والإحيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي، بما في ذلك الإنسان، وللإشارة إلى المناخ الاجتماعي المحيط بالإنسان[١٤]. وللبيئة في معناها الاصطلاحي تعريفات عدة:

**البيئة:** هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويلجأ إليه طلبا لمنفعة أو درءاً لمضرة، وأوجز تعريفٍ لها ما جاء فى مؤتمر البيئة البشرية الذي عقد في اسكتهولم ١٩٧٢ م على أنها كل شيء يحيط بالإنسان وهى بذلك تشمل كل ما في كوكبنا من جماد وأحياء[١٥]، كما يمكن تعريف البيئة على أنها الوسط الذي يعيش فيه الإنسان فيؤثر فيه ويتأثر به، وعرفها أحد الباحثين بقوله: "هي المحيط المادي والحيوي والمعنوي الذي يعيش فيه الإنسان"[١٦] وهذا هو ما أميل إليه لما فيه من شمول واتساع لمفهوم البيئة المعنوي والمادي .

---

٧ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، برقم ١٤٠٠ ،ج٢/ص٧٢٥ .

٨- لسان العرب، ابن منظور ، مادة: بوأ،ج١/ص٣٦-٣٩.

٩ -(٨٦ - ٦٠ ق هـ = ٥٣٨- ٥٦٤ م) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو، شاعر جاهلي،انظر الأعلام، الزركلي، ج٣/ ص ٢٢٥ .

١٠ - شرح ديوان طرفة بن العبد ، سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط :١ ، ١٩٩٤ م، ص ١٥٥.

١١- لسان العرب، ابن منظور ، مادة: بوأ،ج١/ص٣٦-٣٩.

١٢ - قضايا البيئة من منظور إسلامي،أحمد عبد الرحيم السايح،أحمد عبده عوض، مركز الكتاب،القاهرة،مصر،ط:١،٢٠٠٤ م،ص١٧.

١٣- (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ = ٨٦٠ - ٩٤٠ م) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، انظر الأعلام ، الزركلي ، ج١/ ص ٢٠٧،.

١٤ - قضايا البيئة من منظور إسلامي ، أحمد عبد الرحيم السايح ،أحمد عبده عوض،ص١٧ .

١٥ - ومضات إسلامية في آفاق البيئة، على ميلاد الريشى،إصدارات الهيئة العامة للبيئة طرابلس الجماهيرية العظمى, ص١٣ .

١٦ - السياحة والأبعاد البيئية، كواش خالد، مجلة جديد الاقتصاد ، مجلة علمية تصدر عن الجمعية الوطنية للاقتصاديين الجزائريين،ع٠٢/ديسمبر٢٠٠٧:١٢٣. نقلا عن: أثر الوقف الخيري في تنمية الاقتصاد البيئي، عبد القادر عزوز، بحث غير منشور مقدم للمؤتمر العلمي الدولي السنوي التاسع: اقتصاديات البيئة والعولمة،جامعة الزيتونة ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٩ ف.

**المطلب الثاني: علاقة المسلم بالبيئة.**

إن العلاقة بين الإنسان المسلم وبيئته هي علاقة ودّ واحترام، لأن المسلم ينظر إلى الكون على أنه نعمة امتن الله بها عليه. فعلى الرغم من كل الكوارث الطبيعية والمصاعب التي تواجه الإنسان من جراء ما ينتاب الكون من عواصف مدمرة وموجات حر مهلكة وبراكين وزلازل، إلا أن المسلم يواجه ذلك الواقع بحالة من الرضا، وعدم التذمر والسخط لما روي عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ"(١٧).

ويتميز الإسلام بخاصية إيجاد ترابط وثيق بين الإنسان ومكونات بيئته لدرجة الترابط والتعاطف والتآنس، وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الترابط والتعاطف الذي وصل إلى درجة الحب والود كما ورد في قولهصلى الله عليه وسلم وهو عائد إلى المدينة من غزوة تبوك حين بدت له مشارف المدينة ولاح له من بينها جبل أحد، فقال: "هَذِهِ طَابَةُ(١٨) وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ"(١٩)، ومن المعروف أن هذا الجبل قد شهد غزوة أحد التي استشهد فيها سبعون من المسلمين وعلى رأسهم عم النبيصلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب(٢٠) رضي الله عنه الذي كان من أعز الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشدهم بأساً في الدفاع عن الإسلام، وفي هذه الغزوة أوذي النبي صلى الله عليه وسلم وأشيع نبأ وفاته وكسرت رباعيته، وربما لو كان هناك شخص آخر مكان الرسول صلى الله عليه وسلم لعبر عن تشاؤمه من هذا الجبل ولما أطاق حتى النظر إليه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عبر عن عاطفته نحوه بجملة تفيض محبة وودا، فلم يكتف بأن قال إننا نحبه، بل قال عن الجبل إنه يحبنا،أي يتبادل معنا الود والمحبة، فكأنما الجبل كائن حي يحس ويحب ويتبادل المشاعر مع البشر.

ومن صور التعاطف والرفق والمحبة بين المسلم وبيئته: قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالمسح على جذع النخلة وضمه إليه بعد أن أنّ الجذع واشتاق لرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في الحديث: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ،فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ " (٢١)، وفي روايات أخرى فضمه واحتضنه وهذه الواقعة المأثورة ترشدنا إلى العاطفة والحب والمودة المتبادلة بين الإنسان المسلم وبيئته.

---

١٧- أخرجه الترمذي في سننه ،كتاب الفتن، باب ماجاء في النهى عن سب الريح، برقم ٢٢٥٢، ج٤/ص٥٢١، حديث حسن صحيح.

١٨ - طابة : اسم من أسماء المدينة ومعناها الطيبة .

١٩- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب نزول النبيﷺ، برقم ٤٤٢٢، ج٣/ص١٣٠.

٢٠- (٥٤ ق هـ - ٣ هـ = ٥٥٦ - ٦٢٥ م)حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش،عم ﷺ ،انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط:١، ١٩٩٢ م، ج١/ ص ٣٦٩ .

٢١- أخرجه البخاري فيصحيحه ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم ٣٥٨٣، ج٢/ص٤٣٣.

## المبحث الثاني

## حماية العناصر الأساسية للبيئة في ضوء السنة النبوية

### أولاً: الإنسان:

لقد بينت السّنة النّبويّة في نصوص كثيرة عظم أمر قتل الإنسان،فعن الأحنف بن قيس[٢٢] قال: خرجت وأنا أريد _يعني القتال_ فلقيني أبو بكر فقال: ارجع فإني سمعت رسول اللهصلى الله عليه وسلم يقول: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"[٢٣]، وعن أبي هريرة[٢٤] رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما"[٢٥]، ويقول العسقلاني[٢٦] في شرحه لهذا الحديث: "إن الفسحة في الدين سعة في الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت،أي يضيق عليه دينه، وهذا فيه إشعار بالوعيد على من قتل مؤمنا متعمدا، أي يصير في ضيق بسبب ذنبه"[٢٧].

وفي هذا السياق ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"[٢٨].

### ثانياً: الحيوان.

أكّدت السّنة النّبويّة على ضرورة المحافظة على مخلوقات الله كما أراد لها اللهُ أن تكون، وعدم التعرض لها بالإساءة بأي شكل من الأشكال، وعدم تحميلها فوق طاقتها وحتى عند ذبحها فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإحسان الذبح وعدم التخويف أوالتعذيب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ فى كلِّ شيءٍ، فَإذا قَتلتُم فأحسِنُوا القِتلة، وَإذا ذَبحتُم فأحْسِنُوا الذَّبحَة، وليُحدَّ أحدُكم شَفرَته، ولْيُرِحْ ذبيحَته"[٢٩] أي أحسنوا هيئة القتل باختيار أسهل الطرق وأقلها إيلاما فلا يصرعها بعنف ولا يجرها للذبح بعنف ولا يذبحها بحضرة أختها؛ وإراحتها تكون بسقيها،

---

[٢٢]- (٣ ق هـ - ٧٢ هـ = ٦١٩ – ٦٩١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، انظر الأعلام، الزركلي ،ج١/ ص ٢٧٦ .

[٢٣]- أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الفتن والملاحم، باب النهي عن القتال في الفتنة ، برقم٤٢٦٨ ، ج٤/ص١٠٠ ،حديث صحيح.

[٢٤]- (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م)عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة، انظر الأعلام، الزركلي ، ج٣/ ص ٣٠٨ .

[٢٥]- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الديات باب ومن يقتل مؤمنا متعمدا ، برقم٦٨٦٢، ج٦/ص٢٥١٧.

[٢٦]- (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، انظر الأعلام، الزركلي ،ج١/ ص ١٧٨.

[٢٧] - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي تحقيق عبد العزيز بن باز ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط: ١ ، ١٩٨٩م، ج١٢ / ص٢٢٩.

[٢٨]- أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها ، برقم ٢٢١٨، ج٣/ص٤٣٦ .

[٢٩]- أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الديات , باب ما جاء في النهي عن المثلة , برقم ١٤٠٩ ، ج٤/ص٢٣،حديث صحيح.

وإمرار السكين عليها بقوة ليسرع موتها فتستريح من ألمه[٣٠]؛ وقال الإمام النووي[٣١]: وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام[٣٢]، وعن ابن عباس، أن رجلا أضجع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شفرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتريد أن تميتها موتات؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها"[٣٣].

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن فجع المخلوقات وحذر من إحراقها بالنارمهما كانت الأسباب فعن ابن مسعود[٣٤] رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً[٣٥] مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ[٣٦] فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَنْ فَجعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا"، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ".،قُلْنَا نَحْنُ، قَالَ: "إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ"[٣٧] فهل هناك رفق أعظم من مراعاة أحاسيس هذه الحمرة؟ وقد حرمت السّنة النّبويّة استعمال الحيوانات كأهداف للرماية من قبيل التسلية،ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:"مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ[٣٨] إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلاَنًا قَتَلَنِي عَبَثا وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنْفَعَة"[٣٩]، وعن جابر بن عبد الله[٤٠] قال: نهى رسول صلى الله عليه وسلم أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا[٤١]"[٤٢]، لذا فإن إلحاق الضرر بالمخلوقات وتعذيبها يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة كقصة المرأة التي حبست قطة لم تطعمها أو تسقها حتى ماتت فاستحقت المرأة النار،فعن ابن عمر[٤٣] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه

٣٠ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ،ج٣ /ص ١٥٤٨ .

٣١ - (٦٣١ - ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م)، هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي،انظر الأعلام، الزركلي، ج٨/ ص ١٤٩.

٣٢ - شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية،ابن شرف النووي، ج١ /ص١٨ .

٣٣ - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الأضاحي، برقم ٧٥٦٣ ،ج٤ / ص٢٥٧، صحيح على شرط البخاري.

٣٤ - (... - ٣٢ هـ = ... - ٦٥٣ م) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أهل مكة،انظر الأعلام، الزركلي، ج٤/ ص ١٣٧.

٣٥ - الحمرة : نوع من الطيور.

٣٦ - تفرش : ترفرف.

٣٧ - أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الجهاد، باب كراهية حرق العدو بالنار، برقم ٢٦٧٧، ج٣/ص٨ ، حديث صحيح.

٣٨ - العج : رفع الصوت.

٣٩ - أخرجه ابن حبان في سننه ،كتاب الذبائح ، باب الزجر عن ذبح المرء شيئا من الطيور دون القصد في الانتفاع بها،برقم ٥٨٩٤، ج١٣/ص٢١٤ ، حديث صحيح.

٤٠ - (١٦ ق هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧ م) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي صحابي من المكثرين في الرواية ، انظر الأعلام ، الزركلي ، ج٢/ ص ١٠٤.

٤١ - صبرا :أي يحبس ويرمى حتى الموت .

٤٢ - أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم ،برقم ١٩٥٩ ج٣/ص.١٥٥٠، حديث صحيح.

٤٣ - (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م) هوعبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن،صحابي،شهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. انظر الأعلام ، الزركلي، ج٤/ ص ١٠٨.

وسلم أنه قال: "عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ[٤٤] الْأَرْضِ"[٤٥].

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بحمار وسم على وجهه فقال : "لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ[٤٦]"[٤٧]، فهذا نهي صريح عن إيذاء الحيوان في وجهه، بل جعل هذا الأمر يقتضي لعنة الله،أي الخروج من رحمته عز وجل، وشريعتنا الإسلامية تبشر من يحسن إلى مخلوقات بالمثوبة والأجر الجزيل،فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ [٤٨] يَأْكُلُ الثَّرَى[٤٩] مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الذي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا، فَقَالَ: "في كُلِّ ذات كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[٥٠]، وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النبي صلى الله عليه وسلمحَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ ذِفْرَيهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ" فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: " أَفَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ [٥١]"، وقال أيضا:" لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا"[٥٢].

**ثالثاً: النبات.**

إنّ السّنة النّبويّة تدعو دائماً إلى غرس النباتات والأشجار والإكثار منهامن أجل إعمار الأرض وزيادة المساحات الخضراء، فعن أنس[٥٣] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ[٥٤] فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"[٥٥] وفي هذا الحديث ترغيب في اغتنام آخر فرصة من الحياة في لزرع ما ينتفع به الناس حتى تكتب لَهُ الصدقة والأجر إلى يوم القيامة، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ

---

٤٤ - الخشاش : هوام الأرض وحشراتها واحده خَشَاشَة.

٤٥ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء،باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم،برقم٣٢٩٥،ج٣/ص١٢٨٤.

٤٦ - الوسم : علم بالكي.

٤٧ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة , باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، برقم٢١١٧،ج٣/ص١٦٧٣.

٤٨ - يلهث: أخرج لسانه من شدة العطش.

٤٩ - الثرى: التراب الندي.

٥٠ -أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، برقم ٥٥٥٠، ج١٨/ص٤٢٤.

٥١ - تدئبه: تكده وتتعبه.

٥٢ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، برقم ١٩٥٧ ،ج٣/ص١٥٤٩.

٥٣ - (١٠ ق هـ - ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢ م)، أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺوخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا.انظر الأعلام، الزركلي، ج٢/ ص ٢٤.

٥٤ الفسيلة : الصغيرة من النخل

٥٥ - أخرجه أحمد في مسنده ،مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أنس بن مالك،برقم ١٣٠٠٤،ج٣/ ص١٩١، صحيح على شرط مسلم.

غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ[٥٦]، وفي هذا الحديث بيان لفضل الغرس والزرع وحض على زراعة الأرض. وبيان أن جزاء ذلك الغرس أوالزرع يستمر ما دام الغرس مأكولا منه ولو مات زارعه أو غارسه ولو انتقل إلى ملك غيره، فها هو ديننا الإسلامي يشجعنا على غرس الأشجار وزيادة المساحات الخضراء أو ما يعرف اليوم بالمصطلح البيئي الحديث: حملات التشجير.

وقد حثت السّنة دائماً على تعهد النباتات بالرعاية والاهتمام وعدم قطعها أوحرقها، فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً[٥٧] صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّار"[٥٨] قال أبو داود[٥٩] مبينا معنى هذا الحديث لما سئل عنه: "هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سدرة فِي فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[٦٠]، ومن هنا وجب علينا أن نهتم اهتماماً كبيراً بزيادة المساحات الخضراء للقضاء على العديد من المشاكل البيئية وعلى رأسها التصحر والتلوث والاحتباس الحراري.

والمسلمون الفاتحون قد أصدروا أمراً عسكرياً لحماية المساحات الخضراء في عصر الخلافة الراشدة فقد أوصى أبوبكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان[٦١] رضي الله عنهما بقوله: "ولا تحرقوا نخلاً ولا تقطعوا شجرةً مثمرة ولا تعقروا بهيمة إلاّ لمأكلةٍ"[٦٢]. فإذا كان الإسلام قد حث على حماية الأشجار من القطع والتدمير والحرق وجعله أمراً واجباً في حالة الحرب فما بالك بحمايتها في حالة السلم؟

**رابعاً: الماء.**

نظراً لأهمية الماء ومدى حاجة الناس إليه جعله الإسلام ملكاً مشاعاً لجميع المسلمين فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المسلمون شركاءُ في ثلاث في الكلأ[٦٣] والماء والنار"[٦٤]، وبما أن الماء ضروري لحفظ الحياة بشتى أشكالها، فإن المحافظة عليه واجب ديني، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ"[٦٥]، والموارد: هي طرق الماء ومفردها مورد،

---

٥٦- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، برقم ٢١٩٥ ،ج٢/ص٨١٧.

٥٧ -السدر: شجرة النبق، وقال الأصمعي: هو كل مانبت في البر.

٥٨- أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في قطع السدر،برقم ٥٢٤١، ٤/ص٥٣٠، حديث صحيح.

٥٩- (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ = ٨١٧ - ٨٨٩ م) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، إمام أهل الحديث ،انظر الأعلام، الزركلي،ج٣/ ص ١٢٢.

٦٠- أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في قطع السدر،برقم ٥٢٤١، ٤/ص٥٣٠، حديث صحيح.

٦١ - ( ... - ١٨ هـ = ... - ٦٣٩ م) ، يزيد بن صخر ( أبي سفيان) بن حرب، الأموي، أبو خالد، أمير، صحابي، أسلم يوم فتح مكة،انظر الأعلام، الزركلي ، ج٨/ ص ١٤٨.

٦٢- فقه الغزوات، محمد خلف العساوي , دار عمار, عمان ،الأردن , ط:١ , ٢٠٠٠ ، ص٤٤ .

٦٣ - الكلأ : العشب.

٦٤- أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الإجارة ،باب في منع الماء، برقم ٣٤٧٩، ج٣/ص ٢٩٥، حديث صحيح.

٦٥- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: المواضع التي نهى النبي ﷺ البول فيها برقم ٢٦ ، ج١/ص١١، حديث حسن.

والظل: مستظل الناس الذي يتخذونه مقيلا ومناخا ينزلونه أو يقعدون تحته، والبراز: هوالغائط، وقارعة الطريق أعلاه[٦٦]، والماء مهدد بالنقص بسبب إسراف الإنسان وسوء استغلاله وقد دعت السّنة النّبويّة إلى الاعتدال في استخدامه، وعدم استنزافه فعن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[٦٧]، كما شددت السّنة على ضرورة تفادي تلويث مصادر المياه بالنجاسات والقاذورات، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ"[٦٨].

**خامسا :الأرض .**

لقد دعا رسولنا الكريم إلى دفع الأذى والنجاسات عن المناطق العامة، فعن معاذ بن جبل[٦٩] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ"[٧٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أ ن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى[٧١] فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"[٧٢]، قال أبو سليمان الخطابي: المراد باللعانين الأمرين الجالبين للعن الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن، يعني عادة الناس لعنه فلما صارا سببا لذلك، وأضيف اللعن إليهما (الذي يتخلى في طريق الناس) معناه يتغوط في موضع يمر به الناس (في ظلهم) المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه[٧٣]، وما نهى عنه في الظل والطريق إلا لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل إزالة الأذى عن الطريق جزءاً من الإيمان فروي عنه صلى الله عليه وسلم: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ[٧٤] وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ[٧٥] مِنَ الإِيمَانِ[٧٦]". ونحن نعرف الآن ما للقمامة وتراكمها في البيوت من أضرار على صحة الإنسان حيث إنها تشكل بؤراً لتكاثر الطفيليات التي تتسبب في أغلب الأمراض التي يعاني منها الإنسان، وفيما يتعلق بنظافة الطريق

---

٦٦- المرجع السابق .

٦٧- أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد ،برقم ١٩٨ ، ج١/ص ٨٤.

٦٨- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب كراهية البول في الماء الراكد، برقم ٦٨، ج١/ص ١٠٠ حديث حسن صحيح .

٦٩- (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩ م) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، شهد بدرا وأحدا والخندق وبعثه رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك قاضيا ومرشدا لأهل اليمن، ، له ١٥٧ حديثا، ومن كلام عمر: (لولا معاذ لهلك عمر). انظر الأعلام، الزركلي ، ج٧/ ص ٢٥٨ .

٧٠- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم البول فيها، برقم ٢٦، ج١/ص١١ حديث حسن .

٧١ - يتخلى: يتغوط.

٧٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة ،باب النهي عن التخلي في الطرق، برقم٢٦٩،ج١/ص٢٢٦ .

٧٣ -المرجع السابق.

٧٤- إماطة الأذى: أي تنحيته وإبعاده والمراد بالأذى كل ما يؤذى.

٧٥- الشعب: أغصان الشجرة.

٧٦- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، برقم ١٦٢، ج١/ص٤٦.

فورد عنه صلى الله عليه وسلم: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"[٧٧].

**الخـاتمة:**

من خلال هذه الوريقات البحثية يتضح لنا أن السّنّة النّبويّة قد أولت اهتماماً كبيراً برعاية عناصر البيئة كما اتضح لنا من خلال الأحاديث النبوية السالفة الذكر، فديننا الإسلامي ليس مجرد صلاة وصوم وزكاة فحسب ولكن يجب أن نرى هذا الدين حيا في سلوكنا وتصرفاتنا ومحيطنا وبيئتنا التي نعيش فيها. وخلص الباحث في هذه الدراسة إلى جملة من النتائج.

**النتائج:**

١-.إن السّنة النّبوية قد أولت اهتماما كبيرا بالبيئة وعناصرها .

٢- الرفق والرحمة بمكونات البيئة من إنسان وحيوان ونبات وجماد هي أمور حثت عليها السنة النبوية.

٣-ضرورة المحافظة على البيئة فى السلم والحرب.



٧٧- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ، برقم ١٩١٤،ج ٤/ص.٢٠٢٠.

# السنة النبوية الشريفة بين الأصالة وبين استخدامها في بعض الدراسات المعاصرة


**د.عامر إسماعيل داود**

**د. أحمد المجتبى با نقا أحمد علي**

قسم دراسات القرآن والسنة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا




**المقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلاّ الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،

أما بعد: فقد أولى المسلمون العلوم الإسلامية؛ من تفسيرٍ، وفقهٍ، ولغةٍ، العناية الفائقة على مر العصور، اهتموا بها في التقعيد لها، وفي شرحها وتخريجها وبيان ما خفي من غريبها، والتوفيق بين ما يوهم شيئاً باطلاً من المعاني، وتعليم الناس بها وإرشادهم إلى العمل بما فيها، وخاصة في هذا العصر الذي لقي فيه علم المقاصد اهتماماً بالغاً في الفكر الإسلامي المعاصر، ولعل السر في ذلك يعود إلى إدراك الأهمية البالغة لهذا العلم، بعد أن كان بعيداً مدرجاً في أواخر كتب أصول الفقه لا يصل إليه القارئ إلا بعد ما كلّ وتعب.[١] فالأمر كما قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله أيضاً في مكان آخر: "فلم يدونوها في الأصول، إنما أثبت علماء هذا الفن شيئاً قليلاً، منها في مسالك العلّة؛ مثل مبحث المناسبة، والإحالة والمصلحة المرسلة، وكان الأولى أن تكون الأصل الأول للأصول، لأن بها يرتفع خلاف كبير، سواء بين المذهب الواحد أو بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وفي أعمال السلف دلالة واضحة على عنايتهم بهذا العلم".[٢]

وإن الدارس للأحاديث النبوية الشريفة، يجد ذلك الارتباط المحكم بين الأحكام الشرعية التي تكشف عنها نصوص السنة المطهرة من جهة، وبين الحكم والمقاصد والمصالح التي تظهر وراء تشريع تلك الأحكام من جهة أخرى، تجد هذه الحقيقة جلية واضحة من خلال تتبع العديد من الأحاديث الكريمة، من ذلك تعليله صلى الله عليه وسلم للحكمة من أمر الإمام بالتخفيف على الناس؛ في صلاة

---

[١] انظر: محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، (عمان: دار النفائس، د٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ج٢، ص١٦٧.

[٢] محمد الطاهر ابن عاشور، **أليس الصبح بقريب**، (تونس: دار سحنون، ٢٠٠٦م)،، ص٢٠٤.

الجماعة بقوله فيما رواه البخاري ومسلم، وغيرهما: "أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة".[٣] إلى غير ذلك من الأمثلة الواردة في ذلك، وسيأتي عدة نماذج في هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

ومن جانب آخر هناك طائفة أخرى وخاصة في هذا الزمان ممن يتكلمون في المقاصد، تستروا بهذا العلم البيل ، واشتغلوا به لإشباع رغباتهم الخاصة، ومحاولة الدس فيه بكل ما قدروا عليه من تغيير مساق النصوص الشرعية إلى ما يرمون إليه من أفكار تارة، وترى بعضهم يلجؤون إلى الحط من قيمة النص النبوي تارة أخرى بدعوى أن الأهم والأجدر عندهم هو المقصد والمصلحة من ورائه.

## المبحث الأول

## في التعريف بمقاصد الشريعة الإسلامية

مقاصد الشريعة أو مقاصد الشارع تعرّف على أنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها".[٤]

فعلم المقاصد هو علم يدرس الأدلة إجمالاً والأحكام الشرعية الخاصة، ويعتني بدراسة المعاني والحكم التي من أجلها شُرعت تلك الأحكام الشرعية، وقد تكون عامة وقد تكون خاصة. فعلم المقاصد حقيقة هو أعم من علم أصول الفقه؛ لأنه مشتمل على أُصول الفقه والفقه معاً.[٥]

ويبحث علم أصول الفقه مقاصد الشريعة في أبواب منها: باب القياس، لأن من أركان القياس العلة التي عليها مدار الحكم.

ومنها: باب الأدلة المختلف فيها، وكذلك باب المصالح المرسلة، حيث إن علم المقاصد في الحقيقة، هو علم المصالح الشرعية، وضوابطها، وكل هذه الأبواب أو الألفاظ –أعني العلة، والمصلحة - ألفاظ مقابلة في دراسة المقاصد. فكان من الضروري تبعاً لذلك أن يشير المصنفون في أصول الفقه إلى شيء من المقاصد الشرعية عند الحديث عن هذين البابين.

---

[٣] رواه محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (م. دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص٢٤٩، حديث رقم ٦٧٢. ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح**، (بيروت: دار الجيل، ودار الأفاق الجديدة)، ج٢، ص٤٢، حديث رقم ١٠٧٢.

[٤] ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص٥١.

[٥] أنظر د. يوسف الشبلي، مقاصد التشريع الإسلامي، في دروس ألقيت في المعهد الإسلامي بواشنطن، ص١.

## المبحث الثاني

## القواعد الأصولية في التعامل مع السنة النبوية

يتم معالجة هذا المبحث بسرد عدد من النقاط الدالة على القواعد والضوابط التي وضعها أهل العلم للتعامل مع السنة النبوية الشريفة، وهي كما يلي:

١. أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ فيما يخبر به من الشرع فما صحت نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون كذباً ولا مخالفاً للواقع. وهذا المبدأ العظيم قرره القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ولا يتعارض مع هذا المبدأ ما قرره كثير من الأصوليين من أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فيما لم ينزل عليه فيه وحي، لأنّ من قال إنه يجتهد قال إنه مسدّد من ربه فلا يخطئ, أو قال إن الله يصوبه إذا أخطأ، فأي اجتهاد أقره الله عليه فهو صواب وشرع واجب الاتباع.[٦]

وإن ترك شيئاً مع قيام الداعي لفعله عُرف بذلك عدم مشروعيته. وإن أقر قولاً أو فعلاً وقع بحضرته عرفنا مشروعيته.

٢. أن السنة النبوية هي الشارحة للقرآن الكريم، المبينة لمجمله، المفسرة لمشكله، المقيدة لمطلقه. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٤٤ النحل].

من القواعد التي ترجع إلى هذا الأصل: بيان السنة للقرآن. والبيان بالقول والفعل والإشارة. وعدم نسخ القرآن بالسنة. وعدم تحقق التعارض بين القرآن والسنة.

ونجدهم يختلفون في اشتمال السنة على حكم زائد على ما في القرآن, فحين نجد الشافعي يذكر من أنواع بيان السنة البيان الزائد على ما في القرآن (الرسالة ص ٣٢)، نجد الشاطبي ينكر وجود سنة زائدة على ما في القرآن, ويتأول الأمثلة التي عدت من قبيل ما زادته السنة.[٧]

٣. أن تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم ليست على صيغة واحدة, بل اتخذت صفات عدة, ويجب أن يفهم كل تصرف منها في السياق الذي جاء فيه، فهو صلى الله عليه وسلم نبي مرسل مشرع, وهو إمام المسلمين الأعظم، وهو إمامهم في صلاتهم، وهو قاضيهم الذي يحكم بينهم، وهو مفتيهم الذي يسألونه عما ينوبهم، وهو قائد الجيش في المعركة، وهو مع ذلك بشر يعتريه ما يعتري البشر من النسيان والخوف والجوع والمرض. .. الخ.

---

[٦] أ. د. عياض بن نامي السلمي، **قواعد فهم السنة النبوية**، ضمن ورقة عمل ندوة (فهم السنة النبوية: الضوابط والإشكالات)، الرياض: ١٤٣٠/٦/٤هـ.

[٧] الموافقات، ج٣، ص١٢-٢٤.

وانطلاقاً من هذا المبدأ فإن تصرفاته تختلف أحكامها باختلاف الصفة التي انطلقت منها، فتصرفه بمقتضى الرسالة العامة تشريع عام، وتصرفاته بمقتضى منصب الإمامة تثبت لإمام المسلمين، وتصرفه بمقتضى منصب القضاء قضاء ملزم, وبمقتضى الفتوى فتوى, وتصرفه بمقتضى إمامة الصلاة تثبت لمن تولى هذا المنصب، وتصرفه بمقتضى قيادة الجيش تثبت لقائد الجيش المسلم وهكذا.

ومع أن تحديد الصفة التي بني عليها التصرف تخضع للاجتهاد إلا أن الأصوليين يقررون أن الأصل في تصرفاته صلى الله عليه وسلم أن تكون بمقتضى الرسالة (وما محمد إلا رسول...). ولكن القرائن التي تحتف به لها اعتبارها, والمشكل من تلك التصرفات يرد إلى المحكم المتفق عليه.

٤. أن السنة القولية جاءت على سنن كلام العرب في عهد الرسالة, فالمرجع في فهمها إلى اللغة العربية, بما فيها من الحقيقة والمجاز, والكناية والتصريح, والعموم والخصوص, والإطلاق والتقييد, والفحوى, والإشارة, والتنبيه. وقد وضع الأصوليون لكل باب مما ذكر جملة من القواعد الواضحة التي يرجع إليها في تفسير السنة القولية, مما لا يخفى على الفضلاء الحاضرين.

وانطلاقاً من هذا المبدأ فإنه لا يجوز حمل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم على المعنى المتبادر من اللفظ في اللهجة الدارجة بين الناس اليوم، وإنما الواجب الرجوع إلى معاجم اللغة ودواوين العرب التي توضح المعنى المراد. ولا يكفي ذلك بل لابد من معرفة عادة أهل زمانه وعرفهم في استعمال الألفاظ.

٥. أن فهم السنة لا يكفي له فهم المعنى اللغوي الوضعي, وإنما هو محتاج إلى إدراك العرف اللغوي والعرف الشرعي الطارئ, الذي قد ينقل اللفظ عن معناه إلى معنى آخر. وبدون مراعاة هذا العرف لا يمكن فهم السنة على الوجه الصحيح.

فالعرف اللغوي هو عرف العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتكلمون به، فإنهم قد يطلقون اللفظ العام ويريدون العام, ويطلقونه ويريدون العام المخصص، وقد يطلقون العام ويريدون الخاص, وقد يطلقون الخاص ويريدون العام, كما أوضح ذلك الإمام الشافعي في الرسالة.

وكذلك الشأن في عرف الشرع فإنه قد جعل خطاب الواحد بمنزلة خطاب الجماعة، وجعل خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة خطاب الأمة, فما وجب عليه وجب على الأمة إلا ما دل الدليل على استثنائه.

وانطلاقاً من هذا المبدأ قرر الأصوليون عدداً من القواعد مثل: خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لواحد من الأمة خطاب للأمة. ودخول المخاطب في عموم خطابه. وشمول الخطاب بلفظ جمع المذكر السالم للنساء.

فهذه القواعد وإن كان الأصوليون يحكون فيها خلافاً لكن هو في الواقع خلاف في الشمول بمقتضى اللغة، أي أنهم يختلفون هل يدخل من حاله كحال المخاطب في الخطاب بمقتضى اللفظ أو بمقتضى القياس؟ وهل يدخل المعدومون حين الخطاب في الحكم بمقتضى العموم اللفظي أو العموم المعنوي؟

٦. أن السنة لا يمكن أن تأتي بتشريع يخالف بدائه العقول أو يخالف القطعيات من الأدلة النقلية. وقد عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بأن "النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح".[٨] وعبر عنه الشاطبي بقاعدة عامة ذكرها في بداية كلامه عن الأدلة, وهي: الأدلة الشرعية لا تخالف قضايا العقول".[٩]

## المبحث الثالث

## أمثلة التعليل في السنة النبوية

المهمة الكبرى الملقى على كاهل النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة، وقد أمره الله تعالى ببيانها للناس؛ فقال سبحانه وتعالى مخاطباً له: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}، وقال أيضاً: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}، ثم أمره ببيان الرسالة للناس فقال سبحانه: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

### المطلب الأول: تعليل الأحكام في السنة النبوية:

قد قام النبي صلى الله عليه وسلم بأداء هذه المهمة خير قيام، ولم يتوان في التبليغ، وبيان ما أنزل إليه للناس، فتراه أحياناً يقول للناس: إن الله حرم كذا، وأحياناً يقول: إن الله أحل كذا، وأحياناً يبين السبب الذي من أجله شرع الحكم تقريبا للأذهان، وبيانا لما يترتب عليه من فوائد دنيوية أو أخروية.

وتوضيح ذلك في الأمثلة الآتية:

١. ومن أمثلة تعليل النبي صلى الله عليه وسلم للأحكام تعليله لعلة إيثاب المتزوج المسلم لزوجته في مماؤسة ما أباح الله تعالى لهما، حيث استغرب بعض الصحابة ذلك؛ أن يثاب الرجل في قضاء مع أهله، فقال عليه السلام، فيما رواه أحمد وغيره: ".. وفي بضع أحدكم صدقة"، قال: قالوا يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته يكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في الحرام

[٨] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار (القاهرة: دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٧، ص٦٦٥.

[٩] **إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، الموافقات**، تحقيق: **أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان**، (الرياض: **دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩م)**، ج٣، ص٣.

أكان عليه فيها وزر؟ وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر".[١٠] وهذا من باب ما يسميه الأصوليون بقياس العكس.

٢. قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة لما فتح مكة:"لولا أن قومك حدثاء عهد بكفر لهدمت البيت وبنيته على قواعد إبراهيم وجعلت له بابين، باباً يخرج الناس منه وباباً يدخل الناس منه".[١١] ووجه الدلالة من هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وازن بين المصلحة والمفسدة فترك المصلحة لغلبة المفسدة.

٣. وكذا تعليل النبي صلى الله عليه وسلم لحكمة النهي عن الجمع بين المرأة وأختها، وبين المرأة وخالتها، بقوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم إذا فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن".[١٢]

٤. ومنه حضه للشباب على الزواج وترغيبهم فيه بقوله: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج".[١٣]

٥. قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: "يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟" قلت الله ورسوله أعلم، فقال عليه الصلاة والسلام: "حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يُعذب من لا يُشرك به شيئاً"، فقلت: ألا أُبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا".[١٤]

وواضح من الحديث أن العلة من منع معاذ من الإخبار به لأن المفسدة المترتبة عليه أعظم من المصلحة.

قال ابن القيم رحمه الله في هذا: "إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم; فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.[١٥]

٦. عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: "نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه

---

[١٠] أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، **المسند**، (القاهرة: مؤسسة القرطبة)، ج٥، ص١٦٧، حديث رقم٢١٥١١، علق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط بـ: حديث صحيح وهذا إسناد قوي رجاله ثقات رجال الصحيح.

[١١] رواه مسلم، باب نقض الكعبة وبنائها، ج٢، ص ٩٦٩، رقم الحديث١٣٣٣.

[١٢] رواه ابن حبان، ج٩، ص٤٢٦، رقم الحديث ٤١١٦.

[١٣] [١٣]رواه البخاري، في كتاب الصيام، باب: الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ج٢، ص٦٧٣،حديث رقم ١٨٠٦؛ ومسلم، في كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ج٤، ص١٢٨، حديث رقم ٣٤٦٤.

[١٤] رواه البخاري، في كتاب اللباس، باب: إرداف الرجل خلف الرجل، ج٥، ص٢٢٢٤، رقم الحديث٥٦٢٢؛ ومسلم، في كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ج١، ص٤٨، رقم الحديث٣٠.

[١٥] محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله اين القيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م)، ج٣، ص٤.

فيسب أمه" متفق عليه . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم سابا لاعنا لأبويه بتسببه إلى ذلك وتوسله إليه وإن لم يقصده .[١٦]

٧. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكف عن قتل المنافقين - مع كونه مصلحة - لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه، وقولهم: إن محمدا يقتل أصحابه، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل.

٨. أن الله تعالى حرم الخمر لما فيها من المفاسد الكثيرة المترتبة على زوال العقل، وهذا ليس مما نحن فيه، لكن حرم القطرة الواحدة منها، وحرم إمساكها للتخليل لئلا تتخذ القطرة ذريعة إلى الحسوة ويتخذ إمساكها للتخليل ذريعة إلى إمساكها للشرب.

٩. أنه صلى الله عليه وسلم حرم الخلوة بالأجنبية ولو في إقراء القرآن، والسفر بها ولو في الحج وزيارة الوالدين، سداً لذريعة ما يحاذر من الفتنة وغلبات الطباع.

١٠. أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور، وتشريفها، واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيدا، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سداً للذريعة.

١١. أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وكان من حكمة ذلك أنهما وقت سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدا لذريعة المشابهة الظاهرة، التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد مع بعد هذه الذريعة، فكيف بالذرائع القريبة؟

١٢. أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن تكون له عادة توافق ذلك اليوم، ونهى عن صوم يوم الشك، وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعة إلى أن يلحق بالفرض ما ليس منه. وكذلك حرم صوم يوم العيد تمييزاً لوقت العبادة عن غيره لئلا يكون ذريعة إلى الزيادة في الواجب كما فعلت النصارى، ثم أكد هذا الغرض باستحباب تعجيل الفطر وتأخير السحور، واستحباب تعجيل الفطر في يوم العيد قبل الصلاة، وكذلك ندب إلى تمييز فرض الصلاة عن نفلها؛ فكره للإمام أن يتطوع في مكانه، وأن يستديم جلوسه مستقبل القبلة، كل هذا سدا للباب المفضي إلى أن يزاد في الفرض ما ليس منه.

---

[١٦] إعلام الموقعين، ج٣، ص ١٣٨.

١٣. أنه صلى الله عليه وسلم أمر المأمومين أن يصلوا قعوداً إذا صلى إمامهم قاعداً، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يجئ عنه ما ينسخه، وما ذاك إلا سداً لذريعة مشابهة الكفار حيث يقومون على ملوكهم وهم قعود، كما علله صلوات الله وسلامه عليه.

١٤. أنه صلى الله عليه وسلم أمر المصلي بالليل إذا نعس أن يذهب فليرقد، وقال: لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه، فأمره بالنوم لئلا تكون صلاته في تلك الحال ذريعة إلى سبه لنفسه، وهو لا يشعر لغلبة النوم.

١٥. أن الشارع صلوات الله عليه نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يستام على سوم أخيه أو يبيع على بيع أخيه، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى التباغض والتعادي؛ فقياس هذا أنه لا يستأجر على إجارته ولا يخطب ولاية ولا منصبا على خطبته، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى وقوع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه.

## المبحث الرابع

## التعامل مع السنة واستخدامها في بعض الدراسات المعاصرة

لاشك أن فكرة دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية أمر ذو أهمية بالغة – كما سبقت الإشارة إليه -، الأمر الذي يتضمن توسيع دائرة البحث المتعلقة بهذا الجانب، نظراً للحاجة الملحة، تحسيناً للوضع الإسلامي الراهن، وهذا يمكن بسهولة إذا أخذنا بعين الاعتبار المصادر الشرعية الأساسية: -القرآن والسنة- لتطبيق هذه المهمة. ولكن مع ذلك فلا بد من الحذر البالغ من مجاوزة الحد في هذا الأمر، إذ إن البعض يذهب بعيداً في سبيل إثبات المقاصد بنفي أهمية جانب من النصوص الشرعية أو عدم الاهتمام به، مثل السواك، والتزام اللباس الذي جاء وصفه في السنة، وكذلك بعض أدوية التي جاء التنصيص عليها بأنها شفاء لبعض الأمراض، كل ذلك بدعوى أنها غير مقصودة، وإنما المقصود غيرها، أو بعبارة أخرى: أن معناها أو مضمونها هو المراد، لا ريب أن مثل هذا الاتجاه المقاصدي يحتاج إلى إعادة النظر؛ لأنه يجعل فائدة النص الشرعي تافهة لا قيمة لها تذكر. والحق أن المقصود كلاهما؛ النص والمضمون، ولا يتأتى أحدهما دون الآخر. إذ لو لم يكن كذلك، فما المانع من أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام مثلاً: نظفوا أسنانكم، إذا كان المقصود فقط النظافة، أو يقول: تداووا، إذا كان المقصود فقط طلب الشفاء دون ذكر الإثمد أو غيره!.

يقول سعد مقبل العنزي في مقال له بعنوان: "المقاصديون الجدد" " الحديث عن المقاصد في هذه الأيام آخذ في التجاسر على النصوص، والنظر إليها على أنها تابعة لا متبوعة، ومقودة لا قائدة، وهي في فلك المقاصد أشبه بالرحى في يد الطّحان".[١٧]

فقد أكد النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه على ضرورة التزام لفظه الشريف؛ ففي الصحيحين من حديث البراء بن عازب في أذكار النوم:، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ".. وبنبيك

[١٧] مقال بعنوان: المقاصديون الجدد، سعد مقبل العنزي، موقع صيد الفوائد:http://saaid.net/arabic/81.htm

الذي أرسلت" فقال البراء: وبرسولك الذي أرسلت، فأعاد النبي عليه السلام: "لا، وبنبيك الذي أرسلت"،[18] فدل ذلك على قوة لزوم الألفاظ الشرعية. قد يقول قائل هذا خاص بالأذكار، فيكون الجواب نعم، وغير الأذكار أيضاً.

هذا، ولأن المقاصد الشرعية مبينة على أدلة الشريعة، فلا يجوز بحال أن يترك شيء من الأدلة الشرعية بزعم أن ذلك يعارض مقصداً، كما يفعله بعض الباحثين الذين يقولون نحن ننظر إلى روح الشريعة ومقاصدها، معرضين عن الأخذ ببعض نصوصها، فيأخذون ببعض الكتاب ويتركون بعض،[19] وهذه فتنة يلبِّسون بها على عوام الناس بحجة مقاصد الشريعة، والشريعة من هذا براء، إذ نصوص الشريعة كلها تهدف إلى مقاصد متكاملة مترابطة، ولا معارضة بين المقاصد بعضها مع بعض، ولا بين المقاصد وأدلتها الشرعية، ولا بين الأدلة بعضها مع بعض، فالمقاصد كما سبق مبنية على الأحكام الشرعية، والأحكام الشرعية لابد لها من دليل شرعي، فاتضح أن المقاصد لا تبنى عليها الأحكام بمجردها، بل هي مترتبة على الأحكام، وعلى ذلك فلا بد للأحكام من دليل شرعي ترجع إليه، فعاد الأمر في الأحكام والفتاو إلى الأدلة الشرعية، لا إلى مجرد المقاصد، وإن كانت مهمة في فهم الأدلة والأحكام الشرعية.

ومما يؤكد ذلك حديث عمار بن ياسر وعمر بن الخطاب – رضي الله عنهما -، لما سافرا، وأصبحا جنباً، حيث تمرغ أحدهما بالتراب، والحديث أخرجه أبو داود في السنن.[20]

وحديث "لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة".[21] بعضهم التزم بظاهر أمر الشارع، وبعضهم فهم من مغزى اللفظ، فصار كلاهما مصيباً؛ حيث لم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم على أيٍ من الطائفتين ولم يبطل صلاة أي من مهما، فدل على أن المطلوب النص ومدلوله. لأن الشاهد من هذه القصة هو أن كليهما لا يستحق اللوم، والتعنيف، والنيل منه، لأن الأمر في دائرة النظر والاجتهاد والفهم، فمن تعدى ذلك وتجاوز وبغى، فقد أساء إلى نفسه وأساء الظن بغيره.

فالغسل، والوضوء، والتيمم، وغيرها، لا يمكن أن يقال إن المقصد الشرعي منها الطهارة فقط أو النظافة، وإذا حصلت بغير ذلك الوصف الوارد في الشرع تكفي.

---

[18] رواه البخاري، باب: فضل من بات على الوضوء، ج١، ص٥٨، رقم الحديث ٢٤٧؛ ومسلم، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ج٤، ص ٢٠٨٢، رقم الحديث٢٧١٠.

[19] انظر مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي، ص٤٦٩.

[20] عن شقيق قال: كنت جالساً بين عبد الله وأبى موسى، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! أرأيت لو أن رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً. أما كان يتيمم؟ فقال: لا، وإن لم يجد الماء شهراً، فقال أبو موسى: فكيف تصنعون بهذه الآية التى فى سورة المائدة؟: ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيباً﴾ فقال عبد الله: لو رخص لهم فى هذا لأوشكوا إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد. فقال له أبو موسى: وإنما كرهتم هذا لهذا؟ قال نعم، فقال له أبو موسى: ألم تسمع قول عمار لعمر بعثني رسول الله ﷺ فى حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت فى الصعيد كما تتمرغ الدابة، ثم أتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا». فضرب بيده على الأرض فنفضها، ثم ضرب بشماله على يمينه، وبيمينه على شماله على الكفين ثم مسح وجهه. فقال له عبد الله أفلم تر عمر لم يقنع بقول عمار. رواه أبو داود، في الطهارة، باب: التيمم، ج١، ص١٢٦، رقم الحديث٣٢١. وصححه الألباني.

[21] رواه البخاري، ج٢، ص١٥، رقم الحديث ٩٤٦؛ ومسلم، ج٣، ص١٣٩١، رقم الحديث ٩٤٦.

وكذلك في مسألة غسل الطهارة؛ كغسل الجنابة، وغسل الجمعة وغيرها، مرتبطة بالنص الشرعي والدلالة المقاصدية، فلا يقول قائل ما دام المقصد الأساسي منها النظافة والطهارة، فيمكن استعمال المواد المنظفة في مثل هذه الأغسلة. فدل ذلك على ضرورة لزوم النص ومراعات مقصد الشرعي معاً وعدم الاستهانة بشيء منهما.

لذا، ينبغي مراعاة جميع الجوانب حتى لا تنعكس هذه الدراسة سلباً وهدماً للفكر الإسلامي الأصيل.

والحامل على هذا البحث كلامٌ قرأته على الإنترنت، لأحد العلماء[٢٢] وهو يجيب عن سؤال وجه إليه، وهو: ما هو دور المقاصد الشرعية كعلم وكنظرية في التعامل مع السنة النبوية الشريفة، أو لنقل ترشيد التعامل مع السنة النبوية؟

فأجاب -أنقله بتمامه- بقوله: علاقة مقاصد الشريعة الإسلامية بالسنة النبوية على مستويين:
**المستوى الأول**، تعليل الأحكام الثابتة في السنة النبوية الشريفة تعليلاً مقاصدياً، باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ينص على حكم شرعي بوسائل عصره، فيكون المقصد تحقق المصلحة بتلك الوسائل وليس المقصد الجمود على تلك الوسائل!، فإذا أخذنا حديث "اكتحلوا بالإثمد فإنه أجلى للبصر"،[٢٣] فلاشك أن المقصود الأكبر هو طلب الشفاء وليس عين الاكتحال بالإثمد، فقد يكون الالتزام بالسنة النبوية الحقيقي هو مراجعة طبيب العيون وليس البحث عن أعشاب من جنس ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها أيضاً ما شاع عند كثير من المتدينين من اعتبار السواك من السنة النبوية، بل قد يكون الاستياك الذي هو تنظيف الفم هو السنة، وهو المشار إليه في الحديث النبوي الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم: "السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب".[٢٤] فرضى الله ينال بالنظافة وليس بعين السواك.

**المستوى الثاني**: تفعيل الأحكام الشرعية الواردة في السنة النبوية تفعيلاً مقاصدياً، مثال ذلك الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في لباسه، حيث ثبت عنه أنه لبس لباساً معيناً مناسباً للباس قومه آنئذٍ، فيكون لباس المسلم مناسباً للباسه المحلي والعرفي لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خالف لباس قومه رغم أنهم كفار. وأن النهي الوارد في تحريم تشبه باليهود والنصارى في اللباس ينصرف إلى اللباس الديني وليس إلى اللباس المدني خاصة أن النهي انصرف إلى الصفة الدينية. انتهى

[٢٢] وهو الدكتور فريد شكري، في موقع الرابطة المحمدية للعلماء، (http://arrabita.ma/moubachir/moubachir.aspx?L=76)، بتاريخ ٢٠١٠/٩/٢٤م.

[٢٣] والحديث رواه الترمذي وحسنه في اللباس، باب: ما جاء في الاكتحال، بلفظ: اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر". ج٤، ص٢٣٤، رقم الحديث ١٧٥٧؛ ورواه ابن ماجه، في كتاب الطب، باب الكحل بالإثمد، ج٢، ص١١٥٦، رقم الحديث ٣٤٩٥.

[٢٤] رواه البخاري، باب سواك الرطب واليابس للصائم، ج٣، ص٣١، رقم الحديث ١٩٣٤.

لا شك أن في هذا الكلام من المجازفة والتعالي النص النبوي ما تقصر مثل هذه الورقة الوجيزة من أن تلم به من جميع الجوانب، ولا شك أن فتح هذا الباب، وجعل المقاصد حاكمة على النصوص الشرعية بدعوى مقصد التيسير وغيره، يؤدي إلى مفاسد لا حصر لها، واستباحة عملية لكثير من المحرمات والمخالفات، فالعمل بالمقاصد ليس على عمومه وإطلاقه، فهو مقيد بعموم الأدلة والقواعد والضوابط الشرعية، وبسائر الأبعاد العقدية والأخلاقية والعقلية المقررة، فالمقاصد أصل تابع للأدلة، وليس دليلاً مستقلًّا ومنفرداً، ثم إن هناك مقاصد أخرى غفل عنها المؤلف، ومن أهمها مقصد عبادة الله سبحانه وتعالى حتى وإن وقع من جراء الالتزام بها بعض المشقة، فإنه يكون ابتلاء من الله يستخرج به العبوديات من العبد، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦]، أما المسارعة إلى تلمس الرخص طلباً للتيسير وغيره من مقاصد مظنونة في مواطن معينة فهذا المسلك فيه ما فيه، ثم إن هناك مقصداً آخر راجع إلى مصلحة العبد في الآخرة، يلزم أن يضعه الفقيه نصب عينيه، حتى يتجنب الزلل في أقواله وفتاويه. وهذه الأمور غائبة عند بعض الباحثين في المقاصد في هذه الأيام؛ إذ إن أغلب ما يدندنون حوله هو راجع إلى مصلحة العبد الدنيوية بحة، دون مراعاة للمقصد التعبدي والفوز الأخروي. فإن لزوم سنن النبي صلى الله عليه وسلم بقصد التأسي به والتقرب إلى الله تعالى بذلك لا ينبغي أن يكون محل النقاش، حيث إنه لا يمكن يذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من دون فائدة – وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك.[٢٥]

وأما قوله أن تحريم تشبه باليهود والنصارى في اللباس ينصرف إلى اللباس الديني..." ليس صحيحاً بل يشمل حتى لباسهم العادي الذي يتميزون به، فتعريف التشبه: كما قال الإمام محمد الغزي الشافعي: "التشبه عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته وحليته ونعته، وصفته، وهو عبارة تكلف ذلك وتقصده وتعلمه". وقال الأستاذ جميل اللويحق: "ويمكن القول في تعريف التشبه بعبارة موجزة أنه: "تكلف الإنسان مشابهة غيره في كل ما يتصف به غيره أو بعضه" ثم شرح هذا التعريف فقال: فقوله: "تكلف الإنسان" أي أن يقصد ذلك ويتعمده، فيخرج بذلك ما يقع بدون قصد، كمشابهة الرجل للمرأة في الحركة والصوت بطبيعة الخلقة بدون نية، كما يخرج كذلك ما يقع من التشبه على سبيل الاضطرار، أو لدفع مفسدة عظمى، وذلك كالمكره، وكتشبه المسلم المقيم في بلاد الكفار المحاربة بالكفار في صفاتهم الظاهرة، ليسلم من أذاهم. وقوله: "مشابهة غيره" يدخل فيه جميع الأجناس المتشبه بها، سواء كان التشبه بها مباحاً أو غير مباح، وسواء كانت مما يعقل من الناس كالكفار والأعاجم والمبتدعة.. ومما لا يعقل كالحيوانات. وقوله: "في كل ما يتصف به غيره أو بعضه" أي في صفاته المعنوية، والحسية جميعها فيما يعرف ويرى، أو في بعض الصفات دون بعض. وأكثر إطلاق التشبه على الأمور الظاهرة من أقوالٍ وأفعالٍ دون الأمور الباطنة".[٢٦]

---

[٢٥] انظر: **مشاهد من المقاصد للشيخ عبد الله بن الشيخ محفوظ بن بيه عرض ونقد** (إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، تاريخ: ٢٠١٣/٤/١٣م، http://www.dorar.net/art/1085

[٢٦] انظر: (التشبه المنهي عنه في الفقه الإسلامي) تأليف جميل اللويحق، رسالة ماجستير، بواسطة موقع إسلام ويب، بتاريخ ١٣، ٤/ ٢٠١٣م، http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=12438.

والأمر الآخر هو أن هناك بعض القواعد المهمة في مسألة التشبه: نص العلماء على أنه: "لا يكون التشبه بالكفار إلا بفعل ما اختصوا به من دينهم أو عاداتهم" ومعنى ذلك أن التشبه لا يقع ابتداء إلا إذا فعل المسلم ما يتميز به الكفار عن المسلمين حتى يكون من شعاراتهم، سواء كان من أفعالهم الدينية أو كان من عاداتهم الدنيوية، أما المشترك الذي لا يختصون به فلا يقع التشبه بفعله، وإن شرع لنا نوع مخالفة في وصفه.. إلخ.[٢٧]

**وقفةٌ مع القول ببقاء المرأة المسلمة تحت زوج كافر:**

ومما يصعب تبريره في هذه القضية بمبرر سليم، ما يذكرونه عن أحكام الأقليات، حيث أباحوا للزوجة التي أسلمت تحت زوج كافر، أن تبقى معه على كفره، بدعوى أن في بقائها مراعاة لمقاصد الشريعة، وقد قال الله تعالى: ﴿..فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، سورة الممتحنة، الآية: ١٠. وقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾، [النساء: ١٤١].

وفي نظري أن هذا الاتجاه ليس من مقاصد الشريعة في شيءٍ، بل هو مناقض لما أجمع عليه العلماء قاطبة، أو اتفقت كلمة جلهم على انتهاء عقد الزوجية بينها وبين زوجها بدخولها في الإسلام. فالمرأة التي تسلم، فتفارق زوجها غير مسلم، حبًا لله وتعظيماً لمراده على مرادها، موافق لأعظم مقاصد الشريعة، إذ فيه تقديم محبة الله على محبة من سواه، ولو كان أقرب الناس إليها، فكيف يقال إنّ مقاصد الشريعة تؤيد أن تبقى المرأة مع زوجها بعد إسلامها وبقائه على كفره.[٢٨]

يقول د. فهد بن صلح العجلان: وإذا كانت إشاعة علم المقاصد الشرعية ضروريةً في مرحلةٍ ما؛ لشيوع التعصب والجهل والتضييق على الناس، فإن المبالغة في تقرير المقاصد الشرعية.. سيكون على حساب تعظيم النص الشرعي والانقياد له، وسيكون سبباً لظهور مقاصد النفوس لتُشِيع عبثَها وانحرافَها بدعوى مقاصد الشريعة.[٢٩]

والمقاصد - كما يبدو - لا تعدو أن تكون مصالح، ومن شرط المصحة أن لا تناقض النص الشرعي فإن جمهور علماء الأصول يسمون المصلحة المناقضة للنص مصلحة ملغاة ولا خلاف بينهم في عدم الاحتجاج بها . ذلك أن مثل هذه المصالح المزيفة هي في حقيقتها أهواء وشهوات ألبست ثوب المصلحة زوراً. وقد كان أهل الجاهلية قبل الإسلام يرون في الإشراك في عبادة الله و وأد البنات وقتل غير القاتل وحرمان المرأة من الإرث المصلحة بينما ولا يرون في أكل الميتة وشرب الخمر ومعاشرة

[٢٧] التشبه المنهي عنه ص:١٠٤.

[٢٨] انظر: د. هيثم بن جواد الحداد، أين أخطأ المقاصديّون الجدد في نظرتهم إلى مقاصد الشريعة، من موقع الدرر السنية: (http://www.dorar.net/art/526)، تاريخ: ٢٠١٠/١٠/٨م.

[٢٩] أنظر فهد بن صالح العجلان، بين مقاصد الشريعة و (مقاصد النفوس! الموقع السابق.

الأخدان مفسدة. ولازال هذا المنطق الجاهلي يتكرر عبر قوانين و صحف وقنوات ومنابر أخرى يلبس المفاسد لباس المصالح.

وأن نظرية المقاصد إنما وضعت في الأساس وضعاً تبريرياً لما عليه أحكام الشريعة بإضفاء صيغة المقاصد والحكمة عليها، ولم توضع من أجل تأسيس الأحكام وبنائها، فهي جعلت لتبرير ما هو كائن، وليس لما ينبغي أن يكون. فكم يكون الخطل عظيما، والزلل فادحا حين تتداخل منزلة الأدلة والأحكام الشرعية ومقاصد الأحكام، وكما أسلفنا فالمقاصد تنبني على الأحكام، والأحكام بدورها مبنية على الأدلة، وتصور لو قلبت المعادلة؟ !فامتثال ما أمر به الشارع أو التجافي عما نهى عنه هو عين المصلحة.

وهنا يحسن ذكر بعض النماذج المؤسفة التي وقع فيها بعض من يدعي تحقيق المقاصد، وهي – أمثلة - ذكرها الدكتور الريسوني في هذا الصدد وكله تعارض النص الشرعي بدعوى رعاية المصلحة، ويناقشهما مناقشة رصينة:

**النموذج الأول:** ذهب الرئيس التونسي السابق بورقيبة إلى أن صيام رمضان يسبب تعطيل الأعمال وضعف الإنتاج ودعا العمال سنة ١٩٦١م إلى الإفطار حفاظاً على الإنتاج الذي يدخل ضمن الجهاد الأكبر. ثم خرج فيما بعد من يُنظِّر لدعوة الرئيس ويبحث لها عن منافذ مشروعة لكي تتمكن من التسلل إلى ضعاف العقول وضعاف الإيمان فقال عبد المجيد الشرفي بعدم فرضية الصيام وتمحل لذلك بعض الأدلة.[٣٠]

فهل الصيام حقاً يتعارض مع مصلحة الإنتاج ، ومصلحة النهوض الاقتصادي؟

إن الصوم يلغي وجبتين غذائيتين تقعان في وقت العمل هما وجبة الإفطار والغداء[٣١] والصوم يوفر على الموظفين وقت هاتين الوجبتين، وهو وقت يمكن الاستفادة منه لصالح العمل والإنتاج، ثم إن الصوم يمنع الموظفين عن التدخين ومعلوم أن التدخين يأخذ من صاحبه دقائق متكررة على مدى اليوم كله قد تستغرق ساعة من ساعات العمل. هذا بالإضافة إلى ما يسببه التدخين عموماً من هدر كبير في القدرات والأوقات في غير رمضان بسبب أضراره المادية والصحية والنفسية فلماذا لا يُنظر إلى هذه الآفات التي يخفف منها شهر الصيام . ولماذا لا ينظر إلى الفوائد الروحية والتربوية والسلوكية والصحية التي تعود على المواطنين من الصيام وبالتالي على المصلحة العامة.[٣٢]

[٣٠] انظر: د. أحمد الريسوني ومحمد جمال باروت، **الاجتهاد : النص الواقع المصلحة**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٣٩؛ ود. يوسف القرضاوي، **التطرف العلماني في مواجهة الإسلام**، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، تونس وتركيا نموذجا، (المغرب: المركز المغاربي للبحوث والترجمة ط١، ٢٠٠٢م)، ص ١٤٤، ١٤٥.

[٣١] وكثيراً ما راجعنا الموظفين في مثل هذه الأوقات فنجدهم إما يأكلون وإما يشربون الشاي وتجد مكاتب العمل والأوراق قد أصبحت طاولات طعام وشراب واختلطت أضابير المواطنين بلفائف السندويش والفول والطعمية .

[٣٢] انظر: الريسوني " الاجتهاد ، النص والواقع المصلحة " ص ٣٩ ، ٤١ .

**النموذج الثاني:** يرى عدد من المعاصرين أن الحجاب لم يعد ملائماً للعصر، ولا لمكانة المرأة وتحررها واقتحامها لكافة مجالات الحياة العامة من مدراس وجامعات ومعامل وإدارات وأسفار وتجارات، لأن هذا الحجاب يعوق حركة المرأة ويعرقل مصالحها.

فهل هذه الدعوى صحيحة من جهة تحقق المصلحة أو عدمها؟

يقول الدكتور الريسوني: "إذا تجاوزنا الخطابات المبهمة والشعارات التحديثية ذات التأثير الإشهاري الجذاب، فإننا لا نجد أي مصلحة حقيقية راجحة يعوقها الحجاب ويفوتها. وأحسب أن الواقع المعيش والمشاهد في العالم كله الإسلامي والغربي أصبح اليوم يشكل أبلغ رد على كل ما يقال عن السلبيات المدّعاة للحجاب، فلم يعد الحجاب قريناً للجهل والأمية والخنوع والتخلف، بل أصبح في حد ذاته رمزاً للتحرر والتمسك بالحقوق والمبادئ، ورمزاً للصمود والمعاناة في سبيلها، وهي رمزية لم تكن له فيما سلف يوم كان شيئاً عادياً يقبله الجميع ويسلم به الجميع . وهذا فضلاً عن كون ذوات الحجاب يوجدن اليوم بجدارة وكفاءة في كل موقع من مواقع العلم والعمل الراقية المتقدمة ، ولا يختفين إلا من المواقع التي يُمنعن منها أو لا تليق بكرامتهن وخلقهن".[٣٣]

ثم يضيف د. الريسوني "" إن الحجاب تظهر قيمته ومصلحته اليوم أكثر من أي وقت مضى، وبيان ذلك أن المرأة اليوم تنجرف مع تيار كاسح يكاد يختزل المرأة وقيمتها ودورها في الجسد المزوّق المنمق المعروض في كل مكان ، والمرأة -على نطاق واسع وعت أو لم تع قصدت أم لم تقصد - واقعة هي أيضاً في فتنة الجسد وفي فتنة اللباس، أو بعبارة القرآن الجامعة في فتنة التبرج، وجميع المتبرجات - من حيث يدرين أو لا يدرين – هن عارضات أزياء وعارضات أجسام، وكثيرات منهم يعشن يومياً - وكلما خرجن إلى العموم - في منافسة استعراضية لا تنتهي في الشوارع والإدارات، في الشواطئ والمنتزهات، وفي المدارس والجامعات في المناسبات والحفلات...

وكمن يصب الزيت على النار يقوم عدد لا يحصى من الرجال بالإغراء والتشجيع، وتقوم مؤسسات تجارية وإعلامية وسياحية بتغذية هذا التوجه وتأطيره والمتاجرة به بشكل مباشر أو غير مباشر، وهكذا تدخل المرأة - الضحية الأولى في هذا المنزلَق - في دوامة تنحط فيها كرامتها وقيمتها، وتنحط فيها اهتماماتها وانشغالاتها، حيث تستهلك قدراً كبيراً من وقتها ومالها لتدبير شؤون جسدها ولباسها ومظهرها. والحقيقة أن الذي أصبح يعوق المرأة عن رقيها وتحررها وعن دراستها وعملها ليس هو الحجاب، بل الانغماس في التبرج والتزين، والهواجس الاستعراضية... هذا هو الواقع الرديء الذي تنجرف إليه المرأة انجرافاً يخرج بها - أو يهبط بها - من التكريم إلى التجسيم هو الذي يقف اليوم في وجهه اللباس الإسلامي الذي يمنع المرأة من الانزلاق في المنحدر المذكور، ويمنعها من أن تصبح مفتونة أو فاتنة بجسمها وأعضائها أو بلباسها وحليها، أو بأصباغها وعطورها، أو بمعاملاتها وعلاقاتها. إن

[٣٣] انظر: الريسوني، الاجتهاد النص الواقع المصلحة، ص٤٣.

اللباس الجدي الساتر المتعفف المعتدل المتواضع أصبح اليوم ضرورة لوقف انحدار المرأة ، ومساعدتها على الرفع من قيمتها وهمتها ، وعلى استعادة كرامتها وتوازنها وتلك هي المصلحة حقاً".[٣٤]

**النموذج الثالث:** يرى بعض العلمانيين المتطرفين أن قطع يد السارق من العقوبات المتخلفة البدائية الهمجية التي لا تليق بهذا العصر المتحضر،[٣٥] ويلجأ آخرون إلى تحريف النص القرآني المتعلق بحد السرقة تحت مسمى التأويل،[٣٦] بينما يختار فريق ثالث أن القطع عقوبة مرتبطة بظروفها التاريخية ، وأنه كان يحقق المصلحة في الظروف العربية البدوية حين نزل النص بسبب عدم وجود السجون ، وعدم إمكانية وجودها في بيئة يعيش أهلها على الحل والترحال، أما اليوم فلم يبق له ما يسوغه بسبب تغير الحال والظروف، وتوفر السجون فلم يعد الحد "القطع" يحقق المصلحة المرجوة.[٣٧]

وأصحاب الاتجاهات الثلاثة مجمعون على أن العقوبة فيها قسوة وعنف من منظورنا المعاصر، وأن هذه القسوة وهذا العنف إذا كان ملائماً لذلك المجتمع البدوي القاسي، فإنه لا يليق بالمجتمعات المتحضرة اليوم.

فيجيب الدكتور الريسوني بقوله: "إن العقوبات المنصوصة في الإسلام تتسم بقوة الزجر، وسهولة التنفيذ، فهي زاجرة إلى أقصى الحدود للجناة ولغيرهم، ومن حيث التنفيذ لا تكلف ميزانية ضخمة ولا جهازاً بشرياً واسعاً ولا وقتاً طويلاً كما هو الشأن في عقوبة السجن. فإذا جئنا إلى حد السرقة وهو القطع وجدناه محققاً مقصوده ومصلحته بدرجة عالية ، والحق أن مجرد الإعلان عن إقرار عقوبة القطع يؤدي إلى زجر عدد واسع من السراق ... وإراحة المجتمع من سرقاتهم ومحاكمتهم وحراستهم وإطعامهم في سجونهم، ويتحقق هذا بدرجة أوسع وأبلغ حين يُشرَع فعلاً في تنفيذ العقوبة ولو على أفراد معدودين، فإقرار عقوبة القطع والشروع في العمل بها يخفض جرائم السرقة إلى العشر أو أقل، وهذا هو عين المصلحة وأقصى درجاتها في موضوعنا الذي هو صيانة الأموال وأصحاب الأموال من العدوان والخوف. بقي أن يقال: إن هذه العقوبة شديدة وفادحة وقد أصبح بالإمكان اليوم الاستعاضة عنها بغيرها. ويقال: إن شدة هذه العقوبة تخف وتهون بعدة أسباب:

الأول: هو ما تحققه من المصلحة العامة الواسعة مما سبقت الإشارة إليه.

والثاني: هو القلة المتزايدة في حالات القطع بمجرد الأخذ به والمضي في العمل به.

---

[٣٤] الريسوني، **الاجتهاد والنص الوقع المصلحة**، ص ٤٤، ٤٥. هل يمكن لعاقل أن يتصور أن المصلحة في أن تكشف المرأة عن كل جسدها ما عدا شريط يستر سوأتها كما يخبص شحرور؟! انظر: **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص ٦٠٦ – ٦٠٧ .

[٣٥] انظر: عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر" ص ١٩٠ .

[٣٦] انظر :د. محمد شحرور **نحو أصول جديدة**، ص ٩٩-١٠٣ حيث يؤول القطع بالكف أي كفوا أيديهما عن السرقة بالسجن مثلاً وحسين أحمد أمين " حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة " ص ٤٤ حيث ينقل عن عبد العزيز فهمي باشا القول بأن قطع يد السارق معناه قطعه عن السرقة بتوفير العيش الكريم له ، ولكن أمين يرفض ذلك ويرى أن عقوبة القطع تاريخية أي تناسب ذلك العصر فقط انظر ص ٤٤-٤٧ .

[٣٧] انظر: د. محمد عابد الجابري " وجهة نظر " ص ٥٧ – ٦٠ وحسين أحمد أمين المرجع السابق الصفحة نفسها. والصادق بلعيد " القرآن والتشريع " ص ١٩٩.

والثالث: هو كثرة الشروط التي يلزم توافرها للحكم بالقطع، وهي شروط مبسوطة في كتب الفقه لا يتسع المجال لذكرها، ولكن المهم هو أن تلك الشروط تُضيِّق جداً من الحالات التي يُطبَّق فيها القطع، والسبب الرابع: هو قاعدة "ادرؤوا الحدود بالشبهات".[٣٨]

ثم يضيف د. الريسوني: ومعنى هذا أننا سنكون أمام مصالح عظمى سيجنيها الأفراد والمجتمع والدولة ومؤسساتها وميزانيتها، مقابل أفراد قلائل سيتضررون بما كسبوه ظلماً وعدواناً. وإذا كان قطع بعض الأيدي يسبب تعطيلاً جزئياً لأصحابها في عملهم وإنتاجهم، فإن في سجن الألوف من السراق لشهور وسنوات تعطيلاً لهم، يضاف إلى ذلك أن السجن يشكل - في كثير من الحالات - مدرسة ممتازة لتعليم الإجرام، وربط العلاقات بين المجرمين، فهاتان مفسدتان لا بد من وضعهما في الميزان، فهل إذا نظرنا إلى المسألة من مختلف وجوهها المصلحية - مما ذكرت ومما لم أذكر - يبقى مجال للظن بأن حد السرقة لم يعد ملائماً للمصلحة ولظروفنا الحالية؟.[٣٩]

ويمكن أن يقال أيضاً: أن الرحمة تختلف من فهم إلى فهم، والذين يرفضون الحد بدعوى الرحمة يقدمون مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، وينظرون إلى حال شخص ويغفلون عن حال أمة. إن الطبيب قد يلجأ إلى قطع بعض الأعضاء المريضة في الجسم حتى يسلم الجسم كله من المرض، والقطع فيه قسوة، ولكنه يُفعل رحمة بالجسم، والأب يضرب ولده تأديباً وفي ضربه نوع قسوة، ولكنه يضربه رحمة به لكي يُقوّم اعوجاجه، وفي الحياة أمثلة كثيرة لذلك كلها يستفاد منها أن الضرر الأشد والأعم يزال بالضرر الأخف والأخص، ويُختار دائماً أهون الشرين، ومثل ذلك حد السرقة يتضرر الفرد – بما جنت يداه - رحمة بالمجموع.[٤٠]

ولكن الإشكال كما يبدو ليس في انعدام الرحمة وإنما في أمر آخر يلفت النظر إليه الدكتور الريسوني وهو أن هذه العقوبة وما شابهها من العقوبات البدنية المعمول بها في الشريعة الإسلامية ليست مُعتمَدة لدى الدول الغربية المتقدمة، بل أصبحت في نظر أهلها عقوبات مستهجنة ومستنكرة، إلى درجة أصبح معها عسيراً على كثيرٍ من المسلمين -ومن مثقفيهم خاصة- استساغة هذه العقوبات والنظر إليها بتجرد وعقلانية. ولذلك فأنا يراودني السؤال بعفوية وصدق: ترى لو كانت الدول الأوربية أو بعضها أخذت بعقوبة قطع يد السارق هل كان السياسيون والمفكرون والقانونيون في العالم الإسلامي سيجدون غضاضة أو حرجاً في تبني هذا الحكم وتفهم مصالحه وفوائده؟ اعتقادي أن الضغط الجاثم على النفوس والعقول له دور حاسم في تكييف النظرة وتوجيهها إلى كثير من القضايا التي استقرت عند العالم الغربي "النموذجي" على نحو مخالف لما في شريعتنا.[٤١]

---

[٣٨] سنن الترمذي، كتاب الحدود عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في درء الحدود، رقم ١٣٤٤ . سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، رقم ٢٥٣٥.

[٣٩] الريسوني، **الاجتهاد والنص الواقع المصلحة**، ص ٤٧-٤٩.

[٤٠] انظر: د . أحمد إدريس الطعان، **المدخل المقاصدي والمناورة العلمانية**، كلية الشريعة – جامعة دمشق.

[٤١] المصدر نفسه، ص٤٩.

وهذه النماذج الثلاث التي اختارها د. أحمد الريسوني لصلتها الوثيقة بهذا البحث، ولأنها تتناول مسائل ساخنة من قضايا المرأة، ومسائل الحدود بشكل عام، ولأن النقاش أيضاً اتجه إلى تحقيق مناط الحكم وهو محل الخلاف في أغلب الأحيان. بل إن النقاش اتجه إلى تحقيق المناط الخاص[٤٢] للقضايا المذكورة وصلتها بالواقع المعيش اليوم، وهي قضية في غاية الأهمية يجب أن لا نتغافل عنها.

**الخاتمة:**

الحمد لله أولاً وآخراً، بحمد الله تعالى وتوفيقه وصلت إلى نهاية هذه الدراسة المتواضعة، في المحاولة، من خلال هذه السطور المتواضعة، - على قصور معترف به مني - فقد توصلت على النتائج عديدة، منها:

١. إن علم المقاصد مر بعدة مراحل، قبل أن يصل إلينا في ثوبه الناصع الجديث، وكأن هذا العصر؛ عصرُ نضوجه وبلوغه، إذ كانت الكتابات الموجودة قبل هذا على شكل النظريات؛ أعني التنظير في المؤلفات، بخلاف ما وصل إليه الآن من مرحلة التنزيل والتطبيق. ولا أعني أن من كتب عنه سابقاً لايعرفون التنزيل، وإنما المقصود أن الحاجة إليه الآن أشد، والكلام عنه اليو أكثر من ذي قبل.
٢. ضرورة مراعاة مقاصد الشارع الحكيم، عند التعامل مع نصوص السنة النبوية المطهرة، وهذا يترتب عليه النظر سياقات الألفاظ وملابساتها.
٣. إن أفعال النبي عليه الصلاة والسلام بصفته رسول مبلغ، وإمام ومرشد، وقاضي، وحاكم، وناصح، و و، لها اعتبارات كثيرة لا بد من مراعاتها، وليست على درجة وحدة.
٤. إن السنة النبوية لا تخالف القرآن، وإنما قد تقصر العقول البشرية أن إدراك مغزاها، فعند عئذٍ، ينبغي رجحان جانب النص إلا إذا وجد مرجح.
٥. وإن في السنة النبوية أمثلة كثيرة، فيها مراعاة وتطبيقات لمقاصد الشريعة الإسلامية، من تعليل للأحكام، وتعليق الحكم بعلته، وبيان المقصود من تشريعه، إلى غير ذلك من الجوانب المهمة في الدراسات المقاصدية.
٦. وأن النص الشرعي هو الأصل والأهم في أي جانب من جوانب الدراسات الإسلامية، والمقصد من ذاك النص تابع للأصل، و لا يعني هذا الكلام نفي فائدة المقص ومراعاة المصلحة من ورائه، وإنما المقصود ألاّ يقدم المقصد والمصلحة على حساب النص الشرعي.

---

[٤٢] انظر: الإمام الشاطبي، **الموافقات**، ج٤، ص٤٧٠ – ٤٧١؛ و د. الريسوني، **الاجتهاد النص الواقع المصلحة**، ص٦٥؛ و د . أحمد إدريس الطعان، المدخل المقاصدي والمناورة العلمانية، كلية الشريعة – جامعة دمشق.

# السنة النبوية المطهرة وتحديات العولمة

**د. عبدالعزيز شاكر حمدان الكبيسي**
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية - كلية والقانون
جامعة الإمارات العربية المتحدة



**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، وافضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، مَنْ جاء بشريعة كاملة تكفل الله بحفظها إلى ابد الآبدين، وعلى اله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فان السنة النبوية المطهرة وهي تقف عند بدايات القرن الحادي والعشرين تواجه تحديات كبيرة، وعقبات كثيرة، تحأول النيل منها، وإطفاء نورها، وهدم كيانها، والإتيان على بنيانها.

ولعل من ابرز هذه التحديات التي تواجهها السنة المطهرة اليوم ما يعرف بـ(العولمة) تلك الظاهرة التي تروج لها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، وتدفع بها إلى الأمام، وتكره الشعوب والدول على الإيمان والتصديق بها، وترجمتها إلى واقع ملموس في حياتها، تارة بالترغيب، وتارة أخرى بالترهيب والتلويح بالعصا.

**والسؤال الذي يطرح نفسه هو : ما مدى تأثير تلك الظاهرة الجديدة في السنة النبوية؟ وما التحديات الناتجة عنها؟**

هذا ما حأولت الاجابة عليه في هذه الدراسة من خلال خوض غمار البحث في هذا الموضوع، وإبراز آثار هذه الظاهرة على السنة النبوية المطهرة علما ومصدرا، وبيان إفرازاتها السلبية والإيجابية عليها. وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

**الفصل الأول:** التعريف بالعولمة ونشأتها ومجالاتها وميادينها.

**الفصل الثاني:** آثار العولمة السلبية والإيجابية على السنة علما ومصدرا.

## تمهيد

## في التعريف بالسنة النبوية المطهرة

### تعريف السنة لغة:

قال الجوهري: السنن: الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد. وجاءت الريح سنائن: إذا جاءت على طريقة واحدة لاتختلف. والسنة: السيرة. قال الهذلي:

**فلا تجزعن من سيرة انت سرتها فأول راض سنة من يسيرها**[١]

وقال ابن منظور: السنة: هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة[٢].

والسنة في اصطلاح المحدثين على القول المشهور عندهم : هي كل ما اضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلُقية. وزاد بعضهم: وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم. وللسنة اصطلاحات أخرى، فهي عند الأصوليين تقابل البدعة، وعند الفقهاء تطلق على ما يقابل الواجب كقولهم سنة الصلاة كذا[٣].

ومرادي من السنة في هذا البحث: السنة في اصطلاح المحدثين. والسنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للاسلام في تشريعه وتوجيهه، يستند عليها الفقيه في استنباط الأحكام، ويتزود بها المسلم في مسائل الحلال والحرام، وإليها يرجع المربي ليستخرج منها التوجيهات المشرقة، والحجج الدامغة، والحِكَم البالغة، والقصص الهادفة، والاساليب المرّغبة في الخير، المرهبة في الشر، فهي تسير في خط القرآن الكريم، تخاطب كيان الانسان كله: عقله وقلبه، وتعمل على تكوين الشخصية الاسلامية المتكاملة المتسمة بالعقل الذكي، والقلب النقي، والجسم القوي، ثم هي فوق ذلك تمثل الجذر الذي يمد الامة بالأصالة، ويحميها من الرياح الهوجاء والعواصف العاتية.

## الفصل الأول

## التعريف بالعولمة ونشأتها ومجالاتها وميادينها

### تمهيد:

إنَّ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، والحكم على العولمة، وإبراز آثارها على السنة النبوية المطهرة، لابد أن يبدأ بتصور واضح لها، وفهم عميق لمدلولاتها، وميادينها ومجالاتها، لذلك رأيت من المناسب تخصيص هذا الفصل تمهيدا للفصل القادم الذي يمثل صلب الموضوع وعصبه الرئيس.

---

[١] الصحاح للجوهري : ٥ / ٢١٣٨ .

[٢] لسان العرب – مادة سنن

[٣] انظر الوسيط في علوم مصطلح الحديث لمحمد ابي شهبة ١٦ – ١٧ .

**أولا: تعريف العولمة في اللغة والاصطلاح**

أ. مفهوم العولمة في اللغة.

يعد لفظ العولمة من المصطلحات اللغوية الجديدة في اللغة العربية، وقد أخذ هذا المصطلح معاني متعددة، اختلفت في اللفظ، ولكنها اتفقت في المعنى والمضمون على قاسم مشترك واحد هو: الشمولية، والتعميم، والقولية. ويمكن قياس كلمة (عولمة) على وزن (فوعلة). و(عولم) على وزن (فوعل) بمعنى قولب: أي أعطى شيئاً ميزات جديدة وفق نموذج محدد ومنضبط. أو حوّل شيئا من وضع إلى آخر بناء على نمط جاهز ومعد مسبقا. ونخلص من ذلك: أن العولمة تعني: تعميم الشيء، وتوسيع نطاقاته، وزيادة مساحات ودوائر استخدامه، والتعامل معه ليشمل المجموع الكلي العام.

ب. مفهوم العولمة اصطلاحا:

إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة، نظرا لتعدد تعريفاتها، وغموض حقيقتها، ولأنها لم تزل مصطلحا ومضمونا في طور من الغرابة، لم يعرف الاستقرار بعد، فهي في كل يوم تكشف لنا عن وجه أو أكثر من وجوهها المتعددة و المتنوعة في هذا العالم المتغير بجملة تحولاته الكبرى.

ولو أنعمنا النظر في التعاريف الموجودة بين أيدينا لظاهرة العولمة لوجدنا أن البعد الاقتصادي يأخذ النصيب الأكبر فيها.

حيث يعرفها بعضهم بقوله: (العولمة: مجموعة المسلسلات التي تمكن من إنتاج وتوزيع واستهلاك سلع وخدمات من أجل أسواق عالمية منظمة بمعايير ومقاييس عالمية..وفق ثقافة تنظيم تتطلع للانتفاع على الإطار العالمي، وتخضع لإستراتيجية عالمية)[٤]. وفي المقالات التي دأب على نشرها الدكتور محمد عابد الجابري عن العولمة نقرأ التعريفات آلاتية: (العولمة تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال...)، (العولمة هي: ما بعد الاستعمار)، (العولمة هي: توحيد الاستهلاك، وخلق عادات استهلاكية على مستوى عالمي)، (العولمة هي: توحيد الاستهلاك ، وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي)[٥].

ويركز الدكتور إسماعيل صبري عبدالله في تعريفه لظاهرة العولمة أو الكوكبة على حد تعبيره على طروحات وعناصر مشابهة لما سبق مثل: (التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، وانتماء إلى وطن محدد، أو لدولة معينة، ودون حاجة لإجراءات حكومية ويرى أن العولمة تتجسد في الشركات متعددة الجنسية العملاقة. ويعتبر العولمة هي: (مرحلة ما بعد الإمبريالية في حياة الرأسمالية العالمية المعاصرة)[٦].

[٤] العولمة وعلاقاتها بالهيمنة التكنولوجية للدكتور آدم مهدي أحمد : ٣٠ .

[٥] انظر صحيفة السفير اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٩ و ٢٠ و ٢١ مارس (آذار) ١٩٩٧م . وأنظر كذلك اطروحات الدكتور الجابري عن العولمة المنشورة بعنوان ((العولمة والهوية الثقافية :عشر اطروحات)) في كتاب العرب والعولمة من إصدار مركز دراسات الوحدة العربية .

[٦] أنظر: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية ، ضمن كتاب العرب والعولمة ص٣٦١ وما بعدها .

ويعرفها الدكتور صادق جلال العظم بقوله: (العولمة هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها، وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ)[٧]. والتعريف الذي ارتضيه لظاهرة العولمة هو: أن العولمة هي:

(ظاهرة تتداخل فيها أمور السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، وتحدث فيها تحولات على مختلف الأصعدة تؤثر في حياة الإنسان على كوكب الأرض في كل مكان)[٨].

أو بتعبير آخر: هي التوجه الأيديولوجي لليبرالية الجديدة التي تركز على قوانين السوق، والحرية المطلقة في انتقال البضائع والأموال والأشخاص والمعلومات في الاقتصاد، وعلى فكرة الديمقراطية في البعد السياسي، وعلى مفهوم الحرية والمسأواة المطلقة في البعد الاجتماعي والأخلاقي، في ظل نظام عالمي يشمل المجالات السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية[٩].

ومن المصطلحات المرادفة للعولمة عند بعض الباحثين في هذا الميدان: مصطلح الكونية (الكوننة)، وربما استخدم البعض بديلاً عن مصطلحي العولمة والكوننة مصطلح الكوكبة[١٠].

**ثانياً: نشأة العولمة ورعاتها**

أ. **نشأة العولمة وتاريخ ظهورها:**

إن من الصعوبة بمكان أن نحدد نقطة تاريخية معينة لنشأة ظاهرة العولمة وانطلاقتها. فمن الباحثين من يرى أن العولمة قد بدأت مع فجر التاريخ البشري كما يرى (جامبل) في نظريته، ومنهم من يقول إنها بدأت مع بداية العصر الحديث كما يقول (موديلكسي) أو في بداية القرن التاسع عشر كما يرى (روبرتسون). ويرى آخرون إنها ظهرت منذ نهاية الخمسينيات أو بداية السبعينيات[١١].

**والذي يبدو لي:** أن هذه الظاهرة قد طبخت على نار هادئة ما بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١ للميلاد حين اعلن الرئيس السوفيتي الأسبق ميخائيل غورباتشوف عن حلول ثورة البيروسترويكا، وهي تعني إعادة البناء، والتي كانت بمثابة إعلان عن انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً، كياناً ونفوذاً. وما تلا ذلك الانهيار من تمكن دولة واحدة التربع على عرش النفوذ العالمي، وتبوء مكان الصدارة في العالم، فتمكنت هذه الدول من بسط نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري والحضاري على العالم كله، وتولي مركز القيادة الواحد لادارة شؤون العالم بكل مناحيها وأبعادها، وقد كان لذلك كله بروز ما يسمى بالاحادية القطبية، المتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية التي روجت لمفهوم العولمة وأخذت تلوح بالعصا لكل من يرفض الالتحاق تحت عباءتها والانسياق وراء طروحاتها، وما جرى من أحداث في العالم المعاصر خلال العشر السنوات الأخيرة يكشف بوضوح عن تلك الطبيعة.

---

[٧] ما العولمة : للدكتور صادق جلال العظم ، والدكتور حسن حنفي :١٢٥ .

[٨] العولمة : عالم ثالث على أبواب قرن جديد لعمرو عبد الكريم :٣٥ .

[٩] أنظر العولمة مقاومة واستثمار لإبراهيم بن ناصر الناصر، مجلة البيان العدد ١٦٧ ص١١٨ .

[١٠] أنظر العولمة والمستقبل ، استراتيجية تفكير للدكتور سيار الجميل ٧٧-٧٩ .

[١١] انظر: العولمة : نظرية بلا منظر لعلي حسن ص٢٢١ .

ب. **راعي العولمة:**

من خلال ما تقدم يظهر لنا ان الولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي الأول لمشروع العولمة، ذلك المشروع الذي يعني حقيقته تكريساً للهيمنة الأمريكية، وتعميقاً لسلطاتها المطلقة في السياسة والاقتصاد وغيرها. وقد سخرت الولايات المتحدة الأمريكية مؤسسات ضخمة لتنفيذ آليات العولمة وتحقيقها على ارض الواقع: كمنظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة، والشركات متعددة الجنسيات.

فالعولمة في أساسها ما هي إلا مشروع أيديولوجي مذهبي، له افتراضاته الفلسفية، يسعى لأمركة العالم كله، وحمله على التخلي عن هوياته الثقافية، وتبني النموذج الغربي الأمريكي في كل أشكاله وجوانبه.

**ثالثاً: مجالات العولمة وميادينها**

تظهر العولمة في مجالات عديدة ومتنوعة، وسأقتصر هنا على التعريف بإيجاز، بأهم هذه المجالات وأبرزها.

**عولمة الاقتصاد**: ويعد هذا المجال من ابرز المجالات التي تروج لها العولمة، حيث ترتكز العولمة فيه على فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة تتمثل في الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة متمثلة في الدول الأخرى، حتى أضحى التأثير الاستهلاكي للعولمة هو لبس الجينز، وشرب الكوكاكولا، واكل الهمبرجر، ومشاهدة المحطة الأخبارية (CNN) وكلها نتاج أمريكي، لدرجة أن الرئيس الفرنسي السابق (فرانسواميتران) وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذراً من تفشي ظاهرة لبس بنطلون الجينز بين الشباب الفرنسي لانه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي.

وتستخدم العولمة الاقتصادية عدداً من الوسائل والآليات هي:

١. صندوق النقد الدولي والبنك الدولي: وهما منظمتان أمميتان، الأول يقوم على ضبط النقد الدولي واستقراره، والآخر يمارس عمليات الإقراض ودراسات الجدوى في مجال الإنشاء والتعمير للدول المتضررة من الحروب والدول الفقيرة ضمن شروط قاسية.

٢. منظمة التجارة العالمية: من خلال قوانينها في السلع والخدمات وحقوق الملكية الفكرية، ومن خلال هيئة فض المنازعات والتحكيم، حيث تحول مفهوم التجارة لدى المنظمة من مفهوم تقليدي إلى مفهوم يشمل البيئة والعمل وحقوق الإنسان والعمال. وهذه المؤسسات الثلاث تمثل ثالوثاً خطيراً يمسك بخناق الدول الفقيرة، ويحاول جرها إلى التبعية الكاملة للغرب وشركاته.

٣. الإعلام والدعاية الإعلامية: وهي من أبرز الوسائل لترويج المنتجات الاستهلاكية، وتروج معها بشكل غير مباشر البيئات المطلوبة التي هي إفراز للثقافة والمصالح الغربية، وتقوم

إمبراطوريات إعلامية على خدمة الدعاية والإعلان، وتنفق الشركات الكبرى مئات الملايين من الدولارات سنوياً على هذه الخدمة.

٤. الشركات متعددة الجنسيات: والتي نجح الكثير منها في الهيمنة على السوق بنوعية منتجاتها وخدماتها وضخامة رأسمالها، واندماجاتها. ولقد شهد العالم اندماجات ضخمة بين شركات عملاقة، ففي مجال السيارات اندمجت شركة مرسيدس مع شركة كرايزلر، وفي مجال النفط اندمجت شركة اكسون مع شركة موبيل. وهلم جراً[١٢].

ب. **عولمة الإعلام والثقافة:-**

وذلك بترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية، والإعلامية، والاقتصادية، والعسكرية. وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الاقليات، وحرية الرأي. وتستخدم لتحقيق ذلك آليات ووسائل منها:

١. إصدار الصكوك والاتفاقات الدولية المصاغة بوجهة نظر غربية، والضغط من أجل التوقيع عليها مثل (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومكافحة التمييز ضد المرأة ووثيقة الطفل) وهذه الاتفاقيات وإن كان فيها بعض الحق إلا إنها تضم في طياتها باطلاً.

٢. إصدار القوانين من أجل استخدامها ضد دول العالم الثالث باسم حماية الاقليات، مثل قانون التحرر من الاضطهاد الديني الصادر عن الكونغرس الأمريكي.

٣. إصدار التقارير الدورية للضغط الإعلامي والسياسي والاقتصادي على المجتمعات الأخرى، مثل إصدارات الكونغرس الأمريكي ووزارة الخارجية الأمريكية الدورية، وإصدارات المنظمات العالمية الكبرى الدورية[١٣]. وهذا التصور والطروحات عبر عنها بوضوح الرئيس الأمريكي الاسبق بيل كلينتون بقوله: "ان أمريكا تؤمن بان قيمها صالحة للجنس البشري، وإننا نشعر ان علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا"[١٤].

ج. **عولمة السياسة:**

وذلك من خلال استخدام الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها، وعلى مؤسساتها السياسية المؤثرة، وبخاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، واستخدام حق النقض (الفيتو) المجحف عند الضرورة، أو التلويح باستخدامه لمنع أي قرار لا يريده الغرب، وبخاصة أمريكا. وما يجري الآن من تعسف أمريكي بدعم بريطاني، ومجاملة من بعض الأعضاء الدائميين في استعمال هذه المنظمة

---

[١٢] أنظر: العولمة بين منظورين للدكتور محمد امحزون ، مجلة البيان العدد ١٤٥،ص١٢٢ ، العولمة مقاومة واستثمار لإبراهيم بن ناصر الناصر ص١١٩-١٢٠ .

[١٣] انظر المصدرين السابقين .

[١٤] ندوة : هويتنا الإسلامية للشيخ محمد بن إسماعيل ص٤٦ .

العالمية ما هو إلا تكريس لهيمنة أمريكا، وما كشفه بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة في كتابه ((بيت من زجاج)) بعد خلافه مع أمريكا، يعدُ غيضاً من فيض.

**د. العولمة العسكرية:**

وذلك من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية التي تعقدها الدول الكبرى ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية مع الدول الصغيرة، ومن خلال حلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب بعد انتهاء الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفيتي، وانهيار حلف وارشو.

**هـ_العولمة الاجتماعية :**

وذلك بتحويل العالم إلى نمط المجتمعات الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ونقل قيم المجتمع الغربي والأمريكي تحديداً ليكون المثال والقدوة والأسوة، سواء ما نقل منها بإدارة مقصودة، أو ما انتقل منها كنتيجة طبيعة لرغبة تقليد الغالب، حيث إن الأمة المغلوبة تكون مولعة بتقليد الغالب (كما يقول ابن خلدون). وتتحدد معالم هذه العولمة ومظاهرها من خلال المؤتمرات الدولية التي عقدت بغرض تأطير السلوكية الشاذة التي تتعارض مع الفطرة الإنسانية ونشرها، والتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة، واستغلالها لصالح المؤسسات المالية الغربية.

ومن نماذج هذه المؤتمرات:

- المؤتمر العالمي للسكان والتنمية الذي عقد في القاهرة في شهر سبتمبر (ايلول) عام ١٩٩٤.
- مؤتمر المرأة العالمي الذي عقد ببكين في الصين في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٥.
- مؤتمر الإيواء البشري الذي انعقد في اسطنبول بتركيا في يونيو (حزيران)عام١٩٩٦.[١٥]

وهذه المؤتمرات أطرتها منظمة الأمم المتحدة، وهي الذراع التنفيذي لمخططات الولايات المتحدة وحليفاتها في أوربا. كما تبرز علامات هذا النوع من العولمة في مظاهر نقل السلوكيات والعادات الغربية من خلال المواد الإعلامية التي تبث عبر القنوات الفضائية وشبكة الانترنيت، ومن نماذج ذلك على سبيل المثال لا الحصر: الترويج لعيد الحب، وهي عادة غربية ذات أصول دينية وأخلاقية غربية.

## الفصل الثاني

## آثار العولمة السلبية والإيجابية على السنة علما ومصدراً

أولاً: الآثار الإيجابية للعولمة على السنة النبوية المطهرة

كما أن للعولمة أخطارها الضخمة، وآثارها السلبية الكثيرة، فإن هناك كثيراً من المكاسب والفرص التي هي جزء من الحركة الفاعلة والإيقاع السريع لمعطيات العصر. فالموقف العقلاني الرشيد لا يكمن في

[١٥] انظر: العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري لمحمد بن عبدالله الشيباني ص٩٨.

المقأومة وحدها، بل ينبغي أن يضاف إليه استثمار الفرص السانحة والمكاسب المتوفرة وذلك من خلال استخدام آليات العولمة بما يخدم المسلمين ويحافظ على هويتهم، ويبرز موقفهم، ويحمي كيانهم.

وإن الواجب يملي علينا عندما ندرس ظاهرة العولمة، وما تولد عنها من آثار، أن ننظر إليها من جانبين:

**الجانب الأول:**

من حيث أنها ظاهرة جاءت نتيجة لدخول العلم في عصر ثورة تقنيات الحاسوب والاتصالات والمعلومات، والثورات الإلكترونية الأخرى التي اكتسحت العالم في النصف الثاني من القرن الماضي، حيث كان من نتيجة هذه الثورة تحول العالم إلى (قرية كونية) بفضل السرعة الفائقة في وسائل الاتصال والمواصلات، وتدفق المعلومات وسرعة الحصول عليها بواسطة اجهزة الحاسب والانترنيت والبريد الإلكتروني.

والعولمة بهذا المعنى واقع معاش ، وليس هناك شئ يعيبها ، بل هي إيجابية ، وهي من تسخير العلم في خدمة الإنسان وبناء الحضارة(١٦).

وقد مرت الأمة الإسلامية بما يشبه هذه الظاهرة من هذا المنظور في سالف أزمانها، وذلك قبل أحد عشر قرناً تقريباً عندما فتحت الأمصار والبلدان، وتزأوجت الثقافات، وتلاقحت الحضارات، وانتشرت ترجمة العلوم من الأمم الأخرى إلى أمة الإسلام.

حيث تم في القرن الثالث الهجري –الذي كان يعد بحق عصر النهضة العلمية– تلاقح العقل المسلم بالثقافات الأخرى، وأخذ المسلمون من غيرهم ما يتناسب مع طبيعة دينهم، وطرحوا ما يتعارض مع مبادئه وأهدافه.

فلم ترفض الأمة المسلمة آنذاك علوم الأمم الأخرى رفضاً كليا، ولم تفتح أبوابها على مصراعيها لاستقبالها، بل توسطت بين هذا وذاك...دون إفراط ولا تفريط، وأخذت منها ما يحقق لها التقدم والرقي في بناء حضارتها.

بل وجدنا ان الأمة الإسلامية قد أظهرت من التقدير للعلوم والمعارف الأخرى ما لم تعرفه أمة على مدى التاريخ، حتى كان الخلفاء يقدمون جائزة للكتاب المترجم عن الأمم الأخرى زنته ذهباً، فترجمت كتب العلوم والفنون عن اليونان، والفرس، والهند، ونقلت ثقافتهم إلى اللغة العربية، وشكل ذلك إنجازاً علمياً وحضارياً ضخماً في مدة يسيرة وجيزة.

وهكذا نجد أن الأمة الواثقة من نفسها لا تفاجئها الأحداث، ومن هنا لم تتحول الامة الاسلامية آنذاك إلى أمة فارسية، أو رومانية، أو هندية أو غيرها، وإنما استوعبت كل جديد، ووطنته،

(١٦) انظر: في مواجهة العولمة للدكتور زكريا بشير إمام : ١٦٣ .

ثم نمّته وطوّرته، وابتكرت كل جديد يناسب المتغيرات، وبقيت تدور حول محورها الاساسي وهو الإسلام، وأخذت في التطور داخل اطار عقيدته، وقيمه، ومبادئه، ومفاهيمه(١٧).

وكأن التاريخ يعيد نفسه اليوم من جديد من خلال ظاهرة العولمة التي تحمل في طياتها وبين ثناياها الغث والسمين. وحريٌ بالامة الاسلامية اليوم أن تستفيد من آليات العولمة التقنية، وتسخرها في خدمة علومها على اختلاف أنواعها، الشرعية منها وغير الشرعية، ومنها السنة النبوية المطهرة حيث يمكن الاستفادة بصورة كبيرة جداً من الحاسوب وأقراصه المدمجة (CD Room) وأقراص DVD الذي يمكن للقرص الواحد منه أن يخزن أكثر من (١٥) مليون صفحة تقريباً، وأقراص "الهاردسك" وشبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وتسخيرها ذلك كله في خدمة علومها وفنونها.

ويمكننا من خلال الحاسب الآلي معالجة ندرة الحفاظ في عصرنا، إذ تستطيع الذاكرة الصناعية تخزين كل ما كتب في السنة النبوية المطهرة، وتكوين جميع البيانات اللازمة، وجعلها في مأمن، بحيث لا يجوز عليها النسيان أو الغفلة، ثم تقدمها إلينا عند الحاجة إليها بسرعة وسهولة فائقة.

كما يوفر استخدام الحاسب الآلي الجهد الضائع الذي يبذله الباحث بسبب عمليات جمع المادة العلمية، وكذا الوقت الضائع، وتوجيه الجهد والوقت إلى عملية نقد المعلومات وتصحيحها بدلاً من إهدارهما في العملية الجمعية(١٨).

يقول الدكتور أكرم العمري: إن الكم الهائل للرواية الحديثية والتاريخية والادبية في تراثنا، اقتضى أن يمتص (الجمع) وقت وجهد علمائنا، مع أن الجمع عمل آلي اكثر منه فنياً، والخبرة التي تتولد خلاله ضئيلة نسبياً، وتكاد تنحصر في التعرف على المصادر وكيفية استعمالها للوصول إلى المعلومة. وهذا يمكن تعويضه عن طريق تقرير مادة علمية متخصصة تعنى بعرض مصادر كل فن ومناهج المؤلفين، وأساليب تنظيم المؤلفات، والمصنفات التراثية، وهذا يعطي خبرة مركزة، وفكرة أوسع مما تعطيه التجربة خلال مرحلة جمع المعلومات، والتي تأخذ من الباحث الجاد مثل طالب الماجستير والدكتوراه ما لا يقل عن سنة أو سنة ونصف كان يمكن أن يقضيها في نقد المعلومات وتمحيصها وتحليلها لو قدمت له جاهزة. ولا يخفى أن الجمع بواسطة الكمبيوتر أدق وأشمل لعدم إحساس الجهاز بالإحباط والتعب ومشكلات الحياة، ولقدرته الهائلة على الإحاطة والاستيعاب إذا قورنت بقدرات الإنسان المحدود. إنّ توفير الوقت والجهد مهم جداً بالنسبة للعلماء والباحثين في العالم الاسلامي لاعطائهم فرصة للحاق بالاخرين في العالم المتقدم تقنياً وعلمياً، وفي نطاق الدراسات الانسانية(١٩). وقد تم الاستفادة من هذا الجانب في الدراسات الحديثة المعاصرة، نظراً للخصائص الهائلة التي

(١٧) انظر: السنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عنتر ص٤٩-٥٠ ، التربية الاسلامية وفلاسفتها لمحمد عطية الابراشي ص٢٥ .

(١٨) أنظر: المعلوماتية في خدمة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية للباحث ص٧ .

(١٩) مجال استفادة العلوم الإسلامية من الكمبيوتر للدكتور اكرم العمري : ١٤١ .

يحملها هذا الجهاز من حيث عظم اتساعه للمعلومات من جهة، وإمكانية برمجته لتحليل المعلومات وترتيبها من جهة أخرى.

ومن الدراسات الحديثة المعاصرة التي قامت على هذا المنوال: ما قام به الدكتور كمال الدين عبدالغني المرسي حيث كتب في مجلدين دراسة عن ((أسانيد الحديث في ضوء نظم المعلومات المعاصرة)) واختار موطأ الإمام مالك –رحمه الله– نموذجاً، واستطاع الوصول إلى نتائج طيبة لم يسبقه إليها أحد، ونبه إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض المتقدمين، وقدم إحصائيات دقيقة عن الرواة والروايات في هذا السفر الحديثي العظيم الذي يعد أصلاً من أصول السنة، ومصدراً من مصادرها المعتمدة.

هذا ويمكن للحاسب الآلي الذي أًصبح -حافظ العصر– أن يقوم بالأعمال الآتية:

١. القدرة التخزينية الضخمة لآلاف المجلدات من كتب السنة النبوية المطهرة.

٢. السرعة في استرجاع المعلومات، مما يجعل المعلومة طوع بنان الباحث بلمسة أزرار لوحة المفاتيح، وذلك في جزء من الثانية.

٣. القدرة الهائلة على التصنيف والفهرسة، والترتيب، والتقديم، والتأخير، وإعادة التشكيل، والنظر إلى المعلومات في مئات الزوايا والأوضاع.

٤. إعداد التقارير والدراسات، وإصدار النتائج.

٥. الربط بين المعلومات واستخدام (النظم الخبيرة)[٢٠].

ولا بد من التنبيه إلى أن الاستفادة من هذه الخصائص للحاسب الآلي في مجال السنة النبوية المعطرة تتطلب تضافر جهود أهل الحديث وأهل البرمجة معاً، بحيث يقدم أهل الحديث كتب السنة مصححة مضبوطة، ويعرضون أفكارهم في طرق الاستفادة من هذه الكتب، ويقدم أهل البرمجة برامجهم التي يصوغونها من خلال تفهمهم لأفكار أهل الحديث من جهة، ومعرفتهم بخصائص الحاسوب من جهة ثانية.

كما أفرزت الأبحاث العلمية المتقدمة في مجال المعلوماتية عن اكتشاف طريقة جديدة لتخزين المعلومات، تعتمد على استخدام أشعة الليزر لرص كميات كبيرة من المعلومات اسطوانات صغيرة جداً مصنوعة من مادة الألمنيوم، ذات وزن خفيف جداً، تسجل عليها المعلومات عن طريق ضغطها بأشعة الليزر[٢١].

وقد كانت لهذه الطريقة مزايا عديدة الفت بظلالها على شتى العلوم، ومنها العلوم الشرعية بصورة عامة والسنة النبوية بصورة خاصة. ومن هذه المزايا:

[٢٠] أنظر: استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية ص٥٧-٥٨ . تخريج الحديث للدكتور همام عبد الرحيم سعيد ص٤٤ ، تخريج الحديث الشريف للدكتور علي نايف بقاعي ص٤٦ .

[٢١] انظر: تكنولوجيا المعلومات والاتصالات :٦٠ .

١. سعة التخزين: حيث يستطيع القرص الواحد تخزين ما يعادل (١٣٠٠) كتاب بحجم الف صفحة للكتاب الواحد.

٢. ترشيد حيز مكان التخزين: حيث يستطيع القرص الواحد نقل (١٢٧٠) كيلو من الكتب تقريباً، وهذه الميزة تقدم حلاً لمشكلة المكان التي يعاني منها الباحثون وغيرهم.

٣. عدم احتياجها إلى عناية كبيرة لحفظها، لأنها لا تتأثر بالأجسام الغريبة بخلاف الأوعية الورقية التي تحتاج إلى صيانة وترميم وعناية خاصة لحفظها من التلف.

٤. الانخفاض المتزايد في سعرها.

٥. كلفة استخدام نظم الأقراص منخفضة نسبياً مقارنة مع أسعار الكتب وغلاء طباعتها في الوقت الراهن[٢٢].

وقد ألقى ظهور الأقراص المدمجة بظلاله على السنة النبوية المطهرة حيث ظهرت المكتبات الإلكترونية المتنوعة والموسوعات الحديثية المختلفة.

وانتقلت طريقة التعامل مع كتب الرواية أو الرواة من الطريقة التقليدية التي تعتمد على توفر المئات من المجلدات والأجزاء، والبحث عن طريق تقليب الصفحات والذي يتطلب وقتا طويلا، وجهداً كبيراً إلى الطريقة الالكترونية التي تتمثل في جلوس الباحث امام شاشة حاسوب ليتصفح آلاف الكتب، ويجول في بحر خضم من المعلومات، ويقف على ضالته في دقائق معدودة، بعد ما كان من قبل يقضي ساعات طويلة -إن لم تكن أياماً- يبحث في عشرات المجلدات، ومئات الأجزاء، ويقلب آلاف الصفحات، ويقطع المسافات الشاسعة ليعثر على بغيته، ويقف على مطلبه.

كما أدى استخدام المكتبات الحديثية الالكترونية التي ضمت مصادر كثيرة في السنة النبوية المطهرة إلى تفتق الأذهان عن موضوعات جديدة في ميدان البحث العلمي لم تكن تخطر على بال، وفتح آفاقاً كبيرة في البحث الموضوعي وغيره، ومكن في الوقت نفسه الباحث من الاستقصاء والاستيعاب في الموضوع الذي يراد البحث فيه.

وسأستعرض فيما يأتي قسماً من هذه البرامج الموجودة بين ايدينا اليوم مع التعريف بالمزايا التي تحملها في طياتها وبين ثناياها:

١-الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه:

يعد هذا البرنامج أضخم عمل موسوعي يخدم الحديث الشريف وعلومه بصورة تراعي الجوانب العلمية، فهي تحتوي في إصدارها الثاني على:

أ. موسوعة التخريج الآلي لـ ٢٠٠,٠٠٠ نص مسند.

ب. موسوعة تراجم تحتوي على أكثر من ١٥٠,٠٠٠ ترجمة لرواة الحديث.

---

[٢٢] المعلوماتية في خدمة البحث العلمي في الدراسات الإنسانية للباحث ص٩ .

ج. ربط الأحاديث بكتب الشروح.

د. الحكم على اكثر من ٨٠,٠٠٠ حديثاً .

هـ. موسوعة أطراف الحديث والتي تعد أضخم موسوعة أطراف يتم إعدادها حاسوبياً.

و. خمسمائة مجلد من كتب الحديث وعلومه.

٢- المكتبة الألفية للسنة النبوية المطهرة:

يحتوي هذا البرنامج في إصداره الاخير على ٣٥٠٠ آلاف مجلد وكتاب تقريباً، وبذلك ينفرد عن كل البرامج الإسلامية بهذا العدد الهائل من البيانات، كما يتميز بسرعة البحث.

ويعد هذا البرنامج بالمشاركة مع برنامج الموسوعة الذهبية مرحلة مهمة من مراحل مشروع حضاري تاريخي يهدف إلى جمع السنة النبوية من جميع مصادرها كما يقول مبرمجوه.

٣- موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

يحتوي البرنامج على أكثر من ٧٠ ألف حديث حكم عليها العلماء قديماً وحديثاً بالضعف أو الوضع، وقد جمعت هذه الأحاديث من الكتب المتخصصة بهذا النوع من الأحاديث، والتي يبلغ عددها (٧٨) كتاباً، أشرفت على إعدادها العلمي المكتبة الإسلامية في الأردن، وقام مركز التراث بالإعداد البرمجي لها.

٤- مكتبة الأجزاء الحديثية:

وهي مكتبة متخصصة بالأجزاء الحديثية، وهي مما لا يستغني عنه طالب العلم في علوم الحديث، وتعد أول برنامج في هذا الفن.

٥- موسوعة التخريج والأطراف الكبرى:

وهي موسوعة متخصصة تشتمل على أكثر من ٣٠٠ ألف طريق مسند، بالإضافة إلى موسوعة شاملة للأطراف القولية والفعلية والآثار.

٦- مكتبة علوم الحديث الشريف:

وتشتمل على تسعين مجلداً في علوم الحديث.

وجميع البرامج التي تقدم الحديث عنها هي **من إصدار مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي في عمان، المملكة الأردنية الهاشمية**، ويعد هذا المركز من المراكز الجيدة في ميدان المعلوماتية المختصة بالدراسات الإسلامية.

٧- موسوعة الحديث الشريف (الكتب التسعة):

وتضم هذه الموسوعة كتب الحديث التسعة: صحيحي البخاري ومسلم، وسنن النسائي والترمذي وابي داود، وابن ماجه، والدارمي، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.

ويزيد عدد هذه الأحاديث عن ٦٢ ألف حديث للنبي صلى الله عليه وسلم ويناهز عدد صفحاتها نحو ٢٥ ألف صفحة بالإضافة إلى شروحها. ويقدم هذا البرنامج خدمة للدارسين والباحثين في علم الحديث، حيث يجمع النصوص، ويوفر الوقت، ويوضح تعليقات العلماء، كما يشتمل البرنامج على مجموعة من الخدمات التقنية والشرعية منها:

أ. تحقيق النص، وضبط أسماء الرواة والأعلام.

ب. ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث.

ج. تحليل مفردات الأحاديث صرفياً، وضبطها بالشكل.

د. توفير معلومات مختلفة عن الرواة ومراتبهم.

هـ. شرح الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث.

و. تخريج الأحاديث، ودراسة الإسناد، وبيان طرق الرواية مما تم جمعه من أكثر من ٥٠٠ مجلد من المكتبة الإسلامية.

ز. يعرض البرنامج الحديث النبوي بمداخل مختلفة: من الفهارس، وتبويب الكتاب، على مستوى الموسوعة بالمكررات أو بدونها.

ح. يمتاز البرنامج بإمكانيات كبيرة في البحث توصل إلى أي حديث بدلالة أي كلمة من كلماته سواء على مستوى الجذر أو مع اللواصق، أو بدلالة عدة مفردات في الحديث سواء كانت مرتبة، أو متباعدة، أو متتالية، أو بدلالة رأويه، أو بدلالة أحد موضوعاته أو صفته، أو بكل الدلالات السابقة.

ويُعرِّف البرنامج بعلم مصطلح الحديث، والمصادر التسعة، ومصنفيها، بالإضافة إلى عدد من المعاجم التي تضم ألفاظ الكتب التسعة وغريبها ومبهمها، **وهذا البرنامج من إصدار شركة صخر للبرامج**.

٨- مكتبة الحديث الشريف:

وهي موسوعة شاملة للسنة النبوية، تضم أكثر من ٢٥٠٠ مجلد وكتاب، ومعظمها من كتب الحديث الشريف وعلومه، وتمتاز بأسلوب سهل- كما يقول مبرمجوها- وتجمع بين السرعة والدقة، **وهذا البرنامج من إصدار شركة العريس للكمبيوتر.**

وهكذا نجد أن السنة النبوية المطهرة قد حظيت باهتمام شركات البرامج والحاسب الآلي وذلك لأهميتها في حياة الأمة من جهة، ولحاجتنا إلى تقريبها من جهة أخرى. كما أفرزت آليات العولمة التقنية عن تلك الشبكة المعلوماتية العالمية التي تعرف بـ(الأنترنت) والتي حطمت القيود والحواجز،

وحققت وحدة معلوماتية، وثورة هائلة في كم المعلومات بحيث أضحت صفحاتها تزيد حسب الإحصائية التي جرت في نهاية عام ٢٠٠٠ على (١,٥) مليار صفحة[٢٣].

وقد اسهم ظهور هذه الشبكة في خدمة السنة النبوية المطهرة، حيث نجد عشرات المواقع الحديثية المتنوعة، والتي تقدم خدمة الوصول إلى الحديث ابتداءً بمن أخرجه من الأئمة، ومروراً برواته والتعريف بأحوالهم، وانتهاءً ببيان مظانه واحكامه وحِكَمه وفوائده.

كما حققت شبكة الأنترنت تقريب المسافات بين علماء الحديث وطلبته، وتوطيد الصلات فيما بينهم، ومكنت الطلبة من الاستفادة من خبرات أهل الاختصاص ونصائحهم وذلك عبر البريد الالكتروني، والمحادثة الصوتية والمرئية، ويضاف إلى هذا وذاك: أنّ شبكة المعلومات الدولية -الأنترنت- قد أتاحت للباحثين في السنة النبوية المطهرة الوقوف على البيلوغرافيا الحديثية التي تضبط المخطوط والمطبوع والمفقود من كتب السنة، وستسهم إلى أقصى حد ممكن من التكرار في البحوث والدراسات.

ومن المشروعات القائمة على الشبكة اليوم مشروع المخطوطات الموجودة في مكتبة الأزهر الشريف وتقديمها للباحثين على الأنترنت. كما أصبحت اغلب فهارس المكتبات في متناول أيدي الباحثين عن طريق الأنترنت. كما مكنّت شبكة الأنترنت بعض المؤسسات من إنشاء معاهد وجامعات تنهض بمهمة تعليم الناس علوم الشريعة الإسلامية على اختلاف أنواعها، وتعدد تخصصاتها، وذلك بواسطة ما يسمى بـ (الجامعة المفتوحة) أو ما يسمى بـ (نظام المستقبل)[٢٤].

ومن نماذج هذه الجامعات جامعة آل لوتاه العالمية في دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، والجامعة الاسلامية المفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية، وجامعة لندن الإسلامية المفتوحة ببريطانيا. وقد وجدت من خلال تطوافي في شبكة الأنترنت مواقع تقدم دورات تدريبية في علوم الحديث، وتمنح الإجازات العلمية لمن يلتحق بها عبر الشبكة وفق شروط وضوابط معينة.

وبذلك أصبحت الدراسة متيسرة لكل من أراد الاغتراف من هدى سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام. وسأستعرض -فيما يأتي- أهم المواقع الإسلامية الموجودة على شبكة الأنترنت، والتي تكفلت بتقديم السنة النبوية المطهرة، وتعريف الناس بها، ويمكن أن نقسمها إلى ما يلي:

**أولاً: مواقع متخصصة بالسنة النبوية: ومنها:**

i. موقع المحدث www.muhaddith- com وهذا الموقع من تصميم وإصدار طلبة الحديث النبوي الشريف سابقاً في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

ii. السنة www.alsunnah- com وهذا الموقع باللغة الإنكليزية.

iii. هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

---

[٢٣] انظر: العولمة مقاومة واستثمار، مجلة البيان العد ١٦٧ ص ١٢٢.

[٢٤] انظر: الإسلام على الأنترنت للباحث ص١٣ .

iv. علوم الحديث www. angelfire – com/ ab3 /hol

v. أذكار اليوم والليلة www.athkar .homepad .com

**ثانياً: المواقع الإسلامية الشاملة التي تناولت السنة النبوية وغيرها، ومن أهمها :**

i. الشبكة الإسلامية www .islamweb .net وهذا الموقع برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

ii. موقع الإسلام www .al-islam –com وهو برعاية شركة حرف للبرمجيات والإلكترونيات .

iii. موقع اسلام أون لاين online-net / Arabic/www.islam-

iv. موقع الدكتور يوسف القرضأوي www .qaradawi-net

v. شمس الاسلام .com www.islammsun

vi. الصحوة الاسلامية www .sahwa.com

vii. الازهر الشريف www .alazhar. org

viii. الرسالة http:// alresalah .cjb .net

ix. نفحات http ://nafhat .cjb .net

x. نسيج الاسلامية www .naseej .com /islamic

xi. وحي السماء .org http://wahy

xii. واحة الاسلام http:khayma –com /wahy / index.htm

هذا ويمكن أيضاً: استثمار تقنيات نقل المحاضرات، مثل تقنية غرف (PALTAIK) في نظام شبكة الأنترنت، حيث يستطيع المتخصص في الحديث ان يلقي دروساً، ويقدم محاضرات، ويجري حوارات، ويدفع بردودٍ على الهواء مباشرة بشكل مرئي ومسموع، يُستمع اليه من كل أنحاء العالم. ولا شك أن هذه الوسيلة لها أهميتها في التعريف بالسنة النبوية، وبخاصة إذا علمنا أنَّ عدد المشتركين في هذا النظام قد وصل إلى خمسة ملايين مشترك تقريباً ولك أن تتصور مقدار المصالح التي يمكن أن تتحقق في ميدان السنة ونشر علومها وإزالة الشبهات وترسيخ منهجها.

وهكذا نجد أن هذه الوسائل والآليات التي أفرزتها ظاهرة العولمة قد ألقت بظلالها على علوم السنة النبوية المطهرة، وقدمت لها خدماتٍ كبيرة، ووُظِّفت تقنياتها في نشرها والتعريف بها، والرد على الشبهات وأساليب الهدم التي توجه نحوها.

### ثانياً: الآثار السلبية للعولمة على السنة النبوية المطهرة

ولو نظرنا إلى الجانب الثاني لظاهرة العولمة الذي يتجلى فيه المعني الأيديولوجي لها، وهذا الجانب هو نتيجةٌ للسياسات والتدابير التي اتخذها النظام العالمي الجديد، ليؤكد هيمنة الحضارة الغربية عامة، والأمريكية بصفة خاصة على العالم بأسره في مشرق الأرض ومغربها.

وفي هذا الميدان أخذ فلاسفة النظام العالمي الجديد يتحدثون عن تفوق الحضارة الغربية وسيادتها على غيرها من الحضارات والثقافات، وأن هذه الحضارة تعبّر عن نهاية المعراج لحضارة الإنسان، وإنها القمة التي لا يستطيع البشر تخطيها مهما أوتوا من قوة أو سلطان...وأن تطور العالم مرهون بأن تلحق دول العالم الثالث –ومنها دول العالم الإسلامي– وكل حضارات العالم ومجتمعاته بالحضارة الغربية تقليداً ومحاكاة، دون النظر إلى موروثات الثقافة أو جذورها الفكرية والحضارية[٢٥].

ومن الذين كتبوا مبشرين بالعولمة كأيديولوجية وطريقة للحياة والسلوك المفكر الأمريكي فرانسيس فوكاياما في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" حيث يقول: إن العالم كله يتجه إلى فلسفة العولمة، بمعنى أنه يسير نحو محاكاة النموذج الغربي في التفكير والسلوك من ناحية عامة، والنموذج الأمريكي بصورة خاصة، ومظاهر هذا الاتجاه العالمي في شتى بقاع العالم نحو التغرب والأمركة كثيرة ومتعددة، ويرى فوكوياما "أن الحضارة الأمريكية قد وصلت إلى أعلى مستوى للرقي والتقدم يمكن أن يبلغه الإنسان في أي زمان ومكان، وأن الإنسان الغربي –صانع هذه الحضارة– هو أرقى سلالة بشريةٍ يمكن أن تخرج إلى الوجود، إنه خاتم البشرية (The lastman)[٢٦].

وإذا كان فوكوياما قد بشر بالعولمة، فإننا نجد ان رئيس وزراء إيطاليا الحالي يعلن بملء فيه عن تفوق الحضارة الغربية، وأن حضارة أوربا أرقى من الحضارة الإسلامية،حيث يقول: ((يجب أن نكون على وعي بتفوق حضارتنا التي تقوم على نظامٍ من القيم، يوفر للشعب الرخاء في الدول التي تتبناه، وتضمن احترام حقوق الإنسان والدين))[٢٧].

وهكذا نرى أن العولمة التي يروجون لها تعني أن تتخلى كل أمة وبخاصة أمة الإسلام عن شخصيتها، وعقائدها، ومبادئها، ومصادر تشريعها، وأن تعلن اتباعها لهم، والأخذ بأنماط سلوكهم الاقتصادية والأخلاقية والثقافية والتربوية والإعلامية والتشريعية، وتحويل العالم إلى غابة إلكترونية يستعلي فيها الكبار على الصغار، ونزع الهوية الوطنية والقومية والدينية، وصهر الثقافات كلها في ثقافة واحدة، والدعوة إلى اعتماد النموذج الغربي في الحياة الاجتماعية والسكان، وفرض قيم المجتمع الأوربي والأمريكي المختلفة في مجال الأسرة والمرأة من خلال المؤتمرات الدولية في المجالات الاجتماعية المختلفة ولا شك أن العولمة بهذا المعنى تمثل تحدياً كبيراً للسنة النبوية المطهرة باعتبار كونها مصدراً

[٢٥] انظر: في مواجهة العولمة : ١٦٤ .

[٢٦] انظر: المصدر السابق .

[٢٧] جريدة البيان الإماراتية الصادرة بتاريخ ٢٧ سبتمبر ( ايلول ) ٢٠٠١ .

رئيساً من مصادر التشريع الاسلامي، ومنهلاً من مناهل التربية والتوجيه، ومَعيناً تستمد منه القيم الإسلامية، ونبراساً تستلهم منه الثوابت الحضارية للأمة الإسلامية.

وإذا كنا قد وجدنا في مطلع عصرنا الحديث، ومنذ بدايات القرن الرابع عشر الهجري مقولات تتردد، ودسائس تتكرر، وأباطيل تروج، وشبهات توجه صوب السنة النبوية المطهرة، أثارها مستشرقون مغرضون متحاملون، وتلقفها مسلمون منبهرون بحضارة الغرب، مغترون بزخارفها وزينتها، يرددون دون علم منهم بما في هذه الشبهات والأقأويل من عظيم البهتان وزيف الباطل المختلق، فإننا نجد أن من إفرازات العولمة في أيامنا هذه قيام مواقع مشبوهة على شبكة الأنترنت تروج لهذه الاباطيل، وتبعثها في دنيا اليوم من جديد، تحت أغطية متنوعة، وبألبسة مختلفة، فتارةً يحمل البعض منها اسم ( السنة ) والسنة منها براء، وتارة أخرى تحمل أسماء إسلامية في ظاهرها، وتخفي أساليب هدامة في طروحاتها وآرائها، وتارة تحمل أسماء صريحة في إنكارها للسنة ومحاولة هدمها.

ومن هذه المواقع المشوهة والمشبوهة التي تروج لأساليب تهدف إلى هدم السنة النبوية المطهرة:

أ. موقع منكري السنة www .alislam .org

ب. موقع الأحمدية www . moslem org

ج. موقع أتباع د. رشاد خليفة.



# المنطلقات الفكرية المعاصرة للتشكيك في النسخ في الحديث النبوي وأثره على السنة النبوية

**عبد القادر عثمان إسماعيل**
قسم القرآن والحديث - أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا- ماليزيا



**الملخص**

تقرر عند العلماء على أن الأحاديث المتعارضة يعمل بهما جميعا إن أمكن الجمع وإلا فالترجيح فالنسخ ثم التوقف. وكان النسخ معلما من معالم المرونة في هذا الدين ومفخرة للعلوم الإسلامية. لكن برز في الساحة آراء مغايرة لما تقدم حيث اعتبر النسخ إما دليلا أن الأحكام في الإسلام مرحلية لا ثبوت لها، والبعض يرى في النسخ مطعنا في النبي صلى الله عليه وسلم حيث يغير الأحكام حسب الأهواء والرغبات مما حدى بالبعض إلى إنكار وجود النسخ أصلا في السنة النبوية. النسخ مبني على قواعد وأصول، وعلى هذا فهو يمكن قياسه ومعرفة مواضع الخلل فيه، لكن حينما يحصل تباين متضاد في النظر إليه هل هو حكمة أو فتنة، هل هو منقبة أو منكبة أثار ذلك إشكالية، احتيج إلى معرفة المنطلقات الفكرية لهذا التناقض في الآراء ثم محاولة معرفة ما هو الصواب في المسألة. إن للبحث عن المنطلقات الفكرية حول النسخ في السنة النبوية أهمية في الإجابة عن مسائل عالقة كثيرة متعلقة بجانب مهم من جوانب فقه السنة النبوية، كما أن لمعرفة ذلك دور في معرفة أحسن الطرق للتصدي للتحديات التي تواجه السنة النبوية، إذ إن معرفة المنطلق يساعد على معرفة الغرض الذي يرمي إليه الباحث ومن ثَم الحكم عليه ونقض أصوله من أساسه أو الإجابة عنه من خلال أصول أفكاره.

**المقدمة:**

الحمد لله الذي أنزل الكتاب رحمة للعالمين، الخبير بمصالح عباده وأحوالهم، الحكيم في تصرفاته ووحيه، يمحو من الوحي ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. صلوات ربي وسلامه على الرحمة المهداة، الحريص على المؤمنين وبهم رؤوف رحيم، ساس الناس لينا وشدة، عزيمة ورخصة، ووضع كل شيء في موضعه اللائق به، وأتم الله به الدين وختم به الرسالة، فلم يبق لقائل قول ولا لزائد حول ولا طول.

إن الدين الإسلامي يماشي الطبيعة، ويراعي الفطرة لذلك أنزل القرآن منجما، وأتت الأوامر بالتدرج حتى يتعود الناس، ويثبت به الله فؤادهم، فكان النسخ أبرز معالم هذا التدرج ، وأبهج آفاق هذا التثبيت للفؤاد، ورأى الأكثرون من العلماء بأن الحكمة تقتضي ذلك، وليس في ذلك ضير على

الشريعة، ولا طعنا على الشارع الحكيم. خلافا لمن رأوه في ذلك العكس، وحملوا النسخ غير ما يقصد منه، فصار لزاما البحث عن الصواب، ليرجع الحق إلى نصابه، ويبعد الباطل عن غير محله.

هذا البحث يرمي إلى النظر إلى هذه الأقوال، وبيان المنطلقات الفكرية التي تأثرت به كل فرقة من القائلين بالنسخ أو المنكرين له، وما يترتب على أقوالهم من تحديات للسنة النبوية في العصر الحاضر، ومحاولة البحث عن منعطف الإنحراف في المسألة، لأن الداء إذا عرف سببه سهل معرفة الطريق إلى علاجه، والحيلولة دون انتشاره وأضراره. وقد قسمت البحث على النحو التالي:

- المقدمة
- التعريف بالنسخ ومتعلقاته
- آراء الجمهور قديما وحديثا في النسخ
- الآراء المخالفة لرأي الجمهور في النسخ
- المنطلقات الفكرية لهذه الأفكار المخالفة
- الآثار المترتبة على تلك الأفكار
- الموقف الأسد في مسألة النسخ في السنة النبوية
- الخاتمة
- نتائج البحث

**التعريف العام بالنسخ ومتعلقاته**

النسخ لغة: كل شيء خلف شيئا فقد (*انْتَسَخَهُ*)، فيقال: (*انْتَسَخَتْ* الشمس الظل ، والشيب الشباب، أي : أزاله.وكتاب "*مَنْسُوخٌ*" و"*مُنْتَسِخٌ*" منقول ، و"*النُّسْخَةُ*" الكتاب المنقول، والجمع "*نُسَخٌ*" مثل غرفة وغرف ، وكتب القاضي "*نُسْخَتَيْنِ*" بحكمه ، أي كتابين.و"*تَنَاسَخَ*" الأزمنة والقرون تتابعها وتداولها ، لأن كل واحد "*يَنْسَخُ*" حكم ما قبله ويثبت الحكم لنفسه ، فالذي يأتي بعده "*يَنْسَخُ*" حكم ذلك الثبوت، ويغيره إلى حكم يختص به ، ومنه تناسخ الورثة ؛ لأن الميراث لا يقسم على حكم الميت الأول، بل على حكم الثاني، وكذا ما بعده .[١]

هذان المعنيان هما الواردان في القرآن الكريم؛ أحدهما الإزالة، أي يزيله ويبطله. والمعنى الآخر هو النقل[٢].

[١]- العسكري، أبو هلال **الفروق اللغوية**، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة، (بدون) ص ٢٩٠

[٢]- انظر: ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيند **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، ت: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية- بيروت. ط، الأولى- ١٤٠٦هـ . ص ٦. والسوسوة، عبد المجيد محمد إسماعيل **منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي**، دار النفائس، ط١ (بدون) ص ٢٧١

**النسخ في الاصطلاح:**

للعلماء إطلاقات متعددة للنسخ المتعلق بأحكام الشريعة، مما جعل مفهوم النسخ مختلف اختلافا كبير بين العلماء، كل حسب إطلاقه، وهذه الإطلاقات هي كما يلي:

**الأول**: نسخ المتقدمين؛ - كما عبر عنه الكشميري- وهو تقييد المطلق، وتخصيص العام، أو تأويل ظاهر، أو رفع الحكم بأكمله.[٣]

قال ابن القيم –رحمه الله-"مراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين ، ورفع دلالة العام والمطلق، والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد، أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره، وتنبيه. فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو: بيان المراد بغير ذلك اللفظ بأمر خارج عنه ، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى ، وزال عنه إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر".[٤]

**الثاني**: ظهور أمر خلاف ما كنا نعلمه وإن كانا باقيين حكماً. وهذا عند الطحاوي. قال الشيخ الكشميري: "ولذلك قال : إن رفع اليدين منسوخ ، ولذا قيل : إن الطحاوي يطلق النسخ كثيراً".[٥]

**الثالث**: عند المتأخرين من علماء الأصول: قال الإمام الغزالي – رحمه الله- هو: "الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيهعنه".[٦] وهو تعريف للقاضي أبي بكر الباقلاني، اختاره الغزالي في المستصفى، وارتضاه الآمدي.

وعلى هذا الأخير لمعنى النسخ وقع الخلاف بين العلماء وتشكيك المعاصرين وعليه بنوا احتمالاتهم واعتراضاتهم.

**آراء جمهور علماء الإسلام قديما وحديثا في النسخ:**

لم أعثر على قول لأحد من علماء الإسلام في إنكار النسخ في الحديث النبوي الشريف. وقد ذهب الجميع قديما وحديثا بأن النسخ يثبت إذا استكمل الشروط، وثبت بأحد طرق إثبات النسخ الأربعة المعروفة، والتي هي: وقوع التصريح من النبي صلى الله عليه وسلم بنسخ الحكم، أو تصريح الصحابي بذلك، أو وقوع الإجماع على النسخ، أو معرفة تاريخ وقوع الفعلين، وهذه الطرق تكاد أن تكون متفق عليها بين العلماء. قال ابن حزم –رحمه الله-"فهذه الوجوه الأربعة؛ لا سبيل إلى أن يعلم نسخ آية أو حديث

---

[٣]- انظر الكشميري، محمد أنور شاه ابن معظم شاه،**العرف الشذي شرح سنن الترمذي**، تحقيق: محمود أحمد شاكر، مؤسسة ضحى، ص٢٢٥، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،**مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ ص٦٩/١٤، وابن القيم، محمد بن أبي بكر **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة . ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م. ص ١/ ٣٥

[٤]- ٣/ ١٠٨

[٥]- الكشميري، المرجع السابق ص ٢٢٥

[٦]- الغزلي، محمد بن محمد،**المستصفى في علم الأصول** تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ص ١/ ٨٦

بغيرها أبدا، إما إجماع متيقن، وإما تاريخ بتأخر أحد الامرين عن الآخر، مع عدم القوة على استعمال الأمرين، وإما نص بأن هذا الأمر ناسخ للأول وأمر بتركه، وإما يقين لنقل حال ما، فهو نقلي لكل ما وافق تلك الحال أبدا بلا شك.فمن ادعى نسخا بوجه غير هذه الوجوه الأربعة فقد افترى إثما عظيما وعصى عصيانا ظاهرا، وبالله تعالى التوفيق." (٧)

ولم ينف هذا وجود اختلاف بينهم في بعض مسائل النسخ، مثل الكثرة والقلة، حيث يرى بعضهم أن عدد الأحاديث المنسوخة معدودة ومعلومة، من هؤلاء الإمام ابن الجوزي حيث قال: "وقد تدبرته فإذا فيه أحد وعشرون حديثا ".(٨) ونقص من هذا العدد الشيخ صديق حسن خان فقال: "وقد ذكرت في "إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ من المنسوخ" أن مجموع الآيات المنسوخة في الكتاب العزيز خمس آيات، ومجموع الأحاديث المنسوخة عشر أحاديث، وفاتني هذا الحديث – يعني حديث ترك الصلاة على المديون – في هذا ذلك الكتاب، إذ لم أستحضره حين تأليفه".(٩)

وأيا كان الأمر، فإن النسخ عندهم ثابت والاختلاف في الكثرة والقلة شيء قابل للمدارسة والنظر، ولم يك ذلك مدعاة لإنكار النسخ أو عدم الاعتبار به لديهم. وخلاصة القول لدى الجمهور في مسألة النسخ هو الثبوت لحكمة، والأخذ به واجب، والاعتبار به من صميم الشرع، والعمل بالنسخ وما تعلق به أمر لا محيص عنه، وهو من ثوابت شرعنا الحنيف، وإن حصل خلاف في إثبات النسخ في بعض الأحاديث.

**الآراء المخالفة لرأي الجمهور في النسخ:**

هناك آراء معارضة لرأي الجمهور في مسألة النسخ. وهي وإن تباينت فهي تتفق على إنكار النسخ أو النظر إليه من غير الزاوية التي نظر إليه الجمهور وهذه الآراء كالتالي:

**الإنكار الكلي للنسخ:**

لم أقف على دعوى إنكار وجود النسخ بالكلية في الحديث النبوي عند أحد من العلماء القدامى أو المعاصرين إلا ما كان من فضيلة الدكتور عبد المتعال محمد جبريفي كتابه "**لا نسخ في السنة في أحاديث العقائد وأحكام العبادات والمعاملات والجهاد والقضاء**".وهو رأي حتى وقت كتابة هذه البحث لم أر من جاراه فيه من العلماء.وقد حاول الشيخ بكل ما أعطي من قوة محاولة إنكار وجود النسخ أصلا في السنة النبوية، لكنه بذكائه وفطنته حاول التملص من بعض الأحاديث المشكلة التي لا يمكن مع ذكرها إثبات موقفه من إنكار النسخ، من هذه الأحاديث التي لم يذكرها في كتابه ما يتعلق

---

٧- ابن حزم، **الإحكام** مصدر سابق ٤/٤٦١؟؟؟ (راجع الطبعة)

٨- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن (١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م) **إخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار الناسخ المنسوخ من الحديث**. ت: د محمد إبراهيم الحفناوي. ط: دار الوفاء للطباعة والنشر– المنصورة ط ١، ص ١٦

٩- خان، صديق حسن القنوجي (١٤٢٢هـ) : **فتاوى الإمام الشريف صديق حسن القنوجي البخاري، المسمى بدليل الطالب على أرجح المطالب**، نقله إلى العربية: ليث محمد آل محمد، بعناية محمد لقمان السلفي، ط١، طبع: دار الداعي للنشر- الهند، ص ٦٣٣-٦٣٤

بمسألة تحريم استعمال الأسقية، والمتعة، التي لا يمكن بحال تجاهلها عند الكلام عن النسخ في الأحاديث.

ولم يبن مناقشاته على قواعد وأصول واضحة، بل غاية ما يفعله هو إثبات وجود اختلاف بين العلماء في مسألة ما بعينها، فيبني على ذلك عدم ثبوت النسخ. والحق يقال بأن النسخ إذا أريد نفيه إنما ينفى بقواعد ثابتة لأن علم النسخ مبني على قواعد وأصول، فإذا أراد المرء إثبات عدم النسخ فإنما يتطرق بالكلام على القواعد التي بني عليها حتى يأتي عليها ثم يأتي إلى الأمثلة فيثبت عدم انسجامها مع القواعد أو خرم القواعد من خلالها. لكنه فعل العكس حيث أتى إلى الأمثلة فأثبت بناء على وجود خلاف بين العلماء في بعضها، فأبطلها ولم يتطرق إلى القواعد، والأصل أن ليس كل خلاف يعتبر إلا إذا كان له حظ من النظر.

**التفسير التشريعي:**

أما الرأي الآخر في هذا الباب هو الرأي الذي يرى أن النسخ إنما يجب أن يفسر على أساس التاريخ وملابساته، وربطه بذلك تبريرا، وعلى هذا يكون الحكم الصادر بسبب النسخ غير سار المفعول في غير وقت صدوره، ولا يكون أصلا ثابتا من أصول التشريع الذي يؤخذ به في الحكم بل هو مجرد تاريخ يذكر من باب الاعتبار لا التشريع. ومن أقطاب هذا المذهب السيد القمني[١٠] ومحمد شحرور.[١١]

ويمكن تلخيص آراءهذه المدرسة في النسخ في النقاط التالية:

الأولى: إن النسخ معلما من معالم الشريعة الإسلامية الذي يمكن الاستدلال به على أن الشريعة قانون للطوارئ يمكن تغييره لكي يتكيف مع الظروف والتداعيات الموجودة، وبه يمكن تفسير تغير الأحكام من حظر إلى إباحة والعكس، وتفسير التشريعات الواردة في المجتمع المدني بمهفوم تغير الظروف لدى الحداثية الموجب لتغيير القضايا والفتاوى والأحكام كي تتناسب مع المجتمع الجديد.

الثانية: ومن منطلق فهم النسخ على أنه تابع لتغير الظروف والأحوال ادُّعيَ عدم تعميم أحكام الشريعة لكل زمان ومكان، وزعم أن الشريعة المدونة تصلح لزمن النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان

---

١٠- **سيد القمني** من مواليد ١٣ مارس١٩٤٧ بمدينة الواسطى في محافظة بني سويف، معظم أعماله الأكاديمية تناولت منطقة شائكة في التاريخ الإسلامي. البعض يعتبره باحثاً في التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ماركسية والبعض الآخر يعتبره صاحب أفكار اتسمت بالجرأة في تصديه للفكر الذي تؤمن به جماعات الإسلام السياسي، بينما يعتبر السيد القمني نفسه وعلى لسانه من على قناة الجزيرة الفضائية إنه إنسان يتبع فكر المعتزلة. ( انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة )

١١- **محمد شحرور** (مواليد دمشق١٩٣٨) أحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق ومؤلف ومنظر لما أطلق عليه القراءة المعاصرة للقرآن. بدأ شحرور كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي (رغم نفي جميع مؤلفاته لذلك). في سنة ١٩٩٠ أصدر كتاب الكتاب والقرآن الذي حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن مما أثار لغطا شديدا استمر لسنوات وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة في كتابه ومحاولة دحضها أو تأييدها.( انظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة )

بالمدينة، ولا يصح بأي حال تعميم ذلك على المجتمعات الأخرى والأمم الحاضرة، فلكل مجتمع سماته وأحواله وظروفه، ولكل ما يصلح له من أحكام وتشريعات.[١٢]

**التفسير التشكيكي الاستنكاري:**

يختلف المستشرقون عن غيرهم في نظرتهم إلى النسخ في الإسلام عامة وفي الحديث النبوي خاصة. فقد نظروا إلى النسخ بعين ملؤها الشك والتساؤلات، بل يرون أنهم وجدوا في النسخ دليلا على تحقق عدم ربانية المصادر الإسلامية، واعتبروا القول بالنسخ "طريقة مبدعة للإجابة عن الارتباكات المثيرة".[١٣] التي تستوقف المسلم خلال تأملها في مصادره التي يعتبرها. فالنسخ إجابة عن تعارض واقعي، واضطراب متكرر وكثير في نصوص السنة حدى بالعلماء إلى اختراع طريقة لاحتواء تلك المشكلة.

ويذكر المستشرقون كغيرهم بأنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم تنويه ولا ذكر لمسألة النسخ، فالنسخ في نظرهم محاولة لتغطية التناقضات المتواجدة في الأحاديث، فحاول- كما زعموا- بعض العلماء من وضع حديث لذلك عن ابن عمر، لكن الإسناد لم يسعفهم. وإن الإمام الشافعي بما بذل من الجهود الجبارة في تثبيت هذه النظرية استطاع أن يفرض مسألة النسخ في الحديث النبوي وذلك بعد القرن الثالث من الهجرة، ومن بعده ذلك استساغ المسلمون تقبل هذه النظرية. وإنما فعل ذلك –حسب زعمهم- لكي يتسنى للناس قبول الأحاديث التي قد طغى عليها التناقض والتعارض. فكان سعيه هذا فتحا في باب منح الحديث النبوي الحماية ضد تهمة عدم سماويته، ومن ثَمَّ التكاتف والتعاضد ضد الهجوم عن تلك التناقضات، ولذلك كان للمعتزلة موقف آخر حول الحديث لما رأوا من كثرة التناقضات فيه، مما جرهم إلى تقديم العقل على النقل الحديثي.[١٤]

**المنطلقات الفكرية للآراء الحديثة:**

إذا أخذنا بالاعتبار رأي الشيخ الدكتور عبد المتعال جبري في مسألته لإنكار النسخ في السنة النبوية نستطيع إرجاءها إلى ما تقرر في ذهنه من إنكار النسخ في القرآن الكريم، فقد كتب قبل هذا كتابين أحدهما بعنوان: "**النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه**"، والآخر: "**لا نسخ في القرآن**". فالدكتور عبد المتعال جبري عنده خلفية بحث في قضية النسخ في القرآن الكريم، والذي كثر فيه الأخذ والرد بين العلماء في حيث أخذ كثير من المعاصرين بمذهب الإمام أبي مسلم في إنكاره للنسخ، وذلك حماية لجناب القرآن، وإبعادا لدواعي تعطيل بعض النصوص وعدم الأخذ بها.

ولقد أثر هذا على الشيخ الدكتور مما حدا به إلى إنكار وجود النسخ في الشرع قاطبة -في القرآن والحديث-ويفهم هذا جليا من خلال أقواله عند مناقشته النسخ في الحديث في مستهل كتابه:

---

[١٢] السيد محمود القمني: **النسخ في الوحي**. وموقع: الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/deba4تاريخ التحديث ٢٠/١٢/ ٢٠١٠م، تاريخ تأكيد التصفح: ١٥/١٢/٢٠١٢م

[١٣] - J. Burton, The source of Islamic Law, Islamic theories of abrogation (England: Edinburgh University press; 1990) p8

[١٤] - باتون ص ٣٠-٤٠

قال –رحمه الله: "أن النسخ جاء على خلاف الأصل، وما جاء خلاف الأصل فإنه لا يثبت إلا بنص هو نص في المعنى. أي لا يحتمل في دلالته إلا وجها واحدا... ولا يوجد نص قطعي الدلالة والثبوت يثبت النسخ في آية من القرآن الكريم".[١٥]فيتحير القارئ في قوله هل هو يناقش قضية النسخ في القرآن أم السنة.

وخذ قوله الآخر: "النسخ في السنة أو القرآن نسبة إلى الجهل، أو التجهيل للشارع الحكيم". والشارع الحكيم هو الله، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله، وإذا لم يرد حكم من الشارع قضى النبي صلى الله عليه وسلم بما تبدى له فيكون اجتهادا كما راق أن يسميه البعض، فإذا أقره الله على ذلك صار حكما شرعيا ثابتا، وإن لم يرد إقرار من الله فهو واجب الاتباع على الصحابة لأن الله أمر بذلك. فإذا أتى حكم آخر من الله بعد ذلك صار الأول منسوخا وكانت العبرة بالحكم الأخير، وهذا لا غبار عليه، وليس فيه نسبة الجهل إلى الله ولا تجهيل الشارع، بل غاية ما يقال بأننا علمنا نهاية المدة بالناسخ، فكان في حقنا تغييرا وتبديلا وفي حق الشارع بيان لنهاية الغاية التي وضعها في علمه الأزلي، فليس في المسألة محال ولا تجهيل.

وخلاصة القول أن منطلق الشيخ عبد المتعال جبري في إنكار النسخ هو خلفيته البحثية في مسألة النسخ في القرآن الكريم، وكان هذا ما جره إلى إنكار النسخ في الحديث كلية مع عدم الأخذ بالاعتبار مغايرة طبيعة القرآن عن الحديث من حيث الثبوت والدلالة، ومن حيث كون الثاني تطبيقات عملية للأحكام الواردة في القرآن، وعند التطبيق يراعى التدرج والتريث لأن هناك ما يمكن تطبيقه وهناك ما يجب تأخيره أو التدرج في فعله.

ويمكن تفسير منطلقه بالغيرة والدفاع عن الشرع الحنيف، وحسم باب الطعن في السنة النبوية بإثبات الاضطراب فيها، فهو ينفي وجود الاضطراب أصلا، وبذلك يرى أن الطعن في السنة عن طريق النسخ غير ممكن إذ قد حسمت مادته.

أما الرأي الثاني الذين يرون أن النسخ قانون للطوارئ، وكل ما ثبت نسخه فهو حكم مرحلي لا يجوز أخذه كأحد ثوابت الدين، ولا يجب كذلك تطبيق حكمه على من أتى بعد النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الظروف قد تبدلت، والأحوال قد تغيرت، فعلى ذلك فالنسخ حكاية تاريخ لوقائع الأحداث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا غير.

ويمكن معرفة منطلق هذه الأفكار التي تبناها بعض الكتاب كالدكتور سيد القمني ومحمد شحرور ومن حذا حذوهما بالنظر إلى خلفياتهم الفكرية والعقدية، فالسيد القمني يرى أو يدعي عدم صلاحية أحكام الإسلام لكل زمان ومكان.[١٦]

---

[١٥]- جبري، مرجع سابق ص ٢

[١٦]- طريق الإسلام http://ar.islamway.com/article/6110 تاريخ النشر: ٢٠١٠/٥/٢٧م تأكيد التصفح ٢٠١٢/١٢/١٥م

ويرى غيره كالدكتور محمد شحرور بأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أمر بتبليغ الضروريات؛ وهو ما اشتمل عليه الوحي في مكة، أما ما ينتمي إلى النسخ فتشريعات مرحلية تبعا للظروف والطوارئ ولا ينبغي أن تكون ثابتة ولا أن تكون أصلا يرجع إليه عند التحاكم في المسائل الدينية. يقول محمد شحرور: "تكون الطاعة المتصلة للسنة الرسولية في الشعائر الواردة في ما ثبت عنه من أحاديث رسولية الشعائر، وفي القيم الإنسانية الواردة في القرقان العام والفرقان الخاص، بينما الطاعة المنفصلة للسنة النبوية الموجودة في القصص المحمدي والأحاديث التي وردت فيها اجتهادات النبي (صلى الله عليه وسلم) لتنظيم مجتمعه، أي لمن عاصره فقط".[١٧]

ويمكن تلخيص نظرتهم إلى النسخ في أمرين: الأول: أن النسخ عندهم – إن صح النقل- فهو عبارة عن قانون طوارئ وتشريعات مرحلية لا على أنه من الثوابت الدينية التي يرجع إليها في الزمن الحاضر. والأمر الآخر هو أن في النسخ دلالة على عدم صلاحية التشريعات التي كانت بالمدينة لسائر المجتمعات وخاصة الحديثة، لأنها وليدة ظروف وعادات وتقاليد مناسبة للمجتمع المدني فقط، ولمن يعيش في ذلك الوقت فقط.

وقد كان منهجهم مبني على أفكار عقائدية غربية، ومذاهب فلسفية يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ.[١٨] وقد صار هذا المنهج الذي يسمى بالحداثي عند من ينتهجه من المسلمين والعرب مرجعية مسلمة غير قابلة للنقاش والتعديل.[١٩]

فالدكتور محمد شحرور تأثر بالأفكار الماركسية الغربية التي استقاها أثناء تواجده في اتحاد السوفيت، وانبهاره بالفكر المركسي أراد ليُّ النصوص الشرعية لتتوافق معها، أو تفسيرها تفسيرا تاريخيا كما فسر الشيوعيون الأحداث بناء على ذلك في كتاباتهم وأدبياتهم. والسيد القمني كذلك، كان تخصصه فلسفيا، فأراد أن يجعل من ذلك منطلقا لفهم النصوص الشرعية بعيدا عن أقوال أصحاب الاختصاص فظهرت منه تلك النتائج التي تتوافق مع أفكاره الفلسفية الغربية التي تحاول تفسير كل شيء حسب ما توصل إليه العقل بعيدا عن النقل.

ولئن كان الدكتور السيد القمني يدعي انتسابه إلى الاعتزال إلا أنه خالفهم في مسألة القول بالنسخ، فهذا الإمام الزمخشري يقول: " تبديل الآية مكان الآية : هو النسخ ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح ، وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم ، وخلافه مصلحة . والله

---

١٧- محمد شحرور (٢٠١٢م) السنة الرسولية والسنة النبوية: رؤية جديدة، طبع: دار الساقي- ٢٠٩

١٨- أنس سليمان المصري،(١٤٣١هـ- ٢٠١٠م) **المنطلقات الفكرية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين**، ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=225458 تاريخ التحديث ٢٠١٠/١٠/١٨م

١٩- البنيوية :منهج يستكشف العلاقات الداخلية المتبادلة للعناصر الأساسية في النص، بعيداً علىالمعاني المباشرة لها.

التفكيكية: مذهب أدبي يقول باستحالة الوصولإلى فهم متماسك أو متجانس للنص أياً كان.

السيميائية أوالسيمانتية: علم الدلالة، وهو علم حديث يبحث في الدلالات اللغوية،يدرس المعاني اللغوية على صعيد المفردات والتراكيب، وما يتبعه من تطور لهذهالمفردات بعيداً عن الاشتقاقات التاريخية لها.

انظر: محمد عبد الفتاح الخطيب،(بدون) القراءة الحداثية للسنة النبوية، موقع الدرر السنية: http://www.dorar.net/art/258 تأكيد التصفح ٢٠١٢/١٢/١٥م

تعالى عالم بالمصالح والمفاسد ، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته".[٢٠] فهو يثبت النسخ ويرى فيه الحكمة الإلهية الصالحة للاعتبار.

والمنطلق الثالث هو للمستشرقين الذين كان همهم دراسة الإسلام من زاوية تلمس الأخطاء التي بها يثبتون عدم مصداقية هذا الدين، وكونه رسالة ليست سماوية بل من اختراع النبي صلى الله عليه وسلم، والتناقض أحد المداخل إلى ذلك. فالسنة في الأصل عندهم كما يقول المستشرق الألماني شاخت مصدر حافل بالتناقضات التي تجعل المرء يشك في أنه يقرأ في كتلة موحدة من المعلومات، ويكاد يجزم لأجل التناقض الكثير في داخل مدونات السنة بأن هذا القدر من التناقض ليس من المعقول أن يكون صادرا من مصدر واحد.[٢١]

فالسنة النبوية –عندهم- مدونة سطره الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وليس مما أملاه إليهم أو شاهدوه منه. وعلى نحو هذا يقول ماكدونالد: "فمن الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه – محمد- كما أننا لا نستطيع أن نعرف أبدا الأحاديث التي صدرت عنه حقا. وقد بين لنا جولد زيهر أن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلا للجدل الديني في القرون الأولى، ومن ثم كانت قيمتها التاريخية.

لكن هذا السجل مضطرب، كثير الأغلاط التاريخية، وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى، حتى أنه أصبح لا يصلح إلا لتكملة المصادر الأولى وتوضيحها، ولهذا ينبغي أن نوجز الكلام في الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد أو آراء المسلمين في صدر الإسلام، ولا يقصر الأمر على هذا، فإن الأحاديث التي نجد فيها مشابهة لما ورد في القرآن مشكوك فيها كذلك".[٢٢]

فعلى ذلك أنكروا النسخ بناء على إنكار أصله وهو الحديث النبوي، فلم ينظروا إلى الحديث على أنه شيء صادر من النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو مجرد مدونات سطره الكتاب بعده كل على حسب ما يراه أو ما توصل إليه عن طريق جدل ديني قائم في القرآن الأول. والنسخ بتناقضاته – كما يرون- شاهد على ذلك ومؤكد.

وخلاصة هذا الانطلاقة هو إنكار النسخ على بناء على إنكار الحديث من أصله، ولو ثبت لكان ذلك دليلا عندهم على عدم مصداقية النبي صلى الله عليه وسلم إذ صدر منه أمور متناقضة مما يدل على أنها ليست من الوحي، وإنما هي من اختراعاته وآراءه.

---

[٢٠]- الزمخشري؛ محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ص ٥٩٢/٢

[٢١]- برتون، المرجع السابق ص ٤

[٢٢]- الأمين، الأمين الصادق (١٩٩٨م)، **موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية** نقلا عن **دائرة المعارف الإسلامية**، ط١، مكتبة الرشد- الرياض، ص ٢/ ٣٩-٤٠

**الآثار المترتبة على إنكار النسخ في الحديث على السنة النبوية:**

إثبات جميع ما قيل إنه منسوخ في الحديث من قبل العلماء ليس مقبولا، وكذلك إنكاره جميعا في الحديث له ما يترتب عليه من عواقب. بل إن العلماء المحققين من جمهور العلماء الذين أثبتوا النسخ يرون أن هناك تجاوزات في إطلاق النسخ على الأحاديث منهم الإمام النووي حيث يقول: "وقد أدخل فيه – الناسخ والمنسوخ- كثيرون أو الأكثرون من المصنفين فى الحديث ما ليس منه بل هو من قسم التخصيص أو ليس منسوخا ولا مخصصا بل مؤولا أو غير ذلك." [٢٣]

وقال الإمام الشاطبي: "أن غالب ما ادعى فيه النسخ إذا تأمل وجدته متنازعا فيه ومحتملا وقريبا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه من كون الثاني بيانا لمجمل أو تخصيصا لعموم أو تقييدا لمطلق وما أشبه ذلك من وجوه الجمع مع البقاء على الأصل من الإحكام في الأول والثاني".[٢٤] وقد سبق تحديد عدد الأحاديث لدى بعضهم، وهو وإن لم يكن مسلم به كله، إلا أنه دليل على مسألة الكثرة والقلة عند الجمهور أنفسهم متنازع فيه.

ولا شك بأن " النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان"[٢٥]كما قال الإمام الزمخشري. فإذا أمعنا النظر في قول من يقولون بتأريخية النسخ، وكما صرح بذلك القمني في قوله: "لقد تحولت النبوة عن نهج الإبهار بالإعجاز الساحر، فلم تأخذ بعصا سحرية تفعل الأعاجيب، ولا تمتمات تحي الموتى، وإنما أصبحت فرزا صادقا يتطابق مع واقعها الزمكاني، وهو ما جعل الوحي بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم يختلف عن الوحي الإيهامي والإلهامي. لقد تحول باليقين إلى الواقع يتفاعل معه، يقرأ الواقع، ويجيب عن أسئلته، ويساهم في حل إشكالياته، يرتبط بالأرض ومصالح ناسها ومطالبهم، بحسبان الناس، وليس السماء هم هدفه الرئيسي، بحيث أصبح الناس المتغيرون بتغير أحداث الواقع عنصرا أساسيا في مجيء الوحي متفرقا". [٢٦]

وتحليل هذا الموقف أن الوحي ومنه السنة إنما هو تصرفات نبوية مصالحية راعت أحوال الناس، واتبعت أهواءهم وذلك إبقاء لولاءهم للدين. ولعل هذا يفسر ما أشار إليه في كلمات متقدمة مؤيد نظرة قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساع إلى إلغاء الشفعاء كلها وإسقاط الرمز القوي السيادي المتماهي الأستقراطي، ليصبح هو السيد الأوحد للقبائل لتنتقل إليه وحده الشفاعة، من حيث كونه صاحب العلاقة مع الله وليس الشفعاء ولا الكهان ولا التجار. وزاد على ذلك اعتباره ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة أعطيات وإقطاعات تكريسا للوضع الاجتماعي القائم.[٢٧]

---

[٢٣]- النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري (١٣٩٢هـ) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، . ص ٣٥/١

[٢٤]- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (بدون) **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله دراز. ط: دار المعرفة – بيروت. ص ١٠٦/٣

[٢٥]- الزمخشري، مرجع سابق ص ١/ ٢٣١

[٢٦]- السيد القمني: المرجع السابق ص ١٥

[٢٧]- القمني: ص ٩-١٠

فكأنه بذلك يرى أن ما يمكن استنتاجه من النسخ الذي هو تبديل حكم بغيره إنما هو محاولة من النبي صلى الله عليه وسلم لتعزيز دولته ومكانته، وترسيخا لأجندته من خلال محاولته إرضاء متبعيه. وهذا القول له من الخطورة حيث إنه يجعل النبي صلى الله عليه وسلم مجرد قائد يتصرف باعتبار ما يضمن له بقاء الناس حوله، والأحكام التي يصدرها تتغير إرضاء للناس ومسايرة لهم.

لذلك كان النسخ عند هؤلاء بل الحديث كله كما نص على ذلك محمد شحرور حيث قال: "تكون الطاعة المتصلة للسنة الرسولية في الشعائر الواردة في ما ثبت عنه من أحاديث رسولية الشعائر، وفي القيم الإنسانية الواردة في القرقان العام والفرقان الخاص، بينما الطاعة المنفصلة للسنة النبوية الموجودة في القصص المحمدي والأحاديث التي وردت فيها اجتهادات النبي (ص) لتنظيم مجتمعه، أي لمن عاصره فقط".[٢٨] فالسنة قاطبة ما خلا الشعائر التعبدية اجتهادات للنبي صلى الله عليه وسلم يرمي بها تنظيم المجتمع الذي يعيش فيه ولا يكون هذا الحكم ساري المفعول في غير مجتمعه.

وهذا هدم للسنة من أساسها، وتقويض لمصدر من مصادر التشريع، وجعل الدين الإسلامي ألعوبة في أيد العابثين، ومجاراة لأهواء الناس المنفلتين. وعلى هذا لا معنى للتكليف في الشريعة، وكل الأوامر القاضية باتباعه والتأسي به لاغية، وما بينه القرآن من كونه صلى الله عليه وسلم مبينا عن الله سبحانه وتعالى قاصر في زمانه.

ورأي المستشرقين إن لم يكن أخطر من رأي هؤلاء فلا أقل منه. فهم بموقفهم عن النسخ يحاولون هدم السنة من أساسه. فإذا كان النسخ عبارة عن إجابة عن تعارض واقعي، واضطراب متكرر في نصوص السنة حدى بالعلماء إلى اختراع طريقة لما أحسوا من المشكلة في ذلك، فلا شك أن كل الأحاديث مشكوك فيها، لأنه يقال بأنها تناولتها أيدي الزيادة والنقص والعبث، فهذا هدم للسنة من أساسها. فإذا اعتقد ذلك في النسخ فقد سقطت السنة كلها.

وأما رأي الشيخ الدكتور عبد المتعال جبري فإن خطره في كونه دفاع عن الحق بآلة قد تعود على الحق بالبطلان، وما كان كذلك فتركه أولى. فالشيخ حاول الدفاع عن السنة بنفي النسخ عنها حماية لجناب السنة، وردا لطعون الطاعنين فيه، فوقع في منكر نفي ما هو ثابت ويقين. فهو باجتهاده قد يكون مصيبا لكنه أخطأ الطريق في الرد.

وخلاصة القول في هذا الجانب يقال بإن إنكار النسخ من قبل الطاعنين فيه يجر إما إلى هدم السنة من أساسها، أو إلغاء مفعوليتها، أو تحميلها أكثر مما تتحمل. والكل غير سديد عند المدارسة العلمية وتلمس الحقيقة.

---

[٢٨] - محمد شحرور (٢٠١٢م) السنة الرسولية والسنة النبوية: رؤية جديدة، طبع: دار الساقي- ٢٠٩

**الموقف الأسد في مسألة النسخ في الحديث النبوي**

النسخ ثابت لا يمكن إبعاده ولا إنكاره، وتبديل حكم بحكم آخر متراخي عنه واقع شرعا، وغير مستحيل عقلا. لكن يبقى معرفة ما وراء الحكم الناسخ من الحكم. يقول الشيخ القرضاوي "والحق إن كثيرا مما قيل فيه بالنسخ: ليس بمنسوخ حقيقة، بل كلا النصين كان يمثل سياسية شرعية نبوية في موقف معين لأسباب وملابسات معينة، فلما تغير السبب الموجب تغير الحكم".[٢٩] وقد سبقه إلى نحو هذا القول كل من النووي والشاطبي.

ونجد أن هذا داخل في باب التدرج في التشريع وتثبيت الفؤاد الذي بين الله ذلك في كتابه العزيز، قال السيد قطب: "لقد جاء هذا القرآن؛ ليربي أمة؛ ويُنْشِئ مجتمعًا، ويقيم نظامًا. والتربية تحتاج إلى زمن، وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثُّر والانفعال إلى دافع، والنفس البشرية لا تتحوّل تحوُّلاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة، بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد، إنما تتأثَّر يومًا بعد يوم بطُرُقٍ من هذا المنهج، وَتَتَدَرَّجُ في مراقيه رويدًا رويدًا، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئًا فشيئًا، فلا تجفل كما تجفل لو قُدّم لها ضخمًا ثقيلاً عسيرًا، وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية، فتصبح بالتالي أكثر استعدادًا للانتفاع بالوجبة التالية، وأشدّ قابلية لها والتذاذًا بها".[٣٠]

فلو اقتصرت حكمة النسخ في هذا الجانب فقد لكان اعتبار من آكد الأمور في الدين، كيف إذا انضاف إلى ذلك أمور أخرى مثل سد الذرائع ورفع الحرج عن الناس غير ذلك من الحكم. فالإسلام دين يعتني بالواقع لتقويمه وتسديده، لا أنه دين يساير الواقع ويحاول مجاراته ومجاملته في كل ما يتجدد كما يراه البعض. فالنسخ أحكام ترد عن الشارع تطبق إذا ثبتت العلة وتؤخر إذا فقدت العلة، والعلة تكون منضبطة من قبل الشارع ، وليست متروكة لما تهواه الأنفس وتستلذه. والأمر في النسخ كالأمر في دفع ترك المنكر إذا أدى إلى ما هو أنكر منه أو مثله. فيعود حكم النسخ إلى ما كان عليه إذا ادعى الوضع ذلك، ويعود إلى ما تقرر مؤخرا لدى الشارع إذا زال السبب.

**الخاتمة:**

ذهب جمهور العلماء إلى إثبات النسخ في السنة النبوية واختلفوا في القلة والكثرة. وذهب آخرون إلى أن النسخ ثابت لكنه اجتهادات نبوية لظروف معينة لا تمت إلى الشرع بصلة، وآخرون رأوا أن النسخ دليل على عدم ثبوت السنة النبوية لما يوجد بين الأحاديث من التعارض، وقد ذهب آخرون إلى إنكار النسخ أصلا من السنة النبوية.

القول الأسد في مسألة النسخ هو ثبوته. وقد شرعه الحكيم سبحانه وتعالى وطبقه النبي صلى الله عليه وسلم لحكم عديدة، ولو فرض عدم وجود النسخ في السنة النبوية لكان في ذلك طعن في واقعية الشريعة الإسلامية وموافقتها للعقل والواقع. والذين يذهبون إلى آراء مغايرة لرأي الجمهور في

[٢٩]- القرضاوي، يوسف (١٤٢٦هـ) **السنة مصدرا للمعرفة والحضارة** ط، دار الشروق- القاهرة ط٤، ص ٦١.

[٣٠]- سيد، قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن**، طبع: دار الشروق- القاهرة، ص ٢٥٦٢/٥

مسألة النسخ يحاولون بشعور أو لا شعور هدم السنة من أساسها، ولا بد من التصدي لهذه التحديات ورصدها والإجابة عنها.

**نتائج البحث**

مما يستنتج من هذه البحث:

١. أن النسخ ثابت عقلا وواقع شرعا، ولم يأتوا الذين أنكروه بشيء يعتمد عليه

٢. اعتبار النسخ قانون للطوارئ ودليل على أن السنة ليست صالحة لكل زمان ومكان خطير على السنة وعلى الشريعة الإسلامية ككل

٣. المستشرقون يحاولون الطعن والتشكيك في السنة من خلال الطعن في أحاديث النسخ ووسمها بالتناقض، وقد كفى العلماء هذا الجانب ولكن يحتاج إلى بذل جهود أكثر لصد هجماتهم حول السنة

٤. لا يمكن الرد على المخالفين بالنسخ بإبطاله بالكلية لأن ذلك له سلبياته وليس ذلك من باب تحقيق الحق

٥. إن الذين أنكروا الناس إنما تأثروا بأفكار مناهضة لأفكار أهل الإيمان، وحاولوا بذلك تطبيق ما علموه من أفكار وفلسفات منحرفة على النصوص الشرعية

٦. الانحراف في مسألة النسخ ناتج عن قلة إحاطة بالعلم الشرعي، وعدم طول باع معرفة قواعد هذا العلم، وقصر نظر في الحكم الكثيرة المكتنفة لمسألة النسخ

٧. إن النسخ عبارة عن أحكام وشرائع اعتبرت حال الناس ومآل الأوامر. فهي سياسات حكيمة يقصد بها التدرج بالمدعو لتقبل الأمر واستساغته إياه



# حديث رزية يوم الخميس في الصحيحين: دراسة نقدية تحليلة

**أ.د. عبد القادر مصطفى المحمدي**
كلية أصول الدين الجامعة العراقية



**توطئة:**

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن لكل أمة تاريخاً يمثل مجموعة الأحداث والمواقف التي مرت بها تلك الأمة خلال الحقب الزمنية المتتالية، والتي أسهمت في البناء الحضاري لتلك الأمة.

وهذه الأحداث والمواقف منها ما هو ايجابي يفتخر به الناس ،ومنها ما هو سلبي يستفاد منه كدروس ينبغي الاعتبار بها، وتجنب تكرارها، فأما الأولى وهي (الايجابيات) فالتاريخ الإسلامي حافل بها، والعالم كله يعرف ما حصده تاريخ المسلمين من حسنات طيلة الحقبة الزمنية التي كان له فيها سلطان، فانتشر العلم والعلماء، وأُنصف الناس وعاشوا في رخاء وعدل، ولم يقتصر هذا الخير على المسلمين بل عمّهم وغيرهم، وكل هذا الخير انتشر من خلال المبادئ السامية المنبثقة عن العقيدة الصافية، والتضحيات الجسيمة الغالية، ولم يقتصروا في دعوتهم على السيف والرمح كما يزعم بعض دعاة الشؤم وأذنابهم، بل تعددت السبل وتنوعت الأسباب في ذلك، حتى فتح الله على يد تجار لا علاقة لهم بالسيف ولا بالقلم آذاناً صماً وقلوباً غلفاً، وأما السيف والرمح فكانا الدرع الحصين الذي يحمي بلاد المسلمين من أطماع الطامعين.

ومن هنا وقع اختياري على هذا العنوان الدقيق والمسألة المهمة في حديث ورد في هذين الصحيحين فأسميته: "حديث رزية يوم الخميس في الصحيحين دراسة نقدية تحليلية "، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: فأوردت فيه ألفاظ الحديث في الصحيين وبينت الأختلاف الواقع فيها بين طريقي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه وطريق عبيد الله بن عبد الله عنه.وجاء في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فأوردت فيه :نص حديث ابن عباسرضي الله عنه.

المطلب الثاني: فبينت فيه الصناعة الحديثية العالية عند البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

المطلب الثالث: ذكرت المعنى العام للحديث باختصار.

المبحث الثاني: بينت شبهات المبتدعة حول الحديث.وجاء في سبعة مطالب.

المطلب الأول: مضمون الكتاب الذي هم النبيصلى الله عليه وسلم بكتابته.

المطلب الثاني: ناقشت فريتهم في قول بعض الصحابة: أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ونسبتها إلى عمر رضي الله عنه.

المطلب الثالث: ناقشت قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله.

المطلب الرابع: ناقشت زعمهم أن عمررضي الله عنه أتلف حق الأمة لما منع الكتابة.

المطلب الخامس: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (قوموا عني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني).

المطلب السادس: في مناقشة وصايا النبي صلى الله عليه وسلم الثلاث.

المطلب السابع: وضحت قول ابن عباس رضي الله عنه (الرزية كل الرزية....).

ثم ختمت البحث بأهم النتائج.

## المبحث الأول

## ألفاظ حديث رزية يوم الخميس

ورد الحديث في أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى تلقتهما الأمة المسلمة بالقبول، وكذا ورد في كتب السنة المعتمدة الأخرى كالكتب الأربعة،والموطأ للإمام مالك بن أنس رحمه الله ت(١٧٩هـ)، والمسند للإمام أحمد بن حنبل ت(٢٤١هـ) وغيرها، بألفاظ متقاربة كلها تدور حول المعاني التي جاءت في الصحيحين.

وجاءت بعض الألفاظ المستنكرة في بعض المصنفات الأخرى التي لا تشترط أدنى درجات الصحة ،وإنما همها جمع الروايات المتعلقة بسنة تاريخية ما، أو بحادثة ما، أو بشخصية يترجم لها في كتابه كما جاء في طبقات ابن سعد رحمه الله أو تاريخ الطبري، بل وأحيانا نجد في بعض التفاسير تجد مثل ذلك، فليس من الموضوعية العلمية ترك الروايات الصحيحة المخرجة في أبوابها والتشبث بهاتيك الروايات الضعيفة والباطلة لهوى في النفس أو تأييد لقول شاذ ،وهذا من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ومصداقه حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[1].

**المطلب الأول: نص حديث الباب**

*قال البخاري باب :مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ فَقَالَ: "ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ٨/١،وغيره.

تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ؟ اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ، وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ قَالَ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ"، وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَ: فَنَسِيتُهَا"[٢].

*وقال البخاري في الباب نفسه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمَ وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُب لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُومُوا". قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِاخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ[٣].

والحديث أخرجه الشيخان في صحيحهما، ولكن يجب التنبه إلى ما فيه من الصنعة الحديثية:

حديث ابن عباس رضي الله عنه رواه عنه اثنان: سعيد بن جبير الإمام الفقيه الحجة ت(٩٠هـ). وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الإمام الفقيه الحجة، توفي على الأرجح(٩٥هـ).

فأما طريق سعيد بن جبير: فرواه البخاري في: (٣٠٥٣) باب: (هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم)، قال: حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس فقال: "ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا". فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه". وأوصى عند موته بثلاث: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم". ونسيت الثالثة.

وقال يعقوب بن محمد: سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب؟ فقال: مكة والمدينة واليمامة واليمن. وقال يعقوب والعرج أول تهامة.

#وفي (٣١٦٨) باب: (إخراج اليهود من جزيرة العرب)، قال حدثنا محمد -ابن سلام- قال حدثنا ابن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول:

---

(٢) أخرجه البخاري في(٤٤٣١) باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وفي (٣٠٥٣) باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم وفي (٣١٦٨) باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. وأخرجه مسلم ١٢٥٧/٣(١٦٣٧) من طرق عن سفيان بن عيينة به. وكذا أخرجه الحميدي (٥٢٦) ، وأحمد ٢٢٢/١وأبو داود(٣٠٢٩) ،و النَّسائي في الكبرى(٥٨٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في(٤٤٣٢) باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته،وفي(١١٤) باب كتابة العلم ،وفي (٥٦٦٩)و(٧٣٦٦)باب قول المريض قوموا عني .وأخرجه مسلم ١٢٥٧/٣(١٦٣٧) من طرق عن الزهري به .وكذا أخرجه أحمد ٣٢٤/١ وفي ٣٣٦/١ ،و"النَّسائي في الكبرى(٥٨٢٢ و٧٤٧٤ ).

يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، قلت: يا ابن عباس: ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: "ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له أهجر؟ استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأمرهم بثلاث: قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم"، والثالثة خيرٌ إما أن سكت عنها وإما أن قالها فنسيتها. قال سفيان هذا من قول سليمان.

* وفي (٤٤٣١) باب: (باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته)، وقوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ}الزمر٣٠، قال: حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: "ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردون عليه فقال: "دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه". وأوصاهم بثلاث قال: "أخرجوا المشركين من الجزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم". وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها.

ويلاحظ في هذه الرواية التقارب في الألفاظ،إذ اتفقت على:

١-التنازع تقدم على قول القائل: أهجر؟

٢- اتفقت اثنتان منها على لفظ أهجر؟ استفهموه، خلا رواية قبيصة: هجر.

٣-عدم ذكر عمر رضي الله عنه.

٤-عدم ذكر لفظة رزية.

٥-ذكر الوصيتين وترك الثالثة.

٦-جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم:(دعوني -ذروني)، وليس (قوموا عني) وبين ذين فرق كبير.

طريق عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس:أخرجه البخاري في: * (١١٤)باب العلم: فقال: حدثنا يحي بن سليمان قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط، قال: "قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع"، فخرج ابن عباس رضي الله عنه يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه".

ومما يلاحظ في هذا الطريق:

١-اختلاف ألفاظ طرقه اختلافاً واضحاً، والحمل فيه جزماً ليس من الزهري وإنما ممن هم دونه، فطريق سعيد بن جبير أصح لهذا أورده البخاري في أصل بابه (مرض النبيصلى الله عليه وسلم)وكذا مسلم كما سيأتي.

٢- ففي الطريق الأول: أورده البخاري من طريق يونس الأيلي عن الزهري وهو مختصر في باب (كتابة العلم) بما يناسب ترجمة الباب فأراد اثبات كتابة العلم من قوله صلى الله عليه وسلم: (ائتوني بكتاب). لذا لا تجد فيها ذكراً للوصايا الثلاث، ولا قولهم: أهجر؟

٣-قدم فيها قول عمر رضي الله عنه: (غلبه الوجع....) قبل اختلاف الناس، وهو معارض بالروايات الصحيحة التي بينت أنّ عمر رضي الله عنه حل النزاع بتلك المقولة كما جاءت في رواية معمر عن الزهري التالية، وليس العكس، فالبخاري ههنا أوردها ولم يلتفت إلى هذا الاختلاف في المعنى لأنه لا يؤثر فسيأتي به على وجهه في بابه.

٤-قال في آخره: (فخرج ابن عباس وهو يقول..) وهذا يوهم أن عبيد الله كان حاضراً تلك الحادثة وليس الأمر كذلك.

*وفي (٤٤٣٢): (باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم) قال: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. فقال بعضهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا"، قال عبيد الله فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

ويلاحظ في هذه الرواية: أنّ البخاري أوردها في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم (وهو حديث الباب والمعتمد في روايتنا هذه) وأتى بها عقب حديث سعيد آنف الذكر متابعاً له، وفي هذا الطريق إلى معمر اختلاف واضح مع بقية ألفاظ حديث معمر إذ جاء فيها:

١-لم يذكر "يوم الخميس" بل ذكرت عبارة "الرزية" وهو في سائر طرق رواية عبيد الله عن ابن عباس رضي الله عنه.

٢-ليس فيه ذكر لعمر رضي الله عنه، وإنما جاءت: فقال بعضهم.

٣-فاختلف أهل البيت.

٤-ليس في ذكر الوصايا الثلاث. وإنما جاء بها الإمام البخاري مقويا بها طريق سعيد بن جبير الأصل في الباب.

* وفي (٧٣٦٦): باب (قول المريض قوموا عني): قال:حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام عن معمر و حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حُضِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده .فقال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا". قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. وهنا يلاحظ:

١-ذكر فيها عمر رضي الله عنه.

٢-لم تذكر الوصايا الثلاث.ذ

وإنما جاء بهذه الرواية لورد عبارة (قول المريض قوموا عني)، فأراد اثبات مشروعيتها من قوله صلى الله عليه وسلم: "قوموا عني"، بما يلائم عنوان الباب، لأنها في رواية سعيد بن جبير: "دوني"، "ذروني". وبين ذين فرق جلي.

أما عند الإمام مسلم رحمه الله فهو على شرطه في تقديم أصح الروايات في الباب، جاء من طريق سعيد بن جبير أولاً فقال في:* ١٢٥٧/٣ (١٦٣٧): حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد (واللفظ لسعيد) قالوا: حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بل دمعه الحصى فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي. فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، قال: دعوني فالذي أنا فيه خير أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. قال: وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها.

*-ثم أردفه- قال أبو إسحاق إبراهيم حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا سفيان بهذا الحديث.

*-ثم أردفه- (١٦٣٧)فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا وكيع عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله: ائتوني بالكتف والدواة -أو اللوح والدواة- أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقالوا إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم و سلم يهجر.

*-ثم أردفه- (١٦٣٧)فقال: وحدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد -قال عبد أخبرنا وقال ابن رافع حدثنا عبدالرزاق- أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله

عنه قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده. فقال عمر رضي الله عنه: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر رضي الله عنه، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

فتأمل في تقديمه حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه:

من طريق أربعة من الحفاظ عن سفيان عن الأحول عن سعيد به، ثم أعقبه بإسناد -نازل- من طريق خامس (أبي اسحاق عن بشر)عن سفيان به، ثم أعقبه بطريق طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير به، ثم أتى بطريق عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنه آخر الباب، ولعل تأخيره لحديث عبيد الله بسبب الاختلاف الكبير الذي وقع في ألفاظه، وهكذا يتبين دقة الإمامين وبراعتهما في الصناعة الحديثية رحمهما الله تعالى .

وباختصار أقول:

إن الألفاظ المعتمدة في مناقشة هذا الحديث يجب ان تكون محصورة في الحديثين الذين أخرجهما البخاري في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم من طريق سعيد بن جبير وطريق عبيد الله عن ابن عباس رضي الله عنه بالألفاظ التي أخرجها البخاري في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم أما التشبث بالطرق الأخرى في الأبواب الأخرى فليس من الإنصاف الاتكاء عليها للأسباب آنفة الذكر. وإن كنا سنناقش بعض الألفاظ في تلك الطرق من باب دفع الشبه، والله أعلم.

**المطلب الثالث: المعنى العام للحديث.**

نجد من الأولى قبل البحث في تفريعات الشبه التي أثارها بعض المبتدعة حول هذه الرواية،أن نتطرق اجمالاً إلى المعنى العام للحديث باختصار، فنقول:

لما اشتد الوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفى فيه صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الخميس أي قبل أربعة أيام من وفاته صلى الله عليه وسلم وبينما كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ملأوا بيته صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه ووجلاً، طلب النبي صلى الله عليه وسلم ممن حوله من الناس بصوت ضعيف فيه (بحة) إذ أرهقه المرض، وهذا عارض طبيعي يصيب الأنبياء بوصفهم بشراً، حيث مرض صلى الله عليه وسلم وأصيب، وأدميت قدماه، وكسرت رباعيته الشريفة، وغيرها من الأعراض الأخرى فطلب منهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوه بدواة وصحيفة ليكتب لهم كتاباً لن يضل الناس بعده، فلم يفهم الناس مراده، فأعادوا عليه وكرروه، فاختلفوا فبعضهم فهم

المراد وقال: آتوه بالكتاب، وبعضهم استنكره؛ لأنه لم يفهم منه ذلك، لا أنه فهمه وخالف لأن ذلك يعني مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يستحيل عليهم مخالفته جميعاً، لا سيما أنّ فيهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ...إلخ.

فتنازع الناس واختلفوا، وهم يلحون عليه بذالك، فضج الجالسون، فقال بعض الناس ممن ليس له طول صحبة: أهجر رسول الله؟ استفهاماً، ثم قالوا: استفهموه أي اختبروه او امتحنوه أو كرروا القول عليه لنعلم أحقا يريد أم إنها آثار سكرات الموت؟ والرسول صلى الله عليه وسلم أتعبه المرض واشتد عليه الوجع، فأراد عمر رضي الله عنه حسم الخلاف وفك التنازع فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه: (غلبه الوجع حسبنا كتاب الله) والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعاني أوجاع المرض بأبي هو وأمي والناس أجمعين فقال: "دعوني فالذي أنا فيه خير". وقد أثار أصحاب البدع شبهات كثيرة حول هذا الحديث، متعكزين في ذلك على بعض الألفاظ المتشابهة في بعض طرق الحديث وسنحاول في هذا البحث عرض تلك الشبه والرد عليها إن شاء الله تعالى.

## المبحث الثاني

## شبهات حول الحديث

### المطلب الأول: مضمون الكتاب الذي هم النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته.

أما عن مضمون الكتاب الذي عزم النبي صلى الله عليه وسلم على كتابته للمسلمين فقد اختلف فيه على أقوال:

قال الإمام النووي: "اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي صلى الله عليه وسلم به فقيل أراد أن ينصّ على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع نزاع وفتن، وقيل: أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه وسلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر: "حسبنا كتاب الله"، لقوله تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء"، وقوله: "اليوم أكملت لكم دينكم"، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه"[٤].

وقال البيهقي:" وإنما أراد ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أن يكتب استخلاف أبي بكر ثم ترك كتابته اعتمادا على ما علم من تقدير الله تعالى ذلك، كما هم به في ابتداء مرضه حين

(٤) شرح النووي 76/١١،وينظر إكمال المعلم ٣٧٩/٥،وعمدة القاري٣٢٨/٣،وفتح الباري ٢٠٩/١.

قال: وارأساه، ثم بدا له أن لا يكتب وقال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها..."[٥].

وقال ابن حجر: "وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمرا متحتماً لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه ولبلغه لهم لفظا كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك"[٦].

وقد اختلف أهل العلم في مضمونه على أقوال:

١- أنه أراد أن ينصَّ على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وقد حكى هذا القول سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله[٧]وإليه ذهب البيهقي[٨] والقرطبي[٩] ،وشيخ الإسلام ابن تيمية[١٠]، والسويدي[١١]، وذكر القاضي عياض: "أن الكتاب كان في أمر الخلافة وتعيينها من غير أن يشير إلى أبي بكر"[١٢].

ويؤيده ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: "ادعي لي أبا بكر: أباك وأخاك حتى اكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"[١٣]. وهذا الحديث نص في موضع النزاع، وهو من أقوى الأدلة لمن قال بتنصيص النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه.

وأخرج البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: "أتت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت . قال صلى الله عليه وسلم: إن لم تجديني فأتِ أبا بكر"[١٤]. على أنّ الصديق لم يدع وصية به! لما وقع الخلاف في سقيفة بني ساعدة، بل أشار عليهم بعمر أو أبي عبيدة رضي الله عنهم؟

٢- أنه أراد أن يكتب بعض المسائل الفقهية المهمة التي ستطرأ على الأمة[١٥].

٣- ذهبت الشيعة الإمامية إلى أنه أراد أن يوصي لعلي رضي الله عنه بالخلافة من بعده.

---

(٥) دلائل النبوة ١٤٤/٧.

(٦) فتح الباري ١٣٤/٨.

(٧) شرح النووي ٧٦/١١ .

(٨) دلائل النبوة ١٤٤/٧.

(٩) المفهم ٥٥٨/٤.

(١٠) منهاج السنة ٢٣.

(١١) الصارم الحديد في عنق صاحب سلال الحديد ٤٨/٢.

(١٢) الشفا ٨٩٠/٢.

(١٣) أخرجه أحمد ١٤٤/٦،ومسلم ١١٠/٧،وغيرهما.

(١٤) برقم (٣٦٥٩).

(١٥) ينظر:إكمال المعلم ٣٧٩/٥،و شرح النووي 76/١١،وعمدة القاري٣٢٨/٣،وفتح الباري ٢٠٩/١.

نص على ذلك كل أئمة الشيعة، وهو من أصول دينهم ومعتقدهم. ومن ذلك ما نقله الكليني عن موسى بن جعفر رحمه الله تعالى قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين كاتب الوصية ورسول الله (ص) المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت؛ ولكن حين نزل برسول الله (ص) الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً نزل بها جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبرائيل: يا محمد مُر بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها. يعني علياً (ع)- وفاطمة فيما بين الستر والباب" [16]. ومنه: قال سليم بن قيس الهلالي: "سمعت سلمان يقول: سمعت علياً (ع) بعد ما قال ذلك الرجل(عمر) ما قال وغضب رسول الله (ص) ودفع الكتف: ألا نسأل رسول الله (ص) عن الذي كان أراد أن يكتبه في الكتف مما لو كتبه لم يضل أحد ولم يختلف اثنان فسكت حتى إذا قام من في البيت وبقي علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وذهبنا نقوم وصاحبي أبو ذر والمقداد قال لنا علي (ع): اجلسوا. فأراد أن يسأل رسول الله (ص) ونحن نسمع فابتدأه رسول الله (ع) فقال: ((يا أخي أما سمعت ما قال عدو الله أتاني جبرئيل (ع) قبل فأخبرني أنه سامري هذه الأمة[17]، وأن صاحبه عجلها [18]، وأن الله قد قضى الفرقة والاختلاف على أمتي من بعدي فأمرني أن اكتب ذلك الكتاب الذي أردت أن أكتبه في الكتف لك وأشهد هؤلاء الثلاثة عليه أدع لي بصحيفة. فأتى بها فأملى عليه أسماء الأئمة الهداة من بعده رجلاً رجلاً وعلي (ع) يخط بيده وقال رسول الله (ص): إني أشهدكم أن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي على أمتي علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم من بعدهم تسعة من ولد الحسين..."[19].

وروى الطوسي (شيخ الطائفة) بسنده عن جعفر الصادق عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قبض الله نبياً إلا أمره أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته وأمرني أن أوصي. فقلت: إلى من يا رب؟ فقال: أوص يا محمد إلى ابن عمك علي بن أبي طالب فإني قد أثبته في الكتب السالفة وكتبت فيها أنه وصيك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي أخذت مواثيقهم لي بالربوبية ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بالولاية"[20].

قلت نعم، ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأوصى وصيته، فأوصى بكتاب الله تعالى، وبالصلاة، وبالنساء، وبالوصايا الثلاث في هذا الحديث وغيرها مما ثبت، وقد سئل ابن أبي أوفى عن مثل هذا السؤال، كما أخرج ابن حبان عن طلحة بن مصرف قال: "سئلت عبد الله بن أبي أوفى:

---

([16]) الكافي ٣١١/١.

([17]) يريد الفاروق عمر ﷺ ! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

([18]) يريد أبا بكر الصدّيق !ولا حول ولا قوة إلا بالله .

([19]) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص٣٩٨،وينظر غيبة النعماني ص٨١.

([20]) أمالي الشيخ الطوسي ١٠٢/١.

هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما ترك شيئا يوصي فيه. قيل: فكيف أمر الناس بالوصية ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله"[٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من جهل الرافضة أنهم يزعمون أن ذلك الكتاب كان كتابه بخلافة علي وهذا ليس في القصة ما يدل عليه بوجه من الوجوه ولا في شيء من الحديث المعروف عند أهل النقل أنه جعل عليا خليفة كما في الأحاديث الصحيحة ما يدل على خلافة أبي بكر ثم يدعون مع هذا أنه كان قد نص على خلافة علي نصا جليا قاطعا للعذر فإن كان قد فعل ذلك فقد أغنى عن الكتاب وإن كان الذين سمعوا ذلك لا يطيعونه فهم أيضا لا يطيعون الكتاب فأي فائدة لهم في الكتاب لو كان كما زعموا؟"[٢٢].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمتشابه.وترك المحكم وأهل السنة يأخذون بالمحكم، ويردون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه، وهذا الموضع مما زل فيه أقدام كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه"[٢٣]، يريد خلافة أبي بكر والله أعلم.

ونقول: إنّ في إثبات مثل هذه النصوص واعتقادها أموراً خطيرة للغاية قد توصل صاحبها إلى الكفر والعياذ بالله، فالوصية إن ثبتت كانت واجباً شرعياً ضرورياً لا يصح مخالفته أو تركه أو إنكاره ويكفر منكره ولازمه أنّ عامة الصحابة كفروا وارتدوا؟ وهو معارض بنصوص القرآن الكريم فقد جاء في أكثر من موضع امتداحهم والرضى عنهم،فمن ذلك: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}التوبة١٠٠، وقال: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}الفتح١٨، وقال: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}الفتح٢٩.

ثم من المعروف أن القرآن كان ينزل لحوادث معينة أو بغيرها ولكنه في أمات القضايا وطوارئ الأمور كان ينزل في ساعته، حتى كان بعض المنافقين يحذرون من نزول آية أو سورة تكشف عورتهم، قال

---

([٢١]) أخرجه ابن حبان (٦١٣٠).

([٢٢]) منهاج السنة ٣١٥/٦.

([٢٣])البداية والنهاية ٢٤٨/٥.

تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِئُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ}التوبة٦٤.

وكان الصحابة يحذرون مثل ذلك من شدة تقواهم وورعهم فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "لما أصيب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه خرج زيد بن حارثة حتى أقدم ابنة حمزة، وقال: أنا أحق بها تكون عندي؛ تجشمت السفر، وهي ابنة أخي. وقال علي بن أبي طالب: أنا أحق بها تكون عندي، وهي ابنة عمي، وعندي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال جعفر بن أبي طالب: أنا أحق بها، لي مثل قرابتك، وعندي خالتها، والخالة والدة. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنا أقضي بينكم في ذلك وفي غيره". قال علي: فتخوفت أن يكون قد نزل فينا قرآن لرفعنا أصواتنا، ....الحديث"[٢٤]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم هيبة أن ينزل فينا شيء فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم تكلمنا وانبسطنا"[٢٥].

ومنه أيضاً: ما رواه سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت رجلا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب منها في ليلتي فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري فقلت انطلقوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا قرآن أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك....الحديث[٢٦].

فتأمل مثل ذلك، وحذر الصحابة من نزول قرآن فيهم، ثم يأتي مفترٍ أشر يتهمهم بالنكوص وإنكار أمر شرعي وأصل من الأصول –كما يزعمون- وهنا سؤال مهم: لماذا لم يتنزل القرآن في هذه الحادثة والنبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها أربعة أيام؟ إذن إثبات هذه الوصية معارض بالقرآن الكريم، ومعارض بقول علي رضي الله عنه فقد نقلوا عنه في خطبته حينما دعوه إلى البيعة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه أنه قال فيها: "دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول...إلى أن قال: وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير"[٢٧]. فكيف يرفض تكليفاً شرعياً، ومستحقاً له منع منه لعقود من الزمن؟ ثم ما حكمه من الناحية الشرعية، هل سيجر حكمهم في علي رضي الله عنه كما قالوا في الصحابة؟

---

(٢٤) أخرجه أحمد ٩٨/١ و١١٥ ،أبو داود(٢٢٨٠)والنسائي في الكبرى( ٨٤٠٢ )والطحاوي –واللفظ له-في شرح مشكل الآثار ١٠٧/٧،وغيرهم ,والحديث أصله في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباسﷺ.

(٢٥) أخرجه البخاري(٤٧٨٨).

(٢٦) أخرجه الترمذي(٣٢٢١).

(٢٧) نهج البلاغة ص ١٧٨ ، ١٧٩ شرح محمد عبده.

ونقل عن علي رضي الله عنه أيضاً في نهج البلاغة مخاطباً طلحة والزبير: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها"[٢٨]. فتأمل في قوله (رغبة) و قوله (دعوتموني ..حملتموني) فأين هي الوصية؟

وأورد الطبري في تاريخه أنّ علياً ارتقى في يوم الجمعة أعواد منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول خطبة له، وقال: "أيها الناس -عن ملأٍ وأُذُنٍ- إنّ هذا أمركم، ليس لأحد حق إلا أن أمرتم. وقد افترقنا في الأمس على أمر -أي على البيعة له- فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد"[٢٩].

فعلي رضي الله عنه يعلن على رؤوس الأشهاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى منبره وبعد البيعة له أنه لا يستمد الخلافة من حق يدعيه ولا من شيء سبق، بل يستمدها من البيعة إذا ارتضها الأمة، وإلا فإنه -كإخوانه الثلاثة الذين سبقوه- أرفع من أن يجعلها أكبر همه وغرض نفسه. هذا هو الذي وقع، وهذه الحقائق صدرت من فم علي بن أبي طالب نفسه، ومن سنة ٣٥هـ إلى اليوم الذي تحاور فيه الإمام زيد بن علي بن الحسين مع شيطان الطاق لم يخطر على بال أحد من آل البيت، لا علي، ولا الحسن، ولا الحسين، ولا علي بن الحسين، ولا محمد بن الباقر، ولا غيرهم- أن هناك إمامة لآل البيت كما اخترعها شيطان الطاق فأساء بذلك إلى الإسلام وإلى آل البيت، وإلى أمة محمد جميعاً، فالله حسبه"[٣٠]. وأتساءل هنا: ما الحكم -عندهم- فيمن أنكر هذه الوصية وخالفها؟ قال الصدوق (ابن بابويه القمي): "اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده أنه كمن جحد جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدا من بعده من الأئمة إنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، ثم أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم"[٣١].

وقال الطوسي: "ودفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد"[٣٢]. فعلي رضي الله عنه حينما رفضها ههنا هل يعد كافراً –حاشاه-أو لا؟ فإن قالوا: لا؟ نقول: تناقضتم! فمن باب أولى أنّ من أنكرها من عامة الناس غير كافر فالجاهل يعذر! ثم إن كانت الوصية لعلي رضي الله عنه واجبة وتركها النبي صلى الله عليه وسلم فقد زعمتم أنه خان الرسالة –حاشاه رضي الله عنه-؟! ثم كيف يبايع علي رضي الله عنه أئمة ضلالة خائنين لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم -حاشاهم– فهو إما أنه بايع أو لا، والثابت عند الجميع أنه بايع[٣٣]؟فإن اعتذرتم أنها تقية! قلنا: فأين التقية في إقراره بالبيعة بعد خلافته؟ فقد جاء في نهج البلاغة قول علي رضي الله عنه وهو يذكر أمر

(٢٨) نهج البلاغة ص ٣٩٧ شرح محمد عبده

(٢٩) تاريخ الطبري ١٥٧/٦.

(٣٠) مختصر التحفة الأثني عشرية ص٢٦٣

(٣١) الاعتقادات للقمي ص١١١.

(٣٢) تلخيص الشافي١٣١/٤ ، وبحار الأنوار ٣٦٨/٨ .

(٣٣) ينظر كتاب سليم بن قيس الهلالي ص١١٩،وأصل الشيعة وأحوالها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٦٩.

الخلافة والإمامة: "رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا لله أمره.......فنظرت في أمري فإذا طاعتي سبقت بيعتي إذ الميثاق في عنقي لغيري"[٣٤].

ويقول علي البحراني في منار الهدى: "ولما رأى ذلك تقدم إلى الصديق، وبايعه المهاجرون والأنصار، والكلام من فيه وهو يومئذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، لا يتقي الناس، ولا يظهر إلا ما يبطنه لعدم دواعي التقية، وهو يذكر الأحداث الماضية فيقول: (فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر، فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث فتولى أبو بكر تلك الأمور فسدد ويسر وقارب واقتصد فصحبته مناصحاً، وأطعته فيما أطاع الله جاهدا"[٣٥].

وقد جاء في نهج البلاغة نصّ علي رضي الله عنه على خلاف زعمهم في تنصيصه بالوصية، واحتج لصحة خلافته بالشورى لما أرسل إلى معاوية رضي الله عنه: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضىً فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى"[٣٦]. وهنا يستدل عليٌّ رضي الله عنه على صحة خلافته وانعقاد بيعته بصحة بيعة من سبقه، وهذا يعني  أن عليا رضي الله عنه كان يعتقد بشرعية خلافة أبى بكر وعمر وعثمان، وأن الإمامة والخلافة تنعقد باتفاق المسلمين واجتماعهم على شخص معين،فاجتماع الأنصار والمهاجرين عليهم لم يبق للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، فأين الوصية به وبأبنائه من بعده؟ وقد أوردوا في مصادرهم عن علي بن أبي طالب أنه مدح الخلفاء الراشدين من قبله فقال -مثلاً- في عمر رضي الله عنه في خطبته: "ووليهم والٍ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه"[٣٧]. قال شراح نهج البلاغة: "...هذا الوالي هو عمر بن الخطاب" [٣٨].

وقال مادحاً عثمان رضي الله عنه: "والله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيءٍ فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صحبنا وما ابن قحافة ولا ابن الخطاب بأولى لعمل الحق منك وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره مالم ينالا"[٣٩].

---

[٣٤] نهج البلاغة ص ٨١ خطبة ٣٧ ط بيروت بتحقيق صبحي الصالح ، ونهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٩٥-٩٦ .

[٣٥] منار الهدى / لعلي البحراني ص ٣٧٣ ، وأيضا ناسخ التواريخ ٣ /٥٣٢ .

[٣٦] نهج البلاغة ص٢٤٧،٢٤٦. شرح محمد عبده.

[٣٧] نهج البلاغة بشرح أبي حديد ٤/ ٥١٩.

[٣٨] شرح أبي حديد ٥١٩/٤،وكذا شرح ميثم البحراني ٤٦٣/٥،والدرة النجفية ص٣٩٤. والحديث أصله في مسند أحمد :"عن علي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الجمل :إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به في الإمارة ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا ثم استخلف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر فأقام واستقام ثم استخلف عمر رحمة الله على عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه".وفي إسناده رجل مجهول لا يعرف.

[٣٩] نهج البلاغة ص ٢٩١ شرح محمد عبده، وشرح أبي الحديد ٩ /٢٦١.

وهو كلام صريح من علي في مدح عثمان رضي الله عنهما بمدح لا أعرف أحداً من الصحابة ولا من بعدهم إلى يوم الناس هذا مدح عثمان رضي الله عنه بمثل هذا الكلام، وهو إقرار صريح منكم بقرب وفضل الصديق والفاروق وعثمان من الحق. ثم تأمل نفي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتلك الوصية وغيرها: فعن الأسود قال: ذكروا عند عائشة أنّ علياً رضي الله عنهما كان وصياً فقالت: "متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري. أو قالت: حجري فدعا بالطست فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى إليه"[٤٠].

فعائشة رضي الله عنها لم تنفِ صدور مطلق الوصية منه صلى الله عليه وسلم إذ ثبتت وصيته صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد وتجهيز جيش أسامة رضي الله عنه، وإنما نفت الوصية لعلي رضي الله عنه سواء أرادت نفي وصيته صلى الله عليه وسلم بفدك أو باستخلافه رضي الله عنه .

وهذا يدلنا على عمق امتداد هذه الشبهة ووقوعها في وقت مبكر، ومحاولة بعض الناس استغلالها في مشاريعهم المشبوهة ضد الإسلام من خلال بث الشبهات والشهوات في الأمة، لذا طالما سئل علي رضي الله عنه: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: لا؟ ونصّ النوبختي في كتابه فرق الشيعة –وهو من كتبهم المعتمدة-على أن أول من أثار هذه الشبهة، وزعم أنّ علياً وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فقال: "السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن عليا عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية"[٤١].

وروى البخاري بإسناده عن أبي جحيفة، قال: سألنا علياً فقلنا: هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا أن يعطي الله،عز وجل، عبدا فهما في كتابه، أو ما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: فيها العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"[٤٢].

---

(٤٠) أخرجه البخاري(٢٥٣٦)،ومسلم٨/١٢٤ (١٦٣٦)،وغيرهما.

(٤١) فرق الشيعة ص٢٢.

(٤٢) أخرجه البخاري (١١١)و(٣٠٤٧)وغيرها من المواضع.

وفي رواية لمسلم: عن أبي الطفيل قال: سئل علي أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: "لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض ولعن الله من لعن والده ولعن الله من آوى محدثا "[٤٣].

وقال المهلب: "في حديث علي من الفقه ما يقطع بدعة المتشيعة المدعين على عليٍ أنه الوصي، وأنه المخصوص بعلم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخص به غيره، لقوله ويمينه: أن ما عنده إلا ما عند الناس من كتاب الله تعالى، ثم أحال على الفهم الذي الناس فيه على درجاتهم، ولم يخص نفسه بشيء غير ما هو ممكن في غيره فصح بهذا وثبت من إقراره على نفسه أنه ليس بوصي للنبي صلى الله عليه وسلم"[٤٤].

وتأمل قول الهزيل بن شرحبيل لما بين بطلان مثلها فقال: "أبو بكر رضي الله عنه كان يَتَأَمَّرُ على وصيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ودَّ أبو بكر أنّه وجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً فَخُزِمَ أَنْفُهُ بِخِزَامٍ"[٤٥]. وهنا استفهام انكاري: أي هل كان أبو بكر يتأمر على عليّ لو كان وصياً كما يُزعم؟ ولو وجد مثل ذلك لانساق له انسياقاً!

**المطلب الثاني: قولهم: أهجر**

أثار المبتدعة شبهة حول صدور هذه العبارة من الصحابة واتهموهم بالإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وزعموا أن قائل تلك العبارة هو عمر رضي الله عنه، ولبيان الرد على شبههم نقول:

أولاً: معنى الهجر لغة: الهُجْر بالضم. وهَجَر يَهْجُر هَجْراً، ضبط في الأصل: هَجَراً بفتحتين، وليس في المعاجم بالفتح: إذا خَلَط في كلامه وإذا هَذَى[٤٦]. فالهجر في اللغة هو اختلاط الكلام بوجه غير مفهوم وهو على قسمين:- قسم لا نزاع لأحد في عروضه للأنبياء عليهم السلام، وهو عدم تبيين الكلام لبحة الصوت وغلبة اليبس بالحرارة على اللسان، وقد ثبت بإجماع أهل العلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم كانت بحة الصوت عارضة له في مرض موته صلى الله عليه وسلم فجاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت أسمع أنّه لا يموت نبيّ حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: {مع الذين أنعم الله عليهم} الآية فظننت أنه خير"[٤٧].

والقسم الآخر: هو جريان الكلام غير المنتظم أو المخالف للمقصود على اللسان بسبب العوارض من أمراض أو آفات (الهذيان) وهذا يمتنع بحق الأنبياء، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت

(٤٣) أخرجه مسلم ١٥٦٧/٣ (١٩٧٨).

(٤٤) شرح ابن بطال ١٨٨/١.

(٤٥) أخرجه الحميدي (٧٢٢)وأحمد ٣٨١/٤ وابن ماجه( ٢٦٩٦).

(٤٦) النهاية في غريب الحديث ٥٥٧/٥.وينظر القاموس المحيط ٣٠/٢.

(٤٧) أخرجه البخاري (٤٠٨١)،ومسلم ١٣٧/٧ (٢٤٤٤).

أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"(٤٨).

أما نسبة القول إلى عمر صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المبتدعة ،فأقول:

ذهبت بعض الفرق المبتدعة إلى الطعن في الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاعمين أنه هو من قال: (هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم)! يقول الخميني في كشف الإسرار: "عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراش المرض، ويحف به عدد كثير، قال مخاطباً الحاضرين: تعالوا أكتب لكم شيئاً يحميكم من الوقوع في الضلالة، فقال عمر بن الخطاب: لقد هجر رسول الله. وقد نقل نص هذه الرواية المؤرخون وأصحاب الحديث من البخاري ومسلم وأحمد مع اختلاف في اللفظ، وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من ابن الخطاب المفتري. الواقع أنهم ما أعطوا الرسول حق قدره...الرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم، وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من الكفر والزندقة"(٤٩)!!

ويقول ابن المطهر الحلي: "في المطاعن التي نقلها السنة عن عمر بن الخطاب: نقل الجمهور عن عمر مطاعن كثيرة منها قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم لما طالب في حال مرضه دواة وكتفاً ليكتب فيه كتاباً لا يختلفون بعده وأراد أن ينصّ حال موته على علي ابن أبي طالب "ع"، فمنعهم عمر وقال: إنّ رسول الله ليهجر حسبنا كتاب الله. فوقعت الغوغاء وضجر النبيصلى الله عليه وسلم فقال أهله: لا ينبغي عند النبي الغوغاء. فاختلفوا فقال بعضهم: أحضروا ما طلب، ومنع آخرون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ابعدوا. هذا الكلام في صحيح مسلم. وهل يجوز مواجهة العامي بهذا السفه فكيف بسيد المرسلين"(٥٠).

وقال أحمد حسين يعقوب: (أول من اتهم بالهجر، رسول الله ورفع بوجهه شعار "حسبنا كتاب الله" هو عمر بن الخطاب، حيث حضر هو وثلة من حزبه ليطمئنوا على الوضع الصحي لرسول الله، ومن المؤكد أن شخصاً ما أخبر عمر بأن الرسول سوف يكتب وصية تلك الليلة، فأحضر عمر عدداً كبيراً من حزبه ليحول بين الرسول، وبين كتابة وصيته كما أقر عمر بذلك. وما أن قال الرسول: "قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً" حتى تصدى له عمر بن الخطاب، فقال فوراً دون أن يسأل عن مضمون الكتاب: "حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد هجر" وبدون تروٍ صاح الحاضرون من حزب عمر فقالوا: القول ما قاله عمر!! إن رسول الله يهجر، واستغرب الحاضرون من غير حزب عمر، وصعقوا من هول ما سمعوا، فقالوا عفوياً: قربوا يكتب لكم رسول الله، وكان الحاضرون من حزب

---

(٤٨) أخرجه أحمد ١٦٢/٢ ،وأبو داود (٣٦٤٦)،وغيرهما.

(٤٩) كشف الأسرار ص ١٣٧.

(٥٠) نهج الحق ص ٢٧٣.

عمر يشكلون الأكثرية، لأنهم أعدوا للأمر عدته فصاح عمر وأعوانه: "حسبنا كتاب الله إن الرسول يهجر" واختلف الفريقان وتنازعوا، وصدم عمر وحزبه خاطر النبي، فقال النبي للجميع: "قوموا عنى، ولا ينبغي عندي التنازع،وما أنا فيه خير مما تدعوني إليه"ولقد أصاب ابن عباس عندما سمى ذلك اليوم بيوم الرزية) [٥١].

ويقول العاملي البياضي في مطاعن عمر: "وثالثها أن الغوغاء لم تكن بطلب الكتاب بل بالمخالفة كما أخرجه البخاري وغيره من قول بني هاشم قربوا إليه كتاباً وقول عمر ومن معه لا ندعه يكتب وإنه قد هجر ... وهذا آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ)الأحزاب/٥٧ [٥٢].

وقال نور الدين التستري: "وذلك لأن أول من سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه هو عمر بن الخطاب...حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آتوني بدواة وكتف لأكتب كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال عمر إن الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله"[٥٣]. اهثم يأتي شخص أو مؤسسة إعلامية يفترض بها الأمانة والموضوعية لتدلس على السائل أنّ لفظة (هجر) قالها عمررضي الله عنه وتأمل فيما جاء في موقع: مركز الأبحاث العقائدية الألكتروني ٢٠٠٤/١٢/١٦، جاء فيه جواب على هذا السؤال: بعد السلام والتحية لكم كنت ابحث عن مصدر قول عمر: إنّ الرجل ليهجر. وجزاكم الله خير . الأخ السيد حيدر الموسوي المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: منع عمر من أن يكتب النبي (صلى الله عليه وآله) عند مماته كتاباً وقال: (إن الرجل ليهجر) أو : (إن النبي غلبه الوجع)، تجده بألفاظ مختلفة في: صحيح البخاري ٣٢/١ كتاب العلم/باب كتابة العلم و ٧/٤ كتاب المرضى/باب قول المريض قوموا عني و ٢٧١/٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب كراهية الخلاف و ١٧٨/٢ كتاب الجهاد والسير/باب هل يسشفع إلى أهل الذمة و ٦٢/٤ باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، صحيح مسلم ١٢٥٩/٣ كتاب الوصية/ باب ترك الوصية و ١٢٥٧/٣ كتاب الوصية/باب ترك الوصية, مسند أحمد ٢٤/١ و ٢٢٢ و ٣٤٦/٣, ودمتم سالمين.أ.هـ

وهذا تدليس صريح وكذب لا يبرره إلا التعصب الأعمى، فالحق أنّ هذه اللفظة (يهجر) لم تنسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أي رواية لا في الصحيحين ولا في غيرهما من كتب أهل السنة كما يدعون، نعم هي ثابتة في الصحيحين وغيرهما لكن ليست عنه رضي الله عنه، والذي هو محل النزاع، والصحيح كما في الروايات الصحيحة أنّ من قالها هم بعض الحاضرين كما في رواية الشيخين. والأصح في ضبط هذه اللفظة (أهجر) بالهمز أي بالاستفهام اعتراضاً على من رفض الكتابة

---

(٥١) كربلاء الثورة والأساة ص٨٤.

(٥٢) الصوارم المهرقة ص٢٢٤.

(٥٣) المصدر نفسه.

للرسولصلى الله عليه وسلم أي هل يمكن أن يهذي حتى تمنعوا عن أن تحضروا دواة ليكتب لنا الكتاب؟ نص على ذلك القاضي عياض [٥٤]والنووي[٥٥] والسيوطي[٥٦].

وقال الإمام النووي: "وإن صحت الروايات الأخرى كانت خطأ من قائلها، قالها بغير تحقيق بل لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظيم ما شاهده من النبي صلى الله عليه وسلممن هذه الحال الدالة على وفاته وعظيم المصاب وخوف الفتن والضلال بعده"[٥٧]. وقال الدهلوي: "من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر رضي الله عنه مع أنه وقع في أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع"[٥٨]. ونجمل الرد في الآتي:

أولاً: إنّ الثابت الصحيح في هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) استفهاماً، وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ (هجر، ويهجر) وتمسك به بعضهم فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون، وشراح الحديث: منهم القاضي عياض[٥٩]، والقرطبي[٦٠]، والنووي[٦١]، وابن حجر[٦٢].

فقد نصوا على أن الاستفهام هنا جاء من الصحابة لا على سبيل وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالهجر، وإنما على سبيل الإنكار على من قال منهم: (لا تكتبوا). وهو استنكار استفهامي.

قال الإمام القرطبي: ((وقوله: أهجرَ؟ استفهموه؛ كذا الرِّواية الصحيحة في هذا الحرف أهَجَرَ؟ بهمزة الاستفهام، وهَجَرَ بالفتح بغير تنوين على أنَّه: فعل ماض. وقد رواه بعضهم: أهُجُرًا بفتح الهمزة، وبضم الهاء، وتنوين الراء، على أن يجعله مفعولاً بفعل مضمر؛ أي: أقال هُجْرًا. وقد روي في غير "الأم": هَجَرَ بلا استفهام. والهجر: يراد به هذيان المريض، وهو: الكلام الذي لا ينتظم، ولا يعتد به لعدم فائدته. ووقوع مثل هذا من النبي صلى الله عليه وسلم في حال مرضه أو صحته محال لأن الله تعالى حفظه من حين بعثه إلى حين قبضه عمَّا يُخِلّ بالتبليغ. ألا تسمع قوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى}النجم٣و٤ وقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}الحجر٩. وقد شهد له بأنه على صراط مستقيم، وأنه على الحق المبين، إلى غير ذلك؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني في الغضب والرضا، فإني لا أقول على الله إلا حقًّا"[٦٣]. ولمَّا علم أصحابه هذا: كانوا يأخذون عنه ما يقوله في كل حالاته، حتَّى في هذه الحالة، فإنهم تلقَّوا عنه، وقبلوا منه جميع ما وصَّى

---

(٥٤) إكمال المعلم ٥/٣٨٠.
(٥٥) شرح النووي ١١/٧٨.
(٥٦) الديباج ٤/٢٣٧.
(٥٧) شرح مسلم ١١/٧٨.
(٥٨) مختصر التحفة الإثني عشرية ص٢٥٠.
(٥٩) انظر: الشفا ٢/٨٨٦.
(٦٠) انظر المفهم ٤/٥٥٩.
(٦١) انظر شرح صحيح مسلم 79/١١ .
(٦٢) انظر فتح الباري ٨/١٣٣.
(٦٣) أخرجه أحمد ٢/١٦٢،وأبو داود (٣٦٤٦)،وغيرهما.

به عند موته، وعملوا على قوله: "لا نورث"[٦٤]، ولقوله: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"[٦٥]، و"أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم"[٦٦]، إلى غير ذلك. ولم يتوقفوا، ولا شكُّوا في شيء منه. وعلى هذا: يستحيل أن يكون قولهم: أَهَجَرَ ، لشكٍّ عرض لهم في صحة قوله زمن مرضه، وإنَّما كان ذلك من بعضهم على جهة الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكَّأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف، أتظن: أنه قال هذيانًا؟ فدع التوقف وقرِّب الكتفَ، فإنه إنما يقول الحق، لا الْهَجَرَ. وهذا أحسنُ ما يحمل ذلك عليه. فلو قدَّرنا: أن أحدًا منهم قال ذلك عن شكٍّ عرض له في صحَّة قوله؛ كان خطأ منه. وبعيدٌ أن يقرَّه على ذلك القول من كان هناك ممن سمعه من خيار الصحابة، وكبرائهم، وفضلائهم. هذا تقديرٌ بعيدٌ، ورأيٌ غير سديد. ويحتمل: أن يكون هذا صدَرَ عن قائله عن دهشٍ وحيرةٍ أصابه في ذلك المقام العظيم، والمصاب الجسيم".[٦٧] إنتهى كلام القرطبي.

قلت: وتوجيه القرطبي رحمه الله لقول من قال: هجر على ثلاثة أوجه:

**الأول**:على المعنى اللغوي العام (الهذيان)، وقد استبعده، وهو قول الأمة بالإجماع.

**الثاني**: قالها جماعة استفهاماً إنكارياً لمن تلكأ عن إنفاذ أمر الكتابة. وحسنه القرطبي.

**والثالث**: أنه قالها القائل (وهم على الراجح: بعض من قرب دخوله في الاسلام) دهشة وحيرة للمصاب الجلل بالنبي صلى الله عليه وسلم. وقد حسّن الأخير الحافظُ ابن حجر وقال: "ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك ولهذا وقع في الرواية الثانية فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجع ووقع عند الإسماعيلي من طريق محمد بن خلاد عن سفيان في هذا الحديث، فقالوا :ما شأنه يهجر؟ استفهموه.

وعن ابن سعد من طريق أخرى عن سعيد بن جبير أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ليهجر، ويؤيده أنه بعد أن قال ذلك: استفهموه بصيغة الأمر بالاستفهام أي اختبروا أمره بأن يستفهموه عن هذا الذي أراده وابحثوا معه في كونه الأولى أولا وفي قوله في الرواية الثانية فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم ما يشعر بأن بعضهم كان مصمما على الامتثال والرد على من امتنع منهم ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر وقد مضى في الصيام أنه صلى الله عليه وسلم خرج يخبرهم بليلة القدر فرأى رجلين يختصمان فرفعت"[٦٨].

---

(٦٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٨٦٢)،ومسلم ١٠٩/٩(١٧٥٨)من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها،وقد صح من حديث غيرها .

(٦٥) قطعة من حديث بحثنا هذا.

(٦٦) قطعة من حديث بحثنا هذا

(٦٧) المفهم ٥٦٠/٤.

(٦٨) فتح الباري ١٣٢/٨.

قلت: وهذان التوجيهان جيدان، وهما في الجملة يدلان على توقير الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، وحتى من قالها من عامة الصحابة ممن تأخر إسلامه: أهجر؟ فإنه معذور بالذهل، فالرجل يعذر بالإغلاق إما لشدة فرح أو حزن، كما في قصة الرجل الذي فقد دابته ثم وجدها بعد يأس فقال: "اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"[٦٩].

ثالثاً: إنّ هذه اللفظة صدرت بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار أصحابه،-وفيهم علي رضي الله عنه- فلم ينكروا على قائلها، ولم يؤثموه، فدل على أنه معذور على كل حال، ولا ينكر عليه بعد ذلك إلا مفتون في الدين، زائغ عن الحق والهدى، والعياذ بالله.

والذي يظهر –كما سبق- أنّ بعض الصحابة لم يفهم من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وما أمر به صلى الله عليه وسلم لبحة صوته، فراحوا يلحون عليه ويكررون السؤال، ماذا تقصد؟ وكما جاء في لفظ النسائي: "استفهموه فذهبوا يفدون عليه"[٧٠]. فالنبي صلى الله عليه وسلم في شدة المرض كما جاء في كل الروايات عند الجميع قال ابن عباس: "لما اشتد به الوجع...". والناس يفدون عليه جماعات يسألونه ماذا تقول؟ استفهموه؟ فاختلفوا فقائل يقول: اختبروه وامتحنوه، فلعلها مما يصيب المحتضر، وقائل يقول: ائتوه بالكتاب وقائل يقول: لا غير ذلك، ويذهبون ويعودون إليه صلى الله عليه وسلم فحينها قال القائل: أهجر؟ استفهاماً واستنكاراً لا إقراراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد غلبه الوجع: "قوموا عني فالذي أنا فيه خير..". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فحصل لهم شك هل قوله: أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده هو مما أوجبه المرض أو هو الحق الذي يجب اتباعه وإذا حصل الشك لهم لم يحصل به المقصود فأمسك عنه،وكان لرأفته بالأمة يحب أن يرفع الخلاف بينها ويدعو الله بذلك ولكن قدر الله قد مضى بأنه لا بد من الخلاف كما في الصحيح عنه أنه قال: "سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها..."[٧١]. إذن فهذه الشبه باطلة جملة وتفصيلاً لا تثبت بحق عمررضي الله عنه ولا حتى في حق الصحابة الكرام، وإنما جل المسألة: أن بعض الصحابة ممن قرب دخوله الإسلام قال: (أهجر)؟ استفهاماً أو طلباً لاستفهامه كما يفعل مع المحتضر ليرى هل خلّط أو لا؟-حاشاه صلى الله عليه وسلم- لما رأى هؤلاء الجدد على الاسلام من حال لم يعرفوها عن النبي صلى الله عليه وسلم، أما عمر والصحابة الآخرون فهم أشد تعظيماً وتوقيراً له صلى الله عليه وسلم لأنهم أعرف الناس بنبيهم وسيدهم صلى الله عليه وسلم.

ثم لا أجد تفسيراً لهذه الحرقة المصطنعة على لفظة (غلبه الوجع،أهجر ) وهما حمّالتا أوجه، ثم تأمل في هذا النص الذي نقله القوم في كتبهم وتلقوه بالقبول والتصديق وفيه تصريح واضح منهم أنّ النبيصلى الله عليه وسلم هجر؟ -حاشاه- بأبي هو وأمي ونفسي والناس أجمعين.

---

[٦٩] أخرجه مسلم٤/٢١٠٤، (٢٧٤٧).

[٧٠] السنن الكبرى ٣/٣٤٣.

[٧١] منهاج السنة ٨/٥٧٢.

فروى الصدوق في أماليه بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ثم أغمي على رسول لله صلى الله عليه وآله فدخل بلال وهو يقول: الصلاة رحمك الله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى بالناس، وخفف الصلاة. ثم قال: ادعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاءا فوضع صلى الله عليه وآله يده على عاتق علي عليه السلام، والأخرى على أسامة ثم قال: انطلقا بي إلى فاطمة. فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها، فإذا الحسن والحسين عليهما السلام يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء، ووجوهنا لوجهك الوقاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من هذان يا علي؟ قال: هذان ابناك الحسن والحسين. فعانقهما وقبلهما"[٧٢].

ولا أدري عدم معرفة الرجل لولديه في ساعة الموت ما يسمى ؟ وهي وهذه الرواية -المنكرة– لو سلمنا لهم بصحتها أليس فيها عذر لمن قال من الصحابة: أهجر؟ ولا أدري لماذا هم مفتونون بتتبع المتشابهات عند غيرهم ولا يبصرون الأوابد والطامات في كتبكم؟ ،وأين الإنصاف والموضوعية في البحث والجدال.

**المطلب الثالث: قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله**

وأما ما ادعوه من اعتراض عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله) وأنه لم يمتثل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أراد من كتابة الكتاب،فالرد عليه: أنه ليس في قول عمر هذا الاحتمال، أي اعتراض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم امتثال أمره كما قد يتوهم، ويرد عليهم:

١- أنّ قول عمر رضي الله عنه: (حسبنا كتاب الله) حسم للخلاف الذي وقع بين الحاضرين لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ظاهر من قوله: (عندكم كتاب الله) فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر رضي الله عنه في رأيه. وإلا فعمررضي الله عنه هو من اشد الناس إتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم. ثم لو ادعى مدعٍ أنّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان ممن قال بقول عمر رضي الله عنه أو ممن خالفه لما وجد إلى ذلك سبيلاً فاحتمال الأمرين جائز.

٢-أنّه ظهر لعمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[٧٣]، والقرطبي[٧٤]، والنووي[٧٥]، وابن حجر[٧٦].

---

([٧٢]) الأمالي للصدوق ص٧٣٢-٧٣٥ وانظر بحار الأنوار للمجلسي٥١٠/٢٢ والفتال النيسابوري في روضة الواعظين ص٧٤ . ولو قالوا –مثلاً- هذه الرواية غير ثابتة أو ضعيفة لكان خيراً لهم والعجيب أنهم يصححونها ويتلقونها بالتصديق والاحتجاج حتى اختارت لجنة حديثية علمية متخصصة في معهد باقر العلوم انتخاب هذه الرواية من ضمن كلمات الحسين وضمن كتاب أسموه: كلمات الإمام الحسين ص٩٨ دار المعروف بطهران.

([٧٣]) إكمال المعلم ٣٨١/٥.

([٧٤]) المفهم ٥٦٠/٤.

([٧٥]) شرح مسلم ٧٨/١١.

([٧٦]) فتح الباري ١٣٤/٨.

ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر صلى الله عليه وسلم وذلك بترك الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة الكتاب، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لن يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر رضي الله عنه.

قال القرطبي في سبب اختلافهم: "وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول"[٧٧].

ثم صح عن علي رضي الله عنه أنه رفض محو كلمة (رسول الله صلى الله عليه وسلم) لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية أن يفعل ذلك؟ فهل تعد مخالفة؟ الجواب قطعاً: لا ؟ وهذه كتلك، فتأمل.

وحتى على قول من قال إنّ خطاب عمر رضي الله عنه لما قال (حسبنا كتاب الله) أراد التوقف عن الإتيان بالكتاب فلم يفهم من قول عمر رضي الله عنه أنه قصد الاستغناء عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن زعم ذلك من المبتدعة فهو زعم لا دليل عليه، لأن عمر رضي الله عنه لم يرد بقوله هذا الاستغناء عن بيان السنة المطهرة، بل قال ما قاله لما قام عنده من القرينة بالاجتهاد السائغ على أنّ كتابة هذا الكتاب مما سبق تأصيله في كتاب الله عز وجل.

وقال الخطابي: "لم يتوهم عمر الغلط فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد كتابته، بل امتناعه محمول على أنه لما رأى ما هو فيه من الكرب وحضور الموت خشي أن يجد المنافقون سبيلاً إلى الطعن فيما يكتبه وإلى حمله على تلك الحالة التي جرت العادة فيها بوقوع بعض ما يخالف الاتفاق فكان ذلك سبب توقف عمررضي الله عنه، لا أنه تعمد مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ولا جواز الغلط عليه حاشا وكلا"[٧٨].

وقال النووي: "أما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر رضي الله عنه وفضائله ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه وسلم أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر: حسبنا كتاب الله لقوله تعالى {ما فرطنا في الكتاب من شيء} وقوله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم} فعلم أنّ الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلالة على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه"[٧٩].

وقال ابن بطال: "فعمر أفقه من ابن عباس حين اكتفى بالقرآن الذى أكمل الله فيه الدين، ولم يكتف بذلك ابن عباس"[٨٠]. وتُعقب ابن بطال: "بأن إطلاق ذلك مع ما تقدم ليس بجيد فإن قول

(٧٧) المفهم ٥٦٠/٤.

(٧٨) شرح النووي ٧٧/١١،وفتح الباري ١٣٤/٨.

(٧٩) شرح مسلم ٧٧/١١.

(٨٠) شرح البخاري١٨٩/١.

عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله. لم يرد أنه يكتفى به عن بيان السنة بل لما قام عنده من القرينة وخشي من الذي يترتب على كتابة الكتاب مما تقدمت الإشارة إليه فرأى أن الاعتماد على القرآن لا يترتب عليه شيء مما خشيه. وأما ابن عباس فلا يقال في حقه لم يكتف بالقرآن مع كونه حبر القرآن وأعلم الناس بتفسيره وتأويله؛ ولكنه أسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستنباط والله أعلم"[81].

أما عن ادعائهم أن عمر رضي الله عنه اضطهد الصحابة وغلبهم بالقوة فدونه خرط القتاد! فكيف يستطيع رجل واحد –كما جاء في رواياتهم[82]- أن يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من تبليغ أمرٍ تزعمون أنه وصية الله ورسوله !وهو أمر لا يجوز جهله ناهيك عن نكرانه والتنكب له؟

ثم أنتم زعمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه مراراً وتكراراً في غدير خم وغيره –فلو سلمنا جدلاً- فما الطائل إذن من دفعه في هذا الموضع أو منعه، والناس كل الناس تعرفه؟ ولو أعملتم النظر في فريتكم هذه لوقعتم في الكفر على قواعدكم إذ تزعمون أنّ الوصية نصَّ عليها القرآن وذكرت صراحة بقوله تعالى: "{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}المائدة٦٧.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى كتاب، وإن قيل إن الأمة جحدت النص المعلوم المشهور فلأن تكتم كتاباً حضره طائفة قليلة أولى وأحرى، وأيضاً: فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته، ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته لكان النبي صلى الله عليه وسلم يبينه ويكتبه ولا يلتفت إلى قول أحد فإنه أطوع الخلق له، فعلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجباً ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ إذ لو وجب لفعله........كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في ذلك الحال بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك مما ذكره في الحديث...وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما هم بالكتاب في أول مرضه حين قال: "وارأساه"، ثم ترك الكتاب، وقال: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"، ثم نبه أمته على استخلاف أبي بكر بتقديمه إياه في الصلاة"[83].

---

([81]) فتح الباري١٣٢/٨.

([82]) ينظر مثلا: إثبات الهداة، الحر العاملى٥٤٩/١،والغيبة ،للمجلسي ص١٥٠،وله أيضاً :بحار الأنوار ٥٣ /١٤٧و غاية المرام ،لهاشم البحرانى ٣٧٠/١.

([83]) منهاج السنة ٢٥/٦-٢٦.

ثم كيف يستطيع عمر رضي الله عنه أن يقهر أمة كاملة فيهم أمثال أبي بكر وعثمان وعلي وطلحة وسعد، وهم أهل الشجاعة والدين وقد نصّ القرآن على صدقهم وشدتهم!!فيكتمونه عن الناس ولا يبلغونه، ولا ينصرون نبيهم في هذه اللحظات التي هي أشد اللحظات عليهم، لحظات الفراق وقد عرفوا بحبه واتباعه، حتى قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لما أرسلته قريش مفاوضاً قبل أن يسلم لما رجع إلى قريش: "...والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له..."[٨٤].

فالصحابة الذين قتلوا وأوذوا وشردوا فصبروا من أجل إعلاء كلمة الحق أمام طاغية عصره أبي جهل وغيره من طواغيت الباطل في بدر الفرقان وأحد وحنين..الخ أيعجزون عن رد رجل واحد، كائناً من كان -لو سلمنا لكم- وفي حضرة من هو أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم والناس أجمعين؟ ولو أردنا إيراد بعض مآثرهم في توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه والأدب بين يديه لما وسعنا مثل هذا البحث ولا عشرات أمثاله! ووالله لو حدثت طفلاًلم يبلغ الحلم على فطرته بمثل هكذا خرافة لاستنكرها أيما استنكار؟! ولكن ما قولك فيمن رضع الحقد والطعن والتكفير،أعاذنا الله من الجهل والبدع. زيادة على ما في هذا القول من تهمة لكل الصحابة ومنهم علي رضي الله عنه في دينهم وشجاعتهم.

وقد جاءت في كتب القوم نصوص كثيرة تنصّ على أنّ هناك من سمع وعلم الوصية المزعومة وهم من أبرز الصحابة جرأة وشجاعة وجلادة: كعلي بن أبي طالب والمقداد وأبي ذر وسلمان وأسامة، وطلحة والزبير، وأبي سفيان !!! وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، ومن ذلك ما يروونه:

عن سليم بن قيس الهلالي: قال الإمام علي (ع) لطلحة: "ألست قد شهدت رسول الله (ص) حين دعا بالكتف ليكتب فيها مالا تضل الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: (إن نبي الله يهجر) فغضب رسول الله (ص) ثم تركها قال: بلى قد شهدت ذلك. قال : فإنكم لما خرجتم أخبرني بذلك رسول الله (ص) بالذي أراد أن يكتب فيها وأن يشهد عليها العامة فأخبره جبرئيل: (إن الله عز وجل قد علم من الأمة الاختلاف والفرقة) ثم دعا بصحيفة فأملى عليّ ما أراد أن يكتب في الكتف وأشهد على ذلك ثلاث رهط: سلمان وأبا ذر والمقداد_وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة. فسماني أولهم ثم ابني هذا . وأدنى بيده إلى الحسن . ثم الحسين ثم تسعة من ولد ابني هذا . يعني الحسين- كذلك كان يا أبا ذر وأنت يا مقداد فقاموا وقالوا : نشهد بذلك على رسول الله(ص)" [٨٥].

---

([٨٤]) صحيح البخاري (٢٥٢٩).

([٨٥]) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص٢١١،وغيبة النعماني ص٨١.

فهذا سلمان وأبو ذر رضي الله عنهما، وكذا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأسامة وأبو سفيان وغيرهم كما نقل في نهج البلاغة[٨٦] فهؤلاء كلهم يعلمون بوصيته صلى الله عليه وسلم لعلي –كما يزعمون- فلماذا سكتوا جميعاً! هل خوفاً من رجل واحد!؟ ومما ثبت عند الجميع أنّ الصحابة الكرام كان ينتقد أحدهم الآخر ولا يسلّم له إلا بما ثبت عن النبيصلى الله عليه وسلم فهل يعقل أن يرد سلمان على عمر رضي الله عنهما وهو خليفة المسلمين لثوب لبسه ويسكت عن وصية النبي صلى الله عليه وسلم في علي؟ ولا يقال إنّ علياً ومن معه كانوا مستضعفين؟ فهو قول باطل لكون الولاء في الإسلام لم يكن للعشيرة ولا للقبيلة وإنما للدين، ولو كان الأمر للعشيرة أو القبيلة لكان الأمر للأوس أو الخزرج؟ لأن أبا بكر وعمر وعلياً وعثمان رضي الله عنهم كانوا من أهل مكة والخلاف وقع في المدينة.

فعلي رضي الله عنه من أشرف قبائل العرب وأعزها بيتاً وأمنعها رجالاً فكيف يصبر على ضيم ولا سيما إن كان في الدين!! وهذه العزة والمنعة يقرون بها في كتبهم:فيروون عن علي رضي الله عنه أنه قال ليهودي: "يا أخا اليهود[٨٧]!!!- ثم إني لو طلبت حقي لكنت أولى ممن طلبه لعلم من مضى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن بحضرتك منه بأني كنت أكثر عدداً وأعز عشيرة وأمنع رجالاً وأطوع أمراً وأوضح حجة وأكثر في هذا الدين مناقب وآثاراً لسوابقي وقرابتي ووراثتي......"[٨٨].

فهذا النص من فمهم وهو يدينهم فلم يكن مستضعفاً كما يصورونه، وهذه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزوج علي جهرت بطلبها أرض فدك وخاصمت من أجلها، فهل أرض فدك أعز على فاطمة من وصية الدين؟ وهل علي رضي الله عنه أقل شجاعة منها؟–حاشاه- فهذه الفرية مردودة شرعاً وعقلاً، والهدف الواضح هو الطعن في علي رضي الله عنه أولاً؛ إذ يصورنه ضعيفاً مهزوماً خواراً –حاشاه- فهو أسد الله وسيف نبيه المسلط على أعداء الله تعالى.

وتأمل في هذه النصوص الباطلة التي ينقلونها فتنقلب على قائلها حجة! فجاء في نهج البلاغة يصف حادثة السقيفة: "فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم أنتم أهل العزة والمنعة، وأولو العدد والكثرة وذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فتفسد عليكم أموركم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته .فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد فأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين أنا

---

(٨٦) نهج البلاغة شرح أبي حديد ٢١٠/١.

(٨٧) وعجباً لهذه العقيدة التكفيرية التي تكفر الصحابة الموحدين ،وتجعل من اليهود المشركين أخواناً لهم ؟!.

(٨٨) الخصال ص٣٧٤.

جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أنا أبو شبل في عريسة الأسد، والله إن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذن يقتلك الله. قال: بل إياك يقتل"[٨٩].

وهذه القصة لا تثبت من وجه صحيح بل هي باطلة، وفيها ما فيها من الدس والطعن،إذ الثابت عن الحباب بن المنذر رضي الله عنه أنه قال: منا أمير ومنكم أمير[٩٠]، والمهم هنا: لماذا اعترض الحباب –وسكت علي رضي الله عنهما، وأنتم تقولون هو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهذا النص -المزعوم- يقطع أن عمر رضي الله عنه يرد ويناقش بل ويسب؟! -حاشاه– فأين زعمكم أنّ عمررضي الله عنه الجم الصحابة كلهم ومنع الوصية؟

ثم ثبت بالسند الصحيح عندنا أن بعض الأنصار أرادوا سعد بن عبادة للخلافة في حادثة سقيفة بني ساعدة[٩١]، فلماذا تكلم كل هؤلاء وترك مثله علي رضي الله عنه، ولماذا لم يدلِ برأيه مثل بقية الصحابة؟ فإن قيل ترك ذلك لئلا تقع فتنة بين الصحابة؟

أجيب: ألستم من نقل قول الحباب بن المنذر –المزعوم– آنفاً: (فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد)، أي: اطردوهم من المدينة، (فأنتم أحق بهذا الأمر منهم)؛ لأنه يرى قومه أحق بالخلافة! فأين وصيتكم المزعومة؟ (فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين)، وهذه أوضح صورة على الدس في هذه القصة[٩٢]، فكيف ينسبه الصحابي الجليل الحباب بن المنذر إلى نفسه وهو من البدريين ! ثم يقول: (أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أنا أبو شبل في عريسة الأسد، والله إن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذن يقتلك الله. قال-احباب-: بل إياك يقتل)! وهل بعد هذه الفتنة فتنة؟ فإذا وقع المحذور بزعمكم كانت الفرصة سانحة للمطالبة بالحق الشرعي؟

والأهم من هذا كله: لو كان عمررضي الله عنه بهذه الصورة المشوهة التي ترسمونها له من حب للدنيا وطمع في الخلافة –حاشاه- فلماذا رفض عمر الخلافة وقد دعاه إليها أبو بكر؟ أليس هذا زهداً منه ومعرفة بحق أبي بكر ومنزلته؟ وهو أهل لها وحق له ذلك.

---

(٨٩) نهج البلاغة ٣٦٤/١.

(٩٠) مسند أحمد١٣٢/١.

(٩١) صحيح البخاري(٦٣٢٨)

(٩٢) وهو على طريقتهم في الطعن في أصحاب النبيصلى الله عليه وسلم ،فلا يعقل أن يصدر مثل هذا الكلام من رجل تربى في مدرسة القرآن وكنف النبيصلى الله عليه وسلم ؟ بل ولا يعقلها الطفل الصغير الذي قرأ شيئاً من القرآن ،فلم تأت آية في القرآن الكريم تتحدث عن النصر إلا قرنت بالله تعالى أو نسب النصر إليه تعالى، ومن ذلك قوله تعالى :{وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }آل عمران١٢٦. و {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }الأنفال.١٠.وكذا {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }التوبة٢٥.و {وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً }الفتح٣.بل في آية تحفظها عجائز المسلمين وصغارهم : {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ }النصر١. ولا عجب ،فهذا ديدنهم ،فهم يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم -حاشاه- أنه فشل في تربية أصحابه ،يقول الخميني:" إن رسول الله قد فشل في تربية أصحابه" خطاب ألقاه في إذاعة طهران بمناسبة مولد الرضا ١٥ شعبان١٤٠٠هـ،وينظر أحاديث يحتج بها الشيعة ،عبد الرحمن دمشقية ١٩٨/١ .

٣-إنّ عمر رضي الله عنه كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب -بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب- وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها أقوال، فقيل: شفقته على رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع) فكره أن يتكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشق ويثقل عليه[٩٣] مع استحضاره قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء}الأنعام ٣٨، {تبياناً لكل شيء}.النحل ٨٩.

وقيل: إنه خشي تطرق المنافقين، ومن في قلبه مرض، لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل، نصّ على ذلك القاضي عياض وغيره من أهل العلم[٩٤].

وقيل: إنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد، لما فيه من الأجر والتوسعة على الأمة.

وقد يكون عمررضي الله عنه لاحظ هذه الأمور كلها، أو كان لاجتهاده وجوه أخرى لم يطلع عليها العلماء، كما خفيت قبل ذلك على من كان خالفه من الصحابة، ووافقه عليها الرسول رضي الله عنه بتركه كتابة الكتاب، ولهذا عد العلماء هذه الحادثة من دلائل فقهه ودقة نظره.

قال النووي:"وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله، ودقيق نظره"[٩٥].

الوجه الرابع: أن عمر رضي الله عنهكان مجتهداً في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر"[٩٦]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يؤثمه، ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك كتابة.

وأما قولهم: إنّ الأكثرية الساحقة كانت على قول عمر رضي الله عنه، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم الجدوى من كتابة الكتاب، لأنه علم بأنهم لن يمتثلوه بعد موته. فهذا الكلام مع ما فيه من الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن على الصحابة بمجرد التخرص والظنون الكاذبة، فهو دليل على جهل مركب،إذ الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالتبليغ سواء استجاب الناس أو لم يستجيبوا، قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ}المائدة ٩٢. فلو كان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكتابة الكتاب، ما كان ليتركه لعدم استجابة أصحابه، كما أنه لم يترك الدعوة في بداية عهدها لمعارضة

---

(٩٣) انظر: الشفا للقاضي عياض ٨٨٨/٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/١١، وفتح الباري لابن حجر ٢٠٩/١.

(٩٤) انظر: الشفا ٨٨٩/٢ ، وشرح النووي ٩٢/٢.

(٩٥) شرح النووي ٧٦/١١.

(٩٦) رواه البخاري من حديث عمرو بن العاص (٧٣٥٢)، ومسلم ١٣٤٢/٣ (١٧١٦).

قومه وشدة أذيتهم له، بل بلّغ ما أُمر به، وما أثناه ذلك عن دعوته، حتى هلك من هلك عن بينة، وحيَ من حيي عن بينة[(٩٧)].

فلو كان في هذا الكتاب أمر شرعي واجب التبليغ لاستحال شرعاً وعقلاً وعرفاً أنّ يتركه النبيصلى الله عليه وسلم علماً أنّ الحادثة يوم الخميس ووفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بالاتفاق فلماذا لم يبلغه بعد؟ علماً أنه أوصى بعد ذلك بغيره من الوصايا الأخرى الواردة في الحديث نفسه؟

قال النووي: "كان النبيصلى الله عليه وسلم همّ بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة، أو أوحي إليه ذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول"[(٩٨)].

ثم لو سلمنا لهكذا شبه فستفتح علينا أبواب كثيرة أمام شبه أكبر، إذ على هذه القواعد العرجاء يستطيع أي مفتر كذاب أن يدعي ما يشاء في أي مسألة! فالدين كمل والرسالة تمت وما مات النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد بلغ الدين كله. وقال شيخ الاسلام: "إن قيل: أن الأمة جحدت النص المعلوم المشهور، فلأن تكتم كتابا حضره طائفة قليلة أوْلى وأحرى. وأيضا فلم يكن يجوز عندهم تأخير البيان إلى مرض موته، ولا يجوز له ترك الكتاب لشك من شك، فلو كان ما يكتبه في الكتاب مما يجب بيانه وكتابته، لكان النبي صلى الله عليه وسلم يبيّنه ويكتبه، ولا يلتفت إلى قول أحدٍ، فإنه أطوع الخلق له، فعُلم أنه لما ترك الكتاب لم يكن الكتاب واجباً، ولا كان فيه من الدين ما تجب كتابته حينئذ، إذ لو وجب لفعله، ولو أن عمررضي الله عنه اشتبه عليه أمر، ثم تبيّن له أوشك في بعض الأمور، فليس هو أعظم ممن يفتى ويقضى بأمور ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بخلافها، مجتهدا في ذلك، ولا يكون قد علم حكم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الشك في الحق أخف من الجزم بنقيضه"[(٩٩)].

**المطلب الرابع: أما عن ادعائهم أن عمررضي الله عنه أتلف حق الأمة لما منع الكتابة .**

فأقول: أين الدليل أن عمررضي الله عنه منع النبي صلى الله عليه وسلم من الكتابة؟ وهل بمقدور عمررضي الله عنه أو غيره منع النبي صلى الله عليه وسلم من كتابة أمر فيه تبليغ شرع الله؟ واين أنت من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}المائدة٦٧.

ولا أرى في قول عمر رضي الله عنه (حسبكم كتاب الله) منعاً من الكتابة، وإنما هو حسم للخلاف الذي وقع –كما مر- فأين الإتلاف؟ ثم زعمتم أنّ علياً معصوم من الخطأ؟ فهل سكوته عن هذا الأمر نقض للعصمة أو لا؟

(٩٧) الإنتصار للصحب،الرحيلي ص٢٩٣،بتصرف.

(٩٨) شرح النووي ٧٦/١١،وينظر منهاج السنة ٣١٥/٦،وفتح الباري ٢٠٩/١.

(٩٩) منهاج السنة ٣٩٦/١.

ثم لو سلمنا –جدلاً- أن الكتاب كان بالتنصيص على الوصية لعلي رضي الله عنه من بعده، ثم تزعمون أن الوصية ثبتت بالقرآن الكريم وقول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نقل إجماعكم على هذه العقيدة شيخكم المفيد في مقالاته حيث قال: "واتفقت الإمامية على أن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في حياته، ونص عليه بالإمامة بعد وفاته، وأن من دفع ذلك دفع فرضاً من الدين"[١٠٠].

وزعمتم أنّ الأمة شهدت كلها في غدير خم فأين الإتلاف إذن؟ هذا إذا سلمنا جدلا أن عمر رضي الله عنه كان بمقدوره فعل ذلك –وحاشاه-.

ثم أنتم تقولون بوجوب كتمان الوصية فأين الإتلاف المزعوم؟ إذا كان الأصل عدم إعلان الوصية فما فعله عمررضي الله عنه -على ادعائكم- حق وشرع محضّ، إذ جاء في الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: "يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله"[١٠١].

وأظهر من ذلك ما روى عن أبي جعفر أنه قال: "ولاية الله أسرها إلى جبرئيل عليه السلام وأسرها جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأسرها محمد إلى علي عليه السلام وأسرها علي إلى من شاء الله،ثم أنتم تذيعون ذلك"[١٠٢].

**المطلب الخامس: قوله**صلى الله عليه وسلم **(قوموا عني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني).**

وقوله صلى الله عليه وسلم قوموا عني: هو خطاب موجه لمن حوله في البيت لما اختلفوا وتنازعوا في أمر الكتابة، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قوموا عني من شدة ما يصيب المريض من الانزعاج من أشياء قد لا تكون مزعجة له قبل المرض، وهذا أمر طبعي فأي إنسان قد يتأذى من أي شيء حتى لو كان هذا الشيء مباحاً وربما مسنوناً، وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر فأخرج الشيخان من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال: "أيها النّاس إنّكم منفّرون فمن صلى بالنّاس فليخفّف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة"[١٠٣].

وأحياناً تجد أحدنا ينفر من أحب الناس إليه، ومن أحب المجالس إليه بسبب ما يطرأ عليه من آلام المرض، فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوجع أشد مما يتوجع به رجلان؟ كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك أجرين قال أجل ذلك"[١٠٤].

---

(١٠٠) أوائل المقالات ص٤٤.

(١٠١) الكافي ١٧٦/٢كتاب الإيمان والكفر باب الكتمان.

(١٠٢) الكافي ١٧٨/٢ كتاب الإيمان والكفر باب الكتمان.

(١٠٣) أخرجه البخاري (٩٠) وغيرها من المواضع ومسلم ١٢/٣(٤٦٦).

(١٠٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٣٣٦)،ومسلم ١٤/٨(٦٧٢٤)وغيرهما.

وهذا من باب ما يعرض للأنبياء من عوارض المرض بوصفهم بشراً وليس بوصف النبوة، وهذا أمر طبيعي فالنبي صلى الله عليه وسلم جاع وعطش ومرض وجرح وكسرت رباعيته الشريفة، وسحر، وطرأت عليه ما يطرأ على غيره من البشر، وهذا من كمال نبوته فهو أسوة للناس صلى الله عليه وسلم يجوع كما يجوعون ويمرض كما يمرضون ولكنه مع هذا فهو لا يقول إلا حقاً ولا ينطق إلا صدقاً، وهذا كله في غير التبليغ فهو معصوم فيه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}النجم٣-٤.

قال النووي: "أعلم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها، مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر صلى الله عليه وسلم حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ولم يصدر منه صلى الله عليه وسلم في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها"[١٠٥].

وقال أيضاً: "معناه دعوني من النزاع واللغط الذي شرعتم فيه، فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والفكر في ذلك ونحوه أفضل مما أنتم فيه"[١٠٦].

قال ابن الجوزي: "يحتمل أن يكون المعنى دعوني فالذي أعاينه من كرامة الله التي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه في الحياة أو أن الذي أنا فيه من المراقبة والتأهب للقاء الله، والتفكر في ذلك ونحوه، أفضل من الذي تسألونني فيه من المباحثة عن المصلحة في الكتابة أو عدمها ويحتمل أن يكون المعنى فإن امتناعي من أن أكتب لكم خير مما تدعونني إليه من الكتابة"[١٠٧].

وتعقبه الحافظ فقال: "ويحتمل عكسه، أي الذي أشرت عليكم به من الكتابة خير مما تدعونني إليه من عدمها بل هذا هو الظاهر وعلى الذي قبله كان ذلك الأمر اختبارا وامتحانا فهدى الله عمر لمراده وخفي ذلك على غيره"[١٠٨]. ولا سيما "والنبي صلى الله عليه وسلم قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه، كما قال: "ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"[١٠٩]. أما عن تهمة بعض المرضى للصحابة كون النبيصلى الله عليه وسلم طردهم من بيته تشبثاً بظاهر هذا الحديث وأمثاله، فالذي يتهم الصحابة بهذا فإنه لزاماً يتهم علياً رضي الله عنه لأنه كان فيهم، وقول النبيصلى الله عليه وسلم لم يستثن أحداً من الناس وإنما أطلق (قوموا عني).

---

(١٠٥) شرح النووي ٧٦/١١.

(١٠٦) المصدر نفسه.

(١٠٧) فتح الباري ١٣٢/٨.

(١٠٨) المصدر نفسه.

(١٠٩) منهاج السنة ٣٩٥/١.

ثم تأمل فيما أورده الكليني عن موسى بن جعفر رحمه الله تعالى قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أمير المؤمنين كاتب الوصية ورسول الله (ص) المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول الله (ص) الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً نزل بها جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبرائيل: يامحمد مُر بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منّا وتشهدنا ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها. يعني علياً (ع)- وفاطمة فيما بين الستر والباب...(الحديث)[110]!!

فهذا النص يعارض تهمتكم للصحابة ولعمر رضي الله عنهم، ويخالف أصل دعوتكم أن عمر منع النبي صلى الله عليه وسلم من الكتابة، فجبريل هو من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم اخراج من عنده إلا علي بن أبي طالب لتبليغ الوصية.

ولا يفهم من قوله (قوموا عني) غضباً أو أنه طردهم! كما يظن بعض المرضى، وإنما هو حسم للخلاف، فقد صح في الحديث الذي أخرجه الشيخان من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه"[111]. فهل قوله صلى الله عليه وسلم ههنا قوموا عنه يريد تركه أو مخالفته؟! أم يريد ترك الخلاف وحسمه.

**المطلب السادس**صلى الله عليه وسلم: **وصاياه صلى الله عليه وسلم.**

ذكر ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أوصى الناس بثلاث وصايا:

**الأولى: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.**

وأصل الجزر في اللغة:القطع[112]. وقد اختلف في تحديد جزيرة العرب، فقال يعقوب بن محمد الزهري كما جاء في إحدى روايات الحديث: هي مكة والمدينة واليمامة واليمن، ونقل مثله عن مالك رحمه الله[113]. وروى الإمام مالك عن ابن شهاب رحمهما الله أنه قال: "جزيرة العرب المدينة"[114]. وقال الإمام أحمد رحمه الله: "جزيرة العرب المدينة وما والاها يعني أن الممنوع من سكنى الكفار به المدينة وما والاها وهو مكة والمدينة وخيبر والينبع. وقيل: ومخاليفها وما والاها وهو قول الشافعي لأنهم لم يجلوا من تيماء ولا من اليمن"[115]. وقال الزبير بن بكار: "جزيرة العرب ما بين العذيب إلى حضر موت، وحضر موت آخر اليمن"[116].

(١١٠) أصول الكافي ٣١١/١.

(١١١) أخرجه البخاري (٤٧٧٣) و(٦٩٣٠)وغيره.

(١١٢) ينظر:الصحاح الجوهري ١٧٥/٢،والقاموس المحيط ٤٦٥/١ مادة (جزر).

(١١٣) فتح الباري ١٧١/٦،وينظر خصائص جزيرة العرب،بكر أبو زيد ص ١٩.

(١١٤) شرح النووي ٧٨/١١،وفتح الباري ١٧١/٦.

(١١٥) الشرح الكبير ٢٦٣/١٠.

(١١٦) فتح الباري ١٧١/٦.

وقال الخليل بن أحمد: "سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها، وهي أرض العرب ومعدنها"[١١٧]. وقال أبو عبيد : "قال الأصمعي جزيرة العرب ما بين أقصى عدن اليمن إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فمن جدة وما والاها إلى أطراف الشام. وقال أبو عبيدة: هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وأما في العرض فما بين رمل يرين إلى منقطع السماوة"[١١٨].

وقال النووي: "ولا يُمنع الكفار من التردد مسافرين في الحجاز ولا يمكنون من الإقامة فيه أكثر من ثلاثة أيام، قال الشافعي وموافقوه: إلا مكة وحرمها فلا يجوز تمكين كافر من دخوله بحال فإن دخله في خفية وجب إخراجه فإن مات ودفن فيه نبش وأخرج مالم يتغير هذا مذهب الشافعي وجماهير الفقهاء وجوز أبو حنيفة دخولهم الحرم"[١١٩]. وقال الشافعي: "لا يدخلون الحرم أصلاً إلا بإذن الإمام لمصلحة المسلمين خاصة"[١٢٠].

وقال ابن قدامة: "ويمنعون من الاقامة بالحجاز كالمدينة واليمامة وخيبر وفدك وما والاها، وبهذا قال مالك والشافعي إلا أن مالكاً، قال: أرى أن يجلوا من ارض العرب كلها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب". وروى أبو داود بإسناده عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلماً"[١٢١]. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[١٢٢]."[١٢٣].

**الثانية: أجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم.**

لما قدمت الوفود إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلمة سنة تسع للهجرة، حتى سمي ذاك العام عام الوفود،أكرمهم النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب سؤالهم، وكان يعطيهم جوائز فيعطي الواحد منهم أوقية من فضة، وهي أربعون درهماً، فأوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته من بعده إلا يتخلفوا عن هذه السنة، قال المهلب: "في حديث ابن عباس أن جوائز الوفود سنّة"[١٢٤].

فالوافد: هو القادم على القوم والرسول إليهم[١٢٥]. والجائزة العطية، وقيل في أصل الإجازة: أن ناسا وفدوا على ملك من الملوك وهو قائم على قنطرة، فقال: أجيزوهم فصاروا يعطون الرجل

(١١٧) المغني ،ابن قدامة ٣٠٦/١٠،وشرح النووي ٧٨/١١،وفتح الباري ١٧١/٦.
(١١٨) المغني ،ابن قدامة ٣٠٦/١٠،وشرح النووي ٧٨/١١،وفتح الباري ١٧١/٦.
(١١٩) شرح مسلم ٧٨/١١،وينظر المجموع١٩/٤٢٨.
(١٢٠) فتح الباري ١٧١/٦.
(١٢١) سنن أبي داود (٢٦٣٥).
(١٢٢) جامع الترمذي(١٥٣٢).
(١٢٣) المغني ٣٠٦/١٠.
(١٢٤) شرح ابن بطال ٣٤٦/٥.
(١٢٥) ينظر المفهم ٧٤/٤،وشرح النووي ٧٦/١١،وفتح الباري ٣١٦/٥ .

ويطلقونه فيجوز على القنطرة متوجهاً فسميت عطية من يقدم على الكبير جائزة، وتستعمل أيضا في إعطاء الشاعر على مدحه ونحو ذلك[١٢٦].

وقال القرطبي: "وهذا منه صلى الله عليه وسلم عهدٌ ووصيةٌ لولاة المسلمين بإكرام الوفود، والإحسان إليهم، قضاء لحق قصدهم، ورفقًا بهم، واستئلافًا لهم"[١٢٧]. وقال النووي: "قال العلماء هذا أمر منه صلى الله عليه وسلم بإجازة الوفود وضيافتهم واكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة على سفرهم"[١٢٨]. وسواء كان الوفد مسلمين أو كفارا لأن الكافر إنما يفد غالبا فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم[١٢٩].

**الثالثة: "وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها"**

وقد اختلف في من الذي سكت أو نسي؟ قال النووي: "الساكت ابن عباس، والناسي سعيد بن جبير"[١٣٠]. قال الحافظ: "قوله: يحتمل أن يكون القائل ذلك هو سعيد بن جبير، ثم وجدت عند الإسماعيلي التصريح بأن قائل ذلك هو ابن عيينة. وفي "مسند الحميدي" ومن طريقه أبو نعيم في "المستخرج": قال سفيان: قال سليمان أي ابن أبي مسلم: لا أدري أذكر سعيد بن جبير الثالثة فنسيتها أو سكت عنها. وهذا هو الأرجح"[١٣١].

وقال المهلب الثالثة :"هي تجهيز جيش أسامة رضي الله عنه"[١٣٢]. وقواه ابن بطال، وقال: "وفيه دليل أن الوصية المدعاة لعلي باطلة؛ لأنه لو كان وصياً كما زعموا لعلم قصة جيش أسامة كما علم ذلك أبو بكر، وما جهله"[١٣٣]. وقال القاضي عياض: "ويحتمل هذا قوله عليه السلام: "لا تتخذوا قبري وثناً يعبد". فقد ذكر مالك في الموطأ[١٣٤] معناه" [١٣٥]. وقال الداودي: "الثالثة الوصية بالقرآن، وبه جزم ابن التين"[١٣٦]. ويحتمل أن يكون ما وقع في حديث أنس أنها قوله: "الصلاة وما ملكت أيمانكم"[١٣٧].

---

(١٢٦) ينظر فتح الباري ٣١٥/٥،وعمدة القاري ٣٤٨/٢٦.

(١٢٧) المفهم ٧٤/٤ .

(١٢٨) شرح النووي ٧٦/١١ .

(١٢٩) ينظر إكمال المعلم ٣٨٣/٥ ،وشرح النووي ٧٦/١١.

(١٣٠) شرح النووي ٧٩/١١.

(١٣١) فتح الباري ٢٦١/٥.

(١٣٢) شرح ابن بطال ٢١٤/٥ ،وفتح الباري ٢٦١/٥.

(١٣٣) المصدر نفسه.

(١٣٤) الموطأ (٣٧٦).

(١٣٥) إكمال المعلم ٣٨٣/٥.

(١٣٦) فتح الباري ٢٦١/٥ ،وعمدة القاري ٣٤٨/٢٦.

(١٣٧) أخرجه أحمد ١١٧/٣،والنسائي في الكبرى ٢٥٨/٤، عن أنس ﷺ قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت :"الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه ".بإسناد صحيح.

والذي يظهر أنّ سبب هذا الاختلاف في ما وصّى به النبيصلى الله عليه وسلم عائد إما إلى أن كل صحابي ينفي أو يثبت بنحو ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فأنس رضي الله عنه يذكر آخر وصية قالها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغرغر بأبي هو وامي والناس أجمعين، وهذه الوصايا الثلاث إنما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاتة بأيام، فلا تعارض.

وقد تمسك بعض المبتدعة وتشبثوا بهذه الوصية الثالثة زاعمين أن أهل السنة حذفوها أو بعض الرواة كتموها! قال صاحب المراجعات: "ومع ذلك فقد أوصاهم عند موته بوصايا ثلاث: أن يولوا عليهم علياً، وأن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه، لكن السلطة والسياسة يومئذ ما أباحتا للمحدثين بوصيته الأولى، فزعموا أنهم نسوها"[١٣٨].

وهو مردود باطل، فلو كان هناك ما يخفى أو يمنع من الإظهار إلى العلن –جدلاً- فلماذا يقول: "نسيتها" أو "تركتها"؟ بل تحذف الثالثة وتصبح الوصية أمرين فقط؟ علماً أن في الروايات الحديثية مثل ذلك كثير، منها:

ما أخرجه أحمد بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: "زينوا القرآن بأصواتكم". كنت نسيتها فذكرنيها الضحاك بن مزاحم[١٣٩]. وكذا ما أخرجه باسناده عن سيار بن سلامة قال: دخلت أنا وأبي على أبي برزة فسألناه عن وقت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "كان يصلي الظهر حين تزول الشمس والعصر يرجع الرجل إلى أقصى المدينة والشمس حية والمغرب قال سيار نسيتها والعشاء لا يبالي بعد تأخيرها إلى ثلث الليل وكان لا يحب النوم قبلها والحديث بعدها وكان يصلي الصبح فينصرف الرجل فيعرف وجه جليسه وكان يقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة قال سيار لا أدري في إحدى الركعتين أو في كلتيهما"[١٤٠]. ونظراء هذا كثير لمن تتبع.

وهنا نسأل فلماذا لم تكن هذه الوصية الثالثة هي باستخلاف أبي بكر- مثلا- ولا سيما أنه قد تعددت شواهده! فنسيها ابن عباس رضي الله عنه أو الراوي عنه عبيد الله -جدلاً-؟ ولو فتحنا مثل هذه التساؤلات في الروايات لردت أموراً ثابتة، وابتدعت أخرى وتحرف دين الله تعالى. ثم لماذا يكتمها ابن عباس -جدلاً- أو عبيد الله؟ بعد خلافة علي رضي الله عنه؟ على علمهم بإثم من كتم الشهادة، رضي الله عنهم أجمعين. قال الحافظ ابن حجر: "أخرج ابن حبان الحديث من طريق ابن عيينة عن مالك بن مغول بلفظ يزيل الإشكال فقال: "سئل ابن أبي أوفى: هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما ترك شيئا يوصي فيه. قيل: فكيف أمر الناس بالوصية ولم يوص؟ قال: أوصى بكتاب الله"، وقال القرطبي: استبعاد طلحة واضح لأنه أطلق، فلو أراد شيئا بعينه لخصه به، فاعترضه بأن الله كتب على المسلمين الوصية وأمروا بها فكيف لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأجابه بما يدل على أنه أطلق في موضع التقييد، قال: وهذا يشعر بأن ابن أبي أوفى وطلحة بن مصرف كانا

---

(١٣٨) المراجعات ص ٢٨٤/٢٥٥.

(١٣٩) المسند ٣٠٤/٤.

(١٤٠) المسند ٤٢٥/٤.

يعتقدان أن الوصية واجبة، كذا قال، وقول ابن أبي أوفى "أوصى بكتاب الله" أي بالتمسك به والعمل بمقتضاه، ولعله أشار لقوله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا كتاب الله"، وأما ما صح في مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم: "أوصى عند موته بثلاث: لا يبقين بجزيرة العرب دينان"، وفي لفظ: "أخرجوا اليهود من جزيرة العرب" وقوله: "أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به" ولم يذكر الراوي الثالثة، وكذا ما ثبت في النسائي أنه صلى الله عليه وسلم: "كان آخر ما تكلم به الصلاة وما ملكت أيمانكم"، وغير ذلك من الأحاديث التي يمكن حصرها بالتتبع، فالظاهر أن ابن أبي أوفى لم يرد نفيه، ولعله اقتصر على الوصية بكتاب الله لكونه أعظم وأهم، ولأن فيه تبيان كل شيء إما بطريق النص وإما بطريق الاستنباط، فإذا اتبع الناس ما في الكتاب عملوا بكل ما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم به لقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} الآية، أو يكون لم يحضر شيئا من الوصايا المذكورة أو لم يستحضرها حال قوله، والأولى أنه إنما أراد بالنفي الوصية بالخلافة أو بالمال، وساغ إطلاق النفي أما في الأول فبقرينة الحال وأما في الثاني فلأنه المتبادر عرفا، وقد صح عن ابن عباس: "أنه صلى الله عليه وسلم لم يوص" أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أرقم بن شرحبيل عنه، مع أن ابن عباس هو الذي روى حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بثلاث، والجمع بينهما على ما تقدم"[١٤١].

**المطلب السابع: قول ابن عباس** رضي الله عنه **(الرزية كل الرزية).**

وقال ابن حجر: "قوله يوم الخميس هو خبر لمبتدأ محذوف أو عكسه، وقوله: وما يوم الخميس يستعمل عند إرادة تفخيم الأمر في الشدة والتعجب منه زاد في أواخر الجهاد من هذا الوجه ثم بكى حتى خضب دمعه الحصي. ولمسلم من طريق طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه كأنها نظام اللؤلؤ وبكاء بن عباس يحتمل لكونه تذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجدد له الحزن عليه ويحتمل أن يكون أنضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب ولهذا أطلق في الرواية الثانية أن ذلك رزية ثم بالغ فيها فقال كل الرزية وقد تقدم في كتاب العلم الجواب عمن أمتنع من ذلك كعمر رضي الله عنه قوله اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه زاد في الجهاد يوم الخميس وهذا يؤيد أن ابتداء مرضه كان قبل ذلك"[١٤٢].

قلت: هكذا جاء في بعض الروايات أنّ ابن عباس رضي الله عنه كان يقول حينما يذكر هذا الحديث: "الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب". والتي راح بعض المبتدعة يتشبثون بها افتراء أنّ ابن عباس قصد بها عمر رضي الله عنه ويجاب عليهم:

---

(١٤١) فتح الباري ٢٦١/٥ .

(١٤٢) فتح الباري ١٣٢/٨ .

أنّ النص واضح كون ابن عباس بين سبب ترك النبي صلى الله عليه وسلم للكتابة وهو اختلاف بعض الصحابة، فقال عبيد الله فكان يقول ابن عباس: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله رضي الله عنه وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب( لاختلافهم ولغطهم)، فالسبب إذن: اللغط والاختلاف في الأمر، فأين ذكر عمر رضي الله عنه فيه؟

ووجه ابن تيمية رحمه الله الأمر توجيهاً رائعاً إذ قال: "وقول ابن عباس رضي الله عنه إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أنْ يكتب الكتاب يقتضي أن هذا الحائل كان رزية وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق أو اشتبه عليه الأمر فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه"[١٤٣]. فإنه لو خيرا لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كانت الوصية واجبة فلا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يترك واجباً. فالنبي صلى الله عليه وسلم أحرص الأنبياء على أمته بل وعلى جميع الناس، كما جاء في أحاديث الشفاعة العظمى والمقام المحمود، ولم يغمض عينيه إلا بعد أن بلغ رسالة ربه عز وجل، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المائدة٣. فالنبي صلى الله عليه وسلم شهيد على أمته، وأمته شهيدة على الناس، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}البقرة١٤٣. وأخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فتشهدون أنه قد بلغ {ويكون الرسول عليكم شهيدا} فذلك قوله جل ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} [١٤٤].

ولا أدري كيف تكون هذه الأمة المعدلة بنصّ القرآن والسنة خير الأمم شهيدة للأنبياء على أممهم بين يدي الله، وهي مرتدة خائنة تاركة لوصية نبيها -حاشاها-!! فالرزية كل الرزية ليست في حق من زكّاهم القرآن وشهد بفضلهم الملائكة والأنس والجآن، بل الرزية كل الرزية، والطامة كل الطامة في حق من خسر دينه ودنياه، فراح يمجد في أمة الأعاجم، ويفتخر بحضارة فارس، ثم يلعن ويسب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، واتباعه! ولإن بكى ابن عباس رضي الله عنه دموعاً على خديه، لاختلاف الناس على نبيهم، فلا أحسبه إلا أن يبكي دماً على من يفتري على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويطعن في خير الأنبياء وخير الأجيال وخير الأمم؟ بل كأني به شحذ سيفه وسل رمحه ليقطع ألسنة الكذب ورؤوس الضلالة.

---

(١٤٣) منهاج السنة٦/٢٥.

(١٤٤) صحيحه(٤٤٨٧).

**أهم النتائج**

بعد عرض هذا الحديث ومناقشته يمكن تلخيص أهم نتائج البحث بما يلي :

١- الحديث صحيح وارد في أصح دواوين الإسلام صحيحي البخاري ومسلم.

٢-ورد الحديث من طريق سعيد بن جبير وعبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، أما طريق سعيد بن جبير فلم يقع فيه اختلاف في لفظه، لذا فالإمامان خرجاه أصلاً في الباب، وأما طريق عبيد الله فوقع فيه اختلاف على الزهري روي عنه بألفاظ مختلفة جداً، بعضها أصح من بعض، وأصحها طريق معمر عن الزهري وألفاظه قريبة من ألفاظ طريق سعيد بن جبير ، فلعل البخاري ومسلم أخرجاه متابعاً لحديث سعيد لهذا السبب.

٣- تبين بطلان ما تنسبه المبتدعة إلى عمر رضي الله عنه أنه قال في النبي صلى الله عليه وسلم: يهجر، فلم يثبت في طريق صحيح هكذا لفظة عنه، والصحيح في هذه اللفظة: "أهجر استَفْهِموه؟"، قالها بعض الصحابة ممن تأخر إسلامهم على سبيل الاستفهام ويتضح بقولهم: استفهموه، أي اطلبوا من تكرار ما يقول، لا كما يفتريه بعض الناس أنهم قصدوا أنه يهذي حاشاه.

٤- قول عمر رضي الله عنه: "حسبكم كتاب الله.." قالها حسماً للخلاف والنزاع وليس كما يفتري المبتدعة أنه استغناءٌ عن السنة النبوية.

٥-بينا في طيات البحث أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: "قوموا عني فالذي أنا فيه خير.."، هو خطاب موجه لمن حوله لما اختلفوا وتنازعوا في أمر الكتابة، وناتج من شدة ما يصيب المريض من الانزعاج وهذا أمر طبعي لا كما يزعمه المبتدعة.

٦- بينّا أن نسيان الوصية الثالثة أو تركها من ابن عباس رضي الله عنه أو من الراوي عنه (عبيد الله)، أمر سائغ ومألوف، ولا يبطن تحته ما لا يظهر لا كما يفتريه المبتدعة زاعمين أنه من قبيل الكتمان.

٧- بينا معنى الرزية في قول ابن عباس رضي الله عنه: "الرزية كل الرزية.."، وأن المراد منها اختلاف الصحابة على الكتابة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وضياع أمر مهم من وصاياه صلى الله عليه وسلم.

٩- وضحنا أنّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب لم يكن من قبيل الواجبات التي لا تترك، وإلا لما تركها النبي صلى الله عليه وسلم وقد عاش بعدها أياماً ثلاثة، وأوصى بوصايا كثيرة.

١٠- اتضح بطلان دعوة من زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خص علياً رضي الله عنه بوصية خاصة، كما يدعيه المبتدعة.



# سبيل الله والتحديات المعاصرة:
# دراسة تحليلية لحديث جابر وابن مسعود رضي الله عنهما

**د. عبد الله بن راشد الشبرمي**

جامعة القصيم



**المقدمة:**

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [سورة آل عمران: ١٠٢] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [سورة النساء:١] {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٍ، وكل بدعةٍ ضلالةٍ، وكل ضلالةٍ في النار. وبعد، فهذه جمل مهذبة، ولطائف مشذبة، ومعان مقتضبة في بيان لبعض معاني ودلالات حديث نبوي عظيم، وكتابة جمل مجملة قاصدا منهج الحديث التحليلي.

وتَحْليل، مفرد، وجمعه: تحليلات، وتحاليلُ. مصدر حلَّلَ. ومن تعريفاته، أنه: عمليّة تقسيم الكلّ إلى أجزائه وردّ الشّيء إلى عناصره.

وبَحْثٌ تحليليّ: يتّخذ التحليل أساسًا. وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفةِ كُلٍّ منها. وتحليل الذَّات: دراسة المرء لذاته وعواطفه. وعقلٌ تحليليّ: يفطن لأجزاء الشّيء خلافًا للعقل التركيبيّ الذي يفطن لمجموع الشّيء دون أجزائه. وكشّاف تحليليّ: فهرسة تعتمد على سرد موادّها حسب المؤلّفين والموضوعات ونحوها[(١)].

فالتَّحْلِيلي: مأخوذة من مادة حلل، ومن معانيها في اللغة: فتح الشيء، وحله، وردُّ وإعادة الشيء إلى أصله. قال في الصحاح: "حَلَلْتُ العُقدة أَحُلُّهَا حَلاًّ: فتحتها، فانحلت"[(٢)].

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٥٥٠/١ (١٤٥٧).

(٢) الصحاح في اللغة (١٦٧٢/٤).

وفي المعجم الوسيط: "حلل العقدة: حلها، والشيء: رجعه إلى عناصره، يُقال: حلل الدم، ويقال: حلل نفسية فلان درسها لكشف خباياها محدثة... والتحليل: تحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها"[(٣)].

ويظهر مما سبق مناسبة اختيار هذه الكلمة للحديث الذي يراد شرحه بتوسع، وهو أنه يحل غامضه، ويُحل مغلقه، ويظهر منه ما لم يعلم، ويفصل ما يحتوي عليه من الدلالات والمباحث العلمية.

ويراد بالحديث التحليلي: التوسع بدراسة الحديث بأجزائه، وربط عناصره بمضمونه، وترتيبها سندا ومتنا..

ويجب أن تكون دراسة الحديث التحليلي حسب المنهجية العلمية التي تتوافق مع الدراسات الحديثية في علوم الحديث وفقه السنة، وترتب على طريقة يراها الباحث منسجمة ومتناسبة مع الحديث المدروس مستخرجا لتلك العلوم من الحديث مرتبا لها في مباحثه.

وفي دراسة الحديث تحليليا يمكن للباحث أن يقسم البحث إلى فصلين رئيسين، فيجعل الأول فيما يتعلق بدراسة الحديث وتخريجه، وما يرتبط بالحديث من المسائل العلمية، واللطائف حسب أنواع علوم الحديث التي لها تعلق بالإسناد، ويخصص الفصل الثاني فيما يتعلق بفقه الحديث، وما يستنبط منه سواء أكان ذلك في العقائد أو الأحكام والتعاملات، أو السلوك، أو التربية، أو المسائل المعاصرة أو غيرها.

والبعض الآخر يقسم شرح الحديث إلى مباحث متعددة مرتبة حسب ما يتطابق مع الحديث إسنادا فمتنا.

والفرق بين الحديث التحليلي والحديث الموضوعي: أن الحديث التحليلي يتعلق بحديث واحد فقط، وأما الحديث الموضوعي فهو يتعلق بمجموعة من الأحاديث يربطها موضوع واحد.

**ويهدف هذا البحث** إلى دراسة حديثية تحليلية، على ضوء الحديث التالي:

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطا بيده، ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيما "، ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: "هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه" ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام:١٥٣].

وهي محاولة لدراسة حديث نبوي عظيم، رأى الباحث أن يسميه: "سبيل الله". أو "سبيل الله والسبل المتفرقة" دراسة تحليلية لحديث جابر وابن مسعود –رضي الله عنهما-.

(٣) المعجم الوسيط (١/١٩٤).

**منهج البحث:**

وقد سار الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، كما استخدم أيضا في بعض جوانب البحث مناهج أخرى كالمنهج النقدي، والمنهج الوصفي.

**وتبرز أهمية البحث بما يأتي:**

١- أهمية السنة النبوية في تأسيس العلوم النافعة، والتوجيه نحو السلوك القويم، والهدف الواضح، بسلوك الصراط المستقيم، باتباع أحسن الحديث، وخير الهدي[٤]، الذي هو سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم، وسار عليه الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

٢- تحذير الأمة من المعوقات وتبصيرهم ببعض التحديات التي تعوق وصولهم للغاية الصحيحة، وتحذيرهم من المزالق والآفات التي تجتالهم إلى تلك الطرق؛ والاهتمام بالتوعية اللازمة تجاهها، وتبصيرهم ببعض المزالق عن الطريق الصحيح إلى تلك السبل.

٣- أهمية رسم الخطة السليمة، وتصورها، ومن ثَم العمل للوصول للهدف الصحيح، على ضوء السنة النبوية.

٤- إبراز بعض الوسائل النافعة التي ورد ذكرها في السنة النبوية لتقريب الفهم، وجمع الفكر عند المتلقي، ولفت النظر إليها لاستخدامها للوصول للهدف المنشود.

٥- ربط الحديث الشريف بالواقع، وتقريب الأفكار المنتقاة من معين السنة النبوية وتسهيلها؛ لأجل مواكبة الواقع المعايش، ومواجعة التحديات المعاصرة.

**مشكلة البحث:**

يمكن أن تصاغ مشكلة البحث حسب الأسئلة التالية:

١- هل يصح الحديث في بيان سبيل الله، واختلافه عن بقية السبل؟ وهل يمكن معرفة صفة سبيل الله تعالى بالعلم النافع مقابل السبل الأخرى؟

٢- هل يمكن الافادة عن بعض الوسائل النافعة التي استخدمها النبي –صلى الله عليه وسلم- في تعليم الصحابة، وأثرت في تقريب المعرفة والعلم النافع لهم؟

٣- هل يمكن تناول الحديث بأسلوب تحليلي، واستنباط بعض فوائده، ومحاولة ربط بعضها بالواقع المعاصر؟

---

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [الزمر:(٢٣)]. وقوله صلى الله عليه وسلم "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ". صحيح مسلم (٤٣- ٨٦٧).

**الدراسات السابقة:**

مع أهمية هذا الحديث وشهرته في كتب التفسير، وكتب العقائد، وشروح الحديث، إلا أني لم أقف على من أفرد هذا الحديث بالبحث حسب اطلاعي المحدود.

ولا أدعي أنني سآتي بما تركه الأوائل، ولو لم يكن من مقصد هذا البحث إلا دراسته، وبيان طرقه، وجمع متفرقه لكان هذا هدفا مقبولا في التأليف.

ومن المعلوم أن الحديث التحليلي هو امتداد لجهود علماء الحديث، بل هو من أسبق أنواع شروح الحديث، وقد كان في كتب شروح الحديث والآثار، وكتب غريب السنة، وربما أطلق عليه الشرح الموضعي، لاهتمامه بشرح ألفاظ الحديث، والدراسة الموضعية لعناصر الحديث وفقراته..

والذي جد لدى المعاصرين في الحديث التحليلي عن المتقدمين تقسيم دراسة الحديث من الناحية الإسنادية، والناحية المتنية الاستنباطية الفقية من جهة التقسيم والتبويب، مع الإفادة على دلالة الحديث في بعض المسائل المعاصرة..

وأما إفراد الحديث بالتأليف فقد كان مشهورا قبل، والمؤلفات فيه أكثر من أن تحصر. (٥)

والحديث التحليلي المعاصر: لا يكتفي بتخريج الحديث وبيان طرقه، أو بيان غريبه فقط، أو بيان مشكله، أو الاختلاف فيه، أو إفراده بفتوى؛ بل لابد من استيعاب قسمي الإسناد، والمتن بشكل واضح.

ومع وجود الحديث التحليلي في الدراسات الأكاديمية المعاصرة، إلا أن القليل من الباحثين ألف في الدراسات التأصيلية التنظيرية لهذا الفن؛ لكونها قائمة على الاجتهاد والاختيار الشخصي، إضافة إلى تنوع الأحاديث فما ينطبق على بعضها لا يلزم بالضرورة أن ينطبق على سائر الأحاديث الأخرى.

ومما يجب التأكيد عليه: أنه لا يجوز أن يقلل من جهود شراح الحديث بناء على التنظيرات للحديث التحليلي الذي قام بها المتأخرون لأجل ترتيب وتنظيم هذا الفن؛ إذ لا يعدو أن يكون هذا الفن وتربياته وجهات نظر قابلة للمناقشة والتطوير، وحدود العلم لا تقف عند حد واحد في زمن معين.

**خطة البحث:**

قسمت البحث إلى مقدمة: تشتمل على التمهيد للحديث التحليلي، وأهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وهدفه، والدراسات السابقة، وخطة البحث: وقد قسمت البحث إلى فصلين رئيسين:

**الفصل الأول: المباحث المتعلقة بسند الحديث وروايته.**

وتشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: نص الحديث مسندا.

المبحث الثاني: ترجمة الصحابي.

---

(٥) انظر مثلا: التعريف بما أفرد من الأحاديث بالتصنيف. يوسف بن محمد العتيق. ط: دار الصميعي الرياض.

المبحث الثالث: رواة الإسناد.

المبحث الرابع: لطائف الإسناد.

المبحث الخامس: تخريج الحديث.

المبحث السادس: درجة الحديث.

المبحث السابع: شواهد الحديث.

المبحث الثامن: مباحث علوم الحديث.

**الفصل الثاني: المباحث المتعلقة بمتن الحديث وشرحه وفقهه.**

وتشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: روايات الحديث.

المبحث الثاني: غريب الحديث.

المبحث الثالث: إعراب الحديث.

المبحث الرابع: بلاغة الحديث

المبحث الخامس: مباحث الحديث ومسائله.

المبحث السادس: الفوائد المستنبطة من الحديث.

ثم الخاتمة، وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

## الفصل الأول

## المباحث المتعلقة بسند الحديث وروايته.

### المبحث الأول: نص الحديث مسندا.

قال الإمام سعيد بن منصور في سننه(٩٣٥): نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: **خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، خَطًّا، فَقَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ". ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: "وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ، مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ". ثُمَّ تَلا: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)** [الأنعام:١٥٣].

### المبحث الثاني: ترجمة الصحابي.

يروي هذا الحديث، الإمام الحبر، فقيه الأمة: **عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدِ بنِ غَافِلِ بنِ حَبِيْبٍ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهُذَلِيُّ، المَكِّيُّ، المُهَاجِرِيُّ، البَدْرِيُّ.** (ع) كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علما كثيرا. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَسْلَمَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِيْنَ نَفْساً. وقال الذهبي: كَانَ مَعْدُوْداً فِي أَذْكِيَاءِ العُلَمَاءِ. اتفقا له في (الصحيحين) على أربعة وستين. وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثا. وله عند بَقِيٍّ بالمكرر ثماني مئة وأربعون حديثا. أخرج حديثه الجماعة.

أخرج البخاري (٣٧٥٨) ومسلم (٢٤٦٤) من طريق مَسْرُوقٍ، قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»، قَالَ: لاَ أَدْرِي بَدَأَ بِأُبَيٍّ، أَوْ بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

وأخرج البخاري (٣٧٦٣) ومسلم (٢٤٦٠) من حديث أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ فَمَكُثْنَا حِينًا مَا نُرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وأخرج البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) – من طريق: شَقِيق بْن سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ»، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

وأخرج البخاري (١٨٧/٦ (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».

قال الحافظ ابن حجر: مناقبة جمة. أمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. [٦]

**المبحث الثالث: رواة الإسناد.**

**- حَمَّادُ بْنُ زَيْدِ بنِ دِرْهَمٍ، أَبُو إِسْمَاعِيْلَ الأَزْدِيُّ، مَوْلَى آلِ جَرِيْرِ بنِ حَازِمٍ البَصْرِيِّ، الأَزْرَقُ (ع).** روى عن: عَاصِمِ بنِ أَبِي النَّجُوْدِ، وثابت البُنَانِيِّ. روى عنه: سعيد بن منصور، وسفيان بن عيينة، وهو من أقرانه. متفق على ثقته، وضبطه، وإتقانه، وإمامته. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ: أَئِمَّةُ النَّاسِ فِي زَمَانِهِم أَرْبَعَةٌ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِالكُوْفَةِ، وَمَالِكٌ بِالحِجَازِ، وَالأَوْزَاعِيُّ بِالشَّامِ، وَحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ بِالبَصْرَةِ. وَقَالَ يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ: لَيْسَ أَحَدٌ أَثْبَتَ مِنْ حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ. وَقَالَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، مِنْ أَهْلِ الدِّيْنِ، هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ. قَالَ سُلَيْمَانُ بنُ حَرْبٍ: لَمْ يَكُنْ لِحَمَّادِ بنِ زَيْدٍ كِتَابٌ، إِلاَّ كِتَابُ يَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيِّ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ بنُ حِبَّانَ: كَانَ ضَرِيْراً، يَحفَظُ حَدِيْثَه كُلَّه. وعلق عليه الذهبي بقوله: قُلْتُ: إِنَّمَا أَضَرَّ بِأَخَرَةٍ. وقال ابن حجر: ولعله طرأ عليه؛ لأنه صح أنه كان يكتب. توفي حماد بن زيد رحمه الله تعالى في سنة تسع وسبعين ومئة في شهر رمضان. روى له الجماعة.[٧]

---

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٨٧/٣) (١٦٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٩٨/٤) (٤٩٧٠)، وسير أعلام النبلاء (٤٦٢/١)، وتقريب التهذيب (٣٦١٣).

(٧) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٣٧/٣)، (٦١٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٣٩/٧) (١٤٨١)، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤٥٦/٧) (١٦٩)، وتقريب التهذيب (ص: ١٧٨).

**- عَاصِمُ بنُ بَهْدَلَة -أَبِي النَّجُوْدِ- الأَسَدِيُّ مَوْلاَهُم الكوفي، أبو بكر المقري (ع). وحديثه في الصحيحين مقرون.** روى عن: أبي وائل شقيق بن سلمة، وأبي عبدالرحمن السلمي. روى عنه: حماد بن زيد، وشعبة. وثقه ابن سعد، -وقال: كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه-، وابن معين، والإمام أحمد، والعجلي، وأبو زرعة، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال أحمد: كان رجلا صالحا قارئا للقرآن وأهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختارها، وقال: كان خيرا ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث. وقال النسائي: ليس به بأس. قال العجلي: كان صاحب سنة وقراءة وكان ثقة رأسا في القراءة، ويقال: إن الأعمش قرأ عليه وهو حدث، وكان يختلف عليه في زر وأبي وائل. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة. وقال أبو حاتم: صالح، وهو أكثر حديثا من أبي قيس الأودي وأشهر وأحب إلي منه، وهو أقل اختلافا عندي من عبدالملك بن عمير.. محله عندي محل الصدق صالح الحديث وليس محله أن يقال هو ثقة، ولم يكن بالحافظ، وقد تكلم فيه ابن علية، فقال: كان كل من اسمه عاصم سيء الحفظ. وقال ابن خراش: في حديثه نكرة. وقال العقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدارقطني: في حفظه شيء. وقال أبو بكر البزار: لم يكن بالحافظ، ولا نعلم أحدا ترك حديثه على ذلك، وهو مشهور. وقال حماد بن سلمة: خلط عاصم في آخر عمره. ولخص ابن حجر حاله بقوله: صدوق له أوهام، حجة في القراءة. مات سنة ثمان وعشرين ومئة. [٨]

**- شَقِيْقُ بنُ سَلَمَةَ الأَسَدِيُّ، أَبُو وَائِلٍ الكُوْفِيُّ.(ع)**

روى عن: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-. روى عنه: عاصم بن بهدلة، والأعمش. أدرك النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يره. قال إبراهيم: عليك بشقيق فإني أدركت الناس وهم متوافرون وإنهم ليعدونه من خيارهم. ووثقه ابن معين، وقال: لا يسأل عن مثله. وقال ابن عَبْد البر: أجمعوا على أنه ثقة. قال ابن حجر: ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عَبْد العزيز، وله مئة سنة. [٩]

**المبحث الرابع: لطائف الإسناد.**

- اشتمل الإسناد على عدة صيغ من صيغ الأداء: كالتحديث، والعنعنة..
- يتميز الإسناد بالعلو: علو العدد، فهو من الأسانيد الرباعية.
- يتميز الإسناد بالعلو: علو الصفة، فرواته محتج بهم.
- في الإسناد رواية البلدان، فقد رواه أهل البصرة، عن أهل الكوفة، عن أهل المدينة.

---

(٨) انظر: العلل(٧٢٢)، (٩١٨)، (١١٤٧)، (٤١٣٦)، (٤٥٠٦)، (٤٥٠٩ و٤٥١٠)، (٤٥١٢)، (٤٥١٣)، (٤٩٩٢)، وسؤالات: ابن هانئ(٢١٧٩)، والمروذي(٧٤)، والميموني(٣٥٧)، وأبي داود(٣٤٥)، والتاريخ الكبير٦/(٣٠٦٢)، ومعرفة الثقات(٨٠٧)، والضعفاء الكبير٣/(١٣٥٨)، والجرح والتعديل ٦/(١٨٨٧)، والبَرْقانِيّ (٣٣٨)، والعلل ٢٩٣/١١، ورجال البخاري ٢/(١٤٦٢)، ورجال مسلم٢/(١٢٤١)، وتهذيب الكمال١٣/(٣٠٠٢)، والكاشف٥١٨/١، والتهذيب٥/(٦٧)، والتقريب٢٨٥.

(٩) انظر: الجرح والتعديل٤/(١٦١٣)، وتهذيب الكمال٥٤٨/١٢(٢٧٦٧)، وتذكرة الحفاظ١/(٤٦)، وتهذيب التهذيب٤/(٦١٩)، والتقريب٢٦٨.

- في الإسناد رواية مخضرم، عن صحابي، رواه شقيق، عن ابن مسعود.

- في بعض أسانيد الحديث التزام بعض الرواة بلفظ معين في أداء الرواية عن شيوخهم.

**المبحث الخامس: تخريج الحديث.**

هذا الحديث أخرجه: الطيالسي (٢٤٤) وأحمد ط الرسالة (٢٠٧/٧) ٤١٤٢، والدارمي ٦٧/١، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٧)، والبزار (١٣١/٥) (١٧١٨)، وكشف الأستار "الزوائد"(٢٢١٠)، وابن نصر المروزي في "السنة" (١١)، والنسائي في "الكبرى" (١١١٧٤)، والطبري في "تفسيره" (١٤١٦٨)، والهيثم بن كليب (٥٣٥-٥٣٧)، وابن حبان (٦) و (٧)، والآجُرِّيُّ في الشريعة (١٢)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (١)، والحاكم (٣٤٨/٢) (٣٢٤١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٠/١) (٩٤)، وأبو نُعيم في "الحلية" ٢٦٣/٦، الحسين بن مسعود البغوي في شرح السنة (٩٧)، وفي تفسيره (٩٠٢)، وقوام السنة في الترغيب والترهيب (٢٣٨/١) (٣٥٠)، و(٩٦٣). من طرق، عن حماد بن زيد، وأخرجه أحمد (٤٣٦/٧) (٤٤٣٧)، والحاكم (٣٤٨/٢) (٣٢٤١) من طريق: أبي بَكْرِ بْن عَيَّاشٍ[١٠]، وأخرجه ابن أبي حاتم، في تفسيره (١٤٢٢/٥) (٨١٠٢) من طريق: عَمْرُو بْن أَبِي قَيْسٍ، بنحوه، وفيه: فَقَالَ: "هَذِهِ السُّبُلُ مُشْتَرَكٌ.." ثلاثتهم: (حماد، وأبو بكر، وعمرو) عن عاصم.

وأخرجه البزار (٢٢١١) "زوائد" من طريق محمد بن خازم، عن الأعمش، فذكر نحوه. كلاهما: عاصم، والأعمش، عن أبي وائل، وأخرجه البزار (٢٢١٢) من طريق يحيى بن سعيد، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن منذر الثوري، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، فذكر نحوه. قال البزار: قد روي عن عبد الله نحوه أو قريباً منه من وجوه. كلاهما: أبو وائل، والربيع، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله تعالى عنه، به.

**المبحث السادس: درجة الحديث.**

إسناده حسن؛ لحال عاصم بن أبي النجود. والحديث صحيح لغيره، فله شواهد عن جابر، والنواس، كما سيأتي في المبحث التالي. وقد صححه ابن حبان، وغيره. وقد صح عن ابن مسعود موقوفا:

أخرجه البزار (٩٩/٥) (١٦٧٧) قال: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى –هو القطان-، قَالَ: نا جَرِيرٌ –هو ابن عبد الحميد-، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، وَتَلَا {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام:١٥٣]، الْآيَةَ.

---

(١٠) وقع خلاف عن أبي بكر بن عياش عن عاصم. فروي عنه عن أبي وائل عن ابن مسعود كما ذكر في تخريج الحديث. وروي عنه عن زر عن ابن مسعود. أخرجه ابن نصر المروزي في "السنة" (١٢)، والآجري في الشريعة (١٠) من طريق: أبي هِشَام الرفاعي، والنسائي في "الكبرى" (١١١٧٥)، وابن بطة في الإبانة (٩٦)، والحاكم ٢٣٩/٢ من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس، وأَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدُوَيه كما في تفسير ابن كثير (٣٦٦/٣) مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَى الْحِمَّانِيِّ، ثلاثتهم: (الرفاعي، وأحمد بن يونس، والحماني) عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود، قال: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا..

قال ابن كثير في "تفسيره" (٣٦٦/٣): صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين، ولعل هذا الحديث عند عاصم بن أبي النجود، عن زر، وعن أبي وائل شقيق بن سلمة، كلاهما عن ابن مسعود، به. والله أعلم.

قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ.

وقد روي عن ابن مسعود موقوفا، بإسناد واه: أخرج عبد الرزاق في تفسيره (٨٨٢)، وابن جرير في تفسيره (٢٣٠/١٢) (١٤١٧٠)، وفي آداب النفوس كما في تفسير القرطبي (١٣٨/٧) من طريق: أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ مَا الصِّرَاطُ؟ قَالَ: «تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ فِي أَدْنَاهُ، وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌّ، وَعَنْ شِمَالِهِ جَوَادٌّ، وَثَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ أُخِذَ عَلَى تِلْكِ الْجَوَادِّ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أُخِذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ» ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا} [الأنعام: ١٥٣].

وأخرجه ابن وهب كما في تفسير القرآن من الجامع (٨١)، وابن وضاح في البدع (٧٧) وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٦٧/٣) من طريق: أَبَانِ بن أبي عياش، عن مسلم بن أبي عمران، عن ابن عمر بن الخطاب: أتى ابْنَ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ وَهُوَ يُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا الصراط المستقيم، قال: يا ابن أَخِي، تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَدْنَاهُ وَطَرْفُهُ فِي الْجَنَّةِ وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌّ، وَعَنْ شِمَالِهِ جَوَادٌّ، وَعَلَى كُلِّ جَوَادٍ رجالٌ يَدْعُونَ كُلَّ مَنْ مَرَّ بِهِمْ: هَلُمَّ لَكَ، هَلُمَّ لَكَ، فَمَنْ أَخَذَ مَعَهُمْ وَرَدُوا بِهِ النَّارَ، وَمَنْ لَزِمَ الطَّرِيقَ الأَعْظَمَ وَرَدُوا بِهِ الْجَنَّةَ.

وأبان بن أبي عياش: قال الإمام أحمد: متروك الحديث، ترك الناس حديثه مذ دهر من الدهر.[١١] قال ابن حجر: حكى الخليلي في «الإرشاد» بسند صحيح، أن أحمد قال ليحيى بن معين، وهو يكتب عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان نسخة: تكتب هذه وأنت تعلم أن أبان كذاب؟ فقال: يرحمك الله يا أبا عبد الله، أكتبها وأحفظها حتى إذا جاء كذاب يرويها عن معمر، عن ثابت، عن أنس، أقول له: كذبت إنما هو أبان.[١٢]

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٢/٤٤) بسند أجود منه، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ الْحَسَنِ، أنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، أنا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْبَانَ الرَّمْلِيُّ، بِالرَّمْلَةِ، نا أَبُو سَعِيدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمْدَوَيْهِ الْبِيكَنْدِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ الْبِيكَنْدِيُّ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قال: كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ، وَهُوَ بِطَحَاءَ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُبَ فِي حَلَقَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأَتَانَا غَازِيًا: "يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، مَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: هُوَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ الَّذِي ثَبَتَ عَلَيْهِ أَبُوكَ حَتَّى دَخَلَ الْجَنَّةَ"، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ يَدَهُ فِي الْبَطْحَاءِ يَخُطُّ، ثُمَّ خَطَّ جَنْبَتَيْهِ خُطُوطًا، قَالَ: فَقَالَ: " تَرَكَكُمْ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم عَلَى طَرَفِ هَذَا، فَمَنِ اسْتَقَامَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَخَذَ فِي هَذِهِ الْخُطُوطِ هَلَكَ".

(١١) العلل (٨٧٢).

(١٢) تهذيب التهذيب ١/(١٧٤).

**المبحث السابع: شواهد الحديث.**

* عن أبي خَالِدٍ الْأَحْمَر، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ، فَقَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللهِ "، وَخَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّيْنِ عَنْ شِمَالِهِ قَالَ: "هَذِهِ سَبِيلُ الشَّيْطَانِ "، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ، وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٧٦)، وعبد بن حميد (١١٤١)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٦) عن أبي بكر بن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، وهو في مسند ابن أبي شيبة كما في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري (٢٠٨/٦) (٥٦٩٥).

وأخرجه ابن ماجه (١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨١٠١)، والآجري في "الشريعة" (١٣)، من طريق عبد الله بن سعيد الأشج، وأخرجه المروزي في "السنة" (١٣) عن علي بن الحسين، ثلاثتهم: (ابن أبي شيبة، وأَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الأشج، وأَبُو الشَّعْثَاءِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ) عن أبي خَالِدٍ الْأَحْمَر: سُلَيْمَان بْن حَيَّانَ، وأخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٩٥) من طريق حفص بن غياث، [١٣] كلاهما: (أبو خالد، وحفص) عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ به.

درجة حديث جابر:

إسناده ضعيف، وذلك لتفرد مجالد بن سعيد بالحديث عن الشعبي، وهو ضعيف، ومع ضعفه متكلم في روايته عن الإمام الشعبي.[١٤] وقد تلكم في الحديث بعض المحدثين: قال الحاكم: عن هذ الطريق..

---

(١٣) اختلف فيه على مجالد فروي كما في التخريج:

١- عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ به.

٢- وروي: عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ابن عباس، به.

أخرجه المروزي في السنة (١٤)، ثم عقبه بتخريجه فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.. والذي يظهر لي أن هذا الوجه خطأ من مجالد. والله أعلم.

(١٤) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني، أبو عمرو، ويقال أبو سعيد الكوفي.(م مقرونا ٤).

روى عن: الشعبي، وقيس بن أبي حازم. روى عنه: أبو خالد الأحمر، وحفص بن غياث، وشعبة. وثقه النسائي. وقال البخاري، ويعقوب بن سفيان: صدوق. وقال العجلي: جائز الحديث. وضعفه يحيى بن سعيد، وابن مهدي، وابن سعد. وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئا. وقال ابن مهدي: حديث مجالد عند الأحداث أبي أسامة وغيره ليس بشيء، ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم وهؤلاء، يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره. وقال يحيى بن سعيد لبعض أصحابه: أين تذهب؟ قال: إلى وهب بن جرير أكتب السيرة عن أبيه عن مجالد، قال: تكتب كذبا كثيرا؛ لو شئت أن يجعلها لي مجالد كلها عن الشعبي، عن مسروق، عن عبدالله، فعل! وقال أحمد ليس بشيء؛ يرفع حديثا كثيرا لا يرفعه الناس، وقد احتمله الناس. وقال ابن معين: لا يحتج بحديثه. وقال في رواية: ضعيف واهي الحديث، كان يحيى بن سعيد يقول: لو أردت أن يرفع لي مجالد حديثه كله رفعه، قلت: ولم يرفعه؟ قال: للضعف. وقال أبو حاتم، والنسائي: ليس بالقوي. وقال ابن عدي: له عن الشعبي عن جابر أحاديث صالحة وعن غير جابر، وعامة ما يرويه غير محفوظة. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الدارقطني: يزيد بن أبي زياد أرجح منه، ومجالد لا يعتبر به. وقال ابن حجر: ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره. مات سنة أربع وأربعين ومئة في ذي الحجة.

انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٣٤٩/٦، والتاريخ الكبير٨/(١٩٥٠)، وضعفاء البخاري(٣٦٨)، ومعرفة الثقات٢/(١٦٨٥)، والضعفاء للنسائي(٥٥٢)، والضعفاء الكبير٤/(١٨٢٦)، والجرح والتعديل٨/(١٦٥٣)، والكامل٦/(١٩٠١)، والمجروحين٣/(١٠٣٩)، وتهذيب الكمال٢٧/(٥٧٨٠)، والتهذيب١٠/(٦٥)، والتقريب ص ٥٢٠.

حديث الشعبي عن جابر من وجه غير معتمد.[١٥] وقال البوصيري: هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد[١٦].

* **حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.** وهو أحد الوجوه المعلة عن مجالد. كما في تخريج الحديث السابق.

**وفي الباب: حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه:**

* عن الليث بن سعد، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ".

أخرجه الإمام أحمد (١٨١/٢٩) (١٧٦٣٤) واللفظ له، والطبري في "التفسير" (١٨٧) مختصرا، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٢١٤٢)، والآجري في "الشريعة" (١٤) من طريق الليث.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (١٩)، والطبري في "التفسير" ٧٥/١، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢٠٤١)، والآجري (١٣)، والطبراني في "الشاميين" (٢٠٢٤)، والرامهرمزي في "الأمثال" (٣)، والحاكم ١٤٤/١من طريق عبد الله بن صالح، والحاكم ١٤٤/١ من طريق ابن وهب، كلاهما عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ،

وأخرجه الإمام أحمد (١٧٦٣٦) والترمذي (٢٨٥٩) وحسنه، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٨)، والنسائي في الكبرى (١١١٦٩)، والطحاوي في "شرح المشكل" (٢١٤٣)، والطبراني في "الشاميين" (١١٤٧)، وأبو الشيخ في "الأمثال" (٢٨٠) من طرق عن بقية، عن بَحِير بن سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، ولفظ الإمام أحمد: "إِنَّ اللهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ، وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ، وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَتِفَيِ الصِّرَاطِ: حُدُودُ اللهِ، لَا يَقَعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللهِ، حَتَّى يُكْشَفَ سِتْرُ اللهِ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ: وَاعِظُ اللهِ "

كلاهما: عبد الرحمن، وخالد، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، به.

**تنبيه:** ذكر محققو مسند الإمام أحمد ط الرسالة ٢٠٩/٧، من ضمن شواهد حديث الباب: حديث أبي هريرة، وعزوه إلى المروزي عن أبي هريرة موقوفا.

---

(١٥) انظر: المستدرك على الصحيحين:٣٤٨/٢.

(١٦) مصباح الزجاجة:٦/١.

وهو خطأ؛ فلا يوجد له شاهد من حديث أبي هريرة في المصدر المذكور، وإنما التبس عليهم وظنوا كلام المروزي حديثا.

**المبحث الثامن: مباحث علوم الحديث.**

- اختلف على عاصم بن أبي النجود في اسم شيخه في هذا الحديث، فقد رواه مرة عن أبي وائل، ومرة عن زر -والرواية عن أبي وائل أشهر، وقد احتمل بعض المحدثين الوجهين كليهما-.

وقد أشار بعض المحدثين إلى ذلك: قال العجلي –عن عاصم-: كان صاحب سنة وقراءة، وكان ثقة رأسا في القراءة... وكان يختلف عليه في زر وأبي وائل. [١٧]

- ورد في أسانيد حديث الباب عن بعض الرواة "أخبرنا" في لفظ الأداء، منهم: يزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد، وهو ممن يستخدم هذه الصيغة، بدلا عن التحديث.

قال ابن الصلاح: ثم يتلو ذلك قول: أخبرنا وهو كثير في الاستعمال، حتى إن جماعة من أهل العلم كانوا لا يكادون يخبرون عما سمعوه من لفظ من حدثهم إلا بقولهم: أخبرنا، منهم: حماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، وهشيم بن بشير وعبيد الله بن موسى، وعبد الرزاق بن همام، ويزيد بن هارون، وعمرو بن عون ويحيى بن يحيى التميمي، وإسحاق بن راهويه، وأبو مسعود أحمد بن الفرات، ومحمد بن أيوب الرازيان، وغيرهم.

وذكر الخطيب عن محمد بن رافع، قال: كان عبد الرزاق يقول: أخبرنا، حتى قدم أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه فقالا له: قل: "حدثنا"، فكل ما سمعت مع هؤلاء قال: "حدثنا"، وما كان قبل ذلك قال: "أخبرنا".

وعن محمد بن أبي الفوارس الحافظ، قال: هشيم، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق لا يقولون إلا "أخبرنا"، فإذا رأيت: "حدثنا"، فهو من خطأ الكاتب، والله أعلم. [١٨]

- حديث الباب من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو ليس من العبادلة حسب مصطلح المحدثين:

قال مهنا: قلت لأحمد: من العبادلة؟ قال: عبد اللة بن عباس وعبد اللة بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو. قلت: عبد الله بن مسعود؟ قال: ليس عبد الله بن مسعود من العبادلة. [١٩] قال الحافظ البيهقي: وهذا لأن ابن مسعود تقدم موته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيء قيل: هذا قول العبادلة، أو: هذا فعلهم. [٢٠]

---

(١٧) معرفة الثقات(٨٠٧).

(١٨) انظر: الكفاية: (٤١٣ – ٤١٤). وانظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٢٥٢).

(١٩) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم (٥٦٣)، وطبقات الحنابلة (٣٤٨/١).

(٢٠) مقدمة ابن الصلاح ٣٩٩، وابن الملقن في المقنع في علوم الحديث (٤٩٥/٢).

وقد توفي عبد الله بن عباس: سنة ثمان وستين، وابن عمر وابن الزبير: سنة ثلاث وسبعين، وعبد الله بن عمرو: سنة سبع وستين. وأما عبد الله بن مسعود فقد كانت وفاته سنة إحدى وثلاثين.[21]

قال ابن الصلاح: ويلتحق بابن مسعود في ذلك سائر العبادلة المسمين بعبد الله من الصحابة، وهم نحو مئتين وعشرين نفسا.[22]

## الفصل الثاني

## المباحث المتعلقة بمتن الحديث وشرحه وفقهه

### المبحث الأول: روايات الحديث.

وقع في حديث ابن مسعود: عند الدارمي، خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا..

وعند سعيد بن منصور: "ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ" وعند البزار ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ.. وعند الطبري في التفسير: "ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ خُطُوطًا". وعند ابن حبان: ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ..

ولفظ أحمد (٢٠٨/٧) خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ -قَالَ يَزِيدُ:- مُتَفَرِّقَةٌ..

وعند النسائي في الكبرى (٩٥/١٠) فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ» ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: «هَذَا السَّبِيلُ.. » وفي غيرها.. "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ".

وأما لفظ حديث جابر: فعند ابن ماجه (١١) فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ.. وعند أحمد (١٥٢٧٧).. فَخَطَّ خَطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ.. وعند أحمد أيضا (١٥٢٧٧) وغيره.. ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ وفي بعض نسخ المسند ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَسود!! وهي تصحيف. وعند ابن أبي حاتم، في تفسيره (١٤٢٢/٥) (٨١٠٢) قال: ثُمَّ خَطَّ يَمِينًا وَشِمَالًا،... فَقَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ مُشْتَرَكٌ، وَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ سَبِيلٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ.. وعند أحمد في الموضع السابق "هَذِهِ سَبِيلُ الشَّيْطَانِ ". وعند عبد بن حميد وغيره "هَذِهِ سُبُلُ الشَّيْطَانِ".

---

[21] انظر: الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ٢٣٩)

[22] مقدمة ابن الصلاح ٣٩٩.

قال العراقي، شرح التبصرة والتذكرة (١٣٣/٢): وقولُ ابنِ الصلاحِ: أنَّهم نحوُ مائتينِ وعشرينَ كأنَّهُ أخذهُ منَ "الاستيعابِ " لابنِ عبدِ البرِّ، فإنَّهُ عدَّ ممَّنْ اسمُهُ عبدُ اللهِ مائتينِ وثلاثينَ، ومنهم مَنْ كرَّرَهُ للاختلافِ في اسمِ أبيهِ أو في اسمهِ هو، ومنهم مَنْ لم يصحِّحْ له صحبةً، ومنهم مَنْ لمْ يروِ وإنَّما ذكرهُ لمعاصرتهِ على قاعدَتِهِ؛ وذلكَ فوقَ العشرةِ فبقيَ نحوُ مائتينِ وعشرينَ، كما ذكرَ،

ولكنْ قد ذكرَ الحافظُ أبو بكرٍ بنُ فتحونَ فيما ذَيَّلَهُ على "الاستيعابِ" مئة وأربعةً وستينَ رجلاً زيادةً على ذلكَ، وفيهم أيضاً مَنْ عاصرهُ ولمْ يرهُ، ومَنْ كررهُ للاختلافِ في اسمهِ أيضاً، واسمِ أبيهِ، ومَنْ لمْ تصحَّ صحبتُهُ، ولكنْ يجتمعُ من المجموعِ نحوُ ثلاثمئة رجلٍ.

وقال ابن الملقن في المقنع في علوم الحديث (٤٩٥/٢) قلت: بل هم نَحْو الْخمس مئة كَمَا عَددهمْ ابْن الْأَثِير فِي كِتَابه.

**المبحث الثاني: غريب الحديث.**

قوله: (فخَطَّ خَطًّا) قال القاسم بن سلام: (خَطَّ خَطًّا) هو معروف أن يؤثر في الأرض بعود أو غيره. [٢٣] وقال في لسان العرب: وخَطَّ القلمُ أَي كَتَبَ. وخَطَّ الشيءَ يَخُطُّه خَطّاً: كَتَبَهُ بِقَلَمٍ أَو غَيْرِهِ.[٢٤] (خَطَّ لَنَا)، أَيْ: لِأَجْلِنَا تَعْلِيمًا وَتَفْهِيمًا وَتَقْرِيبًا؛ لِأَنَّ التَّمْثِيلَ يَجْعَلُ الْمَقْصُودَ مِنَ الْمَعْنَى كَالْمَحْسُوسِ مِنَ الْمُشَاهَدِ فِي الْمَبْنَى. (رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًّا)، أَيْ: مُسْتَوِيًا مُسْتَقِيمًا. [٢٥] (سَبِيلُ اللَّهِ) السبيل الطريقُ وما وَضَحَ منه، يُذَكَّر ويؤنث، وسَبِيلُ اللَّه طريق الهُدى الذي دعا إِليه. [٢٦] وقوله: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ) أي: مَثَّل له في الاستقامة، وإحاطة الخطوط المعوجة به التي هي أمثال لسُبُل الشياطين. والْمُشَار إِلَيْهِ هُوَ الْخَطُّ الْمُسْتَوِي، وَالتَّقْدِيرُ: هَذَا مَثَلُ سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مَثَلًا، وَقِيلَ: تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، أَيْ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ مِثْلُ الْخَطِّ فِي كَوْنِهِ عَلَى غَايَةِ الِاسْتِقَامَةِ. [٢٧] فيحتمل أن يكون إشارة إلى الخط فَذَكرَ، إذ الخطُّ مذكر، وجائز أن تكون الإشارة فِيهِ إلى السبيل فذكره إذ العرب تذكِّر السبيل وتؤنثه، وقد جَاءَ التنزيل باللغتين. [٢٨] (ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا)، أَيْ: مُنْحَرِفَةً. (عَنْ يَمِينِهِ)، أَيْ: عَنْ يَمِينِ الْخَطِّ الْمُسْتَوِي. (وَعَنْ شِمَالِهِ): كَذَلِكَ. (وَقَالَ: (هَذِهِ)، أَيِ: الْخُطُوطُ. (سُبُلٌ)، أَيْ: غَيْرُ سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ سَبِيلٌ لِلشَّيْطَانِ لِقَوْلِهِ (عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ)، أَيْ: رَأْسِهِ (مِنْهَا)، أَيْ: مِنَ السُّبُلِ. (شَيْطَانٌ): مِنَ الشَّيَاطِينِ. (يَدْعُو) ذَلِكَ الشَّيْطَانُ النَّاسَ (إِلَيْهِ)، أَيْ: إِلَى سَبِيلٍ مِنَ السُّبُلِ.

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ سَبِيلَ اللَّهِ وَسَطٌ لَيْسَ فِيهِ تَفْرِيطٌ وَلَا إِفْرَاطٌ، بَلْ فِيهِ التَّوْحِيدُ وَالِاسْتِقَامَةُ وَمُرَاعَاةُ الْجَانِبَيْنِ فِي الْجَادَّةِ، وَسُبُلُ أَهْلِ الْبِدَعِ مَائِلَةٌ إِلَى الْجَوَانِبِ، وَفِيهَا تَقْصِيرٌ وَغُلُوٌّ وَمَيْلٌ وَانْحِرَافٌ وَتَعَدُّدٌ وَاخْتِلَافٌ، كَالْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْمُعَطِّلَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ. [٢٩]

قوله (صراطي) الصِّراطُ، والسِّراطُ، والزِّراطُ: الطريق. [٣٠] يروى عن ابن مسعود أنه سئل: "مَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؟ قَالَ: "تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ، صلى الله عليه وسلم فِي أَدْنَاهُ، وَطَرَفُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَنْ يَمِينِهِ جَوَادٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ جَوَادٌّ، وَثَمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَمَنْ أَخَذَ فِي تِلْكَ الْجَوَادِّ انْتَهَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ عَلَى الصِّرَاطِ انْتَهَى بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا" الآية [الأنعام:١٥٣]. [٣١] والصراط: هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة. [٣٢]

---

(٢٣) غريب الحديث:٢/٧٢٢.

(٢٤) لسان العرب:٧/ص٢٨٧، وانظر: مختار الصحاح:١/٧٦. وانظر: تهذيب الأسماء: ٣/٨٩. للإمام النووي مادة: خ ط ط.

(٢٥) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٥٤).

(٢٦) لسان العرب: ١١/٣١٩، وانظر: مختار الصحاح: ١/١٢٠.

(٢٧) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٥٤)

(٢٨) انظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ص ١٤.

(٢٩) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/٢٥٤).

(٣٠) انظر: لسان العرب: ٧/٣٤٠. وتفسير الراغب الأصفهاني (١/٦٣).

(٣١) سبق تخريجه في مبحث شواهد الحديث.

(٣٢) الجواب الصحيح: ٣/١٧٩.

فَسَمَّى - سُبْحَانَهُ - طَرِيقَهُ صِرَاطًا، وَسَمَّى تِلْكَ سُبُلًا، وَلَمْ يُسَمِّهَا صِرَاطًا كَمَا سَمَّاهَا سَبِيلًا، وَطَرِيقُهُ يُسَمِّيهِ سَبِيلًا كَمَا يُسَمِّيهِ صِرَاطًا. (٣٣)

واختلف في المراد به: فقيل: القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: هو النبي صلى الله عليه وسلم.(٣٤) وهذا من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد، ذلك أنها متحدة، ولا يمكن انفصال بعضها عن بعض. (صِراطِي) أضيف إليه أولا؛ لأن ذلك ادعى للاتباع إذ به يتضح كونه صراط الله عز وجل.. (٣٥)

وقال الشيخ العثيمين: أضيف إلى الله لسببين؛ السبب الأول: أنه هو الذي وضعه لعباده، وشرعه لهم. والسبب الثاني: أنه موصل إليه؛ ويضاف «السبيل» أحياناً إلى سالك السبيل؛ فيقال: سبيل المؤمنين، كما قال الله تعالى: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥] ؛ ولا تناقض بينهما؛ لأنه يضاف إلى المؤمنين باعتبار أنهم هم الذين سلكوه؛ وإلى الله باعتبار أنه الذي شرعه، وأنه موصل إليه. (٣٦)

(مستقيما) قويما لا اعوجاج فيه. (فاتبعوه) يقول فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه. والمعنى: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ)، وأمركم بالوفاء به، هو"صراطه" يعني: طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده: (مستقيمًا)، يعني: قويمًا لا اعوجاج به عن الحق. (٣٧)

{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام: ١٥٣] أَيْ سُبُلَ الشَّيَاطِينِ الْمُنْحَرِفَةَ الزَّائِغَةَ الْمُتَشَعِّبَةَ، مِنْ طُرُقِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ.. (٣٨) يقول: ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا. (٣٩) و(السُّبُل) جمع سبيل وهي الطريق، قال ابن كثير: إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها.(٤٠) وهي تشمل: الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل. (٤١) وتشمل الأهواء والبدع. (٤٢) وذكر أهل العلم: أن هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل، وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء، والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام. فهذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد.. (٤٣) وصراط الله المستقيم: طريق أهل السنة

---

(٣٣) الجواب الصحيح (١٨٠/٣).

(٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٨ تفسير القرطبي: ١٣٧/٧، وزاد المسير: ١٥١/٣، وتفسير ابن كثير ١٩٢/٢، ومعاني القرآن: ٥١٨/٢. فتح القدير للشوكاني: ١٧٨/٢.

(٣٥) انظر: روح المعاني: ٥٧/٨.

(٣٦) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣٠٩/٣).

(٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٨. فتح القدير للشوكاني: ١٧٨/٢.

(٣٨) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٥٤/١).

(٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٨. فتح القدير للشوكاني: ١٧٨/٢.

(٤٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٢/٢. وانظر: البرهان للزركشي: ١٢/٤.

(٤١) انظر: تفسير البغوي: ١٤٢/٢، تفسير الواحدي: ٣٨٢/١.

(٤٢) انظر: زاد المسير: ١٥١/٣.

(٤٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣٨/٧).

والجماعة، وما خالف ذلك سبل الشيطان.[٤٤] (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ) بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ عَنْ سَبِيلِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُ سَبِيلِ الْحَقِّ مَعَ السُّبُلِ الْبَاطِلَةِ. {ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ} [الأنعام: ١٥٣]، أَيِ: اللَّهُ {بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣] أَيْ لِكَيْ تَتَّقُوهُ.[٤٥]

**المبحث الثالث: إعراب الحديث.**

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا). قرئ: (وَأَنَّ) بفتح"الألف" وتشديد"النون"، عطفا على قوله: (أن لا تشركوا به شيئًا)، بمعنى: "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا"، "وأن هذا صراطي مستقيمًا".

وقرئ "وَإِنَّ" بكسر"الألف" وتشديد"النون" على الابتداء وانقطاعها عن الأول. وذكر الطبري أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار وعوامّ المسلمين، صحيح معنياهما، فبأيِّ القراءتين قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ في قراءته.[٤٦] (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا)، حال مؤكدة؛ لأنّ صراط الله لا يكون إلا مستقيماً.[٤٧] وأن في موضع نصب أي: واتل أن هذا صراطي..[٤٨]

**المبحث الرابع: بلاغة الحديث**

هذا الحديث من النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، وهذا التمثيل، من أبين الأقوال البليغة وأفصحها، وأرصن الأمثال البليغة المضروبة الصحيحة وأوضحها، وذلك شأنه خط خَطًّا جعله مثل الصراط فِي استقامته إذ لا زيغ فِيه ولا ميل، ثُمَّ خط خطوطا يمنة وشأمة آخذة فِي غَيْر سَمْته وجهته، تفرَّق بمن سلكها واتبعها عَنِ السبيل الَّتِي هِيَ سبيل الهدى، والنجاة من مُرْديات الهوى..[٤٩]

* في الحديث تجسيد المعنويات بصورة الحسيات ليكون أبلغ وأثبت في التعليم، وهذه من أهم فوائد ضرب الأمثال البلاغية.

* الاهتمام بالطرق المحسوسة التي توضح المعاني، بحيث ينتقل فيها خيال المستمع من المعنى المعنوى إلى تقريبه برسم محسوس، ويترتب عليها اجتذاب المعنى البعيد بتشبيهه وتمثيله بالمحسوسات.

* استخدام النبي –صلى الله عليه وسلم- للوسائل التعليمية، بالخط، والرسم؛ لحرصه على التبليغ، ليفهم المخاطب مراد النبي –صلى الله عليه وسلم-.

* الإضافة في قوله (هذا سبيل الله) تقتضي التشريف، والتنبيه على استمداده من الوحي: القرآن، والحديث، ويترتب على ذلك الحث على التمسك بهذا الطريق ومنهجه.

---

(٤٤) الترغيب والترهيب لقوام السنة (٥٢٨/١).

(٤٥) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢٥٤/١).

(٤٦) انظر: تفسير الطبري شاكر (٢٣١/١٢).

(٤٧) انظر: إعراب القرآن للأصبهاني (ص: ٣٢٧).

(٤٨) انظر: فتح القدير للشوكاني: ١٧٨/٢.

(٤٩) الجليس الصالح ص: ١٤.

* الحكمة من إفراد سبيل الله كما في الحديث، والجمع لسبل الباطل كما في قوله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[الأنعام:١٥٣]. فجمع سبل الباطل ووحد سبيل الحق.

ولا يناقض هذا قوله تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة:١٦] فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد وصراطه المستقيم فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل واحد وهو سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها..[٥٠]

* ذكر الصراط المستقيم -في النصوص- مفردا معرفا تعريفين تعريفا باللام وتعريفا بالإضافة وذلك يفيد تعينه واختصاصه وأنه صراط واحد.

وأما طرق أهل الغضب والضلال فإنه سبحانه يجمعها ويفردها، كقوله (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[الأنعام:١٥٣].

فوحد لفظ الصراط وسبيله وجمع السبل المخالفة له.. وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد؛ فإنه متصل بالله موصل إلى الله..[٥١]

* التعبير بلفظ الصراط: وقد ذكر الله لفظ الصراط في الكتاب العزيز في غير موضع ولم يسم الله سبيل الشيطان صراطا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم الصراط، كقوله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[الأنعام:١٥٣].. فسمى سبحانه طريقه صراطا وسمى تلك سبلا ولم يسمها صراطا.. وطريقه يسميه سبيلا كما يسميه صراطا.[٥٢]

والصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقا مستقيما، سهلا، مسلوكا، واسعا، موصلا إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطا، ولا الصعب ولا المسدود غير الموصل.[٥٣]

ووصفه بالاستقامة يتضمن: قربه؛ لأن الخط المستقيم هو أقرب خط فاصل بين نقطتين، وكلما تعوج طال وبعد، واستقامته تتضمن إيصاله إلى المقصود.[٥٤]

---

(٥٠) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٢٣/١، وانظر: تفسير الزمخشري (١٢٨/٢)

(٥١) مدارج السالكين: ١٤/١.

(٥٢) الجواب الصحيح: ١٧٩/٣

(٥٣) ينظر: بدائع الفوائد (١٦/٢).

(٥٤) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤).

**المبحث الخامس: مباحث الحديث ومسائله.**

* تعدد أساليب النبي –صلى الله عليه وسلم- في تبليغ ما أنزل إليه من ربه عز وجل، وقد خط للصحابة رضي الله عنهم؛ ليبين لهم كما في هذا الحديث، ولهذا نظائر في السنة:

-عن عَبْدِ اللَّهِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: "هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ -أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا". أخرجه البخاري(٦٤١٧).

- عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ». أخرجه البخاري (٦٤١٨).

- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَمَعَ أَصَابِعَهُ فَوَضَعَهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ: "هَذَا ابْنُ آدَمَ"، ثُمَّ رَفَعَهَا فَوَضَعَهَا خَلْفَ ذَلِكَ قَلِيلًا، وَقَالَ: "هَذَا أَجَلُهُ"، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ أَمَامَهُ قَالَ: "وَثَمَّ أَمَلُهُ" أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٣٨) بسند جيد.

- عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَرَزَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَرْزًا، ثُمَّ غَرَزَ إِلَى جَنْبِهِ آخَرَ، ثُمَّ غَرَزَ الثَّالِثَ فَأَبْعَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟" قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، وَهَذَا أَمَلُهُ، يَتَعَاطَى الْأَمَلَ، وَالْأَجَلُ يَخْتَلِجُهُ دُونَ ذَلِكَ". أخرجه الإمام أحمد.[٥٥]

- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، وَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الجَنَّةِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لاَ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ. ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل: ٥] الآيَةَ "

أخرجه البخاري (٦٦٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٧) وعنده: "وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ..".

* من حسن عرض العلم استخدام الرسم كما استخدمه النبي –صلى الله عليه وسلم-، وقد جد في عصرنا برامج متنوعة حديثة لإبراز المعاني عن طريق هذه الوسائل، مثل استخدام الرسم والتصوير الالكتروني، فهل يحبذ الصناعة الإعلامية له؟

الذي يظهر أنه لا بأس بذلك؛ لعدم الفرق البين بين رسمه يدويا والكترونيا.

وهل ينطبق هذا الجواز على الصناعة الإعلامية للأمثال النبوية، سواء أكانت أمثالا حسية، أم أمثالا معنوية؟

---

(٥٥) أخرجه أحمد. (١١١٣٢). وسنده حسن إلا أنه روي مرسلا. أخرجه أبو نُعيم في "الحلية" ٦/٣١١، وقال: غريب من حديث أبي المتوكل، لم يروه -فيما أعلم- إلا ابن علي الرفاعي، ورواه عن علي الكبار، منهم وكيع بن الجراح وطبقته. وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٢٥٤) عن علي بن علي، عن أبي المتوكل، مرسلاً.

الأمر لا يخلو من تفصيل، ولكن الذي يجب التنبيه عليه: أنه لا يمكن القول بجواز الصناعة الإعلامية في إنتاج الأفلام التي ترسم وتجسد حقائق الغيب من الماضي، والحاضر، والمستقبل، التي لا يمكن تصورها، فضلاً عن تصويرها! ومِن ذلك: أحوال القيامة؛ كالبعث، والصراط، والميزان، وما يسبق ذلك من النفخ في الصور، وما ينشأ عنه من فزع، وصعق، وتغيرات في العالم العلوي، والسفلي، وما يصاحب ذلك من أهوال...[٥٦]

* سبيل الله، هو طريق واحد، غير متعدد، كما دل عليه الحديث وإذا كان كذلك تعين أن يكون هو السبيل الذي سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم.

قَالَ حُذَيْفَةَ: "يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا". أخرجه البخاري (٧٢٨٢).

- وهو الصراط المستقيم الذى أمرنا الله أن نسأله هدايته، فَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَقُولَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[الْفَاتِحَةِ:٦- ٧].[٥٧]

-ومن هاهنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة، إما فرضا أو إيجابا، على حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها.[٥٨]

- الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، هُوَ الدَّلِيلُ الْهَادِي الْخِرِّيتُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ كما قال تَعَالَى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى:٥٢-٥٣].

قال الزهري: كَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ هُوَ النَّجَاةُ. وَقَالَ مَالِكٌ: السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ. فالسُّنَّةَ وَالشَّرِيعَةَ وَالْمِنْهَاجَ: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

* الصراط المستقيم: تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا وهو إفراده تعالى بالعبودية وإفراد رسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة، فلا يشرك به أحدا في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته، فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم..

وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فأي شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك وعقده: أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، الأول يحصل بالتحقيق

---

(٥٦) انظر تفصيل الجواب بالأدلة في فتوى: موقع الإسلام سؤال وجواب: (١٤٤٨٨) و (١٠٨٣٦).

(٥٧) انظر: مجموع الفتاوى: ٦١٧/١١.

(٥٨) انظر: شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (٨٠٠/٢)، ومجموع الفتاوى (١٢٧/٣)، و(٣٧٢/٢٧).

بشهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل له، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به. فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها، وهي معنى قول من قال علوم وأعمال ظاهرة وباطنة مستفادة من مشكاة النبوة، ومعنى قول من قال: متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا علما وعملا..[٥٩]

* ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. في الحديث أنها خطوط متعددة غير محصورة بعدد، ولم يدل النقل على حصر عددها، ولا لنا أيضا سبيل إلى حصرها من جهة العقل أو الاستقراء، ولكن يذكر من ذلك أوجها كلية في منهجهم يقاس عليها ما سواها:

١- اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٢- ردهم للأحاديث الصحيحة التي جرت غير موافقة لمذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل، كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وأنه يقدم الذي فيه الداء. وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول.

وربما قدحوا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم -وحاشاهم- وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم، كل ذلك ليردوا به على من خالفهم في المذهب، وربما ردوا فتاويهم وقبحوها في أسماع العامة، لينفروا الأمة عن أتباع السنة وأهلها.

٣- تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة: مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخين في العلم، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك.

٤- انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات: التي للعقول فيها مواقف، وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهرا في نفسه، ودالا على غيره، وإلا احتيج إلى دليل، فإن دل الدليل على عدم صحته فأحرى أن لا يكون دليلا.

٥- تحريف الأدلة عن مواضعها: بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهما أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله، ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام، ويذم تحريف الكلم عن مواضعه، لا يلجأ إليه صراحا إلا مع اشتباه يعرض له، أو جهل يصده عن الحق، مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه، فيكون بذلك السبب مبتدعا.

(٥٩) انظر: بدائع الفوائد ٤٠/٢، و مجموع الفتاوى: ٦١٧/١١.

وبيان ذلك أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات - مثلا - فأتى به المكلف في الجملة أيضا، كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة كان الدليل عاضدا لعلمه من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة، أو زمان مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مقارنا لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلا أن الكيفية، أو الزمان، أو المكان، مقصود شرعا من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه.

فإذا ندب الشرع مثلا إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات - لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه، وخصوصا مع من يقتدى به في مجامع الناس كالمساجد.

فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل أولا لأنه قيد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة وهم السلف الصالح رضي الله عنهم، بل كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفا أن يعمل به الناس فيفرض عليهم، ألا ترى أن كل ما أظهره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وواظب عليه في جماعة إذا لم يكن فرضا فهو سنة عند العلماء، كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف ونحو ذلك؟ بخلاف قيام الليل وسائر النوافل، فإنها مستحبات، وندب - صلى الله عليه وسلم - إلى إخفائها، وإنما يضر إذا كانت تشاع ويعلن بها.

٦- بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل يدعون فيها أنها هي المقصود والمراد، لا ما يفهم العربي - فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر، والأمور الإلهية فهي أمثلة ورموز إلى بواطن.

٧- التغالي في تعظيم شيوخهم: حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه، ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر المذهب والتهالك في محبة المبتدع، لما وسع ذلك عقل أحد، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟» أخرجه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، فهؤلاء غلوا كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام..

ومن تأمل هذه الأصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة كثيرا، لأن البدعة إذا دخلت في الأصل سهلت مداخلتها الفروع.

٨- الاحتجاج بالمنامات: فيقولون: رأينا فلانا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا، وربما قال بعضهم: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم، فقال لي كذا وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير

الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا.

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرائي بالحكم فلا بد من النظر فيها أيضا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم بما استقر، وإن أخبر بمخالف، فمحال، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية، لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقا لم يخبره بما يخالف الشرع. [٦٠]

* في الحديث أمر المؤمنين بالجماعة والائتلاف، ونهيهم عن الفرقة والاختلاف، وقد دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على هذا الأصل. ومن ذلك قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران:١٠٣].

* أصل الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله، ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة أن محمدا رسول الله، وإنما يحقق هذين الأصلين: من لم يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله التي بلغها عن الله..

والزهادات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله وهو الصراط المستقيم.. هي من سبل الشيطان، ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان، فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم المسيح الدجال الذي يقول للسماء أمطرى فتمطر وللأرض أنبتى فتنبت وللخربة أظهري كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، وهو مع هذا عدو الله كافر بالله. وأولياء الله هم المذكورون في قوله: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يونس: ٦٢-٦٣] فهم المؤمنون المتقون.

والتقوى: فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه. فمن ترك ما أمر الله واتخذ عبادة نهى الله عنها كيف يكون من هؤلاء؟! [٦١]

والإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، يرجع إلى أصلين، الأول: طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم- فيما أمر. والثاني: تصديقه بما أخبر. [٦٢]

---

(٦٠) انظر: الاعتصام للشاطبي ١١/٢ وما بعدها مختصرا.

(٦١) انظر: مجموع الفتاوى: ٦١٧/١١.

(٦٢) انظر: أحكام أهل الذمة: ٨٣٦/٢

* من أصول الصراط المستقيم: أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره، ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب، فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا.. وجماع ذلك بحفظ أصلين:

أحدهما: تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته.

والثاني: أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيا ولا رواية. قال الله تعالى فيما يأمر به بني إسرائيل وهو لنا (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة ٤١-٤٢].

فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من الباطل ولا يعارض بغيره، قال الله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) [الأعراف:٣]، وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) [الأنعام:٩٣].

وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل؛ فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه إما أن يقول: إن الله أنزله علي فيكون قد افترى على الله، أو يقول أوحي إليه ولم يسم من أوحاه، أو يقول أنا أنشأته وأنا أنزل مثل ما أنزل الله. فإما أن يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد.

وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا..[٦٣]

* هذه السبل المفارقة تعم اليهودية والنصرانية سائر أهل الملل، وأهل البدع والأهواء المضلة.[٦٤]

* التحذير من البدع كلها. وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: كما في صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»،.. وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»...[٦٥] وعند النسائي: "وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ".[٦٦]

وقد روى الإمام أحمد، والدارمي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم: من حديث الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ

---

(٦٣) انظر: مجموع الفتاوى: ١٥٥/١٥.

(٦٤) انظر: تفسير البغوي: ١٤٢/٢، تفسير الواحدي: ٣٨٢/١، وزاد المسير: ١٥١/٣، وتفسير القرطبي (١٣٨/٧).

(٦٥) صحيح مسلم ٥٩٢/٢ رقم (٨٦٧)

(٦٦) سنن النسائي (المجتبى) ١٨٨/٣

مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ". اللفظ للإمام أحمد، وصححه الترمذي. (٦٧)

وقال أبو نُعيم في المستخرج على صحيح مسلم: وَهَذَا حَدِيثٌ جَيِّدٌ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِ الشَّامِيِّينَ. (٦٨)

* من تقرب إلى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمر إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان وسبيله من سبيل الشيطان كما في حديث عبد الله ابن مسعود.. وهذا أصل جامع يجب معرفته.. (٦٩)

* إذا تأمل العاقل هذا المثال.. وتأمل سائر طوائف المبتدعة وجد أن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجد أنه ينطبق عليهم هذا المثال.

ومن هؤلاء من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث -سيما في أخبار الصفات- حمل الحديث على عقله وصرح بتقديمه على الحديث وجعل عقله ميزانا للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحا بتقديمه في الشريعة المحمدية فيكون من السبيل المأمور باتباعه، أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل؟! (٧٠)

* توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم، وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى وتحصر، ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار.

فإن قيل: قوله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المائدة:١٥-١٦]

قيل: هي سبل تجمع في سبيل واحد، وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعظم، فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الإيمان، كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها. وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره. (٧١)

---

(٦٧) أخرجه الإمام أحمد:١٢٦/٤ (١٧١٨٤)، وط الرسالة (١٧١٤٥) وأبو داود: ٢٠٠/٤ (٤٦٠٧) والترمذي: ٤٤/٥ (٢٦٧٦) وصححه، وابن ماجه: ١٧/١ رقم (٤٣،٤٤)، والدارمي: ٥٧/١ رقم (٩٥).

(٦٨) المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نُعيم (٣٦/١)

(٦٩) انظر: مجموع الفتاوى: ١٦٢/١.

(٧٠) ينظر: مجموع الفتاوى: ٥٧/٤.

(٧١) انظر: حادي الأرواح: ٥١/١ وطريق الهجرتين: ٢٧٧/١.

* طريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا؛ وفي صحيح البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».(٧٢)

* الناس في معرفة الطريق قسمان:

١- من عرف الطريق إلى ربه وسلكها قاصدا الوصول إليه وهذا هو الكريم على ربه.

٢- من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها فهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ). [الحج: ١٨].

والطريق إلى الله في الحقيقة واحد لا تعدد فيه وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلا لمن سلكه قال الله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) [الأنعام:١٥٣]

فالطريق إلى الله واحد؛ فإنه الحق المبين والحق واحد مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر بل كل ما سواه باطل وكل طريق إلى الباطل فهو باطل فالباطل متعدد وطرقه متعددة.

وأما ما يقع في كلام بعض العلماء أن الطريق إلى الله متعددة متنوعة جعلها الله كذلك لتنوع الاستعدادات واختلافها رحمة منه وفضلا فهو صحيح لا ينافي ما ذكرناه من وحدة الطريق وإيضاحه: أن الطريق هي واحدة جامعة لكل ما يرضي الله وما يرضيه متعدد متنوع... (٧٣)

* البعد عن سبيل الله مما يوقع في البدعة. ومعلوم إن كل من سلك إلى الله جل وعز علما وعملا بطريق ليست مشروعة وليست موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فلابد أن يقع في بدعة قولية أو عملية؛ فإن السائر إذا سار على غير الطريق المهيع فلابد أن يسلك بنيات الطريق، وإن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهدا فيه مخطئا مغفورا له خطؤه وقد يكون ذنبا وقد يكون فسقا وقد يكون كفرا، بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل فإنها أقوم الطرق ليس فيها عوج.(٧٤)

* نقل عن محمد بن أسلم: أن حديث عبد الله بن مسعود، يعني: حديث الباب وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم: ".. وأمتي تفترق على ثلاثة وسبعين.." (٧٥)

قال: فرجع الحديث إلى واحد والسبيل الذي قال في حديث ابن مسعود والذي قال: "ما أنا عليه وأصحابي"، فدين الله في سبيل واحد، فكل عمل أعمله أعرضه على هذين الحديثين، فما وافقهما عملته وما خالفهما تركته، ولو أن أهل العلم فعلوا لكانوا على أثر النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(٧٢) وانظر: حادي الأرواح: ٥١/١ الباب السادس عشر

(٧٣) انظر: طريق الهجرتين: ٢٧٧/١.

(٧٤) انظر: العقيدة الأصفهانية: ١٦٦/١.

(٧٥) أخرجه الترمذي: ٢٦/٥ رقم (٢٦٤١) قال أبو عيسى هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٢١٨/١ رقم (٤٤٤) وله طرق يقوي بعضها بعضا، وقد روي عن بضعة عشر صحابيا، وقد عد من المتواتر

ولكنهم فتنهم حب الدنيا وشهوة المال، ولو كان في حديث عبد الله بن عمرو الذي قال: "كلها في النار إلا واحدة" قال: كلها في الجنة إلا واحدة، لكان ينبغي أن يكون قد تبين علينا في خشوعنا وهمومنا وجميع أمورنا خوفا أن تكون من تلك الواحدة؛ فكيف وقد قال (كلها في النار إلا واحدة). [٧٦]

**المبحث السادس: الفوائد المستنبطة من الحديث.**

١- اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بضرب الأمثال، لما يؤدي إليه ذلك من اهتمام السامع، وفهمه للمسموع، ورسوخ الأمر عنده.

٢- أهمية استخدام الوسائل التوضيحية، تسهيلا لإيصال الفائدة، وزيادة في إفهام المتعلم، وقد استخدمها أعلم الخلق –صلى الله عليه وسلم-.

٣- وضوح المنهج النبوي في التعليم، وقربه من السامعين، وعدم تكلفه صلى الله عليه وسلم، كما أخبر سبحانه في قوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) [سورة ص: (٨٦)].

٤- أهمية الاجتماع للتذاكر، ومدارسة العلم: على ضوء الكتاب والسنة.

٥- ينبغي للمعلم أن يستغل الفرصة لإرشاد الناس، وتقريبهم من الله وحثهم على لزوم السنة والجماعة، وأن هذا من أعظم الأعمال التي يرجى ثوابها من الله تعالى، ورسولنا –صلى الله عليه وسلم- هو القدوة في ذلك، وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ). [الأحزاب:(٢١)].

٦- أن سبيل الله تعالى واحد، وهو الصراط المستقيم، بخلاف سبل الغواية فهي متعددة ومتنوعة.

٧- أن من أهم أسباب الاختلاف المؤدي إلى تفرق المسلمين ومقاتلة بعضهم لبعض: التفرق عن سبيل الله: إما بالتحريف والتأويل للنصوص، أو باتباع الأهواء، ونبذ كتاب الله وراءهم ظهريا.

٨- سبيل الله عز وجل: طريقه الموصل إليه، ولذا أشار إليه باسم الإشارة المفرد القريب؛ ليدل على قربه ووضوحه وتوحده.

٩- وجوب الاتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم- فيما شرع، وأن ذلك من مقتضى الإيمان به.

١٠- التحذير من البدع، في الدين؛ فإنها من أعظم ما يصرف الإنسان عن الصراط المستقيم.

---

(٧٦) انظر: حلية الأولياء:٩/٢٤٢.

**الخاتمة:**

فقد تبين لنا من خلال هذا البحث بعض المسائل المهمة، منها:

- الحديث التحليلي مستمد من أنواع متعددة من علوم الحديث، وهو جمع لها تحت حديث واحد.
- حديث ابن مسعود حديث صحيح، وهو مشهور في مصنفات الحديث، والعقيدة، والتربية المعاصرة.
- استخدم النبي صلى الله عليه وسلم، وسائل متعددة لتعليم الصحابة رضي الله عنهم، وفي حديث ابن مسعود نموذج من تلك الوسائل.
- توحد طريق الجنة، وأنه ليس لها إلا طريق واحد: وهو الصراط المستقيم، الذي أمرنا أن نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقم في كل ركعة من ركعات الصلاة.
- وعلى ذلك فهو قطعا طريق النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه، الذي سار عليه، وحث على التسمك به، وحذر مما سواه، وسار عليه أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.
- وما عدا ذلك من الطرق فهي طرق مخالفة وعلى رأس كل منها شيطان يدعو إليه، وأمر مخالف يدعو إليه ليصد الناس عن سبيل الله تعالى.
- الحديث لم يدل على عد الطرق الباطلة، ولا حصرها عددا، وذلك لكثرتها وتنوعها في كل زمان ومكان، فكل ما خالف الصراط المستقيم فهو طريق مخالف.
- أن اتباع الطرق المخالفة ينتج عنه الافتراق عن الصراط المستقيم، ومعادات أهله لا محالة، ولذلك أكدت الوصية على لزوم الطريق المستقيم في كتاب الله عز وجل.



# أثر السُّنة النبوية في تنميّة الأخلاق البشرية دراسة تقويمية اصطفائية

**أ.د. داتؤ ذو الكفل بن حجي محمد يوسف**

**د. عبد المحسن عليّ القيسي**

جامعة ملايا



## المُلخّص:

الهدف من هذه المقالة لإبراز منزلة السُّنة النبوية في تنمية الأخلاق البشرية والتي تّعد الإجابة الحاسمة للتحديات المعاصرة والهجمة الهمجية النكدة والخاسئة على شخص سيدنا النبي الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أنّ تنمية الأخلاق البشرية يذكي الوازع الديني في المجتمعات الإسلامية التي هي جزء من الأسرة الدولية وبالنتيجة ستفضي هذه التنمية لإغناء التطور الحضاري، وفكرة البحث الرئيسة مأخوذة من قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بُعثتُ لأُتَممَ مكارم الأخلاق"[١]. وما من شك في أهمية التسلح الأخلاقي[٢] في وقتنا لمجابهة التحديات المادية الطاغية على الجانب الأخلاقي، ذلك لأن السُّنة النبوية داعية إلى حسن السلوك[٣]، ومحاربة الفساد الأخلاقي[٤]، ويسعى البحث لبلورة ما يتاح مما جاء في كتب السُّنة الشريفة من أحاديث تدعو لبناء مجتمع سوي حر كريم يؤكد الأخلاق الحميدة، ولا يفوتنا الاستشهاد بقوله تعالى مادحاً نبيه الكريم {وإنّك لَعَلى خُلُقٍ عظيمٍ}[٥]، ومن خلقه العظيم صلى الله عليه ما رواه أهل السند الصحيح أنّ أعرابياً بال في المسجد فهّمَّ به الناسُ فمنعهم صلى الله عليه وسلم بقوله: لاتزرموه[٦].ومن نتائج البحث أنّ السنُّة النبوية كانت قراءة تطبيقية للقرآن الكريم، موجهة لبناء الشخصية الإسلامية؛ فهي والحال هذا تكون صالحة في كل عصر متجاوزة كل التحديات التي تواجهها من إساءات وعداوات وخصومات وإشاعات وبذاءات وسفاهات، من ناحية ومن ناحية أخرى فالسُّنة مصدر هدي في الحياة الدنيا والآخرة كذلك.

### مقدمة تمهيدية:

إنّ إشكالية مقالتنا تكمن في سؤال جوهري وحيوي مفاده "هل لدى مذاهب المسلمين أسس أخلاقية أصيلة؟ فالمشكلات التي تعاني منها البشرية جميعاً ومنها الأمة الإسلامية هي مشكلات أخلاقية بحتة،

---

[١] رواه البخاري في الأدب المُفرد رقم الحديث ٢٧٣، والحاكم في المستدرك ٣١٨/٢، من طريق ابن عجلان عن القعقاع عن أبي هريرة.ومالك في الموطأ ٩٠٤/٢.

[٢] التسلح الأخلاقي.Moral rearmament منير البعلبكي قاموس إنجليزي عربي، ص٥٩٢، وانظر Moral reconciliation

[٣] حسن السلوك، ص.٢٢٠. المرجع نفسه انظر معنى Correctitude

[٤] المرجع نفسه، معنى الفساد الأخلاقي Corruption

[٥] سورة القلم رقم الآية ٤.

[٦] رواه مسلم برقم ٢٨٥ من حديث أنس.

لأسباب عديدة أهمها في محاولة إبعاد المسلم عن تعاليم دينه القائمة على مصدرين أساسيين هما الكتاب والسُّنة، بحيث يفوت عليه من يريد إبعاده الكثير من الغناء عن المصادر المادية القاسية التي تجعل من الإنسان آلة صماء لا يفقه ولا ينقه سوى التقليد لمن هم أقوى منه في التقنيات المعاصرة وكما قيل:

**قَلّدوا الغربي ولكنْ بالفجور وعن اللبِ استعاضوا بالقشور**

إذن تكون الإجابة وبكل يسرٍ عن سؤال الإشكالية بأنّه: نعم يوجد لدى المسلمين أسس أخلاقية أصيلة مستقاة من هدي نبيهم الكريم الذي مدحه الله تعالى في قوله{**وإنّك لَعَلى خُلقٍ عظيم**}[٧].

ومن هذا المنطلق سيكون الرد على التحديات المعاصرة في بلورة البيانات الخاصة بالإساءة من ناحية وبإبراز الجانب الأخلاقي في السُّنة النبوية والذي يُعدّ الرد الحاسم لتلك الإساءات لأن الأعمال أعلى صوتاً من الأقوال، ولأن بعثته صلى الله عليه وسلم كانت رحمة للعالمين، فكذلك جاء هديه وتربيته لأجيال الصحابة الكرام لبناء الأمة الإسلامية الرائدة للبشرية جمعاء، ولتكون سنُّة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام الضمانة الحقيقية لسعادة البشرية مشرقها ومغربها شمالها وجنوبها ولكل الأعراق والقوميات.

ويتبع الباحثان المنهجية التقويمية الاصطفائية والتي تركن للاستنباط والتحليل والوصف، وقد جعلنا البحث على مقدمة تمهيدية ومبحثين مع خاتمة نذكر فيها النتائج والتوصيات وقائمة لمصادر الدراسة.

## المبحث الأول

## تتبع المسيرة التاريخية لقضية الإساءة لشخص سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام

### المطلب الأول: فترة بدء الدعوة الإسلامية

#### أولاً// في مكة المكرمة

استخدم المشركون المعادون لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام العديد من الأساليب لمحاربته والطعن في شخصيته. ومن هذه الأساليب السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، إثارة الشبهات وتكثيف الدعايات حيث وصفه البعض بأنه مصاب بنوع من الجنون، وقالوا : إنّ له جنًا أو شيطانًا يتنزل عليه كما ينزل الجن والشياطين على الكهنة ، وكانوا يعملون للحيلولة بين الناس وبين سماعهم الذكر الحكيم، لكنهم لما رؤوا أنّ هذه الأساليب لم تجد نفعًا في إحباط الدعوة الإسلامية استشاروا فيما بينهم، فقرروا القيام بتعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم، فأخذ كل رئيس يعذب من دان من قبيلته بالإسلام وقام البعض بالتطاول على شخص سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكانت

[٧] سورة القلم رقم الآية ٤.

هناك عدة محاولات لاغتياله[٨]. وفي بداية الدعوة لما أنزل الله تعالى أمره لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، بقوله تعالى {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[٩]، قام سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام يبعث إلى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب، فلما أخبرهم بما أنزل الله تعالى عليه قال: تباً لك، ألهذا جمعتنا وأخذ حجراً ليرميه به، وقال له: ما رأيت أحداً قط جاء بني أبيه وقومه بأشرّ ما جئتهم به، فسكت سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يتكلم في ذلك المجلس، ويعتبر أبو لهب من المجاهرين بالظلم والإساءة لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولكل من آمن به، وزوجته أروى بنت حرب (حمالة الحطب)وقد نزلت فيهما سورة المسَد[١٠].

ومنها ما حدّث به عبد الله بن مسعود، قال: كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي، وقد نحر جزور وبقي فرثه: أي روثه في كرشه. فقال أبو جهل: ألا رجل يقوم إلى هذا القذر يلقيه على محمد، فقام عقبة بن أبي معيط وجاء بذلك الفرث، فألقاه على سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام وهو ساجد فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك حتى جاءت فاطمة بنت سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام وألقته عنه[١١] وأُميّة بن خلف؛كان إذا رأى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}[١٢]. وقد مشى أُبي بن خلف إلى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بعظمٍ بالٍ قد ارْفتَّ، فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمّ، ثم فتَّه في يده، ثم نفخه في الريح نحو سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقال سيدنا النبي محمد صلوات الله عليه: نعم، أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار. فأنزل الله فيه {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}[١٣]، ومنهم العاص ابن وائل، والوليد بن المغيرة، وغيرهم[١٤].

**ثانياً// في يثرب (المدينة المنّورة).**

فترة الاستقرار في المدينة إذْ كانت علاقة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام مع قبائل (بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير، اليهودية) جيدة في بداية استقراره في المدينة وخاصة بعد أن عقد معهم اتفاق سُمي بميثاق المدينة، ولم يكن يتبنى طقوس اليهود كما يَدّعي البعضُ إنّما كان يبدو لهم فجعلوها حقيقة مطلقة. ولكن بمرور الزمن بدأتْ الخلافاتُ بالطفو على السطح، ويعتقد المستشرقون أن هذه الخلافات كانت البداية لظهور سلسلة من الطعنات لشخصية سيدنا النبي محمد عليه

[٨] ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٥هـ ص٢١٧-٢٥٩.

[٩] سورة الشعراء رقم الآية ٢١٤.

[١٠] ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ، ج١/٤٨٥.

[١١] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ص٤٨٦.

[١٢] سورة الهمزة رقم الآية ١.

[١٣] سورة يس الآيتان ٧٨ – ٧٩.

[١٤] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١/ ص٤٨٨.

الصلاة والسلام، حيث اتهم من قبل اليهود أنه يحاول السيطرة على مقاليد الحكم في يثرب، وأنّه تعلّم من أحبار اليهود أشياء عن أمور دينهم والتسلسل الزمني لظهور الأنبياء وحسب زعم هذه القبائل الثلاث لم يكن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام على علم بها وأخيرا وحسب زعم هذه القبائل الثلاث عندما انتهت حاجة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام إليهم بدأ بتصفيتهم. ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد واستناداً للمصادر التاريخية[١٥] فلقد قام أحد الشعراء اليهود واسمه كعب بن الأشرف بكتابة قصيدة هجاء واستهزاء من شخصية سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وتم قتل هذا الشاعر فيما بعد من قبل أحد المسلمين واسمه محمد بن أسلمة وعملية قتل هذا الشاعر هي أحد النقاط التي يستغلها البعض للطعن في شخصية سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكونه حسب ادعاءهم أنّه شجع على اغتيال معارضيه. ومن الانتقادات الموجهة إلى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام والذي تثير جدلا إلى يومنا هذا هو حادثة محاصرة (بنو قريظة)[١٦] لأنّهم عبئوا القبائل العربية المجاورة للمدينة لحملهم على استئصال المسلمين في المدينة المنورة؛ وبذلك قد نقضوا بنود ميثاق المدينة بدعمهم جيش أبي سفيان، وبقية القبائل العربية غير المسلمة أثناء معركة الخندق وفي نفس يوم هزيمة جيش أبي سفيان توجه جيش سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام نحو مناطق سكن (بنو قريظة) لمعاقبتهم لنقضهم العهد وبعد حصار دام أسابيع استسلم بنو قريظة بدون شروط واستنادا على نفس المصدر فإنّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام انتدب سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس ليكون الحكم وقبلت بنو قريظة به حكما اعتقادا منهم بأنّ قراراته ستكون محابية لهم لصداقتهم القديمة؛ ولكنّ حكم سعد بن معاذ قضى بقتل كل ذكر من بني قريظة وصل مرحلة البلوغ باستثناء من لم يتجحفل مع بني قريظة أثناء غزوة الخندق وأعلن براءته من التحالف مع مهاجمي المدينة. والانتقاد الموجه هنا هو أنّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام أمر بطريقة أو بأخرى قتل أعداد كبيرة ممن يعتبرون بالمقاييس الحديثة أسرى حرب والحقيقة التي لا مراء فيها بأنّ هؤلاء من رعايا الدولة الإسلامية فكانوا تابعين لهذه الدولة ويتبعون قوانينها ويدفعون الضرائب المفروضة عليهم من قبلها لذلك فهم بفعلهم لا يمكن ادراجهم تحت فئة أسرى الحرب وإنما تحت فئة الخونة الذين تعاملوا مع العدو من أجل التآمر على سلامة وأمن الدولة[١٧].

**المطلب الثاني: فترة انتشار الإسلام**

**أولاً// قبل القرون الوسطى**

أثناء فترة انتشار الإسلام في بلاد الشام وخاصة في عهد الأُمويين ظهر أحد الشخصيات الدينية واسمه حنا الدمشقي: الذي كان والده مسيحيا ذا نفوذ عند الأُمويين ويعمل في منصب رفيع في مالية الخلافة الأُموية في عهد عبد الملك بن مروان وقام والد يوحنا الدمشقي بالبحث عن معلم لابنه ليعلمه أُصول

---

[١٥] المصدر نفسه ج١ / ص٦٦٦.

[١٦] عبد الهادي يونس، دفاع عن السُنة – شبهات وردود، القاهرة، دار الصدّيق للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ ، ص٧٦.

[١٧] محمد سعيد دروزة، عصر النبي، بيروت، دار اليقظة، ١٣٨٤هـ ص٤٥.

الدين المسيحي فاختار عن طريق الصدفة أحد الأسرى الذين قُبِضَ عليهم في سواحل إيطاليا أثناء معارك الفتح الإسلامي المجيد في سواحل أوربا وكان اختيار والد الدمشقي لهذا الشخص من باب الشفقة واستطاع أنْ يستغل نفوذه لإطلاق سراح هذا السجين الذي كان اسمه كوسماس وقد ظهر فيما بعد أنّه قس مشهور من صقلية وقام هذا القس بتعليم يوحنا الدمشقي أصول الديانة المسيحية بزعمه الكاذب. بعد وفاة والده تولى يوحنا الدمشقي منصب والده في خزانة الدولة وأثناء فترة توليه المنصب قام أحد البطاركة في كنيسة القسطنطينية بإصدار تعليمات تمنع المسيحيين من تقديس صور للمسيح أو السيدة مريم وهذه الأفكار لم تعجب يوحنا الدمشقي الذي بدأ بكتابة رسائل ومخطوطات ضد هذا المرسوم فقام الإمبراطور البيزنطي المدعو ليو الثالث بتقديم شكوى للخليفة الأُموي[١٨] بدعوى أنّ الدمشقي يحرض على ثورة ضد الإمبراطورية فقام الخليفة بعزله وقطع يديه، وفي هذا المجال، تسرد لنا سيرته أنّ (لاون) الملك، ماقت الأيقونات المقدسة، لحقده على يوحنا اتهمه زوراً بالخيانة، مما سبب له قطع يده. وتقول الرواية فما كان من يوحنا إلا أنْ دخل غرفته "وطرح على الأرض كلية جسده قُدام أيقونة السيدة المجيدة (مريم العذراء) ذات الشفاعات غير المردودة، وألصق كفه المقطوع إلى زنده وتوسّل إليها من قعر قلبه، وفاضت عيناه دموعاً محرقة منحدرة على صدره، قائلاً: أيتها السيدة القديسة الطاهرة والدة إلهنا الكلمة الأزلية، بتجسده من دمائك النقية لمحبته الجزيلة لجنس البشرية، أسألك أنْ تتوسلي إليه من أجلي لكي تردي يدي إلى ما كانت عليه أولاً كاملة، صحيحة من كل ألم وقطع، معافاة، وتظهري عبدك جزيل تحننك لكي ما يبطل لساني ما عشت من مديحك، لأنّك قادرة على ما سألتكِ"."ولقد غفت عيناه فرأى المتحننة بشكلها وهيئتها ناظرة إليه بطرفها وقائلة له: قد عُفيت يدك، فأنجز لإلهك نذرك، ولا تؤخر عهدك، فاستيقظ بفرح مسرور، ونهض واقفاً على رجليه، مصلياً شاكراً، وترنم للوقت بما يلائم سرعة إجابته في توسله وتماما عافيته لساعته".وأيقونة العذراء ذات الأيدي الثلاث هي رمزاً للأعجوبة المذكورة[١٩].

بعدها بدأ بكتابة سلسلة من الكتب ومنها كتاب مشهور باسم (الهرطقة)[٢٠] يهاجم فيها سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام شخصيا ويقدم الدمشقي في هذا الكتاب نسخته حول منشأ الإسلام وسيرة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام ويصفه فيها باستغلاله للدين لمصالحه الشخصية وأيضا ذكر فيه أنّ الراهب النسطوري (بحيرى) قام بمساعدته، في كتابة القرآن الكريم[٢١].

**ثانياً// في القرون الوسطى**

وكان ذلك في زمن حكم المسلمين على اسبانيا فمن سياسة المسلمين في تخفيف مخاوف المسيحيين وطمأنتهم وذلك بإبراز الجوانب المشتركة بين الإسلام والمسيحية، ولكن هذه المحاولات لاقت مقاومة من بعض الأسماء الكبيرة في الكنيسة الاسبانية الذين أبدوا مخاوفهم من تأثير الفتح الإسلامي المجيد على

---

[١٨] إبراهيم العدوي، الأُموين والبيزنطيين، القاهرة، المطبعة السلفية، ص٩١.

[١٩] مجدي محمد الشهاوي، كشف الستار عن ألاعيب الأشرار، القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص٧٥.

[٢٠] انظر منير البعلبكي، ص٤٢٤. Heterodoxyوباللغة الإنجليزية معناها

[٢١] مجدي محمد الشهاوي، كشف الستار عن ألاعيب الأشرار، ص٧٥-٧٦.

إسبانيا فأبرزوا نقاط الاختلاف، ومن أشهرهم إيلوجيس الذي ركز على رفض الإسلام فكرة الثالوث واعتبار سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام للسيد المسيح مجرد نبي أو رسول، وقام إيلوجيس بكتابة العديد من الرسائل مشدداً فيها أنّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام هو رسول كاذب حسب زعمه وأنّه مُدّع للنبوة وأنّه أغلق الباب لأي نبي يأتي بعده، ووصفه في كتاباته "بالذئب المختبئ بين الخرفان"وركز في كتاباته على حادثة زواج سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش واستند في كتاباته على مخطوطات وجدها في دير في بامبلونا وكانت لكاتب مجهول وتزامنت هذه الكتابات مع محاولات من نفس النوع من قبل قس اسمه الفاروس وكان لهذين الشخصين دور كبير في نشوء ما سمي بالاستشهاديين المسيحيين الذين قاموا ببعض العمليات الانتحارية ضد المسلمين، وترويع الناس وإخافتهم من وجود المسلمين بينهم[٢٢].

## المطلب الثالث: في العصر الحديث

**أولاً// آيات شيطانية** التي طعنت في شخصية سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، للروائي البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي، والذي صدر في لندن في ٢٦أيلول (سبتمبر)١٩٨٨م، بعد ٩ أيام من إصدار هذا الكتاب منعت الهند سلمان رشدي من دخول بلادها وتلقت دار النشر التي طبعت الكتاب الآلاف من رسائل التهديد والاتصالات التلفونية المطالبة بسحب الكتاب من دور بيع الكتب. قامت بنغلادش والسودان وجنوب أفريقيا وكينيا وسريلانكا وتايلند وجمهورية تنزانيا المتحدة وإندونيسيا وفنزويلا وسنغافورة، بمنع الكتاب وخرجت مظاهرات تنديد بالكتاب في إسلام آباد ولندن وبومبي ودكا وإسطنبول والخرطوم ونيويورك، حصلت خلال عمليات الاحتجاج هذه حادثتين لفتتا أنظار العالم وهي حادثة حرق أعداد كبيرة من الكتاب في برادفورد في المملكة المتحدة، في ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩م، والحادثة الثانية هي صدور فتاوى كثيرة لهدر دم هذا الهندي النزق، وهاتان الحادثتان لقيتا تغطية واسعة من قبل وسائل الأعلام الغربية وفيها تم اتهام المسلمين بالظلامية والوحشية وعدم السماح لحرية التعبير[٢٣]. والشخصيتان الرئيسيتان في الرواية هما صلاح الدين جمجة الذي هو هندي عاش منذ صغره في المملكة المتحدة وانسجم مع المجتمع الغربي وتنكر لأصوله الهندية وجبرائيل فريشته الذي هو ممثل هندي متخصص بالأفلام الدينية وقد فقد إيمانه بالدين بعد إصابته بمرض عَضال ولم تنفعه دعواته شيئا للشفاء. ويجلس الاثنان على مقعدين متجاورين في الطائرة المسافرة من بومبي إلى لندن، ولكنّ الطائرة تتفجر وتسقط نتيجة عمل تخريبي من قبل جماعات متطرفة وأثناء سقوط هذين الشخصيتين يحصل تغييرات في هيئتهم فيتحول صلاح الدين جمجة إلى مخلوق شبيه بالشيطان، وجبرائيل فريشته إلى مخلوق شبيه بالملاك. في أحد أحلام جبرائيل فريشته يرجع بنا سلمان رشدي إلى فترة صلح الحديبية، ويبدأ فصل من الرواية بعنوان (ماهوند) وهذا الفصل من الرواية جرحت مشاعر المسلمين بصورة عميقة. وعلينا أولاً معرفة أنّ (ماهوند) هو

[٢٢] عبد اللطيف حمزة، أدب الحروب الصليبية، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٩م، ص٥٦.

[٢٣] عبد الجبار عثمان، أصوات ناعقة، العراق ، مطبعة التحرير، ١٩٩٠م، ص٣٠.

اسم استعمل في القرون الوسطى من قبل المسيحيين المتطرفين لوصف سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والنصوص الرئيسية في هذا الفصل من الكتاب مستند على رواية ذكرت في سيرة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام[٢٤] وحسب روايات المؤرخين ومنهم ابن إسحاق (أنها من وضع الزنادقة)[٢٥] والرواية تذكر بأنّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وأثناء نزول سورة النجم عليه همس له الشيطان بهذه الكلمات "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى" {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى}[٢٦] وحسب الرواية فالشيطان قد همس بهذه الكلمات "تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لترتجى" وهذا يعني أنّه تم ذكر تلك الأصنام بخير في القرآن الكريم، وفي هذا إشارة على أنّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، حاول بطريقة أو بأخرى تقليل معاداة أهل مكة لدعوته وكف الأذى عن أتباعه بذكر آلهة مكة بخير حيث يزعم البعض أنّه بعد هذه الحادثة ساد الوئام بينه وبين معارضيه السابقين من أهل مكة حتى بلغ الأمر أنّ بعض المسلمين الذين كانوا مهاجرين إلى الحبشة (إثيوبيا) هربا من قمع أهل مكة قد قرروا الرجوع[٢٧]. الصحة التاريخية فهناك شبه إجماع بين علماء المسلمين على عدم صحتها وأهل العلم ينفونها ومنهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق[٢٨] لأسباب عدّة ومن أهمها أنّ الحديث مرسل ويعامل معاملة الحديث الضعيف، وسورة النجم تتحدث عن المعراج وقد كان في السنة العاشرة للبعثة، وقصة الغرانيق في السنة الخامسة للبعثة، والثابت في صحيح البخاري[٢٩] فلم تذكر الغرانيق مطلقاً، إنما ذكر ما نصه: سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. ولقد نص القاضي عياض[٣٠] وابن حزم[٣١] والرازي[٣٢] وابن كثير[٣٣] ، على كذب هذه الرواية، لأنّ الله تعالى يقول {وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌّ يُوحى}[٣٤] ويقول {ولو تقوّل عَلينا بعضَ الأقَاويلِ لأخَذنا مِنه باليمينِ ثُمَ لَقطَعنا منه الوتين}[٣٥]ويقول {قل ما يكون لي أنْ أُبدّلَه من تلقاء نفسي إنْ اتبع إلا ما يوحي إليّ}[٣٦] وفي قوله تعالى {وإنْ كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره}[٣٧]

---

[٢٤] إبراهيم عليّ شعوط، أباطيل يجب أنْ تُمحى من التاريخ، (قصة الغرانيق) بيروت، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٣هـ، ص٥٣.

[٢٥] ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن سيار، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢ / ص٩٤.

[٢٦] سورة النجم الآيتان ١٨ – ١٩.

[٢٧] بركات أحمد، مُحّمد واليهود، ترجمة محمود على مراد، القاهرة، الدار المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٩١.

[٢٨] محمد ناصر الدين الألباني، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤١٧هـ ط٣، ص٢-٣.

[٢٩] البخاري، رقم الحديث ١٠٢١.

[٣٠] أبو الفضل عياض بن موسى، الشهير بالقاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت دار صادر، ١٤٢٧هـ ج٢/ ٧٩.

[٣١] ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي، الفصل في الأهواء والنحل والملل، بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ج٢/ ص٣١١.

[٣٢] الفخر الرازي، محمد بن عمر بن حسين، مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير، القاهرة، المطبعة البهية المصرية، د،ت، ج٢٣ / ص٤٤.

[٣٣] ابن كثير إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م، ج٤ / ص٥٦.

[٣٤] سورة النجم الآيتان ٣- ٤.

[٣٥] سورة الحاقة رقم الآية ٤٤.

[٣٦] سورة يونس رقم الآية ١٥.

[٣٧] سورة الإسراء رقم الآية ٧٣.

تبرئة لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، من تلك الفرية التي نُسبت إليه في تلاوة هذه الكلمة الشركية، ولو كانت الرواية صحيحة لَوُجِدَ تفككاً في المعنى وتناقضاً لا يطمئن له السامعون، ناهيك عن السجود لسماعه[٣٨].

### ثالثاً// بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١

شهد العالم تصاعدا في الكتابات التي تطعن في شخصية سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وصدر العديد من الكتب التي اشتهرت وانتشرت لأسباب لا تتعلق بخبرة مؤلفي هذه الكتب بتاريخ الديانات وإنما نتيجة للتعميم الذي استعمله أقلية في العالم الغربي نتيجة أحقاد موروثة، ومن أشهر الكتب التي صدرت في هذه الفترة كتاب باسم "نبي الخراب" للمؤلف كريك ونن؛ الذي وصف سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام بقاطع طريق استعمل حسب زعمه البطش والاغتيالات والخداع للوصول إلى السلطة المطلقة. ومسلسل الإساءات مستمر ومنها إساءة صحيفة دانمركية لشخصية سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، مقال تفصيلي :الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد في صحيفة يولاندس بوستن الدانماركية في سبتمبر ٢٠٠٥ قامت صحيفة دانمركية مشهورة يلاندز بوستن بإقامة مسابقة لرسم كاركاتير لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقامت الصحفية باختيار ١٢ رسماً من الرسوم المرسلة وفيها استهزاء وسخرية من سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام[٣٩] فإحداها تظهره وهو يلبس عمامة على شكل قنبلة بفتيل، وقد حاولت الجالية الإسلامية وقف الصور لكن الجريدة رفضت وكذلك الحكومة أيدت الجريدة بحجة حرية التعبير، فقامت الجالية الإسلامية بتنظيم حملة وجولة في العالم الإسلامي للدفاع عن سيدنا النبي محمد، وقامت العديد من الدول الإسلامية باستنكار الحدث فصدر بيان لمجلس جامعة الدول العربية، على مستوى الوزراء لمناقشة الموضوع. وقامت المملكة العربية السعودية، بسحب سفيرها في الدنمارك، للتشاور وقامت ليبيا، بإغلاق سفارتها في الدنمارك، وصدرت إدانات من جهات مختلفة منها هيئة علماء المسلمين، في العراق باسم متحدثها فضيلة الشيخ الدكتور حارث الضاري، وبرلمان دولة الكويت، وبرلمان مصر. وبدأت في كثير من بلدان العالم الإسلامي الدعوة لمقاطعة المنتجات الدانمركية، وتتركز المقاطعة على منتجات الألبان، وغيرها والدعوة بدأت شعبية وعبر الصحف والقنوات الغير رسمية وعبر رسائل الجوال، وقامت مراكز تجارية كبيرة في السعودية بمنع بيع منتجات دانمركية وكذلك في الإمارات والكويت والبحرين، وباقي الدول، وقد حاولت شركات كبرى بمحاولات لمنع المقاطعة عن طريق إعلانات تجارية بصفحة كاملة في صحيفة الشرق الأوسط، كما أُحرقت السفارة الدانمركية والنرويجية بسوريا والسفارة الدانمركية بلبنان، وسحب أيضا السفير الليبي من الدولة المسيئة إلى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما اقتحم المتظاهرون الإندونيسيون مبنى السفارة الدانمركية وإلحاق أضرار

---

[٣٨] خليل السيد، دراسات في القرآن الكريم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٢م، ص١٢٨.

[٣٩] أحمد طعان، عولمة الكراهية، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ، ص١٢١. وعبد الجبار عثمان، أصوات ناعقة، ص٣٢ – ٣٣.

جسيمة بها، وطردت بعض الدول العربية البعثة السياسية الدانمركية والصحفيين الدانمركيين من أراضيها[٤٠].

## المبحث الثاني

## تنمية الأخلاق البشرية في السُنة النبوية

**المطلب الأول معنى الأخلاق لغة واصطلاحاً:** معنى الأخلاق لغةً: الأخلاق جمع خُلُق، والخُلُق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلِقَ عليها. والخُلق بضم الخاء وسكونها هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنّ صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها[٤١]. والخُلق والخْلق في الأصل واحد، كالشُرب والشْرب، والصُرم، والصْرم، لكن خص الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[٤٢].

معنى الأخلاق اصطلاحاً: ومفردها خُلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإنْ كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإنْ كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي مصدر ذلك خُلقاً سيئاً[٤٣]. وأيضاً يمكن تعريفه بأنه:حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم على قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقا[٤٤]، ويتخطى ذلك ليكون عادات مكتسبة وسجايا راسخة[٤٥]. وهناك تعريف آخر مفاده:"أنّ الخُلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة[٤٦]. ولما كانت الأخلاق صمام الأمان للأمم والجماعات فلقد نشأ بسببها علم الأخلاق ولابد لنا من التعريف

---

[٤٠]محمود شهاب، لماذا يُصارعنا الغرب، العراق، دار غرناطة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص٧١.

[٤١]ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ، ج ١٥ / ص٩٦.

[٤٢]الراغب الأصفهاني، المفردات، راجعه محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٩م، ص١٥٧.

[٤٣]المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ، ص ٢٠٢.

[٤٤]ابن مسكويه، أحمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق محمد سالمان، دار طيبة للنشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، ٢٠١٠م، ص٢٩.

[٤٥] انظر البعلبكي ص٢٥. Acquired charactersويقابلها بالإنجليزي

[٤٦]الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٠هـ، ص٧٦.

بهذا العلم العظيم. ١.هو علم: موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[٤٧]. ذلك لأنّ الأخلاق من تزكية النفوس، فحقيقة الأخلاق في داخل النفس البشرية، وإنما السلوك العملي تعبير مباشر عن ذلك، ونتيجة له، ولذلك إذا كان القلب فاسداً لا يستطيع الإنسان أنْ يستمر في التظاهر والمحاولة بالأخلاق السطحية، فبعض الناس قد يتكلفون الأخلاق، لكن ذلك لن يدوم، إنْ لم يكن نابعاً من اعتراف داخلي بقيمة هذه الأخلاق وحب لها، ومثل ذلك الخُلُق المؤقت يعني أنّ في النفس ضعفاً أخلاقياً تنكشف النفس فيه لأدنى امتحان، وكذلك فهي: (ما أخفى رجل شيئاً إلا ظهر على فلتات لسانه وقسمات وجهه)[٤٨]. والشاعر زهير بن أبي سلمى يجسّد هذا المعنى فيقول:

**مهما تكن عند امرئ من خليقةٍ وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلَمِ**

والأخلاق منظومة من المعتقدات أو المثاليات الموجهة والتي تتخلل الفرد أو المجموعة من الناس في حياة الأمة. ٢.علمٌ يوضح معنى الخير والشر ويبين ما ينبغي أنْ تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً ويشرح الغاية التي ينبغي أنْ يقصد إليها الناس في أعمالهم وينير السبيل لما ينبغي[٤٩]. فقوة الأخلاق أو ضعفها يبدو أيضاً عند الانشغال الشديد أو الفراغ القاتل، فيفقد الإنسان هدوءه وتتوتر أعصابه، فيظهر أصحاب الأخلاق الصالحة فلا يقولون إلا خيراً، كما كان يفعل سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام حين يجر أحد الأعراب رداءه فيظهر الأثر على صفحة عنقه[٥٠]. أو يتكلم أحد المنافقين أو يطالبه بدين أحد اليهود ولقد وصف القرآن الكريم خلقه {وإنّك لعلى خُلقٍ عظيم}[٥١]. وإننا نجد اليوم كثيرين يتحدثون عن الأخلاق وقد يلقون برامج ومحاضرات ودورات أو يكتبون كتباً لكن حين تنظر إلى ممارساتهم تجد بعداً عن هذا التنظير، أما سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام فلم يكن هناك فجوة بين ما يدعو إليه وبين ما يفعله. وقوة الأخلاق هي أيضاً القوة الخلقية الداخلية في صفاء النفس وصدقها وهذا معنى عظيم من معاني الأخلاق، ولا يتحدث عنه أصحاب فلسفة الأخلاق، لأنّه شيء لا يقاس إلا بميزان الصدق وصلاح الضمير، فقوة الأخلاق تغلب أخلاق القوة، وإنْ سخط الناس أو رضوا، فيقول سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[٥٢]. ذلك تصحيحاً للمفاهيم المشوهة المشوشة عند الناس، حول القوة، فليس القوي الذي يقاتل الناس ويصارع وإنما القوي الذي يملك نفسه عند القتال والصراع، ويخالق الناس بخلق حسن. ولا مروءة لكذوب ولا ورع لسيء الخُلق[٥٣]، وحسن الخلق أحد مراكب الحياة، وكمال الشريعة الإسلامية من ناحية الأخلاق.

---

[٤٧] عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٧٩م، ص٣٤.

[٤٨] مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٧٧م، ص٢٥٢.

[٤٩] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ، ج ٣/ ص٥٨.

[٥٠] الترمذي، الشمائل المحمدية، ص٧٣.

[٥١] سورة القلم رقم الآية ٤.

[٥٢] الترمذي، الشمائل المحمدية، ص٧٣.

[٥٣] المصدر نفسه، ص٧٤.

**المطلب الثاني موضوع الأخلاق وأهميته لدى المسلمين:** أما موضوعه فهو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتصل بعلاقته بربه، ومع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد[٥٤]. وموضوعنا ينصب على أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية باعتبار التنمية التي تحصل لها تكون من خلال السُنة النبوية الشريفة وأثرها في ذلك لأنّ الإسلام منهج هداية للبشرية، لتصحيح عقائدها، وتهذيب نفوسها، وتقويم أخلاقها، وإصلاح مجتمعاتها، وتنظيم علاقتها، ونشر الخير والفضيلة بين أفرادها ومحاربة الشر والرذيلة وإقصائها عن بيئاتها وسد منافذ الفساد أنْ يتسلل إلى صفوفها؛ لذا فقد كانت مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ومعالي القيم وفضائل الشيم وكريم الصفات والسجايا من أسمى ما دعى إليه الإسلام وقد تميز بنظام أخلاقي فريد لم ولن يصل إليه نظام بشري أبداً، ولأنّ الأخلاق في كل أمة عنوان مجدها، ورمز سعادتها، وتاج كرامتها، وشعار عزها وسيادتها وسر نصرها وقوتها[٥٥]؛ فالدين الإسلامي ينظر إليها من اعتبارات مختلفة سنوجز أهمها:

**أولاً**// علاقة الأخلاق ببناء الشخصية الإنسانية، فالإنسان جسد وروح. ظاهر وباطن، والأخلاق الإسلامية تمثل صورة الإنسان الباطنة، والتي محلها القلب، وهذه الصورة الباطنة هي قوام شخصية الإنسان المسلم، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق، يقول جل ذكره {يا أيُّها الناسُ إنّا خَلَقنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم إنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٥٦].

**ثانياً**// ارتباط الأخلاق بالأسس العقدية والتشريعية للدين الإسلامي. فقد جعل الإسلام العقيدة الأساس الأول الذي تصدر عنه الأخلاق الفاضلة، وارتباط الأخلاق بالعقيدة أمر معلوم لكل من له فكر وروية بالإسلام، وهذا الارتباط يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها وعدم العبث بها، كما يعتبر في الوقت نفسه شجرة مثمرة طيبة لهذه العقيدة، فالعقيدة دون خُلُق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، وإنّ الخُلق دون عقيدة ظل لشبح غير مستقر[٥٧]. أما عن ارتباط الأخلاق بالشريعة؛ فالشريعة منها العبادات والمعاملات وصلة الأخلاق بالعبادات لا تحتاج إلى تقرير وصلتها بالمعاملات لا غنى عنها، وعلى هذا فإنّ العبادات والمعاملات إذا أزيلتْ عنها الأخلاق لا تغني عن صاحبها شيئاً، فلا بد من تلازمها.

**ثالثاً** //آثارها في سلوك الفرد والمجتمع، فتظهر أهمية الأخلاق الإسلامية لما لها من أثر في سلوك الفرد وفي سلوك المجتمع. أما أثرها في سلوك الفرد فلما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة والصدق والعدل والأمانة والحياء والرَفق والعفة والتعاون والتكافل والإخلاص والتواضع، وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، يقول الله تعالى {قَدْ أَفلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا}[٥٨]. ويقول سبحانه وتعالى {قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزكَّى وَذَكَرَ اسمَ رَبِهِ فَصَلَى}[٥٩]. والتزكية في

[٥٤] الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٥٧هـ، ص١٦٩.

[٥٥] أحمد فؤاد الأهوائي، التربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٧م، ص٨٧.

[٥٦] سورة الحجرات رقم الآية ١٣.

[٥٧] محمد فتحي عثمان، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، الدار السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٣٤.

[٥٨] سورة الشمس، الآيتان ٩ – ١٠.

مدلولها ومعناها؛ تعني: تهذيب النفس باطناً وظاهراً، في حركاته وسكناته. وأما أثرها في سلوك المجتمع كله، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك ما جاء في الذكر الحكيم {والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}[٦٠]. فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أنْ يبني مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامناً في إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها فتحيا بها أجيالها منعمة مكرمة سعيدة لا ظلم فيها[٦١]. فهذه سُنة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام حين سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ما كان يصنع في بيته؟ قالت: "يكون في مهنة أهله" يعني خدمة أهله، فإذا حضرتْ الصلاة خرج إلى الصلاة"[٦٢]؛ وهكذا كان سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام يمتثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولاً وعملاً، وكان خلقه القرآن. وكذلك فكان ينصح الناس فعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[٦٣]. وعن أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه قال: "كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منّا متكلم، إذْ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقاً"[٦٤]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"[٦٥]. وسئل سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: "تقوى الله وحسن الخُلق؟"[٦٦]. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مرّ رجلٌ بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم فأدخل الجنة"[٦٧].

وكل الذي تقدم من نصوص في حسن الخُلق لدليل كمال الدين، وأنها أثقل شيء في الميزان، وأنها عبادة يبلغ بها العبد درجات الصائم القائم، وأنّ صاحب الخُلق من خيار الناس، وأنّها من خير أعمال الإنسان، وأنّها سبب تأييد الله تعالى ونصره.

---

[٥٩] سورة الأعلى الآيتان ١٤ – ١٥.

[٦٠] سورة العصر الآيات ١ – ٣.

[٦١] عليّ خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلبي، ١٤٠٨هـ، ص١٢٠.

[٦٢] الترمذي، الشمائل المحمدية، ص١٤٠.

[٦٣] الترمذي في السنن برقم١٩٨٧، عن جابر بن عبد الله.

[٦٤] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ ص١٦٠، عن أُسامة بن شريك.

[٦٥] الترمذي في السنن برقم ٢٠١٨، عن جابر بن عبد الله.

[٦٦] المصدر نفسه برقم ٢٠٠٤، عن أبي هريرة.

[٦٧] رواه البخاري برقم ٢٦٣١ عن أبي هريرة.

## المطلب الثالث: تحليل حديث سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام (لا تزرموه)

نص الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: "جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه. وفي رواية لمسلم: أنّ أعرابياً بال في المسجد، فقام إليه القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوه ولا تزرموه". قال: فلما فرغ دعا بدلو من ماء، فصبه عليه[٦٨]. وفي رواية له: أنّ أعرابياً قام إلى ناحية في المسجد فبال فيها، فصاح به الناسُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"دعوه، فلما فرغ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنوب، فصُبّ على بوله وفي رواية له أيضاً قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسل: "لا تزرموه[٦٩]، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: "إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه.

**تحليل الحديث ونقده:** ما المقصود بالأعرابي؟ يُقصد بالأعرابي من سكن البادية، ولذا قال عليه الصلاة والسلام : "من بدا جفا"[٧٠]. ومن هنا احتُمِلَ ما صدر منه لِبُعدِهِ عن العلم. وهذا الرجل قيل فيه: هو القائل والسائل والبائل. فالقائل:اعدل يا محمد. والسائل: اللهم ارحمني ومحمدا. والبائل يعني في المسجد. ومعنى فبال: أي أخذ يتبول. في طائفة المسجد: في ناحية المسجد. والزجر: هو النهي والمنع. وفي ألفاظ الحديث: فزجره الناسُ: بمعنى صاح به الناسُ.

حكمة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام في التعامل مع هذا الرجل، ورفقه به وهذا شأنه مع الجاهل، أما المعاند فيختلف التعامل معه. ولذا تعامل سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام مع معاوية بن الحكم السلمي لما تكلّم في الصلاة، حتى قال رضي الله عنه: فلّما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيتُ مُعلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني،قال: إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن[٧١]. وهنا لدينا مسألة حيوية ألا وهي فقه إنكار المنكر، فإنّ إنكار المُنكر إذا ترتب عليه وقوع منكر أكبر أو مماثل، فإنه لا يُنكر. وهنا نهاهم سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن الإنكار عليه بقوله: دعوه. وعلل ذلك بقوله: لا تزرموه. ومعنى لا تزرموه: أي: لا تقطعوا عليه بوله. والسبب في ذلك ما يترتب عليه من المفاسد ومنها: تنجيس بقعة أكبر مما نجّسهُ. وتنجُس ثياب الرجل. وتضرر الرجل باحتباس البول. ويمكن استنباط قاعدة جواز إنكار المنكر والوعظ من المفضول مع وجود الفاضل، وهذا مأخوذ من قوله :فزجره الناسُ". وهذا فيه دليل على نجاسة بول الآدمي.

---

[٦٨] رواه مسلم برقم ٢٨٥.

[٦٩] الزرام انحباس البول، والزرامي متعلق بانحباس البول، انظر البعلبكي Anuric . anuresis . anuria. ص٥٣.

[٧٠] رواه أحمد ج٢ / ص٣٧١، عن أبي هريرة.

[٧١] رواه البخاري في كتاب الأدب،٨/٧.

ونستفيد من النص أيضاً تطهير الأرض بإكثار صب الماء عليها، ومثلها الفُرش التي يصعب رفعها أو نزعها، ولا يُشترط في تطهير التراب أنْ تُحفر الأرض أو يُرفع التراب. فسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام اكتفى بإراقة الماء على البول. ومثله لو نزل المطر على أرض نجسة فإنها تطهر إذا كان المطر كثيراً يُزيل النجاسة. ومعنى الذّنُوب والسِّجل والدّلو واحد وهي الآلة المعدة لنقل الماء وحفظه واستعماله. ويستفاد من النص أيضاً وجوب احترام المساجد وصيانتها والعناية بها.

ونستنبط قاعدة مفادها: دفع أشد الضررين بارتكاب أخفهما أو باحتمال أقلهما ضرراً. وهنا ضرر، وهو التنجيس. وضرر أكبر، وهي العلل التي سبقت. واحتمال مضرّة واحدة خاصة وأنها قد وقعت أولى من احتمال عدّة أضرار. وهنا يظهر واضحاً وجلياً كيفية التعامل مع المخطئين والمقصرين، إذْ أنَ القصور والخطأ والجهل أمراً معهوداً من الناس فإننا نتساءل كيف تعامل سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، مع أمثال هذه الحالات، فتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أنْ يجاهد في سبيل الله"[٧٢]. ووقفة أخرى مع نفس الحديث الذي ذكره البخاري لنُظهر جانب من رفق الأخلاق وله روايات أخرى صحيحة في كتب الصحاح يقول الراوي: "جاء أعرابي فبال في المسجد، فقام إليه الصحابة". أي: وثبوا إليه فقالوا "مَهْ مَهْ" زجروه، قاموا إليه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام "لا تزرموه" ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه. فقال الأعرابي "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً"! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لقد حجرت واسعاً". ولنتأمل هذا الرفق فكما يشرح أهل العلم معنى الحديث : لاتزرموه" من الإزرام، يقال: زرم البول إذا انقطع، و "أزرمته" يعني إذا قطعته، وكذلك يقال في الدمع. ف "لا تزرموه" يعني: دعوه، ولا تقطعوا عليه بوله، إنّه يبول في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم "لاتقطعوا عليه بوله" ولم يكن منه صلى الله عليه وسلم إلا أنْ دعا بدلو من ماء فصُبّ عليه، فكان أن حلّ المشكلة ببساطة[٧٣] وبغير فظاظة ولا إغلاظ ولا سخرية ولا خشونة بل بالرفق. وهذا إرشاد الجاهل وتعليمه مع الرفق به إذا لم يظهر منه العِناد. ولنتأمل كذلك كيف فتح الرفق قلبَ الأعرابي وأثّر فيه، حتى قال لما رأى ذلك الرفق من سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام "اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً" فقال سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام: "لقد حَجَرتَ واسعاً" يعني من رحمة الله تعالى، كأنه يقول: ارحم من رفق بي فقط محبةً لفعله وتقديراً له.

[٧٢] الترمذي، الشمائل المحمدية، ص١٤١

[٧٣] موسوعة نظرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، مجموعة علماء، السعودية، جدة، دار الوسيلة، ط١، ١٤٠١هـ، ص٧٧.

**الخاتمة:**

**أهم النتائج**

١. العقيدة في الإسلام هي منبع الأخلاق، وعليها يقوم أمر الانسجام النفسي والاستقرار الداخلي للنفس البشرية، فوحدانية الله في الذات والصفات والأفعال هي محور الدائرة، فالآراء والعقائد الصحيحة في الكون والإنسان والحياة هي طريق بناء المجتمع وسعادة أفراده[٧٤].

٢. ويؤكد الجانب الأخلاقي في الإسلام على أثر العقيدة في الاطمئنان القلبي، وضرب لذلك تشبيهاً رائعاً، قال تعالى {ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمدُ للهِ بل أكثرهم لا يعلمون}[٧٥]. وقال عز وجل {ومن يؤمن بالله يهدِ قلبهُ واللهُ بكلِ شيءٍ عليم}[٧٦].

٣. شرعتْ العبادات في الإسلام تزكية للسمو الروحي، والفطرة الملائكية في الإنسان، ولتأخذه بعيداً عن شهوات النفس، يقول الله تعالى في شأن الصلاة {أُتل ما أُوحيَ إليك من الكتابِ وأقمْ الصلاة إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاءِ والمُنكرِ ولذكرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعُونَ}[٧٧]. ويقول تعالى في شأن الزكاة {خُذْ من أموالِهم صدقةً تطهرُهم بِها وتزكيهم بها وصلِ عليهم إنّ صلاتَك سكنٌ لَهم واللهُ سميعٌ عليمٌ}[٧٨]. وذكر القرآن الكريم شأن الحج {الحجُ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرضَ فيهن الحج فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جِدالَ في الحجِ وما تفعلُوا من خيرٍ يعلمُهُ اللهُ وتزودوا فإنّ خيرَ الزادِ التَقوى واتقونِ يا أُولِي الألباب}[٧٩].

٤. حسن المعاملة مع الناس يعتبر ملتقى روافد الإيمان كلها، وعنوانها العام هو البر والتقوى، قال جلّ شأنه {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب}[٨٠].

٥. إنّ الطاقة الإنسانية كلها موجهة لفعل الخير فكراً وعاطفة وسلوكاً، يقول عز من قائل {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}[٨١].

---

[٧٤] أنيس خليل إبراهيم، مقالة لماذا لا تكون لنا نظرية إسلامية لتنمية المجتمع، صحيفة دار السلام الإلكترونية، العراق، ٢٠٠٩م.

[٧٥] سورة الزمر رقم الآية ٢٩.

[٧٦] سورة التغابن رقم الآية ١١.

[٧٧] سورة العنكبوت رقم الآية ٤٥.

[٧٨] سورة التوبة رقم الآية ١٠٣.

[٧٩] سورة البقرة رقم الآية ١٩٧.

[٨٠] سورة المائدة رقم الآية ٢.

[٨١] سورة الحج رقم الآية ٧٧.

# حديث إرضاع الكبير: إشكاليات، أسباب، حلول
# مواجهة لإحدى التحديات المعاصرة في واقعة التبني

**د. عبد الناصر سلطان محسن**
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان



**المقدمة:**

لقد أحدثت فتوى بإرضاع الكبير بلبلة في أوساط المسلمين والمحافل العلمية إثر إصدارها من أحد أساتذة الأزهر، أباح فيها للمرأة إرضاع زميل العمل منعاً للخلوة، مستنداً إلى حديث صحيح حول إرضاع الكبير، وإلى آراء بعض العلماء القدامى في جوازه، وقد أدت الفتوى هذه إلى شن هجوم عنيف على صاحب الفتوى كون هذه الفتوى تسيء للإسلام وتشوه صورته، بدعوى إنها غير منسجمة مع العقل والفطرة الإنسانية[1].

إن هذا البحث يحاول أن يدرس ذلك الحديث الذي دار حوله الجدل من خلال سياقه التاريخي، وهدفه (المعنى العام)، وذلك عن طريق دراسة ألفاظه من جميع الروايات الواردة فيه، وقبل ذلك سيورد آراء الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء، لمعرفة كيف تم تخريج إشكال ذلك الحديث في الكتب الإسلامية في القرون الماضية.

**ذكر رواية الحديث:**

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان تبنى سالماً، وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه، ووُرِّث ميراثه، حتى أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾[2]، فرُدّوا إلى آبائهم، فمن لم يُعلَم له أب كان مولى وأخاً في الدين، فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القُرشيّ وهي امرأة أبي حذيفة، فقالت: يا رسول الله إنا كنّا نرى سالماً ولداً، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، ويراني فضلاً، وقد أنزل الله عز وجل فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه. فأرضعته خمس رضعات، فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، فبذلك كانت عائشة رضي الله عنها تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يُرضِعن من أحبت عائشة أن

---

[1]- http://www.alarabiya.net/articles/2007/05/22/34718.html

[2]- سورة الأحزاب: الآية ٥

يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات ثم يدخل عليها، وأَبَتْ أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدْخِلْن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة: والله ما ندري لعلها كانت رخصة من النبي صلى الله عليه وسلم لسالم دون الناس»[٣].

**ذكر الإشكال:**

**الإشكال الأول: التعارض الظاهري**

أن هناك تعارض ضاهري بين هذا الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها وبين حديث آخر مروي عنها أيضاً، ومع نصوص أخرى:

إن ظاهر الحديث السابق المروي عن عائشة رضي الله عنها - الذي يشير إلى إباحة إرضاع الكبير ليصبح محرَّماً على من أرضعته- يعارضه حديث آخر مروي عن عائشة رضي الله عنها –ذاتها - يفهم منه: أن الذي يتعلق به التحريم ما كان قبل الفطام في زمن الإرضاع المعتاد، مما يفيد أن رضاعة الكبير لا تمنحه صفة المحْرم.

عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت: إنه أخي، فقال: انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة»[٤].

فهذا الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها يفيد بل يؤكد أن الرضاعة المؤثرة في التحريم وحِل الخلوة إنما هي الرضاعة المشترطة بالإشباع وسد الجوع، و"هي قاعدة كلية صريحة في اعتبار الرضاع في الزمن الذي يستغني به الرضيع عن الطعام باللبن"[٥].

وقد وردت أيضاً أحاديث صحيحة تقيد الرضاعة بما قبل الفطام، والتي تعارض بذلك الحديث الذي يدور حوله البحث وهو إرضاع الكبير:

- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء»[٦].

---

[٣]- **رواه البخاري**، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: صطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م)، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ٥/ ١٩٥٧، (رقم الحديث ٤٨٠٠). **ورواه مسلم**، بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ المجلد الخامس/ ص ٢٧، ص ٢٩ حديث رقم (١٤٥٣)، **ورواه أبو داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، صحيح سنن أبي داود، باختصار السند، صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، (ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ، ١٤٠٩م)، كتاب النكاح، باب فيمن حرم به، ٢/ ٣٨٨ (رقم الحديث ١٨١٥)، **واللفظ لأبي داود**.

[٤]- رواه البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب النكاح، باب من قال لا رضاع بعد حولين، ٥/ ١٩٦١، (رقم الحديث، ٤٨١٤). ورواه مسلم، كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير، المجلد الخامس/ ص ٢٩/ رقم الحديث (١٤٥٥)، واللفظ للبخاري.

[٥]- الحافظ ابن حجر، أحمد بن على العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، عن الطبعة ا لتي حقق أصلها عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، (ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)الجزء التاسع/ القسم الأول/ ص ١٨٤

- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم..»[٧].

- عن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين»[٨].

إن هذه الأحاديث مع حديث عائشة رضي الله عنها «إنما الرضاعة من المجاعة" تؤكدها الآية القرآنية: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وهذه الآية واضح فيها أن للرضاعة وقتاً محدداً تنتهي من بعده، ففيها تأكيد واضح لهذه الأحاديث.

ومن خلال هذه النصوص المعارضة للحديث الذي يدور حوله البحث يصبح هذا الحديث مشكلاً، حيث تبين أن تمام الرضاعة مُدته حولان، فدل على أنه لا حكم لما بعدهما، فلا يتعلق به التحريم، ولا يحرم اللبن الذي لا يقوم للرضيع مقام الغذاء، حيث يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته، أي المقصود هو: الرضاعة المشترطة بالإشباع، وسد الجوع، وذلك لا يكون إلا إذا كان الرضيع طفلاً, "يكفيه لسد جوعته اللبن، لأنّ معدته ضعيفة يكفيها اللبن، ومن هذا اللبن ينمو هيكله وتجتمع أمشاج بنيته وبناء أنسجته، ويُنبِتُ لحمَه فيكون جزءاً من المُرضِعة"[٩]. فأشبهت الأم الوالدة من هذه الجهة فتعلق بها الحكم الشرعي كما تعلق بالأم الوالدة.

وهكذا يتبين من هذه النصوص أن أوصاف الرضاع المحرم ثلاثة وهي: تمام الرضاعة حولان، اللبن للرضيع في مقام الغذاء، نمو الرضيع من هذا اللبن. هذا والكبير لا يحتاج إلى الرضاع عادة لاستغنائه عنه بالطعام، فلا يتوقف عليه شد عظم ولا إنبات لحم.

---

[٦]- رواه ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، كتاب الرضاع، ١٠/ ٣٧، رقم الحديث ٤٢٢٤ (يقول المحقق في هامشه، "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وقد ذكر ابن القيم وابن حزم أن هذا الحديث منقطع، وقد رد المحقق نفسه في زاد المعاد بقوله: "هذه دعوة مردودة على قائلها، فالحديث متصل الإسناد، صحيح على شرط الشيخين، صححه غير واحد من الأئمة" (ينظر: تعليق المحقق في الهامش لكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، (ط١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، هامش ٥/ ٥٨٥، ينظر: ابن حزم، أحمد بن سعيد الأندلسي، المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ١٠/ ٢٠٧

[٧]- رواه أبو داود، صحيح سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في رضاعة الكبير، ٢/ ٣٨٨، (رقم الحديث: ١٨١٤)

[٨]- رواه الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، سنن الدارقطني، حقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦، ١٩٦٦) كتاب الرضاع، ٤/ ١٧٤. يقول الحافظ ابن حجر "لم يسنده (أي حديث ابن عباس) عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل، وهو ثقة حافظ، وأخرجه ابن عدي، وقال: غير الهيثم يوقفه على ابن عباس وهو المحفوظ". فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الأول/ ص ١٨٢، ويقول عنه المحقق الأرنؤوط (ورجاله ثقات) ينظر: هامش زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ٥/ ٥٩١

[٩]- ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، باب من قال لا رضاع بعد الحولين ، الجزء التاسع/ القسم الأول/ ص ١٨٤

**الإشكال الثاني: تنافي ظاهر عبارة "أرضعيه" مع الذوق العام:**

إن إرضاع الكبير من الثدي ينافي ما جبلت عليه البشرية من إرضاع الصغير دون الكبير، فالحديث ظاهرياً يتعارض مع الذوق العام الذي حافظ الإسلام عليه والفطرة السليمة.

يدل على الإشكال الثاني:

- ما ورد في روايتين عن مسلم لهذا الحديث، حيث إن سهلة بنت سالم استعجبت مما فهمته من ظاهر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أرضعيه»، فقالت: «وكيف أرضعه؟ وهو رجل كبير!»[١٠]، وفي رواية أخرى قالت: «إنه ذو لحية!»[١١].

- ما ورد من تهيب راوي الحديث ابن أبي مليكة من رواية الحديث، والذي يرويه مسلم عنه: «أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أخبره: أن عائشة أخبرته أن سهلة بنت سهيل بن عمرو جاءت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إن سالماً مولى أبي حذيفة معنا في بيتنا، وقد بلغ ما يبلغ الرجال، وعلم ما يعلم الرجال. قال: أرضعيه، تحْرُمي عليه. قال (أي ابن أبي مليكة): فمكثت سنة أو قريباً منها لا أُحدِّث به وهبْتُه، ثم لقيتُ القاسم، فقلت له: لقد حدثتني حديثاً ما حدثته بعد. قال: فما هو. فأخبرته. قال فحدِّثه عني أن عائشة أخبرتنيه»[١٢]، "والهيبة هي الإجلال، وفي بعض الروايات رهبته من الرهبة وهي الخوف"[١٣].

**موقف العلماء من الحديث:**

لا يمكن أن يشك أحدٌ من دارسي الحديث وعلمائه في أن حديث إرضاع الكبير حديث ثابت وصحيح، لكن هناك خلافاً بينهم في تطبيقه، وحكمه، وقد اختلفوا في ذلك إلى قسمين: قسم يرى بعدم إيقاع التحريم عند إرضاع الكبير وإيقاعه بسالم فقط ، والقسم الآخر يرى بإيقاع التحريم عند إرضاع الكبير مقيداً لحاجة، على النحو التالي:

**القائلون بعدم إيقاع التحريم عند إرضاع الكبير:**

قال به الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأئمة المذاهب الأربعة، ذكر ذلك الحافظ ابن عبد البر، فقال "وممن قال رضاع الكبير ليس بشيء ممن رويناه لك عنه وصح لدينا عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس، وسائر أمهات المؤمنين، غير عائشة، وجمهور التابعين، وجماعة فقهاء الأمصار، منهم الثوري، ومالك، وأصحابه، والأوزاعي،

[١٠]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ المجلد الخامس/ ص ٢٧/ حديث رقم (١٤٥٣)

[١١]- السابق، ص ٢٩، حديث رقم (١٤٥٣)

[١٢]- السابق، ص ٢٨

[١٣]- ينظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير، هامش ص ٢٩

وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة، وأصحابه، والشافعي، وأصحابه، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، والطبري"[١٤].

و"قد استدل أصحاب هذا القول بالآية القرآنية: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣)، والأحاديث السابقة: كالحديث المروي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم..» ، وعن عائشة رضي الله عنها: «انظرن من إخوانكن، إنما الرضاعة من المجاعة»"[١٥].

وقد أفتى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما رواه الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت عمر يقول: "لا رضاع إلا في الحولين في الصغر"[١٦]، وأفتى به ابنه عبد الله رضي الله عنه، فقال مالك رحمه الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يقول: "لا رضاعة إلا لمن أرضع في الصغر، ولا رضاعة لكبير"[١٧]، وأفتى به ابن عباس، قال: "لا رضاع إلا ما كان في الحولين"[١٨].

وقام العلماء لتأكيد هذا القول بعدة تخريجات لتفسير حديث "سالم" (الحديث المشكل)، وللخروج من الإشكال في تعارض الحديث مع نصوص الإرضاع عند الصغر، وذلك على النحو التالي:

التخريج الأول: إن حديث عائشة عن حكم إرضاع سالم من سهلة "حكم منسوخ وبه جزم الطبري في أحكامه، وقرره بعضهم بأن قصة سالم كانت في أوائل الهجرة، والأحاديث الدالة على اعتبار الحولين من رواية أحداث الصحابة دل على تأخرها، وهو مستند إذ لا يلزم من تأخر إسلام الراوي ولا صغره أن لا يكون ما رواه متقدماً، وأيضاً ففي سياق قصة سالم ما يشعر بسبق الحكم باعتبار الحولين لقول امرأة أبي حذيفة في بعض طرقه.. «كيف أرضعه وهو رجل كبير»،.. «إنه ذو لحية».. يشعر بأنها كانت تعرف أن الصغر معتبر في الرضاع المحرم"[١٩].

---

[١٤]- الحافظ ابن عبد البر أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيوت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، ٣/ ٦١٦

[١٥]- ينظر: ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ٥/ ٩٧٩، ٥٨٠، وينظر: الحافظ ابن عبد البر، التمهيد، ٣/ من ٦١٦ إلى ٦١٨

[١٦]- رواه الدارقطني، سنن الدارقطني، ٤/ ١٧٢.

[١٧]- رواه مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، موطأ مالك رواية يحي الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، مصر، بدون تاريخ)،كتاب الرضاع، باب رضاعة الصغير، ٢/ ٦٠٣ (رقم الحديث ١٢٥٩)، يقول عنه المحقق الأرنؤوط (وإسناده صحيح) ينظر: هامش زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ٥/ ٥٩١

[١٨]- رواه عبد الرازق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرازق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ) باب لا رضاع بعد الفطام، ٧/ ٤٦٥، (رقم الحديث ١٣٩٠٣)، يقول عنه المحقق الأرنؤوط (وإسناده صحيح) ينظر: هامش زاد المعاد لابن القيم الجوزية ٥/ ٥٩٢

[١٩]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٥

التخريج الثاني: إن رضاع الكبير مخصوص بسالم دون من عداه، وهذا ما فهمه جمهور الصحابة على أن قصة سالم واقعة عين خاصة به، ولا تتعداه إلى غيره، ولا يصح الاحتجاج بها لغيره، وتابع على ذلك جمهور علماء الأمة من التابعين فمن بعدهم، وتدل على ذلك الأحاديث التالية:

- ما رواه مسلم بعد ذكره لجميع الروايات في حديث قصة سالم، المروي عن أم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة أن أمه زينب بنت أبي سلمة أخبرته: «أن أمها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول: أبَى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخِلنَ عليهن أحداً بتلك الرضاعة، وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة، ولا رائينا»[٢٠].

- ما جاء في الرواية السابقة التي رواها ابن أبي مليكة والقائل فيها: "قال فمكثت سنة أو قريباً منها لا أُحدِّث به وهِبْتُه"، قال الحافظ ابن عبد البر: "هذا يدلك على أنه حديث ترك قديماً ولم يعمل به، ولم يتلقه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقوه على أنه خصوص"[٢١].

و"هكذا قال الشافعي رحمه الله، وإذا كان هذا لسالم خاصة فالخاص لا يكون إلا مخرجا من حكم العامة، ولا يجوز إلا أن يكون رضاع الكبير لا يحرم"[٢٢]، وقال كذلك ابن حجر "قصة سالم واقعة عين يطرقها احتمال الخصوصية فيجب الوقوف عن الاحتجاج بها"[٢٣].

**القائلون بإيقاع التحريم عند إرضاع الكبير للحاجة:**

وإليه " ذهبت عائشة، وعُرْوة بن الزبير، وعطاء بن أبي رَباح، واللَّيث بن سعد، وابن عُلَيَّة، وحكاه النووي عَن داود الظاهري، وإليه ذهب ابن حزم"[٢٤]، وإليه ذهب الأئمة ابن تيمية وابن القيم والشوكاني، وذكر الإمام ابن حزم أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب إلى هذا القول[٢٥]، جاء ذلك "من رواية الحارث الأعور عنه، ولذلك ضعفه ابن عبد البر"[٢٦]، وقال: "ولا يصح عنه"[٢٧].

---

[٢٠]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ المجلد الخامس/ ص ٢٩/ حديث رقم (١٤٥٤)

[٢١]- الحافظ ابن عبد البر، التمهيد، ٣/ ٦١٦.

[٢٢]- البيهقي، حمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، كتاب الرضاع، باب رضاع الكبير، ٧/ ٤٦٠

[٢٣]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٥

[٢٤]- الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار صلى الله عليه وسلم، حققاه طه عبد الرءوف سعد، مصطفى محمد الهواري، (مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ)، ٧/ ١٠٥

[٢٥]- ابن حزم، أحمد بن سعيد الأندلسي، المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ١٠/ ٢٠٥

[٢٦]- ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٥

[٢٧]- الحافظ ابن عبد البر، التمهيد، ٣/ ٦١٤

فمما روي عن الليث بن سعد: "عن كاتبه أبو صالح عبد الله بن صالح إن امرأته جاءته (أي الليث بن سعد) فقالت: إني أريد الحج، وليس لي محرم، فقال: اذهبي إلى امرأة رجل ترضعك، فيكون زوجها أباً لك، فتحجين معه"[٢٨].

ويرى الإمام ابن حزم إن: "رضاع الكبير محرم – ولو أنه شيخ يحرم- كما يحرم رضاع الصغير، ولا فرق"[٢٩]، ويعتبر أن تخصيص سالم فقط بهذه الرضاعة ظن، ويقول: "فليعلم من تعلق بهذا أنه ظن، وإن الظن لا يعارض به السنن الثابتة"[٣٠]، ويرى أن حديث «إنما الرضاعة من المجاعة» حجة له، "لأن للكبير من الرضاعة في طرد المجاعة نحو ما للصغير، فهو عموم لكل رضاع إذا بلغ خمس رضعات كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣١].

ويقول الإمام ابن تيمية: "يجوز إذا احتيج إلى جعله ذا محرم، وقد يجوز للحاجة ما لا يجوز لغيرها، وهذا قول متوجه"[٣٢]، ويقول ابن القيم الجوزية: "إن حديث سهلة ليس بمنسوخ، ولا مخصوص، ولا عام في حق كل أحد، وإنما هو للحاجة لمن لا يستغنى عن دخوله على المرأة، ويشق احتجابها به، كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثّر رضاعه، وأما من عداه، فلا يؤثر إلا رضاع الصغير"[٣٣].

ويعبر عن هذا الرأي الإمام الشوكاني بقوله: "إن الرضاع يُعتبر فيه الصغر، إلا فيما دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير، الذي لا يُستغنى عن دخوله على المرأة، ويشُقّ احتجابها منه، إليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا هو الراجح عندي"[٣٤].

ويبين الشوكاني أن حكم إرضاع الكبير ليس مطلقاً، ولكن لعلة غير مقيدة بحالة معينة كما يعتقد، بقوله: "ويؤيد هذا أن سؤال سهلة امرأة أبي حذيفة كان بعد نزول الحجاب، وهي مصرحة بعدم جواز إبداء الزينة لغير من في الآية، فلا يخص منها غير من استثناه الله تعالى إلا بدليل كقضية سالم، وما كان مماثلاً لها في تلك العلة التي هي الحاجة إلى رفع الحجاب، من غير أن يقيد ذلك بحاجة مخصوصة من الحاجات المقتضية لرفع الحجاب، ولا بشخص من الأشخاص، ولا بمقدار من عمر الرضيع معلوم"[٣٥].

وعليه يرى الشوكاني "أن قضية سالم مختصة بمن حصل له ضرورة بالحجاب لكثرة الملابسة، أما الأحاديث المتعارضة السابقة الذكر، مثل «إنما الرضاعة من المجاعة»، «لا رضاع إلا من الحولين»،

---

[٢٨]- السابق

[٢٩]- ابن حزم، المحلى، ١٠/ ٢٠٢

[٣٠]- ينظر: السابق، ١٠/ ٢١٠، ٢١١

[٣١]- السابق، ١٠/ ٢١١

[٣٢]- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، مجموعة الفتاوى، (المكتبة الشاملة)، ٣٤/ ٦٠

[٣٣]- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ٥/ ٥٩٣

[٣٤]- الشوكاني، نيل الأوطار، ٧/ ١٠٦

[٣٥]- السابق، ٧/ ١٠٦، ١٠٧

«ولا رضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام» ،«ولا رضاع إلا ما أنشر العظم وأنبت اللحم»، فتكون مُخَصَّصَةً بهذا النوع، ويقول في ذلك: وبه يحصل الجمع بين الأحاديث، وذلك بأن تجعل قصة سالم المذكورة مُخَصِّصَةً لعموم هذه الروايات"[٣٦].

ويرى ذلك أيضاً فيما ذهبت إليه الآية القرآنية في أن الإرضاع حولان كاملان، فهو يقول: "وقد احتج القائلون باشتراط الصغر بقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، قالوا: وذلك بيان للمدة التي تثبت فيها أحكام الرضاع ويجاب بأن هذه الآية مُخَصَّصَةٌ بحديث قصة سالم الصحيح"[٣٧].

أما عن تخريجات الفقهاء لحديث إرضاع سالم، يرد الشوكاني على حجج القائلين بتخصيص سالم عن دونه من أصحاب الحاجة، بقوله: "وأجيب بأن دعوى الاختصاص تحتاج إلى دليل.. ولو كانت هذه السنة مختصة بسالم لبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بين اختصاص أبي بُرْدَة بالتضحية بالجذع من المعز، واختصاص خُزَيْمَة بِأَن شهادته كشهادة رجلين"[٣٨].

وعن حجة النسخ يقول "وأجيب أيضاً بدعوى نسخ قصة سالم المذكورة.. قد ثبت اعتبار الصغر من حديث ابن عباس، ولم يقدم المدينة إلا قبل الفتح، ومن حديث أبي هريرة، ولم يسلم إلا في فتح خيبر[٣٩]، ورُدَّ ذلك بأنهما لم يصرحا بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم.. ولو كان النسخ صحيحاً لما ترك التشبث به أمهات المؤمنين (يقصد عائشة رضي الله عنها حيث يرى أن أمهات المؤمنين اعترفن بصحة الحجة التي جاءت بها عائشة رضي الله عنها[٤٠])"[٤١].

**تعليق على الرأي الأول:**

وهو الرأي القائل بتخصيص حكم إرضاع الكبير على سالم فقط: إن هذا الرأي تؤكده الرواية المعارضة -المذكورة سابقاً- لحديث إرضاع سالم، الذي روي فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة، ووجد عندها رجلاً، فقالت له: أنه أخي من الرضاعة، فقال لها: صلى الله عليه وسلم أن تتبين من ذلك، وقال: «إنما الرضاعة من المجاعة»، وهذه العبارة تحمل معنى الخشية أن يكون قد رضع في غير زمن الرضاع، وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر: "والمعنى تأَمَّلْنَ ما وقع من ذلك، هل هو رضاع

---

[٣٦]- ينظر: السابق، ٧/ ١٠٦

[٣٧]- السابق، ٧/ ١٠٨، ١٠٩

[٣٨]- السابق، ٧/ ١٠٥، ١٠٦ وينظر قول ابن القيم الجوزية في ذلك "وإذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الأمة بأمر، أو أباح به شيئاً أو نهاه عن شيء وليس في الشريعة ما يعارضه ثبت ذلك في حق غيره من الأمة ما لم ينص على تخصيصه" (زاد المعاد، ٥/ ٥٨٧)، وينظر: ابن حزم، ا لمحلى، ١٠/ ٢١١

[٣٩]- وقد رد ابن حجر على هذا القول، ينظر: ص ٨ من هذا البحث

[٤٠]- الحجة التي جاءت بها عائشة رضي الله عنها كما روي أنها قالت: أما لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة؟ وذكرت حديث قصة إرضاع سالم (وسيأتي ذكر الرواية في ص ٢٠)، يقول ابن القيم عن دعوى النسخ "لم يأتوا (أي القائلين بالنسخ) بحجة سوى الدعوى، فإنهم لا يمكنهم إثبات التاريخ المعلوم التأخر بينه وبين تلك الأحاديث". (ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ٥/ ٥٨٦).

[٤١]- الشوكاني، نيل الأوطار، ٧/ ١٠٦

صحيح بشرطه: من وقوع في زمن الرضاعة، ومقدار الإرضاع؟، فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط، أي الصغر وعدد الرضعات. وقال المهلب: معناه انظرن ما سبب هذه الأخوة فإن حرمة الرضاع إنما في الصغر حتى تسد الرضاعة المجاعة"[٤٢].

وبهذا الرأي يخرج الإشكال الأول وهو تعارض الحديثين، لكن التخصيص لشخص بعينه كما ذكر الشوكاني يستوجب دليلاً، حيث إن الأحكام الشرعية عامة، ولا بد لكل تخصيص من دليل يثبته، لكن السؤال هنا عن هذا التخصيص، هل هو لسالم أم لحالة سالم؟.

**تعليق على الرأي الثاني:**

وهو الرأي القائل بأن إرضاع الكبير مقيد بالحاجة والضرورة، وهذا قول وجيه موافق لمعهود الشريعة في التيسير ورفع الحرج، والتيسير قاعدة محكمة من قواعد الشريعة، حيث يقول الله تعالى: ﴿.. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ...﴾ (البقر: ١٨٥)، ويقول تعالى ﴿.. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾ (الحج: ٧٨)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا»[٤٣].

والحاجة – كما يعرفها الشاطبي اصطلاحاً – "ما يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المصلحة، فإذا لم تراع دخل على المكلفين -على الجملة- الحرج والمشقة".

لكن السؤال هنا: كيف تُضبط هذه الحاجة، وما حدُّها؟، وهل هذه الحاجة ضرورة أم ليست ضرورة كي تؤثر في الحكم، فتبيح المحظور، وتجيز ترك الواجب؟، وهل الإرضاع بما يحمله من حكم واسع يندفع للحاجة المؤقتة؟.

إن إطلاق لفظ "الحاجة" دون تقييد بالضرورة المناسبة لهذا الحكم قد يفتح باباً واسعاً، وقد يكون ذريعة للشر لأصحاب الأهواء، فلا يصح تعليق إيقاع تحريم إرضاع الكبير بإطلاق الحاجة أو بحاجة عارضة، والتي تختلف باختلاف الأحوال، وباختلاف نظر الأشخاص في تقديرها، فالحاجة بهذه الصفة غير منضبطة، ولا تصلح عِلّة يُبنى عليها إيقاع التحريم.

**الهدف الرئيسي للحديث:**

إن الهدف الرئيس للحديث يوضحه السياق التاريخي له وألفاظ الروايات الصحيحة الواردة فيه:

إن "أصل قصة سالم ما كان وقع من التبني الذي أدى إلى اختلاط سالم بسهلة"[٤٤]، وهذا ما بدأت بذكره الرواية التي اختارها البحث للدراسة، حيث شغل الحديث عن حكم التبني وإبطال هذا الحكم

[٤٢]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الأول/ ص ١٨٣

[٤٣]- البخاري، كتاب الأدب، باب: قول الرسول صلى الله عليه وسلم "يسروا ولا تعسروا".

[٤٤]- ينظر: الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٥

مساحة كبيرة من الرواية، وذلك فيه توضيح للسياق التاريخي للحديث، حيث اعتادت سهلة سالماً ابناً لها واعتادها أُمّاً له، فيدخل عليها فلا تحتشم منه، ويراها وهي منكشف بعضها، فلما نزل حكم الاحتجاب، ونزل حكم إبطال التبني، ومُنِع أبو حذيفة وزوجته من تبني سالم، وشق ذلك عليهما، وهذا ما اعتمدت عليه سهلة في عرض مُشكلتها للرسول صلى الله عليه وسلم، ويتبين ذلك من خلال ما ورد من ألفاظ روايات الحديث:

ففي رواية أبي داود: «يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، ويراني فضلاً[٤٥]، وقد أنزل الله عز وجل فيهم ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟»[٤٦]، وفي رواية مسلم: «يا رسول الله إن سالماً معنا في بيتنا»[٤٧]، وفي رواية ابن حبان: «ونحن في منزل ضيق»[٤٨]، وفي رواية لمسلم أخرى: «يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم، وهو حليفه»[٤٩]، وفي رواية لابن حبان أخرى: «وليس لنا إلا بيت واحد، فماذا ترى في شأنه؟"[٥٠].

وبناء على هذه المشكلة التي واجهتها هذه الأسرة سارع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقديم المخرج الشرعي الذي يعيد الحياة إلى اليسر، وليزيل عن الأسرة الحرج في الدين، ويخفف عنها من شدة التكليف، وهذا هو سمت التشريع الإسلامي المعروف بقاعدته الشهيرة: "المشقة تجلب التيسير". فلقد أبطل الإسلام هنا الجانب المادي من حكم التبني، وما يترتب عليه من أحكام، كحمل الاسم والميراث وغير ذلك، وأبقى الجانب المعنوي والعاطفي من هذا الحكم، اعتباراً للآثار النفسية التي نتجت عن إبطال حكم التبني.

وبما أن أبا حذيفة - بعد إبطال حكم التبني- كان يتحرج من دخول سالم إلى المنزل، وزوجته غير محتشمة منه، ولم يستطع أن ينهى سالم، وقد أحست سهلة بذلك، مما جعلها تسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفصل في هذا الأمر، فعن عائشة رضي الله عنها: «.. فقالت: (أي سهلة) يا رسول الله، أني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه»[٥١]، وعنها رضي الله عنها: «.. فقالت: (أي سهلة) إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً، فقال لها النبي صلى الله

[٤٥]- معنى "فضلاً": يقول الحافظ ابن عبد البر: "أي أنه كان يدخل عليها وهي متكشفة بعضها، مثل الشعر، واليد، والوجه، يدخل عليها وهي كيف أمكنها. وقال ابن وهب: فضل: مكشوفة ا لرأس والصدر، وقيل الفضل: الذي عليه ثوب واحد، ولا إزار تحته، وهذا أصح". التمهيد، ٣/ ٦١٣

[٤٦]- الألباني محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود، ٢/ ٣٨٨، رقم الحديث ١٨١٥

[٤٧]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ ص ٢٨/ رقم الحديث (١٤٥٣)

[٤٨]- رواه ابن حبان، كتاب الرضاع، ١٠/ ٢٧، رقم الحديث ٤٢١٤ ( قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما)

[٤٩]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ ص ٢٧/ رقم الحديث (١٤٥٣)

[٥٠]- رواه ابن حبان، كتاب الرضاع، ١٠/ ٢٧، رقم الحديث ٤٢١٥ (قال الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين).

[٥١]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ ص ٢٧/ رقم الحديث (١٤٥٣)

عليه وسلم: أرضعيه تحْرُمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة، فرجعت، فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة»[٥٢].

ومن خلال هاتين الروايتين يتبين أن سبب الإرضاع كان الضيق والحرج الذي كان يجدهما أبو حذيفة، فما هو إلا وسيلة نفسية تُذهِب الحرج أو الضيق ممن يجدهما في حالات العدول عن التبني، وإسباغ شرعية على وجود الابن، ينقله من ابن بالتبني إلى ابن بالإرضاع، ويكون سبباً في التحريم قياساً على الإرضاع في الصغر.

**صفة إرضاع الكبير:**

لكن كيف يكون هذا الإرضاع، وهو الإشكال الثاني: فبالرغم من حصر إرضاع الكبير في حالة العدول عن التبني الذي كان قائماً منذ طفولة الابن، يجعل الإرضاع سائغاً حيث إن المرضعة في هذه الحالة هي كانت أماً بالتبني، لكن يمكن القول أن هذا الإرضاع لم يقصد به رسول الله صلى الله عليه وسلم التقام الثدي مباشرة، كما يحدث مع الرضع الصغار، ولكن بحلبها له اللبن، ويمكن الاستدلال على ذلك بما ورد في روايتين للحديث، عن عَائِشَةَ: «.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه. قالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: قد علمت أنه رجل كبير.. (وفي رواية ابن أبي عمر) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.»[٥٣].

لقد نقل الراوي هنا موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك من فهمها لظاهر أمره بإرضاع الكبير بالمباشرة، ونقل أيضاً عبارته «قد علمت أنه رجل كبير» التي لا يمكن إلا أن تقرأ من خلال ضحكته صلى الله عليه وسلم: أنه يعجب من فهمها لأمره بهذه الصورة، فقد جاءت عبارته فيها تأكيد على علمه أنه رجل كبير بحرف (قد)، أي القصد من العبارة: بما يكون عليه إرضاع الرجل الكبير، ومن البديهي أن الرجل الكبير لا يرضع بالمباشرة.

أي أن الإرضاع كان بحلبها اللبن، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء، منهم الحافظ ابن عبد البر حيث قال: "يحلب له اللبن، ويسقاه، وأما أن تلقمه المرأة ثديها كما تصنع بالطفل فلا، لأن ذلك لا يحل عند جماعة العلماء"[٥٤]، وذكر ذلك النووي عن القاضي عياض: "قال القاضي: لعلها حلبته، ثم شربته من غير أن يمس ثديها، ولا التقت بشرتاهما، وهذا الذي قاله القاضي حسن، ويحتمل أنه عفي عن مسه للحاجة، كما خص بالرضاعة مع الكبر"[٥٥]، وقد ذهب جمهور العلماء - في كيفية رضاعة الصغير الذي يتم به إيقاع التحريم- إلى أن "لبن المرضعة يحرم سواء كان بشرب أم أكل بأي صفة

---

[٥٢]- السابق، ص ٢٨

[٥٣]- السابق، ص ٢٧

[٥٤]- الحافظ ابن عبد البر، التمهيد، ٣/ ٦١٤

[٥٥]- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ هامش ص ٢٨

كان.. وخالف في ذلك الليث وأهل الظاهر[56] فقالوا: إن الرضاعة المحرمة إنما تكون بالتقام الثدي ومص اللبن منه"[57]، وبذلك يزول الإشكال الثاني وهو تنافي ظاهر الحديث مع الذوق العام.

**حكم إرضاع الكبير والتحديات المعاصرة:**

إن هذا الإرضاع في حقيقته هو حكم صوري وليس حقيقياً - بالرغم أنه كما ذكر ينتج عنه تحريمٌ قياساً برضاعة الصغير- حيث إن شرب الكبير للحليب لن يجعله يشترك مع أعضاء الأسرة في التركيب الجيني المناعي المتقارب، فإن الرضيع في سنتيه الأولين يكون بحاجة ماسة للأجسام المناعية لتطوير جهازه المناعي، وهذه الأجسام لا يجدها إلا في حليب الأم[58]، إن هذه الجينات هي التي من خلالها يكون إيقاع تحريم الرضاع في الصغر، وبذلك صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عَنْ ابن مسعود أنه قَال: «لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللّحم..»[59].

إن هذا الحليب لن يغني شيئاً في حقيقته لذا يصبح حكم الإرضاع في هذه الحالة حكماً صورياً، أوقع التحريم قياساً على التحريم الذي وقع من رضاع الصغير، وذلك لإسباغ شرعية على الخلوة، وعلى رفع الحجاب، فيبقى الابن في حضن الأسرة ودفئها، ولم يطرد منها، فقد عاش آمنا في ظل هذه الأسرة قبل الإسلام، فكيف يعود غريباً عن أسرته من بعد الإسلام!، وهو دين الرحمة، ويمكن هنا سوق ما قاله الحافظ ابن حجر في سياق خصوصية سالم على هذا سياق الإرضاع الصوري لإضفاء الشرعية على الولد، حيث قال: "وفي قصة سالم جواز الإرشاد إلى الحيل"[60].

إن إيقاع تحريم إرضاع الكبير لا يقع إلا بعد حالة إبطال حكم التبني، فهو حكم شرع لمعالجة الآثار النفسية التي يحدثها إبطال حكم التبني، فهذا الحكم مرتبط بحالة واحدة وهي إبطال حكم التبني، لذا فالرضاعة في هذه الحالة ستكون ممن كانت أماً للولد، وليست امرأة غريبة عنه لم يعهدها من قبل، أو يربطه رابط مؤقت بها، والذي يؤكده – أي أن المرضعة (لصغير كانت أو لكبير) لا بد أن تكون في مقام الأم- قوله تعالى في بيان المحرمات من النساء: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ... وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ .. ﴾ (النساء: ٢٣)، فالله عز وجل ربط الرضاعة بالأمومة في الآية، ولم يقل والنساء اللاتي أرضعنكم، وهذا دليل قوي على أن إرضاع الكبير لا يوجه إلا لمن تكون بمثابة أم لمن سترضعه، كسهلة لسالم، فالواجب الوقوف عند ألفاظ الشارع هنا.

إن هذا الحكم هو تخصيص ليس لسالم فقط بل لكل حالة تشبه حالة سالم، وهي حالة لا تنتهي، حيث يدخل في الإسلام أناس كل يوم في دول ما يزال حكم التبني موجوداً فيها كالدول الغربية

---

[56]- يقول ابن حزم "وأما صفة الرضاع المحرم، فإنما هو: ما امتصه الراضع من ثدي المرضعة بفيه فقط، فأما من سقي لبن امرأة فشربه من إناء، أو حلب في فيه فبلغه، أو أطعمه بخبز، أو في طعام، أو..، فكل ذلك لا يحرم شيئاً، ولو كان ذلك غذاءه دهره كله." (المحلى، ١٠/ ١٨٥).

[57]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الأول/ ١٨٤

[58] - Complementary feeding, Report of the global consultation, Geneva, 10-13 December 2001

[59]- رواه أبو داود، صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٣٨٨، رقم الحديث (١٨١٤)

[60]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٦

مثلاً، أو حيث تورط بعض المسلمين بالتبني في العصر الحاضر لجهلهم بالحكم الشرعي له. فيأتي هذا الحكم تخصيصاً لهذه الحالات، وبذلك يقف أمام إحدى التحديات المعاصرة الذي يواجهها الإسلام في صدد مشكلة التبني بعد وقوعه، فيكون حكماً إنسانياً، ومعتبراً ما تكنّه الأسر من عواطف نحو أبنائها بالتبني، ليصبح حَلًّا أو مخرجاً مناسباً للعدول عن التبني، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وهكذا يتضح أن ارتباط التحريم بالرضاع في حديث إرضاع سالم من ارتباط السبب (الذي هو الإرضاع) بمسببه (الذي هو إلغاء حكم التبني)، وهذا ما يفهم من سياق الحديث تاريخياً ولفظياً، وليس بارتباط السبب بكل حاجة (التي منها الدخول على النساء للضرورة التي شرع الإسلام لها أحكاماً وآداباً أخرى) كما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وليس بارتباط السبب بشخص معين، كما ذهب إليه أصحاب القول الأول.

وبذلك يندفع الإشكال الأول فليس هناك معارضة بين حديث عائشة رضي الله عنها «إنما الرضاعة من المجاعة» الذي يؤكد إيقاع التحريم في إرضاع الصغير، وحديث قصة سالم المختص بحالة واحدة وهي مراعاة الجانب النفسي الناتج عن إبطال حكم التبني أو تحريم التبني، وهي حاجة ضرورية.

**إشكالية دخول الرجال الأجانب على عائشة رضي الله عنها بطريق الرضاع:**

إن روايتي عائشة رضي الله عنها: حديث سالم وسهلة، وحديث «إنما الرضاعة من المجاعة»، بينهما تناقض، وقد حاول الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام ابن تيمية أن يجمعا بين الحديثين وينهيا الإشكال بينهما، حيث قال الإمام ابن تيمية: "رأت (أي عائشة رضي الله عنها) الفرق بين أن يقصد رضاعة أو تغذية، فمتى كان المقصود الثاني لم يحرم إلا ما كان قبل الفطام، وهذا هو إرضاع عامة الناس، وأما الأول فيجوز إن احتيج إلى جعله ذا محرم"[٦١]، وقال الحافظ ابن حجر- في محاولته للجمع بين الحديثين المروي عن عائشة رضي الله عنها دفعاً للإشكال-: "فلعلها فهمت من قوله «إنما الرضاعة من المجاعة" اعتبار مقدار ما يسد الجوعة من لبن المرضعة لمن يرتضع منها، وذلك أعم من أن يكون المرتضع صغيراً أو كبيراً، فلا يكون الحديث نصاً في منع اعتبار رضاعة الكبير"[٦٢].

يمكن قبول الجمع بين الحديثين كما ذهبا إليه الإمامان، في حالة أن عائشة رضي الله عنها كانت ترى إيقاع التحريم عند إرضاع الكبير، كما "قال الزهري: فكانت عائشة تفتي بأنه يحرم الرضاع بعد الفصال حتى ماتت"[٦٣].

---

[٦١]- الإمام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، ٣٤/ ٦٠.

[٦٢]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء التاسع، القسم الأول، ص ١٨٤

[٦٣]- ينظر، ابن حزم، المحلى، ١٠/ ٢٠٩

لكن الإشكالية فيما روي أن عائشة رضي الله عنها كانت تدخل الرجال الأجانب عليها كما ورد في نهاية حديث هذا البحث: «... فبذلك كانت عائشة رضي الله عنها تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يُرضِعْن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات، ثم يدخل عليها، وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخِلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس، حتى يرضع في المهد، وقلن لعائشة: والله ما ندري لعلها كانت رخصة من النبي صلى الله عليه وسلم لسالم دون الناس»[٦٤].

وقد اتفق أصحاب الرأي الثاني أن إيقاع تحريم رضاع الكبير لحاجة، لكن السؤال هنا ما هي الحاجة التي وردت في هذا النص والتي أوقعت حكم الرضاع؟، هل هي حاجة ضرورية؟، هل حكم الإرضاع مناسب لهذه الحاجة هنا؟، هل هي حاجة ضرورية كي تؤثر في حكم حجاب نساء الرسول صلى الله عليه وسلم، وإباحة هذا الستر؟.

إن اللفظ الذي استخدم في هذه الحاجة في هذه الرواية في الدخول على عائشة رضي الله عنها لا يشير إلى الحاجة أو الضرورة: « فبذلك كانت عائشة رضي الله عنها تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها»[٦٥]، وهناك رواية أخرى تقول: «.. فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال.. »[٦٦].

والملاحظ أن عائشة رضي الله عنها لم ترو رواية واحدة مذكوراً فيها أنها أدخلت عليها الرجال، وما ورد في ذلك هو قول منسوب إلى عروة بن الزبير رضي الله عنه، ابن أختها، فيما رواه مالك، عن ابن شهاب "أنه سئل عن رضاع الكبير، فقال: أخبرني عروة بن الزبير، بحديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة برضاع سالم، ففعلت، وكانت تراه ابناً لها، قال عروة: فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيمن كانت تُحبُّ أن يدخل عليها من الرجال، فكانت تأمر أختها أم كلثوم، وبنات أخيها يرضعن من أحبّت أن يدخل عليها من الرجال"[٦٧]، وفي رواية عن مسلم نسبت إلى زينب بنت زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة: "سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول لعائشة والله ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة. فقالت لم؟ قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..."[٦٨]، وفي رواية أخرى لها عن مسلم: "أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا[٦٩]"، وفي رواية ثالثة لها عن مسلم: قالت أم سلمة لعائشة: "إنه يدخل عليك الغلام

---

[٦٤]- رواه أبو داود، صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٣٨٨، رقم الحديث ١٨١٥

[٦٥]- السابق

[٦٦]- رواه ابن حبان، كتاب الرضاع، ١٠/ ٢٧، رقم الحديث (٤٢١٥)

[٦٧]- رواه مالك، موطأ مالك رواية يحي الليثي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبر، ٢/ ٦٠٥، (رقم الحديث ١٢٦٥).

[٦٨]- رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس/ كتاب الرضاع/ باب رضاعة الكبير/ ص ٢٩/ رقم الحديث (١٤٥٣)

[٦٩]- السابق، ص٢٩/ رقم الحديث (١٤٥٤)

الأيفع الذي ما أحب أن يدخل علي قال فقالت عائشة أما لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة ؟ قالت إن امرأة أبي حذيفة قالت يا رسول الله إن سالما يدخل علي وهو رجل وفي نفس أبي حذيفة منه شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضعيه حتى يدخل عليك"[٧٠].

هذه الروايات وغيرها (مثل رواية لعطاء بن رباح في مصنف عبد الرزاق[٧١]) ليس فيها رواية واحدة نُسبت إلى عائشة رضي الله عنها، وبالرغم أن جمهور الصحابة رفضوا مسألة إرضاع الكبير- كما سبق ذكره عند أصحاب الرأي الأول- لم يرو عنهم أي اعتراض على فعل عائشة رضي الله عنها، غير اعتراض زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم عليها كما ورد في الروايات السابقة عن زينب بنت أم سلمة.

هذا ويبدو لأن أغلب روايات حديث إرضاع سالم مروي عن عائشة رضي الله عنها، كان ذلك مبرِراً للدس على الرواة بمثل هذه الروايات المنسوبة إلى عروة بن الزبير ابن أختها، وزينب بنت أم سلمة، بنت زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرهم، وذلك إما أن يكون الراوي قد فهم من حديث سالم جواز إرضاع الكبير، أو أن هناك غرض للراوي آخر، خصوصاً أن سبب الدخول الوارد في الرواية غامض!: "فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فيمن كانت تُحبُّ! أن يدخل عليها من الرجال، فكانت تأمر أختها أم كلثوم، وبنات أخيها يرضعن من أحبّت أن يدخل عليها من الرجال!".

وهكذا يتبين أن عائشة رضي الله عنها: قد روت حديثاً مناقضاً لهذا الفعل، أو على الاحتمال الجمع فكانت تفتي بإرضاع الكبير، وأنها لم ترو رواية واحدة ذُكر فيها هذا الفعل، ولم يرو عن أحد من الصحابة -القائلين بعدم إيقاع الحرمة عند إرضاع الكبير- اعتراض على دخول الأجانب عليها رضي الله عنها، وأنه لا حاجة ضرورية لهذا الفعل حتى يباح ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن هذا قد يكون من خيال أحد الرواة لما أن عائشة رضي الله عنها هي راوية أغلب الروايات الواردة في حديث إرضاع سالم، ولأنها كانت تفتي بذلك، وحيث إن الروايات يدور حولها استفهام لغموض العبارات الواردة في سبب الدخول، يتوقف البحث هذا عن قبول القول: أن عائشة رضي الله عنها كانت تُدخل إليها من تحب بهذه الطريقة، ويعتبر أنما ورد في ذلك زيادة لا بد أن يراجعها أهل الحديث.

ويستند البحث في هذا التشكيك إلى ما وجد في تصنيف محمد بن خليل الأندلسي وتعليق تاج الدين السبكي عليه، وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر، ورفضه من أجل صحة الرواية فقط، يقول: "ورأيت بخط تاج الدين السبكي أنه رأى في تصنيف لمحمد بن خليل الأندلسي في هذه المسألة أنه توقف في أن عائشة وإن صح عنها الفتيا بذلك لكن لم يقع منها إدخال أحد من الأجانب بتلك الرضاعة، قال تاج الدين: ظاهر الأحاديث ترد عليه، وليس عندي فيه قول جازم، لا من قطع ولا من

[٧٠]- السابق، ص ٢٨، ٢٩/ رقم الحديث (١٤٥٣)

[٧١]- قال عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج، قال سمعت عطاء بن أبي رباح وسأله رجل فقال: سقتني امرأة من لبنها بعد ما كنت رجلاً كبيراً، أفأنكحها؟ قال عطاء: لا تنكحها، فقلت له: وذلك رأيك؟ قال: نعم، كانت عائشة رضي الله عنها تأمر بذلك بنات أخيها. (مصنف عبد الرزاق، ٧/ ٤٥٨، رقم الحديث ١٣٨٨٣)

ظن غالب، كذا قال، وفيه غفلة عما ثبت عند أبي داود في هذه القصة (فكانت تأمر بنات إخوتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها، ويراها، وإن كان كبيراً خمس رضعات، ثم يدخل عليها) وإسناده صحيح، وهو صريح، فأي ظن غالب وراء هذا؟"[٧٢].

ويؤكد هذا التوقف عن هذه الرواية إشارة الدكتور وهبة الزحيلي: "وما روي عن عائشة لا يتفق مع نزاهتها ومكانتها الدينية التي تأبى عليها أساليب الاحتيال"[٧٣].

**وختاماً:**

بعد هذه المحاولة في حل إشكالية حديث "إرضاع الكبير"، يجب إعادة تسمية الحديث إلى حديث "إرضاع المتبنَّى"، وصرف الحكم من إرضاع الكبير إلى إرضاع المتبنى، وأحسب في ذلك غلقاً للمشكلة وحلاً للإشكالية. يضاف إلى هذه النتيجة، الخروج بمعالجة لإحدى التحديات المعاصرة والمشاكل التي يواجهها المسلمون في "التبني كواقعة" من خلال حكم "إرضاع المتبنى" كمخرج شرعي لتحريم التبني وإن كان صورياً قياساً على إرضاع الصغير.



[٧٢]- الحافظ ابن حجر، فتح الباري، الجزء التاسع/ القسم الثاني/ ص ١٨٦

[٧٣]- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (ط٢، دار الفكر،دمشق، ١٤٠٥، ١٩٨٥) هامش ٧/ ٧٠٨

# إدارة الأزمات في العهد النبوي: غزوة تبوك نموذجاً

أ. عبده عبدالله عبدالله صومعه

د. سعيد فرج

جامعة ملايا



## الملخص:

إن غزوة تبوك من الغزوات الفارقة بين الإسلام والكفر، وهي جسر الإسلام إلى بقية قارات الكرة الأرضية، وكان لهذه الغزوة أعظم أثر في بسط نفوذ المسلمين وتقويته في جزيرة العرب، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة من القوى أن تعيش في العرب وتحكمهم سوي قوة الإسلام، وبطلت بقايا أمل وأمنية كانت تتحرك في قلوب بقايا الجاهليين والمنافقين الذين كانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين، وكانوا قد عقدوا آمالهم بالرومان، فقد استكانوا بعد هذه الغزوة، واستسلموا للأمر الواقع؛ الذي لم يجدوا عنه محيداً ولا مناصاً، ولذلك لم يبق للمنافقين أن يعاملهم المسلمون بالرفق واللين، وقد أمر اللّه بالتشديد عليهم بعد أن فضحهم، وُيعرفُ مدي أثر هذه الغزوة من خلال تتابع الوفود وتكاثرها الذي بلغ إلى القمة بعد هذه الغزوة، وفي إعلان البراءة ونهاية الوثنية في جزيرة العرب، وهذه الآثار وغيرها تحققت رغم قوة الروم الضاربة وشحت الإمكانات البشرية والمادية وقلة التجهيزات العسكرية، ورغم تربص المنافقين وكيدهم، ورغم المتاعب والصعاب والعسر الذي واجهه النبي وأصحابه، فقد استطاع صلى الله عليه وسلم ان يتجاوز هذه الأزمة التي بكل حنكة وشجاعة، وهذا ما تناولتاه بأسلوب إداري تحليلي اعتمدنا فيه على كتب الإدارة وكتب السيرة النبوية، وإذا نظرنا إلى غزوة النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك، وتجاوزه لهذه الأزمة - التي كانت ستقتلع جذور الإسلام لولا عناية الله تعالى، وحنكت رسوله صلى الله عليه وسلم - وما صحبها من أزمات، لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أدارها ببراعة متناهية بل وحولها إلى مكاسب عظيمة للإسلام والمسلمين، وهو ما سندركه جلياً من خلال عرض وقائع هذه الغزوة، وهذا ما يجعلنا نزداد يقيناً بأن هذا النموذج من الإدارة يعد تأصيلاً وتقعيداً لإدارة الأزمات، الأمر الذي يوقف كبار علماء الإدارة وقفة إجلال وإكبار لمعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

## المقدمة:

تحدث الأزمات على المستوى الفردي و الجماعي، وعلى مستوى الدولة فهي قديمة قدم الإنسان على الأرض، وقد تكون الأزمة نافعة للإنسان إذا ما تعلم واعتبر منها فهي فتنة، والفتنة اختبار، العبرة فيها بالنتيجة فإذا تغلب عليها الفرد أو الجماعة أو الدولة كانت لهم عبرة، ولكي لا تتكرر ينبغي اجتناب

أسبابها، أما من يفشل في درئها فأنها تتكرر حتى تتفاقم فيصعب حلها، وإذا أمكن حلها أخذت وقتاً طويلاً، وجهداً مضنياً.

وقد حدثت عدة أزمات عبر التاريخ الإسلامي، كانت بدايتها في العصر الأول من الرسالة ثم استمرت بعده.

وقد تمكن الرسول صلى الله علية وسلم مع صحابته من التغلب عليها، وأخذ الصحابة العبرة منها وتعلموا منها وذلك هو الذي مكنهم من القضاء على الأزمات التي حدثت بعد عصر الرسالة، وحل الأزمات أولاً بأول حتى لا تتراكم[1].

وكانت غزوة تبوك التي سميت (بالعسرة) من أعظم وأكبر الأزمات التي أدارها النبي صلى الله علية وسلم مع أصحابه إدارةً فائقةً -كما سيتضح من خلال دراستنا هذه-، وقد رافق هذه الأزمة أزماتٌ أخرى، سنرى أن النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه استطاع تجاوزها، بل استطاع تحويلها إلى مكسب سياسي عظيم قويت شوكة الإسلام في الجزيرة العربية وامتد من خلاله الإسلام إلى أرجاء المعمورة، ليكن ذلك شاهداً تاريخياً على براعة النبي صلى الله عليه وسلم وفريق عمله من الصحابة، وعلى أن هذا النموذج من إدارة الأزمات يستحق أن يكون منهجاً أساسياً يدرّس في علم الإدارة.

وسوف يتناول الباحث هذه الأزمة وتحليلها من خلال الأبعاد والعناصر التي يعتمد عليها بعض مناهج الإدارة، والتي تمثل مجموعة من المتطلبات التي يحتاج الفريق إلى تطبيقها حتى يتجنب منع حدوث الأزمات، أو إدارة الأزمة بحنكة خلال مراحلها المختلفة، ومن ثم يجب التأكد من استعداد الفريق عن طريق تطبيق هذه الأبعاد والعناصر وهي[2]:-

١. سياسات وخطط إدارة الأزمات.
٢. نظام الإدارة وهيكل السلطة.
٣. إدارة الموارد: الإعداد للتقليل الخسائر واستعادة النشاط.
٤. إدارة الأطراف المعنية: ربط الإدارة بالأطراف الداخلية والخارجية.
٥. التقييم والتَعْلم المستمر.

---

[1] - بتصرف د. الشيخ، سوسن سالم، (٢٠٠٣م) ،إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر ط١ ص٦٧.

[2] - بتصرف محمد, علاء تاج الدين, إدارة الأزمات, مفاهيم وأسس الاستعداد والمواجهة والتعلم وتطبيقات عملية في الجامعات, قسم إدارة الأعمال, كلية التجارة, قنا,مصر, نقلاً عن موقع كلية التجارة, قنا، مصر، www.svu.edu.eg/faculties/commerce/index.html , عرض بور بوينت بتاريخ/٢٠١١/٨/٧.

**البعد الأول: سياسات وخطط إدارة الأزمات.**

**(Crisis management Policies and Plans)** وتتم عبر الأتي:

**أ- مساندة الإدارة العليا. (Top management support)**

إن مساندة الإدارة العليا أمر مهم في نجاح الفريق وتجاوز الأزمات سواء كانت هذه المساندة مادية أو معنوية، ولم تغب أو تتأخر مساندة النبي صلى الله عليه وسلم لفريقه متى طلب منه أو رأى ذلك ويظهر هذا بوضوح في عدد من المواقف التالية في هذه الغزوة:

(١) قال عمر بن الخطاب: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقى على كبده فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال: أو تحب ذلك؟ قال: نعم قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[٣].

(٢) وعن أبي هريرة قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا و ادهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: افعلوا فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر و لكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل فيها البركة فقال رسول الله: نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة و يجيء الآخر بكف من التمر و يجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بالبركة ثم قال لهم: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه و أكلوا حتى شبعوا و فضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة"[٤].

(٣) قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضئوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله

[٣] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤هـ، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج٤ ص١٦، انظر البيهقي, أبو الحسن عبد الله بن محمد بن أحمد, دلائل النبوة, مؤسسة البراق, ج٥ ص٢٣١, السيوطي, أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر, (١٩٨٥م), الخصائص الكبرى, دار الكتب العلمية, ج١ ص٤٥٧.

[٤] - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤هـ، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م)، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، ج٤ ص١٦، انظر البيهقي, أبو الحسن عبد الله بن محمد بن أحمد, دلائل النبوة, مؤسسة البراق, ج٥ ص٢٣٠,٢٢٩.

عليه وسلم إلا أن رجلين من بني ساعده خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعير له فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيئ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي أصيب على مذهبه فشفي وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة[٥].

(٤) وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه. قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان فقال: أو لم أنههم أن يتسقوا منه شيئاً حتى آتيه! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إن له حساً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه[٦].

إن مساندة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كانت حاضرة وتأتي في وقتها المناسب:

- سواءً طلب منه المساندة كما في الحادثة الاولى حينما اصاب الصحابة عطش كاد يقطع رقابهم فدعاء لهم فجاء المطر، وفي الثانية حينما دعا بفضل أزوادهم ثم دعاء لهم بالبركة فملئوا جميع اوعيتهم وكانت استجابة النبي صلى الله عليه وسلم فيهما سريعة.

- أم لم يطلب منه المساندة، فقد كانت تأتي استباقية ودون أن يطلب منه في بعض الاحيان، وذالك حتى يجنب اصحابه اخطاراً ومهالك تأتي عليهم كما في الثالثة حين نهاهم أن يشربوا أو يستعملوا ماء البئر الذي بالحجر؛ ربما لهلاك قوم قبلهم في هذا المكان، وكذالك نهيه لهم بالخروج الإنفرادي حتى يجنبهم هلاك محقق وقع فيه احدهم بسبب مخالفته، وتمثلت كذالك مساندته في تجاوزه عقبات كان من الممكن أن توقف طريق سيرهم أو تكون سبباً في هلاكهم كما في الرابعة حينما نهاهم أن يستقوا من الوادي حتى يأتيه ويجد حلاً لشحة المياه

[٥] - ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعا فري, ٢٠٠٦, السيرة النبوية, دار الحديث بالقاهرة, تحقيق سيد إبراهيم, جمال ثابت, محمود محمد, ج١ ص٤٠٢ .

[٦] - ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعا فري, ٢٠٠٦, السيرة النبوية, ج١ ص٤٠٧,٤٠٨.

التي فيه، ولم تكن مساندة النبي لأصحابه محصورة في ما ذكرناه في هذه الغزوة فمساندة الادارية غير محدودة.

**ب- استكشاف وتحديد الإشارات والتعرف على أنواع الأزمات والتخطيط لها.**

**Signal detection, recognition and planning of types of crises.**

لقد كان استكشاف بداية هذه الأزمات في قتل سفير رسول اللّه صلى الله عليه وسلم . الحارث بن عمير الأزدي . على يدي شُرَحْبِيل بن عمرو الغساني، حينما كان السفير يحمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بُصْرَي، فراء النبي صلى الله عليه وسلم بأن يوجة ضربة للروم حتى لا تزداد جرأتهم على المسلمين فخطط وأرسل سرية زيد بن حارثة التي اصطدمت بالرومان اصطداماً عنيفاً في مؤتة، ولم تنجح في أخذ الثأر من أولئك الظالمين المتغطرسين، إلا أنها تركت أروع أثر في نفوس العرب، قريبهم وبعيدهم، وتغيرت حساباتهم تجاه المسلمون.

ثم تلقي الصحابة إشارات من خلال سماعهم للأخبار العامة بإعداد الرومان؛ للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين، حتى كان الخوف يتسورهم كل حين، لا يسمعون صوتاً غير معتاد إلا ويظنونه زحف الرومان ويظهر ذلك جلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً في هذه السنة ٩هـ . وكان هجرهن واعتزل عنهن في مشربة له، ولم يفطن الصحابة إلى حقيقة الأمر في بدايته، فظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقهن.

ثم تأكد للنبي وأصحابه الإشارات السابقة من خلال الأخبار الخاصة من الأنباط الذين قدموا بالزيت من الشام إلى المدينة أن هرقل قد هيأ جيشاً عرمرما قوامه أربعون ألف مقاتل، وأعطي قيادته لعظيم من عظماء الروم، وأنه أجلب معهم قبائل لَخْمٍ وجُذَامٍ وغيرهما من متنصرة العرب، وأن مقدمتهم بلغت إلى البلقاء، وبذلك تمثل أمام المسلمين خطر كبير فكانت خطة النبي في أن يفاجئهم بغزوه لهم[٧] .

واكتشف النبي أزمة خطيرةً كائنةً في أوساط المسلمين، وهي أزمة المنافقين وتم التعرف على هذه الأزمة والتأكد منها من خلال إرجافهم وتخويفهم المسلمين من قتال الروم، والتشكيك في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وتخلف بعضهم من الخروج مع المسلمين، ورجوع عبدالله بن أبيّ بمن معه، وبنا مسجد الضرار الذي أصبح وكراً لهم ولدسائسهم، وقد كان تخطيط النبي وتصرفه مع هذه الأزمة محكماً حيث فضحهم ونسف أوكارهم ومعاقلهم، وتجاوز هذه الأزمة في كل مراحلها وصورها المختلفة.

[٧] - بتصرف المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٧, ج١ ص٣٦٨-٣٦٩.

**ج - إعداد خطط وأدلّة إدارة الأزمات.**

**Crisis management plans and manuals.**

لقد أعد النبي صلى الله عليه وسلم وفريقه من الصحابة رضوان الله عليهم الخطط الكافية لإدارة الأزمات التي تعرضوا لها في هذه الغزوة، فمثلاً أزمة استعداد الروم لغزو المسلمين خطط لها باستباقهم وبتوجيهه ضربة لهم في عقر دارهم، وأزمة قلة العتاد والغذاء خطط لها بالحث والندب على الإنفاق، وأزمة المنافقين خطط لها بكشفهم والقضاء على تآمراتهم، وهكذا بقية الأزمات والمقام يطول في ذكرها وكيف خطط لكل أزمة وما يناسبها من الخطط.

وقد كان تخطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم للأزمة الكبرى وهي (استعداد الروم لغزو المسلمين) بأن أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم[٨]، فوضع الخطط الدفاعية والهجومية والتموينية والإمدادية وغيرها كما سيأتي ويظهر لنا من خلال ذكر وتحليل وقائع المعركة وما سبقها من إعداد.

**د - مُراجعُة واختبار خطّط إدارة الأزمات.**

**Reviewing and testing of crisis management plans.**

**إن مُراجعُة واختبار الخطّط** امرٌ مهمٌ جداً في النظم الإدارية الحديثة – خاصةً إدارة الأزمات- وهو ما نجده متجسداً فى العهد النبوي بما في ذالك في غزوة تبوك.

قال ابن إسحاق: ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول: دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه حتى قيل: يا رسول الله قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره فقال: فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مخشن بن حمير قال ابن هشام: ويقال مخشي يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

---

[٨] - بتصرف المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، ط١٧، ج١ ص٣٧٠.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله عز وجل: " ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب "[٩] "[١٠].

وفي هذه المواقف اختبار للمتخلفين عن هذه الغزوة، وامتحان لصدق نواياهم ومراجعة لما بايعوا وعاهدوا عليه الله ورسوله، وفيها ايضاً مراجعة وتيقظ لمخططات المنافقين ورصداً لتحركاتهم وإيقافها قبل تدمير الجيش والمجتمع الاسلامي من خلال اشاعاتهم ومواقفهم الخبيثة.

**هـ - الموافقة على خطّط إدارة الأزمات.**

**Approval of crisis management plans.**

لما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف (غزوة تبوك) أعلن في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم، وكان كل ما يريد غزوة يغزوها إلا وَرَّي بغيرها، ولكنه نظراً إلى خطورة الموقف وإلى شدة العسرة أعلن أنه يريد لقاء الرومان، وجلي للناس أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة كاملة، وحضهم على الجهاد، ونزلت قطعة من سورة براءة تثيرهم على الجلاد، وتحثهم على القتال، ورغبهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في بذل الصدقات، والإنفاق في سبيل اللّه.

ولم يكن من المسلمين أن سمعوا صوت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يدعو إلى قتال الروم إلا وتسابقوا إلى امتثاله، فقاموا يتجهزون للقتال بسرعة بالغة، وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب وناحية، ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة . إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر. حتى كان يجيء أهل الحاجة والفاقة يستحملون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ؛ ليخرجوا إلى قتال الروم، فإذا قال لهم: ﴿لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[١١] [١٢]، فكان في سرعة استجابتهم وتسابقهم وبذلهم وتضحيتهم في سبيل الله موافقة لهذه الخطة التي رسمها النبي، بل وأي موافقة اكبر وأعظم من هذه التي يرجع بعضهم وقلبه يعتصره الحزن والألم ولا تستطيع أن تخفي عينيه ما بداخله فتنهمر دمعاً ألا يجد ما يعينه على الخروج والقتال مع المسلمين، فكان تعبير الفعل بالموافقة اعظم من التعبير باللسان، وقد حصل بهما معاً في هذه الغزوة المباركة.

[٩] - سورة التوبة، الآية ٦٥.

[١٠] - انظر ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعا فري, ٢٠٠٦, السيرة النبوية, ج١ ص٤٠٥,٤٠٦.

[١١] - سورة التوبة، الآية ٩٢.

[١٢] - المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، ط١٧، ج١ ص٣٧٠ .




- **الشكل توضيحي لغزوة العسرة ومدى الجهد الذي بذله المسلمون والمشقة التي اصابتهم[١٣].**

**البعد الثاني: نظام الإدارة وهيكل السلطة.**

**Management system and command structure.**

لم يكن نظام إدارة أزمة تبوك عشواء بل كان نظاماً مرتباً ودقيقاً حيث أنشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقاً تعمل تحت إدارته بحيث قام كل فريق بالمهام التي أوكلها إليه النبي صلى الله علية وسلم: ففريق كلفهم بالاستنفار والتجهيزات العسكرية، وهم رؤساء القبائل ووجهاء قريش أمثال أبو سفيان، وفريق كلفهم بالإمداد والموارد المالية والتموينية أمثال عثمان بن عفان، وفريق كلفهم بإدارة شؤون المدينة أمثال على بن أبي طالب، وفريق كلفهم بإدارة شؤون المنافقين والمثبطين أمثال عمار بن ياسر.

فقد أعطا الأولوية في توزيع المهام بناءاً على الخبرات السابقة واحترام التخصصات، كما أنة مزج بين الموارد البشرية والموارد المادية، وهذا ما بات يعرف اليوم في علم الإدارة "بوظائف الإدارة الخمس"، بل نستطيع أن نقول: إن المتأمل في إدارة النبي صلى الله علية وسلم لغزوة تبوك يجد تطوراً

[١٣] - الدكتور . أبو خليل، شوقي (٢٠٠٣)، أطلس السيرة النبوية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ص ٢١٥.

هائلاً للأصول الأساسية للإدارة، سبق بة (هنري فايول) مؤلف كتاب "النظرية الكلاسيكية للإدارة"،بأربعة عشر قرناً[١٤].

- وقد كان هيكلة السلطة في غزوة تبوك كما يلي :

- .الرسول الله صلى الله علية وسلم: مدير إدارة الأزمات والقائد الأعلى.
- أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب: وزرائه ومستشاريه.
- عثمان بن عفان: مدير إدارة الموارد والتموينات العسكرية.
- على بن أبي طالب: خليفة النبي في أهلة.
- محمد بن سلمة: أميراً على المدينة.
- حذيفة بن اليمان: أمين السر وراصد تحركات المنافقين.
- خالد بن الوليد: قائداً عسكرياً للمهمات الخاصة والسريعة.

**البعد الثالث : إدارة الموارد: الإعداد لتقليل الخسائر واستعادة النشاط**

**Setup to minimize the loss and recovery.**

**والموارد نوعان:**

**أ- الموارد البشرية.**

أعد النبي صلى الله عليه وسلم العنصر البشري اعداداً جيداً بما يتناسب ومهامه وما يفترض أن يقدم عليه، فقد أعد الصحابة من الناحية النفسية والمعنوية ما جعلهم يتسابقون الى لقاء الروم، كما أعدهم من الناحية الجسدية من خلال خوضهم سريا وغزوات عديدة؛ ما جعلهم أهل خبرة ودراية بالحرب، فكان الواحد منهم في هذه الغزوة يواجه الواحد والاثنين والأكثر ببأس وشجاعة، وحض الرسول صلى الله عليه وسلم على الجهاد، ونزلت قطعة من سورة براءة تثيرهم على الجلاد، وتحثهم على القتال.

"ولم يكن من المسلمين أن سمعوا صوت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يدعو إلى قتال الروم إلا وتسابقوا إلى امتثاله، فقاموا يتجهزون للقتال بسرعة بالغة، وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب وناحية، ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة . إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر. حتى كان يجيء أهل الحاجة والفاقة يستحملون رسول اللّه صلى الله عليه

[١٤] - بتصرف وظائف الإدارة الخمس، مبادئ الإدارة ،المرجع: Management 010: The Five Function ، ترجمة: خالد الحر، المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية.www.hrdiscussion.com .

وسلم؛ ليخرجوا إلى قتال الروم، فإذا قال لهم: ﴿ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾"[١٥]،[١٦].

**ب- الموارد المادية.**

رغب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في بذل الصدقات، وإنفاق الأموال في سبيل اللّه، فتسابق المسلمون في إنفاق الأموال وبذل الصدقات، وكان عثمان بن عفان قد جهز عيراً للشام، مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية، فتصدق بها، ثم تصدق بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول: (ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم)، ثم تصدق وتصدق حتى بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس سوى النقود "وهذا التحفيز من النبي لعثمان هو التحفيز الروحي الذي ينفرد به الإسلام والذي لم يتكلم عنه الفكر الإداري الحديث"[١٧].

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كلّه ولم يترك لأهله إلا اللّه ورسوله، وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وَسْقًا من التمر، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مُدّا أو مدين لم يكن يستطيع غيرها، وبعثت النساء ما قدرن عليه من مَسَك ومعاضد وخلاخل وقُرْط وخواتم، ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾"[١٨]،[١٩].

**البعد الرابع : إدارة الأطراف المعنية: ربط الفريق بالأطراف الداخلية والخارجية (إدارة العلاقات).**
Relations Department.

ويتم ذلك بالاتي: **أ- تحديد الأطراف وتفهم طبيعة العلاقات معهم.**

**Identifying stakeholders and understanding the nature of relationships with them.**

لقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم اطراف العلاقة وحدد طريقة التعامل مع كل طرف سوى الأطراف الداخلية أو الخارجية.

أولاً : الأطراف الداخلية :-

---

[١٥] - المباركفوري، صفي الرحمن المتوفى ١٤٢٧هـ، الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى، ٣٩٧.

[١٦] - سورة التوبة الآية ٩٢.

[١٧] - د.البرعي،محمد عبدالله ،د.مرسي،محمود عبد الحميد،(١٤١٦) الإدارة في الإسلام،المعهد الإسلامي للتدريب والبحوث، جده ،السعودية ، ص٢٣١.

[١٨] - سورة التوبة، الآية ٧٩.

[١٩] - انظر المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٧ ص٣٧١.

- المسلمون : حثهم النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج معه، وأرسل إلى قريش وبقية القبائل وندبهم إلى النفقة والجهاد في سبيل الله .
- المنافقون : لم يقرهم بل فضحهم وبين نواياهم وحقائقهم وأبطل مخططاتهم وجعلهم تحت أعين المسلمين .
- المخلفون : وهم صنفان :

١- أصحاب الأعذار: وهم الذين برروا تخلفهم عن الخروج مع المسلمين فأستغفر لهم صلى الله عليه وسلم وسامح من قبِل عذره منهم.

٢- الذين لم يعتذروا: وهم الذين تخلفوا عن الخروج بدون عذر، وهؤلاء أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم و تركهم حتى نزل في شأنهم قرآن وسامحهم الله جل جلاله.

**ثانياً** : الأطراف الخارجية :-

١- الأنبار: الذين قدموا من الشام وكانوا يبيعون الزيت حيثُ جاءوا بأخبار خاصة عن عدد الروم ومقدار عتادهم وعن استعدادهم وتحالفهم مع بعض القبائل وغير ذلك .

٢- القبائل المجاورة لتبوك: ارسل النبي صلى الله عليه وسلم رسائل عند قدومه تبوك إلى القبائل المجاورة لمصالحتهم وعدم التعرض لهم مقابل أن يدفعو الجزية للمسلمين.

**ب- إنشاء علاقات مساندةً وتعاون وتنسيق.**

**Developing support, co-operation and co-ordination relationships.**

استطاع النبي أن ينشئ علاقات مختلفة حوّل الأزمة إلى مكسبٍ سياسيٍ واقتصادي من خلال هذه العلاقات وذلك حين أرسل رسله إلى أصحاب المناطق المجاورة والموالية للروم للتفاوض معهم ثم قبل مصالحتهم بعد ذلك، وكان مما صالحهم علية أن لا يقاتلوا مع عدوه وأن لا يعترضوا أحداً من أصحابه وهذا مكسبٌ سياسي، ومما صالحوه أيضاً أن يعطوه الجزية وهذا مكسبٌ اقتصادي.

"جاء يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحب أيْلَةَ، فصالح الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جَرْبَاء وأهل أذْرُح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم، وصالحه أهل مِينَاء على ربع ثمارها، وكتب لصاحب أيلة: "بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذه أمنة من اللّه ومحمد النبي رسول اللّه ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة اللّه وذمة محمد النبي، ومن كان معه من أهل الشام وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر"[٢٠].

[٢٠] - انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٧ ص٣٧٢.

**ج- تأسيس نظام اتصال فعال يربط بين مختلفِ الأطراف.**

**Establishing effective communication system to link between different stakeholders.**

أسس النبي صلى الله عليه وسلم نظام اتصالات متميز، لم يكن هذا النظام كبقية الأنظمة المعاصرة، فقد تجاوز الأجهزة السلكية واللاسلكية والكوادر البشرية المدربة لشهور وأعوام، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يمثلون نظام اتصالات فعّال من حيث الاهتمام بالمعلومة ورصدها وتوصيلها في أسرع وقت ممكن وتسلسل القنوات وارتباطها وتحديد الإشارات وفهمها، ورغم انعدام الإمكانيات الحديثة إلا أن وفائهم وحبهم لهذا الدين الذي زرعه النبي صلى الله عليه وسلم وأسسه فيهم صنع منهم الأعاجيب، ويتجلى هذا الأمر في يقظتهم لتحركات المنافقين والروم في تبوك وإيصال المعلومات عنهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم أولاً بأول:

"يقول عمر بن الخطاب: وهو يروي قصة متابعته لأخبار الروم مع صاحبه، وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت آتية أنا بالخبر، وكانا يسكنان في عوالى المدينة، يتناوبان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال: افتح، افتح، فقلت: جاء الغساني ؟ فقال : بل أشد من ذلك، اعتزل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أزواجه . . . الحديث "[21].

**البعد الخامس : التقييم والتَعْلم المستمر.**

**Evaluation and continuous learning.**

مما لاشك فيه أن التقييم والتعلم المستمر مهم في تتابع النجاحات وتجاوز الأزمات، والتقييم يساعد على تلافي الأخطاء وعدم تكرار الوقوع فيها، وهذا البعد قد أولاه النبي صلى الله علية وسلم وأصحابه اهتماماً بالغاً في إدارتهم لهذه الأزمة، ويمكن أن نشير إلى ذلك إشارات من خلال وقائع هذه الغزوة والتي فيها تقييم وتعليم مستمر وهي[22]:

- إنكاره صلى الله علية وسلم ودعائه على الرجلين الذين سبقا إلى ماء وادي المشقق: لما قرب من تبوك قال(ص): "إنكم ستأتون غداً إن شاء اللّه تعالى عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يَضْحَيَ النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي". قال معاذ: فجئنا وقد سبق إليها رجلان، فأنكر عليهما.

[21] - المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٧ ص٣٦٨-٣٦٩.

[22] - انظر المباركفوري، صفي الرحمن، (٢٠٠٥)، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٧, ج١ ص٣٧١-٣٧٤, البيهقي, أبو الحسن عبد الله بن محمد بن أحمد, دلائل النبوة, مؤسسة البراق, ج٥ ص٢٢٩-٢٣١., السيوطي, أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر,١٩٨٥م, الخصائص الكبرى, دار الكتب العلمية, ج١ ص٤٥٧.

- إنكاره صلى الله علية وسلم على الرجلين الذين خرجا ليلة الريح الشديدة: قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "تهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عِقَالَه"، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ.
- إشارة أبي بكر الصديق للنبي بالدعاء حين كانوا في شدة من الماء وكادت رقابهم أن تنقطع من العطش.
- إشارة عمر بن الخطاب للنبي بأن يدعو الناس بفضل أزوادهم ويدعو لهم بالبركة، وذلك حين إستأذنه الصحابة في أن ينحرو الإبل لما أصابهم من الجوع.
- لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين"، ثم قَنعَ رأسه وأسرع بالسير حتى جاز الوادي.
- وبعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُومَة الجَنْدَل في أربعمائة وعشرين فارساً، وقال له: "إنك ستجده يصيد البقر".
- كان الرجل إذا تخلف وذكروه لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لهم: "دعوه، فإن يكن فيه خير فسيلحقه اللّه بكم، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم منه".
- قال رسول اللّه في أصحاب الأعذار حين دنا من المدينة: "إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مَسِيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم العُذْرُ"، قالوا: يا رسول اللّه، وهم بالمدينة؟ قال: "وهم بالمدينة".

**الخاتمة:**

بعد أن عشنا هذه الغزوة بأحداثها ووقائعها، وبعد أن لمسنا براعة النبي صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه في ادارة هذه الغزوة التي كان لها ما بعدها من النصر والتمكين والعزة والفتوحات الواسعة، وصلنا الى اليقين الذي لا يساوره شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تجاوزوا الأزمات التي واجهوها في هذه الغزوة وأداروها ادارة بارعة وحققوا من خلالها مكاسب عظيمة فكانوا نماذج فريدة في الإدارة تستحق أن يفرد لها مساحة معتبرة في علم الإدارة وتصبح منهجاً عملياً يدرس في هذا المجال.

**النتائج:**

١- أن ما وصل اليه علماء الإدارة بعد جهد ومشاق، شيء يستحقون الثناء عليه، غير أن ما وصلوا إلية قد سبقهم إليه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل ألف وأربع مئة عام.

٢- براعة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في إدارة هذه الغزوة وكل الأزمات المتصلة بها.

٣- أن السيرة النبوية بما فيها غزوة تبوك تعد تقعيداً وتأصيلاً ومصدراً يصعب الاستغناء عنه في علم الإدارة.



# حديث "تَقطعُ الصّلاةَ المرأةُ" في ظل تحديات العصر: دراسة تحليلية نقدية

**عثمان بن إبراهيم غُرغُدو**

طالب في مرحلة الدكتوراه - قسم الفقه وأصول الفقه

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين، القائل في سنته المحفوظة من كيد الكائدين: "إنَّما النِّساءُ شَقائقُ الرِّجالِ"[١]، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن التفنُّن في الطعن في الإسلام ونصوصه وأحكامه ليس وليد العصر، بل هو قديم قدم الإسلام نفسه، منذ العهد المكي، وقد استمر هذا الطعن في دين الله عبر التاريخ إلى يومنا هذا، ومن ذلك الطعن في حديث: "تقطعُ الصَّلاَةَ المرأةُ والحِمارُ والكَلبُ". فهو من الأحاديث التي اتخذها أعداء الدِّين في هذا العصر ذريعةً للطعن في الإسلام وتعاليمه وأحكامه، فزعموا أن الإسلام لا يقيم للمرأة وزناً ولا قيمة، وأنه يحتقر المرأة ويمتهنها، ويقلل من شأنها، وأن المرأة في نظر الإسلام مخلوقة نجسة، تساوي الكلاب والحمير والخنازير! وغير ذلك من الاتّهامات الخطيرة، التي تعتبر نوعاً من التحدي من ضمن التحديات الكثيرة التي تواجه نصوص السنة النبوية الشريفة في عصرنا هذا، مما يفرض على العلماء والدعاة التصديَ لِهذه المزاعم والاتّهامات، وبيان زيفها، وكشف عُوَارها. وهذا البحث الذي بين أيدينا هو كلَبِنة في صرح ذلك الكشف والبيان، حيث إنه يدرس هذا الحديث دراسة تحليلية نقدية، ببيان المراد به والجمع بينه وبين الأحاديث التي تعارضه في الظاهر، والحل للاستشكالات التي حوله، والرد على الاعتراضات التي تواجهها.

وقد تم عرض فقرات هذا البحث تحت تمهيد وثلاثة مباحث رئيسة:

التمهيد: بيان وجه التحدي الذي يواجه هذا الحديث في هذا العصر

---

[١] هو جزء من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَت: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلاَ يَذْكُرُ احْتِلاَمًا قَالَ: يَغْتَسِلُ، وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلاَ يَجِدُ الْبَلَلَ قَالَ: لاَ غُسْلَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ، أَعَلَيْهَا غُسْلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال". رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، ج١، ص٩٥، رقم: ٢٣٦، **وسنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمذي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، أبواب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً، ج١، ص١٨٩، رقم: ١١٣، وصحح الألباني الحديث، إلا جملة "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال". فقد حسنه. **صحيح سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، (مؤسسة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٤٢٩، رقم: ٩٥.

المبحث الأول: نص هذا الحديث بمختلف رواياته والأحاديث التي تعارضه في الظاهر مع التوفيق بينه وبينها

المبحث الثاني: استشكال هذا الحديث والاعتراض عليه في القديم والحديث

المبحث الثالث: الحلول العلمية لاستشكال هذا الحديث والاعتراض عليه في القديم والحديث

الخاتمة.

**التمهيد: بيان وجه التحدي الذي يواجه هذا الحديث في العصر الحديث**

لا شك أن المرأة ليست من جنس بني الحيوان، بل هي من جنس بني الإنسان، فمثلها في الإنسانية مثل الرجل تماماً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّما النِّساءُ شَقائقُ الرِّجالِ"[٢]، قال الرافعي: "أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق"[٣]، وبما أن هذا الحديث قد جعل المرأة تقطع الصلاة، من بين شيئين آخرين، هما من جنس الحيوانات، بل ليسا من الحيوانات المحترمة، وإنما هما من الحيوانات المحتقرة (الحمار والكلب)، لذلك فقد واجه هذا الحديث استشكالاً في القديم والحديث، ولكن لون هذا الاستشكال في القديم يختلف عنه في الوقت المعاصر، حيث إن استشكاله في القديم كان يأتي لأجل الفهم والمعرفة، وليس لأجل المعارضة والمشاغبة، أما استشكاله في العصر الحديث، فقد اتخذ أكثره لوناً من التعنت والتشاغب، وسوء الأدب الذي يشير إلى أن أصحابه يقصدون به التشكيك في السُّنة، والطعن في الإسلام، والاستهزاء بالدين! بل قد يعلو عبارات بعضهم ضباب من الكفر الصريح، والإلحاد السافر! نسأل الله العافية. وفيما يلي مقاطع مقتطفة من الكلمات المنشورة على الشبكة العالمية (الإنترنت) يتبين فيها جلياً حجمُ ما يواجه هذا الحديث النبوي في هذا العصر من التحدي:

المقطع الأول: "بعض الغربيين وبعض العلمانية يثيرون هذا الحديث، وهو حديث: "يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود". ويقولون إن الإسلام يعتبر المرأة مثل الحمار والكلب الأسود، ويقولون إن الإسلام يحتقر المرأة. فكيف نرد عليهم ردًّا شافياً بيّناً، موضحين ما معنى هذا الحديث؟"[٤].

المقطع الثاني: "كان يرد عندي سؤال منذ فترة عن الحديث الصحيح: "يقطع الصلاة المرأة والكلب والحمار"، واعتراض عائشة -كما في إحدى الروايات-: "شبهتمونا بدواب سوء"، والسؤال: مع اعتقادنا بثبوت الحديث، وتكريم الإسلام للمرأة: كيف نرد عن من يزعم أن هذا الحديث قد جمع بين المرأة ودواب هي سيئة عند عموم الناس؟ ولقد اطلعت على كثير من شروح البخاري ومسلم، وشرح المشكل وغيرها، ولم أجد جواباً شافياً... وهل يعلم أحد من أهل العلم حرر الجواب فيها ضمن رسالة أو كتاب أو مقال؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً"[٥].

---

[٢] سبق تخريجه في مقدمة هذا البحث.

[٣] نقله عنه الزرقاني. انظر: **شرح موطأ مالك**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ)، ج١، ص١٥١.

[٤] http://www.alrassxp.com/forum/t234119.html .(19/04/2012)

[٥] **ملتقى أهل الحديث** http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=13120 .(19/04/2012)

المقطع الثالث: "يقطع صلاة المرء المسلم المرأة, والحمار, والكلب الأسود ... أليس في هذا تحقيرٌ للمرأة؟"[٦].

المقطع الرابع: "ما صحة هذا الحديث؟ وإذا كان صحيحاً فلماذا المرأة تقطع الصلاة؟ وبم يُرد على من يحاول إثارة مثل هذه الأحاديث في تبيين مكانة المرأة في الإسلام، و أنّها صنفت في الحديث مع الكلب والخنزير؟!"[٧].

المقطع الخامس: "لقد قرأت شرح الحديث، ولكن هل نحن الرجال كالحيوانات التي تثار شهوتها بمجرد مرور امرأة؟! والله ذكرني شرحُ الحديث بعملية تخصيب البقر حين يمررون بقرة بين مجموعة من الأثوار حتى تثيرهم، وبعدها يستخرجون السائل المنوي للثور ويرسَل للتلقيح. لماذا هذا التشبيه المذل للطرفين؟ كأن المرأة أداة إثارة والرجل حيوان بري!"[٨].

المقطع السادس: "مثل هذه الأحاديث التي لا يقبلها العقل ولا المنطق بحاجة إلى مراجعة، أنا متأكد أنها موضوعة، ومن تأليف رجال الدين!"[٩].

المقطع السابع: "نشكر الله ما فيه في دمشق كلاب سود، يعني ما فيه شياطين، لكن حدث منذ أسابيع أن كلباً مسعوراً، كان يجري في شوارع دمشق صباحاً، ويهاجم المارة، وتمكنت الشرطة بعد مطاردة مريرة من قتله، المهم أن الكلب لم يكن أسود!! أما عن المرأة والحمار فسبحان من وضعهما في مرتبة واحدة، أنا لا أعرف كيف لا تحتج النساء على الإسلام! على أية حال الأفكار مأخوذة من الديانة اليهودية، فالمرأة فيها نجسة..."[١٠].

هذه لمحة يسيرة من النماذج الكثيرة من كلام بعض المعاصرين، التي لا تدع مجالاً للشك، من أن هذا الحديث يُعد من النصوص النبوية الشريفة التي تمر بها تحديات معاصرة، مما يجعل الحاجة ملحة لمواجهتها بما يُحق الحقَّ، ويبطل الباطل.

## المبحث الأول

### نص الحديث بمختلف رواياته والأحاديث التي تعارضه في الظاهر مع التوفيق بينه وبينها

هذا الحديث باللفظ المذكور في مقدمة هذا البحث، هو من رواية أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم، وهناك روايات أخرى لهذا الحديث أو معناه عن عدد من الصحابة غير أبي هريرة رضي الله عنهم. وفي بعض هذه المرويات ألفاظ زائدة، مثل وصف الكلب بالأسود، والمرأة بالحائض، أو زيادة بعض الأشياء التي تقطع الصلاة، مثل: الكافر واليهودي، وبعضها اقتصرت بذكر شيئين فقط مما

[٦] http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=32fc179f52732fde. (19/04/2012).

[٧] المصدر نفسه

[٨] المصدر نفسه

[٩] المصدر نفسه

[١٠] **شبكة الملحدين العرب،** http://www.il7ad.com/smf/index.php?topic=5620.0%3Bwap2. (19/04/2012).

يقطع الصلاة. إلا أن بعض هذه المرويات غير صحيحة. وسيقوم الباحث في المطالب التالية، بذكر هذه الروايات مع ذكر درجات ما ليس منها في الصحيحين أو أحدهما، مستعيناً في ذلك بكلام المحدثين. وبالله التوفيق.

**المطلب الأول: نص الحديث بمختلف رواياته**

روى هذا الحديث أبو هريرة، مع زيادة ما يمنع قطع الصلاة من السترة، وهو:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ"، أخرجه مسلم[١١]. ورواه السَّرّاج في مسنده، وأبو عوانة في المستخرج، وأبو نعيم في المسند المستخرج، بلفظ: "تَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ..."[١٢]، أي بالتأنيث، بدلاً من "يَقْطَعُ" بالتذكير[١٣].

والحديث عند ابن ماجه وأحمد[١٤] وغيرهما بلفظ: "يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ"، دون ذكر ما يقي ذلك من السترة.

٢. ورواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما عن عبد الله بن مغفل مثل هذا اللفظ أيضاً[١٥]، أي دون ذكر السترة.

وأخرجه مسلم عن أبي ذر، وفيه تحديد لون الكلب، وبيان سبب تخصيصه بالذكر دون غيره من الكلاب، مع ذكر ما يمنع القطع من السترة، وهو:

٣. عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذَرٍّ، رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ"، قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ

---

[١١] **الجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، ج٢، ص٥٩، رقم: ١١٦٧.

[١٢] **مسند السرّاج**، أبو العباس محمد بن إسحاق السَّرّاج، تحقيق: الأستاذ إرشاد الحق الأثري، (إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد - باكستان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص١٤١، رقم: ٣٧١، **ومستخرج أبي عوانة**، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، (دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٣٨٦، رقم: ١٤٠٣، **والمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، تحقيق: محمد حسن محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٢، ص١١٨، رقم: ١١٢٩.

[١٣] ويجوز الوجهان في العربية، لإضافة المُذكرين (الكلب والحمار) إلى المؤنث (المرأة). أما إذا ذكرت المرأة فقط فيجب التأنيث، كما في عنوان هذا البحث.

[١٤] **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقطع الصلاة، ج١، ص٣٠٥، رقم: ٩٥٠، **والمسند**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج١٣، ص٣٦١، رقم: ٧٩٨٣.

[١٥] **سنن ابن ماجه**، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقطع الصلاة، ج١، ص٣٠٦، رقم: ٩٥١. وقال الألباني: صحيح. انظر: **صحيح سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٥٦، رقم: ٧٧٦، **والمسند**، ابن حنبل، ج٢٧، ص٣٥٢، رقم: ١٦٧٩٧. قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين.

الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: "الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ"[١٦].

وأخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، وفيه تحديد لون الكلب بالأسود، ووصف المرأة بالحائض، دون ذكر الحمار والسترة، وهو:

٤. عن ابن عبّاس، رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْكَلْبُ الأَسْوَدُ وَالْمَرْأَةُ الْحَائِضُ" رواه ابن ماجه[١٧]. وقال الشيخ الألباني: صحيح[١٨].

وهو عند أبي داود والنسائي بلفظ: "يقطع الصلاةَ: المرأةُ الحائضُ والكلب"[١٩]، دون وصف الكلب بالأسود. قال الألباني: "قلت: إسناده صحيح كما قال النووي، وهو على شرط البخاري، وصححه أبو حاتم وابن خزيمة وابن حبان"[٢٠].

وفي رواية أخرى لهذا الحديث عند أبي داود زيادة أشياء أخرى مع المرأة والكلب والحمار، وهو:

٥. عن عكرمة، عن ابنِ عبّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: أَحْسَبُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى غَيْرِ سُتْرَةٍ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلاَتَهُ الْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ، وَالْخِنْزِيرُ، وَالْيَهُودِيُّ، وَالْمَجُوسِيُّ، وَالْمَرْأَةُ، وَيُجْزِئُ عَنْهُ إِذَا مَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَذْفَةٍ بِحَجَرٍ".

قال أبو داود: فى نفسي من هذا الحديث شيء... والمنكَر فيه ذكر المجوسى وفيه: "على قذفة بحجر"، وذكر الخنزير، وفيه نكارة. ولم أسمع هذا الحديث إلا من محمد بن إسماعيل وأحسبه وهم؛ لأنه كان يحدثنا من حفظه"[٢١].

وقال العيني: "وقال ابن القطان: ليس في سنده متكلم فيه، غير أن علته بادية، وهي الشك في رفعه، فلا يجوز أن يُقال: إنه مرفوع، وفي "العِلل" لابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن حديث رواه عُبَيس بن ميمون، عن ابن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة يَرفعه: "يقطع الصلاة: الكلبُ، والحمارُ،

[١٦] **الجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، ج١، ص٣٦٥، رقم: ٥١٠.

[١٧] **سنن ابن ماجه**، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقطع الصلاة، ج١، ص٣٠٥، رقم: ٩٤٩.

[١٨] **صحيح سنن ابن ماجه**، الألباني، ج١، ص١٤٦، رقم: ٧٧٤.

[١٩] **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب ما يقطع الصلاة، ج١، ص٢٥٩، رقم: ٧٠٣، **والمجتبى من السنن**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، كتاب الصلاة، ذكر ما يقطع الصلاة وما لا يقطع إذا لم يكن بين يدي المصلي سترة، ج٢، ص٦٤، رقم: ٧٥١.

[٢٠] **صحيح سنن أبي داود**، الألباني، ج٣، ص٢٨٨، رقم: ٧٠٠، والحديث عند ابن حبان بلفظ: "يقطع الصلاة الكلب والمرأة الحائض"، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٦، ص١٤٨، رقم: ٢٣٨٧، وعند ابن خزيمة أيضاً بهذا اللفظ. وقال الأعظمي: "إسناده صحيح. **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٢٢، رقم: ٨٣٢.

[٢١] **سنن أبي داود**، ج١، ص٢٥٩، رقم: ٧٠٤.

والمرأةُ، واليهوديُ، والنصراني، والمجوسي، والخنزيرُ"، فقال: هذا حديث منكر. وهو عند مسلم: "يقطع الصلاة: المرأة، والكلب، والحمار". وكذا رواه ابن مغفل عند ابن ماجه بسند صحيح"[٢٢].

وقال الألباني: "ضعيف"[٢٣].

ويُروى هذا الحديث بلفظ آخر عن أبي سعيد الخدري، بإسناد ضعيف، وهو:

٦. عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ قُلْتُ: وَمَا يَسْتُرَنِي؟ قَالَ: السَّهْمُ، وَالرَّحْلُ، وَالْحَجَرُ". قال البوصوري: هَذَا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي هارونَ الْعَبْدِيّ"[٢٤].

وفي مسند الإمام أحمد أيضاً لفظ آخر لهذا الحديث عن عائشة، ولم يثبت عنها. وهو:

٧. عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ يَقْطَعُ صَلاَةَ الْمُسْلِمِ شَيْءٌ إِلاَّ الْحِمَارُ، وَالْكَافِرُ، وَالْكَلْبُ، وَالْمَرْأَةُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ قُرِنَّا بِدَوَابِّ سُوءٍ". قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة. هذا منقطع"[٢٥]. وقال ابن رجب قبل ذلك: "راشد –أحد رجال سند الحديث- لَمْ يسمع من عَائِشَة بغير شك"[٢٦].

إذن، فكل رواية لهذا الحديث فيها زيادة الكافر، أو اليهودي، والنصراني، أو المجوسي، أو الخنزير، فهي غير ثابتة. والروايات التي فيها إطلاق المرأة والكلب، تُقيَّد بالروايات التي فيها وصف المرأة بالحائض، والكلب بالأسود -كما سيأتي بيانه في المبحث الآتي- أما الحمار فهو على إطلاقه.

هذا ما يتعلق بحديث قطع الصلاة بالمرأة والحمار والكلب. وهناك أحاديث أخرى، تعارض هذا الحديث في الظاهر، وهي التي يأتي ذكرها في المطلب التالي.

### المطلب الثاني: الأحاديث التي تعارض هذا الحديث في الظاهر

قد تم في المطلب السابق ذكرُ أحاديث صحاح، تقول بأن المرأة والحمار والكلب تقطع الصلاة، ولكن توجد أحاديث أخرى تقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وبين يديه، أو بجنبه المرأة، أو يمر بين يديه شيء من هذه الأشياء الثلاثة، ولا يعيد صلاته، ومن هذه الأحاديث:

---

[٢٢] **شرح سنن أبي داود**، محمود بن أحمد العيني، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، (مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٣، ص٢٧١.

[٢٣] **ضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، (مؤسسة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٦٥، رقم: ١٣١.

[٢٤] **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٢، ص١٠٣، ١١٢٤.

[٢٥] **المسند**، ابن حنبل، ج٦، ص٨٤، رقم: ٢٤٥٩.

[٢٦] **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ)، ج٢، ص٧٠٥.

١. حديث عائشة رضي الله عنها، "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، كَاعْتِرَاضِ الْجِنَازَةِ"[٢٧].

٢. حديث أبي قَتادةَ الْأَنصاريِّ رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا"[٢٨].

٣. حديث ميمونة رضي الله عنها، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَأَنَا حِذَاءَهُ وَأَنَا حَائِضٌ، وَرُبَّمَا أَصَابَنِي ثَوْبُهُ إِذَا سَجَدَ"[٢٩].

٤. عن مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ -هو قَاصُّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ- عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَت: "كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِي حُجْرَةِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَمَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، أَوْ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالَ بِيَدِهِ فَرَجَعَ، فَمَرَّتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، فَمَضَتْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: هُنَّ أَغْلَبُ".

رواه أحمد[٣٠]، وابن ماجه[٣١]. وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة والدة محمد بن قيس. وقبله قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد: في إسناده ضعف، ووقع في بعض النسخ: عن أمه بدل عن أبيه، وكلاهما لا يعرف. وقال المباركفوري: "في إسناده مجهول وهو قيس المدني وبقية رجاله ثقات"[٣٢]. وقال الألباني: "ضعيف"[٣٣].

٥. حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ الصَّفِّ، فَنَزَلْتُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ"[٣٤].

٦. عن الفضل بنِ العبّاس، رضي الله عنهما: قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي بَادِيَةٍ لَنَا وَمَعَهُ عَبَّاسٌ، فَصَلَّى فِي صَحْرَاءَ لَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُتْرَةٌ، وَحِمَارَةٌ لَنَا وَكَلْبَةٌ تَعْبَثَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا بَالَى

---

[٢٧] **الجامع المسند الصحيح المختصر**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، (اليمامة، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الفراش، ج١، ص١٥٠، رقم: ٣٧٦، **والجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج، كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي، ج٢، ص٦٠، رقم: ١١٦٨.

[٢٨] **الجامع المسند الصحيح**، البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، ج١، ص١٩٣، رقم: ٤٩٤، **والجامع الصحيح**، مسلم، كتاب الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، ج١، ص١٧٠، رقم: ٨١.

[٢٩] **الجامع المسند الصحيح**، البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا أصاب ثوب المصلي امرأته إذا سجد، ج١، ص١٤٩، رقم: ٣٧٢، **والجامع الصحيح**، مسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي، ج٢، ص٦١، رقم: ١١٧٤.

[٣٠] **المسند**، ابن حنبل، ج٦، ص٢٩٤، رقم: ٢٦٥٦٦.

[٣١] **سنن ابن ماجه**، كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما يقطع الصلاة، ج١، ص٣٠٥، رقم: ٩٤٨.

[٣٢] **تحفة الأحوذي**، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٢٦١.

[٣٣] **ضعيف سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٧١، رقم: ١٩٨.

[٣٤] **الجامع الصحيح**، مسلم، كتاب الصلاة، باب مرور الحمار والكلب، ج٣، ص٣٧٨، رقم: ١١٥٢.

ذَلِكَ". رواه أبو داود[٣٥]. قال ابن حزم في هذا الحديث "باطل؛ لأن العباس بن عبيد الله لم يدرك عمه الفضل، وهو الذي يرويه عنه"[٣٦].

وقال المباركفوري: "وأخرجه النسائي نحوه[٣٧]، وفي إسناده مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني الكوفي، وقد تكلم فيه غير واحد"[٣٨]. وقال مغلطاي: "قال الخطابي: في سنده مقال، وضعفه أيضًا غير واحد، منهم الإشبيلي وابن القطان"[٣٩]. وقال الألباني: "ضعيف"[٤٠].

٧. حديث أبي سعيد رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ يَقْطَعُ الصَّلاَةَ شَيءٌ، وَادْرَأْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ". رواه أبو داود[٤١]. وقال الألباني: "إسناده ضعيف، وكذا قال النووي، وعلّته مجالد هذا"[٤٢].

وقد ذكر أبو داود بعد هذا الحديث حديثاً آخَر لأبي سعيد أنه "مَرَّ شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ بَيْنَ يَدَي أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ يُصَلِّي فَدَفَعَهُ، ثُمَّ عَادَ فَدَفَعَهُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: إِنَّ الصَّلاَةَ لاَ يَقْطَعُهَا شَيءٌ، وَلَكِنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "ادْرَءُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ". ثم قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "إِذَا تَنَازَعَ الْخَبَرَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نُظِرَ إِلَى مَا عَمِلَ بِهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ"[٤٣].

وقال الترمذي -في تعليقه على حديث ابن عباس السابق الذي فيه مروره على أتان بين يدي صفوف المصلين-: "والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومَن بعدهم من التابعين، قالوا: لا يقطع الصلاة شيء، وبه يقول سفيان الثوري، والشافعي"[٤٤].

٨. حديث ابن عمر، عن سالم بن عبد الله عن أبيه، رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر قالوا: لا يقطع صلاةَ المسلم شيء، وادرأ ما استطعت". رواه الدار قطني[٤٥].

---

[٣٥] **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب من قال: الكلب لا يقطع الصلاة، ج١، ص١٩١، رقم: ٧١٨.

[٣٦] **المحلى بالآثار**، علي بن أحمد ابن حزم، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ج٤، ص١٣.

[٣٧] لفظه عند النسائي: "زَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبَّاسًا فِي بَادِيَةٍ لَنَا، وَلَنَا كُلَيْبَةٌ وَحِمَارَةٌ تَرْعَى، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعَصْرَ وَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمْ يُزْجَرَا وَلَمْ يُؤَخَّرَا". **المجتبى**، النسائي، ذكر ما يقطع الصلاة وما لا يقطع إذا لم يكن بين يدي المصلي سترة، ج٢، ص٦٥، رقم: ٧٥٣. وقال الألباني: "منكر ضعيف". **صحيح وضعيف سنن النسائي**، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية -المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص٣٩٧، رقم: ٧٥٣.

[٣٨] **تحفة الأحوذي**، المباركفوري، ج٢، ص٢٥٨.

[٣٩] **شرح سنن ابن ماجه**، مغلطاي بن قليج بن عبد الله، تحقيق: كامل عويضة، (مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج١، ص١٦٠١.

[٤٠] **ضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، (مؤسسة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج١، ص٢٦٠، رقم: ١١٤.

[٤١] **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب من قال: لا يقطع الصلاة شيء، ج١، ص٢٦٢، رقم: ٧١٩.

[٤٢] **ضعيف سنن أبي داود**، الألباني، ج٣، ص٢٦٣، رقم: ١١٥.

[٤٣] **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب من قال: لا يقطع الصلاة شيء، ج١، ص٢٦٢، رقم: ٧٢٠.

[٤٤] **سنن الترمذي**، ج٢، ص١٦٠، رقم: ٣٣٧.

[٤٥] **سنن الدار قطني**، علي بن عمر الدار قطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج١، ص٣٦٧، رقم: ٤.

قال المباركفوري: "وفيه إبراهيم بن يزيد الخوذي، وهو ضعيف. قال العراقي والصحيح عن ابن عمر: ما رواه مالك في الموطأ من قوله[٤٦] إنه كان يقول لا يقطع الصلاة شيء مما يمر بين يدي المصلى"[٤٧].

هذا ما تَمَّ الوقوف عليه من الأحاديث التي تتعارض في الظاهر مع الأحاديث التي تقول بأن مرور المرأة والحمار والكلب يقطع الصلاة. والآن ننتقل إلى ما قاله العلماء في التوفيق بين هذه الأحاديث، وذلك في المطلب التالي.

**المطلب الثالث: التوفيق بينه وبين الأحاديث التي تعارضه في الظاهر**

قد سلك العلماء طرقاً مختلفة في التوفيق بين الأحاديث القائلة بأن المرأة والحمار والكلب يقطعون الصلاة، وبين الأحاديث التي تقول بأن الصلاة لا تقطع بهذه الأشياء ونحوها. وفيما يلي ذكر لأهم هذه الطرق والمسالك:

أولاً: مسلك الترجيح بين الأحاديث:

من العلماء من سلك مسلك الترجيح بين هذه الأحاديث المتعارضة، فقال بأن الأحاديث التي تقول بعدم القطع أثبتُ من التي تقول بالقطع، كما أن عدم القطع هو الموافق لظاهر القرآن، وهو قول الله تعالى: ﴿ولا تزر وازة وزر أخرى﴾ (الأنعام:١٦٤). إذن فيقدم القول بعدم القطع على القول بالقطع.

وهذا مسلك الإمام الشافعي رحمه الله، كما حكاه البيهقي، وذلك عند ذِكره حديث أبي ذر السابق، بعد حديث عائشة وغيرها الدال على عدم قطع المرأة للصلاة، حيث قال: "قال الشافعي في الجواب عن هذا: لا يجوز؛ إذ روي حديث واحد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقطع الصلاة، المرأة، والكلب، والحمار"، وكان مخالفاً هذه الأحاديث، وكان كل واحد منها أثبت منه، ومعها ظاهر القرآن، أن يترك إن كان ثابتاً، إلا بأن يكون منسوخاً، حتى نعلم، ونحن لا نعلم المنسوخ من الآخر، ولسنا نعلم الآخِر، أو يرد بأن يكون غير محفوظ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وعائشة بينه وبين القبلة، وصلى وهو حامل أمامة، يضعها في السجود، ويرفعها في القيام، ولو كان ذلك يقطع صلاته، لم يفعل واحداً من الأمرين، وصلى إلى غير سترة، وكل واحد من هذين الحديثين يرد ذلك الحديث. قال: وقضاء الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى -والله أعلم- يدل على أنه لا يبطل عمل رجل عمل غيره، وأن يكون سعي كل لنفسه وعليها، فلما كان هذا هكذا، لم يجز أن يكون مرور رجل يقطع صلاة غيره"[٤٨].

---

[٤٦] هو في الموطأ: "عن سَالِمِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ: لا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ شَيْءٌ مِمَّا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي". **الموطأ**، مالك بن أنس، تحقيق تقي الدين الندوي، مع تعليقات عبد الحي اللكنوي، (دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، كتاب الصلاة، بَاب الرُّخْصَةِ فِي الْمُرُورِ بَيْنَ يَدَيْ الْمُصَلِّي، ج٢، ص٢١٨، رقم: ٥٣٤.

[٤٧] **تحفة الأحوذي**، المباركفوري، ج٢، ص٢٥٧، رقم: ٢٥٨.

[٤٨] **معرفة السنن والآثار**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، (دار قتيبة، دمشق -بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، كِتَابُ الصَّلَاة، [باب] من قال: يقطعها، ج٣، ص٢٠٠، رقم: ١١٣١.

وروى البيهقي عن الشافعي أيضاً أنه قال في تعليقه على حديث ميمونة السابق: "وإذا لم تفسد المرأةُ على المصلي أن تكون بين يديه، فهي إذا كانت عن يمينه أو عن يساره أحرى أن لا تفسد عليه"[49].

ثانياً: مسلك القول بالنسخ:

من العلماء من قال بأن الأحاديث التي تقول بعدم القطع هي ناسخة للتي تقول بالقطع. وممن سلك هذا المسلك: الإمام الطحاوي، وابن عبد البر[50].

يقول الطحاوي: "ففي حديث عبيد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما مرا على الصف، فقد يجوز أن يكونا مراً على المأمومين دون الإمام، فكان ذلك غير قاطع على المأمومين، ولم يكن في ذلك دليل على حكم مرور الحمار بين يدي الإمام، ولكن في حديث صهيب عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينصرف، فدل ذلك على أن مرور الحمار بين يدي الإمام أيضاً غير قاطع للصلاة، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث الذي ذكرناه عنه في الفصل الأول من حديث ابن أبي داود أن الحمار يقطع الصلاة في أشياء ذكرها معه في ذلك الحديث، قال: وأحسبه قد أسنده، فهذا الحديث الذي رويناه عن عبيد الله وصهيب عن ابن عباس رضي الله عنهما مخالف لذلك، فأردنا أن نعلم أيها نسخ الأمر، فنظرنا في ذلك، فإذا أبو بكرة قد حدثنا، قال: ثنا مؤمل، عن سفيان قال: ثنا سماك، عن عكرمة قال: ذكر عند ابن عباس رضي الله عنهما: ما يقطع الصلاة؟ قالوا: الكلب والحمار، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر:١٠)، وما يقطعه هذا، ولكنه يكره. فهذا ابن عباس رضي الله عنهما قد قال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحمار لا يقطع الصلاة، فدل ذلك على أن ما روى عنه عبيد الله وصهيب كان متأخراً عما رواه عنه عكرمة من ذلك"[51].

وقال ابن عبد البر: "الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها صحاح من جهة النقل، غير أن حديث أبي ذر وغيره في المرأة والحمار والكلب منسوخ ومعارَض، فمما عارضه أو نسخه عند أكثر العلماء حديث عائشة المذكور في هذا الباب..."[52].

ثالثاً: مسلك الجمع بين الأحاديث:

من العلماء من سلك مسلك الجمع بين هذه الأحاديث، ثم اختلفوا في طريقة هذا الجمع، وفيما يلي أهمّ الطرق التي سلكوها في ذلك:

---

[49] **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٣، ص١٠٨، رقم: ٥٤٣٣.

[50] انظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ)، ج٢، ص٧١٠. **وفتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٦م)، ج١، ص٥٨٩.

[51] **شرح معاني الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ)، ج١، ص٤٥٩، رقم: ٢٤٣٧.

[52] **التمهيد**، ابن عبد البر، ج٢١، ص١٦٨.

١. من العلماء من قال بتأويل قطع الصلاة التي جاءت به الأحاديث، بأن هذا القطع لا يعني إبطال الصلاة وإفسادها، وإنما المراد نقص خشوعها أو ثوابها؛ لِشُغل بال المصلي عنها بالمار بين يديه. إذن فيُكره هذا المرور[٥٣].

وهذا المسلك هو رواية أخرى عن الإمام الشافعي، وهو قول الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية[٥٤]. يقول البيهقي عن الإمام الشافعي -بعد حكايته عنه الرواية الأولى-: "وقد اشتغل بتأويله في رواية حرملة، وهو به أحسن"، ثم ذكر سندَه إلى حرملة أنه قال: "سمعت الشافعي، يقول: في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "يقطع الصلاة المرأة، والكلب، والحمار" قال: يقطع عن الذكر الشغلُ بِها، والالتفات إليها، لا أنه يفسد الصلاة"[٥٥]. ثم قال البيهقي: "وذكر معناه في سنن حرملة، وقواه، واحتج بحديث عائشة، وابن عباس، والذي يدل على صحة هذا التأويل: أن ابن عباس أحد رواة قطع الصلاة بذلك، ثم روي عن ابن عباس، أنه حمله على الكراهية"، ثم ساق سندَه إلى عكرمة أنه قال: "قيل لابن عباس: أيقطع الصلاة المرأة، والكلب، والحمار؟ فقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠)، فما يقطع هذا، ولكن يكره"، وروينا عن عثمان، وعلي، وابن عمر، وعائشة، وغيرهم: "لا يقطع الصلاة شيء مما يمر بين يدي المصلي""[٥٦].

وقال النووي: "اختلف العلماء في هذا فقال بعضهم يقطع هؤلاء الصلاة... وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رحمهم الله وجمهور من السلف والخلف لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم، وتأول هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة؛ لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها ومنهم من يدعي نسخه بالحديث الآخر: "لا يقطع صلاةَ المرءِ شيءٌ، وادرأوا ما استطعتم"، وهذا غير مرضي؛ لأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع بين الأحاديث وتأويلها، وعلمنا التاريخ، وليس هنا تاريخ، ولا تعذر الجمع والتأويل، بل يُتأول على ما ذكرناه، مع أن حديث: "لا يقطع صلاة المرء شيء" ضعيف"[٥٧].

وقال العيني –في تعليقه على حديث الباب-: "واختلف العلماء في هذا الحديث، فقال بظاهره غير واحد من الصحابة والتابعين، وهو قول ابن عمر، والحسن البصري... وقالت طائفة: لا يقطع الصلاة شيء، رُوِيَ هذا القول عن عليّ، وعثمان، وكذلك قال ابن المسيّب، وعَبيدة، والشعبي، وعروة بن الزبير، وإليه ذهب مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والشافعي، وهو قول أصحابنا، وقول أبي ثور. وقال بعض أصحابنا: الصلاة لا يقطعها ما يمرّ بين يدي المُصلي بوجه من الوجوه ولو كان خنزيراً، وإنما

---

[٥٣] انظر: **فتح الباري**، ابن حجر، ج١، ص٥٨٩.

[٥٤] انظر: **التمهيد**، ابن عبد البر، ج٢١، ص١٦٨، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ)، ج٤، ص٢٢٧، **شرح سنن أبي داود**، العيني، ج٣، ص٢٦٨، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، (دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٣، ص١٤.

[٥٥] **معرفة السنن والآثار**، البيهقي، ج٣، ص٢٠٠، رقم: ١١٣٢.

[٥٦] **معرفة السنن والآثار**، البيهقي، ج٣، ص٢٠١، رقم: ١١٣٣.

[٥٧] **المنهاج**، النووي، ج٤، ص٢٢٧.

يقطعها ما يُفسدها من الحدث وغيره مما جاءت به الشريعة. والجواب عن الحديث: أن المراد بالقطع: المبالغة في الخوف على فسادها بالشَّغْل بهم، كما يُقالُ: قطعت عنق أخيك أي: فعلت به فعلاً يُخاف على هلاكه منه كمن قُطع عنقه. وذهب بعضهم إلى أن حديث أبي ذر وما في معناه منسوخ، وقيل: فيه نظر، لأن الجمع ممكن، ولا يتحقق التاريخ"[٥٨].

٢. وسلك بعض العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث مسلكاً قريباً من مسلك الجمهور، فقال بأن مرور المرأة أو الحمار أو الكلب الأسود يقطع الصلاة، وليس معنى القطع الإبطال والفساد، وإنما هو نقصان ثوابها، وليس نقصاناً مماثلاً لما يحصل من مرور غير هؤلاء، بل نقصان أكثر من ذلك؛ لكون هؤلاء الثلاثة أخص بالشيطان من غيرها. ولذلك فإنه تستحب إعادة الصلاة بمرور هؤلاء، ولا تجب. وهذا ما يذهب إليه ابن رجب الحنبلي.

يقول ابن رجب في هذا الصدد: "... لِهذا أُمر بالدنو من السترة، خشيةً أن يقطع الشيطان عليه صلاتَه، وليس ذلك موجباً لإبطال الصلاة وإعادتِها -والله أعلم- وإنما هو منقص لها، كما نص عليه الصحابة... وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعه وبمقاتلته، وقال: "إنما هو شيطان"... لكن النقص الداخل بمرور هذه الحيوانات التي هي بالشيطان أخص أكثر وأكثر، فهذا هو المراد بالقطع، دون الإبطال والإلزام بالإعادة... وربما يقال: إنه يستحب له إعادتُها، كما أعاد ابن عمر صلاته من مرور جرو الكلب، وكذلك الحكم الغفاري، أعاد من مرور حمار..." [٥٩].

٣. وسلك ابن حزم مسلكاً آخر في الجمع، فأخذ الأحاديث التي تقول بالقطع على ظواهرها، وأن الصلاة تبطل بالكلب والحمار والمرأة، إذا كان الكلب أو الحمار بين يدي المصلي سواء كان الكلب أو الحمار ماراً أو غير مار، صغيراً أو كبيراً، حياً أو ميتاً، وكون المرأة بين يدي الرجل، مارة أو غير مارة، صغيرة أو كبيرة، إلا أن تكون مضطجعة معترضة فلا تقطع الصلاة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها السابق، أنّها كانت معترضة أمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، أما الأحاديث التي تقول بعدم القطع بِهؤلاء الثلاثة فلا يصح منها شيء، إلا حديث ابن عباس، الذي فيه مروره على حمار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وليس فيه حجة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى إلى سترة، أما المأمومون فسترة الإمام لهم سترة، أما ما عداه من الأحاديث القائلة بعدم القطع "فلو صحت -وهي لا تصح- لكان حكمه صلى الله عليه وسلم بأن الكلب والحمار والمرأة يقطعون الصلاة هو الناسخ بلا شك لما كانوا عليه قبلُ من أن لا يقطع الصلاة شئ من الحيوان، كما لا يقطعها الفرس والسنور والخنزير وغير ذلك، فمن الباطل الذي لا يخفى ولا يحل ترك الناسخ المتيقن والأخذ بالمنسوخ المتيقن"[٦٠].

---

[٥٨] **شرح سنن أبي داود**، العيني، ج٣، ص٢٦٨، رقم: ٢٦٩.

[٥٩] **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٤، رقم: ٧١٦.

[٦٠] **المحلى**، ابن حزم، ج٤، ص٨ - ١٤، وانظر: **نيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٤.

٤. وقالت طائفة يقطع الصلاة الكلب الأسود، والمرأة الحائض فقط، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، لحديث ابن عباس السابق، أنه مر بين يدي الصف على حمار والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي، ولم يعد الصلاة، ولا أمر أصحابه بإعادتها، فجعلوه مخصصاً لحديث الباب[٦١].

٥. وسلك آخَرون مسلكاً آخَر في الجمع، وهو القول بقطع الصلاة بمرور الكلب الأسود فقط، دون المرأة والحمار. ووجه هذا القول: "أن الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذا الحديث، وأما المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الحمار حديث ابن عباس"[٦٢]. وهذا القول محكيٌّ عن عائشة رضي الله عنها، وبه يقول الإمام أحمد في المشهور عنه[٦٣]، وهو مذهب إسحاق بن راهوية[٦٤]. وقد أشار إليه الترمذي في تعليقه على حديث أبي ذر، حيث قال: "... قال أحمد: الذي لا أشك فيه أن الكلب الأسود يقطع الصلاة، وفي نفسي من الحمار والمرأة شيء، قال إسحاق: لا يقطعها شيء إلا الكلب الأسود"[٦٥]. وقد احتج لهذا الرأي ابن الجوزي ودافع عنه[٦٦].

٦. وسلك آخَرون طريقة أخرى في الجمع، فقالوا بأن الأحاديث التي تقول بقطع الصلاة بالمرأة والحمار والكلب تعني أن مرور هؤلاء بين يدي المصلي المنفرد أو الإمام بدون سترة، هو الذي يقطع الصلاة، أما حديث عائشة وأبي قتادة وميمونة، فليس فيها مرور المرأة بين يدي المصلي، وإنما فيها وجودُها أمامه أو بجنبه[٦٧]، وأما حديث ابن عباس فليس فيه أنه مر بالحمار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كان مروره بين يدي بعض المأمومين، وكل هذه الأحوال لا تقطع الصلاة، لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه[٦٨]، أما حديث أم سلمة، ففي ثبوته مقال، ولو صح، فإن زينب كانت صغيرة

---

[٦١] **معالم السنن** (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، (المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج١، ص١٦٦، **والتمهيد**، ابن عبد البر، ج٢١، ص١٦، **وعمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، (مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٢هـ)، ج٧، ص٢٢٤، **وسبل السلام شرح بلوغ المرام**، محمد بن إسماعيل الصنعاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص١٤٤.

[٦٢] **المنهاج**، النووي، ج٤، ص٢٢٧.

[٦٣] **الشرح الكبير**، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتح الحلو، (دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٦٣٠ - ٦٣١.

[٦٤] **التمهيد**، ابن عبد البر، ج٢١، ص١٦٧، **ونيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٣.

[٦٥] **سنن الترمذي**، ج٢، ص١٦١، رقم: ٣٣٨.

[٦٦] انظر: **التحقيق في أحاديث الخلاف**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مسعد عبد الحميد محمد السعدني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥م)، ج١، ص٤٢٥ - ٤٢٧.

[٦٧] قال ابن بطال: "وهذا الحديث وشبهه من الأحاديث التى فيها اعتراض المرأة بين المصلى وقبلته فيها دليل أن النهى إنما هو عن المرور خاصة، لا عن القعود بين يدى المصلى". **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال، ج٢، ص١٤٥، وقال ابن رجب: "ويدل على أنه يفرِّق بين المرور والوقوف: أن المصلي مأمور بدفع المار ولو كان حيواناً، وقد وردت السنة بالصلاة إلى الحيوان البارك والمرأة النائمة، فدل على الفرق بين الأمرين". **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧٠٧، وقد عَنْون ابن حبان لحديث أبي ذر بقوله: "ذكر البيان بأن صلاة المرء إنما تقطع من مرور الكلب والحمار والمرأة، لا كونُهن واعتراضهن"، ثم ذكر حديث أبي ذر بلفظ: "تعاد الصلاة من ممر الحمار المرأة والكلب الأسود". قال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم". **صحيح ابن حبان**، ج٦، ص١٥١، رقم: ٢٣٩١.

[٦٨] انظر: **المحلى**، ابن حزم، ج٢، ص٤٦٤، **والشرح الكبير**، ابن قدامة، ج١، ص٦٣١، **ونيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٥.

وقتئذ، وإنما ذكر الحديث "المرأة"، ولا تطلق إلا على البالغة[٦٩]، أما حديث الفضل بن عباس الذي فيه عبث الكلبة والحمار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فهو حديث ضعيف لا يحتج بمثله -كما سبق بيانه- وكذلك حديث أبي سعيد وحديث ابن عمر اللذان فيهما أن الصلاة لا يقطعها شيء -أيضاً- لا يثبتان[٧٠]. وأيضاً إن الأحاديث التي فيها زيادة الكافر أو اليهودي أو المجوسي أو الخنزير، لم يثبت منها شيء[٧١] -كما سبق- إذن فبقيت المسألة في أن مرور المرأة والكلب والحمار يقطع الصلاة، يعني يبطلها، وتجب إعادتها[٧٢]، إذا لم يتخذ المصلي سترة، أما إذا اتخذ سترة –ولو مثل مؤخرة الرحل- ومر وراءها شيء من ذلك فلا يقطع صلاته[٧٣].

وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وابن عباس في رواية عنه، وحكي أيضاً عن أبي ذر، وابن عمر، ومن التابعين: الحسن البصري وأبو الأحوص صاحب ابن مسعود[٧٤]، ومن الأئمة: أحمد بن حنبل في رواية عنه[٧٥].

وهو اختيار كثير من الحنابلة، منهم ابن قدامة[٧٦] وابن تيمية[٧٧]، وابن القيم[٧٨]، والبهوتي[٧٩]، وغيرهم[٨٠]. ومن القائلين به من المعاصرين: الشيخ عبد العزيز بن باز[٨١]، والشيخ محمد صالح العثيمين[٨٢]، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني[٨٣].

---

[٦٩] انظر: **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٢، **والشرح الممتع على زاد المستقنع**، محمد بن صالح، العثيمين، (دار ابن الجوزي، الدمام، ط١٤٢٢/١هـ)، ج٣، ص٢٨٦٤.

[٧٠] يقول الشوكاني: "وأما الاستدلال بحديث: "لا يقطع الصلاة شيء"، فستعرف عدم انتهاضه للاحتجاج، ولو سلم انتهاضه فهو عام مخصص بهذه الأحاديث". **نيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٥.

[٧١] انظر: **سبل السلام**، الصنعاني، ج١، ص١٤، **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج١، ص١٤٠.

[٧٢] انظر: **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٠، **ونيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٣.

[٧٣] انظر: **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٦، **وحاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط٥، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص١١٩.

[٧٤] انظر: **معالم السنن**، الخطابي، ج١، ص١٦٦، **ونيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٣.

[٧٥] يقول ابن قدامة: "وفي المرأة والحمار روايتان، إحداهما: لا يقطع الصلاة إلا الكلب الأسود، نقلها عنه الجماعة... والثانية: أن المرأة والحمار يقطعان الصلاة". **الشرح الكبير**، ابن قدامة، ج١، ص٦٣٠ - ٦٣١، وانظر: **معالم السنن**، الخطابي، ج١، ص١٦٦، **ونيل الأوطار**، الشوكاني، ج٣، ص١٣.

[٧٦] انظر: **الشرح الكبير**، ابن قدامة، ج١، ص٦٣٢.

[٧٧] يقول ابن تيمية: "ويقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود والبهيم...". **الفتاوى الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٥، ص٣٣٩، ويقول: "... مع أن المتوجه أن الجميع يقطع، وأنه يفرق بين المار واللابث، كما فرق بينهما في الرجل في كراهة مروره دون لبثه في القبلة، إذا استدبر المصلي، ولم يكن متحدثاً، وأن مروره ينقص ثواب الصلاة دون اللبث". **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، ج٢١، ص١٤، **والقواعد النورانية الفقهية**، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، (مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، ج١، ص١٠.

[٧٨] يقول ابن القيم: "ومعارِض هذه الأحاديث قسمان: صحيح غير صريح، وصريح غير صحيح، فلا يترك العمل بها لمعارض هذا شأنه". **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٣٠٦.

[٧٩] يقول البهوتي: "وتبطل الصلاة بمرور كلب أسود بهيم (أي لا لون فيه سوى السواد) إذا مر بين المصلي وسترته، أو بين يديه قريباً في ثلاثة أذرع فأقل من قُدامه إن لم تكن سترة". **الروض المربع شرح زاد المستقنع**، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (دار الفكر، بيروت، د. ت) ج١، ص٧٧.

وتجدر الإشارة إلى أن الحنابلة الذين يختارون هذا القول، وكذلك من يقول به من العلماء المعاصرين، يقيدون الكلبَ كونَه أسود بَهيم (أي لا لون فيه سوى السواد)[84]، قال ابن قدامة: "ولا يقطع الصلاة شيء سوى ما ذكرنا، لا من الكلاب ولا من غيرها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم خصها بالذكر"[85].

ويفرقون كذلك بين الجارية التي لم تبلغ وبين البالغ، فلا تبطل الصلاة بمرور الجارية؛ لأن الحديث قال: "المرأة"، والمرأة إذا أطلقت لم يُرد بِها إلا البالغ، ولهذا قَالَتْ عَائشَة: "إذا بلغت الجارية تسع سنين فَهِي امرأة"[86].

وقيد بعضهم المرأة بالحائض. قال الصنعاني: "وتقييد المرأة بالحائض يقتضي -مع صحة الحديث- حمل المطلق على المقيد، فلا تقطع إلا الحائض، كما أنه أطلق الكلب عن وصفه بالأسود في بعض الأحاديث، وقيد في بعضها به، فحملوا المطلق على المقيد، وقالوا لا يقطع إلا الأسود فتعين في المرأة الحائض حمل المطلق على المقيد"[87].

وقال بعضهم: إن المراد بالمرأة الحائض في الحديث يعني البالغ. يقول الشيخ عبد العزيز ابن باز: "وفي حديث ابن عباس: "المرأة الحائض، أي البالغة"[88]. ونقل الأعظمي عن الشيخ الألباني أنه قال: "الذي يظهر لي أن المراد بالحائض هنا –يعني حديث الباب- إنما هي المرأة البالغة، فهو كالحديث الآخر "لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار"؛ فإن التفريق بين المرأة الطاهرة وغير الطاهرة أي الحائض أمر عسير يبعد تكليف الناس بمثله فتأمل"[89].

هذا أهمُّ ما اتخذه العلماء من الطرق للتوفيق بين حديث قطع المرأة والحمار والكلب للصلاة وبين الأحاديث التي تعارضه في الظاهر. وننتقل الآن إلى المبحث الثاني، وهو مخصص لعرض ما وجد من الاستشكال لهذا الحديث في القديم والحديث.

---

[80] قال ابن قاسم: "واختاره هو (يعني ابن تيمية) والمجد والشارح والناظم وغيرهم". **حاشية الروض المربع**، ابن قاسم، ج٢، ص١١٩.

[81] انظر: **مجموع فتاوى ابن باز**، عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٨م)، ج٢٩، ص٣٢٩ - ٣٣٢.

[82] انظر: **الشرح الممتع، العثيمين**، ج٣، ص٢٨٦.

[83] انظر: **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، الألباني، ج١، ص١٤٠.

[84] انظر: **الفتاوى الكبرى**، ابن تيمية، ج٥، ص٣٣٩، **الروض المربع**، البهوتي، ج١، ص٧٧.

[85] **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، (دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص٨١.

[86] انظر: **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٢، **والشرح الممتع**، والعثيمين، ج٣، ص٢٨٦٤.

[87] **سبل السلام**، الصنعاني، ج١، ص١٤٥.

[88] **مجموع فتاوى ابن باز**، ج٢٩، ص٣٣٠.

[89] **صحيح ابن خزيمة**، ج٢، ص٢٢، رقم: ٨٣٢.

## المبحث الثاني

## استشكال هذا الحديث والاعتراض عليه في القديم والحديث

### المطلب الأول: استشكاله عند المتقدمين

هناك بعض المواقف لبعض المتقدمين من حديث قطع المرأة للصلاة، يمكن اعتبارها استشكالات منهم لهذا الحديث، وفيما يلي ذكر لما تم الوقوف عليه من تلك الاستشكالات:

١. استشكال عائشة رضي الله عنها:

إن أول من صدر منه ما يمكن اعتباره استشكالا لهذا الحديث هو عائشة رضي الله عنها، ففي صحيح مسلم: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: "قَالَتْ عَائِشَةُ مَا يَقْطَعُ الصَّلاَةَ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ. فَقَالَتْ إِنَّ الْمَرْأَةَ لَدَابَّةُ سُوْءٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُعْتَرِضَةً كَاعْتِرَاضِ الْجِنَازَةِ وَهُوَ يُصَلِّي"[٩٠].

وفي رواية: "عن عَائِشة وَذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلاَةَ: الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكِلاَبِ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي، وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَنْسَلُّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ"[٩١].

وفي رواية قالت: "عَدَلْتُمُونا بِالْكِلاَبِ وَالْحُمُرِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي مُضْطَجِعَةً عَلَى السَّرِيرِ، فَيَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَتَوَسَّطُ السَّرِيرَ فَيُصَلِّي، فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْنَحَهُ، فَأَنْسَلُّ مِنْ قِبَلِ رِجْلَي السَّرِيرِ، حَتَّى أَنْسَلَّ مِنْ لِحَافِي"[٩٢].

إذن فعائشة رضي الله عنها تستنكر على من يقول عندها: إن المرأة و الحمار والكلب تقطع الصلاة، وترى أن في هذا الكلام مشابَهة ومعادلة بين المرأة وبين الحمير والكلاب!

٢. اشتشكال ابن عباس رضي الله عنهما:

ثم الذي يمكن أن يعتبر كلامه بعد عائشة كاستشكال لهذا الحديث هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حيث روى الإمام أحمد بسنده عن الحسن العُرني، قال: "ذُكِرَ عِندَ ابنِ عَبَّاسٍ: يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ. قَالَ: بِئْسَمَا عَدَلْتُمْ بِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ كَلْباً وَحِمَاراً! لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقْبَلْتُ عَلَى حِمَارٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِالنَّاسِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ قَرِيباً مِنْهُ مُسْتَقْبِلَهُ، نَزَلْتُ عَنْهُ، وَخَلَّيْتُ عَنْهُ، وَدَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي صَلاَتِهِ، فَمَا أَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ، وَلاَ نَهَانِي عَمَّا صَنَعْتُ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَجَاءَتْ وَلِيدَةٌ تُخَلِّلُ الصُّفُوفَ، حَتَّى عَاذَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَمَا أَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

[٩٠] **الجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج، كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي، ج٢، ص٦٠، رقم: ١١٧٠.

[٩١] المرجع نفسه، ج٢، ص٦٠، رقم: ١١٧١.

[٩٢] المرجع نفسه، ج٢، ص٦٠، رقم: ١١٧٢.

وسلم صَلاَتَهُ، وَلاَ نَهَاهَا عَمَّا صَنَعَتْ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فِى مَسْجِدٍ، فَخَرَجَ جَدْيٌ مِنْ بَعْضِ حُجُرَاتِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَذَهَبَ يَجْتَازُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفَلاَ تَقُولُونَ: الْجَدْي يَقْطَعُ الصَّلاَةَ؟"[٩٣].

إذن فابن عباس رضي الله عنهما قد استشكل كون المرأة المسلمة قد اصطُفّت في صفوف الحيوانات في قطع الصلاة، لذا أنكر على أصحابه قائلاً: "بِئسما عَدَلْتُم بامرَأَةٍ مُسلِمةٍ كلباً وَحِماراً"!

٣. استشكال الإمام أحمد رحمه الله:

سبق ما نقله الترمذي عن الإمام أحمد أنه قال: "الذي لا أشك فيه أن الكلب الأسود يقطع الصلاة، وفي نفسي من الحمار والمرأة شيء"[٩٤].

فيمكن أن يُفهم أنّ الإمام أحمد بهذا الكلام يستشكل كون المرأة والحمار يقطعان الصلاة. وهذا الاستشكال سببه أنه لم يجد في الكلب الأسود ما يعارضه، بينما وجد في الحمار حديث بن عباس -رضي الله عنهما- الذي سبق ذكره، وهو أنه مرّ على حمار بين يدي صفوف المصلين ولم ينكر عليه، وكذلك وجد في المرأة حديث عائشة -رضي الله عنها- السابق الذِّكر أيضاً، أنّها كانت تعترض أمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي[٩٥].

هذا ما وقف عليه الباحث من كلام المتقدمين مما يمكن اعتباره استشكالاً لِهذا الحديث عندهم.

**المطلب الثاني: استشكاله والاعتراض عليه في العصر الحديث**

أما في العصر الحديث، فقد واجه هذا الحديث استشكلات كثيرة، بل إن كلام بعضهم يخرج عن نطاق الاستشكال إلى مرحلة الاعتراض والاتّهام، وقد سبق في التمهيد لهذا البحث نقل نماذج من كلام المعاصرين في هذا الموضوع ما يغني عن إعادتها في هذا المكان، ولكن سيقوم الباحث في هذا المكان بذكر خلاصة ما يتضمنه كلامهم من الاستشكالات والاعتراضات:

أولاً: أن هذا الحديث يدل على أن الإسلام يحتقر المرأة، ويعتبرها مثل الحمار والكلب الأسود.

ثانياً: أن هذا الحديث جعل الرجال كالحيوانات التي تثار شهوتُها بمجرد مرور المرأة أمامهم، فكأن المرأة أداة إثارة والرجل حيوان بري.

ثالثاً: أن مثل هذا الحديث لا يقبله العقل ولا المنطق، فهو بحاجة إلى أن نراجع صحتها، حيث يبدو أنه حديث موضوع، ومن تأليف رجال الدين.

رابعاً: أن هذا الحديث مزعج جداً.

---

[٩٣] **المسند**، بن حنبل، ج١، ص٢٤٧، رقم: ٢٢٢٢، وقال الأرنؤوط: "حسن".

[٩٤] **سنن الترمذي**، ج٢، ص١٦١، رقم: ٣٣٨.

[٩٥] **فتح الباري**، ابن حجر، ج١، ص٥٨٩.

خامساً: أن فكرة هذا الحديث مأخوذة من الديانة اليهودية والمسيحية التي تعتبر المرأة نجسة دنسة، حيث إن هذا الحديث يضع المرأة والحمار والكلب في مرتبة واحدة.

فهذه خلاصة ما في هذا العصر من الاستشكلات والاعتراضات على هذا الحديث، واتّهام الإسلام -لأجله- بتحقير المرأة، واعتبارها واحدة من الحيوانات النجسة. وفي المبحث التالي استعراض بعض ما عند العلماء من الحلول لما يوجد من الاستشكالات لهذا الحديث في القديم والحديث.

## المبحث الثالث

## الحلول العلمية لاستشكال هذا الحديث والاعتراض عليه في القديم والحديث

يختلف لون حلول العلماء لاستشكال هذا الحديث في القديم عنه في الحديث، حيث كانت الحلول عند القدماء مركزاً على الجمع بين هذا الحديث وبين ما يعارضه في الظاهر، وبيان المراد بقطع الصلاة، ولم يلتفتوا إلى حل استشكال كون المرأة قد وضعت بين الدواب النجسة، أما في العصر الحديث فيوجد من كلام العلماء ما يهتم بحل الاستشكال من هذا الجانب. ولعل السبب راجع إلى الاختلاف بين نوعية الاستشكال في القديم والحديث. وفي المطالب التالية استعراض لبعض الإجابات والحلول. وبالله التوفيق.

### المطلب الأول: حل هذه الاستشكلات عند المتقدمين

المراد بالمتقدمين هنا هم العلماء الذين جاؤوا قبل القرن الخامس عشر الهجري، الموافق للقرن العشرين الميلادي، ففيما يلي ذكر لبعض لحلولهم لاستشكال هذا الحديث:

١. نقَل النووي عن الأئمة: أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، ومالك (ت: ١٧٩هـ)، والشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وغيرهم موقفَهم من هذا الحديث، وتوجيههم له، فقال: "وقال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، رحمهم الله وجمهور من السلف والخلف: لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء، ولا من غيرهم، وتأوَّل هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة، لشغل القلب بهذه الأشياء، وليس المراد إبطالها"[٩٦].

فيُفهم من توجيههم هذا، أنّهم يحاولون أن يزيلوا ما قد يعلق بأذهان بعض الناس، أن المرأة، والحمار، والكلب، يقطعون الصلاة ويبطلونَها، لأجل اشتراكهم جميعاً في الشيطانية والنجاسة مثلاً، فبيَّنوا أن المراد بالقطع هنا هو نقص الصلاة وليس إبطالها، وأن القاسم المشترك بين هؤلاء هو شغل قلب المصلي وذهنه، لا غير.

٢. يقول ابن القيم: (ت: ٧٥١هـ)، "إنْ لم يكن سترةٌ [يعني بين يدي المصلي] فإنَّه صحَّ عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه يقطع صلاته المرأة، والحمار، والكلب الأسود... وكان رسول الله يُصلِّي وعائشةُ رضي

[٩٦] المنهاج، النووي، ج٤، ص٢٢٧.

الله عنها نائمةٌ في قبلته، وكان ذلك ليس كالمارِّ، فإنَّ الرجلَ محرَّمٌ عليه المرور بين يدي المصلي، ولا يكره له أنْ يكون لابثاً بين يديه، وهكذا المرأة يقطع مرورها الصلاة دون لبثها، والله أعلم"[٩٧].

ففي هذا الكلام لابن القيم شيء من الحل لاستشكال عائشة رضي الله عنها لهذا الحديث، حيث بيّن أن الذي يقطع الصلاة هو مرور المرأة وليس لبثها أمام المصلي. ثم بيّن أن سبب القطع لا يرجع إلا خلل موجود في المرأة، وإنما ذلك حكم الشرع فقط، كما أن الرجل أيضاً يحرم عليه المرور بين يدي المصلي.

٣. جاء ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) ليذكر سبب كون المرأة والحمار والكلب الأسود يقطعون الصلاة، فقال: "لما كان المصلي مشتغلاً بمناجاة الله، وهو في غاية القرب منه والخلوة به، أمر المصلي بالاحتراز من دخول الشيطان في هذه الخلوة الخاصة، والقرب الخاص؛ ولذلك شرعت السترة في الصلاة خشية من دخول الشيطان، وكونه وليجة في هذه الحال فيقطع بذلك مواد الأنس والقرب؛ فإن الشيطان رجيم مطرود مبعد عن الحضرة الإلهية، فإذا تخلل في محل القرب الخاص للمصلي أوجب تخلله بعداً وقطعاً لمواد الرحمة والقرب والأنس. فلهذا المعنى -والله أعلم- خُصت هذه الثلاث بالاحتراز منها، وهي: المرأة؛ فإن النساء حبائل الشيطان[٩٨]، وإذا خرجت المرأة من بيتها استشرفها الشيطان[٩٩]... والكلب الأسود: شيطان، كما نص عليه الحديث، وكذلك الحمار؛ ولهذا يستعاذ بالله عند سماع صوته؛ لأنه يرى الشيطان[١٠٠]، فلهذا أمر بالدنو من السترة خشية أن يقطع الشيطان عليه صلاته، وليس ذلك موجباً لإبطال الصلاة وإعادتها. والله أعلم. وإنما هو منقص لها... كما سبق ذكره في مرور الرجل بين يدي المصلي، وقد أمر النبي بدفعه وبمقاتلته، وقال: "إنما هو شيطان"... لكن النقص الداخل بمرور هذه الحيوانات التي هي بالشيطان أخص أكثرُ وأكثر، فهذا هو المراد بالقطع"[١٠١].

---

[٩٧] **زاد المعاد**، ابن القيم، ج١، ص٣٠٦ - ٣٠٧.

[٩٨] هذه الجملة وردت في حديث يُروى مرفوعاً وموقوفاً على عبد الله بن مسعود، ﷺ. وقال الشيخ الألباني: "لاأصل لَهُ مَرْفُوعاً". مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م)، ج٣، ص١٤٣٧. ثم نقل الشيخ عن صاحب "التيسير" أنه قال في الموقوف على ابن مسعود: "وإسناده حسن". ولم يعلق عليه. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، (دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٥، ص٨١، رقم: ٢٠٥٩.

[٩٩] روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن مسعود، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ": وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ". سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب، ج٣، ص٤٦٨، رقم: ١١٧٣. وقال ابن رجب: "إسناده كلهم ثقات". فتح الباري، ابن رجب، ج٥، ص٣١٨. وقال الألباني: "صحيح". صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة المعارف، الرياض، ط٥، د.ت)، ج١، ص٨٣، رقم: ٣٤٦.

[١٠٠] يشير إلى حديث أبى هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً". الجامع المسند الصحيح، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ج٣، ص١٢٠٢، رقم: ٣١٢٧، والجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، ج٤، ص٢٠٩٢، رقم: ٢٧٢٩.

[١٠١] **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٣، رقم: ٧١٤.

إذن فيحاول ابن رجب أن يبيّن أن العلة في قطع هؤلاء الثلاث للصلاة ليس لشيء لهؤلاء دخل فيه، وإنما ذلك خلق الله وقدره الكوني، حيث جعل علاقة الشيطان بهؤلاء أكثر من غيرها، إذن فلا تلام المرأة بذلك، لأنه ليس من صنع يدها. كما يفهم من كلامه أن سبب قطع المرأة للصلاة لا يرجع إلى أنّها مخلوقة نجسة، كما قد يفهمه البعض، لكونها قد ذكرت مع حيوانات نجسة.

وقال ابن رجب أيضاً –تعليقاً على ما قد يفهم من الاستشكال من ابن عباس حول هذا الحديث خلال كلامه السابق-: "... ومراد ابن عباس، أنه ليس كل ما أُمر بدفعه ومنعه من المرور تبطل الصلاة بمروره، ولا يقطعها بمعنى أنه يبطلها، وإن كان قد يسمى قطعاً باعتبار أنه ينقصها"[١٠٢].

إذن فالحافظ ابن رجب في هذا التعليق يريد أن يصحح ما قد يفهم من كلام ابن عباس، أن مراده إنكار كون المرأة تقطع الله، بل كان ابن عباس يعرف أن المرأة تقطع الصلاة ولكن كان قد فهم من حال أصحابه أنهم لم يفهموا المراد بالقطع هنا، فظنوا أنه يعني إبطال الصلاة لنجاسة هؤلاء الثلاث، فأراد أن يبين لهم أن قطع هؤلاء للصلاة كقطع غيرهم لها. وإن كان قطع هؤلاء المذكورين قد يزيد في مقدار القطع أكثر من غيرهم.

٤. والحافظ العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، عندما يذكر العلة في قطع الكلب الأسود والحمار والمرأة للصلاة، ذكر العِلل نفسها التي ذكرها ابن رجب، مع الاستدلال على كلامه بالأدلة نفسها[١٠٣].

٥. ثم جاء الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) ليسهم في حل الاستشكال الذي يُفهم من كلام عائشة في حديثها السابق، أنّها لما سمعت من يقول: "يقطع الصلاة المرأة، والحمار والكلب" قالت: "إِنَّ الْمَرْأَةَ لَدَابَّةُ سُوْءٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِى بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُعْتَرِضَةً كَاعْتِرَاضِ الْجِنَازَةِ وَهُوَ يُصَلِّي"، يقول الحافظ: "وفي النسائي من طريق شعبة عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عنها في هذا الحديث: "... فأكره أن أقوم فأمر بين يديه، فأنسل انسلالاً". فالظاهر أن عائشة إنما أنكرت إطلاق كون المرأة تقطع الصلاة في جميع الحالات، لا المرور بخصوصه"[١٠٤].

إذن فالحافظ ابن حجر يرى أن عائشة كانت تعرف أن مرور المرأة بين يدي المصلي يقطع صلاته، ولكنها فهمت من حال أصحابها، أنّهم يظنون أن المرأة تبطل الصلاة بقربها من المصلي، لعلة ملابِسة لجسدها، -النجاسة أو الشيطانية مثلاً- لذا أنكرت عليهم هذا الفهم.

٦. والشيخ البهوتي (ت:١٠٥١هـ)، يصرّح بأن ذكر المرأة هنا مع الحمار والكلب، ليس لعلة كونهم جميعاً شياطين، بل الشيطان من بينهم الكلب الأسود فقط، فقال رحمه الله: "وتبطل الصلاة بمرور

---

[١٠٢] **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٥.

[١٠٣] **طرح التثريب في شرح التقريب**، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين ابن دقيق العيد، الطبعة المصرية القديمة، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص٣٩٢.

[١٠٤] **فتح الباري**، ابن حجر، ج١، ص٥٨٩.

كلب أسود بَهيم (أي لا لون فيه سوى السواد) إذا مر بين المصلي وسترته... وخُص الأسودُ بذلك لأنه شيطان فقط، أي لا امرأة وحمار شيطان، وغيره" أي وغير الكلب الأسود"[١٠٥].

٧. أما الشيخ السندي (ت: ١١٣٨هـ) في شرحه لصحيح البخاري، فيرى أن عائشة أنكرت على أصحابِها بقولها: "شبهتمونا بالحمر والكلاب"، لأن حديث الباب لم يبلغها، ولو أنه بلغها لما قالت ذلك، لأن الحديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقطع هؤلاء الثلاث الصلاة بمرورهم بين يدي المصلي، وليس بكونهم أمامه. يقول السندي: "هذا الكلام من عائشة دليل على أنه ما بلغها الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بقطع الأمور المذكورة برواية معتمدة، فكانت تنكر هذا الخبر، وترى أنه من تصنع الحاضرين عندها، أو تصنع مشايخهم. والله تعالى أعلم. ثم استدلال عائشة لا يخلو من ضعف إذ ليس فيما ذكرت مرور امرأة بين يدي المصلي، ومحمل حديث يقطع الصلاة الكلب وغيره على المرور. والله تعالى أعلم"[١٠٦].

هذا ما يمكن ذكره هنا من أجوبة المتقدمين وحلولهم للاستشكالات حول هذا الحديث.

**المطلب الثاني: حل هذه الاستشكلات عند المعاصرين**

في هذا المطلب يتم استعراض شيء من أجوبة العلماء المعاصرين وحلولهم للاستشكالات الموجودة حول هذا الحديث. وأعني بالمعاصرين من جاؤوا في القرن الخامس عشر الهجري، والقرن العشرين والحادي والعشرين الميلادي. وبالله التوفيق.

١. ذكر الشيخ عطية محمد صقر (ت: ٢٠٠٦م)[١٠٧]، كلاماً أبدى فيه رأيه حول هذا الحديث، فأكّد أن ذِكر المرأة مع الحمار والكلب فيه لا يعني تحقيراً للمرأة أبداً، ولكن الموضوع أساسه الاحتياط لعدم الانشغال في الصلاة رهباً بمثل الكلب الأسود والحمار، ورغباً بمثل المرأة، يقول: "وأثرها في الانشغال لا يُنْكَر، ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى الانشغال بمثل ذلك، فما كان يبالي كما تذكر الروايات، ولكن غيره يتأثّر في أغلب الأحوال على الوجه المذكور". ثم بيّن الشيخ بأن قطع الصلاة بِهذه الثلاثة لا يعني إبطالها، "بل قد يكون المقصود إبطالَ الخشوع فيها أو نقْصَه، لما يَحدُث للمصلِّي من خوف من هذين الحيوانين، واشتهاء للمرأة، وفيهن حَثٌّ على اتخاذ السُّترة حتى لا تَسمَح بمرور هذه الأشياء أمامه"[١٠٨].

إذن فالشيخ عطية يرى أن العلة لقطع المرأة للصلاة ليست هي العلة نفسها لقطع الحمار والكلب لها، وإن اشتركوا جميعاً في شغل بال المصلي، إلا أن الانشغال بالمرأة يكون اشتهاءً، والانشغال

---

[١٠٥] **الروض المربع**، البهوتي، ج١، ص٧٧، وانظر: **حاشية الروض المربع**، ابن قاسم، ج٢، ص١١٩.

[١٠٦] **حاشية السندى على صحيح البخارى**، محمد بن عبد الهادي السندي، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص٩٦.

[١٠٧] عطية محمد عطية صقر (٢٢ نوفمبر ١٩١٤ - ٩ ديسمبر ٢٠٠٦) كان من كبار علماء الأزهر الشريف، شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء بالأزهر الشريف، وعُضويّة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضوية مجلس الشعب ومجلس الشورى المصري.

[١٠٨] http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=32fc179f52732fde. (19/04/2012)

بالحمار والكلب يكون خوفاً. ولكن مثل هذا التعليل لم يلق اقتناعاً من بعض المعترضين على الحديث، كما مر معنا.

٢. وللشيخ محمد الأمين -حفظه الله- تعليق على هذا الحديث، يحاول فيه كشف بعض الشبهات حوله، ويبدو أنه استفاد من كلام ابن رجب السابق، حيث يقول: "المراد بقطع الصلاة ليس إبطالها، بل تقليل بركتها وثوابها... وأما تخصيص المرأة والكلب والحمار، فليس معناه أن غيرها لا يقطع بركة الصلاة، وإلا لم يكن لتأثيم الرجل لأجل مروره بين يدي المصلي معنى، بل لأن هذه الثلاث مظانٌ لوجود الشيطان وفتنته، فيكون القطع من أجلها أبلغ وأشد وأفظع من غيرها، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المرأة تُقْبِل في صورة شيطان، وَتُدْبِرُ في صورة شيطان"[١٠٩]، وورد في الحمار أنه ينهق حين يرى الشيطان[١١٠]، وأما الكلب فقد ورد في الحديث أن الكلب الأسود شيطان... فهذه الأمور الثلاثة تشغل بال المصلي أكثر من غيرها، فلذلك ذكرها، لكنها ليست على سبيل الحصر... والصحابة لم ينكروا تلك الأحاديث، بل أنكروا فهْم هؤلاء التابعين لها... فقد فهموا الحديث أن مرور هؤلاء الثلاثة –حصراً– يبطل الصلاة، فأوضحت لهم [يعني عائشة] أن مرور المرأة لا يبطل الصلاة"[١١١].

إذن فالشيخ محمد الأمين يرى مثل رأي ابن رجب في هذه المسألة، وقد سبق ذكر رأيه، والتعليق عليه، فلا أعيده. إلا أن ابن رجب زاد على هذا الرأي أن الصلاة تعاد بمرور هؤلاء، استحباباً لا وجوباً.

٣. وهناك كلام للدكتور خالد بن عبد العزيز السيف -عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم- أكد فيه هو أيضاً أن اقتران المرأة بهذين الحيوانين لا يدل على أنّهم جميعاً تجمعهم علة واحدة، مع محاولة البيان بشكل فيه تطور أكثر، حيث قال: "إنه ليس فيه تشبيه المرأة بالحمار والكلب الأسود، ووجود الثلاثة في سياق واحد لا يعني أنّها متماثلة في عللها التي تقطع بها الصلاة، بمعنى أنه لا يلزم أن العلة من كون الكلب الأسود يقطع الصلاة هي نفس العلة المحققة في الحمار أو المرأة، والاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم، كما في قوله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﴾ (الفتح: ٢٩)، فإن الجملة الثانية معطوفة على الأولى، ولا تشاركها في الرسالة... ولذلك فكون الكلب الأسود شيطاناً لا يعني أن الحمار أو المرأة شيطان، فقد تكون لهذه الثلاثة علل مختلفة... ويمكن أن تستنبط علة لكون المرأة تقطع الصلاة بكون مرور المرأة بين يدي المصلي مما قد يثير في الرجل انتباهه، وقد يشرد به عن الصلاة ... لذلك -والله أعلم- جعلها الشارع مما يقطع الصلاة، وذلك حفاظاً على خشوع الصلاة من أن ينخرم بمثل ذلك"[١١٢].

---

[١٠٩] هو عند مسلم، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. الجامع الصحيح، مسلم بن الجاج، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه، إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، ج٢، ص١٠٢١، رقم: ١٤٠٣.

[١١٠] يشير إلى حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

[١١١] موقع الشيخ محمد الأمين http://www.ibnamin.com/qaradawi.htm#_Toc13728513 .(19/04/2012)

[١١٢] الدكتور خالد بن عبد العزيز السيف، **حديث قطع المرأة للصلاة وتُهمة التحقير**، موقع ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=13120 .(19/04/2012)

ففي هذا الكلام تقرير عدمَ اشتراك الثلاثة في علة واحدة، ثم يشير إلى ما قد يكون هو العلة في المرأة، وهي كونُها تجذب انتباه الرجل. وهذا الذي يرفضه بعض المعاصرين المعارضين، كما سبق.

٤. وهناك كلام لواحد من أعضاء "ملتقى أهل الحديث"، رمز لاسمه بـ"العميد"، يؤكد في تعليقه في موقع الملتقى أن الشبه بين المرأة والحمار والكلب في هذا الحديث هو الشبه في قطع الصلاة فقط، وليس فيه المساواة بينهم في القدْر والقيمة؛ "لأن الشبه في قطع الصلاة لا تعني المساواة في القيمة"، ثم يضرب مثلاً لذلك قائلاً: "الإنسان يحتاج إلى الغذاء حتى يعيش، والحيوان يحتاج أيضاً إلى الغذاء حتى يعيش، فإذن الإنسان يتساوى مع الحيوان في الحاجة إلى الغذاء ليعيش، ويشبهه في ذلك، ووجه الشبه هنا والتساوي هو في الحاجة إلى الغذاء، وليس التساوي في القيمة والدرجة والقدر"[١١٣].

٥. ثم علّق عضو آخر في الملتقى نفسه، اسمه ماجد اليماني بتعليق يؤكد فيه أيضاً أن هذا الحديث ليس فيه التسوية بين المرأة والكلب والحمار، وليس فيه إهانة بالمرأة أبداً، بل إن القاسم المشترك بينهم هو قطع الصلاة، ويضرب مثلاً لذلك قائلاً: "كما لو قال قائل: يَحرُم أكل لحم الإنسان والحمار والخنزير، فإنه لا يقصد أدنى شَبَه بين هذه المذكورات، سوى القاسم المشتَرك بينها، وهو تحريم الأكل"[١١٤].

٦. ويؤكد أبو يوسف التواب المعنى نفسه، وجاء بمثال آخر، يقول: "المراد المشابَهة في قطع الصلاة، لا في كل شيء، وخذ على ذلك مثلاً: لو قلنا: أكل لحم الإبل ينقض الوضوء، وخروج البول من السبيل ينقض الوضوء، فهل يعتبر هذا تشبيهاً للأول بالثاني في غير الحكم؟!"[١١٥].

٧. وأضافت العنود المطيري مثالاً بما يُروى عَن ابن عمر، رضي الله عنهما، أَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم نهَى أَن يُصلى فِي سَبْعَة مَوَاطِن: فِي المزبلة، والمجزرة، والْمقْبرَة، وقارعة الطَّرِيق، وفِي الْحمام، وَفِي معاطن الْإِبِل، وَفَوق ظهر بَيت الله"[١١٦]. تقول العنود: "فقد عطف الصلاة على ظهر الكعبة -شرفها الله- بالمواطن الست الأُخر.. ومثله عطف المرأة على الحمار والكلب"[١١٧].

---

[١١٣] **ملتقى أهل الحديث** http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=13120. (19/04/2012)

[١١٤] المصدر السابق.

[١١٥] **ملتقى أهل الحديث** http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=119058. (19/04/2012)

[١١٦] أخرجه الترمذي وقال: "حديث ابن عمر إسناده ليس بذاك القوي، وقد تُكلم في زيد بن جبيرة من قبل حفظه، وقد روى الليث بن سعد هذا الحديث، عن عبد الله بن عمر العمري، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر، عن النبي ﷺ مثله، وحديث ابن عمر، عن النبي ﷺ أشبه وأصح من حديث الليث بن سعد، وعبد الله بن عمر العمري ضعفه بعض أهل الحديث من قبل حفظه". سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية ما يصلى إليه وفيه، ج٢، ص١٧٧- ١٧٨، رقم: ٣٤٦، وقال المباركفوري: "... رجّح الترمذي رواية زيد بن جبيرة، عن داود، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ على رواية الليث، من أجل عبد الله بن عمر العمري، وفيه نظر ظاهر، بل الأمر بالعكس، لأن زيد بن جبيرة منكر الحديث، متروك الحديث، ضعيف جداً. وأما العمري فروى أحمد بن أبي مريم، عن ابن معين: ليس به بأس، يُكتب حديثه... وقال أحمد بن حنبل: صالح، لا بأس به.... على أن الليث بن سعد رواه عند ابن ماجه، عن نافع من غير واسطة العمري... فالظاهر أن حديث الليث حديث حسن". مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص٤٥١.

[١١٧] **ملتقى أهل الحديث** http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=119058. (20/05/2012)

هذا ما يمكن عرضه هنا من أجوبة المعاصرين وحلولهم للاستشكالات حول هذا الحديث والاعتراضات عليه.

### المطلب الثالث: رأي الباحث في هذه المسألة

الذي يراه الباحث راجحاً في هذه المسألة، هو أن الشارع قد جعل مرور المرأة والحمار والكلب الأسود بين المصلي وبين سترته أو مكان سجوده يقطع الصلاة، -بإبطلالها أو نقْصِها نقصاً أكثر من الذي يحصل من مرور غير هؤلاء- لعِلة يعلمها الله تعالى. وقد تكون هذه العلة كامنةً في الشيء الذي يجمع بين هؤلاء الثلاثة من العلاقة ذات الصلة بالشيطان، كما في الحديث الصحيح: "الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَت اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ"[118]، وحديث الصحيحين: "إِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ"[119]، وفي حديث أبي ذر عند الإمام مسلم: "الكَلبُ الأَسودُ شَيطانٌ"[120]. وإنما تم ترجيح هذا عند الباحث؛ لأن التعليل بأن قطع الصلاة بمرور هؤلاء الثلاثة لشغل قلب المصلي بها، وشرود ذهنه لأجلها غير مستقيم؛ لأن في الحديث أن مرور هؤلاء لا يقطع الصلاة مع وجود سترة ولو كانت مثل مؤخرة الرحل، وشغل القلب وشرود الذهب لا ينتفيان لوُجود سترة مثل مأخرة الرحل، وأيضاً يكون الانتباه، وشرود الذهن بمرور بعض الحيوانات أشد مما يحصل بمرور الحمار أو الكلب الأسود، مثل الحصان، والفيل، والزرافة، ولم يذكر الحديث حيواناً غير الحمار والكلب الأسود. وأيضاً قد يكون المصلي أعمى، وقد يكون ذلك ليلاً بحيث لا يشعر بِمن يَمر أمامه، والحديث يعم هذه الأحوال كلها[121].

فيرى الباحث أن الصلاة تعاد -وجوباً أو استحباباً- بمرور هذه الثلاثة بين يدي المصلي المنفرد أو الإمام. مع الجزم بأنه ليس في اشتراك المرأة مع الحمار والكلب الأسود في هذا الحكم أية إهانة بقدر المرأة، أو تنقيصٌ من شأنها وقيمتها، أو تنجيسٌ لجسدها وبدنها، بل إن ذلك من خَلق الله تعالى وقَدْره الكوني لا الشرعي، وليس على المرأة لوم في كون مرورها تقطع الصلاة، ما لم تتعمد المرور دون حاجة. والله أعلم. وبالله التوفيق.

### الخاتمة:

مع نهاية هذا البحث يمكن عرض ما تضمنه من النتائج في النقاط التالية:

١. إن من الأحاديث الصحيحة التي استشكل المراد به في القديم والحديث حديث: "يقطع الصلاة المرأة، والحمار، والكلب"، وهناك ألفاظ أخرى صحيحة لهذا الحديث فيها بعض الزيادات، مثل ذكر ما يقي ذلك القطع من السترة، ووصْف المرأة بالحائض، والكلب بالأسود. وهناك ألفاظ أخرى لم تثبت، مثل زيادة الكافر، واليهودي، والنصراني، والمجوسي، والخنزير.

[118] سبق تخريجه.

[119] سبق تخريجه.

[120] سبق تخريجه.

[121] انظر: **فتح الباري**، ابن رجب، ج٢، ص٧١٣.

٢. هناك أحاديث تعارض هذا الحديث في الظاهر، منها ما هو صحيح، مثل حديث عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تعترض أمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاء راكباً أتاناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، فمر بها بين يدي بعض الصف، فلم ينكر ذلك عليه أحد. ومنها ما ليس بصحيح، مثل حديث الفضل ابن العباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في صحراء، وحمارة وكلبة تعبثان بين يديه ولم يبال بذلك، وحديث أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقطع الصلاة شيء".

٣. إن العلماء يختلفون في طريقة التوفيق بين هذه الأحاديث، فمنهم من يرجح الأحاديث الدالة على عدم قطع الصلاة بهؤلاء على التي تقول بالقطع، ومنهم من يقول: إن أحاديث عدم القطع ناسخة، للتي تقول بالقطع، ومنهم من يسلك مسلك الجمع، ثم اختلفوا في طريقة الجمع، فمنهم من يؤول القطع بنقص الصلاة، ومنهم من يقول بقطع الصلاة بالمرأة والكلب والحمار على الأحوال كلها إلا في حالة اعتراض المرأة أمام المصلي فقط، ومنهم من قال بقطع المرأة الحائض والكلب الأسود فقط، ومنهم قال بقطع الكلب الأسود فقط، ومنهم قال إن الصلاة تقطع بمعنى تبطل بمرور المرأة والحمار والكلب الأسود بين يدي المصلي المنفرد أو الإمام بدون سترة. وكل فريق يؤول الأحاديث الأخرى التي تخالف اختياره.

٤. إن أول من نُقل إلينا استشكاله لهذا الحديث هو عائشة رضي الله عنها، حيث ذُكر عندها هذا الحديث فقالت: "شبهتمونا بالحمير والكلاب"، ثم ابن عباس، حيث ذكر عنده هذا الحديث فقال: "بئسما عدلتم بامرأة مسلمة كلباً وحماراً"، ثم الإمام أحمد، حيث قال: "الذي لا أشك فيه أن الكلب الأسود يقطع الصلاة، وفي نفسي من الحمار والمرأة شيء".

٥. إن هذا الحديث أصبح في العصر الحديث غرضاً للطاعنين في الإسلام والحديث النبوي، فسددوا إليه سهامهم عن طريق هذا الحديث وأمثاله، واتّهموه بامتهان المرأة وتحقيرها وتدنيسها، والتقليل من شأنِها، والحط من مكانتها، وأن الإسلام يساوي بين المرأة وبين الحيوانات المستقذرة؟!

٦. قد وُجد في القديم والحديث حلول للاستشكالات والاعتراضات حول هذا الحديث، فقيل: إن الحديث لا يعني أن هؤلاء يبطلون الصلاة، وإنما ينقصون من أجرها، لشغل قلب المصلي بهم. وقيل: إنما ذكر هؤلاء الثلاثة لأن قدَر الله اقتضى أن يكون للشيطان علاقة خاصة بهؤلاء جميعاً، وليس للمرأة لوم في ذلك، لأنه ليس لها دخل في قضاء الله وقدره. وقيل: إن قطع هؤلاء للصلاة حكم شرعي غير قابل للتعليل، بل الله أعلم بالعلة الكامنة في ذلك، وهؤلاء مشتركون في قطع الصلاة فقط، لا غير، كما إذا قلنا: لحم الإنسان والخنزير حرام أكله، فإن الذي يشترك فيه الإنسان والخنزير هنا هو حرمة الأكل فقط، لا غير.

٧. إن الذي يترجح عند الباحث هو القول بأن المرأة والحمار والكلب الأسود، يقطعون الصلاة – إبطالاً أو نقصاناً شديداً- لعلة يعلمها الله، وقد يكون من العلة اشتراك هؤلاء الثلاثة في علاقة ذات الصلة بالشيطان، فتُعاد الصلاة –وجوباً أو استحباباً- بمرور هؤلاء بين يد المصلي المنفرد أو الإمام، عند عدم السترة. وليس في ذلك تنقيص بقدر المرأة، بل ذلك من قضاء الله تعالى الكوني. والله أعلم.



# شبهة الإسرائيليات في صحيح البخاري والرد عليها

**فائزة بنت أحمد سالم بافرج**

تخصص الكتاب والسنة

أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية



المقدمة:

الحمد لله الذي أجزل لنا المِنَّة، وجمّلنا بأن جعلنا من حملة الكتاب والسنة، وأكرمنا بأن جعلنا من خير أمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أعدها لهول يوم القيامة جُنَّة، وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ عبده ورسوله، أول من يقرع باب الَجَّنة، المبعوث إلى كافة الإنس والجِنَّة، بأبلغ حجةٍ، وأوضح محجةٍ ،ﷺ وعلى آله وصحبه ما أشرق صبح ببُلْجةٍ[١] ، وغَسَق ليلٌ بدلجةٍ[٢] .

أما بعد:

فإن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه الوحي المتلوّ ؛وغير المتلوّ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأقام رسوله ﷺ بينه وبين عباده مقام البيان لوحْيِه وتنزيله قال الله تعال : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٣] ، فبيّن النبي ﷺ ما أنزل إليه من ربه أكمل بيان بقوله، وفعله،وسيرته، هداية للخلق ، وإقامة للحجّة، وبياناً للمحجة، وكان كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ﴾[٤] .

وحيث إن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فقد قيّض الله تعالى لها حُفّاظ من جهابذة أهل العلم بالكتاب والسنة،من الصحابة والتابعين، ومن اقتفى أثرهم ، فقام سلف هذه الأُمّة من الصحابة ﷺ والتابعين ومن بعدهم رحمهم الله تعالى، بتبليغ سنّة رسول الله ﷺ، ونقلوا عنه أقواله وأفعاله وسيرته بكل صدق وأمانة، بإسناد الآخر عن الأول تديناً بذلك لله رب العالمين ، كما قال ابن المبارك-رحمه الله- (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد، لقال من شاء ما شاء)[٥] ، وحفظوا سنته ﷺ واعتنوا بها أكمل عناية.

---

[١] - البلوج الإشراق ، تقول: بلج الصبح يبلج بالضم، أي أضاء . انظر: الصحاح ٣٠٠/١.

[٢] - الدلجة: أول الليل ، يقال: أدلج القوم إذا ساروا أول الليل . انظر: الصحاح ٣١٥/١.

[٣] - سورة النحل آية (٤٤).

[٤] - سورة النجم آية (٣، ٤).

[٥] - مقدمة صحيح مسلم ١٥/١،الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٠٠/٢،للخطيب البغدادي

وبهذا سنّوا للأمة العناية والجهاد في سبيل الحفاظ على السنة النبوية، فنقل التابعون عن الصحابة هذه العناية وورثوها من بعدهم من الأجيال عبر تاريخ الأمة الإسلامية، وكان ممن عني بجمع وتدوين أحاديث رسول الله ﷺ بمنهج بالغ الدقة، الإمام شيخ الإسلام أمير المؤمنين وأستاذ الأستاذين[٦] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري في كتابه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أفعال رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، فحاز قصب السبق في ذلك، إذ كان يستخير الله سبحانه وتعالى في تدوين كل حديث من أحاديث الجامع الصحيح، وقال: (ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين)[٧]، وانتقى أحاديثه من ستمائة ألف حديث ، كما قال : (صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث)[٨]، ولما حظي الجامع الصحيح بهذه العناية من مؤلفه، عني العلماء به عناية فائقة قديماً وحديثاً،بالشرح والتعليق وبيان الأحكام من خلاله، قال ابن خلدون في مقدمته(صحيح البخاري دين في عنق الأمة)، قال النووي : (اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث)[٩]، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام:( وأما جامع البخاري الصحيح، فأجلّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى)[١٠].

إلا أن أعداء الإسلام لم يدخروا جهداً في محاربة الدين الإسلامي ومصادره إما جهاراً أو سراً، فكان من أساليبهم الخفية حماية الدين من الدخائل عليه، ووجهوا سهامهم للصحيحين وغيرهما،لغرض إسقاط ثقة المسلمين بمصادر التشريع مما يؤدي إلى ضعف الأمة الإسلامية ، وكان من سهامهم إثارة الشبهات حول صحيح البخاري ومن هذه الشبهات ، احتواؤه على إسرائيليات ، وقد انتشرت هذه الشبهات عبر المواقع على الشبكة العنكبوتية وروجوا لها بأسلوب المشفق على الدين،وغرروا بأساليبهم عامة المسلمين، ممن يرتاد مواقعهم.

وقد بات الدفاع عن صحيح البخاري ضرورة ملزمة لعلماء المسلمين، حماية لمصادر التشريع،وحماية لأبناء الأمة الإسلامية من الشك في مصادر تشريعهم وأصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ألا وهو (صحيح البخاري).

وهذا البحث ما هو إلا إسهاماً في الذبِ عن سنة رسول الله ﷺ من خلال الذبِّ عن صحيح البخاري.أصح كتب الحديث على الإطلاق.

[٦] - انظر: السراج المنير في ألقاب المحدثين(٤٤٠) تأليف سعد فهمي بلال ، ط : ١٤١٧/١هـ : دار ابن حزم . الرياض.

[٧] - انظر: الجامع الصحيح للبخاري ص (٩)، طبعة ميسرة تولى تيسيرها وقدم لها إبراهيم الأبياري ط : الأولى ١٤٠٤هـ .

[٨] - المرجع السابق.

[٩] - شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١)

[١٠] - الحطة في ذكر الصحاح الستة ١/ ١٧٨.لأبي الطيب السيد صديق حسن القنوجي،ط : ١، دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

وجعلت عنوان البحث (شبهة الإسرائيليات في صحيح البخاري والرد عليها) وتتكون خطة البحث:

- المقدمة
- التمهيد ويتضمن: ويتضمن:التعريف بالإسرائيليات وبيان المراد بها، أسباب تسرّب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث ، حكم رواية الإسرائيليات ، وأقسامها عند العلماء.
- المبحث الأول :التعريف بكتاب صحيح البخاري ،وبيان موقف علماء الأمة الإسلامية منه وأقوالهم فيه.وبيان أهميته ومكانته من مصادر التشريع .
- المبحث الثاني: الشبهات الواردة حول الإسرائيليات في صحيح البخاري.والرد عليها ، بعرض الشبهات،وبيان مواطن الروايات من صحيح البخاري،وطرق الحديث في كتابه إن كانت له طرق أخرى ، والرد على كل شبهة في موضع عرضها.

الخاتمة وتتضمن النتائج.

**التمهيد: معنى الإسرائيليات:**

لفظ جمع مفرده (إسرائلية) نسبة إلى (إسرائيل) وهو:نبي الله،يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم –أبو الأسباط الإثنى عشر- وإليه ينسب اليهود،فيقال:بنو إسرائيل،وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم منسوبين إليه ﷺ في مواضع كثيرة منها قول الله تعالى ﴿ لعن الذين كفروا﴾ [١١]،ولفظ (الإسرائيليات) يطلق للدلالة على القصص الذي يُروَ أصلاً عن مصادر يهودية،ويستعمل عند علماء التفسير والحديث للدلالة على معنى أوسع ، فيشمل كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما،وتوسع بعضهم فعدّوا من الإسرائيليات،ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث،من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم،وإنما هي أخبار من صنعهم،وضعوها بخبث نواياهم،ودسوها على المسلمين، ليفسدوا بها عقائدهم،ويضللونهم عن الإسلام،كقصة الغرانيق [١٢]،وقصة أم المؤمنين(زينب بنت جحش-رضي الله عنها-) وزواج رسول الله ﷺ منها [١٣]،وإنما أُطلق على كل ذلك بـ(الإسرائيليات) نظراً إلى الأصل، لأن أصل النصارى راجع إلى بني

[١١] - سورة المائدة،آية (٧٨).

[١٢] - انظر: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ،محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر:المكتب الإسلامي ، ط:٣: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[١٣] - وردت في بعض التفاسير قصة زواج رسول الله ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش روايات متعددة منها ما ذكره الألوسي في تفسيره ج:٢٣/٢٢،ط:المنيرية[أن رسول الله ﷺ أتى بيت زيد ﷺفرأى زينب رضي الله عنها،جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهرها،فلما نظر إليها،قال:(سبحان خالق النور،تبارك الله أحسن الخالقين)،فرجع،فجاء زيدﷺفأخبرته الخبر،فقال لها:لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ،فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ،فقالت:أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني،فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: أريد أن أطلق زينب،فأجابه بما نص الله تعالى]وقد امتنع الحافظ ابن كثير عن ذكر هذه الرواية وأمثالها وقال:[ذكر أبو حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها،فلا نوردها]تفسير ابن كثير ٤٩١/٣ ط:التجارية.وقد ذكر الشيخ محمد أبو زهرة في مقال له نشره في مجلة لواء الإسلام العدد٨ من السنة٥ [إن هذه القصة من وضع يوحنّا الدمشقي في العهد الأموي،فقد دس ذلك النصراني أن معنى الآية:أن النبي ﷺ رأى زوج زيد في حال أثارت عشقه،فعشقها،وأراد زواجها،فراجت تلك الفرية بين تابعي

إسرائيل ،وقد يكون من باب التغليب،لأن اليهود أكثر من خالط المسلمين من أهل الكتاب،وأكثر القصص أتت من افترائهم وبهتانهم وهم قوم بُهت وإفك مبين، وكان المسلمين يلجأون إليهم في سؤالهم عن أخبار الأمم السابقة،وما غاب عنهم معرفته من أخبار.وذلك لما عُرف عنهم من ثقافة وعلم وأنهم أهل كتاب.

أسباب تسرّب الإسرائيليات إلى التفسير والحديث:

١- كان يقيم بين العرب في الجاهلية،جماعة من أهل الكتاب غالبيتهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب من قديم،والذين هاجروا إليها فرارا مما لحق بهم من تعذيب وتنكيل،فكان نزوحهم جماعات سنة سبعين من ميلاد المسيح عيسى ﷺ [١٤]،ومن الطبيعي أنهم حملوا معهم كتبهم وثقافاتهم، وكانوا يتدارسونها بينهم ويتوارثونها جيلاً بعد جيل ،وكان للعرب في الجاهلية رحلات نحو المشرق والمغرب كما ذكرها القرآن الكريم،وكانوا يلتقون كثيراً من أهل الكتاب فيسمعون منهم قصصهم ويسألونهم أحياناً ليستفيدوا من ثقافتهم،حيث كان العرب أمّة أميّة،ولما جاء الإسلام،وجاء الكتاب الخالد بعلومه وتعاليمه،وكانت دعوة الإسلام أول ما ظهرت وانتشرت بين العرب سكان الجزيرة العربية،وكانت عاصمة الإسلام دار الهجرة(المدينة المنورة)وفي مسجد المدينة كانت تُعقد مجالس رسول الله ﷺ لتعليم الصحابة ،وكان في المدينة قبائل يهودية [١٥]، وكانت تتعايش مع المسلمين وتختلط بهم ،فكانت تنتقل بينهم العلوم والمعارف والثقافات القديمة،وكان رسول الله ﷺ يأتي اليهود في مجالسهم يعرض عليهم الإسلام،وكان بعضهم يرجعون لرسول الله ﷺ ليحكم بينهم فيما شَجَر بينهم،أو ليسألوه عن بعض ما يحتاجون إليه من رأي وحكمة الرسول ﷺ،وكان بعضهم يسأله تعنتاً،وتهكماً،وتحدياً،وقد حكى القرآن الكريم كثيراً من هذا،وكان المسلمين يتناقشون مع اليهود في ملتقياتهم ،وتقع بينهم محاورات ومجادلات، فتسربت ثقافات اليهود وقصصهم بين المسلمين بسبب ذلك[١٦].

٢- دخول عدد من أحبار اليهود وعلماؤهم في الإسلام،أمثال:عبدالله بن سلام[١٧]، وكعب الأحبار[١٨]،وغيرهم،ممن كانت لهم ثقافات يهودية واسعة، وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ،وكان

---

التابعين أنفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه،وقبلها ابن جرير ولم يردها فخر الدين الرازي،فكانت بلا شك أعظم الافتراء،وهي تتجافى عن نسق الآية،وعن خُلق النبيﷺ، ولم يثبت في الصحاح شئ من هذا،ولم ينسب هذا التخريج لأحد من الصحابة ﷺ بطريق يقبل مثله]انظر:هامش الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي،ص ١٤

[١٤] - انظر: تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٢٤/٦،وبنو إسرائيل في أسفارهم لمحمد عزة دروزة ص ٣١٥.

[١٥] - كـ (بني قينقاع،وبني قريظة،وبني النضير،ويهود خيبر،وتيماء،وفدك.) انظر:البداية والنهاية لابن كثير،مكتبة المعارف بيروت

[١٦] - انظر الكامل لابن الأثير ٢٦/٧،ط:الأميرية.

[١٧] - عبدالله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الخزرجي المدني حليف لهم وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام قال المزني عن يحيى بن معين كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله ، سمع النبي ﷺ روى عن قيس بن عباد في ( التعبير ) توفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين .(رجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٣٩٠)

[١٨] - كعب الأحبار بن ماتع أبو إسحاق الحميري أسلم زمن الصديق ﷺ، وسمع عمربن الخطاب ﷺ، سكن الشام، روى عنه أبو هريرة وابن المسيب مات أيام عثمان ، أخرج له :خ د ت س (الكاشف للذهبي ٢ / ١٤٨ )

لذلك أثر في تسرب الإسرائيليات إلى المسلمين،وأُدخلت في التفسير والحديث من باب توضيح المعاني،والاسترشاد بالقصص.

**حكم رواية الإسرائيليات:**

أخذ المسلمون عن أهل الكتاب ونقلوا أخبارهم للعبرة والاتعاظ انطلاقاً من قول النبي ﷺ (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ) رواه البخاري[١٩] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، هذا فيما لم نعلم كذبه أو مخالفته لما أخبر به الكتاب والسنة، وإلا فلا تجوز روايته والاعتبار به .قال صاحب عون المعبود : قال مالك: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا.[٢٠]

وقد ورد في حكم رواية الإسرائيليات أدلة من النصوص الشرعية،ومن آثار الصحابة ﷺ، وكان من الأدلة ما يُستدل بها على الإباحة،ومنها ما يُستدل بها على المنع،وبكل أخذ فريق من العلماء من المفسرين والمحدثين:

**أولاً: أدلة الجواز:**

ورد في القرآن الكريم آيات كريمة تدل على جواز الرجوع إلى أهل الكتاب،وسؤالهم عما يعلمونه من كتبهم فيما يحتاجون إلى معرفته،من ذلك:

١- في مقام الخطاب لرسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك[٢١]﴾، الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمّته ، وكل من شك ، لأن رسول الله ﷺ لم يشك ، فالإباحة بسؤال علماء وأهل الكتاب، من كان منهم على علم بالكتاب ،والسؤال لتأكيد خبر رسول الله ﷺ أنه خاتم الرسل فصفته قد ذكرت في كتبهم، والأمر هنا للإباحة[٢٢].

٢- أخرج البخاري بسنده عن عبدالله بن عمرو ﷺ،أن النبي ﷺ قال:((بلغوا عني ولو آية ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[٢٣].

٣- أخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (إن الله ﷻ ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة، فدخل الكنيسة ، فإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي ﷺ ،أمسكوا – وفي ناحيتها رجل مريض- فقال النبي ﷺ ((مالكم أمسكتم؟)) فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي ﷺ وأمته ،فقال: هذه

---

[١٩] -صحيح البخاري ٣ / ١٢٧٥ ، ك: الأنبياء ، باب : ما ذُكر عن بني إسرائيل.

[٢٠] - عون المعبود ١٠ / ٦٩.

[٢١] - سورة يونس،آية (٩٤)

[٢٢] - قال القرطبي:(الخطاب للنبي ﷺ ،والمراد غيره، أي لست في شك ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان :معنى (فإن كنت في شك ) أي: قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك .فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، أي : يا عابد الوثن إن كنت في شك من القرآن فاسأل من أسلم من اليهود، يعني عبد الله بن سلام وأمثاله، لأن عبدة الأوثان كانوا يُقِرّون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يقرون بأنهم أعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى)،انظر:تفسير القرطبي ٨/ ٣٨٢، فتح القدير٢/٤٧٣.

[٢٣] - سبق تخريجه ص ( ٦ ) ، حاشية (١).

صفتك وصفة أُمَّتِك ، أشهد أن لا إله إلا الله،وأنك رسول الله))[٢٤] ، فقول رسول الله ﷺ لهم ((ما لكم أمسكتم؟)) ،ومن ثم استماعه ﷺ للرجل المريض وهو يقرأ التوراة ، ولم ينكر عليه،دليل على إباحة الأخذ عن كتب أهل الكتاب.

٤- ما ثبت عن بعض الصحابة ﷺ من الأخذ عن بعض من أسلم من أهل الكتاب،والرجوع إليهم وسؤالهم عما في كتبهم،كأبي هريرة ﷺ، وابن عباس ﷺ، وغيرهم،وما ثبت من أن عبدالله بن عمرو ﷺ أصاب يوم اليرموك ، زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدِّث منها[٢٥].

**ثانياً:- أدلة المنع :**

١- ما ورد في القرآن الكريم من آيات دلت على أن اليهود والنصارى قد بدَّلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها، مما يُفقِد الثقة فيما بين أيديهم من كتبهم، وما يروون منها، وما لا يوثق به، لا تجوز روايته أو الأخذ به،من ذلك: قول الله تعالى ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[٢٦].

٢- أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية،ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ((لا تُصدِّقوا أهل الكتاب،ولا تُكذِّبوهم ، وقولوا: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ [٢٧] ))[٢٨]. معنى ذلك:عدم الثقة بما يحدثون به أهل الكتاب،وما لا يوثق به لا تجوز روايته أو الأخذ به.

٣- أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: ((يامعشر المسلمين،كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله ، وغيَّروا بأيديهم الكتاب،فقالوا:هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط ، يسألكم عن الذي أُنزِل عليكم))[٢٩].

٤- ما جاء من حديث جابر بن عبدالله ﷺ،أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبيﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه ، فغضب ، فقال: ((أَمُتَهَوِكونَ فيها يابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ، لا تسألوهم عن شئ، فيخبروكم بحق فَتُكَذِّبوا به، أو بباطلٍ فَتُصَدِّقُوا به ، والذي نفسي بيده ، لو أن موسى ﷺ كان حياً ، ما وسعهُ إلا أن يتبعني))[٣٠].

[٢٤] - مسند أحمد ٤١٦/١ ،أخرجه الشوكاني في نيل الأوطار ٨/٨،وقال:له أحدايث تشهد،وأخرجه الألباني من طريق آخر في السلسلة الصحيحة ٧٧٩/٧،وقال إسناده صحيح .وأخرجه ابن تيمية من طريق أنس ،في الجواب الصحيح ١٧٣/٥ وقال إسناده صحيح.

[٢٥] - مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ٢٦،ط:الترقي،دمشق.

[٢٦] - سورة النساء آية(٤٦).

[٢٧] - سورة البقرة آية (١٣٦).

[٢٨] - صحيح البخاري ٦ / ٢٦٧٩ ،ك:الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب:قول الرسول ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب شئ.

[٢٩] - صحيح البخاري ٩٥٣/٢، ك: الشهادات، باب: لا يُسئل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها.

[٣٠] - مسند أحمد ٣/ ٣٨٧ ، مصنف ابن أبي شيبة ٣١٢/٥ ، مجمع الزوائد ١٧٤/١.

٤- أخرج عبدالرزاق في مصنفه من طريق حُريث بن ظهير،قال: قال عبدالله-يعني:ابن مسعود- (لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلّوا أنفسهم ، فتُكذِّبوا بحقّ،أو تُصدِّقوا بباطل)،وأخرجه سفيان الثوري من هذا الوجه بلفظ قريب من لفظ عبد الرزّاق، قال ابن حجر:وسنده حسن٣١ .

**للجمع بين أدلة الجواز وأدلة المنع:**

أولاً: أن الأدلة الواردة في القرآن الكريم والتي تبيح سؤال أهل الكتاب،باختلاف مقامها ومساقها تدل على أن الدين الإسلامي ، دين علم ومعرفة وثقافة وسعة إطلاع ،لذلك لم يمنع من سؤال أهل الكتاب ،ومن هذه الآيات:

١- قول الله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ [٣٢]

٢- قول الله تعالى ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[٣٣]

٣- قول الله تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾[٣٤]

٤- قول الله تعالى﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة ﴾ [٣٥]، والمعنى:أسأل اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله،ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم بالمخالفة،وحذِّرهم من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم ، لئلا يحل بهم ما حلّ بإخوانهم وسلفهم.[٣٦]

٥- قول الله تعالى﴿ سل بني إسرائيل﴾ [٣٧]،والمراد من سؤالهم ، تبكيتهم وتقريعهم لإثبات الحجة عليهم، قال الخازن في التفسير الكبير(المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر)[٣٨] ، وغيرها من النصوص التي تجري مجراها .

ثانياً: ورد في القرآن الكريم كثيراً من قصص بني إسرائيل وغيرهم من الأمم السابقة [٣٩] ، كما ورد من حديث رسول الله ﷺ كثير من القصص في أخبار بني إسرائيل ، كقصة الأبرص والأعمى والأقرع[٤٠]،وقصة الغار[٤١]، وجريج العابد[٤٢] وغيرها.

---

والحديث جاء من طرق متعددة في إسناد بعضها – عند عبدالرزاق- (جابر الجعفي)وهو ضعيف.وفي إسناد عند أحمد (مجالد ابن سعيد)وهو ليّن،وفي إسناد عند الطبراني مجهول،واسناد آخر عنده أيضاً فيه(عبدالرحمن ابن اسحاق الواسطي) وهو ضعيف،وقال ابن حجر بعد ما ساق طرق الحديث: ( وهذه جميع طرق الحديث ، وهي وإن لم يكن فيها ما يُحتج به،لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً) انظر: فتح الباري ١٣/ ٣٣٤.

[٣١] - انظر: فتح الباري ١٣ / ٢٥٩.

[٣٢] - سورة يونس آية (٩٤).

[٣٣] - سورة الأنبياء آية ( ٧ ).

[٣٤] - سورة الزخرف آية ( ٤٥ ).

[٣٥] - سورة الأعراف آية ( ١٦٣ )

[٣٦] - انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٧.

[٣٧] - سورة البقرة آية (٢١١ ).

[٣٨] - انظر: تفسير الخازن ١٩٩/١.

كل ذلك يدل على جواز الرجوع إليهم ومعرفة ما عندهم، ولكن الرجوع إليهم يكون فيما لم تصل إليه أيدي التحريف والتبديل مما يُصدِّق ما جاء في القرآن الكريم،ويقيم عليهم الحجة،فإن هم أخرجوا ما عندهم موافقاً لما جاء في القرآن الكريم،أو أخبر به الرسول ﷺ،قامت الحجة عليهم ،ويصح رواية ذلك عنهم ، أما إن حاولوا إخفاء الحق وكتمانه كما فعلوا في إخفاء ما في التوراة من حكم رجم الزاني المحصن ، لولا أن نبّه الله تعالى رسوله ﷺ إلى صنيعهم فحال بينهم وبين ما يقصدون.فلا يصح الأخذ عنهم على الإطلاق ،إنما على وجه ما نأخذ منه العبرة والعظة ،أو يقيم الحجة والبرهان.

ثالثاً: إن ما جاء في كتبهم بعد التحريف والتبديل ،وما يُحدِّث به علماؤهم مما لا يظهر صوابه وموافقته لما جاء في شرعنا فلا يصح روايته لأنهم قوم بُهت ، قد يصدقون ويكذبون،ويخطئون ويصيبون،فلا يمكن أن يُخدع منهم رسول الله ﷺ،ولكن المسلمين فقد يُخدعون ولا يعرفون صدقهم وكذبهم ،فلهذا لا يجوز لمسلم أن يقبل ما يحدثون به على إطلاقه، ولا أن يرده على إطلاقه، بل يقبل منه ما جاء موافقاً لشريعتنا،وجاء عليه دليل من القرآن أو السنة الصحيحة، لأنه حين ذاك يقوم الدليل على أنه مُسَلّم من التحريف والتبديل، وما جاء مخالفاً لما في شريعتنا، أو لنصوص القرآن والسنة ، فذلك دليل على أنه مما طالته أيدي التحريف والتبديل فلا تجوز روايته.لأن إباحة القرآن لنا بسؤالهم،وإذن الرسول ﷺ للحديث عنهم لا يدل على ما كان كذباً منهم وافتراء،بل على ما كان صدقاً وحقاً.

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -:(المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلِم كذبه فلا)[٤٣]. رابعاً :أما ما سكت شرعنا عنه ، ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه،وكان محتملاً، فحكمه التوقف في قبوله، فلا نصدقه ولا نكذبه ، وعليه يُحمل قول الرسول ﷺ ((لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم ))[٤٤] ،أما روايته فجائزة على أنها حكاية عنهم لما عندهم، لأنها تدخل في عموم الإباحة في قول رسول الله ﷺ ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))[٤٥].

خامساً:إذا جاء شئ مما سكت عنه شرعنا - ولم يكن فيه ما يؤيده ،أو يوضحه- عن أحد الصحابة، غير من أسلم من أهل الكتاب،ولا ممن اشتهر عنهم الأخذ عن أهل الكتاب، وكان ذلك بطريق صحيح ،فإن كان قد جزم به ، فهو كالقسم الأول:يقبل ولا يُرَد ، وإن كان لم يجزم به فقبوله أولى من ردّه ، لاحتمال أن يكون الصحابي قد سمعه من النبي ﷺ ، ويضعف احتمال سماعه من أهل الكتاب،خاصة وأنه لم يُشتهر عنه أنه أخذ عنهم.

[٣٩] - كقصة أصحاب الكهف،وأصحاب الأخدود،وغيرها من قصص القرآن الكريم.

[٤٠] - صحيح البخاري ١٢٧٦/٣ ،ك: الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع.

٤١ - صحيح البخاري ١٢٧٨/٣ ،ك: الأنبياء ، باب حديث الغار.

٤٢ - صحيح مسلم ٤ / ١٣٧٩، ك: البر والصلة ، باب : بر الوالدين.

٤٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٧٥/٦).

[٤٤] - سبق تخريجه ص(٧) حاشية (٥).

[٤٥] - سبق تخريجه ص(٦) حاشية (١).

أما إن جاء عن أحد التابعين وكان مما يحتمل الصدق والكذب، فحكمه أن يتوقف فيه ،.فلا يُحكم عليه لا بصدق ولا بكذب.وذلك لما اشتهر أن التابعين أكثروا في الأخذ عن أهل الكتاب،والصحابة لم يكثروا من الأخذ عنهم،فاحتمال ما ذكره التابعي مأخوذ عن أهل الكتاب أرجح ، فلذا التوقف أولى.قياساً على موقف علماء التفسير منه.[٤٦]

<u>سادساً:</u> إن ما ثبت من أن بعض الصحابة،اشتهر عنهم الأخذ عن مَن أسلم من أهل الكتاب ،كأبي هريرة ﷺ،وابن عباس ﷺ ، وأنهم كانوا يرجعون إليهم ويسألونهم، وما روي من أن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحدِّث منها، لا يعارض ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن عباس ﷺ من إنكاره على من يسألون أهل الكتاب، بقوله( كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذي أنزل الله على نبيّه أحدث الأخبار ....) [٤٧]، ولا ما جاء عند عبد الرزاق في مصنفه عن ابن مسعود ﷺ من نهيه عن سؤال أهل الكتاب بقوله(لا تسألوا أهل الكتاب ، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم)[٤٨]، ولا ما أخرجه أحمد في مسنده من إنكار النبي ﷺ على عمر ابن الخطاب ﷺ بقوله(أمتهوكون..)[٤٩]، لأن صحابة رسول الله ﷺ كانوا أعرف الناس بأمور دينهم، وما كانوا يسألون من أسلم من أهل الكتاب ويرجعون إليهم في كل شئ،بل كان لهم منهجاً سديداً،فهم في التحري والدقة والحذر الشديد أكثر من غيرهم ، كما أنهم اشتهروا بعلمهم وفقههم في الدين ،وما كانوا يرجعون لهم في أمور العقيدة والأحكام،وإنما لمعرفة شئ من القصص وحوادث الزمان ، وما ثبت من أنهم رجعوا إليهم يسألونهم في أمور العقائد والأحكام،فلإقامة الحجة،وإقناعهم بصدق ما عندنا،بتصديق ما عندهم له، وما كان يُخشى على عقائد الصحابة لأنهم ما سألوهم إلا بعد أن استقرت أصول الشريعة ورست قواعدها.

وإنكار الرسول ﷺ ،وإنكار الصحابة على من يرجعون إلى أهل الكتاب ، فقد كان في بدء الإسلام وقبل استقرار الأحكام،مخافة التشويش على عقائدهم،قال الحافظ ابن حجر: ( وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية،والقواعد الدينية،خشية الفتنة،ثم لما زال المحذور وقع إذن في ذلك ،لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)[٥٠]

<u>حكم رواية الإسرائيليات :</u>

قسم العلماء حكم رواية الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام[٥١]:

<u>الأول:</u> مقبول: وهو ما عُلِم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك كتعيين اسم الخضر عليه السلام، إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخاري ومسلم[٥٢]، أو ما كان له شاهد من الشرع يؤيده , وله

[٤٦] - انظر:مقدمة ابن تيمية في أصول التفسيرص١٣-٢٧،وانظر التفسير والمفسرون ١/ ١٧٩.

[٤٧] - سبق تخريجه ص (٧) حاشية(٥).

[٤٨] - سبق تخريجه ص (٨) حاشية (٢).

[٤٩] - سبق تخريجه ص (٨) حاشية (١).

[٥٠] - فتح البارئ ٦ / ٣٢ .

[٥١] -الإسرائيليات والموضوعات لمحمد أبو شهبة. ص(١٠٦).

أمثلة كثيرة في القصص النبوي كقصة الكفل وغيرها، , عَنْ سَعْدٍ مَوْلَى طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امْرَأَتِهِ أُرْعِدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ قَالَتْ: لاَ وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلاَّ الْحَاجَةُ فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ. وَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَعْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا. فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ[٥٣]. وقصة بغي بني إسرائيل التي سقت كلباً فغفر الله لها وأدخلها الجنة , عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَغُفِرَ لَهَا))[٥٤].

<u>والثاني:</u> مسكوت عنه: وهو ما لم يُعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ((لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾الآيَةَ))[٥٥]، وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: ((لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُه))، وَقَالَ: حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، حَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، قَالَ: وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ (مُتَعَمِّدًا) فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[٥٦] .

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: ( المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا)[٥٧]. <u>والثالث:</u> مرفوض، وهو ما علم كذبه لتناقضه مع شريعتنا أو مخالفته للعقل، ولا يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته، وإذا رواه المفسر في تفسيره وجب عليه بيانه.قال ابن كثير في مقدمة تفسيره - بعد أن ذكر حديث ((بلّغوا عنّي ولو آيةً، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار))-،((ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد. فإنها على ثلاثة أقسام:-

<u>أحدها:</u> ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح.

<u>الثاني:</u> ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه.

---

٥٢ - صحيح البخاري ٤١/١ك:العلم ،باب الخروج في طلب العلم . صحيح مسلم ١٨٤٧/٤ ،ك:الفضائل ، باب : فضائل الخضر عليه السلام.

٥٣ - مسند أحمد ٢٣/٢. سنن الترمذي ٤/ ٦٥٧ وقال أبو عيسى : حديث حسن.

٥٤ - صحيح البخاري ٣ / ١٢٧٩،ك:الأنبياء ،باب:حديث الغار.

٥٥ - سبق تخريجه ص(٧) ، حاشية(٥).

٥٦ - سبق تخريجه ص ( ٦ ) ، حاشية (١).

٥٧ - فتح البارئ ٦ / ٥٧٥.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمِنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم. وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ دينيّ. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك. كما يَذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعِدّتهم، وعصا موسى من أيِّ شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين بعضهم الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز. كما قال تعالى:﴿ سَيَقُولُون ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ ﴾إلى آخر الآية [٥٨] )[٥٩].

فلا بد من أن نستوعب الأقوال في ذلك المقام , وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل، وفي الصحيح مندوحة عن الضعيف والموضوع.

## المبحث الأول

## التعريف بالإمام البخاري وبكتابه صحيح البخاري، وبيان موقف علماء الأمة الإسلامية منه وأقوالهم فيه. وبيان أهميته ومكانته من مصادر التشريع

### التعريف بالإمام البخاري وبكتابه صحيح البخاري:

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية،وقد حفظها الله تعالى على أيدي مجموعة من علماء المسلمين، الذين تصدوا لحفظ الحديث وتدوينه والعناية بدراسته وتصنيفه وتنقيته من الشوائب التي قد تقدح في صحته ، ووضعوا معاييراً لجودة الأحاديث المقبولة، وعَنَوا ببيان الصحيح والضعيف، ونشأ علم الحديث رواية ودراية ، وكان علماً فريداً ما عرفه العالم قبلهم،وقد نهض بالحديث النبوي دراية ورواية رجال رفعهم الله بالإسلام ، وأعلى بالعلم ذكرهم، وبوأهم ما يستحقون من منزلة وتقدير؛ فهم شيوخ الحديث وأئمة الهدى، ومراجع الناس فيما يستفتون.

وكان الإمام البخاري –رحمه الله- أحد العلماء الأجلاء الذين عنوا بحديث رسول الله ﷺ ، وانتهت إليه رئاسة الحديث في عصره، وبلغ تصنيف الحديث القمة على يديه، ورُزِق كتابه (الجامع الصحيح) إجماع الأمة الإسلامية على قبوله وأجمعوا بأنه أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى، واحتل مكانته في القلوب؛ فكان العلماء يقرءونه في المساجد كما تُتُلى المصاحف، وأوتي مؤلفه من نباهة الصيت مثلما أوتي أصحاب المذاهب الأربعة، وكبار القادة والفاتحين.

[٥٨] - سورة الكهف آية(٢٢).

[٥٩] - تفسير ابن كثير: ٣١/١.

اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي مولاهم، البخاري.فأمَّا الجعفي :فنسبة إلى يمان الجعفي الذي أسلم على يديه المغيرة جَدّ البخاري، وكان قبلُ مجوسيًّا، فنُسِب إليه نسبة ولاء إسلام، وأمَّا البُخاري :فنسبة إلى مدينة( بُخارى ) الواقعة في بلاد ما وراء النَّهر، وهي الآن تقع في الجزء الغربي من جمهورية( أُوزبكستان ).

وُلد (محمد بن إسماعيل البخاري) في مدينة(بخارى) بعد صلاة الجمعة في (١٣ من شوال ١٩٤هـ)، وكانت بخارى آنذاك مركزًا من مراكز العلم تمتلئ بحلقات المحدِّثين والفقهاء، واستقبل حياته في وسط أسرة كريمة ذات دين ومال؛ فكان أبوه عالمًا محدِّثًا، عُرِف بين الناس بحسن الخلق وسعة العلم، وكانت أمه امرأة صالحة، لا تقل ورعًا وصلاحًا عن أبيه، والبخاري ليس من أرومة عربية، بل كان فارسيَّ الأصل، وأول من أسلم من أجداده هو "المغيرة بن بردزبة"، وكان إسلامه على يد "اليمان الجعفي" والي بخارى؛ فنُسب إلى قبيلته، وانتمى إليها بالولاء، وأصبح "الجعفي" نسبًا له ولأسرته من بعده.وقد نشأ البخاري يتيمًا، فقد تُوفِّيَ أبوه مبكرًا ، وتعهدت أمه بالرعاية والتعليم، وأخذت تدفع به إلى العلم وتحببه فيه، وتزين له الطاعات؛ فشب مستقيم النفس، عفَّ اللسان، كريم الخلق، مقبلاً على الطاعة، وما كاد يتم حفظ القرآن حتى بدأ يتردد على حلقات المحدثين، فأقبل على الحديث محبًا شغوفاً ، حتى إنه ليقول عن هذه الفترة: ( أُلْهِمْت حفظ الحديث وأنا في المكتب (الكُتّاب)، ولي عشر سنوات أو أقل). وكانت حافظته قوية، وذاكرته لاقطة لا تُضيّع شيئًا مما يُسمع أو يُقرأ، وما كاد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى حفظ كتب ابن المبارك، و وكيع، وغيرها من كتب الأئمة المحدثين.

الرحلة في طلب الحديث:

اشتهر بالرحلة في طلب العلم ؛ فشدَّ الرحال إلى طلب العلم مبكراً وهو في السادسة عشرة من عمره ، وخرج إلى الحج وفي صحبته أمه وأخوه حتى إذا أدوا مناسك الحج؛ بقي في مكة المكرمة لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ فيها ، ورجعت أمه وأخوه إلى بخارى، وآثر البخاري أن يجعل من الحرمين الشريفين طليعة لرحلاته؛ فظل بهما ستة أعوام ينهل من شيوخهما، ثم انطلق بعدها ينتقل بين أقطار العالم الإسلامي، يجالس العلماء ويحاور المحدِّثين ، ويجمع الحديث ، ويعقد مجالس للتحديث، ويتكبد مشاق السفر والانتقال، ولم يترك حاضرة من حواضر العلم إلا نزل بها وروى عن شيوخها، وربما حل بها مرات عديدة، يغادرها ثم يعود إليها مرة أخرى [٦٠]، ويقول البخاري عن ترحاله: ( دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد).

[٦٠] - نزل في مكة والمدينة وبغداد وواسط والبصرة والكوفة، ودمشق وقيسارية وعسقلان، وخراسان ونيسابور ومرو، وهراة ومصر وغيرها.

**شيوخه:**

ولذلك لم يكن غريبًا أن يزيد عدد شيوخه عن ألف شيخ من الثقات الأعلام، ويعبر البخاري عن ذلك بقوله (كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث لا أذكر إسناده) ويحدد عدد شيوخه فيقول: ( كتبت عن ألف وثمانين نفسًا ليس فيهم إلا صاحب حديث).

ولم يكن البخاري يروي كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ، ومن شيوخه المعروفين الذين روى عنهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، وقتيبة بن سعيد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو حاتم الرازي.

**مؤلفاته:**

صنَّف البخاري ما يزيد عن عشرين مصنفًا، منها:

- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، المعروف بـ الجامع الصحيح.
- الأدب المفرد: وطُبع في الهند والأستانة والقاهرة طبعات متعددة.
- التاريخ الكبير: وهو كتاب كبير في التراجم، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم، وقد طبع في الهند سنة (١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م).
- التاريخ الصغير: وهو تاريخ مختصر للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ومن جاء بعدهم من الرواة إلى سنة (٢٥٦هـ = ٨٧٠م)، وطبع الكتاب لأول مرة بالهند سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م).
- خلق أفعال العباد: وطبع بالهند سنة (١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م).
- رفع اليدين في الصلاة: وطبع في الهند لأول مرة سنة (١٢٥٦هـ = ١٨٤٠م) مع ترجمة له بالأوردية.
- الكُنى: وطبع بالهند سنة (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م).
- وله كتب مخطوطة لم تُطبع بعد، مثل: التاريخ الأوسط، والتفسير الكبير.

**أقوال العلماء في الإمام البخاري:**

شهد العلماء والمعاصرون للبخاري بالسبق في الحديث، ولقّبوه بأمير المؤمنين في الحديث، وهي أعظم درجة ينالها عالم في الحديث النبوي، وأثنوا عليه ثناءً عاطرًا.

قال عمرو بن عليّ الفلاس: ( حديثٌ لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث )، وقال عنه ابن خزيمة: ( ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري ). وقال قتيبة بن سعيد: ( جالست الفقهاء والعباد والزهاد؛ فما رأيت -منذ عقلت- مثل محمد بن إسماعيل، وهو في زمانه كعمر في الصحابة)، قال إسحاق بن راهويه: "اكتبوا عن هذا الشاب - يعني البخاري - فلو كان

في زمن الحَسَنِ لاحتاج إليه الناس، لمعرفته بالحديث وفقهه ، وقبَّله تلميذه النجيب ( مسلم بن الحجاج )-صاحب صحيح مسلم- بين عينيه، وقال له: ( دعني أقبِّل رجليك يا أستاذ الأستاذِين، وسيد المحدِّثين، وطبيب الحديث في علله )[٦١].

## وفاة البخاري:

على الرغم من مكانة البخاري وعِظَم قدره في الحديث فإن ذلك لم يشفع له عند والي بخارى؛ فأساء إليه، ونفاه إلى(خرتنك)؛ فظل بها صابرًا على البلاء، بعيدًا عن وطنه، حتى لقي الله في (٣٠ رمضان ٢٥٦هـ = ٣١ أغسطس ٨٦٩م).

## صحيح البخاري :-

كتاب (الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُنَنه وأيَّامه)، هو أشهر كتب البخاري، وهو أشهر كتب الحديث النبوي. بذل فيه صاحبه جهدًا خارقًا، وانتقل في تأليفه وجمعه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عامًا، هي مدة رحلته الشاقة في طلب الحديث. ويذكر البخاري السبب الذي جعله ينهض إلى هذا العمل، فيقول: كنت عند إسحاق ابن راهويه، فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله ﷺ فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع (الجامع الصحيح).

وعدد أحاديث الكتاب ( ٧٢٧) حديثًا، اختارها من بين ستمائة ألف حديث كانت تحت يديه؛ لأنه كان مدقِّقًا في قبول الرواية، واشترط شروطًا خاصة في رواية راوي الحديث، وهي أن يكون معاصرًا لمن يروي عنه، وأن يسمع الحديث منه، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معًا، هذا إلى جانب الثقة والعدالة والضبط والإتقان والعلم والورع.

وكان البخاري لا يضع حديثًا في كتابه إلا اغتسل قبل ذلك وصلى ركعتين، وابتدأ البخاري تأليف كتابه في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولم يتعجل إخراجه للناس بعد أن فرغ منه، ولكن عاود النظر فيه مرة بعد أخرى، وتعهده بالمراجعة والتنقيح؛ ولذلك صنفه ثلاث مرات حتى خرج على الصورة التي عليها الآن[٦٢]

وقد استحسن شيوخ البخاري وأقرانه من المحدِّثين كتابه، بعد أن عرضه عليهم، وكان منهم جهابذة الحديث، مثل: الإمام أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين؛ فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث، ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

وقد أقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح بالشرح والتعليق والدراسة، بل امتدت العناية به إلى العلماء من غير المسلمين؛ حيث دُرس وتُرجم، وكُتبت حوله كثير من الشروحات.

---

[٦١] - انظر:الثقات ١/ ١٠٠،سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٣٢.تاريخ بغداد ٢/ ١٨.

[٦٢] - هدي الساري ١/ ٧.

## أهمية الكتاب ومكانته من مصادر التشريع :

تأتي أهمية الكتاب من منهج البخاري فيه ،والتزامه باشتراطاته في كتابه وعنى به رواية ودراية ، فقد صرّح الإمام البخاريّ بشرطه في كتابه (الجامع الصحيح ) فقال( لم أخرّج في هذا الكتاب إلاَّ صحيحًا، وما تركتُ من الصَّحيح أكثر)

قال أبو الفضل محمَّد بن طاهر المقدسي( اعلم أنَّ البُخاريَّ وغيره لم يُنقَل عن واحدٍ منهم أنَّه قال: شرطتُ أنْ أُخرجَ في كتابي ما يكون على الشَّرط الفلاني ، وإنَّما يُعرف ذلك من سَبْرِ كتُبهم، فيُعلم بذلك شرطُ كلِّ رجلٍ منهم )، ثمَّ ذكَرَ أربعة شروطٍ اشترطها البخاريُّ في صحيحَه، وهي:

الأوَّل : أنْ يُخرج الحديثَ المتَّفق على ثقة نَقَلَتِه إلى الصَّحابي المشْهور.

الثَّاني : من غير اختلافٍ بين الثِّقات الأثبات .

الثَّالث : أنْ يكونَ إسناده متَّصلاً غير مقطوع.

الرَّابع : إنْ كان للصَّحابي راويان فصاعدًا فحَسَنٌ، وإنْ لم يكن إلاَّ راوٍ واحدٍ وصحَّ الطَّريق إليه كَفَى، وقد لخَّص ابن حجر الشُّروط فقال :( إنَّ شرط الصَّحيح أنْ يكون إسناده متَّصلاً، وأنْ يكون راويه مسلمًا، صادقًا ، غير مدلِّسٍ، ولا مختلِطٍ، متَّصفًا بصفات العدالة، ضابطًا، متحفّظًا، سليم الذّهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد ) وقال في هدي الساري: (بيان موضوعه والكشف عن مغزاه؛ فيه تقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه: (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه). ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام؛ فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السُبل الوسيعة. قال الشيخ محيي الدين نفع الله به: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ، ولهذا المعنى أخلى كثيرا من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر فيه على قوله فيه: فلان عن النبي ﷺ أو نحو ذلك ، وقد يذكر المتن بغير إسناد وقد يورده معلقاً وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها)[٦٣] .

## مكانة صحيح البخاري العلمية :

قال النووي :( اتفق العلماء –رحمهم الله- على أن أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان : البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صحَّ أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ،ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث ، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجمهور وأهل

٦٣ - هدي الساري ١/ ٧

الإتقان والحذق)[٦٤] فهو أوَّل مُصَنَّفٍ صُنِّف في الصَّحيح المجرَّد، ثم تبعه مسلم، إلاَّ أنَّ بعضهم كأبي علي النيسابوري وبعض شيوخ المغرب حَكَى تفضيل صحيح مسلم.[٦٥]

وقد أثنى العلماء على الكتاب ثناء كثيراً منهم النسائي حيث قال:(ما في هذه الكتب كلِّها أجود من كتاب البخاري) [٦٦] قال ابن حجر: (والنَّسائي لا يعني بالجَودة إلاَّ جودة الأسانيد كما هو المتبادر إلى الفهْم من اصطلاح أهل الحديث، ومثل هذا من مثل النَّسائي غايةٌ في الوصف مع شدَّة تحرِّيه وتوقِّيه وتثبُّته في نقد الرِّجال وتقدُّمه في ذلك)[٦٧]، قال الحافظ ابن حجر: (وقد رأيتُ الإمامَ أبا عبدالله البخاري في جامعه الصَّحيح قد تصدَّى للاقتباس من أنوارهما البهية - يعني الكتاب والسّنّة - تقريرًا واستنباطًا، وكَرَعَ من مناهلهما الرّويَّة انتزاعًا وانتشاطًا، ورُزِقَ بحسن نيَّته السَّعادة فيما جَمَعَ حتَّى أَذْعَنَ له المخالف والموافق، وتلقَّى كلامَه في الصَّحيح بالتَّسليم المطاوعُ والمفارق)[٦٨] وقال الحافظ ابن كثير: (أجمع العلماءُ على قبوله وصحَّة ما فيه) ، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: (وأما (جامع البخاري الصحيح) فأجلُّ كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله تعالى)، قال العراقي في ألفيته تبعا لابن الصلاح :(أول من صنف في الصحيح محمد وخُصَّ بالترجيح) ، قال ابن حجر: (ونقل كلام الأئمة في تفضيل كتاب البخاري يكثر، ويكفي من ذلك اتفاقهم على أنه كان أعلم بالفن من مسلم، وأن مسلماً كان يتعلم منه ويشهد له بالتقدم والتفرد بمعرفة ذلك في عصره. فهذا من حيث الجملة وأما من حيث التفصيل فيترجح كتاب البخاري على كتاب مسلم، فإن الإسناد الصحيح مداره على اتصاله، وعدالة الرواة، كما بيناه غير مرة. وكتاب البخاري أعدل رواة وأشدُّ اتصالاً من كتاب مسلم)[٦٩]، وقال السيوطي في التدريب: (وقال شيخ الإسلام اتفق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم في العلوم وأعرف بصناعة الحديث وأن مسلما تلميذه وخريجه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء).

## المبحث الثاني

## الشبهات الواردة حول الإسرائيليات في صحيح البخاري.والرد عليها

أثار أعداء الإسلام شبهة الإسرائيليات في صحيح البخاري ، منذ زمن قديم،ولكنهم استعانوا بالإعلام الحديث لنشرها على الشبكة العنكبوتية ، وغرضهم تضليل المسلمين وزعزعة ثقتهم بمصدر

---

[٦٤] - شرح النَّووي على صحيح مسلم (١ /١٤)، وانظر: علوم الحديث (ص١٨).

[٦٥] - قال ابن حجر: ( يظهر لي أنَّ تقديمَ أبي علي النَّيسابوري صحيحَ مسلم؛ لأنَّ مسلمًا صنَّف كتابه في بلدِه بحضور أصوله في حياة كثيرٍ من مشايخه، فكان يتحرَّز في الألفاظ، ويتحرَّى في السِّياق، ولا يتصدَّى لما تصدَّى له البخاري من استِنْباط الأحكام ...)؛ هدي السَّاري (ص١٢)

[٦٦] - علوم الحديث (ص١٩).

[٦٧] - علوم الحديث (ص١٩)

[٦٨] - هدي السّاري (ص٢)

[٦٩] - النكت على كتاب ابن الصلاح ٢٨٦/١.

السنة،وأصح كتاب بعد كتاب الله ألا وهو صحيح البخاري ، لزعزعة المسلمين عن دينهم،وبالنظر إلى مجموع شبهاتهم ، فهي أتت من وجوه:

١) اتهام بعض صحابة رسول الله ﷺ بأنهم كانوا يروون الإسرائيليات ويرفعونها إلى النبي ﷺ،وقصدوا بذلك ،أبي هريرة ﷺ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ ،وغيرهم ممن اشتهر عنهم أنهم كانوا يسألون أهل الكتاب وخاصة اليهود، ورووا أحاديث عن رسول الله ﷺ.أرادوا الطعن في الصحابة ورواة الحديث لأنهم إذا شككوا في الناقلة أفسدوا المنقول.

٢) اتهام البخاري أنه أخرج أحاديث رواها أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وكان بعض الصحابة يرجعون إليهم ويسألونهم،وأنهم دسوا الإسرائيليات في إجاباتهم وحواراتهم .وقصدوا بذلك الصحابي عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار،وغيرهم.

٣) تأويل بعض أحاديث وردت في قصص بني إسرائيل على غير معناها الصحيح ، وتحريف مضمونها للتغرير بالمسلمين كحديث موسى ﷺ، ويونس ﷺ ، وغيرها من روايات.

**من الشبهات:**

أولاً: اتهام بعض الصحابة ﷺ برواية الإسرائيليات:

١) يدعي بعض المغرضين أن أحاديث أبي هريرة ﷺ ما هي إلا إسرائيليات ، فقد كان يعرض الأحاديث على كعب الأحبار ليعرضها على التوراة، و أن كعب الأحبار كان يخدعه ويكذب عليه، كما أنه روى عن عبد الله بن سلام وهو إسرائيلي لم يسلم.

الرد من وجوه:

١) أن الصحابة ﷺ مجمعون على الحذر من روايات أهل الكتاب، فكانوا يردون بعض أخبارهم التي لا تتفق مع ما سمعوه من رسول الله ﷺ، وقاعدتهم في ذلك: تصديق ما صدقه الإسلام، وتكذيب ما كذبه، والتوقف فيما لا يعلم تصديقه أو تكذيبه. فليس من المعقول أن يرجع الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ بأحاديث رسول الله ﷺ لكعب الأحبار ليعرضها على التوراة .

٢) لم يثبت عند علماء الحديث عن أبي هريرة ﷺ أنه يرفع لرسول الله ﷺ حديثاً ، لم يحدِّث به رسول الله ﷺ ، وقد اشتهر عنه ورعه وتقواه ، وهو يحذر من الكذب على رسول الله ﷺ، للحديث المتواتر في ذلك وهو أحد رواته عن رسول الله ﷺ [٧٠]، كما أن كعب الأحبار لم يلق النبي ﷺ [٧١]، فإن رجع إليه أبي هريرة ﷺ وغيره فإنهم ينسبون القول إليه،وقد ثبت ذلك عن أبي هريرة ﷺ كما ذكره الحافظ ابن حجر عندما تعرض لحديث أبي هريرة ﷺ عن كعب الأحبار في حديث ساعة الجمعة قال : رواه يحيى بن أبي

---

[٧٠] - ( بلغوا عني ولو آية ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) سبق تخريجه ص (٦) حاشية(١).

[٧١] - أسلم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وسكن المدينة، وصحب عمر، وروى عنه، وشارك معه غزوة الروم،وعمر بن الخطاب ﷺ رجل مُلهم،وحاذق يفهم الناس،فلو لم يثق به لما ساكنه المدينة وأرسله في جيش المسلمين لغزو الروم .

كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال: ( خير يوم طلعت فيه الشمس...). وفيه قالها وقلنا: أمِنْ رسول الله ﷺ سمعت هذا: قال: بل حدثنيه كعب الأحبار )

ثانياً: اتهام من أسلم من أهل الكتاب بأنهم دسوا الإسرائيليات في أخبارهم:

إدعاء أعداء الإسلام، بأن من دخل في الإسلام من أهل الكتاب، دسوا الإسرائيليات في أخبارهم، والصحابة نقلوا عنهم ولم يدققوا في منقولهم،واتهموا بذلك كعب الأحبار ﷺ، وعبدالله بن سلام ﷺ،وغيرهم.

١) أن جمهور علماء الحديث أجمعوا على أن كعب الأحبار ﷺ من الرواة الثقات الذين تقبل روايتهم، فلم يعلم عليه كذباً قط، وهو محل ثقة الصحابة ﷺ مما جعل أبو هريرة وغيره يرجعون إليه ويسألونه في بعض ما أرادوا أن يسألوا عنه من أمور الأمم السابقة وما جاء في التوراة من أخبارهم، وروايات كعب مقبولة عند علماء الحديث والجرح والتعديل فقد قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار ثقة، مخضرم)، وقال الذهبي في السير (هو كعب بن مانع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان حسن الإسلام متين الديانة، من نبلاء العلماء)،كما أنه ليس له في البخاري رواية إلا حكاية لمعاوية فيه [٧٢]،وقد روى عنه من الصحابة: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك ﷺ، بل إن المزي جمع الذين رووا عنه فتعدى عددهم ثلاثين راوياً [٧٣]، فضلاً عن أن الإمام مسلم بن الحجاج قد أخرج له في صحيحه وكذلك أبو داود، والترمذي، والنسائي.

٢) أن عبد الله بن سلام ﷺ صحابي جليل [٧٤]، وهو من علماء أهل الكتاب، وقد بشره الرسول ﷺ بالجنة [٧٥]، بعد أن أعلن إسلامه وحسنت سيرته، فلو كان منافقاً لما خفي ذلك على رسول الله ﷺ ، ولما

---

[٧٢] - انظر: الكنى والأسماء ٣٣/١ ، تذكرة الحفاظ ٥٢/١ ، التقريب٤٦١ .

قال البخاري:( وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) صحيح البخاري ج: ٦ / ٢٦٧٩

قال ابن حجر:( وقال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية أنه يخطئ أحيانا فيما يخبر به، ولم يُرِدْ أنه كان كذابًا.

وقال غيره: الضمير في قوله لنبلو عليه للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب؛ لكونهم بدَّلوه وحرَّفوه.

وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده؛ إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزي: المعنى: إن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار) فتح الباري ٣٣٥/١٣ .

[٧٣] - انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، (١٨٩،١٩٠/٢٤).

[٧٤] - عبدالله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الخزرجي المدني حليف لهم وهو من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام قال المزني عن يحيى بن معين كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله سمع النبي صلى الله عليه وسلم روى عن قيس بن عباد في ( التعبير ) قال محمد بن سعد كاتب الواقدي أنا الهيثم بن عدي قال توفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين .انظر: رجال صحيح البخاري ٣٩٠/١ ، لأحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى.

[٧٥] - روى البخاري وغيره أن عبد الله بن سلام رأى رؤيا فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : تموت مستمسك بالعروة الوثقى . وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله

بشره بالجنة.

ثالثاً: تأويل أحاديث أخرجها البخاري وإدعاء أنها من الإسرائيليات:

لجأ أعداء الإسلام إلى بعض أحاديث صحيحة أخرجها البخاري في صحيحه ، وأثاروا الشبهات حولها بعد تأويلها على محامل قصدوا بها إثارة الشبهات على أن صحيح البخاري احتوى إسرائيليات لزعزعة ثقة المسلمين بالسنة من خلال زعزعة ثقتهم بصحيح البخاري ،أصح كتب الحديث على الإطلاق. منها:

١) إدعاء أن رسول الله ﷺ أكل لحوم ما ذبح على الأصنام ، واستشهدوا برواية البخاري في كتاب :الذبائح عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما( أَنَّ النبي ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بن عَمْرِو بن نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ قبل أَنْ يَنْزِلَ على النبي ﷺ الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إلى النبي ﷺ سُفْرَةٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ منها، ثُمَّ قال زَيْدٌ : إني لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ على أَنْصَابِكُمْ ولا آكُلُ إلا ما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عليه وَأَنَّ زَيْدَ بن عَمْرٍو كان يَعِيبُ على قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ الشَّاةُ خَلَقَهَا الله وَأَنْزَلَ لها من السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لها من الأرض ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا على غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا له)[٧٦] ، زعموا أن الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ يأكل لحوم ما ذبح على الأصنام ، وقدمه لصديقه، وصديقه رفض أن يأكل منه.وهذا من الإسرائيليات.

٢) إدعاء أن رسول الله ﷺ يعترف بأنه أقل منزلة من يونس النبي ، مع العلم بأن الرسول ﷺ هو أشرف الخلق علي الإطلاق باعتراف جميع المسلمين،واستشهدوا برواية البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (من قال :أنا خير من يونس ابن متّى فقد كذب ) [٧٧].

٣) إدعاء غضب رسول الله ﷺ من الصحابي صفع يهودي حين قال:والذي اصطفى موسى على البشر، مع العلم بأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء،وهو المصطفى من الله،واستشهدوا برواية البخاري : عَن أبي هُرَيرَة قالَ: بَيْنَما يَهُوديٌّ يَعرِضُ سلعَتَهُ أُعطيَ بِها شيئاً كَرِهَهُ، فَقالَ: لا وَالذي اصْطَفى مُوسى عَلَى البَشَرِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ فَقامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقالَ: تَقُولُ وَالذي اصْطَفى مُوسى عَلَى البَشَرِ والنبي ﷺ بَينَ أظْهُرِنا!فَذَهَبَ إلَيهِ فَقالَ: يا أبَا القاسِم! إنّ لي ذِمَّةً وَعَهداً فَما بالُ فُلان لَطَمَ وَجهي؟!فَقالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ»؟ فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبيُّ ﷺ حَتّى رُؤىَ في وَجْهِهِ ثُمَّ قالَ: ((لا تُفَضِّلوا بَيْنَ أنْبِياءَ اللهِ; فَانّهُ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَ مَنْ فِي ألأرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللهِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ ألأُخرى فَأَكُونُ أوّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإذا مُوسى آخِذٌ بِالعَرَشِ!فَلا أدري أحُوسِبَ بِصَعقَتِهِ يَومَ الطُّورِ؟ أمْ بُعِثَ قَبْلي؟! وَلا أقُولُ إنّ أحَداً أفْضَلُ مِن يُونُسَ بْنِ مَتّى ))كما اعترف الحافظ ابن حجر بأنّها تدل على فضيلة موسى على النبي ﷺ وقال: ( فإن كان أفاق قبله فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممَّن استثنى الله فلم يصعق فهي فضيلة أيضاً..).

---

سلام وفيه نزلت﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ الأحقاف: ١٠، وقد استظهر الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أن قوله وفيه نزلت .... مدرج من قول الإمام مالك بن أنس وهو قول في معنى الآية

[٧٦] - صحيح البخاري ٦/ ٢٢٥، كتاب الذبائح، باب: ما ذبح على النصب والأصنام .

[٧٧] - صحيح البخاري ٦/ ٣١، كتاب التفسير، باب: سورة الصافات، و ٤/ ١٢٥ كتاب الأنبياء، باب: قول الله: ﴿ وَكَلَّم اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾، و ١٣٢/٤، باب: إنَّ يونسَ لَمِنَ المُرسَلِين

وقالوا: ولا شبهة لمسلم في أنّ النبي الخاتم ﷺ أفضل الأنبياء وأشرفهم في الدنيا والآخرة، وشريعته خاتمة الشرائع وناسختها; وأن هذا وأمثاله يشكل إحراجاً شديداً لمن يعتقد بصحة البخاري، وهذا ما دفع بالنهاية ابن حجر في ( فتح الباري) إلى الإعلان عن هذه الرواية تؤكد أفضلية النبي موسى ﵇ على سيدنا محمد ﷺ، وهو خلاف الإجماع الذي تؤكده جميع الفرق الإسلامية.

وقد أثارت الرواية جدلاً لدى شارحي البخاري، لأن قبولها يعني تأكيد أعلمية موسى ﵇ من نبينا ﷺ بأمته، وهي تصرح ذلك علناً في قول موسى: أنا أعلم بالناس منك.

وزعموا بأنه يجب ردّ هذه الأحاديث لأنها مقيتة و لا يقبلها عقل عاقل فالرسول كان معصوماً من الخطأ منذ ولادته و هذه سنة الحياة.

و ليس هناك نبي أفضل منه عليه أفضل الصلاة و السلام. و هذه الأحاديث التي تقلل من قدر الرسول ما هي إلا من الإسرائيليات.

**الرد على الشبهات:**

سيكون الرد على الشبهات ضمن أقوال علماء الحديث، والذين عنوا بشرح صحيح البخاري عناية فائقة، وذلك لبيان أن ما تكلفوه بإثارة الشبهات حول أحاديث البخاري، كانت من خبث طويتهم،وعبث أفكارهم ما سبقهم إليها أحد. وأن علماء المسلمين على مدى الدهر ،لم يثبت من أحدهم أنه وجد إسرائيليات في صحيح البخاري.

١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وقال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ﷺ فأَبَىَ أن يأكل منها فقدمها النبي ﷺ لزيد بن عمرو ، فأَبَىَ أن يأكل منها، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها، إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم، انتهى. وما قاله محتمل، لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك؟ فإني لم أقف عليه في رواية أحد، وقد تبعه بن المنير في ذلك ، وفيه ما فيه، قوله على أنصابكم بالمهملة جمع نُصُب- بضمتين - وهي أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام. قال الخطابي : كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة. قلت:وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكورة فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام ، وأما قوله تعالى﴿ وما ذبح على النصب﴾ فالمراد به ، ما ذبح عليها للأصنام .ثم قال الخطابي : وقيل: لَمْ ينزل على النبي ﷺ في تحريم ذلك شيء ، قلت: وفيه نظر، لأنه كان قبل المبعث فهو من تحصيل الحاصل)[٧٨].

أين ما يدل في الحديث أن النبي ﷺ أكل من هذه السفرة ؟ فليس في الحديث أنه ﷺ أكل منها، وإنما غاية ما في الحديث أن السفرة قُدِّمت للنبي ﷺ ولزيد ولم يأكلا منها.

[٧٨] - فتح الباري ٧ / ١٤٣.وانظر عمدة القاري ١٦ / ٢٨٦.

٢) قال الحافظ ابن حجر: ( قوله: ((ما ينبغي لأحد)) في رواية المستملى والحموي(( لعبد)) قوله: ((أن يقول أنا خير من يونس )) يحتمل أن يكون المراد: أن العبد القائل ، هو الذي لا ينبغي له أن يقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : (( أنا رسول الله ﷺ )) وقاله تواضعاً ، ودل حديث أبي هريرة في قصة المسلم الذي لطم اليهودي ،على أن الاحتمال الأول أولى )[٧٩] وقال (وفي رواية للطحاوي ((أنه سبح الله في الظلمات )) فأشار إلى جهة الخيرية المذكورة، وأما قوله في الرواية الأولى ونسبه إلى أبيه ففيه إشارة إلى الرد)[٨٠].

٣)يقال في رد شبهة التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام، ما قاله الحافظ ابن حجر في رد الشبهة السابقة ،ويضاف إليها بعض وجوه في النهي عن التفضيل بين الأنبياء ،مع ثبوت الأدلة الصحيحة في فضل النبي ﷺ وتكريمه على سائر الأنبياء والرسل ،منها:

أ) فيُحمل النهي هنا على أن المراد به منع التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والتشاجر .وذلك في مثل الحال التي تحاكم فيها اليهودي مع الأنصاري عند النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة فهذا التوجيه ملائم لسبب ورود الحديث

ب) ويقال : أن المراد بالنهي المنع من التفضيل من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها فهم متساوون فيها، وإنما التفاضل بالخصائص والمحن ونحوها [٨١].قال القرطبي: (وهذا قول حسن فإنه جمع بين الآيات والأحاديث من غير نسخ)[٨٢].

ج ) أن المراد بالنهي منع التفضيل الذي يؤدي إلى توهم النقص في المفضول, أو الغض منه, والإزراء به.

قال الخطابي في النهي الوارد: (معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم, وبفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم)[٨٣].

مما سبق من نماذج الشبهات التي أثيرت حول وجود أحاديث إسرائيلية في صحيح البخاري ، وفشلت جهود أعداء الإسلام في نزع ثقة المسلمين بصحيح البخاري ، وتكشفت أساليبهم الباطلة لكل ذي لُب وتفكير، إذ لا يقبل العقل أن يجد روايات إسرائيلية في كتاب روى أحاديث فيها اللعن لليهود والنصارى الذين جحدوا دعوة رسلهم ، وأنكروا خاتم الرسل الموجود ذكره وصفته في كتبهم .

**الخاتمة:**

يوجه أعداء الإسلام شبهاتهم حول (صحيح البخاري) وأكثر من أثار هذه الشبهات هم الشيعة ، وذلك لما له من أهمية عند المسلمين ،فهو عمدة كتب أهل السنة، إلا أن هجماتهم على البخاري لم تجد فرصة

[٧٩] - فتح الباري ٨ /٢٦٧.

[٨٠] - فتح الباري ٤٥٨/٦.

٨١ - انظر:فتح الباري ٦/ ٤٤٤، عمدة القارئ ٤/١٦، شرح النووي على مسلم ٣٨/١٤.

٨٢ - تفسير القرطبي ٣/ ٢٩٢

٨٣ - المراجع السابقة.

لنقده من حيث الصنعة الحديثية، وإذا ما أوردوا نقداً للصحيح فهم يثيرون قضايا فقهية، أو يعلقون على آراء للبخاري، أما نقد الصحيح من الناحية الحديثية فهذه غاية لا يتطاولون إليها لعجزهم عن النيل من البخاري أو كتابه الصحيح، وكل الأحاديث التي ينقدونها في الصحيح تمس الفكر الشيعي ، وإثارة شبهة الإسرائيليات في صحيح البخاري ما هي إلا من قبيل إدعاءات باطلة وتأويلات زائفة يقصدون بها زعزعة الثقة المسلمين بعمدة مصادر الحديث،وتلك أساليب باتت مكشوفة لعلماء المسلمين ،ومما يوجب عليهم تنبيه الأمة بهذه الشبهات وتوجيههم للرد عليها،وزيادة نسبة الوعي بمصادر الشبهات ، وبيان سقطاتهم التي قد لا تظهر لعامة الناس ، وحماية الدين واجب شرعي على العامة والخاصة.

إن من يستقري الإسرائيليات التي وردت عن السلف، سيجد الأمور الآتية:

١ . أنها أخبار لا يبنى عليها أحكام عملية.

٢ . أنه لم يرد عن السلف أنهم اعتمدوا حكمًا شرعيًا مأخوذًا من روايات بني إسرائيل.

٣ . أنه لا يلزم اعتقاد صحتها، بل هي مجرد خبر.

إن أكثر الطاعنين في الصحابة الكرام هم الرافضة ، ولا عجب في ذلك فإنهم يكفرون عامة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ..

وإن من أبلغ الردود عليهم ما قاله الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله :

( إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة )[٨٤].



٨٤ - الإصابة في تمييز الصحابة ١١/١.

# حقوق الإنسان من منظور السنة النبوية الشريفة

**قاسم حسن القفة**

جامعة الزاوية – كلية التربية أبوعيسى



**تمهيد:**

إن حقوق الإنسان في الإسلام منحة من الله سبحانه وتعالى،قدمها بفضل وعطاء منه للناس جميعاً دون تمييز،وهي وحي من الله وليست نتيجة لظروف طارئة كما عليه القوانين الوضعية،قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] ،ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة مسايرة وموافقة للقرآن الكريم،وموضحة ،أو مفسرة لشيء مبهم،لقد أعطت السنة النبوية للإنسانية عامة حقوقاً كاملة منها:حق الحياة،حق المساواة،حق الدفاع عن النفس،حق العمل،حق التملك،حقوق المرأة،حق الأمومة والطفولة...يتناول البحث ما تضمنته السنة النبوية من المباديء الأساسية التي تنظم فيها حقوق الإنسان،ويفسر للآخر أن الإسلام نظام متكامل يشمل كل جوانب الحياة ويضمن حرية الإنسان.

**أهمية البحث:**

- الاهتمام العالمي - المحموم- حول حقوق الإنسان.
- إن السنة النبوية بعلومها وتحدياتها وما تهتم به لا يخالف الواقع فهي جزء من ديننا الحنيف الصالح لكل زمان ومكان.
- التحدي الذي قررت السنة النبوية خوضه لإبراز الصورة الحقيقية لما يقدمه العالم الغربي من صورة نمطية خاطئة عن الإسلام حول نظرة الدين الحنيف لحقوق الإنسان.
- الإسلام أسهم كغيره من الأديان الأخرى في رقي الحضارة الإنسانية.

**هدف البحث:**

- الاهتمام بعلوم السنة النبوية والتعريف ببعض اتجاهاتها.
- إبراز أهم خصائص الدين الإسلامي وهي صلاحيته لكل زمان ومكان.
- إظهار سبق الإسلام الحنيف لكل ما هو خير للإنسان وخاصة في مجال حقوق الإنسان.

[1] الحجرات، الآية١٣.

- السنة النبوية تبحث في معاناة الإنسان وتوجد الحلول لها.
- توضح الدراسة أن السنة النبوية مواكبة للواقع.

**خطة البحث ومنهج الدراسة:**

يسير البحث في مبحثين ومقدمة وخاتمة:

- المقدمة.
- في تاريخ حقوق الإنسان.
- السنة النبوية وحقوق الإسلام.
- الخاتمة والنتائج.

المنهج المتبع في هذه الدراسة للوصول إلى الحقائق والنتائج هو الوصفي التاريخي،الذي يعتمد على البحث في الشواهد من السنة النبوية،شارحاً وموضحاً ما تحتويه من أسس وقواعد لحقوق الإنسان عامة،ليتكشف لمن يدعي أن الإسلام دين لم يسهم في رقي الحضارة العالمية إنسانياً.

**المقدمة:**

الحقوق في اللغة جمع حق، وهو مصدر قولهم:حق الشيء:أي وجب، والحق خلاف الباطل[٢]، ويطلق في اللغة على عدة معان، منها: الأمر الواجب، والموجود والثابت، قال الجوهري[٣]:"وحق الشيء يحق بالكسر، أي وجب، وأحققت الشيء، أي أوجبته"،والحق: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره[٤]، هو أيضاً: المطابقة والموافقة،وهذا المعنى اللغوي كما جاءت به المعاجم لا يخرج عن معنى الوجوب، والإلزام، والثبات، ولقد ورد لفظ الحق في القرآن(٢٨٨) مرة[٥]، أطلق في بعضها على المعنى اللغوي: الوجوب، والثبات، كما في قوله تعالى: {حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ }[٦]، ولقد أشار صاحب القاموس المحيط للحق، فقال:" الحق: من أسماء الله تعالى، أوصفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق"[٧].

في الاصطلاح، يقول الجرجاني:"الحق في اللغة هو الثبات الذي لا يسوغ إنكاره، وفي اصطلاح أهل المعاني: هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال، والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك"[٨]، وهو كذلك" مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستشارة يقررها

---

[٢] الصحاح،إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ،ص ١٤٦٠/٤.

[٣] نفسه،١٤٦١/٤.

[٤] التوقيف على مهمات التعريف،محمد عبد الرؤوف المناوي،تحقيق:محمد رضوان الداية،دار الفكر،بيروت،١٣٠١هـ،ص٢٨٧.

[٥] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

[٦] البقرة، الآية ٢٣٦.

[٧] مادة:حق ،ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر،بيروت.

[٨] التعريفات،علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٨٩.

الشارع الحكيم"، وهو:"مجموعة القواعد، والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص، والأموال"[٩].

من خلال التعريفات التي مرا بنا، يمكن أن نصل إلى ما يتضمنه مفهوم الحقوق اصطلاحاً، متمثلاً في الآتي:

- النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.
- القواعد والمباديء التي تضمنتها هذه النصوص.
- تنظيم علاقات الناس.
- الوجوب والإلزام في تطبيق تلك القواعد.

يعد الإسلام نظاماً كاملاً ومتوازنا لكل شؤون الحياة،كما جاء في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية،وبما أن الإنسان هو مدار التكليف فلقد اهتمت الشريعة الإسلامية بحقوق الإنسان بشكل واسع وشامل لعامة الناس دون تمييز،لأن هذه النصوص قائمة على عقيدة الإيمان بالله، وبذلك يخرج الإنسان من دائرة العبودية لغير الله تعالى، كما أنها ثابتة لا يمكن التلاعب فيها، وهي تتعامل مع الجميع بروح واحدة ودون تمييز.قال الله تعالى:{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }[١٠] لقد فرضت عقيدة الإسلام على الإنسان الالتزام بحقوق الإنسان بالمفهوم الواسع الشامل من خلال الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي.قال الله تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ }[١١]، فالبر والإحسان من أرقى قيم حقوق الإنسان، لذلك حذر الله تعالى كل من يتمادى بالفجور والاعتداء على حقوق الآخرين.

إن الأخلاق الإسلامية تلعب دوراً هاماً في تفعيل الإيمان بحقوق الإنسان؛ لأن الأخلاق أساس من أسس الإسلام، ولا يستقيم إيمان الإنسان إذا كان هناك تناقض وتعارض بين عقيدته وسلوكه،كما أنها تفرض على الفرد المسلم أن يكون نظيف القلب، خالياً من كل أشكال وألوان الحقد والكراهية، وعليه فالمسلم محاسب على كل سلوك. قال الله تعالى: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[١٢]،ومن النصوص التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }[١٣]، وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[١٤]. وفي خطبة الوداع قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-: " إنّ دماءكم وأموالكم

[٩] المدخل للفقه الإسلامي، عيسوي أحمد عيسوي، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الأولى، ص٣٣٨.
[١٠] الحديد،الآية٢٥.
[١١] الانفطار، الآية ١٣-١٤.
[١٢] الزلزلة، الآية ٧- ٨.
[١٣] الحجرات، الآية ٦.
[١٤] الحجرات،الآية ١١.

وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".كما أن العبادة تلعب دوراً هاماً أيضاً في قضية حقوق الإنسان فهي تهذّب النفس وتنهى عن الإيذاء. قال الله تعالى: { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }[١٥] ،والفحشاء والمنكر مصطلحان عامان يدلان على كل قولٍ أو عملٍ سيءٍ بحق النفس، أو بحق الآخرين، ولم تقتصر النصوص على دائرة المسلمين بل شملت غيرهم لتحصنهم من الاعتداء عليهم، قال الله تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }،[١٦] والجدير بالذكر أنّ الشريعة الإسلامية جعلت مسؤولية الحفاظ على الحقوق مسؤولية ثنائية فالفرد مسؤول والسلطة مسؤولة، فلا يجوز أن تقوم السلطة بالتطبيق بينما الفرد لا يطبق والعكس صحيح أيضاً .قال الله تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[١٧]

وحقوق الإنسان في الإسلام منحة إلهية لا يحق لبشر أن يمنعها أو يمتهنها، أو ينتقص منها إلا في حال قيام الإنسان بتصرف يستدعي المحاسبة والرقابة، وكل ذلك يكون بموجب قانون وليس بهوى نفس، كما أن حقوق الإنسان في الإسلام وسطية معتدلة ومتوازنة، فلا تطغى حقوق الفرد على حقوق الجماعة مثلما لا تسيطر حقوق الجماعة على حقوق الفرد، وضابط ذلك التقوى، ذلك المفهوم الشامل الذي يجعل تصرفات المسلم تحت منظار المراقبة الذاتي، إن حقوق الإنسان في الإسلام منحة من الله تعالى قدمها بفضل وعطاء منه (عزَّ و جل ) للناس جميعاً دون تمييز، وهي وحي من الله، وليست نتيجة لظروفٍ طارئةٍ كما عليه القوانين الوضعية، إنما هذا عطاءٌ من خالقٍ كريم، أرحم بعبده من الأم الرَّؤوم على طفلها الرضيع.

إن التشريع الإسلامي بما يحتويه من نصوص شاملة وواضحة يعتبر دستوراً متكاملاً ومتوازناً لحقوق الإنسان، وقد أعطى الإسلام الفرد حقوقاً مثل الحقوق التي أعطته إياه المدنية المعاصرة بل وأكثر بكثير ولكن ضمن قيود تتناسب والظروف الاجتماعية، والبيئية التي يعيشها الفرد .

إن قضية حقوق الإنسان، شغلت العالم بجميع أممه ودوله، وهي قضية كبرى، ومسألة عظمى، جديرة بالبحث والدراسة والعناية، من وجهة النظر الشرعية الإسلامية، ذلك أن تسلط العالم الغربي واستبداده، وفرض هيمنته الفكرية والثقافية على كثير من دول العالم، وخاصة العالم الإسلامي، أدى إلى ضياع المفهوم الإسلامي لهذه القضية، وصنع انطباعاً لدى كثير من المسلمين بأنه لا طريق لنيل الحقوق إلا من التبعية لذلك العالم الغربي، والدخول طوعاً، أو كرهاً ضمن أحلافه ومنظوماته، وتحمّل أصناف الذل والمهانة؛ من أجل الحصول على هذه الحقوق.

[١٥] العنكبوت، الآية ٤٥.

[١٦] الممتحنة، الآية ٨.

[١٧] التوبة، الآية ٧١.

من جهة أخرى فإن مبادىء حقوق الإنسان السائدة في العالم اليوم، كان قد وضعها العالم الغربي، من نتاج فكره وثقافته...،التي تقوم على أساس الحرية المطلقة في جميع ميادين الحياة، والتي قد أوجدت هوّة واسعة بين حقوق الإنسان المشروعة، وبين الأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة، التي لا يستغني عنها مجتمع أو أمة، كما يظهر ذلك من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

**السنة النبوية وحقوق الإسلام:**

كانت السنة النبوية الشريفة وخاصة في بعدها العملي المتمثل في الممارسة القيادية لرسول الله، انعكاساً وترجمة فعلية لإعلان حقوق الإنسان في القرآن الكري، حيث كان رسول الله يبدي الاحترام والتكريم لكل إنسان، صغيراً كان أو كبيراً، رجلاً كان أو امرأة، وإن كان مشركاً رافضاً لدعوته، ما لم يأخذ موقف الظلم والعدوان، كما تؤكد ذلك الكثير من شواهد السيرة النبوية، انطلاقاً من قوله تعالى: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[١٨] ،وحينما وجّه أحد الصحابة كلاماً بذيئاً لأحد المشركين في محضر رسول الله ، نهره رسول الله قائلاً: (مه، أفحشت على الرجل، ثم أعرض عنه) كما جاء في حوادث غزوة بدر.ويقوم حينما تمر به جنازة يهودي مجيباً على تساؤل أصحابه كيف تقوم لجنازة يهودي بقوله: (أليست نفساً؟). أي أن كون المتوفى إنساناً يكفي لإظهار الاهتمام بجنازته، بغض النظر عن أي صفة أخرى.وتؤكد السيرة النبوية الشريفة على ممارسة الرسول منهج الشورى في إدارته لأمور الأمة، في مختلف المجالات، في قضايا الحرب وشؤون السلم، فكانت عبارته المشهورة "أشيروا عليّ" حتى قال بعض صحابته: "ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله."

ولقد كان (عليه الصلاة والسلام) يحكم بين الناس بالعدل، ويساوي بينهم في العطاء، وفي تكافؤ الفرص، حيث قلّد زيد بن حارثة منصباً عسكرياً رفيعاً، وكان في الأصل مولى مستعبداً، وكذلك قلّد ابنه أسامة بن زيد، كما جعل بلال الحبشي المؤذن الداعي للصلاة والاجتماعات، وعيّن عبدالله ابن أم مكتوم كفيف البصر إماماً يخلفه في صلاة الجماعة، وعيّن أم ورقة أماماً لصلاة جماعة النساء، وكسر أعراف التفاوت القبلي والطبقي في الزواج، فزوّج ابنة عمه ضبيعة بنت الزبير بن عبد المطلب من مقداد بن الأسود، ليساوي بين الناس، حيث لا فرق عند رسول الله –في الحقوق والواجبات– بين إنسان وآخر، وهو المبدأ الذي قامت عليه السنة النبوية.

من صور حقوق الإنسان التي اهتمت بها السنة النبوية، ولم تهملها مراعاة حق المرأة، والطفل، والشيخ الكبير في الحياة، وعدم التعرض لهم، وعدم جواز الاعتداء عليهم، أو قتلهم، قال عليه السلام في وصاياه للسريا:"اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً""[١٩] ، وفي الحديث الآخر:" أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول

[١٨] الممتحنة، الآية ٨.

[١٩] أخرجه مسلم:كتاب الجهاد،رقم ١٧٣١.

الله(صلى الله عليه وسلم) مقتولة، فأنكر رسول الله(ص) قتل النساء والصبيان"، وفي رواية:"فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان"[٢٠].

لقد اهتمت السنة النبوية بكثير من الخفايا المتعلقة بحقوق الإنسان، والتي أهملتها وثائق حقوق الإنسان العالمية والدولية؛ لقصر نظر من أشرف على إعدادها، من هذه الأمور: العفو عمن ظلم والصفح عنه؛ لكنه ليس بحق واجب على المظلوم، بل مطلوب منه على جهة الحث والترغيب، قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[٢١].

إن كلمة الإنسان تشمل الذكر والأنثى، فكرامة الله لهذا الإنسان هي كرامة للرجل والمرأة على حد سواء، فالمرأة مساوية للرجل في هذه الكرامة، فلها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات إلا في مجال التكليف، فالله سبحانه وتعالى قد كلف كلا منهما بما يخصه ويناسبه، أما من حيث التكريم العام فالنساء شقائق الرجال، ومن يتتبع نصوص الشريعة يتضح له مقدار غَيْرة الإسلام على هذه الحقوق، فلو تتبعنا نصوص الكتاب والسنة لتبين لنا هذه الغيرة واتضح لنا عناية الإسلام بهذه الحقوق مما لا يوجد في غيره من الديانات الأخرى،أو الوثائق العالمية التي صنعها الإنسان والخاصة بصيانة حقوق الإنسان، ولقد عجزت النظم البشرية، والقوانين الوضعية أن تحقق ما حققه الإسلام في مجال حقوق الإنسان.

لا يتوقف الرسول الكريم من خلال حديثه الشريف، وسنته النبوية الكريم من ضرب للأمثلة على احترام الإسلام لحقوق الإنسان، بالرغم من اختلاف جنسه، ومكانته، ودوره في مجتمعه،ومن الحقوق الملزمة شرعاً:بر الوالدين،وهو خلق جميل، نظراً لوجوبه فلا يقبل التهاون فيه، ويحرم عقوقهما، ولا عذر فيه بحجة السجية والطبع لمن كان في خلقه سوء وشدة مثلاً؛ بل المطلوب فيه غاية البر والتذلل، ويترتب على التفريط فيه العقاب الشديد، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟...إلى أن قال:" الإشراك بالله، وعقوق الوالدين..."[٢٢]، إذا بر الوالدين جمع بين كونه حقاً شرعياً ملزماً، وبين كونه خلقاً حسناً واجباً.

من صور حقوق الإنسان في السنة النبوية الشريفة، حق المرأة في العمل، أخرج مسل في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله قال:" طُلِقْت خالتي فأرادت أن تجد نخلها، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ( صلى الله عليه وسلم) فقال:"بلى، فجدي نخلك، فإنك عسى أن تصدقي، أو تفعلي معروفاً"[٢٣]، والحديث هنا جاء ليكون دليلاً على أن للمرأة الحق في أن تقوم للعمل في الزراعة – هنا – شأنها شأن الرجل، وهو بيان لخروج المرأة للعمل خارج البيت.

---

[٢٠] صحيح مسلم:كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء، والصبيان في الحرب، رقم ١٧٤٤.

[٢١] أخرجه مسلم"كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، رقم ٢٥٨٨.

[٢٢] أخرجه مسلم:كتاب الإيمان،رقم ٨٧.

[٢٣] كتاب الطلاق، باب: خروج المعتدة البائن، والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها،١١٢١/٢(١٤٨٣).

ولقد أخرج البخاري في صحيحه، " من حديث السور بن مخرمة، ومروان في قصة صلح الحديبية، وفيه:"...فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) لأصحابه:"قوموا فادخروا، ثم حلقوا،قال: فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يانبي الله أحب ذلك؟اخرج لا تكلم أحداً منهم، حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه،فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما..."[٢٤]، وجه الدلالة منه مشاورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأم سلمة، يدل على حق المرأة في الشورى، وأن الرسول كان يشاور النساء، ويأخذ برأيهن، فيجوز للمرأة أن تكون عضواً في مجلس الشورى؛ لتعطي رأيها كما فعلت أم سلمة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٢٥].

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن مشورة الرسول(صلى الله عليه وسلم) لأم سلمة يستفاد منها جواز أن تكون المرأة عضواً في مجلس الشورى، تعطي رأيها في المسائل السياسية والاقتصادية، وغيرها من الأمور التي تهم الأمة، وهو حق من الحقوق السياسية التي يجب أن يكفلها المجتمع للمرأة؛ باعتبارها نصف المجتمع، مثلها مثل الرجل في الحقوق والواجبات، وما فعلته أم سلمة دليل للتشاور، والخروج بالرأي الحكيم، الذي ليس حكراً على الرجال، إنها صورة من صور حرية التعبير عن الرأي، التي كفلها الإسلام، وتعني تمتع الإنسان بكامل حريته في الجهر بالحق، وإسداء النصح لكل مسلم، ولكن جعل الله سبحانه وتعالى لكل ذلك ضوابط، فهي حرية مُقَيَّدة بضوابط، فحرية الرأي لا تعني الانفلات أبدًا، بل جُعِلت لها ضوابط تكفل حسن الاستخدام، حتى لا يزيغ اللسان ويزل بكلمة، وحتى لا ينحرف الفكر.

ما أخرجه الإمام أحمد في المسند[٢٦]، والنسائي في الكبرى[٢٧]، والطبري[٢٨]...، "من طريق عبد الرحمن بن شيبة، قال: سمعت أم سلمة قالت:قلت:يا رسول الله، ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرِّجال؟ قالت: فلم يَرُعني منه يوماً إلا ونداؤه على المنبر(يا أيها الناس )، قالت: وأنا أُسَرِّح رأسي، فلففت شعري، ثم دنوت من الباب، فجعلت سمعي عند الجريد، فسمعته يقول:"إن الله عز وجل يقول: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا }[٢٩].
لقد ساوى الإسلام من خلال الآية الكريم بين المرأة والرجل في المثوبة والأجر وجعلها كالرجل.

---

[٢٤] كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، ٩٧٤/٢ (٢٥٨١).

[٢٥] قواعد نظام الحكم في الإسلام، محمود الخالدي، دار البحوث العلمية، سنة النشر ١٤٠٠هـ، ص١٨٥.

[٢٦] ١٩٩/٤٤(٢٦٥٧٥).

[٢٧] ٤٣١/٦(١١٤٠٥).

[٢٨] ١٠/٢٢.

[٢٩] الأحزاب، الآية٣٥.

لقد صان الإسلام حقوق المرأة، وما أرى في مطالبة البشرية اليوم بحقوق المرأة، إلا اتهاماً للمرأة وتنزيلاً من قدرها، فالمرأة في الإسلام محترمة موقرة، كلنا يعلم وصية سيدنا رسول الله( صلى الله عليه وسلم)، عندما أتاه السائل فقال:"أمك ثم أمك ثم أمك..."ثم أتى إلى دور الأبوة لا تقليلاً من شأنها بل بياناً منه لدور المرأة التي تصنع الرجال، والتي تبني أفرا الأمة.

ومن النماذج العَمَلية والواقعية في حياة الصحابة الكِرام يكفي أن نذكر مثالاً نفس هذا الباب، وهو شاهد من حديث أم عمارة الأنصارية، أنها أتت النبي(صلى الله عليه وسلم) فقالت:ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء؛ فنزلت: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... }،أخرجه الترمذي في السنن[٣٠]، وابن عاصم في الآحاد والمثاني[٣١]، وقال الترمذي:حسن غريب، وقال الألباني: صحيح لغيره[٣٢].وهكذا يتوالى الخطاب في الحديث الشريف والقرآن، وينص على المرأة؛ لإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله، وأن أمر الله ورسوله مانع من الاختيار، موجب للامتثال. إن الإسلام من خلال أحاديث الرسول الكريم، يقرر مبدأ المساواة الكاملة في الإنسانية، وفي جميع الحقوق التي تتصل مباشرة بالكيان البشري المشترك بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق، وبعض الواجبات حسب ما تقتضيه طبيعة المرأ،ة وتكوينها الجسمي والتكاليف المنوطة بكل منهما.

ولتأكيد مسؤولية المرأة أمام الله (عز وجل)، مسؤولية مستقلة عن الرجل تؤكد حقها في المساواة، كانت بيعة النساء خاصة بهن دون بيعة الرجال، أخرج البخاري[٣٣]، ومسلم[٣٤] من حديث عائشة(رضي الله عنها) زوج النبي(صلى الله عليه وسلم)، قالت:"إن رسول الله كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[٣٥]، وإذا تأملنا بيعة الرجال نرى أنها عين البيعة التي بايعها للنساء.بل لعلنا لا نبالغ في أن نعتمد ذلك من باب المساواة بين الرجل والمرأة، ذلك المبدأ الذي نادى به الإسلام منذ بزوغه، وهو من أهم الحقوق التي تهم الإنسان على السواء.

من الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان حق المساواة، وهو في الحقيقة من أعظم الحقوق في الشريعة الإسلامية، ففي الإسلام مبدأ المساواة في الحقوق والتكاليف، ولكن كل على حسب قدرته واستطاعته، قال تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٣٦]، فالناس سواسية كأسنان المشط، وإنما معيار التفاضل التقوى والعمل الصالح، قال الله جل وعلا: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى

[٣٠] ٣٥٤/٥(٣٢١١).

[٣١] ١٧٢/٦(٣٤٠٠).

[٣٢] صحيح سنن الترمذي، ٣٥٣/٥(٣٢١١).

[٣٣] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، ١٥٣٣/٤(٣٩٤٦).

[٣٤] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب:كيفية بيعة النساء،١٣٨٩/٣(١٨٦٦).

[٣٥] الممتحنة، الآية ١٢.

[٣٦] البقرة، الآية٢٨٦.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٣٧] ، إذن ميزان التفاضل بين العباد هو التقوى، لا الحسب والنسب والمال، لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، وقد جاء في الحديث: " أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ "[٣٨] وحق المساواة في الإسلام واقع عملي يمثل روح التشريع الإسلامي، وقد أعلنها محمد (صلى الله عليه وسلم) على الملأ وهو يقول: " وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[٣٩] فرَدَّ صلى الله عليه وسلم الشفاعة في المرأة المخزومية التي سَرَقت مع العلم أن بني مخزوم قوم لهم مكانتهم، ومع ذلك لم يقبل صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة من أسامة بن زيد، وقال هذه المَقالة التي لا تزال تدق في الآذان إلى يومنا هذا: " وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" إذن لا تَمايُزَ لطبقة على طبقة، فالكل أمام الحق سواء، ومن القصص المأثورة في هذا المجال قصة لملك من ملوك الغساسنة وهو يَطوف بالكعبة، وطئ أعرابي على طرف إزاره فالتفت إليه الملك ولطمه على أنفه حتى هشمه، فجاء واشتكى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: الأنف بالأنف - يعني أنف ملك بأنف أعرابي - فالإسلام قد سوى بينكما ... إلى آخر القصة.فهذا شاهد من تلك الشواهد التي تؤكد لنا هذه المساواة، فهذه الروح الإيمانية التي حققها الإسلام للإنسان استولت على قلوب الناس جميعًا حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، فلا حسب ولا نسب، فالأتقى هو الأقوى.

من الحقوق التي كفلها الإسلام في سنة نبيه الكريم، حق المرأة في التعليم، وما أخرجه البخاري[٤٠] من طريق أبي بردة، عن أبيه قال:"قال رسول الله( صلى الله عليه وسلم)، ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حق الله، وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها، فأحسن تأديبها، وعلمها، فأحسن تعليمها، ثم فتزوجها، فله أجران"،من هنا ندرك أن الإسلام حث على تعليم النساء(الحرائر والإماء)، ولقد تنبهت المرأة المسلمة إلى حقها في التعليم في عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، ولاحظت النسوة غلبة الرجال على رسول الله، إذ كان الرجال يلازمون رسول الله، ويحيطون به للتعلم؛ فلا يستطيع النساء مزاحمتهم عليه، وكن يجلسن في آخر الصفوف، فأتين يسألنه حظهن".أخرجه البخاري[٤١]، ومسلم[٤٢]، من حديث أبي سعيد الخدري، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم)،فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا ما علمك الله، ثم قال:" ما منكن من امرأة تُقَدِّم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار". فقالت امرأة:واثنين واثنين واثنين؟، فقال رسول الله:"واثنين واثنين واثنين".

---

[٣٧] الحجرات، الآية ١٣.

[٣٨] أخرجه أحمد، ٥٢٣/٢(١٠٧٩١)، والترمذي،٧٣٥/٥(٣٩٥٦).

[٣٩] أخرجه البخاري، ٢٤٩١/٦(٦٤٠٦)، ومسلم١٣١٥/٣(١٦٨٨).

[٤٠] كتاب العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله٤٨/١(٩٧).

[٤١] كتاب العلم، باب: هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟٥٠/١(١٠١).

[٤٢] كتاب البر والصلة والآداب،باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ٢٠٢٨/٤(٢٦٣٣).

من الحقوق التي كفلتها الشريعة السمحة، المتمثلة في السنة النبوية الشريفة، والتي تستمد قوتها من كتاب الله، حق التملك، فالإنسان له الحق في البيع والشراء والتصرف في ماله ما دام جائز التصرف، وجائز التصرف هو الحر البالغ العاقل الرشيد، فما دام الإنسان كذلك رجلاً كان أو امرأةً فله حق التملك بالبيع والشراء وسائر التصرفات الأخرى في حدود المأذون به شرعًا، وهو الكسب الحلال، فالإسلام حمى الملكية الخاصة من أي اعتداء، فحرم الغصب، وحرم السرقة، وحرم مصادرة الأموال بغير حق، وأمر الإسلام الإنسان بالدفاع عن ماله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ"[٤٣] وأوجب التعويض في حال الإتلاف، كل ذلك وغيره من باب الحفاظ على هذه الملكية، بل حرم الإسلام على الزوج أن يأخذ من مال زوجته بغير رضاها، وكثيرًا يقع في هذا بعض الأزواج، فبعض الأزواج يستغل الزوجة ذات المال و يستبدها في مالها بدون رضاها، ومعلوم أنه لا يجوز أخذ مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس.

فلا يحق للزوج أن يتصرف في مال زوجته إلا بإذنها، فهذا مما جاء به الإسلام، وما نجده في بعض القوانين، وتلك الحضارات التي تفتح المجال أمام الزوج ليستولي على مال زوجته، وأن يحجر عليها لمصلحته، فالإسلام حرم هذا كله، وجعل صداق المرأة من حقها تحت ملكها وتصرفها، ولا يجوز لزوجها أن يعتدي على شيء من مالها إلا بإذنها ورضاها.

إن كل ما ذكرنا فهو قليل مما ورد في السنة النبوية الشريفة لتبيان حقوق الإنسان، وما يكفل له حياة شريفة، تكريماً لأدميته، ولم يغفل الرسول الكريم(صلى الله عليه وسلم) عن صيانة هذه الحقوق وضمان بقائها لصالح البشرية، وإن مما يضمن سلامة حقوق الإنسان، ويوفر لها الحماية، ويضمن استمرارها، إقامة حدود الله جل وعلا وتحكيم شرعه في الناس، فإن هذا من أعظم أسباب الحفاظ على الحقوق، وهناك من يصف هذه الحدود بالتعسف، والرجعية ويصفها بأن فيها شدة وغلظة، ويقول: إن هذه العقوبة الشرعية ضد حقوق الإنسان، وهذا كلام خطير جِدًّا، ولهذا وجب علينا أن نبين خطر هذه الشبهة التي يدعيها أعداء الإسلام، فالعقوبة الشرعية أيًّا كان نوعها هي حكم الله وشرع الله، فما شُرِعت هذه العقوبات إلا زواجرا، والله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح خلقه من أنفسهم.

وما شرعت هذه العقوبة الشرعية إلا رَدْعًا للجريمة التي من شأنها انتهاك حقوق الإنسان بالاعتداء على دينه، أو على نفسه، أو على ماله، أو على عقله، أو على عرضه، هي عقوبات ثابتة مقدرة بتقدير الله جل وعلا، وهذه العقوبات عمومًا تحقق الأمن والطمأنينة للمجتمع ولكل مسلم ومسلمة، ففي إقامتها إقامةٌ للعدل وإحقاق للحق ومنعٌ للجريمة، وانظر إلى المجتمعات التي لا تُطَبِّق شرع الله وما يعج فيها من الأخلاق الفاسدة والجرائم المتعددة، والله سبحانه وتعالى جعل إقامة الحدود كَفَّارةً لتلك الذنوب التي يقترفها بعض العباد، وذلك كما بَيَّن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " وَمَنْ أَصَابَ مِنْ

[٤٣] أخرجه البخاري، ٨٧٧/٢( ٢٣٤٨ )، ومسلم١٢٤/١(٢٦٦).

ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ"[٤٤]، وإقامة حدود الله في الأرض هي امتثال لأمر الله ورسوله، ولو علم أولئك المغرضون ما يترتب على تعطيل إقامة حدود الله من المفاسد التي أعظمها الاعتداء على محارم الله وانتهاك حقوق العباد لرجعوا عن دعواهم الباطلة وعن مزاعمهم الكاذبة.

ومن تلك الدعاوى الكاذبة أن حد السرقة فيه امتهان للإنسان، وفيه تشويه لسمعته بفقد أحد أعضائه وشل حركته وتشويه جسده، انظروا إلى هذه العبارات التي يقصدون من ورائها الإساءة للإسلام، جعلوا هذا الحد من حدود الله بهذه المثابة، ولا شك أن هذه حجة داحضة، فإن تنفيذ شرع الله في الأرض هو بمنزلة الغيث على العباد: " حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلاَثِينَ صَبَاحًا" [٤٥]ولكي يسود الأمن بين الناس فكل أرجاء المعمورة، لا بد من تطبيق شرع الله على العباد، وإلا أدى ذلك إلى انتشار الجريمة وطغيان الفساد وفقدان الأمن، فإن المجتمع الذي لا تقام فيه حدود الله تتعدد فيه الجريمة، ولا شك أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، فكيف ننظر إلى مصلحة فرد وننسى مصلحة أمة؟! والله تعالى يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٤٦]، جعل الله القصاص الذي هو إزهاق للنفس حياةً، وهذا غاية في الإعجاز والبيان، غفل عنه كثيرون، وعلى المسلمين عامة أن يتمسكوا بدينهم، وأن يعملوا بأحكامه وآدابه، وأن يكون هو الحكم بينهم، فسَيَجِدُون فيه بإذن الله صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، فلا يصبح حال الإنسان إلا على ما شرعه الله ورسوله، فلقد حاز الإسلام قصب السبق في تقرير حقوق الإنسان بما لا يحتاج إلى زيادة بيان عما جاء في الكتاب والسنة، وما فرضه الله سبحانه وتعالى من عقوبات إنما هو حماية لتلك الحقوق وصيانة لها من أن تنالها أيدي العابثين.

**الخاتمة:**

إن من ينظر في حقوق الإنسان في الإسلام يجد أنها حقوق شرعية أبدية لا تتغير ولا تتبدل مهما طال الزمن، لا يدخلها نسخ ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تبديل، لها حصانة ذاتية؛ لأنها من لدن حكيم عليم، فالله سبحانه وتعالى أعلم بخلقه، وهو سبحانه أعلم بمصالح العباد من أنفسهم، فهي أحكام إلهية تكليفية، أنزل الله تعالى بها كتبه، وأرسل بها رسله، لقد رضي الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة الإسلام دينًا وجعل خاتم الأنبياء محمدًا صلى الله عليه وسلم، وفوق ذلك كله فرض الله جل وعلا على العباد حماية هذه الحقوق ورعايتها فيما بينهم، وحرم إهانتها من الاستغلال أو الاضطهاد أو الإهانة، من أجل أن يعيش الإنسان بأمن وطمأنينة، ويعيش في عز وكرامة، كرامة في الحياة، وكرامة بعد الممات، فحقوق الإنسان في الإسلام لم تقتصر على حياته فقط، فالإنسان مكرم حَيًّا ومَيِّتًا، وكذلك لا تقتصر عليه في حال الصحة، بل هو مكرم في حال الصحة والمرض، وفي الغنى والفقر، وفي السعة والضيق.

---

[٤٤] أخرجه البخاري، ١٤١٣/٣(٣٦٧٩)،ومسلم١٣٣٣/٣(١٧٠٩).

[٤٥] أخرجه النسائي، ٧٥/٨( ٤٩٠٤ )،وأحمد،٤٠٢/٢(٩٢١٥).

[٤٦] البقرة، الآية ١٧٩.

إن القرآن الكريم أصل قضية حقوق الإنسان تأصيلاً شرعياً متكاملاً، فقد كرم الله الإنسان وميزه، ومنحه من الحقوق المفروضة له شرعاً، والواجبة حكماً، المحاطة بمختلف أنواع الحماية والضمانات من الاعتداء والانتهاك، مما لم يوجد في منهج، أو قانون غير منهج القرآن.

لقد اتهم الإسلام زُورًا وبُهْتانًا أنه لم يراعِ حقوق الإنسان، وأن الشريعة ليس فيها حماية لحقوق الإنسان، وكل هذا من الجهل والمغالطات والأكاذيب، ولقد حاولت التصدى لهذه القضية – قدر المستطاع -، وأتيت بما يدلل على فساد هذه المقالة من الكتاب والسنة بآيات وأحاديث، دلت فيها على عناية الإسلام بحقوق الإنسان، والعناية بحقوق الإنسان في الشريعة لا تتنافى مع تعاليمه ومبادئه، بل تعاليم الإسلام تحترم الإنسان كإنسان، ثم هي تحترمه كمسلم التزم شرع الله .

إن الإسلام حَقًّا كرم الإنسان حينما أمر وحينما نهى، وعندما جاء بالعقوبات الشرعية التي هي لمصلحته تكفيرًا لخطاياه وردعًا له وحماية له من الانزلاق، حتى يسير على النهج القويم، كل ذلك تكريما له، فما الحدود إلا تكريم للإنسان، وإن كان فيها إيلام، لكنها تردعه أن يتمادى في الجرم، وتردع غيره. وهذا يعني أن الإسلام يضع إطارا من الشريعة لحفظ حقوق الإنسان، فلا حقوق بلا حدود بمعنى آخر الحقوق في الإسلام ليست مطلقة، بل مقيدة بقيود وحدود شرعية يقف عندها المسلم ولا يتعداها .

إن الشريعة الإسلامية لم تحافظ على حقوق الإنسان فحسب، بل تجاوزتها إلى ما هو أهم وأسمى، وأعظم إكراماً للإنسان، وأكثر إعزازاً له، ألا وهو تقرير كرامة الإنسان، وتفضيله على سائر مخلوقات الله.

لقد قررت الشريعة السمحة مبدأ الكرامة الإنسانية لكل الناس على اختلاف أجناسهم، وأعراقهم، وألوانهم، ولغاتهم...إننا عندما نتكلم عن تكريم الإسلام للإنسان نكون قد تجاوزنا مسألة حفظ حقوق الإنسان، فهذا في تصوري من المسلّمات، وإن ما ضمنته الشريعة الإسلامية للإنسان أشرف من هذا، وأعظم إنه مفهوم التكريم للإنسان الذي قرره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي أَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤٧] .

إن الإسلام قد بلغ في الإيمان بالإنسان وفي تقديس حقوقه إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة الحقوق عندما اعتبرها ضرورات، ومن ثم أدخلها في إطار الواجبات، فهي في نظر الإسلام ليست فقط حقوقاً للإنسان من حقه أن يطلبها ويسعى في سبيلها، ويتمسك بالحصول عليها، وإنما هي ضرورات واجبة لهذا الإنسان، بل إنها واجبات عليه أيضاً.

إن حقوق الإنسان في الإسلام مصدرها الوحي المعصوم من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، أما مصدر حقوق الإنسان في القوانين والمواثيق الدولية فهو الفكر البشري، الذي يخطئ كثيراً...ويتأثر بالطبيعة البشرية بما فيها من ضعف وقصور وعجز...

[٤٧] الإسراء، الأية ٧٠.

حقوق الإنسان في الإسلام حقوق أصيلة لا تقبل الحذف ولا التعطيل، إنها حقوق ملزمة، شرعها الخالق سبحانه وتعالى.



# واجبات الأباء تجاه الأبناء دراسة تحليلية في ضوء السنة النبوية

**د. كبير غوجي**

كلية دراسات القرآن والسنة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

**أ.م.د. فوزي درامن**

قسم القرآن والحديث

أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا



**ملخص البحث:**

فإن الأولاد أمانة في أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير في تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح، والأسرة التي تتكون من الوالدين تعتبر هي المدرسة الأولى للأولاد، وهي عماد المجتمع واللبنة الأساسية فيه ، وهي الحصن الثالث المنيع الذي بقي للمسلمين في العصر الحاضر بعد الإيمان والعبادات، ولذلك رعاها السنة النبوية رعاية كاملة وبيّنت أفضل السبل لإقامتها والمحافظة عليها، ومن السبل التي بيّنتها السنة النبوية في رعاية الأسرة هي العلاقة التي تكون بين الآباء والأولاد، وتعتبر هذه العلاقة من أقوى العلاقات الأسروية وأعمقها وأكثرها تأثيرا في نفس كل طرف من طرفي هذه العلاقة، فهي ليست التقاء وإنما هي علاقة اشتقاق، فالولد هو بعض الأب أو هو جزء منه، أي أن الأب أصل والابن فرع، وليس بين علاقات البشرية ماهو مثل علاقة الأصول والفروع بما تحويه من جوانب نفسية، ومظاهر اجتماعية، وتبادل للحقوق والواجبات. وبسبب قوة هذه العلاقة وعمقها، وكذلك بسبب مظاهرها وآثارها الهامة في تكوين المجتمع اهتمّ بها السنة النبوية اهتماما بالغاً، ولذا يهدف هذا البحث إلى دراسة واجبات الآباء تجاه أبنائهم في ضوء السنة النبوية .

**المقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[١] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

[١] سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا.[3]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

الأبناء أمانة وضعها الله بين الأيدي الآباء، وهم مسؤلون عنها، كما يقول النبي – صلى الله عليه وسلم: « كلكم راع فمسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [4]، وفي هذا الحديث إرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه الآباء من رعاية أولادهم على حسن التربية والكرم ليكون تصرف الأولاد في مستقبل الأيام فيه معاني الفوز والنجاح. ولذلك عليهم أن يأمروهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته. وفي ذلك يقول الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم :٦ ].

وقال قتادة – كما نقل عنه ابن كثير في تفسيره-: "يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقومَ عليهم بأمر الله، ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، قَدعتهم عنها وزجرتهم عنها". وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه[5].

ومن الأدب الحسن أن يعلمه كيف يأكل وكيف يشرب وكيف يعامل الناس، وكيف يسعى لعيشه بينهم ويحسن عشرتهم، ويعلمه الواجب عليه لربه ولخلقه، فيدخل في تعليمه هذا بما يناسب الزمان والمكان مع المحافظة على الدين. وفي هذا البحث- إن شاء الله سأتحدث عن أهم واجبات الآباء تجاه أبنائهم في ضوء السنة النبوية.

## المبحث الأول

## اختيار الأم الصالحة

فيجب على الآباء نحو أبنائهم اختيار لهم الأم الصالحة التي تحقق الهدف المرجو من الزواج وهو اعداد الجيل الصالح المسؤول، لأن التربية تعتمد أساساً على اختيار الزوجة الصالحة والأم المحمودة التي تغرس في أبنائها بذور الأدب والأخلاق الحسنة، فأخلاق الأم تنعكس على أخلاق أبنائها، ولذا حث

---

[2] سورة النساء، الآية: ١.

[3] سورة الأحزاب، الآية:٧٠-٧١.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه ج٢ ص٩٠١ رقم الحديث:٢٤١٦ من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-

[5] ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٨ ص١٦٧

السنة النبوية الرجل عند رغبته في الزواج أن يختار الأم الصالحة ذات الدين لأنها أفضل[٦].وفي ذلك أحاديث كثيرة، منها:

- عن أبي هريره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٧]

وقال النووي – رحمه الله- : " الصحيح في معنى هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه و سلم أخبر بما يفعله الناس في العادة فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع وآخرها عندهم ذات الدين فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين لا أنه أمر بذلك"[٨]

وقال ابن حجر: والمعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته فأمره النبي- صلى الله عليه وسلم- بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية.[٩]

- عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[١٠]

وقال ابن الجوزي: "المتاع ما ينتفع به ويستمتع وَصَلَاح الْمَرْأَة دينهَا، وصاحبة الدّين تجتنب الأنجاس والأوساخ، وتحسن أخلاقها، وتصبر على جفَاء زَوجهَا وَقلة نَفَقَته، وَلَا تخونه فِي مَاله، فيطيب لذَلِك عيشه" [١١]

وقال القرطبي- كما نقل عنه السيوطي-: " والمرأة الصَّالحة" : هي الصالحة في نفسها ، وفي دينها. والْمُصْلِحَةُ لحال زرجها . وهذا كما قال في الحديث الآخر:«ألا أخبركم بخير ما يكنزه المرء ؟ قالوا : بلى . قال : المرأة الصالحة: التي إذا نظر إليها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته[١٢]»[١٣].

---

[٦] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، ***علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية***، ط٣ مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القاهرة سنة النشر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ ، ص ٥٠ بتصرف.

[٧] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ***صحيح البخاري***، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، ج٥ ص١٩٥٨ رقم الحديث:٤٨٠٢، وأخرجه أيضاً مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ***صحيح مسلم***، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢ ص١٠٨٦ رقم الحديث:١٤٦٦

[٨] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ، ج١٠ ص٥٢.

[٩] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ج٩ ص ١٣

[١٠] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٢ ص١٠٩٠ رقم الحديث: ١٤٦٧

[١١] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ***كشف المشكل من حديث الصحيحين***، دار الوطن – الرياض، بتحقيق علي حسين البواب، ج٤ ص ١٢٩ رقم الحديث:٢٣٣٨.

[١٢] أخرجه ابن ماجه في سننه ج١ ص٥٩٦ رقم: ١٨٥٧،وفي سنده عثمان بن أبي العاتكة وهو ضعيف، وقال الحافظ في التقريب: "ضعفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني"، وفيه أيضاً شيخه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف، وقد ضعفه البوصيري والألباني.

[١٣] القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولده في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده»[١٤]

وقال النووي: "فيه فضيلة نساء قريش وفضل هذه الخصال وهي الحنوة على الاولاد والشفقة عليهم وحسن تربيتهم والقيام عليهم اذا كانوا يتامى ونحو ذلك مراعاة حق الزوج في ماله وحفظه والامانة فيه وحسن تدبيره في النفقة وغيرها وصيانته ونحو ذلك".[١٥]

وقال الدهلوي- رحمه الله-: "يستحب أن تكون المرأة من كورة وقبيلة عادات نسائها صالحة فإن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وعادات القوم ورسومهم غالبة على الإنسان ، وبمنزلة الأمر المجبول هو عليه ، وبيّن أن نساء قريش خير النساء من جهة أنهن أحنى إنسان على الولد في صغره ، وأرعاه على الزوج في ماله ورقيقه ، ونحو ذلك ، وهذان من أعظم مقاصد النكاح ، وبهما انتظام تدبير المنزل ، وإن أنت فتشت حال الناس اليوم في بلادنا وبلاد ما وراء النهر وغيرها لم تجد أرسخ قدماً في الأخلاق الصالحة ولا أشد لزوماً لها من نساء قريش"[١٦].

وقال أيضاً-: "لابد من الإرشاد إلى المرأة التي يكون نكاحها موافقاً للحكمة موفراً عليه مقاصد تدبير المنزل ؛ لأن الصحبة بين الزوجين لازمة ، والحاجات من الجانبين متأكدة ، فلو كان لها جبلة سوء ، وفي خلقها وعادتها فظاظة ، وفي لسانها بذاء - ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وانقلبت عليه المصلحة مفسدة، ولو كانت صالحة صلح المنزل كل الصلاح ، وتهيأ له أسباب الخير من كل جانب ، وهو قوله صلى اللّه عليه وسلم : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » "[١٧].

فهذه الأحاديث متضافرة تحث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة التي يكون الدين عصمتها في حياتها حتى يتنعكس أخلاقها على أخلاق أبنائها، وبهذا يتم بناء الأسرة الصالحة التي تكون أصل الأساسي في تكوين المجتمع النظيف.

## المبحث الثاني

## حق النسب

وحق النسب من أهم حقوق الأولاد على أبائهم، لأنهم ثمرة الزواج المقدس بين أبويهم، ولما كانت هذه الصلة العظيمة على هذا الجانب من الخطورة فلذلك لم يتركها الشارع نهبا للأهواء والعواطف تهبها لمن تشاء وتحرم منها من أرادت، بل تولاها بتشريفه، واعتنى بها أعظم عناية، وأحاطها بسياج

منيع يحفظها من الفساد والانحلال والاضطراب، ولذلك حذّر النبي –صلى الله عليه وسلم- الآباء أن يتساهلوا بهذه القضية المهمة كما جاء في الحديث.

---

[١٤] أخرجه البخاري، المرجع السابق، ج٥، ص ١٩٥٥، رقم الحديث: ٤٧٩٤

[١٥] النووي، المرجع السابق ج١٦ ص ١٨

[١٦] الدهلوي، أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبدالرحيم الدهلوي، ***حجة الله البالغة***، دار إحياء العلوم - بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، بتعليق الشيخ محمد شريف سكر، ج٢ ص١٥٦

[١٧] الدهلوي، المصدر نفسه ص١٥٥

عن أبي هريرة –رضي الله عنه- : «أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول حين نزلت آية المتلاعنين أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شىء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين»[١٨]

- عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : «من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد قصاص بقصاص»[١٩] وهذا لأن انكار الأب يترتب عليه تعريضه وأمه للذل الدائم والعار الذي لا ينتهي. وفي هذا من الضرر ما لا يخفى وهو يشبه قتل الأولاد من وجه[٢٠].

وكذلك نهى الأبناء عن انتسابهم إلى غير آبائهم كم جاء في حديث سعد بن أبي وقاض - رضي الله عنه- قال: «سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»[٢١] لأن انتساب الولد إلى غير أبيه عقوق للأب واساءة إليه وترك لشكر نعمته عليه.

وقال الدهلوي- رحمه الله-: "من الناس من يقصد مقاصد دنية، فيرغب عن أبيه ، وينتسب إلى غيره، وهو ظلم وعقوق لأنه تخييب أبيه ، فإنه طلب بقاء نسله المنسوب إليه المتفرع عليه، وترك شكر نعمته وإساءة معه ، وأيضاً فإن النصرة والمعاونة لابد منها في نظام الحي والمدينة، ولو فتح باب الانتفاء من الأب لأهملت هذه المصلحة، ولاختلطت أنساب القبائل".[٢٢]

## المبحث الثالث

## اختيار الاسم

من ضمن حقوق الطفل على والديه أن يحسنا اختيار اسمه الذي سيدعى به بين الناس مستقبلا، فإن كان الاسم حسناً محبباً، سر به الولد عند كبره وأحب أن يدعى به، وسر به غيره - أيضا - ممن يناديه به أو يسمعه، وإن كان قبيحاً ساءه سماعه حين يدعى به، وساء من يدعوه ومن يسمع النداء به، والولد لا ذنب له في ذلك، لأنه لم يختره لنفسه، لذلك كان المشروع أن يختار له أهله الاسم الحسن الذي يسره ويسر غيره، ولذا أوصى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- الآباء بحسن اختيار أسماء أبنائهم، وقام أيضاً بتغير بعض الأسماء المكروهة،[٢٣] وفي ذلك أحاديث:

[١٨] أخرجه أبوداود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، *سنن أبو داود*، دار الكتاب العربي بيروت، كتاب اللباس ، باب في غسل الثوب، ج٢، ص ٢٤٦ رقم: ٢٢٦٥ ، وإسناد هذا الحديث ضعيف لأن فيه عبد الله بن يونس، وهو مجهول، وقال الذهبي: تابعي مجهول، وقال الحافظ ابن حجر: مجهول الحال، وضعف هذا الحديث الألباني.

[١٩] أخرجه أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج ٨ ص٤١٤ رقم:٤٧٩٥،وإسناد هذا الحديث حسن، وقد حسنه الألباني و شعيب الأرنؤوط.

[٢٠] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، المرجع السابق ص٥٢

[٢١] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٦ ص٢٤٨٤ رقم الحديث: ٦٣٨٥.

[٢٢] الدهلوي، المرجع السابق ج٢ ص١٩٦

[٢٣] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، المرجع السابق ، ص ٥٣ بتصرف.

١ - عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[٢٤]

٢- عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدالرحمن»[٢٥]

٣- عن أبي وهب الجشمي – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة»[٢٦]

٤ – عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإني أنا أبو القاسم»[٢٧]

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله- وجه تفضيل اسم عبد الله وعبد الرحمن وأسماء الأنبياء على سائر الأسماء، فقال في تفضيل عبد الله وعبد الرحمن: " ولما كان الاسم مقتضيا لمسماه ومؤثرا فيه كان أحب الأسماء إلى الله ما اقتضى أحب الأوصاف إليه كعبد الله وعبدالرحمن وكان إضافة العبودية إلى اسم الله واسم الرحمن أحب إليه من إضافتها إلى غيرها كالقاهر والقادر فعبد الرحمن أحب إليه من عبد القادر وعبد الله أحب إليه من عبد ربه وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضة والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده والغاية التي أوجده لأجلها أن يتأله له وحده محبة وخوفا ورجاء وإجلالا وتعظيما فيكون عبدا لله وقد عبده لما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب كان عبد الرحمن أحب إليه من عبد القاهر".[٢٨]

وقال في وجه تفضيل أسماء الأنبياء: "ولما كان الأنبياء سادات بني آدم وأخلاقهم أشرف الأخلاق وأعمالهم أصح الأعمال كانت أسماؤهم أشرف الأسماء فندب النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى التسمي بأسمائهم كما في سنن أبي داود والنسائي عنه " تسموا بأسماء الأنبياء" ولو لم يكن في ذلك من

---

[٢٤] أخرجه أبوداود، المرجع السابق، ج٢ ص٧٠٥ رقم:٤٩٤٨ ، من طريق عمرو بن عون ومسدد عن هشيم عن داود بن عمرو عن عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء به. وهذا إسناد منقطع لأن عبد الله بن أبي زكريا لم يدرك أبي الدرداء، وقال أبو داود بعد إخراج هذا الحديث: ابن أبي زكريا لم يدرك أبا الدرداء، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٧٧): ورجاله ثقات، إلا أن في سنده انقطاعا بين عبد الله بن أبي زكريا -راويه عن أبي الدرداء -وأبي الدرداء فإنه لم يدركه

[٢٥] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٣ ص١٦٨٢ رقم الحديث: ٢١٣٢

[٢٦] أخرجه أبوداود، المرجع السابق، ج٢ ص٧٠٥ رقم:٤٩٥٠ ، وقال الألباني: صحيح دون قوله تسمو بأسماء الأنبياء.

[٢٧] أخرجه البخاري، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ص٢٩١ رقم الحديث:٨٣٦ ، من طريق أبي نعيم فضل بن دكين عن داود بن قيس عن موسى بن يسار عن أبي هريرة به. ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وقد صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

[٢٨] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشرة : ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م، بتحقيق شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، ج٢ ص٣٠٧ .

المصالح إلا أن الاسم يذكر بمسماه ويقتضي التعلق بمعناه لكفى به مصلحة مع ما في ذلك من حفظ أسماء الأنبياء وذكرها وأن لا تنسى وأن تذكر أسماؤهم بأوصافهم وأحوالهم"[٢٩].

ويتضح مما سبق من الأحاديث أن الأسماء المحبوبة ثلاثة أقسام: فأفضلها وأعلاها عبد الله وعبد الرحمن، وأوسطها أسماء الأنبياء، وأصدقها ما كان وصفاً في الإنسان كحارث وهمام، وأقبحها كل اسم قبيحاً الذي ساء سماعه حين يدعى صاحبه به،[٣٠] ولذلك قام النبي- صلى الله عليه وسلم- بتغير بعص الأسماء المكروهة، كما جاء عن عائشة- رضي الله عنها قالت: «أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يغير الإسم القبيح».[٣١] وجاء أيضا عن عبد الله بن عمر قال :« أن ابنة لعمر كانت يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة»[٣٢]

## المبحث الرابع:

## العقيقة:

الطفل الذي مر برحلة طويلة في عالم الرحم، في ظلمات ثلاث لا يرى نور الشمس، ولا يرى أمه، وهو في بطنها، ولا يرى أحد من أسرته، وهم كذلك يعيش بينهم ويأكل من طعامهم، ويشرب من شرابهم، وهم لا يرونه، لمدة تسعة أشهر في الغالب وقد تزيد وقد تنقص، وإن إن مجيئه لينضم إلى الأسرة التي طال انتظارها له، لأحق بالإكرام من غيره من الضيف الزائرين الذين قد ألفوا الحياة وألفتهم، لأنه جاء ليكثر سواد الأسرة ويكون لبنة في بنائها، يقويها ويتعاون معها على تحقيق أهدافها، التي من أهمها تكثير النسل الذي يحبه الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- ولذا حث الرسول- صلى الله عليه وسلم- الوالدين بإقامة العقيقة إكراماً لهذا الضيف، شكرا لله على قدومه، وهذا أيضاً من الحقوق الأولاد على أبويهم. كما يدل على ذلك أحاديث.

١ - عن سمرة- رضي الله عنه- قال- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الغلام مرتهن بعقيقية يذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه»[٣٣]

وقال الإمام البغوي: "وقد تكلم الناس في معنى قوله: "مرتهن بعقيقته" أجودها ما قال أحمد بن حنبل: أن معناه أنه إن مات طفلا ولم يعق عنه لم يشفع في والديه، ويروى عن قتادة أيضا أنه يحرم شفاعتهم"[٣٤].

---

[٢٩] ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج٢ ص ٣١٢

[٣٠] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، المرجع السابق ، ص ٥٤ بتصرف.

[٣١] الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق أحمد محمد، ج٥ ص١٣٥ رقم الحديث:٢٨٣٩، وهذا حديث صحيح، وقد صححه الألباني.

[٣٢] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٣ ص١٦٨٦ رقم الحديث: ٢١٣٩

[٣٣] أخرجه الترمذي، المرجع السابق، ج٤ ص١٠١ رقم الحديث:١٥٢٢، وقد صححه الألباني.

[٣٤] البغوي، الحسين بن مسعود البغوي،شرح السنة، ط٢،المكتب الإسلامي - دمشق و بيروت . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ج١١ ص ٢٦٨.

٢ – عن سلمان بن عامر الضبي- رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى»[٣٥]

وقال الشوكاني: "العقيقة الذبيحة التي تذبح للمولود والعق في الأصل الشق والقطع وسبب تسميتها بذلك أنه يشق حلقها بالذبح وقد يطلق اسم العقيقة على شعر المولود وجعله الزمخشري الأصل والشاة مشتقة منه[٣٦]"

وقال ابن القيم: فالذبيحة عن الولد فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة وإطعام الطعام عند حوادث السرور العظام شكرا لله وإظهار لنعمته التي هي غاية المقصود من النكاح فإذا شرع الإطعام للنكاح الذي هو وسيلة إلى حصول هذه النعمة فلأن يشرع عند الغاية المطلوبة أولى وأحرى.[٣٧]

## المبحث الخامس

## المساواة بين الذكور والاناث

وينبغي أن يُسَوِّي الرجل بين أولاده في الهبة ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ويُسَوِّي بين الذكر والانثى كما يدل على ذلك سنة النبي –صلى الله عليه وسلم-

١ - عن النعمان بن بشير– رضي الله عنه-  قال: تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليشهده على صدقتي فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:« أفعلت بولدك هذا كلهم؟  قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم  فرجع أبي فرد تلك الصدقة»[٣٨].

ولذا يجب على الوالدين مساواة  الذكور والاناث في التربية، لأن الإسلام لا يفرق بينهما في هذه الناحية، فلكل من الجنسين الحق من في أن يربي تربية حسنة، وفي أن يتعلم العلم النافع، ويدرس المعارف الصحيحة، ويأخذ بأسباب التأديب ووسائل التهذيب لتكمل إنسانيته، ويستطيع النهود بالأعباء الملقاة على عاتقه، ولذلك لا يُفضّل أحد على أحد من الأولاد، ولا يميز الذكور على الإناث، والعدل بين الأولاد مطلوب في جميع الحالات سواء كان في العطاء أو في المحبة والقبلة أو في تقديم الهدايا والهبات والوصية أو في المعاملة فإنه يلزم الوالدين معاملة أولادهم بالعدل والمساواة، وبهذا العدل يستقيم أمر الأسرة وتنشأ المحبة بين الجميع وتغرس الثقة بين أفراد الأسرة فلا مكان للأحقاد والبغضاء عندئذ.[٣٩]

[٣٥] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٥ ص٢٠٨٢ رقم الحديث: ٥١٥٤

[٣٦] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية، ج٥ ص ١٩٤

[٣٧] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، الطبعة الأولى ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١، مكتبة دار البيان – دمشق بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ص ٧٠

[٣٨] أخرجه مسلم، المصدر السابق،ج٢ ص١٠٠٠ رقم:١٣٧٣

[٣٩] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، المرجع السابق ، ص ٤٧ بتصرف.

## المبحث السادس

## حق التربية

والمقصود بالتربية: إعداد الطفل بدنياً وعقلياً وروحياً، حتى يكون عضوا نافعاً لنفسه ولأمته.

أ - **إعداد الطفل بدنياً:** والمقصود به تهيئة الطفل ليكون سليم الجسم، قوي البنية قادر على مواجهة الصعبات التى تعترضه، بعيد عن الأمراض والعلل التي تشل حركته، وتعطل نشأته. وهناك الوسائل التي وضعها الإسلام لجعل الطفل صحيح البدن، بعيد عن الأسقام والعلل، والتي يجب على المربي أن يأخذ بها في التربية تتلخص فيما يلي:

**أولاً: النظافة:**

ولما كان النظافة ركن من أركان الصحة ودعامة من دعائمها حث الإسلام المربي أن يحرص على النظافة أجساد الأطفال من خلال المداومة على الاستحمام، والاهتمام بنظافة الثيابهم التي يلبسونها، وتنظيف شعر رؤوسهم بإصلاحه وتجميله، وقد جاءت الأحاديث في ذلك، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِى كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ »[٤٠].

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ». وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ « أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»[٤١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»[٤٢].

**ثانياً: اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب:**

وقد حث الإسلام المربي على ضرورة اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب، ويعوِّد الطفل عليها كالاجتناب زيادة عن قدر الحاجة في الأكل والشرب، وعدم التنفس في الإناء والشرب على الأنفاس، وتعويده بأكل الطيبات التي تغذى البدن وتقويه وغير ذلك، وفي ذلك أحاديث كثيرة:

---

[٤٠] أخرجه مسلم، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٢، رقم: ٨٤٩ ، من طريق محمد بن حاتم بن ميمون البغدادي عن بهز بن أسد عن وهيب بن خالد عن عبد الله بن طاووس عن أبيه طاووس بن كيسان عن أبي هريرة به.

[٤١] أخرجه أبوداود، المرجع السابق ، كتاب اللباس ، باب في غسل الثوب، ج٤، ص ٩٠ رقم: ٤٠٦٤ ، من طريق عبد الله بن محمد القضاعي النفيلي عن مسكين بن بكير، ومن طريق عثمان بن أبي شيبة عن وكيع بن الجرح، كلاهما (أي مسكين ووكيع) عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله به.ورجاله ثقات، وإسناده صحيح. وصححه الألباني

[٤٢] أخرجه أبوداود، المصدر نفسه ج٤، ص ١٢٥ رقم:٤١٦٥، من طريق سليمان بن داود المهري عن عبد الله بن وهب عن ابن أبي الزناد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة به. ورجاله ثقات وإسناده صحيح، وصححه الألباني

عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثُ طَعَامٍ وَثُلُثُ شَرَابٍ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٤٣].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُتَنَفَّسَ فِى الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ.»[٤٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ»[٤٥].

وقد ذكر الإمام الغزالي الأداب الأكل التي ينبغي لمربي أن يراعيها في تربية الطفل، فقال: "وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان"[٤٦].

### ثالثاً: ممارسة الرياضة:

وقد حث الإسلام أبناء الأسرة على ممارسة الرياضة كالسباحة، وركوب الخيل والمشي وغير ذلك، حتى لا يغلب عليه الكسل، وجاءت الأحاديث في ذلك

عن عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: رأيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه وجابر بن عمير رضي الله عنه الأنصاريين يرميان، فمل أحدهما فجلس فقال الآخر: كسلت، سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

[٤٣] أخرجه أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج ٢٨ ص٤٢٣ رقم:١٧١٨٦ من طريق أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن سليمان بن سليم الكناني عن يحي بن جابر الطائي عن المقدام بن معدي كرب الكندي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – به. رجاله كلهم ثقات وإسناده صحيح

[٤٤] أخرجه أبو داود، المرجع السابق ج٣ ص٣٩٢ رقم:٣٧٣٠، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه، من طريق عبد الله بن محمد النفيلي عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة مولى بن عباس عن عبدالله بن عباس به، ورجاله كلهم ثقات وإسناده صحيح، وصححه الترمذي في سننه ج٤ ص ٣٠٤ رقم:١٨٨٨، فقال بعد إخراجه: حديث حسن صحيح، وصححه أيضا الألبانيّ كما في الإرواء ج ٧ ص ٣٦ رقم: ١٩٧٧

[٤٥] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ***سنن ابن ماجه***، دار الفكر بيروت بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،ج ٢ ص ١١٣٣رقم: ٣٤٢٧، باب التنفس في الإناء، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن داود بن عبد الله عن عبد العزيز بن محمد عن الحارث بن أبي ذباب عن عمه عن أبي هريرة به، وإسناد هذا الحديث حسن لأن رجاله كلهم ثقات غير عبد العزيز بن محمد فقد قال عنه يحي بن معين: ليس به بأس، وقد صحح هذا الحديث البوصيري فقال في مصباح الزجاجة (١٨٦/٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

[٤٦] الغزالي: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة . بيروت، ج٣ ص ٧٢

وسلم يقول: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو إلا أربعة خصال مشي بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة»[٤٧].

عن عبد الله بن عمررضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَّقَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَفَضَّلَ الْقُرَّحَ[٤٨] فِي الْغَايَةِ».[٤٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنه يتوكأ[(٥٠)]»[٥١].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: شكا ناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي فدعا بهم، وقال: «عليكم بالنسلان[(٥٢)] فنسلنا فوجدناه أخف علينا».[٥٣]

عن عبد الرحمن بن شَمَاسَةَ أن فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قال لعقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك، قال عقبة: لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أُعَانِهِ، قال الحارث: فقلت لابن شماسة: وما ذاك؟ قال إنه قال: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى».[٥٤]

**ب – إعداد الطفل عقلياً:** ومعناه هو أن يهيّأ عقل الطفل كي يكون سليم التفكير، قادراً على النظر والتأمل، يسطيع أن يفهم البيئة التي تحيط به، ويحسن الحكم على الأشياء، والإسلام وضع الوسائل كثيرة في تمنية عقول الأطفال لما في ذلك من أهمية تمكن في تمنية عقولهم بالفهم والإدراك، وذلك عن

---

[٤٧] أخرجه النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، *السنن الكبرى*، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩١ دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، ج٥ ص٣٠٣ رقم:٨٩٤٠، باب ملاعبة الرجل زوجته، من طريق إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد الحراني عن عبد الواهب بن بخت عن عطاء بن أبي رباح به، ورجاله كلهم ثقات وإسناده صحيح.

[٤٨] جمع القارح وهو من الخيل ما دخل فى السنة الخامسة

[٤٩] أخرجه أبو داود، المرجع السابق، ج ٢ ص ٣٤رقم:٢٥٧٧، باب في السبق ، من طريق أحمد بن حنبل عن عقبة بن خالد عب عبيد الله بن عمر عن نافع مولى بن عمر عن عبد الله بن عمر به، وهذا سند صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال الصحيحين.

[(٥٠)] الاتكاء في كلام العرب يكون بمعنى السعي الشديد وقيل يميل إلى قدام، وقوله كأنه يتوكأ أي أنه مشى بقوة كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعًا قويًا لا كمن يمشي مختالاً، انظر: العظيم آبادي، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ***عون المعبود شرح سنن أبي داود***، دار الكتب العلمية – بيروت، ج١٣ ص ١٤٦، بتصرف.

[٥١] أخرجه أبو داود، المرجع السابق، باب في هَدْيِ الرَّجُلِ ،ج٢ ص٦٨٣ رقم الحديث:٤٨٦٣، من طريق وهب بن بقية عن خالد بن عبد الله الواسطي عن حميد بن أبي حميد الطويل عن أنس به، ورجاله ثقات أخرج لهم أصحاب كتب الستة غير وهب بن بقية وهو ثقة أخرج له مسلم و أبو داود والنسائي، وإسناد هذا الحديث صحيح.

[(٥٢)] النون والسين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على سَلِّ شيءٍ وانسلاله. والنَّسْل: الولَد، لأنَّه يُنْسل من والدته. وتناسَلُوا: ولد بعضُهم من بعض. ومنه النَّسَلان: مِشية الذِّئب إذا أعْنَقَ وأسْرَع. والماشي يَنْسِلُ، إذا أسرع، قال الله عزّ وعلا: { وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون } [الأنبياء ٩٦] انظر: ابن فارس، المرجع السابق، ج٥ ص٤٢٠.

[٥٣] أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب استحباب النسل في المشي عند الإعياء، ج٤ ص ١٤٠ رقم الحديث: ٢٥٣٧، من طريق إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج عن روح بن عبادة عن عبد الملك بن جريج عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي أبو جعفر الباقر عن جابر به، ورجاله ثقات رجال الصحيحين غير جعفر الصادق وهو ثقة أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي والنسائي

[٥٤] أخرجه مسلم المرجع السابق، باب فضل الرمي والحث عليه وذمِّ من علمه ثم نسيه، ج٣ ص ١٥٢٢رقم الحديث: ١٩١٩.

طريق توجيه عقولهم إلى تدبر سنن الله في الأرض، وأحوال الأمم السابقة لأخذ العبرة والعضة منها[٥٥]، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو الانسان إلى التأمل وايقاظ النفس واستشعارها لعظمة الله وقدرته في الكون.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [ البقرة: ١٦٤]

وقال أيضاً في التفكير نحو مخلوقاته: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [ الغاشية:١٧ ].

كما يقع أيضاً في حدود هذه المسؤولية التربوية تعليم الطفل تلاوة القرآن الكريم، والسيرة النبوية، وكل ما يحتاجون إليه من العلوم الشرعية، وبعض المقصائد الأدبية من خلال اتباع عدد من الأصول التربوية للنهوض بهذه المسؤولية كتعليمه اللغة العربية محادثة، وقراءة وكتابة واستيعاباً لترغيب النبي – صلى الله عليه وسلم- في تعليمها، كما جاء عن بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».[٥٦]

يقول الإمام الغزالي- رحمه الله-: "ثم يشتغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد"[٥٧].

**ج - إعداد الطفل روحياً:**

يوجه الإسلام عناية خاصة لتربية الروح لأنها في نظره مركز الكيان البشري، ونقطة ارتكازه والمهيمن الأكبر على حياة الإنسان، وهناك الوسائل الإعداد الروحي التي بينها الإسلام وأرشد إليها، كإبراز قيمة الفضائل وآثارها الفردية ولاجتماعية، واظهار مساويء الرذائل وآثارها أمام الطفل بقدر ما يتسع له فهمه، وأن يكون أيضاً الآباء أنفسهم مثلا صالحاً لأبنائهم، فإن الأطفال من عاداتهم أن يتشبهوا بأبويهم ويحاكوهم في أقوالهم وأفعالهم، كما يجب أيضاً على المربي في إعداد روح الطفل أن يقوم بالتلقين الطفل مباديء الدين، وتمرينه على العبادات، وتعويده فعل الخير، ويجب عليه أيضاً معاملة الطفل

---

[٥٥] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، ***علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية***، ط٣ مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القاهرة سنة النشر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ ، ص ٦٠ بتصرف.

[٥٦] أخرجه أحمد، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م، ج٤، ص٩٢، رقم:٢٢١٦، من طريق علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به، وإسناده حسن كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط

[٥٧] الغزالي: المرجع السابق، ج٣ ص ٧٣

بالملاطفة والرحمة والرفق وغير ذلك من أخلاق كريمة[٥٨]. وقد جاءت الأحاديث في أشياء التي تقدم ذكرها:

-وفي تشبه بأبويه فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء ( سميت بذلك لإجتماع السلامة لها في أعضائها ) هل تحس من جدعاء؟ " قالوا يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين»[٥٩].

يقول الغزالي: "فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٦٠].

-وفي تلقين الطفل مباديء الدين فقد جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع...»[٦١]

يقول الغزالي رحمه الله: "ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش"[٦٢].

-وفي معاملة الطفل بالملاطفة والرحمة والرفق، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا فقال: الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال: من لا يرحم لا يرحم»[٦٣].

وجاء أيضا عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: اللهم إرحمهما فإني أرحمهما»[٦٤].

[٥٨] صالح، دكتورة سعاد ابراهيم، ***علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية***، ط٣ مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القاهرة سنة النشر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ ، ص ٥٩ - ٦٠ بتصرف

[٥٩] أخرجه أبو داود، المرجع السابق، ج ٢ ص ٦٤٢رقم:٤٧١٤، باب في ذراري المشركين، من طريق القعنبي عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به، وهذا سند صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال الصحيحين. وصححه الألباني.

[٦٠] الغزالي: المرجع السابق، ج٣ ص ٧٤

[٦١] أخرجه أحمد، ج٢، ص١٨٧، رقم:٦٧٥٦، ، وإسناد هذا الحديث حسن كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط

[٦٢] الغزالي: المرجع السابق، ج٣ ص ٧٤

[٦٣] أخرجه البخاري، المرجع السابق رقم الحديث: ٥٦٥١

[٦٤] أخرجه البخاري، المصدر نفسه، ص ٢٢٣٦ رقم الحديث: ٥٦٥٧

وقد جاء أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: «ما مسست بيدي ديباجا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فوالله ما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا»[٦٥]

يقول الغزالي- رحمه الله-: "ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسروا أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح"[٦٦].

**الخاتمة:**

تطرقت في هذا البحث لمسائل مهمة جدًا، التى تتعلق بواجبات الأباء تجاه الأبناء في ضوء السنة النبوية، وبعد ذلك توصلت إلى **نتائج أجمل أهمها فيما يأتي**:

١ - يجب العودة إلى القرآن السنة النبوية الشريفة للتعرف على المعايير المثلى للمسؤولية التربوية للأسرة الصالحة بكافة أشكالها وصورها وتربية الأطفال على وفق المنهج الرباني الذي يحقق فوزهم وفلاحهم في الدنيا والأخرة.

٢ - التربية تعتمد أساساً على اختيار الزوجة الصالحة والأم المحمودة التي تغرس في أبنائها بذور الأدب والأخلاق الحسنة، فأخلاق الأم تنعكس على أخلاق أبنائها، ولذا حث السنة النبوية الرجل عند رغبته في الزواج أن يختار الأم الصالحة ذات الدين لأنها أفضل.

٣ - النسب من أهم حقوق الأولاد على أبائهم، لأنهم ثمرة الزواج المقدس بين أبويهم، ولذلك لم يتركها الشارع نهبا للأهواء والعواطف تهبها لمن تشاء وتحرم منها من أرادت، بل تولاها بتشريفه، واعتنى بها أعظم عناية، وأحاطها بسياج منيع يحفظها من الفساد والانحلال والاضطراب.

---

[٦٥] أخرجه ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، معجم ابن عساكر، ج١ ص ٢٧٧ رقم:٥٥٧، وإسناده صحيح، وأصله في الصحيحين

[٦٦] الغزالي: المرجع السابق، ج٣ ص ٧٣

٤- من حقوق الطفل على والديه أن يحسنا اختيار اسمه الذي سيدعى به بين الناس مستقبلا، فإن كان الاسم حسناً محبباً، سر به الولد عند كبره وأحب أن يدعى به، وسر به غيره، وإن كان قبيحاً ساءه سماعه حين يدعى به، وساء من يدعوه ومن يسمع النداء به

٥ - إعداد الطفل بدنياً وعقلياً وروحياً، حتى يكون عضوا نافعاً لنفسه ولأمته، من الحقوق التي أوجبها الشريعة على الأبويه.



# صفات المعلم في ضوء السنة النبوية، وتأثيرها في معالجة التحديات المعاصرة في المؤسسات الحديثية

**د. كبير غوجي**

**وليد محمد سعيد**

**محمد عارف بن موسى**

كلية دراسات القرآن والسنة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية



## ملخص البحث:

تعد وظيفة المعلم من أشرف الوظائف وأعلاها، وكلما كانت المادة العلمية أشرف وأنفع، ارتفع صاحبها شرفاً ورفعة، وأشرف العلوم على الإطلاق العلوم الشرعية، ثم العلوم الأخرى كل بحسبه. ولما كانت مهنة التعليم لا تساويها أي مهنة في الفضل والرفعة، أراد الباحث في هذه الورقة أن يتحدث في صفات التي ينبغي توفرها في المعلم، وذلك من خلال دراستها في ضوء السنة النبوية، ولذا جعل الباحث أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله، مستنداً له في استنباط صفات المعلم وطرق التدريس المختلفة، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول الذي علم وربى صحابته فكانوا خير طلاب لخير معلم، ولأنه -صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لنا كما يقول الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [الأحزاب: ٢١]، ولأن سنته وحي من الله كما كان القرآن، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، ومن أجل ذلك يجب على المسلم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بيَّن لنا كل ما نحتاج إليه من أمور الدين والدنيا، ويجب عليه أيضاً طاعته في كل ما يأمر به، وينهى عنه، إذ لا فرق بين طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما يجب عليه أيضا تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر به سواء من أمور غيبية أو غيرها، لاستحالة أن يأتي بها من تلقاء نفسه من غير وحي من الله عز وجل، وانطلاقا من هذه النظرة وقع اختياري على هذا الموضوع بعنوان: "صفات المعلم في ضوء السنة النبوية، وتأثيرها في معالجة التحديات المعاصرة في المؤسسات الحديثية"، ودراسة مثل هذا الموضوع يساعد في معالجة التحديات والمشكلات التي تواجه المراكز والمؤسسات الحديثية من ناحية أخلاق المدرسين والمعلمين. وفي النهاية البحث وجد الباحث أن هناك كماً هائلاً من الأقوال والأفعال النبوية تفيد المدرس بالدرجة الأولى، والتي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم أثناء تعليمه لأمته أمر دينهم وما يستقيم به أمرهم.

**أهداف البحث:**

١- دراسة أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في أمر التربية والتعليم، واستخراج صفات المعلم منها.

٢- معرفة صفات التعلمية التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم واقتداء به في تلك الصفات.

٣ -معالجة المشاكل الأخلاقية لدي كثير من المدرسين والمعلمين والتي تعتبر من التحديات المعاصرة التي تعانيها كثير من المراكز الدينية والمؤسسات الحديثية.

**المقدمة:**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[١] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا).[٢] (يا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).[٣]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وقد أمرنا الله تعالى أن نقتدي بسيد ولد آدم – صلى الله عليه وسلم- لأن الله هداه للحق وأنه هو السراج المنير، الذي يهدينا إلى طريق الحق والخير ويبعدنا عن طريق الشر، وبقدر ما كان صلى الله عليه وسلم حريصًا على هداية الناس إلى طريق الخير والسعادة، كان حريصًا أيضًا على نجاحهم في جميع أعمالهم الدنوية والأخروية، وقد بين الله سبحانه وتعالى حرص نبيّه صلى عليه وسلم علينا في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨ ]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حريص علينا في حياتنا كلها، وهو حريص علينا في دنيانا ألا نذنب، وحريص علينا أيضًا في آخرتنا أن نسعد بالجنة، ولذلك دعانا وأمرنا بكل أمر فيه خيرنا وسعادتنا، ونهانا عن كل ما يضرنا أو يسبب لنا الألم في الدنيا أو العذاب في الآخرة. ومن الأشياء التي اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم التعليم والتربية، وقد بيّنها لنا بياناً كافياً، ووضع لنا المناهج التعلمية التي تشتمل جميع نواحي الدراسية، والتي لو عمل بها المعلمين لنجحوا في عملية التدريس، وكيف لا ينجحون وهي صادرة من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام الذي يقول الله عز وجل

[١] سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

[٢] سورة النساء، الآية: ١.

[٣] سورة الأحزاب، الآية:٧٠-٧١.

فيه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. [النجم: ٣-٤]. ولذلك جعلت من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله، مستنداً لي في استنباط صفات المعلم، وطرق التدريس المختلفة، وذلك لأن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، ولأنه صلى الله عليه وسلم المعلم الأول الذي علم وربى صحابته فكانوا خير طلاب لخير معلم .

## المبحث الأول

## الإخلاص العلم لله

الإخلاص هو تصفية ما يراد به ثواب الله وتجريده من كل شائبة تكدر صفاءه وخلوصه له سبحانه، وهو أيضاً أساس النجاح والظفر بالمطلوب في الدنيا والآخرة، فهو للعمل بمنزلة الأساس للبنيان، وبمنزلة الروح للجسد، فكما أنه لا يستقر البناء ولا يتمكّن من الانتفاع منه إلا بتقوية أساسه وتعاهده من أن يعتريه خلل فكذلك العمل بدون الإخلاص، وكما أن حياة البدن بالروح فحياة العمل وتحصيل ثمراته بمصاحبته وملازمته للإخلاص. وقد غفل عنه كثير من المعلمين والمربين وكم من علوم مفيدة وأعمال جليلة للأمة، لم يستفد أصحابها منها شيئاً وذهبت أدراج الرياح وكانت هباءً منثوراً. وذلك لأن أصحابها لم يخلصوا في علومهم وأعمالهم، ولم يجعلوها في سبيل الله، ولم يكن همهم نفع إخوانهم المسلمين بهذه العلوم والمعارف والأعمال، إنما كانت أغراضهم نيل منصب أو جاه ونحو ذلك، ولذلك استحقت أن تكون هباءً منثوراً[٤]. وقد جاءت أحاديث التي تدل على أهمية الإخلاص لله في العلم خاصةً وفي جميع الأعمال عامةً، منها:

١ - عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «.....ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار....»[٥]

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[٦].

ولذا كان حري بالمربين والمعلمين أن يغرسوا في نفوس ناشئتهم إخلاص العلم والعمل لله، وابتغاء الأجر والثواب من الله، ثم إن حصل بعد ذلك مدح وثناء من الناس فذلك فضل من الله ونعمة، ولا بأس بذلك، كما يدل عليه حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه و سلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال تلك عاجل بشرى المؤمن»[٧]

---

[٤] الشلهوب، فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، المعلم الأول صلى الله عليه وسلم، ص ٥، بتصرف

[٥] أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، *صحيح مسلم*، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٣ ص١٥١٣ رقم الحديث:١٩٠٥

[٦] أخرجه مسلم، المصدر نفسه، ج٤ ص١٩٨٦ رقم الحديث:٢٥٦٤

[٧] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٤ ص٢٠٣٤ رقم الحديث:٢٦٤٢

وقال النووي -رحمه الله-: "قال العلماء معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق".[٨]

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "فأما إذا عمل العمل لله خالصا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك بفضل ورحمة واستبشر بذلك لم يضره ذلك وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه"[٩].

## المبحث الثاني

## صدق المعلم

إن الصدق صفة التي يجب على المعلم أن يتّصف به، إذا فقده فقد ثقة الناس بعلمه، وبما يمليه عليهم من معلومات. لأن الطالب في الغالب يتقبل من معلمه كل ما يقوله، فإذا بان للطلاب كذب معلمهم في بعض الأمور، فإن ذلك ينعكس عليه مباشرة، ويؤدي إلى سقوطه من أعين طلابه، ولذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالصدق وبيّن أنه يهدي إلى الجنة.

١ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[١٠].

وقال النووي- رحمه الله- " قال العلماء معناه: أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله وقيل البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهوالميل عن الاستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي".[١١]

وقال ابن رجب: "إن الصدق طمأنينة والكذب ريبة فالصدق يتميز من الكذب بسكون القلب إليه ومعرفته وبنفوره عن الكذب وإنكاره كما قال الربيع بن خثيم إن للحديث نورا كنور النهار فيعرف به وللكذب ظلمة كظلمة الليل ينكره"[١٢]

وصدق المعلم يدعو المتعلم إلى الثقة به وبما يقول، ويكسبه احترام المعلمين، ويرفع من شأنه في عمله، ويتمثل صدق المعلم في مستلزمات المسئولية الملقاة على عاتقه، والتي منها نقل المعرفة بما فيها من حقائق ومعلومات للأجيال، فإن لم يكن المعلم متحلياً بالصدق فإنه سينقل لهم علماً ناقصاً

---

[٨] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ، ج١٦ ص١٨٩.

[٩] ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص ١٧.

[١٠] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ***صحيح البخاري***، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا، ج٥ ص٢٢٦١ رقم الحديث:٥٧٤٣

[١١] النووي، المرجع السابق ج١٦ ص١٦٠.

[١٢] ابن رجب، المرجع السابق، ص ٢٥٥

ومبتوراً، وحقائق ومعلومات مغايرة للصورة التي يجب أن ينقلها، وإذا تعود التلميذ على قبول هذا السلوك السيء من المعلم فإنه ربما يستحسن هذا العمل حتى يصبح ملازماً له، وهو أمر خطير على المجتمع[١٣]

## المبحث الثالث

## مطابقة القول العمل

ورسولنا صلى الله عليه وسلم كان يأمر الناس بالخير وهو أول من يأتيه، وكان ينهاهم عن الشر وهو أول من يجتنبه ويبتعد عنه، وهذا من كمال خلقه عليه الصلاة والسلام، ولا عجب فقد كان خلقه القرآن، ومما يدل على ذلك قصة الحديبية، كما جاء في حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: «- وفيه- فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يانبي الله أتحب ذلك اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا»[١٤]

والمعلم هو أحوج الناس إلى التزام ذلك المنهج في واقع حياته، لأنه قدوة يحتذى، وطلابه يأخذون عنه الأخلاق، والأدب، ولذا فالواجب على المربين والمعلمين أن يتقوا الله في فلذات الأكباد، فهم أمانة في أعناقهم، فليحرصوا على تعليمهم ما ينفعهم، ومطابقة أقوالهم لأعمالهم، لأن في ذلك ترسيخاً للعلم الذي تعلموه من معلميهم ومربيهم

وقال الغزالي- رحمه الله-: "أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج"[١٥].

## المبحث الرابع

## العدل والمساواة

العدالة في الإسلام مبدأ بارز، يظهر هذا البروز في الأمر بها والحكم بين الناس بموجبها، والالتزام بمقتضاها بالنسبة للقريب والبعيد، والعدو الصديق وفي المحكمة وفي السوق، وإدارة شؤون الدولة

---

[١٣] الشلهوب، المرجع السابق، ص ٧، بتصرف

[١٤] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٢ ص٩٧٤ رقم الحديث:٢٥٨١

[١٥] الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة ـ بيروت، ج١ ص ٥٨

وفي البيت، وحتى فيما يعطيه الأب لاولاده. إن روح العدل وجوهره إعطاء كل ذي حق حقه واستعمال كل شيء في موضعه وهذا المعنى الواسع للعدل يحكم جميع تصرفات الانسان وعلاقاته بغيره وواجباته نحو غيره من بني الانسان، ولذلك جاءت الآحاديث في بيان أمره والتعظيم من شأنه

١ - عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٦].

٢ - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: تصدق علي أبي ببعض ماله فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليشهده على صدقتي فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:« أفعلت بولدك هذا كلهم ؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم فرجع أبي فرد تلك الصدقة»[١٧].

والمعلمون يتعرضون لمواقف كثيرة من قبل طلابهم، سواء في توزيع المهام والواجبات إن كانت هناك أعمال تحتاج إلى مشاركات جماعية أو تفضيل بعضهم دون بعض ونحو ذلك. ويتأكد العدل عند وضع العلامات ورصد الدرجات، فلا مجال لمحاباة أحد، أو تفضيل أحد على أحد سواء لقرابته أو معرفته أو لأي أمر كان، فإن هذا من الظلم الذي لا يرضاه الله وصاحبه متوعد بالعقوبة، وإن اختلال هذا الميزان عند المعلم، أي وجود التميز بين الطلاب، كفيل بان يخلق التوتر وعدم الانسجام والعداوة والبغضاء بين الطلاب، وكفيل بأن يجعل هناك هوة واسعة بين المعلم وطلابه الآخرين الذين بين طلابه لكي يشيع الإخاء والمحبة بينهم.[١٨]

يقول الحسن البصري في ذلك: "إذا قوطع المعلم على الأجر فلم يعدل بينهم –أي الطلاب– كتب من الظلمة"[١٩].

## المبحث الخامس

## التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة

لا شك أن الكلمة الطيبة والعبارة الحسنة تفعل أثرها في النفوس، وتؤلف القلوب، وتذهب الضغائن والأحقاد من الصدور، وكذلك التعبيرات التي تظهر على وجه المعلم تحدث مردوداً إيجابياً أو سلبياً لدى الطالب، وذلك لأن انبساط الوجه وطلاقته مما تأنس به النفس وترتاح إليه. وأما عبوس الوجه

---

[١٦] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٣ ص١٣١١ رقم الحديث:١٦٨٨

[١٧] أخرجه مسلم، المصدر السابق،ج٢ ص١٠٠٠ رقم:١٣٧٣

[١٨] الشلهوب، المرجع السابق، ص ١١، بتصرف

[١٩] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤، بتحقيق محمد عبد القادر عطا، ج٦ ص ١٢٤ رقم الحديث: ١١٤٥٩

وتقطيب الحاجبين فهو مما تنفر منه النفس وتنكره. ولما كان حسن خلق من أفضل الأعمال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً كما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا»[20]

والرسول صلى الله عليه وسلم كان أطيب الناس روحاً ونفساً، وكان أعظمهم خلقاً ولم يكن فظاً غليظاً حاد الطباع بل كان سهلاً سمحاً ليناً رءوفاً بأمته، ولم يكن فاحشاً ولا لعاناً ولا سبابا ولا بذيئا، ولم يكن يعاتب خدمه أو زوجته، إذا أخطؤوا أو قصروا في بعض الأعمال،. وقد جاءت الأحاديث في ذلك:

١ – وفي عدم تعيب وتأنيب لخامه وزوجته وقد جاء في ذلك حديث أنس وعائشة رضي الله عنها:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر سنين والله ما قال لي أفا قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا؟»[21]

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز و جل»[22]

٢- وفي عدم كونه فاحشاً ولا لعاناً ولا سبابا ولا بذيئا، في ذلك حديث أنس وابن مسعود:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه»[23]

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[24]

والمربون والمعلمون حري بهم أن يترسموا خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في التحلي بالأخلاق الفاضلة والأدب الرفيع، وهي من أنجع الوسائل في التعليم والتربية، حيث إن الطالب في الغالب يتأثر وتخلق بأخلاق معلمه ويتقبل منه أكثر من غيره، فإذا كان المعلم يتحلى بأخلاق حميدة أثر ذلك على طلابه إيجاباً، وعملت في نفوسهم ما لم تعمله عشرات النصائح والدروس. والفحش في القول، والسباب، خصال ممقوتة، تلفظها النفوس، وتشمئز منها الطباع، وتنأى عنها النفوس الكريمة. والمعلم يفترض فيه أنه قدوة يقتفى أثره، ويسلك سبيله. فإن اتصف المعلم ببعض هذه الخصال فهي نقيصة وأي نقيصة، وإن اجتمعت في معلم فهي طامة كبرى، لأن الطالب يتأثر بمعلمه سلباً وايجاباً،

---

[20] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٣ ص١٦٩٢ رقم الحديث:٢١٥٠

[21] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٤ ص١٨٠٤ رقم الحديث:٢٣٠٩

[22] أخرجه مسلم، المصدر نفسه، ج٤ ص١٨١٤ رقم الحديث:٢٣٢٨

[23] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٥ ص٢٢٤٣ رقم الحديث:٥٦٨٤

[24] الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق أحمد محمد شاكر، ج٤ ص٣٥٠ رقم الحديث:١٩٧٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد صححه الألباني

فإذا كان هذا حال معلمه، فماذا نرجو من الطالب ؟!. وفائدة القول أن اللعن، والفحش تستلزم تنقيص الآخرين، وتقتل فيهم روحهم المعنوية، وتفسد عليهم فطرهم وألسنتهم، وتوغر صدور بعضهم على بعض.. إلى غير ذلك. هذا إلى جانب – وهو الأهم – أنها أمور مرفوضة شرعاً وصاحبها متوعد بالعقوبة [٢٥].

## المبحث السادس

## الصبر واحتمال الغضب

وقد اتصف النبي صلى الله عليه وسلم بصفة الصبر والتحمل، ولم يكن يرد السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح، ولذا يجب على المعلم أن يتصف بصفة الصبر والتحمل، وهذا الصبر ليس سهل المنال، بل إنه يحتاج إلى طول ممارسة من المعلم حتى يعتاد ذلك ويألفه. وفقدان الصبر يوقع المعلم في حرج شديد، خصوصاً إذا كان ذلك أثناء ممارسته للتعليم، فإن المعلم يواجه عقليات متفاوتة في الإدراك والتصور، والاستجابة، إلى غير ذلك. فقد يظل المعلم يلقي درسه لمدة ساعة متواصلة، ثم يفاجأ بقول أحد طلابه بأنه لم يفهم هذا الدرس كله، أو قد يتعرض المعلم إلى أسئلة تافهة أو في غير محلها، أو قد يفاجأ المعلم أثناء إلقائه بأن أحد طلابه نائم أو يبتسم.. الخ. بل إن من أشدها وقعاً وأثراً على المعلم وهو ما إذا تعرض المعلم لكلمة نابية من أحد طلابه، وليس ذلك بمستغرب لاختلافهم في الطباع، والإدراك ونحو ذلك. وإن احتواء الغضب والسيطرة عليه، علامة قوة للمعلم، وليست علامة ضعف، خصوصاً إذا كان ذلك المعلم قادراً على إنفاذ ما يريد. وهكذا كان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر والتحمل كما يدل عليه بعض الأحاديث، منها:

- عن أبي عبد الله الجدلي قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» [٢٦].

– وعنها أيضا رضي الله عنها: «أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا السام عليك قال: وعليكم، فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش، قالت أولم تسمع ما قالوا ؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» [٢٧]

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة نظرت إلى صفحة عنق رسول الله

[٢٥] الشلهوب، المرجع السابق، ص ٢١، بتصرف

[٢٦] الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بتحقيق أحمد محمد، ج٤ ص٣٦٩ رقم الحديث:٢٠١٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد صححه الألباني.

[٢٧] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٥ ص٢٣٥٠ رقم الحديث:٦٠٣٨

صلى الله عليه و سلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فضحك ثم أمر له بعطاء» [28]

وقال النووي في شرح هذا الحديث: " فيه احتمال الجاهلين والاعراض عن مقابلتهم ودفع السيئة بالحسنة وإعطاء من يتالف قلبه والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله واباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة وفيه كمال خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وصفحه الجميل"[29].

- عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: «قسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قسما فقال رجل إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قال فأتيت النبي صلى الله عليه و سلم فساورته فغضب من ذلك غضبا شديدا واحمر وجهه حتى تمنيت أني لم أذكره له قال ثم قال قد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر» [30]

وقال ابن حجر: "وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم، ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم اقتداء بموسى عليه السلام"[31].

## المبحث السابع

## تواضع المعلم

التواضع خلق حميد، ولذا اتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم والمعلم في أمس الحاجة إلى التخلق بهذا الخلق العظيم، لما فيه من تحقيق الاقتداء بسيد المرسلين، ولما فيه من نفع عظيم للمتعلمين، فإن حاجة المعلم إلى التواضع أشد وأقوى، لأن عمله العلمي والتعليمي والتوجيهي يقتضي الاتصال بالمتعلمين والقرب منهم حتى لا يجدوا حرجاً في سؤاله ومناقشته والبوح له بما في نفوسهم، لأن النفوس لا تستريح لمتكبر أو متجبر أو مغتر بعمله. ولنا أمثلة كثيرة من تواضعه صلى الله عليه وسلم، منها:

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه و سلم فتنطلق به في حاجتها» [32]

٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم فقال أصحابه: وأنت ؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» [33]

---

[28] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج٢ ص٧٣٠ رقم الحديث:١٠٥٧

[29] النووي، المرجع السابق، ج٧ ص١٤٧

[30] أخرجه مسلم، المصدر السابق، ج٢ ص٧٣٩ رقم الحديث:١٠٦٢

[31] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ج١ ص ١٠٥

[32] أخرجه أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. ج ١٩ ص٩ رقم:١١٩٤١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٣ - عن أبي مسعود رضي الله عنه قال:«أن رجلا كلم النبي صلى الله عليه و سلم يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال النبي صلى الله عليه و سلم هون عليك فإنما أنا ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد»[٣٤]

٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت»[٣٥]

٥ - عن عياض بن حماررضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه خطبهم فقال: «إن الله عز و جل أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[٣٦].

٦ - عن أنس رضي الله عنه قال: «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة و ذقنه على رحله متخشعا»[٣٧]

وهذه هي بعض الأحاديث التي تدل على تواضعه صلى الله عليه وسلم ولذلك ينبغي للمعلم أن يتصف بهذه الصفة الجليلة حتى ينجح في تدريسه لطلابه، لأن المعلم المتكبر لا يستطيع أن يصل إلى أهداف التعليم، ولا يمكنه تكبره من أن يعرف ما تحقق منها لأنه بعيد عن مخالطة طلابه، والدنو منهم حتى يستطيع أن يعرف مشكلاتهم وما يعوق بلوغهم الأهداف التربوية المرسومة , وما يحتاجه من مراجعة للطريقة وترتيب المعلومات وتبسيطها وما إلى ذلك. كما أن الطلاب لا يرتاحون إلى المعلم المتكبر المتغطرس فلا يصدقونه مشاعرهم وأحاسيسهم وما يواجهونه من صعوبات، مما يجعل الفائدة التي يحصلون عليها من مثل هذا المعلم قليلة جداً[٣٨].

## المبحث الثامن

## مزاح المعلم مع تلاميذه

من المعلوم أن المواد العلمية تتميز بالجفاف في مادتها، وهي تستلزم حضوراً عقلياً وقلبياً، فتجد الطالب يشحذ حواسه كلها لاستيعاب المادة العلمية المطروحة، ومهما يتميز به المعلم من حسن في الأداء، وجودة في الطرح، فإن عقل التلميذ له قدرة محدودة في استقبال المعلومات، ولذا كان حري

---

[٣٣] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٢ ص٧٨٩ رقم الحديث:٢١٤٣

[٣٤] أخرجه الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج٣ ص٥٠ رقم الحديث:٤٣٦٦، وقال الحاكم بعد إخراجه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٣٥] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج٥ ص١٩٨٥رقم الحديث:٤٨٨٣

[٣٦] أخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ***سنن ابن ماجه***، دار الفكر بيروت بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،ج ٢ ص ١٣٩٩رقم: ٤١٧٩، وإسناده صحيح، وصححه الألباني.

[٣٧] أخرجه الحاكم، المرجع السابق، ج٤ ص٣٥٢ رقم الحديث:٧٨٨٨

[٣٨] الشلهوب، المرجع السابق، ص ١٥، بتصرف

بالمعلم أن يدخل الطرفة بين ثنايا الدروس العلمية لكي يطرد السآمة والملل الذي قد يخيم على أجواء الفصل من جراء تتابع عرض المواد العلمية[٣٩].

وفي حكم المزاح يقول النووي كما نقل عنه المباركفوري: "اعلم أن المزاح المنهي هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والكفر في مهمات الدين ويؤول في كثير من الأوقات إلى الايذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه"[٤٠]

ولقد وردت أخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في مداعبته لأهله، ومزاحه مع أصحابه، منها:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا»[٤١]

٢ - عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يارسول الله احملني قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنا حاملوك على ولد ناقة" قال وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم "وهل تلد الإبل إلا النوق»[٤٢].

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلا من أهل البادية يقال له: زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي صلى الله عليه و سلم الهدية فيجهزه رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن زاهرا بادينا ونحن حاضروه، قال: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي صلى الله عليه و سلم جعل يلزق ظهره بصدره فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من يشتري هذا العبد ؟ فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدا قال: لكنك عند الله لست بكاسد أو قال -صلى الله عليه وسلم-: بل أنت عند الله غال»[٤٣]

---

[٣٩] الشلهوب، المرجع السابق، ص ١٨

[٤٠] المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٦ ص١٠٦

[٤١] أخرجه الترمذي، المرجع السابق، ج٤ص٣٥٧ رقم: ١٩٩٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني.

[٤٢] أخرجه أبوداود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، *سنن أبو داود*، دار الكتاب العربي بيروت،، ج٢، ص ٧١٨ رقم: ٤٩٩٨،، وإسناده صحيح، وصححه الألباني.

[٤٣] أخرجه ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ج١٣ ص١٠٦ رقم:٥٧٩٠، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

**الخاتمة:**

تطرقت في هذا البحث لمسائل مهمة جدًا، التى تتعلق بصفات المعلم في ضوء السنة النبوية وبعد ذلك توصلت إلى **نتائج أجمل أهمها فيما يأتي**:

١ – إن الإخلاص أمره عظيم غفل عنه كثير من المعلمين والمربين، ولذا يوجد بعض علوم مفيدة وأعمال جليلة للأمة، ولكن لم يستفد أصحابها منها شيئاً، وذهبت أدراج الرياح وكانت هباءً منثوراً. وذلك لأن أصحابها لم يخلصوا في علومهم وأعمالهم، ولم يجعلوها في سبيل الله، ولم يكن همهم نفع إخوانهم المسلمين بهذه العلوم والمعارف والأعمال، ولذلك يعتبر الإخلاص أمر أساس في نجاح عملية المعلم تجاه طلابه.

٢ - إن الصدق تاج على رأس المعلم، إذا فقده فقد ثقة الناس بعلمه، وبما يمليه عليهم من معلومات. لأن الطالب في الغالب يتقبل من معلمه كل ما يقوله، فإذا بان للطلاب كذب معلمهم في بعض الأمور، فإن ذلك ينعكس عليه مباشرة، ويؤدي إلى سقوطه من أعين طلابه.

٣ - التواضع خلق حميد، ولذا اتصف بها النبي – صلى الله عليه وسلم-، والمعلم في أمس الحاجة إلى التخلق بهذا الخلق العظيم، لما فيه من تحقيق الاقتداء بسيد المرسلين، ولما فيه من نفع عظيم للمتعلمين.

٤ - التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة تعتبر من أنجع الوسائل في التعليم والتربية، حيث إن الطالب في الغالب يتأثر وتخلق بأخلاق معلمه ويتقبل منه أكثر من غيره.

٥ - وإن اختلال ميزان العدالة عند المعلم، كفيل بأن يخلق التوتر وعدم الانسجام والعداوة والبغضاء بين الطلاب، وكفيل بأن يجعل هناك هوة واسعة بين المعلم وطلابه الآخرين الذين بين طلابه لكي يشيع الإخاء والمحبة بينهم.



# اختيار النص الحديثي

**أ.د. محمد إبراهيم السامرائي**
كلية العلوم الاسلامية
جامعة تكريت



**المقدمة:**

الحمدلله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عند إختيار النص الحديثي نحتاج الى عوامل عدة من خلالها يتعين ذلك الإختيار علميا وموضوعيا، وهناك خطوات لابد منها في إختيار ذلك النص هي:

أولا:- تحديد النص وموضوعه.

ثانيا:- أن يكون صحيحا.

ثالثا:- تخريج النص وإثبات طرقه وألفاظه.

رابعا:- لمن نختار النص.

خامسا:- الغاية المراد منها.

سادسا:- الفوائد المرجوة.

فعند تحديد الموضوع يستلزم منا أن يطابق الحديث المناسبة التي يراد الكلام عنها، هل هو موضوع عام؟ كخطبة الجمعة، أم درس في المسجد؟ أم محاضرة جامعية؟ أم هي للدراسات العليا؟ فإن تحديد ذلك هو خاضع لمناهج الشراح للحديث النبوي أو التفسير وهكذا نجد منهم من يشرحه مطولا، أو متوسطا، أو مختصرا، وإذا حددنا هذه الأمور فسنجد المساحات الجيدة للحديث عن النص المختار.

أما الأصحية (للنص) فلابد من إختيار النص الأصح الذي إستوفى شروط الصحة والذي دائما مايميل إلى إختياره أهل العلم من صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، أو من إشترط الصحة من أهل الحديث.

أما تخريج النص فلابد منه حيث نقف بذلك على زيادات الألفاظ التي تزيد النص وضوحا أو تفصيلا بالإضافة إلى معرفة الطرق للدلالة على ثبوته أو زيادة في صحته.

لمن نختار النص؟

ينبغي أن نعرف لمن نختار النص هل هو للعامة؟ هل هو لجميع المستويات؟ هل هو خاص لطلبة الثانوية؟ أم للجامعة؟ لأنه لابد من مخاطبة الناس على مستوى إدراكهم وما يعقلون، فلايمكن أن آتي بالنص وأبدأ بالتفصيل فيه في خطبة جمعة لأنه ساعتها لايتناسب هذا الإختيار وصلاة الجمعة، أو محاظرة للدراسات العليا، وأُجمل الشرح أو أختصره دون الوقوف على تفصيلات يستفاد منها لفتح المُغلق وجلب سعة الأفق، والفائدة من ذلك التفصيل لهم (طلبة الدراسات العليا).

**الغاية من اختيار النص:**

هناك نُصح وهناك وعظ، وهناك قصص وهناك تعليم، وهناك مدارسة للعلماء ومايستجد من مواقف؛ فقد تصل مدارسة النص أياما وأسابيع ليلتقي كل باحث بما قدم للنص من إيضاح حتى تكتمل رؤيته للوصول إلى الغاية منه، وأنا هنا وقع إختياري لحديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم " الحياء من الإيمان " كونه نص حديثي يمكن تطبيقه في كل مامر بنا من فقرات موجزة، ويكون الأمر مفتوحا لمن هو اهل أن يختار النص ويوضفه لهذه الأمور.

فقد قسمت البحث إلى مطالب

الأول تعريف الحياء لغة وإصطلاحا.

الثاني أقسام الحياء وانواعه

الثالث الحياء والأمر بالمعروف

الرابع مم يتولد الحياء

الخامس فوائد الحياء

السادس الأحاديث الواردة في الحياء

السابع شرح الغريب

**المطلب الاول: الحياء لغةً واصطلاحاً:**

الحياء في اللغة : الإنقباض والإنكسار[1]. وقال الراغب : إنقباض النفس عن القبائح[2]. وقال ابن منظور : الحيا مقصور : الخصب . وقيل : المطر لإحياءه، الارض والحياء: الإنقطاع عن المعاصي. وإن لم تكن له تقية . وقال: والحياء : ممدود: رحِم الناقة[3].قال ابن الأثير : الحياء من الإيمان وهو غريزة من الإيمان وهو اكتساب وقال: الخشية: يردع الإنسان عن مواقعة السوء. وقيل: مباشرة الشيء بالتأثير فيه مثل مباشرة الارض الموات أي التي لم يجرِ عليها ملك أحد، وإحياؤها إما بإحاطة أوزرع أو

(١) المصباح المنير للمؤلف احمد بن محمد بن علي البيومي (ت: ٧٧٠ هـ) ط ١ ، المكتبة العلمية ،ص ١٦٠.

(٢) االمفردات في غريب القرآن . تأليف :أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف (بالراغب الأصفهاني) تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز،الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.ط١ ،١٤٦/١

(٣) لسان العرب لإبن منظور ( ٦٣٠_٧١١ هـ )دار إحياء التراث العربي (بيروت _لبنان) ط٣ ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م )،(٤٢٩/٣)

عمارة ونحو ذلك، تشبيهاً بإحياء الميت. وقال: الحياء ممدود الفرْج بتسكين الراء ذوات الخف والظلف جمعه احيية. وقال: الإقبال، مثله الإقبال على الصلاة : حيَّ على الصلاة، بمعنى حث وإستعجال(٤).

وقيل له أصلان: الأول خلاف الموت والثاني الإستحياء الذي هو ضد الوقاحة(٥). ومن معنى الحياء : الخجل، والحياء من الله: أي الإمساك عن محارمه(٦).

ومن خلال هذه المعاني تبين أن العورة إذا ذكرت أو تكشفت جلبت الإنكسار والانقباض.

**الحياء في الإصطلاح:**

انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه، وهو نوعان:

نفساني: وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين يدي الناس.

إيماني: وهو ان يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى(٧).

والحياء : انقباض النفس و تحفظها عما يعيبها من فعل أو قول. والحياء: أمارة صادقة على طبيعة الإنسان! فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه. وعندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق فاعلم أنه حيّ الضمير، نقيّ المعدن، زكيّ العنصر(٨).

وعرفه إبن حجر العسقلاني _رحمه الله_ بقوله: هو خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي حق(٩)، وعرفه الجنيد ابو القاسم _رحمه الله_ الحياء رؤية الآلآء أي النِعم، ورؤية التقصير فيتولد منهما حالة تسمى الحياء(٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر /تأليف مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد إبن الاثير الجوزي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) ، خرج أحاديثه علق عليه أبوعبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة /المجلد الخامس (حرف النون_حرف الياء)ص ٣،٤ .
الفهارس العامة منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب والجماعة /دار الكتب العلمية (_بيروت_لبنان )، ط٢ ،(١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م ) .

(٥) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ( ت : ٣٩٥ هـ )طبعة منقحة ملونة ، دار إحياء التراث العربي ، ( ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨ م ) ص ٢٧١.

(٦) معجم لغة الفقهاء ( عربي _إنكليزي _ فرنسي )بالمصطلحات الواردة في المعجم ( أ.د. محمد رواس قلعة جي ) ووضع المصطلحات الإنكليزية ( أ .د. حامد صادق قسي ) ووضع مصطلحات الفرنسية ( أ . قطب مصطفى شانو ) ، دار النفائس ، (ط ٢ ، ١٤٢٧هـ _٢٠٠٦ م ) . ص ١٦٧ .

(٧) التعريفات :تأليف السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي ،(ت :٨١٦هـ ) ،وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السّود ، دار الكتب العلمية ، (بيروت _لبنان ) ،ط٢ ، (١٤٢٤هـ _٢٠٠٣ م )،ص ٩٩.

(٨) موسوعة الحقوق الإسلامية بقلم سعد يوسف محمود أبو عزيز .الباب الثالث عشر، ص٣٩١ .
(المكتبة التوفيقية _القاهرة _مصر).

(٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ :أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي إبن حجر العسقلاني ، وضع حواشي الكتاب وعلق عليه ابو عبدالله ،عبد السلام عبالله بن علوش ، مكتبة الرشد ،ناشرون ، ط١، (١٤٢٥ هـ _٢٠٠٤ م).

وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح والله أعلم. وقيل: هو الذي يكف الإنسان ويردعه عن مواقعة السوء، فإذا رفضه وخلع ربقته كان كالمامور بإرتكاب كل ضلالة ، وتعاطي كل سيئة(١٠).

**المطلب الثاني: أقسام الحياء:**

أحدهما: ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب، وهو من أجَّل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويُجبله عليها، ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم): "الحياء لا يأتي إلا بخير". فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على إستعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الإعتبار، وقد روي عن عمر -رضي الله عنه- أنَّه قال: من استحيى اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقي.

وقال الجَرَّاح بنُ عبد الله الحكمي -وكان فارس أهل الشام-: تركتُ الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع. وعن بعضهم قال: رأيتُ المعاصي نذالةً، فتركتها مُروءةً، فاستحالت دِيانة.

والثاني: ما كان مكتسباً من معرفة اللهِ، ومعرفة عظمته وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمِه بخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، فهذا من أعلى خصالِ الإيمان، بل هو مِنْ أعلى درجات الإحسّان، وقد تقدَّم أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال لِرجل: "استحي مِنَ اللهِ كما تستحي رجلاً مِنْ صالحِ عشيرتِكَ".

وفي حديث ابن مسعود: "الاستحياءُ مِنَ الله أنْ تحفَظَ الرَّأسَ وما وعى، والبطن وما حوى، وأنْ تذكر الموتَ والبِلَى، ومن أراد الآخرة تركَ زينةَ الدُّنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيى مِنَ الله"(١١).

ويرى ابن القيم _رحمه الله_أن للحياء أقسام كُثر جعلها عشرة وهي:

حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حِشمة، وحياء استحقار للنفس (إستصغارها)، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة، وحياء المستحي من نفسه.

أما حياء الجناية: فمنه حياء آدم عليه السلام لما فر هاربا في الجنة قال الله تعالى: أفرارا مني يا آدم قال: لا يا رب بل حياء منك، وحياء التقصير: كحياء الملائكة الذين يسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك..، وحياء الإجلال: هو حياء المعرفة وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه. وحياء الكرم: كحياء النبي من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب وطولوا الجلوس عنده فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا. وحياء الحشمة: كحياء علي بن طالب "رضى الله عنه" أن يسأل رسول الله "صلى الله عليه وسلم" عن المذي لمكان ابنته منه. وحياء الاستحقار واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه احتقار

---

(١٠) التحفة الربانية شرح الأربعون النووية للأنصاري ،

(١١)جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، تأليف الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي فرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي "إبن رجب الحنبلي "،(ت :٧٣٦_٧٩٥هـ) ، ط ١،(١٤٢٣ هـ _٢٠٠٢ م )، دار إبن رجب للنشر والتوزيع ، ص ٣٥٨ ، الحديث العشرون .

الشأن نفسه واستصغارا لها وفي أثر إسرائيلي إن موسى "عليه السلام" قال: يارب إنه لتعرض لى الحاجة من الدنيا فأستحيي أن أسألك هي يا رب فقال الله تعالى: سلنى حتى ملح عجينتك وعلف شاتك وقد يكون لهذا النوع سببان: أحدهما: استحقار السائل نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه. والثاني: استعظام مسؤله[١٢].

وأما حياء المحبة: فهو حياء المحب من محبوبه حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه وأحس به في وجهه ولا يدرى ما سببه وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه ومناجاته له روعة شديدة ومنه قولهم: جمال رائع وسبب هذا الحياء والروعة مما لا يعرفه أكثر الناس ولا ريب أن للمحبة سلطانا قاهرا للقلب أعظم من سلطان من يقهر البدن فأين من يقهر قلبك وروحك إلى من يقهر بدنك ولذلك تعجبت الملوك والجبابرة من قهرهم للخلق وقهر المحبوب لهم وذلهم له فإذا فاجأ المحبوب محبه ورآه بغتة: أحس القلب بهجوم سلطانه عليه فاعتراه روعة وخوف.

وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وأن قدره أعلى وأجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء وإحسان فإنه يستحي مع بذله حياء شرف نفس وعزة وهذا له سببان أحدهما: هذا والثاني: استحياؤه من الآخذ حتى كأنه هو الآخذ السائل حتى إن بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه وهذا يدخل في حياء التلوم لأنه يستحيي من خجلة الآخذ.

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر[١٣].

واعلم أن الحياء في الانسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من الله تعالى.

والثاني: حياؤه من الناس.

والثالث: حياؤه من نفسه.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم "صلى الله عليه وسلم " موسوعة قيم أخلاق التربية الإسلامية لما أمر به ونهي عنه في الكتاب والسنة ، إعداد مجموعة من المختصين بإشرا ف صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح مؤسس دار الوسيلة للنشر والتوزيع ، دار الوسيلة ،ج٥،ص ١٧٩٨_١٧٩٩،الحياء.

(١٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف أبي بكر إبن قيم الجوزية ،دار الكتاب العربي ،( بيروت _ لبنان ) ، ط ٢، (١٣٩٣هـ _١٩٧٣م ) ، ج٢، ص٢٦٢ .

فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره. وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {استحيوا من الله عز وجل حق الحياء. فقيل: يا رسول الله فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء ؟ قال: من حفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وترك زينة الدنيا، وذكر الموت والبلى، فقد استحى من الله عز وجل حق الحياء}.

وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {من اتقى الله اتقى الناس}.

وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات. وقال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك. وقال بعض الادباء: من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

فمتى كمل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير، وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهورا، وبالجميل مذكورا. وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله[١٤].

**المطلب الثالث: الحياء والأمر بالمعروف:**

الحياء الحقيقي لايمنع من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر.

قال صاحب فضل الله الصمد: فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحي أن يُواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فأقول: إن ذلك ليس بحياء حقيقةً، بل هو عجزٌ وخور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيهاً ومجازاً([١٥]).

وإنما يكون الحياء حقيقياً حيث يكون قبح المستحيا منه حقيقياً، فلا يدخل فيه الانقباض عما يستقبحه الناس وهو في الحقيقة حسِن، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيح ولكن الإنقباض عنه يؤدي الى ماهو أقبح منه.

مثال ذلك مايقع من بعض خرعات النساء، يَعرِض لها فاجرٌ في خلوةٍ يحاول إستكراهها فتنقبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجراً تعرض لها، ولو عَقِلت لعَلِمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا إقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يثنون عليها بالعفة والحزم والثبات، غذا سمِعوا أنها إنتَهَرَتهُ وصرخت بأهلِها فجاءوا ودفعوه، وعلى ذلك فالحياء في قوله (صلى الله عليه وسلم) الحياء لايأتي إلا بخير([١٦])، وهو الحياء الحقيقي([١٧]).

---

([١٤]) أدب الدين والدنيا للماوردي

([١٥]) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تأليف : الشيخ العلامة فضل الله الجيلاني ، (ت : ١٣٩٩هـ)، علق عليه وخرج أحاديثه أحمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية، ط٢ ، ٢٠٠٩، (بيروت _ لبنان)

([١٦]) سيأتي تخريجه .

**المبحث الرابع: مم يتولد الحيــاء:**

يتولد الحياء من المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته، لأنه إذا ثَبَتَ تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله والهيبة له فغلب على قلبه خمسة أمور:

أولاً: ذِكر إطلاع الله العظيم على مافي قلبه وجوارحه، قال تعالى: ((والله يعلم مافي قلوبكم))[18].

ثانياً: وذكر المقام غداً بين يديه.

ثالثاً: سؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه. قال تعالى: ((إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك عنه مسؤلا))[19].

رابعاً: ذِكرُ دوام إحسانه إليه بأنواع الإحسان والإنعام والأرزاق والعطايا، وهو سبحانه كثير الإحسان فلا نهاية لإحسانه قال تعالى: ((وما بكم من نعمةٍ فمن الله ))[20].

خامساً: قلة الشكر منهُ لرَبه قال تعالى: ((وقليل من عبادي الشكور))[21] فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه إنبعثت من العبد قوة الحياء من الله فأستحيى من الله أن يَطَّلِعَ على قلبه، وهو معتقد لشيء مما يكره أو على جارحة من جوارحه، تتحرك بما يكره، فطهر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه، فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريرته ما يمقته عليه[22].

**المبحث الخامس: فوائد الحيــاء:**

١- من خصال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- هجر المعصية خجلاً من الله سبحانه.

٣- الإقبال على الطاعة بوازع الحب لله عز وجل.

٤- يبعد عن فضائح الدنيا والآخرة.

٥- أصل كل شعب الإيمــان.

٦- يكسو المرء الوقار فلا يفعل ما يخل بالمروءة والتوقير ولا يؤذي من يستحق الإكرام.

٧- لا يمنع من مواجهة  أهل الباطل ومرتكبي الجرائم.

٨- هو دليل على كرم السجية وطيب المنبت.

٩- صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين.

---

(١٧) موسوعة نضرة النعيم، ١٨٠٠/٥،الحياء

(١٨) الأحزاب (٥١).

(١٩) الإسراء (٣٦).

(٢٠) النحل (٥٣).

(٢١) سبأ (١٣) .

(٢٢) كتاب تذكير الأحياء بخلق الحياء ،تأليف عبد الهادي حسن وهبي ،ط ١ ، (١٤٣٢هـ_٢٠١١م)جمعية السراج المنير الإسلامية ، (بيروت _لبنان) .

١٠- يعد صاحبها من المحبوبين من الله ومن الناس[٢٣].

**المبحث السادس: من الأحـاديث التي وردت في الحيـاء:**

١-(عن عائشة: "قالت: قلت يارسول الله: إن البكر تستحي. قال رضاها صمتها)[٢٤].

٢-(عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن ربكم حيٌّ كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه فيدعوه أن يردهما صفراً، ليس فيهما شيءٌ"[٢٥].

٣-عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء"[٢٦].

٤-عن أبي هريرة (رضي الله عنه): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الإيمان بضعٌ[٢٧] وستون شعبة[٢٨]، والحياء شعبة من الإيمان"[٢٩].

٥-عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال :قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء [٣٠] من الجفاء والجفاء من النار" [٣١] .

٦-عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أشدُّ حياءً من العذراء[٣٢] في خدرها"[٣٣].

٧-عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ماكان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه"[٣٤].

من الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الحـياء:

١ – قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): "من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه"[٣٥].

---

([٢٣]) أنظر موسوعة نضرة النعيم ،١٨١٤/٥/ الحياء .

([٢٤]) البخاري – الفتح

([٢٥]) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦) ،وأبو داود(١٤٨٨) وهو حديث صحيح.

([٢٦]) أخرجه إبن ماجه (٤١٨١) ورواه مالك في الموطأ مرسلاً . وهوحديث حسن .

([٢٧]) بضع : العدد من ثلاثة الى تسعة .

([٢٨]) الشعبة : الخصلة .

([٢٩]) أخرجه البخاري – الفتح –(٩) .

([٣٠]) البذاء : قال الترمذي هو الفحش في الكلام .

([٣١]) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩) وقال حسن صحيح .

([٣٢]) خدرها : سترها الذي تستتر به .

([٣٣]) البخاري – الفتح ١٠(٦١١٩) ومسلم (٢٣٢٠).

([٣٤]) أخرجه الترمذي (١٩٧٤) وقال :حسن صحيح وابن ماجه (٤١٨٥) .

([٣٥]) مكارم الأخلاق لإبن أبي الدنيا /٢٠

٢- قال الحسن البصري: "الحياء والتَّكَرُّمُ خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبدٍ إلا رفعهُ الله بهما"[٣٦].

٣- قال الفضيل بن عياض: "خمسٌ من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل"[٣٧].

٤- قال ذو النون المصري: "الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب يُنْطِقُ، والحياء يُسْكِت، والخوف يُقلِق"[٣٨].

٥- قال أبو بكر بن أبي الدنيا (مؤلف مكارم الإخلاق) بدأنا بذكر الحياء لِقول أم المؤمنين (رضي الله عنها): "رأس مكارم الأخلاق الحياء"[٣٩].

٦- قال صالح بن جَناح:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجهٍ قل ماؤهُ[٤٠].

٧- قال إبن جرير الطبري:

حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ... ورفقي في مكالمتي رفيقي

ولو أني سمحت ببذل وجهي ... لكنت إلى الغنى سهل الطريق[٤١].

**المبحث الثاني: دراســة الحديث**

قوله (صلى الله عليه وسلم): (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

حدثنا أبو مسعود: قال النبي (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت)، هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه وأبو داود وابن ماجة وأحمد في مسنده والبزار والبيهقي في آدابه والطبراني كذلك.

**المبحث السابع: شرح الغريب:**

١- النبوة: قال إبن الأثير النبأ: الخبر وقيل الخروج وقيل المكان المرتفع[٤٢].

---

(٣٦) المصدر نفسه /٢٤

(٣٧) مدارج السالكين لابن القيم ٢٧١/٢

(٣٨) المصدر نفسه ٢٧١/٢

(٣٩)مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٤٠-٤١)

(٤٠) الآداب الشرعية ٢٢٧/٢

(٤١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٦/١٤ وطبقات الشافعية الكبرى ١٢٥/٣

(٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ،٥/(٣-٤) .

وقال ابن منظور النبأ: الخبر والنبوة: الإرتفاع عن الأرض(٤٣).

وهكذا حاصل في معنى النبوة لإنه من يخبر عن الله فهو ذو مكانة وينتقل من مكان الى مكان وهذا هو دور النبي(صلى الله عليه وسلم) الذي يبلغ عن ربه.

٢- صنع: العطية أو الكرامة والإحسان والمداراة والصِّنع بكسر الصاد وتشديدها الموضع الذي يُتخذ للماء وقيل الحصن والمصانع والمباني وقيل مستوية من عمل رجل واحد والصنع من العمل ومن الصناعات أي الوسائل التي تؤدي للكسب وأيضا الصنع لا يكون بإختيار(٤٤).

وقال ابن منظور: الإصطناع: إفتعال من الصنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان وقال: الإتخاذ أي إتخاذ الشيء وعندما يقال إمرأة صَناع: أي حاذقة بالعمل وقيل الصُّنْع : الرزق(٤٥).

**إثبات الألفاظ من الطرق:**

الفرق بين الصنع والفعل والعمل: قال الراغب في الفرق بينها: الفعل لفظ عام. يقال لما كان بإجادة وبدونها، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الانسان والحيوان والجماد.

وأما العمل فإنه لا يقال إلا لما كان من الحيوان دون ما كان من الجماد ولما كان بقصد وعلم دون ما لم يكن عن قصد وعلم(٤٦).

قال بعض الأدباء: العمل مقلوب عن العلم، فإن العلم فعل القلب، والعمل فعل الجارحة، وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه.

وأما الصنع فإنه من الانسان دون سائر الحيوانات، ولا يقال إلا لما كان بإجادة.

ولهذا يقال للحاذق المجيد، والحاذقة المجيدة.صنع كبطل وصناع، كسلام. والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله، والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله. والعمل لا يكون إلا بفكر لتوسط فاعله. فالصنع أخص المعاني الثلاثة، والفعل أعمها، والعمل أوسطها. فكل صنع عمل، وليس كل عمل صنعا، وكل عمل فعل، وليس كل فعل عملا.

وفارسية هذه الألفاظ تنبئ عن الفرق بينهما، فإنه يقال للفعل (كار) وللعمل (كردار) وللصنع (كيش)(٤٧).

---

(٤٣) لسان العرب ، ٨/(٤٢٠-٤٢١) .

(٤٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٣/(٥١-٥٢) .

(٤٥) لسان العرب ،٥/(٤٠٨-٤١١) .

(٤٦) المفردات في غريب القرآن /

(٤٧) الفروق اللغوية للعسكري/

**معنى الحديث:**

**معنى (إن مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى):**

أنه من إرث أنبياء الله وان هذه الحكمة النبوية العظيمة، الداعية إلى الحياء، مما توارثه الناس عن أنبيائهم جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلى هذه الأمة المحمدية.

فما دعا أليه انبياء الله السابقين العباد التخلق بخلق الحياء، وهنا تزداد أهمية هذه الحكمة العظيمة التي أمرنا رسولنا الكريم أن نتخلق فيها.

**معنى: (إذا لم تستحِ فإصنع ما شئت):**

للعلماء في مفهوم أمره (صلى الله عليه وسلم) (الأمر في الحديث) أقوال منها:

١- الأمر للتهديد والوعيد فيكون المعنى إذا لم يكن عندك حياء فإعمل ما شئت فإنك معاقب مجازي على صنيعك، وقد يكون في الدنيا أو الآخرة أو في كلاهما.
وقد ورد في الذكر الحكيم مثل هذا السياق، قال تعالى: ﴿اعملو ما شئتم﴾.[48]

٢- الأمر للإباحة، فيكون المعنى إذا أقدمت على أمر فلم تستح من صنيعه من الله ولا رسوله ولا الناس فافعله فإنه يباح لك ذلك.

٣- الأمر للإخيار، فيكون المعنى أن المانع من فعل مايشين العبد هو الحياء، فمن فقده إنهمك في معاصي الله عز وجل[٤٩].

**فوائد الحديث:**

١- يدل الحديث على أن الحياء كله خير، ومن كثر حياؤه كثر خيره وعم نفعه، ومن قل حياؤه قل خيره.
٢- الحياء الذي يعوق من التعلم، وطلب الحق حياء مذموم.
٣- واجب على ولي الأمر، أن يسعى لغرس خلق الحياء في أبنائه.
٤- من فوائد الحياء العفة والوفاء.
٥- يقابل الحياء الوقاحة، وهي خصلة مذمومة تدعو صاحبها إلى فعل الشر والإنغماس فيه، والمجاهرة بالمعاصي، قال (صلى الله عليه وسلم): كل أمتي معافى إلا المجاهرين[٥٠].
٦- والحياء من شعب الإيمان الواجبة[٥١].



(٤٨) سورة فصلت :٤٠

(٤٩) قواعد وفوائد من الاربعين النووية (١٧٩-١٨٠)

(٥٠) البخاري كتاب الأدب ٨٩/٧ ومسلم كتاب الزهد ٨٣٨/٥

(٥١) قواعد وفوائد من الأربعين النووية ،١٨٤

# حديث: «الأئمة من قريش» في مواجهة التحديات المعاصرة

**أ. د. محمد أبو الليث الخيرآبادي**

أستاذ الحديث وعلومه بقسم دراسات القرآن والسنة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا



**ملخص البحث:**

تخصيص الإمامة العظمى بقريش وردت عليه النصوص الحديثية صريحة، مطلقة ومقيدة، وأكثرها حسب الصناعة الحديثية صحيح، أو حسن،والقليل منها ضعيف، لذلك رأى جمهور علماء المسلمين قديما وحديثاأن شرط القرشية للإمامة العظمى شرط تشريعي ديني أبدي، والحديث بذلك المفهوم الجمهوريتعرض لعدة تحديات قديما وحديثا على السواء، منها أن الخوارج والبعض من المعتزلة والأشاعرة، وبعض المعاصرين من الفئات المختلفة قابَلَوه بالرفض، متذرعين بأنه حديث موضوع وضعه السياسيون من الأمويين والعباسيين والفاطميين، أو أنه متعارض مع القرآن والأحاديث الأخرى الصحيحة، أو ضعيف سنداً لا يعتمد عليه، والبعض الآخر اتهموه بالعصبية وتمجيد العرب وقريش، وتعللوا بالعلة ذاتها، ومقاومةً لتلك التحديات نهض العلماء الغيور على الحديث من أهل السنة والجماعة، فقالوا بأن الحديث مادام صحيحا، فلابد له من مفهوم مقبول، بريء من تلك التهمة، فأتوا بتخريجات عديدة له، منها أن شرط القرشية من قبيل الأفضلية، لا الصحة، أو أنه شرط اجتماعي، أريد به صفات قريش أي من ذوي الصلاحية والأهلية للحكومة، لا ذات قريش، أو من باب السياسة الشرعية، وتوصل الباحث إلى أنه إما شرط اجتماعي، أو بشري طبيعي، وليس للتشريع فيه دخل، إلا من حيث الشروط التي وردت في الأحاديث، وهي الصلاحية للحكم، والرحم عند الاسترحام، والعدل عند الحكم، والوفاء بالوعد والعهد.

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد!

فقد وردت عدة نصوص حديثية صريحة على أن الإمامة العظمى لقريش، وانعقد عليه إجماع الصحابة والتابعين، وأطبق عليه جماهير علماء المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج وبعض المعتزلة وبعض الأشاعرة. وقسمت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

## المبحث الأول: تخريج الأحاديث في تخصيص الإمامة بقريش ودرجاتها:

وردت في تخصيص الإمامة بقبيلة قريش أحاديث عديدة، أكثرها صحيح، والقليل منها ضعيف، لذلك وددنا أن نخرج في هذه الدراسة القصيرة المقبول منها فحسب، ونضرب عن الضعيفة صفحا.

فالنصوص الحديثية المقبولة التي وردت في تخصيص الإمامة، أو الخلافة، أو الإمارة، أو الملك، بقبيلة "قريش"، بعضها مطلقة بلفظ «الأئمة من قريش»[١]. وبلفظ:

«الخلافة في قريش إلى قيام الساعة»[٢]. وبلفظ: «الخلافة في قريش،والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة، والهجرة في المسلمين والمهاجرين»[٣]. وبلفظ: «الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والشرعة في اليمن أو الأمانة في الأزد»[٤]. وبلفظ: «لايزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس رجلان أو اثنان»[٥]. وبلفظ: «الناس تبع لقريش في الخير والشر»[٦]. وبلفظ: «قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة»[٧].

وبعضها مقيدة ببعض القيود، منها: «الأئمة من قريش ما عملوا بثلاث: ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذاعاهدوا وفوا»[٨]. وبلفظ: «الأمراء من قريش، ولي عليهم حق،ولهم عليكم

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، في **المصنف في الحديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ)، ج٦، ص٤٠٢، رقم٣٢٣٨٨؛ والفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان، في**المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أستاذي الدكتور أكرم ضياء العمري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨١م)، ج٣،ص٢٢٢. من طريق بكير الجزري، عن أنس مرفوعا. وسنده لا بأس به.

[٢] أخرجه ابن أبي عاصم، أبوبكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، في **السنة**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ)، ج٢، ص٥٢٧، رقم١١٠٩. وهو صحيح الإسناد.

[٣] أخرجه أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،في **المسند**، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ط، د.ت)،ج٤، ص١٨٥، رقم١٧٦٩٠؛ والطبراني، سليمان بن أحمد أبوالقاسم،في **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (الموصل: مكتبةالعلوم والحكم،ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ج١٢، ص٤٨، رقم١٣٧٤٥؛ وابن أبي خيثمة، زهير بن حرب بن شداد الحرشي النسائي ثم البغدادي، في **التاريخ**، (مصر: دار الفاروق الحديثة، د.ط، د.ت)، ج١، ص٣٩٧، رقم١٤١٦ كلهم من طريق إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن كثير بن مرة، عن عتبة بن عبد السلمي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال. قال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات". الهيثمي، نورالدين علي بن أبي بكر،**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، (بيروت: دارالفكر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٤، ص٣٤٤، رقم٦٩٨٤. وقال العراقي بعد أن أخرجه من رواية أحمد: "حديث صحيح، ورجال إسناده ثقات، وإسماعيل بن عياش روايته عن الشاميين صحيحة، دون روايته عن الحجازيين". انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (الرياض: مكتبةالمعارف، د.ط، د.ت)، ج٤، ص٣٥٠، رقم١٨٥١. قلت: وشيخه ضمضم بن زرعة حمصي أي من أهل الشام.

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة، في **المصنف**، ج٦، ص٤٠٣، رقم٣٢٣٩٥؛ وأحمد، في **المسند**، ج٢، ص٣٦٤، رقم٨٧٤٦؛ والترمذي، أبو عيسى محمدبن عيسى بن سورة السلمي، في **السنن**،تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)،ج٥، ص٧٢٧، رقم٣٩٣. ثم أخرجه الترمذي موقوفا على أبي هريرة ورجَّحه.

[٥] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، في **الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (اليمامة وبيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٣، ص١٢٩٠، رقم٣٣١٠؛ ومسلم بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، في **الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٣، ص١٤٥٢، رقم١٨٢٠.

[٦] أخرجه ابن أبي شيبة، في **المصنف**،ج٦، ص٤٠٢، رقم٣٢٣٨٢؛ ومسلم، في **الصحيح**، ج٦، ص٢، رقم٤٨٠٦.

[٧] أحمد، **المسند**، ج٤، ص٢٠٣، رقم١٧٨٤١؛ والترمذي، **السنن**، ج٤، ص٥٠٣، رقم٢٢٢٧. وقال: "حسن غريب صحيح".

[٨] أخرجه الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود البصري، في **المسند**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت)، ص١٢٥، رقم٩٢٦ عن سكين بن عبد العزيز، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم. إسناده حسن لأن سكينا: "صدوق، يروي عن

حق ما فعلوا بثلاث: ما استرحموا فرحموا، وحكموا فعدلوا، وعقدوا فوفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٩]. وبلفظ «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»[١٠]. وبلفظ: «إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته؛ ما لم تحدثوا أعمالا، فإذا أحدثتموها سلط الله عز وجل عليكم من شرار خلقه؛ فيلتحوكم كما يلتحى القضيب». قال أبو داود الطيالسي:"يعني نُنْحَت كما يُنْحَت القضيبُ"[١١].

وتبين لي من خلال تخريجاتها ودراسة أسانيدها أنها إما صحيحة، أو حسنة.

ولوحظ أنها جاءت بصيغة الخبر، التي حملها معظم العلماء على أنها بمعنى الأمر بأن تُوَلُّوا الإمامةَ العظمى القريشَ إلى يوم القيامة، وعلى هذا انعقد الإجماع كما صرح بذلك كل من: البغدادي (ت٤٢٩هـ)[١٢]، والماوردي (ت٤٥٠هـ)[١٣]، وابن حزم (٤٥٦هـ)[١٤]، والغزالي (ت٥٠٥هـ)[١٥]، والقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)[١٦]، والنووي (ت٦٧٦هـ)[١٧]، والخطيب الشربيني (ت٩٩٧هـ)[١٨]، والمناوي (ت١٠٣١هـ)[١٩]، والشيخ محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[٢٠].

وقال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): "وأما كون الخلافة في قريش فلما كان هذا من شرعه ودينه كانت النصوص بذلك معروفة منقولة مأثورة يذكرها الصحابة"[٢١].

---

ضعفاء". وشيخه سيار بن سلامة ثقة، لذلك قال ابن حجر: "وإسناده حسن". ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، **التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، (المدينة المنورة: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج٤، ص١١٧. وانظر: ابن حجر، **تقريب التهذيب**،تحقيق: محمدعوَّامة،(حلب: دارالرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ)، ج١، ص٢٤٥، رقم٢٤٦١.

[٩] أخرجه أحمد، في **المسند**، ج٣٣، ص٢٦، رقم١٩٧٨٢ وج٣٣، ص٤٢، رقم١٩٨٠٥؛ وأبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، في **المسند**، تحقيق، حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث،ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٦، ص٣٢٣، رقم٣٦٤٥؛ والروياني، أبو بكر محمد بن هارون، في **المسند**، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص٣٤١، رقم١٣٢٣. وإسناده صحيح.

[١٠] أخرجه البخاري، في **الصحيح**، ج٣، ص١٢٨٩، رقم٣٣٠٩ وج٦، ص٢٦١١، رقم٦٧٢٠.

[١١] أخرجه الطيالسي، في **المسند**، ص٨٦، رقم٦١٩؛ وأبو يعلى في المسند كما في البوصيري،أحمدبن أبي بكر بن إسماعيل،**إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، (الرياض: دارالوطن، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج٥، ص٦، رقم٣/٤١٤٢. وسنده حسن.

[١٢] البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، **أصول الدين**، (إستانبول: مطبعة الدولة، ط١، ١٩٢٨م)، ص٢٧٦.

[١٣] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **الأحكام السلطانية**، (القاهرة: ١٩٦٦م)، ص٦.

[١٤] ابن حزم،أبو محمد بن أحمد بن سعيد، **المحلى**، (القاهرة: المطبعة المنيرية، ١٣٥١هـ)، ج١، ص٤٢.

[١٥] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، **فضائح الباطنية**، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، (الكويت: مؤسسة دارالكتب الثقافية، د.ط، د.ت)، ص١٨٠.

[١٦] القاضي عياضبن موسى أبو الفضل اليحصبي السبتي، **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**،(المكتبة الشاملة)، ج٦،ص١١٠.

[١٧] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، **شرحه على صحيح مسلم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ)، ج١٢، ص١٩٩.

[١٨] الشربيني، محمد الخطيب، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج٤، ص١٣٠.

[١٩] المناوي، عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ)،ج٣، ص١٩٠.

[٢٠] محمدرشيدرضا، **مجلةالمنار**، (ديسبر، ١٩٢٢م)، ج٢٣،ص٧٢٩.

[٢١] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، (السعودية: مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ)، ج١،ص٥٢١.

فالحديث على حسب فهم الجمهور بأنه شرط تشريعي ديني، أضحى من القضايا التي واجهت تحديات عدة قديما وحديثا على السواء. ونحن نحاول من خلال هذا البحث مواجهة تلك التحديات، ونسعى بجدٍّ لمقاومتها بتوفيق من الله العلي القدير وعونه.

**المبحث الثاني: التحديات التي واجهها هذا الحديث:**

لما كانت هذه التحديات متنوعة، وهي قديمة وحديثة، لذلك أحببنا أن نصنفها على قسمين: التحديث القديمة. والتحديات المعاصرة.

**المطلب الأول: التحديات القدمة:**

رفض الحديث:

موقف الرفض هذا هو موقف أكثر الخوارج وأكثر المعتزلة والبعض من أهل السنة والجماعة؛ حيث إنهم قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، ولم يولوا لهذا الحديث أي اهتمام.

قال الأشعري (ت٣٢٠هـ): "قال قائلون من المعتزلة والخوارج: جائز أن يكون الأئمة في غير قريش. وقال قائلون من المعتزلة وغيرهم: لا يجوز أن يكون الأئمة إلا من قريش"[٢٢]. وقال: "واختلفوا إذا اجتمع قرشي وأعجمي وتساويا في الفضل أيهما أولى على مقالتين: فقال ضرار بن عمرو: يولى الأعجمي لأنه أقلهما عشيرة. وقال سائر الناس: يولى القرشي فهو أولى بها"[٢٣].

وقال البغدادي (ت٤٢٩هـ):"وهذا الخلاف باق إلى اليوم لأن ضرارا أو الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش"[٢٤].

وقال ابن حزم (٤٥٦هـ): "ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على قريش، فذهب أهل السنة وجميع أهل الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش. وقال ضرار بن عمرو الغطفاني: إذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة قالوا: وجب أن يقدم الحبشي؛ لأنه أسهل لخلعه إذا حاد عن الطريقة"[٢٥].

---

[٢٢] الأشعري، علي بن إسماعيل أبو الحسن (ت٣٢٠هـ)،**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: هل موتريتر، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، د.ت)، ص٤٦١.

[٢٣] الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ص٤٦٢.

[٢٤] البغدادي،أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد،**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م)، ص١٣.

[٢٥] ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، **الفصلفي الملل والأهواءوالنحل**، (القاهرة: مكتبةالخانجي، د.ط، د.ت)،ج٤، ص٧٤.

وقال عضدالدين الإيجي (ت٧٥٦هـ): "وههنا صفات في اشتراطها خلاف، الأول أن يكون قرشيا. ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة ولو عبدا حبشيا»"[٢٦].

وقال سعدالدين التفتازاني (ت٧٩١هـ): "واتفقت الأمة على اشتراط كونه قرشيا ... خلافا للخوارج وأكثر المعتزلة.واحتجوا بالمنقول والمعقول، أما المنقول فقال صلى الله عليه وسلم: «أطيعوا ولو أُمِّر عليكم عبد حبشي أجدع». وأما المعقول فهو أنه لا عبرة بالنسب في القيام بمصالح الملك والدين، بل للعلم والتقوى والبصيرة في الأمور والخيرة بالمصالح والقوة على الأهوال وما أشبه ذلك"[٢٧].

وكلام الشيخ محمد الغزالي (ت١٤١٦هـ/١٩٩٦م) أصرح من كل ما سبق حيث قال: "إن الخوارج مؤمنون بالمساواة بين الأجناس كلها، وقد رفضوا حديث «الأئمة من قريش»، وجعلوا إمامة المسلمين في الأكفاء لها من أي قبيل"[٢٨].

وأما البعض من أهل السنة والجماعةالمتقدمين الذي اختار هذا الموقف، فهو إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ) حيث إنهلا يتيقين بصدور هذا القول من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وقد نقل الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قريش»، وذكر بعض الأئمة أن هذا الحديث في حكم المستفيض المقطوع بثبوته، من حيث إن الأمة تلقته بالقبول، وهذا مسلك لا أؤثره؛ فإنّ نَقَلَة هذا الحديث معدودون، لا يبلغون مبلغ عدد التواتر، والذي يوضح الحق في ذلك أنا لا نجد في أنفسنا ثلج الصدور واليقين المثبوت بصدور[٢٩] هذا من فِلْقِ فِيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم[٣٠]، كما لا نجد ذلك في سائر أخبار الآحاد، فإذًا لا يقتضي هذا الحديث العلم باشتراط النسب في الإمامة"[٣١].

تبين من النص السابق أن الإمام الجويني اعترض على من قال بتواتر هذا الحديث، ويشك في صدوره من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنه يجزم بعدم وجوده في أخبار الآحاد بدلا من المتواتر، ومن ثم لا يوجب هذا الحديث شرط القرشية في الإمامة عنده. ويقول: "ولسنا نعقلُ احتياج الإمامة في وضعها إلى النسب. ولكن خصص الله هذا المنصب العليّ، والمرقب السَّنيّ بأهل بيت النبي،

---

[٢٦] الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد، **المواقف في الكلام**، تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة، (بيروت: دارالجيل، ط١، ١٩٩٧م)، ج٣،ص ٥٨٥.

[٢٧] سعدالدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبدالله، **شرح المقاصد في علم الكلام**، (باكستان: دارالمعارف النعمانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج٢،ص٢٧٧-٢٧٨.

[٢٨] محمد الغزالي، **الخديعة حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي**،(مصر: دار نهضة، ط١، د.ت)، ص١٣٩.

[٢٩] في النسخة المطبوعة: "بصدد" ولا معنى له، والذي أثبتناه هو الصواب في رأينا.

[٣٠] قال ابن منظور، محمدبن منظور بنمكرمالأفريقيالمصري، في **لسان العرب**،(بيروت:دارصادر، ط١، د.ت)، ج١٠،ص٣٠٩: "والفَلْق بالتسكين الشَّق، كلَّمني فلانٌ مِنْ فَلْقِ فِيْهِ، وَفِلْقِ فِيْهِ، وسمعتُه مِنْ فَلْقِ فِيْهِ، وَفِلْقِ فِيْهِ، أي شِقِّه، والكسر قليل، والفتح أَعْرَف، وضربه على فَلْقِ رأْسه أَي مَفْرَقه ووسطه".

[٣١] الجويني، إمام الحرمين عبد الملك الجويني النيسابوري، **غياث الأمم في التياث الظلم**، تحقيق: مصطفى حلمي وفؤاد عبد المنعم، (الإسكندرية: دار الدعوة، د.ط، د.ت)، ص٦٢-٦٣.

فكان ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء"[٣٢]. ومن هنا يرى الجويني أن غير القرشي يُفضَّلُ على القرشي إذا كان أكثر صلاحية وكفاءة لهذا المنصب. يقول: "إذا وُجد قرشي ليس بذي دراية، وعاصره عالم تقيّ، يُقَدّم العالم التقي. ومن لا كفاية فيه؛ فلا احتفال به، ولا اعتداد بمكانه أصلاً"[٣٣].

لاحظنا من خلال النصوص السابقة أن المعتزلة والخوارج ما قبلوا العمل بذلك الحديث؛إذ رأوا أن هناك قولا لهصلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة ولو عبدا حبشيا»، وقولهصلى الله عليه وسلم: «أطيعوا ولو أُمِّر عليكم عبد حبشي أجدع» أكثر ملائمة بطبيعة الحكم، لذلك هم رجحوا حديث العبد الحبشي؛ لأنه يدعو إلى تولية الحكم مَنْ يكون أهلا للقيام بمصالح الملك والدين، لا من يكون ذانسب.وما تجرأوا على رمي تلك الأحاديث بالوضع، إلا ما شممناه من رائحة الوضع في كلام إمام الحرمين الجويني من أهل السنة والجماعة؛ لأنه لم يتقين بصدوره من فم الرسول صلى الله عليه وسلم.

**المطلب الثاني: التحديات المعاصرة:**

لم تختلف مواقف العلماء المعاصرين من هذا الحديث عن موقف المعتزلة والخوارج وإمام الحرمين الجويني كثيرا، إلا أنهم أكثر صراحة وجرأة منهم، ومواقفهم هذه متنوعة كالتالي:

التحدي الأول: أحاديث تخصيص الإمامة بقريش موضوعة:

تجرأ د.الخربوطليمن المعاصرين على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع، حيث قال تحت عنوان "الخلافة في الأحاديث النبوية": "هناك بعض أحاديث نبوية تتناول الخلافة، وقد استخدم الحديث النبوي كأساس للبحث المنسق لعقيدة الخلافة التي عرضت في مخطوطات علماء الدين الإسلامي وفقهائه. ومن المستحيل أن نحدد الزمن الحقيقي الذي ظهرت فيه هذه الأحاديث، ولكن مما لا شك فيه أنها ظهرت لتبرير النظم السياسية التي سادت في القرنين الأول والثاني الهجريين، والتي حازت رضا غالبية المسلمين.تقرر الأحاديث أن الخليفة يجب أن يكون من قريش، وهي القبيلة العربية التي ينتسب الرسول إليها، وقد توافر هذا الشرط في الخلفاء الأمويين في دمشق، والخلفاء العباسيين في بغداد، والخلفاء الفاطميين في القاهرة، وهذه الأحاديث تتفق في المعنى وإن اختلفت في الألفاظ، وهي: "الأئمة من قريش". و"لا يزال على الناس وال من قريش". و"الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة". و"الأئمة من قريش، أبرارها أمراء، وفجارها أمراء ....الخ".ولكننا نرى أن معظم هذه الأحاديث موضوع أو مدسوس على الرسول، ونرى أنه كما أن ليس في القرآن نص على الخلافة والإمامة فكذلك لا يوجد في الأحاديث النبوية نص يعترف بوجود الخلافة أو الإمامة العظمى بمعنى النيابة عن رسول الله والقيام مقامه من المسلمين"[٣٤].

وتابع فذكر شروط الإمة، ثم قال: "أضاف بعض الفقهاء شرطا آخر، فاشترطوا أن يكون الخليفة قرشي النسب، ويدللون على رأيهم بما حدث يوم السقيفة، حينما أراد الأنصار أن يبايعوا

---

[٣٢] المرجع السابق، ص٦٤.

[٣٣] المرجع السابق، ص٢٢٩.

[٣٤] الخربوطلي، د. علي حسني، **الإسلام والخلافة**، (بيروت: دار بيروت، ١٩٦٩م)، ص٣٤.

لسعد بن عبادة، بينما تمسك المهاجرون باختيار أبي بكر مستندين إلى أحاديث نبوية تذهب كلها إلى ضرورة كون الأئمة من قريش.وإن كان بعض الفقهاء يحتِّمون كون الخليفة قرشي النسب، فإن بعضهم يضع لذلك شروطا، مستندين إلى أحاديث نبوية، معظمها موضوعة، وليست صحيحة، منها "الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا، ووعدوا فوفو، واسترحموا فرحموا"[٣٥].

وقال "الطيب آيت حمودة" بأن حديث(الأئمة من قريش) مصوغ. كما سيأتي نصُّ قوله.

وتوصل السيد محمد سالم عزان إلى أن كل تلك الروايات التي تخصص الإمامة أو الإمارة أو الولاية بقريش من وضع معاوية ومن والاهم. كما سيأتي تفصيل ذلك.

**التحدي الثاني: تلك الأحاديث مناقضة للقرآن وداعية إلى العنصرية وممزقة للأمة:**

بالإضافة إلى حكم الباحث "الطيب آيت حمودة" على حديث(الأئمة من قريش) بأنه مصوغ، يقول بأنه متعارض مع القرآن، وحمَّله مسؤولية تمزيق الأمة فقال: "ما أكثر أحاديث السنة المفضِّلة لجنس العرب فيما يعرف بالأحاديث المجدة للعرب التي وصل بها الحد إلى صياغة حديث (الأئمة من قريش) الحديث الذي ناقض القرآن، وأعاد المسلمين إلى عصر جاهلية العرب في جزيرتهم، وهو الحديث المسؤول عن تمزيق وحدة الأمة عربها ومواليها، وكان السبب في إراقة دماء المسلمين غزيرة"[٣٦].

وكذلك رمى الحديث بالوضع السيد محمد سالم عزان الشيعي أو الزيدي في بحث له تحت عنوان "قرشيّة الخلافة تشريع ديني.. أم رؤية"[٣٧]. وتوصل إلى أن كل تلك الروايات التي تخصص الإمامة أو الإمارة أو الولاية بقريش من وضع معاوية ومن والاهم. وقال: "وعندما خفت وطأة السياسة القرشية أخذ كثير من علماء أهل السنة يعيدون النظر في اشتراط القرشية، وصارت عباراتهم أكثر منطقية، فرأى بعضهم أنها في قريش إذا تيسر قرشي صالح جامع للشروط، فإن عدم فأي رجل من غيرهم، وفي ذلك قال سعد الدين التفتازاني [ت٧٩١هـ]: "فإن لم يوجد في قريش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من العجم"[٣٨]. ونص على ذلك

[٣٥] الخربوطلي، **الإسلام والخلافة**، ص٤٢.

[٣٦] الطيب آيت حمودة، بحث تحت عنوان "**حديث (الأئمة من قريش) الذي مزق أمة الإسلام**"، الحوار المتمدن، العدد٣٦٣٤، ٢٠١٢/٢/١٠م، تحت المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني. تاريخ التصفح: ٢٠١٣/٣/٢٩م. على الموقعين:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٢٩٤٧١٥

http://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=٢٩٤٧١٥

[٣٧] انظر: الموقع: الجمهورية، سمير رشاد اليوسفي رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير. تاريخ التصفح: ٠١٣/٣/١٥م

http://www.algomhoriah.net/atach.php?id=٩١٣٩

[٣٨] سعد الدين التفتازاني، **شرح المقاصدفي علم الكلام**،ج٢،ص٢٧١.

زكريا الأنصاري [ت٩٢٦هـ] في "فتح الوهاب"[٣٩] والشربيني [ت٩٧٧هـ] في "مغني المحتاج"[٤٠]، وحكاه القلقشندي [ت٨٢١هـ] عن الرافعي [ت٦٢٣هـ] والبغوي [ت٥١٦هـ] وغيرهم"[٤١].

ثم استعرض المرويات في هذا الباب التي ذكرتها من قبل عن أنس وأبي برزة الأسلمي وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وعمرو بن العاص ومعاوية وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، وضعفها كلها، إما باعتماده تضعيف بعض الأئمة أحد الرواة فيها وطرحه توثيق بعض الأئمة إياه، أو الاضطراب في السند أو المتن، ولم يجد في رواية معاوية علة فقال: "فالمتهم فيها معاوية، لأنه المعروف بتحويل الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض يرثه الأصاغر عن الأكابر"، وعدَّ روايتي أبي هريرة وابن عمر اللتين في الصحيحين من الروايات التي حشرت في هذا الباب، يقول: "وهنالك روايات أخرى حشرت في هذا الباب، مع أن دلالتها بعيدة عما نحن بصدده، وذلك مثل ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم». وما روي عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان». ووصل أخيرا إلى أن شرط القرشية رؤية سياسية، وليس شرطا دينيا تشريعيا.

ونقل موقع بيان الإسلام بحثا تحت عنوان "الطعن في حديث "الأئمة من قريش" شبهة حول هذا الحديث قال فيه: "يطعن بعض المغرضين في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب بيت ونحن فيه، فقال: «الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقا؛ ولكم عليهم حقا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».قائلين: إن في السند سهل أبا الأسد، وهو ضعيف عند العلماء، وليس بثقة، بالإضافة إلى أحاديث أخرى صحيحة وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيها بالسمع والطاعة للإمام ولو كان عبدا حبشيا مما يناقض الحديث، كما أن أحاديث قصر الإمامة على القرشيين فيها نوع من التعصب الذي يأباه الإسلام وينهى عنه، متسائلين: كيف لا يربط الإسلام الإمامة بالجدارة والأهلية دون النسب والعرق؟!رامين من وراء ذلك إلى الطعن في الأحاديث الصحيحة والتشكيك في السنة النبوية"[٤٢].

---

[٣٩] زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا أبو يحيى، **فتح الوهاب شرح منهج الطلاب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٢٦٨.

[٤٠] الشربيني، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**،ج٤، ص١٣٠.

[٤١] القلقشندي، أحمد بن عبد الله،**مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج،(الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ط٢،١٩٨٥م)، ص٢٠. ونصه: "وقد ادعى الماوردي الإجماع على اعتبار هذاالشرط مع ورود النصبه، ثم قال: ولا عبرة بضرار حين شذ فجوزها في جميع الناس .قال الرافعي من أئمة أصحابنا الشافعية: فإن لميوجد قرشي مستجمع للشر وطفكناني، فإن لم يوجد كنان يفرج لمن ولد إسماعيلعليه السلام،فإن لميكن فيهم رجل مستجمع للشرائط ففي تهذيب البغوي أنه يولى رجل من العجم".

[٤٢] الموقع: بيان الإسلام. الرد على الافتراءات والشبهات. تاريخ التصفح: ٢٠١٣/٣/٢٩م
=&value=&type٠٠٧٨-٠٣-٠٣http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=

وقال الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في صدد الرد على ليبرالي: "أما حديث: "الأئمة من قريش" فقد اشتهر بين العلماء، ولكن الشهرة لا تعني دائما: الصحة. ومما يشكِّك في ثبوته: أنه لو كان معروفا لدى الأنصار، ما قال قائلهم يوم السقيفة: منا أمير ومنكم أمير. وهم ليسوا من قريش، ولو كان معروفًا لدى المهاجرين، لردَّ به عليهم أبو بكر، وكفى به حجَّة لو صحَّ. ولكنه لجأ إلى ترجيح المهاجرين باعتبارات اجتماعية، كقوله: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش. وعلى كل حال لم يرد الحديث في الصحيحين ولا أحدهما، وإنما ورد بأسانيد لم يسلم سند فيها من مقال، وإنما صحَّحه من صحَّحه بكثرة طرقه وشواهده. كما قال محققو المسند في تخريج الحديث (١٢٣٠٧) عن أنس: إن إسناده ضعيف لجهالة راويه: بكير بن وهب الجزري ... ولكن صحَّحوه بكثرة طرقه الضعيفة". ثم قال: "ورأيي: أن الأحاديث الخطيرة التي تقرِّر مبادئ وأصولاً هامة للحياة الإسلامية، لا يجوز أن يقبل فيها ما كان ضعيفا بأصله، وإنما صُحِّح بكثرة طرقه، ولا سيما أن الأئمة المتقدمين مثل: ابن مهدي وابن المديني وابن معين والبخاري وغيرهم، ما كانوا يعتمدون على كثرة الطرق هذه، إنما اشتهرت بين المتأخرين. وهذا الحديث بألفاظه المختلفة هو عمدة القائلين باشتراط القرشية في نسب الإمام أو الخليفة، وخالف في ذلك الخوارج وبعض المعتزلة وغيرهم. وزعم بعضهم أنهم خالفوا الإجماع في ذلك. وردَّ عليهم العلامة الحافظ ابن حجر ... على أن هذا الإجماع لو صح قد يكون سنده ارتباط المصلحة في ذلك الزمن بكون الخليفة من قريش، لِمَا كان لهم من المكانة والغلبة على غيرهم من العرب، أي أنهم أهل الحماية والعصبية، كما شرح ذلك ابن خلدون في مقدمته، والإجماع إذا كان سنده مصلحة زمنية لا يكون حجَّة مُلزِمة على وجه الدوام. فإذا تغيرت المصلحة التي كانت سند الإجماع، فلم يعد للإجماع المتقدم حجية"[٤٣].

أما تعارضه مع القرآن أو الأحاديث الأخرى فقد تقدم البعض منها، وهو مفصلا كالتالي:

١- هذا الحديث وأمثاله يتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣] حيث جعل الله فيه الأفضليةوالإكرامبالتقوى،لابالنسبونحوه.

٢- وكذلك هذا الحديث يتعارض مع الحديث الذي سوى بين الناس، ونفى الفضل لعربي على أعجمي ... قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد،ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[٤٤].

٣- ويتعارض مع الأحاديث التي تحذر من التفاخر بالأنساب والأحساب، وتنهى عن العصبية الجاهلية، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «أربع من الجاهلية لا يتركن: الفخر في الأحساب، والطعن في

[٤٣] يوسف القرضاوي، **الفصل الثاني: دعوى العلمانية الإسلامية**، موقع القرضاوي **تاريخ الزيارة** ٢٠١٣/٣/٢٤م **.html٣٩٠٧/٧٧http://www.qaradawi.net/library/**

[٤٤] أحمد، **المسند**،ج٥،ص٤١١، رقم٢٣٥٣٦ وصححه شعيب الأرناؤوط.

الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٤٥].وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء. مؤمن تقي، وفاجر شقي. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب. ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»[٤٦]. وقوله أيضًا: «من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية»[٤٧].

٤- ويتعارض مع الحديث الذي يأمر بالسمع والطاعة للعبد الحبشي إذا كان أميرا. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٤٨]. فالحديث أوجب الطاعة لكل إمام وإن كان عبدًا، فهذا ينفي اشتراط القرشية، وذلك يثبته.

٥- وهو يتعارض مع قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا: "إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حيّ استخلفته... فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة، استخلفت معاذ بن جبل"[٤٩]. والمعروف أن معاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش. كما روي عنه رضي الله عنه أنه قال: "لو أدركني أحد رجلين، ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح"[٥٠]. ومن هذا القبيل ما حكاه ابن قتيبة عن بعض المعتزلة أو الخوارج، قال: "قالوا: رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قريش»، ورويتم أن أبا بكر الصديق احتج بذلك على الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة. ثم رويتم عن عمر رضي الله عنه أنه قال عند موته:"لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ما تَخَالَجَنِي فيه الشَّكُّ"، وسالم ليس مولى لأبي حذيفة، وإنما هو مولى لامرأة من الأنصار، وهي أعتقته وربته ونسب إلى أبي حذيفة بحلف، فجعلتم الإمامة تصلح لموالي الأنصار، ولو كان مولى لقريش لأمكن أن تحتجوا بأن مولى القوم منهم ومن أنفسهم. قالوا: وهذا تناقض واختلاف"[٥١].

ويقول الدكتور حسن بسيوني: "وفي رأينا أنه قد يكون لهذا الشرط دور في بداية الدولة الإسلامية، إلا أنه بعد انتشار الدين من الصين والهند إلى الأندلس، أضحى التمسك بهذا الشرط محلّ نظر؛ إذ الإسلام يقوم على التآخي والمساواة وبغض العصبية، وعندما أراد أحد المسلمين أن يثيرها

---

[٤٥] أحمد، **المسند**،ج٥،ص٣٤٢، رقم٢٢٩٥٤ وصححه شعيب الأرناؤط.

[٤٦]أبو داود،سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: دارالفكر، مع تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها)، ج٢،ص٧٥٢، رقم٥١١٦. وحسنه الشيخ الألباني.

[٤٧] أخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، **في السنن**، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دارالفكر، مع الأحاديث المذيلة بأحكام الألباني عليها)،ج٢،ص١٣٠٢، رقم٣٩٤٨؛ والنسائي، أحمدبن شعيب أبو عبدالرحمن، في **المجتبى من السنن**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مع الأحاديث المذيلةبأحكام الألباني عليها)، ج٧،ص١٢٣، رقم٤١١٤ صححه الألباني.

[٤٨] أخرجه البخاري في **صحيحه**،ج٦،ص٢٦١٢، رقم٦٧٢٣.

[٤٩]أحمد،**المسند**، ج١،ص١٨، رقم١٠٨. قال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٩،ص٦٩، رقم١٤٩١٢: "رواه أحمد وهو مرسل، راشد وشريح لم يدركا عمر". وقال شعيب الأرنؤوط: "حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات".

[٥٠]أحمد،**المسند**، ج١،ص٢٠، رقم١٢٩. وهو ضعيف، في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

[٥١]ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد زهري النجار، (بيروت: دارالجيل، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م)، ص١٢٢.

عصبية ونادى: "يا للأنصار! فنادى آخر يا للمهاجرين! فقال صلى الله عليه وسلم غاضباً: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»[٥٢]. والتمسك بالنسب والعصبية من شأنه أن يثير النفوس، لا سيّما والمسلمون سواسية، وأساس التفضيل بينهم التقوى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض؛ إلا بالتقوى». من ذلك يتبين أنّ الكتاب والسنة أقرَّا أنّ أساس التفضيل التقوى، وليس الانتساب إلى جنس أو قبيلة معينة"[٥٣].

كأنه يرى أن فيه ترويجا للعصبية، والإسلام يقوم على التأخي والمساواة، وأساس الأفضلية في الإسلام هو التقوى، لا الانتساب إلى جنس أو قبيلة معينة.

وهناك آخرون من المعاصرين نفوا اشتراط القرشية، وذهبوا إلى القول بصحة الخلافة لكل قادر كفء سواء كان من قريش أم من غير قريش.منهم: د. صلاح الدين دبوس، حيث إنه ذهب إلى أن هذه الأحاديث مجرد أخبار[٥٤]. ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة، فإنهبعد ما ذكر شرط القرشية للإمامة عند الجمهور، والأحاديث الدالة عليه مما ذكرناه من قبل، قال:

"إن هذه النصوص بلا ريب تشير إلى فضل قريش، وحَسْبُ قريشٍ فضلا أن منهم النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن هل تدل هذه الأدلة على أن الخلافة تكون فيهم، ولا تكون في غيرهم، وأن شرط صحة الولاية أن يكون الخليفة منهم؟ إن العمل بلا شك كان على أن الخليفة منهم، فاجتماع سقيفة بني ساعدة اتجه فيه المسلمون الأولون إلى اختيار الخليفة من بين المهاجرين من قريش، وذلك بعد خطبة أبي بكر رضي الله عنه، ولم تبن الدعوة إلى أن يكون الخليفة من قريش على نص حديث، بل بناءا على أمرين:

---

[٥٢] قال أبو الليث: أخرج ابن جرير،محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري،في **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسةالرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٦، ص٥٥، رقم٧٥٢٤ عن شيخه ابن حميد؛ وأبو الشيخ في تفسيره كما في ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، **الإصابة فيتمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ)، ج١،ص١٥٩ ومن طريقه ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الجزري، في**أسد الغابة في معرفة الصحابة**،(بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م)، ج١،ص٩٣ من طريق أبي عبد الله محمد بن عيسى الدامغاني؛ كلاهما قالا: أخبرنا سلمة بن الفضل، أخبرنا محمد بن إسحاق، حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم قال: وذكر قصة إثارة شاس بن قيس الفتنة بين المسلمين، واستعدادهم للحرب حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين منأصحابه، حتى جاءهم فقال: «يا معشر المسلمين! الله الله! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وأصله في **صحيح البخاري**،ج٣،ص١٢٩٦، رقم٣٣٣٠ **وصحيح مسلم**،ج٤،ص١٩٩٨، رقم٢٥٨٤ عن جابر ﷺ يقول: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى أهل الجاهلية» ؟ ثم قال: «ما شأنهم».

[٥٣] بسيوني، حسن السيد، **الدولة ونظام الحكم في الإسلام**، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٦٢.

[٥٤] د. صلاح الدين دبوس،**الخليفة توليته وعزله**، (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية)، ص٢٧٠.

أولهما: أفضلية المهاجرين على الأنصار وذكرهم أولا في القرآن، وبيان مقامهم من الصبر على البلاء والشدائد في أول الإسلام.وثانيهما: أن قريشا كانت لها مكانة قبل الإسلام، وعند ظهور الإسلام في البلاد العربية، ولذا قال أبو بكر رضي الله عنهفي آخر خطبته: "إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش". فهذا النص بلا ريب سبب أفضلية قريش.

وإن الأحاديث التي رويت في فضل قريش تتجه بلا شك إلى هذا المعنى، ما عدا حديث معاوية[٥٥]، فإن له معنى آخر، وهو بيان أن الأئمة  يكونون من قريش، وأنه ما من أحد ادعاها إلا كبه الله تعالى إذا كان من غيرهم، ولكن أهذا إخبار عن الواقع الذي يكون، أم هو أمر وفرضية لا بد من تحقيقها؟ إن الواقع الذي حصل أن الإمامة الحق تتمثل في الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي –كانت في قريش، فأولئك الأئمة أعلام الهدى كانوا من قريش، وفوق ذلك فإن الحديث اشترط لكونها فيهم أن يقيموا الدين، ولذا قال: «ما أقاموا الدين»، فإذا لم يقيموه نزعت منهم إلى من يقيمه. وبذلك ننتهي إلى أن هذه النصوص من الأخبار والآثار لا تدل دلالة قطعية على أن الإمامة يجب أن تكون من قريش، وأن إمامة غيرهم لا تكون خلافة نبوية، وعلى فرض أن هذه الآثار تدل على طلب النبي أن تكون الإمامة من قريش، فإنها لا تدل على طلب الوجوب، بل يصح أن يكون بيانا للأفضلية، لا لأصل صحة الخلافة، وأن هذا متعين إذا فرضنا أن الآثار تفيد الطلب، فإنه يكون طلب أفضلية لا طلب صحة، لأنه روي في الصحيحين عن أبي ذر أن قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن ولى عليكم عبد حبشي، مجدع الأنف". وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة». وفي صحيح مسلم عن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن استعمل عليكم عبد أسود مجدع يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا وأطيعوا».

فبجمع هذه النصوص مع حديث: «إن هذا الأمر في قريش» نتبين أن النصوص في مجموعها لا تستلزم أن تكون الإمامة في قريش، وأنه لا تصح ولاية غيرهم، بل إن ولاية غيرهم صحيحة بلا شك، ويكون حديث «الأمر في قريش» من قبيل الإخبار، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا». أو يكون من قبيل الأفضلية، لا الصحة.

بقي قول أبي بكر والصحابة معه، فنقول إنه معلل بالتقوى في قريش وشوكتهم، فإذا تحققتا في غيرهم ولم تكونا فيهم، فإنه بمقتضى منطق الصديق الذي وافقه عليه الصحابة تكون الولاية في غيرهم، لأنه إذا كانت القوة والمنعة والتقوى هي المناط، فإن الخلافة تكون حيثما تكون هذه المعاني.

وهذا هو النظر الفاحص لمبدأ "الإمامة في قريش" وفيما ورد في شأنه من آثار صحاح ومدى ما تدل، والمناط الذي انعقد عليه الإجماع في اختيار أبي بكر خليفة رضي الله عنه"[٥٦]. انتهى نص الشيخ.

فيرى الشيخ محمد أبو زهرة، أنشرط القرشية من قبيل الأفضلية، لا الصحة.

---

[٥٥] وهو: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

[٥٦] أبو زهرة،محمد،**تاريخ المذاهب الإسلامية**، (القاهرة:دار الفكر العربي، 1996م)، ج١، ص٧٧-٧٨.

ومنهم الأستاذ العقاد فقد قال في سياق بيان صفات الإمام: "وأما الصفات المطلوبة في الإمام فهي الفهم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والبصر بتدبير الجيوش وأمر لحرب وسد الثغور وحماية البيضة. ويضيف أناس من الفقهاء إلى ذلك أن يكون قرشيا لقوله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش» ... ويرى الكثيرون التحلل من هذا الشرط لأسباب كثيرة: منها أنه شرط من شروط متعددة، فإذا اجتمع أكثرها ولم تكن منها النسبة القرشية كان فيها الكفاية. ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»، وقول عمر رضي الله عنه: "لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته". ومنها أن النبي لا يدعو إلى العصبية لأنه نهى عنها في أحاديث كثيرة، وبرئ من كل دعوة إلى العصبية، فهو صلوات الله عليه يؤثر الإمام القرشي لصفات القدرة على القيام بالإمامة، لا للعصبية ولو فقدت معها القدرة، وقد كانت قريش أقدر القبائل بمكة عاصمة الجزيرة في عهد الدعوة المحمدية، فكانت إمامتها هناك أرجح إمامة، وظلت كذلك إلى أن قام بالأمر من اجتمعت له شروط الإمامة دونها"[٥٧].

**المبحث الثالث: خلاصة التحديات ومقاومتها:**

تلخصت لدينا هذه التحديات فيما يلي:

أن هذا الحديث وأمثاله ضعيف لا يحتج به. أو موضوع. أو أنه متعارض مع القرآن والأحاديث الأخرى والآثار، أو أنه يشجع العصبية والإسلام بريئ من ذلك.

أما تضعيف الحديث فهو لا يتماشى مع القواعد الحديثية التي وضعها أئمة الحديث؛ فإن هذا الحديث وما في معناه روي عن عدة من الصحابة كما مر سابقا، والبعض منها في الصحيحين. وقد ألف الحافظ ابن حجر كتابا في هذا الباب، سماه "لذة العيش بجمع طرق حديث الأئمة من قريش"، وجمع فيه مرويات ٥٢ صحابيا. فمعنى هذا أنه لا مجال لتضعيفه.

وأما الحكم عليه بالوضع فهو حكم مبني على الهوى، لا على الموضوعية والإنصاف؛ لأن البعض من تلك الأحاديث في الصحيحين، وهي صحيحة سندا لا غبار عليه. أما من ناحية المتن فسنرى توجيه ذلك فيما بعد بإذن الله تعالى.

وأما تعارضه مع النصوص الأخرى من القرآن والأحاديث فأنا أرى أن آية الأكرمية بالتقوى لا بالنسب وغيره، وأحاديث عدم أفضلية عربي على أعجمي ...، هي متعلقةبأحكام الآخرة، لابأحكام الدنيا، كما يقول نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[٥٨]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني مناف: لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول

[٥٧] العقاد، عباس محمود، **الديمقراطيةفيالإسلام**، (مصر: دار المعارف)، ص٧٠.

[٥٨] أخرجه مسلم في **صحيحه**، ج٤، ص٢٠٧٤، رقم٢٦٩٩.

الله! لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد! سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا»[٥٩].

وأما النهي عن العصبية فليس معناه أن الناس لا تفاضل بينهم؛ لأن التفاضل من سنة الله تعالى في خلقه، فالملائكة ليسوا سواسية، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ وجبريل أفضل من الجميع[٦٠]، وكذلك الأنبياء ليسوا متساوين في المرتبة، فخمسة منهم أولو العزم[٦١]، وللرجال درجة على النساء[٦٢]، ومكة والمدينة أفضل البلدان الأخرى[٦٣]، وهناك تفاضل بين الأيام والشهور[٦٤]. وهذا التفاضل كان لسبب راجع في آخر الأمر إلى ما يترتب عليه من أحكام في الآخرة.

وهناك من ألغى فضيلة الأنساب مطلقاً، وهناك من يفضل الإنسان بنسبه على من هو أعظم منه في الإيمان والتقوى فضلاً عمن هو مثله. قال ابن تيمية: "فكلا القولين خطأ، وهما متقابلان، بالفضيلة بالنسبة فضيلة جملة، وفضيلةٌ لأجل المظنة والسبب، والفضيلة بالإيمان والتقوى فضيلة تعيين وتحقيق وغاية، فالأول يفضل به لأنه سبب وعلامة، ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد، والثاني يفضل به لأنه الحقيقة والغاية، ولأن كلمن كان أتقى كان أكرم عند الله، والثواب من الله يقع على هذا، لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة"[٦٥].

وفضل قريش منحة إلهية لكون النبي صلى الله عليه وسلم منها، وكفاها ذلك. أما تخصيص الإمامة بها فهو من أحكام الدنيا، وله تخريجات عدة كما سيأتي قريبا إن شاء الله تعالى.

---

[٥٩] أخرجه البخاري في **صحيحه**، ج٣،ص١٠١٢، رقم٢٦٠٢؛ ومسلم في **صحيحه**، ج١،ص١٩٢، رقم٢٠٦.

[٦٠] انظر: القسطلاني، أحمد بن محمد،**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، تحقيق: صلاح أحمد الشامي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، المقصد السادس، ج٣، ص١٣١.حيث قال القسطلاني:"ثم الملائكة بعضهم أفضل من بعض، وأن أفضلهم الروح الأمين جبريل المزكّى من رب العالمين، المقول فيه من ذي العزة: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير:١٩-٢١]فَوَصَفه بسبع صفات، فهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الإطلاق، وهم ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل". وقال الزرقاني،محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري، في **شرحه للمواهب اللدنية للقسطلاني**،تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٨، ص٣٠٥:في شرح قول القسطلاني: "ثم الملائكة بعضهم أفضل من بعض": "فأعلاهم درجة:حَمَلَة العرْش الحافُّون حوله، فأكابرهم أربعة، فملائكة الجنة والنار، فالموكَّلون ببني آدم، فالموكَّلون بأطراف هذا العالم، كذا ذكره الرازي".

[٦١] قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥] وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

[٦٢] ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:٢٢٨].وهذه الدرجة أشار لها في موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

[٦٣] ففي **صحيح مسلم**،ج٢،ص٩٧٥، رقم٨٢٧: عن أبي سعيد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى». وفي الحديث المتفق عليه: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» **صحيح البخاري**، ج١،ص٣٩٨، رقم١١٣٣؛ و**صحيح مسلم**، ج٢،ص١٠١٢، رقم١٣٩٤.

[٦٤] انظر الكتب المؤلفة في فضائل الشهور والأيام. منها فضائل الأوقات للبيهقي، والعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور لابن دحية.

[٦٥] ابنتيمية،**منهاج السنة النبوية**،ج٤، ص٤٠٥-٤٠٦.

أما الحديث الذي أوجب الطاعة لكل أمام وإن كان عبداً، فالمراد بالعبد في هذا الحديث كما استنبط العلماء هو إمامة المتغلب أو الإمارة الصغرى على بعض الولايات، أو لأجل المبالغة في الأمر بالطاعة وضربه مثلا[٦٦].

وأما تعارضه مع قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسوف يأتي توجيهه فيما بعد إن شاء الله.

تخريجات معقولة لتخصيص الإمامة بقريش:

وأما أنه يشجع العصبية فهذه تهمة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي حاول العلماء دفعها من خلال تخريجات عديدة لهذا الحديث وأمثاله.

أ- أنه شرط اجتماعي:

وأول من استطاع دفعها ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) فقد اعتبر أنّ حديث «الأئمة من قريش» جاء كشرط اجتماعي، حيث راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلما كان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي تقوم عليها الخلافة أو الملك. وهذا يعني أنّ حقّ قريش في الخلافة قد زال بزوال قوتها وغلبتها. يقول في ذلك: "لأنّ قريشاً كانوا عُصبة مُضر وأصلهم وأهل الغلب فيهم، وكان سائر العرب يعترف لهم بذلك، فلو جعل الأمراء من سواهم لَتُوُقّع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم، ولا يَقدِر غيرهم من قبائل مضر أن يردهم عن الخلاف، ولا يحملهم على الكره، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة، والشارع مُحذِّر من ذلك، حريص على اتفاقهم، بخلاف ما إذا كان الأمر في قريش؛ لأنهم قادرون على سَوْق الناس بعصا الغلب إلى ما يُراد منهم، فلا يُخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة؛ لأنهم كفيلون حينئذٍ بدفعها ومنع الناس منها، فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية؛ ليكون أبلغ في انتظام الملّة واتفاق الكلمة، وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مُضر أجمع؛ فأذعن لهم سائر العرب، وانقادت الأمم سواهم إلى أحكام الملة، ووطئت جنودهم قاصية البلاد؛ كما وقع في أيام الفتوحات، واستمر بعدها في الدولتين، إلى أن اضمحلّ أمر الخلافة، وتلاشت عصبية العرب. فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أنّ الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، علمنا أنّ ذلك إنما هو من الكفاية، فرددناه إليها، وطلبنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية، وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية غالبة على من معها لعصرها، وإذا نظرتَ سر الله في الخلافة لم تعد هذا؛ لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم، وهو مخاطب بذلك، ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه، ثم إن الوجود

---

[٦٦] انظر: ابن حجر، **فتح الباري**،ج١٣، ص١٢٢.

شاهد بذلك؛ فإنه لا يقوم بأمر أمّة أو جيل إلا من غلب عليهم، وقلّ أن يكون الأمر الشرعي مخالفاً للأمر الوجودي"[٦٧].

والقريب منه ما قال الدكتور طه حسين بأنّ أبا بكر حينما قال للأنصار: الأئمة من قريش، لم يفكر في إطلاق الإمامة لقريش كلها دون تحديد، وإنما كان يفكر هو وعمر وأبو عبيدة في المهاجرين الذين سبقوا إلى الإسلام فآمنوا به قبل أن يؤمن غيرهم، وآزروا النبي بأنفسهم وأموالهم على نشر الدعوة في مكة أيام الجهد والشدة والضيق. فأبو بكر حينما قال للأنصار: إنّ الأئمة من قريش، كان يقصد إلى هذه الطبقة الممتازة من قريش، طبقة الذين سبقوا إلى الإسلام وجاهدوا مع النبي في مكة والمدينة"[٦٨].

ومعنى هذا الذي يقوله الدكتور طه حسين، أن شرط القرشية شرط اجتماعي، لا محل له بعد انتهاء الطبقة الممتازة من قريش، أولئك الذين سبقوا إلى الإسلام وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة أثناء الفتنة، وجاهدوا معه في المدينة أثناء القوة.

واختار الدكتور منير البياتي رأي ابن خلدون في أن شرط القرشية زال بزوال قوة قريش وغلبتها، فيقول: "الأصل العام في الولايات في الإسلام، أنها تقوم على الكفاءة والأمانة، وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى، قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[الحجرات:١٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: «من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه»[٦٩]، وأيضاً: «ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى»[٧٠]، وأيضاً: «اسمعوا وأطيعوا وإن أمّر عليكم عبدٌ حبشيّ»[٧١]. ثم إنّ الأحاديث التي وردت في شرط النسب القرشي لا تتعارض والتوجيه الذي ذكره ابن خلدون، بل يؤيده ويرجحه أنّ الصحابة لما اختلفوا في السقيفة؛ فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، دفعهم أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقالا: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش. وهذا - فيما نرى - تعليل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لشرط القرشية، يتضمن سكون الملّة وارتفاع الخلاف ودينونة العرب لقريش، فناسبه أن يكون الأمير منهم. ومثله ما قاله النبي الكريم للعباس حين طلب إليه أن يوصي بقريش فأجابه: «إنما أوصي قريشاً بالناس، وبهذا الأمر، وإنما الناس تبع لقريش، فبَرّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». وفي هذا إشارة إلى تبعية الناس لقريش، برهم وفاجرهم، فناسبه أن يكون الأمير منهم"[٧٢].

---

[٦٧] ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣)، ص١٩٥.

[٦٨] حسين، طه، **الفتنة الكبرى**، (مصر: دار المعارف، ١٩٥١م)، ج١، ص٣٥-٣٦.

[٦٩] الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، **السنن**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، (القاهرة: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٩٦٦م)، ج١، ص٨٣.

[٧٠] أخرجه أحمد بن حنبل في **مسنده**، ج٥،ص٤١١، رقم٢٣٥٣٦ من حديث أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى...» وإسناده صحيح، وقد صححه شعيب الأرناؤط.

[٧١] تقدم تخريجه.

[٧٢] البياتي، منير حميد، **النظام السياسي الإسلامي مقارنا بالدولة القانونية**، (عمان: دار البشير)، ص٢١٨.

أما الدكتور يوسف القرضاوي فقد أيّد العلامة ابن خلدون، في اعتبار أن شرط القرشية قد زال بزوال قوة قريش ومجدها؛ لأن الحكم يدور مع العلّة وجوداً وعدماً[٧٣].

وهو ما ذهب إليه الشيخ عطية صقر حين قال: "إن اشتراط القرشية التي نص عليها الحديث، ليس المقصود منه التبرك بالانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم و عشيرته، فليس ذلك من مقاصد الإمامة؛ و إنما من مقاصدها قوة النفوذ وهيبة السلطان لتحقيق المصلحة للأمة ودفع الشر عنها، وإذا كان الحديث متفقاً مع هذا المقصد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها بقليل، فربما لا يتفق في وقت آخر، فيكون واقعة حال لا يتعداها، ولا تُلتزم بعد ذلك"[٧٤].

ب- أنه شرط من باب السياسة الشرعية:

فقد اعتبره الأستاذ محمد المباركمن باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل[٧٥]. وكذلك يرى الشيخ عبد الحكيم الصادق الفيتوري، هذا الشرط سياسيا[٧٦].

ج- أنه شرط مقيد بطاعة الله:

وأما الشهيد عبد القادر عودة فيرى أن حق الإمامة مقيد بطاعة الله، وهي ليست محصورة في قريش. يقول: "ويلاحظ أن الأحاديث التي سبق ذكرها معناها جميعاً واحد من حيث إنها جعلت الإمامة في قريش، ولكن في بعضها زيادة مقبولة، تقطع بأن الأمر لم يُجعل في قريش مطلقاً من كل قيد، وإنما هو لقريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره، فإذا عصوه سقط حقهم في الإمامة، وحديث «لا يزال الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» جاء مطلقاً كحديث «الأئمة من قريش» إلا أنّ كليهما مقيد بما اشترط في الأحاديث الأخرى من طاعة الله والقيام على أمره. وسقوط حق قريش في الإمامة ليس معناه ألا يكون إمام من قريش، وإنما معناه أن لا تكون الإمامة محصورة في قريش؛ فيجوز أنْ يكون الإمام قرشياً أو غير قرشيّ"[٧٧].

د- أنه شرط كمال، لا شرط صحة:

ويرى الدكتور يحيى إسماعيل أنّ القرشية شرطُ كمالٍ لا شرط صحة، وأن هذا الشرط ذهب بذهاب زعامة قريش. يقول: "وليس اشتراط القرشية تشريفاً لشجرة النبوة فحسب كما ذهب قوم، بل هو شرط زمني، وكان شرط كمال لها في حينه لفضيلة في قريش؛ لأنهم كانوا أهل غلب تنقطع بهم الفتن.

---

[٧٣] القرضاوي، يوسف، **كيف نتعامل مع السنة النبوية**، (الولايات المتحدة الأمريكية: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٣٠.

[٧٤] صقر، عطية، فتوى بعنوان "**حديث الأئمة من قريش**" www.islam-online.net.

[٧٥] محمد المبارك،**نظام الإسلام في الحكمو الدولة**،(بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م)، ص٧١.وانظر: علوي بن عبد القادر السقاف، **الموسوعة العقدية**، الجزء الثاني. الكتاب العاشر: متفرقات في العقيدة. الباب الثاني: الإمامة. الفصل الثالث: شروط الإمام. المبحث العاشر: القرشية. موقع الدرر السنية. تاريخ التصفح: ٢٠١٣/٣/٢٩م.
٤٠٣٢http://www.dorar.net/enc/aqadia/

[٧٦] في بحث له بعنوان "الأئمة من قريش ... وإشكالية الفهم"،في الموقع: نقد معرفي، منبر إحياء ثقافة نقدية عقلانية للتراث. تاريخ التصفح: ٢٠١٣/٣/٢٤م. http://www.a-znaqd.com/index.htm

[٧٧] عودة، عبد القادر، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**، (القاهرة: المختار الإسلامي، ط٣، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٢٥.

ثم ذهبت قريش كما ذهب غيرها، وبقيت حاجة المسلمين للإمام قائمة. أخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والبزار ببعضه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسرع قبائل الناس فناءا قريش»[٧٨]. وفوق أنهم كانوا أهل غلب فإنهم استجمعوا آنئذ ما تفتقر إليه الزعامة والقيادة من صفات وميزات"[٧٩]. وقال في موضع آخر: "إن منصب الخلافة منصب قيادة عالمية، والقيادة لا تفتقر إلى صحة النسب في معظم أحوالها، فقد يعجز القرشي ويطيق غيره، ولهذا أجاز بعض أهل السنة إمامة الفاجر إن احتيج إليه"[٨٠].

وتبعه تلميذي الدكتور عودة عبد الله في بحث صفي له، حيث قال: "ويمكننا القول بناء على ذلك، بأنّ شرط القرشية هو شرط أفضلية وكمال، لا شرط صحة. بمعنى: إذا اجتمع قرشيّ وغير قرشيّ وفيهما نفس الشروط، يُقدَّم القرشي. وإنْ تميّز الآخر بصفاته على القرشي يُقدَّم، ولا عبرة بقرشية الأوّل. ولا نكون بذلك قد خالفنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما فهمناه ضمن الإطار الذي قيل فيه"[٨١].

وكنت قد حاولت في بحث لي بعنوان "المنهج العلمي عند المحدثين في التعامل مع متون السنة"[٨٢] فهم هذا الحديث في ضوء البعد المقاصدي للشريعة فقلت: "ظاهر هذا الحديث وأمثاله أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد حصر الإمامة العظمى في قبيلته قريش، ولا تخرج منها إلى الأبد. وهذا هو مذهب جمهور أهل العلم من أهل السنة والجماعة، ولم يُنقَل عن أحد من السلف فيه من خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار كما قال الإمام الخطابي. وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة: "يجوز أن يكون الإمام غير قرشي، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنة، سواء كان عربياً أم عجمياً"[٨٣].

ثم قلت: "لا شك في أننا إذا أخذنا الحديث على ظاهره بقطع النظر عن مقصده الحقيقي له نستنبط منه ذلك المفهوم الذي قال به الجمهور. ولكن هل هذا هو مراد النبي صلى الله عليه وسلم؟ يعني هل أنه لا يريد أن تخرج الإمامة العظمى من قبيلته قريش إلى الأبد، مهما تمتَّع أحد من غير قريش بالكفاءة العالية ديناً وسياسةً، وبالأنفعية للدولة الإسلامية من قريش؟ إن كان هذا هو المراد فلا ضير على من يقول: إن محمداً كان عنصرياً قوميا – نعوذ بالله من ذلك -. إذن ما هو المعنى الصحيح لهذا الحديث وأمثاله، الذي لا يترتب عليه ذلك المحظور، والذي يجعل الحديث عاملاً قوياً،

---

[٧٨] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج٢،ص٣٣٦، رقم٨٤١٨؛ وأبو يعلى في **مسنده**، ج١١،ص٦٨، رقم٦٢٠٥ عن أبي هريرة بلفظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسرع قبائل العرب فناء قريش». وقال الهيثمي: "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح". **مجمع الزوائد**، ج١٠، ص٢٦.

[٧٩] إسماعيل، يحيى، **منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم**، (مصر: دار الوفاء، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٧٦.

[٨٠] المرجع السابق، ص٢٧٥.

[٨١] عبد الله، عودة عبد عودة، **دراسة تحليلية نقدية في شروح العلماء لحديث «الأئمة من قريش»**، ص٢٧، تقدم به إلي لمادة "دراسة مقارنة بين شروح الحديث"، ثم نشره في الموقع:
http://www.goodreads.com/book/show/١٦٠٤٠٢٢٢

[٨٢] نشر هذا المقال في العدد ١٣ لمجلة "إسلامية المعرفة"، السنة الرابعة، صيف ١٤١٩هـ/١٩٩٨م: ص١٣-٤٦.

[٨٣] انظر: فتح الباري: الموضع المشار إليه في الهامش السابق.

وذا أثرٍ فعَّالٍ في كل زمان ومكان؟ نقول للإجابة عن هذا السؤال بأن تخصيص الإمامة بقريش إنما جاء - على رأي ابن خلدون – على أنهصلى الله عليه وسلم راعى في هذا التوجيه ما كان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي عليها تقوم الخلافة أو الملك.فأرجع ابنخلدون اشتراط القرشية إلى الكفاءة المتوافرة في قريش لدفع التنازع وجمع الكلمة، فإذا توفرت تلك الكفاءة في غير القرشي فهو أحق بالإمامة أو الإمارة من القرشي الذي يفقدها، فعلى هذا أصبح معنى الحديث "الأئمة من الأكفاء".

وأكدت مفهومه بقولي: "ويؤيد هذا المفهوم ما ورد عن عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم من أنه قال: "فإن أدركني أجلي استخلفت معاذاً"[٨٤]. ومعاذ بن جبل رضي الله عنه أنصاري، وليس له نسب في قريش. أراد عمر رضي الله عنه ذلك لِمَا رأى فيه من سابقةٍ في الإسلام، وتقوى وصلاحٍ، وبصرٍ بأمور السياسة، وحزمٍ في الرأي، وعلمٍ بالحلال والحرام، إلا أنه مات قبل عمر بن الخطاب سنة١٨هـ، فحال دون تحقق إرادة عمر بن الخطاب الذي استشهد في أواخر ذي الحجة عام٢٣هـ، وعلى هذا المفهوم أَرجعَ الحديثُ أمرَ الخلافة إلى الكفاءة والأهلية، وهو الأمر الذي يجب أن تقوم عليه الحكومات، وهو الذي يضمن الأمن والسلامة، ويحقِّق معنى الاستخلاف وإعمار الأرض، ولا يترتب عليه أي محظور، ويجعله صالحاً لكل زمان ومكان، وعاملاً بكل قوة واقتدار"[٨٥].

هـ- أنه شرط بشري طبيعي:

أما هنا، في هذه الورقة فأطرح تخريجا آخر للحديث، ولكن قبل أن أذكر ذلك التخريج أود أن ألقي بعض الضوء على الاعتبارات المختلفة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتصدر عنه حسبها تصرفات عديدة، منها تشريعية، وهي ما صدر عن الرسولصلى الله عليه وسلمما هو للاتباع والاقتداء.وهذه التصرفات التشريعية تنقسم بدورها إلىقسمين: تصرفات بالتشريع العام، وهي تتوجه إلى الأمةكافة إلى يوم القيامة، وهي إما تصرفات بالتبليغ أو تصرفات بالفتيا. وتصرفات بالتشريع الخاص، وهي مرتبطة بزمان أومكان أو أحوال أو أفراد معينين، وليست عامة للأمة كلها. ويدخل ضمنها التصرفاتبالقضاء، والتصرفات بالإمامة، والتصرفات الخاصة.وهي ملزمة لمن توجهت إليهم فقط،وليس لغيرهم. ويسميها بعض العلماء بالتصرفات الجزئية أو التشريعات الجزئية أوالخطاب الجزئي. وتصرفات غير تشريعية، وهي تصرفات لايُقصد بها الاقتداء والاتباع، لا من عموم الأمة ولا من خصوص مَن توجهت إليهم. منها:

---

[٨٤] قال الدكتور: رواه أحمد في **مسنده**: ١٨/١ رقم١٠٨ فقال: حدثنا أبو المغيرة وعصام بن خالد قالا:حدثنا صفوان، عن شريح بن عبيد وراشد بن سعد وغيرهما قالوا: لما بلغ عمر بن الخطاب ﷺ سرغ حُدِّثَ: أن بالشام وباءً شديداً، قال: بلغني أن شدة الوباء في الشام فقلت:"إن أدركنيأجلي، وأبو عبيدة بن الجراح حي استخلفته، فإن سألني الله: لم استخلفته على أمة محمد صلى الله عليه وسلمقلت: إني سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول:"إن لكل نبي أميناً، وأميني أبو عبيدة بن الجراح"، فأنكر القوم ذلك وقالوا: ما بال عليا قريش؟ يعنون بني فهر، ثم قال:"فإن أدركني أجلي - وقد توفي أبو عبيدة - استخلفت معاذ بن جبل، فإن سألني ربي عز وجل: لم استخلفته؟ قلت: سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول:"إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة". وقال ابن حجر في **الفتح**: ١٩/١٣: "رجاله ثقات".

[٨٥] الخير آبادي، د. محمد أبو الليث، **المنهج العلمي عند المحدثين في التعامل مع متون السنة**، نشر هذا المقال في العدد ١٣ لمجلة "إسلامية المعرفة"، السنة الرابعة، صيف ١٤١٩هـ/١٩٩٨م: ص١٣-٤٦.

التصرفات الجِبِلّية والتصرفات العادية والتصرفات الدنيوية والتصرفات الإرشادية والتصرفات الخاصة به صلى الله عليه وسلم[٨٦].

وذلك التخريج هو: أن شرط القرشية ليس شرطا تشريعيا كما يقول الجمهور، ولا شرطا اجتماعيا كما يقول ابن حلدون وغيره، ولا شرطا سياسيا كما يقول الأستاذ مبارك وغيره، وإنما هو شرط طبيعي، لا يخلو عنه أي بشر؛ إذ ما من إنسان إلا وهو يحب أن تبقى الإمامة أو الخلافة أو الإمارة أو أي منصب من المناصب في أسرته أو قبيلته.

فحديث «الأئمة من قريش» وأمثاله قاله النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه بشرا، لا بوصفه نبيا شارعا، فلا يرد عليه اعتراض بالعصبية وغيرها. وصدور هذا القول منه كبشر ليس أمرا غريبا، فقد حصل منه مثل ذلك في أماكن أخرى، مثل ما حصل في منعه زواج علي بن أبي طالب من بنت أبي جهل.

ففي الصحيحين عن المسور بن مخرمة،أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال:«إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها». قال: ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال:«حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي، وإني لست أحرم حلالا، ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا»[٨٧]. واللفظ لمسلم.

وفي روية للبخاري: "... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول:«أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني»[٨٨].

وفي رواية للصحيحينعن المسور بن مخرمة قال: إن عليا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. ثم ذكر نحو الأول وزاد: «وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها»... فترك علي الخطبة[٨٩].

وفي رواية لمسلم: المسور بن مخرمة حدثه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم

---

[٨٦] انظر: العثماني،سعد الدين، **تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة وسماتها عند الأصوليين**، موقع منارات، تاريخ التصفح ٢٠١٤/٤/٧م.

٢٨٦٨http://www.manaratweb.com/print.php?newsid=

[٨٧] **صحيح البخاري**،ج٣،ص١١٣٢، رقم٢٩٤٣؛**وصحيح مسلم**، ج٤،ص١٩٠٢، رقم٢٤٤٩.

[٨٨] **صحيح البخاري**،ج٣،ص١٣٦٤، رقم٣٥٢٣.

[٨٩] **صحيح البخاري**،ج٣،ص١٣٦٤، رقم٣٥٢٣؛**وصحيح مسلم**،ج٤،ص١٩٠٢، رقم٢٤٤٩.

لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»[٩٠].

لاحظوا كيف أن فاطمة رضي الله عنها أثار أبوة والدها وحنانه الأبوي بقولها له: "يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل". والنتيجة الطبيعية لذلك أنه صلى الله عليه وسلم غضب كغضب أي أب لبنته، ثم قام على المنبر وقال: «إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها». وحتى لا يفهم من تصرفه هذا أن ذلك النكاح حرام لعلي رضي الله عنه، قال: «وإني لست أحرم حلالا، ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا». تبين منه أن غضبه صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه بإرادته النكاح من ابنة أبي جهل لم يكن إلا بمقتضى البشرية، لا بمقتضى النبوة والرسالة والشارع؛ لأن بنت أبي جهل هذه كانت مسلمة، جاز لعلي أن يتزوج منها.

ويؤيد ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن فاطمة مني، وإني أتخوف أن تفتن في دينها»، وفي رواية: «وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها»، وفي رواية: «فإنما ابنتي بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها» وافتتانها في دينها هو تأذيها بالغيرة ووقوع شيء منها في حق زوجها في حالة الغضب ما لا يليق بها في الدين. يقول ابن حجر: "يعني أنها لا تصبر على الغيرة، فيقع منها في حق زوجها في حال الغضب ما لا يليق بحالها في الدين، (ويؤذيني ما آذاها) فيه تحريم أذى من يتأذى النبي صلى الله عليه وسلم بتأذيه؛ لأن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره، وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح"[٩١].

وليس هذا فحسب، بل يقول الحافظ ابن حجر: "قوله: "حدثني فصدقني" لعله كان شرط على نفسه أن لا يتزوج على زينب، وكذلك علي، فإن لم يكن كذلك فهو محمول على أن عليا نسي ذلك الشرط فلذلك أقدم على الخطبة، أو لم يقع عليه شرط إذ لم يصرح بالشرط لكن كان ينبغي له أن يراعي هذا القدر فلذلك وقعت المعاتبة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قل أن يواجه أحدا بما يعاب به، ولعله إنما جهر بمعاتبة علي مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام"[٩٢].

ولكن الغريب في هذا الأمر أن بعض العلماء حرموا التزوج على بناته صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ أبو علي الحسين بن شعيب السنجي المروزي الشافعي (ت٤٣٠هـ) في شرح التلخيص: "يحرم

---

[٩٠] **صحيح مسلم**، ج٤، ص١٩٠٢، رقم٢٤٤٩.

[٩١] انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج١٥، ص٣٨.

[٩٢] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص٨٦.

التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم"[٩٣].ووجه الغرابة أنه كيف حرم ما لم يحرمه النبي الشارع صلى الله عليه وسلم.

والأخف منه غرابةً استظهار الحافظ ابن حجر بأنه من خصائصه صلى الله عليه وسلم قال: "والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتزوج على بناته"[٩٤].والذي استظهره ابن حجر جزم به السيوطي فعقد بابا بعنوان "باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بأن بناته لا يتزوج عليهن"[٩٥]، واستدل عليه بحديث الباب.

وبهذا التخريج -فيما أرى- لا يرد عليه الاعتراض بالعصبية. ولكن لما كانت الإمامة أو الخلافة جزءا من السياسة والدين معا، لذلكلم يجعل النبي صلى الله عليه وسلمالإمامة في قريش بشكل مطلق متحرر من كل قيد، وإنما هي لها ما دامت مستقيمة على أمر الله، من حيث إعانة الضعيف، والعدل في الحكم، والوفاء بالعهد، فإن لم توف قريش تلك الشروط فلا تكون الإمامة محصورة فيهم؛إذ ليس بمستحق لهذا المنصب إلا من هو أهلٌ له. ولذلك حينما طلب أبو ذر رضي الله عنهمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يوَلّيه، رفض ذلك؛ لأنه ليس به القوة التي تؤهله لهذا المنصب، وردّ عليه: «إنك ضعيف وإنها أمانة»[٩٦].

فنفهم أن تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الإمامة بقريشٍ إما كان شرطا بمقتضى الواقع آنذاك؛ لأنها كانت قادرة على القيام بتبعات هذا المنصب وتحمّل أعباء هذه الإمامة في ذلك الوقت، أو بمقتضى البشرية الطبيعية التي لايخلو منها بشر أيُّ بشر.

**خلاصة البحث:**

لقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي من النتائج:

١. وردت في تخصيص الإمامة، بقبيلة "قريش"، عدة أحاديث، مطلقة أو مقيدة، وأكثرها صحيحة، والبعض منها ضعيف سندا. وهي جاءت بصيغة الخبر، ولكن المراد بها الأمر، وعليه انعقد الإجماع. فالقرشية عند الجهور شرط تشريعي ديني أبدي.

٢. قابله أكثر الخوارج وأكثر المعتزلة، وإمام الحرمين الجويني من أهل السنة والجماعة بالرفض؛ متذرعين بأنه متعارض مع قولهصلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة ولو عبدا حبشيا» وأمثاله من الأحاديث.

---

[٩٣] انظر: ملا علي القاري، علي بن سلطان محمد الهروي (ت١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق: الشيخ جمال عيتاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٨،ص٢٩٤؛ والمناوي، (ت١٠٣١هـ)، **فيض القدير**، ج٤،ص٤٢١. وكتاب "التلخيص في الفروع" لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب بن القاص الطبري الشافعي المتوفى سنة ٣٣٥هـ. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الحنفي القسطنطيني الرومي،**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج١،ص٤٧٩.

[٩٤] ابن حجر،**فتح الباري**، (بيروت: دار المعرفة)،ج٩،ص٣٢٩.

[٩٥] السيوطي، أبوالفضلجلالالدينعبدالرحمنأبيبكر،**الخصائص الكبرى**، (بيروت:دارالكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٢،ص٣٨١.

[٩٦] رواه مسلم في **الصحيح**، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج٣، ص١٤٥٧، رقم١٨٢٥.

٣. وقابله من المعاصرين د.الخربوطليو"الطيب آيت حمودة" والسيد محمد سالم عزان الشيعي أو الزيدي وصاحب بحث "الطعن في حديث "الأئمة من قريش" من المعاصرين برميه بالوضع، وعلى فرض صحته أنه من باب الإخبار بالغيب، لا من باب الأمر باتخاذ الخلفاء من قريش خاصة، أو حمله على أنها في قريش ما دامت قريش أقوى عناصر الأمة الإسلامية.

٤. وهذا الحديث وأمثاله يتعارض مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣] حيث جعل الله فيه الأفضليةوالإكرامبالتقوى،لابالنسبونحوه. وكذلك يتعارض مع الحديث الذي سوى بين الناس، ونفى الفضل لعربي على أعجمي، ويتعارض مع الأحاديث التي تحذر من التفاخر بالأنساب والأحساب، وتنهى عن العصبية الجاهلية. ويتعارض مع الحديث الذي يأمر بالسمع والطاعة للعبد الحبشي.ويتعارض مع إرادة عمر رضي الله عنها ستخلاف معاذ بن جبل الأنصاري وسالم مولى أبي حذيفة.

٥. ووصل السيد محمد سالم عزان إلى أن شرط القرشية رؤية سياسية، وليس شرطا دينيا تشريعيا. وكذلك يرى الشيخ عبد الحكيم الصادق الفيتوري، أن هذا الشرط سياسي.

٦. ونفى د. صلاح الدين دبوس اشتراط القرشية، وذهب إلى القول بصحة الخلافة لكل قادر كفء سواء كان من قريش أم من غير قريش.

٧. ويرى الأستاذ محمد المبارك أنه من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل.

٨. ويرى الشيخ محمد أبو زهرة، أنشرط القرشية من قبيل الأفضلية، لا الصحة.

٩. ويرى الأستاذ العقاد أن صفات الإمام هي الكفاءة جسديا وتدبيرا،وأن النبي لا يدعو إلى ما نهانا عنه من العصبية.

١٠. ويرى الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي أن هذا الحديث ليس بصحيح لذاته، وإنما صُحِّح بكثرة طرقه، وأنكر إجماع الصحابة وغيرهم عليه. وعلى فرض صحة هذا الإجماع يرى كما يرى ابن خلدون أن كون الإمام من قريش كان مرتبطا بالمصلحة في ذلك الزمن، لِمَا كان لهم من المكانة والغلبة على غيرهم من العرب، أي أنهم أهل الحماية والعصبية.

١١. ويرى الدكتور حسن بسيوني أن هذا الشرط كان له دور في بداية الدولة الإسلامية، ولكن التمسك بهذا الشرط بعد انتشار الدين من الصين والهند إلى الأندلس في محلّ نظر؛ إذ الإسلام يقوم على التآخي والمساواة وبغض العصبية، والتمسك بالنسب والعصبية من شأنه أن يثير النفوس، لا سيّما والمسلمون سواسية، وأساس التفضيل بينهم التقوى.

١٢. وأول من استطاع دفع التهمة بالعصبية ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) فقد اعتبر أنّ حديث «الأئمة من قريش» راعى ما كان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي تقوم عليها الخلافة أو الملك؛ لأنهم كانوا أقدر على جمع الكلمة، والشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة، وإنما هو بالكفاية.

١٣. ويرى الدكتور طه حسين أنّ الأئمة من قريش، قُصِد منه الطبقة الممتازة من قريش، طبقة الذين سبقوا إلى الإسلام وجاهدوا مع النبي في مكة والمدينة. وبعد انتهاء الطبقة الممتازة لا معنى لشرط القرشية.

١٤. ويرجح الدكتور منير البياتي رأي ابن خلدون في أن شرط القرشية زال بزوال قوة قريش وغلبتها، والأصل العام في الولايات في الإسلام، أنها تقوم على الكفاءة والأمانة، وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى.

١٥. أما الشهيد عبد القادر عودة فيرى أن حق الإمامة مقيد بطاعة الله، وهي ليست محصورة في قريش،فيجوز أنْ يكون الإمام قرشياً أو غير قرشيّ.

١٦. ويرى الدكتور يحيى إسماعيل أنّ القرشية شرطُ كمالٍ لا شرط صحة، وأن هذا الشرط ذهب بذهاب زعامة قريش؛ لأن منصب الخلافة منصب قيادة عالمية، والقيادة لا تفتقر إلى صحة النسب في معظم أحوالها، فقد يعجز القرشي ويطيق غيره، ولهذا أجاز بعض أهل السنة إمامة الفاجر إن احتيج إليه. وتبعه تلميذي الدكتور عودة عبد الله.

١٧. أما الدكتور يوسف القرضاوي فقد أيّد العلامة ابن خلدون، في اعتبار أن شرط القرشية قد زال بزوال قوة قريش ومجدها؛ لأن الحكم يدور مع العلّة وجوداً وعدماً. وهو ما ذهب إليه الشيخ عطية صقر. وأنا أيضا.

١٨. وكنت قد ذهبت إلى رأي ابن خلدون هذا في السابق، ولكن أطرح هنا تخريجا آخر للحديث، أنه صلى الله عليه وسلم خصص الإمامة بقريش بمقتضى البشرية الطبيعية، لا بوصفه نبيا شارعا، فما كان اعتراض عليه بالعصبية وغيرها. كما كان منعه عليا من زواجه على فاطمة من بنت أبي جهل.



# مفاهيم الحصانة الدبلوماسية وأمن الدولة في السنة النبوية والقانون الدولي

**محمد أحمد قاسم شداد**
طالب دكتوراه قسم القانون
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا



**الملخص:**

هدف الباحث من خلال بحثه إلى إبراز معنى الحصانة والرسل والبعثات الدبلوماسية في السنة النبوية والقانون الدولي وأثرها على الأمن القومي، مستقراءً في ذلك الحوادث التاريخية ولآيات القرآنية والأحاديث النبوية والقوانين الدولية بغرض حل مشكلة استغلال الحصانات الدبلوماسية المضفاة على أولئك الرسل والبعثات ومخاطرها على الأمن القومي، لأغراض خارجة عن مهامها الرئيسة مما أدى إلى زعزعة الثقة بتلك البعثات، الأمر الذي انعكس سلباً على العلاقات بين الدول نتيجة لتحكم بعض الدول في قرارات واستقلال دول أخرى عن طريق التدخل في شؤون أمنها وانتهاك سيادتها واستقلال قرارها السياسي والاقتصادي فصارت تتدخل حتى في تشكيل حكوماتها كل ذلك نتيجة لعدم وضع عقوبات واضحة في القانون الدبلوماسي الدولي على منتهكي حرمات الدول السيادية والأمنية وعدم تطبيق أخلاقيات السنة النبوية في التمثيل الدبلوماسي وعند البعثات الدبلوماسية

**المقدمة:**

صار للدبلوماسية واحترام الرسل وحصاناتهم في العلاقات الدولية شأناً عظيماً في العصر الحديث وذلك ما لم يغفله الإسلام والسنة النبوية تحديداً، كقناة للتواصل بين الدول، وكما ترك الإسلام بصماته على كل العلوم والقوانين ترك أيضاً أثراً كبيراً في نضم العلاقات الدبلوماسية مما أثرى تلك القوانين حتى صارت البعثات الدبلوماسية حلقة وصل مهمة بين أعضاء الأسرة الدولية إذ يتم من خلالها توثيق علاقاتها السياسية والاقتصادية والتعليمية وحل قضاياها الطارئة كما يتمتع أعضاء تلك البعثات في البلدان الاجنبية بحصانات تميزهم عن باقي المقيمين أو الوافدين إلى الدول الأخرى لأنها تمثل شعوبها وحكوماتها فاكتسبت الحماية الدولية وفقاً للقانون الدبلوماسي الدولي في العصر الحديث علماً بان التمثيل الدبلوماسي وحصانة الرسل ليس وليد العصر الحديث بل عرفته البشرية منذ آلاف السنين عند العرب والصينيين والهنود والفراعنة والرومان وعند المسلمين ولكن لم تتعدد

مهام الدبلوماسي أو الرسول سابقاً كما هو عليه في العصر الحديث واستغلت الحصانة الدبلوماسية اليوم ليدخل تحتها المهام الاستخباراتية والأمنية بين الدول فأثرت سلباً على العلاقات بين الدول.

**تعريف الحصانة:**

الحصانة لغة: مشتقة من "التحصُن وحَصُنَ، ككَرُمَ مَنُعَ، فهو حَصِينٌ وأحْصَنَهُ وحَصَّنَهُ ومن الحِصْنُ، بالكسر وهو كلُّ مَوْضِعٍ حَصينٍ منيع لا يُوصَلُ إليه"[1].

**الحصانة الدبلوماسية في الإصطلاح:**

الحصانة هي الامتيازات والإعفاءات الممنوحة للمثل الدبلوماسي في البلد المضيف والمتعلقة بعمله ووثائقه وحياته الشخصية العامة والخاصة وألا يتعرض للوقوف والمساءلة أمام الجهات القضائية والأمنية[2] ويقابل معنى الحصانة اليوم أمان الرسل عند العرب وفي الشريعة الإسلامية فيتمتع الرسول بالأمان والسلام طوال مكثه في بلاد المرسل إليه حتى يعود سالماً مطمئناً إلى بلده وأهله[3].

**مفهوم الدبلوماسية:** الدبلوماسية هي كلمة يونانية الأصل مشتقة من لفظة: " دبلو .( diploo ) " ومعناها: الطَوْيُ والثَنْيُ، ومنها جاء اسم الوثائق الرسمية التي كانت تُطوى وتُثنى، كا الرسائل وجوازات السفر ووثائق المرور والصكوك الصادرة عن الملوك والتي عرفت بعدها بالدبلوما diploma وكان يَبعث بها الحكام بعضُهم إلى بعض في علاقاتهم الدولية الرسمية[4] .

**مفهوم القانون الدبلوماسي الإسلامي:**

القانون الدبلوماي الإسلامي هو "مجموعة القواعد التي تحكم تبادل السفراء والمبعوثين الدبلوماسيين بين الدول إسلامية والدول الأخرى سواء بصفة مؤقتة أم بصفةٍ دائمة في السلم والحرب والقاعد التي تحكم أحوال الرسل والسفراء وامتيازاتهم في الدول المضيفة"[5]. والدبلوماسية في نظر الباحث هي الكياسة واللباقة والمهارة في التعامل، وإتقان فن إدارة العلاقات بين الدول وتوثيقها وتنميتها نحو الأفضل في زمن السلم، والتوسط والتوفيق بين الأطراف المتنازعة في زمن الحرب.

**والدبلوماسي:** هو الشخص المدرب تدريبا عاليا والذي يقوم بتمثيل مصالح بلاده في المفاوضات الدولية عند تنفيذ مهامه مع العديد من الدبلوماسيين والممثلين للدول والمنظمات الدولية الأخرى والذين قد يكونوا من ذوي الخلفيات والأهداف الثقافية والسياسية المختلفة[6].

---

[1] -الفيروزبادي.مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(١٤٢٦--٢٠٠٥م) القاموس المحيط.بيروت. مؤسسة الرسالة للنشرج١ص١١٩٠

[2] look - Ludwik dembinsk (1988)The modern law of diplomacy.Boston .Martinus Nijhoff publisher p203.-

[3] -الفراء.أبي على الحسين بن محمد(١٣٦٦-١٩٤٧م) كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة.القاهرة.مطبعة لجنة التاليف والترجة والنشر ص١٣٨.

[4] -د.علي مقبول(١٤٢١-٢٠٠٠م)الحصانات الدبلوماسية والقنصلية والمعاهدات في الفقه الإسلامي والقانون الدولي .صنعاء.مركزالجزيرة العربية للدراسات والبحوث ص١٧

[5] -دأحمد أبو الوفاء(١٤٢١-٢٠٠١م)كتاب الإعلام بقواعد القانون الدولي.القاهرة.دار النهضة العربيةج٤ ص٧.

[6] -انظر المهارات الدبلوماسية على الموقع http://www.reference.com/motif/arts/what-is-diplomatic-skills بتاريخ ٢٨ مارس٢٠١٣ .

### الحصانة الدبلوماسية في السنة النبوية

عرف العرب نظام السفارة والرسل قبل الإسلام مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الأمم وذلك من أجل حل المنازعات التجارية والحدودية والحروب التي تقع بينهم[٧] كما اهتم الإسلام بالتمثيل الدبلوماسي واحترام الرسل وتأمين السفراء كمنهج إلهي إذ ابتعث الله للعالمين رسلاً من لدنه ليبلغوا عنه وأحاطهم بحماية وحصانات إلهية تختلف عن باقي بني البشر من خلقه قال تعالى (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)[٨] واتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون من بعده مبدأً لما له من أهمية كبيرة في توثيق الصلة بين الشعوب من النواحي العلمية والتجارية والصناعية، والسنة النبوية الفعلية والقولية والتقريرية مليئة بالأحاديث والأفعال التي تدل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك الجوانب من خلا مراسلته للملوك[٩] واستقبال الرسل والسفراء باحترام ودبلوماسية عالية وعدم التعدي عليهم وإن أغلظوا القول مع الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدث مع رسولا مسيلمة الكذاب إليه حين أكدوا ردتهم وتصديقهم لمسيلمة الكذاب قال لهم " أَمَا وَاَللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا"[١٠] برغم قتل مسيلمة الكذاب لرسول رسول الله حبيب بن زيد، ويفسر الإمام الخطابي ذلك بقوله "وأما قوله لولا أنك رسول لضربت عنقك فالمعنى في الكف عن دمه أن الله سبحانه قال (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)[١١] فحقن له دمه حتى يبلغ مأمنه ويعود بجواب ما أرسل به فتقوم به الحجة على مرسله"[١٢] فمضت السنة أنه لا تُقتل الرُسُل ولا تنتهك حرماتهم وممتلكاتهم وكذلك ما روي عن أبي رافع لما قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم حاملا معه كتاب من قريش قال لما رأيته عليه الصلاة والسلام وقع الإسلام في قلبي فقلت يا رسول الله والله لا أرجع إليهم أبدا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ، وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ، وَلَكِنِ ارْجِعْ، فَإِنْ كَانَ فِي قَلْبِكَ الَّذِي فِي قَلْبِكَ الْآنَ فَارْجِعْ)[١٣] "لا أخيس بالعهد- لا انقضه" وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حصيفا لطيفاً كريماً مع من يَفِد إليه من ذوي القدر في قومه وفي الحديث أنه لما ورد عليه زيد الخيل بسط له ردائه وأجلسه عليه وقال إذا أتاكم كريم فأكرموه وكان يتلطف في الخطاب على الوافدين تأنيساً لهم وإدلالاً[١٤] فبرزت دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال تعامله مع الموفدين إليه وصبره عليهم ومن ذلك تطاول عروة بن مسعود الثقفي أثناء صلح الحديبية فحاول بعض الصحابة ردعه

[٧] -حسن فتح الباب (١٣٩٠-١٩٧٠م)ملامح شخصية السفير في الإسلام.مجلة الأزهر السنة ٤٢ العدد الرابعص٣٤١.

[٨] -سورة النساء الآية ١٦٥.

[٩] -ابن هشام.عبدالملك(١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) سيرة ابن هشام.مصر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ج٢ ص٦٠٦

[١٠] - ابن هشام عبدالملك، سيرة ابن هشام المصدر السابق ج٢ ص٦٠٠.

[١١] -سورة التوبة الآية ٦.

[١٢] - الخطابي.أبو سليمان حمد بن محمد(١٣٥١-١٣٣٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود. المطبعة العلمية حلب ج٢ ص٣١٩.

[١٣] - الطبراني. سليمان بن احمد (١٤٢٥-١٩٩٥م)المعجم الكبير.القاهرة مكتبة ابن تيمية ج١ ٣٢٣.

[١٤] -ابن الأزرق الأندلسي.عبدالله بن محمد(ب ت)بدائع السلك في طبائع الملك تحقيق د.علي سامي النشار.العراق.الناشر وزارة الإعلام ج٢ ص٨٤.

وزجره لكن الرسول صلى الله عليه وسلم منعهم من أن يمسوا عروة بسوء[١٥] كما أشار فقهاء المسلمين إلى أهمية احترام الرسل وعقد الأمان لهم لأن الحاجة تدعو إلى ذلك لألا تفوت مصلحة المراسلة[١٦] حتى في حالات الحرب إذا وجد معاديا في دار الإسلام فقال أنا رسولٌ ووجد معه من الوثائق ما يثبت أو كتاب رئيسهم أو ملكهم كان آمناً حتى يبلغ رسالته ويرجع لأن الرسل لم تزل آمنة في الجاهلية والإسلام وهذا لأن أمر القتال أو الصلح لا يتم إلا بالرسل وعليه لابد من أمانهم وحصانتهم للتوصل من قصد مهامهم[١٧] لذلك يتمتع السفراء والممثلين لبلدانهم بحصانة كاملة في الإسلام والسنة النبوية وصفوة القول هنا أنه لا يجوز إساءة معاملات الرسل والممثلين الدبلوماسيين أو مساءلتهم وإن ارتكبوا ما يعاقب عليه قانون الدولة الإسلامية. وقد واكب القانون الدولي ذلك إذ نصت المادة ٢٩ من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية الصادرة عام ١٩٦١م على حرمة شخص الممثل الدبلوماسي، حرمةٌ شخصيةٌ وذاتيه وعدم جواز القبض عليه أو حجزه وأوجبت على الدولة المضيفة له معاملته باحترام واتخاذ كافة الوسائل لمنع الاعتداء عليه أو توقيفه ومساءلته[١٨].

وإلى جانب الحصانة الشخصية للممثل الدبلوماسي هناك الحصانة القضائية والتي يقصد بها إعفاء الممثل الدبلوماسي من المساءلة والخضوع للسلطات والإجراءات القضائية في الدولة المضيفة سواءً كان قضاءً مدنياً أو شخصياً أو جنائياً ويتبع ذلك عدم التزامه بالشهادة أمام المحاكم في أي دعوى جنائية أو مدنية حتى وإن كانت تلك القوانين مطبقة لدى محاكم الدولة المضيفة [١٩] وصحيحٌ أنه تم إعفاء الدبلوماسيين من الولاية الجنائية والمدنية والإدارية والقضائية في البلد المضيف وفقاً للقوانين الدبلوماسية الدولية " إلا أنه بإمكان الدولة ولها فقط حق التنازل عن الحصانة القضائية عن ممثليها الدبلوماسيين وعن الأشخاص الذين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية وفقاً لمقتضى المادة ٣٧"[٢٠]. ومن سوابق إسقاط الحصانة القضائية عن الممثلين الدبلوماسيين واقعة محاولة اغتيال محمد علي هيثم رئيس وزراء اليمن الديمقراطية السابق في ٦يوليو١٩٧٦م قبل الوحدة اليمنية من قبل سيف محسن حسين سكرتير ثان في سفارة جمهورية اليمن الديمقراطية سابقاً وصالح عيسى ممثل شركة الطيران اليمني آنذاك وصلاح محمد العمري فلسطيني الجنسية وبعد الاتفاق والتخطيط

---

[١٥] -د.عبد الهادي التازي (١٤٠٠هـ) الحصانة الدبلوماسية في مفهوم السيرة النبوية. الدوحة.المؤتمر العالمي الثالث للسنة والسيرة النبوية ج٦ ص٦٥٤.

[١٦] -ابن قدامه. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد(١٣٣٨-١٩٦٨م)المغني لابن قدامة ج٩ص٢٤٤.

[١٧] -السرخسي محمد بن أحمد(١٤١٤-١٩٩٣)المبسوط . بيروتزدار المعرفة ج١٠ ص٩٢.

[١٨] - انظر المادة ٢٩ من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية الصادرة في عام ١٩٦١م

[١٩] - انظر المادة(٣٧) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١ و اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام ١٩٦٣.

-والحصانة القضائية تعني أنه لايمكن أن يكون الممثل الدبلوماسي عرضة الأي نوع من أنواع الإجبار والإكراه لسلطات الدولة المضيفة سواءً كانت قضائية أو تنفيذية

immunity from jurisdiction means , that mean the diplomat can not be forced or coercion even if that was applied in by the judicial authority of the host state -look - Ludwik dembinsk (1988)The modern law of diplomacy.Boston .Martinus Nijhoff publisher p201.

[٢٠] -انظر المادة (٣٢) من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية الصادرة في عام ١٩٦١م.

للاغتيال تم اعتراض سيارة محمد علي هيثم وهو في طريقة إلى منزل المدعو حسين منصور وإطلاق النار عليها فتم قتل السائق وإصابة المذكور في أنفه وعضده الأيسر ولاذ المنفذون بالفرار، ففي هذه القضية تبرز الحصانة القضائية لأن احد المتهمين يتمتع بحصانة دبلوماسية عندها رفضت حكومة اليمن الديمقراطية تسليم الممثل الدبلوماسي سيف محسن حسين والتنازل عن حصانته الدبلوماسية مستندة إلى حق الحصانة الدبلوماسية في مذكرة رسمية في ١٤ اغسطس ١٩٧٦م وعندما طلبت المحكمة المختصة من الخارجية المصرية رفع الحصانة عن الدبلوماسي اليمني لتتمكن من إلقاء القبض عليه ومحاكمته ردة الوزارة بأن مصر كدولة مضيفة لا تملك حق رفع الحصانة عن المبعوث الدبلوماسي وإنما طلبت ذلك من دولته وفقاً لاتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية ١٩٦١م وبعد تعثر ذلك ارسلت الخارجية المصرية إلى المحكمة برفع الحصانة عن سيف محسن حسين ولكن المحكمة بعد المشاورات والمداولات القانونية قضت بعدم اختصاصها في محاكمة المذكور انفاً واحترمت القوانين الدولية والمحلية للدولة المضيفة وأحالت القضية على المحكمة العسكرية لاتخاذ الإجراءات اللازمه مع المذكور وفقاً لأحكام القانون الدولي[٢١]. وتجدر الإشارة هنا إلا أنه لا يتمتع القنصل بنفس الحصانة التي يتمتع بها المبعوث الدبلوماسي إذ أنه يجوز في اغلب المعاهدات القبض عليه ومحاكمته في الدولة المضيفة وفقاً لقضائها الجنائي عند ارتكابه جريمة جسيمة كالجنايات والجنح الخطيرة دون المخالفات والجنح البسيطة[٢٢]. ولكن ما لوحض هنا أنه لم يضع القانون الدولي الدبلوماسي الضوابط والعقوبات الرادعه عدى عقوبة طرد المضيفة للدبلوماسي المخالف إذا ثبت مخالفته لمهامه مما أدى إلى استفحال مشكلة استغلال قانون الحصانة الدبلوماسية للتدخل في شؤون الدول وانتهاك حرماتها الأمنية لدرجة أنها أصبحت ظاهرة للعيان وخاصة بعثات الدول الكبرى والغنية لدى الدول الفقير والصغيرة حتى ضاقت بهم الأحوال وصارت سفارات بعض الدول تتدخل حتى في صياغة القرار السياسي أو تشكيل الحكومات لدى دولٍ أخرى الأمر الذي أدى إلى انتهاك قوانين سيادة الدول وحقها في استغلال ثرواتها وصياغة أنظمة الحكم فيها وفقاً لخصوصياتها الثقافية والدينية والتاريخية وبما يتلاءم مع مصالحها وخططها الآنية والاستراتيجية.

**الحصانة الدبلوماسية والأمن القومي في القانون الدولي**

وبعد تطور المجتمعات صار العمل الدبلوماسي مصطلحاً وعلماً متكاملاً له أسسه ونظرياته ومعالمه وامتيازاته وأحكامه الدولية المتعارف عليها وصارت الحصانة أحد أسسه ومرتكزاته لحماية الممثل الدبلوماسي لكي يقوم بمهامه على اكمل وجه ويتحرر من القيود التي قد تفرض عليه من الدولة الموفد إليها والتدخل أو التأثير على عمله أثناء تمثيل بلاده فقد تقرر وفقا للقانون الدولي منح المبعوث الدبلوماسي مجموعة من الحصانات والامتيازات والإعفاءات التي توفر له وضعا متميزاً ومصوناً من أي

[٢١] - انظر تفاصيل القضية د.فادي الملاح(ب ت) سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الواقع النظري والعملي مقارنة بالشريعة الاسلامية الاسكندرية منشأت المعارف ص ٢٩٩ وما بعدها

[٢٢] -د.علي صادق أبو هيف(١٩٩٣م)القانون الدولي العام.الاسكندرية .دار المعارف للنشر ص٥١٢

اعتداء[٢٣]، وضمن للوثائق الدبلوماسية وما تحتويه من أسرار كامل الحماية من الاطلاع أو التفتيش الامر الذي خلق نوعاً من الخصوصية لتلك الوثائق والأسرار مما أدى إلى استغلالها من قبل معظم الدول في التجسس وكشف الأسرار وقد أدركت الدول تلك المخاطر على مصالحها وأمنها القومي، وعليه يعتبر الأمن القومي بالنسبة لأي دولة هو أحد عناصر البقاء وأحد مقتضيات الاستمرار فهو يمثل جوهر النظام والشعب كما أن المقومات الاقتصادية تعد الدعامة الأساسية للدولة التي تكفل الأمن القومي بحمايتها. و في نظر الباحث أنه لا يعتبر ما ورد في المادة ٣-د من اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية والتي تشير إلا أنه من أعمال البعثة الدبلوماسية " التعرف بكل الوسائل المشروعة على الظروف وتطور الأحداث للدولة المضيفة وعمل التقارير عن ذلك للدولة المرسِلة"[٢٤] ولا يعتبر في نظر الباحث تدخلا في شؤون الدولة المضيفة إذ حرص المشرع على مشروعية الوسائل والطرق في أخذ المعلومات التي تعزز العلاقات وتحافظ على مصالح الدول دون المساس بأمنها.

**مفهوم الأمن القومي**: الأمن القومي هو صيانة الدولة لمصالحها الحيوية عن طريق استعدادها للدفاع عن تلك المصالح بكل الوسائل ولو بالقوة لتأمين الأخطار التي قد تهددها داخلياً وخارجياً[٢٥]، وكذلك استخدام كل قوى الدولة إلى أقصى حد للأغراض التي تبتغيها سواءً كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وبدون استراتيجية أمنية ووطنية لا يمكن تحقيق الأهداف القومية للدولة التي تتشكل وتبنى القدرات العسكرية والإستراتيجية وفقاً لها وعلى أساسها[٢٦]، ولكل دولة حق اتخاذ كافة الإجراءات لحماية أمنها إذ إن التعرض بالعدوان لأي نشاط من أنشطة الدولة يعتبر تعرضا لسيادتها وفقاً لنظرية السيادة التي تتصل اتصالاً وثيقاً بحق الدولة في حماية أمنها القومي إذ أن نظرية السيادة هي السند الشرعي والقانوني الذي تستند عليها الدولة في حماية أمنها القومي[٢٧]. وعليه فإن أهمية العلاقة بين الدبلوماسية والأمن القومي قد برزت من خلال مؤتمرات الأمن الإقليمية والدولية لوزراء الدفاع والداخلية بغرض التوصل إما لنزع السلام وحضر التجارب النووية أو لمواجهة المخاطر التي تهدد أمن الدول الداخلي أو الخارجي[٢٨].

**ويرى الباحث** أن الأمن القومي هو الطرق والوسائل المتبعة لمراقبة ومواجهة المخاطر الداخلية والخارجية التي تهدد كيان الدولة وأهدافها الاستراتيجية بحيث تكون الدبلوماسية والسياسة الخارجية أحد أهم تلك الوسائل والطرق، وقد تعددت أسرار أمن الدول القومية بتعدد مصالحها، وتعددت كذلك واختلفت التشريعات الجنائية في الأمور المتعلقة بتلك الأسرار ومن وجهة نظر الباحث أيضاً أن الاستراتيجيات الأمنية للدول تقوم وفقاً لمقتضيات أهداف الدولة التوسعية والاقتصادية ووفقاً

---

[٢٣] -عاطف فهمي المغارير (٢٠٠٩م) الحصانة الدبلوماسية بين النضرية والتطبيق.عمان.دار الثقافة للنشر والتوزيع ص٦٩.

[٢٤] - انظر المادة ٣من للعلاقات اتفاقية فينا الدبلوماسية الصادرة في عام ١٩٦١م

[٢٥] - Fredrick H. Hartman (1973)The relation of nation. New york. macmian publishing p257.

[٢٦] -د.على صادق أبو هيف(١٩٧٥م)القانون الدبلوماسي.الاسكندرية .منشأة المعارف ص٢١٤

[٢٧] -د.فادي الملاح(ب ت) سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الواقع النظري والعملي مقارنة بالشريعة الاسلامية الاسكندرية منشأت المعارف ٨٤.

[٢٨] -د.ثامر كامل محمد(١٤٢١-٢٠٠٠)الدبلوماسية المعاصرة وإستراتيجية إدارة المفاوضات.عمان الاردن.دار المسيرة للنشر والتوزيع ص٨٧.

لموقعها الجغرافي ومصادر ثرواتها الطبيعية حتى الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية يكون لها بصمات على تلك الإستراتيجية الأمنية وما لم تكن تلك الرواءى واضحة المعالم للمشرع القانوني الجنائي يذهب بعيداً في تشريعه وقد يستوحي قانوناً آخر دون أن يكلف نفسه عناء دراسة الواقع ومتطلباته في إيجاد القوانين العقابية على المخل بحفظ اسرار الدولة ووثائقها الدبلوماسية واستغلال البعثات الدبلوماسية لحصانتها للمساس بأمنها القومي من أي طرف خارجي.

**سوابق استغلال الحصانة الدبلوماسية في الإخلال بأمن الدول والرد عليها.**

اتخذت دول كثيرة إجراءات طرد عقابية ومحاكمات قضائية على بعض المخلين بالقوانين الدبلوماسية واستغلال ميزة الحصانة وخروجهم عن مهامهم الأساسية ومن هذه الحالات:

- قرار الحكومة البريطانية في إبريل عام ١٩٧٣م بطرد ملحقين عسكريين روسيين لاتهامهما بأعمال تجسس تخل بأمنها ومصالحها القومية.

-قرار حكومة أيسلندة في ٣٠مايو ١٩٧٣م بطرد دبلوماسي بريطاني لاتهامه بانتهاك قوانين الأمن الخاصة بسواحلها.

- قرار حكومة زائير في ١٨يونيو عام ١٩٧٥م بطرد سفير الولايات المتحدة الأمريكية في كنشاسا وتكليفه بمغادرة البلاد خلال ٧٢ ساعة لاتهامه بمحاولة قلب نظام الحكم واغتيال الرئيس موبوتو[٢٩].

-قرار حكومة العرق بطرد ثمانية من الدبلوماسيين أعضاء السفارة البريطانية في بغداد في عهد صدام حسين من بينهم نائب السفير والملحق العسكري وبعض الملحقين التجاريين والإداريين لاتهامهم بأفعال غير مشروعة[٣٠].

علماً بأن الأساس القانوني لطرد المخلين بنظام الحصانة من أعضاء البعثات الدبلوماسية المادة التاسعة من اتفاقية فينا لعام ١٩٦١م والتي تقضي بأنه:

١-للدولة المعتمد لديها في اي وقت وبدون ذكر الاسباب ان تبلغ الدولة المعتمدة ان رئيس بعثتها او اي عضو من اعضائها الدبلوماسيين أو غير الدبلوماسيين اصبح شخصا غير مقبول وغير مرغوب فيه، وعلى الدولة المعتمدة حينئذ ان تستدعى الشخص المعني او تنهي اعماله لدى البعثة وفقا للظروف ويمكن ان يصبح الشخص غير مقبول او غير مرغوب فيه قبل ان يصل الى اراضي الدولة المعتمد لديها.

٢-اذا رفضت الدولة المعتمدة تنفيذ الالتزامات المفروضة عليها في الفقرة الاولى من هذه المادة او لم تنفذها في فترة معقولة فللدولة المعتمد لديها ان ترفض الاعتراف بالشخص المعني بوصفه عضوا في البعثة.

---

[٢٩] -د.فادي الملاح، سلطات الأمن والحصانات والامتيازات الدبلوماسية في الواقع النظري والعملي مقارنة بالشريعة الإسلامية المرجع السابق ص١٠٧.

[٣٠] - جريدة الأهرام العدد ٣٣٤٦٧ ، سنة ١٠٤ الصادرة في ٢٨-٧- ١٩٧٨م.

## رؤية الإسلام للحصانة الدبلوماسية واحترام أمن الدول

كانت الدولة الإسلامية قديماً وحديثاً على علم واسع بالشؤون الدبلوماسية وخبرة عميقة بالأغراض التي قد تستهدفها ويستهدفها جيرانها من إيفاد الرسل والسفراء إلى جانب مهامهم الرئيسة من كشف للأسرار ولإطلاع والتجسس على قوة جيوشها ومصادر اقتصادها ومكامن ضعفها وقوتها واطلاع الرسل والسفراء على أحوال الدولة المضيفة من أهم أغراضهم فيتطلع المرسل دائماً أن يطلع على ما عند المرسل إليه وهذه عادة ليست بجديدة، ولكنها رافقت الغرض من البعثات الدبلوماسية حتى يومنا هذا[٣١]، وقد أكد القرآن على مبادئ السيادة للدولة الاسلامية التي قد تنتهك بتلك الطرق من خلال توفير مبدأ الاستقلال لدولة الإسلام دون السماح لأي سلطة أخرى بانتقاصه ومحاولة التسلط عليها أو التدخل في شؤونها الداخلية [٣٢] قال تعالى(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)[٣٣] وعليه فقد كانت الشريعة الإسلامية واضحة في تلك المبادئ وفي تحريم التجسس والإطلاع على أسرار الآخرين من خلان الحصانات الدبلوماسية الممنوحة قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)[٣٤] ولا يتم التعرض للمبعوث الدبلوماسي حتى في حالة الحرب بين دولة إسلامية وأخرى إلا إذا ثبتت مخالفته لقواعد التمثيل الدبلوماسي وأهدافها وحاول الإطلاع على أسرار الدولة وصار خطراً على أمنها القومي[٣٥] وتبعاً لذلك جاء في الشريعة الإسلامية قرآن وسنة وفقهاً أحكام التجسس والتدخل في شؤون الدول وتم التمييز بين الجاسوس المسلم وغير المسلم من حيث الزمان ومن حيث الأشخاص فقال أبو يوسف وغيره بأن الجاسوس الحربي أي غير المسلم يقتل إذا ثبت عليه التجسس أثناء الحرب أو السلم لحساب العدو وإذا كان مسلماً يحبس تعزيراً حتى يتوب[٣٦] وقال الإمام الشافعي والاوزاعي وأبو حنيفة بعدم قتل الجاسوس المسلم وإنما يعاقب بعقوبة منكلة ولا ينقض عهده [٣٧] بينما قال الإمام مالك بقتل الجاسوس مسلما كان أم كافر لإضراره بالمسلمين وإفساده في الأرض[٣٨] ويرى الباحث ما ذهب إليه ابا يوسف والإمام مالك وهو رفع الحصانة الدبلوماسية عن الجاسوس مسلماً كان أم كافراً الذي يسعى إلى كشف عورات المسلمين ونشر اسرارهم في السلم أو في زمن الحرب ومحاكمته ومعاقبته لما روي عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ عَنْ آبيه قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَجَلَسَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ يتحدث

---

[٣١] - الفراء.أبي على الحسين بن محمد(١٣٦٦-١٩٤٧م) كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة.القاهرة.مطبعة لجنة التاليف والترجة والنشر ص١٤٦

[٣٢] -د.وهبة الزحيلي (١٤٠١-١٩٨١)العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث.بيروت.مؤسسة الرسالة ص ١١٨.

[٣٣] -سورة النساء الآية ١٤١.

[٣٤] -سورة الحجرات الآية ١٢.

[٣٥] -د.بوهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام مرجع سابق ص١٥٧.

[٣٦] -أبو يوسف. يعقوب بن ابراهيم (ب ت) كتاب الخراج.القاهرة المطبعة الأزهرية للتراث ص٢٠٧

[٣٧] - الشافعي.محمد بن إدريس(١٤١٠-١٩٩٠م) الأم .بيروت .دار المعرفة .ج٤ ص١٩٩.

[٣٨] -ابن العربي.محمد بن عبدالله بن أبوبكر(١٤٢٤-٢٠٠٣) أحكام اقرآن .بيروت.دار الكتب العلمية ج٤ص٢٢٥.

-ابن قيم الجوزيه.محمد بن أبي بكر بن أيوب(١٤١٥-١٩٩٤م)زاد المعاد في هدي خير العباد.بيروت مكتبة المنار الإسلامية ج٣ص٣٧٢.

ثُمَّ انْفَتَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطْلُبُوهُ، وَاقْتُلُوهُ»[٣٩] . فَقَتَلَهُ فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ وما رواه البخاري في صحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم " إِيَّاكُمْ والظن فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث وَلاَ تجسسوا وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا"[٤٠] وذلك درءاً للفتنة ودرءاً لمن تسول له نفسه النيل من أمن الدول ومصالحها و وكان ذلك توافقاً مع ما ورد في القانون الدولي إذ جاء في اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧م وجوب محاكمة الجاسوس محاكمة عادلة وإذا ثبتت عليه جريمة التجسس عوقب بالقتل شنقاً أو رمياً بالرصاص[٤١] وقد فرق البعض بين نوعين من التجسس تجسس مشروع وغير مشروع أما المشروع كالتجسس على الجماعات والأفراد لمعرفة طاقاتهم والاستفادة منهم ومراقبة مسئولي الدولة والأقاليم وعلى المجرمين وتحركاتهم بغرض الحفاظ على الأمن وتتبع أخبار العدو والنوع الثاني من التجسس تجسس غير مشروع وهو تتبع العورات والتجسس لحساب العدو والتجسس المزدوج وقد نهى الإسلام عن التجسس لصالح الأعداء بدليل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[٤٢] فقد نزلت هذه الآية حينما بعث حاطب بن أبي بلتعه بكتاب إلى قريش يخبرهم بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم لفتح مكة فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن قراء الكتاب قال يا رسول الله لا تعجل والله ما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً ولا رضاءً بالكفر وإنما كنت امراءً ملصقاً بقريش ولم أكن منها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بهم أهليهم وأموالهم فأحببت إذا ما فاتني ذلك النسب فيهم أن أتخذ يداً عندهم يحمون بها قرابتي فقال عليه الصلاة والسلام قد صدقكم فقال عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق قال صلى الله عليه وسلم (لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم)[٤٣] فقد استند على ذلك القائلون بقتل الجاسوس مثل الإمام مالك كما سبق وإن كان مسلماً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر عمر رضي الله عنه ولم يقل له لا يحل قتله بل علل ذلك بأنه شهد بدر وتلك خاصية لأهل بدر لا يستحقها غيرهم [٤٤] أي من لم يشهدها أستحق العقاب.

## أهمية الاختيار في التمثيل الدبلوماسي

لم يغفل الإسلام والسنة النبوية عن أهمية اختيار الرسل والممثلين للولاة وحاملي رسائلهم وقد أوصى الله رسوله موسى وأخيه هارون عندما أرسلهم إلى فرعون بقوله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[٤٥] وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى أمراءه في اختار الرسل قال «إِذَا أَبَرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيدًا

[٣٩] -البخاري. محمد بن اسماعيل(١٤٢٢هـ) صحيح البخاري.بيروت. دار طوق النجاةج٤ ص٦٩.

[٤٠] -البخاري.محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري المصدر السابق ج٧ص١٩

[٤١] -انظر المادة (٣٠) من اتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧م

[٤٢] -سورة الممتحنة الآية :(١)

[٤٣] -البخاري. محمد بن اسماعيل(١٤٢٢هـ)صحيح البخاري.بيروت دار طوق النجاة ج٥ ص١٤٥.

[٤٤] -الألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله(١٤١٥هـ)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.بيروت.دار الكتب العلمية ج ١٤ ص٥٩٤.

[٤٥] -سور طه الآية :٤٤.

فَأَبْرِدُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الِاسْمِ»[46] وأكد فقهاء الإسلام على شروط يجب توافرها في الرسل فقالوا أنه يجب أن يكون الرسول او السفير " رائع المنظر كامل المخبر صحيح العقل حاضر البديهة دكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ظاهر النصيحة موثوقاً بدينه وأمانته، مجرباً منه حسن السماع والتأدية كتوماً بالأسرار عفيفا عن الأطماع غير منهمك في الفواحش كل هذه الخلال يعود نفعها على المرسل وفي أضدادها ضرراً عليها"[47] وقيل بأن "الكتاب يدٌ والرسول لسان" فأردف شاعر عربي حكيم ذلك في أهمية اختيار الرسل بقوله:

ليس الكتاب ببالغٍ لك مبلغاً حتى يكونَ مع الكتابِ رسولُ

ما في كتابكَ غير ما حَمَّلتَهُ لكن رسولك كيف يشاء يقـولُ

فإذا جَمَعتَهُما ولم تُفرِدهُمـــا بُلِغَ النجاحُ وأُدرِكَ المأمـــولُ

وذكر صاحب العقد الفريد بأن ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها "الكتاب يدل على عقل كاتبه ، والرسول يدل على عقل مرسله ، والهديّة تدل على عقل مهديها"[48] ،

**الخاتمة:**

بالرغم من اهتمام الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية بشأن البعثات الدبلوماسية وحصانات الرسل إلا أنه كان ولازال للحصانات الدبلوماسية أثراً كبيراً على أمن الدول ومقدراتها فاستغلت استغلالاً سلبياً ومغايراً لمهامها الرئيسة حتى صارت أدوات ضغط وتدخل في شئون الدول الصغيرة والفقيرة على وجه التحديد بسبب الفراغ القانوني الدولي الذي لم يكتمل في ضبط مهام البعثات الدبلوماسية وحصاناتها وفرض عقوبات واضحة وشديدة على منتهكي سيادة الدول والإخلال بأمنها عدى عقوبة طرد الدبلوماسيين دون خضوعهم لقوانين واضحة ومحاكمات عادلة ملموسة على أرض الواقع القانوني والعملي الدولي والمحلي.

**-النتائج:**

١-أخذ الدول بأخلاقيات السنة النبوية في التعامل مع الرسل والممثلين الدبلوماسيين وضوابطها فيما يتعلق باحترام الأمن القومي للدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وألا يعفى الممثلين الدبلوماسيين من المساءلة أمام جهات الدولة المضيفة أو المرسلة إذا ما تعارضت سلوكياتهم وممارساتهم مع حرمة أمن الدول وثبت ذلك بالأدلة الدامغة على ارتكابهم ما يوجب المساءلة والعقاب

٢- احترام البعثات الدبلوماسية لخصوصيات الدول المضيفة سواءً تعلقت بالجوانب الدينية والثقافية، أم الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والأمنية مع تشريع قوانين دولية عقابية ضد منتهكي سيادة الدول بشكلٍ عام والأمنية بشكلٍ خاص.

[46] -ابن أبي شيبة. عبدالله بن محمد بن ابراهيم(١٤٠٩هـ) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. الرياض.مكتبة الرشد ج٦ص٤٧٠.

[47] -الماوردي.أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب(ب ت)أدب الدنيا والدين.جاكرتا.شركة نور للثقافة الإسلامية ص٣٦٥.

[48] -ابن عبد ربه.شهاب الدين أحمد بن محمد(١٤٠٤)العقد الفريد. بيروت. دار الكتب العلمية ج٢ ص١٤٤.

٣- تفادي تورط أي فرد من التخابر على أمته لصالح الآخرين لأن ذلك خيانة لله ولرسوله ولسائر المؤمنين فالمنافق الذي يمارس ذلك، لصالح أعدائهم لابد أن يعلم أنه في نهاية أمره نعل يلبس وإنسان يُستَرخَص عند عملائه ، ولابد أن دوره سينتهي، وهو سينتهي بانتهاء دوره وهناك أكثر من عميل من المسلمين جُنِدَ للعمل ضد أمته، فانتهت حياته بالنبذ أو القتل، لأنه انتهى دوره أو تعدى الحدود التي رسمت له.

٤- ضرورة تعاون أعضاء البعثات الدبلوماسية مع الجهات القضائية إذا طلب منهم ذلك كشهود بأي طريقة كانت وذلك لإعانة الدولة المضيفة على تطبيق العدالة وعدم تمسكهم الشديد بحق الحصانة القضائية



# المصنفات الحديثية بين المضمون والمظنون

**د.محمد بن ظافر بن عبدالله الشهري**

جامعة الملك خالد بأبها



**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم،مالك يوم الدين. وصلوات ربي وسلامه وبركاته على النبي الأمين،نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:-

تعد المصنفات الحديثية تراثا علميا بالغ النفاسة، وماذاك إلالجلالة مضمونها من نصوص التشريع الخالدة. ومن هنا فالمظنون أن يكون الاهتمام بهذا الكنز الثمين يجاري تلك المنزلة.

وإسهاماً مني في بيان بعض التحديات المعاصرة التي تكتنف مصنفات السنة وعلومها في هذا العصر وماقبله من الأعصر القريبة ستكون هذه الورقة من مبحثين:-

المبحث الأول:مضمون هذه المصنفات ،ويشمل:-المضمون المعنوي والمضمون الحسي .

المبحث الثاني: أذكر أهم التحديات المعاصرة التي تكتنفها،والمظنون تحققه من أهل العلم في التصدي لها ويشمل:- المظنون المعنوي والمظنون الحسي.

هذا مع استقراء شيء من الواقع المشاهد والمحسوس الذي نعيشه أمام هذا التراث العلمي الضخم.

**تمهيد:**

تمتلك الأمم على اختلاف مللها ونحلها ،وتعاقب عصورها ودهورها تراثا فكريا يحدد هويتها، ويبني حضارتها، ويجدد لها مكانتها بين الأمم. ومنها من لم يظفر بشيء بل ذهب ماتملكه أدراج الرياح.

والأمة المسلمة إحدى هذه الأمم، إلا أنه بسبب القيمة العلمية والحضارية لتراثها أسلم لها التاريخ قياده فاستطاعت –وبجدارة منقطعة النظير– أن تحفظ هذا التراث الفكري أيما حفظ، وأن تنقله نقلا موثقا على مرّ حقب التاريخ. ومن هذا التراث الثمين مصنفات الحديث الشريف أصولاً كانت أوشروحا، متوناً أو أسانيد، تقعيدا وتطبيقا، تعليلاً وترجيحاً، فهماً واستنباطاً.

فليت شعري هل نسطيع السير على الخطى في حفظ الأمانة وتبليغها؟ وهل نحظى بهذا الشرف؟ فالله تعالى حافظ دينه ومعلٍ كلمته ومتم نوره.

## المبحث الأول

## مضمون هذه المصنفات

إن الروح التي تسري في هذه الكتب روح سماوية علوية، إنها أنفاس أزكى البشر طرّا، وأعلاهم منزلة وذكرا، نبي المرحمة والملحمة.فليس ماتحويه شيئا هينا، بل هو من المرغوب جبلّة، فنفوس الأمة كلها عالمها وعامها تتوق إلى الظفر برشفة من هذا النبع النبوي المتدفق، ويمكن تقسيم ما تنطوي عليه ثنايا صفحاتها إلى قسمين رئيسين:-

### أ. المضمون المعنوي (القداسة التشريعية).

إن قطب الرحى في هذه الكتب متونا وشروحا، رواية ودراية، لفظا ومعنى، هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه وحي من الله تعالى، وأنه الحكمة المذكورة في كتابه جل وعلا، قال تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم)(١)، (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة)(٢)، (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة)(٣)، والآيات في هذا المعنى كثيرة، حيث فسر السلف –رحمهم الله– قاطبة الحكمة بالسنة، منهم: الحسن وقتادة والإمام الشافعي وشيخ المفسرين الإمام الطبري وغيرهم -رحمهم الله تعالى- وحسبك بهم علما وفضلاً .

وقصارى الفرق بينها وبين القرآن العظيم أن الكتاب العزيز وحي بلفظه ومعناه، وأن السنة وحي بالمعنى فحسب. ولذا عبر عنها اللفظ الإلهي بالحكمة لما فيها من الدلالة القوية على المعنى دون اللفظ الذي هو كتاب الله تعالى المتعبد به(٤).

وهذه القداسة لاينبغي أن تفارق المشاعر المسلمة بل تبقى في ذاكرتها أبد الدهر، لأنها متى ما انفكت عن القلوب والعقول لم تستفد الفائدة المرجوة من هذه المصادر القيمة.

إننا حين نقرأ أو نسمع ونشاهد تقديس أصحاب الملل المنحرفة والنحل الباطلة لكتب وخزعبلات وأساطير متبوعيهم يتملكنا العجب والأسى في آن واحد، فنحن نملك مفاتيح السعادة الدنيوية والأخروية ببعثة سيد البشرية صلى الله عليه وسلم، وكثير منا لم تبلغ منه هذه الكتب وماحوته مبلغا مرضيا.

إن مقومات التقدير والاحترام لهذه المصنفات كثيرة منها:-

١- إنها وحي من عند الله تعالى كما تقدم .

---

[١] -البقرة ١٢٩

[٢] -النساء ١١٣

[٣] -الجمعة ٢

[٤] -انظر الرسالة للشافعي ص٧٨ –الفقيه والمتفقه للخطيب ٨٨/١ – تفسير الطبري ١٦٣/٤

٢- شمولها لكل مايحقق السعادتين الدنيوية والأخروية. فكثير من الكتب تقتصر على تصوير إحدى السعادتين فحسب، ولا يزال قارئوها ينهلون منها دون أن يظفروا بطلبتهم، وسبب ذلك هو الفصل بين هذين المترابطين،الدنيا والآخرة.

٣- توافق مضمونها مع الفطرة البشرية السوية، واحترامها للعقل البشري، وعدم الاستخفاف به أو تسفيهه، فكل ما فيها متسق مع العقول السليمة، مقوم لها مسدد لخطاها. وكثيراً ماقدست في الديانات والمذاهب الأخرى صور وتماثيل وخيالات لاحقيقة لها، فهي بعيدة كل البعد عن إقناع العقل البشري المنصف بمضمونها. فحين تدخل كنيسة أو ديرا لايكاد ناظراك يفارقان الصور والتماثيل والصلبان وما دار في فلكها، لكنها لاتقع من نفوس مرتادي هذه المواقع موقعها، ولاتؤثر فيها تأثيرا صادقا لأنها مصادمة للعقل، مستخفة به.

٤- سهولة فهمها وإدراك محتواها، فلا طلاسم ولا أمور مستغلقة على الفهم ولا مستعصية على الإدراك، يقرأها العالم ومن دونه فيفهم المراد، ويظفر بالمقصود.

٥- اتصال أسانيدها، والثقة المنقطعة النظير في محتواها. فلاتوجد كلمات ولا عبارات مجهولة المصدر أو غير موثقة،بل إنك تقف على العجب في الأسانيد المتصلة والنقول الموثقة والعزو الدقيق رغم تباعد الأزمنة والأمكنة.

٦- وما زال المسلمون يزدادون يقيناً بصدقها لما فيها من قوة محتوى وصدق إسناد وسلامة علمية. على العكس من ذلك كتب الديانات والملل الأخرى التي يزداد المنتسبون إليها بصيرة ببطلان محتواها أو تحريف مضمونها مع مرور الزمن .

٧- اشتمالها على خلاصة فكر أساطين علماء الأمة في قديم تاريخها وحديثه، فقد تتابعت على نصوصها عقول مفكري وعقلاء الأمة، بل من تشهد لهم الأمة قاطبة بالعلم والعمل والتقدم فيهما.تتابعت هذه العقول الكبيرة على هذه النصوص شرحاً وفهماً وتحليلاً واستنباطاً، بل تتبعاً واستدراكاً، ومن كل ذلك تكونت هذه المكتبة التراثية الضخمة حسّاً ومعنى.

٨- توافقها مع كل الأزمنة والأمكنة، فليست لزمان دون زمان، ولا لمكان دون مكان، فالمدني يجد فيها مايروم البحث عنه، والقروي كذلك، والحضري والبدوي يجدان طلبتهما على حدّ سواء، وكذلك الأمر بالنسبة لمن عاش في القرن الأول أو الثاني ومن هو في القرن الرابع عشر والخامس عشر. كل يأخذ منها بطرف، وهذا ما لايمكن توفره في علم من العلوم أو فن من الفنون، فكثيرة هي كتب الطب والفلسفة والرياضات والعلوم العقلية وربما كتب الروحانيات التي كانت يوما ما مقصدا لشداة العلم وفخرا لأمم بأسرها لم تعد لها تلك القيمة في عصرنا بل منذ أمد بعيد.

كل هذه الصفات الفريدة كفيلة بتحقيق التقدير والاحترام والقبول الكامل لهذه المصنفات.

ب-المضمون الحسي.

تنطوي المصنفات الحديثية على ثراء علمي وفكري وأخلاقي لانظير له، وتحفل طياتها بكل ماتجد فيه البشرية قاطبة ضالتها من العلم والهدى، ولئن كانت العلوم التجريبية والتطبيقية تغذ السير نحو البحث عن السعادة الدنيوية والرفاهية الجسدية، فإن هذه الكتب لها شأو أعلى وهدف أسمى،هو السعادة الأخروية والسموّ الروحي إلى جانب السعادة والطمأنينة النفسية الدنيوية، ولعل هذا ما أرادت الحضارات والعلوم الأخرى الوصول إليه فأخطأت الهدف وضلت الطريق.

حين نتأمل كثيرا من كتب الديانات المحرفة والمذاهب الأخرى يلفت النظر أنها تعتني بجانب الروح فحسب وتحاول جاهدة قطع المتعلق بها عن عالم الحياة الدنيا، وهو مايصادم الفطرة ويختلف مع العقل السليم.

لقد حوت المصنفات الحديثية من العلوم مايجعل لها بحق موضع الريادة العلمية والقيادة الفكرية. ومن أهم هذه العلوم :-

١- علوم العقائد. من الإيمان بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر والقدر، وهذا بالضرورة يروي ظمأ النفوس الباحثة عن الحقيقة، المتعطشة لمعرفة مايستقبل من أيامها بعد فناء هذا العالم الدنيوي. وهذا ماينظم العلاقة بين العبد وربه. فقد صدرت هذه الكتب بأبواب الإيمان والتوحيد والعقائد، بما يتفق مع الفطر ويتسق مع نظام الكون.

٢- المعاملات.ففيها كل مايتعلق بأحكام المعاملات المالية، والبيع والشراء، وكل مايتعلق بتنظيم علاقة الناس ببعضهم وهو من ضرورات الحياة البشرية.

٣- الأخلاق والآداب.على اختلاف أنواعها ،فالحياة بدونها ضرب من الشقاء،والمجتمع بلا أخلاق قطيع تحكمه القوة والمصلحة فحسب، وتقوده الشهوات الحسية والمعنوية ،وحينها تستحيل الحياة إلى غابة لامكان فيها لغير الأقوياء،بل إلى جحيم وقوده الفقراء والضعفاء.

وعلى سبيل المثل فقد تضمن صحيح البخاري - الذي تسنم ذروة هذه الكتب والمصنفات صحة وفضلا- تضمن سبعة وتسعين كتاباً شاملاً لكل أبواب الدين التي يحتاج إليها من العقائد والأحكام والرقاق والفتن والشمائل والآداب والمناقب والمثالب والتاريخ والتفسير.وهلمّ جرّا كل مصنفات الحديث مابين مقلّ ومكثر.فما ذا يعوز المسلم بعد هذا كله.

إن هذا التراث الحديثي هوالنبع الصافي والمعين الذي لاينضب ، يرجع إليه ويصدر عنه: المتكلم في أصول الدين وفروعه، الفقيه والأصولي، المجتهد والعامي، المفسر لكلام الله تعالى والغائص على معانيه وخباياه، اللغوي المتمكن والأديب البارع ، عالم الزهد والورع ، المتكلم في علم السلوك والأدب مع الله تعالى، ثم رجال السياسة والحكم،كل هؤلاء وغيرهم يجدون في هذه المصنفات ضالتهم التي طالما بحثوا عنها.

إن من يجيل الطرف في أرجاء المكتبة الحديثية يشعر بالإكبار والتبجيل لأمة تركت هذا الميراث العلمي الكبير حسّاً ومعنى,ولاأبالغ إذا قلت:إن المكتبة الحديثية بتنوع كتبها هي أكبر مكتبة متخصصة في علوم الشريعة.

وبقدر مانشعر بالفخر تجاه ذلك الأمر نستشعر عظم المسؤولية والأمانة في الإفادة من هذه التركة النبوية.

## المبحث الثاني

## المظنون تحققه من أهل العلم

تمهيد : التحديات المعاصرة .

تبرز على الساحة تحديات شتى جِدّ خطيرة،كثير منها يهدد هذا التراث العلمي والكنز الثمين.ويعرّضه للتهميش والنسيان.ويمكن ذكر أهم هذه التحديات ،يقابلها المظنون تحققه والمؤمل حدوثه في التصدي لها وإيجاد الحلول الناجعة، التي أظن – مستيقناً - أنها ضرورة لابد من الأخذ بها:-

**التحدي الأول:إعادتها للريادة:-**

إن الثورة المادية،وتقدم العلوم التجريبية سبّبا انحساركثير من المفاهيم لدى طائفة كبيرة من الأمة المسلمة، وطغيا على جوانب هامة من حياتها، ولم تكن هذه المصنفات بمنأى عن هذه السهام ،فقد أسهم ذلك الأمر في الابتعاد عن هذا المخزون الثري الحافل بالنور والضياء،وإنني على يقين أن الشقاء الذي جلبته كثير من هذه العلوم التجريبية للبشرية بأسرها سببه البعد عن هذه الكتب التي تضبط السلوك الإنساني بالضوابط الإلهية .

إن المظنون الأول في هذا الجانب مظنون معنوي ، يكمن في إعادة الريادة العلمية لهذه الكتب ،وإنزالها منزلتها في عقول أبناء الأمة، وتقديمها لهم في قوالب ماتعة ،حتى يتعرف الجيل المسلم على محتواها ومضمونها.وإن من الخطر الجسيم أن تقدم العلوم التجريبية وتلقن للجيل المسلم دون أن تكون معها جرعات كافية من العلوم الشرعية النافعة التي تقيد طيش العقل البشري وتمرده على الخالق جل وعلا.

لقد سادت بين أبناء الأمة ثقافات هزيلة ،وقراءات ليست ذات قيمة علمية رصينة ،ولعله بعض ماأخبر به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : (من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ، ويفتح القول ويخزن العمل ، ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحدينكرها ) قيل : وما المثناة ؟ قال : " ما اكتتبت سوى كتاب الله عز وجل.[٥]

فهذه الكتب القيمة يجب أن تكون ملهماً لرواد العلم والمعرفة من أبناء الأمة.

---

[٥] -أخرجه الحاكم في المستدرك ك:الفتن والملاحم ٥٥٤/٤ وقال:صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،وأقره الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٧٤/٦

بل يلزم منه أمر آخر هو: غرس شعور التقدير والاحترام والتوقير لهذه الكتب في نفوس هؤلاء الناشئة إذ لايمكنهم الإفادة منها مالم يتحلوا بعلم الاحترام الذي قلّ من يحسنه.

لقد أشار العلماء إلى طرف من ذلك ،فذكروا - مثلاً - حكم توسد كتب العلم ،حيث ذهب الحنفية إلى كراهته إذالم يقصد الإهانة، قال الحصكفي : ويكره وضع المصحف تحت رأسه إلا للحفظ. [٦]

قال ابن عابدين:وهل التفسير والكتب الشرعية كذلك ؟ أقول: الظاهر نعم . [٧]

وذهب الشافعية إلى حرمة ذلك لغير حاجة، كخوف من سرقة ونحو ذلك، قال ابن حجر الهيثمي: ويحرم توسد كتاب علم محترم لم يخش نحو سرقته. وفي حاشية قليوبي وعميرة في الفقه الشافعي: ولا يصح شراء الكافر المصحف ، وكتب الحديث ، والمسلم في الأظهر . لما في ملكه للأولين من الإهانة وللثالث من الإذلال.اهـ [٨]

وذهب الحنابلة إلى كراهة توسد كتب العلم إذا لم يكن فيها قرآن، وإلا حرم، قال البهوتي : ويحرم توسده أي المصحف والوزن به والاتكاء عليه، لأن ذلك ابتذال له، وكذلك كتب العلم التي فيها قرآن، وإلا بأن لم يكن في كتب العلم قرآن كره توسدها والوزن بها والاتكاء عليها، وإن خاف عليها سرقة فلا بأس بتوسدها للحاجة. [٩]

وذكروا أيضا مسألة مس المصحف للجنب فذكروا عندها مس كتب العلم له أيضا.

إنه علم الاحترام الذي ينبغي تعليمه لأبناء المسلمين منذ نعومة أظفارهم،وتنشئتهم عليه من الصغر بجميع فروعه ومسائله ،فهو من مضامين هذه المصنفات. ولاشك أن احترام هذه الكتب وتوقيرها عنوان فلاح طلابها وشرط استفادتهم منها وانتفاعهم بها.

**التحدي الثاني:العناية بمخطوطها.**

تمتلك الأمة في خزائن مخطوطاتها بل وفي خزائن محفوظات أعدائها كمّا يعز عن الحصر من التراث الحديثي الثمين، ورغم ماعانته الأمة منذ عصورها الأولى من فتن ومحن وكوارث [١٠] ففهارس المخطوطات حافلة بتركة كبيرة جداً من الأسماء والعناوين، ومكتبات تركيا والعراق ومصر واليمن والشام والمغرب والحجاز وبرلين وغيرها الكثير ملآى بالمخطوطات العربية الثمينة منها الحديثي وغيره. واستخراج هذا الكنز وإبرازه إلى عالم الوجود والاستفادة ليس بالسهل ولااليسير، بل يحتاج إلى خطط طويلة وقصيرة المدى ،من شأنها أن تعيد لهذه الكتب بريقها ولمعانها الذي أفقدته إياها عوادي

---

[٦] - الدر المختار للحصكفي ١٦/٢

[٧] - رد المحتار لابن عابدين ٣٢١/١

[٨] - حاشية قليوبي وعميره ٢٩٠/٦

[٩] - كشاف القناع ٣١٦/١

[١٠] - انظر في هذا الموضوع كتاب :كتب التراث بين الحوادث والانبعاث أ.د.حكمت بشير ياسين.

الزمن،ثم إن هذه المهمة ليست منوطة بالأفراد والتجار .بل ينهض بها العلماء المخلصون وطلاب العلم المتخصصون،حتى يكون عملهم مقبولا ،وجهدهم مشكورا،وتثق الأجيال في أعمالهم التي تظهر للأمة.

وإذ تتبارى الدول والأمم في حماية تراثها،وتبذل الغالي والنفيس في سبيل هذا الهدف النبيل،فلاشك أن أول ماينبغي صرف الهمم له حماية التراث الثقافي للأمة الإسلامية،وأسّه كتب التشريع الإسلامي.

لقد أنشئت جمعيات وأسست منظمات شتى لحماية التراث الثقافي للأمة ، ولعل أشهرها وأكثرها نفوذا منظمة ( الإيسسكو) التي أنشأت لجنة لحماية التراث الحضاري ،ولكن المتصفح لأهداف هذه اللجنة لايجد مايبلّ الصدأ ،ويشفي الغلة فيما يتعلق بحماية أهم جوانب هذا التراث مخطوطاً كان أومطبوعاً.وهذا مما يهون من دور هذه المنظمات ويفقدها هيبتها في الحفاظ على أغلى ماتملكه الأمة من تراث حضاري.

هناك جهود مذكورة مشكورة تبذل من قبل بعض الجامعات ودور النشر والمكتبات الرائدة في العالم الإسلامي لانتشال المخطوط من وهدة الضياع أوالعبث ،لكنها لاتكفي إذا ماقورنت بالأعباء والمسؤوليات الكبرى الملقاة على عواتق الجيل المسلم المعاصر تجاه هذا الإرث.

إن المظنون في هذا الباب عدة أمور يمكنها تحقيق شيء مما يصبو إليه المخلصون ،وهي:-

١- أن تستشعر الحكومات برمتها أفراداً ومؤسسات علمية الخطر المحدق بهذه المخطوطات باختلاف أنواعها ،وتباعد أقطارها ، وأن تنقذ مايمكن إنقاذه.

٢- إنشاء رابطة على مستوى العالم الإسلامي تعتني بالمخطوط جمعاً وحفظاً وإخراجاً ونشراً ويشرف على هذه االرابطة كبار المختصين في علم التحقيق ،وجهابذة المهتمين بالتراث العلمي.

٣- التواصل المستمر بين الجامعات والمؤسسات العلمية والمراكز البحثية في سبيل جمع ماتحتضنه من تراث ،وتبادل الخبرات والمنافع العلمية .

٤- وضع حوافز مادية ومعنوية لكل من يعمل في هذا المجال ويتقن عمله. فالحافز يخفف عن النفس عناء العمل ومشقة البحث،لاسيما وأن العمل في تحقيق الكتب وإخراجها من أشق الأعمال وأدقها.

إن الثقة بكثير مما أخرجه بعض المستشرقين من كتب مخطوطة ،والانبهار بالدقة المنهجية التي سلكوها في التحقيق والإخراج سببه عدم وجود جهود مماثلة من أبناء الأمة تجاري تلك الدقة وتماثلها ،بيد أن هذه المناهج العلمية الدقيقة في التحقيق والإخراج ميراث علمي ورثه أبناء أمة الإسلام عن أسلافهم الذين بلغوا الغاية العليا في دقة المنهجية العلمية.[١١]

---

[١١]- انظر كتاب تصحيح الكتب للشيخ :أحمد شاكر ص١٠ ومابعدها.

**التحدي الثالث: العناية بمطبوعها.**

هذا التراث العلمي الضخم الثمين الذي سادت به الأمة في عصورها الغابرة أصبح في هذه الأزمان وسيلة للكسب المادي حين تصدى لطباعتها وإخراجها من ليس من أهل العلم والدراية بها،حتى صارت دولة بين المكتبات ودور النشر التجارية التي جلّ همها زيادة مبيعاتها ودخولاتها المادية ، فجلبوا للطباعة والصف والإخراج من لايحسن من ذلك فتيلاً ولاقطميراً.

والمظنون في هذا الباب مظنون حسّي هو: الاهتمام بالطبع العلمي والنشرالحقيقي.

إن للمطبوع من كتب التراث عالما تكتنفه المخاطر، فقد اعتنت كثير من المطابع ودور النشر قديما وحديثا بإبراز هذا المكنون إلى عالم المطبوع.فكان منها الموفق في الطباعة والنشر ،وكانت منها جهود خالفت الصواب ولم تلتزم حدود وضوابط النشر العلمي الدقيق.إن الخطر الحقيقي حين يعتقد أولئك أن طباعة وإخراج هذا الكنز هو غرض تجاري فحسب ،وقد أشار الشيخ أحمد شاكر رحمه الله إلى هذا الجانب إشارة رائعة مفيدة ، فذكر أن تصحيح الكتب وتحقيقها من أشق الأعمال وأكبرها تبعة ،ونقل قول أبي عمرو الجاحظ:ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة،فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام ،فكيف يطيق ذلك المعارض المستأجر والحكيم نفسه قد أعجزه هذا الباب ؟!! وأعجب من ذلك أنه يأخذ بأمرين ، قد أصلح الفاسد وزاد الصالح صلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لإنسان آخر ،فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الأول ،ولايزال الكتاب تتداوله الأيدي الجانية والأعراض المفسدةحتى يصير غلطاً صرفاً وكذباً مصمتاً .اهـ[١٢]

ويعقب رحمه الله على هذا الكلام النفيس بكلام لايقل عنه نفاسة وهو ابن هذا العصر الذي خبره واطلع على بعض مما كان في وقته من حقائق الطباعة والنشر.

ويذكر رحمه الله أن الخطر في ذلك قديماً كان محصوراً وذلك لقلة تداول الكتب المخطوطة فكيف في الوقت الحاضر الذي كثرت فيه الكتب المطبوعة ،ألوف من هذه الكتب تتقاذفها الأيدي وتنتشر في الأسواق والمكاتب ،ليس فيها صحيح إلا القليل،يقرؤها العالم والعامي ،المتمكن وغيره،وهي مليئة بالأغلاط والنقص والتحريف،فيضطرب العالم المتثبت إذا وقف على خطأ أوتحريف ،ويظن أنه هو المخطئ فيبحث ويفتش حتى يعثر على الصواب بعد أن يكون أضاع وقتا نفيسا وبذل جهدا كان هو أحوج إليه،ضحية لعب من مصحح في مطبعة،أو عمد من ناشر أمي .ويشتبه الأمر على ناشئ متعلم وقد يثق بالكتاب بين يديه ويحفظ الخطأ ويطمئن إليه ويكون اقتناعه بعد ذلك بالصواب عسيرا،فكيف بالعامي بعد ذلك؟!.والكتب التي تبتلى بهذا هي كتب التراث العلمي الضخم الذي يعد مفخرة للمسلمين.

١٢ - الحيوان للجاحظ ٧٩/١

ويبين أنه في غمرة هذا العبث تضيء بعض الكتب ذوات الطبعات الموثوقة من المطابع المرموقة

التي عمل فيها أساطين المصححين ،كمطبعة بولاق والحلبي والخانجي.[(١٣)]

إن إيجاد مثل هذه المطابع المتميزة والقيام عليها ليس بأمر مستحيل ولاصعب المنال،إذا صحت النيات وقويت الهمم ،في زمن تقني فائق الدقة سريع الخطو نحو التكامل والإبداع.

**التحدي الرابع:العناية بتبليغها للأمم الأخرى:-**

إن هذا الدين ليس حكرا على العرب فحسب ،وليس ملكا لأمة دون أخرى ،فالأمر كما قال الله تعالى: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[(١٤)] فهو دين العالمين بأسرهم ،ونزوله بلغة العرب فيه ملمحان دقيقان:-

١-تشريفهم بهذا الفخر ،وتفضيلهم ببعثة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فيهم ،قال جلّ وعلا: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ )[(١٥)] .

٢-تحميلهم مسؤولية تبليغ هذا الوحي - الذي به تحيا القلوب - إلى أمم الأرض قاطبة.

فبقدر الشرف الذي حازته الأمة ونالته تكون الأمانة الملقاة عليها عظيمة، ولاسبيل إلى ذلك إلا بتبليغ هذه الأمم دين الله تعالى بألسنتهم التي يتكلمون بها، والوصول إلى إقناعهم بهذا الوحي عن طريق تعلم لغاتهم .

إنها مسؤولية جدّ كبيرة، عقدت من أجلها ندوات ولقاءات، لعل من أبرزها ندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية التي عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعودالإسلامية بالرياض في الفترة بين ٢٣-١٤٢٩/٢/٢٥هـ حيث أحاطت أبحاثها بالموضوع من أطرافه ،وأتت على كلياته وجزئياته ،وأبحاث هذه الندوة المفيدة متاحة للاطلاع ،ولعل من المهم أن أشير إلى أن من أبرز توصيات هذه الندوة :-

١-وضع إستراتيجية بعيدة المدى لتفعيل ترجمة ونشر السنة والسيرة النبوية، وذلك من خلال استخدام معطيات التقنية الحديثة لتدعيم هذا الجانب، وتشجيع مجالات الترجمة في هذه الخصوص.

٢-تعزيز سبل التعاون والتنسيق بين مختلف الجهات والمؤسسات الدعوية ومراكز خدمة السنة والأقسام العلمية التخصصية، وكليات اللغات والترجمة لاستثمار الطاقات وتوحيد الجهود في الترجمة.

٣- إعداد مشروع إلكتروني متكامل، ومنظومة معلوماتية باللغة العربية تعنى بترجمة السنة النبوية والسيرة باللغات الحية الأكثر انتشارًا في مختلف أنحاء العالم.

[١٣] - انظر كتاب:تصحيح الكتب للشيخ أحمد شاكر ص ٨-١٠

[١٤] - الأنبياء /١٠٧

[١٥] -الزخرف/٤٤

٤- الدعوة إلى إنشاء وحدات لترجمة السنة والسيرة النبوية ضمن مراكز خدمة السنة والسيرة في العالم تحت رعاية الأقسام المختصة بالسنة والسيرة.

٥- تدعو الندوة إلى تكليف الخبراء في مجال اللغات والترجمة للقيام بالدراسات الميدانية التي تبحث في وضع آلية لحل معوقات الترجمة، وسبل تطويرها.

٦- إنشاء وحدة مخصصة لترجمة المصطلحات الإسلامية وتقييم المترجم منها وتوحيدها، ووضع معجم إسلامي للمصطلحات الشرعية المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية، ومن ثم ترجمته للغات المختلفة.

٧- السعي لترجمة مصادر السنة الصحيحة، ولاسيما ما يتعلق بالأخلاق والآداب، ودلائل النبوة، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما اشتملت عليه من روائع إلى اللغات الأجنبية.

٨- الدعوة إلى إنشاء كرسي علمي يخصص لترجمة السنة والسيرة، ويعنى بالدراسات الخاصة بترجمة السنة والسيرة، ومعوقاتها، بل ووسائل تطويرها.

٩- إصدار مجلات علمية متخصصة تعنى بشؤون ترجمة ونشر نصوص السنة والسيرة النبوية، لإبراز التجارب والجهود المختلفة في شتى أنحاء العالم.

١٠- تنظيم دورات تدريبية في الترجمة الصحيحة، تخصص للمعنيين بهذا الحقل من دعاة ومؤلفين وناشرين، ويسهم فيها المتخصصون في اللغات والترجمة.

إن الأهم من هذه التوصيات وغيرها التي خلص إليها الباحثون هو وضع آلية لتفعيلها على مستوى الأفراد والمؤسسات العلمي والدول المعنية التي تحمل همّ الدعوة إلى الله تعالى ونشر دينه.

**التحدي الخامس:تطويع التقنية لخدمتها:-**

لقد أصبحت التقنية واقعا لايمكن إنكاره أو التنصل من تبعاته ،وبسببه أصبح العالم الفسيح قرية كونية ، وصار غير الممارس لهذه التقنية ،المتقن لأساليبها يوصم بالعامية في هذا الزمن،ولاغرابة في ذلك ،فقد اختصرت هذه التقنيات الزمان والمكان، وأصبحت تحديا لايمكن إنكاره ،بل تيارا لايستطاع الوقوف في وجهه.

ومن هنا كانت المسؤولية عظيمة والتبعة جسيمة للمتخصصين في علوم الشريعة عامة، وعلم السنة خاصة.

إن المكتبة الحديثية لاتضاهيها مكتبة لافي الكمّ ولا في الكيف، ومالم نطوع هذه التقنية لخدمة هذه المكتبة فقد فرطنا كثيرا ،وستلومنا الأجيال القادمة على هذا التفريط.

لقد ظهرت على الساحة برامج كثيرة ومواقع متخصصة في الحديث مشهورة ،وهي جهود مباركة مشكورة ، لكن المظنون في هذا الجانب لايقف عند حدّ.ويمكن تلخيصه في هذه النقاط:-

١-تنظيم العمل في هذه المواقع والبرامج والمؤسسات ،وتوحيد الجهود ،تحاشيا للتكرار وتشتت الجهود.

٢-الإنفاق بسخاء من قبل الحكومات والمؤسسات العلمية والجهات الخيرية على هذه المشاريع التي يعود نفعها على الأمة بأسرها.

٣-إسناد هذه المشاريع الكبرى إلى الأقسام العلمية المتخصصة في الجانبين العلمي والتقني ، وعدم فتح الباب على مصراعيه لكل من أراد الدخول إلى هذا العالم الواسعة أرجاؤه.

٤-استقطاب العلماء الكبار والمتخصصين في هذين الجانبين للوقوف على سير هذه البرامج والمواقع وتأطيرها بإطار علمي موثوق به .

٥-طرح هذه المنتجات التقنية الموثوقة بأسعار مناسبة يستطيع كل أحد الحصول عليها .
إننا إذا ولجنا عالم التقنية بخطى واثقة ، ونفوس مطمئنة استطعنا تقديم الكثير من الخير للعالم وقدمنا لهم أثمن مانملك وأعز ماتحويه خزائننا.

وفي الختام فالكلام عن المصنفات الحديثية كلام عن هوية الأمة ومصدر عزها ومنعتها ،ومتى ماأرادت الأمة العودة إلى عزها ومجدها صار لزاما عليها الاعتناء بهذه المنابع الثرة وبذل كل الجهد في سبيل التزود منها حاضرا ومستقبلا.

**الخاتمة:**

بعد هذا العرض المختصر عن الموضوع يمكنني الوصول إلى النتائج التالية.

١- هذا الدين عظيم شريف ،وكل العلوم التي تتصل به ينالها هذا الشرف بقدر اتصالها بهذا الدين.

٢- ينبغي الحرص على هذا الكنز الثمين الذي بين أيدينا ،وهو التراث العلمي النبوي ،فبه سعادتنا ورقينا.

٣- أول من يحمل تبعة هذا التراث والمحافظة عليه هم المتخصصون في الحديث وعلومه على اختلاف مشاربهم وتنوع اهتماماتهم.

٤- هذا التراث العلمي الضخم تكتنفه مخاطر وتحيط به تحديات عدة ينبغي إيجاد الحلول لها ،وإنما يحمل هذا الهمّ كل مخلص لهذا الدين من حكومات ومؤسسات وهيئات وأفراد.

٥- عظم المسؤولية التي يحملها المختصون في علم الحديث أمام الله تعالى ثم أمام التاريخ لإعادة الريادة لعلوم الشريعة وكتبها خاصة كتب الحديث الشريف.



# الهجمة ضد السنة النبوية من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنيت) والقنوات الفضائية

**محمد داود عبد الله مصلح**
مرحلة الماجستير-قسم الحديث
جامعة ملايا



**مقدمة:**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣][٤].

أما بعد: فإن من نعمة الله تعالى أن قد اجتبى نبيه محمداً من بين خلقه أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليدعو إلى صراط الحق بلسان عربي مبين، وجعل سنته وحيا من الله الرحيم، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٥]، ثم أمر باتباع سنته في محكم التنزيل فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٦]، وجعل طاعة الرسول من طاعة الله تعالى فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٧]، وجعل صدق محبة العبد لله باتباع نبيه وطاعته فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٨].

---

[١] (آل عمران/١٠٢)

[٢] ( النساء/١)

[٣] ( الأحزاب/٧٠-٧١)

[٤] من خطبة الحاجة التي رواها عدد من الصحابة، وأخرجها الأئمة في مصنفاتهم، كمثل النسائي في سننه (١٠٤/٣)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجة (١٨٩٢)، وغيرهم، وقد جمع طرقها وصححها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله- في جزء صغير وهو مطبوع.

[٥] ( النجم/٤)

[٦] ( الحشر/٧ )

[٧] ( النساء/٨٠ )

[٨] ( آل عمران/٣١ )

وكان من سنة الله تعالى أن يجعل لكل نبي حواريين وأصحاب، ينصرونه ويآزرونه، فاجتبى من بين الخلائق أقواما، نالوا شرف اللقاء والصحبة، فعاينوا التنزيل، وشاهدوا أحوال الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، فتلقوا عن النبي آيات الكتاب المبين، ونهلوا من معين سنته والنور الذي أرسل به، فعلموا أن الأخذ بسنته هو اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعته سبحانه.

ولم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا إلا وقد أتم الله لأمته الدين، فكان شاملا لكل جوانب الحياة، وقد نعم المسلمون بهذا الدين قرونا وأجيالا متعاقبة، ففتحوا البلدان ونشروا الأمن والأمان والعلم والرقي والتحضر.

ولما كانت سنة الله الكونية أن يكون للحق دوما أعداء؛ فقد ظهر أعداء الإسلام منذ فجر الإسلام متمثلين بالكفار والمنافقين، ولقد تصدى لهم الحق سبحانه فبين أساليبهم وأحوالهم وطرق مواجهتهم، حتى انتصر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وأخذ راية الحق من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ذلكم الجيل الفريد الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فتربوا على يديه، وتخرجوا من مدرسة النبوة الطاهرة، فكانوا جديرين بوجوب الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ...»[٩] الحديث.

فانظر كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتفي بالوصية بالتمسك بسنته إلا وقرن معها سنة أصحابه الكرام! وهذا بيان كاف للتمسك بِسَنَنِهم والاقتداء بفهمهم، فإن كانت السنة تفسر القرآن فإن هدي الصحابة يفسر السنة ويترجمها واقعا وعملا ومنهج حياة.

ثم انتشر العلم من بعد الصحابة على مر الأجيال إلى زماننا، ولا نجد زمانا من الأزمان يخلو من أعداء للإسلام ممن يتربصون السوء له ولأهله، فمنذ أن خرج ذو الخويصرة التميمي، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: (اعدل)[١٠]، إلى زماننا هذا الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام الممزوجة بحرية الرأي المنفلت، إلا أنها اتخذت في زماننا منحى خاصا يتسم بالمركزية والتنظيم، بحيث صار وراءها مختصون في أساليب التأثير، ساعدهم في ذلك أمور، منها:

١- عزوف كثير من أبناء المسلمين عن تعلم العلم الشرعي وتعليمه، مع الانبهار بالحضارة العصرية الجوفاء. وكان من شأن هذا أن حملهم على أن يأخذوا من حضارة أعداء الإسلام والسنة كل شيء بلا

[٩] الحديث حسن: أخرجه أحمد: (٤/١٢٦-١٢٧)، وابن ماجة: (١/ ٧٢)، الحديث رقم: (٤٣)، والدارمي: (٩٦)، وأبو داود: (٤٦٠٧)، والترمذي: (٢٦٧٦)، وابن حبان: (٥).

[١٠] الحديث صحيح:أخرجه البخاري: (٤/ ٢٤٣)، حديث رقم: (٤٦١٠)، ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: ( بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ وَهْوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ، وَهْوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ فَقَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَالَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ...) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ..

تفتيش ولا دراية فانمسخوا -أو كادوا- في صورٍ وقوالب جوفاء، حتى بات الواحد منهم لا يعرف من الإسلام إلا اسمه، وإن سمع آية أو حديثا اعتبره من الموروثات البالية التي لا محل لها في زماننا ولا أثر لها في مجتمعاتنا.

٢- انشغال كثير من العلماء وطلبة العلم بالوظائف وشؤون الحياة اليومية، مما جعل كثيرا من أنصاف المتعلمين يتصدرون المجالس ويفتون بأمور لا يخفى فساد مآلاتها.

٣- وجود منظمات ومأسسات -من غير أهل الإسلام[١١] أو من غير أهل السنة[١٢]- تعمل ليل نهار في دعم أهل الفتن والشبهات، فوجد الفاسدون من يناصرهم ويدعمهم.

٤- انتشار وسائل الإعلام سواء المرئية منها أو المسموعة، بل إن الانفجار المعلوماتي المتمثل بالإنترنيت يعد أعظم صيحة إعلامية وعلمية وجدت إلى الآن، أضف إلى ذلك أيضا القنوات الفضائية الممنهجة والمهدّفة والتي لا تعمل إلا من خلال استراتيجيات مرحلية وتكتيكية خبيرة.

**الهجوم على السُّنة وسيلة للهجوم على القرآن:**

هذه خلاصة الأسباب المعاصرة التي ساعددت على تسهيل أمر أعداء الإسلام للهجوم على السنة النبوية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا السنة؟! لماذا لم يتهجموا على الفقه أو أي فن آخر كاللغة أو أصول الفقه أو حتى التفسير؟! نعم قد نالها من الهجوم نصيبا، ولكنه لم يكن بالزخم والكيف والمنهجية التي رُتّبت للتهجم على السنة النبوية، ذلك لأنهم علموا أن منبع العلم بعد القرآن هو السنة وأن حاجة القرآن للسنة أكثر من حاجة السنة للقرآن[١٣]، أضف أيضا أن القرآن وحي مجمع عليه، لا يقبل الزيادة ولا النقص ولا التصحيح أو التضعيف، فأرادوا الطعن في السنة ليتوصلوا من خلال إسقاطها إلى إسقاط القرآن.

**خطوات أعداء السنة في نشر فسادهم:**

ولنا نحن أهل الإسلام بعامة وأهل الحديث بخاصة؛ أن نحاول التعرف على منهج أعداء الإسلام، فإننا إذا نظرنا بصورة الفاحص لأساليبهم نجد أن الدعوات تنوعت، إلا أنها انْصبّت على برنامج محدد لهم، فهم بين الفينة والأخرى يقومون بأعمال عظام ليقيسوا مدى انفعال الشارع المسلم، ومدى تأثير الحدث العظيم على أبناء الإسلام، فتارة يحرقون القرآن أو ينجسونه، وتارة ينشرون صورا قبيحة عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم -قاتلهم الله-، وعلينا أن لا نظن أبدا أن هذا عبثي!

---

[١١] كمثل المأسسات الكنسية، و كمثل مأسسة راند الأمريكية (RAND Corporation) والمعنية بإنشاء تقارير ترسم من خلالها خططا للسياسة الأمريكية في التعاملِ مع الأحداث في العالم أجمع، ومنها منطقة ما يسمونه بـ (الشرق الأوسط).

[١٢] أعني بهم من ينتسبون لمذاهب معادية للسنة أو من يتلبسون الإسلام وإن كانوا ليسوا منه كالرافضة والأحمدية والدروز والنصيرية وغيرها من أفكار ومذاهم منحرفة عن الإسلام وأهله.

[١٣] قال الإمام الأوزاعي - رحمه الله -: (الكتاب أحوج إلى السنَّة من السنَّة إلى الكتاب). انظر:البحر المحيط – للزركشي: (٦ / ١١).

لأنهم في غنى عن حرق القرآن وتلكم الأفعال المشينة الأخرى، ولكن هذا أسلوب ليقيسوا نتائج تأثر المسلمين بما بثته الفضائيات وما تم دسّه من أفكار خبيثة يراد زرعها في نفوس المتابعين لهم، ثم بعد تقييمهم للوضع والمتمثل: في تحديد مستوى الجهل ومستوى البعد عن الهدي النبوي في معالجة الأمور، ينتقلون للمرحلة الأخرى من التجهيل ومسخ مفاهيم الأمة عبر إيجاد دعاة مستأجرين -من ذوي المآرب- أو مستغفلين؛ ليكونوا أبواقا لتمرير مخططاتهم الرامية لتشويه صورة الثوابت لأجل الهجوم الفكري على أمة الإسلام.

يقول عثمان محمد علي[١٤] ضمن مقالته التي يدافع فيها عن فكر القرآنيين العصريين وما قدموه –زعموا- كخدمة للإسلام والمسلمين: (...وبذلك أصبحت المحرمات والمسلمات والثوابت السابقة وبذلك المزعومة مادة ممكنة للبحث والاستنباط والتمحيص والمناقشة واستخراج سوءاتها وسيئاتها وتعريتها وتعرية رجالها، لنتعلم من أخطائها ولنفرق من خلالها بين الإسلام والمسلمين وبين ما في القرآن وما طبقه المسلمين ولنتعلم أن نقف مع الحق ولو كان ذلك على حساب رجال كنا نعدهم من الصالحين ظاهريا مثل الصحابة والتابعين والفقهاء، فنحن تعلمنا من القرآن أن الحق فوق الرجال وليس العكس...). هكذا قال! وانظر كيف أراد من تمسحه -وزمرته الآثمة- بالقرآن -زعما- أن يطعن في ثوابت الأمة وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو ينتقصهم بألفاظ بينة السوء كقوله:

(ولو كان ذلك على حساب رجال كنا نعدهم من الصالحين ظاهريا مثل الصحابة). هكذا قال! ولست هنا في معرض التفنيد لشبه القرآنيين وأباطيلهم، إلا أن كل من قرأ كتاب الله علم يقينا بطلان ما يقولونه، وأن الله في كتابه قال: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).[١٥]، وقال سبحانه: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).[١٦] فجعل سبحانه إيمان الصحابة مقياسا لإيمان غيرهم، وربط الهداية في مماثلة إيمانهم، فأي سوء أفضى إليه القرآنييون؟!، وأي مرتع وخيم وقعوا فيه عن قصد أو غير قصد؟!

وهم وإن تمسحوا بالقرآن وزعموا أنهم معتنون به إلا أنهم غير صادقين بل هم يريدون من ذلك إسقاط ما دونه من مصادر للسنة ليسهل لهم أن يتلاعبوا في ألفاظ القرآن، فهم على دراية بأهمية السنة للقرآن تبيانا وتفسيرا وتخصيصا وتقيدا، لذا فقد أرادوا طعن الإسلام بالنيل من الصحابة الذين هم نقلة الدين وحملته.

[١٤] موقع القرآنيين:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=2908

[١٥] (الحشر/١٠).

[١٦] ( الزخرف/١٣٧).

**وسائل أعداء الإسلام المعاصرة في محاربة السنة:**

لقد اتخذ أعداء السنة في عصرنا وسائل كثيرة، منها ما هو قديم أعادوا استعماله بأسلوب حداثي، ومنها ما هو مستحدث جديد، إلا أنه يمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

١- إنشاء مأسسات من شأنها دراسة الأوضاع، وتقييمها، ووضع الخطط التي من شأنها محاربة الإسلام والسنة وتغيير المفاهيم، كمؤسسة راند الأمريكية.

وهذه المأسسات لها دور فاعل في محاربة السنة وإعداد كل ما من شأنه أن يساعد على هذه المخططات، فهم يسعون لإيجاد ما يسمى بالإسلام الليبرالي، ويضعون لهذا الميزانيات التي تصل لملايين الدولارات لتحقيق هذا الأمر.[١٧]

٢- دفع بعض ذوي المآرب للتحدث بدلا عنهم -سواء علموا أو لم يعلموا-، وتسهيل جميع الوسائل مما يحقق المصلحة المرجوة، ولإيجاد من يصلح أن يكون بوقا لهم رصدت الأموال والميزانيات لهذا الأمر.

وذلك ما نتج عن قرارات مأسسة راند حيث قام (مركز ابن خلدون الذي يديره الدكتور سعد الدين إبراهيم بتنفيذ التوصيات الأميركية الخاصة بالإسهام في إعادة (بناء الدين الإسلامي) بما يتفق مع القيم الأميركية، ونُظّم في القاهرة مؤتمراً موضوعه (الإسلام والإصلاح) بمشاركة ٢٠ باحثاً من جنسيات عربية وأوروبية وأميركية بالتنسيق مع ثلاثة مراكز بحثية دولية وهي مراكز (سابان) لدراسات الشرق الأوسط التابع لمعهد (بروكنجز)، ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية بواشنطن، ومنبر الحوار الإسلامي بلندن، إضافة إلى عدد من الباحثين والأكاديميين من الدول العربية وأميركا وأوروبا. وقد صدر بيان عن المؤتمر ذكر فيه أنه تبنى الدعوة إلى:

- إعادة صياغة نسق معرفي جديد للفكر الإسلامي
- ومراجعة التراث الإسلامي مراجعة جذرية
- والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين
- ومواجهة وتفنيد مقولات ورؤى وأفكار التيارات الدينية المتطرفة، وتكثيف الحوار مع القوى المعتدلة والمستنيرة في المجتمعات الغربية عامة والمجتمع الأميركي خاصة
- وأهمية إدماج الحركات الإسلامية في العملية الديمقراطية، وتمكين الحركات المعتدلة من حق الوجود السياسي إذا قبلت بالديمقراطية كخيار استراتيجي، وأقرت بالمبادئ الأساسية التي تقوم عليها قيم المجتمع المدني والدولة المدنية الحديثة، وضرورة إجراء حوار عام موسع مع تيارات الإسلام السياسي السلمي.

[١٧] انظر: مقالة بعنوان: ( الإسلام الليبرالي من التخطيط الاستراتيجي إلى التطبيق العملي – السيد ياسين) المصدر: http://www.alwihdah.com/identity-and-citizenship/islam-and-liberalism/2010-04-26-2393.htm

- غير أن أخطر توصية تبناها المؤتمر هي؛ دعوته إلى تنقية التراث الديني من الحديث النبوي الشريف، والاعتماد فقط على نصوص القرآن الكريم كمرجعية وحيدة، والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين وخلق مدرسة اجتهاد جديدة في القرن الحالي).[١٨]

٣- نشر الشائعات والتي تعزز المفاهيم المغلوطة، مأصلين بذلك لأسلوب تجهيلي في تبني الاعتقادات والأفكار.

٤- تشويه صورة أهل العلم كقولهم رجعيين أو متشددين، في حين أنهم ينعتون أنفسهم بالمعتدلين أو الوسطيين! بالرغم من أن الوصف الشرعي لهم هو الفسق على أحسن أحوالهم.

٥- عرضهم للبرامج والأفلام والمسلسلات التي تمرر أفكارهم لأذهان المستمعين والمشاهدين دون أن يشعروا بذلك، كنحو استهزاء بحكم شرعي، مع إضفاء صورة السلامة في مخالفة الشرع.

٦- نشرهم لأفكارهم المنحرفة في المنتديات وخصوصا على موقع يوتيوب، ليصل لأكبر عدد من المشاهدين عبر العالم.

٧- بعد الانفجار المعرفي المعاصر بدأ أعداء الإسلام ينتهجون منهجا يلبسون على الجهلة به، فإن أغلبهم لم يعد يفصح عن عدائه صراحة؛ وإنما يَعْرِضون أفكارهم المنحرفة باسم العلم والرأي والرأي الآخر، والمشكلة تكمن في أن الجاهل أو قليل البضاعة العلمية قد ينجرف وراء ترهاتهم، والتي لو وزنت بميزان العلم والسنة لبان عوارها بسهولة ويسر.

**المطلب الأول: الهجمة ضد السُنّة النّبويّة من خلال القنوات الفضائية**

لقد شهدنا في الآونة الأخيرة توسعا كبيرا في انتشار القنوات الفضائية الخاصة، وقد تنوعت أهدافها وما تقدمه من مواد، حتى بات الكثيرون ممن يصح أن نطلق عليهم بأنهم: مدمنون على متابعة القنوات الفضائية.

ومع التقدم التكنلوجي باتت القنوات اليوم تتفنن في تزيين قنواتها بما يبهر العيون ويجذب العقول نحوها، لكن المتابع للقنوات الفضائية بنظرة الفاحص سيجد -وبأدنى جهد- من أن لكل قناة هدف تسعى لتحقيقه.

والذي يهمنا هنا؛ هو تلكم الأهداف التي يراد من خلالها إعادة برمجة عقول أبناء الأمة الإسلامية لسلخهم عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فقد اتخذت تلكم القنوات عدة أساليب للتهجم على السنة وأهلها، ومنها:

١- تقديم بعض أهل الانحرافات الفكرية والقلبية على أنهم مفكرون أو مبدعون، كالعلمانيين والليبراليين والملاحدة، وعمل المقابلات التلفزيونية لهم ليبث الواحد منهم سمومه في قوالب مزوقة باسم الفكر والعلم، بل قد يتجاوز الأمر لتقديم بعض أنصاف المتعلمين ممن رغبوا في الشهرة

[١٨] المصدر السابق.

والنجومية -على حد التعبيرات العصرية- على أنه من علماء السنة وممن تأهل للبت في شؤون الأمة -الإسلامية- المصيرية.

٢- بث روح الفرقة والعداء بين أفراد الأمة الواحدة باسم الحريات تارة، والحقوق تارة أخرى، بل ربما تلبس مقدمي البرامج في تلكم القنوات بادعائهم الحيادية، ليحرشوا بين الأطراف المتحاورة، بحجة أنهم راغبون في معرفة الصواب، إلا أن المتابع لهم يلحظ جليا أنهم يثيرون الزوابع حول الأمور التي يرغبون في ترسيخ مفاهيمها في عقول المتابعين لهم.

٣- نشر القنوات الفضائية المخالفة لدين الله وسنة نبيه الكريم، كالقنوات الشيعية الرافضية والتي بلغت أكثر من ٤٠ قناة، وكالقنوات الخاصة بالأحمدية، وغير ذلك من قنوات فضائية متعدِّدة مختلِفة الاتِّجاهات، أخذت على عاتِقِها حَربَ العقيدة السليمة والطَّعن فيها وتَشكِيك المسلم فيها، وأخرى أخذت على عاتقِها تدميرَ قِيَم الأمة وأخلاقها، وأخرى اتَّخذت مسارًا آخَر لتفكيك الأمّة والطعن في بعضها البعض محاوِلَة إيجاد البغضاء بين الشعوبِ الإسلاميّة، والهدف من هذه القنوات كلها هو محاربة السنة النبوية من داخل من ينتمون إلى الإسلام -ولو اسما-، في سعي جاد وحثيث بكل وسيلة لسلخ أبناء السنة عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلا يهم إن تحولوا لشيعة أو أحمدية أو غير ذلك من الأفكار شريطة أن تكون منافية للإسلام، بل بلغ بكثير من القنوات أن تطعن صراحة في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، واتخذوا من جهل كثير من المستمعين وسيلة لتمرير كلامهم على أنه حق[١٩]، إلا أن أهل السنة -ولله الحمد- قد تصدوا لهم في قنوات مضادة -وإن كانت قليلة-، فبينوا زيف كلامهم وسوء استدلالهم، وانكشف حال أعداء السنة في أنهم يستدلون من الحديث بالموضوع المكذوب أو الضعيف الذي لا يقوى على النهوض أبدا، أو يستدلون بكلام مبتور، كل ذلك محاربة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ما أثاروه من شبه في قنواتهم حول السنة النبوية؛ فإنها تدور حول المحاور التالية:

- أهمية السنة ومكانتها وحجيتها.

- دعوى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن.

- الطعن والتجريح في كتب السنة، وعلى رأس ذلك صحيحي البخاري ومسلم.

- الطعن والتجريح في الصحابة ورواة الحديث.

- نشر الأحاديث الموضوعة والواهية، والاحتجاج بها للطعن والتشغيب.

- التسرع في الحكم على الحديث بغير علم ولا دراية وإنما بالرأي والذوق.

- محاولة تطويع السنة للعقل والرأي، وإلباسها لبوسا يتوافق مع أهوائهم من علمانية وليبرالية ونحوها.

[١٩] كما هو الحال في القنوات الشيعية الرافضية وخصوصا قناة فدك، وقناة الكوثر.

**المطلب الثاني: الهجمة ضد السنة النبوية من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنيت)**

بعد انتشار القنوات الفضائية انتشرت المقاطع المصورة بشكل مهول عبر موقع اليوتيوب، وهو بهذا يعتبر أوسع انتشارا للأفراد، حيث أنه لا يقدر كل أحد على أن يُظهر أفكاره وما يريده عبر القنوات الفضائية، لذا وجد أولئك الأشخاص في اليوتيوب فرصة لإيصال ما يريدونه سواء أكان خيرا أم شرا.

فبأقل جهد تستطيع أن تقف على كل الأفكار الهدامة، سواء منها صريحة العداء والسوء أو ذات المسلك الممنهج بقوالبه الحديثة.

بل إننا قد لا نكون مبالغين إن قلنا بأن خطر الهجمات على السنة وأهلها من خلال الشبكة العالمية يفوق بكثير خطر القنوات الفضائية، إذا أن ما يعرض على الفضائيات يعاد تحميله على الشبكة العالمية، فهي إذا شاملة لما يبث عبر القنوات الفضائية، ناهيك أيضا عن إمكانية متابعة القنوات الفضائية من خلال البث المباشر عبر المواقع الإلكترونية.

لذا فإن من يتابعون الشبكة العالمية هم شريحة تعد بآلاف الملايين! وليس هذا بعجيب، فقد نشرت جريدة الرياض[٢٠] في إحدى أعدادها عن إحصائيات تتعلق بالشبكة العالمية (الإنترنت) وعدد مستخدميه، وذكرت أرقاما مذهلة ومنها: (...عدد مواقع الانترنت مع نهاية ٢٠١١ بلغ ٥٥٥ مليون موقع و٢,١ مليار مستخدم للإنترنت).

ويهمني هنا من إحصائيتهم ما يتعلق بأمرين اثنين، وهما: شبكات التواصل الاجتماعية، وموقع يوتيوب، وذلك لما للأول من احتكاك مباشر بين الأفراد والجماعات مما يسهل بث الشبهات حول السنة النبوية وتشكيك المسلم في دينه.

ولما للثاني (اليوتيوب) من دور فاعل في نشر المشاهد التي يراد لها أن تصل للمشاهدين من غير حشو، لتحقق المقصود بأخصر طريق، أضف ما يتم من خلال التعليقات من رد أو تعزيز للأفكار والأهداف من تلكم المشاهد، وقد ذكرت أيضا جريدة الرياض في إحصائيتها، فقالت:

(...الشبكات الاجتماعية: عدد مستخدمي فيسبوك مع نهاية عام ٢٠١١ أكثر من ٨٠٠ مليون شخص، عدد المشتركين الجدد في فيسبوك مع نهاية عام ٢٠١١ نحو ٢٠٠ مليون شخص، عدد حسابات تويتر مع نهاية عام ٢٠١١، ٢٢٥ مليون حساب، عدد الحسابات النشطة في تويتر ١٠٠ مليون حساب، عدد التعليقات (TWEETS) المرسلة في اليوم ٢٥٠ مليون تعليق ،عدد حسابات الشبكات الاجتماعية في العالم ٢,٤ مليار.

الفيديو: عدد مقاطع الفيديو التي تمت مشاهدتها في يوتيوب (YouTube) حول العالم: واحد تريليون مقطع، ما مقداره ٤٨ ساعة من مقاطع الفيديو يتم تحميلها كل دقيقة في يوتيوب، عدد مقاطع الفيديو المشاهدة شهريا في عام ٢٠١١، ٢٠١,٤ مليار مقطع ).

---

[٢٠] موقع جريدة الرياض: http://www.alriyadh.com/2012/01/29/article705255.html

وعندما نتصفح اليوتيوب فإنه يعنينا هنا تلكم المشاهد والفيديوهات التي تهمنا في موضوعها، فنجد أن الهجمات تتخذ محاور عدة متمثلة باتجاهين اثنين، هما:

الأول: الشدة وسوء الخلق والتفلت من أي أدب أو خلق أو قيم.

والثاني: مدعي المنطقية وحرية الرأي.

يجمعها كلها: المكر والكذب بكل وسيلة، لتصيد الشباب المسلم الغير مختص بجانب شرعي أو علمي، ليبثوا سمومهم ويتصيدوا ضحاياهم.

ومثال على هذا ما قام به الرافضي ياسر الحبيب في طعنه بأم المؤمنين رضي الله عنها وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأقسى عبارات، بل والطعن في كتب السنة كالبخاري ومسلم بأساليب أعف عن ذكرها، وقد تبرأ الكثير من الشيعة منه بعدما تكاثرت الردود من أهل السنة عليه بالخصوص وعلى الرافضة بالعموم وفضحوا عقائدهم الفاسدة مستدلين بذلك من كتب الشيعة أنفسهم.

فلما انكشف حال الرافضة وسوء مقالهم وأفعالهم، بدؤوا باستخدام أسلوب جديد يرتسم بطابع العقلانية وحرية الرأي لتمرير أفكارهم وأراجيفهم، فخرج علينا بعض الأشخاص ليتهجم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، بل ويطعن في الثوابت كصحة البخاري ومسلم، وهو داعية في النمسا يسمى: عدنان إبراهيم، وقد تتبعت كثيرا من نقولاته وطعوناته فما وجدتها إلا أكاذيب وأراجيف، فتراه يحتج بروايات لا يثبت منها شيء، وتارة يحتج بقصص في كتب الأدب لا زمام لها ولا خطام بل قد يكون مألفوها من الشيعة المتعصبة، وكثيرا ما يقحم رأيه وعقله لرد الأحاديث والتهجم على ثوابت السنة الشريفة.

وبنظرة فاحصة أيضا فإننا نجد أن التعليقات على مشاهد اليوتيوب لا تقل أهمية عن المشهد نفسه إذا أننا نجد كثيرا من الأخوة الغيورين على سنة نبيهم يقومون بالتعليق والتوضيح أو الرد والنقد مع النقض لتلكم الشبه والأراجيف الكاذبة، والذي أراه أنها ذات أهمية كبيرة في رد شبهات أعداء الإسلام، فمن خلال اطلاعي على ما كتب وقراءتي للمشاركات؛ وجدت عددا لا يستهان به ممن يتابعون النقاشات والتعليقات ممن نكتت الشبه في قلوبهم، فيسهل عليهم تخطي تلكم الشبهات من خلال قراءاتهم للتعليقات التي يقوم بها أهل السنة هناك.

## المطلب الثالث: وسائل مقاومة الهجمة على السنة النبوية عبر القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية.

ولسائل أن يتسائل: أليس ثمة قنوات ومواقع لمواجهة تلكم الشبهات والطعونات؟!

أقول: نعم فإن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم مستمر باقي إن شاء الله، وقد قام الكثير من أهل السنة الغيورين على مواجهة تلكم الحملات المسعورة، من خلال:

١- إنشاء القنوات الفضائية:

تم إنشاء عدد من القنوات الفضائية ليُتَصدّى من خلالها لشبهات أهل الضلال من شيعة وعلمانية وغيرها، وأخص بالذكر هنا قناتي وصال وصفا؛ فإنهما من أكثر القنوات التي ردت على شبهات أعداء السنة، بل قد تم من خلالها عقد نقاشات مباشرة معهم، والجميل في تلكم النقاشات أنها اتسمت بالعلمية والقوة بحيث وُوجِه المخالف بأدلة من كتبه في إبطال طعوناته الموجهة على السنة النبوية، وعلى مصادر الإسلام الثابتة.

٢- إنشاء المواقع الإلكترونية:

أ- المواقع المختصة بالدفاع عن السنة، وكشف شبهات أعدائها:

تم إنشاء الكثير من المواقع الإلكترونية في الرد على شبهات أعداء الإسلام من نصارى وعلمانيين وشيعة وملاحدة وغيرهم، ومنها:

- منتديات أتباع المرسلين[٢١]: في الرد على شبهات النصارى.
- شبكة الدفاع عن السنة[٢٢]: في الرد على شبهات الروافض الشيعة.

وأما العلمانيين والملاحدة فإن شبههم في الغالب لا تعدو كونها اجترارا لما يثيره النصارى والشيعة، وما جد من شبه حديثة فإننا نجدها مبثوثة ضمن مواقع أهل السنة ولله الحمد.

أ- المواقع المختصة بنشر السنة وخدمتها:[٢٣]

وجدت كثير من المواقع المختصة في نشر السنة النبوية، دون أن تختص في رد شبه أو نقاش، كمثل:

- موقع: الإسلام الدعوي الإرشادي[٢٤]: وهو تابع لوزارة الأوقاف السعودية، ويشرف عليه معالي الشيخ صالح آل الشيخ.

وهذا الموقع يخدم كافة جوانب الإسلام، ومنها السنة النبوية، حيث يقدم الموقع خدمة البحث ضمن الكتب التسعة وشروحاتها ، وكتب متون أخرى[٢٥]، كما تجدر الإشارة أن الموقع يعرض خدماته المتقدمة الذكر بسبع لغات مختلفة وهي: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والتركية، والملايوية، والإندونيسية.

---

[٢١] http://www.ebnmaryam.com/vb/

[٢٢] http://www.dd-sunnah.net/forum/

[٢٣] انظر: ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية - الدكتور جمال أحمد بادي، الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العامة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا: http://uqu.edu.sa/page/ar/19106

[٢٤] http://www.al-islam.com/

[٢٥] وهي: مصنف ابن أبي شيبة، وسبل السلام للصنعاني، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، ومشكل الآثار للطحاوي، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والتلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني، طرح التثريب لزين الدين العراقي.

- موقع: الدرر السنية[٢٦]: وهو من أفضل المواقع باعتبار نوعية وجودة الخدمات الحديثية فيه، ويشرف عليه: الشيخ علوي بن عبد القادر السقّاف.

والموقع يخدم كافة جوانب الإسلام أيضا، وبالنسبة للحديث فإن نطاق البحث فيه واسع، ومن أهم مميزاته:

يوفر الموقع للباحث خدمات مهمة من خلال إمكانية البحث في هذه الموسوعة واستعراض الأحاديث ودرجتها من حيث الصحة والضعف.

يمكن للباحث في هذه الموسوعة أن يحدد إطار البحث، وللمتصفح عدة خيارات من بينها:

أ- الاطلاع على أحكام محدث واحد على أحاديث معينة في أحد كتبه.

ب- الاطلاع على أحكام محدث واحد على أحاديث معينة في مؤلفاته كلها.

ت- الإطلاع على كل ما قيل في الحديث المعين عن الطريق اختيار البحث في المؤلفات كلها بضم قائمة جميع المحدثين.

يمكن البحث عن كلمة مفردة أو عدة عبارات أو جملة بأكملها.

كما تجدر الإشارة إلى أن الموسوعة تضم أحكام العلماء المعاصرين على الأحاديث النبوية أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ الألباني والشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمهم الله تعالى.

كما تنبغي الإشارة إلى أن هذه الموسوعة تخضع للتحسين والتطوير المستمر، حيث أنه يضاف إليها العديد من المصادر الحديثية كل مدة معينة لتوسيع دائرة السنة التي تغطيها خدمات هذه الموسوعة، والنسخة المستخدمة الآن هي النسخة الجديدة من الإصدار الثالث.

٣- إنشاء غرف للحوار والدفاع والدعوة للحق:

أيضا فقد تم فتح غرف للحوار والنقاش والدعوة إلى الله على برنامج البالتوك، كمثل:

غرفة منهاج السنة السرداب، و غرفة أنصار أبناء عائشة آل محمد عليهم السلام، كلاهما في الرد والنقاش لشبهات الشيعة الروافض والدعوة إلى السنة النبوية والدفاع عنها.

وغرفة الحوار الإسلامي المسيحي:

الأولى: في دعوة النصارى ونقاشهم في كتابهم المقدس.

والثانية: في الدفاع عن دين الله باللغة الأجنبية.

والثالثة: في الرد على شبهات أعداء الإسلام والدفاع عن السنة النبوية.

[٢٦] http://www.dorar.net/

والحق يقال بأن للأخوة هناك جهود عظام في الدفاع عن السنة ودين الله العظيم، ونتاجهم الدعوي ملموس وكبير بفضل الله تعالى، إلا أنهم بحاجة إلى رعاية من أهل العلم وتوجيهاتهم.

ومن الغرف أيضا غرفة ابن الصلاح: وهي غرفة معتنية بنشر علم الحديث خاصة، تعلما وتعليما، وقد طرح عليها الكثير من مجالس السماع للصحاح والسنن، وشروحات لكتب الحديث والمصطلح أيضا.

٤- على مستوى الجامعات:

ومن الوسائل أيضا: توجه الجامعات في طرح دراسات تتسم بحل مشكلات العصر الحاضر، والرد على الشبهات الموجهة للسنة النبوية، وعقد المأتمرات والمحاضرات المعنية بهذا الأمر.



# محاسن السنّة في التشريع الخاصّ بالمرأة

منى أحمد القاسم



**المقدِّمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن دواوين السُّنة المشرّفة حافلةٌ بالأدلَّة الثابتة، و البراهين القاطعة، و الحججِ الدَّامغة التي تجلّي عظمةَ هذا التشريع الربَّاني المعجِز، للمرأة، وبلاغةَ حكمته الماضية؛ في حقيقة التكليف و دقائقه، والأحكام و تفاصيلها، و الآداب و لطائفها، و السُّنن و تتابعها و مضائها المتناغم مع طبيعة المرأة وقواها الجسميّة و ميولها الأنثوية و بيئتها الخاصة.

هذا التشريع الرَّباني المعجز ينسف التَّحديات المعاصرة الطاعنة في خصوصية الأحكام التي كلفت بها المرأة الواصمة لها بالتعسف و الظلم؛ ليثبت بلا مدافعة أنه لم يكن متوافقاً مع طبيعة المرأة الفسيولوجية والنفسية فحسب، بل إنه مقوّمٌ لها، ناهضٌ بإصلاحها، متطلّع لريادتها في خيرية الأمة و تقدّمها و تأهيلها لتحظى بمفاخر التاريخ ومعاقد العزّ و السؤدد!

وتزكيتها لتسبق إلى جنَّةٍ عرضُها السَّماوات والأرضين، بل وتنال سيادة نسائها من الحور العين!

لقد خلق الله تبارك و تعالى المرأة، وأحسن خلقها، وعلم وحده سرّ هذا الخلق و مفاتحه! فأحكم التشريع الحَسَن الذي يتمّم حُسْن خَلقِه؛ لتكون في أحسن تقويمٍ ظاهراً و باطناً، جسداً وروحاً، قلباً و عقلاً، خَلْقاً و خُلُقَاً، تشريعاً عظيماً كريماً متتاماً مترفّقاً بها كما ينبغي أن يكون عليه؛ غايةَ الرفقِ و اللينِ و الرَّحمة!

و حريٌّ بمن اغترف من غُرُفَاته الطَّيبة المباركة أن يُحذِي العالمين عَذْبَ طُعْمها، وصفَاء مشربها، وعافية مذاقها، وجودة منابعها، ليرشُفوا من سلسبيله النقيّ الدفّاق شربةً لا يظمؤوا بعدها أبداً! ولن يظمأ مغترفٌ من معين الوحي أبداً..! فإنه الغذاء والدواء والعافية الأبدية والسعادة السرمدية!

وما تنازعت أممُ الشرق و الغرب، في قديم التاريخ و مُسْتديم الحضارات ضلالاً وتخبُّطاً في شأن المرأة، إلا لمَّا عزَّ عليها نور اليقين..الوحي المبين! وإن تناول هذه القيم الربانية و التشريعات الإلهية بلغة العصر وآلته المتقدّمة يكشف للمستبصر محاسن الإسلام وروائع الإيمان التي حظيت بها المرأة في رحاب الكتاب و السُّنة.

وإني لأحتسب عند الله تعالى أن يكون هذا المشروع، جهداً مباركاً، و علماً نافعاً، وسبيلاً للدعوة إليه، وهداية الناس وأوبتهم إلى المنهل العذب في القرآن الكريم و سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم علماً و عملاً وتحكيماً وتحاكماً، ودحضاً لشبه المشككين و المتربِّصين بالإسلام في شرائعه الخاصَّة بالمرأة، مع استشراء كيدهم و تطاول بغيهم عليها.

وسوف تتظافر الجهود -بإذن الله تعالى- مع رجاء خلوص النيات له سبحانه؛ كي نستخلص من دين الإسلام محاسنه العظيمة ونستخرج آياته المعجزة التي سنّها الحكيم سبحانه للمرأة بميزانٍ دقيقٍ، وعدلٍ تامٍ، ورحمةٍ غامرة! أسأل الله المولى القدير أن يوفِّقني لنيل مرضاته، وييسّر أمري، ويتقبل مني، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

**التَّمهيد:**

إن الأمر بتوحيد الله تعالى وعبادته جاء في كتاب الله تعالى بصيغ مختلفة تفيد العموم للذكور و الإناث؛ و لما اعترض الكفَّار على إخلاص العبادة لله وحده، و نسبوا البنات للرب -تبارك و تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا- استنكر الرحمنُ قسمتهم و وبّخ ظلمهم و قبّحه؛ قال تعالى : ألكم الذكر وله الأنثى*تلك إذاً قسمة ضيزى[1].

قال ابن عباس وقتادة: "أي قسمةٌ جائرة حيث جعلتم لربِّكم ما تكرهون لأنفسكم"[2].

وجعلهم –سبحانه– هم و ما ضربوه للرحمن مما يكرهون؛ عبادًا مأمورين بالتوحيد والعبادة، بل ضرب بالمرأة مثلًا على إيمانها وطغيانها! قال تعالى : ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما[3]

قال عكرمة والضحَّاك :" كانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين"، فكانت امرأة نوح تقول للناس؛ إنه مجنون وإذا آمن به أحد أخبرت الجبابرة، وأما امرأة لوط فإنها كانت تدُلُّ قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار و إذا نزل بالنهار دخَّنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف![4]

قال ابن القيم: "أما المثلان اللذان للمؤمنين فأحدهما امرأة فرعون ووجه المثل أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضرُّه شيئا إذا فارقه في كفره وعمله فمعصية الغير لا تضرّ المؤمن المطيع شيئا في الآخرة وإن تضرَّر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحلُّ بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله فتأتي عامة فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين، المثل الثاني للمؤمنين مريم التي لا زوج لها لا مؤمن ولا كافر"[5].

---

(١)سورة النجم ، الآيتان ٢٢،٢١.

(٢)تفسير البغوي - إحياءالتراث - (٤ / ٣٠٩) و ينظر :تفسيرالطبري (دارهجر) (٢٢ / ٤٦)، تفسيرالقرطبي (١٧ / ١٠٣)، التحريروالتنوير (٢٧ / ١٠٣).

(٣)سورة التحريم ، الآيتان : ١٠ -١١.

(٤)تفسيرالقرطبي (٩ / ٤٧)، التحريروالتنوير (١٨ / ١٩٥).

(٥) التفسير القيم (٢ / ٢٠٢).

فالمرأة خوطبت بالإيمان وأمرت بالتوحيد والانقياد لله وهي زوجة نبيّأوأم نبيّ أو زوجة طاغوت، وسواء كانت ذات زوج أو عزباء كالرجل سواء؛ لأهليتها الكاملة للإيمان بالله وتوحيده و عبادته، فمنهنّ من آمن و منهنّ من كفر.

## الفصل الأول

## الأحكام المتعلِّقة بأداء أركان الإسلام العملية

### ١. في الطَّهارة:

أولًا- غسل أثر بول الصَّبية، بينما ينضح أثر بول الصَّبي اللذين لم يأكلا الطعام. فيه حديث لُبَابَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، قَالَتْ: كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَالَ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: الْبَسْ ثَوْبًا وَأَعْطِنِي إِزَارَكَ حَتَّى أَغْسِلَهُ، قَالَ: «إِنَّمَا يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْأُنْثَى، وَيُنْضَحُ مِنْ بَوْلِ الذَّكَرِ»([٦]). وله شواهد من حديث علي بن أبي طالب([٧]) وأبي السَّمح([٨]) وأم كُرْز الخزاعيّة([٩]) وغيرهم رضي الله عنهم.

قال البيهقي (رحمه الله):" الأحاديث المُسندة في الفرق بين بول الغلام والجارية في هذا الباب إذاضُمَّ بعضها إلى بعض قويت".([١٠]) ومعنى النَّضح: الرَّشُّ، وهو أَمْثَل من الطَّلّ، وهو قَطْر بين قَطْرَيْن.([١١])

والغسل مغايرٌ له؛ أبلغ منه و أكثر ، كما في حديث أُمّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ «أَنَّهَا أَتَتْ بِابنٍ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغسِلهُ».([١٢])

---

(٦)رواه ابو داود (٣٧٥) قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسَرْهَدٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ نَافِعٍ أَبُو توبة المعنى، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ قَابُوسَ، عنها .

ومن طريق سماك بن حرب به ، رواه ابن ماجه (٥٢٢) و ابن أبي شيبة (١٢٩٦) و ابن خزيمة في صحيحه (٢٨٥) والحاكم في مستدركه (١٦٦/١) ووافقه الذهبي ، و البيهقي في السنن (٤١٤/٢) و الطبراني في الكبير (٤٠) .

وسِماك بن حرب :الراجح فيه : أنه "صدوق فيما عدا عكرمة مالم ينفرد" ، روى له البخاري و مسلم ."تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم ص ١٣٥"

وقال النسائي: إذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقَّن فيتلقن . "المختلطين للعلائي ص ٤٩"و ينظر : تهذيبالتهذيب (٤ / ٢٠٥).

وقد توبع ، رواه أحمد (٢٦٣٣٥) قال : حَدَّثَنَا عَفَّانُ، وَبَهْزٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ لُبَابَةَ أُمِّ الْفَضْلِ بمثله و حمَّاد : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه. تقريبالتهذيب (١/ ١٧٨)وباقي رجاله ثقات .

(٧)رواه الترمذي في جامعه (٦١٠) وفي آخره : قَالَ قَتَادَةُ: "وَهَذَا مَا لَمْ يَطْعَمَا فَإِذَا طَعِمَا غُسِلَا جَمِيعًا". وقال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ و قال ابن حجر : " إسْنَادُهُ صَحِيحٌ إلَّا أَنَّهُ أُخْتُلِفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ وَفِي وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ وَقَدْ رَجَّحَ الْبُخَارِيُّ صِحَّتَهُ ". التلخيص الحبير (١ / ١٨٧)

(٨)رواه ابن ماجه (٥٢٧) قال البيهقي :" البخاريُّ استحسنَ حديث أبي السَّمح" سننه الكبرى (٤١٦/٢).

(٩)رواه أحمد (٢٦٨٢٣).

(١٠)سنن البيهقي الكبرى (٢ / ٤١٦).

(١١) تهذيب اللغة (٤ / ١٢٥)، (لسان العرب (٦١٨/٢).

(١٢)متفق عليه ، رواه البخاري ( ٢٢٣) و مسلم (٢٨٨).

**والراجح في هذه المسألة: "التطهير من بول الرَّضيع الَّذِي لم يأكل الطعام":**

الاكتفاء بالنَّضح في التطهير من بول الصَّبي، أما بول الصَّبية فلا يجزئ فيه إلا الغسل. و هو مذهب: "علي رضي الله عنه وعطاء والحسن والزهري وأحمد وإسحاق وابن وهب وغيرهم وروي عن مالك وقال أصحابه هي رواية شاذة، ورواه ابن حزم أيضا عن أم سلمة والثوري والأوزاعي والنخعي وداود وابن وهب" رحمهم الله([١٣]). قالَ الزُّهريُّ (رحمه الله): "فمضتِ السُّنَّةُ أَن يُرَشَّ بَولُ الصَّبِيّ وَيَغسِل بَولُ الجَارِيَةِ"([١٤]). وقال الطبري (رحمه الله):"بول الصَّبية يغسل غسلًا وبول الصَّبي يتبع ماء" وهو قول الحسن البصري.([١٥]) وقال النووي (رحمه الله):"الصَّحيح أنه يجب غسلُ بول الجارية ويجزئ النَّضح في بول الصَّبي".([١٦])

قيل للإمام أحمد: ما تقول في بول الصَّبي الذي لم يطعم؟ قال: "يصبُّ عليه الماء صبًّا"،قيل له فالجارية سواء؟ قال: أحمد" أما الغلام فنعم، وأما الجارية فلا". قال إسحاق: "الغلام يُرشُّ بوله رشًا ما لم يطعم، ويغسلُ بول الجارية طعمت أو لمتطعم".([١٧])

**محاسن التشريع :**

جاءت السنة المطهرة بالتفريق بين بول الصبي والجارية اللذين لم يطعما، ولهذا التشريع حكمٌ عظيمة منها ما أثبته الطبّ الحديث من خلال التحاليل المخبرية التي أجراها فريق بحثي مكون من أصيل محمد علي زكر و أحمد محمد صالح؛"قاما بدراسة نسبة تواجد البكتيريا في بول الأطفال الرضع وحديثي الولادة لمعرفة الفرق بين بول الغلام والجارية الرضع ؛ حيث تم التركيز على عدد البكتيريا في العينات وكذلك نوع البكتيريا من ناحية صبغة كرام (السالبة والموجبة).

واعتمدت هذه الدراسة على عينات جمعت لـ ٧٣ طفلًا تم اختيارهم بشكل عشوائي باستخدام الأكياس البلاستيكية المعقمة والمخصصة لهذا الغرض. فُحصت العينات مباشرة في المختبر باستخدام صبغة جرام (Gram Stain) حيث تم تحضير مسحة من راسب كل بول على شريحة زجاجية ثم صبغها بصبغة كرام و أظهرت النتائج وجود فروق معنوية في نسبة عدد البكتيريا بين الجنسين الذكري والأنثوي وكانت جميعها بكتيريا سالبة لصبغة كرام (p< ٠,٠٥ - ٠,٠٠١) ."([١٨])

---

(١٣)نيل الأوطار (١ / ٥٦) .

(١٤)الأوسط (٢ / ١٤٤).

(١٥)الاستذكار (١ / ٣٥٧) .

(١٦)المجموع شرح المهذب (٢ / ٥٨٩).

(١٧)مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه (٢ / ٣٩٩)

(١٨)الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن و السنة ؛ http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/85-Number-xxvii/789-Boy-baby-is-discrimination-of-the-signs-of-prophecy-Conclusion

تاريخ الزيارة / ١١-٥-١٤٣٤هـ

فالدراسة خلصت للفروق المعنوية بين بولهما ، ويضاف له انتشار بول الجارية الذي يعمّ عورتها بينما يجتمع بول الصبي ، وفي غسل الجارية تطهيرٌ لها و تنظيفٌ لعورتها ؛ لتسلم من البكتيريا ولاشك أن هذا من الرحمة بها و العناية بصحتها و سلامتها .

ثانيًا- الغُسل من الحيض والنفاس وتتبّع أثره بالمِسْك.

فيه حديث عَائِشَة« أَنَّ أَسْمَاءَ، سَأَلَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ: تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا، فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا، حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَطَهَّرُ بِهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِينَ بِهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ، تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ: تَأْخُذُ مَاءً، فَتَطَهَّرُ، فَتُحسِنُ الطُّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا، فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ، نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهنَ فِي الدِّينِ ».([١٩])

**والحكم في هذه المسألة :**

اتفق العلماء على وجوب الطهارة من دم الحيض إذا انقطع، ولتعليمه الغسل من الحيض لعائشة وغيرها من النساء.([٢٠])

قال الشّافعيُّ (رحمه الله): أُحِبُّ لِلحَائِضِ إذَا اغتَسَلَتْ من الحَيْضِ أَنْ تَأْخُذَ شيئًا من مِسْكٍ فَتَتْبَعَبِهِ آثَارَ الدَّمِ فَإِن لم يَكُن مِسكٌ فَطيبٌ ما كان اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ وَالتِمَاسًا لِلطِّيبِ فَإِنْ لم تَفعَلْ فَالمَاءُ كَافٍ مِمَّا سِوَاهُ .([٢١])

**محاسن التشريع :**

من الحكم التي ذكرها الفقهاء في الاغتسال من الحيض و النفاس أنهما نجاسة و الطباع السليمة تستخبث هذه الأشياء لاستحالتها إلى خبث و نتن رائحة فإزالتها تطهرٌ ونظافة وحسن.([٢٢])

و أما الأطباء ففصّلوا هذه الحكم و الفوائد الطبية من الغسل؛"بإزالة البكتيريا السبحية التي تسبب الكثير من الفطريات التي تهاجم الجلد محدثةً أمراضًا معروفة باسم "التينيا" تصيب أجزاء من الجسد، واستمرار هذه البكتيريا الناشئة من الافرازات المتراكمة هي دعوة للميكروبات كي تتكاثر وتنمو ".([٢٣]) وأما استعمال المسك فقال النووي: "اختلف العلماء في الحكمة في استعمال المسك والصحيح المختار الذي قاله الجماهير من أصحابنا وغيرهم أن المقصود باستعمال المسك تطييب المحل ودفع

---

(١٩)متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣١٤) ومسلم (٣٣٤).

(٢٠)بدايةالمجتهد (١ / ٤٦) ، وينظر : البحرالرائقشرحكنزالدقائق (١ / ٦٤) ، الأم (١ / ٤٥) ،

(٢١)الأم (١ / ٤٥) .

(٢٢) ينظر : بدائعالصنائع (١ / ٢٧٢)

(٢٣)الطب منبر الإسلام د. قاسم سويدان، http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1778

الرائحة الكريهة وقيل لأنه أسرع إلى علوق الولد".[٢٤] وفي دراسة طبية حديثة لمعرفة تأثير المسك في التطهير ؛ قامت الباحثة آمنة علي ناصر صديق بدراسة مخبرية على المسك أثبتت من خلالها أنه "يعتبر مصدراً للعلاج كمضاد حيوي طبيعي من الطب النبوي، حيث ظهرت فعاليته في علاج:

١/ بعض الأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان المتسببة عن الأحياء الدقيقة الممرضة مثل: الفطر الممرض Trichophytonrubrumالذي يصيب الجلد والشعر والأظافر، والفطر الممرض niger.Aspergillas حيث أظهر المسك فعالية عالية في مقاومته، وأيضا ظهر له تأثير تضادي كبير تجاه الخمائر مثل خميرة Candidaalbicans. كما تم تحضير مرهم من المسك يستخدم في علاج الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان ، وقد ظهرت له نتائج إيجابية كبيرة.

٢/ وأشارت الباحثة لدراسة أخرى تفيد بأن استعمال المسك بعد الحيض يهيئ الظروف الطبيعية لتواجد عصويات "دودرلين" التي تكبل نمو الجراثيم ويقف نشاطها و يحول دون تكاثرها علاوة على أنها تحول السكر إلى "حمض اللبنيك "وهو القاتل للجراثيم الضارة .

٣/ ثبت تأثيره على الباءة وتحسن العلاقة الجنسية ."([٢٥])

### ٢. في الصَّلاة :

أولاً : النهي عن إبداءِ ما سوى وجهها و كفّيها في الصَّلاة. فيه حديث عَائِشَةَ، قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ الْحَائِضِ إِلَّا بِخِمَارٍ ».([٢٦]) وللحديث شواهد مرفوعة ؛ عن أبي قتادة الحارث السلمي ([٢٧])و أم سلمة ([٢٨])والحسن ([٢٩])وغيرهم .

قَالَ:" وَفِي الْبَاب عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَوْلُهُ الْحَائِضِ يَعْنِي الْمَرْأَةَ الْبَالِغَ يَعْنِي إِذَا حَاضَتْ، قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ عَائِشَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَدْرَكَتْ فَصَلَّتْ وَشَيْءٌ

(٢٤)شرحالنوويعلى صحيح مسلم (٤ / ١٣).

(٢٥)بحث علمي منشور في المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الكويت ، بعنوان :"صور من الإعجاز العلمي لاستخدام المسك كمضاد حيوي للفطريات والخمائر" ، http://www.eajaz.org/index.php/Encyclopedias/Research-Scientific-

(٢٦)رواه الترمذي في جامعه (٣٧٧) قال : حَدَّثَنَا هَنَّادٌ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ الْحَارِثِ، عَنها (رضي الله عنها).

و من طريق حمَّاد بن سلمة به مرفوعًا رواه : أبو داود (٦٤١) و ابن ماجه (٦٥٥) و أحمد (٢٤٦٤٠) و ابن خزيمة في صحيحه (٧٥٣) و ابن حبان في صحيحه (١٧١١) و الحاكم (٢٥١/١) و قال :"هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَأَظُنُّ أَنَّهُ لِخِلَافٍ فِيهِ عَلَى قَتَادَةَ ". إذ روي عنه مرفوعًا و موقوفًا .

قال ابن حجر: " وأعلَّهالدارقطنيبالوقفوقال: إنوقفهأشبه". تلخيصالحبير (١ / ٦٦٥)

وصحَّح رفعه : ابن الملقن "البدرالمنير" (٦ / ٦٧٦)و الألباني "إرواءالغليل" (١ / ٢١٤).

(٢٧)رواه الطبراني في الصغير (٥٤).

(٢٨)رواه أبو داود في سننه (٦٤٠).

(٢٩)رواه الحاكم في مستدركه (٢٥١/١).

مِنْ شَعْرِهَا مَكْشُوفٌ لَا تَجُوزُ صَلَاتُهَا، وَهُوَ قَوْلُ الشافعي، قَالَ: لَا تَجُوزُ صَلَاةُ الْمَرْأَةِ وَشَيْءٌ مِنْ جَسَدِهَا مَكْشُوفٌ.قَالَ الشافعي: وَقَدْ قِيلَ إِنْ كَانَ ظَهْرُ قَدَمَيْهَا مَكْشُوفًا فَصَلَاتُهَا جَائِزَةٌ".([٣٠])

**والراجح في هذه المسألة :"ستر المرأة جسدها في الصلاة":**

أن تغطّي جسمها وتظهر وجهها، وقال مالك: "إذا صلت المرأة وشعرها بادٍ أو صدرها أو ظهرها أو ظهور قدميها فلتعد الصلاة مادامت في الوقت".([٣١]) قال الشافعيُّ: "وعَلَى المَرأَةِ أَن تُغَطِّيَ فِي الصَّلَاةِ كُلَّ بَدَنِهَا ما عَدَا كَفَّهَا وَوَجهَهَا".([٣٢]) وقال ابن قُدامة: "وأما ما عدا الوجه والكفَّين والقدمين فهو عورةٌ بالإجماع لا نعلم فيه خلافًا"([٣٣])، وقال ابن عبد البر: "عن جابر بن زيد تصلي المرأة في درع صفيقٍ وخمار صفيقٍ وهو قول فقهاء الأمصار".([٣٤])

**محاسن التشريع :**

الأمر بستر شعر المرأة وجسدها عند أداء الصَّلاة فيه تربيةٌ عظيمةٌ على الاحتشام والحياء والإذعان لله تعالى والاستجابة لشرعه ، فإن كانت المكلّفة مأمورةً بهذا الخمار والدّرع السابغ في بيتها و خلوتها عند قيامها بين يدي ربها متقرّبةً له بالتعبّد ، منكسرةً متذلّلةً بالدعاء والتهجّد ؛ فكيف تكشفه عندما تخرج من بيتها وتخالط الرجال الأجانب ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله):"روى بَهْزُ بْنُحَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ »([٣٥]) فَإِذَا كَانَ هَذَا خَارِجَ الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ فَتُؤْخَذُ الزِّينَةُ لِمُنَاجَاتِهِ سُبْحَانَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِغُلَامِهِ نَافِعٍ لَمَّا رَآهُ يُصَلِّي حَاسِرًا : "أَرَأَيْتَ لَوْ بَعَثْتُكَ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَكُنْتَ تَذْهَبُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَجَمَّلَ لَهُ أَمِ النَّاسُ؟"([٣٦]). وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا قِيلَ لَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ »([٣٧]) وَهَذَا كَمَا أَمَرَ الْمُصَلِّيَ بِالطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ وَالطِّيبِ فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ فِي الْبُيُوتِ وَتُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ وَعَلَى هَذَا فَيَسْتَتِرُ فِي الصَّلَاةِ أَبْلَغَ مِمَّا يَسْتَتِرُ الرَّجُلُ مِنْ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةُ مِنْ الْمَرْأَةِ وَلِهَذَا أُمِرَتْ الْمَرْأَةُ أَنْ تَخْتَمِرَ فِي الصَّلَاةِ".([٣٨])

---

(٣٠)جامع الترمذي (الصفحة السابقة).

(٣١)المدونةالكبرى (١ / ١٨٥) .

(٣٢)الأم (١ / ٨٩).

(٣٣)الشرح الكبير (١ / ٤٥٩).

(٣٤)الاستذكار (٢ / ٢٠٠).

(٣٥)رواه البخاري (٢٧١).

(٣٦) سنن البيهقي الكبرى (٣٠٠٣) و ابن خزيمة (٧٤٥) بمثله.

(٣٧)رواه مسلم (٩٢).

(٣٨)مجموع الفتاوى (٢٢ / ١١٧).

و من حِكَم التَّشريع و محاسنه رعايةُ جانب الأنوثة و المحافظة عليه وغرس المغايرة بين هيئة المرأة و الرجل ، فإن الجارية عندما تبلغ تؤمر بما يحمي حياءها و يعزّز حشمتها وهذا يدفعها للاعتزاز بطبيعتها والمحافظة على أنوثتها و حيائها وعدم التشبه بالذكور .

**ثانيًا : صلاةُ المرأة في بيتها و المسجد.**

فيه حديثُ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ ».([٣٩])، و عن أُمّ حُمَيْدٍ امْرَأَةِ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ ؟ قَالَ: « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِك، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي»، قَالَ: فَأَمَرَتْ فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِه، فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتْ اللَّهَ([٤٠]).

**والراجح في هذه المسألة :"أيهما أفضل الصَّلاة في البيت أم المسجد؟":**

جواز الصلاة في المسجد مع مراعاة آداب الخروج إذا أذن الزوج ، وبيتها خيرٌ لها. قال أبو بكر الكاساني: "لا خلافَ في أن الأفضل أن لا يخرجن في صلاة".([٤١]) وسئل مالك: "هل يكره للنساء الخروج إلى المسجد أو إلى العيدين أو إلى الاستسقاء قال: أما الخروج إلى المساجد فلا يمنعن، وأما الاستسقاء والعيدين فإنا لا نرى به بأسا أن تخرج كلُّ امرأةٍ متجالة"([٤٢]) قال الشافعي: "وَأَحَبُّ إلي لذَوَاتِ الهيئَةِ أَن يُصَلّيَنَا فيبُيُوتِهِنَّ."([٤٣]) وقال النووي: "جماعة النساء في البيوت أفضل من حضورهن المساجد، قال أصحابنا: وصلاتها في ما كان من بيتها أستر؛ أفضلها، وإن أرادت المرأة حضور المسجد للصلاة قال أصحابنا: إن كانت شابةً أو كبيرةً تشتهي كُره لها وكُره لزوجها ووليّها تمكينها منه، وإن كانت عجوزًا لا تشتهى لم يكره"، وقال "يستحب للزوج أن يأذن لها إذا استأذنته الي المسجد للصلاة إذا كانت عجوزًا لاتشتهي وأمن المفسدة عليها وعلى غيرها للأحاديث المذكورة فإن منعها لم يحرم عليه، هذا مذهبنا

---

(٣٩) رواه أبو داود (٥٦٧) قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، حَدَّثَنِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ مرفوعًا .

قال النووي :"رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري" المجموع شرح المهذب (٤ / ١٩٧) وقال البوصيري : "إسناده صحيح " اتحاف الخيرة المهرة (٢ / ١٨)، وقال الألباني :"إسناده حسن" إرواءالغليل (٢ / ٢٩٣).

و أصل الحديث متفقٌ عليه بدون الزيادة في آخره ، رواه البخاري (٥٢٣٨) ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ نِسَاؤُكُمْ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأْذَنُوا لَهُنَّ» ومسلم (٤٤٢).

(٤٠)رواه أحمد (٢٦٥٤٩) قال: حَدَّثَنَا هَارُونُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْب، قَالَ: حَدَّثَنِي دَاوُدُ ابْنُ قَيْس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَمَّتِهِ أُمِّ حُمَيْدٍ مرفوعًا .

ورواه من طريق ابن وهب به : ابن خزيمة في صحيحه (١٥٩٤) و ابن حبان في صحيحه (٢٢١٧) قال ابن حجر :"وإسنادأحمدحسن ". فتحالباري(٢ / ٣٤٩)

(٤١)بدائع الصنائع (٣ / ٨٧).

(٤٢)المدونة الكبرى (١ / ١٩٥).

(٤٣)الأم (١ / ٢٤٦).

قال البيهقي: وبه قال عامَّةالعلماء"[٤٤] قال ابن قدامة:" وَيُبَاحُ لهنّ حُضُورُ الجمَاعَةِ مَعَ الرِّجَالِ؛ وَصَلَاتُهَا فِي بَيْتِهَا خَيْرٌ لها وأَفضلُ"[٤٥].

**محاسن التشريع:**

١/ قال ابن حجر: "ووجه كون صلاتها في الإخفاء أفضل؛ تحقُّق الأمن فيه من الفتنة".[٤٦]

٢/ اختصاصها بالبيت في أخفى مكانٍ فيه للخلوة بربها والصلاة وحدها أبلغ في خشوعها وأجمع لقلبها وبعدها عن الضوضاء وقلقها على بيتها وأطفالها لو خرجت للمسجد وتركتهم.

٣/ صلاتها في مخدعها في بيتها ؛ أدعى لخفاء عملها والإسرار بحسنتها ، وإطالة صلاتها ، وبعدها عن اللغو الذي قد يحدث إذا اجتمعت بالنساء في المساجد والله أعلم.

**ثالثًا: المباعدة من صفوفِ الرجال، و اختصاص المرأة عند الفتح على الإمام "بالتصفيق".**

فيه حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا».[٤٧] وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «التَّسْبِيحُ للرِّجَالِ وَالتَّصْفِيق لِلنّسَاءِ».[٤٨]

**الراجح في صلاة المرأة في الصفِّ:**

الخيريَّة في آخر الصُّفوف للنساء اللاتي يتقدَّمهن الرجال، فإن صلَّت المرأة بين صفوف الرِّجال بسبب الازدحام كما يحصل في الحرم المكّي فالراجح ؛ صحّة الصَّلاة مع الكراهة عند مالك والشافعي وأحمد وتفسد عند أبي حنيفة.

قال السَّرخسي: "فَإِن كَانَ صَفٌّ تَامٌّ مِن النِّسَاءِ وَرَاءَهُنَّ صُفُوفٌ مِن الرِّجَالِ فَسَدَت صَلَاةُ تِلكَ الصُّفُوفِ كُلِّهَا اسْتِحسَانًا"[٤٩].

وسئل ابن القاسم: "إذا صلَّت المرأة وسط الصف بين الرجال أتفسدعلى أحد من الرجال صلاته في قول مالك؟ قال: لا أرى أن تفسد على أحد من الرجال وعلى نفسها. قال: وسألنا مالكًا عن قوم أتوا المسجد فوجدوا رحبةً المسجد قد امتلأت من النساء وقد امتلأ المسجد من الرجال فصلَّى

(٤٤)المجموع (٤ / ١٩٨-١٩٩).

(٤٥)المغني (٣ / ٤٤٢).

(٤٦)فتح الباري (٢ / ٣٤٩).

(٤٧)رواه مسلم (٤٤٢).

(٤٨)متفقٌ عليه، رواه البخاري (١٢٠٤) ، و مسلم (٤٢٣) بزيادة في أوّله .

(٤٩)المبسوط (٢ / ٣١).

رجالٌ خلف النساء بصلاة الإمام؟ قال: صلاتهم تامَّة ولا يعيدون، وقال ابن القاسم: فهذا أشدّ من الذي صلَّى في وسط النساء"([٥٠]).

قال الشافعي: " وَلَو أَنَّ رَجُلاً أَمَّ رِجَالاً وَنِسَاءً فَقَامَ النِّسَاءُ خَلفَ الإِمَامِ وَالرِّجَالُ خَلفَهُنَّ أو قام النِّسَاءُ حِذَاءَ الإِمَامِ فَاتَمَمنَ بِهِ وَالرِّجَالُ إِلَى جَنبِهِنَّ كَرِهت ذلك لِلنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَالإِمَامِ ولم تَفسُد على وَاحِدٍ منهم صَلاَتُهُ"([٥١]).

قال ابن قدامة: "والصفُّ الاول أفضل للرجال، وللنساء بالعكس"([٥٢]).

وأما التصفيقُ؛ فاختلفوا فيه للنساء؛ فقال مالك و جماعة: "إن التسبيح للرِّجال والنّساء"، وقال الشافعيّ وجماعة: "إنما التصفيق للنّساء"و لو صفّق الرجل و سبحت المرأة جاز ؛ لكن خالفا السنة، وهذا الراجح لقيام الدليل عليه([٥٣]).

**محاسن التشريع:**

١/ تفضيل الصفوفِ الأخيرة؛ لبعدها عن مخالطة الرجال بخلاف الوقوف في الصفِّ الأول من صفوفهن فإنه مظنَّة المخالطة لهم وتعلُّق القلب بهم المتسبِّب عن رؤيتهم وسماع كلامهم ولهذا كان شرُّها([٥٤])، وهذا من السُّنة التي هدى إليها نبينا صلى الله عليه وسلم ومن سنَّةخلفائه؛ التمييزُ بين الرجال والنساء..وهذا كله لأن اختلاط أحد الصّنفين بالآخر سببُ الفتنة، فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والحطب([٥٥]).

قال السَّرخسي: "لأَنَّ حَالَ الصَّلَاةِ حَالُ المُنَاجَاةِ فَلَا يَنبَغِي أَن يَخطِرَ بِبَالِهِ شَيءٌ مِن مَعَانِي الشَّهوَةِ فِيهِ، وَمُحَاذَاةُ المَرأَةِ إِيَّاهُ لَا تَفَكُّ عَن ذَلِك عَادَةً"([٥٦]).

٢/ قال القاضي أبو بكر بن العربيّ: "في قوله صلى الله عليه وسلم: «التَّصفِيق لِلنّسَاء» يعني أن أصواتهن عورةٌ فلا يُظهرنه"، والصَّحيح عند الشافعية أن صوتها ليس بعورةٍ؛ نعم إن خُشي الافتتان بسماعه حُرّم وإلا فلا([٥٧])، فالتعليل بخوفِ الافتتان أولى كما ذكره ابن عبد البرّ فقال في الاستذكار: "وأبيح لهنَّ التصفيق لأن صوتَ المرأة فتنةٌ ولهذا مُنعت من الأذان والإقامة والجهرِ بالقراءة في صلاتها"([٥٨]).

---

(٥٠)المدونة الكبرى (١ / ١٩٥).

(٥١)الأم (١ / ١٧٠).

(٥٢)الشرح الكبير (٢ / ٧٣).

(٥٣)المدونةالكبرى (١ / ١٩٠)،أسنىالمطالبفيشرحروضالطالب (١ / ١٨١) ، بدايةالمجتهد (١ / ١٩٨).

(٥٤)نيلالأوطار (٣/ ٢٢٤).

(٥٥) الاستقامة (٣٥٩/١).

(٥٦) المبسوط (٣٠/٢).

(٥٧) طرح التثريب (٤٠١/٢).

(٥٨) (٢٤٨/٢).

٣/ و من حكم التشريع؛ أن حكم كلّ نوعٍ من الذكور و الإناث تبعٌ لما خُصّ به، للتقسيم والتنويع الصَّريح في الحديث، وبه يتمايز الرجال من النساء، والإسلام يحقّق هذا التمايز لتستقل شخصية كل منهما عن الآخر تبعًا لطبيعتها ولا يتشبه نوعٌ بآخر.

٤/ المتأمِّل لأحكام صلاة النساء في المساجد وما نيط بها من شروط و محترزات بمثابة الأنظمة الوقائية في أطهر مكان على الأرض يدرك خطورة شأن الاختلاط بين الجنسين!

"إن الإسلام يهدفُ إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سُعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي، والإسلام يسعى لإبقاء الدافع الفطري العميق للميل بين الجنسين، سليمًا، وبقوَّته الطبيعية، دون استثارة مصطنعة، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف"([٥٩]).

**رابعًا: ترك الصَّلاة زمن الحيض.**

فيه حديث أبي سعيدٍ الخدري قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ، فَذَلِكنُقْصَانُ دِينِهَا»([٦٠]).

حكم ترك الصَّلاة زمن الحيض:

قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن الحائض لا صلاة عليها في أيام حيضتها، فليس عليها القضاء"([٦١]).

**محاسن التشريع:**

١/ من رحمة الإسلام بالمرأة زمن حيضها تشريع ترك الصَّلاة، مراعاةً لحالتها الصحيّة: "فالمرأة إذا حاضت تكون في حالة جسمية و نفسية "فسيولوجية" مرهقة، حيث يصاحب الحيض آلام تختلف في شدَّتها من امرأةٍ إلى أخرى، وأكثرهن يصبن بأوجاع الظهر وأسفل البطن وبعضهن تزيد آلامهن فوق الاحتمال مما يستدعي استعمال الأدوية و المسكنات و تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض وخاصة عند بدايتهوتكون المرأة عادة متقلِّبة المزاج سريعة الاهتياج، كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها أثناء الحيض"([٦٢]).

٢/ أداء الصلاة بما فيها من ركوع وسجود يسبب اندفاع الدَّم بكثرة إلى الرحم، مما يؤدي إلىفقدانه ونزوله في دم الحيض؛ فيشتدّ النزف و يضعف الجهاز المناعي بجسمها؛ لأنكريات الدم البيضاء التي

---

(٥٩)في ظلال القرآن (٤ / ٢٥١١).

(٦٠)متفقٌ عليه، رواه البخاري (١٩٥١) ومسلم (٨٢).

(٦١)الإجماع (ص ٤٢).

(٦٢)خلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار –استشاري الأمراض الباطنية وعضو الكلية الملكية الطبية بلندن والعضو المؤسس في هيئة الإعجاز العلمي بمكة المكرمة - ، وقد سرد أعراضًا كثيرة للمتاعب الجسمية ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

http://www.quran-m.com/firas/arabicold/print_details.php?page=show_det&id=1577

تقوم بدور مهم في المناعة، تضيع عبر دماء الطمث المفقودةمن الجسم، ولذا ينصح الأطباء الحائض بالراحة([٦٣]).

خامسًا: النهي عن اتباع الجنائز.

فيه حديث أُمِّ عَطِيَّة قَالَت: «نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»([٦٤]).

الراجح في حكم اتباع الجنائز:

كراهة اتباع النِّساء الجنازة؛ قال النووي: "وهو مذهبنا ومذهب جماهير العلماء، حكاه ابن المنذر عن ابن مسعود وابن عمر وأبي أمامة وعائشة ومسروق والحسن والنخعي والأوزاعي وأحمد وإسحق وبه قال الثوري"([٦٥]).

وسئل مالك؛ "هل يوسَّع للنساء أن يخرجن مع الجنائز؟ قال: نعم، قال مالك: لا بأس أن تشيع المرأة جنازة ولدها ووالدها ومثل زوجها وأخيها وأختها، إذا كان ذلك مما يعرف أنه يخرج مثلها على مثله"([٦٦]).

قال ابن المنذر: "وَكَانَ مَالِكٌ لَا يَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِنِسَائِهِ"([٦٧]).

**محاسن التشريع:**

١/ كراهة اتباع الجنائز للمرأة رحمةً بها من شهود ما يستدعي جزعها و يفوّت فضيلة صبرها واحتسابها؛ فإن احتمال هذا الموقف العصيب والمنظر المهيب واتباع الميت إلى المقبرة من الأهوال العظيمة التي لا تطيقها كل ثكلى ولا تصمد لها كل ذات فقيد!

٢/ أنه من باب الصَّون والسَّتر([٦٨])؛ وهذا يؤكّد سعي الشريعة للحفاظ على النساء بعيدًا عن أعين الرجال ومخالطتهم في أحرى الأماكن بعدًا عن الفتنة؛ حيث تكون القلوب منكسرة لقرب عهدها بالموت ورؤيتها الجنازة محمولة على الأكتاف؛ فما بالك بما سواه!

**الخاتمة**

فمن كمال التشريع الرَّباني و عظمته موافقته للفطرة التي خلق عليها البشرية، وهذا التوافق التام للطبيعة الإنسانية آيةٌ باهرةٌ و دليلٌ قاطع من دلائل الإعجاز الذي حيّر الطبَّ و أدهش الحضارة وسبق العلوم كلها للحقيقة اليقينية الناطقة.

---

(٦٣) معجزة الصلاة بقلم / يوسف أبكر المدني ، مجلة المجتمع الصحي بتاريخ: ٢٠٠٦/٠٤/٢٩م.

(٦٤) رواه مسلم (١٥٦٢).

(٦٥)الأوسط (٥ / ٣٨٧) ، المجموع (٥ / ٢٧٨).

وينظر:حاشيةردالمختار (٢ / ٢٣٢)،البيانوالتحصيل (٢ / ٢٢٢)، الشرحالكبيرلابنقدامة (٢ / ٣٦٤)، الكافي (١ / ٣٦٨)، مجموعالفتاوى (٢٤ / ٣٤٥).

(٦٦)المدونة (١ / ٢٦٢).

(٦٧)الأوسط (٥ / ٣٨٨).

(٦٨)البيان والتحصيل (٢ / ٢٢٢).

وقد رأينا تجليات تلك الدلائل المعجزة فيما شرع للمرأة من أحكام خاصة في الكتاب و السنة، وهي تردّ بعلوم العصر المتقدمة على من اتهم الشريعة و السُّنة بالباطل ظلمًا و عدوانًا، وتشهد على أن إصلاح المرأة و إسعادها و انتظام حياتها على الوجه الأكمل لا يتحقق إلا بالتسليم لله رب العالمين والانقياد لشرعه المتين واتباع هدي نبيه خاتم الأنبياء و المرسلين، محمد صلى الله عليه و على آله و صحبه أجمعين.



# الحداثة وأثرها في تعطيل مقاصد السنة النبوية

د. موسى عمر كيتا

تكر الحاج موسى



## ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز آثار حركة الحداثة/التنوير في تعطيل مقاصد السنة النبوية الشريفة، والتي يكفيها شرفا أنه لا إسلام بدونها، فمن ردها فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقد جعل الله اتباع السنة شرطا لنيل حب الله وغفرانه، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وما كان هذا شأنه فحري أن يقدسه المسلم ويذب عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وتهدف هذه الدراسة أيضا إلى كشف ما تتعرض له السنة النبوية من الهجوم الشرس، من قبل أناس من بني جلدتنا، الذين انبهروا بالحضارة الغربية غثها وثمينها، فتلاعبوا بثوابت دينهم ومقدساته، وهم إذ يفعلون ذلك لا يكاد الواحد منهم يعرف من الذي يدفع أجرة الزمار فيما يقدم عليه؟!(كما ذكرت فرنسيس ستونر سوندرز في مؤلفها المعنون بـ"منيدفع أجرة الزمار"، مؤكدة دور وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تمويل مثل تلك الحركات). فتعرضت مقاصد السنة النبوية للتعطيل المقصود من قبل الحداثيين ومناهج بحثهم في التعامل مع هذه المقاصد. فسعوا إلى صهر السنة ومقاصدها في بوتقة تاريخها القديم، فلم تعد -لديهم- صالحة لكل زمان ومكان. ودعوا إلى نبذ كل قديم، حتى ولو كان هذا القديم قرآنا كريما أو سنة ثابتة. ورأوا أن العقل البشري قادر في تنظيم حياة الناس سياسيا واجتماعيا. متذرعين إلى ذلك بفصل الدين عن السياسة والدولة، زاعمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كانت ولايته على قومه ولاية روحية معنوية، لا ولاية مادية تصلح لتدبير مصالح الحياة وعمارة الأرض. فولايته لله وللدين، لا للدنيا وللناس. فسنة الرسول لديهم غير قادرة على إيجاد الحلول للقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة. كما تمسك الحداثيونبحديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[1]، كدليل على ترك العمل بالسنة الصحيحة في كثير من أمور السياسة والحكم، والاكتفاء بما تهواه أنفسهم.

---

١الحميدي، محمد بن فتوح. اللجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: د. علي حسين البواب. ط٢، (لبنان-بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ١٥٨/٤، رقم الحديث: ٢٣٨٩.

**المقدمة:**

الحمد لله القائل: ﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[٢] سبحانه حذر من مخالفة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] ولقد تعرضت سنته صلى الله عليه وسلم للإساءة ممن ينتمون إلى الإسلام؛ انحرفوا عن الجادة، وأعجبوا بكل ما هو غربي، وسعوا إلى نشر ما لُقِّنُوا من الخارج. فلقد أثيرت اعتراضات كثيرة حول ثبوت ما دوِّن من السنن، وقدرتها على إيجاد حلول ناجحة للقضايا الممعاصرة في مجالات شتى. وبعض هؤلاء الذين طعنوا السنة هم من بني جلدتنا "ممن انحرفوا عن الطريق القويم، وتنكروا لشريعة الله الصالحة لكل زمان ومكان؛ لتشربهم أفكار أعداء الأمة, فأخذوا يلهثون وراء الحضارة الغربية المادية التي لا تحكمها أصول ولا ضوابط، فنظروا إليها على أنها القادرة على تحقيق آمالهم وطموحاتهم، فتأثروا بكل إفرازاتها بما في ذلك مناهج البحث والتعامل مع نصوص القرآن والسنة..."[٤]فكانوا لا يرون لنص القرآن والسنة الصحيحة فضلا على كلام إنسان عادي، إذ الجميع يصح أن ينتقد، ويقبل ما يحقق آمالهم وطموحاتهم، ويرفض ما يتعارض مع عقولهم.

والحاصل أن الاتجاهات- تجاه قضية التنوير والحداثة- ثلاثة، اتجاه محافظ رفض الثقافات الغربية بكل أشكالها، لأنه يرى أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. أما الاتجاه الثاني فيرى أنه لن يستقيم أمر الأمة الإسلامية حتى تحتضن الحضارة الغربية؛ ففيها –فقط-أسباب التقدم والتمدن؛ فهؤلاء يرون أنه لا تتقدم الأمة الأمة الإسلامية إلا بتحقيق القطعية المعرفية مع تراثنا. والاتجاه الثالث هو المعتدل الذي جعل ثوابت دينه معيارا لمعرفة ما يأخذه أو يرده من الثقافات الوافدة، فيجمع بين الأصالة والمعاصرة مسترشدا بنور شريعة الله تعالى.[٥]وسبب وقوع الحداثيين المسلمين في خطأ أنسنة النصوص المقدسة هو جمعهم بين "الانبهار بالعقل الغربي ومنجزاته، وبين احتقار العقل العربي والتنكر لمنجزاته والتقليل الكامل من شأنها".[٦]وتهدف الدراسة إلى كشف أثر حركة الحداثة في تعطيل مقاصد السنة النبوية, والتي تتمثل في:

- تبليغ القرآن الكريم وتطبيق عملي له: (فرد السنة رد للقرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٧]﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٨]

---

٢سورة الحشر، الآية:٧.

٣سورة النور، الآية:٦٣.

٤عواد، إبراهيم بركات عيال. الحداثة وموقفها من متن الحديث النبوي "خليل عبد الكريم أنموذجا". دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد:٣٨، العدد:٢، ٢٠١١م. عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. ص:٥٨١.

٥ ينظر في : المقالح، عبد العزيز. أصوات من الزمن الجديد.دراسات في الأدب المعربي المعاصر. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٨٠/٧/١٠م), ص: ٨٩-٩٠.

٦حمودة، عبد العزيز. المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية. عالم المعرفة:سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، (٢٧٢)، ص:٥٠-٥١.

٧سورة آل عمران، الآية:٣١.

- تمكين معنى الإيمان بالله تعالى وهجران الطواغيت بجميع أصنافها القديمة والمعاصرة.
- تطهير المجتمع وتزكيته؛ تزكية جسدية وروحية. (ويزكيهم...)
- شرح وبيان مجمل القرآن (كان خلقه القرآن).
- من مقاصد السنة النبوية: معرفة أخلاقة صلى الله عليه وسلم الأمر الذي ييسر الاقتداء به في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم.

**أهداف البحث:**

يأمل الباحثان بنهاية هذا البحث أن يحققا الأهداف الآتية:

١. بيان خطورة مخالفة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنها وحي من الله تعالى غير متلو، إذ النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.
٢. تأكيد أهمية الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، مع بيان حاجة الأمة إلى من يقومون به أحسن قيام مستوفين لشروطه عارفين ضوابطه ومجالاته.
٣. إثبات أن الحداثيين من المسلمين إنما يلقنهم الغرب كل ما يقولونه، فما هم إلا جسرا تعبر فوقه مؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين.
٤. إبراز مواقفهم من سنته صلى الله عليه وسلم، مع تأكيد جرأتهم في طعن ونقد نصوص شرعية إذا ما حالت بينهم وبين ما تشتهيه أنفسهم.

وقد حرص الباحثان على اتخاذ قضية "الحرية"–بمفهومها الغربي- كنموذج يصول ويجول حوله الحداثيون. مع بيان نظرتهم التفكيكية إلى النصوص الشرعية التي جردوها من قدسيتها كي يتمكنوا من نقدها كما يحلو لهم وبلا رادع يحول بينهم وبين ذلك.

**خطة البحث:**

١ المقدمة .
٢ المطلب الأول: شرح مفردات العنوان: الحداثة والأثر والتعطيل والمقاصد والسنة.
٣ المطلب الثاني: الحداثة ملامح ودلالات.
٤ المطلب الثالث: أفكار ومعتقدات.
٥ المطلب الرابع: نماذج من أقوال الحداثيين المخالفة لروح الشريعة ومقاصدها.
٦ المطلب الخامس: صور مواقف الحداثيين من شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- ومقاصد سنته الشريفة.
٧ الصورة الأولى: التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم، وثبوت بعض الأحاديث

٨سورة النساء، الآية:٥٩.

الصحيحة أو تأويلها تأويلا باطلا.

8. الصورة الثانية: فصل الدين (السنة) عن الدولة والسياسة.

الصورة الثالثة: حصر ولايته صلى الله عليه وسلم على قومه في الولايةالروحية.

الصورة الرابعة: نفي كون السنة مثل القرآن في وجوب الحكم ولزوم العمل بها.

9. الصورة الخامسة: الدعوة إلى التقارب بين الأديان.

10. الخاتمة في أهم النتائج.

## المطلب الأول

## شرح مفردات العنوان: الحداثة والأثر والتعطيل والمقاصد والسنة

### الحداثة:

الحداثة كمصلح عند دعاتها فهي: "اتجاه أو منزع ينتهي إلى قطيعةشاملة مع التراث، تنطوي على تحقير هذا التراث والتهوين من شأنه وقطع صلةالأمة بماضيها لتبدأ من الصفر وقد سلب منها كل مقومات هويتها، وتصبح مستعدةلأن تصاغ كما يريد الآخرون"، واختصر د. مصطفى حلمي معنى الحداثة في قوله: "نقدالمقدس وهدمه"، وعرفها د. إبراهيم الخولي بأنها: ضرب المقدس وطعن التراث يعني تمييع المواقفوعدم الاعتراف بكل ما هو ثابت.

أما محاولة البعض لدينا أن يلبسها ثوب التحديث زوراً فهو لون من الكذبوالتضليل؛ وفرق أي فرق بين التحديث "الأخذ بتقنيات العصر"، وبين الحداثةالتي تعني ضرب القيم وطعن المقدس الذي هو لون من الزندقة...[9]

ومن التعريفات الشاملة للحداثة ما جاء في الموسوعة الميسرة من أن الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها.[10]

### الأثر:

الأثر بقية الشيء، والجمع آثار وأثور... والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثرا.[11] الفرق بين الاثر والعلامة: أن أثر الشئ يكون بعده، وعلامته تكون قبله، تقول: الغيوم والرياح علامات المطر، ومدافع السيول آثار المطر.[12]

---

٩ عبد الغني، وائل. سقطة الحداثة والخصوصية الغربية. مجلة البيان، (تصدر عن المنتدى الإسلامي)، العدد:١٩٠، ص:٤٦.

١٠ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي). إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦٧/٢.

١١ ابن منظور. لسان العرب. ٥/٤، مادة "أثر".

**التعطيل:**

أما التعطيل فمن قولك: عَطَّل يُعطِّل تعطيلا، يقال: عطّلت الرعية إذا لم يكن لها والٍ يسوسها، فهم معطلون، وقد عُطِّلوا: أي أُهْمِلوا. وإبل معطلَة لا راعي لها. والمعطل: الموات من الأرض. وإذا ترك الثغر بلا حام يحميه فقد عطل، والمواشي إذا أهملت بلا راع فقد عطلت، والتعطيل: التفريغ، وعطل الدار أخلاها، وكل ما ترك ضياعامعطل.[١٣]

**السنة:**

السنة في اللغة تعني الطريق وما سنه أوائل الناس وسار من بعدهم عليه، ومنه يقال: سَنَّ فلان طريقا من الخير يَسُنّه: إذا ابتدأ أمراً من البرّ لم يعرفه قومه، فاستنوا به وسلكوه.

جاء مختار الصحاح يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على سَنَنِكَ و سُنَنِكَ، أي على وجهك، وتنح عن سَنَنِ الطريق وسُنَنِهِ وسِنَنِهِ ثلاث لغات، والسُّنَّةُ السيرة.[١٤] فالسنة: الطريقة ومنها الحديث في مجوس هَجَر سُنُّوا بِهم سُنّة أهل الكتاب أي اسلكُوا بِهم طريقَهم يعني عامِلوهم معاملة هؤلاء في إعطاء الأمان بأخْذ الجِزْية منهموسَنَنُ الطريق مُعْظَمُه ووَسطُه وقوله فمرَّ السهمُ في سَنَنه أي في طريقه مستقيماً كما هو لم يتغيّر أي لميرجع عن وجهه.[١٥]

والسنة في الشريعة: هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب، فالسنة ما واظب النبي ص - عليها مع الترك أحيانا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد. فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين، وهي التي تتعلق بتركها كراهة أو إساءة. وسنة الزوائد هي التي أخذها هدى أي إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسير النبي صلى الله عليه وسلم - في قيامه وقعوده ولباسه وأكله. وهي مشترك بين ما صدر عن النبي ص - من قول أو فعل أو تقرير وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم -عليه بلا وجوب وهي نوعان:

سنة هدى ويقال لها السنة المؤكدة: كالأذان والإقامة والسنن والرواتب والمضمضة والاستنشاق على رأي وحكمه كالواجب المطالبة في الدنيا إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب.

وسنن الزوائد: كأذان المنفرد والسواك والأفعال المعهودة في الصلاة وفي خارجها وتاركها غير معاقب.[١٦]

---

١٢ بيات، بيت الله. معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري. تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة. ط١، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين)، ص:١٥.

١٣ابن منظور. المرجع السابق. ٤٥٣/١١، مادة "عطل".

١٤ عبدالقادر الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. تحقيق : محمود خاطر. (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ص:٣٢٦, باب السين.

١٥ ابن المطرز، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد. المغرب في ترتيب المعرب. تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار. ط١، (حلب: مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩ م)، ٤١٧/١-٤١٨. (السين مع النون).

١٦الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص:١٦١-١٦٢.

ولقد تحدد مفهوم السنة بعد أن استقرت المصطلحات في أبواب الفقه وأصوله وعلم الحديث، وسار العلماء عليها في ثنايا مؤلفاتهم:

فالسنة عند علماء الحديث: هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، سواء أدل ذلك على حكم شرعي أم لا.

وعند علماء أصول الفقه: هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلًا لحكم شرعي، أما السنة عند علماء الفقه هي كل ما ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم.[١٧]

## المطلب الثاني

## الحداثة في سطور

يكتفي الباحثان بالإشارة إلى أبرز شخصيات الحداثة ومعتقدات متبنيها، كي يدرك القارئ أن ما يقال عن الحداثيين ليس مبالغا فيه، فما ظهر من مخططاتهم الهادفة إلى هدم مقومات الإسلام أقل مما خفي، وما حققوه دون ما يأملون، وذلك نتيجة لجهود علماء ربانيين كرسوا حياتهم من أجل الذب عن هذا الدين، فطوبى لمن بذل أغلى ما يملكه من أجل نصرة هذا الدين قرآنا وسنة.

**ظهور الحداثة:**

أما عن تاريخ ظهورها فإنه يصعب تحديد ذلك، للصلة القوية بينها وكل حركة مناوئة لشريعة الله تعالى، فالأسماء متعددة والدوافع واحدة، والأهداف منصبة في خانة واحدة, والأمور بمقاصدها. لذا يعتبر ما يقال من أن الحداثة ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أو قبل ذلك أو بعده بقليل إنما هو باعتبار ظهورها في ثوبها الجديد. وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد في الموسوعة الميسرة من أن الحداثة بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي.

رموز الحداثة من الغربيين:

- شارل بودلير ١٨٢١ - ١٨٦٧م ... ويعد شارل بودلير مؤسس الحداثة في العالم الغربي.
- الأديب الفرنسي غوستاف فلوبير ١٨٢١ - ١٨٨٠م.
- مالا راميه ١٨٤٢ - ١٨٩٨م وهو شاعر فرنسي ويعد أيضاً من رموز المذهب الرمزي.
- الأديب الروسي مايكوفسكي، الذي نادى بنبذ الماضي والاندفاع نحو المستقبل.

رموز الحداثة في البلاد الإسلامية:

---

١٧ عبد المطلب, رفعت بن فوزي. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته.ط١، (مكتبة الخنانجي بمصر)، ص:١٧.

- يوسف الخال - الشاعر النصراني وهو سوري الأصل رئيس تحرير مجلة شعر الحداثية.

- أدونيس (علي أحمد سعيد) نصيري سوري، ويعد المُروِّج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية...

- د. عبد العزيز المقالح، وهو كاتب وشاعر يماني.

- عبد الله العروي - ماركسي مغربي.

- محمد عابد الجابري مغربي.

- الشاعر العراقي الماركسي عبد الوهاب البياتي.

- الشاعر الفلسطيني محمود درويش - عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء إقامته بفلسطين المحتلة.

- محمد أركون، والشاعر المصري صلاح عبد الصبور - مؤلف مسرحية الحلاج.[١٨]

## المطلب الثالث

## أفكار ومعتقدات

إن الحداثيين يهدفون إلى فصل الحياة عن الدين أيا كان هذا الدين، والله تعالى يقول ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾. ولكن الواقع يثبت أنهم إنما يدعون إلى دين يرضونه، فهم كما قال سعيد بن ناصر الغامدي: "الحداثة ليست فقط لا دين لها، بل هي تتدين بهدم دين الإسلام ومناقضة وهدم أصوله ومحاربته بكل الوسائل الدنسة الخبيثة، إنها امتداد لا ريب فيه للجاهلية الأولى، ولكن بأسلوب حديث..."[١٩]

فالحداثة إذًا لفظة تدل على مذهب فكري جديد يحمل جذوره وأصوله من الغرب، بعيدا عن حياة المسلمين، بعيدا عن حقيقة دينهم، ونهج حياتهم في ظلال الإيمان، والخشوع للخالق الرحمن.٢٠ إنها حركة لها أفكارها ومعتقداتها، تناضل من أجلها، ترضى وتبغض لها، توالي من قَبِلَ دعوتهم وتتبرأ ممن لم يؤمن بها، وهذا شأن كل متدين بدين من الأديان، فهم إنما فروا من دين الله تعالى إلى دين من صنع البشر، لذا تجدهم دائما يدعون إلى ضرورة تفكيك المقدسات ونقدها كشرط من شرط التحرر من أغلالها التي طالما كبّلت الناس على مر العصور حسب زعمهم. فهي نتيجة للتيه الذي دخلته أوروبا، كما قال د.عدنان علي رضا النحوي:

---

١٨ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. المرجع السابق.٨٦٧/٢-٨٦٨.

١٩الغامدي، سعيد بن ناصر. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها: دراسة نقدية شرعية. ط١، (جدة: دار الأندلس الخضراء،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص:١٢٢٩.

٢٠ ( الحداثة في منظور إيماني ص:٢٢).

"لقد ظهرت الحداثة في العالم الغربي امتدادا طبيعيا للتيه الذي دخلته أوروبا منذ العصور الوثنية عند اليونان والرومان، امتدادا إلى عصر الظلمات".[٢١]

وأكبر مظهر من مظاهر الحداثة يتمثل في الدعوة إلى التحرر من التراث، أيا كان هذا التراث. إنها ثورة عارمة على كل مقدس، يقول أدونيس في الثابت والمتحول: "المظهر الأول لهذه الثورة هو في التحرر من التقليد، سواء كانت هذه التقاليد عبادات أو عادات..."[٢٢] وقد أشار محمد عابد الجابري إلى كيفية التحرر من سلطة التراث علينا وكيف يمارس المرأ سلطته على هذا التراث، فذهب إلى أن ذلك إنما يكون بتفكيك هذا التراث أيا كان نوعه، ويقصد بالتفكيك: "تفكيك العلاقات الثابتة في بنية ما بهدف تحويلها إلى لا بنية، إلى مجرد تحولات. وهذا يندرج تحته، كما هو واضح، تحويل الثابت إلى متغير، والمطلق إلى نسبي، واللاتاريخي إلى تاريخي، واللازمني إلى زمني...[٢٣]

وإنه ليهون الخطب بالنسبة لمن يطلع على من يقفون وراء هذه الحركة، فإنه إذا عرف السبب بطل العجب، فقد أثبتت الدراسة التي قامت بها "فرانسيس ستونر سوندرز" كما ذكر ذلك الدكتور عبد العزيز حمودة في المرايا المقعرة، وذلك في معرض إثبات وجود مؤامرة غربية موثوقة ضد الثقافات القومية، قال:

"في بداية ١٩٩٩ ظهرت في السوق دراسة مطولة لباحثة إنجليزية شابة تخرجت في جامعة أكسفورد قبل ذلك بأعوام قليلة جدا، هي "فرانسيس ستونر سوندرز"، نشر لها: من دفع أجرة العازف؟ Who Paid th Piper?: The CIA and the Cultural Cold War. وضخامة الدراسة وعدد الوثائق التي رجعت إليها الباحثة، وهي بالمئات...، وعدد اللقاءات التي عقدتها الباحثة الشابة مع الأطراف التي كانت تعرف بدور المخابرات الأمريكية والبريطانية في تمويل الأنشطة الثقافية في شتى أنحاء العالم، بما في ذلك الأنشطة الحداثية بالطبع،...[٢٤].ومما أوردته الباحثة مما يؤكد ذلك، قولها:

There was a genuine community of interest and conviction between the Agency and those intellectuals who were hired, even if they didn`t know it, to fight the cultural Cold War.[25]

**ترجمة:**

(هناك مصالحمشتركة حقيقية وثقة بين الوكالة وأولئك المثقفين الذين تم تأجيرهم-حتى لو لم يكونوا يعرفون ذلك-، ليخوضوا معركة الحرب الثقافية الباردة).

---

٢١النحوي، عدنان علي رضا. الحداثة في منظور إيماني. ط٣، ( الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م)، ص:٢٦.

٢٢أدونيس. الثابت والمتحول. بحث في الإتباع والإبداع عند العرب. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م)، ١٨٧/٣.

٢٣الجابري، محمد عابد. التراث والحداثة: دراسات ومناقشات. ط١، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م)، ص:٤٧-٤٨.

٢٤ حمودة، عبد العزيز. المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية. عالم المعرفة:سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، العدد:٢٧٢. جمادى الأولى ١٤٢٢هـ-أغسطس ٢٠٠١م ) ص:٧٣.

25FRANCES S. SAUNDERS. Who Paid the Piper? The CIA and the Cultural Cold War.Granta Publications, 2/3 Hanover Yard, London N1 8BE.First published in Great Britain by Granta Books 1999. The edition published by Granta Books 2000. Printed and bound in Great Britain by Mackays of Chatham plc.p.3

وبعد هذا العرض السريع لتاريخ تأسيس الحداثة ومعتقداتها، وبعد أن رأينا الصلة القوية بينها وجهات خارجية تساندها وتدعمها، بعد هذا كله أمكن للباحثان أن يتوصلا إلى أن الحداثة-غربية المنشأ-إنما تهدف إلى الآتي:

- رفض مصادر الدين، الكتاب والسنة والإجماع، وما صدر عنها من عقيدة إما صراحة أو ضمناً.
- رفض الشريعة وأحكامها كموجه للحياة البشرية.
- الدعوة إلى نقد النصوص الشرعية، والمناداة بتأويل جديد لها يتناسب والأفكار الحداثية.
- الدعوة إلى إنشاء فلسفات حديثة على أنقاض الدين.
- الثورة على جميع القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية الإنسانية، وحتى الاقتصادية والسياسية.

فهي بذلك تهدف إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية، والنفاذ إلى أعماق الحياة...[٢٦]

## المطلب الرابع

## نماذج من أقوال الحداثيين المخالفة لروح الشريعة ومقاصدها

من يتتبع أقوال الحداثيين يدرك مدى بعدهم عن منهج الله تعالى، وبشاعة تفكيرهم، وكيف أنهم يدعون إلى نبذ الشريعة والاعتماد على العقل البشري، فهو الذي يصلح في تدبير وتنظيم أمور الناس، إذ الناس أدرى- في نظريتهم-بمصالحهم من غيرهم, وليكن هذا الغير خالقا لهم؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ولهم أفكار شمئز منها قلوب الذين يقدرون الله حق قدره، منها ما يلي:

١. يقول محمد أركون: "كل من يقرأ كتاباتي يعرف أني حريص كل الحرص على نقد التراث المعرفي الإسلامي. منذ ثلاثين عاما وأنا أحاول انتهاك أطره التقليدية الموروثة ومواقعه الجامدة وتحديداته ومفاهيمه ورؤيته العامة للعالم والوجود. منذ ثلاثين عاما وأنا أحاول زحزحته عن مواقعه التقليدية الراسخة وتجاوز هذه المواقع بالذات لكي أفتح له آفاقا لم تكن في الحسبان، ولكي أخرجه من عزلته وانغلاقه الدوغمائي المزمن.كنت قد ألححت كثيرا فيما سبق على مدى حاجة المجتمعات الخاضعة للمرجعية المدعوة إسلامية إلى الدراسات التاريخية النقدية والتفكيكية".[٢٧]
٢. وقال أيضا: "فالبشر هم الذين يحكمون البشر في الواقع حتى ولو كانوا يتوهمون العكس... ولكن بما أن رجال الدين يرخون لحاهم وذقونهم فإنهم يُوهمون الناس بأن القدرة الإلهية

٢٦ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. (الندوة العالمية للشباب الإسلامي). إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، (دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ)، ٨٦٧/٢ بتصرف.

٢٧ أركون، محمد. قضايا في نقد العقل الديني؛ كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة وتعليق: هاشم صالح. (بيروت: دار الطليعة)، ص:٥٠-٥١.

تحكم من خلالهم. ولكن الواقع غير ذلك. فهم بشر ويستخدمون التكتيكات البشرية والتقنيات السلطوية والمناورات السرية ذاتها التي يستخدمها أي حزب سياسي علماني..."[٢٨]

٣. قال محمد الشرفي: "إن الحروب التي شنها أبو بكر على المرتدين والتي وحّدت شبه الجزيرة العربية لم تسبقها مثيلات لها في عهد النبي، وهي تتعارض مع ما جاء في القرآن من إقرار لحرية المعتقد،كما أبرزنا من قبل، فكانت أساسا عملا سياسيا".[٢٩]

٤. قال محمد شحرور[٣٠]: لنضع الآن تعريفا معاصرا للسنة وهو: السنة هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود, أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور, مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة "الزمان والمكان والشروط الموضوعية لتي تطبق فيها هذه الأحكام" معتمدين على قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[٣١]وقوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٣٢].

٥. أما نبيل هلال هلال فيقول: "إنهم –أي المستضعفين- يقدسون ثوابت من تاريخهم وعاداتهم وتراثهم، ولا يناقشونها بل يتأسون بها وتنفعل بها ضمائرهم وإن خالفت عقولهم وعاكست آمالهم وطموحاتهم".[٣٣]

٦. قال رونهاليبر: "حاليا لا توجد أية سلطة وأي معيار "موضوعي" يتيح تحديد الإسلامي الحقيقي تحديدا منزها عن الخطأ. مما يعني أن جميع المشاكل اللاهوتية التي عالجها الأقدمون يجب أن يعاد طرحها وفحصها، نظرا للمتغيّرات المعرفية الراهنة."[٣٤]

٧. من كلام جبران خليل جبران حول النصوص المقدسة، وصفها بأنها:

٨. "ألفاظ رتبتها الأجيال الغابرة وهي قائمة بقوة الاستمرار لا بقوة الحقيقة،..والتمسك بهذه التقاليد موت والمتمسكون بها أموات، وعلى كل من يريد التحرر منها أن يتحول إلى حفار قبور، لكي يدفن أولا هذه التقاليد، كمقدمة ضرورية لتحرره...التمسك بالماضي عبودية عمياء، "وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم" وتجعلهم يخضعون لتقاليد جدودهم بحيث يصبحون "أجسادا جديدة لأرواح عتيقة".[٣٥]

---

٢٨أركون، محمد. قضايا في نقد العقل الديني؛ كيف نفهم الإسلام اليوم؟ ترجمة وتعليق: هاشم صالح. (بيروت: دار الطليعة)، ص:٢٣٩-٢٤٠.

٢٩الشرفي، محمد. المرجع السابق. ص:١٦٨.

٣٠شحرور، محمد. الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة، ص:٥٤٩.

٣١سورة البقرة، الآية:١٨٥ .

٣٢سورة الحج، الآية:٧٨.

٣٣هلال، نبيل هلال. اعتقال العقل المسلم ودوره في انحطاط المسلمين. ص:٢٠.

٣٤هاليبر،رون. العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب "الجهود الفلسفية عند محمد أركون". ترجمة: جمال شحيد. ط١، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م). ص:٤٣.

٣٥ أدونيس. الثابت والمتحول. بحث في الإتباع والإبداع عند العرب. ط١، (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م)، ١٨٧/٣ بتصرف يسير.

## المطلب الخامس

## صور مواقف الحداثيين من شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- ومقاصد سنته الشريفة

دأب الحداثيون على تمجيد كل من تحرر من الدين، وانتقد المقدسات، واتخذ عقله مرشدا ودليلا إلى تمييز الحق من الباطل، فالعقل مقياس الأشياء كلها. أما من آمن بالرسل وما أوحي إليهم، وعتبر عقله تابعا وشرع الله متبوعا، عمل بكل ما جاء به الوحي وإن يدرك العقل حكمة من وراء هذل التشريع؛ فهذا عند الحداثيين مقيد ومكبّل بأغلال الدين والتقاليد الموروثة. لذا حتى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسلم من نقدهم، وفي الصور التالية يبين الباحثان مواقف دعاة الحداثة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة.ويتجلى ذلك في الصور التالية:

**الصورة الأولى: التشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم،وثبوت بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها تأويلا باطلا.**

ذهب بعض الحداثيون إلى كون نبوته صلى الله عليه وسلم مكتسبة, وهي دعوة إلى عدم تقديس ما اشتملت عليه من التشريعات والتوجيهات الربانية، قال معروف الرصافي تحت عنوان "محمد ينقاد إلى العاطفة، كان متفائلاً ومتشائما": "وهكذا كان محمد في بعض الأحيان ينقاد إلى العاطفة دون العقل، فيكون متفائلا أو متشائما". ثم استطرد قائلا:إن الغاية التي يرمي إليها محمد هي من الأمور التي لا يسعها عمر الإنسان-أن يكون مقدسا ومطاعا-...ولولا أن محمدا أراد أن يكون مقدسا ومطاعا عند أتباعه المسلمين لما رأيناه يتغاضى عنهم إذا رآهم يتبركون بنعليه، أو يبتدرون وضوءه، أو يتلقفون بصاقه، أو نحو ذلك مما يدل على أنه عندهم مقدس ومطاع.[٣٦]

وعلل كيفية حصول النبوة له صلى الله عليه وسلم بأنها نتيجة لخروجه على التقاليد السائدة في مجتمعه، فقال: قبل كل شيء يجب أن تعلم أن محمدا كان قبل النبوة خارجا على التقاليد الموروثة الكائنة عند قومه، لأنه كان–كما قلنا سابقا-ممن تغلب عقله الفطري على عقله المكتسب، وكل من كان كذلك مفكرا حر التفكير، لأن الإنسان لا يمنعه من التفكير في الأمور إلا التقاليد الموروثة والعادات المألوفة التي هو خاضع لها والتي منها تتكون له عقلية مكتسبة بها يتعقل الأمور حتى يكون بحيث لا يرى الأمر معقولا إلا إذا كان موافقا لتلك التقاليد وتلك العادات، فيكون حينئذ عقليته المكتسبة قد تغلبت على عقله الفطري ومنعته من التفكير في الأمور, ولله در أبي العلاء إذ قال:

**المرء ينكر ما لم تجر عادته بمثله ثم يبغي الحوت في الغدر**

فمثل هذا لا يستطيع الخروج على التقاليد الموروثة بل يكون خاضعا لها دائما وأبدا.[٣٧]

أما تشكيكهم في ثبوت نسبة بعض الأحاديث إليه صلى الله عليه وسلم، فيظهر ذلك في الأحاديث الآتية:

---

٣٦الرصافي، معروف.كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس. ط١، (ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢م)، ص:٤٢٥-٤٢٨.

٣٧الرصافي، معروف.كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس. ط١، (ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٢م)، ص:١٢٦.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه". فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتلقه؟ قال: "نعم"....[٣٨]

- عن البراء قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمَّر عليهم عبدَ الله بن عتيك، وكان أبو رافع يُؤْذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم،....[٣٩]

- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفّر، فلما نزعه جاء رجل، فقال: إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: "اقتلوه".[٤٠]

قال زكريا أوزون: يتضح تماما من الأحاديث الثلاثة الواردة سابقا أن الرسول الكريم قد أمر بالتصفية الجسدية للمعارضة الفكرية لله؛ وهو أمر لا يمكن قبول نسبته إلى المصطفى الذي أرسل رحمة للعالمين، والذي عفا عمن حاول قتله، فما بالنا بمن خالفه الرأي والرؤيا؟

لذلك فعلى كل مسلم حرٍ واع رفض نسب مثل تلك الأحاديث إلي الرسول الكريم، وهي تسيء إلى العروبة والإسلام معا، لأن من جرت تصفيتهم من العرب الذين افتخر بهم الرسول أو من أهل الكتاب الذين أمر الرسول باحترام شعائرهم ومعتقداتهم...فعلينا رفض قبولها كسنة نبوية في أيامنا المعاصرة واعتبارها حوادث تاريخية سياسية لا علاقة للدين الحنيف بها.[٤١]

**الصورة الثانية: تأويل بعض الأحاديث تاويلا يؤدي إلى إلغائها:**

ومثاله حديث "من بدل دينه فاقتلوه"، قال زكريا أوزون:الحديث يظهر بوضوح أن من يترك الإسلام ليعود إلى دينه السماوي الأصلي هو مرتد كافر يجب قتله تطبيقا لقضاء الله ورسوله–حسب وراية أبي موسى ومعاذ – وهو يؤكد أن الإسلام هو الدين المقبول فقط، وإذا كان الإمام البخاري يرى في ذلك الحديث تطبيقا لحكم المرتد في الإسلام عملا بما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "من بدل دينه فاقتلوه"، فإن ذلك كان يجب أن يطبق على اليهودي أولا لأنه بدل دينه إلى الإسلام حسب نص الحديث؛ حيث نلاحظ أن عبارة "من بدل دينه" عامة ولا تشمل المسلم فقط!![٤٢]

**الصورة الثالثة:حصر ولايته صلى الله عليه وسلم على قومه في الولايةالروحية.**

بنفيهم اشتمال السنة على مبادئ وقواعد نظام الحكم وتسييس أمر الرعية، يكونون قد ألغوا كمًّا هائلا من الأحاديث التي عالجت القضايا الاجتماعية والسياسية وغيرهما. والحيلة التي استخدموها في

---

٣٨البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح. تحقيق: محمد زهير بن ناص الناصر. باب الكذب في الحرب. ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ٦٤/٤، رقم الحديث: ٣٠٣١.

٣٩البخاري، محمد بن إسماعيل. المرجع السابق. باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق. ٩١/٥، رقم الحديث: ٤٠٣٩.

٤٠البخاري، محمد بن إسماعيل. المرجع السابق. باب قتل الأسير وقتل الصبر. ٦٧/٤، رقم الحديث: ٣٠٤٤.

٤١أوزون، زكريا. جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين. ط١، (بيروت-لبنان: رياض الريس للكتب والنشر، يناير ٢٠٠٤م)، ص:٦٢-٦٣ بتصرف يسير.

٤٢أوزون، زكريا. المرجع السابق. ص:٨٨.

تحقيق هذا الهدف هي حصر ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه في الولاية الروحية فحسب، يقول د. علي عبد الرزاق:

"ولاية الرسول على قومه ولاية روحية، منشؤها إيمان القلب وخضوعه خضوعا صادقا تاما يتبعه خضوع الجسم، و ولاية الحاكم ولاية مادية، تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال. تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض. تلك للدين، وهذه للدنيا. تلك لله، وهذه للناس. تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية، ويا بعد ما بين السياسة والدين".[٤٣]

والحداثيون في حقيقة الأمر لا يرون قدرة الدين على حل مشاكل الناس، بل يعتقدون أن الدين هو سبب شقاء الناس على هذه البسيطة!!. جاء في كتاب "حرية الاعتقاد الديني":

"كنا، وكان الإنسان منذ القدم يجاري الطبيعة في جميع أحوالها وأطوارها متمتعا بما تودعه من الأسرار الكامنة والخفايا الغامضة...مرتاحا من عالم الأوهام من بعث ومعاد وجنة ونار أيبقى أم يفنى...ومنذ ذلك الحين أخذ التنازع بين البشر مأخذه فتأسست الأديان والمذاهب المختلفة في كل أمة من الأمم حسب حالاتها وأطوارها وتضارب البشر فيما بينهم على تلك الأوهام ولخيالات حتى سالت الدماء الغزيرة على وجه الأرض، واستثقلتهم على ظهرها, وقُيِّد الإنسان بأغلال من تقاليد سلبته راحلته وحريته فلا يقدر أن يعمل عملا يرتاح به في دنياه....ولقد صدق القائل:

**ولا تحسب مقال الرسل حقا ولكن قول زور سطروه**

**وكان النـــاس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدروه**

والقائل:

**إن الشـــــرائع بيننا إحَنٌ قد أودعتنا أفانين العداوات**

والقائل:

**إن هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا إلى الرؤساء**

وها أنا أذكر لك شيئا يسيرا من تلك الدماء العزيرة التي أريقت من جراء تلك الأوهام الدينية وباسم الدين وسببه....من ولادة المسيح إلى عام ٢٢٠ اضطهد بضعة آلاف من أتباعه على يد الرومان. ولاتسل عما أريق من الدماء في صدر الإسلام في الوقائع الخارجية كاليرموك والقادسية ووقعة نهاوند, والداخلية كوقعة الجمل وصفين الزاب والغزوات النبوية وحروب الردة وغيرها..[٤٤]

---

٤٣عبد الرزاق، علي. الإسلام وأصول الحكم. دراسة ووثائق: د. محمد عمارة. الطبعة العربية الجديدة، ٢٠٠٠. (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص:١٥٧.

٤٤حرية الاعتقاد الديني. تأليف: مجموعة كتاب. تصنيف وتقديم: محمد كامل خطيب. (مساجلات الإيمان والإلحاد منذ عصر النهضة إلى اليوم). ط١، (سوريا-دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص:١٩٨-٢٠٠ بتصرف.

وقد أطلق الحداثيون فكر اتخاذ الإسلام مرجعية لمشروع النهضة المنشودة، واتخاذ الإسلام دينا ودولة ومنهاجا شاملا لكل مناحي العمران...أطلقوا على هذا الفكر صفة "الفكر الظلامي"، ودعوا إلى مواجهته بـ"فكر التنوير" ...[٤٥]

هذا، و كثيرا ما يذكر الحداثيون هذا لحديث لتبرير نظريتهم في فصلهم الدين عن السياسة والحكم، وأن الشارع سمح للناس أن يتولوا وضع قواعد ونظم يسير عليها الحاكم. صحيح أن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -لا يكون حجة في الأمور الدنيوية لقوله _ عليه الصلاة والسلام -في قصة تلقيح النخل: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"[٤٦]وكان - عليه السلام - يرى الرأي في الحروب فيراجعه فيه أصحابه - كما في غزوة بدر- فيترك رأيه ويعمل برأيهم،...[٤٧]

بيد أن الحداثيين إنما يتذرعون بمثل هذه الرواية ليأتوا بتشريعات من عند أنفسهم، يقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله:

"هذا الحديث مما طنطن به ملحدو مصر وصنائعُ أوربَّة فيها، من عبيد المستشرقين وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلًا يَحجّون به أهل السنّة وأنصارَها، وخدّامَ الشريعة وحماتها، إذا أرادوا أن يَنفوا شيئًا من السنّة، وأن يُنكروا شريعة من شرائع الإسلام، في المعاملات وشؤون الاجتماع وغيرها: يزعمون أنَّ هذه من شؤون الدنيا! يتمسّكون برواية أنس: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)؛ والله يعلم أنَّهم لا يؤمنون بأصل هذا الدين.. والحديث واضح صريح، لا يعارض نصًّا، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنّة في كل شأن؛ لأنَّ رسول الله لا ينطق عن الهوى، فكلُّ ما جاء عنه فهو شرع وتشريع: (وإن تطيعوه تهتدوا)؛ وإنَّما كان في قصة تلقيح النخل، أن قال لهم: (ما أظنّ ذلك يغني شيئًا)، فهو لم يأمر ولم ينْه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن في ذلك سنّة، حتى يُتوسّع في هذا المعنى إلى ما يُهدَم به أصلُ التشريع، بل ظنّ، ثم اعتذر عن ظنّه، قال: (فلا تؤاخذوني بالظنّ)؛ فأين هذا مما يرمي إليه أولئك!؟ هدانا الله وإيّاهم سواء السبيل".[٤٨]

**الصورة الرابعة: نفي كون السنة مثل القرآن في وجوب الحكم ولزوم العمل بها.**

قد يبدو لأول وهلة أنهم يعملون بأحكام بالقرآن ويحتكمون إليه، بينما لم يسلم القرآن الكريم من قراءتهم التفكيكية التي ينتقدون من خلالها كل نص مقدس. يقول أبو رية تعليقا على حديث: "ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه" وفي رواية: "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه":

"وهذا الحديث من أغرب ما قذفته الرواية في سيلها! لأن النبي إذا كان قد أوتي مثل "الكتاب" أو "القرآن" فمعنى ذلك أنه قد أوتي ذلك ليكون تماما على القرآن وإكمالا له لبيان دينه وشريعته-وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ لم يعن النبي بكتابة هذا "المثل" في حياته، عندما تلقاه عن ربه، كما عنى بكتابة

٤٥ ( الإسلام بين التنوير والتزوير محمد عمارة ص:١٢).

٤٦سبق تخريجه، ص:٢.

٤٧ عليان, رشدي. الإجماع في الشريعة الإسلامية. (الناشر: الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الأخرة ١٣٩٧هـ مايو - يونية ١٩٧٧ م)، ص:٦٦.

٤٨ ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند. شرحه وصنع فهارسه: أحمد محمد شاكر. ط٣، (مصر: دار المعارف)، ٢/٣٦٤-٣٦٥.

القرآن؟ ولم لم يجعل له كتّابا يقيدونه عند نزوله، كما جعل للقرآن كتّابا؟ ولم اقتصر في النهي عن كتابة غير القرآن وأغفل هذا المثل فقال: "لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن" ولم يقل- وغير ما أوتيته معه وهو "مثله!!".

وهنا يجوز لسائل أن يسأل:هل يصح أن يدع النبي نصف ما أوحاه الله إليه يغدو بين الأذهان بغير قيد، يمسكه هذا، وينساه ذاك، ويزيد فيه ذلك! مما يصيب غير المدون في كتاب محفوظ؟ وهل يكون الرسول بعمله هذا قد بلغ الرسالة على وجهها، وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها!!....[٤٩].

**الصورة الخامسة: الدعوة إلى التقارب بين الأديان.**

ذلك أنك تجد الحداثيين يقللون من شأن الإسلام قرآنا وسنة في خطاباتهم، وهي مقدمة وتوطئة لأمر آخر؛ ألا وهو الاعتراف بجميع الأديان، فلكل فرد حق اختيار معبوده انطلاقا من مبدأ حرية الاعتقاد المزعومة. بيد أن اليهود والنصارى هم أصل من دعوا إلى مثل هذا الحوارو، وهم يقومون على نشر هذه الفكرة في العالم الإسلامي، وهم مدفوعون إلى بدوافع كثيرة منها:

١. إزاحة الدين الإسلامي أو تحريفه من طريق اليهودية والنصرانية في الوطن العربي....

٢. إذا لم تنجح محاولة الإزاحة يأتي دور التحريف للدين الإسلامي لإبعاده عن نقائه وصبغته التي أنزله الله عليها، فهم يقصدون بالحوار التقارب والتذويب بين ديانتهم والإسلام، فإذا لم يستطيعوا تحريفه اتجهوا إلى الإسلام وذوبان تعاليمه في الديانات المحرفة والأرضية والوضعية والوثنية.

٣. والحوار من وجهة نظر النصارى دعوة غير صريحة في ممارسة التنصير، فهم يريدون أن يقيموا جسرا من المودة والعلاقة الحميمة مع المسلمين، ثم ينفذوا من خلالها إلى بث الأفكار التنصيرية فيألفها المسلمون وبمرور الوقت تصبح هناك قابلية من عقول بعض المسلمين لها.

٤. والحوار من وجهة نظر اليهود يفيدهم في تطبيع العلاقات مع المسلمين، فبسبب تاريخهم الأسود ومجازرهم المأساوية, ومعاملاتهم العنصرية ينفر المسلم بطبعه من كل ما هو يهودي في التعامل أن يكسروا هذا الحاجز وتكون لهم السيطرة والنفوذ على منطقة الشرق الأوسط في كل مناحي الحياة المختلفة، ولن يتم ذلك إلا من خلال استغلال الحوار الموجه لتهيئة العقول المسلمة لقبول التطبيع.

٥. وقف انتشار المد الإسلامي في العالم الغربي...فاستطاعوا من خلال بث أفكارهم في عقول المسئولين في بلاد المسلمين أن يغيروا الأسماء الموحية بالجهاد في سبيل الله، فغيروا وزارة الجهادية إلى وزارة الحربية ثم إلى وزارة الدفاع...

٤٩أبو رية، محمود. أضواء على السنة المحمدية. ط٦، (القاهرة: دار المعارف)، ص:٢٥.

٦. خدمة الأقليات غير المسلمة في بلاد المسلمين: وذلك من خلال الاهتمام ببعض القضايا التي تخصهم فقط مثل حقوق الإنسان، الحريات، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، وضع الأقليات المسلمة في بلاد المسلمين، قضايا المرأة، وتعدد الزوجات.[٥٠] وهذا ما يظهر جليا في كتاب (المسيحية والإسلام في سياق الثقافة المعاصرة: قراءات متعلقة بالحوار بين الأديان من روسيا والشرق الأوسط) تحت عنوان: حوار الأديان: الخبرة التاريخية والأسس الرئيسة.[51]

**الخاتمة:**

يأمل الباحثان أن يكون ما سطراه كافيا للفت الأنظار إلى خطورة حركة الحداثة وأثرها السيء في تعطيل مقاصد السنة النبوية. وقد خلص الباحثان إلى النتائج التالية.

١. أن الحداثة حركة ذات صلة وثيقة بتيارات معادية للإسلام, ودعاتها علموا أو جهلوا إنما يعملون لصالح تلك الجهات.

٢. الحداثيون يقدسون العقل ونتاجه، أما الوحي فقابل للنقد والتمحيص.

٣. لا يرون دورا للنسة النبوية في إصلاح قواعد ونظم سياسة الدولة، بل العقل البشري هو المؤهل لإيجاد تلك القواعد المناسبة لطموحات البشر، وهكذا ضمرت السياسة الشرعية في ظل حكم الاستبداد والعَلْمَنة.

٤. وصلت الجرأة ببعضهم إلى حد التشكيك في نبوته صلى اللهل عليه وسلم, وذلك بالقول بأنه يميل إلى العاطفة في بعض تصرفاته، إضافة إلى كون سبب حصوله على النبوة هو تغلب عقله الفطري على المكتسب.



٥٠شاهين، أحمد عبد الهادي. الحوار بين الأديان تعايش لا تقارب. ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. ص:١٣.

[51]CHRISTIANITY AND ISLAM IN THE CONTEXT OF CONTEMPORARY CULTURE (Perspectives of Interfaith Dialogue from Russia and the Middle East).United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.Section of Intercultural Dialogue.St. Petersburg Branch of the Russian Institute for Cultural Research & St. Joseph University in Beirut-Lebanon.St. Petersburg-Beirut "EIDOS" 2009. P.3

# المحور الثالث

## التحديات المعاصرة على أهل الحديث:

## رجالاً ومؤسسات

# شبهة بعض المعاصرين حول الصحيحين بروايتهم للمختلطين والرد عليها

**أكرم محمد إبراهيم نمراوي**
طالب دكتوراه في الحديث الشريف
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا ماليزيا



## المقدمة:

وُجد من طعن ببعض أحاديث الصحيحين وانتقدها، وقام بردها قديماً وحديثاً، فهذا ابن الصلاح يشير لذلك عند حديثه عن إجماع الأمة على صحتهما –أي الصحيحين–، حيث يقول: سوى أحرف يسيرة تكلم عليها بعض أهل النقد من الحفاظ، كالدارقطني وغيره وهي معروفة عند أهل الشأن[١].

ولعل أهمية معرفة هذه الأحاديث المنتقدة هو إعطاؤنا صورة عن جزئية من منهج الشيخين، من حيث أنه يعطينا فكرة حول هل أنهما التزما بشرطهما أم لا؟[٢]، وهل أنه فعلاً كل ما فيهما صحيح، وأن تلقي الأمة لهما بالقبول وإجماعها على ذلك، أمر مسلّم به أو لا؟

وقد بلغ عدد هذه الأحاديث المنتقدة –كما ذكر ابن حجر– مائتي وعشرة أحاديث، اختص البخاري بثمانية وسبعون حديثاً، واختص مسلم بمائة حديث[٣]، وهذا الرقم المنتقد من العلماء القدماء، وأما بعد ابن حجر فإن الرقم أكثر من ذلك بكثير، لظهور أسباب أخرى للطعن والتشكيك، وظهور آخرين فعلوا مثل ذلك، كما سنبينه بعد قليل بإذن الله.

وقد رد كثير من العلماء على هذه الطعون قديماً وحديثاً، على سبيل الإجمال أو التفصيل، وبينوا وجه النقد والرد عليه وبيانه، وقبل ذلك بينوا الباعث له والمنطلق، ووصلوا إلى نتائج مهمة، ذبّوا فيها عن الصحيحين وما يحويانه من أحاديث شريفة.

---

(١) عثمان بن عبدالرحمن، أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح (٢٠٠٢م)، **معرفة أنواع علوم الحديث**، تحقيق عبداللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص ٢٨ .

(٢) انظر: الدكتور ياسر الشمالي (٢٠٠٦م)، **الواضح في مناهج المحدثين**، عمان : دار الحامد، الطبعة الثالثة، ص ٩٠ – ٩١ .

(٣) أحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي (١٣٧٩هـ)، **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب وعبدالعزيز بن عبدالله بن باز، بيروت : دار المعرفة، (د.ط)، ص ١٢، وقد رد ابن حجر عليها بالتفصيل حيث عقد فصلاً في سياق الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على البخاري .

ومن هذه الطعون المعاصرة، هو اتهام الشيخين بالرواة لمختلطين، ثم قاموا برد أحاديثه ووصفها بالضعف، وسنتعرف في هذه العجالة على بعض أولئك النفر، ثم نرد عليهم ونبين بطلان هذه الشبهة بطريقة علمية مختصرة ما أمكن.

## المبحث الأول

## من القائلين بهذه الشبهة

### المطلب الأول: من خلال الكتب:

**محمد زاهد الكوثري:**

ضعف محمد زاهد الكوثري أحاديث مجموعة من رواة الصحيحين بحجة الاختلاط، وهم: أبو عوانة الوضاح، والحجاج بن محمد الأعور، وسفيان بن عيينة.

**محمد رشيد رضا:**

رد حديث عبدالرزاق بن همام الصنعاني لأسباب عدة منها أنه اختلط، فقد قال بعد حديث "يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة"(٤)، وهذا الطعن في عبدالرزاق عام يشمل جميع رواياته –كما يُشعر من كلامه– فلا يوجد دليل على اختصاصة بهذا الحديث فقط، وبناءً عليه يكون قد رد جميع روايات أحاديث عبدالرزاق، ومعلوم أنه من رواة الصحيحين وبالتالي يكون قد رد رواياته في الصحيحين، ورد حديث (خلق الله التربة)(٥)، بحجة أن في سنده الحجاج بن الأعور المصيصي وهو مختلط.

**الشيخ محمد الغزالي:**

---

(٤) نص الحديث : عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم" – ثم ذكر شيئاً لا أحفظه – فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي" .

رواه ابن ماجه أبو عبدالله بن محمد بن يزيد القزويني (د.ت)، **السنن**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت : دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ط)، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ١٣٦٧/٢، برقم (٤٠٨٤) .

(٥) نص الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : "خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة ، في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل" .

رواه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت : دار إحياء التراث، (د.ط)، كتاب الفتن، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، ٢١٤٩/٤ برقم (٢٧٨٩) .

طعن بحديث لطم موسى ملك الموت، ومن أسباب الطعن فيه أن روي من طريق عبدالرزاق بن همام الصنعاني، وهو قد اختلط آخر عمره بعدما عمي، وقد ذكر ذلك في كتابه (السنة بين أهل الفقه والحديث)[٦].

**محمود أبو رية:**

الطعن بحديث لطم موسى ملك الموت السابق، ولنفس السبب السابق، وقد قال ذلك في كتابه، "أضواء على السنة المحمدية"[٧].

**عبدالله بن علي النجدي القصيمي:**

الطعن بحديث لطم موسى ملك الموت السابق، ولنفس السبب السابق، وقد قال ذلك في كتابه، "مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها"[٨].

**علي بن عبدالله بن عامر الحجري:**

الطعن بحديث رؤية الله تعالى، ومن أسباب الطعن في هذا الحديث أنه روي من طريق قيس بن أبي حازم، وبأنه قد اختلط آخر عمره، وقد قال ذلك في كتابه "المنهج والتطبيق في دراسة ونقد روايات رؤية الله تعالى"[٩].

**حسن السقاف:**

الطعن بحديث رؤية الله تعالى، ولنفس السبب السابق، وقد قال ذلك في كتابه، "مسألة الرؤية: رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة –تخريج أحاديث الرؤية–"[١٠].

**محمد مأمون:**

شكك محمد مأمون صاحب كتاب: "دفاعاً عن السنة: دعوة للتصحيح ليس كل ما في الصحيح صحيح"، بتدوين السنة النبوية، وادعى أنه تأخر، وقد ترتب على هذا التأخير نتائج مختلفة ذكر منها: "تغير الراوي عندما يكبر سنه: روى مسلم رحمه الله حديثاً يقول أحد رجاله عمن روى عنه"، وقد كان كبر وما كنت أثق بحديثه"، فهل يمكن الجزم بصحة هذا الحديث لأنه رواه مسلم؟"[١١]، ثم ذكر

---

(٦) انظر: الشيخ محمد الغزالي (د.ت)، **السنة بين أهل الفقه والحديث**، القاهرة: دار الشروق، الطبعة السادسة، ص ٣٥ – ٣٨ .

(٧) أنظر: محمود أبو رية (د.ت)، **أضواء على السنة المحمدية**، دار المعارف – القاهرة، الطبعة السادسة، ص ١٩٥ – ١٩٦ .

(٨) انظر: علي بن عبدالله النجدي القصيمي، **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، ص ٦٨-٧١، المجلس العلمي الباكستاني – الباكستان، وهي نسخة مصورة على الشبكة المعلوماتية، ولم أستطع الحصول على الأصل، وانظر هذا الرابط: http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=03-02-0029&value=&type

(٩) انظر: www.alabadyah.com.showthread1.html.201، وقد عثرت على الكتاب على شكل ملف وورد على الشبكة المعلوماتية ، ولم أستطع الحصول للنسخة الأصلية .

(١٠) انظر: حسن بن علي السقاف (٢٠٠٧م)، **مسألة الرؤية : رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة – تخريج أحاديث الرؤية –**، عمان : دار الإمام النووي، الطبعة الثانية، ص ١٣ .

(١١) ص ٨ .

الحديث الشريف: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن علية، وحدثني علي بن حجر، حدثنا إسماعيل، عن أبي ريحانة، عن سفينة، قال أبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتطهر بالمد، وفي حديث ابن حجر أو قال ويطهره المد، قال: وقد كان كبر وما كنت أثق بحديثه)[١٢].

**المطلب الثاني: من خلال مواقع الشبكة العنكبوتية:**

**موقع الشيخ محمد بن الأمين:**

وجدت من أطلق على نفسه الشيخ (محمد بن الأمين) ولم يصرح عن اسمه بشكل جلي وواضح، من خلال موقعه الخاص على الشبكة المعلوماتية[١٣]، وقام بنشر مجموعة من أبحاثه المتعلقة بعلوم الشريعة المختلفة، ومن بينها بحث بعنوان: "الأحاديث المنتقدة المخرجة في الصحيحين"، حيث قام بتضعيف عدد من أحاديث الصحيحين بلغ عددها خمسة وثلاثين حديثاً لأسباب مختلفة، منها حديث السفر في رمضان، ومن الأسباب التي ضعف بها هذا الحديث أن في سنده سعيد بن عبدالعزيز، وهو ممن اختلط قبل موته، واختُلف عليه في قوله "في شهر رمضان".

**منتدى سبلة العرب:**

جاء في موقع صيد الفوائد[١٤] مقال لشخص سمى نفسه (أبو عمر العتيبي) يرد فيه على شخص آخر إباضي لقب نفسه (المنصور) كتب مجموعة من المقالات على منتدى اسمه (سبلة العرب)[١٥] قام بتوجيه مجموعة من الشبه للسنة النبوية، من بينها الطعن ببعض الأحاديث المتعلقة بالعقيدة وردها وتضعيفها، ومن بينها حديث متعلق برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وسبب رده لهذا الحديث أن في سنده حماد بن سلمة –وحماد روى له البخاري تعليقاً ومسلم– وهو قد اختلط وساء حفظه.

وكذلك جاء فيه مقال لشخص، قام بالطعن بأحاديث بأحاديث إعفاء اللحية، والأمر بمخالفة اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، وقال أحد الأعضاء أن هذه الأحاديث ضعيفة ومضطربة، وذكر مجموعة من الأسباب منها اختلاط بعض الرواة، وهم من رواة الصحيحين، وهؤلاء هم: سعيد بن إياس الجريري، وسعيد بن أبي عروبة، وحفص بن غياث، وجرير بن حازم، وحصين بن عبدالرحمن السلمي، وهشام بن عروة، وأبو النعمان العجلي.

---

(١٢) مسلم بن الحجاج، **الصحيح**، كتاب الحيض، باب قدر ماء الوضوء والغسل، ٢٥٨/١ برقم (٣٢٦).

(١٣) موقعه هو: www.ibnamin.com

(١٤) رابط المقال: http://www.saaid.net/muslm/3-1.htm

(١٥) موقعه على الشبكة المعلوماتية: http://www.oman-net.net/vb/ ، ولم أستطع الوصول إلى المقالة الأصلية.

### موقع بيان الإسلام:

جاء في موقع بيان الإسلام[16]، رداً على من ادعوا بالطعن بحديث "من استعاذكم فأعيذوه"[17]، وأن سبب رد الحديث تضعيف راوٍ من رواة الصحيحين اختلط هو ليث بن أبي سليم، مع أن الشيخين لم يخرجا الحديث، لكن رد أحاديث الراوي يعني تلقائياً رد كل أحاديثه حتى التي في الصحيحين.

### شبكة الكافي العقائدية:

قام كاتب على هذه الشبكة بالطعن في الصحيحين بطريقة غير مباشرة، حيث كتب شخص يدعى محمد علي حسن، تحت عنوان (اختلاط قيس بن أبي حازم يدك الصحاح)، فقال: "لا ينكر العقلاء المنصفون أن علم الرجال والحديث عند أهل الخلاف ضرب من ضروب العبثية واللعب، فهو علم تتلاعب به الأهواء، فمتى شاءوا قبلوا بحديث المختلط ومتى لم يشاءوا ردوه، والأصل في حديث المختلط هو الرد ما لم يتميز هل قبل الاختلاط أم بعد، وتعلم ذلك من تتبعك لابن حجر في التقريب مثلاً إذ يكرر "اختلط أخيرا ولم يتميز حديثه فترك". والآن نحن أمام حالة من المختلطين ممن يقسو على المخالف أن يترك حديثه لأنه يهدم وينسف كتبه بها، قيس بن أبي حازم، رماه بالاختلاط سبط ابن العجمي والعلائي في كتابيهما، ولم يتميز حديثه، فسبب مأزقاً للعامة فاضطر الذهبي أن يهدد ويتوعد قائلاً "أجمعوا على الاحتجاج به ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه نسأل الله العافية وترك الهوى"، أقول –والقول للكاتب– بل الهوى الذي يستعيذ منه هو ما وقع فيه، فإن عندنا أصلاً ثابتاً هو عدم الأخذ بمرويات المختلط حتى يتميز حديثه هل هو قبل الاختلاط أم لا"[18].

### جريدة اليوم السابع المصرية:

جاء في هذا الموقع[19] مقال لجمال البنا يشيد فيه بكاتب اسمه (إسلام بحيري) قام بتضعيف حديث في صحيح البخاري[20]، له علاقة بسن السيدة عائشة رضي الله عنها عند زواج الرسول صلى الله عليه وسلم منها، وحجته في رده أن مداره علة هشام بن عروة الذي تغير وساء حفظه.

ثم انتشر مقال الكاتب اسلام البحيري على كثير من المواقع الإلكترونية الأخرى، وتداوله الآخرون وأصبح مرجعاً للكثير منهم.

---

(16) http://bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=03-03-0101&value=&type

(17) نص الحديث : عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن أهدي إليكم فاقبلوه" .

رواه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (١٩٩٤م)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، القاهرة : دار ابن تيمية، الطبعة الثانية، ٤١٨/١٢ برقم (١٣٥٣٩) .

(18) http://alkafi.net/vb/showthread.php?t=3796

(19) http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=35691

(20) نص الحديث : عن عائشة رضي الله عنها قال : "كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي فيلعبن معي" .

رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ٣١/٨ برقم (٦١٣٠) .

## المبحث الثاني

## أحكام الاختلاط بشكل مختصر

**أولاً: تعريف الاختلاط لغة:**

الأصل الثلاثي لكلمة الاختلاط هو خلط، وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية نجد معاني كثيرة لها ولمشتقاتها تدور جميعها حول عدم التمييز بين الأشياء، أو الفصل بينهما أو تحديدهما.

**ثانياً: تعريف الاختلاط اصطلاحاً:**

تتعلق مسألة الاختلاط بأحاديث الثقات فقط دون الضعفاء، وكذلك مما يُطعن في الراوي بضبطه وليس بعدالته، وكل التعريفات تدور حول هذا المعنى، أي فساد العقل، ولكن بعضهم اقتصر فيه على اختلال الضبط بسبب الكبر، وبعضهم ألحق به خفة الضبط لسبب عارض يطرأ على الراوي فجأة، ليس له علاقة بكبر سنه، وكذلك قال ابن حجر: "من كان سوء الحفظ طارئاً عليه، إما لكبره، أو لذهاب بصره، أو لاحتراق كتبه أو عدمها، بأن كان يعتمدها فرجع إلى حفظه فساء"[٢١].

**ثالثاً: أسباب الاختلاط:**

قلنا فيما سبق أن الاختلاط يكون ضعف وخفة في الضبط إما لكبر سن، أو لعارض يطرأ على المحدث، وقد تكون هذه الخفة ملازمة للراوي في جميع حالاته، وقد تكون طارئة على الراوي، بسبب كبر سنه أو مرضه وغيرها من الأسباب، ويمكن إجمال هذه الأسباب وتفصيلها بما يلي:

**السبب الأول:** الاختلاط بسبب كبر السن والخرف.

**السبب الثاني:** الأسباب العارضة: وهي التي تطرأ على الراوي الضابط فجأةً، فيخف ضبطه، وليس شرطاً أن يكون كبيراً في السن، وهذه العوارض هي : البعد عن الكتب، واحتراق الكتب، والانشغال عن العلم حفظاً وكتابةً وضبطاً، كتولي القضاء، وفقد البصر والعمى لمن كان يعتمد على كتبه، الضرر أو المرض أو عرض من موت ابن وسرقة مال.

**رابعاً: حكمه:**

خلاصة حكم رواية المختلط: أنه يقبل ما كان منها قبل الاختلاط، والتوقف فيما كان بعده إلا إذا توبعوا عليه أو وافقوا غيرهم من الثقات عليه، ووسائل كشف ذلك هو من خلال الرواة عنهم أو موافقتهم للثقات.

---

(٢١) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٤٢٢هـ)، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تحقيق عبدالله ضيف الله الرحيلي، الرياض : مطبعة السفير، الطبعة الأولى، ص ١٢٩ .

**خامساً: حكم الاختلاط في الصحيحين:**

روى الشيخان في صحيحهما، لعدد من الرواة المختلطين، حيث استشكل بعضهم ذلك، لأن هؤلاء الرواة أصبحت رواياتهم ضعيفة – كما سبق بيانه –، واخُتلف في حكم هذه الروايات على قولين هما:

**القول الأول:** أن روايتهم كلها كانت قبل الاختلاط، وممن قال بذلك:

ابن الصلاح[٢٢]، والنووي[٢٣]، وابن جماعة[٢٤]، وابن الملقن[٢٥]، والذهبي[٢٦]، والعراقي[٢٧]، وابن حجر[٢٨]، والسيوطي[٢٩]، وظفر أحمد التهانوي[٣٠]، ومن المعاصرين: الدكتور نور الدين عتر[٣١]، والدكتور محمد أبو شهبة[٣٢]، والدكتور محمود الطحان[٣٣].

**القول الثاني:** أنه قبل الاختلاط وما كان بعده فهو مما تميز منها، وممن قال بذلك:

السخاوي[٣٤]، وابن حجر في قول آخر عنه[٣٥]، ومن المعاصرين: الدكتور عبدالجبار سعيد[٣٦]، وعبدالقيوم عبد رب النبي[٣٧].

---

([٢٢]) أبو عمرو ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث**، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

([٢٣]) أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (١٩٨٥م)، **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، تحقيق محمد عثمان الخشت، بيروت : دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ص ١٢١ .

([٢٤]) أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (١٤٠٦هـ)، **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، تحقيق الدكتور محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دمشق : دار الفكر، الطبعة الثانية، ص ١٣٩ .

([٢٥]) ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (١٤١٣هـ)، **المقنع في علوم الحديث**، تحقيق عبدالله بن يوسف الجديع، السعودية : دار فواز، الطبعة الأولى، ٦٦٧/٢ .

([٢٦]) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٢٠٠٨م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وحسين أسد، بيروت : مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٥٥/٦ – ١٥٦ .

([٢٧]) انظر : أبوالفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (١٩٧٠م)، **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، ص ٤٤٢ .

([٢٨]) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (١٩٨٤م)، **النكت على كتاب ابن الصلاح**، تحقيق الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، المدينة المنورة : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ٣١٥/٢ .

([٢٩]) عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (د.ت)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق أبو نظر محمد الفاريابي، الرياض : دار طيبة، (د.ط)، ٨٩٦/٢ .

([٣٠]) انظر: ظفر أحمد التهانوي (١٩٧٢م)، **قواعد في علوم الحديث**، بيروت : مطابع دار القلم، الطبعة الثالثة، ص ٢٨٠ .

([٣١]) الدكتور نور الدين عتر (١٩٩٧م)، **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق : دار الفكر، الطبعة الثالثة، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

([٣٢]) الدكتور محمد أبو شهبة (د.ت)، **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**، دمشق : دار الفكر العربي، (د.ط)، ص ٦٨٣ .

([٣٣]) أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي (٢٠٠٤م)، **تيسير مصطلح الحديث**، الرياض : مكتبة المعارف، الطبعة العاشرة، ص ٢٧٩ .

([٣٤]) شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله السخاوي (٢٠٠٣م)، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، تحقيق علي حسين علي، مصر: مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ٣٦٧/٤ .

([٣٥]) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (١٤٧٩هـ)، **هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، بيروت : دار المعرفة، (د.ط)، ص ٤٠٦ .

([٣٦]) انظر : الدكتور عبدالجبار سعيد (٢٠٠٥م)، **اختلاط الرواة الثقات – دراسة نظرية تطبيقية على رواة الكتب الستة –** ، الرياض : مكتبة الرشيد، الطبعة الأولى، ص ٢٩ – ٣٢ .

**والرأي الراجح:** هو القول الثاني، وذلك لمطابقة الواقع الحديثي له، حيث وُجد عدة روايات لمختلطين بعد اختلاطهم أو عمن لم تتميز روايتهم، ومن هذه الأمثلة:

**أولاً:** رواية سعيد بن أبي عروبة في البخاري: أنه روى عنه قبل وبعد الاختلاط، كما صرح ابن حجر في القول السابق.

**ثانياً:** رواية البخاري حصين بن عبدالرحمن السلمي[٣٨] من طريق حصين بن نمير الواسطي[٣٩]، وهو ممن روى عنه بعد الاختلاط[٤٠].

**ثالثاً:** رواية مسلم لسعيد بن إياس الجريري من طريق سالم بن نوح وحماد بن أسامة القرشي أبو أسامة وسليمان بن المغيرة، وهم ممن لم تتميز روايتهم قبل أو بعد اختلاطه، وروى له من طريق يزيد بن هارون وعبدالله بن المبارك –وهما ممن روى عنه بعد الاختلاط–.

**سادساً: الرواة المختلطون في الصحيحين:**

من خلال البحث في كتب الجرح والتعديل وجدت أسماء مجموعة من الرواة الذين وصفوا بالاختلاط والتغيير، بلغ عددهم اثنين وأربعين راوياً.

## المبحث الثالث

## الرد على الشبهة

### المطلب الأول: ردود تتعلق بالشيخين:

**أولاً: معرفة الشيخين بعلم العلل والجرح والتعديل والرجال:**

يعتبر الشيخين من العلماء الجهابذة في علم العلل والجرح والتعديل فضلاً عن غيرهما من العلوم، ولكن ركزنا على هذين العلمين وخصيناهما بالذكر لأنهما التطبيق العملي لقواعد علوم الحديث وثمرته، ولقدرة المتكمن منهما إعطاء حكماً دقيقاً على الرواة ومروياتهم.

ويقول الدكتور همام سعيد: "وهذا العلم رأس علوم الحديث وأوسعها وأخفاها وأدقها وأهمها ولولاه لاختلط الصحيح بالسقيم"[٤١]، فنفهم من هذا أنه أهم علم من علوم الحديث، وأنه وسيلة

---

([٣٧]) أبو البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال (١٩٨١م)، **الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات**، تحقيق عبدالقيوم عبدرب النبي، دمشق وبيروت : دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ص ١٣ – ١٥ .

([٣٨]) هو حصين بن عبدالرحمن السلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة تغير حفظه في الآخر، توفي سنة ٢٣٦هـ . شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (١٩٨٦م)، **تقريب التهذيب**، تحقيق محمد عوامة، حلب : دار الرشيد، الطبعة الأولى، ص ١٧٠ .

([٣٩]) حصين بن نُمير الواسطي أبو محصن الضرير كوفي لا بأس به رُمي بالنصب، ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص ١٧١.

([٤٠]) ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٣٩٨ .

([٤١]) زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (١٩٨٧م)، **شرح علل الترمذي**، تحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد، الرياض : مكتبة الرشيد، الطبعة الثانية، ٢٨/١ .

لتمييز الحديث الصحيح من السقيم، وبالتالي يعطي العالم به ملكة التمييز بينهما، واجتناب السقيم منه، ومن المظاهر التي تدل على تمكن الشيخين من علم العلل ما يلي:

**الأول:** شهادة العلماء لهما بذلك:

فقد شهد لهما بذلك عدد من العلماء، منهم:

الإمام الترمذي، فيقول: "لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل"[٤٢]؛ بل قال مسلم نفسه للبخاري: "دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، ويا طبيب الحديث في علله"[٤٣]، وقال الخطيب البغدادي –عند حديثه عن قبول الجرح مفسراً–: "وإليه ذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده مثل محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما"[٤٤]، وقال ابن عقدة عن مسلم: "وأما مسلم فقلما يقع له الغلط في العلل، لأنه كتب المسانيد، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل"[٤٥].

**الثاني:** التأليف في هذه العلوم، وحكمهم على الرجال:

من غزارة علم الشيخين مؤلفاتهم غير الصحيحين، فقد ألف البخاري رحمه الله مجموعة من الكتب في العلل وعلم الرجال هي: التواريخ الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير، وكتاب الضعفاء الصغير، وكتاب الكنى، وله أحكام متفرقة على الرجال مبثوثة في كتب الجرح والتعديل المختلفة.

أما مسلم فقد ألف ثلاثة كتب لها علاقة بهذا العلم، هي: التمييز، والكنى والأسماء، والمنفردان والوحدان، والتاريخ، والطبقات[٤٦]، وله أحكام متفرقة على الرجال مبثوثة في كتب الجرح والتعديل المختلفة.

**الثالث:** اتباعهما منهج دقيق في التعامل مع الأحاديث المعلة في الصحيحين:

اتبع كل منهما منهجاً دقيقاً في تأليف الصحيحين، ورؤية واضحة، تلازمت فيهما من البداية إلى النهاية، ومن ضمن ذلك منهجهما في التعامل مع العلل، والأحاديث المعلة، دل ذلك المنهج على دقة متناهية وكبيرة، ظهرت جليةً وواضحة، يستطيع أن يدركه كل من قرأ فيهما.

أما مسلم فليس بأقل شأن من البخاري، فقد رسم لنفسه منهجاً في العلل في صحيحه، وهو قائم على تقديم الرواية الصحيحة ثم الأقل منها صحة، وأنه يبين العلة بذكر وجوه الاختلاف على سبيل الاستطراد وليست مقصودة لذاتها[٤٧].

---

(٤٢) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٤٣٢/١٢ .

(٤٣) المرجع السابق، ٧٠/١ .

(٤٤) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي الخطيب البغدادي (د.ت)، **الكفاية في علم الرواية**، تحقيق عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة : المكتبة العلمية، (د.ط)، ص ١٠٨ .

(٤٥) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٥٦٥/١٢ .

(٤٦) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ابن النديم (١٩٩٧م)، **الفهرست**، بيروت : دار المعرفة، الطبعة الثانية، ص ٢٨٢ .

**ثانياً: قيام منهج الشيخين على الانتقاء من الرواة وحديثهم:**

أي أنهما يقومان بانتقاء الرواة انتقاءً، ولا يرويا عن أي راو كان، إلا بعد تمحيص وتدقيق ودراسة مستفيضة حوله، ثم إذا اختارا الراوي فلا يرويا حديث الراوي كله، بل يقومان بانتقاء بعضه وترك بعضه الآخر [٤٨]، وهذه الأحاديث هي التي حققت شروط الصحة عندهما.

وهذا هو البخاري يكشف عن انتقائه، كما نقله عنه الترمذي فقد قال: "ابن أبي ليلى هو صدوق، ولا أروي عنه لأنه لا يدري صحيح حديثه من سقيمه، وكل من كان مثل هذا فلا أرو عنه شيئاً"[٤٩]، وقال كذلك: "زمعة بن صالح ذاهب الحديث، لا يدري صحيح حديثه من سقيمه، أنا لا أرو عنه، وكل من كان مثل هذا فلا أرو عنه شيئاً"[٥٠].

ويقول مسلم في توضيحه لترتيب أحاديث صحيحه، ويبين كيف أنه ينتقي أحاديثه انتقاءً: "فإنا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هي أسلم من العيوب من غيرها، وأنقى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث، وإتقان لما نقلوا ولم يوجد في روايتهم اختلاف شديد، ولا تخليط فاحش، كما قد عُثر فيه على كثير من المحدثين، وبان ذلك من حديثهم"[٥١].

وقال ابن رجب الحنبلي، في بيان تحري مسلم في الرواية عن المتكلم في حفظهم : "وأما مسلم فلا يخرج إلا حديث الثقة الضابط، ومن في حفظه بعض شيء، وتكلم فيه لحفظه لكنه يتحرى في التخريج عنه، ولا يخرج عنه إلا ما لا يقال إنه مما وهم فيه"[٥٢].

وقد ذكر ابن حجر في (هدي الساري) أنه انتقى أحاديث بعض الرواة محمد بن يوسف الفريابي، وإسماعيل بن أبي أويس، إبراهيم بن المنذر الحزامي.

ومن أنواع انتقاء البخاري للرواة ما يلي:

**الأول:** الرواية عن المختلطين، قبل الاختلاط أو ممن تميزت روايتهم بعد الاختلاط، كروايته لسعيد بن إياس الجريري – كما سأبينه عند ذكر مروياته في الصحيحين – وسعيد بن أبي عروبة .

---

([٤٧]) انظر: الدكتور حمزة عبدالله المليباري (١٩٩٧م)، **عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح – دراسة تحليلية –**، بيروت : دار ابن حزم، الطبعة الأولى، وقد بين أن الهدف من تأليف الكتاب هو إثبات ما قاله وذكر الأدلة على ذلك .

([٤٨]) قال أبو بكر كافي : "وهذا المنهج يعرف بمنج الانتقاء من أحاديث الضعفاء، أي أن حديث الضعيف لا يرد جملة ولا يقبل جملة، وإنما يقبل ما صح من حديثه، فقط، كما أن الثقة لا تقبل أحاديثه مطلقاً فيقبل ما أصاب فيه ويرد ما أخطأ فيه"،

أبو بكر كافي (٢٠٠٠م)، **منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الصحيح**، بيروت : دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ص ١٤٤ .

([٤٩]) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي أبو عيسى (١٩٩٨م)، **الجامع الكبير**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت : دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، تعليقاً على حديث رقم (٣٦٤)، ٤٧٢/١

([٥٠]) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك الترمذي أبو عيسى (١٤٠٩هـ)، **العلل الكبير**، بعناية أبوطالب القاضي وآخرون، بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة، الطبعة الأولى، ص ٣٨٩.

([٥١]) مسلم بن الحجاج، **الجامع صحيح**، ٥/١ .

([٥٢]) ابن رجب الحنبلي، **شرح علل الترمذي**، ٦١٣/٢.

**الثاني:** من روى عنه في غير الجهة التي ضعف فيها، وهذا مختص بالرواة الذين ضُعفوا في أماكن دون أخرى، كروايته عن زهير بن محمد فالطعن موجه له بحديثه عن الشاميين وحديثه في البخاري عن العراقيين

**الثالث:** من روى عنه ما وافقه عليه الثقات، كروايته لإسماعيل بن أبي أويس .

**الرابع:** من روى عنه مقروناً، كرواية عبدالملك بن أعين وعطاء بن السائب وكهمس بن منهال وسهل بن أبي يوسف وابن أبي عدي في روايتهم عن سعيد بن أبي عروبة[٥٣] .

**الخامس:** ومن الصور المختلفة للانتقاء : انتقاء أصح الروايات في الباب، واعتمادهم أصح الأسانيد والطرق، واشتمالهم على مسانيد أشهر أئمة الحديث، ويخرجان من عن الشيخ من طريق أوثق أصحابه، وتجنبا المفاريد والغرائب، ويخرجان الحديث المشهور، والاعتناء بإخراج الأسانيد العالية، واتباعهما منهج الاحتياط في الرواية، والانتقاء من الرواة المتكلم بهم [٥٤] .

**ثالثاً: الانتقاء من حديث الرواة المختلطين وحديثهم.**

قلنا فيما سبق أن للشيخين منهج دقيق، قائم على الانتقاء من الرواة ومن أحاديثهم، ونقول كذلك أنهم كانوا ينتقون من أحاديث المختلطين انتقاءً، ولقد أحببت أن أفرد هذا الموضوع هنا والاستزادة به، مع أنه داخل فيما سبق، وذلك لأهمية الموضوع، حيث إن له ارتباط وثيق بموضوع الرسالة، والتي ترد على شبهة محددة تتعلق بهذا الأمر، ولنجليّ المسألة بشيء من التفصيل والأمثلة التوضيحية.

ومعنى إخراج الشيخين لحديث المختلطين على سبيل الانتقاء هو: إخراجهما حديثهم من طريق من سمع منهم قبل الاختلاط، أو حيث يُتابع المختلط في روايته بعد الاختلاط من ثقة آخر، بحيث يُعلم أنه ضبط ذلك الحديث، وليس مما وقع فيه تخليط، وكذلك الشأن في رواية من لم يتميز حديثه أكن قبل الاختلاط أو بعده[٥٥] .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الذهبي في ترجمة سعيد: "وقد رويا له في الصحيحين، وتحايدا ما حدث به في حال تغير حفظه، فجرى له من الشيخوخة نظير ما تم لسعيد بن أبي عروبة"[٥٦] .

وقول آخر لابن حجر يدل على ذلك، في ترجمته لسعيد أيضاً: "وما أخرج البخاري من حديثه إلا عن عبدالأعلى وعبدالوارث وبشر بن المفضل، وهؤلاء سمعوا منه قبل الاختلاط، نعم وأخرج له

---

(٥٣) انظر : انظر : صالح بن محمد العماري (١٤-٢٠١١/٧/١٥م)، **رجال البخاري الذين أوردهم في كتابه الضعفاء ورواياتهم في الصحيحين**، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين بالجامعة الأردنية. ص ١٤- ١٦.

(٥٤) انظر: صالح سعيد عومار (١٤-٢٠١١/٧/١٥م)، **مسلك الشيخين في انتقاء الأحاديث ودفع شبهات عنه**، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين بالجامعة الأردنية، ص ١٩ – ٢٤ .

(٥٥) أبوعبدالرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى (٢٠٠٠م)، **ضوابط الجرح والتعديل عند الذهبي رحمه الله**، بريطانيا : سلسلة إصدارات مجلة الحكم، الطبعة الأولى، ص ٥٠٩ .

(٥٦) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٥٦/٦ .

البخاري أيضاً من رواية خالد الواسطي عنه ولم يتحرر لي أمره إلى الآن، هل سمع منه قبل الاختلاط أو بعده، لكن حديثه بمتابعة بشر بن المفضل كلاهما عن أبي بكرة عن أبيه وروى له الباقون"[٥٧].

**المطلب الثاني: ردود تتعلق بالصحيحين ورواتهما:**

**أولاً: تلقي الأمة للصحيحين بالقبول:**

أجمعت الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً على قبول الصحيحين، واعتبار كل ما بهما من أحاديث صحيحة، والاحتجاج بهما، بل واعُتبر أن من أعلى درجات الصحة هو الحديث المتفق عليه الذي يرويه البخاري ومسلم، مع تقديم للبخاري على مسلم درجة، لأسباب معينة تتعلق بالمنهجية وشرط كل منهما، وطريقة اختيار الحديث.

وقال النووي –نقلاً عن ابن الصلاح–: "وقال في جزء له ما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه فهو مقطوع بصدق مخبره، ثابت يقيناً لتلقي الأمة ذلك بالقبول، وذلك يفيد العلم النظري، وهو في إفادة العلم كالمتوتر، إلا أن المتواتر يفيد العلم الضروري وتلقى الأمة بالقبول يفيد العلم النظري، وقد اتفقت الأمة على أن ما في البخاري ومسلم على صحته فهو حق وصدق"[٥٨].

وأبو إسحاق الإسفراييني: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها ولا يحصل بها الخلاف بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ومتنها"[٥٩].

**ثانياً: أصح الكتب بعد القرآن الكريم وكل ما فيهما صحيح:**

امتاز الصحيحين على غيرهما من كتب السنة الأخرى بمجموعة من المميزات منها، أنهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وأصح كتب السنة على الإطلاق، واعتُبر بمجرد أن يُعلم أن الحديث رواه الشيخان أو أحدهما صحيح لا جدال في ذلك، تطمئن له النفس.

ابن الصلاح: "وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[٦٠].

والنووي: "وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم"[٦١].

وابن تيمية: "فإن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم"[٦٢].

---

(٥٧) ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ص ٥٧٠ .

(٥٨) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (١٣٩٢هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت : دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ٢٠/١ .

(٥٩) أصول الفقه، نقلاً عن أبي سفيان مصطفى باجو (٢٠٠٥م)، **الأحاديث المنتقدة المنتقدة في الصحيحين**، طنطا : مكتبة الضياء، الطبعة الأولى، ٢٤/١ .

(٦٠) أبو عمرو ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث**، ص ١٦ .

(٦١) محيي الدين النووي، **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، ص ٢٦ .

**ثالثاً: أقسام رواة الصحيحين:**

قسم العلماء رواة الحديث إلى عدة أقسام، معتمدين على الضبط والإتقان وملازمة الراوي لشيخه، وهذا له فوائد كثيرة منها، معرفة الثقة ممن هو أقل منه ومن هو ضعيف، وللترجيح عند الاختلاف والتعارض بين الرواة، وكذلك معرفة أوثق الرواة في راوٍ معين، وغيرها من الفوائد.

قال أبو بكر الحازمي في تقسيمه لهذه الطبقات:

الطبقة الأولى: فهو الغاية في الصحة وهو غاية مقصد البخاري .

الطبقة الثانية: شاركت الأولى في العدالة، غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة.

الطبقة الثالثة: جماعة لزموا الزهري مثل أهل الطبقة الأولى غير أنهم لم يسلموا من غوائل الجرح فهم بين الرد والقبول، وهم شرط أبي داود والنسوي .

الطبقة الرابعة: قوم شاركوا أهل الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل وتفردوا بقلة ممارستهم لحديث الزهري.

الطبقة الخامسة: نفر من الضعفاء والمجهولين [٦٣] .

وقد قال ابن حجر العسقلاني تعليقاً على هذا التقسيم : "وأكثر ما يخرج ما يخرج البخاري حديث الطبقة الثانية تعليقاً، وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقاً أيضاً، وهذا المثال الذي ذكرناه وهو في حق المكثرين، فيقاس على هذا أصحاب نافع وأصحاب الأعمش وأصحاب قتادة وغيرهم، فاما المكثرين فإنما اعتمد الشيخان في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ، لمن منهم من قوي الاعتماد عليه فأخرجا ما تفرد به كيحيى بن سعيد الأنصار، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه ، فأخرجا له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر" [٦٤] .

وقد صرح مسلم في كيفية اختياره لرواة الحديث عندما قسمهم إلى ثلاث مراتب وهي:

القسم الأول: أحاديث ناقلوها أهل استقامة وإتقان .

القسم الثاني: من ليس موصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم .

القسم الثالث: المتهمون، وقال أن هؤلاء يعرض عن حديثهم [٦٥] .

---

([٦٢]) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (١٩٩٥م)، **مجموع الفتاوي**، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن القاسم، المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ط)، ٣٢١/٢٠ .

([٦٣]) انظر : أبو بكر محمد بن موسى الحازمي (١٩٨٤م)، **شروط الأئمة الخمسة**، مطبوع مع كتاب شروط الأئمة الستة لابن طاهر القدسي، بيروت : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص ٥٧ – ٥٨ .

([٦٤]) ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ص ٩ – ١٠ .

([٦٥]) انظر: مسلم بن الحجاج، **الصحيح الجامع**، ٤/١ - ٥ .

وقد قال البعض أنه يخرج القسم الأول في الأصول ويبدأ به ثم يتبعه بالقسم الثاني في المتابعات والشواهد [٦٦] .

**رابعاً: الرواة المتكلم فيهم بالصحيحين :**

رد العلماء على وجود بعض الرواة الضعفاء عدة ردود يمكن إجمالها بما يلي:

**الأول:** أن يكون ذلك فيمن هو ضعيف، عند غيره ثقة.

**الثاني:** أن يكون ضعف الضعيف الذي احتج به طرأ بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه، غير قادح فيما رواه من قبل في زمان سداده واستقامته.

**الثالث:** أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده.

**الرابع:** هؤلاء الرواة لم يكن ضعفهم شديداً يصلون به إلى درجة الترك والرد لكامل حديثهم، فقد تكون هذه الأحاديث مما ضبطوه ووافقوا به الثقات.

**الخامس:** قد يكون تضعيف الراوي تشدداً، والجمهور على توثيقه.

**السادس:** أن يكون في المتابعات والشواهد لا في الأصول.

**السابع:** تصحيح البخاري الحديث على مجموع الطرق.

**الثامن:** لبيانها والتعريف بها ومن ثم التنبيه عليها.

**التاسع:** روايتها في فضائل الأعمال وليس العقائد والأحكام. :

**العاشر:** أن يكون الراوي ثقة عندهم – أي الشيخين –، ضعيفاً عند غيرهم.

**الحادي عشر:** تمييز الشيخين أن هذه الرواية سالمة من أي طعن أو خطأ، وأنه لا أثر لما طُعن به الراوي على هذه الرواية، أي الانتقاء من مروياتهم.

**الثاني عشر:** إن إجماع الأمة على قبول الصحيحين متقتضٍ لعدالة رواتهما من أخرجا له على وجه الاحتجاج لا المتابعة.

**الثالث عشر:** قلة أعداد المطعون بهم، مقارنة مع العدد الكلي للرجال المطعون بهم بشكل عام، وبأعداد رجال الصحيحين بشكل عام.

**الرابع عشر:** أن يكون الراوي ضعيفاً في بعض الشيوخ دون غيرهم، فيروون عنه عمن كان فيهم ثقة ويتجنبون عمن كانوا فيهم ضعفاء.

**الخامس عشر:** أن يوافقوا غيرهم من الثقات وليس ما انفردوا به.

---

(٦٦) كما قال الدكتور محمد الطوالبة في كتابه "الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه"، نقلاً عن : الدكتور حذيفة الخطيب (١٤ – ١٥/ ٢٠١٠/٧)، **دراسة تطبيقية على واقع مرويات المتهمين بالضعف في الصحيحين**، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين بالجامعة الأردنية، ص ٨ .

**خامساً: التمييز بين من كانت الرواية عنه في الأصول أو في المتابعات والشواهد:**

من معالم منهج الشيخين في التأليف هو ذكر المتابعات والشواهد للحديث الواحد، سواءً في مكان واحد كما كان يفعل مسلم، أو في مكان آخر كما فعل البخاري، وقد قاموا بالتمييز بينهما، فتشددوا في الأول وتساهلوا في الثاني، ولعل لهذه المتابعات والشواهد فوائد جمة منها: ليعلم أن الضعيف لم ينفرد، وتمييز رواية المختلط هل هي قبل اختلاطه أو بعده، وتمييز رواية المدلسين، ومعرفة المتواتر والآحاد والأفراد (٦٧) .

وقد اهتم العلماء بمعرفة الحديث هل هو من الأصول أم من المتابعات الشواهد، وكان ذلك له دور في الذب عن بعض رواة الصححين ممن ضُعفوا او غُمزوا بشيء منه، فكان أحد الردود على ذلك بأن الشيخين يذكرون روايات هؤلاء في المتابعات والشواهد، وليس في الأصول التي لا يذكرون فيها إلا من كان ثقة متفق عليه، ولم يتكلم أحد عليه بقادح أو جارح .

قال ابن الصلاح : "ثم اعلم أنه قد يدخل في باب المتابعة والاستشهاد من لا يحتج بحديثه وحده، بل يكون معدوداً في الضعفاء" (٦٨) .

وقال النووي في رده على رواية فيها الوليد بن مسلم : "وقد تقرر عندهم أن المتابعات يحتمل فيها ما فيه نوع من ضعف لكونها الاعتماد عليها، وإنما هي لمجرد الاستئناس" (٦٩) .

إذاً لا بد من النظر في كيفية إخراج البخاري للراوي، هل هو في الأصول أم في المتابعات والشواهد أم لا.

**المطلب الثالث: تفصيل حال الرواة المطعون بهم ومروياتهم في الصحيحين :**

بلغ عدد الرواة الذين طعن بهم السابقون خمسة عشر راوياً، وقد قمت بدراسة أحوالهم جرحاً وتعديلاً، وتتبع مروياتهم في الصحيحين وعمن رووها، وخلاصة النتائج التي توصلت إليها هي :

**الأول**: قسم منهم روايتهم قبل اختلاطهم، وهي رواية عبدالرزاق الصنعاني، وسعيد بن أبي عروبة .

**الثاني:** مما كان له متابعات وشواهد، وهي رواية سعيد بن عبدالعزيز، وحماد بن سلمة، وسعيد بن أبي عروبة، وحفص بن غياث، وأبي النعمان العجلي .

---

(٦٧) انظر : صالح بن عبدالله بن حمد العصيمي، **المتابعات والشواهد – دراسة نظرية تطبيقية على صحيح مسلم** –، بإشراف الدكتور موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، سنة ٢٠٠٧م، ص ٦٧ .

(٦٨) أبو عمرو ابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث**، ص ٨٤، وقال بمثل هذا: ابن الملقن، **المقنع في علوم الحديث**، ١٨٩/١، وزين الدين العراقي، **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**، ص ١١٠، وغيرهم من العلماء .

(٦٩) محيي الدين النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ١٠٦/٢، وقد بصرح بذلك في أكثر من موقع في كتابه .

**الثالث:** ما كان منها عن أوثق شيوخه، وهي رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني في صحيح مسلم، وعبدالأعلى بن عبدالأعلى عن سعيد بن أبي عروبة، وحفص بن غياث عن الأعمش، وأبو النعمان العجلي عن شعبة .

**الرابع:** ممن كان اختلاطه لا يضر لأنهم لم يحدثوا بعده، وهي رواية قيس بن أبي حازم، وجرير بن حازم، وحصين بن عبدالرحمن .

**الخامس:** الرواية له مقروناً بغيره، وهي رواية ليث بن أبي سليم .

**السادس:** انتفاء صفة الاختلاط عنه وبالتالي لا مطعن به بسببها، وهذا ينطبق على سفيان بن عيينة، وهشام بن عمار.

**السابع:** عدم وجود من قال أنه اختلط أصلاً، وهذا حال أبو عوانة الوضاح .



# وقفات حول ثقافة علم الجرح والتعديل

**سعد الدين منصور محمد**
أستاذ مشارك بقسم دراسة القرآن والسنة
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا



**المقدمة:**

إنّ علم الجرح والتعديل هو أحد أنواع العلوم المتعلقة بالرواة: ويعدّ هذا العلم من الأهمية بمكان؛ ذلك أن الغرض من معرفته حفظ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن أهميته: إجماع أهل العلم على أنه لا يُقبل إلا خبر العدل، كما أنه لا تقبل إلا شهادة العدل؛ لذلك كان السؤال عن المخبر من أهل العلم، والمعرفة واجبًا محتمًا. وإذا كانت معرفة أحوال الرواة من أوجب الواجبات لحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن بيان حال من عُرِفَ بالضعف أو الكذب، وكذا من عرف الضبط والعدالة من ذلك الواجب أيضًا؛ ليعرف الناس حقيقة أمر من نقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة، وهذا الاهتمام بالرواة، وهو ما يعرف بالاهتمام بالإسناد، وهو ما يتردد على ألسنة كثير من المحدثين بقولهم: الإسناد، وفضائل الإسناد، وأهمية الإسناد، والإسناد من خصائص الأمة المحمدية، ونحو ذلك.

يمثل هذا البحث بهذه الأطروحة إسهامًا وبيانًا للجهود التنويرية لمحو **الأمية الثقافية حول السنة النبوية حيث نجد كثير من المثقفين لا يعرفون عن علم الجرح والتعديل شيئًا**، وتهدف هذه الدراسة إلى الأخذ بأيدي العوامّ ومنكري السنة إلى برّ الأمان بجانب السعي الدائم، لبث ونشر وتعميق المفاهيم والحقائق الصحيحة عن السنة النبوية لدى جيل الطلبة والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية والشرعية حتى يكونوا على بينة من أمرهم ومساهمين، وتأتي هذه الدراسة تحت عنوان: **(وقفات حول ثقافة علم الجرح والتعديل).**

وسيحاول الباحث الإجابة عن أسئلة عالقة بالأذاهان وهي: ما علم الجرح والتعديل؟ حيث نبرز تقافة لغة هذا العلم ومصطلحاته التى تعارف عليها أهله بعد التعريف به كيف نشأ وتطور؟ و سنبين بدايته مستندين على الأدّلة من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة. ما أثر علم الجرح والتعديل في العلوم الأخرى كعلم القراءات ،علم اللغة العربية ، وعلم التاريخ والسير وعلم القضاء؟ حيث نبين أثر علم الجرح والتعديل على علم القراءات، وعلم التاريخ، وعلوم اللغة والصرف، والنحو، وعلم القضاء ونحوه . ما أشهر كتب علم الجرح والتعديل ورجالاته؟

فقد عُرف في ميدان الجرح والتعديل رجال عرفوا بالتقوى والورع، فنشروا هذه الثقافة العالية بين الأجيال.

وسنبرز من خلال هذا البحث مقام السنة النبوية المطهرة وفرعاً من علومها ألا وهو -علم الجرح والتعديل محاولين بذلك محق الأقوال الباطلة التي لا تمتّ بصلة إلى علو مكانة خاتم النبوة، وعلوم السنة النبوية المطهرة.

**الوقفة الأولى: تعريف الثقافة في اللغة:**

(الثقافة) هي العلوم، والمعارف، والفنون التي يطلب الحذق فيها. و(الثقاف) أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل أثقفة وثقف. (الثقافة) الملاعبة بالسيف.[1]

قال د. أحمد مختار عبد الحميد عمر:[2] " ثقافة [مفرد]: والجمع ثَقافات (لغير المصدر):

١ - مصدر ثقُفَ.

٢ - علوم ومعارف وفنون يدركها الفرد "لابد للشاعر أن يمتلك ثقافة أدبية وعلمية غزيرة" ثقافة أساسيَّة: هي مجموع السِّمات الثَّقافية التي توجد في زمان ومكان معيَّنَين وغالبًا ما تشير إلى تلك الثَّقافة التي تمهِّد أو تيسِّر انبثاق المخترعات- ثقافة عامَّة: ثقافة في المجالات العامَّة الضروريَّة.

٣ - مجموع ما توصَّلت إليه أمَّة، أو بلد في الحقول المختلفة من أدب، وفكر، وصناعة، وعلم وفنّ، ونحوها؛ بهدف استنارة الذِّهن وتهذيب الذَّوق وتنمية ملكة النَّقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع "وللثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة تاريخ طويل" الثَّقافة الشَّعبيّة: هي الثَّقافة التي تميِّز الشَّعب والمجتمع الشّعبيّ، وتتّصف بامتثالها للتقاليد والأشكال التنظيميَّة الأساسيَّة- والثَّقافة المضادّة: اتجاه ثقافيّ يحاول أن يحلّ محلّ الثقافة التقليديّة بمعناها المألوف- أما الثَّقافة المهنيّة: فهي الثقافة التي يلمّ بها الذين هم على درجة عالية من التعليم أو التمدُّن في المجتمع- وثُنائيّ الثَّقافة: هو تعبير خاص بثقافتين مميَّزتين في دولة واحدة، أو منطقة جغرافيَّة واحدة.

٤ - بيئة خلَّفها الإنسان بما فيها من منتجات ماديَّة وغير ماديَّة تنتقل من جيل إلى آخر.

٥ - تراث أدبيّ وفنيّ ومسرحيّ

بصفة عامَّة، أسلوب حياة معين أو أعمال وممارسات النَّشاط الفكريّ ولاسيّما النَّشاط الفنيّ.[3]
فبما أن علم الجرح والتعديل يعد من العلوم والفنون التى عرفتها الأمة الإسلامية وطبقتها في نقل

---

[1] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٩٨.

[2] أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م)، ج١، ص ٣١٨.

[3] أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج١، ص٣١٥.

المصدرين الأساسيين ( القرآن الكريم، والسنة المطهرة)؛ لذا اعتبرناه من أنواع الثقافة التى نريد أن نقف عندها ، حتى نبينها للآخرين .

قال ابن منظور:[٤] "ثقف: ثقف الشيء ثقفًا وثقافًا وثقوفة: حذقه. ورجل ثقف، وثقف وثقف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف. وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رام راو. اللحياني: رجل ثقف لقف، وثقف لقف، وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة. ابن السكيت: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. ويقال: ثقف الشيء، وهو سرعة التعلم. ابن دريد: ثقفت الشيء حذقته، وثقفته إذا ظفرت به. قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال : ٥٧]، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً خفيفاً مثل ضخم، فهو ضخم، ومنه المثاقفة. وثقف أيضاً ثقفاً مثل تعب تعباً أي صار حاذقاً فطناً، فهو ثقف وثقف، مثل حذر وحذر، وندس وندس؛ ففي حديث الهجرة:

وهو غلام لقن ثقف، أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. وفي حديث، أم حكيم بنت عبد المطلب: «إني حصان فما أكلم، وثقاف فما أعلم»[٥].

وثقفنا فلانا في موضع كذا أي أخذناه، ومصدره الثقف. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. والثقاف والثقافة: العمل بالسيف؛ قال: وكأن لمع بروقها، ... في الجو، أسياف المثاقف.[٦] والشاهد أن الثقافة أصلها الفهم والحذق ، وعلماء الجرح والتعديل قد حذقوا هذا الفن وأتقنوه .

**الوقفة الثانية: علم الجرح والتعديل، نشأته وظهوره.**

**أولاً: تعريف الجرح لغةً.**

الجرح معناه: من جرحه يجرحه جرحا إذا أثر فيه بالسلاح، فالجرح بالفتح التأثير في الجسم بالسلاح، والجرح بالضم اسم للجرح. [٧]

[٤] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ)، ج٩، ص ١٩- ٢٠.

[٥] أخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، **الأمالي في آثار الصحابة للحافظ الصنعاني**، تح: مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٥٦، رقم ٦٢؛ أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، **مسند الحميدي**، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، (دمشق – سوريا: دار السقا، ط١، ١٩٩٦م)، ج١، ص ٣٢٣، رقم ٣٢٥.

[٦] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص ٢٠؛ وأبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تح: رشدي الصالح ملحس، (بيروت: دار الأندلس للنشر، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٣١٦.

[٧] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص ٤٢٢.

قال الزَّبيدي صاحب تاج العروس: "وقال بعض فقهاء اللغة: الجرح، بالضم: يكون في الأبدان بالحديد ونحوه؛ والجرح، بالفتح: يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها. وهو المتداول بينهم، وإن كانا في أصل اللغة بمعنى واحد".[8]

وقد يكون الجرح معنويًّا كالثلب، والتنصيص، السبّ، والشّتم. ومن ذلك جرح الحاكم الشاهد إذا عثر منه على ما تسقط به عدالته من كُذب وغيره. وقد قيل: استجرح الشاهد، والاستجراح النقصان والعيب والفساد. وفي خطبة عبد الملك بن مروان: "وعظتكم فلم تزدادوا على الموعظة إلا استجراحًا -أي فسادًا-"، وقيل معناه: إلا ما كسبكم الجرح والطعن عليكم.[9]

قال أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي[10]: (جرحه، كمنعه) يجرحه جرحًا: أثّر فيه بالسلاح، هكذا فسّره ابن منظور وغيره. وأما قول المصنف: (كلمه) فقد ردّه شيخنا بقوله: الجرح في عرف الناس أعرف، وأشهر من الكلم، وشرط المفسّر الشارح أن يكون أعرف من المشروح. ولو قال: قطّعه أو شقّ بعض بدنه. أو أبقاه، وأحاله على الشهرة كالجوهري، لكان أولى.

قال أبو الفيض: وعبارة الأساس: جرّحه: كقطّعه، ولا يخفى ما فيه من المناسبة. (كجرّحه) تجريحاً: إذا أكثر ذلك فيه. قال الحطيئة:

ملوا قراه وهرته كلابهم - وجرحوه بأنياب وأضراس.

(والاسم الجرح، بالضم) و (ج جروح) وأجراح، وجراح. (و) قيل: (قل أجراح) إلا ما جاء في شعر. ووجدت في حواشي بعض نسخ (الصحاح) الموثوق بها: عنى به قول عبدة بن الطبيب:

وعلى وصرعن من حيث التبسن به - مضرجات بأجراح ومقتول.[11]

وفي التنزيل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠] (جرح) الشيء (كمنع: اكتسب)، وهو مجاز (كاجترح). يقال: فلان يجرح لعياله ويجترح، ويقرش ويقترش بمعنى. وفي التنزيل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] أي اكتسبوا. وفي (الأساس): وبئسما جرحت يداك، واجترحت، أي عملتا وأثرتا. وهو مستعار من تأثير الجارح.[12]

---

[8] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من تحين، (الرياض: دار الهداية، د. ط.، د. ت.)، ج٦، ص ٣٣٧.

[9] مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط.، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج١، ص ٢٥٦.

[10] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من تحين، (بدون: دار الهداية، د. ط.، د. ت.)، ج٢٣، ص ٦١.

[11] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٢٣، ص ٦١.

[12] أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٦، ص ٣٣٧.

وفي المعجم الوسيط[١٣]: (جرحه) جرحاً شقّ في بدنه شقاً فهو وهي جريح (ج) جرحى، ويقال جرحه بلسانه سبه وشتمه وجرح الشاهد طعن فيه ورد قوله، والشيء كسبه وفي التنزيل العزيز:﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠] ويقال فلان يجرح لعياله

(جرح) جرحًا أصابته جراحة وجرحت شهادته وروايته، (جرحه) أكثر من جرحه ويقال جرحوه بأنياب وأضراس شتموه وعابوه، (اجترح) الشيء اكتسبه وأكثر ما يستعمل في الجرائم وفي التنزيل العزيز ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ويقال فلان يجترح لعياله، (استجرح) الشاهد استحق أن يطعن فيه ويقال كثرت هذه الأحاديث واستجرحت فسدت وقل صحاحها، (الجارح) فلان جارح أهله كاسبهم.[١٤]

(الجارحة) العضو العامل من أعضاء الجسد كاليد والرجل وما يصيد من الطير والسباع والكلاب (ج) جوارح وفي التنزيل العزيز: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤] وما تجرح به الشهادة.

(الجراحة) الجرح، وصنعة الجراح وفرع وهومن الطبّ يكون العلاج فيه كلّه أو بعضه قائماً على إجراء عمليات يدوية مبضعية (ج) جرائح، (الجرح) الشق في البدن (ج) جروح وجراح، (الجرحة) ما تجرح به الشهادة، (الجراح) الذي يعالج بالجراحة.[١٥]

**ثانياً: تعريف الجرح اصطلاحاً:**

والجرح عند المحدثين الطعن في راوي الحديث بما يسلب، أو يخل بعدالته، أو ضبطه.[١٦]

قال حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني: "وصف الراوي بما يقتضي ردّ روايته"[١٧].

**ثالثًا: تعريف التعديل لغةً واصطلاحاً.**

وأما التعديل في اللّغة هو التسوية، وتقويم الشيء، وموازنته بغيره.[١٨] والتعديل مأخوذ من العدل: وهو ضدّ الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم. والعدل من الناس المرضي المستوي الطريقة.[١٩]

---

[١٣] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، ج١، ص ١١٥.

[١٤] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[١٥] إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، ج١، ص ١١٥. وانظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص ٤٢٢.

[١٦] نور الدين محمد عتر الحلبي، **منهج النقد في علوم الحديث**، (سورية: دار الفكر دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م)، ج١، ص ٩٢.

[١٧] حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، **خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل**، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١ هـ)، ج١، ص ٦.

والعدل في الاصطلاح: من لم يظهر في أمر دينه ومروؤته ما يخلّ بهما.[20] والمراد بالعدل[21]: مَنْ لهُ مَلَكَةٌ تَحْمِلُه على مُلازَمة التَّقوى، والمُروءةِ[22]. والمُرادُ بالتَّقوى: اجْتِنابُ الأعمالِ السَّيِّئةِ مِن شِرْك، أو فسقٍ، أو بدعةٍ.[23]

والتعديل وصف الراوي في عدالته، وضبطه بما يقتضي قبول روايته،[24] قال السخاوي: "(التعديل) ما أتى، كما قال شيخنا، بصيغة أفعل، كأن يقال: أوثق الناس، أو أثبت الناس، أو نحوهما، مثل قول هشام بن حسان: حدثني أصدق من أدركت من البشر محمد بن سيرين; لما تدل عليه هذه الصيغة من الزيادة".[25]

**رابعًا: تعريف علم الجرح والتعديل عند المحدثين.**

قال حاجي خليفة[26] هو: "علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم، بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ.

---

[18] محمد بن محمد أبو شهبة، **الوسيط في علوم مصطلح الحديث**، (جدة: عالم المعرفه، د. ط.، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م)، ج١، ص ٣٨٥. وانظر: **لسان العرب**، ج ١١، ص٤٣٢، مادة: (ع د ل).

[19] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص ٤٣٠؛ والزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج٢٩، ص ٤٤٤.

[20] انظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تح: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تح بشير عيون، (مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، د. ت.)، ج١، ص ١٢٦.

[21] قال عبد الله بن ضيف الله الرحيلي في حاشية نزهة الفكر: "واختلفت أقوال العلماء في تعريف العدالة، ولكن، لا يصرفْك ذلك عن اتفاقهم؛ فاختلاف تعبيرهم عن العدالة، لا يعني اختلافَهُمْ في العدالة، وقُلْ كذلك بالنسبة للمروءة. ومهما قيل في التعريف فالأصل أن كل ذلك يعود إلى مَلَكَةٍ تَحْمِلُ صاحبها على الاستقامة في الأقوال والأفعال". انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، (الرياض: مطبعة سفير ، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص ٦٩.

[22] والمروءة ذكر جمهور فقهاء الشافعية أنها السائر بسيرة أمثاله في زمانه ومكانه. انظر: ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، ج١، ص ٦٩.

[23] ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، ج١، ص ٦٩. وانظر، رفعت بن فوزي عبد المطلب، **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته**، (مصر: مكتبة الخنانجي، ط١، د. ت.)، ج١، ص ١٢٨.

[24] انظر: عبدالوهاب عبداللطيف، **المختصر في علم رجال الأثر**، (بيروت: المكتبة الحديثة للطباعة والنشر، د. ط.، ١٩٦٦م)، ج١، ص ٤٣.

[25] شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي**، تح: علي حسين علي، (مصر: مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ج٢، ص ١١٤.

[26] مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، د. ط.، ١٩٤١م)، ج١، ص ٥٨٢. وانظر: عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثانية عشرة - العدد الأول - محرم صفر ربيع أول ١٤٠٠هـ)، ج١، ص ٥٥. وانظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، **عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية**، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د. ط. د. ت.)، ج١، ص ٢٢.

وهذا العلم من فروع علم رجال الأحاديث، ولم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات مع أنه فرع عظيم، والكلام في الرجال جرحاً، وتعديلاً ثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، وجوز ذلك تورعاً، وصوناً للشريعة لا طعناً في الناس. وكما جاز الجرح في الشهود، جاز في الرواة، والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق، والأموال، فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك.[٢٧]

وأول من عُني بذلك من الأئمة الحفاظ شعبة بن الحجاج، ثم تبعه يحيى بن سعيد. قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) : أول من جمع في ذلك الإمام يحيى بن سعيد القطان، وتكلم فيه بعده تلامذته يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي القلاس، وأبو خيثمة زهير. وتلامذتهم: كأبي زرعة، وأبي حاتم البخاري، ومسلم، وأبي إسحاق الجوزجاني، والنسائي، وابن خزيمة، والترمذي، والدولابي، والعقيلي، وابن عدي، وأبو الفتح الأزدي، والدارقطني، والحاكم، إلى غير ذلك.[٢٨]

ومن الكتب المصنفة فيه كتاب: (الجرح والتعديل) لأبي الحسن: أحمد بن عبد الله العجلي، الكوفي، نزيل طرابلس المغرب. المتوفى: سنة ٢٦١ هـ ، إحدى وستين ومائتين. وكتاب: (الجرح والتعديل) للإمام، الحافظ، أبو محمد: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي. المتوفى: سنة ٣٢٧ هـ ، سبع وعشرين وثلاثمائة. وهو كتاب، كبير. أوله: (الحمد لله، رب العالمين بجميع محامده كلها ... إلخ) .[٢٩]

ذكر: فيه أنه لما لم يجد سبيلاً إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله سبحانه وتعالى، ولا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من جهة النقل والرواية، وجب أن يميز بين العدول الناقلة والرواة وثقاتهم وأهل الحفظ والثبت والإتقان منهم، وبين أهل الغفلة، والوهم، وسوء الحفظ، والكذب واختراع الحديث الكاذب والكذب.[٣٠]

والكامل: لابن عدي، وهو أكمل الكتب و (ميزان الاعتدال): للإمام الذهبي.

والثمرة المبتغاة من هذا العلم حفظ السنة، وهو فرع من فروع علم رجال الحديث. قال ابن الصلاح: (هذا من أجل نوع وأفخمه، فإنه المرقاة إلى معرفة صّحة الحديث وسقمه).[٣١]

---

[٢٧] المصادر نفسه، والصفحات نفسها.

[٢٨] المصادر نفسه، والصفحات نفسها.

[٢٩] حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص ٥٨٢. وانظر: عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، ج١، ص ٥٥. وانظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، **عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية**، ج١، ص ٢٢.

[٣٠] حاجي خليفة أو الحاج خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج١، ص ٥٨٢.

[٣١] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

**خامسًا: نشأة علم الجرح والتعديل.**

**-نشأة هذ العلم وتطوره:**

من المعلوم لدى المسلمين جميعًا أن السنة المشرفة هي: مصدر دينهم بعد كتاب ربهم، وهي مناط عزّهم، ولولاها ما راح مسلم ولا جاء. وقد تكفلت ببيان القرآن وإبراز محتواه إلى الناس؛ لأن الذي تحدث بها هو الذي جاء بالقرآن من عند الله وهو أدرى به، وعليه فالسنة هي الأصل الثاني للشريعة، والقرآن هو الأصل الأول كما تقدّم، ومنكر الأصل الثاني منكر للأصل الأول، لأنه أمر بالأخذ بالثاني وبإنكاره يكون قد خلع ربقة الإسلام من عنقه.[٣٢]

ولما كانت السنة بهذه الأهمية أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفظها، وتبليغها على وجهها كما سمعت، ونهى عن الكذب في الأخبار عنه وتوعد فاعله مقعداً في النار، ولأن نسبة الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم شرع يعمل به والكذب عليه ليس كالكذب على غيره، ومن هنا قام جماعة من الأئمة بحفظها في الصدور، وتدوينها في السطور، وقطعوا في سبيل ذلك الفيافي، والقفار، وواصلوا الليل بالنهار، واعتبروا ذلك من أوجب الواجبات عليهم، وعلى قاعدة الحفظ والتبليغ مع الأمانة والصدق، والبعد عن الكذب المشار إليها حرص العلماء على الوقوف على أحوال الرواة بالبحث عن مواليدهم، وأسمائهم، وكناهم، وألقابهم، وبلدانهم، ورحلاتهم، وأمانتهم، وثقتهم، وعدالتهم، وضبطهم وغير ذلك من كذب، أو غفلة، أو علة، أو نسيان وما إلى ذلك ووضعوا كلّ واحد منهم مادام قد تصدّى للرواية في سجل يجمع كلّ هذا حتى يعرف من كان من أهل الشأن من غيره.[٣٣]

ومن هنا نشأ علم الجرح والتعديل، أو علم فحص الرجال، أو علم ميزان أو معيار الرواة.. وقام جماعة من الأئمة بهذه المهمة الجليلة التي سنّها لهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومشى عليها الصحابة عليهم الرضوان، وعلم الجرح والتعديل علم جليل القدر من أجل العلوم التي نشأت بنشأة حفظ السنة وتدوينها بعيدة عن الخلل والزيف. وهو علم لا نعرف له نظير في تاريخ الأمم الأخرى. واستطاع العلماء بهذا العلم الوقوف على أحوال الرواة، وميزوا بين الصحيح وغيره من الأخبار، فجندوا أنفسهم، لاختبار من يعاصرونهم من الرواة، ولم يكتفوا بذلك، بل يسألونهم عن السابقين ممن لم يعاصروهم، ويعلنوا رأيهم فيهم دون تحرج ومأثم إذ كان ذلك ذبّاً عن دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وقد قيل لأبي عبد الله البخاري إن بعض الناس ينقمون عليك التاريخ يقولون فيه اغتياب الناس فقال: "لا إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم: "بئس أخو العشيرة".[٣٤]

---

[٣٢] عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، ج١، ص ٥٣.

[٣٣] عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، ج١، ص ٥٣.

[٣٤] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

وغدا هذا العلم (النقد للرجال) فيما بعد علمًا قائمًا بذاته سمي بـ: (علم الجرح والتعديل).وقد نبغ فيه نابغون، وتميزّ به جهابذة معددون، بدأ بعصر الصحابة الكرام والتابعين، لهم بإحسان، وانتهاء بالحافظ الذهبي والعراقي وابن حجر العسقلاني.

وقد ألّف الحافظ الذهبي كتاباً سماه: ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، ذكر فيه الحفاظ النقاد طبقة طبقة، من عصر الصحابة إلى عصر شيوخه الأفذاذ الفحول، فبدأ بأول من زكى وجرح بعد إنقضاء عصر الصحابة: كالشعبي، وابن سيرين، وختم بشيوخه ومعاصريه كابن دقيق العيد، والقطب الحلبي، والمزي، وابن تيمية، وأبي العلاء البخاري، وأبي الفتح ابن سيد الناس، فبلغوا إلى زمنه ٧١٥ ناقدًا. ثم جاء الحافظ السخاوي، وذكر المتكلمين في الرجال في كتابه: (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ) وأخذ جزء الذهبي السابق الذكر، فانتخب منه واختار وأضاف إليه قليلًا، بدأ بطبقة النقاد من الصحابة رضي الله عنهم، وانتهى بالحافظ ابن حجر العسقلاني نفسه، فبلغوا عنده ٢١٠ ناقدًا.

وألّف الإمام تاج الدين السبكي قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين.

**سادسًا: ظهور علم الجرح والتعديل.**

كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يتحرّون ويحتاطون في نقل الأخبار، ولاسيما بعد وقوع الفتن في آخر خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما أعقب ذلك من الفتن السياسية.[٣٥]

وواكب تلك الفتن السياسية ظهور بعض البدع، والأهواء، فـ "نبغ في آخر خلافة النبوة بدعتان متقابلتان تقابل المغضوب عليهم والضالين: الخوارج يُكفِّرون الخليفتين، ومن تولاهما، ويحلُّون دماء أهل القبلة، ويفعلون بأهل الإيمان فعل اليهود بالنبيين.[٣٦]

والروافض يَغْلُون فيمن يستحق الولاية والمحبة، فيطرونه إطراء النصارى، حتى وصفوا البشر بالإلهية، وألحقوا الأئمة بالمرسلين ..إلخ. "[٣٧].

وحدثت أيضاً بدعتان أخريان متقابلتان: القدرية الذين "عظَّموا أمر المعاصي حتّى أوجبوا نفوذ الوعيد بجميع أهل الكبائر، أو جميع المذنبين، ومنعوا شفاعة الشفعاء ورحمة أرحم الراحمين، وأَعْظموا أن يكون الله قدَّرها، أو شاءها، أو يسرها، وسلبوا الإيمان بالكلية لمن اتصف بها من المسلمين"[٣٨].

---

[٣٥] انظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، **عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية**، ج١، ص ٢٧.

[٣٦] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[٣٧] تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، **جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس**، تح: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٥، ص ٣٧ .

[٣٨] ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، **جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس**، ج٥، ص ٣٧ .

والمرجئة الذين "استخفوا بأمر الواجبات والمحرمات، حتى استبعد بعضهم نفوذ الوعيد على الكبائر الموبقات ..إلخ "[٣٩].

وقد تضافرت جهود الصحابة رضي الله عنهم والتابعين للتصدي لهؤلاء، والتحذير منهم، ومن بدعهم. روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يَعْمَر قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجُهَني، فانطلقت أنا وحُمَيد بن عبد الرحمن الحِمْيَري حاجَّيْن أو مُعْتَمِرَين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر، فَوُفِّقَ لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم،[٤٠] وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُف[٤١].

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم بُرآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً فأنفقه، ماِقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"[٤٢].

ويبين الخبر المتقدم ذكره حسن تصرف هذين التابعيين رحمهما الله في الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم عن هؤلاء المبتدعة، ويبين أيضاً موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في البراءة من هؤلاء حتى لا يُغْتَرَّ بهم، وهذا قدح فيهم، وتحذير منهم.

وقد عزا الدكتور فاروق حمادة[٤٣]، ظهور هذا العلم ، إلى سببين رئسيين هما : صيانة الرواية من الوهم والنسيان والعوارض البشرية ، والثاني : صيانة الرواية من التزيد والإفتراء.

---

[٣٩] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[٤٠] يتقفرون العلم: أي يتطلَّبونه. ومنه حديث يحيى بن يعمر «ظهر قبلنا أناس يتقفرون العلم» ويروى «يقتفرون» أي يتطلبونه. وحديث ابن سيرين «إن بني إسرائيل كانوا يجدون محمدا منعوتا عندهم في التوراة، وأنه يخرج من بعض هذه القرى العربية، فكانوا يقتفرون الأثر» . انظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط.، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج٤، ص ٩٠؛ وفي صيانة صحيح مسلم: يتقفرون العلم وهو بتقديم القاف على الفاء هذا هو الثابت في أصولنا وفي روايتنا وهو الرواية المشهورة فيه ومعناه يطلبونه ويتتبعونه وقيل معناه يجمعوه ومنهم من رواة بتقديم الفاء عل القاف أي يبحثون عن غامضه ويستخرجون خفيه، انظر: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط**، تح: موفق عبد الله عبد القادر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ)، ج١، ص ١٣٣.

[٤١] وأن الأمر أُنُف: أي مستأنف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص ٧٥.

[٤٢] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند **الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط. د. ت.)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، ج١، ص ٣٦، رقم ٨.

[٤٣] د. فاروق حمادة، **المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل**، (الرباط: مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٨٤- ٩٩ .

**سابعًا: الأدّلة من الكتاب والسنة على مشروعية علم الجرح والتعديل:**

١- مما لا شك فيه أن لحامل الخبر تأثيرًا في الخبر وأدائه، فإن كان عدلًا ضابطًا مستقيمًا صادقًا، كان أداؤه أوفى، وبيانه أضبط وأحلى، وكلما تناقصت هذه الصفات أو قلت، خف الوفاء، وقلّ الصبط والإتقان في الرواية والخبر.

من هنا جاء أمر القرآن الكريم موجهًا بفحص الأخبار، وتبين أحوال رواتها وناقليها، آمراً بالتثبت في قبول خبر الفاسق، مشيراً إلى قبول خبر العدل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

قال ابن كثير: "يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في الأمر نفسه كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم قد اقتفى وراءها، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن اتباع سبيل المفسدين" [٤٤].

قال الشوكاني: "والمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر" [٤٥].

وفي مفهوم الأمر بالتثبت في خبر الفاسق، دلالة على تعديل خبر الصادق وقبوله.

٢- قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢]. المقصود بالمرضي من الشهداء، من يوثق في دينه وأمانته، وإذا كان العدل مطلوبا في الشهادة فمن باب أولى في رواية الحديث، ونقل الخبر لأن به حفظ الدين وصيانة الشريعة.

٣- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

في هذه الآية أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين؛ ليكون من أخلاقهم وصفاتهم القيام لله، والشهادة بالعدل في إخوانهم وأعدائهم، ولا يجوروا في أحكامهم، وألا يحملنهم عدواة قوم على أن لا يعدلوا في حكمهم فيهم، وسيرتهم بينهم.

وهذا المطلوب في الآية هي القاعدة الأساسية التى يقوم عليها ميزان الجرح والتعديل.فعلماء الحديث هم بمثابة حكام لنقد الرواة من ناحية جرحهم وتعديلهم، على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم.

---

[٤٤] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، تح: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٩ هـ)، ج٧، ص ٣٤٥.

[٤٥] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤ هـ)، ج٥، ص ٧١.

٤- ونجد أن القرآن الكريم قد وقف موقفًا شديدًا من الكذبة المزورين القاذفين زوراً، ونهى عن قبول شهادتهم قال تعالى: ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]

ومما تقدم نستخلص أن القرآن أمر بأشياء هي :

**أولًا:** بتفحص الأخبار ومعرفة أحوال رواتها.

**ثانيًا:** إلتزام العدل قولًا وحكمًا، في النفس، وفي الحكم بين العباد.

**ثالثًا:** اعتبار القرآن خبر الفاسق ساقطاً مردوداً وهذا طعن فيه، وجرح في روايته.

**رابعًا:** في قبول خبر العدل تزكية له، وفي رد خبر الفاسق تجريح، وفي الأمر بإقامة العدل بين الناس القاعدة الأساسية للجرح والتعديل ومن هنا يتبين لنا أن علم الجرح والتعديل، ليس بدعًا.

**ثامنًا: الأدلة من السنة المطهرة على مشروعية الجرح والتعديل:**

**١.** أخرج الشيخان عن عائشة: "أنّ رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ائذنوا له فلبئس أخو العشيرة»، فلما دخل عليه ألان له القول. قالت فقلت: يا رسول الله قلت له الذي قلت. ثم ألنت له القول؟ قال: «يا عائشة إن شرّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه، أو تركه الناس اتقاء فحشه»[٤٦]. وهذا الحديث أصل في مشروعية الجرح، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة دليل على أن إخبار المخبر يما يكون في الرجل من العيب والفسق على ما يوجب الدين من النصيحة والتحذير من حاله ليس بغيبة. بل هذا من الواجب الإفصاح عن أمره حتى يعرف؛ ليتقى شرّه. وذلك من باب الشفقة على الأمة، والنصيحة لها.

قال القرطبي: "في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق، أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة" [٤٧].

**٢.** ما جاء من الأخبار النبوية من تزكية أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسائر الصحابة [٤٨]. مما يدلّ على تعديل الله ورسوله لهم دليل على مشروعية التعديل.**كقول النبي صلى الله عليه وسلم:**

[٤٦] أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، ج١٠، ص ٤٧١. ومسلم، في **الصحيح بشرح النووي** في كتاب البر والصلة، باب مدارة من يتقى فحشه ٢٠٠٢/٣.

[٤٧] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص ٤٥٤.

[٤٨] - انظر ما جاء في فضائل الصحابة ومناقبهم في كتب السنة ككتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل.

«نعم الرجل عبد الله»[49]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تزكية القرون الثلاثة: «خيركم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[50].

٣. التحذير من رواية الكذّابين. روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم»[51].

وجاء في الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[52].

قال مسلم: "دلّت السنة على نفي رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق"[53].

والحديث فيه دليل على جرح من حدّث بحديث غلب على ظنه أو علم كذبه فرواه، حيث سمي كاذبا.

٤. ما جاء في قصة الإفك وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم أسامة وعلي، وسؤال الجارية بريرة، فإذا كان يسأل عن عائشة وهي من هي في مكانتها، ويجب عن المسؤول عنها بيان أمرها في قضية تعارضت فيها الأقوال، وكان جانب عفافها وصدقها وطهرها ظاهراً وقوياً، والسؤال عنها يتعدى أساساً. فكيف برواة الحديث وناقلي الأخبار ممن لا يبلغون شيئاً من مكانة عائشة يطلقون الروايات ولا يبين أمرهم، ولا يعرف بحالهم؟ [54].

هذه النصوص دلت على جواز الجرح والتعديل فيما هو من شأن الدنيا إذا ترتبت عليه مصلحة شرعية راجحة، فجوازه فيما فيه تعلق بالدين، وحفظ قواعده، وصيانة أركانه، أحرى وأولى.

والآثار عن السلف في مشروعية الجرح والتعديل كثيرة منها قول ابن سيرين: ( لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى البدعة فلا يؤخذ حديثهم) [55].

---

[49] أخرجه البخاري، **في الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب، ج٤، ص ٢١٥.

[50] أخرجه البخاري، **في الصحيح**، عن عمران بن حصين، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج٥، ص ٢٥٨. ومسلم، **في الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ج١٦، ص ٨٧.

[51] مسلم، **مقدمة صحيح مسلم**، ج١، ص ٧٨.

[52] المصدر نفسه، ج١، ص٦٢.

[53] المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

[54]- انظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، **الكفاية في علم الرواية**، تح: أبو عبدالله السورقي, إبراهيم حمدي المدني، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٢٤.

[55] مسلم، **مقدمة صحيح مسلم**، ج١، ص ٨١.

ولذلك ترجم الإمام النووي لهذا القول قائلاً: باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلاّ على الثقات، وأن جرح الرواة، بما هو فيهم جائز، بل هو واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة) [٥٦].

**تاسعًا: آدابه وأحكامه:**

فعلم الجرح والتعديل هو علم ميزان الرجال إذ يبحث فيه عن حال الراوي نفسه، وفي مروياته، وشيوخه، وتلاميذته، وعدالته، وأمانته، وحفظه، ونسيانه، وضبطه، وتخليطه وضعفه، وقوته، وتحمله وأدائه، وشبابه وكهولته وشيخوخته، وحضره وسفره، ومناقبه وحسناته، واستنانه وابتداعه، وجرحه ومغامزه، وهناته وخوارم مروءته، وشنائع أخباره ومفترياته، وولادته ووفاته[٥٧].

قال ابن الدقيق العيد: الباب الثامن: في معرفة الضعفاء وهذا الباب تدخل فيه الآفة من وجوه خمسة.

**أحدهما:** وهو شرّها الكلام بسبب الهوى، و الغرض، والتحامل.

**وثانيها** المخالفة في العقائد، فإنها أوجبت تكفير الناس بعضهم لبعض، أو تبديعهم.

**وثالثها**: الاختلاف الواقع بين المتصوفة، وأهل العلوم الظاهرة، فقد وقع بينهم تنافر أوجب كلام بعضهم في بعض.

**رابعها**: الكلام بسبب الجهل بالعلوم ومراتبها، والحق والباطل منها.

**خامسها**: الخلل الواقع بسبب عدم الورع، والأخذ بالتوهم، والقرائن التي قد تختلف.[٥٨]

فالناقد كما قال عمرو بن قيس: "ينبغي لصاحب الحديث أن يكون مثل الصيرفي الذي ينتقد الدراهم فإن الدراهم فيها الزائف والبهرج، وكذلك الحديث"[٥٩].

قال المعلمي اليماني: "ليس نقد الرواة بالأمر الهين، فإن الناقد لا بدّ أن يكون واسع الاطلاع على الأخبار المروية، عارفاً بأحوال الرواة السابقين، وطرق الراوية، خبيرًا بعوائد الرواة ومقاصدهم، وأغراضهم، وبالأسباب الداعية إلى التساهل في الكذب، والموقعة في الخطأ والغلط، ثم يحتاج إلى معرفة أحوال الراوي متى وُلد؟ وبأي بلد؟ وكيف هو في الدين والأمانة، والعقل، والمروءة، والحفظ؟

---

[٥٦] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ)، ج١، ص ٨٤.

[٥٧] انظر: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، **الاقتراح في بيان الاصطلاح**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٥٤- ٥٦.

[٥٨] ابن دقيق العيد، **الاقتراح في بيان الاصطلاح**، ج١، ص ٥٧.

[٥٩] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، (الهند: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن، وبيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م)، ج٢، ص ١٨.

ومتى شرع في الطلب؟، ومتى سمع؟ وكيف سمع؟ ومع من سمع؟ وكيف كتابه؟ ثم يعرف الشيوخ الذين يحدث عنهم وبلدانهم، ووفياتهم، وأوقات تحديثهم، وعاداتهم في التحديث، ثم يعرف مرويات الناس عنهم، ويعرض عليها مرويات هذا الراوي، ويعتبر بها إلى غير ذلك مما يطول شرحه، ويكون مع ذلك متيقظًا، مرهف الفهم، دقيق الفطنة، مالكًا لنفسه، لا يستمليه الهوى، ولا يستفزهُ الغضب، ولا يستخفّه بادر ظن حتى يستوفي النظر، ويبلغ المقرّ، ثم يحسن التطبيق في حكمه، ولا يجاوز ولا يقصر وهذه المرتبة بعيدة المرام، عزيزة المنال، لم يبلغها إلا الأفذاذ"[٦٠].

ومن أهم شروط الجارح والمعدل التي ذكرها العلماء:

**١. العلم والورع والتقوى والصدق.**

قال الذهبي: "فحقّ على المحدث أن يتورع فيما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع؛ ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار، ويجرحهم إلاّ بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر، والتيقظ، والفهم، مع التقوى، والدين المتين والإنصاف، والتردد إلى العلماء، والتحري والإتقان، وإن لم تفعل:

فدع عنك الكتابة فليت منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]. [٦١].

ويدخل في معنى العلم العلم بالأحكام الشرعية قال السبكي: "ومما ينبغي أن يتفقد أيضًا حاله في العلم بالأحكام الشرعية، فربّ جاهل ظنّ الحلال حرامًا فجرح به، ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتوضح الحال"[٦٢].

**٢. مجانبة الهوى والعصبية والغرض الفاسد.**

قال الحافظ ابن حجر: "وليحذر المتكلم في هذا الفنّ من التساهل في الجرح والتعديل، فإنه إن عدّل أحدًا بغير تثبت كان كالمثبت حكمًا ليس بثابت، فيخشى عليه أن يدخل في زمرة: من روى حديثًا وهو يظنّ أنّه كذب، وإن جرح بغير تحرز أقدم على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمه بميسم سوء يبقى عليه عاره أبدًا، والآفة تدخل في هذا تارةً من الهوى، والغرض الفاسد، وكلام المتقدمين سالم من هذا غالبًا، وتارةً من المخالفة في العقائد، وهو موجود قديمًا وحديثًا، ولا ينبغي إطلاق الجرح بذلك"[٦٣]

فلا بّد أن يكون منصفًا ناصحًا، لا متعصبًا متحاملاً، مجانبًا للحق، بعيدًا للصواب.

---

[٦٠] المصدر نفسه، **مقدمة، الجرح والتعديل،** ج١، ص ٢.

[٦١] شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، **تذكرة الحفاظ،** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ج١، ص ١٠.

[٦٢] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، **قاعدة في الجرح والتعديل (مطبوع مع كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث»)،** تح: عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت: دار البشائر، ط٥، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، ج١، ص ٥٣.

[٦٣] أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر،** تح: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، (الرياض: مطبعة سفير، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص ١٧٨.

**٣- المعرفة بأسباب الجرح والتعديل:**

قال البدر بن جماعة: "من لا يكون عالماً بالأسباب لا يقبل منه جرح، ولا تعديل لا بالإطلاق ولا بالتقييد"[٦٤].

**٤-الخبرة بمدلولات الألفاظ والمعرفة بتصاريف كلام العرب:**

قال عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني: "ومن ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح إلا ببينة واضحة ."[٦٥]

قال الحافظ في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما نقلاً عن الطبري: "ومن ثبتت عدالته لم يقبل فيه الجرح، وما تسقط العدالة بالظنّ وبقول فلان لمولاه: لا تكذب علي، وما أشبهه من القول الذي له وجوه وتصاريف، ومعان غير الذي وجه إليه أهل الغباوة، ومن لا علم له بتصاريف كلام العرب"[٦٦].

قال ظفر التهانوي عقبه: "قلت: فلا بد لفهم كلام الجارحين من الوقوف على تصاريف كلام العرب"[٦٧].

**٥-الإلمام بقواعد كثير من العلوم وطبائع الأشياء:**

حتى يكون ملمًا بأصول كل خبر، فيعرضه على ما عنده من القواعد والأصول، فإن جرى على مقتضاها كان صحيحًا وإلا زيفه واستغنى عنه [٦٨].

خلاصة ما تقدم نجد أن المحدثين وضعوا من الضوابط والأصول للنقاد ما يضمن سلامة المنهج، وصحّة المسير، واستقامة الطريق الذي سلكوه، بل لم يحعلوا منصب الجرح والتعديل لكلّ من يتكلم فيه، بل الأمر كما قال اللكنوي: "يشترط في الجارح والمعدل العلم، والتقوى، والورع، والصدق

---

[٦٤] شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، **فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي**، تح: علي حسين علي، (مصر: مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ج٢، ص ٣١؛ ومحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص ٦٨، ١٠٥.

[٦٥] عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني، **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، (بدون: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ج١، ص ٣٠٨، ٤٣٠.

[٦٦] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، د. ط.، ١٣٧٩هـ)، ج١، ص ٤٢٩.

[٦٧] الإمام ظفر أحمد العثماني التهانوي، **قواعد في علوم الحديث**، ج١، ص ٣٩٧.

[٦٨] انظر: **الجرح والتعديل** لأبي لبابة حسين ، ص ٥٣.

والتجنب عن التعصب ومعرفة أسباب الجرح والتزكية، ومن ليس كذلك لا يقبل منه الجرح ولا التزكية"[٦٩].

**الوقفة الثالثة: أثر علم الجرح والتعديل في غيره من العلوم.**

**أثر علم الجرح والتعديل في علم القراءات:**

ويمكن أن نعد هذه الضوابط قواسم مشتركة بين علم القراءات و علوم الحديث عامة ، وخاصة علم الجرح والتعديل .

**الضابط الأول:(تسمية الحديث)**

قسم الحديث إلى أنواع، منها: الصحيح، والحسن، والضعيف، والمتواتر، والآحاد، والمشهور والشاذ، والموضوع، وكذلك الحال بالنسبة للقراءات القرآنية، فمنها الصحيح، والمشهور والشاذ، والموضوع، والقراءة المقبولة التي تتوفر فيها شروط القبول عند القراء فقط.

**الثاني: (اتصال السند):**

يهتم علم القراءات كما يهتم الحديث في قبول الرواية بالرواة، فيشترط اتصال أسانيد الرواة من أول السند إلى آخره، وانتفاء أنواع السقط كالتعليق والإرسال والإعضال والانقطاع وغيرها. وهي نفسها شروط قبول رواية القراءات القرآنية. كما يهتم بحال الرواة من ناحية الجرح والتعديل ومكانتهم من حيث القبول والرد.

**الثالث:(النقل بالمشافهة في بداية الأمر)**

من المعروف أنه في بداية الأمر, نقل الرواة الحديث مشافهةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبدأ بعملية التدوين إلا في القرن الثالث. وكذلك الأمر بالنسبة لعلم القراءات، حيث أنه لم يدوّن في بداية الأمر لأن كلاهما قد نقل عن الأمين صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا يمكن أن نقول ، إن هناك صلة وثيقة بين علم القراءات وعلم الجرح والتعديل ، يوضحا الجدول أدناه :

**١- علم القراءات:**

هل لعلم الجرح والتعديل آثار في علم القراءات؟ وكيف يهتم علم القراءات بمبادئ علم الجرح والتعديل؟ الإجابة هي أنه لا بد من الأسانيد الصحيحة أي سلامة الرواة من الجرح حيث نظر إلى عدالتهم وضبطهم، واتصال الأسانيد.

كما ثبت في الحديث في قصة عمر الخطاب مع هشام بن حكيم عن قرآته. فقد روى البخاري و مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة "الفرقان" في حياة رسول

[٦٩] اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، **الرفع والتكميل في الجرح والتعديل**، ج١، ص ٦٧.

الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أُساوره - أي أثب عليه - في الصلاة، فصبرت حتى سلم، فَلَبَّبْتُه بردائه - أي أمسك بردائه من موضع عنقه - فقلت: من أقرأك هذه السورة ؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأ فيها، فقال: أرسله - أي اتركه - اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[٧٠].

**مفهوم القراءات:**

لغةً القراءات: جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر الفعل "قرأ".

وفي الاصطلاح العلمي: العلم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها, منسوب لناقلها.[٧١]

**ضوابط القراءات المقبولة:**

القراءة يجب أن تؤخذ من النبيصلى الله عليه وسلم كما تلقاها عن الله عز وجل. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨]. فإن النطق بالقرآن المغاير للكيفية التي قرأ بها الرسول الأمين مردود.ولهذا ضبط العلماء القراءات المقبولة بقاعدة مشهورة متفق عليها بينهم وهي:

الأول: أن يصح سندها عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن توافق اللغة العربية ولو بوجه

الثالث: أن توافق المصحف العثماني، أي المصحف المنسوب غلي سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

أما بالنسبة للإسناد فلا بد لإثباته من صحته، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد. إن كل قراءة لم يصح سندها عن النبيصلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يصح القراءة بها أو العمل بمقتضاها، لأنه تقوّل على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم.[٧٢] فالقرآن كله متواتر منقول بواسطة سلسلة من القراء الذين يؤمن تواطئهم على الكذب عن طريق الكتابة والمشافهة.

ومعنى موافقة العربية ولو بوجه، أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها بالإسناد لا بالرأي. فربما أنكر

---

[٧٠] أخرجه البخاري في **صحيحه**،كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض،ج٢،ص٥٨١،رقم ٢٢٨٧؛ ومسلم في **صحيحه**،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ج١، ص٥٥٩، رقم ٨١٨.

[٧١] ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمدبن محمد الجزري، **منجد المقرئين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ج١، ص ٦١، وعبد الهادي الفضلي، **القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف**، (بيروت،: دار القلم، ط٣، ١٩٨٥م)، ج١، ص ٥٥.

[٧٢] أبو عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب العتبي، **دليل فهم القرآن المجيد**، (رياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٨٢٤ هـ٢٠٠٣م)، ج١، ص١٧٣.

أهل العربية قراءة من القراءات لخروجها عن القياس ولا يحفل أئمة القراءة بإنكارهم شيئًا فإنه ينبغي أن نجعل القراءة الصحيحة حكمًا على القواعد اللغوية، لا سيما وأن القرآن الكريم هو المصدر الأول لاقتباس القواعد اللغوية.

**أقسام القراءات من حيث السند:**

قسمت القراءات كما قسم الحديث إلى عدة أنواع. وقد قسم العلماء القراءات إلى أنواع ستة:

١-المتواترة: وهي ما رواها جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب.

٢- المشهورة: ما صح سندها ووافق العربية وأحد المصاحف العثمانية واشتهرت عند القراء فلم يعدّوها من الغلط ولا من الشذوذ ولكنها لم تبلغ درجة التواتر.

٣- ما صح سندها وخالفت الرسم أو العربية.

٤-الشاذة: وهي ما لم يصح سندها.

٥- الموضوعة: ما ينسب إلى قائله من غير أصل أي ليست عن النبيصلى الله عليه وسلم.

٦-المدرجة:وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير.[٧٣]

**-أمثلة من علم القراءات:**

١-القراءات المتواترة: ومثالها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [سورة المؤمنون:٤٤].

أي واحداً بعد واحد وقولهم: "جاءت الخيل تترا" أي جاءت متقطعة.

٢-القراءات المشهورة: قوله تعالى: ﴿ما أشهدنهم خلق السموات والأرض﴾ بدل ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الكهف:٥١].

٣-ما صح سندها وخالفت الرسم أو العربية ، مثاله ما أخرجه الحاكم عن عاصم الجحدري عن أبى بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿متكئين على رفارف وخضر وعباقري حسان﴾ وهو كذلك عند الترمذي ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]

٤-القراءات الشاذة:قوله تعالى: (فاليوم ننحيك ببدنك) بدلًا ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [سورة يونس:٩٢].

٥-القراءة المدرجة: قراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة ((من أم))، وقراءة: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ في مواسم الحج بزيادة، "في مواسم الحج" مدرجا من كلام ابن عباس.

[٧٣] د. فاروق حمادة، **المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل**، (الرباط: مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ، ص١١٣.

٦-القراءات الموضوعة: ﴿إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ﴾ برفع ﴿اللهُ﴾ ونصب ﴿العلماءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر:٢]

**أما أقسام الحديث:**

١-المتواتر: ما رواه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب.

٢-المشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر.

٣-العزيز: ما رواه عدد لا يقل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند

٤-الغريب: ما ينفرد بروايته راو واحد.

٥-الصحيح:ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.

٦-المدرج: ما غير سياق إسناده, أو ادخل في متنه ما ليس منه بلا فصل.

٧-الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨-الشاذ: ما رواه مقبول مخالفاً لمن هو أوثق منه.

فنرى تأثير علم الحديث على علم القراءات إذ تتشابه تقسيماته وتسمياته

**جدول يوضح العلاقة بين علم القراءات وعلم الجرح والتعديل :**

| | علم القراءات | علم الجرح والتعديل |
|---|---|---|
| ١. | الاهتمام باتصال السند. | الاهتمام باتصال السند. |
| ٢. | النقل بالمشافهة في بداية الأمر. | النقل بالمشافهة في بداية الأمر. |
| ٣. | الإهتمام بعملية التدوين. | الاهتمام بعملية التدوين. |
| ٤. | من أنواع القراءات: القراءة الصحيحة، القراءة الشاذة، القراءة الموضوعة. | من أنواع الحديث: الحديث الصحيح والحسن والضعيف والشاذ والموضوع. |
| ٥. | الاهتمام بعدالة الرواة وضبطهم. | الاهتمام بعدالة الرواة وضبطهم. |

**٢. أثر علم الجرح والتعديل في اللغة العربية:**

إن علم مصطلح الحديث علم إسلامي بحت أوجده علماء الحديث المسلمون منذ عهدهم الأول. بما اتبعه الصحابة من قوانين الرواية ثم محاربة الكذب ثم تصنيف الأحاديث والرواة، ثم نما هذا العلم تبعاً لتطور الحاجة حتى تكامل تمامًا، وأنه قام في كل مراحله على أسس دقيقة.

إن قواعد هذا العلم التي تبدو مفرقة في كتب المصطلح تكوّن في جملتها منهجاً متكاملاً يدرس الحديث وينقده من جميع الجهات: جهات الرواية والأسانيد والمتون... وإن أصول هذا العلم ومناهجه صارت نبراسًا يهتدي به العلماء الآخرون من فقهاء وأصوليين ومفسرين ولغويين.. الخ. ويقتبسون منه ويسيرون على نهجه ويتبعون قوانينه.

فهذا الإمام جلال الدين السيوطي يقول في مقدمة كتابه الشهير (المزهر في علوم اللغة)[٧٤] بأنه اعتمد في تبويب كتابه على علم مصطلح الحديث، قال: "...هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها، وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع. وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك...". وذكر منها خمسين نوعاً أهمها:

**النوع الأول**: معرفة الصحيح الثابت من اللغة، ويقابله في علم المصطلح الحديث الصحيح، وهو ما اتصل إسناده بنقل العدل الضابط ضبطاً تاماً عن مثله إلى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة قادحة.

**النوع الثاني**: معرفة ماروي من اللغة ولم يصح ولم يثبت. ويقابله في علم المصطلح الحديث الضعيف، وهو ما فقد شرطاً أو أكثر من شروط القبول كفقد اتصال وعدالة وضبط ومتابعة في المستور وكوجود شذوذ...

**النوع الثالث**: معرفة المتواتر والآحاد، ويقابله في علم المصطلح الحديث المتواتر، وهو الذي رواه من الابتداء إلى الانتهاء جمع عن جمع تمنع العادة اتفاقهم على الكذب، وهو مما يدرك بالحس. وحديث الآحاد هو ماروي من طريق واحد فهو الحديث الغريب أو المفرد.

**النوع الرابع**: معرفة المرسل والمنقطع في اللغة، ويقابله المرسل والمنقطع في مصطلح الحديث. فالمرسل هو ما رفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلمقولاً أو فعلاً أو تقريراً... والحديث المنقطع ما سقط من رواته واحد قبل الصحابي، وقيل هو مالم يتصل إسناده بأي حال.

**النوع الخامس:** معرفة الإفراد في اللغة وهو ما انفرد به واحد من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره، وهذا يقابل حديث الأفراد عند أهل الحديث، أو الغريب. **النوع السادس**: معرفة من تقبل روايته في اللغة ومن ترّد. وهو يقابل في علم المصطلح صفات الرجال من رواة الحديث الذين يجب أن تتوافر فيهم شروط معينة من الجرح والتعديل مثل العدالة والضبط، وتقابل في عرفنا اليوم الأمانة العلمية، وعكسها مراتب الجرح، مثل: دجال، وضاع، كذاب،...الخ.

**النوع السابع**: معرفة طرق الأخذ والتحمل، وهي كثيرة، منها: السماع والقراءة على الشيخ، والإجازة والمكاتبة....الخ. وهذه نفس الشروط التي وردت في علم مصطلح الحديث.

**النوع الثامن**: معرفة المصنوع في اللغة، ويقابله في علم المصطلح معرفة الحديث الموضوع أو المصنوع، وهو الذي اختلقه راو ونسبه إلى الرسولصلى الله عليه وسلم، وقد بين علماء المصطلح علامات وضع الحديث.

---

[٧٤] السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، تح: علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م)، المقدمة، ج١، ص ٧.

**- أثر علم الجرح والتعديل على القضاء:**

إن غاية القضاء في الإسلام هو إقامة حدود الله تعالى وذلك باحقاق الحق وإبطال الباطل وإزهاقه ، حيث تصل الحقوق إلى أهلها، والقران الكريم قد أرسى دعائم الحق بين الناس، فقد تحدث القرآن الكريم عن الشهادات في كثير من الآيات، لأن الشهود هم الذين يجب أن يكونوا عدولاً ، لأنهم بهم يثبت الحق ويبن .

فشهادة الزنا لابد فيها من عدالة ، قال تعالى في سورة النور : ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور : ١٣ ، ١٤]

وفي أية أخرى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤]

وأما الشهادة في سائر الحدود والأموال فقد قال تعالى ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]

أما الأمور التى لا يطلع عليها إلا النساء فتقبل فيها شهادة النساء اللاتى تتوفر فيهن شروط العدالة وقد جاء في الأثر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يجيز شهادة القابلة».[٧٥]

أذن القاضي المسلم لا يقبل شهادة كل أحد وإنما يقبل شهادة العدل ففي آية البقرة السابقة ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة ٢٨٢]، وفي أية سورة الطلاق ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، فهذه أيضاً تدل على اشتراط العدالة للشاهد ، أذن أهم شروط قبول الشهادة هى: العدالة وهى متضمنة للإسلام .

والتيقظ، وهو الفطنة. والحرية، وهى شرط في الشهادة دون الرواية.[٧٦]

والعدالة تشترط في الشهود كما تشترط في الرواة، والشاهد العدل في المسلمين من لم يظهر به ريبة. وسئل عبد اللّه بن المبارك عن العدل فقال: "من كان فيه خمس خصال: يشهد الجماعة، ولا يشرب هذا الشراب، ولا تكون في دينه خربه، ولا يكذب، ولا يكون في عقله شيء"[٧٧].

[٧٥] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، **السنن الكبرى**، تح: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ج١٠، ص ٢٥٤، رقم ٢٠٥٤٢.

[٧٦] مادة، فاروق حمادة، **المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل**، (الرباط: مكتبة المعارف، ط٢، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، ص١٤٤-١٤٦.

[٧٧] عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، ج١، ص ٥٧.

والجرح أجيز في الرواة باتفاق أئمة الشأن صيانة للشريعة الإسلامية من أن يدخل فيها ما ليس منها، ونصيحة لله ورسوله عليه السلام وللمسلمين. ولا يقف على معرفة ذلك إلا المحدث الصادق المشهور بطلب الحديث التقى الورع.

ومما سبق تتضح لنا الصلة الوثيقة بين هذين العلمين ، علم الجرح والتعديل وعلم القضاء، خاصة في مسألة الشهادة التى هي ركن مهم في علم القضاء ، وذلك باشتراط العدالة ، والتى هى من أهم أركان الراوي العدل .

**تأثير علم الجرح والتعديل على علم التاريخ:**

إن مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ متعددة ومتنوعة، ويمكننا تلخيصها فيما يلي:

**١- اعتماد منهج الرواية بالأسانيد:**

وقد استفاد المؤرخون هذا المنهج من مدرسة الحديث، ولم يكن باستطاعتهم تجاهله أو إهماله، وقد كان جمع الأخبار جزءا من ظاهرة ثقافية عامة، وهي ظاهرة جمع الأحاديث والروايات في كل مصر على انفراد. وقد كان لانقراض جيل الصحابة أثر واضح في إيجاد هذه الظاهرة، والمبادرة إلى الرحلة في طلب الحديث، كما أن حركة الوضع قد أدت هي الأخرى إلى بعث الهمم في النفوس للتفتيش عن الأسانيد وفضح الكذابين. على أن الإسناد في التاريخ لم يبلغ ما بلغه في الحديث، إذ الملاحظ تساهل في الأسانيد والرواة في بعض الأحيان لدى المؤرخين.[٧٨]

**٢- نشأة علم الرجال والطبقات:**

إن اعتماد المحدثين منهج الإسناد في الرواية قد أدى إلى نشوء فرع من فروع العلم، عرف عندهم باسم علم الرجال،وذلك إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري وقد أطلق بعض المؤلفين على كتبهم في الرجال اسم التاريخ، حيث أطلقه البخاري مثلا على ثلاثة من كتبه: التاريخ الكبير والأوسط والصغير. ولقد تغايرت مناهج العلماء في ترتيب كتبهم هذه، ولقد تأثر غيرهم بهذه المناهج فقلدوهم فيها.

ويظهر أثر علم الرجال والطبقات على المؤرخين فيما يلي:

- إضافة مادة علمية تخص الحياة الثقافية للمدن، مما يساعد على سد الفجوات التي قد توجد في كتب التاريخ.

- تأثر بعض أنواع الدراسات التاريخية الحديثية بعلم الرجال وهو ما يعرف بعلم تاريخ التاريخ، والذي يتناول دراسة الأصول التي استقى منها المؤرخون موادهم العلمية، ومكانة أصحابها والصفات التي اتصفوا بها ومكاناتهم وأغراضهم.

[٧٨] حمادة ، فاروق حمادة، **المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل**، ص١٤٤-١٤٨.

- تأثر كتب التراجم بكتب الرجال من ناحية الشكل والمحتوى، إذ أن الفرق الوحيد بينها هوالتوسع في ترجمة الرجال وإدخال معلومات أخرى لا تخص رواة الحديث لدى كتب التراجم.

- تأثير كتب الرجال ببعض كتب التاريخ العام: كالبداية والنهاية لابن كثير، والمنتظم لابن الجوزي، وتاريخ الإسلام للذهبي.

٣- **تبدو أهمية كتب الرجال والتراجم والطبقات في:** الحكم على الروايات، سواء كانت تاريخية أم حديثية، مع ملاحظة التساهل في الروايات التاريخية. ولعلم الحديث الفضل في نشوء علم الرجال إذ أن هذا الأخير فرع له وناتج عنه.

٤- **شروط المؤرخين للمؤرخ:**

وذلك بالإفادة من منهج المحدثين في شروطهم فيروي الحديث، ويعتمد رواياته. ومجمل هذه الشروط تدل على العدالة والضبط والتحري، في النقل والأمانة في الأداء، والمعاني العامة لهذه الشروط مشتركة بين المحدث والمؤرخ.

**الخاتمة:**

مما سبق تبين مما لا يدع مجالاً للشك أن علماء الحديث لا سيما - علماء الرجال – قد تبنوا منهجاً فكرياً ذا ضوابط علمية منقطعة النظير استطاعت أن تتكيف مع تلك الحقبة من التاريخ التي شهدت انقساماً فكرياً وسياسياً ومذهبياً حاول العديد منها الوقوف من خلف ستار السنة تحقيقا لأغراضهم المنشودة.

من مظاهر الفكر الإبداعي في ضوابط نقد رجال الإسناد أنه منهج رباني كما شهد بذلك الكتاب والسنة فقد ذم الله تعالى المنافقين والمشركين بل وفضح أمرهم في سبيل الحفاظ على وحدة العقيدة . وكذلك فهم علماء الرجال ضرورة نقد الأسانيد في سبيل الحفاظ على السنة النبوية التي تعد ركنا أساسا في تفسير كثير من مجملات الأحكام الشرعية.

امتثل منهج نقد الرجال طابعا أدبيا ساعد بدوره في نماء هذا العلم وتطوره حتى صار منهجا أنموذجيا اقتفى أثره كثير من جزئيات العلوم الإنسانية. فكانت من أجلى مظاهر الآداب في طيات هذا العلم:

النزاهة في الحكم والأمانة في الوصف.

الدقة في البحث والحكم.

إلتزام الأدب في الجرح.

- لا يجوز الجرح بما فوق الحاجة.
- لا يجوز جرح من لا يحتاج إلى جرحه.

❖ لا يحل الاقتصار على نقل الجرح فقط دون التعديل فيمن وجد فيه جرح وتعديل من الرواة.

في ختام هذا البحث، حاول الباحث بيان أوجه تأثير علم الحديث وفروعه كعلم الرجال وعلم الجرح والتعديل على بعض العلوم الأخرى فذكر أثره هذا العلم على علم القراءات القرآنية، واللغة العربية وآدابها، و علم القضاء، والتاريخ مع شئ من الإ ختصار، وهذا يدل على عظم ما بذله المحدثون في ميدانهم الفسيح هذا علم الحديث، ومدى الإبداع الذي أدخلوه على العلوم الإسلامية، وتأثر العلوم الأخرى بهذه المناهج، ما هو إلا اعتراف ضمني بأهمية منهج المحدثين وقوته العلمية مما جعله معينا يغترف منه رواد العلوم الإسلامية الأخرى وغيرها من العلوم المعاصرة.بعد أنّ أعطى الباحث فكرة موجزة تعريفية لهذا العلم وأسباب نشأته وظهوره على الساحة العلمية .

بل يدل ذلك على التفكير العلمي الحصيف عند علماء المسلمين ، مما أثر على الحضارة الإنسانية جمعا ، وهو بلا شك أسهم فى رقي وازدهار الحضارة العالمية .

**نتائج البحث:**

وهناك بعض النتائج التي توصل إليها الباحث في هذا البحث، فمن أهما ما يأتي:

- (الثقافة) هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها. و(الثقاف) أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل أثقفة وثقف. (الثقافة) الملاعبة بالسيف.
- قال الزَّبيدي صاحب تاج العروس: "وقال بعض فقهاء اللغة: الجرح، بالضم: يكون في الأبدان بالحديد ونحوه؛ والجرح، بالفتح: يكون باللسان في المعاني والأعراض ونحوها. وهو المتداول بينهم، وإن كانا في أصل اللغة بمعنى واحد"
- والجرح عند المحدثين الطعن في راوي الحديث بما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه.[٧٩]
- قال حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني: "وصف الراوي بما يقتضي رد روايته"[٨٠].
- علم الجرح والتعديل: قال حاجي خليفة[٨١] هو: "علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم، بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ.

[٧٩] نور الدين محمد عتر الحلبي، **منهج النقد في علوم الحديث**، (سورية: دار الفكر دمشق، ط٣، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م)، ج١، ص ٩٢.

[٨٠] حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، **خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل**، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١ هـ)، ج١، ص ٦.

[٨١] مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، د. ط.، ١٩٤١م)، ج١، ص ٥٨٢. وانظر: عبد المنعم السيد نجم، **علم الجرح والتعديل**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثانية عشرة - العدد الأول - محرم صفر ربيع أول ١٤٠٠هـ)، ج١، ص ٥٥. وانظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، **عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية**، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د. ط. د. ت.)، ج١، ص ٢٢.

- مما لا شك فيه أن لحامل الخبر تأثيرا في الخبر وأدائه، فإن كان عدلاً ضابطاً مستقيماً صادقاً كان أداؤه أوفى، وبيانه أضبط وأحلى، وكلما تناقصت هذه الصفات أو قلت، خف الوفاء، وقل الضبط والإتقان في الرواية والخبر. من هنا جاء أمر القرآن الكريم موجها بفحص الأخبار، وتبين أحوال رواتها وناقليها، آمرا بالتثبت في قبول خبر الفاسق، مشيراً إلى قبول خبر العدل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].
- قال القرطبي: "في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة" [٨٢].
- فعلم الجرح والتعديل هو علم ميزان الرجال و يبحث فيه عن حال الراوي نفسه، وفي مروياته، وشيوخه، وتلاميذته، وعدالته، وأمانته، وحفظه، ونسيانه، وضبطه، وتخليطه وضعفه، وقوته، وتحمله وأدائه، وشبابه وكهولته وشيخوخته، وحضره وسفره، ومناقبه وحسناته، واستننانه وابتداعه، وجرحه ومغامزه، وهناته وخوارم مروءته، وشنائع أخباره ومفترياته، وولادته ووفاته[٨٣].



[٨٢] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج١٠، ص ٤٥٤.

[٨٣] انظر: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، **الاقتراح في بيان الاصطلاح**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط.، د. ت.)، ج١، ص ٥٤- ٥٦.

# منهج المحدثين ودوره في تجديد عرض وكتابة السيرة النبوية
# أمثلة ونماذج معاصرة

**د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي**
رئيس قسم البحوث والدراسات
مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية
الإمارات العربية المتحدة / الشارقة



**مقدمة:**

يتناول هذا البحث موضوعاً دقيقاً أرى أنه حري بالبحث، ذلك أنه يركز على دور منهج المحدثين في إعادة صياغة جملة من الروايات والمفاهيم والرؤى والتصورات التي سادت في مصادر تراثنا لاسيما التاريخية منها، وذلك بتقديم مادة تقوم على شقين الأول منهجي والثاني تفسيري تحليلي، ومدى ما حققه المعاصرون في هذا المشروع الحامي للسيرة النبوية.

إن أهمية موضوع البحث تنبع من كونه يرتكز على تبيان وصفي وتحليلي لمفهوم منهج المحدثين ودور علماء ورواد هذا العلم في رفد الدراسات المعاصرة وتجديدها وعرضها بأسلوب علمي رصين يصونها من الزلل، ويناقش ويعالج الكتابات التي سُكِتَ عنها رغم ما يعتريها من علل في أحيانٍ كثيرة، فلابد للمحدثين وطلبتهم من مواجهة هذه الدراسات المعاصرة التي تسيء لتراثنا، وتربك أفكار الأجيال المعاصرة والأجيال القادمة، وسبيل أهل الحديث في عرض السيرة النبوية سديدة ورصينة؛ لذا ينبغي أن يدلوا بدلوهم في إعادة كتابة التاريخ عموماً والسيرة النبوية خصوصاً، وكما قام بذلك مجموعة من العلماء والباحثين المعاصرين.

فالبحث يهدف لتبيان الدور الذي يمكن لأهل الحديث تأديته لحماية السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وكيف السبيل لتحقيق دور علمي وعملي يتصدى للإشكالات والسقطات الفكرية والعلمية المعاصرة.

والسؤال الذي يسعى البحث لمعالجته هو إلى أي مدى أسهم أهل الحديث سابقاً وحالياً في حماية السيرة النبوية من أن تعرض بشكل منقوص أو محرف، وما هي الوسائل الناجعة التي يمكن لأهل الحديث أن يقدموا بها سيرة نبوية صحيحة، وهل هناك من المعاصرين من أثبت نجاح منهج المحدثين في كتابة السيرة النبوية.

وسنستخدم في البحث المنهج التحليلي والوصفي لمعالجة الموضوع من كافة جوانبه وصولاً للإجابات المطلوبة.

وهيكلية البحث على النحو الآتي:



## المبحث الأول

## أسس ومرتكزات منهج المحدثين في رواية السيرة النبوية

### المطلب الأول: ضوابط الرواية عند المحدثين وأهميتها المعاصرة:

اختط المحدثون لأنفسهم منهجاً علمياً غاية في الدقة والصرامة في تلقي الرواية وقبولها، ووضعوا شروطاً عدة تعد من أبرز ميزات أمة الإسلام العلمية، ذلك أنهم جعلوا هذا المنهج العلمي فيصلاً في الحكم على الرواية وقبولها بعد تمحيصها وتدقيقها سواء من حيث المتن أو السند، وكذلك مقارنة الرواية بغيرها من الروايات، كما هو حال الحديث الشاذ مثلاً، وسنشير هنا إلى هذه الشروط العلمية التي وضعها المحدثون لتلقي الرواية وقبولها أو الإعراض عنها وردها، وسنبدأ هنا بالإمام الشافعي رحمه الله تعالى (ت ٢٠٤هـ) والذي يعد كتابه الرسالة حاوياً لعلوم متنوعة من الحديث والفقه وأصوله، فيقول: " ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أموراً منها: أن يكون قد حدث به ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه، عاقلاً لما يحدث به، عالماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، أو أن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدث به على المعنى؛ لأنه إذا حدث على المعنى وهو غير عالم بما يحيل به معناه لم يدر لعله يحيل الحلال إلى حرام، وإذا أداه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه إحالته الحديث، حافظاً إذا حدث به من حفظه، حافظاً لكتابه إذا حدث من كتابه، إذا شَرِكَ أهل الحفظ في حديث وافق حديثهم، بريئاً من أن يكون مدلساً، يحدث عمن لقي ما سمع منه –

ولايحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يحدث الثقات خلافه عن النبي صلى الله عليه وسلم- ويكون هكذا من فوقه ممن حدثه حتى ينتهي بالحديث وصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى من انتهى به إليه دونه، لأن كل واحد منهم مثبت لمن حدثه، ومثبت على من حدث عنه، فلا يستغني في كل واحد منهم عما وصفت".

ويضيف:" ومن كثر غلطه من المحدثين ولم يكن له أصل كتاب صحيح لم نقبل حديثه". ويقول أيضاً:" وأهل الحديث متباينون فمنهم المعروف بعلم الحديث بطلبه وسماعه من الأب والعم وذوي الرحم والصديق وطول مجالسة أهل التنازع فيه، ومن كان هكذا كان مقدماً بالحفظ، إن خالفه من يقصر عنه كان أولى أن يقبل حديثه ممن خالفه من أهل التقصير عنه ويعتبر على أهل الحديث بأن اشتركوا في الحديث عن الرجل بأن يستدل على حفظ أحدهم بموافقة أهل الحفظ، وعلى خلاف حفظه بخلاف حفظ أهل الحفظ له، وإذا اختلفت الرواية استدللنا على المحفوظ منها والغلط بهذا ووجوه سواه، تدل على الصدق والحفظ والغلط، قد بيناها في غير هذا الموضع وأسأل الله التوفيق"[١].

إن ما تقدم يشير بوضوح إلى المنهجية التي اعتمدها المحدثون في روايتهم ونقلهم للسنة والسيرة النبوية الشريفة.

ويقول محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨هـ) شيخ الإمام البخاري:" ولا يجوز الاحتجاج إلا بالحديث الموصل، غير المنقطع، الذي ليس فيه رجل مجهول، ولا رجل مجروح ويقول:" لا تكتب الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يرويه ثقة عن ثقة حتى يتناهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول ولا رجل مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به وترك مخالفته "[٢].

ويروي الخطيب عن قتادة (ت ١١٧هـ) قوله:" لا يحمل هذا الحديث عن صالح عن طالح، ولا عن طالح عن صالح، حتى يكون صالح عن صالح "[٣].

ومما تقدم نستشف أموراً عدة تقرر منهج المحدثين في رواية الأخبار ونقلها، وأن لا يكون الناقل كحاطب ليل بل يجب التثبت والدقة في النقل لتمييز الصحيح من القبيح والسليم من السقيم.

ونستطيع من كل ما تقدم أن نحدد الضوابط والشروط التي وضعها المحدثون لرواية السنة والسيرة النبوية والأخبار والآثار، وذلك كما يلي[٤]:

---

(١) ينظر: محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق. أحمد محمد شاكر، ط٢ (مصر، مكتبة التراث، ١٣٨٥هـ) ص ٣٧٠-٣٧٢.

(٢) أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت 462 هـ)، الكفاية في علم الرواية، بلا.ط (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، د.ت) ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

١- العدالة والضبط.
٢- اتصال السند.
٣- السلامة من العلل القادحة.
٤- عدم مخالفة الثقات.

إن لهذه الضوابط التي وضعها المحدثون الأثر الأكبر في ضبط الرواية وتمحيصها في هذا العصر الذي كثرت فيه الشبه والملابسات حول السيرة النبوية من قبل جهات أو مؤسسات أو أفراد تعمدوا ذلك أو جهلوا لكنهم بالنتيجة أثروا في الصورة المقدمة للعامة عن السيرة النبوية فكان منهج المحدثين الطريق الأسلم للدفاع عنها كما سنوضح.

**المطلب الثاني: دور منهج المحدثين في حماية السيرة النبوية:**

إن لمنهج المحدثين الدور الأبرز والأمتن في حفظ وحماية السيرة النبوية؛ نظراً لمتانة واستقرار هذا المنهج عموماً في نقد الأسانيد والمتون إذا ما قورن بمنهج المؤرخين في كتابة التاريخ والسيرة النبوية وهناك أسباب في التباين بين منهج المحدثين في رواية السيرة النبوية ومنهج المؤرخين ويمكن إيضاح ذلك بما يلي:

إن مقصد المحدثين من تصنيف وجمع الأحاديث والسير هو لجمع كل ما يخص النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي استنباط الأحكام الشرعية المتنوعة، وهم لا يوردون إلا ما يرونه صحيحاً في هذا المجال على اعتبار أن هذه المرويات ستكون أدلة للأحكام الشرعية، أما المؤرخون والإخباريون فهم يجمعون كل ما يطرق مسامعهم – في الأغلب – ويحاولون رسم الصورة التاريخية المتكاملة عن الحدث، وتوفير عناصره من إنسان وزمان ومكان وتفاصيل ودقائق يمكن أن تبني ملامح المشهد التاريخي دون اعتبار لشروط الرواية الصحيحة التي وضعها المحدثون(٥).

والأمر الثاني هو الشيوخ الذين يؤخذ عنهم المحدثين، والذين يحرصون أن يكونوا من الثقات العدول الضابطين، وإذا ما اختلت هذه الشروط فإنهم عادة لا يأخذون الحديث والرواية كونها مخالفة لشروطهم، أما المؤرخين والإخباريين فهم يحرصون على المادة العلمية أكثر من حرصهم على تحقق شروط صحة الرواية فتجدهم يوردون الروايات في السيرة النبوية دون ذكر الأسانيد، ويميلون لإيراد الغرائب والعجائب أحياناً لشد مسامع وأنظار القراء والمستمعين(٦).

كما أن المحدثين يسمعون الرواية من كل شخص إلا أنهم يدققوا عن الرواية والتحديث بها، لذا يقول أبو حاتم الرازي:" إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش "، قال العراقي: كأنه أراد: اكتب الفائدة ممن سمعتها، ولا تؤخر حتى تنظر هل هو أهلٌ للأخذ عنه أم لا؟ فربما فات ذلك بموته أو سفره

(٤) ينظر: مسفر بن غرم الله الدميني، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة، ص٧ وما بعدها.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ينظر: الخطيب البغدادي، الكفاية، ص١٤٠.

أو غير ذلك، فإذا كان وقت الرواية أو العمل ففتش حينئذ، وقال السخاوي:" غير أنه يغتفر في الطلب مالا يغتفر في الأداء .. "(٧).

وهكذا يتبين ويتضح المنهج الذي امتاز به المحدثون في روايتهم للسيرة النبوية وكيف صانوها وحافظوا عليها عبر منهجهم العلمي الرصين.

## المبحث الثاني

## توظيف كتب السنة النبوية في تجديد وإعادة عرض السيرة النبوية

### المطلب الأول: تضمين كتب الحديث للسيرة النبوية:

ضمت كتب الحديث النبوي الشريف روايات جمة تعنى بالسيرة النبوية، حيث نجد ذلك في كتب الصحاح والسنن(٨)، والمسانيد والمعاجم وباقي كتب الحديث والسنة النبوية، غير أنها قد لا توفي الرواية التاريخية حقها من زاوية العرض المتكامل للقصة ومراعاة السرد والترتيب، فقد ترد هذه الروايات والأحاديث على نحو مجزء ومقطع سيما عندما ترتب الأحاديث على المسانيد، حيث يجعل حديث كل صحابي على حدة، أو على ما رواه شيوخ المصنف بالنسبة للمعاجم(٩).

إن كتب الحديث الشريف وإن لم تكن الغاية من تصنيفها جمع مادة السيرة النبوية، غير أننا نجد مادة وفيرة للسيرة النبوية في هذه المصنفات، إذ استفاد منها الرواة والعلماء في حينها، وهذا ما نجده في مؤلفات عديدة تعتمد على ما ورد في كتب السنة النبوية لكتابة السيرة النبوية(١٠).

وكما هو الحال في الوقت الراهن إذ اعتمد الكثير من الباحثين على كتب السنة النبوية في استخراج الروايات ذات البعد التاريخي والتفاصيل الدقيقة التي تساعد في كتابة السيرة النبوية بشكل جديد(١١).

وقد خدمت بعض كتب السنة كتابة السيرة النبوية بشكل مباشر مثل كتاب ابن عروة علي بن الحسين الحنبلي (ت٨٣٧هـ) صاحب كتاب "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري" وقد حقق قسم المغازي منه الدكتور محمد ألبان ولد محفوظ(١٢).

---

(٧) ينظر: محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢ (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨هـ) ج٢، ص٧٣؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، بلا.ط (مصر، دار الكتب الحديثة، د.ت) ج٢، ص١٤٨.

(٨) ينظر: صالح محمد زكي اللهيبي، التراتيب النبوية، دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري، ط١ (دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠٠٧م) ص٥ وما بعدها.

(٩) ينظر: عبد الحميد بن علي الفقيهي، جهود العلماء في تصنيف السيرة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين عرض تاريخي، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة، ص٩.

(١٠) ينظر: علي بن محمد الخزاعي (ت ٧٨٩هـ) تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط١(بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م).

(١١) ينظر على سبيل المثال ، اللهيبي، التراتيب النبوية.

(١٢) الفقيهي، جهود العلماء، ص١٠.

ومن الكتب الأخرى كتاب الفتح الرباني للبنا الساعاتي وهو ترتيب لمسند الإمام أحمد، وكذلك كتاب "السيرة النبوية في فتح الباري" للدكتور محمد الأمين محمود.

كما أن ممن صنف في ذلك ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ) وكتابه "النفح الشذي في شرح جامع الترمذي"، والذي أتمه من بعده الحافظ زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، كما أن لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) كتاب "جامع السنن والمسانيد" والذي رتب فيه مسند الإمام أحمد وزاد عليه أحاديث الكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، ومسند البزار ومسند أبي يعلى[١٣][١٤].

كما نجد ذلك فيما كتبه سبط ابن العجمي (ت٨٤١هـ) وله تعليقات على صحيح البخاري، باسم "التلقيح ..." و "تعليق على سنن ابن ماجه".

ونذكر هنا كتاب "افتتاح القارئ لصحيح البخاري" للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ)، وكتاب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

**المطلب الثاني: أثر منهج المحدثين في تجديد عرض السيرة النبوية:**

معلوم لدى من اطلع على ما يكتب في السيرة النبوية وحولها ما تتعرض له السيرة من إدخال روايات تحدث حالة من الإرباك والتشويش لاسيما على الجيل المعاصر، فحدثت اختلافات شديدة نتيجة روايات مكذوبة أو خاطئة في السيرة النبوية، أو نقولات لم يتم تمحيصها وهي متداولة في الكتب التي بين يدي العامة وعلى المنابر ووسائل الإعلام، وهنا لابد من وقفة جادة تصحح هذا الواقع وتهذبه وتشذبه، ونرى أن للمحدثين المعاصرين دور في إعادة كتابة السيرة النبوية وفقاً لمنهجهم العلمي الرصين الذي سيزيل الكثير من اللبس والغبش، ويميط اللثام عن حقائق عدة، ويحدث نقلة في إعادة كتابة السيرة النبوية[١٥].

لقد جعل منهج المحدثين لرواية الأخبار والسير قواعد وأصول علمية محكمة تجعل الناس يطمئنون لروايتهم ويأخذون عنهم سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم دون خوف ولا وجل، وهذا المنهج العلمي الرصين هو ميزة لأمة الإسلام وقد شهد لفضله المعاصرون ومنهم المستشرقون، فيقول المستشرق الألماني (د. سبرنجر)، "لم تكن فيما مضى من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئونهم"[١٦].

---

(١٣) المرجع نفسه، ص١٠.

(١٤) ينظر: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد رضي الله عنه، بلا.ط (الرياض، مكتبة التوبة، ١٩٩٠م) ص٢٢؛ الفقيهي، جهود العلماء، ص١٠.

(١٥) ينظر: محمد يسري، التجديد في عرض السيرة النبوية مقاصده وضوابطه، بلا.ط (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ٢٠١٠م) ص٢٢ وما بعدها.

(١٦) سليمان الندوي، الرسالة المحمدية، ط١( القاهرة، دار الأمان، ١٩٩٥م) ص ١٧ وما بعدها.

وألف المستشرق (جون ديون بورت) سنة ١٨٧٠م كتاباً بالإنجليزية في السيرة المحمدية عنوانه:" اعتذار من محمد والقرآن"، قال في مقدمته:" لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلاً وأشمل بياناً مما يعرفون من سيرة محمد ،صلى الله عليه وسلم، وأحواله"[١٧][١٨].

وهنا يأتي دور المحدثين المعاصرين في إعادة قرائتهم للسيرة النبوية وعرضها بشكل ممنهج قائم على أصول علمية وإضافة روايات لم يكن المؤرخون قد تطرقوا لها سابقاً، وفي هذا دعوة أيضاً للمؤرخين المسلمين لاستخدام منهج المحدثين في كتابة السيرة النبوية، وهذه الدعوة وجهها عدد من السابقين واللاحقين سنعرج عليها لاحقاً.

كما يمكن للمحدثين المعاصرين إجراء مقارنة حضارية من خلال إعادة عرضهم للسيرة النبوية وذلك بإبراز الصحيح منها على شكل كل متكامل ودراسات شافية وافية تقدم المنجز الحضاري الإسلامي في عهد النبوة ومقارنته بما أنجزته الحضارات الأخرى لاسيما المعاصرة منها وهنا يبرز دور الرسالة الإسلامية السامية، والتي لابد للجميع أن يدلي بدلوه لحمايتها من أي إساءة وتشويه.

## المبحث الثالث

## التوافق والتلاقي بين منهجي المحدثين والمؤرخين في تقديم السيرة النبوية الصحيحة

### المطلب الأول: نقاط التلاقي بين المنهجين، ودور المحدثين المعاصرين المطلوب:

لا شك أن السنة النبوية من أهم مصادر السيرة النبوية، وأن هنالك ارتباطاً وشيجاً بين السنة والسيرة لغة واصطلاحاً، وهو ما يدل دون شك على الصلة والارتباط بين عمل المحدثين والمؤرخين، وأن هذا التلاقي والاشتراك المعرفي بين منهجي العلمين يفضي إلى مشترك كبير بشكل عام، سواء على صعيد نقل الخبر أو نقده[١٩].

ومن أهم الأمور التي ساعدت على وجود الوحدة المنهجية هي أن عدداً من المحدثين اشتغلوا بالتأريخ والتدوين، وأن الكثير من مؤرخي السيرة كانوا بالأساس محدثين، لذا تجد أن هنالك من يشترط في المؤرخ نفس الشروط المطلوبة في المحدث كما هو الحال عند الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) عند حديثه عن شروط المؤرخ فيقول:" ... ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة"[٢٠].

---

(١٧) ينظر: الندوي، الرسالة المحمدية، ص٩٨.

(١٨) ينظر: يسري، التجديد في عرض السيرة النبوية، ص ٣٢-٣٣.

(١٩) ينظر: يسري، التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٣٥.

(٢٠) محمد بن سليمان بن سعد الكافيجي (٨٧٩هـ)، المختصر في علم التاريخ، نشره فرانز روزنثال ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة. صالح أحمد العلي، بلا.ط (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م) ص ٣٣٦-٣٣٧.

كما نجد أن السخاوي (٩٠٢هـ) يقول: أما شرط المعتني به – أي بالتاريخ – فالعدالة مع الضبط التام"[٢١].

ويقول الذهبي (ت ٧٤٨هـ) عن دور المحدثين في حفظ السنة والسيرة النبوية:" وجعل فيهم أئمة، ونقاداً يدققون في النقير والقطمير، ويتبصرون في ضبط آثار نبيهم أتم التبصير، ويتعوذون بالله من الهوى والتقصير ويتكلمون في مراتب الرجال، وتقرير أحوالهم من الصدق، والكذب، والقوة، والضعف، أحسن تقرير"[٢٢].

ويقول الشافعي (ت ٢٠٤هـ):" مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد مثل حاطب ليل لعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري"[٢٣].

وعلى هذا فإن عناية طالب السنة بالبحث عن أحوال النقلة، ومعرفة تاريخ الرواة أمر مهم جداً، إذ اهتم به جهابذة العلماء فألفوا في ذلك وأبدعوا أيما إبداع[٢٤]، ومن خلال أعمالهم نعلم نقاط الالتقاء والتلاحم التي يجب على المحدثين المعاصرين الاهتمام بها، والتركيز عليها، لصناعة جيل عارف بسيرة نبيه، يأخذها وفقاً لمنهج متين ورصين، ويتأتى ذلك بالحرص على تعليم علوم الحديث للجيل الصاعد ولاسيما طلبة الدراسات التاريخية لتكون لهم منهجاً، ويسهموا بذلك في إعادة عرض السيرة النبوية والتجديد في تناولها.

**المطلب الثاني: تصورات لإسهام المحدثين المعاصرين في تجديد عرض السيرة النبوية:**

في ضوء هذا العرض والبسط لفكرة إسهام المحدثين المعاصرين في تجديد وعرض السيرة النبوية لابد أن نحاول ملامسة الواقع العملي في الطرق والسبل الممكنة لعمل المحدثين في مجال السيرة النبوية بشكل خاص والتاريخ الإسلامي عموماً وهنا يمكن أن نشير لجملة أمور منها[٢٥]:

١- إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كحديثه الشريف، فهما صنوان لا يفترقان في الحفظ والصون، وفي العناية بهما والرعاية لهما، هيأ الله لهما أعلاماً كباراً فقاموا بحقهما وأدوا الذي عليهم فيهما، ولابد للمحدثين المعاصرين أن يسهموا كما أسهم الأوائل بتبني منهج خاص

---

(٢١) محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق:فرانز روزنثال ، ترجمة التحقيق. صالح أحمد العلي، ط١( بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م) ص١٠٧.

(٢٢) ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بلا.ط

(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م) ج١ ص١.

(٢٣) ينظر: الخليل بن عبد الله بن أحمد أبي يعلى (ت ٤٤٦ هـ)، الإرشاد في معرفة علوم الحديث، دراسة وتحقيق. محمد سعيد عمر إدريس، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٨٩م) ج١، ص١٥٤؛ أبوعبد الله ابن عدي (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجل، تحقيق. سهيل زكار، ط٣(بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ) ج١، ص١٢٤.

(٢٤) ينظر: ملفي بن حسن الشهري، التأريخ وأهميته في رواية الحديث ومعرفة الرواة، ط١(السعودية، مركز بحوث الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، ٢٠١٠م) ص٧.

(٢٥) ينظر: يسري، التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٥٥.

بالتجديد في عرض السيرة النبوية عبر تبسيط طرحها وشرحها، مع مراعاة صدق الرواية فيها، مما يسهم في الإقبال عليها من قبل الجيل الصاعد.

٢- يتوجب على أرباب السنة والسيرة النبوية الغيورين من المحدثين ومن على منهجهم أن يحسنوا تقديمها وعرضها بالاعتماد على منبعها الصافي ونبعها الوافي بالاستناد للقرآن الكريم والسنة النبوية، والتأكيد على إبراز الوجه الحضاري للسيرة النبوية، وتأكيداً على التصور الإسلامي الصحيح للحياة والأحياء، وتنبيهاً على السنن الربانية الجارية في المجتمعات، وتربية على سلوك القدوة الصالحة والأسوة الكريمة بالاستنباط من سيرة خير الخلق صلى الله عليه وسلم(٢٦).

٣- إسهام المحدثين في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وفقاً لمنهجهم العلمي الرصين وذلك للذب عن السيرة النبوية وتنقيتها من الكتابات الروايات الدخيلة التي سعت لتشويهها عبر السعي للنيل من موثوقيتها، والتقليل من قيمتها.

٤- إيصال صورة متكاملة عن شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، عبر الروايات المسندة والموثوقة، وتأكيد صحتها تاريخياً عبر منهج محكم، وتقديمها للناس متجاوزين الشبه التي تثار حولها لاسيما من بعض المستشرقين وأمثالهم من المستغربين المعاصرين، مثل تشكيكهم في حادثة شق الصدر لأن عقولهم لا تستوعبها، وحادثة الفيل وغيرها من الحوادث التي يقدمون فيها العقل الموهوم على النقل المعصوم، وتأويل المعجزات الحسية، وردهم الأحاديث الصحيحة من غير مستند علمي تاريخي(٢٧)(٢٨).

## المبحث الرابع

## نماذج ومشروعات معاصرة لتجديد عرض وإعادة كتابة السيرة النبوية

## في ضوء الحديث النبوي الشريف:

### المطلب الأول: الدواعي والبواعث المعاصرة لتجديد عرض السيرة النبوية:

قدمنا قبل هذا المبحث نماذج وأوصاف ميزت منهج المحدثين في كتابتهم للسنة النبوية وكذا عند تدوينهم للسيرة النبوية وما امتاز به هذا المنهج عن غيره في عملية التدوين والتوثيق والنقد الصارم للرواة والأسانيد بشكل خاص، ومنهم من نقد المتون ورجح بين الروايات وصولاً لما هو دقيق ومضبوط على اعتبار أن السيرة النبوية مصدر مهم لاستلهام الأحكام الشرعية، ومدخلاً لتفسير الكثير من

---

(٢٦) ينظر: محمد أمحزون، منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ط١ (الرياض، دار طيبة، ١٤١٦هـ) ص١١-١٢؛ ياسر نور، مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، بلا.ط(السعودية، جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ص٣٩٥.

(٢٧) ينظر: يسري، التجديد في عرض السيرة النبوية، ص٥٦.

(٢٨) ينظر: عبد الرزاق هرماس، مصادر السيرة النبوية، بلا.ط (السعودية، جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ص٢٧٧-٢٨٠.

المعاملات النبوية لاسيما الخاص منها بالحياة الاجتماعية والتفاصيل الحياتية اليومية، والتي تقف السيرة بارزة في عرضها وتوصيفها.

ومع ازدياد المشاكسات والمداخلات والتشويهات المتعمدة للسيرة النبوية في عصرنا الحالي ولأسباب عدة، بعضها بسبب غلبة المنهج النقدي العقلي والذي يسعى لإخضاع كل شيء للمنطق والمقبولية العقلانية بما في ذلك الأمور الغيبية والروحية التي يتوقف عن إدراكها العقل، فضلاً عن ظهور المنهج الاستشراقي الذي له أسلوبه ومدرسته والتي رغم أسسها العلمية الظاهرة إلا أنها لا تخلو من أماكن ومواقف عدة من الطعن والتشكيك والأخذ على السيرة النبوية أو الشخصية النبوية، وذلك لاعتبارات عدة منها الخلفيات الفكرية لهؤلاء المستشرقين وسعيهم للحط من قيمة كتابات المسلمين الأوائل في السيرة النبوية وتتبع عثراتهم بشكل انتقائي لغرض التشكيك والتجريح أكثر منه نقداً علمياً مقبولاً، ومنهم من عالج الموضوع بعلمية صرفة فيسعى جاهداً لإبراز الميزات والمآخذ التي قد تغلب عليها الرؤى الشخصية في كثير من الأحيان. في المقابل نجد من أبدى إعجابه بكتابات السيرة النبوية وسعى لإبراز محاسنها وغير ذلك من المعاصرين الذين ذهبوا لوجهات متعددة عند كتابتهم للسيرة النبوية مما أظهر للساحة العلمية كتابات متناقضة ومنها المشوهة التي يغلب عليها الطابع السلبي الأحادي في الرؤية، فكان لابد من تنقية كل هذا الكم من الكتابات بالأسلوب العلمي العملي المقبول المتجنب للتشنجات، الساعي لتقديم رؤية علمية شرعية وفق المنهج المحكم للمحدثين.

من هنا انطلق بعض الكتاب المعاصرين لإعادة كتابة السيرة النبوية الصحيحة وفق منهج المحدثين، والذين تنوعت أساليبهم وطرقهم في الكتابة والعرض فمنهم من استقصى السيرة النبوية من مجمل كتب الحديث كما فعل الدكتور أكرم ضياء العمري [٢٩]، ومنهم من حصر الكتابة في كتاب معين مثل صحيحي البخاري ومسلم كما فعل الدكتور صالح محمد زكي اللهيبي [٣٠]، وهناك من فضل الكتابة وفقاً لأبواب مختارة كأن تكون الجوانب الإدارية أو الاقتصادية أو القانونية ومعالجة كل ذلك في ضوء الحديث الشريف كما فعلت الأستاذة خديجة النبراوي [٣١]، أو كما فعل الأستاذ حسام عبد الله حمشو في دراسته للسيرة من خلال الكتب الستة [٣٢] وغيرهم من الباحثين، وسنسعى لإلقاء الضوء على بعض هذه الأعمال في المطلب اللاحق.

---

([٢٩]) ينظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ط١(الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٩م).

([٣٠]) ينظر: صالح محمد زكي اللهيبي، التراتيب النبوية دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري.

([٣١]) ينظر: خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، ط١ (القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٤م).

([٣٢]) ينظر: حسام عبد الله حمشو، السيرة النبوية من خلال الكتب الستة (دراسة تحليلية)، ط١(الأردن، الدار العثمانية، ٢٠٠٨م).

**المطلب الثاني: جهود الباحثين المعاصرين في إعادة كتابة السيرة النبوية وفق الأحاديث النبوية الشريفة، نماذج مختارة:**

**١- الدكتور أكرم ضياء العمري:**

سعى الدكتور أكرم ضياء العمري لتقديم دراسة تمثل حصيلة عمله في مجال إعادة كتابة السيرة النبوية وفقاً لمنهج المحدثين، إذ حاول في دراسته المؤلفة من جزئين الإفادة من منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية، فأظهر فيها التركيز على نقد الأسانيد والرواة إلى جانب نقد المتن، لاسيما في عملية الانتقاء من مجموع الروايات الهائلة التي دونها القدامى في السيرة، إذ أن الاعتماد على الروايات التي صححها النقاد القدامى أحياناً، أو الإفادة من منهجهم في تصحيح أو تضعيف مالم يحكموا عليه من الروايات، هو أبرز ما سعى إليه الدكتور العمري في دراسته ليعطي أصدق صورة عن السيرة[٣٣].

**٢- الأستاذة خديجة النبراوي:**

عملت الأستاذة خديجة النبراوي على تبويب جديد للسنن النبوية القولية والفعلية، وقامت بتحديد ملامح أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي الإسلامي فبحثها يعد اجتهاداً جديداً من نوعه يلائم هذا العصر، حيث يبوب الأحاديث النبوية بالمفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية العصرية، وبذلك فهو يضع أمام الباحثين في تلك المجالات معظم الأحاديث الشريفة التي تتعلق بالملامح الأساسية للدولة الإسلامية، وهي بمجملها إعادة عرض وتجديد للسيرة النبوية[٣٤].

**٣- الأستاذ حسام عبد الله حمشو:**

حاول الأستاذ حسام عبد الله حمشو في دراسته إثبات أن الأصل الذي قامت عليه كتب السير، هو أصل صحيح وأكثره مقتبس من السنة النبوية الصحيحة المفرقة في كتب الحديث الشريف، ومنها الكتب الستة، وإثبات تزامن كتابة السيرة النبوية مع تدوين الحديث الشريف، إذ أنها جزء منه، وتوضيح لاهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالسيرة النبوية، وإثبات أن كتب السيرة الأولى – ككتب الزهري مثلاً – وإن تكن قد فقدت أو بعض أجزائها إلا أنها محتواة بكاملها في كتب الحديث المختلفة، ولكن بشكل متفرق، وهي تأكيد لدور علماء الحديث في خدمة السيرة والذب عنها[٣٥].

(٣٣) ينظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١، ص١٩.

(٣٤) ينظر: النبراوي، موسوعة أصول الفكر، م١، ص١٢.

(٣٥) ينظر: حمشو، السيرة النبوية من خلال الكتب الستة، ص ٧-٨.

**٤- الدكتور صالح محمد زكي اللهيبي:**

سعى الدكتور صالح محمد زكي اللهيبي لإعادة كتابة السيرة النبوية وعرضها معتمداً في ذلك كله على ما أورده الإمام البخاري في صحيحه، مركزاً على الجوانب الإدارية والاقتصادية من السيرة النبوية، معطياً بذلك قراءة قائمة على أصح الأحاديث النبوية الشريفة، ومبيناً لأهمية صحيح البخاري في تقديمه لمادة تاريخية غنية وراسخة، ومبدياً دور المحدثين القدامى في إيراد نصوص مهمة في السيرة النبوية، ودور المحدثين والمؤرخين المعاصرين في إعادة عرض وتجديد لهذه النصوص وكتابة السيرة النبوية وفقاً لها(٣٦)، كما أن له عمل مماثل قيد الطباعة يتناول عرض جوانب من السيرة النبوية من خلال صحيح مسلم.

**الخاتمة:**

ناقشنا فيما سبق من صفحات موضوع منهج المحدثين ودوره في تجديد عرض وكتابة السيرة النبوية، أمثلة ونماذج معاصرة، وتوصلنا من خلاله لأمور عدة من أبرزها:

أن منهج المحدثين يعد نظاماً علمياً رصيناً لطالما استفادت منه الأمة على مر عصورها، وهو ميزة ومنهج متفرد من نوعه خاص بأمة الإسلام، وبه صان العلماء الموروث المنقول وغربلوه من الشوائب والدواخل التي قد تعتريه.

كما اتضح لنا أن للمحدثين دور بارز في كتابة السيرة النبوية، وأن كتب السنة النبوية هي من أهم مصادر السيرة النبوية التي ساعدت في رفدها بالروايات والأحاديث التي شكلت عماد السيرة البوية، مما يجعل من الضروري على المحدثين المعاصرين إعادة العمل بهذا الاتجاه.

وتوصلنا من خلال البحث إلى الجهود التي بذلها عدد من الباحثين المعاصرين لحماية السيرة النبوية وتجديد عرضها وإعادة كتابتها وفقاً لمنهج المحدثين، أو بالاعتماد على كتب الحديث النبوي الشريف.

---

(٣٦) ينظر: اللهيبي، التراتيب النبوية دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري، ص٥، وما بعدها.

# دراسة لأجوبة ابن حجر على انتقادات الدارقطني على البخاري

**د. عادل بن عبد الشَّكور الزُّرقي**
أستاذ الحديث المساعد بجامعة الملك سعود



**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف النبيين والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد.

فإن الناظر في سنة الله تعالى لعباده يجد أن من أبرزها المدافعة بين الحق والباطل وأهل هذا لهذا. ومن أبرز سمات هذه المدافعة ما نجده خلال العصور الطويلة من تعرض الجهال لأهل الحديث بالطعن والتشويه لهم تارة، ولكتبهم تارة أخرى. وكان لهذا العصر -بسبب وسائل التقنية والنقل السريع الميسور للمعلومات- القدح المعلى من هذا الأذى على أهل الحديث وكتبهم. وكان لإمام الحديث وأهله أبي عبد الله البخاري النصيب الأوفر من هذه الطعون في كتابه الجامع الصحيح دون غيره من كتبه.

والانتقادات والتعقبات على إمام الصنعة البخاري -رحمه الله- بالحجة والبرهان طلباً للحق وبياناً له كانت من قديم الدهر، فالحافظ الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ، اعترض عليه في أحاديث يسيرة في مستخرجه، وذكر بعضها أيضاً الدارقطني -المتوفى سنة ٣٨٥هـ- في اعتراضاته على الصحيحين.

ومن العلماء أيضاً -كأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين- من تكلم في أحاديث صادف أن أخرجها الشيخان، سواء علما بذا أم، لأن الإجماع المنقول للصحيحين إنما أتى بعد أولئك الملأ. وهذه الانتقادات غالبها تعود إلى أسانيد في المتابعات، وزيادات يسيرة في المتون فحسب، وعلى نهجهما سار علماء الأمة الذين أتوا بعدهما، لم ينقدوا شيئاً خارجاً عما تُكلِّم عليه في القرنين الثالث والرابع. فمن أتى بعدهم كائناً من كان، وأعلَّ حديثاً كائناً ما كان، فقد خالف إجماعهم على تركه.

وهذه الطعون تشكلت في هذا الزمن على صورٍ شتى، أشهرها ما يقوم به لسان المدعو "عدنان إبراهيم"، وما جنته يدا زكريا أوزون في كتاب "جناية البخاري"، وغيرهما، أتوا بطعون في كثير من متون الجامع بلفظة: كذب وموضوع ونحوها، مما لم يسبقا إليه -ولن- من عوام المسلمين وجهالهم فضلاً أهل العلم والمحدثين.

وهذه الحملة الحديثة تتمسح دائماً بحجة مكررة ممجوجة -أنهم مسبوقون إلى هذا الطعن في الصحيح بإمام محدثي القرن الرابع- الدارقطني، وأنه طعن في عشرات الأحاديث في الجامع الصحيح ولم يُعترض عليه ، إلى آخر المفتريات عليه وعلى العلماء.

والفرق بين الطائفين كالفرق بين الشمس والقمر، فالدارقطني أضاء الطريق لمن بعده ولم يحرق له شيئاً.

وبيان حقيقة هذه الحجة وأصلها مهم في فهمها على وجهها، ليسهل من ثَم الحكم عليها بالدليل والبرهان، هل هي صحيحة أم محض افتراء، فجاء هذا البحث لكشف حقيقة هذه الشبهة خصوصاً.

ولما كان لاعتراضات الدارقطني أهمية بالغة عند المحدثين، فقد اهتم بها كثيراً حافظ عصره، وإمام زمانه في الحديث وعلومه ابن حجر، فجاءت هذه التعليقة المفيدة والدراسة الموجزة لإجاباته في هُدَى[(١)] السَّاري على انتقادات الدارقطني في كتابه التتبع وفي جزء صغير عند ابن بَقَا الورَّاق[(٢)].

وفي هذه الدراسة بيان موجز لمنهج البخاري العام في تخريجه لهذه الأحاديث المنتقدة.

كلُّ هذا من خلال إجابات ابن حجر عليه وانتصاره للبخاري -غالباً- بالقرائن والحجج والبراهين الحديثية، واستنباط منهج ابن حجر في الإجابة العلمية الموزونة بأدب الشرع وقواعد أهل العلم به. وتكمن الفائدة من هذه الدراسة خصوصاً في العناصر التالية:-

١. معرفة منهجهم في أسباب التعليل.
٢. الفرق بين إعلالهم وإعلال من ذكر سابقاً.
٣. سبب تركهم إعلال ما أعله من ذكر سابقاً.

يستنبط المطَّلع كلَّ هذا من خلال قراءة كلام الأئمة الثلاثة: البخاري والدارقطني وابن حجر، ومقارنة بعضها ببعض.

وهذه الأحاديث غالبها مما انتقده الدارقطني، إلا أن الحافظ ذكر جملة أخرى مما انتقده غيره، وقد بلغت ١٨ حديثاً. وهي: (٦و١١و٢٠و٣٨و٥١و٥٢و٥٤و٦٥و٧٣و٧٥و٨١و٨٧و٩٣ومن ١٠٦حتى ١١٠).

---

(١) كذا ضبطها الحافظ فيما قرأت بخطه على نسخة مخطوطة لفتح الباري ، حيث ضم الهاء وأهمل الياء ، وكتب آخر الورقة : وكتب أحمد بن علي . ويلحظ أن المعنى لا يستقيم إلا بهذا الضبط . وما سيأتي من أرقام للأحاديث فهي مما في هذا الكتاب عند الكلام على انتقادات الدارقطني على الصحيح .

(٢) هو أبو الحسن علي بن بقا بن محمد الوراق المصري ، كاتب الحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي ، توفي سنة ٤٥٠ - ابن عساكر ، تاريخ دمشق (٢٨١/٧) وابن الجوزي ، المنتظم (٣٣٦/١١) .

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن هذه الانتقادات في كتابيه: هُدَى الساري وفتح الباري، ولم أقصد تتبع بقية ما أُعلَّ من روايات في ثنايا شرح الحافظ وإن لم يخل ذلك من فائدة، لأنَّ جمع أصول هذه الأحاديث كافٍ في بيان مناهجهم في إعلال الأحاديث.

ويخرج الدارس لهذه الأحاديث بنتائج علمية هامة، تتعلق بالإمام البخاري والدارقطني وابن حجر.

أما البخاري، فيظهر من خلال الدراسة أن له في جامعه منهجين مرتبطين إلى حدٍ ما، إلا أنه لا تلازم بينهما في كلِّ شيء.

١- المنهج الأول عام له في علم الحديث، وهو فيه كغيره من حفاظ الحديث الكبار، مع ما امتاز به من الدقة العالية والتحري الشديد في العلل والرجال والفقه، حيث سار فيه على قواعد وأسس مطابقة لمنهج من سبقه وعاصره، فلا يمكن انتقاده في أمر إلا ببينة كالشمس، لأن تصرفاته هو وحفاظ زمنه في علم الحديث تعدُّ كالتقعيد والتأصيل لمن بعدهم، فلا يتعقب عليهم "بالمصطلح النظري المتأخر".

٢- المنهج الثاني خاص به في جامعه الصحيح. فإنه من المعلوم أن لكل عالمٍ مؤلفٍ منهجاً وطريقةً في التأليف، يختصُّ بها عن غيره، ولا يلزم منه أن يسير فيه على نهج غيره، فلا يصحُّ الاعتراض على البخاري -وغيره أيضاً- إلا إنْ خالف الصواب مما هو معلوم بالحجج والبراهين، وهذا لا يكاد يوجد في الصحيح بحمد الله.

فمنهج البخاري في جامعه -من حيث التأليف- أعمُّ مما جرى عليه فهم بعضهم، بظنهم أن البخاري قصد بالجامع ذكر الأسانيد الصحيحة بالمتون السليمة من أي قادح.

وهذه النظرة ضيقة جداً، فإن الجامع على اسمه، قد حوى الكثير من أمور النبي صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه جملة وتفصيلاً، ومعلوم أن الاقتصار فيه على الوصف السابق يضيق من فائدة الكتاب، لتكون للخاصة من المحدثين.

وبيان ذلك أنه قد ظهر وثبت إخراج البخاري لعدة روايات معلة إسناداً، وبعض الأحاديث التي تضمنت بعض العلل في ألفاظ معينة في المتن وهي قليلة جداً.

ويبعد عادة أن يخفى بعضها على مثل هذا الإمام، فكيف يقال بأجمعها؟ وقد لحظ الحافظ ابن حجر في شرحه ولوعَ البخاريِّ في تصيُّد المعاني الغامضة والإشارات الخفية في متون الأحاديث، وإن كان في بعضها كلام من حيث السند، لأنها هكذا وقعت، وهي غير مقصودة لأصل الصحيح. فذكرها والحال كذلك أجمل وأتم للفائدة، وعلى تقدير عدم ثبوتها، فإن أصل الحديث ثابت، بطرق أخرى في الصحيح –وهو الغالب– أو خارجه –وهو قليل–.

ولا يقولنَّ قائل إن ذكر الراجح من الروايات في موضع آخر لا يمنع من وقوع الالتباس والإيهام، لأن البخاري ألَّف كتابه على أنه وحدة متكاملة فينظر إليه على هذا الأساس، ومن قوي حفظه سهل عليه هذا، ولم يعدَّه عيباً، وحديث (١٠٦) أقوى شاهد على ذلك.

وحاصله أن البخاري قال في حديث الوصال (١٩٦٥): «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه...ثم قال بعد (٧٢٤٢): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري. وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره أن أبا هريرة رضي الله عنه » .

فاعترض عليه أبو علي الجياني بقوله: «قال أبو مسعود: هكذا في كتاب البخاري أردف حديث الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب، على حديث شعيب، ولم يقل في حديث شعيب عمَّن، وإنما يرويه شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وكذلك رواه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن أبي سلمة في كتاب الصيام، ولم يقل: عن سعيد بن المسيب».

قال الجياني: «وهذا تنبيه حسن جداً ويمكن أن يكون البخاري اكتفى بما ذكره في كتاب الصيام، لكن هذا النظم فيه إلباس».

فأجاب ابن حجر بقوله: «قلت: صدق أبو علي والذي عندي أن الإسناد الأول سقطت منه كلمة واحدة وهي قوله "عن أبي سلمة" ثم حوله برواية الليث وبهذا يرتفع اللَّبس، والله أعلم».

وعندي أنه لا حاجة لمثل هذا التعقب ولا للجواب بنحو هذا، فالبخاريُّ قد بيَّن الأمرَ قبل بالتفصيل في كتاب الحدود فقال: (٦٨٥١) «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنا أبو سلمة أن أبا هريرة **رضي الله عنه**...تابعه شعيب ويحيى بن سعيد ويونس عن الزهري. وقال عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم».

فالمعلق منفصل عن المسند، والسند الثاني تابع للأول، وإنما لم يبالغ البخاري بالتوضيح لأنه يخاطب أمثاله ممن أحكم الصناعة وعلم العلل والطرق، كما هي طريقته في الجامع.

وقد جرت عادة المحدثين على الاستئناس بالروايات المعلة والاستفادة منها، وإن لم يعتمدوا عليها -إثباتاً أو نفياً- لحكم أو عبادة. فهم يؤرِّخون بالروايات المعلَّة والضعيفة ضعفاً يسيراً أو منجبراً بشيء، ويوردونها في الفضائل والمناقب والتفسير والآداب والترغيب والترهيب والمغازي والسِّيَر، وهذا صار لهم منهجاً عاماً عملياً، وإن لم ينصُّوا عليه نظرياً، ولم يشدِّد فيه إلا بعض المتأخرين، الذين تساهلوا في بعض الأمور من مناهجهم، مما كانوا يشددون فيه كالتصحيح بكثرة الطرق واشتراط ثبوت السماع وغير ذلك.

قال ابن حجر في بيان ذلك: «تقرر أنه التزم فيه الصحة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً صحيحاً، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه "الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً، ثم رأى أن لا

يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معانيَ كثيرةً فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الواسعة، قال الشيخ محي الدين نفع الله به: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها...»(٣).

وقال الحافظ ابن طاهر المقدسي في بيان أسباب أوجه إخراج البخاري للمعل من الأحاديث: «ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال، ورجح عنده الوصل، فاعتمده وأورد الإرسال منبهاً على أنه لا تأثير له عنده في الوصل، ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك، ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الإسناد، ونقصه بعضهم، فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقيَ الآخر فحدثه به، فكان يرويه على الوجهين»(٤).

وقال ابن القطان في كتابه(٥) رداً على عبد الحق في قوله: "وأخرجه البخاري في صحيحه": «واعلم أن نسبة هذا الحديث إلى البخاري كما ينسب إليه ما يخرجه من صحيح الحديث خطأ، إذ ليس من مذهبه تصحيح حديث في إسناده من لم يسمَّ، كهذا الحديث. فإنَّ الحيَّ الذين حدثوا به شبيباً لا يعرفون، فإن هذا الحديث هكذا منقطعٌ، وإنما ساقه البخاري جاراً لما هو مقصوده في آخره من ذكر الخيل ولذلك أتبعه الأحاديث بذلك من رواية ابن عمر وأنس وأبي هريرة كلها في الخيل فقد تبين من هذا أن مقصد البخاري في الباب المذكور إنما هو سوق أخبار تتضمن أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بمغيبات تكون بعده فكان من جملة ذلك الحديث الخيل في نواصيها الخير وكذلك القول فيما يورده البخاري في صحيحه من الأحاديث المعلقة والمرسلة والمنقطعة لا ينبغي أن يعتقد أن مذهبه صحتها بل ليس هذا مذهبه إلا فيما يورده بإسناد موصول على ما عرف من شرطه وإنما اعتمد البخاري في هذا الحديث إسناد سفيان عن شَبيب بن غَرْقَدة قال: سمعت عروة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الخيل معقود بنواصي الخير إلى يوم القيامة. وجرى في سياق الحديث من قصة الدينار والشاة ما ليس من مقصوده ولاعلى شرطه عن شبيب عن الحي عن عروة» انتهى كلامه.

قال الزيلعي عقبه: «وفات ابنَ القطان شيء آخر وهو أن عبد الحق في كتاب "الجمع بين الصحيحين" فرَّق الحديثين شطرين فذكر فصل الخيل في الجهاد وعزاه للصحيحين وذكر فصل الشاة في كتاب المناقب وجعله من مفردات البخاري وهذا أيضا خطأ منه لأنه يوهم أن فصل الشاة على

(٣) العسقلاني، ابن حجر، هُدَى الساري، الرياض، مكتبة السلام، ط٣ ، ١٤٢١هـ (ص١٠) .

(٤) العسقلاني، ابن حجر، هُدَى الساري، الرياض، مكتبة السلام، ط٣ ، ١٤٢١هـ ، (ص١٩) .

(٥) أصل كلامه في بيان الوهم ، حقيق الحسن آيت، الرياض، مكتبة طيبة، ط١، ١٤١٨هـ ، (١٦٥/٥) ، والنقل من الزيلعي .

شرطه وليس كذلك بل كان من الواجب أن لا يذكره بالكلية أو يذكره في كتاب التعاليق والله أعلم»(٦).

إذا تقرر ذلك تبين أنه لا يلزم في شرطه بالصحة ألا يورد ما خرج عن ذلك من الموقوفات والمقاطيع والمعلقات وما اشتمل على علل في السند أو في بعض ألفاظ المتن، لأن أصل التبويب وأصول أحاديثه كما شرطه، والتزام انتفاء العلل في كل سند وفي كل لفظة في الحديث متعذر على كل عالم.

بل يقال أيضاً إن إيراد الفوائد الحديثية من الروايات المعلة إذا كان لها أصلٌ من نهج العلماء وطرائقهم في العلم، وهذا مما أهمله بعض المتأخرين، فما زال السلف يوردون المعلَّ من الحديث استشهاداً واستئناساً، إذا ثبتت أصوله.

ومن أمثلته الصريحة في جامعه قوله في حديث لأبي صالح عن أبي الدرداء: «مرسل لا يصح، إنما أردنا للمعرفة»(٧)، فصرح بأنه أورد المعلَّ للمعرفة به.

بل إنه أخرج حديثاً في الأصول(٨) فقال: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو أسامة حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ.

ثم بين علته بالاختلاف في وصله وإرساله فقال: وقال أبو ضمرة عن هشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع الزبير أرضا من أموال بني النضير. ورجح الإرسال في أجوبته للترمذي(٩).

وهذا ما سار عليه في بقية جامعه فيما انتقد عليه من أحاديث، لذا كانت أكثر الروايات المعلَّة عنده عللها إسنادية، مع وصف انتفاء القدح، وهي في المتابعات أكثر منها في الأصول، كما سيأتي تفصيله، وما خَرَجَ عن ذلك فهو قليل، له أصل يسنده، لذا بوَّب له أو به، وهو أسهل كما في حديث ٩٧. أو يكون الحديث في المغازي أو السير أو الفضائل أو المناقب أو الأذكار أو الآداب ونحو ذلك مما لا يترتب عليه حكم شرعي أو عقدي. فما زال أهل العلم السابقون يسهّلون في المعلِّ إذا كان داخلاً فيما سبق أولاً، وكثر التشديد فيه عند من تأخر زمناً وعلماً حتى صار أصلاً لهم، يستنكرون على من خالفهم فيه، ومن شواهده عند البخاري الأحاديث:- ٣٧و٣٩و٤٣ .

وفيما يلي سرد لكلام الحافظ ابن حجر، مع التعليق عليه بما ظهر لي من خلال الأحاديث المنتقدة، حيث إنه ربما سلك منهج الفقهاء والأصوليين في مواضع قليلة للانتصار للبخاري، مع أن منهج البخاري -في كتابه خصوصاً- ومنهج بقية المحدثين كان كافياً للانتصار به لا له.

---

(٦) الزيلعي، عبد الله بن يوسف، نصب الراية، تصحيح محمد عوامة ، جدة، دار القبلة، ط٢، ١٤٢٤هـ ، (٩١/٤) .

(٧) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تقديم نشأت بن كمال، القاهرة ، مكتبة الطبري، ط١، ١٤٣١هـ ، (٦٤٤٣) .

(٨) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تقديم نشأت بن كمال، القاهرة ، مكتبة الطبري، ط١، ١٤٣١هـ ، (٣١٥١) .

(٩) الترمذي، محمد بن عيسى، العلل الكبير ، بترتيب أبي طالب، تحقيق حمزة ديب، الأردن، مكتبة الأقصى، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، (٢٣١) .

قال ابن حجر: «ينبغي لكل منصف أنْ يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فإن جميعها وارد من جهة أخرى، وهي ما ادَّعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه، فإنَّ هذه المواضع متنازع في صحتها فلم يحصل لها من التَّلقي ما حصل لمعظم الكتاب وقد تعرَّض لذلك ابن الصلاح في قوله "إلا مواضع يسيرة انتقدها عليه الدارقطني وغيره" وقال في مقدمة شرح مسلم له: ما أخذ عليهما يعني على البخاري ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول، انتهى. وهو احتراز حسن. واختلف كلام الشيخ محي الدين في هذه المواضع فقال في مقدمة شرح مسلم ما نصه: فصل. قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطهما ونزلت عن درجة ما التزماه وقد ألَّف الدارقطنيُّ في ذلك، ولأبي مسعود الدمشقي أيضاً عليهما استدراك ولأبي علي الغسَّاني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما وقد أجيب عن ذلك أو أكثره اهـ وقال في مقدمة شرح البخاري: «فصل: قد استدرك الدارقطنيُّ على البخاريِّ ومسلم أحاديث فطعن في بعضها وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جداً[١٠] مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وغيرهم فلا تغترَّ بذلك اهـ كلامه، أي النووي.

قال ابن حجر: وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلُّها كذلك، وقوله في شرح مسلم: وقد أجيب عن ذلك أو أكثره، هو الصَّواب، فإنَّ منها ما الجواب عنه غير منتهض[١١] كما سيأتي، ولو لم يكن في ذلك إلا الأحاديث المعلَّقة التي لم تتصل في كتاب البخاري من وجه آخر ولا سيما إن كان في بعض الرِّجال الذين أبرزهم فيه من فيه مقال كما تقدَّم تفصيله، فقد قال ابن الصلاح: إنَّ حديث بهز بن حكيم المذكور وأمثاله ليس من شرطه قطعاً وكذا ما في مسلم من ذلك، إلا أنَّ الجواب عما يتعلق بالمعلَّق سهل لأنَّ موضوع الكتابين إنما هو للمسندات والمعلَّق ليس بمسند، ولهذا لم يتعرَّض الدارقطنيُّ –فيما تتبعه على الصحيحين– إلى الأحاديث المعلقة التي لم توصل في موضع آخر لعلمه بأنها ليست من موضوع الكتاب وإنما ذكرت استئناساً واستشهاداً[١٢]، والله أعلم. وقد ذكرنا الأسباب الحاملة للمصنِّف على تخريج ذلك التعليق وأنَّ مراده بذلك أن يكون الكتاب جامعاً لأكثر الأحاديث التي يحتج بها إلا أنَّ منها ما هو على شرطه فساقه سياق أصل الكتاب، ومنها ما هو على غير شرطه فغاير السياق في إيراده ليمتاز، فانتفى إيراد المعلقات وبقي الكلام فيما علِّل من الأحاديث المسندات. وعدَّة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخاري وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث[١٣]، منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثاً، ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثاً.

---

(١٠) كذا قال النووي رحمه الله ، وهو يريد قواعد العلل وقرائن الترجيح فيه ، وما عبارته غير صحيح جملة وتفصيلاً ، كما سيأتي بعد .

(١١) بالنسبة لما ظهر من علة وهو في حكم النادر ، أما بالنظر إلى منهج البخاري في كتابه ، فالجواب عنه في محله من الشرح ومقدمته .

(١٢) وقد بلغ عددها (١٢) حديثاً .

(١٣) فات ابن حجر جملة أخرى تكلم عنها في الفتح لا الهُدَى ، وعددها أكثر من عشرة أحاديث .

والجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول:-

لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون في أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك حتى كان يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني.

ومع ذلك فكان علي بن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول: "دعوا قوله فإنه ما رأى مثل نفسه"، وكان محمد بن يحيى الذهلي أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهري وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعاً وروى الفربري عن البخاري قال: ما أدخلت في الصحيح حديثاً إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته. وقال مكي بن عبد الله: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكلُّ ما أشار أنَّ له علة تركته.

فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة له أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة(١٤)، وأما من حيث التفصيل فالأحاديث التي انتقدت عليهما تنقسم أقساماً:-

**القسم الأول منها:-** ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرَّح به الدارقطني فيما سيحكيه عنه في الحديث الخامس والأربعين لأن الراوي إن كان سمِعَه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمِعَه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمِعه منه وإن كان لم يسْمَعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لا يعل الصحيح ، وستأتي أمثله ذلك في الحديث الثاني والثامن وغيرهما » اهـ كلام ابن حجر بطوله.

قلت: قول ابن حجر -رحمه الله- هنا هو قول عامة الفقهاء والأصوليين في رد كثير من علل الأحاديث المعلَّة بعلل قادحة بأن يقولوا: الضعيف لا يعلُّ الصحيح. فإن الحديث إذا اختلف في وصله وإرساله، وكان الإرسال قادحاً في صحة الحديث لأنه من أقسام الضعيف، وصعب عليهم القول بضعفه، لأسباب فقهية أو مذهبية، سلكوا هذا القول، ويقال هنا، إن تعليل الناقد بالرواية الناقصة لا يمكن رده أو قبوله مطلقاً، سواء كان الناقد أو المنقود البخاري أو الدَّارقُطني، لأن بابَ المناهج واحدٌ مطردٌ، لا يمكن الازدواج فيه. فينظر في منهجهم في القبول أو الرد، وليس من منهج حفاظ ذلك الزمن قبول الرواية أو ردها بتخريج البخاري أو مسلم، وهما من أقرانهم، فبقي أن يبحث عن سبب التخريج مع وجود العلة المذكورة، فإما أن يقال بردِّها بحجة علمية وهو الغالب هنا، أو يقال إن للبخاري

(١٤) هذا الكلام وإن صح عموماً من حيث الواقع العملي ، إلا أنه من حيث التقعيد العلمي فيه نظر ، فالشيخان - رحمهما الله - كغيرهما من العلماء في قبول قوله أو رده بالبرهان ، والحق لا يعرف بقائله بل بدليله .

حكمة في إخراجه للحديث مع علمه بالعلة، فإن قيل بعدم علمه بها، أو بِوَهْمِ البخاري ولو بالدعوى، نظر في تأثيرها على أصل الحديث ومراد المؤلف من ذكره في جامعه.

قال ابن حجر: «وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة، تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف، فينظر إن كان ذلك الراوي صحابيا أو ثقة غير مدلس، قد أدرك من روى عنه إدراكا بينا، أو صرح بالسماع إن كان مدلساً من طريق أخرى، فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك، وإن لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهراً، فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد، أو ما حفته قرينة في الجملة تقويه، ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع، كما سنوضح ذلك في الكلام على الحديث الرابع والعشرين من هذه الأحاديث وغيره. وربما علل بعض النقاد أحاديث، أدعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة، كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة، وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالإجازة، بل في تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالإجازة عنده، وقد أشرنا إلى ذلك في الحديث السادس والثلاثين وغيره اهـ كلام ابن حجر بطوله.

قلت: وهذا القسم أكثر الأقسام حديثاً، حيث بلغ ما أُعلَّ بالإرسال فيه ١٩ حديثاً، وما أُعلَّ بالانقطاع ١٧ حديثاً، وما أُعلَّ بالمزيد في متصل الأسانيد ٢١ حديثاً.

قال ابن حجر: «**القسم الثاني منها:-** ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد فالجواب عنه إن أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعاً فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد كما في الحديث الثامن والأربعين وغيره وإن أمتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متفاوتين في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها كما في الحديث السابع عشر فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي الإعراض أيضا عما هذا سبيله والله أعلم اهـ كلام ابن حجر.

قلت: بلغ عدد أحاديث هذا القسم بتغير الصحابي ١٣ حديثاً، وبتغير راوٍ آخر ١٧ حديثاً.

قال ابن حجر: «**القسم الثالث منها:-** ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع، أما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا، اللهم إلا إن وضح بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر كما في الحديث الرابع والثلاثين اهـ كلام ابن حجر.

قلت: وأحاديث هذا القسم هي:- ١٥و٢٩و٣٣و٣٤و٣٩و٦٦و٩٧و١٠٤.

قال ابن حجر: «**القسم الرابع منها:-** ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس في هذا الصحيح من هذا القبيل غير حديثين وهما السابع والثلاثون والثالث والأربعون كما سيأتي الكلام عليهما وتبين أنَّ كلاً منهما قد توبع.

**القسم الخامس منها:-** ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا، ومنه ما لا يؤثر كما سيأتي تفصيله.

**القسم السادس منها:-** ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح على أن الدارقطني وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء ذلك من الكتابين كما تعرضوا لذلك في الإسناد.

فمما لم يتعرضوا له من ذلك:-

١. حديث جابر رضي الله عنه في قصة الجمل .
٢. وحديثه رضي الله عنه في وفاء دين أبيه .
٣. وحديث رافع بن خديج رضي الله عنه في المخابرة .
٤. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ذي اليدين .
٥. وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه في قصة الواهبة نفسها .
٦. وحديث أنس رضي الله عنه في افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين .
٧. وحديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة السائلة عن نذر أمها وأختها .

وغير ذلك مما سنأتي -إن شاء الله تعالى- على بيانه عند شرحه في أماكنه اهـ كلام ابن حجر.

قلت: وأحاديث هذا القسم هي:- ٥و٥٦ .

قال ابن حجر: «فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح وقد حررتها وحققتها وقسمتها وفصلتها، لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب بحمد الله إلا النادر».

قلت: وزيادة على ما ذكره –رحمه الله– يقال ما يلي:-

١. جميع العلل -التي في الأحاديث المنتقدة– علل إسنادية، لا تأثير لها على المتن عدا الأحاديث التالية:-

أ- الأحاديث:- ٥و١٥و٥٦و٦٦و١١٠– أخرجها في المتابعات، وعللها غير قادحة، الثاني والثالث منها الصواب فيها مع البخاري.

ب- الأحاديث:- ٢٩و٣٣و٣٤و٣٩و٩٧و١٠٤– عللها قادحة، ولها شواهد ومتابعات، والثلاثة الأولى منها الصواب فيها مع البخاري.

٢. كذلك يقال:- جميع الأحاديث المنتقدة الصواب فيها مع البخاري، عدا أحاديث يسيرة هي قسمان:-

أ- قسم لم يورد معه الصواب من الروايات إلا أنه ذكره في المتابعات، وأحاديثه هي:- ٢٠و٦٦و٨٢، أو كان له شاهد بمعناه كالحديث ٣٩.

ب- قسم ذكر معه الصواب من الروايات، فهو لبيان العلة والراجح، فلا ينتقد عليه، لأنه منهجه في الجامع.

قال ابن حجر بعد حديثٍ: «والحقُّ أنَّ مثل هذا لا يُتعقَّب به البخاريُّ لأنَّه لم تخفَ عليه العلَّة، بل عرفها وأبرزها وأشار إلى أنها لا تقدح، وكان ذلك لأنَّ أصل الحديث معروف ومتنه مشهور مروي من عدَّة طرق، فيستفاد منه أنَّ مراتب العلل متفاوتة، وأنَّ ما ظاهره القدح منها إذا انجبر زال عنه القدح، والله أعلم»[(١٥)].

وأحاديثه هي:- ٤و٥و٦و٣٢و٤١و٤٨و٥٢و٥٧و٦٥و٦٧و٧٦ و١٠٢و١٠٤ و١١٠. أما الحديثان ٥٤و١٠٨ فأخرج البخاري من الروايات ما يغني عما ذكره، وحديث ٦٨ علَّق فيه الصواب، وحديث ٩٧ له أصل من حيث المعنى، وله شواهد.

٣. كذلك يقال في هذه الأحاديث المنتقدة إن أقلَّ من نصفها وجِّه إليها علل قادحة، والصواب فيها مع البخاري، عدا أحاديث يسيرة، وهي على النحو التالي:-

أ- الأحاديث: ٤١و٦٧و٨٢و١٠٤ أخرج فيها البخاري الصواب، فذِكْرُهُ للمعلِّ من باب الإشارة، فهذا من منهج الكتاب، والثلاثة الأولى عللها إسنادية، وهي في المتابعات فحسب، والأخير له شاهد عند البخاري في جامعه.

ب- الحديث: ٧٣ أُدعيَ فيه الانقطاع، والصواب أنه متصل.

ج- الحديث: ١٨ أُدعيَ فيه الانقطاع، والاحتمال قائم، ولا مرجِّح، وهو شاهد لحديث قبله.

د- الحديث: ٩٧ فيه زيادة جملة "وإنما الأعمال بالخواتيم"، ومتن الحديث الأصل قد دلَّ عليها من حيث الجملة، لذا بوَّب بها البخاري وأخرجها، ولراويها متابع ولها شواهد ثلاثة خارج الصحيح.

هـ- الحديث: ٣٩ له شاهد بمعناه، وهو في الفضائل، لذا بوَّب له البخاري.

ويلحظ من هذه الأحاديث المعلَّة أنها ستة أقسام، من حيث نوع العلة، وهي:-

١. إعلال بإبدال الراوي، وهي ١٧ حديثاً، وغالبها في المتابعات، وما خرج عن ذلك كان الصواب فيه مع البخاري .

٢. إعلال بتغير الصحابي مع الاتصال، وهي ١٣ حديثاً، ومثله غير قادح.

---

(١٥) الفتح (٦٣١/١٠) .

٣. إعلال بإرسال، وهي ١٩ حديثاً، وكلها الصواب فيها مع البخاري، عدا حديثين، هما في المتابعات، وواحد منهما ذكر البخاري الصواب فيه، فهو للبيان.

٤. إعلال بانقطاع، وهي ١٧ حديثاً، الصواب فيها مع البخاري، عدا حديث واحد، أخرج البخاري في جامعه الصواب المتصل، فهو للبيان فحسب.

٥. إعلال بمزيد في متصل الأسانيد، وهي ٢١ حديثاً، وهي علة غير قادحة، وكلها الصواب فيها مع البخاري عدا ثلاثة هي في المتابعات، وذكر البخاري معها الصواب.

٦. علل مختلفة، وعددها ٤١ حديثاً، أي ثلث عدد الأحاديث المنتقدة، ٢١ منها علله غير قادحة، والباقي الصواب فيها مع البخاري، عدا ثلاثة أحاديث هي:- ٣٩ و٩٧ وقد سبق ذكر الإجابة عنهما، و١٠٤ علته زيادة في المتن، ولها شاهد عنده.

ويلحظ أنَّ الأحاديث التي أعلها الدارقطني وغيره بضعف في راوٍ، لا تكاد أن تزيد على خمسة أحاديث:- الأول ٣٧ أُعلَّ بأُبي بن عباس، وله متابع، والحديث في السيرة. والثاني ٤٣ أُعلَّ بابن أبي أويس، وقد انتقى منه البخاري، وتابعه على روايته جماعة، وصحح حديثه هذا الدارقطنيُّ. واثنان منها ٧٥و٨١ علتهما راوٍ واحد هو عطاء اختلف في تعيينه، هل هو ابن أبي رباح أم الخراساني؟ والحديثان ليس في العقائد أو الأحكام، وهما علاوة على ذلك موقوفان، فلا يشدد فيهما.

وهذا يدلُّ على شدَّة تحري البخاري في العلل جملة، وفي الرجال خاصة، وأنه لا يلزم من الكلام في بعض رجاله، نقد ما رووه من أحاديث، لأن منهجه فيه هو الانتقاء.

قال ابن حجر: «وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح أن إسماعيل أخرج له أصوله وأذن له أن ينتقي منها وأن يعلم له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه وهو مشعر بأن ما أخرجه البخاري عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله»(١٦).

وقال أيضاً: «وقال البخاري في تاريخه الصغير: ما روى يحيى بن بكير عن أهل الحجاز في التاريخ فإني أتقيه. قلت: فهذا يدلُّك على أنه ينتقى حديث شيوخه، ولهذا ما أخرج عنه عن مالك سوى خمسة أحاديث مشهورة متابعة، ومعظم ما أخرج عنه عن الليث»(١٧).

وقال ابْنُ قيِّم الجوزيَّة في تقرير ذلك: «وربَّما يظنُّ الغالط الذي ليس له ذوق القوم ونقدهم أَنَّ هَذَا تناقض مِنْهُم، فإنهم يحتجون بالرَّجل ويوثقونه فِي موضع، ثم يضعِّفونه بعينه ولا يحتجُّون به فِي موضع آخر. ويقولون إن كَانَ ثقة وجب قبول روايته جملة، وإن لم يكن ثقة وجب ترك الاحتجاج به جملة، وهذه طريقة قاصري العلم، وهي طريقة فاسدة مجمع بين أهل الحديث عَلَى فسادها، فإنهم يحتجُّون من حديث الرجل بما تابعه غيره عليه، وقامت شهوده من طرق ومتون أخرى، ويتركون

---

(١٦) هُدَى الساري ، (ترجمة : إسماعيل بن أبي أويس) .

(١٧) هُدَى الساري (ترجمة : يحيى بن بكير) .

حديثه بعينه إذا روى ما يخالف الناس أوانفرد عنهم بما لا يتابعونه عليه. إذ الغلط فِي موضع لا يوجب الغلط فِي كل موضع والإصابة فِي بعض الحديث أو فِي غالبه لا توجب العصمة من الخطأ فِي بعضه، ولا سيما إذا علم من مثل هذا أغلاط عديدة ثم روى ما يخالف الناس ولا يتابعونه عليه فإنه يغلب عَلَى الظن أو يجزم بغلطه . وهنا يعرض لمن قصر نقده وذوقه عن نقد الأئمة وذوقهم فِي هذا الشأن نوعان من الغلط ننبه عليهما لعظيم فائدة الاحتراز منهما:-

أ- أحدهما:- أن يرى مثل هذا الرجل قد وثق وشهد له بالصدق والعدالة أو خرج حديثه فِي الصحيح فيجعل كل ما رَواهُ عَلَى شرط الصحيح. وهذا غلط ظاهر فإنه إِنَّمَا يكون عَلَى شرط الصحيح إذا انتفت عنه العلل والشذوذ والنكارة وتوبع عليه، فأما مع وجود ذَلِكَ أو بعضه فإنه لا يكون صحيحاً ولا عَلَى شرط الصحيح. ومن تأمل كلام البخاري ونظرائه فِي تعليله أحاديث جماعة أخرج حديثهم فِي صحيحه علم إمامته وموقعه من هذا الشأن، وتبين به حقيقة ما ذكرنا.

ب- النوع الثاني من الغلط:- أن يرى الرجل قد تكلِّم فِي بعض حديثه وضعِّف فِي شيخ أو فِي حديث فيجعل ذَلِكَ سببا لتعليل حديثه وتضعيفه أين وجد، كما يفعله بعض المتأخرين من أهل الظاهر وغيرهم. وهذا أَيْضَاً غلط فان تضعيفه فِي رجل أو فِي حديث ظهر فيه غلطُهُ لا يوجب التضعيف لحديثه مطلقاً. وأئمة الحديث عَلَى التفصيل والنقد واعتبار حديث الرجل بغيره والفرق بين ما انفرد به أو وافق فيه الثِّقَات.

وهذه كلمات نافعة فِي هذا الموضع تبين كيف يكون نقد الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ومعلوله من سليمه: «ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»(١٨)اهـ .

فمن اعترض على البخاري في حديث -بسبب تضعيف العلماء لراويه- فإنه قد جهل علم العلل، فضلاً عن نهج البخاري رحمه الله.

قال ابن تيمية: «والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث، لكن الصواب فيها مع البخاري، والذي أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا، وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول، لا يستريبون في ذلك»(١٩).

**الخاتمة:**

إن ما زدته على الحافظ هنا إنما هو تكميل وتثبيت، وليس لازمه عدم الاكتفاء بما قال أو عدم الارتضاء بما قرر.

(١٨) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الزرعي ، الفروسية المحمدية ، تحقيق زائد النشيري ، السعودية ، دار عالم الفوائد ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، (١٨٠-١٨٣) .

(١٩) ابن تيمية ، أحمد بن عبد السلام ، منهاج السنة ، تحقيق محمد رشاد سالم ، مكتبة المعارف ، المغرب ، ط٢ ، ١٤١٩هـ (١٠٢/٥) .

وظهر بما سبق أن أي محاولة للاحتجاج بصنيع الدارقطني للهجوم على البخاري وأحاديثه إنما هو تستر لباطل مقرر سابق، وهي كلمة حق أريد بها باطل، لا غير.

ويستفاد مما سبق أيضاً أنه لا يوجد أحد من أهل الحديث الراسخين في علمه -خلال مئات السنين- استدل على ضعف أي حديث بمجرد الرأي أو الهوى أو الذوق أو الاختراعات أو الواقع أو الحقائق العلمية في زعمه أو المذهب أو الكشف الصوفي أو الرؤى أو التاريخ الحجري ونحو ذلك مما يَهْذِي به أهله، فإعلالهم لأي حديث مبنيٌ على قواعد علم الرواية التي تشكلت خلال قرنين أو ثلاثة بأدلة الكتاب والسنة وصنيع الصحابة ومن تبعهم بإحسان.



# الحديث المرسل بين المحــدثين والأصــوليين: دراسة حديثية نقدية

**د. عبد الناصر عبد الجليل محمد موسي**

أستاذ الحديث المساعد

كلية أصول الدين - الجامعة الإنسانية



**المقدمــة:**

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾**[(١)] **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾**[(٢)]. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾**[(٣)][(٤)].أما بعد

فإن أصدق الحديث كتابه الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار[(٥)].

فإن الحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع وله مكانة سامية عند عموم المسلمين، وقد سخّر الله عزّ وجلّ له من يقيه ويحميه من الحملة الأُمناء، فسمعوه ووعوه وعقلوه وبلّغوه أحسن التبليغ.

ولم يزل الحديث الشريف إلى إليوم يحتاج إلى المزيد من عناء العلماء وجهود المخلصين من علماء الأمة المتخصصين للكشف عن خباياه والتعريف بمقاصده وأسبابه، وتسليط الأَضواء على دوره العظيم في حياة الفرد والمجتمع، مع مضاعفة الجهودللذب عنه وتنقيته ممّا لحق به .

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ﴿ ١٠٢ ﴾ .

(٢)سورة النساء الآية رقم ﴿ ١ ﴾ .

(٣)سورة الأحزاب الآيتين ﴿ ٧٠ ، ٧١ ﴾ .

(٤)هذه خطبة الحاجة التي علَّمَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إذا هموا بأمر بالغ وقد أخرجها: الإمام أحمد في مسنده (٤٧٧/٤) ح(٢٧٤٩) عن عبد الله بن مسعود واللفظ له وأبو داود في السنن - كتاب النكاح - باب خطبة النكاح (٤٠٤/٣) ح(١١٠٥)، النسائي في الصغري " المجتبي " كتاب النكاح باب ما يستحب عند النكاح (٨٩/٦- ٩٠ )، وكذلك في كتاب الجمعة - باب كيف الخطبة (١٠٤/٣- ١٠٥)، وابن ماجة في السنن -كتاب النكاح باب خطبة النكاح (٦٠٩/١، ٦١٠) ح(١٨٩٢) .

(٥)أخرجه النسائي في " المجتبي " كتاب صلاة العيدين - باب كيفية الخطبة (١٨٨/٣، ١٨٩) عن جابر بن عبد الله واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة . (٤١٨/٣) ح(٨٦٧) .

**أسباب اختياري للموضوع:**

١- كثرة كلام طلبة العلم ذو الإتجاهات الفقهية والحديثية في قبول الحديث المرسل وعدم قبوله عند علماء الحديث والفقهاء.

٢- الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام علي الإسلام عموماً وعلي السنة النبوية خصوصاً.

٣- أن أعداء الإسلام من مستشرقين وغيرهم قد يلجأون إلى الطعن في الإسلام بناء علي أحاديث ضعيفة مرسلة وحجتهم في ذلك أن بعض علماء المسلمين يستدلون بها في كتبهم فأردت أن أبين القول الفصل في الإحتجاج بالحديث المرسل وعدمه.

## المبحث الأول

### المطلب الأول: تعريف الحديث المرسل:

**لغة:** قال الخليل بن أحمد.البعث الإرسال كبعث الله من في القبور، وبعثت البعير أرسلته وحللت عقاله أو كان باركا فهجته قال:

أُنيخها ما بدا لي ثُمَّ أَبْعَثُها ... كأنها كاسرٌ في الجوّ فتخاء [(٦)]

قال الجوهري:- شعر رسل أي مسترسل وبعير رسل أى سهل السير ناقة رسلة والجمع الأرسال ويقال جاءت الخيل أرسالاً أي قطيعاً قطيعاً [(٧)]

**إذاً فالمرسل في اللغة**: بعني المطلق ومنه أرسل الناقة في المرعي أي أطلقه[(٨)]

**سبب تسميته بالمرسل:-**

سمي هذا النوع من الحديث بالمرسل لإطلاق الإسناد فيه وعدم تقييده براوٍ يعرف ويكون قد شمل بهذا المعني بلاغات مالك في الموطأ وهي التي لا يذكر لها إسناد بل جاء بلفظ بلغني.

والمرسل يجمع علي مراسيل وعلي مراسل بإثبات إلىاء وبحذفها كما يجمع المسند علي مسانيد ومساند والأولي جمع المرسل علي مراسل بدون ياء قال الله تعإلى " ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة "

**تعريف الحديث المرسل اصطلاحاً:**

**أولا :** تعريف الحديث المرسل في اصطلاح المحدثين المتقدمين:

قال ابن الصلاح[(٩)] المرسل هو حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم كعبد الله بن عدي بن الخيار ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قالا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم.

---

(٦) الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين ١١٢/٢

(٧) الصحاح للجوهري مادة رسل ٣٩٤/٥

(٨) شرح المنظومة البيقونية للعثيمين ص ٧٩

وحكي ابن عبد البر عن بعضهم أنه لا يعد إرسال صغار التابعين مرسلاً، ولكن المشهور عند المتقدمين التسوية بين التابعين أجمعين، قال أبو عمرو بن الحاجب في مختصره في أصول الفقه المرسل قول غير الصحابي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذا ما يتعلق بتصوره عند المحدثين.

وأقول: إن ابن الصلاح عندما قال هو حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم مراده بهذا والله أعلم أن يبين الصورة التي لا خلاف فيها للمرسل وهي حديث التابعي الكبير.

وقد قال ابن كثير رحمه الله[١٠] والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك، أما ابن عبد البر فقد حكي عن بعضهم أنه لا يعد إرسال صغار التابعين مرسلا هذا وكان للمرسل تفسيراً آخر عند الإمام أحمد رحمه الله فإنه يطلقه ويريد به الحديث الذي لم يتصل اسناده علي أي صورة كان هذا الإرسال سواء رواه التابعي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أو تابعي التابعي يرويه عن الصحابي عن النبي صلي الله عليه وسلم ،وهذا الاستخدام نشاهده في كتب ابن أبي حاتم أيضاً.

إذًا فإن الحديث المرسل عند المتقدمين من المحدثين بمعني ماسقط من اسناده راو أو أكثر أو بمعني أخر يطلقون كلمة المرسل ويريدون بها الإسناد الذي لم يتصل فإننا نجد الإمام أحمد مثلا يقول روي عراك بن مالك عن عائشة حديثا ..........." ثم يقول بعده هذا حديث مرسل وعراك بن مالك هذا لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

ولكن ابن عبد الهادي جاء متأخراً فاضطر أن يقول سماه مرسلاً لأن عراك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

فالإمام أحمد رحمه الله أطلق هذه الكلمة بناء علي ما كان في عصرهم واستخدامهم وهو أن المرسل "أي سقط في الإسناد" ولهذا يعتبرون المرسل مقابل المتصل فيقولون أرسله فلان ووصله فلان بمعني واحد أي رواه متصلا والآخر رواه غير متصل الذي هو المرسل وفي أي مكان في الاسناد يكون هذا عدم الاتصال.

إذًا فالذي نخلص إليهالآن من كلام المتقدمين أن المرسل عندهم هو الحديث الذي لم يتصل اسناده وهو مقابل المتصل.

**ثانياً: تعريف الحديث المرسل عند المتأخرين:**

**المرسل عند جمهور المحدثين:-**

ما أضافه التابعي إلى النبي صلي الله عليه وسلم مما سمعه من غيره. وهذا التعريف يشتمل بإطلاقه ما أضافه التابعي إلى النبي صلي الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير. وقد نبه الحافظ ابن حجر علي

---

(٩) المقدمة في علوم الحديث ص ٣١

(١٠) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث النوع التاسع ص٦ .

أن المحدثين لا يريدون حصر المرسل في القول بل المرسل عندهم يشمل الفعل والتقرير ولذلك رأي أن التعبير بالإضافة أولي لكونها أشمل.

**المرسل عند الأصوليين:**

ما أضافه غير الصحابي إلى النبي صلي الله عليه وسلم. كذا اطلق ابن الحاجب والرهوني وابن جزي وغيرهم من الاصوليين وهذا التعريف هو منهم شامل للمرسل والمنقطع والمعضل، قال ابن الصلاح والمعروف في الفقه أن كل ذلك يسمي مرسلاً.

**مثال تصوري للحديث المرسل عند المحدثين:** لما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البيوع، قال: وحدثني محمد بن رافع حدثنا حجين بن المثنى حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب: (أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى عن بيع المزابنة)(١١). فسعيد بن المسيّب من التابعين وهناك واسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يذكرها.

**المطلب الثاني: صور المرسل**

قال ابن الصلاح في المقدمة في علوم الحديث(١٢) وله صور اختلف فيها أهي من قبيل المرسل أم لا؟

١ – إذا انقطع الإسناد قبل الوصول إلى التابعي فكان فيه رواية راوٍ لم يسمع من المذكور فوقه فالذي قطع به الحاكم أبو عبد الله وغيره من أهل الحديث أن ذلك لا يسمي مرسلا وأن الإرسال مخصوص بالتابعين بل إن سقط ذكره قبل الوصول إلى التابعي شخصاً واحداً يسمي منقطعاً فحسب وإن كان أكثر من واحد يسمي معضلاً ويسمي أيضاً منقطعاً.

والمعروف في الفقه وأصوله أن ذلك يسمي مرسلاً وعليه ذهب من أهل الحديث أبو بكر الخطيب وقطع به وقال: ألا إن أكثر ما يوصف بالإرسال من حيث الاستعمال ما رواه التابعي عن النبي صلي الله عليه وسلم فيسمونه المعضل والله أعلم.

٢ – قول أصاغر التابعين قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "أمثال الزهري وأبي حازم ويحي الانصاري وغيرهم". وحكي ابن عبد البر أن قوماً لا يسمونه مرسلا بل منقطعا لكونهم لم يلقوا من الصحابة إلا الواحد والاثنين وأكثر روايتهم عن التابعين. قال ابن الصلاح وهذا المذهب أي الذي حكاه ابن عبد البر فرع لمذهب لمن لا يسمي المنقطع قبل الوصول إلى التابعي مرسلاً والمشهور التسوية بين التابعين في الإرسال.

٣ – ما ورد في بعض الأسانيد: فلان عن رجل أو عن شيخ عن فلان أو نحو ذلك فالذي ذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث أنه لا يسمي مرسلاً بل منقطعاً وهو في بعض المصنفات المعتبرة في أصول الفقه

(١١)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب – باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا ١١٦٨/٤ حديث رقم ١٥٣٩

(١٢)المقدمة في علوم الحديث ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

معدودة من أنواع المرسل. قال ابن كثير[١٣] والحاكم يخص المرسل بالتابعين والجمهور من الفقهاء والأصوليين يعممون التابعين وغيرهم.

ويتبين لنا من كلام ابن حجر[١٤] أنه لا يفرق بين التابعي الكبير والتابعي الصغير في الإرسال. ولذلك كان لزاماً علينا أن نعرف بالتابعي حيث كثر ذكره فيما سبق.

**قال الشيخ نور الدين عترفي تعليقه علي شرح نخبة الفكر**[١٥]: التابعي الكبير هو الذي روي عن كبار الصحابة وهذا حديثه يوجد أكثر شيء عند التابعين، والتابعي الصغير : هو الذي روي عن صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم، وقال الشيخ عبد الكريم الفضلي في تعليقه علي شرح النخبة أيضاً التابعي الكبير هو الذي لقي عدداً كبيراً من الصحابة وحدث عنهم. **فالتابعي الصغير:** هو الذي لقي قليل من الصحابة ولم يروي عنهم كثيراً[١٦]. وحتى يكتمل المعني ينبغي أن نعرف بالصحابي.

**تعريف الصحابي:**

**الصحابي لغةً:** هو الملازم والمعاشر للإنسان يقال فلان صاحب فلان أي عاشره وملازمه وصديقه. وقال بعض اللغويين: الصاحب لا يقال إلا لمن كثرت ملازمته ومعاشرته وإلا فلو جالس الشخص أحداً مرة أو مرتين لا يقال إنه صاحبه أو تصاحبا.

**الصحابي اصطلاحاً:** قال الإمام ابن حجر رحمه الله في "كتاب الإصابة" في تعريف الصحابي وأصح ما وقفت عليه من ذلك "أن الصحابي من لقي النبي صلي الله عليه وسلم مؤمناً به ومات علي الإسلام"[١٧]. ويتبين لنا من تعريف ابن حجر للصحابي ليس فيه فرق بين المعني اللغوي إلا في قيد الإسلام "أنه من لقي النبي صلي الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام".

**طرق معرفة الصحابي:**

١ – التواتر.

٢ – الشهرة والاستفاضة.

٣ – قول أحد الصحابة.

٤ – دعوي نفس الشخص بشرط المعاصرة وأن يكون عادلاً.

**ملحوظة:**

الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول ومنزلتهم عند الله عالية وفضلهم عظيم والتابعين يلوا الصحابة رضوان الله عليهم في الفضل والمنزلة ولكنهم ليسوا كلهم عدول كالصحابة وليسوا في طبقةٍ

---

(١٣)اختصار علوم الحديث تحقيق أحمد شاكر النوع التاسع ص ٦ بتصرف

(١٤)ينظر نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٨٢ ، ٨٣

(١٥)شرح نخبة الفكر بتعلق الشيخ نور الدين عتر ص ٨٢ - ٨٣

(١٦)في تعليقه علي شرح نخبة الفكر ص ٦٢

(١٧) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١ /٣٥٣

واحدةٍ. وقد أشارت نصوص كثيرة إلى منزلة الصحابة والتابعين منها قوله تعالى: "وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"(١٨)، وقوله سبحانه بعد بيان نصيب الفقراء من المهاجرين والأنصار من الفئ والثناء عليهم وتعديد مناقبهم "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"(١٩)

وقد جاء في السنة أيضاً ما يشعر بعلو مكانتهم وارتفاع منزلتهم وبيان فضلهم منها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٢٠)، فهذا الحديث يشعر بامتداد الفضل وتتابعه ويشعر بذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم"(٢١).

**المطلب الثالث: أنواع الإرسال**

قال الشيخ أبو الحسن في كتابه اتحاف النبيل:

**النوع الاول:**

الإرسال الجلي:- وهو رواية الراوي عمن لم يلقه. والتعبير بهذه العبارة "عمن لم يلقه" أدق لشموله حال الراوي سواء أدرك شيخه أم لم يدرك عاصره أو لم يعاصره أما القول "رواية الراوي عمن لم يعاصره" كلام غير دقيق لأنه عاصره ولم يلقاه فلا زال الإرسال موجوداً. مثال ذلك رواية المخضرمين عن النبي صلي الله عليه وسلم كأبي عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم وهما وإن عاصرا النبي صلي الله عليه وسلم فروايتهما عنه مرسلة إرسالاً جلياً وذلك لعدم تحقق اللقاء. والله أعلم، فالصواب أن نقول رواية الراوي عن من لم يلقه سواء عاصره أو أدركه وسواء لم يعاصره أو لم يدركه.

**النوع الثاني:**

الإرسال الخفي وهو رواية الراوي عن الشيخ الذي لقيه ولكنه لم يسمع منه شيئاً(٢٢) فمن الممكن أن يلقي الراوي شيخه لكن ليس مستعداً لتحديثه أو به شغل يحول دون عقده لمجلس من مجالس الحديث كالإملاء أو العرض أو غير ذلك فهذا اللقاء لا يفيد شيئا وهذا الإرسال مع اللقاء يكون خفياً،

---

(١٨) سورة التوبة الآية ١٠٠

(١٩) سورة الحشر الآية ١٠

(٢٠) أخرجه البخاري - كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم٥/٧ حديث رقم ٣٦٥٠ .

(٢١)أخرجه أبو داود في السنن – كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣ /٣٢٠ رقم ٣٦٥٩ ،وأخرجه الحاكم في المستدرك – كتاب العلم ٩٥/١ وقال صحيح علي شرط الشيخين وليس له علة،وأخرجه ابن حبان في صحيحه،وهو في الإحسان كتاب العلم ذكر الأخبار عن سماع المسلمين السنن٢٦٣/١ وصحح محققه إسناده .

(٢٢) هكذا عرفه ابن حجر رحمه الله في طبقات المدلسين ص ٢ وقال وإذا روي عمن عاصره ولم يثبت لقاه له شيئا بصيغة محتملة فهو الإرسال الخفي ومنهم من ألحقه بالتدليس والأولي التفرقة بينهما لتميز الأنواع .

**ومثال ذلك:** ما جاء في "جامع التحصيل" ترجمة سليمان بن مهران الأعمش وقد روي عن أنس وابن أبي أوفي وقال علي بن المديني لم يسمع من أنس إنما رآه رؤيا بمكة يصلي خلف المقام فإنما طرق الأعمش عن أنس فإنما يرويها عن يزيد الرقاشي عن أنس وقال ابن معين كل ما رواه الاعمش عن أنس فهو مرسل......."[٢٣]، ومثله ما جاء في العلل لابن رجب قال قول أبو حاتم الرازي: الزهري لا يصح سماعه من ابن عمر رآه ولم يسمع منه ورأي عبد الله بن جعفر ولم يسمع منه.

وأثبت أيضاً دخول مكحول علي واثلة بن الأسقع ورؤيته له ومشافهته وأنكر سماعه منه وقال لم يصح له منه سماع وجعل رواياته عنه مرسلة[٢٤]، وعوداً إلى كلام ابن حجر في تعريفه للإرسال الخفي، فإذا روي من هذه حالته عن شيخه بصيغة محتملة فإنا نحكم علي حديثه بالإرسال الخفي وذلك لأمرين:-

**الأول:** عدم ثبوت سماعه منه.

**الثاني:** عدم تحقيق إيهام السماع لمن لم يسمعه وقد قطع هذا الإيهام جزم الحافظ باشتراطه عدم السماع في قوله "ولم يثبت لقياه له شيئاً"، ويخرج من ذلك من رأي الشيخ وأمكن لقاءه له ولم ينقل ما ينفي سماعه منه فروايته عنه متصلة في قول وذلك من الثقة أي المدلس ويخرج من ذلك من لقي الشيخ وسمع منه وروي عنه ما لم يسمع موهماً السماع منه فروايته مدلسه لتحقيق الإيهام بالسماع والله أعلم[٢٥].

ولنعلم أن هناك من العلماء من يعبر باللقاء علي السماع فيقولون "فلان لقي فلاناً أي سمع منه"[٢٦]، وإذا قرأنا في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر فنجد أنه يأتي للمترجم له ويقول روي عن فلان وفلان وروي عنه فلان وفلان ويذكر تلامذته وشيوخه والأصل في ذلك أنه إذا لم ينص الحافظ ابن حجر رحمه الله أو أحد من الأئمة على أن الراوي المترجم له لم يسمع من الشيخ الفلاني أو تلميذه الفلاني لم يسمع منه فالأصل في الرواية اللقاء والسماع والاتصال، الشاهد من هذا أن الإرسال الخفي هو رواية الراوي عن الشيخ الذي لقيه لكنه لم يسمع منه شيئاً.

---

(٢٣) جامع التحصيل ص ١٨٨ رقم ٢٥٨

(٢٤) شرح علل الترمذي لابن رجب ص ٢١٥

(٢٥) انظر النكت للحافظ ابن حجر ٦١٤/٢ - ٦١٥

(٢٦) المرجع السابق

**المطلب الرابع: الفرق بين الإرسال الخفي والتدليس**

بعد أن عرفنا الإرسال الخفي وتبين لنا أنه قريب من التدليس كان لزاماً علينا أن نبين الفرق بينهما،

**تعرف التدليس:**

هو رواية الراوي عمن سمع منه بعض الأحاديث سماعاً صحيحاً لكنه سمع بعض الأحاديث الأخرى عنه بواسطة وروي الحديث مسقطاً للواسطة بصيغة توهم السماع (٢٧)

ولذلك نجد كثيراً من العلماء قد عابوا علي التدليس ولم يعيبوا علي الإرسال الخفي فقد قال الإمام شعبة رحمه الله: "لأن أزني أحب إلي من أن أدلس"(٢٨).

ونجد عبد الرزاق يأتي عند أستار الكعبة لما وجد أن المحدثين لا يأتون إليهم يتضرع إلى الله عز وجل فيقول يا رب لماذا هذا؟ هل أنا مدلس، هل أنا كذا هل أنا كذا؟"(٢٩)، ووكيع رحمه الله روي حديثاً فقيل له من الذي حدثك به فقال: "يا هذا إنا لا نستجيز التدليس في الثوب فكيف نستجيزه في الدين"(٣٠)، وغير ذلك من النصوص التي جاءت عن علماء الحديث من التشنيع على المدلسين فوجدناهم يشنعون علي المدلسين ولم نجدهم يشنعون على الذين أرسلوا بل يقولون فلان عن فلان رواية مرسلة وفلان مراسيله من مراسيل الصحابة إلى غير ذلك، فلم نجد العلماء يذمون الذين يرسلون ولكن يذمون المدلسين لأن الذين يدلسون يلبسون علي غيرهم والتدليس ضرب من الإيهام أي فيه إيهام للسامع فلما كان المستمع يعلم أن هذا الشيخ قد لقي الذي يروي عنه وسمع منه فإنه يحمل هذه العنعنة أو ما في معناها علي السماع أما التلميذ إذا كان يعلم أن هذا الشيخ لم يدرك ولم يلق الشيخ الذي يروي عنه فلا إيهام ولا تضليل عليه

فإذا قال راوٍ مثلاً من غير التابعين قال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كذا وكذا، فإنه لا يدخل في خاطر أحد أنه يدلس علي ابن عباس فمن المؤكد أنه لم يلق ابن عباس ولا سمع منه فالإيهام والتضليل والغش منفي في هذه الحالة فلا يستحق الذم. أما إذا أتي إلى

---

(٢٧) قال أبو بكر البزار: هو أن يرويه عمن قد سمع منه مالم يسمع منه غير أن يذكر أنه سمعه منه ( انظر التقييد والإيضاح ص ٩٧ ) وبمثله عرفه أبو الحسن ابن القطان ( انظر النكت ) ٢ / ٦١٤

(٢٨) انظر الكفاية ص ٣٥٦ .

(٢٩) هذه القصة في تاريخ ابن معين ص ٣٦٣ عباس ثنا يحي قال بشر بن السري قال عبد الرزاق : قدمت مكة مرة فأتاني أصحاب الحديث يومين ثم انقطعوا عني يومين أو ثلاثة فقلت يا رب ما شأني؟ أكذاب أنا؟ أي شيء أنا قال فجاءوني بعد ذلك أهـ . وانظرها أيضا في سير أعلام النبلاء ٥٦٧/٩ وهي في الموضعين بدون الشاهد .

وفي الكفاية للخطيب ص ٣٥٧ بإسناد إلي الدوري قال حدثنا بعض أصحابنا قال عبد الرزاق قدمت مكة فمكثت ثلاثة أيام لا يجيئني أصحاب الحديث فمضيت وطفت وتعلقت بأستار الكعبة وقلت يا رب مالي أكذاب أنا أمدلس أنا قال فرجعت إلي البيت فجاءوني " أهـ .وفيها الشاهد علي ذم التدليس فإما أن يحمل المبهم في هذه الرواية علي المصرح باسمه في الرواية السابقة وإلا يؤخذ بالرواية التي ليس فيها إيهام ويكون الشاهد ليس ثابتا والله أعلم .

(٣٠) ذكر الخطيب في الكفاية بسنده قال كان وكيع ربما قال في الحديث حدثنا وربما لم يقل قال : فقلنا لجار لنا يقال له أبو الوفاء كان لا يحسن شيئا سله لما يقول في بعض حدثنا ولا يقول في بعض ؟ قال فتقدم إليه فسأله قال فقال له وكيع أما وجد القوم خطيبا غيرك " نحن لا نستحل التدليس في الثياب فكيف في الحديث أهـ . ص ٣٥٦- ٣٥٧ .

شيخ قد علم سماعه ورحلته إليهم يقول قال الشيخ كذا وكذا فيستنكر أحد الجالسين من المجالس ويقول هل أنت سمعت منه هذا؟ ونظراً للأمانة والعدالة فإنه يقول لا ولكن حدثني فلان فمن هنا يبدأ الطالب فيخاف من الكلمة التي فيها إيهام وليس فيها تصريح بالسماع.

فحري بأن يذم المدلسون وأن يعامل الذي أرسل بما يعامل به المدلسون. والله أعلم.

**المطلب الخامس: الفرق بين المرسل الخفي والمزيد في متصل الأسانيد**

المزيد في متصل الأسانيد هو: أن يزاد في الإسناد رجل فأكثر غلطاً من قوله[٣١]، ومن هذا يتبين لنا أن هذه الزيادة تكون برجل فأكثر فقد يكون الزائد رجلاً واحداً وقد يكون أكثر من رجل وقد يكون الزائد في موضع واحد وقد يكون في موضعين وأيضاً يكون الإسناد المزيد عليه متصلاً وأن تكون الإضافة غلطاً لأنه لو لم تكن غلطاً لم يكن مزيداً في متصل الأسانيد يتحول إلى نوع أخر من أنواع علل الحديث. إذا الشاهد هنا أن المزيد في متصل الأسانيد هو الزيادة **أولاً**، **ثانيًا:** أن تقع الزيادة في الأسانيد، **ثالثًا:** أن الإسناد الذي تقع فيه يكون متصلاً، **رابعًا:** أن الزيادة ليست محدودة بموضع من مواضع الإسناد ولا بعدد من الرواة، **خامسًا:** أنها تقع غلطاً من بعض الرواة.

فهذا هو المزيد في متصل الأسانيد وقد مثل له العلماء بحديث إبراهيم بن يعقوب بن سعد عن ليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن شريك بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه................"، فهذا الإسناد ذكر العلماء أنه من المزيد في متصل الإسانيد ولكن لا يتبين لنا أنه من باب المزيد في متصل الأسانيد إلا إذا وقفنا علي الطريق الأخرى، فهذا الإسناد: ابراهيم بن يعقوب ثقة عن ليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن شريك بن أبي نمر عن أنس رضي الله عنه في قصة ضمام بن أبي ثعلبة هذا الحديث هكذا أخرجه النسائي فظاهر هذا الإسناد إذا لم ترد الطريق الأخري أنه صحيح وأن الإسناد هكذا متسلسل لكن العلماء رحمهم الله قالوا إن هذا من باب المزيد في متصل الأسانيد وقالوا دلنا عليه الروايات الأخري لأن البخاري خرجه عن عبد الله بن يوسف وخرجه عن البخاري من حديث ابن وهب من حديث يونس ثلاثة عبد الله بن يوسف وابن وهب ويونس بن يزيد هولاء الثلاثة رووا الحديث عن سعيد المقبري عن شريك عن أنس فالذي سقط في هذا الإسناد هو ابن عجلان.

فالعلماء يقولون إن الحديث الأول مزيد في متصل الأسانيد وهذا السند الثاني هو الصواب وهو الصحيح والإسناد هذا الثاني هو متصل لأننا إذا نظرنا إلى رواية ليث وجدنا أن ليثاً يروي عن سعيد المقبري وروايته عنه في الصحيحين .

يعني : يروي ليث عادة بدون واسطة بينه وبين سعيد المقبري وأحياناً بواسطة أو له رواية عن ابن عجلان يعني يروي عن ابن عجلان وهي ثابتة في صحيح مسلم فعندنا إذا نظرنا إلى الإسناد الثاني وجدنا أن الليث بن سعد يروي هذا الحديث عن سعيد المقبري ولم يذكر في الإسناد ابن عجلان هؤلاء

(٣١) التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ص ٧٤ ط مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولي

الذين رووا عن ليث حفاظ عبد الله بن وهب ويونس بن يزيد وعبد الله بن يوسف التنيسي هؤلاء الثلاثة خالفهم إبراهيم بن يعقوب وإبراهيم بن يعقوب وهم في هذا الحديث في زيادة ابن عجلان ووهم إبراهيم بن يعقوب في زيادة ابن عجلان يسمي الإسناد الذي فيه ابن عجلان المزيد في متصل الأسانيد لأن عندنا الإسناد الذي ليس فيه ابن عجلان هذا متصل لأن ليثاً يروي عن سعيد المقبري وهذا ثابت عنه.

**ثانياً:** أن الزيادة وقعت في الإسناد

**ثالثها:** أن رواية من رواه بدون ذكر ابن عجلان أقوي وأثبت ولهذا قال العلماء في المزيد في متصل الأسانيد يعني يكون من رواه بدون الزيادة أقوي وبعضهم اشترط أن يصرح في موضع الثبت بالسماع كأن يصرح ليث بسماعه من سعيد المقبري هذا هو المزيد في متصل الأسانيد إذا حكمنا علي إبراهيم بن يعقوب بأنه من المزيد في متصل الأسانيد هذه تصير رواية موهومة ورواية معلولة لو فرضنا أنه العكس حصل العكس فإنه يدخل في باب التدليس أو الارسال الخفي يدخل المرجوح في التدليس أو الإرسال الخفي.

**الفرق بين المرسل والمزيد في متصل الأسانيد:**

قال ابن الصلاح: يتعرضان لأن يعترض كل منهما الآخر(٣٢)، ومعناه: إذا روي الراوي الحديث عمن يرويه عنه بلفظ عن وكان ظاهر الإسناد الاتصال ثم يجيء عنه من طريق آخر فيه زيادة شخص في الإسناد فإذا كانت الزيادة راجحة بأن يكون تحقق شرط السماع كان الطريق الذي فيه النقص من الإرسال الخفي وإن كان النقص راجح بأن لم يثبت السماع كان الزائد من المزيد في متصل الاسانيد وعلي هذا يكون حل الإشكال مرده إلى ثبوت السماع فقط. والله أعلم.

**المطلب السادس: أسباب الإرسال**

١- أن يكون الرجل سمع ذلك الخبر من جماعة ثقات، وصحّ عنده، ووقر فى نفسه، فيرسله اعتماداً على شيوخه، والظاهر أن هذا الباعث يصدق على مرسلات مالك، لأن بيئة المدينة التي تنسّم فيها مالك عبير العلم النبوي الشريف، بيئة حافلة بحَمَلَة الحديث في طبقة الصحابة فمن بعدهم فلا يستبعد أن يكون مالك أو أحد شيوخه سمع الخبر من جماعة ثقات، وصح عنده، فترك ذكرهم في السند .ويزكّي هذا الأثر الذى رواه مالك عن نافع : أن عبدالله بن عمر كان يقطع التلبية فى الحج إذا انتهى إلى الحرم. وأورده بدون إسناد بل بصيغة البلاغ، فى موضع آخر من الموطّأ. وقد علّق الباجى على هذا البلاغ بقوله وقوله بعد هذا (وقد بلغنى أن عبدالله بن عمر كان يصنع ذلك) وقد تقدّمت روايته لذلك عنه من طريق نافع على حسب ما يفعل كثيراً من إرساله الخبر مع روايته له عن أوثق الناس.

(٣٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٧٠

٢ - أن يكون المرسل للحديث نسى من حدّثه به، وعرف المتن جيداً فذكره مرسلاً ,لأن أصل طريقه أن لايأخذ إلا عن ثقة، كمالك، وشعبة، فلا يضرّه الإرسال.

٣- أن يكون المقام مقام مذاكرة، أو استدلال على مسألة فقهية، لا مقام تحديث. فربما ثقل معه الإسناد، وخفّ الإرسال، فيكتفى بذكر المتن، إما لمعرفة المخاطبين بذلك الحديث اشتهاره عندهم، أو لغير ذلك من الأسباب.

وهذا الباعث قد يصدق على معنى الإرسال عند الأصوليين، حينما يحذف الإسناد كله أو بعضه، ولا يكون كذلك على معنى الإرسال عند المحدّثين، حيث يسقط راوٍ واحد من السند. وقد نلمس هذا الباعث أيضا فى مواضع من موطّأ مالك، حيث يعمد إلى رواية أحاديث بأسانيد متصلة ثم يوردها فى مقام تقرير حكم فقهي، محذوفة الإسناد.

٤- أن يكون الحديث ثابتاً عند الراوى الذى أخرجه لكن قد يكون فى سنده رجل غير مرضى عنه ككونه مجهول الحال فيحذفه من السن ، كراهية أن يذكر فى حديث ثابت رجلاً غير مرضى.

## المبحث الثاني

### المطلب الأول: مذاهب العلماء في حجية الحديث المرسل

**اختلف العلماء في قبول ورد الحديث المرسل علي أقوال: -**

١ – ذهب الإمام مالك وأبو حنيفة وأحمد في أشهر الروايتين عنهم وجماهير المعتزلة كأبي هاشم وتبعهم الإمام الآمدي في الإحكام ومنتهي السول إلى قبول مرسل العدل مطلقاً سواء أكان من أئمة النقل أم لا وسواء أكان في القرون الثلاثة الأولي أم بعدهم وغالى بعض القائلين به حتى قدمه على المسند كصاحب التنقيح وغيره تبعا لابن أبان.

٢ – ذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعإلى وأحمد في أحد قوليه والظاهرية وجمهور الأئمة من حفاظ الحديث ونقاد الأثر كما قال الخطيب بل كلهم كما قال ابن عبد البر في التمهيد والقاضي أبو بكر وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم وابنه عبد الرحمن ويحيي بن سعيد القطان علمًا بأن وفاته قبل وفاة الشافعي رحمه الله واختاره الإمام الرازي وأتباعه كل هؤلاء ذهبوا إلى أنه غير مقبول مطلقًا. إلا أن الإمام الشافعي رحمه الله قبله ولكنا سنعرف بإذن الله عز وجل مدى قبوله له عند تحرير مذهبه بشروط نوضحها هناك فمذهبه رحمه الله رد الحديث المرسل من حيث الإطلاق.

٣ – ذهب عيسي بن أبان إلى أن مرسل العدل في القرون الأولي حجة مطلقًا وأما من بعدهم فلا يقبل إلا إذا كان من أئمة النقل والمقصود بأئمة النقل من كانت له أهلية الجرح والتعديل.

٤ – وذهب أبو بكر الرازي واختاره السرخسي في أصوله إلى أن مرسل من كان من القرون الثلاثة حجة مالم يعرف منه الرواية مطلقًا عمن ليس بعدل ثقة ومرسل من كان بعدهم لا يكون حجة إلا من اشتهر بأنه لا يروي إلا عمن هو عدل ثقة.

٥ – وذهب الإمام ابن الحاجب في المختصر والمنتهي وتبعه ابن الهمام في التحرير إلى أن مرسل العدل يقبل مطلقًا إن كان من أئمة النقل سواء أكان من أهل القرون الثلاثة الأولي أم لا وأما إذا لم يكن من أهل النقل فلا يقبل مرسله سواء من القرون الثلاثة الأولي أو بعدهم.

**أدلة هذه المذاهب ورد الضعيف منها:**

لكن قبل بيان هذه المذاهب هناك بعض الأمور المهمة التي يجدر بنا أن نطلع عليها وهي:-

**أولاً:** قال الإمام السبكي في الإبهاج[٣٣] ورفع الحاجب عن ابن الحاجب[٣٤] إن مذهب ابن الحاجب هو عين مذهب ابن أبان خلافاً لما توهمه بعض الشارحين وإلا فيلزم أن يكون اختار مذهباً لم يسبق إليه.

ثم علل ذلك بقوله: وكأن عيسي بن أبان اعتقد أن التابعين وتابعيهم كلهم من أئمة النقل وإلا فيلزم أن يقبل التابعين وتابعيهم مطلقًا ورد من عاداهم إن لم يكن من أئمة النقل وليس الأمر كذلك كما اعتقد. أهـ.

ولكن فيما نعتقد والله أعلم:- أن الأمر كذلك لأن مذهب ابن الحاجب غير مذهب ابن أبان من حيث شرط كون الراوي من أئمة النقل في القرون الثلاثة فابن الحاجب يشترط ذلك وابن أبان لايشترطه فيهم بل يقبله من عدلهم مطلقًا ومما يدل علي ذلك قول السرخسي في أصوله[٣٥]: فأما مراسيل القرن الثاني والثالث حجة في قول علماءنا رحمهم الله. أهـ. فلم يذكر في ذلك مخالفًا ولم يشترط فيهم أن يكونوا من أئمة النقل ولم يعتقد فيهم أنهم كلهم كذلك. ثم قال[٣٦]: فأما مراسيل من بعد القرون الثلاثة فقد كان أبو الحسن الكرخي رحمه الله لا يفرق بين مراسيل أهل الأعصار وكان يقول من تقبل روايته مسنداً تقبل روايته مرسلاً للمعني الذي ذكرنا.

وكان عيسي بن أبان رحمه الله يقول من اشتهر في الناس بحمل العلم منه نقبل روايته مرسلاً ومسنداً ومن لم يشتهر بحمل الناس العلم منه مطلقاً وإنما اشتهر بالرواية عنه فإن مسنده حجة ومرسله يكون موقوفاً إلى أن يعرض علي من اشتهر بحمل العلم منه. أهـ . وهذا أكبر دليل علي تفرقة ابن أبان بين أهل القرون الثلاثة الأولي ومن بعدهم والسرخسي أدري بقول ابن أبان وهذا خلاف مذهب ابن الحاجب الذي لا يفرق بينهم في اشتراط كونهم أئمة النقل .

**ثانيًا:** قال ابن الهمام في التحرير[٣٧] وابن أبان يقبل في القرون الثلاثة وفيما بعدها إذا كان المرسل من أئمة النقل وروي الحفاظ مرسله كما رووا مسنده والحق اشتراط كونه من أئمة النقل. أهـ. قال شارحه: أي في القرون الثلاثة وما بعدها، فإبن الهمام اختار مذهب ابن الحاجب وهو كونه من أئمة النقل مطلقاً في القرون الثلاثة وما بعدها بعد أن ذكر مذهب ابن أبان ولو كان هو عين مذهب ابن

(٣٣) الإبهاج لابن السبكي ٣٣٩/٢

(٣٤) رفع الحاجب عن ابن الحاجب ٢٨٧

(٣٥) أصول السرخسي ١/ ٣٦٠

(٣٦) المرجع السابق ١/ ٣٦٣

(٣٧) التحرير ٣ / ١٤٦

أبان لما ميز بينهما. وكذلك فعل ابن صاحب المنار والتوضيح وإن لم يصِرّح بابن أبان والأسنوي وفي نهاية السول وغيرهم ممن سرد المذاهب في المرسل ولا داعي للإطالة بذكرهم.

**ثالثًا:** ما الذي يمنع أن يختار ابن الحاجب مذهباً لم يسبق إليه وقد فعل مثل ذلك في غير هذا المكان ويفعله كل إمام في ذلك الزمان. إذاً فالراجح في هذا أن مذهب ابن الحاجب مذهباً لم يسبق إليهوهو خلاف مذهب ابن أبان خلافاً لما ذهب إليه ابن السبكي رحمه الله.

**الثاني:** ذكر الآمدي في كتابه الإحكام[٣٨] ومنتهي السول[٣٩] أن القاضي أبا بكر وافق الشافعي رضي الله عنه قبول المرسل بالشروط التي اشترطها الشافعي لقبوله. فقال بعد أن ذكر شرط الشافعي لقبول المرسل: ووافقه على ذلك أصحابه والقاضي أبو بكر أهـ.

وهذا أيضا غير الصواب. فإن القاضي ممن يردون المرسل مطلقاً ولا يقبلونه بحال ولقد اعترض على الشافعي شروطه الأربعة التي ذكرها في الرسالة لقبول المرسل ولقد قال السبكي في الإبهاج[٤٠] والشافعي رضي الله عنه صدر القائلين برد المرسل إلا أنه نقل عنه أنه قبل بعضها في أماكن قال القاضي رحمه الله ونحن لا نقبل المراسيل مطلقاً ولا في الأماكن التي قبلها فيها الشافعي مطلقاً حسماً للباب أهـ.

فإن كان مراد الآمدي أن القاضي وافق الشافعي على أصول الرد للمرسل من حيث هو فهذا صحيح وإن كان مراده أن القاضي وافقه على القبول بالشروط التي ذكرها فهذا غير صحيح لأن القاضي سيعترض عليه في هذه الشروط ويختار الرد مطلقاً.

**الثالث:** قال الشوكاني في إرشاد الفحول[٤١]: بعد أن ذكر اصطلاح المحدثين واصطلاح الأصوليين وإطلاق المرسل علي هذا وإن كان اصطلاحاً ولا مشاحة فيه لكن محل الخلاف هو المرسل باصطلاح أهل الحديث أهـ. فزعم أن الخلاف فقط في السند الذي أسقط منه الصحابي وهو الحديث الذي يرويه التابعي عن النبي صلي الله عليه وسلم.

وهذا غير صحيح أيضا فليس الخلاف محصور في المرسل باصطلاح المحدثين فقط بل المرسل باصلاحهم واصطلاح الفقهاء والأصوليين فيدخل فيه المنقطع والمعضل. قال السرخسي في أصوله[٤٢] فأما مراسيل القرن الثاني والثالث حجة في قول علمائنا رحمهم الله. وقال السرخسي أيضا[٤٣] فأما مراسيل من بعد القرون الثلاثة فقد كان أبو الحسن الكرخي رحمه الله لا يفرق بين مراسيل أهل الأعصار وكان يقول من تقبل روايته مسنداً تقبل مرسلاً للمعني الذي ذكرنا وكان عيسي بن أبان يقول

(٣٨) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١١٢/٢

(٣٩) منتهي السول في علم الأصول ١ / ٩٠

(٤٠) الإبهاج لابن السبكي ٢/ ٣٣٩

(٤١) إرشاد الفحول للشوكاني ١٧٣/١

(٤٢) أصول السرخسي ١/ ٣٦٣

(٤٣) المرجع السابق

من اشتهر بين الناس بحمل العلم منه تقبل روايته مرسلاً ومسنداً وإنما يعني به محمد بن الحسن رحمه الله وأمثاله من المشهورين بالعلم أهـ. وقال ابن نجيم في فتح الغفار شرح المنار[٤٤] فيقبل مثل إرسال محمد بن الحسن وأمثاله أهـ. وقال الآمدي في الاحكام[٤٥]: فإنه مهما كان المرسل للخبر في زماننا عدلاً ولم يكذبه الحفاظ فهو حجة فهذا وأمثاله في كافة كتب الأصول صريح فيما قلناه وحمد بن الحسن ليس من التابعين ومع ذلك فقد صرحوا بقبول مرسله فكيف ينحصر الخلاف في اصطلاح المحدثين وهو مرسل التابعي فقط.

فالحق أن الخلاف فيه وفي غيره سواء والله أعلم وسنرى من خلال الأدلة مزيداً من الوضوح لكون الخلاف غير محصور في التابعي ولعل الشوكاني اعتبر فيما ذهب إليهبقول البقاعي الذي حكاه الأجهوري حيث قال: "احتجاج مالك وغيره بالمرسل إما هو على القول الأول فيه وهو مرفوع التابعي"أهـ.

**الرابع:** نقل الغزإلي في المنخول[٤٦] عن القاضي أنه قال والمختار عندي أن الإمام العدل إذا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم أو أخبرني الثقة قبل. فأما الفقهاء والمتوسعون في كلامهم قد يقولون ذلك لا عن تثبت فلا يقبل. ومنهم من قال هذا هو منقول عن الحسن البصري رضي الله عنه ولايقبل في زماننا هذا وقد كثر الرواة وطال البحث وتشعبت الطرق فلابد من ذكر اسم الرجل أهـ. ثم قال الغزإلي رحمه الله والأمر على ما ذكره القاضي إلا على هذا الأخير فإننا لو صادفنا في زماننا هذا متثبتا في نقل الأحاديث مثل مالك رضي الله عنه قبلنا قوله قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا يختلف في ذلك باختلاف الأعصار أهـ.

**ويتبين لنا مما نقلناه عن الغزالي أمران:**

**الأول:** أنه نسب إلى القاضي القول بقبول المرسل إذا كان المرسل عدلاً أو أخبر أن المروي عنه ثقة وهذا غير معروف عن القاضي أبداً بل المعروف عنه أن يرد المراسيل مطلقاً حتي مراسيل الصحابة إذا احتمل سماعهم من التابعي. والغزالي نفسه ذكر ذلك في المستصفي[٤٧] فقال المرسل مقبول عند مالك وأبي حنيفة والجماهير ومردود عند الشافعي والقاضي وهو المختار إلخ .......أهـ. وكذلك ذكر الآمدي علي ما بينا وذكر ابن السبكي عنه في الإبهاج[٤٨]: أنه قال ونحن لا نقبل المراسيل مطلقاً ولا في الأماكن التي قبلها فيها الشافعي حسماً للباب أهـ.

وحسبنا دليلاً علي بطلان هذا النقل أن الغزالي نفسه ذكر نقيضه في المستصفى ولا حاجة إلى دليل بعد ذلك ولو كان هذا المنقول عن القاضي حقاً لكان مذهباً جديداً في المسألة لم يقل به أحد ولنقل عنه إلا أن أحداً من الأصوليين لم ينقله عنه بل أجمعوا علي نقل خلافه عن القاضي. وقول

(٤٤) فتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم ٢/ ٩٦

(٤٥) الإحكام للآمدي ٢ / ١١٨

(٤٦) المنخول ص ٣٧٦

(٤٧) المستصفي للغزالي ص ١٣٤

(٤٨) الإبهاج ٢ / ٢٣٩

الغزإلى ومنهم من قال هذا منقول عن الحسن البصري هو الصواب والله أعلم إن ترددنا بين الإمامين البصري والقاضي في نسبة هذا القول إلى واحد منهما وإلا فلا نعلم مذهباً للحسن بخصوصه وأما نسبة هذا القول للشافعي فهي نسبة غير صحيحة وسنبين هذا عند تحرير مذهب الشافعي إن شاء الله.

**الثاني:** أن الغزالي هنا تبني هذا القول الذي نسبه للقاضي وهو أنه يقبل مرسل العدل ويزيد عليه أن يطرد ذلك في كل العصور وهذا عجيب من الغزالي وهو شافعي ومدون لأراء إمام الحرمين وقد اعترض عنه في المستصفي وذكر أن المرسل لا تقوم به حجة وإن كان ظاهر كلاه يشير إلى قوة مذهب الخصم حيث قال المرسل مقبول عند مالك وأبي حنيفة والجماهير" أهـ

مع أن الجماهير علي خلاف هذا إلا إن كان مراده بالجماهير جماهير الفقهاء فقط ثم قال: ومردود عند الشافعي والقاضي وهو المختار وصورته أن يقول التابعي ......الخ أهـ، وعلى كل فالرأي الذي استقر عليه الغزالي هو أن المرسل ليس بحجة ولا يعنينا بعد ذلك كونه قبله في بداية حياته العلمية.

**المطلب الثاني: مذهب الإمام الشافعي رحمه الله في المرسل**

لقد وقع تخبط في فهم مذهب الإمام الشافعي رحمه الله في المرسل:

١ – فمنهم من قال إنه يرده مطلقاً.

٢ – ومنهم من قال لا يرد المراسيل ولكن يبقي فيها مزيد تأكيد بغلب الظن واضرابه عنها بمثابة تقديم المسند عليه.

٣ – ومنهم من قال إنه يقبل مراسيل سعيد بن المسيب مطلقاً.

٤ – ومنهم قال: إنه لا يوجب العمل بمراسيل سعيد بن المسيب وانما يستحبه وليس واحد من هذه الأقوال هو الصواب كما سنبين إن شاء الله ولكن قبل بيانه يجدر بنا أن نقدم قول الإمام في الرسالة وهو:

**قال الإمام الشافعي في الرسالة**(٤٩):

فمن شاهد أصحاب رسول الله من التابعين فحدث حديثاً منقطعاً عن النبي اعتبر عليه بأمور:- منها: أن ينظر إلى ما أرسل من الحديث فإن شركه فيه الحفاظ المأمونون فأسندوه إلى رسول الله بمثل معنى ما روي كانت هذه دلالة علي صحة من قيل عنه وحفظه وإن انفرد بإرسال حديث لم يشركه فيه من يسنده قبل ما ينفرد به من ذلك.

ويعتبر عليه بأن ينظر هل يوافقه مرسل غيره ممن قبل العلم عنه من غير رجاله الذين قبل عنهم فإن وجد ذلك كانت دلالة تقوي له مرسلة وهي أضعف من الأولى، وإن لم يوجد ذلك نظر إلى

(٤٩) الرسالة ص٤٣١ فقرة رقم ١٢٦٥ ط / مكتبة الحلبي مصر الطبعة الأولي تحقيق أحمد شاكر

بعض ما يروي عن بعض أصحاب رسول الله قولا له فإن وجد يوافق ما روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم كانت هذه دلاله علي أنه لم يأخذ مرسله إلاعن أصل يصح إن شاء الله. وكذلك إن وجد عوام من أهل العلم يفتنون بمثل معني ما روي النبي صلي الله عليه وسلم. ثم يعتبر عليه: بأن يكون إذا سمي من روي عنه لم يسمي مجهولاً ولا مرغوباً عن الرواية عنه فيستدل بذلك علي صحة فيماروي عنه ويكون إذا شرك أحد من الحفاظ في الحديث لم يخالفه فإن خالفه أحد حديثه أنقص وكانت في هذه دلالة علي صحة مخرج حديثه ومتي خالف ما وصفت أخر حديثه حتي لا يسع أحداً منهم قبول مرسله، قال: وإذا وجدت الدلائل بصحة حديثه بما وصفت أحب أن نقبل مرسله. ولا نستطيع أن نزعم أن الحجه تثبت به كالمتصل وذلك أن معني المنقطع مغيب ويحتمل أن يكون حمل عن من يرغب عن الرواية عنه إذا سمي وأن بعض المنقطعات وإن وافقة مرسل مثله فقد يحتمل أن يكون مخرجهما واحد من حيث لو سمي لم يقبل وأن قول بعض أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم إذا قال برأيه لو وافقه يدل على صحة مخرج الحديث دلالة إذا نظر فيها ويمكن أن يكون غلط به حين سمع بعض أقوال أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم يوافقه ويحتمل مثل هذا فيمن وافقه من بعض الفقهاء فأما من بعد كبار التابعين الذين كثرت مشاهدتهم لبعض أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فلا أعلم أحداً منهم يقبل مرسله لأمور:-

أحدهما: أنهم أشد تجوزاً عليهم فيمن يرون عنه.

الآخر: أنهم توجد عليهم الدلائل فيما أرسلوا بضعف مخرجه وكذلك كثرة الاحالة كان أمكن للوهم وضعف من يقبل عنه وقد خيرت بعض من خيرت من أهل العلم فرأيتهم أتوا من خصلة وضدها.

رأيت الرجل يقنع بيسير العمل ويريد أن يكون مستفيداً إلا من جهة قد يتركه مثلها أو أرجح فيكون من أهل التقصير في العلم ورأيت من عاب هذه السبيل ورغب في التوسع في العلم من دعاة ذلك إلى المقبول عن من لو أمسك عن القبول عنه كانت خيراً له ورأيت الغفلة قد تدخل علي أكثرهم فيقبل عمن يرد مثله وخيراً منه.

ويدخل عليه فيقبل عمن يعرف ضعفه إذا وافق قولاً يقوله ويرد حديث الثقة إذا خالف قولاً يقوله ويدخل إلى بعضهم من جهات ومن نظر في العلم بخبرة وقلة غفلة استوحش من مرسل كل من دون كبار التابعين بدلائل ظاهرة فيها.

قال: فلم فرقت بين التابعين المتقدمين الذين شهدوا أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم وبين من شاهد بعضهم دون بعض؟ فقلت: لبعد إحالة من لم يشهد أكثرهم، قال: فلم لم تقبل المرسل منهم ومن كل فقيه دونهم؟ قلت: لما وصفت به أهـ . هذا هو النص الذي ذكره الإمام الشافعي في الرسالة، ومن خلاله يتبين لنا أن مذهب الشافعي في المرسل كالآتي:

١ – يقبل مرسل كبار التابعين فقط ويرد مرسل صغار التابعين وأنه لا يقبل مرسل الكبار إلا إذا عضد بأحد أمور وهي:

أ - إذا جاء مسندا من جهة أخرى.

ب - إذا أرسله من أخذ عن غير رجال الأول ممن يقبل عنه العلم.

ج - إذا وافق قول لبعض الصحابة.

د - إذا أفتي بمقتضاه أكثر العلماء.

٢ – يتبين لنا أيضًا أن الامام الشافعي يشترط في التابعي الكبير الذي يقبل مرسله أن يكون إذا سمي من روي عنه لم يسم مجهولاً ولا مرغوباً عن الرواية عنه وأن يكون إذا شرك أحداً من الحفاظ لم يخالفه.

٣ – ويتبين كذلك أن مذهبه في المرسل الذي يقبله بالشروط السابقة أنه لم يصل في الحجة إلى درجة الحديث المسند المتصل كما قال في الرسالة: "ولا نستطيع أن نزعم أن الحجة تثبت به ثبوتها بالمتصل". ولهذا فائدة أنه إذا تعارض المرسل المعتضد مسند متصل قدم عليه لأن حجة المرسل ضعيف رغم وجود ما يعضده. فهذا هو مذهب الإمام الشافعي في المرسل كما فهمت من نص كلامه في الرسالة.

إلا أنه رحمه الله قال في مختصر المزني في باب بيع اللحم بالحيوان آخر باب الربا(٥٠) (أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن ابن المسيب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم نهي عن بيع اللحم بالحيوان)، (وعن ابن عباس أن جزولا نحرت علي عهد أبي بكر رضي الله عنه فجاء رجل بعناق فقال اعطوني جزءاً بهذا العناق فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يصلح هذا)، وكان القاسم بن محمد وابن المسيب وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن يحرمون بيع اللحم بالحيوان عاجلاً وآجلاً يعظمون ذلك ولا يرخصون فيه. قال: وبهذا نأخذ كان اللحم مختلفاً أو غير مختلف ولا نعلم أحداً من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم خالف في ذلك أبا بكر. "وإرسال ابن المسيب عندنا حسن" أهـ.

**قال الامام النووي في المجموع[٥١]:**

فقد اختلف أصحابنا المتقدمون في معني قول الشافعي "إرسال ابن المسيب عندنا حسن" على وجهين حكاهما الشيخ أبو اسحاق في كتاب اللمع وحكاهما أيضا الخطيب البغدادي في كتابيه كتاب الفقيه والمتفقه والكفاية وحكاهما جماعة آخرون.

**أحدهما:** معناه أنها حجة عنده بخلاف غيرها من المراسيل قالوا لأنها فتشت فوجدت مسندة.

**ثانيهما:** أنها ليست حجة عنده بل هي كغيرها.

(٥٠) ٢ / ١٥٨ ط / بولاق

(٥١) المجموع للنووي ١/ ٩٩

وقالوا إنما رجح الشافعي بمرسله والترجيح بالمرسل جائز وقال الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه والصواب الوجه الثاني وأما القول الأول فليس بشيء، وكذا قال في الكفاية: الثاني وهذا هو الصحيح من القولين عندنا لأن في مراسيل سعيد مالم يوجد مسنداً بحال من وجه يصح، وقد جعل الشافعي لمراسيل كبار التابعين مزية علي غيره كما استحسن مرسل سعيد وهذا كلام الخطيب(٥٢).

وذكر الإمام أبو بكر البيهقي نص الشافعي ثم قال فالشافعي يقبل مراسيل كبار التابعين إذا انضم إليها ما يؤكدها فإن لم ينضم لم يقبلها سواء كانت مراسيل ابن المسيب أو غيره. قال: وقد ذكرنا مراسيل لابن المسيب لم يقبلها الشافعي حين لم ينضم إليها ما يؤكدها قال وزيادة ابن المسيب في هذا علي غيره أنه أصح التابعين إرسالاً فيما زعم الحفاظ أهـ، قال النووي رحمه الله: فهذا كلام البيهقي والخطيب وهما إمامان حافظان فقيهان شافعيان مطلعان من الحديث والفقه والأصول والخبرة التامة بنصوص الشافعي ومعاني كلامه ومحلهما التحقيق والاتفاق والنهاية في الفرقان بالغاية القصوي والدرجة العليا. وأما قول الامام أبو بكر ابن القفال المروزي في أول كتابه شرح التلخيص قال الشافعي في الرهن الصغير مرسل ابن المسيب عندنا حجة محمول علي التفصيل الذي قدمناه عن البيهقي والخطيب والمحققين والله أعلم أهـ

قلت (أي أبو بكر ابن القفال) قال الشافعي في الرهن الصغير من الأم فالسنة تدل علي إجازة الرهن ولا أعلم مخالفاً إجازته، أخبرنا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن ابن ابي ذئيب عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "لا يغلق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه"(٥٣)، وقال الشافعي:(٥٤) قال أي الخصم فكيف قبلتم عن ابن المسيب منقطعاً ولم تقبلوه من غيره؟

قلنا: لا نحفظ أن ابن المسيب روي منقطعاً إلا وجدنا ما يدل علي تشديده ولا أثر عن أحد فيما عرفنا عنه الا ثقة معروف فمن كان بمثل حاله قبلنا منقطعه، ورأينا غيره يسمي المجهول ويسمي من يرغب عن الرواية عنه ويرسل عن النبي صلي الله عليه وسلم وعن بعض من لم يلحق من أصحابه المستنكر الذي لا يوجد له شيء يسدده ففرقنا بينهم لافتراق أحاديثهم ولم نحاب أحداً ولكننا قلنا في ذلك بالدلالة البينة علي ما وصفنا من صحة روايته وقد أخبرنا غير واحد من أهل العلم عن يحيي بن أبي أنيسة عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم مثل حديث ابن أبي ذئيب، ثم قال الشافعي والسنة ثابتة عندنا الله تعإلى أعلم بما قلنا وليس مع السنة حجة ولا فيها إلا اتباعها مع أنها أصح الأقاويل مبتدأ ومخرجاً أهـ، ويدل هذا الكلام من الشافعي دلالة قوية علي ما ذكره ابن القفال المروزي الذي نقله عنه النووي آنفا، وقد أجاب النووي عليهما من الحمل علي

(٥٢) الكفاية ص ٤٠٥

(٥٣) الأم للإمام الشافعي ٣/ ١٩٠

(٥٤) المرجع السابق ٣ / ١٦٧

التفصيل السابق، وأشار ابن الرفعة إلى الرهن الصغير من القديم وإن كان من كتاب الأم وتعلق في ذلك بأن الماوردي وغيره قالوا عند الكلام في آجال الرهن وعتقه أنه من القديم، قال: وكذلك نسب الماوردي هنا قبول رواية ابن المسيب هنا إلى القديم[٥٥]، فإن صح الرهن الصغير من القديم فذاك ولا داعي للحمل والتأويل وإلا فالقول قول النووي في الحمل في تفصيل الخطيب والبيهقي، وأما نسبة القول بقبول مرسل سعيد إلى القديم فهو الصحيح.

قال النووي: قلت ولا يصح من قال إن مرسل سعيد حجة بقول إرساله حسن لان الشافعي رحمه الله لم يعتمد عليه وحده بل اعتمده لما انضم إليه قول أبي بكر الصديق ومن حضره وانتهي إليهقول من الصحابة رضي الله عنهم مع ما انضم إليه من قول أئمة التابعين الأربعة الذين ذكرهم وهم أربعة من فقهاء المدينة السبعة وهو مذهب مالك وغيره فهذا عاضدان للمرسل فلا يلزم من هذا الاحتجاج بمرسل ابن المسيب إذا لم يعتضد أهـ .

**خلاصة أقوال العلماء في احتجاج الإمام الشافعي بالمرسل:**

من خلال ما فهمت من أقوال العلماء السابقة عن معني قول الشافعي إرسال سعيد ابن المسيب حسن أو حجة علي ما نقله المروزي اسنباطًا من كلامه في الرهن الصغير يتبين لنا أن الإمام الشافعي رحمه الله لا يحتج بمرسل سعيد وإنما يرجح به والترجيح بالمرسل جائز وأن الشافعي يسوي بين مرسل سعيد وغيره من كبار التابعين فلا يقبله إلا بالشروط التي قدمناها آنفا عن نص الرسالة وكذلك يتبين لنا أن الشافعي رحمه الله لم يرد المرسل مطلقًا.

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع[٥٦]: مع أنه قد شاع على ألسنة كثيرين من المشتغلين بمذهبنا بل أكثر أهل زماننا أن الشافعي رحمه الله لا يحتج بالمرسل مطلقاً إلا مرسل ابن المسيب فإنه يحتج به مطلقاً، وهذان غلطان فإنه لايرده مطلقاً ولا يحتج بمرسل ابن السيب مطلقاً بل الصواب ما قدمناه أي عن البيهقي والخطيب والله أعلم أهـ. وقال المروزي ومذهب الشافعي في الجديد أن مرسل سعيد وغيره ليس بحجة أهـ[٥٧]. وقال الإمام الجليل عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب المراسيل في قول الشافعي رحمه الله: ليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب فلا بأس به أن يعتبر به أهـ[٥٨]، أي أنها يعتبر بها ولا يحتج فلا فرق بينهما وبين غيرها من مراسيل كبار التابعين من حيث الاحتجاج فلا بد لها من عاضد.

ولذلك رد مرسله في دية الذمي الذي أورده أبو داود في مراسيله بسند جيد عن ابن المسيب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "دية كل ذي عهد في عهده ألف دينار"، رد هذا المرسل الذي أرسله ابن المسيب لأنه لم يعتضد بأن صرح لنا باسم المتروك كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

(٥٥) تكملة المجموع للسبكي ١١/ ١٤٢

(٥٦) المجموع ١/١٠٣

(٥٧) تكملة المجموع ١١/١٤١

(٥٨) تكملة المجموع ١١/١٣٩

يجعل دية إليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم والمجوسي ثمان مائة درهم وهذا وإن كان عند قوم منقطعاً لأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه لكنه ينهض معارضاً لمرسله لأن المرسل نفسه ليس بحجة فإن لم ينضم إليه ما يقويه ولكن ما يضعفه كان أضعف.

فهذا مرسل لسعيد رددناه لأننا لم نجد مسنداً بحال وهذا مؤيد لكلام البيهقي في أن لسعيد مراسيل لم تسند ومؤيد لكون مراسيل ابن المسيب وغيره سواء في الاحتجاج وأن كان يرجح بمراسيل ابن المسيب ويعتبر بها والسبب في ذلك كما قال البيهقي عن الحفاظ أنه أصح التابعين إرسالاً، ولأنه عرف من حال صاحبها أنه لا يروي مسنداً إلا عن ثقة فحملت مراسيله على ما عرف من عادته وما ظهر على أنه خلاف عادته كمرسله في دية الذمي لم يقبله. والجدير بالذكر هنا أن مراسيل أبي سلمة بن عبد الرحمن كمراسيل ابن المسيب عند الشافعي كما نقله الماوردي في الحاوي في باب الشفعة حيث قال إن مرسل أبي سلمة بن عبد الرحمن عند الشافعي حسن، والله أعلم.

**المطلب الثالث: وقفة بين علماء الحديث وعلماء الأصول**

إذا نظر الناظر إلى كتب المصطلح وكتب الأصول فإنه يجد تباين في معنى تفرد الثقة وزيادة الثقة بين الأصوليين والمحدثين أو المشتغلين بعلم الحديث فعندما يحكم المحدث على حديث فيه تفرد أو زيادة ثقة بصحته أو ضعفه فهذا حكم أهل الاختصاص فيه وما نفهمه أنه لابد أن ينسب الأمر لأهله ويجب أن يحكم أهل الفن في الفن نفسه، وعندما يحكم على هذا التفرد أو الزيادة بطريقة الفقهاء يمكن أن يحكم على الحديث بعكس ما حكم به المحدث، وإذا نظرنا إلى ذلك الأمر وجدنا أنه من الخطورة بمكان في أن يحكم في بعض الأحاديث التي بها زيادة أو تفرد بعكس حكم علماء الحديث وذلك لأن الأصولي والفقيه حكمه على الحديث ينشأ بعده مباشرة حكم شرعي وحكم فقهي يتعبد الناس به لله سبحانه وتعإلى، ولذلك فإننا نجد أن العلماء من الفقهاء الأصوليين الذين لهم باع في علم الحديث وعلله نجد مبني منهجهم علي كثرة الأدلة الصحيحة الواردة في المسألة من باب حكمهم على الدليل أيضا مثل الإمام الشافعي وأحمد وغيرهما، والشاهد في هذا أنه لا بد من تفعيل دور علماء الحديث في هذه الزمان خاصة في المسائل الفقهية المستحدثة وذلك أنه أعلم بصحة الدليل من السنة عن غيره وأيضاً لا بد من عدم اقتصار علماء الفقه والأصول علي هذا الفن فقط ولكن لا بد أن يكونوا متمكنين من علوم الحديث كلها حتى إذا عرضت عليه مسألة كان الدليل يدعمه وحاضراً في ذهنه وحكمه علي الدليل حاضراً عنده وحكم علماء الحديث لا يخفي عليه، ولذا فإنني أوصي بأن يكون علماء الحديث بكثرة في المجامع الفقهية ولايكون الاعتماد الأساسي علي علماء الفقه والأصول، وأنه كذلك لابد من صحوة حديثية ولايكون علماء الحديث في هذا الزمان قلة لأننا محتاجون بحق إلى هولاء العلماء لتحقيق كتب التراث الغير محققة، ولأننا محتاجون إلى الصحوة الحديثية للذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يحاول المستشرقون وأذيالهم العبث بها.

وكذلك محتاجون أن يتوحد صف العلماء في هذا الزمان لأننا نجد كثير من العلماء الذين يشتغلون بالفقه ولا يشتغلون بالحديث والعكس، وهذا ليس منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم فنجد مثلاً

الإمام أحمد والشافعي وسفيان الثوري وابن عيينة والإمام مالك وغيرهم كثير يشتغلون بالأمرين معاً بالفقه والحديث.

**الخاتمة:**

بعد هذه الرحلة الجميلة الشيقة بين المحدثين والأصوليين في موضوع الحديث المرسل فيسعدني أن أقدم أهم النتائج التي توصلت إليها.

**أهم النتائج**

١- إن تعريف الحديث المرسل عند المحدثين يختلف عن تعريف الحديث المرسل عند الأصوليين فالمحدثون يعرفونه: ما أضافه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مما سمعه من غيره. أما الأصوليون يعرفونه: ما أضافه غير الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- إن الحديث المرسل له صور متعددة اختلف العلماء في كون بعضها من المرسل أم لا.

٣- إن الإرسال نوعان جلي، وخفي وهناك فرق بين الإرسال الخفي والتدليس وبينه وبين المزيد في متصل الأسانيد.

٤- إن العلماء من المحدثين والأصوليين اختلفوا في قبول المرسل ورده علي مذاهب منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود وضعيف.

٥- وقع بعض العلماء في تخبط في فهم مذهب الإمام الشافعي رحمه الله في قبول الحديث المرسل ولكن من خلال هذه الدراسة يتبيّن أن:

أولًا: إن الإمام الشافعي يقبل مرسل كبار التابعين فقط وذلك إذا عضد بأحد أمور وهي:

- إذا جاء مسنداً من جهة أخرى.
- إذا أرسله من أخذ من غير رجال الأول ممن يقبل عنه العلم.
- إذا وافق قول بعض الصحابة.
- إذا أفتى بمقتضاه أكثر العلماء.

ثانيًا: الإمام الشافعي يشترط في من يقبل مرسله من كبار التابعين أن يكون من روي عنه لم يسم مجهولًا ولا مرغوبًا عن الرواية وإذا شرك أحد الحفاظ لم يخالفه.

ثالثًا: أن مذهب الشافعي في المرسل الذي يقبله بالشروط السابقة لم يصل إلى درجة المسند المتصل.

٦- إن الإمام الشافعي يسوي بين مرسل سعيد بن المسيب وغيره من التابعين فلا يقبله إلا بالشروط التي ذكرها.

٧- نجد أن العلماء من الفقهاء الأصوليين الذين لهم باع في علم الحديث مبني منهجهم علي كثرة الأدلة الصحيحة الواردة في المسألة مثل الإمام الشافعي وأحمد وغيرهم بخلاف غيرهم من العلماء.

٨- إن أعداء الإسلام يستغلون اختلاف العلماء في بعض المسائل الفقهية التي يكون مستند العالم منهم فيها حديثًا مرسلاً فيأتون بأحاديث مرسلة وضعيفة فيستخدمونها في الطعن في الإسلام بحجة أن علماء الإسلام يستدلون بها أو بمثلها.



# شبهات المستشرق نُوْوِل جَيْمَس كولسن حول أحاديث في الموطأ

فؤاد بن أحمد بوالنعمة




## ملخص البحث:

يتناول هذا البحث التصور الذي خلص إليه أحد المستشرقين (كولسون) حول السنة النبوية، من خلال بحثه في تاريخ التشريع الإسلامي، حيث قام الباحث بشرح تصور هذا المستشرق وادعاءاته وشبهاته، التي ساقها للاستدلال على تصوره حول السنة النبوية، ثم الرد على هذه الادعاءات والشبهات، ردا مجملا ببيان المنهج غير العلمي الذي سلكه في صياغة تصوره حول السنة النبوية؛ إذ عمد إلى الحكم على ميراث أمة مكون من آلاف الأحاديث، مبثوتة في مئات الكتب والدواوين، موزعة على أعصار مختلفة، عمد للحكم عليها من خلال ثلاثة أمثلة من كتاب واحد، وهذا في الحقيقة لا يمت للمنهج العلمي السليم بصلة، بل هو في حقيقة الأمر ليس منهجا، بل هو تخرص وادعاء خال عن الدليل الصحيح، مخالف للعقل والمنطق الصريح. وحتى مع هذا المنهج المختل؛ فإن الشواهد التي انتقاها ليحتج بها على صحة ما ذهب إليه، لا تثبت له ما ادعاه، ولا تبلغه مبتغاه؛ إذ هي تعارض وتنقض تصوره الذي عليها بناه. وقد بين الباحث ذلك؛ حيث أثبت من خلال الكلام على أحاديث المثال الأول الذي ساقه كولسن، وزعم فيه أن حكم النهي عن بيع المزابنة مناقض ومعارض لحكم إباحة بيع العرية، وأن الأحاديث الواردة في ذلك موضوعة مختلقة، أثبت الباحث من خلال تخريجه لأحاديث المزابنة والعرية، وجمع طرقهما، أنهما ثابتان عقلا ومنطقا قبل التاريخ الذي زعم أنهما وضعا بعده، بل لا يصح الارتياب في صحة نسبتهما للنبي صلى الله عليه وسلم، بناء على قواعد ومسلمات يقر بها كولسون نفسه. وبين أن القول بتحريم بيع المزابنة واستثناء بيع العرية منها، ثابت في أقوال الفقهاء من الصحابة ومن جاء بعدهم، قبل ظهور جماعة المحدثين الذي زعم أنهم كانوا السبب في هذا القول. ومن ثَمَّ فإن الشواهد التي استدل بها، لاتناسب تصوره الذي استنتجه حول السنة النبوية، ولا تصلح أن تكون دليلا عليه؛ فذهبت كل أحكامه سدى، وكانت كل نتائجه على غير هدى.


## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد دأب المستشرقون على الطعن في السنة النبوية وتوجيه سهام النقد إليها، متسترين وراء الموضوعية في النقد والاعتراض، والمنهجية في البحث والافتراض؛ لنزع هالة القداسة عنها، وتشكيك المسلمين وتنفيرهم منها. وقد كان أول شيء عمدوا إليه- لفرط دهائهم- هو توجيه معاول الهدم إلى

أصول كتب السنة، حتى إذا أمكنهم تقويضها؛ تَمَّ لهم ما أرادوا من ضرب هذا الدين في مَقْتَلِه. ولهذا ما فتئنا نرى لهم الدراسة بعد الأخرى حول هذه الكتب. ولما كان الموطأ هو الأصل واللباب، وعليه اعتماد باقي كتب هذا الباب؛ فإنه نال الحظ الأوفر من نقدهم، والنصيب الأعظم من طعنهم. وكان من أشهر هؤلاء المستشرقين الذين توجهت عنايتهم لدراسة السنة النبوية والحكم عليها، المستشرق الإنجليزي نُوْوِل جَيْمَس كولسن- Noel James Coulson-. إذ خلص من دراسته إلى نظرية مفادها، أن تيار جماعة المحدثين المناهض للمنهج الفقهي، قد لجأ إلى دعم أقواله في مواجهة الفقهاء، بنسبة كثير من القواعد والأحكام إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكانوا يضعونها في شكل قصص أو أخبار عما قاله محمد صلى الله عليه وسلم، أو فعله في مواقف معينة، ووضعوا لها أسانيد مؤلفة من رواة، افْتُرِضُوا بحملهم لها عن النبي صلى الله عليه وسلم عبر الأجيال المتعاقبة إلى زمنهم. وهكذا- حسب زعمه- فبينما يحتفظ قدر من أحاديث الأحكام بأصل الأفعال والكلمات التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة في المسائل غير الخلافية، فإن هذا الأصل الصحيح قد غشاه خليط متراكم من مواد موضوعة مختلقة. وقد انتقى ثلاثة أمثلة من موطأ الإمام مالك كنماذج للدلالة على صحة نظريته، حيث نسج حولها شبهات اتخذها قاعدة بنى عليها نظريته المذكورة. ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، إذ يهدف إلى نقض قواعده التي بنى عليها، ودحض شبهاته التي ركن إليها، وذلك ببيان تدليسات منهجيته المزعومة، وكشف زَيْفِ موضوعيته الموهومة.

وقد قسمت مادة هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة: وفيها توطئة للموضوع

المبحث الأول: في التعريف بالموطأ، وفيه مطلبان

المطلب الأول: منزلة الموطأ بين كتب السنة

المطلب الثاني: بيان روايات الموطأ

المبحث الثاني: في التعريف بالمستشرق كولسن وتصوره حول السنة، وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف بالمستشرق كولسن

المطلب الثاني: تصور كولسن حول السنة النبوية

المبحث الثالث: في ذكر بعض الأحاديث التي استدل بها من الموطأ والرد عليه

الخاتمة: وفيها نتائج البحث

## المبحث الأول

## في التعريف بالموطأ

### المطلب الأول: منزلة الموطأ بين كتب السنة

يُعَدُ كتاب الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس- رحمه الله تعالى- خلاصةَ سنَّةِ الرسول عليه الصلاة والسلام، مع بيان ذلك من أقوال الصحابة الأعلام، وأئمة فقهاء التابعين ذوي النهى والأحلام، فهو

بحق الأصل الأول واللباب، وما بعده من كتب السنة فروع في هذا الباب؛ إذ بناها أصحابها عليه، واقْتَدَوا به ورجعوا إليه؛ فنسجوا على منواله، وحذوا على مثاله. فهو أصل من أصول السنة النبوية المشرفة، أطبق العلماء على الثناء عليه وتبجيله، وكثر كلامهم في مدحه وتقريظه. قال الإمام الشافعي: ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صوابا من موطأ مالك[١]. وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ أو كلام هذا معناه. وقال ابن وهب: من كتب موطأ مالك فلا عليه أن لا يكتب من الحلال والحرام شيئا[٢].

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي: وعلم أيضا أن الكتب المصنفة في السنن كصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وما يتعلق بالفقه من صحيح البخاري وجامع الترمذي مستخرجات على الموطأ، تحوم حومه وتروم رومه[٣].

**المطلب الثاني: روايات الموطأ**

ما زال العلماء قديما وحديثا لهم أتم العناية بروايته وتفضيله، ومعرفته وتحصيله، ولم يُعْتَنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناءَ الناس بالموطأ؛ فقد قيض الله له تلاميذ من مهرة العلماء، ضربوا إليه أكباد الإبل من شتى البقاع والأقطار، فتحملوا الأمانة على وجهها، ورعوها حق رعايتها، فرواه عن مالك جم غفير، وخلق كثير، ذكر القاضي عياض منهم ستة وخمسين راويا، وزاد عليهم ثلاثة، ثم قال: (ولا مِرْيَةَ أن رواة الموطأ أكثر من هؤلاء، من جملة أصحابه وجماهير رواته، ولكنا إنما ذكرنا من بلغنا نصا سماعه له منه، وأخذه له عنه، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه)[٤]. وجمعهم أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بَشْكُوَال القرطبي في مؤلف مستقل، ورتب أسماءهم على حروف المعجم، فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين راويا[٥]. وأفردهم أيضا بمُؤَلَّف خاص ابن ناصر الدين الدمشقي، وزاد على ما ذكره القاضي وابن بَشْكُوَال؛ فبلغ بهم تسعة وسبعين راويا، غير الثلاثة الذين زادهم القاضي على الستة والخمسين[٦]. ولم يَتَهَيَّأْ لجميع هذه الروايات الذيوع والشيوع، وإنما اشتهر وذاع القدر اليسير منها؛ إذ رواها أهل العلم ودونوها في الكتب، وتناقلوها وتداولوها بينهم. قال أبو القاسم الجوهري: (هذا الذي انتهى إلينا من مسند حديث موطأ مالك- رحمه الله-. وذلك أني نظرت في الموطأ من اثنتي عشرة

---

[١] ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي، الجرح والتعديل (١٢/١)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط١: ١٣٧١هـ.

[٢] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧٧،٧٨/١)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي , محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ط١: ١٣٨٧هـ.

[٣] ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم العمري القرشي، المسوى شرح الموطأ (ص:٦، ٧، ٨، ٩)، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٤] القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك (٨٩/٢)، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وجماعة، مطبعة فضالة بالمحمدية- المغرب، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٥] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢٤٠/٢)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، د.ط، د.ت.

[٦] ابن ناصر الدين الدمشقي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد القيسي، إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

رواية رويت عن مالك، فمنها رواية: عبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن يوسف التنيسي، ومعن بن عيسى، وسعيد بن عفير، ويحي بن عبد الله بن بكير، وأبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري، ومصعب بن عبد الله الزبيري، ومحمد بن المبارك الصوري، وسليمان بن برد، ويحي بن يحي الأندلسي)[٧].

وقال القاضي عياض: (والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته، أو وقفت عليه، أو كان في روايات شيوخنا- رحمهم الله-، أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطآت نحو عشرين نسخة. وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة، وبالله التوفيق)[٨].

وأشهر هذه الروايات التي وصلت إلينا روايتان، الأولى رواية يحيى بن يحيى الأندلسي، وهي المرادة من موطأ الإمام مالك عند الإطلاق؛ حيث اهتم بها أهل المغرب والأندلس، فشرحوا غامضها، وعلقوا على مبهمها، حتى غطت على غيرها من الروايات. والرواية الثانية هي رواية محمد بن الحسن الشيباني، حيث اعتنى بها علماء الحنفية، فوضعوا عليها الشروح والتعليقات؛ حتى ذاع صيتها واشتهرت بين العلماء.

## المبحث الثاني

## في التعريف بالمستشرق كولسن ونظريته حول السنة

### المطلب الأول: ترجمة كولسون (Noel James Coulson)

هو واحد من أهم وأكبر المستشرقين الإنجليز المعاصرين، المعنيين بدراسة الفقه الإسلامي وتدريسه بجامعة لندن. ولد في ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٨م في مدينة "blackrod"، تلقى دراسته الأولى في مدينة "wigan"، ثم في كلية "keble"، وبعدها التحق بجامعة أكسفورد، حيث تخرج منها سنة ١٩٥٠م كمتخصص في اللغات الشرقية والآداب القديمة.

أدى الخدمة الوطنية في الجيش البريطاني كضابط سامي في فوج المظليين، حيث خدم في دولة قبرص، وفي مدينة السويس المصرية. ثم عاد بعد ذلك إلى جامعة أكسفورد سنة ١٩٥٢م كطالب باحث في التشريع الإسلامي، وقد تتلمذ على المستشرق المشهور يوسف شاخت، واستفاد منه. عُيِّن سنة ١٩٥٤م في منصب محاضر في التشريع الإسلامي في مدرسة لندن للدراسات الشرقية والإفريقية، ثم أُعِيرَ بين سنتي ١٩٦٥م و١٩٦٦م كعميد لكلية الحقوق بجامعة أحمد بيلو بنيجيريا، وعاد بعد ذلك إلى بلاده سنة ١٩٦٧م؛ ليتولى كرسي القانون الشرقي بجامعة لندن، إلى أن توفي سنة ١٩٨٦م. كان يدعى باستمرار كأستاذ زائر متخصص في التشريع الإسلامي والقانون المقارن؛ لمساعدة مدارس القانون في مختلف المدن بالولايات المتحدة الأمريكية.

---

[٧] الجوهري، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري، مسند الموطأ (ص:٦٣٣)، تحقيق: لطفي الصغير وطه بوسريح، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١: ١٩٩٧م.

[٨] القاضي عياض، ترتيب المدارك (٨٩/٢).

له عدة مؤلفات في الفقه الإسلامي على قدر من الأهمية، منها : كتاب في تاريخ التشريع الإسلامي، وكتاب في الميراث، وآخر يدور حول تحديد العلاقة بين الجوانب النظرية في الفقه الإسلامي وبين تطبيقاتها العملية[٩].

كان يُعَدُّ من المستشرقين المعتدلين في كتاباتهم عن الإسلام، يقول عنه عبد اللطيف الطيباوي: وهناك أستاذ جامعي آخر يستحق الثناء بجامعة لندن، لا لأنه يتجنب الخوض في مواضيع جدلية شائكة، ولكن أيضا لتوجيهه مسار منهجه التدريسي ليكون قريبا من التقليد الإسلامي. والإشارة هنا إلى أستاذ الشريعة الإسلامية (كولسون) الذي خلف أستاذا (أندرسون) كان يصرح علانية بهدفه التنصيري، ولا يكتم كراهيته الشديدة للإسلام. وليس هناك رجلان يمكن أن يكونا مختلفين كاختلاف هذين الرجلين في أسلوب دراستهما وفي تصوراتهما. فالواضح أن الخلف أكثر تجردا وموضوعية من السلف، فهو لم يخن ولاءه لأية قضية ربما تسيء إلى أسلوب دراسته لموضوعات هي من صلب اختصاصه. بل إن أول كتاب له هو شهادة واضحة على استقلاليته العلمية. إذ لا يحتوي كتابه تاريخ الشريعة الإسلامية على أي دليل يشم منه رائحة ضغينة أو حقد في مناقشة أصول الشريعة الإسلامية أو في تتبع تطورها التاريخي[١٠].

**المطلب الثاني: تصور كولسون حول السنة النبوية**

يؤسس كولسون تصوره هذا انطلاقا من رؤيته لتطور المنهج الفقهي خلال العصر العباسي الأول؛ حيث يقول:

وفيما يتعلق بتطور المنهج الفقهي في الفترة الأولى لحكم العباسيين ظهر اتجاهان أساسيان، أولهما: هذا الاتجاه الذي حاول أصحابه- في سعيهم لإضفاء التناسق والترابط على النظر الفقهي- أن ينظموا الاجتهاد ليصبح أكثر منهجية، ليؤدي ذلك بالتدريج إلى أن يفسح الرأي العفوي مكانا للقياس....

والاتجاه الثاني للفترة الباكرة في النظر الفقهي إنما يتمثل في التأكيد المتزايد على مفهوم السنة أو الآثار الثابتة. **فلتعزيز فكرة اتباع المأثور صيغ الرأي الفقهي في شكل يرجع بجذوره إلى الماضي، فنسبت إلى الأجيال السابقة أصول ما دار على ألسنة فقهاء هذه الفترة من آراء. نعم، لقد كانت هذه الأصول المأثورة ترد في البداية غفلا عن أسانيدها، ولكن سرعان ما ألحقت الرسوم والاعتبارات الفنية بالرأي الفقهي أسماء محددة من بين تلك الشخصيات السابقة المشهود لها بالفضل والتقى، وبهذا أمكن رد الآراء الفقهية المتأخرة إلى الأجيال الأولى للمسلمين عبر حلقات الرواة.** فعمر على سيبل المثال كثيرا ما يرد باعتباره المؤسس لسنة المدينة، على حين احتل ابن مسعود مكانة مشابهة في الكوفة. **وقد وصل الأمر بطبيعته في النهاية إلى نسبة الرأي الفقهي إلى النبي صلى**

---

[٩] ينظر ترجمته في: http://heinonline.org. ن.ج. كولسون، في تاريخ التشريع الإسلامي (ص:٣)، ترجمة وتعليق: محمد أحمد سراج، دار العروبة- الكويت، دار الفصحى- القاهرة، ط١: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

[١٠] الدكتور عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية دراسة نقدية (ص:١٠٥)، ترجمة: الدكتور قاسم السامرائي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

**الله عليه وسلم نفسه، وبرغم أن هناك قدرا معينا من هذه الآثار يرجع حقيقة إلى الأيام الأولى للإسلام، تلك التي حفظتها الرواية الشفهية أو التطبيق التشريعي أيام الأمويين، فإن القدر الأكبر من هذه المرويات كان خاطئا في نسبته التاريخية.** لقد جدت المطامح التشريعية والسياسية في استعادة النقاء الأول الذي كان عليه الإسلام فترة المدينة. وبإغفال الفترة الأموية، ووضع النظر الفقهي في صيغة تمتد جذورها لأيام الإسلام الأولى وضع الفقهاء صلة تحقق معنى الاستمرار بين عصرهم وعصر الخلفاء الراشدين[11].

إذن فحسب ما ذهب إليه كولسون، غالب الأحاديث النبوية ما هي في الحقيقة إلا أقوال الفقهاء المتأخرين، ركبت لها أسانيد تلحقها بالأجيال الأولى من الصحابة، ثم ارتقي بها حتى أسندت للنبي صلى الله عليه وسلم مع مرور الوقت؛ وكل ذلك حدث لتعزيز فكرة اتباع المأثور- حسب رأيه-. وهذا مع الإقرار بوجود قدر قليل من الأحاديث يرجع حقيقة إلى الصدر الأول للإسلام.

ثم يسترسل في بيان تطور هذا الاتجاه فيقول:

وفي هذه المرحلة أو حوالي سنة ٧٧٠م (١٥٣هـ) تشكل تيار معارض للمنهج الفقهي الذي قبلته المدارس الباكرة بوجه عام، وكان أهم ما يميز هذه المعارضة ذلك الموقف الأثري الجامد من الأحكام الفقهية نفسها أو أصولها التي تستند إليها على السواء. وعلى حين كان جمهور الفقهاء على استعداد لإدخال التطبيق القانوني السائد ضمن إطار نشاطهم الفقهي العام، ما دام لا يعارض صراحة مبدأ قرآنيا- **فإن جماعة المحدثين قد اتخذت موقفا أكثر تحفظا وأشد استمساكا بالقيم والمعايير القرآنية.** فعلى سبيل المثال أسفر تفسيرهم المتشدد للربا عن قاعدة مؤداها أن استبدال سلعة معينة (الذهب، الفضة، الأقوات الغالبة) بمثيلتها لا يكون مباحا إلا إذا تساوت السلعتان في الوزن أو الكيل، وكان التبادل في الحال. وكان فقه أهل المدينة قد ارتضى مبادلة التبر بوزن أقل منه ذهبا مضروبا، على أساس مقابلة الفرق بتكلفة الضرب. أما عند أهل الحديث هؤلاء فإن هذا التبادل يعتبر نوعا من الربا المحرم.

وكان من الطبيعي أن يؤثر هذا الاتجاه المحافظ في فقه أهل الحديث؛ ليغلب عليه طابع السلبية- في مضمونه إن لم يكن في شكله كذلك- إلى حد فقد معه الإحساس بالظروف العملية ومتطلباتها؛ فإنه من العسير أن يدرك المرء أي معنى أو غرض معتبر لعقد يأخذ فيه عمرو عشرين رطلا من قمح لزيد في مقابل عشرين رطلا من قمحه هو في مجلس العقد ذاته. **ونظرا لما في هذه الفكرة من وجاهة منطقية لا تقاوم؛ فقد نزعوا إلى دعمها بنسبة كثير من القواعد والأحكام إلى النبي [صلى الله عليه وسلم]. وكانوا يضعونها في شكل قصص أو أخبار عما قاله محمد [صلى الله عليه وسلم] أو فعله في مواقف معينة، مما يعرف في اللغة العربية بالأحاديث والأخبار**[12].

---

[11] ن.ج. كولسون، في تاريخ التشريع الإسلامي (ص:٩٤-٩٧).

[12] المصدر السابق (ص:١٠٠،٩٩،٩٨).

إذن يرى كولسون أن اتجاه تعزيز فكرة اتباع المأثور، أي التأكيد المتزايد على مفهوم السنة أو الآثار الثابتة- أنتج تيارا يقوده جماعة المحدثين، هذا التيار سلك سبيلا مخالفا للمنهج الفقهي المتفق عليه بين المدارس المتقدمة بوجه عام؛ إذ وقف موقفا متشددا جامدا من الأحكام الفقهية وأصولها، مناقضا بذلك ما كان عليه جمهور الفقهاء من المرونة في التطبيق القانوني السائد ضمن إطار نشاطهم الفقهي العام. وقد لجأ هؤلاء المحدثون إلى دعم فكرتهم بنسبة كثير من القواعد والأحكام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك عن طريق صياغتها في شكل أحاديث وأخبار، مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أو فعله في مواقف معينة.

وحتى يخفف كولسون من وطأة الاتهامات الجزاف التي وصم بها المحدثين؛ ساق بعض الأسباب التي حملتهم على ما قاموا به، فقال:

وينبغي ألا نعتبر هؤلاء الذين وضعوا هذه الأحاديث وروجوها متعمدين للكذب أو التزوير، وأولى بنا أن نتصور أن اعتقادهم الجازم بأن رأيهم يعبر بدقة عن القيم الإسلامية قادهم إلى الاقتناع الراسخ بأن النبي [صلى الله عليه وسلم] كان سيقضي بالأحكام التي نسبوها إليه حتما فيما لو واجهته المشكلات التي وقعت لهم؛ ومن ثم لم يكن الأمر بحاجة إلا إلى نقلة يسيرة لتأكيد أن النبي [صلى الله عليه وسلم] قد فعل أو قال ما أسندوه إليه، ووضع إسناد- لهذا الذي نسبوه إليه- مؤلف من رواة افترضوا بحملهم له عن النبي [صلى الله عليه وسلم] عبر الأجيال المتعاقبة إلى زمنهم. **وهكذا فبينما يحتفظ قدر من أحاديث الأحكام بأصل الأفعال والكلمات التي صدرت عن النبي [صلى الله عليه وسلم]، وخاصة في المسائل غير الخلافية، فإن هذا الأصل الصحيح قد غشاه خليط متراكم من مواد موضوعة مختلقة. وينبغي في النهاية أن نقرر أنه حتى هذه الفترة- في أقل تقدير- لم ينظر إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] إلا على أنه بشر يبين الوحي الإلهي. ومن ثم فإن حجيته إنما تتمثل في تلقيه للوحي ونزوله على قلبه**، وهذا هو الذي جعله المصدر الأول لما يجب اتباعه من أحكام[١٣].

إذن فالنتيجة التي خلص إليها كولسون أن السنة النبوية ما هي إلا نزر يسير من الأحاديث الصحيحة النسبة للنبي صلى الله عليه وسلم، تمثل في الغالب أصول الأحكام المتفق عليها، وهذا المقدار اليسير قد شيب بكم هائل من الأحاديث الموضوعة المختلقة. مع ملاحظته أن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى غاية هذه الفترة لم يكن يعد مشرعا مستقلا، أي لا يحق له أن يؤسس أحكاما بسنته غير موجودة في القرآن؛ فهو مجرد مبلغ للقرآن ومفسر له.

ويمضي كولسون في بيان أثر جماعة المحدثين على المنهج الفقهي العام السائد، فيقول:

وبتأثير موقف أهل الحديث تعدلت النظرة السائدة في المذاهب الفقهية على نحو تدريجي. وفي هذا لقيت كثير من القواعد البالغة التشدد التي انتصر لها أهل الحديث- كتلك التي تتصل بالربا- قبولا

[١٣] المصدر السابق (ص:١٠١،١٠٠).

عاما. **ونما الاتجاه إلى الاحتجاج للرأي الفقهي بزعم نسبته إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] والتعبير عنه بصورة حديث نبوي**[١٤].

إذن فحسب رأي كولسون المنهج المتشدد والجامد الذي اتسم به أهل الحديث في نظرتهم للأحكام الفقهية وأصولها، قد سرى إلى المذاهب الفقهية على نحو تدريجي، ولقيت كثير من قواعد المحدثين قبولا عاما. وصاحب ذلك زيادة في حركة وضع الحديث وإسناده للنبي صلى الله عليه وسلم، تقوية ودعما للآراء الفقهية.

ويرى كولسون أنه نتيجة لهذه الاتجاهات التشريعية المتباينة والعوامل المتعددة؛ ظهر مشكل التعارض بين الأدلة التشريعية المؤلفة من عناصر مختلفة، ولم يسلك العلماء لحل هذا الإشكال طريقا منهجيا عاما، وإنما اكتفوا ببعض التوجيهات الجزئية، حيث يقول:

ولكن برغم ما أدى إليه هذا الاتجاه من تزايد الإدراك لما قد ينشأ من تعارض في الأدلة بين حجية السنة وإجماع علماء مصر من الأمصار، فلم يبذل إلى هذه الفترة أي جهد لحل هذا التعارض على نحو منهجي. وهكذا تزاحمت في النظر التشريعي (فيما بين ٧٧٠م و٨٠٠م/١٥٣هـ و١٨٤هـ) اجتهادات الفقهاء وإجماعات الأمصار والأخبار المروية عن النبي [صلى الله عليه وسلم] في تأليف غير متناسق[١٥].

وفي الأخير يأتي كولسون إلى مرحلة تقديم الأدلة والحجج التي تؤيد ما ساقه آنفا من الافتراضات والتصورات، فيقول:

وتنعكس هذه المرحلة من التطور التشريعي في أول مصنف فقهي ظهر في تاريخ الإسلام، وهو الموطأ الذي ألفه فقيه المدينة مالك بن أنس (ت: ٧٩٦م/١٨٠هـ). وربما توضح أمثلة ثلاثة من هذا المصنف- منتقاة من باب البيوع- الاتجاهات التشريعية والعوامل المختلفة التي سلفت الإشارة إليها[١٦].

هذه هي خلاصة نظرة كولسون وتصوره للسنة النبوية، ساقها كما سبق بيانه في شكل افتراضات وتكهنات جزافية مجملة؛ إذ لم يبين لنا من هم هؤلاء المحدثون الذين يقصدهم، وكذلك من تأثر بهم من الفقهاء. ولما أتى لموضع البرهان ومحك الرهان، اكتفى بإيراد ثلاثة أمثلة من كتاب الموطأ، لتأييد ما ذهب إليه. وهذه الطريقة في حقيقة الأمر، لا تمت للعلم بصلة، ولا تتوافق مع المنهج العلمي، الذي ينادي به هو وقومه، ويزعمون أنهم أول من فض أبكاره، وكشف للعالمين أسراره؛ إذ كيف تهدر جهود علماء أفذاذ خلال قرنين من الزمن، ويحكم على آلاف الأحاديث المبثوثة في بطون مئات الكتب بالوضع والاختلاق، من خلال ثلاثة أمثلة من كتاب واحد من كتب السنة، دون شرح أو بيان لهذه الأمثلة، وكيفية دلالتها على ما ذهب إليه. هذا على فرض صحة هذه الأمثلة ودلالتها على ما سيقت له؛ فكيف والحال أن الدليل ينقض المدلول عليه، والأساس يخالف البناء المسند إليه؟

---

[١٤] المصدر السابق (ص:١٠٢،١٠١).

[١٥] المصدر السابق (ص:١٠٢).

[١٦] المصدر السابق (ص:١٠٢).

فهذا مجمل الرد عليه، وفي المبحث التالي يأتي الرد المفصل على المثال الأول الذي استدل به لتأييد دعواه، وتوسل به للوصول إلى مبتغاه.

## المبحث الثالث

## في ذكر بعض الأحاديث التي استدل بها من الموطأ والرد عليه

قال كولسون:

يعترف مالك بن أنس بالتحريم العام لبيع المزابنة، وهو مبادلة الثمر على الشجر قبل بدو صلاحه بمثله يابسا. ثم يعترف في الوقت نفسه بإباحة العرية، وهي مبادلة الرطب على النخل قبل بدو صلاحه بمثله تمرا. وقد ورد كل من هذين الحكمين المتعارضين في صيغة حديث عن النبي [صلى الله عليه وسلم]. وتظهر الشواهد المستمدة من إسنادهما أن التحريم العام للمزابنة هو الحكم الأسبق صدورا عن النبي [صلى الله عليه وسلم]. ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن تحريم المزابنة إنما نشأ من التفسير المتشدد للربا، الذي اعتمده أهل الحديث. وقد انتهى أهل المدينة إلى قبول هذا الحكم، ولكن مع تعديله بعض الشيء ليتوافق مع إباحة العرية الذي استقر عليه العمل في المدينة منذ زمن بعيد، والذي رفع بدوره بعد ذلك إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] أيضا. وهو يقرر أن إباحة هذا البيع إنما جاء على سبيل الترخيص. وقد حاول مالك بن أنس عرضه- على هذا الأساس- بادعاء أن لهذه المبادلة سياقها القانوني الخاص بها، وأنه يمكن وضعها لهذا بين أنواع البيوع الأخرى المستثناة من هذا الحكم العام. وفيما بعد اتجه الفقه إلى تعليل هذا الاستثناء وذلك الخروج على القاعدة؛ ليجعله مقبولا على نحو أكثر، بقصره على صورة خاصة، هي استرداد صاحب النخل رطبه ممن وهب له أو أجره بعض نخله أو كله، وبتبرير ذلك بحاجة الموهوب له أو المستأجر للنخل إلى بلح صالح للأكل في الحال، ومصلحة المالك الأصلي في أن يريح نفسه من دخول الغير إلى أرضه. ولكن ليس هناك ما يدعوا إلى افتراض انحصار العرية في رأي فقهاء المدينة المبكرين- ومن بينهم مالك- في هذه الصورة خاصة. وهكذا تعكس معالجة الموطأ للمزابنة بوضوح مرحلة التوفيق الساذج بين النظرة العملية المتحررة نسبيا للفقهاء الأوائل، والتناول المتشدد لأهل الحديث[١٧].

في هذا المثال يسوق لنا كولسون حكمين متعارضين في مسألتين من مسائل البيوع، الحكم الأول هو حرمة بيع المزابنة، والحكم الثاني هو إباحة بيع العرية، ويزعم أن هذين الحكمين هما في الأصل قولين فقهيين، الأول يعود إلى التفسير المتشدد للربا الذي سلكه جماعة المحدثين بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، وتأثر به المنهج الفقهي العام. والثاني يرجع إلى ما استقر عليه العمل بالمدينة زمن المرونة الفقهية التي أبداها علماء الشريعة في أحكامهم قبل تأثرهم بمنهج المحدثين. وقد كان من تأثر الفقهاء بالمنهج المتشدد للمحدثين، أنهم عملوا على تعديل ما جرى به العمل عندهم في المدينة من إباحة العرية، على الأصل في إباحة المزابنة عموما، وجمعوا بين الحكمين؛ فجعلوا الأصل تحريم بيع

[١٧] المصدر السابق (ص:١٠٢).

المزابنة، واسثنوا منه بيع العرية. ثم فيما بعد صيغ هذان الحكمان الفقهيان في صورة حديثين أسندا للنبي صلى الله عليه وسلم. وقد أورد الإمام مالك هذين الحديثين في الموطأ، وحاول إزالة التعارض عنهما، والتوفيق بينهما على طريقة الفقهاء المتأثرين بالمنهج المتشدد للمحدثين، فجعل بيع العرية صورة مستثناة من الحكم العام وهو تحريم بيع المزابنة. ثم جاء الفقهاء المتأخرون بعده، وحاولوا تعليل هذا الاستثناء بقصره على صورة معينة للعرية، ولكن هذا الحصر ليس له ما يؤيده فيما ورد عن فقهاء المدينة المتقدمين، ومنهم الإمام مالك نفسه.

فهذا المثال- حسب رأي كولسون- يعكس مرحلة التوفيق السطحي الساذج بين الأحاديث المتعارضة المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي في حقيقتها أحكام فقهية، تعكس التعارض بين النظرة العملية المرنة المتحررة نسبيا للفقهاء الأوائل، والتناول المتشدد لجماعة أهل الحديث التي ظهرت بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، ثم صيغت هذه الأحكام في صورة أحاديث مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم لتعزيزها وتقوية تأثيرها. وكان المنهج العلمي يقتضي أن يبين لنا كولسون من من فقهاء الزمن الأول من الصحابة والتابعين- أي زمن المرونة في التطبيق القانوني حسب زعمه- من قال بإباحة المزابنة بما فيها العرية على الأصل، لعدم وجود الدليل الذي يحظر ذلك، ومتى ظهر التفسير المتشدد الذي حظر المزابنة بمختلف صورها، بما فيها العرية، ومن قال به من المحدثين، ومتى ظهر التوفيق بين هذين الرأيين، ومن الفقهاء الذين سلكوا هذا السبيل، ثم بعد ذلك متى صيغ هذان الحكمان في شكل حديثين مرفوعين للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن باء بعبء هذا العمل من المحدثين. كل هذه الأسئلة كان يتعين على كولسون أن يجيب عليها؛ حتى نسلم له أن هذا المثال الذي ذكره يوافق دعواه، ولكنه لم يفعل؛ لأنه يعلم أن دونه خرط القتاد، ولهذا اكتفى بإلقاء الكلام على عواهنه جزافا، ومضى ولم يعرج.

ونحن فيما يأتي نحاول أن نخضع هذا المثال للتطبيق العملي، من خلال عرضه على تصور كولسون السابق؛ لنرى مدى ملاءمته لهذا التصور الذي صيغ حجة له، فنقول وبالله التوفيق:

أخرج مالك في الموطأ ثلاثة أحاديث في النهي عن المزابنة، اثنان مسندان متصلان، والثالث مرسل، وهي كما يلي:

الأول: مَالِك عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُزَابَنَةِ. وَالْمُزَابَنَةُ بَيْعُ الثَّمَرِ بِالتَّمْرِ كَيْلاً، وَبَيْعُ الْكَرْمِ بِالزَّبِيبِ كَيْلاً[١٨].

[١٨] أخرجه يحيى الأندلسي في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (٩٠٣/٤) (٥٥٣/٢٣١٤)، وأبو مصعب في كتاب البيوع باب المحاقلة والمزابنة (٣٢٣/٢) (رقم:٢٥١٨)، وابن القاسم في كتاب البيوع باب المزابنة والمحاقلة (لوحة:١٤٩/أ)، ومحمد بن الحسن في كتاب البيوع في التجارات والسلم باب بيع المزابنة (ص:٢٥١) (رقم:٧٧٨). وأخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع الزبيب بالزبيب والطعام بالطعام (٤٠٣/١) (رقم:٢٢١١) عن إسماعيل بن أبي أويس، وباب بيع المزابنة....(٤٠٤/١) (رقم:٢٢٢٤) عن عبد الله بن يوسف، ومسلم في كتاب البيوع باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا (٦٥٣/٢) (رقم:٣٩٧٤) عن يحي بن يحي النيسابوري، والنسائي في كتاب البيوع باب بيع الكرم بالزبيب (٧٣٩/٢) (رقم:٤٥٥١) عن قتيبة بن سعيد، والجوهري في مسند الموطأ (رقم:٦٨٤) من طريق القعنبي ويحي بن بكير. وجميعهم (يحيى الأندلسي، وأبو مصعب، وابن القاسم، ومحمد، وإسماعيل، وابن يوسف، ويحي النيسابوري، وقتيبة، وابن بكير،

الثاني: حَدَّثَنا مَالِك عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ (ت:١٣٥هـ) عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُزَابَنَةِ وَالْمُحَاقَلَةِ. وَالْمُزَابَنَةُ اشْتِرَاءُ الثَّمَرِ بِالتَّمْرِ فِي رُؤُوسِ النَّخْلِ، وَالْمُحَاقَلَةُ كِرَاءُ الأَرْضِ بِالْحِنْطَةِ[19].

الثالث: حَدَّثَنا مَالِك عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمُزَابَنَةِ وَالْمُحَاقَلَةِ. وَالْمُزَابَنَةُ اشْتِرَاءُ الثَّمَرِ بِالتَّمْرِ، وَالْمُحَاقَلَةُ اشْتِرَاءُ الزَّرْعِ بِالْحِنْطَةِ، وَاسْتِكْرَاءُ الأَرْضِ بِالْحِنْطَةِ.

قال مالك: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنِ اسْتِكْرَاءِ الأَرْضِ بِالذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ؟ فَقَالَ: لاَ بَأْسَ بِذَلِكَ[20].

فهذه ثلاثة أحاديث، ساقها الإمام مالك في الموطأ في باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة، وفيها النهي الصريح من النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المزابنة. وحسب رأي كولسون، فإن هذه الأحاديث ما هي في الأصل إلا قول فقهي يرى تحريم المزابنة، وهذا الحكم نشأ من التفسير المتشدد للربا، الذي اعتمده تيار أهل الحديث الذي ظهر بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، وتأثر به المنهج الفقهي العام بعد ذلك. ثم فيما بعد صيغ هذا الحكم الفقهي في صورة هذه الأحاديث المسندة المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم، أي أن الأحاديث السابقة- حسب تصور كولسون- مختلقة الأسانيد، موضوعة بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ). وبما أن كولسون لا يقيم وزنا لمنهج المحدثين في التعديل والتجريح ونقد المرويات؛ فمن غير المجدي أن نحاججه بنقل توثيق العلماء للرواة المذكورين في الأسانيد السابقة، ولهذا فإننا

---

والقعنبي) عن مالك به، وزاد فيه ابن بكير ذكر المحاقلة. قال أبو العباس الداني: زاد فيه ابن بكير ذكر المحاقلة، وتابعه علي بن الحسن المعروف بـ"كراع". والمحفوظ عن مالك بهذا الإسناد النهي عن المزابنة دون المحاقلة. قاله الدارقطني. ينظر: الإيماء إلى أطراف الموطأ (٤١١/٢). وينظر أيضا: مسند الموطأ (ص:٥٢٧)، التمهيد (٣٠٧/١٣). وأخرج سويد بن سعيد هذا الحديث في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (ص:٢٤٠) (رقم:٥٠٠). وقال في إسناده:" مالك عمن أخبره عن عبد الله بن عمر"، فأبهم شيخ مالك، ولم يذكر فيه أيضا المحاقلة.

[19] أخرجه يحي بن يحي الأندلسي في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (٩٠٣/٤) (٥٥٤/٢٣١٥)، وأبو مصعب في كتاب البيوع باب المحاقلة والمزابنة (٣٢٤/٢) (رقم:٢٥١٩)، وفيه: "والمحاقلة كراء الأرض بالطعام"، وابن القاسم في كتاب البيوع باب المزابنة والمحاقلة (لوحة:١٤٩/أ)، وسويد بن سعيد في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (ص:٢٤٠) (رقم:٥٠١)، ومحمد بن الحسن في كتاب البيوع في التجارات والسلم باب بيع المزابنة (ص:٢٥١) (رقم:٧٨٠) نحوه. وأخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع المزابنة (٤٠٥/١) (رقم:٢٢٢٥) عن عبد الله بن يوسف. دون تفسير المحاقلة، ومسلم في كتاب البيوع باب كراء الأرض (٦٥٨/٢) (رقم:٤٠١٦) من طريق عبد الله بن وهب، وابن ماجه في كتاب الرهون باب كراء الأرض (رقم:٢٥٤٩) من طريق مطرف بن عبد الله، ولم يذكر فيه المزابنة وتفسيرها. جميعهم (يحي الأندلسي، وأبو مصعب، وسويد، ومحمد، وابن يوسف، وابن وهب، ومطرف) عن مالك به.

[20] أخرجه يحي بن يحي الأندلسي في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (٩٠٤/٤) (٥٥٥/٢٣١٦)، وأبو مصعب في كتاب البيوع باب المحاقلة والمزابنة (٣٢٤/٢) (رقم:٢٥٢٠، ٢٥٢١)، وابن القاسم في كتاب البيوع باب المزابنة والمحاقلة (لوحة:١٤٩/أ)، وسويد بن سعيد في كتاب البيوع باب ما جاء في المزابنة والمحاقلة (ص:٢٤٠) (رقم:٥٠٢،٥٠٣)، ومحمد بن الحسن في كتاب البيوع في التجارات والسلم باب بيع المزابنة (ص:٢٥١) (رقم:٧٧٩). جميعهم (يحي الأندلسي، وأبو مصعب، وسويد، ومحمد) عن مالك به. قال الداني: وهذا مرسل في الموطأ، وزاد فيه أحمد بن أبي طيبة عن مالك خارج الموطأ "عن أبي هريرة". ينظر: الإيماء إلى أطراف الموطأ (١٧٧/٥). والحديث قد صح موصولا من عدة طرق عن أبي هريرة وغيره، قال ابن عبد البر: وَقَدْ رَوَى النَّهْيَ عَنِ الْمُزَابَنَةِ وَالْمُحَاقَلَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ جَابِرٌ وَابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ سَمِعَ مِنْهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ يَكُونُ الْعَالِمُ إِذَا اجْتَمَعَ لَهُ جَمَاعَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ غَيْرِهِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ يُرْسِلُهُ إِلَى الْمُعْزِي إِلَيْهِ الْحَدِيثَ، وَيَسْتَثْقِلُ أَنْ يُسْنِدَهُ أَحْيَانًا عَنِ الْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ. ينظر: التمهيد (٢٤١/٦).

سنسلك طريق المحاججة المنطقية العقلية، ونحاكمه لتصوره وقواعده التي وضعها هو نفسه، حتى يكون أبلغ في الحجة، وأقطع للعذر. ومن ثم فإنه يكفينا أن نثبت وجود هذه الأحاديث قبل السنة التي ذهب إلى أنها وضعت بعدها، يكفينا ذلك لنقض نظريته وإبطالها. وعليه نقول بتوفيق الله:

إن وجود هذه الأحاديث في الموطأ؛ يدل على أنها كانت مشهورة متداولة بين العلماء قبل سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)؛ وذلك أن الإمام مالكا- على الصحيح من أقوال العلماء- قد ألف الموطأ قبل هذا التاريخ، وبقي يهذبه ويرتبه بعد ذلك[٢١]، فذكرها فيه يبطل وضعها بعد السنة السالفة الذكر.

وعلى فرض أن الموطأ قد ألف بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، فإن هذه الأحاديث لم ينفرد الإمام مالك بروايتها، فقد تابعه جماعة من الرواة على رواية بعضها، وجاءت من رواية صحابة آخرين غير ابن عمر وأبي سعيد الخدري.

فالحديث الأول، وهو حديث ابن عمر رواه: أَيُّوب بن أبي تميمة السختياني البصري (ت:١٣١هـ)، ومُوسَى بْن عُقْبَةَ المدني (ت:١٤١هـ، وقيل:١٤٢)، وَعبيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ المدني (ت:١٤٧هـ، وقيل:١٤٤، ١٤٥)، والضحاك بن عثمان المدني (ت:١٥٣هـ)، ويونسُ بنُ يزيدَ الأيلي (ت:١٥٢، وقيل:١٥٩، ١٦٠)، والليث بن سعد المصري (ت:١٧٥هـ، وقيل:١٧٣، ١٧٦، ١٧٧)، جميعهم عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به[٢٢]. وهؤلاء الرواة بالنظر إلى تباين أماكن إقامتهم، واختلاف تواريخ وفاتهم؛ يستبعد عادة إمكان تواطئهم على اختلاق هذا الحديث ووضعه؛ فإذا أضفنا إلى ذلك ما وصف به كل واحد منهم، من أقصى درجات الصدق والأمانة، والحفظ والصيانة، يثبت ثبوتا شبه مؤكد صحة نسبة هذا الحديث إلى نافع مولى ابن عمر الذي توفي سنة ١١٧هـ، وقيل:١١٩هـ، وقيل: ١٢٠هـ، على الأقل. وحتى لو سلمنا جدلا أن هؤلاء الرواة قد تواطأوا على وضعه، فإن ذلك لا يكون إلا قبل سنة (١٣١هـ)، وهي سنة وفاة أيوب، وهذا يعني أن هذا الحديث كان متداولا بين العلماء، قبل سنوات بعيدة من السنة التي حددها كولسون لوضعه بعدها، وهي سنة (١٥٣هـ) ؛ وهذا كاف في نقض ادعائه وتقويضه.

ومع ذلك نقول: إن نافعا لم ينفرد برواية هذا الحديث عن ابن عمر؛ فقد روي من طريق أخرى، حيث تابعه على روايته سالم بن عبد الله بن عمر، رواه يونس بن يزيد وعقيل بن خالد

---

[٢١] ينظر: مالك بن أنس، الموطأ رواية يحيى بن يحيى الأندلسي (٢٦٧/١)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي، ط١: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[٢٢] ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري (٤٠٣/١ إلى ٤٠٨) (رقم:٢٢١١، ٢٢١٢، ٢٢١٣، ٢٢٢٤، ٢٢٤٤)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم (٦٥٢/٢ إلى ٦٥٨) (رقم:٣٩٧٤ إلى ٣٩٨١)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود (٥٨٠/٢) (رقم:٣٣٦٣)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي (٣٣٢/١) (رقم:١٢٦٨)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي (٧٣٥/٢ إلى ٧٤١) (رقم: ٤٥٥٠، ٤٥٥١، ٤٥٦٦)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه (ص:٣٢٨) (رقم:٢٣٥١)، طبع جمعية المكنز الإسلامي، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

وسفيان بن عيينة، ثلاثتهم عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر به[٢٣]. وهذا يرجح صحة نسبة هذا الحديث لابن عمر على الأقل. ونحب أن نشير هنا إلى نكتة وقعت في إحدى طرق الحديث السابقة، وهي أنه روي من طريق الليث بن سعد عن عقيل بن خالد ويونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه، ومعلوم أن الليث قد سمع من ابن شهاب عدة أحاديث، فهو من شيوخه الذين أكثر عنهم، ولو أسند هذا الحديث عنه لما اتهمه أحد في ذلك. فما الذي حمله على روايته عن عقيل ويونس، ونزوله درجة فيه؟ إنها الأمانة التي وقرت في قلبه كالجبال الرواسي، وهذا ما لم يفهمه أغلب المستشرقين الباحثين في التراث الإسلامي؛ إذا لم يراعوا حال الرواة الذين نقلوا هذه الأحاديث، ولا البيئة التي عاشوا فيها.

فإذا لاحظنا- إضافة إلى ما سبق- أن ابن عمر لم ينفرد بحديث تحريم بيع المزابنة، بل تابعه جماعة من الصحابة على ذلك؛ وإليك طرق أحاديثهم:

١- حديث أبي سعيد الخدري، وهو الحديث الثاني الذي ذكره الإمام مالك في الموطأ، وقد جاء من طريق أخرى غير طريق مالك السابقة، فقد رواه يَحْيَى بْنُ آدَمَ عن عَبْد الرَّحِيمِ بن سليمان عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[٢٤].

٢- حديث جابر بن عبد الله، روي من سبعة طرق عنه، رواه مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ يَزِيد بْن نُعَيْمٍ. ورواه هِشَام بْن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدستوائي عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن. ورواه سُرَيْجٌ بن النعمان عن مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ. ورواه سُفْيَانُ بن عيينة والْمُفَضَّلُ بن فضالة ومَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ وعبد الله بنُ وَهْبٍ عن عبد الملك ابن جريج، ورواه سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ عن يُونُس بن عبيد، ورواه عُبَيْدُ اللهِ بن عمرو الرقي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، ثلاثتهم (ابن جريج ويونس وزيد) عن عَطَاء بن أبي رباح. ورواه حَجَّاج بن محمد وعبد الله بن وهب والمفضل بن فضالة عن عبد الملك ابن جريج، ورواه إسماعيل بن علية وحماد بن زيد عن أيوب بن أبي تميمة، كلاهما (ابن جريج وأيوب) عن أَبِي الزُّبَيْرِ المكي. ورواه بهز بن أسد عن سَلِيم بْن حَيَّانَ، ورواه حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عن أيوب بن أبي تميمة، كلاهما (بهز وأيوب) عن سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ. ورواه عبيد الله بن عمرو المكي عن زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ عن أَبِي الْوَلِيدِ الْمَكِّيّ. سبعتهم (يزيد بن نعيم، وأبو سلمة، وابن دينار، وعطاء، وأبو الزبير، وابن ميناء، وأبي الوليد) عن جابر بن عبد الله به بمعناه[٢٥].

---

[٢٣] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٣/١ إلى ٤٠٨) (رقم:٢٢٢٢، ٢٢٣٩). النسائي، سنن النسائي (٧٣٧/٢) (رقم:٤٥٤٩).

[٢٤] ينظر: النسائي، سنن النسائي (٧٣٧/٢) (رقم:٤٥٥١).

[٢٥] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٨/١، ٤٤٥) (رقم:٢٢٢٨، ٢٤٢١). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢ إلى ٦٥٨) (رقم:٣٩٨٩ إلى ٣٩٩٥، ٤٠١٤). أبو داود، سنن أبي داود (٥٨٠/٢، ٥٨٦) (رقم:٣٣٧٥، ٣٤٠٦). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥٥/١) (رقم:١٣٦١). النسائي، سنن النسائي (٧٣٥/٢ إلى ٧٤١) (رقم:٣٨٩٥، ٣٨٩٦، ٣٨٩٨، ٣٨٩٩، ٣٩٣٧، ٤٥٤٠، ٤٥٤١، ٤٥٦٤، ٤٥٦٧، ٤٦٥٠، ٤٦٥١). ابن ماجه، سنن ابن ماجه (ص:٣٢٨) (رقم:٢٣٥٢).

٣- حديث أبي هريرة، روي من ثلاث طرق عنه، رواه سُفْيَانُ الثوري عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، ورواه يُونُسُ بن يزيد عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، كلاهما (ابن أبي سلمة، وابن شهاب) عَنْ أبي سلمة بن عبد الرحمن. ورواه يُونُسُ بن يزيد عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ. ورواه يَعْقُوبُ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ أبي صالح السمان. ثلاثتهم (أبوسلمة، وابن المسيب، وأبو صالح) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به بمعناه[٢٦].

٤- حديث رافع بن خديج، روي من ثلاث طرق عنه، رواه عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ. ورواه الضحاك بن مخلد عن عُثْمَان بْن مُرَّةَ عن الْقَاسِم بن محمد بن أبي بكر. ورواه سلام بن سليم عَنْ طَارِق بن عبد الرحمن عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ. ورواه حماد بن أسامة عن الْوَلِيد بْن كَثِيرٍ عن بُشَيْرُ بْنُ يَسَارٍ. ثلاثتهم (القاسم، وابن المسيب، وبشير) عن رَافِعِ بْن خَدِيجٍ به بمعناه[٢٧].

٥- حديث سهل بن أبي حتمة، رواه سُفْيَانُ بن عيينة وسُلَيْمَانُ بْن بِلَالٍ وعبد الوهاب الثقفي عن يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ. ورواه حماد بن أسامة عن الْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ. كلاهما (يحيى والوليد) عن بُشَيْر بْن يَسَارٍ عَنْ سَهْل بْن أَبِي حَثْمَةَ به بمعناه[٢٨].

٦- حديث زيد بن ثابت، رواه محمد بن إسحاق عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن زيد بن ثابت به بمعناه[٢٩].

٧- حديث عبد الله بن عباس، رواه محمد بن خازم عَنِ سُلَيْمان بن أَبي سُلَيْمان الشَّيْبَانِيّ عَنْ عِكْرِمَةَ مولى ابن عباس عَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ[٣٠].

٨- حديث أنس بن مالك، رواه عُمَرُ بْنُ يُونُسَ عن أَبِيه يونس بن القاسم عن إِسْحَاق بْن أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[٣١].

٩- الحديث المرسل، ومنه الحديث الثالث الذي ذكره الإمام مالك كما سبق، وقد تابعه على روايته عقيل بن خالد الأيلي عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب به[٣٢]. وقد تقدم أن سعيد

---

[٢٦] ينظر: مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢، ٦٥٨) (رقم:٣٩٥٧، ٤٠١٥). الترمذي، سنن الترمذي (٣٣٢/١) (رقم:١٢٦٨). النسائي، سنن النسائي (٦٣٦،٧٤١/٢) (رقم:٣٩٠٠، ٤٥٣٨).

[٢٧] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٤٥/١) (رقم:٢٤٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٤/٢) (رقم:٣٩٧٢). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥٥/١) (رقم:١٣٥١). النسائي، سنن النسائي (٧٣٥/٢ إلى ٧٤١) (رقم:٣٩٠٢، ٣٩٠٣، ٣٩٠٦، ٤٥٥٢، ٤٥٦٠). ابن ماجه، سنن ابن ماجه (ص:٣٢٨) (رقم:٢٣٥٣).

[٢٨] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٨/١، ٤٤٥) (رقم:٢٢٣٠، ٢٤٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢، ٦٥٣) (رقم:٣٩٦٨، ٣٩٧٠ إلى ٣٩٧٢). أبو داود، سنن أبي داود (٥٨٠/٢) (رقم:٣٣٦٥). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥٥/١) (رقم:١٣٥١). النسائي، سنن النسائي (٧٤١/٢) (رقم:٤٥٦٠).

[٢٩] الترمذي، سنن الترمذي (٣٣٢/١) (رقم:١٣٤٧).

[٣٠] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٨/١) (رقم:٢٢٢٦).

[٣١] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٨/١) (رقم:٢٢٤٦).

[٣٢] ينظر: مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢) (رقم:٣٩٥٨).

ابن المسيب أسند هذا الحديث عن أبي هريرة ورافع بن خديج. وهناك مرسل ثان، رواه اللَّيْثُ بن سعد عَنْ عُقَيْل بن خالد عن ابن شهاب عن سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بن عمر به. وقد تقدم أيضا أن سالما أسند هذا الحديث عن أبيه.

إذن، إذا لاحظنا أن النهي عن بيع المزابنة قد ورد في حديث ثمانية من الصحابة يرفعونه للنبي صلى الله عليه وسلم، إضافة لحديث ابن عمر الذي أوردناه أولا، وهذه الأحاديث جاءت من طرق متعددة، عن رواة من أمصار مختلفة، مع اتصاف أغلبهم بأعلى درجات الصدق والأمانة، والفهم والصيانة؛ إذا تدبرنا ذلك حصل لنا الجزم بوجود أصل هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ يستبعد عادة- إن لم يكن مستحيلا- تواطؤ جميع هؤلاء الرواة- وحالهم كما هو موصوف، وبلدانهم ونمط عيشهم كما هو معروف- على وضعه واختلاقه. بل إن إمكان حدوث تواطؤ مثل هذا الجمع في زماننا هذا، مع قلة أمانة الناس وصدقهم، ونقص صيانتهم وضبطهم، وتوفر وسائل الاتصال المختلفة المعينة على لَمِّ شملهم، ليعد من الأمور المستبعدة جدا، التي ينكرها عامة الناس وخاصتهم.

هذا جواب ما يتعلق بادعائه أن هذه الأحاديث مختلقة الأسانيد، وضعت بعد ظهور تيار أهل الحديث سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، اخترعوها لتأييد رأيهم الفقهي المتشدد في تفسير الربا.

الأمر الثاني، أن استنتاجه أن تحريم المزابنة إنما نشأ من التفسير المتشدد للربا، الذي اعتمده أهل الحديث؛ يلزم عنه أن المزابنة كانت مباحة قبل ذلك على الأصل، ولم يوجد من العلماء من قال بمنعها وتحريمها. وهذا في الحقيقة مخالف تماما لواقع الأمر؛ إذ العلماء وإن اختلفوا في تفسير بعض ما يندرج تحت المزابنة من الصور، إلا أنهم متفقون على منعها والنهي عنها عموما، ولم ينقل عن أحد منهم إباحتها. قال ابن عبد البر: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمُزَابَنَةَ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَفْسِيرُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ مَرْفُوعًا، وَأَقَلُّ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ، وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ فَيُسَلَّمُ لَهُ فَكَيْفَ وَلَا مُخَالِفَ فِي ذَلِكَ[٣٣]. وقال في موضع آخر بعد أن ساق مجموعة من الأحاديث في ضوابط بيع الطعام بالطعام: وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا تَفْسِيرٌ لِلْمُزَابَنَةِ وَفِي مَعْنَاهَا، وَهِيَ أَصْلٌ وَسُنَّةٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهَا، والحمد لله[٣٤]. فكان حريا به ألا يتقحم هذا المسلك الصعب، ويخالف ما أجمع عليه المسلمون بشبه واهية، خاصة وأنه اعترف - كما سبق بيانه- بأن قدرا يسيرا من أحاديث الأحكام يحتفظ بأصل الأفعال والكلمات التي صدرت عن النبي [صلى الله عليه وسلم]، وخاصة في المسائل غير الخلافية.

نأتي الآن إلى الكلام عن الحكم الثاني، وهو إباحة بيع العرية استثناء من الحكم العام، وهو تحريم بيع المزابنة. وهذا الحكم- حسب زعم كولسون- كان نتيجة تأثر الفقهاء بالمنهج المتشدد للمحدثين، حيث عملوا على تعديل ما جرى به العمل عندهم في المدينة من إباحة العرية، على الأصل في إباحة المزابنة عموما، ليتوافق مع التفسير المتشدد للمحدثين القائل بتحريم بيع المزابنة؛ فجمعوا بين الحكمين، وجعلوا الأصل تحريم بيع المزابنة، واسثنوا منه بيع العرية على سبيل الرخصة. ثم فيما

[٣٣] ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٠٨،٣٠٩/١٣).

[٣٤] المصدر السابق (٣١٢/١٣).

بعد صيغ هذا الحكم الفقهي في صورة حديث أسند للنبي صلى الله عليه وسلم. ولازم هذا الادعاء أن جماعة المحدثين لا يقولون باستثناء جواز بيع العرية من الحكم العام، وهو تحريم المزابنة، وكذلك يلزم منه أن أحاديث استثناء بيع العرية، وضعت من طرف الفقهاء بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)؛ لأنها جاءت نتيجة للتأثر بجماعة المحدثين التي ظهرت بعد هذه السنة، كما يلزم منه أيضا أن الفقهاء قبل هذه السنة كانوا يرون جواز بيع العرية على الأصل في إباحة المزابنة عموما، وليس على سبيل الرخصة والاستثناء. وهذا ما نحاول تفنيده فيما يأتي، فنقول:

أخرج مالك في الموطأ حديثين لبيان الرخصة في بيع العرية، وهما كما يلي:

- الحديث الأول: مَالِك عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْخَصَ لِصَاحِبِ الْعَرِيَّةِ أَنْ يَبِيعَهَا بِخَرْصِهَا"[٣٥].
- الحديث الثاني: مَالِك عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْخَصَ فِي بَيْعِ الْعَرَايَا بِخَرْصِهَا، فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ أَوْ فِي خَمْسَةِ أَوْسُقٍ. يَشُكُّ دَاوُدُ قَالَ: خَمْسَة أَوْ دُونَ خَمْسَة"[٣٦].

فالحديث الأول قد تابع الإمام مالكا على روايته جماعة من الرواة، فقد رواه: أَيُّوبَ بن أبي تميمة السختياني البصري (ت:١٣١هـ)، ومُوسَى بْنِ عُقْبَةَ المدني (ت:١٤١هـ، وقيل:١٤٢)، ويحيى بن

---

[٣٥] أخرجه يحي بن يحي الأندلسي في كتاب البيوع باب ما جاء في بيع العرية (٨٩٥/٤) (٥٤٧/٢٢٩٦)، وأبو مصعب في كتاب البيوع باب في بيع العرية (٣١٧/٢) (رقم:٢٥٠٥)، وابن القاسم في كتاب البيوع باب بيع العرية (لوحة:١٤٩/أ)، وسويد بن سعيد في كتاب البيوع باب بيع العرية (ص:٢٣٦) (رقم:٤٩١)، ومحمد بن الحسن في كتاب البيوع في التجارات والسلم باب بيع العرايا (ص:٢٤٣) (رقم:٧٥٧). وأخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع المزابنة (٤٠٥/١) (رقم:٢٢٢٧) عن القعنبي، ومسلم في كتاب البيوع باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا(٦٥٢/٢)(رقم:٣٩٦٠) عن يحي بن يحي النيسابوري. وزاد أبو مصعب، ويحي النيسابوري في آخره:"من التمر". جميعهم ( يحي الأندلسي، وأبو مصعب، وابن القاسم، وسويد، ومحمد، والقعنبي، ويحي النيسابوري ) عن مالك به. قال الجوهري: زاد أبو مصعب "من التمر". مسند الموطأ(ص:٥٤١). وأما ابن عبد البر فقال: هكذا روى هذا الحديث في الموطأ جماعة الرواة- فيما علمت -، لم يزيدوا على" أن يبيعها بخرصها". التمهيد(٣٢٨/١٥).

[٣٦] أخرجه يحي بن يحي الأندلسي في كتاب البيوع باب ما جاء في بيع العرية (٨٩٦/٤) (٥٤٨/٢٢٩٧)، وأبو مصعب في كتاب البيوع باب في بيع العرية (٣١٨/٢) (رقم:٢٥٠٦)، وابن القاسم في كتاب البيوع باب بيع العرية (لوحة:١٤٩/أ)، وسويد بن سعيد في كتاب البيوع باب بيع العرية (ص:٢٣٧) (رقم:٤٩٢)، ومحمد بن الحسن في كتاب البيوع في التجارات والسلم باب بيع العرايا (ص:٢٤٣) (رقم:٧٥٨). وفيه:" في بيع العرايا بالتمر"، والشافعي كما في ترتيب المسند (رقم:١٤٠٨). وأخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع الثمر على رؤوس النخل بالذهب و الفضة(٤٠٥/١) (رقم:٢٢٢٩) عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي نحوه، و في كتاب المساقاة باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل.... (٤٤٥/١) (رقم:٢٤٢٢) عن يحي بن قزعة، ومسلم في كتاب البيوع باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا (٦٥٣/٢) (رقم:٣٩٧٣) عن القعنبي، ويحي بن يحي النيسابوري واللفظ له، وأبو داود في كتاب البيوع باب في مقدار العرية (٥٨٠/٢) (رقم:٣٣٦٦) عن القعنبي، والترمذي في كتاب البيوع باب ما جاء في العرايا والرخصة في ذلك (٣٥٢/١) (رقم:١٣٤٨) من طريق زيد بن الحباب، و(رقم:١٣٤٩) عن قتيبة بن سعيد نحوه، والنسائي في كتاب البيوع باب بيع العرايا بخرصها تمرا (٧٣٩/٢) (رقم:٤٥٥٨) من عبد الرحمن بن مهدي، وابن الجارود في المنتقى في باب ما جاء في الربا (١٦٦/١) من طريق عبد الله بن وهب. وليس في حديث ابن القاسم -في القطعة الموجودة من موطئه، وهي ثابتة في بعض نسخ الملخص للقابسي-، وسويد، ومحمد، والشافعي، وعبد الله الحجبي، والقعنبي، وابن الحباب، وقتيبة، وابن وهب- قوله:"بخرصها ". جميعهم (يحي الأندلسي، وأبو مصعب، وابن القاسم، وسويد، ومحمد، وعبد الله الحجبي، وابن قزعة، والقعنبي، وقتيبة، وابن مهدي) عن مالك به. قال أبو العباس الداني: ومن رواة الموطأ من لم يذكر في هذا الحديث "الخرص"، منهم ابن وهب وغيره. وقيل: قوله:" بخرصها " ليس من كلام النبي ﷺ. الإيماء إلى أطراف الموطأ(٤٨٥/٣).

سعيد الأنصاري المدني(ت:١٤٣هـ، وقيل:١٤٤هـ، وقيل:١٤٦هـ)، وَعبيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ المدني (ت:١٤٧هـ، وقيل:١٤٤، ١٤٥)، ومحمد بن إسحاق المدني (١٥٠هـ، وقيل:١٥١هـ، وقيل:١٥٢هـ)، جميعهم عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به[٣٧]. وبالنظر إلى تواريخ وفاة هؤلاء الرواة؛ نعلم جزما أن هذا الحديث كان مشهورا متداولا قبل سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)، ومع تعدد هؤلاء الرواة وتكاثرهم يضعف احتمال تواطؤهم على وضعه، ويغلب على الظن أنهم سمعوه من شيخهم نافع مولى ابن عمر الذي توفي سنة ١١٧هـ، وقيل:١١٩هـ، وقيل: ١٢٠هـ. وحتى على فرض أن هؤلاء الرواة قد تواطئوا على وضعه؛ فإن ذلك حتما يكون قبل وفاة أقدمهم سنا وهو أيوب؛ وذلك يكون قبل سنة (١٣١هـ)، وهذا كاف في نقض ادعاء كولسون. فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا الحديث قد روي من طريق آخرى غير طريق نافع مولى ابن عمر، فقد تابعه على روايته سالم بن عبد الله بن عمر، رواه سفيان بن عيينة، وعقيل بن خالد، وصالح بن كيسان، ثلاثتهم عن ابن شهاب الزهري عن سالم عن عبد الله بن عمر عن زيد بن ثابت به[٣٨]. وتابع ابن عمر على روايته خارجة بن زيد بن ثابت، رواه يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهري عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد ثابت به[٣٩]. فإذا أضفنا تعدد هذه الطرق وتباين رواتها؛ يثبت لدينا ثبوتا شبه مؤكد صحة نسبة هذا الحديث لزيد بن ثابت. مع ملاحظة أنه من رواية صحابي عن صحابي آخر، ولو كان مختلقا؛ لاكتفى الواضعون بصحابي واحد، وأغناهم ذلك عن تكلف البحث عن صحابي آخر.

فإذا لاحظنا- إضافة إلى ما سبق- أن إباحة بيع العرية، قد جاء في حديث جماعة من الصحابة، غير حديث زيد بن ثابت، وهي كما يلي:

١- حديث أبي هريرة، وهو الحديث الثاني الذي ذكره الإمام مالك، رواه عن عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٤٠].

٢- حديث رافع بن خديج، رواه حماد بن أسامة عن الوليد بن كثير عن بشير بن يسار عن رافع بن خديج[٤١].

٣- حديث سهل بن أبي حتمة، رواه سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد، ورواه حماد بن أسامة عن الوليد بن كثير، كلاهما (يحيى والوليد) عن بشير بن يسار عن سهل بن أبي حتمة[٤٢].

---

[٣٧] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٤٥/١) (رقم:٢٤٢٠،٢٢٣١،٢٢١٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٣/٢،٦٥٢) (رقم:٣٩٦١إلى٣٩٦٧). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥١/١) (رقم:١٣٤٧، ١٣٥٠). النسائي، سنن النسائي (٧٣٧/٢) (رقم:٤٥٥٥، ٤٥٥٦). ابن ماجه، سنن ابن ماجه (ص:٣٢٨) (رقم:٢٣٥٥).

[٣٨] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٤٥/١،٤٠٤) (رقم:٢٤٢٠،٢٢٣١،٢٢٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢) (رقم:٣٩٥٩،٣٩٥٦). النسائي، سنن النسائي (٧٣٨/٢،٧٣٧) (رقم:٤٥٥٧،٤٥٥٤،٤٥٥٣،٤٥٤٩). ابن ماجه، سنن ابن ماجه (ص:٣٢٨) (رقم:٢٣٥٤).

[٣٩] ينظر: أبو داود، سنن أبي داود (٥٨٠/٢) (رقم:٣٣٦٤). سنن النسائي (٧٣٨/٢) (رقم:٤٥٥٤).

[٤٠] سبق تخريجه.

[٤١] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٤٥/١) (رقم:٢٤٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢/٢) (رقم:٣٩٧٢). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥١/١) (رقم:١٣٥١). النسائي، سنن النسائي (٧٣٧/٢) (رقم:٤٥٦٠).

٤- حديث جابر بن عبد الله، رواه أيوب بن أبي تميمة عن أبي الزبير المكي وسعيد بن ميناء، ورواه عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح، ثلاثتهم (أبو الزبير وسعيد وعطاء) عن جابر بن عبد الله[٤٣].

فإذا نظرنا إلى هذه الأحاديث، ولاحظنا تعدد طرقها، واختلاف رواتها، وتباين مخارجها؛ أمكننا الجزم بثبوت أصلها- وهو جواز بيع العرية- عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ المنهج العلمي المستقيم لا يجوز الارتياب في صحتها، والاتهام لرواتها، فلا يوجد أدنى دليل أو مسوغ لإنكار نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا نعود للكلام على ما يلزم كولسون من لوازم ناتجة عن افتراضاته حول حديث العرية؛ إذ يلزمه أن جماعة المحدثين لا يقولون باستثناء جواز بيع العرية من الحكم العام، وهو تحريم المزابنة؛ لأنه يرى أن أحاديث استثناء بيع العرية، وضعت من طرف الفقهاء بعد سنة (٧٧٠م/١٥٣هـ)؛ للتوفيق بين التفسير المتشدد للمحدثين للربا، ومنه تحريم المزابنة مطلقا، وتفسير الفقهاء المرن للربا قبل هذه الفترة، ومنه إباحة العرية على الأصل في إباحة المزابنة. وهذا مناقض لما هو منقول عن المحدثين؛ في القول باستثناء بيع العرية من تحريم المزابنة، وإن اختلفوا في تفسيرها وبيان المراد منها.

كما يلزمه أيضا، أن الفقهاء قبل هذه السنة كانوا يرون جواز العرية، على الأصل في إباحة المزابنة عموما، وليس على سبيل الرخصة والاستثناء. وهذا أمر لم ينقل عن أحد من الفقهاء؛ إذ أجمعوا على تحريم المزابنة كما مر معنا في نقل ابن عبد البر[٤٤].

هذه بعض اللوازم التي يقتضيها تصوره حول حديث إباحة العرية، وغيرها كثير، كان عليه أن يأخذها في حسبانه، وهو يختار هذا المثال للتدليل على ما افترضه وادعاه حول السنة النبوية.

وبقي تعقيب أخير عليه، وذلك حول ادعائه أن الفقهاء المتأخرين بعد الإمام مالك، حاولوا تعليل هذا الاستثناء بقصره على صورة معينة للعرية، ولكن هذا الحصر ليس له ما يؤيده فيما ورد عن فقهاء المدينة المتقدمين، ومنهم الإمام مالك نفسه. وهذه الصورة المعينة، هي استرداد صاحب النخل رطبه ممن وهب له أو أجَّرَه بعض نخله أو كله، وتعليل ذلك بحاجة الموهوب له أو المستأجر للنخل إلى بلح صالح للأكل في الحال، ومصلحة المالك الأصلي في أن يريح نفسه من دخول الغير إلى أرضه. وهذه الصورة التي ذكرها وجعلها من تعليل الفقهاء المتأخرين، ونفاها عن الفقهاء المتقدمين، ومنهم الإمام مالك، هذه الصورة ذكرها الإمام مالك نفسه، كما في رواية ابن القاسم في المدونة، حيث

---

[٤٢] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٤،٤٤٥/١) (رقم:٢٢٣٠،٢٤٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢،٦٥٣/٢) (رقم: ٣٩٦٨إلى٣٩٧٢). أبو داود، سنن أبي داود (٥٨٠/٢) (رقم:٣٣٦٥). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥١/١) (رقم:١٣٤٧، ١٣٥٠). النسائي، سنن النسائي (٧٣٧/٢) (رقم:٤٥٥٥، ٤٥٥٦).

[٤٣] ينظر: البخاري، صحيح البخاري (٤٠٤،٤٤٥/١) (رقم:٢٢٣٠،٢٤٢٣). مسلم، صحيح مسلم (٦٥٢،٦٥٣/٢) (رقم:٣٩٦١إلى٣٩٦٧). أبو داود، سنن أبي داود (٥٨٠،٥٨٦/٢) (رقم:٣٣٧٥،٣٤٠٦). الترمذي، سنن الترمذي (٣٥٥/١) (رقم:١٣٦١). النسائي، سنن النسائي (٦٣٥،٧٥٢/٢) (رقم:٣٨٩٥،٤٥٤٠،٤٥٤١،٤٦٥١).

[٤٤] ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣١٢/١٣).

قال: وَإِنَّمَا وَضَعَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُرْفَقِ لِصَاحِبِ التَّمْرِ الَّذِي ابْتَاعَهُ وَفِيهِ الْعَرِيَّةُ الْعِذْقُ وَالْعِذْقَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَيُنْزِلُهُ الرَّجُلُ بِأَهْلِهِ فَيَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَهُ رَبُّ الْعَرِيَّةِ كُلَّمَا أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَيُرِيدُ رَبُّ الثَّمَرِ الَّذِي ابْتَاعَهُ أَنْ يَسُدَّ بَابَهُ وَلَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ فَيَأْتِي رَبُّ الْعَرِيَّةِ فَيَدْخُلُ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَعَلَ لَهُ مِنْ عَرِيَّتِهِ فَيُرَخَّصُ لِرَبِّ الثَّمَرِ أَنْ يَبْتَاعَ مِنْ رَبِّ الْعَرِيَّةِ عَرِيَّتَهُ بِخَرْصِهَا يَضْمَنُهَا لَهُ حَتَّى يُوفِيَهُ إِيَّاهَا تَمْرًا لِمَوْضِعِ مِرْفَقِ ذَلِكَ لَهُ وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْمُكَايَسَةِ وَالتِّجَارَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ مِنْهُ كُلَّهُ[٤٥]. ومع ذلك فإن جمهور الفقهاء بعده لم يقصروا صورة العرية على صورة واحدة، بل توسعوا في بيان صورها، ونقلوا الاختلاف في تحديد مفهومها[٤٦]. فقوله هذا كلام عام عار عن الصحة، ونقل مجمل تعوزه الدقة.

ونكتفي بالكلام على أحاديث المثال الأول الذي ساقه، والرد على الشبهات التي ساقها من خلال ذلك؛ فهي كافية في نقض تصوره الذي خلص إليه حول السنة النبوية، وكما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

**الخاتمة:**

وهكذا يتضح لنا جليا، أن كولسون مع المنهج غير العلمي الذي سلكه في صياغة تصوره حول السنة النبوية؛ إذ عمد إلى الحكم على ميراث أمة مكون من آلاف الأحاديث، مبثوتة في مئات الكتب والدواوين، موزعة على أعصار مختلفة، عمد للحكم عليها من خلال ثلاثة أمثلة من كتاب واحد، إذن فحتى مع هذا المنهج الخاطئ- وهو في حقيقة الأمر ليس منهجا، بل هو تخرص وادعاء خال عن الدليل، مخالف للعقل والمنطق-، فإن الشواهد التي انتقاها ليحتج بها على صحة ما ذهب إليه، لا تحقق له ما ادعاه، وتقصر به عن بلوغ مبتغاه؛ إذ هي تعارض وتزيف ما بُنِيَ عليها، وتخطئ وتنقض ما أُسْنِدَ إليها. فحديث النهي عن بيع المزابنة، وحديث إباحة بيع العرية ثابتان عقلا ومنطقا قبل التاريخ الذي زعم أنهما وضعا بعده، بل لا يصح الارتياب في صحة نسبتهما للنبي صلى الله عليه وسلم، بناء على قواعد ومسلمات يقر بها كولسون نفسه. والقول بتحريم بيع المزابنة واستثناء بيع العرية منه ثابت في أقوال الفقهاء من الصحابة ومن جاء بعدهم، قبل ظهور جماعة المحدثين الذي زعم أنهم كانوا السبب في هذا القول. ومن ثَمَّ فإن كل ما بناه على هذه الشواهد من الادعاءات والأحكام ذهب سدى، وكل ما استخلصه من النتائج كان على غير هدى.

وبهذا نكون قد كشفنا عن نموذج لمنهج أحد كبار المستشرقين في دراسة السنة النبوية، يستدل به على مدى نجاح هؤلاء في دراساتهم، بمعزل عن منهج المحدثين وطريقتهم في نقد النصوص والحكم عليها.

---

[٤٥] سحنون بن سعيد، المدونة الكبرى (٢٥٩/٤)، دار صادر- بيروت، ط١: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م. مصورة عن طبعة دار السعادة- القاهرة، ط١: ١٣٢٣هـ.

[٤٦] ينظر أقوال العلماء في ذلك: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي، الاستذكار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (١١٨/١٩ إلى ١٣١)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط١: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م. ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٢٥/٢ إلى ٣٣٦).

# منهج المحدثين في التحقق من ثبوت النص

**د. محمد بن عبدالرحمن العمير**
أستاذ الحديث المشارك بجامعة الملك فيصل



**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله و أصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، و أشهد على ذلك ربه في حجة الوداع بقوله: "اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد"، ونادى في أصحابه بقوله: "بلغوا عني" فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته محل عناية الصحابة رضي الله عنهم، فلم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجميع سنته محفوظة عند مجموعهم، وكان التحدي في الحفاظ على الميراث الموزع بينهم، كيف يبلغونه، وكيف يحفظونه من أن يدخل فيه ما ليس منه ، فبدأ الصحابة رضي الله عنهم مسيرة تبليغ السنة وتوثيقها على أسس علموها وتربوا عليها من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم كعدم قبول قول الفاسق إلا بعد التبين، وعدم النقل عن رسول الله دون تبين، وعدم كتم شيء من العلم، وانتهت المسيرة إلى وضع علم أصيل عرف بعلم الحديث يميز به بين الصحيح و السقيم من الأخبار، وكان هذا العلم بتفصيلاته سلاح المسلمين في مقابلة كل التحديات التي قابلتهم لحفظ السنة النبوية.

واليوم تقابل المسلمين تحديات كثيرة منها الاحتكاك بالحضارة الغربية وثقافتها، والاطلاع على دراسات المستشرقين عن السنة، وما حملت في طياتها من شبهات عن قصد أو لقصور في فهم منهجية علمائنا في حفظ السنة، وللأسف أن هذه الدراسات باتت تدرس في بعض الجامعات، ويدافع عنها بعض من تأثربها من أبناء المسلمين، و اعتمدت عليها بعض الموسوعات الإسلامية في مادة (حديث).

ويجيء هذا البحث ليدلي بدلوه ضمن جهود العلماء في مقابلة هذا التحدي، والكشف عن منهج علماء الحديث في التحقق من ثبوت النص، وليقيم الدليل على أن هذا المنهج منهج علمي رصين من ناحية، وعملي من ناحية أخرى، قد طبق فأثبت فاعليته، ويمكن أن يطبق في كل زمن.

**مشكلة البحث:**

الكشف عن معالم منهج المحدثين في التحقق من ثبوت النص، و مدى دقة هذا المنهج.

**منهج البحث:**

سار البحث وفق المنهج الاستقرائي، و التحليلي بعرض معالم المنهج من خلال كتب علم الحديث، وتحليل تلك المعالم وكشف مدى دقتها، و إمكان الاستفادة منها في كل عصر.

**التمهيد:**

قد اتفق المسلمون على أن السنة النبوية حجة ودليل من أدلة الشريعة، و أنه لا تتم طاعة الله إلا بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول} (النساء ٥٩)، وأنها مبينة للقرآن و شارحة له؛ لقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل ٤٤)، ومن أجل ذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه فقال: (بلغوا عني، ولو آية)[١]، وحث على الضبط عنه فقال: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ) [٢]. وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من القول عليه بغير علم أو تثبت فقال: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ)[٣]، و قال: (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين)[٤].

ولهذا توجهت همم الصحابة رضي الله عنهم إلى الأخذ عنه، و تتبع أقواله وأفعاله، وتقريراته، وكانوا عربا أقحاحا يفهمون معاني خطابه على مقتضى لغتهم، وإذا خفي عليهم معنى، أو اختلفوا في فهم واستنباط رجعوا إليه، وبعدما مات النبي صلى الله عليه وسلم توجهت الهمم إلى هذا الميراث، وعنوا به عناية فائقة. ومن أهم الجوانب التي توجهت إليها عنايتهم جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيع منه شيء، و التحقق من صحة النسبة إليه حتى لا يدخل فيه ما ليس منه؛ لكن لما كان الأعم الأغلب من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منقولا عن طريق الآحاد فإنه يعتري النقل عنه ما يعتري الآحاد من الناس من آفات الخطأ و النسيان، بل يعتريه أيضا التعدي بالكذب والوضع، لذا وقع في الروايات الصواب و الخطأ، و نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يثبت عنه. وقد بذل سلفنا من لدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم و من بعدهم جهودا مضنية للتحقق من صحة النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتمخضت العناية بهذا الجانب عن حركة حديثية امتدت في العالم الإسلامي، نتج عنها الاصطلاح على ضوابط وآداب لرواية الحديث، وعلى صياغة قواعد يميز بها بين ما تقوم به الحجة من النقول وما لا يحتج به، وأسسوا منهجا علميا في التحقق من صحة المرويات، وصنفوا في هذا الجانب مصنفات كثيرة متنوعة في الحديث النبوي رواية و دراية.

---

[١] البخاري من حديث عبدالله بن عمرو في كتاب أحاديث الأنبياء ، با ب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم ( ٣٤٦١ ) .

[٢] أخرجه أبو داود ( ٣٦٦٠ )، والترمذي ( ٢٦٥٦ ) وقال : حسن ، وابن ماجه ( ٢٣٠ )

[٣] حديث ثابت بهذا اللفظ عن عدد من الصحابة منها ما رواه البخاري من حديث الزبير رقم ( ١٠٧ )، و من حديث إبي هريرة رقم ( ١١٠ ) .و هو جزء من حديث عبدالله بن عمرو رقم (٣٤٦١)

[٤] رواه مسلم في مقدمته من حديث المغيرة بن شعبة/ ٩

ولما كانت الحجة خاصة بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان من اللازم عقلا، والواجب شرعا على الراغب في معرفة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتوجه للعمل بسنته أن يتحقق من ثبوت صحة النقل عنه صلى الله عليه وسلم، وأن يتوجه بالدراسة إلى متن الحديث وإلى طريق وصوله إلينا، ذلك أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نقله عنه الصحابي، ثم بلغه الصحابي إلى غيره، ثم تسلسل النقل من راو إلى آخر، فأصبح الحديث مكونا من جزأين: الطريق الموصلة إلى المتن، وهي سلسلة الرواة، التي اصطلح على تسميتها بسند الحديث، والجزء الآخر ما ينتهي إليه السند من الكلام، وهو ما يسمى بالمتن.

وللتحقق من ثبوت الحديث لا بد من دراسة كل من هذين الجزأين، والتأكد من سلامتهما من كل عيب ينحرف بالرواية عن وجهها الصحيح، ويقدح في ثبوتها، أو ثبوت بعض تفصيلاتها.

**اهتمام المحدثين بالمتن و السند:**

لقد حظي كل من المتن و السند باهتمام العلماء، ورسموا قواعد للتثبت خاصة بكل منهما. ومع أن المتن هو ما يصدق عليه حقيقة أنه حديث، وبه يقوم الاستدلال، و تثبت به الحجة إلا أن عمليات التحقق في الأعم الأغلب كانت تجري في ميدان السند -ولهذا الواقع مسوغات ليس هذا مقام بسطها-، فأخذ البحث في أسانيد الأحاديث شهرة أكثر من البحث في المتن، واستحوذ على مساحات كبيرة في الدراسات الحديثية حتى ظن البعض أن العلماء لم يعنوا بدراسة المتن، واتهمهم البعض أنهم اجتهدوا في العناية بالسند، و أهملوا البحث عن حقيقة النص الصحيح[٥]، لكن الحقيقة غير ذلك، فإن جهودهم قد انصبت على المتن و السند معا، بل إن كل دراسة في السند لم تكن مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة لخدمة المتن، و درجة من درجات البحث للتعرف على ثبوت المتن، وضبط ألفاظه.

---

[٥] انظر ما كتبه أبو رية في أضواء على السنة المحمدية / ٧

ولم ينفرد أبو رية بهذا بل قاله غير واحد ، يقول الأستاذ أحمد أمين : "وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، ولكنهم – والحق يقال – عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي الذي يخالف المألوف من تعبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه، وهكذا". فجر الإسلام /٢١٧-٢١٨.ويقول أيضا :" وفي الحق أن المحدثين عنوا عناية بالغة بالنقد الخارجي، ولم يعنوا هذه العناية بالنقد الداخلي، فقد بلغوا الغاية في نقد الحديث من ناحية رواته جرحا وتعديلا ... ولكنهم لم يتوسعوا كثيرا في النقد الداخلي ، فلم يعرضوا لمتن الحديث وهل ينطبق على الواقع ..". ضحى الإسلام٢/١٣٠ .ويقول الدكتور أحمد البهي :" إن رجال الحديث كان كل همهم منصرفا إلى تصحيح السند والرواية ، دون الاهتمام بتمحيص متن الحديث نفسه الذي هو النص" مجلة العربي،عدد:٨٩،سنة١٩٦٦،ص:١٣. و أقوالهم هذه سبقهم إليها المستشرقون مثل (( غاستون ويت )) الذي يقول :" قد درس رجال الحديث السنة بإتقان ، إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض..لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ، ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن الرسول – أقول صلى الله عليه وآله وسلم – من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم للحديث . انظر هذه الأقوال و النقول في كتاب السنة قبل التدوين/ ٢٥٤: ٢٥٩ .

**عناية الصحابة رضي الله عنهم بثبوت متن الحديث :**

كون السند وسيلة للتعرف على ثبوت المتن حقيقة يعرفها كل دارس للحديث، وإن أراد البعض التنكر لها، ومن أكبر أدلتها أن التحقق من صحة المتن كان سابقا من حيث الزمن، فقد بدأ في وقت مبكر جدا، قبل أن يكون ثمة إسناد، بدأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حين كان الصحابة يحدث بعضهم بعضا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربما رغب أحدهم في مزيد من الاستيثاق و طمأنينة القلب فيتوجه بعرض مسموعاته على النبي صلى الله عليه وسلم كما في قصة عمر رضي الله عنه حيث كان يتناوب مع جار له في عوالي المدينة النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل هذا يوما وينزل عمر يوما، و يأتي كل واحد منهما صاحبه بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء الجار يوما فأخبر عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق أزواجه، فذهب عمر رضي الله عنه ليستوثق، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله: أطلقت أزواجك؟ فقال:"لا "[٦]. هذا الحديث يدل على البداية المبكرة للاستيثاق من صحة ما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لكن كان ذلك على نطاق ضيق بسبب صدق الصحابة، وثقة بعضهم في بعض؛ يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: (ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب)[٧]. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم احتاج الصحابة إلى تأكيد عنايتهم بالاستيثاق من نقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسلكوا عددا من الوسائل كطلب الشاهد أحيانا، كما في حديث قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: (جَاءَتْ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ مَا لَكِ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ وَمَا عَلِمْتُ لَكِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَارْجِعِي حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ فَسَأَلَ النَّاسَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهَا السُّدُسَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ).[٨]

ومن الأساليب التي اتبعها الصحابة في التحقق من المتن عرضه على القرآن، كما في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله عنها حين أخبرت عمر رضي الله عنه أن زوجها طلقها ثلاثا فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها سكنى ولا نفقة، فقال عمر: "لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى والنفقة، قال الله عز وجل: {لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة}[الطلاق:١] "[٩] . ومثل ذلك ما رواه عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: "ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[٦] البخاري ، رقم (٨٩ )

[٧] رواه الحاكم في المستدرك ١٢٧/١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

[٨] أبو داود ( ٢٨٩٤ ) والترمذي ( ٢١٠٠ ) و ابن ماجه ( ٢٧٢٤ ) .

[٩] أخرجه مسلم فى صحيحه ( ١٤٨٠)

وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلَ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ"[١٠].

**سير المحدثين على إثر الصحابة :**

في الأمثلة السابقة كان الاستيثاق منصبا على المتن من حيث مضمونه دون السند، وعلى هذا النهج سار المحدثون فنظروا في المتون نظرات ناقدة مستبصرة ميزوا من خلالها بين الغث و السمين، مستندين إلى قرائن هي -في الحقيقة- مقاييس لها أدلتها الشرعية و العقلية، يقول الربيع بن خثيم (٦١هـ) رحمه الله: (إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار، نعرفه به، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها)[١١] وطبقوها على كل حديث سواء أكان سنده صحيحاً أم ضعيفاً. ومن أهم القواعد في هذا الباب ما ذكره الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة حيث قال: "لا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبت وأكبر بدلالات الصدق منه"[١٢]. فقد أوضح رحمه الله أن الاستدلال على صدق الخبر عن طريق المخبر هو الأكثر ، ولم ينف إمكان التعرف على صدق الخبر من كذبه بالنظر في متن الحديث، بل بين أنه ممكن، وذكر رحمه الله لمعرفة ذلك معيارين، أولهما: التحديث بما لا يجوز مثله، و المعيار الثاني: التحديث بما يخالف ما هو أثبت، و أقوى دليلا.

و قد سرد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" مجموعة من القواعد الكلية التي يمكن التميز بها بين المقبول و المردود بالنظر في المتن[١٣].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن التوثق من ثبوت الحديث من خلال النظر في المتن، وإعمال القواعد التي ذكرها العلماء ليست ميدانا مفتوحا لكل شخص دون تأهل، بل هي للعلماء الكبار الذين درسوا الحديث، و تعمقت درايتهم به، وجمع الله لهم بين الفقه و الحديث، وقد سئل الإمام ابن القيم هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده؟ فأجاب قائلا: "هذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه، فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كل

---

[١٠] البخاري ( ٣٩٧٨ ) ، و مسلم ( ٩٣٢ ) . و انظر مزيدا من الأمثلة في كتاب لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث/ ٦٥ : ٧٣ .

[١١] معرفة علوم الحديث /٦٢ .

[١٢] الرسالة/ ٣٩٩ .

[١٣] من أهم القواعد التي ذكرها الإمام ابن القيم : تكذيب الحس للحديث ، و مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة، و مخالفة الحديث صريح القرآن ، وجود قرائن تدل على استحالة صدور الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر المنار المنيف/ ٥١، ٥٦ ، ٨٠ ، ١٠٢ .

متبع مع متبوعه؛ فإن للأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك، وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم والله أعلم"[١٤].

إذا تقرر هذا فإن النظر في الإسناد هو الميدان الواسع للتحقق من ثبوت الحديث. و قد ظهرت وسائل المحدثين و مصطلحاتهم في التوثيق بشكل متدرج، يواكب المستجدات التي واجهتها مسيرة رواية الحديث، ففي البداية كان الواحد من الصحابة يحكي ما لديه من الحديث سواء أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بواسطة دون أن يلتزم ببيان الواسطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسبب ذلك عدم قيام الحاجة الملحة إلى البيان، حيث كان الناس على الفطرة النقية، والصدق و التحري وتعظيم النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله بن الزبير: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"[١٥]، لكن لما جاء عصر التابعين و كثر النقلة، واختلفت مراتبهم في العدالة والضبط تأكدت الحاجة إلى الإفصاح عن أسماء الرواة، وقامت المطالبة بتسميتهم، يقول ابن عباس رضي الله عنه : "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا. وأصغينا إليه بآذاننا. فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[١٦]، ويقول محمد بن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"([١٧])، وقال عبدالله بن المبارك: "بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد"[١٨].

ومع توسع رواية الحديث واتساع الأسانيد، وظهور الرحلة في طلب الحديث قامت الحاجة إلى الكلام على الرجال وبيان أحوالهم المؤثرة في قبول الرواية، وظهر في مقابل كل حالة من أحوال الرواة ما تحتاجه من احتياطات وتفصيلات في الكلام على الراوي، ومروياته، وأصبح الإسناد وعلومه منظومة متكاملة من القواعد والضوابط التي يميز بها بين المقبول والمردود من الروايات، ونظر إليه العلماء على أنه صمام الأمان لحفظ الدين يقول أبو عمرو الأوزاعي: "ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد"[١٩]، ويقول الإمام الحاكم: "فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لَدَرَسَ منارُ الإسلام، وتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تَعَرَّتْ عن وجود

---

[١٤] المنار المنيف ١/ ٤٤

[١٥] تقدم تخريجه في الحاشية رقم ( ٣)

[١٦] مقدمة صحيح الإمام مسلم ، في النهى عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط فى تحملها /١٣

[١٧] نفسه / ١٥

[١٨] نفسه / ١٥

[١٩] التمهيد ٥٧/١

الإسناد فيها كانت بُتْرَاً"[20] بل نظر إليه العلماء على أنه جزء من الدين، يقول عبدالله بن المبارك: "الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[21].

لقد نال الإسناد وعلومه وقواعد دراسته هذه المكانة لأنه يوفر رؤية واضحة لحركة المتن أثناء تنقله من لدن طرفه الأول الذي ينقل القول أو الحادثة إلى أن يصل طرفه الأخير، وهو المحدث الذي يحدث بها في درسه، أو المصنف الذي يدونها في كتابه، مرورا بحلقات الإسناد التي قد تطول أو تقصر بين الطرفين، وخلال هذه المسيرة رصد المحدثون كل حركة أو صفة تؤثر في الحكم على الرواية ، ووضعوا الموازين التي تحدد مقدار ذلك الأثر سلبا أو إيجابا .

**دور الإسناد في كشف حقيقة الرواية:**

لقد كان الإسناد هو الميدان الذي تجري فيه الملاحظة المباشرة للرواية التي يبنى عليها الحكم، بعيدا عن الافتراضات والظنون والأوهام، فأتاحت سلسلة الإسناد للناقد أن يتدخل بآلته في النقد، وأن يفحص حالة الراوي في روايته، ويقف بنفسه على مدى قدرة الراوي على نقل تلك الرواية على وجهها، فيصل بذلك إلى مجموعة من الحقائق و القرائن التي تدل على أن الراوي لم يخطئ ولم يهم ولم يكذب في حديثه الذي رواه عمن فوقه، فيحكم بقبول روايته، أو أن الراوي وقع في الخطأ أو الوهم أو الكذب فيحكم برد روايته.

**ضوابط قبول الرواية و وجه دلالتها على صحة المتن:**

لقد قامت المنهجية التي انتهجها جمهور المحدثين في طلب الإسناد ودراسته على عدم التسليم بالرواية إلا إذا قام الدليل الذي يغلب معه ثبوت نسبتها إلى قائلها . وقد بلغت هذه المنهجية الغاية في الدّقة العلمية في توثيق الروايات، وتمييز بعضها عن بعض بالفوارق اليسيرة، واستطاع العلماء النقاد تمييز كل متن، وكل لفظة لم يقم الدليل على ثبوتها .

ويتأسس الفهم الصحيح والتصور الواضح لمنهجية المحدثين في التحقق من ثبوت المتن من خلال دراسة الإسناد بالوقوف على الشروط الواجب توفرها في الرواية المقبولة. ومجموع هذه الشروط عند جمهور المحدثين خمسة، هي: العدالة، والضبط، واتصال السند وانتفاء الشذوذ، وانتفاء العلة القادحة.

---

[20] معرفة علوم الحديث /٦

[21] مقدمة صحيح الإمام مسلم / ١٥

إن منظومة الإسناد و علومه خصيصة من خصائص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، و صورة من صور حفظ الله لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، يقول الإمام ابن حزم: "نقل الثقة عن الثقة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال ، ويخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه ، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غَضًّا جديدا على قديم الدهور، يدخل في طلبه إلى الآفاق البعيدة مَنْ لا يُحصِي عددَهم إلا خالقُهم ، ويواظب على تقييده من كان الناقل قريبا منه . قد تولى الله حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم زلة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم ولا يمكن فاسقا أن يقحم كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر" الفصل ٢/ ٨٢ .

ووجه دلالة هذه الشروط على قبول الحديث: أن العدالة ملكة تحمل صاحبها على فعل الطاعات واجتناب الموبقات والتنزه عن ما يخل بالمروءات؛ والمراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة والمراد بالتقوى اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة[٢٢].

فاتصاف الراوي بالعدالة يورث الاطمئنان إلى كفاءته الدينية والخلقية التي تمنعه من الكذب أو القول بغير علم.

و أما الضبط فهو أن يكون الراوي متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه[٢٣] .

واتصاف الراوي بالضبط يتحقق به غلبة الظن بسلامة محفوظاته، و كفاءته في نقل الحديث، وأنه مؤهل لأن يروي الحديث كما سمعه .

واتصال السند يعني أن الطريق الموصلة للمتن، والرواة الذين نقلوا الخبر قد ذكروا جميعا، ولم يسقط منهم أحد، ويكون ذلك بأن ينقل الحديث من الراوي إلى من دونه، ويصرح كل واحد من رجال السند باسم شيخه الذي أخذ عنه ذلك الحديث أو بكنيته، أو بغير ذلك من الألقاب والأوصاف التي يعرف بها، و يتميز بها عن غيره، بعبارة تدل على الطريقة التي تلقى الحديث بها ذلك الخبر، فيعرف بهذا الاتصال جميع الرواة، ويكون مدخلا لدراسة حالهم وروايتهم، للتأكد من تأهلهم لنقل الحديث، وتأهل روايتهم للقبول، ويحصل به الاطمئنان على تحقق عنصري العدالة والضبط في جميع رجال السند[٢٤] .

وأما انتفاء الشذوذ فهو عدم مخالفة الحديث لما هو أولى منه، و عدم تفرد الراوي بما لا يحتمل تفرده فيه[٢٥] .

ويحصل بنفي الشذوذ الناتج عن التفرد أو المخالفة الاطمئنان بأن هذا الحديث الذي نبحثه بعينه غير مختلق؛ بل له أصل قد ضبطه رواته في كل طبقة من طبقات الإسناد، ولم يدخله وَهَم.

و انتفاء العلة يعني أن لا يوقف في سند الحديث ولا متنه على قادح خفي. ويحصل بنفي العلة الاطمئنان بأن هذا الحديث الذي نبحثه بعينه بعد التأكد من سلامته من القوادح الظاهرة قد سلم أيضا من القوادح الخفيَّة[٢٦].

إن هذه الشروط الخمسة تغطي كل الجوانب التي قد يدخل النقص والزلل منها على الخبر، ثم إن التحقق من توفر هذه الشروط يقوم على منهجية علمية واقعية بعيدة عن مجرد الحدس، أو

[٢٢] انظر فتح المغيث ١ / ٢٤ .

[٢٣] نفسه ١/ ٢٤ .

[٢٤] حرر المحدثون طرق نقل الرواية وبينوا الطرق المعتبرة منها وغير المعتبرة في التحمل والأداء لأجل نقل الإسناد ، و حتى يتهيأ للناظر في الإسناد و الناقد له أكبر قدر من الملاحظة المباشرة، ولهم تدقيقات في هذا الباب تدل على كمال الإتقان.

[٢٥] انظر في تحرير المراد بالشاذ عند المحدثين . النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ٢ / ٦٥٢ .

[٢٦] نور الدين عتر. منهج النقد /٢٤٣

الخرص، أو الفروض غير المنطقية، فالنظر الثاقب، والعقل المنصف يسلم بأن هذه الشروط تستوعب كل ما له تأثير في الحكم على الرواية بالقبول أو الرد، ذلك أن كل شرط من هذه الشروط الخمسة يمثل معيارا لقياس جانب من مكونات الرواية، فشرطا العدالة و الضبط يختصان بدراسة حال الراوي في ديانته و حفظه، و شرط اتصال السند يختص بدراسة الكيفية التي تنقل بها المتن من راو إلى آخر، وشرطا انتفاء الشذوذ والعلة يختصان بمضمون الرواية التي نقلها الراوي بشقي مكوناتها -السند و المتن-، وأنها جاءت موافقة لواقع الأمر دون تغيير.

## دقة معايير المحدثين في الدلالة على وزن الرواية:

إذا كانت الشروط الخمسة كما أسلفنا تغطي كل الجوانب التي قد يدخل النقص والزلل منها على الرواية فإن نقاد الحديث قد فصلوا القول في معنى كل شرط، وبينوا مكوناته، حتى أصبح معيارا دقيقا، له أجزاؤه التي يمكن وصفها بأنها مؤشرات، يقاس بها مدى تحقق الشرط، ويستطيع الباحث المتخصص متابعة دقائق التفصيلات، ويستدل بها على الوزن[٢٧]، والدرجة التي تستحقها الرواية في ذلك المعيار.

## العدالة و الضبط:

ففيما يتصل بشخص الراوي تمثل العدالة و الضبط الأساس الذي يبنى عليه قبول رواية الراوي، فلا بد أن يكون عدلاً في نفسه، ضابطاً لما يرويه، وهما معياران قد استخدم النقاد للتأكد من توفرهما، وقياس ما تحقق للراوي منهما مجموعة من المؤشرات، نفصلها فيما يلي:

أولا: عدالة الراوي، وقد وصفها العلماء بكل دقة وبينوا مكوناتها التي تتشكل منها مؤشرات يقاس بها مدى تحقق العدالة أو عدمه، وهذه المؤشرات هي:

- الإسلام، ذلك أن الحديث النبوي دين، لا يؤتمن عليه غير المؤمن بالله وبالنبي صلى الله عليه وسلم المعلن لإسلامه.

- البلوغ والعقل هما مناط التكليف الشرعي، فلا يقبل أداء غير المكلف؛ لكن لما كان الصبي المميز قد يضبط بعض ما سمعه أو شاهده فإن دقة المنهج عند المحدثين قضت بالتفريق بين تحمله و أدائه، فردوا ما أداه في حال الصبا لأنه غير مكلف، وقبلوا ما أداه بعد البلوغ إذا توفرت بقية شروط القبول[٢٨].

- والسلامة من أسباب الفسق وخوارم المروءة، بأن يعرف عنه الاستقامة، ولا يوقف منه على مفسق في دينه، والحكم لراو بتحقيق هذا المؤشر يتطلب انتفاء الجهالة بالراوي، وثبوت تزكيته، فكل من لا

[٢٧] قد سمى الإمام الذهبي رحمه الله أحد كتبه في الجرح و التعديل " ميزان الاعتدال " ، و كتب عليه ابن حجر رحمه الله كتابه لسان الميزان ، هذا يؤكد أنهم يحتكمون إلى موازين تعينهم على الحكم الدقيق ، كما يتعامل أهل الذهب و الفضة بالموازين ، ولا يكيلون كيلا .

[٢٨] انظر: الكفاية / ٧٦ ، وعلوم الحديث / ١٢٩ .

يُعرَفَ فيه تعديل ولا تجريح معين فهو مجهول[٢٩] ، ويدخل فيه من لم يذكر اسمه كقول الراوي حدثني رجل، فهذا لا يقبل حديثه. لأن من أُبْهِمَ اسمُه لا تعرف عينه. فكيف تعرف عدالته وضبطه[٣٠]. والجمهور على رد رواية المبهم حتى لو قال الراوي حدثني الثقة لأنه لا يلزم من توثيق الراوي لشيخه أن يكون كذلك عند غيره[٣١].

ثم إن بيان اسم الراوي و الإفصاح عنه لا يكفي لرفع الحكم بالجهالة؛ بل لا بد أن يروي عنه اثنان حتى ترتفع جهالة عينه، فمن لم يرو عنه إلا راو واحد فهو مجهول العين عند جمهور المحدثين[٣٢].

وثمة أمر ثالث لإزالة الحكم بالجهالة عمن روى عنه اثنان فأكثر ألا وهو تزكيته بأن ينص إمام معتبر غير متساهل على تعديله[٣٣]، أو أن يكون ممن استفاضت عدالته مثل: الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني ومن جرى مجراهم في الاشتهار بالصدق والبصيرة والفهم[٣٤]. فرواية الاثنين فأكثر عن شخص تفيد عند جمهور المحدثين التعريف دون التعديل، ولذلك يبقى في درجة مجهول الحال حتى يُوَّثق، قال الخطيب: "وأقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم كذلك... إلّا أنه لا يثبت له حكم العدالة بروايتهما عنه"[٣٥].

ويتوصل إلى التعرف على عدالة الراوي من خلال المشاهدة والملاحظة، وينص عليها الأئمة الذين عاصروه بما عرفوا عنه من الديانة والخلق، قال الخطيب: "أجمع أهل العلم على أنه لا يقبل إلا خبر العدل، كما أنه لا تقبل إلا شهادة العدل، ولما ثبت ذلك وجب متى لم تعرف عدالة المخبر والشاهد أن يسأل عنهما ويستخبر عن أحوالهما أهل المعرفة بهما إذ لا سبيل إلى العلم بما هما عليه إلا بالرجوع إلى قول من كان بهما عارفا في تزكيتهما فدل على أنه لا بد منه" [٣٦]، وقد بذلوا في سبيل ذلك وسعهم، حتى إنهم ربما طلبوا من الراوي أصل كتابه ليفحصوا الورق و الحبر، ومن أمثلة ذلك ما ذكره زكريا بن يحيى الحلواني قال: "رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات على ظهور كتبه فسألته عنه فقال: رأينا في مسنده أحاديث أنكرناها، فطالبناه بالأصول فدافعنا، ثم أخرجها بعد فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخط طري، كانت مراسيل فأسندها، وزاد فيها"[٣٧] .

---

[٢٩] نزهة النظر ص٤٤.

[٣٠] نفسه /٤٩

[٣١] انظر: علوم الحديث / ١١٠.

[٣٢] يرجح المحققون من المحدثين الاكتفاء بتزكية عالم واحد معتبر ، بل اكتفوا بتعديل من لم يرو عنه إلا راو واحد ، وزكاه أحد أئمة الجرح والتعديل سواء كان هذا المزكي هو الراوي ، أو شخصا غيره. انظر: نزهة النظر / ٥٠، وفتح المغيث ٣١٧/١.

[٣٣] يشترط أن تخلو التزكية من معارضة ، أما إذا عورضت بقول إمام آخر فعندئذٍ يطلب الترجيح حسب ضوابطه .انظر علوم الحديث / ١٠٩

[٣٤] انظر: الكفاية في علم الرواية /٨٦، ٨٧ .

[٣٥] نفسه / ٨٨ ، ٨٩ .

[٣٦] الكفاية / ٣٤

[٣٧] ميزان الاعتدال / ٢ / ٣٦٠ .

و أثبتت أخبارهم وما قيدوه من قواعد للتأكد من سلامة الحكم على الراوي و بعده عن كل ما قد يؤثر في عدالته من المخالفة للراوي في المذهب أو المنافسة بين الأقران ونحو ذلك، مما يورث الاطمئنان إلى صدق الحكم بالعدالة أو نفيها.

هذا هو الطريق إلى معرفة العدالة في الأعم الأغلب، وهناك طرق أخرى سلكوها للتعرف على صدق الراوي غير تزكية المعاصرين من أهمها كاستعمال التاريخ لكشف كذب دعوى السماع، يقول الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا التاريخ"[٣٨]، ويقول حفص بن غياث: "إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين" يعني احسبوا سنة وسن من كتب عنه. والمعتبر في التزكية هو سلامة ظاهر الراوي وسلوكه من كل قول أو فعل يدعو للحكم عليه بالفسق، ويكتفى في الحكم بهذا الظاهر، وتوكل سريرته إلى ربه. ولما كان الراوي غير معصوم فإن واقعية المنهج لم تعتبر الصغائر من المفسقات حتى يصر عليها و يظهرها ويجاهر بها، فإن الله تعالى قال في مقام المدح عن عباده الذين أحسنوا: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم: ٣٢]. فالفاسق الذي ترد روايته هو من عرف بارتكاب كبيرة، أو بإصرار على صغيرة[٣٩].

هذا هو الأصل غير أن المحدثين تعرضوا في موضوع التزكية إلى سلامة الراوي من خوارم المروءة وهي آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات[٤٠].

وتعرضوا إلى سلامة الراوي من البدعة، وهي اعتقاد ما حدث على خلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم (وأصحابه) لا بمعاندة بل بنوع شبهة [٤١]. ولهم في هذا نقاش طويل، وتفصيلات فيما يقدح وما لا يقدح في العدالة من الخوارم والبدع، والباحث المتأمل في تطبيقاتهم العملية يتضح لديه أن العبرة في قبول الرواية عند ذوي الانتقاء من الأئمة هي بصدق الراوي وأمانته والثقة بدينه وخلقه، وسلامة روايته من القوادح، ولذالك رأينا البخاري يروي في صحيحه حديثا في إسناده عمران بن حطّان الخارجي مادح عبد الرحمن بن مُلْجَم قاتل علي رضي الله عنه وهذا من أكبر الدعاة إلى البدعة وقد جاءت الرواية عند البخاري من طريق يحيى بن أبي كثير عن عمران بن حطّان وإنما سمع منه يحيى باليمامة حال هروبه من الحجاج، حيث كان يتطلّبه ليقتله لكونه من دعاة الخوارج[٤٢]. قال الحافظ ابن حجر: "فالمعتمد أن الذي تُرد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه. فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله"[٤٣].

---

[٣٨] الكفاية / ١١٩

[٣٩] انظر فتح المغيث ٢ / ١٥٩

[٤٠] المصباح المنير / ٢١٧ مادة (مرأ) .

[٤١] نزهة النظر / ٤٤ ، وفتح المغيث ٢ / ٢٢١

[٤٢] أخرج البخاري لعمران بن حطّان حديثاً واحداً في المتابعات، وقال بعدما أشار إلى تخريج البخاري له في المتابعات :" فلا يضر التخريج عمن هذا سبيله في المتابعات " انظر: هدي الساري / ٤٣٢ ، ٤٣٣.

[٤٣] انظر نزهة النظر / ٥٠.

ثانيا: الضبط، ويقصد المحدثون بالضبط تيقظ الراوي، وفهمه لما يسمعه فهماً دقيقاً، وثباته على ذلك من وقت التحمل إلى وقت الأداء.

وينقسم الضبط عندهم إلى قسمين: ضبط صدر، وضبط كتاب. فأما ضبط الصدر فهو أن يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء, وأما ضبط الكتاب فهو صيانته عنده من يوم سمع ما فيه, وصححه إلى أن يؤدي منه[٤٤].

ولقد حصر المحدثون الوجوه التي قد يدخل منها الخلل على ضبط الراوي، فوجدوها تعود إلى سبعة أوجه[٤٥] هي:

١ - الجهل بمدلولات الألفاظ ومقاصدها وما يُحيْلُ معانيها عند الرواية بالمعنى فمن اتهم بشيء من ذلك تعيّن عليه الأداء باللفظ الذي سمعه لئلا يقع فيما يَصْرِفُ الحديث عن المعنى المراد به[٤٦].

٢ - سوء الحفظ: ويقصد به أن لا يترجّح جانب إصابة الراوي على جانب خطئه[٤٧]. وهذه الحال قد تكون ملازمة للراوي وقد تكون طارئة عليه، وقد تكون معه في حال دون حال، فيرد حديث الراوي في الحالات التي يسوء حفظه فيها، فإذا كان سوء الحفظ ملازماً للراوي، فالأصل في من هذا حاله عدم قبول روايته، لكن واقعية المنهج عند المحدثين عند التطبيق والحكم على كل رواية بعينها اقتضت اعتبار القرائن، فقد توجد قرينة تقتضي قبول روايته، كما لو تميز بالرواية عن شيخ طالت ملازمته له، وتعمقت خبرته بحديثه، فلا يكون سيء الحفظ فيما روى عن ذلك الشيخ .

أما إذا كان سوء الحفظ طارئا فيسمى صاحبه مختلطا فهذا يقبل من حديثه ما حدّث به قبل الاختلاط، ولا يقبل حديث من أخذ عنه بعد الاختلاط، أو أشكل أمره فلم يُدْر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده[٤٨]. وقد توج المحدثون منهجهم في التعامل مع رواية المختلط ببيان حال الرواة، وصنفوا في ذلك المصنفات ككتاب الاغتباط بمعرفة من رُمي بالاختلاط لبرهان الدين الحلبي (سبط ابن العجمي ت٨٤١هـ)، وكتاب الكواكب النيِّرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات لأبي البركات محمد بن أحمد بن الكيال ت٩٣٩هـ.

٣ - كثرة المخالفة: والمراد بالمخالفة أن يخالف الراوي من هو أوثق منه أو جمعاً من الثقات. فمن كثرت مخالفاته حكم باختلال ضبطه، ومن قلت مخالفاته رد منها ما خالف فيه فقط، ذلك أن الراوي قد يحكم له بالثقة و تمام الضبط لكنه ليس معصوما، فاحتمال الخطأ منه وارد، فالحكم العام عليه بالثقة لا يسوغ قبول روايته حين تقوم القرينة على خطئه. ووجه عد المخالفة قادحا في الضبط هو اعتبار الواقع فالأقوى حفظا، والأكثر عددا من الثقات مقدم على المتفرد المخالف، يقول الإمام مسلم:

---

[٤٤] نفسه / ٢٩

[٤٥] انظر في تفصيل هذه الوجوه كتاب ضوابط الجرح و التعديل للدكتور عبدالعزيز العبد اللطيف ١٤٣: ١٤٩ .

[٤٦] انظر علوم الحديث / ٢١٣ ، ٢١٤

[٤٧] انظر نزهة النظر / ٥١

[٤٨] انظر علوم الحديث / ٣٩١ ، ٣٩٢ .

"اعلم، أرشدك الله، أن الَّذِيْ يدور بِهِ مَعْرِفَة الخطأ فِي رِوَايَة ناقل الْحَدِيْث إذا هم اختلفوا فِيْهِ من جهتين:

أحداهما: أن ينقل الناقل حديثاً بإسناد فينسب رجلاً مشهوراً بنسب فِي إسناد خبره خلاف نسبته التي هِيَ نسبته، أو يسميه باسم سوى اسمه، فيكون خطأ ذَلِكَ غَيْر خفيٍّ عَلَى أهل العلم حين يرد عليهم ...

والجهة الأخرى: أن يروي نفر من حفّاظ الناس حديثاً عَنْ مثل الزهري أو غيره من الأئمة بإسناد واحد ومتن واحد مجتمعون عَلَى روايته فِي الإسناد والمتن، لا يختلفون فِيْهِ فِي معنى، فيرويه آخر سواهم عمن حدث عَنْهُ النفر الَّذِيْنَ وصفناهم بعينه فيخالفهم فِي الإسناد أو يقلب الْمَتْن فيجعله بخلاف ما حكى من وصفنا من الحفاظ، فيعلم حينئذٍ أنَّ الصَّحِيْح من الروايتين ما حدّث الجماعة من الحفاظ، دون الواحد المنفرد وإن كَانَ حافظاً، عَلَى هَذَا المذهب رأينا أهل العلم بالحديث يحكمون فِي الْحَدِيْث، مثل شعبة وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي وغيرهم من أئمة أهل العلم"[49].

وفي ضوء متابعة المحدثين للرواية، ومقارنة سندها ومتنها من راو إلى راو ، لم تكد تمر رواية إلا وقد ميزت ألفاظها، وأعطيت في ميزان القبول أو الرد الحكم المناسب لها، وقادتهم دقة المنهج و النقد إلى أن أعطوا كل صورة من المخالفات وزنا خاصا، واسما خاصا، فالمخالفة التي ينتج عنها تضاد بين الروايتين إن كان الراوي ثقة أو صدوقا ينتج عنها الحديث الشاذ ، وإن كان الراوي ضعيفا فالمنكر. وإن كانت المخالفة بتغيير سياق الإسناد فذاك مدرج الإسناد ، وإن كانت بإدخال موقوف ونحوه في مرفوع فذاك مدرج المتن[50]، وإن كانت بتقديم أو تأخير فالمقلوب.وإن كانت بزيادة راوٍ في الإسناد مع وقوع التصريح بالسماع في الطريق الناقصة في موضع الزيادة فذاك المزيد في متصل الأسانيد، وإن كانت بإبدال راو أو كلمة يتغير بها المعنى ولا مرجح لإحدى الروايتين على الأخرى، فذاك المضطرب، وإن كانت بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط فذاك المصحف و المحرف، على تفصيلات للعلماء في دقائق كل نوع[51].

٤ - كثرة الوهم: والمراد بالوهم: أن يروي الراوي على سبيل الخطأ والتوهّم فَيَصِلَ الإسناد المرسل ويرفع الأثر الموقوف ونحو ذلك[52] فالوهم نوع من الخطأ قَلَّ أن يسلم منه أحد من الحفّاظ المتقنين فكيف بمن دونهم. فإذا كثر وهم الراوي لم يقبل منه إلا ما حدث به من أصل صحيح، وأما إن كان وهمه يسيرا فيرد من حديثه الذي قامت القرينة على أنه وهم.

---

[49] التمييز / ١٧٢

[50] انظر نزهة النظر / ٤٦

[51] نفسه / ٤٧

[52] نفسه / ٤٤ ، ٤٥

٥ - شدة الغفلة: والغفلة هي عدم الفطنة بأن لا يكون لدى الراوي من اليقظة والإتقان ما يميّز به الصواب من الخطأ فيما يروي وما يعرض عليه من الروايات. ويعرف ذلك بأمور منها أن يقبل التلقين، وهو أن توضع له أحاديث ليست من رواياته فيحدّث بها على أنّها من رواياته. والراوي شديد الغفلة لا تقبل روايته و يسمّي حديثه منكرا[٥٣].

٦ - فُحْش الغلط: والمراد به: أن يزيد خطأ الراوي على صوابه زيادة فاحشة يخرج بها عن الاعتبار في المتابعة، فلا يُقَوّي غيره ولا يتقوّى بغيره, ويُعَدُّ ما تفرّد به منكرا كما هو الحال في رواية ظاهر الفسق وشديد الغفلة[٥٤].

٧ - التساهل في تحمل الرواية أو أدائها، و يحكم على الراوي بأنه متساهل في حالات من أهمها:

أ - التساهل في سماع الحديث، أو إسماعه كمن ينشغل بكتابة أو نوم مجلس السماع بما يؤثر على ضبط الرواية ، فإن من عُرِفَ بذلك لم تقبل روايته[٥٥].

وقد عني المحدثون بتسجل تقريرات عن مجالس السماع بالتفصيل، وأحوال السامعين والحاضرين من الانتباه و الغفلة، والحضور و الغياب، والنسخ وعدمه٥٦، يسجل ذلك بواسطة شخص أمين حاذق يسمى "مثبت السماع" ، أو " كاتب الغيبة"، أو " كاتب السماع "[٥٧] .

ب - التساهل برواية الحديث من فرع لم يُقابَل بالأصل، والغرض من المقابلة تفادي سقوط شيء منه أو وقوع خطأ في النقل. وقد اختلف المحدثون في وجوبها، وممن أكد وجوبها القاضي عياض حيث قال: "على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه، وكتاب شيخه الذي يرويه عنه"، "وقال " مقابلة النسخة بأصل السماع ومعارضتها به مُتَعَيِّنة لا بد منها، ولا يحل للمسلم التقي الرواية ما لم يقابل بأصل شيخه، أو نسخةٍ تحقِّق ووُثِق بمقابلتها بالأصل"[٥٨] .

وأجاز ذلك جماعة منهم أبو بكر الخطيب البغدادي ، غير أن الخطيب ذكر أنه يشترط أن تكون نسخته نقلت من الأصل٥٩. و اشترط أبو بكر الإسماعيلي، وأبو بكر البرقاني: أن يُبَيِّنَ الراوي عند الأداء أنه لم يُعارِض بالأصل. فيقول كما قال البرقاني: ((أخبرنا فلان ولم أعارض بالأصل"[٦٠]، واشترط ابن الصلاح شرطا ثالثا وهو أن يكون الناقل للنسخة الفرع من الأصل صحيح النقل قليل السقط[٦١].

---

[٥٣] انظر نزهة النظر / ٤٥

[٥٤] نفسه / ٤٥

[٥٥] انظر الكفاية / ١٥١ ، ١٥٢ ، علوم الحديث / ١٤٥

[٥٦] انظر صورة السماع كما جاءت في آخر المجلد الثامن من السنن الكبرى للبيهقي ٨ /٣٤٦ : ٣٥٠ .و اقرأ ما كتبه الشيخ أبو غدة رحمه الله معلقا على ذلك . الإسناد من الدين / ١٤٤ : ١٤٥ .

[٥٧] الإسناد من الدين / ١٤٥ .و عناية المحدثين بتوثيق المرويات / ٢٠ .

[٥٨] انظر: الإلماع / ١٥٨ ، ١٥٩.

[٥٩] انظر الكفاية / ٢٣٩.

[٦٠] نفسه /٢٣٩

[٦١] انظر علوم الحديث / ١٩٣

ويتعرف المحدثون على ضبط الراوي بالمقارنة بين رواياته وروايات المتقنين، قال الشافعي: "يعتبر على أهل الحديث بأن إذا اشتركوا في الحديث عن الرجل بأن يستدل على حفظ أحدهم بموافقة أهل الحفظ، وعلى خلاف حفظه بخلاف أهل الحفظ له"[٦٢]، يقول ابن الصلاح : "يعرف كون الراوي ضابطا بأن نعتبر روايته بروايات الثقاة المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم، أو موافقة لها في الأغلب، والمخالفة نادرة، عرفنا حينئذ كونه ضابطا ثبتا. وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه، ولم نحتج بحديثه"[٦٣]، ومن أجل ذلك كانوا يكتبون حديث الراوي على الوجوه المختلفة ليتبينوا موضع الموافقة من موضع المخالفة، وليحكم عليه بحسب ما يظهر من ذلك. قال يحيى بن معين: "لو نكتب الحديث من ثلاثين وجهاً ما عقلناه"[٦٤]. وقال إبراهيم الجوهري: " كل حديث لم يكن عندي من مائة وجه فأنا فيه يتيم".

وإلى جانب هذه الوسيلة في الكشف عن مدى ضبط الرواي سلك المحدثون وسائل أخرى من أهمها المذاكرة، كما قال أبوزرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرتُه، فأخذت عليه الأبواب"[٦٥].

ومن صور كشف عن ضبط الراوي الاختبار المباشر كأن يأتي إليه الإمام الناقد فيسأله عن أحاديث، فيحدثه بها على وجه ما، ثم يأتي إليه بعد زمن، فيسأله عن الأحاديث نفسها، فإن أتى بها كما سمعها منه في المرة الأولى؛ علم أن الرجل ضابط لحديثه، ومتقن له، أما إذا خَلَّط فيها، وقَدَّم وأَخَّر؛ عَرَفَ أنه ليس كذلك، وهذا النوع من الاختبار بدأ في زمن مبكر في عهد الصحابة، فقد روى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج فالقه فسائله فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا قال فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فكان فيما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقي في الناس رءوسا جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون قال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال عروة حتى إذا كان قابل قالت له إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى قال عروة فلما أخبرتها بذلك قالت ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص[٦٦]، وسار على هذا النهج المحدثون، ومن

[٦٢] الرسالة / ٣٨٣
[٦٣] علوم الحديث / ٦١
[٦٤] المدخل إلى الإكليل / ٢٧ .
[٦٥] مناقب أحمد لابن الجوزي / ٧٣
[٦٦] صحيح مسلم ، حديث رقم ( ٢٦٧٣ )

ذلك أن عمارة بن القعقاع قال: قال لي إبراهيم: "حدثني عن أبي زرعة فإني سألته عن حديث ثم سألته عنه بعد سنتين فما أخرم منه حرفا"[٦٧].

ومن صور اختبار الرواة لمعرفة ضبطهم أن يُدْخِل في حديث الراوي ما ليس منه، ثم يقرأ عليه ذلك كله، موهمًا أن الجميع حديثه، أو أن يلقن شيئا في السند أو في المتن، لينظر هل سيعرف ويميز، فيرد ما لُقِّنَه، أو لا يميز؛ فيقبل ما أُدخل عليه ،فإن ميز؛ فهو ضابط، وإلا فغير ضابط، أو أن يغرب عليه بالحديث، فيقلب سنده، أو متنه، أو يركب سند حديث على متن حديث آخر، أو العكس، ونحو ذلك من صور الاختبار . ثم إنه بقدر تمييز الراوي الصواب من الخطأ يحكم عليه بما يستحق حسب حِذْقه، وفطنته، وضبطه، أو غفلته، وعدم فهمه، ذلك أن كثرة الخطأ وقلته مسألة نسبية، ترجع إلى كثرة حديث الراوي وقلته، فمن كان مكثرًا وجل أحاديثه صحيحة، وأخطأ في أحاديث قليلة؛ احْتُمِل له ذلك الخطأ، بخلاف من لم يكن عنده إلا حديث واحد وأخطأ فيه، أو أحاديث قليلة فأخطأ في عدد منها فمثل هذا يكون متروكا.

ثم إن النظر لا يقتصر على مسألة القلة والكثرة فقط، بل يُراعَى في ذلك أيضاً نوع الخطأ: فقد يكون الخطأ قليلاً، إلا أنه فاحش، فيذهب بحديث الراوي، كما جاء عن الدارقطني أنه قال في الربيع بن يحيى بن مقسم: حَدَّث عن الثوري عن ابن المنكدر عن جابر قال: جَمَع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الصلاتين، ثم قال: وهذا حديث ليس لابن المنكدر فيه ناقة ولاجمل، وهذا يُسقط مائة ألف حديث"[٦٨].

أما الشرط الثالث من شروط القبول فهو اتصال السند وهو كما تقدم وسيلة للتأكد من عدم خفاء أحد من الرواة كي تطبق عليه قواعد قبول الرواية، وقد خدم هذا الشرط ببيان سير الرواة وطبقاتهم، وتواريخ سماعهم، ووفاتهم وأسماء شيوخهم، وتلاميذهم، كما تكلموا عن طرق التحمل وما يصح منها ويحمل على الاتصال من عدمه، والألفاظ التي ينبغي أن تستخدم للدلالة على طريقة التحمل، وبناء على تلك المعرفة ينكشف أمام الدارس الاتصال من الانقطاع بقسميه الظاهر كالإرسال والإعضال والتعليق، وغير الظاهر الناتج عن الإرسال الخفي حين يروي الراوي عمن عاصره ولم يسمع منه، أو الناتج عن التدليس حين يروي الراوي عن شيخه الذي سمع منه ما لم يسمع منه بصيغة تحتمل السماع .

إن دقة المنهج في هذا الباب فرضت التفصيل في كل عنصر، فجاء كلام المحدثين في هذا الباب تفصيليا من حيث بيان معنى كل نوع من أنواع الانقطاع، وتفصيليا أيضا من حيث بيان حكم كل نوع ، ودرجته من حيث القبول أو الرد، وتفصيليا من حيث بيان أحوال الرواة في هذه الأنواع، وتفصيليا من حيث بيان الحكم على كل حالة من الحالات بميزان منضبط. فالتدليس مثلا ليس نوعا واحدا،

---

[٦٧] العلم لأبي خيثمة / ١٦

[٦٨] تهذيب التهذيب ٢ / ٢٢٧ . وانظر في صور التعرف على ضبط الراوي الجواهر السليمانية شرح المنظومة البيقونية لأبي الحسن المأربي /٦٦:٦١ . دار الكيان للنشر و التوزيع . الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

والرواة المدلسون ليسوا على طبقة واحدة، وحكم أحاديث كل طبقة مختلف عن حكم غيرها، ثم إن هذه التفصيلات منثورة في كتب الرجال لا تخطئها عين الباحث، ولها كتبها الخاصة التي يرجع إليها في حصر الأنواع و الأحوال و الطبقات، ككتاب معرفة أهل التقديس في مراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر.

أما الشرطان الرابع والخامس من شروط الحديث المقبول فهما كما مر انتفاء الشذوذ وانتفاء العلة القادحة، ومبنى اشتراط هذين الشرطين هو أن التزكية العامة في العدالة و الضبط لا تعني الحكم بعصمته، وبراءته من الخطأ في بعض حديثه[٦٩]، وهذا ما يكشفه البحث عن انتفاء الشذوذ والعلة، وذلك بمتابعة هذا الراوي الثقة فيما روى كيف روى، وبدراسة كل حديث بعينه عند كل الرواة الذين رووه، والوقوف من خلال المعرفة التفصيلية بأحوال الرواة، والروايات على الخطأ إن وجد، ذلك أن الحديث قد يستوفي في الظاهر عناصر القبول، فيتوهم الناظر إليه أنه صحيح، ولكنه يحمل في طياته علة قادحة.

إن رد رواية الراوي المتروك أو الكذاب يرجع إلى عدم الأمن من تدخله في الرواية بما يفسدها، واحتمال عدم أدائها على وجهها الصحيح،بأن يقلب إسناداً أو يركب متناً، أو غير ذلك من وجوه الإفساد، وهذا الاحتمال الراجح في رواية المتروك و الكذاب قد يقع على قلة أو ندرة من الراوي الثقة، أو خفيف الضبط؛ لأنه غير معصوم من الخطأ و الوهم؛ فقد يدخل عليه إسناد في إسناد، أو متن في متن، أو غير ذلك من وجوه الوهم التي توقعه في الانحراف بالرواية بزيادة أو نقص أو تغيير، الأمر الذي يوجب ردها و الحكم ببطلانها، والفرق بين الرواة في هذا الأمر إنما هو في كثرة وقوع الخطأ و المخالفة، أو تعمدها، أو قلة الخطأ وعدم تعمده، فالراوي الثقة يقع منه الخطأ على قلة ودون قصد، بخلاف الضعيف والمتروك، فإنه يقع منه كثيراً، ويقع من الكذاب بقصد وعمد، ولهذا ضعفوا الضعيف، ولم يضعفوا الثقة، وإنما ردوا روايته التي أخطأ فيها.

فالحكم على الرواية بالقبول أو الرد، لا يتوقف على حال راويها فحسب، بل يبنى على مدى استقامتها إسناداً ومتناً من عدم ذلك، و يحدد نوع الضعف ودرجته بحسب نوع الخطأ الذي وقع فيه الراوي عند روايته لها، فإذا ثبت خطأ الراوي و عدم مطابقة روايته للواقع لزم أن يحكم على روايته بالرد، لأنه قد ثبت أنها بعينها خطأ، ولا يُعقل أن يُحتج أو يُعتبر برواية قد تُحقق من خطئها؛ لأنه لا وجود لها إلا في زعم ذاك الراوي الذي أخطأ، وبناء على هذا المنطق سار علماء الحديث تنظيرا و تطبيقا؛ فنجد النقاد و كبار علماء الحديث قد حكموا على أحاديث أخطأ فيها بعض الرواة بأنها ضعيفة جداً، أو باطلة، أو لا أصل لها مع أن رواتها الذين أخطأوا فيها من الرواة الثقات، فلم يتقيدوا بحال الراوي المخطيء، وإنما نظروا إلى حال الرواية سنداً ومتناً، ونوع الخطأ الواقع فيهما، أو في

[٦٩] يقول الإمام مسلم : " فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا - وإن كان من أحفظ الناس وأشدهم توقياً لما يحفظ وينقل- إلا والسهو والغلط ممكن في حفظه ونقله" التمييز/ ١٧٠

أحدهما. فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال حدثني عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال قال: قال رجل من اليهود: انطلق بنا إلى هذا النبي. قال: لا تقل: النبي؛ فإنه لو سمعها كان له أربعة أعين وقص الحديث .. فقالا: نشهد أنك رسول الله[٧٠] وقد ذكر عبد الله بن الإمام أحمد، عن أبيه، أنه قال: "خالف يحيى بن سعيد غير واحد، فقالوا: "نشهد أنك نبي"؛ ولو قالوا: "نشهد أنك رسول الله" كانا قد أسلما؛ ولكن يحيى أخطأ فيه خطأً قبيحاً".

فيحيى بن سعيد هو القطان الإمام المتقن، ولكن الإمام أحمد نظر في روايته، وتأملها من حيث المعنى، وقابلها برواية غيره من الثقات؛ فتبين لديه أن يحيى أخطأ فيها، ووصف خطأه بأنه قبيح، فالإمام أحمد لم يعلق الحكم على روايته بما يعرفه من حال الإمام يحيى في الحفظ والإتقان، ولو كان كذلك لما تردد في قبولها.

ومن ذلك: حديث ابن أبي زائدة، عن يحيى بن سعيد، عن مسلم بن يسار، قال: رأى ابن عمر رجلاً يعبث في الصلاة بالحصى، فقال: إذا صليت فلا تعبث، واصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث. قال أبو حاتم وأبو زُرعة : "هكذا رواه ابن أبي زائدة، وإنما هو : مسلم بن أبي مريم، عن علي بن عبد الرحمن المعاوي، عن ابن عمر؛ والوهم من ابن أبي زائدة". ثم قال أبو زرعة: "ابن أبي زائدة قلما يخطئ فإذا أخطأ أتى بالعظائم"[٧١]، فأبو زرعة لم يعلق الحكم على رواية ابن أبي زائدة على حاله في الضبط عنده، وإنما تجاوز ذلك إلى الخطأ الذي وقع فيه حين قلب راوياً براوٍ، وأسقط آخر من الإسناد.

وهذا؛ يدل على أن هذا النوع من الخطأ، إذا تُحقق من وقوعه في الرواية أفضى إلى اطِّراحها، والحكم عليها بالضعف الشديد، والذي يمنع من الاستشهاد بها، ولو كان المخطئ ثقة.

فهذه الحالات و أمثالها كثير لا يقع عليها حصر، ولا تدرك بالنظر العابر، وإنما يدركها الباحث المتخصص بعد البحث، والناقد الجهبذ الذي لديه دراية واسعة بالرجال و بمصطلحات القوم، وحفظ واسع للروايات، ودراية دقيقة بمخارج الأسانيد، وبمن يدور عليه الإسناد في كل بلد، وفي كل طبقة.

ويتضح لنا من هذا البيان لمنهجية المحدثين في الإسناد أنهم لم يقفوا عند مجرد الرواية، وأن جمع الروايات بأسانيدها وطرقها المتعددة لم يكن ترفا علميا، بل كان مقصودا لدى جهابذة النقاد، وقد صاحب الإسناد في كل طبقاته عملية توثيقية بالغة الإتقان في الرواية تحملا وأداء، وفي كتابة الحديث تصحيحا وتدقيقا، وفي الرواة جرحا وتعديلا، وفي معرفة الروايات نقدا وتعليلا.

لقد أتاح الإسناد للنقاد أن يتناولوا النصوص والآثار بمنهجية علمية مبنية على أعلى الشروط من الدقة والموضوعية والأمانة، وقد طور المحدثون منهجهم في النقد، وبنوا له قواعد و أصولا تضبط ممارسته، وتبتعد بالناقد عن الخطأ، وتقلل احتمالات الوقوع فيه.

---

[٧٠] "المسند" (٢٤٠/٤) .

[٧١] علل الحديث / ٢٥٧ .

ثم إنهم توجوا هذه الجهود بتحرير المصنفات المحررة في الحديث رواية ودراية، فصنفوا في أسماء الرجال، وبينوا رتبهم في الجرح و التعديل، و صنفوا في العلل و بينوا أحوال الرجال فيها، وصنفوا مصنفات تبين السنن، ومصنفات مخصصة للأحاديث الصحيحة، ومصنفات للأحاديث الواهية والموضوعة، الأمر الذي يمكن معه معرفة الأحاديث الصحيحة، ويمكن معه أيضا الاطلاع على منهج المحدثين في النقد و الحكم على الأحاديث، وهو منهج يمكن تطبيقه في كل زمان لمن درسه، وأصبحت لديه دراية بمصطلحاته، و دربة في التعامل مع أدواته، و تطبيق أحكامه.

**الخاتمة:**

أوضحت هذه الورقة أمورا أهمها:

- إن الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم من علماء الحديث قد تعاملوا مع الحديث النبوي بصفته الأصل الثاني للتشريع، وأن على المستدل به والمتعامل معه يجب أن يتحقق من صحّة نسبته إلى النبي صلى الله عليه و سلم.

- اتخذ علماء الحديث منهجيا علميا للكشف عن صحة كل كلمة من كلماته، يقوم على أساس تأهل الراوي علميا وأخلاقيا، وهو ما يعبر عنه بالحفظ و العدالة، ثم المتابعة لحال كل راو في روايته.

- إن طلبهم للسند لم يكن إلا لخدمة المتن، والكشف عن حاله أثناء تنقله بين الرواة.

- إن سلامة الراوي من القدح في عدالته وحفظه لا يكفي لقبول جميع مروياته دون فحص لكل رواية بعينها.

- قد اشترط المحدثون شروطا دقيقة لقبول الرويات، ووضعوا موازين ومؤشرات دقيقة للتأكد من توفر هذه الشروط، والتعرف على مقدار ما تحقق من كل شرط، وما تستحقه كل لفظة من تقدير في سلم القبول أو الضع .

- إن هذا العلم قد خدم بالمصنفات الكاشفة عن كل ما يحتاجه الباحث في الحديث النبوي من معايير ومؤشرات تكشف الصواب من الخطأ ،والوهم من اليقين أو الظن الراجح.

# مكانة الصحيحين وموقف خصوم السنة المعاصرين منها

**د. محمد بن علي الغامدي**
أستاذ الكتاب والسنة المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة



**المقدمة:**

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وخصّنا من بين الأمم بقراءة العلم والقرآن المنزل على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فهدانا به من الضلالة، وأنقذنا بنوره من الجهالة، فأرشدنا إلى الدين القويم وسلك بنا إلى الصراط المستقيم صلى الله تعالى عليه، وعلى آله وأصحابه الكرام، صلاة وسلامًا دائمين باقيين إلى يوم البعث والقيام(١).

ثم أما بعد: فإن السنة النبوية - شرّفها الله تعالى - تعرّضت - ولا تزال لموجةٍ عارمةٍ من التشكيك بها تارة، أو إنكارها بالكلية تارة أخرى، أو الطعن في تدوينها، أو حصرها في دائرة ضيقة، يُستأنس بها ولا يعتمد عليها، يجمعها كُلَّها، النظرُ إلى السنة بمنظار لم يعهده السلف المتقدمون، وغالبُ هذه الشُّبَه منقولة عن المستشرقين، والمستغربين من أبناء جلدتنا الذين يقلدونهم في كل شيء، إذ تتلمذوا لهم، وكانوا واسطة في نقل مفترياتهم إلى العالم الإسلامي، ولئن كانت هذه الشبه ليست بجديدة من المستشرقين -لأن المعتزلة والشيعة قد سبقوهم إلى كثير منها- بيد أن ما يجمع بين حديثها وتليدها، هو توهين السنة في النفوس، وإزاحةُ تعظيمها، وقدسيتها، وعدّها أمرًا عاديًا لا يستوجب الاعتناء، فنبغت نابغةٌ من المعتزلة الجدد، الذين استقوا آراءهم الدَحِضة عن السنة ورواتها، من أفكار المتقدمين، من شتى الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة، وأفكار المتأخرين المتسترة وراء التجديد في مناهج دراسة السنة النبوية وتمحيصها، التي هي إعدامٌ لها في الحقيقة، وتعطيلٌ لها عن العمل، ومحاولةُ إبعادها نهائيًا عن واقع الأمة بأساليب ملتوية، مشتملة على نفاق لا يخفى لحْنُه على ذوي الألباب(٢). لقد مُني الإسلامُ من قديم الزمان بأعداء لا ينامون. يُضْمِرُونَ له الكيد وينسجون الخيوط ويحيكون المؤامرات لذهاب دولته وسلطانه. وهؤلاء لما لم يتمكنوا من المجاهرة بالعداوة لجأوا إلى الدسّ والخديعة واتبعوا في سبيل ذلك وسائل متعددة: فَطَوْرًا عن طريق إظهار الحب والتودد لآل بيت الرسول ﷺ، وطورًا عن طريق التأويل في النصوص الدينية تأويلًا لا يشهد له لغة ولا شرع، ومحاولة إبطال التكاليف الدينية، وقد حاول هؤلاء الأعداء أن يشكِّكوا المسلمين في أساس دينهم وهو القرآن الكريم، وكذلك حاولوا أن يشكِّكوا المسلمين في الأصل الثاني وهو السنة النبوية وقد اتخذوا للوصول

---

(١) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ٥١٠).

(٢) ينظر: السنة النبوية وحي من الله محفوظة كالقرآن الكريم للدكتور الحسين بن آيت سعيد (ص: ١).

إلى هذه الغاية الدنيئة أساليب متعددة، فتارةً عن طريق التشكيك في ثبوتها، وأنها آحادية وليست متواترة.

وتارة أخرى عن طريق اختلاق الروايات التي تظهر الأحاديث بمظهر السطحية والسذاجة في التفكير ومخالفة الواقع المحسوس أو العقل الصريح أو النقل الصحيح أو التجربة المسلمة إلى غير ذلك من الأساليب، حتى جاء هؤلاء المغموزون في دينهم وأمانتهم، فأخذوا هذه الطعون والشبهات فنفخوا فيها وزادوا فيها ما شاء لهم هواهم أن يزيدوا، وحمّلوها أكثر مما تحتمل، وطلعوا بها على الناس، ونسبها بعضهم إلى نفسه زورًا، فكان كلابس ثوبي زور، والبعض الآخر لم ينتحلها لنفسه، ولكنه ارتضاها وجعل من نفسه بوقًا لترددها، ومن هؤلاء من ضمّن خطبه ومواعظه هذه الشبهات بل وقوّى من أمرها، وبعض هؤلاء المتلقفين كانوا أشد من أسلافهم هوًى وعصبيةً، وعداءً ظاهرًا للسنة وأهلها، وزاد عليهم الإسفافَ في العبارة، وأتى في تناوله للصحابة بألفاظ نابية عارية من كل أدب ومروءة[٣].

وكان من هؤلاء عدنان إبراهيم في طعونه الكثيرة في السنة المطهرة، ونقلتِها عن نبينا محمد ﷺ، وهم صحابته الكرام رضوان الله عليهم، وعدنان لم يزد على أن أعاد ترديد الشبهات القديمة التي رددها المتاجرون بالشبهات والمفتريات من قديم [٤]. ومن تقريراته الفاسدة قوله: "الفرق في نظري بين القرآن وبين السنة هو الفرق بين المطلق والنسبي، فالسنة فيها جزء كبير جدًا نسبي، فلما تحدث القرآن عن حد السرقة، قال: چ ﯦ ٹ چ [المائدة: ٣٨][٥]، لكن الآن ما هو نصاب القطع؟ القرآن لم يتعرض له لأنه مطلق، فلو تعرض له ستكون مصيبة، ولن يستطيع أحدٌ أن يتجاوز ما تعرض له القرآن، والله قال هذا، ولو حتى في ربع دينار، والآن هذه معضلة كبيرة جدًا، والآن كل الفقهاء المساكين وبكل سذاجة- يقولون بالقطع في ربع دينار، وهذا عندي كلام غير منطقي...، ولن يوافق عليه أيُّ مشرّعٍ قانونيٍ ذكيٍ ومتحرر.." الخ كلامه الذي ينتهي فيه إلى رد ما ثبت في السنة الصحيحة من جعل ربع الدينار مما تُقطع فيه اليد!! وسيأتي سياق نص كلامه والرد عليه في ثنايا هذه الدراسة بإذن الله تعالى، وقد كفانا عدنان إبراهيم مؤنة تجهيله، وإثبات أنه لم يعرف لمجالس العلماء طريقًا، ولم يشهد لهم مجلسًا، بقوله: "أنا شيخ نفسي، أنا رجل تعبت على نفسي منذ نعومة أظفاري، قضيت حياتي كلها في العلم وفي الدرس"[٦].

ولا يخفى كلام أئمة الأنام في خطورة هذا المسلك على العوام، فقد كانوا يمنعون من كانت وسيلته إلى الفقه الكتب من الفتوى ومن التدريس، كما يمنعون من تَلقى القرآن من المصحف من الإقراء[٧].

قال الإمام أبو زرعة الرزاي: لا يُفتي الناسَ صُحُفيٌّ ولا يُقرئهم مُصْحَفيّ[٨].

---

(٣) ينظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ط مجمع البحوث (١/ ٥).

(٤) ينظر: السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق - أنور الجندي (ص: ٨).

(٥) الذي قاله عدنان (فاقطعوا أيديهم)، وهو خطأ كما لا يخفى.

(٦) ينظر: مقابلة له بثتها قناة الجزيرة في برنامج في العمق، وتاريخ الحلقة: ٢٠١٢/٦/٤.

(٧) ينظر: الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم (ص: ٣٣٥).

وقيل: المجذوب: هو من لا شيخ له(٩).

وقيل: من أعظم البلية:تشيّخ الصُحُفية(١٠).

وقال الإمام الشافعي: من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام(١١).

وقال الحافظ ابن جماعة: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق(١٢).

وأحسب أن عدنان إبراهيم قد ضلّ به فهمه، وزلّت في مدارج التلقي والتلقين قدمه، فكانت أطروحاتُه فتنةً لفئامٍ من العوام، وخاصة ممن قلّ علمه، وبُهر بالحياة الغربية التي نحَّت الشرع جانبًا، فأضحى يعاني من عقدة النقص عندما أعشته نظريات الغرب الزائفة، فكان لزامًا على طلبة العلم كشف عواره، ودفع بهتانه عن السنة المطهرة الصحيحة التي حكّم فيها عقله، وحاول بانهزامية مقيتة أن يطوّعها لما وجد عليه غير المسلمين الذين يعيش بين ظهرانيهم، ولسان حاله(إحسأنا وتوفيقًا)، فضلَّ وأضلّ كثيرًا من الشبيبة، فرأيت أن أتناول بهذه الدراسة الموجزة بعض شبهاته التي فاه بها في تسجيلات مرئية مسموعة حول السنة النبوية عمومًا على صاحبها أجلُّ صلاةٍ وسلامٍ وتحية، والصحيحين منها خصوصًا ؛ لأشارك بها في مؤتمر"السنة النبوية وتحدياتها المعاصرة". الذي تنظمه مشكورةً أكاديميةُ الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا في العاصمة الماليزية (مسند:٢)، وقد وسمت هذه الدراسة بـ"مكانة الصحيحين وموقف خصوم السنة المعاصرين منها(عدنان إبراهيم نموذجًا)"، أما ردُّه للأحاديث الصحيحة خارج الصحيحين فبحرٌ لا ساحل له، ومن ذلك ردُّه الأحاديث الواردة في نزول عيسى.وعدّها عقيدة (عجيبة!!)، وعقيدة (يهودية نصرانية!!)، وفيها : (دعم لشبهة الربوبية التي أثّرت على مسار الديانة النصرانية)، وردُّه الأحاديث الواردة في المهدي، وزعم بأن عقيدة المهدي المنتظر خرافة، وأما تناوله للصحابة الكرام، وتوهينه من قدرهم ومكانتهم، فلا يدخل تحت الحصر، وقل مثل ذلك في كلامه على أئمة الإسلام من محدثين وفقهاء وغيرهم، فهؤلاء لا وزن لهم عنده، بل أخذ يفري في أعراضهم بلسانه بعبارات فجة، وأوصاف مقذعة، تنبو عنها الأسماع، وتعف عن ذكرها الألسن، وتتبع كل هذا الزغل ليس محله هذه الدراسة المختصرة، وإن كان الرد عليه فيها تفصيًلا من أوجب الواجبات، ومن أجلّ القُرُبات، بل اكتفيت هنا بالتمثيل على انحرافه وجرأته في حق الصحيحين بالنزر اليسير من الأمثلة ؛ لتدلَّ على غيرها، وما دونهما من باب أولى. وقد وضعت لهذه الدراسة الخطة الآتية:

(٨) ينظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي(٢/ ٩٧).

(٩) ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأحمد بن يحيى القرشي (٨/ ٢١٩).

(١٠) ينظر: تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٤٠). أي الذين تعلموا العلم من الكتب.

(١١) ينظر: تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٤٠).

(١٢) ينظر: تذكرة السامع والمتكلم (ص: ٤٠).

التمهيد: وفيه التعريف بعدنان إبراهيم، وبيان أبرز انحرافاته، ومعالم فكره إجمالاً.

المبحث الأول: مكانة الصحيحين عند أهل السنة.

المبحث الثاني: ردُّ عدنان إبراهيم لنصوص السنة عمومًا بالعقل القاصر والفهم السقيم.

المبحث الثالث: ردُّ عدنان إبراهيم لجملة من الأحاديث الواردة في الصحيحين، أو أحدهما، ومناقشته في ذلك.

الخاتمة، ثم المصادر، والفهارس.

فالله أسأل أن تحظى هذه الخطة بالقبول، لأشرع في كتابتها وتحريرها على الوجه الذي يرضى عنه ربنا جل وعزّ، نصرةً لشريعته، ودفاعًا عن سنة نبيه ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

## التمهيد

## التعريف بعدنان إبراهيم، وبيان أبرز انحرافاته، ومعالم فكره إجمالاً

### التعريف:

هو عدنان إبراهيم أبو محمد، من مواليد معسكر النصيرات، مدينة غزّة، سنة ١٩٦٦م، حيث زاول فيه تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، ليغادره إلى يوغسلافيا، حيث درس الطب في جامعاتها، وبسبب ظروف الحرب، انتقل إلى فيينا أوائل التسعينيات، حيث أتمّ دراسة الطب بجامعتها، والدراسات الشرعية في كلية الإمام الأوزاعي بلبنان، والتي تخرّج منها(١٣).

حصل في سنة ١٩٩٥م، على المرتبة الأولى في تجويد القرآن الكريم على مستوى القارة الأوروبية، شارك في مؤتمرات ولقاءات كثيرة في العديد من الدول، أسّس مع بعض إخوانه جمعية لقاء الحضارات سنة ٢٠٠٠م، وهو يرأسها منذ ذلك الحين وعنها انبثق مسجد الشورى حيث يخطب ويدرّس، ويعرف نفسه بأنه شافعي المذهب, أشعري العقيدة. وليس له من الكتابات ما هو متوفر إلا أن جلّ أعماله متوفر على شبكة الإنترنت وعلى موقعه الخاص(١٤).

### أبرز انحرافاته، ومعالم فكره إجمالاً:

إن تتبع انحرافات وسقطات عدنان إبراهيم من الصعوبة بمكان، نظرًا لأن كل ما يصدره من نتاج فكري يعرضه من خلال صوتيات يصعب استعراضها في زمن قليل ؛ لأنها في مئات الساعات، وحسبي أن أشير إلى بعض ما وقفت عليه من أفكاره، وانحرافاته:

---

(١٣) لم يرد في المصدر بيان الدرجة العلمية التي نالها من كلية الإمام الأوزاعي. وقد كتب أحدهم في أحد المواقع ما نصه: يقول إنه طبيب مع العلم إن عدنان حاصل على الثانوية العامة فقط وبمعدل ضعيف ..ولم يدرس الطب ولا غير الطب أصلا والله أنا من أقرب المقربين له..لكن لا أستطيع أن أبوح بأي كلمه ؛ لأنه والله يستطيع عدنان أن يدمر كل حياتي. اهـ والله أعلم بحقيقة الحال.

يُنظر: http://www.bofawzi.com/2011/10/blog-post_09.html .

(١٤) تنظر ترجمته مع ما فيها من المبالغات والتبجيل: موقع د عدنان إبراهيم: http://www.adnanibrahim.net/adnanibrahim/، والموسوعة الحرة(ويكيبيديا).

١. سوء أدبه مع الله عز وجل: إذ يقول: (ولا يستطيع أحد أن يتدخل في أفكاري، بل أفكاري حرة، الوحيد الذي يستطيع أن يعبث هو الله) [١٥] تعالى الله عما يقوله علوًا كبيرا فوصف الله بالعبث وهو اللعب والتلاعب وهو قدح صريح . ويقول: (يقول ستيفن هبنق: أنا أستهدف النفاذ إلى عقلية الخالق)، يقول عدنان معلقاً: (اللغة تساعده في ذلك يا أخي لا تكن سلفيًا، خذ المعنى، الله يخليك معنى كلامه صحيح) [١٦]، فهو هنا يصحح لهذا الملحد قوله الكفري في الوصول لعقل الخالق، مع إقراره بإثبات الملحد أن لله عقلًا ويستطيع النفاذ إليه!!

٢. يذكر أنه من المعجبين بنظرية التطور لتشارلز داروين ويقول إنها سحرته وأعجبته مذ كان غلاماً صغيرًا، وعنده استعداد للموافقة على ٩٩ % من مضمونها [١٧].

٣. سوء أدبه مع النبي ﷺ: إذ يقول: والنبي ﷺ لما جاءه الوحي خاف وجاء لخديجة خشي أن الذي جاءه شيطان، والنبي ﷺ مش عارف فكرُ(أي: ظنه) شيطان يلعب عليه[١٨]. فانظر لقدحه في رسول الله ﷺ بأنه جاهل لا يعرف مانزل به، وانظر قدحه في جبريل عليه السلام ووصفه بالشيطان. وفي قصة إرسال النبي ﷺ ابن عباس لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين، قال له النبي ﷺ: «اذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: «اذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: «لا أشبع الله بطنه»[١٩]. يقول عدنان: لذلك كان النبي نزقاً متقلب المزاج فدعا على معاوية[٢٠]. والنزق: خفة في كل أمر، وعجلة في جهل وحمق[٢١]. فانظر بما وصف به نبيك ﷺ !!.

٤. سبه للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وسوء أدبه معهم: وهذا بحر لا ساحل له لدى عدنان، يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: لا يبسط لسانه فيهم إلا من ساءت طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين[٢٢]. ويقول العلامة ابن الوزير: لما علم رسول الله ﷺ أن سوف تُجهل حقوقهم ويُستحل عقوقهم حذر من ذلك وأنذر، وبالغ ﷺ في ذلك وأكثر(٢٣). وكلام عدنان في تجريحهم والتنقص منهم جماعات وأفرادًا أكثر من أن يُحصر، ومن ذلك قوله: قبل نزول الحجاب كان النبي ﷺ يأكل، وأزواجه معه، والصحابة يجلسون، وبعضهم ما يستحي فيأكلون مع النبي، وزوجة النبيﷺ وأحياناً تجول يد الصحابي في الإناء فتلمس يده يد أم المؤمنين، والنبي ﷺ يرى ذلك ولا يعجبه هذا الفعل، فيهم من يبحث عن اللحم والمرق، قال

---

(١٥) ينظر: خطبة له بعنوان: التسامح.

(١٦) ينظر: محاضرة له بعنوان: علم الارتياب.

(١٧) يُنظر: (https://www.youtube.com/watch?v).

(١٨) ينظر: محاضرة له بعنوان: التعريف بالفلسفة.

(١٩) رواه مسلم (٢٧/٨).

(٢٠) ينظر: سلسلة معاوية ابن أبي سفيان.

(٢١) ينظر: لسان العرب/حرف النون والزاي(٣٥٢/١٠).

(٢٢) ينظر: الإمامة والرد على الرافضة (ص: ٣٧٦).

(٢٣) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١٨١/١).

عمر: لو أمرت نساءك أن يحتجبن[٢٤]. لو أن عمر بعث اليوم عند هؤلاء الحمقاء-يقصد من يرون عدالة الصحابة أجمعين-لقالوا عمر الفاسق المجرم حاله كحال عدنان إبراهيم يسب الصحابة، وأقول: أنتم هبالان ولا تفهموا فالنبي ﷺ يعرف أن في الصحابة الفاجر والمنافق وملعون الوالدين، فالله سمّاهم في سورة الأحزاب (في قلوبهم مرض) أي يشتهي شغلات ويفكر بشغلات ويحب ينظر لزوجة النبي ﷺ ويحب يلمس يدها لا وهو صحابي ولكن فاجر حقير[٢٥]. ويقول:وكان بين طلحة وعائشة علاقة حب وهم صغار[٢٦]. ويقول: نقطع أن من الصحابة من لم تكن نيته لا الله ولا رسوله ولا الدار الآخرة، ومنهم من غيّر وبدّل[٢٧]. ويتهم عمر بن الخطاب بأنه كان يعرف أن ابنه عبد الله بن عمر (نسونجي) لا يصلح للخلافة، ويطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويصفها بأنها جاهلة، ويقول إنها مترجلة(رَجُلَةٌ)، تتشبه بأفعال الرجال[٢٨]. ويقول: عنها اشتراها معاوية بالمال حتى تسكت[٢٩].

٥. سبه لعلماء الإسلام، وأئمته الكرام: فقد بالغ في السب ووصفهم بأقبح الأوصاف وشبههم بالحيوانات، إذ يقول:لا يزال بعض المشايخ أقصد حاخامات أمة محمد هؤلاء المشايخ شهداء الزور عيب والله يقال علماء دين هؤلاء سفلة وهم يفصلون الفتاوى للحكام[٣٠]. ويقول: وقال بعض السفهاء في قوله تعالى: (أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩) [البقرة:

٦. ١٩٠]، قال هؤلاء السفهاء: هذه الآية منسوخة بآية السيف) [٣١]، فهو يصف القائلين بالنسخ وعلى رأسهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٣٢] من أتباع التابعين بالسفه!!، ويقول: ابن تيمية ناصبي، وابن حزم ناصبي، وابن حجر الهيتمي هواه أموي، والذهبي هواه أموي، ومتهم بالنصب، وابن كثير، وابن عساكر مؤرخي بني أمية. ويقول: مشايخ اليوم استحي أن أقول عنهم أنهم نساء ولا صبيان ولا حقران بل هم ذباب وصراصير وأرانب[٣٣]..!! ويقول مشايخ اليوم حمير وضُلاَّل لا تقوى ولا ورع ولا إنصاف ويكذبون علينا[٣٤] وبعد: فكيف يقدح بالآخذين بتركة المصطفى

---

(٢٤) رواه البخاري (٣٩٣).

(٢٥) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٩.

(٢٦) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٩).

(٢٧) ينظر: سلسلة العدالة/٦).

(٢٨) ينظر: محاضرة له بعنوان: دعوة للخروج من الأطر التفكيرية.

(٢٩) ينظر: سلسلة العدالة/٦). وحقيقة الشيعي عدنان إبراهيم لعبد الكريم القلالي مقالة منشورة على موقع: http://hespress.com/writers/59839.html.

(٣٠) ينظر: محاضرة له بعنوان: كربلاء بين الفاجعة والكارثة.

(٣١) ينظر: محاضرة له بعنوان: حكم لعن المعين.

(٣٢) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٣).

(٣٣) ينظر: محاضرة له بعنوان: حكم لعن المعين.

(٣٤) ينظر: النقل بواسطة مقالة بعنوان:حقيقة الدكتور عدنان إبراهيم المتشيع لداود العتيبي من موقع صيد الفوائد.

الناشرين لها المدافعين عنها، ولا معصوم منهم عن الخطأ، ولعلي أذكر بعض أقوال العلماء فيمن قدح بأهل العلم ومنارات الهدى: قال الإمام عبد الله بن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته[٣٥]. وروي عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات[٣٦]. وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل[٣٧]. وقال الإمام الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب[٣٨].

٧. سلاطة لسانه وبذاءته في خطبه ومحاضراته: وهذا بحر لا ساحل له، فهو يتحدث بلغة هابطة، بعيدة عما يجب أن يكون عليه المسلم، فضلًا عن طالب العلم والعالم من أدب في الخطاب، وعفة في اللسان، ويعظم الخطب، ويفحش الجرم إذا كان من يقرعهم بخطابه، ويلمزهم بشتائمه هم خير الناس بعد الأنبياء، وهم صحابة النبي ﷺ رضي الله عنهم، كما مضى ذكر شيء من كلامه الفجّ البذئ فيهم، ومن ذلك أيضًا: قوله: "فالنبي ﷺ يعرف أن في الصحابة الفاجر والمنافق وملعون الوالدين"[٣٩]. وقوله: "لا هو صحابي ولكن فاجر حقير"[٤٠]. فانظر لبذاءة لسانه، وقذارة كلامه في حق أشرف الخلق بعد الأنبياء ولا يستغرب هذا ممن لا يحسن الأدب مع الله تعالى فضلًا عن صفوة خلقه وأشرف عباده!!. يقول: "وأنت ترضى على معاوية الله يحشرك معه يا أهبل يا أحمق الحمقاء"[٤١]. ويقول في أبي هريرة رضي الله عنه: "هناك صحابي لن أذكر اسمه حتى لا يقولوا يطعن فيه-وقد فعل- ماذا أصنع فقد ثبت ذلك عنه، هذا الرجل كل يوم يأتي عند النبي ﷺ يريد أكل، كل يوم رايح جاي رايح جاي، قال له النبي ﷺ: يا أخي شوف غيري شوف أبا بكر شوف عمر شوف أبا ذر فالنبي ﷺ لم يستطع تحمل ذلك كل يوم تلازمني فقال له: يا أبا فلان-يقصد أبا هريرة- زرنا غبًا تزدد حباً"[٤٢].

٨. بهذا التهكم والسياق يتحدث عن ناقل سنة رسول الله، فلا غرابة فهو ديدن الرافضة الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه. وفي مقابل ذلك، نجده متأدبًا مع أهل الإلحاد والزندقة، متلطفًا مع أهل البدع الغلاة، حتى وإن قالوا بالكفر الصريح كما مضى في الفقرة الأولى، بل ويلتمس الأعذار لهم وهذا ظاهرٌ في خطبه ومحاضراته، ومن ذلك: قوله عن نيوتن: كان نيوتن مؤمناً إلى حد

---

(٣٥) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر لابن عساكر(٣٢/ ٤٤٤) ، سير أعلام النبلاء للذهبي(٨/ ٤٠٨).

(٣٦) ينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي(١٠/ ٢٣٧).ويروى عن الإمام أحمد أيضاً.

(٣٧) ينظر: متن العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨٢).

(٣٨) ينظر: الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي(ص: ١٩٧).

(٣٩) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٩).

(٤٠) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٩).

(٤١) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٤).

(٤٢) ينظر: محاضرة له بعنوان: تفسير سورة الأحزاب/ ح ١٩).وقد قومت كلامه الملحون ؛ لأنه يتحدث بلغة عامية ، مثل: شف أبو بكر ، شوف أبو ذر... وهكذا ، فصوبتها وغيرها ، كما ترى.

الورع بالله[٤٣]. انظر كيف وصفه بالإيمان!!. ومن ذلك تقديسه لـ(ستيفنق)، حيث عقد محاضرة مدح فيها مقولاته وآراءه[٤٤].[٤٥]. وينقل كلاما لأحدهم: "الرب مختلط بالإنسان والإنسان متمثل بالإله". فيعتذر له ويتسمح[٤٦].

٩. لديه انهزامية شديدة أمام غير المسلمين، ويصرح أنه يجد حرجاً شديدًا من بعض ما تقرره النصوص الشريعة، ولذا يلجأ للالتفاف عليها، وردها من كل وجه، وهذا بحر لا ساحل له عنده.

١٠. دعوى العقلانية في الطرح: فمن المحفوظ المتكرِّر في أقواله ادعاؤُه العقلَ والفكر، وأنه هو الأصل الذي ينبغي أن يُرجَعَ إليه، وبهذه الدعوى التي يعتقد أنَّه قد تفرَّد بها عمَّن خالفه، زرع في نفوس المخدوعين به عدمَ عقلانية ما عند عموم أهل السنَّة مما خالفهم فيه، وتجرَّأ وجرَّأ غيرَه على تأويل نصوص كتاب الله، وتأويل أو ردّ الصحيح من سنَّة رسوله ﷺ بدعوى مخالفتها للعقل، وتكمن خطورةُ هذا الأصل وخطؤُه الفاضح أنَّه مبنيٌّ على شفا جرفٍ هارٍ، فإنَّه لا يمكن لعدنان إبراهيم ولا غيره أن يذكر ضابطًا تجتمع به العقولُ التي يمكن ردُّ النصوص الصريحة أو تأويلها، فما الدليلُ أن ما ذهب إليه موافقٌ للعقل الصحيح لا للعقل الفاسد؟!

١١. التهوين من مكانة السُنَّة النبوية، والتشكيك في حُجِّيَّتها، ثم استسهال ردِّ الأحاديث الصحاح بها: وهذا الاستدلال عليه من كلامه كثير؛ من تكرُّرِ تأكيده عليه بقوله: "يكفينا كتاب الله"، ونحو ذلك، ومثل هذا يورث في نفوس محبِّيه الاستهانةَ بصحيح السنَّة؛ كما فعل هو في تشكيكه بالصحيحين فضلًا عن غيرهما، كما سيأتي.

١٢. توهينه وتهوينُه من إجماع مجتهدي علماء المسلمين على أمرٍ من الأمور: فهو لا يلتزم بحُجِّيَّة شيءٍ من النصوص المخالفة لهواه، أو لفهمٍ لنصٍّ من تلك النصوص ولو أطبق عليه علماءُ السنَّة وأجمعوا عليه، وتكمنُ خطورة هذا الأصل في تحريضه الناسَ على مخالفة الإجماع دون حرجٍ أو مَلامٍ، فيخرج لنا كلُّ متعاقِل ليفهمَ نصًّا مخالفًا لأقوال السَّلف والخلف، أو يردَّه وإن احتجوا به بإجماعٍ!

١٣. وقوعه تحت تأثير سلطة وضغط الحضارة الغربية: بل هلعه من طعن الملحدين واليهود في هذا الدين، وهذا امتزج مع عقلانيَّته التي يمدح نفسَه بها، فضغط ذلك عليه حتى صار يقدِّم التنازلاتِ عمَّا يؤمن به من نصوص الوحيين؛ من أجل أن يُقنع عقلَه المحدود ويقنع الملاحدة الأذكياء بعقلانية هذا الدِّين بزعمه، فهو كثيرًا ما يشير إلى خجله وخوفه من سخرية هؤلاء بما هو عليه إن سلّم عقله للمحكم الثابت من النصوص!

---

(٤٣) ينظر: محاضرة له بعنوان: سلسلة العدالة /٦.

(٤٤) ينظر: محاضرة له بعنوان: خطبة ستيفنق هوبنق.

(٤٥) أفدت في كل هذا من مقالة للأستاذ عبد الملك بن عبد الله العبد الكريم بعنوان: عدنان إبراهيم وصحابة النبي الكريم ، منشورة في موقع: طريق السنة. (http://sunnahway.net/node/1120).

(٤٦) ينظر: النقل بواسطة مقالة بعنوان:حقيقة الدكتور عدنان إبراهيم المتشيع لداود العتيبي من موقع صيد الفوائد.

١٤. سعيه الحثيث لإذابة الفوارق الكبرى بين أهل السنة والجماعة من جهة والفرق الضالة من الرافضة، والإباضية، والزيدية، والمعتزلة من جهة أخرى، بل ودفاعه المستميت عن دولة الرفض في إيران: ولعلَّ أبرز ما قدَّمه للرافضة سياسيًّا مدحُه وهُيامُه بحكومة الصفويّين في طهران، والذين قال عنهم: "إنهم مسالِمون"، و"لم يؤذوا أحدًا من جيرانهم طيلة مائة وخمسين عامًا"!

١٥. تظاهره بقبوله جميع الأطياف إلا أهلَ الحق الذي يعرف أنهم يكشفون أمره: وهذا يُلحظ جليًّا في كثيرٍ من خطبه ومحاضراته مع عدم خفاءِ ما يرسله بتشنُّجه وقبضة يده المرفوعةِ، ورفع صوته بانفعال متظاهرٍ بالغيرة، من سهام مسمومةٍ مليئةٍ بما تنبو الأسماعُ عنه من سَيْلِ تهكُّمٍ وسخرية ولَمْزٍ وشتم، وأسلوب أقرب إلى هيشات الأسواق وكلام السُّوقة.. كل هذا وهو يخاطب أهلَ العلم المخالفين له أو يردُّ عليهم! فلا علم صحيح ولا أدب ولا حِلْم! ولا التزام بدعوى الانفتاح على الطرف الآخَر!، وفي الوقت ذاته ترى انفتاحه وعاطفيته الحميميَّة الجيَّاشة مع الملحدين والصفويين!

١٦. ازدواجيَّته في اختيار أقوال العلماء وتصرُّفه في نقلها: وهذه الانتقائية المِزاجيَّة لا ضابط لها إلا الهوى! وقد تقدَّم التنبيه على نظيرتها، وأنَّه لا ضابطَ لديه في الاحتجاج بالعقل أو أحاديث الآحاد أو ردِّهما. لذا تجد من ثمار هذه الازدواجية أن يحتجَّ بقول فلان في بعض ما يذهب إليه، وإن كان ذاك القولُ معلومًا شذوذُه وتفرُّدُ صاحبه به، ثم تراه في مواضع لا يبالي بإجماع الأمَّة كلها، ويهوِّن من شأنه، ويضرب به عُرض الحائط.

١٧. خطؤه أو مغالطته - إن لم أقل تدليسه وكذبه - في نقل أقوال بعض العلماء للاستدلال على مراده: وهذا يفعله بسَوْق شيءٍ من كلامهم لا يدلُّ على مطلوبه، إمَّا بفهمه فهمًا خاطئًا، أو التحكُّم في تفسيره، أو سَوقه بنوع تدليسٍ ليكون حجَّةً له[٤٧]. ومن ذلك قوله: (عند علي بن المديني لم يصح حديث عن رسول الله في أن أهل بدر من أهل الجنة .. ولا صح حرف منه عند علي بن المديني). واحتج لذلك بما ذكره من أن علي بن المديني رفض الشهادة لأهل أحد بالجنة. مع أن علي بن المديني قد صحح حديث علي بن أبي طالب، مرفوعًا: «فما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، إذ قال: "وقد روي عن علي من وجوه صحاح" [٤٨]، ولكنه جهل أو تجاهل مراد علي بن المديني فيما يروى عنه، ولذا خبط وخلط خلطًا كبيرًا في هذا المقام[٤٩].

---

(٤٧) الوجوه من (٩ - ١٦) مستفادة من رد مقتضب للشيخ عدنان بخاري، وسمه ب (طليعة القول القويم في الرد على عدنان إبراهيم)، وهو على شبكة المعلومات.

وهذا رابطه (http://sunnahway.net/node/1349).

(٤٨) ينظر: مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٦١٣) ، والحديث قال ابن كثير في تخريجه:حديث عليّ بن أبي طالب مخّرج في الصحيحين.

(٤٩) ينظر ردًا عليه في هذا النقل ، في مقالة بعنوان(حاتم الشريف يكشف بعض أخطاء عدنان إبراهيم في تعامله مع الصحيحين)، منشورة في موقع صيد الفوائد (http://www.saaid.net/bahoth/175.htm). وللدكتور حاتم الشريف مناقشات وردود عليه منشورة في حسابه على الفيسبوك.

١٨. تعالمه، وتشبعه بما لم يُعط من معرفة وتحقيق وتوثيق، بحيث يعطي لسامعه إيحاءً قويًا بأنه عالم موسوعي، قد جمع وأوعى من العلوم والمعارف، وهذا أمرٌ لا يتبدّى للسامع من أول وهلة، بل لا بد أن يكون من طلبة العلم، ثم إنه يحتاج إلى أن يسمع له كثيرًا، وبكل أسف فقد نفق أمره على كثيرٍ من مريديه والمعجبين به، بله ومن غيرهم أيضًا(٥٠).

١٩. التناقض والاضطراب سمة من سمات عدنان إبراهيم، ذلك أنه يقرر بعض القضايا في موضع، ثم ينقضها ويتنكر لها في موضع آخر، بل قد يكون هذا الاضطراب والتهافت في المحاضرة، أو الخطبة الواحدة، ومن ذلك ما سيأتي في المبحث الثالث من تقريره في خطبة(مشكلتي مع البخاري) أنه لا يوجد في صحيح البخاري من الأحاديث المردودة سوى أحاديث قليلة جدًا، ثم نقض هذا في آخر خطبته بقوله: إن فيه مئات الأحاديث المردودة!!.

٢٠. وأخيرًا: فإن المطالع لابد أن يكون على بالٍ بأن عدنان إبراهيم لم يأت بجديد أبداً، وإنما غاية ما جاء به هو ترديد شبهات بالية أفرزتها زبالاتُ أذهانٍ كليلة، فهو يردد ما قاله أهل البدع من العقلانيين قديمًا وحديثًا، وإن أردت برهان ذلك، فخذ شبهاته التي يثيرها في سائر القضايا المتعلقة بالسنة وغيرها، فستجد أنه مسبوق بما قال(٥١).

## المبحث الأول

## مكانة الصحيحين عند أهل السنة

إن الحديث عن الصحيحين ومكانتهما ينبغي أن يتناول جانبين:

أولهما ما يتعلق بمنزلة أحاديثهما.

والثانية: ما يتعلق برجالهما، ولذا سأجعلهما في مطلبين:

**المطلب الأول: مكانة أحاديث الصحيحين:**

لقد تتابع علماء الإسلام على التنويه بمكانة الصحيحين، ومنزلة مؤلفيهما، وهما الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، والإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ومما جاء عنهم في ذلك:

١. قول الحافظ أبي عمرو ابن الصلاح(ت: ٦٤٣هـ)، ونقله عنه الإمام النووي مقرا له ومؤيدا: جميع ما حكم مسلمٌ بصحته في هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته، والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر، وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه. وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول،

---

(٥٠) لعل المطالع يجد في ثنايا البحث بعض النماذج على ما ذكرت ، وينظر: ("عدنان إبراهيم" بين العلم والتعالم)، للباحث ساعد بن عمر غازي، مقالة على شبكة طريق السنة على شبكة المعلومات (http://sunnahway.net/node/1990)، ومما ذكره من تعالمه: جهله بمراد ابن الأثير في أسد الغابة بمصطلح ( أخرجه الثلاثة).

(٥١) ينظر بعض كلامه والرد عليه للشيخ محمد حسان بعنوان: الرد المدمر على إنكار عدنان إبراهيم حجية السنة (http://www.youtube.com/watch?v=3Rl-OwWenK8).

سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه في الإجماع[٥٢]. وقال ابن الصلاح أيضًا: أعلاها - أي أعلى أقسام الصحيح - هو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا: صحيحٌ متفقٌ عليه، يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة لكن اتفاق الأمة لازم من ذلك، وحاصل معه لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وهذا القسم مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقعٌ به، خلافًا لقول من نفى ذلك[٥٣].

٢. وحكاه السيوطي عن عدة من المحققين، فقال: " نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح عن جماعة من الشافعية ؛ كأبي إسحاق، وأبي حامد الإسفراييني، والقاضي أبي الطيب، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وعن السرخسي من الحنفية، والقاضي عبد الوهاب من المالكية، وأبي يعلى، وأبي الخطاب، وابن الزاغوني من الحنابلة، وابن فورك، وأكثر أهل الكلام من الأشعرية، وأهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة؛ بل بالغ ابن طاهر المقدسي في صفة التصوف، فألحق به ما كان على شرطهما، وإن لم يخرجاه"[٥٤].

٣. وقال الحافظ أبو نصر الوائلي السجزي: أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما روى عن النبي ﷺ قد صح عن رسول الله ﷺ قاله لا شك فيه أنه لا يحنث وان المرأة بحالها في حبالته [٥٥]. قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني(ت٤١٨هـ): أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها[٥٦]. وقال أبو المعالي الجويني إمام الحرمين(ت ٤٧٨ هـ): لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في الصحيحين مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق، لإجماع المسلمين على صحته[٥٧]. وقال الإمام النووي: اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول[٥٨]. وقال في موضع آخر: أجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين[٥٩].

٤. قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ): جمهور ما في البخاري ومسلم مما يقطع بأن النبي ﷺ قاله..؛ ولأنه قد تلقاه أهل العلم بالقبول، والتصديق؛ والأمة لا تجتمع على خطأ؛ فلو كان الحديث كذباً في نفس الأمر - والأمة مصدقة له قابلة له - لكانوا قد أجمعوا على تصديق ما هو في نفس الأمر كذب؛ وهذا إجماع على خطأ، وذلك ممتنع.... فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم

---

(٥٢) ينظر: المنهاج شرح مسلم ابن الحجاج (١/ ١٩).

(٥٣) ينظر: علوم الحديث (ص: ٤١ - ٤٢).

(٥٤) ينظر: تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٦٦).

(٥٥) ينظر: مقدمة شرح مسلم للنووي ( ١/ ١٩).

(٥٦) ينظر: فتح المغيث للسخاوي(١/ ٥١).

(٥٧) ينظر: صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح (ص: ٨٦) ، شرح النووي على مسلم (١/ ١٩) ، فتح المغيث للسخاوي(١/ ٥١).

(٥٨) ينظر: مقدمة شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠).

(٥٩) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات(١/ ٧٣).

بالحديث كما أن الاعتبار في الإجماع على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة(٦٠). وقال مرة: هو مذهب أهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة(٦١). وقال الحافظ صَلاح الدين العلائي(ت: ٧٦١ هـ): الأمة اتفقت على أن كل ما أسنده البخاري ومسلم في كتابيهما الصحيحين، فهو صحيح لا ينظر فيه(٦٢). وقال علامة الهند ولي الله الدهلوي(ت: ١١٧٦ هـ): أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأنه كل من يهون من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين(٦٣). وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني(ت: ١٢٥٠ هـ): واعلم أن ما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما جاز الاحتجاج به من دون بحث لأنهما التزما الصحة وتلقت ما فيهما الأمة بالقبول(٦٤). وقال العلامة أحمد بن محمد شاكر(ت:١٣٧٧هـ): الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين، وممن اهتدى بهديهم، وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف،وإنما انتقد الدار قطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث،على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه، وأما صحة الحديث نفسه، فلم يخالف أحد فيها، فلا يهولنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين، أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة، وتتبع الأحاديث التي تكلموا فيها وانقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلم، واحكم على بينة والله الهادي إلى سواء السبيل(٦٥). وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني(ت:١٤٢١هـ): والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم، فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة، على قواعد متينة وشروط دقيقة، وقد وفقوا في ذلك توفيقًا بالغًا لم يوفق إليه من بعدهم، ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح ؛ كابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وغيرهم، حتى صار عرفًا أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة، ولا ريب في ذلك، وأنه هو الأصل عندنا(٦٦).

٥. وقال العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز(ت:١٤٢٠هـ): الذي عليه أهل العلم هو تلقي أحاديث الصحيحين بالقبول والاحتجاج بها كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر، والحافظ ابن الصلاح وغيرهما، وإذا كان في بعض الرجال المخرج لهم في الصحيحين ضعف فإن صاحبي

---

(٦٠) ينظر: مقدمة في أصول التفسير(ص: ٦٧)، وضمن مجموع الفتاوى(٣٥١/١٣)، و(١٨/ ١٧، ٢٢، ٤٠، ٤١، ٤٨)، ورفع الملام(ص: ٦٩)، وضمن مجموع الفتاوى(٢٠/ ٢٥٧).

(٦١) نقله عنه الحافظ ابن كثير، ينظر: اختصار علوم الحديث(ص٣٥، ٣٦).

(٦٢) ينظر كلامه في النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح (ل ٢/ ٢).

(٦٣) ينظر: حجة الله البالغة(١/ ٢٨٣).

(٦٤) ينظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار(٢٢/١).

(٦٥) ينظر تعليقاته على مختصر علوم الحديث لابن كثير (ص: ٣٥).

(٦٦) ينظر: مقدمة تحقيق شرح العقيدة الطحاوية للألباني (ص:١٧).

الصحيح قد انتقيا من أحاديثهم ما لا بأس به، مثل: إسماعيل بن أبي أويس، ومثل عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وجماعات فيهم ضعف لكن صاحبي الصحيح انتقيا من أحاديثهم ما لا علة فيه؛ لأن الرجل قد يكون عنده أحاديث كثيرة فيكون غلط في بعضها، أو رواها بعد الاختلاط إن كان ممن اختلط، فتنبه صاحبا الصحيحين لذلك فلم يرويا عنه إلا ما صح عندهما سلامته. والخلاصة : أن ما رواه الشيخان قد تلقته الأمة بالقبول، فلا يسمع كلام أحد في الطعن عليهما رحمة الله عليهما، سوى ما أوضحه أهل العلم كما تقدم(٦٧).

قلت: والمنقولات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها فما ذكرته فيه كفاية إن شاء الله تعالى(٦٨)، والمقصود هنا إثبات أن أحاديث الصحيحين مجتمعين أو منفردين تفيد العلم النظري لأن الأمة تلقتها بالقبول وحصل الإجماع على صحة ما فيهما، وعليه فالنظر في أسانيدهما من الخطأ البين.

فائدة: استثنى الحفاظ من إفادة أحاديث الصحيحين - مجتمعة أو منفردة - العلم النظري مواضع معروفة انتقدها الحفاظ خاصة الدارقطني رحمه الله تعالى في تتبعاته(٦٩).

قلت: ويمكن أن يُصنف المتكلمون في أحاديث الصحيحين أو أحدهما على النحو الآتي:

أولًا: بعض الحفاظ من أهل العلم المتقدمين ممن تأخروا عن الشيخين.

ثانيًا: بعض المعاصرين، وهم أنواع:

أ- منهم أهل علم يَهْوَى الطعن ليُعرف.

ب- ومنهم المحسوب على أهل العلم، يتبع أسياده من الغرب الذين درس عندهم، وتخرج على موائدهم.

ج- ومنهم الجاهل.

د- ومنهم من كان منحرفًا وملحدًا، ثم صار في عشية وضحاها -في نظره ونظر أمثاله- من شيوخ الإسلام الداعين إلى التجديد(٧٠).

- ويمكن حصر أهداف المعاصرين فيما يلي:

أولًا: الحقد على الشيخين.

ثانيًا: الطعن في السُّنَّة وتشويهها، ومن ثم هدمها والقضاء على المصدر الثاني للتشريع الإسلامي -كل ذلك تحت شعار الاجتهاد والتجديد في الفكر وإحياء المناظرات واستمرار الحوار.

---

(٦٧) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/٦٩).

(٦٨) ينظر للاستزادة كتاب(مكانة الصحيحين)لفضيلة الشيخ الدكتور خليل ملا خاطر.

(٦٩) صنف الحافظ الدارقطني كتابه التتبع ، انتقد فيه ثمانية عشر ومائتي حديث من أحاديث الصحيحين ، مما يرى أن له علة،وطبع بتحقيق الشيخ العلامة مقبل الوادعي في أطروحته للماجستير.وينظر: نزهة النظر (ص:٩).

(٧٠) ينظر: منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر للدكتور على عبد الباسط مزيد (ص: ٣١٤).

ويمكن أن يقال أيضاً بأن الذين انتقدوا الصحيحين على صنفين:

الصنف الأول: بعض المعاصرين، وأكثرهم من المبتدعة، كأهل المدرسة العقلية، والإباضية، والشيعة، وهؤلاء ردوا كثيرًا من الأحاديث التي في الصحيحين؛ لأنها تخالف مذاهبهم أو لا توافق عقولهم وأهواءهم(٧١). واختلافنا مع هذا الصنف غالباً يكون في منهج التلقي؛ مما يجعل الوصول إلى إقناعهم أمرًا صعباً جدًّا.

الصنف الثاني: وهم بعض الحفاظ من أهل العلم ممن تأخروا عن البخاري ومسلم، فاستدركوا عليهما بعض الأحاديث، وقد اعتبروا أن البخاري ومسلمًا قد أخَلاّ بشروطهما فيها، وقد رد عليهم بعض العلماء ممن جاؤوا بعدهم، وهؤلاء نحسبهم لا يريدون إلا الحق ويبحثون عن الصواب(٧٢).

وبعد: فليعلم بأن الانتقادات والطعون الموجهة إلى بعض أحاديث الصحيحين مدفوعة جملة وتفصيلًا، فالحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين، وممن اهتدى بهديهم، وتبعهم على بصيرة الأمر: أن كل ما كان من أحاديث في الصحيحين، أو أحدهما، أسفر فيه صبح الصحة لكل ذي عينين؛ لأنه قد قطع عرق النزاع ما صح من الإجماع على تلقي جميع الطوائف الإسلامية لما فيهما بالقبول، وهذه رتبة فوق رتبة التصحيح عند جميع أهل المعقول والمنقول، فلا يهولنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة(٧٣).

وأما كون الانتقادات والطعون الموجهة إلى بعض أحاديث الصحيحين -أو أحدهما- مردودة جملة؛ فذلك لأمور كثيرة منها ما يلي(٧٤):

الأول: تعارض قول المنتقدين مع تصحيح الشيخين لأحاديثهما. فجزم الشيخان بصحة أحاديثهما، وأنها منتقاة ومنتخبة من مئات الألوف، وأنهما التزما الصحة، فلم يوردا إلا الصحيح من حديث رسول الله ﷺ.

الثاني: تعارض قول المنتقد مع ما اتُفِقَ عليه من أصحية الكتابين: فقد انعقد الإجماع على صحة هذين الكتابين، وأنهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، وقد حَكَى هذا الإجماع جمعٌ من الأئمة والحفاظ. فهؤلاء -وغيرهم- نقلوا الإجماع على صحة ما اتفق عليه الشيخان، وما انفرد به أحدهما من المسندات.

الثالث: تعارض قول المنتقد مع كون الأمة تلقت الكتابين بالقبول.

---

(٧١) ينظر: مكانة الصحيحين، للدكتور إبراهيم ملا خاطر (ص: ٣٠١).

(٧٢) ينظر: المنتقدون على الصحيحين والرد عليهم بقلم: أحمد بن حسن آل عامر مقالة منشورة في مجلة البيان (١١٤/ ١٦).

(٧٣) ينظر: مناهج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر للدكتور على عبد الباسط مزيد (ص: ٣٠٩).

(٧٤) تنظر هذه الأوجه وغيرها في كتاب: مكانة الصحيحين: للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر(ص:٢٩٠) ، ومنهاج المحدثين للدكتور على عبد الباسط مزيد (ص: ٣٠٩).

الرابع: تعارض قول المنتقد مع ورود هذه الأحاديث "المنتقدة" في المستخرجات سليمة من كل ما أُعلِّت به . وهذه فائدة من فوائد المستخرجات على الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر: وكُلُّ علةٍ أُعلَّ بها حديثٌ في أحد الصحيحين جاءت روايةُ المستخرج سالمةً منها، فهي من فوائده، وذلك كثيرٌ جدًّا.

وأختم بعبارة محكمة للدكتور خليل بن إبراهيم ملا خاطر في كتابه (مكانة الصحيحين):" وبعد هذا كله - مما ذكرته من مدح وإجابة على اعتراض - أقول وكلي ثقة والحمد لله أن كل من يُهوِّن من أمر الصحيحين، أو يطعن فيهما، أو ينزل من قدرهما، فهو مبتدع متبع لغير سبيل المؤمنين. وكيف لا وقد اتفقت الأمة على أنهما أصح الكتب بعد كتاب الله، وتلقاهما علماء الأمة بالقبول، وأطبقت الأمة على العمل بهما من غير نظر في أسانيدهما"[٧٥].

**المطلب الثاني: منزلة رجال الصحيحين:**

ليعلم ابتداء أن في الصحيحين جماعة جرحهم بعض المتقدمين، وبلغ عددُ من تُكلِّم فيه من رجال البخاري ثمانين، ومسلم مائة وستين رجلًا[٧٦]. بيد أن بعض أعداء السنة اتخذ ممن تُكلِّم فيه من رجال البخاري ومسلم مدخلًا للطعن والتشكيك في مكانة الصحيحين، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن ممن تُكلِّم فيهم من رجال الصحيحين ليس مجمعاً على جرحهم غاية أمرهم: أنه جرحهم وقدح فيهم جماعة بينما عدلهم ومدحهم آخرون، فيكون قد ترجح عند صاحب الصحيح تعديلهم على الأقل فيما أخرجه من حديثهم، وربما أخرج لهم في المتابعات والشواهد، وإن أخرج لهم في الأصول فمقصوده أنهم شاركوا غيرهم من الثقات الأثبات؛ فالصحة حاصلة برواية الجميع[٧٧].

يقول الحافظ محمد بن طاهر بن القيسراني: إن كُلَّ من أخرجا حديثه في هذين الكتابين - وإن تكلم فيه بعضُ الناس - يكون حديثُه حجةً، لروايتهما عنه في الصحيح . إذ كانا (رحمةُ الله عليهما) لم يُخرجا إلا عن ثقة عدل حافظ، يحتمل سِنُّهُ ومولدُه السماعَ مِمّن تقدّمه، على هذه الوتيرة، إلى أن يصل الإسنادُ إلى الصحابي المشهور[٧٨].

قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): وينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راوٍ مقتضٍ لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته، ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل مَنْ ذكر فيهما، هذا إذا خرج له في الأصول، فأما إن خرج له في المتابعات، والشواهد، والتعاليق، فهذا بتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره، مع حصول اسم الصدق لهم، وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعناً فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام،

(٧٥) ينظر: مكانة الصحيحين: للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر (ص:٥٠٠).

(٧٦) ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ١٤١)، وهدى الساري(ص: ١٣) ، تدريب الراوي (٣٠٥/١ )، فتح المغيث( ٣٣٤/١).

(٧٧) ينظر: الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم( ٢٢٩/٢).وكتابات أعداء الإسلام ومناقشتها لعماد السيد الشربيني (ص: ٨٦٧).

(٧٨) ينظر: مقدّمة كتابه ( الجمع بين رجال الصحيحين ).

فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي وفى ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لخبر بعينه، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح، ومنها ما لا يقدح. وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح، هذا جاز القنطرة؛ يعنى بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيري(٧٩) في مختصره: وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه، إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه، من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما"(٨٠). ومما لا شك فيه أن كل الروايات المدونة في أصول الصحيحين لا تحتمل نقدًا، يستوي في ذلك روايات الموثقين، والمختلف فيهم، والمجروحين، فقد أبَى الشيخان إلا أن ينتقيا مما صح عن رواتهما، وما تنطبق عليه شروط الصحة عندهما، والتي أقرها أئمة عصرهما وتلقتها الأمة بالقبول من بعدهما(٨١).

يقول أحد الباحثين(٨٢): لقد حصرت كل الرواة المتهمين في حفظهم من رجال الصحيحين، وذلك ضمن دراسة شاملة لرجال الصحيحين في رسالتي للدكتوراه، فوجدتهم أربعة وعشرين رجلًا، منهم اثنان من رجال الصحيحين معًا، وسبعة من رجال صحيح البخاري وحده، وخمسة عشر من رجال صحيح مسلم وحده، وتتبعت أقوال الأئمة فيهم، ورواياتهم المخرجة في الصحيحين والنقد الموجه إليها، وبعد تلك الدراسة المتأنية انتهيت إلى النتائج الآتية:

أولًا: أحاديثهم المروية في الصحيحين قليلة جدًّا، ولمعظمهم رواية واحدة.

ثانيًا: جاء كثير منهم مقرونًا بغيره من الثقات والأثبات.

ثالثًا: جاءت كل رواياتهم في المتابعات والمشاهد.

رابعًا: لم يوجه النقد إلا لأربعة أحاديث فقط، وقد ناقشتها جميعًا، وانتهيت إلى أن القول فيها للشيخين.

فلله الحمد على ما وفق الإمامين البخاري ومسلمًا للصواب والرشاد(٨٣).

## المبحث الثاني

## ردُّ عدنان إبراهيم لنصوص السنة بالعقل القاصر والفهم السقيم

إن من يستمع لبعض كلام عدنان إبراهيم يدرك بجلاء تناقضه الظاهر في معيارية قبول الأخبار والأسانيد، فإذا اشتهى إثبات مسألة من المسائل، أو قضية من القضايا فإنه يجلب بخيله ورجله

---

(٧٩) هو الإمام محمد بن علي بن وهب المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله.

(٨٠) ينظر: هدي الساري لابن حجر (ص٣٨٤).قلت: وقد عنيت قديمًا بحصر أسماء من قيل فيهم من رجال الشيخين أو أحدهما: جاز القنطرة ، أو: قفز القنطرة ، ونحوهما ، فاجتمع لدي من هذا الضرب عددٌ لا بأس به.

(٨١) ينظر: منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر للدكتور على عبد الباسط مزيد (ص: ٣٠٩).

(٨٢) هو الباحث الدكتور على عبد الباسط مزيد ، ودراسته التي يشير إليها هي أطروحته للدكتوراه ، وعنوانها: رجال الصحيحين في ميزان أئمة الجرح والتعديل، دراسة استيعابية - تحت الطبع.

(٨٣) ينظر: منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر للدكتور على عبد الباسط مزيد (ص: ٣٠٩).

ليحطب ما يقف عليه من روايات، وإن كانت بلا أسانيد، أو في أسانيدها من هو متكلم فيه، دون أن يمحص تلك الروايات، ويفتش في أسانيدها، وبضد ذلك: فإنه إذا وقف على رواية لا توافق هواه، ولا تستقيم مع ما تشتهيه نفسه، فإنه يسارع إلى تكذيبها، وتمحل ردها، وتكلف الطعن فيها ولو كانت في الصحيحين، أو أحدهما، أو من الأحاديث الصحيحة الثابتة عند غيرهما، تارة لأنها تخالف ما في القرآن الكريم بزعمه، وتارة لأنها تصادم نظرية علمية تجريبية، وأخرى لأنها تناقض رواية أخرى تتفق وهواه، فالرجل ليس لديه أصول علمية يرجع إليها، وهو أبعد ما يكون عن علم الحديث وقواعد الجرح والتعديل، وتعليلات أهل الصنعة في نقد المرويات، فعدنان لا يضعف الحديث لكون إسناده ضعيفا وقام ببحثه بحثا علميا، كلا، بل يضعفه لأنه لا يوافق مشربه، بل إنه يحتج بأحاديث لا تثبت بل لا أصل لها إذا وافقت رأيه لأنه يعتقد ثم يبحث في الكتب ليستدل بها، بل بلغ سعيه المشئوم للاستخفاف بالصحيحين، وتهوكه في زعزعة الثقة بما فيهما إلى أن ينسب لصحيح البخاري جملةً من الأحاديث الواهية، ثم يشغب على الصحيح بأن ما ذكره إنما هو أمثلة على الأحاديث الضعيفة فيه(٨٤). ومن ذلك قوله:"عبد الله بن عمر في صحيح البخاري، ابن عمر مرة كان ماشي فرأيت رجلًا يخرج من الأرض يلتهب نارًا، ورجلين يضربانه، فقال يا عبد الله اسقني اسقني، فقال: يا عبد الله لا تسقه لا تسقه، فضربه فساخ في الأرض -شافه بعينيه في البخاري هذا - فأتى الرسول فقال يا رسول الله، فابتسم وقال أنت فقال: «فذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة». ثم يقول: خرافات وأنتم تحكون خرافات صوفية في صحيح البخاري يا أخي؟!". قلت: وكذب عدنان مفتري البهتان، فالحديث لا وجود له في صحيح البخاري، بل رواه الطبراني في الأوسط(٦٥٦٠) بإسناد ضعيف جدًا!! [(٨٥)].

ولكن الذي يؤسف له أن نجد من العوام الأغرار من يفتتن بزخرف قوله، ويغتر بتلبيسه وتدليسه، ويظن أنه على شيء، وهذه المقدمة يتحقق صدقها من سبر كلامه، واستمع لمقاله من العارفين بهذا العلم الشريف، فهو يلقي الكلام على عواهنه دونما روية أو تمحيص يخرجه في لفظ معسول، وعبارة منمقة، وقالب جذاب، ويُصيِّر ما يطرحه من قضايا مغلوطة، أو مسائل ظنية في عداد المسلّمات والقطعيّات، ولكي لا يكون الكلام مرسلًا، فسأمثل على بعض ما ذكرت ببعض الأمثلة من كلامه:

١. قوله وهو يتحدث بأسلوب ساخر :من قال لك: إن الأمة أجمعت على صحة ما في الصحيحين؟؟!!ثم قال: هذا قول غالط بلا مثنوية .. لأنكم جعلتم الروايات و الأحاديث والأخبار مقدمة على كتاب الله[(٨٦)].

---

(٨٤) ينظر (http://www.youtube.com/watch?NR=1&v=kylugcARgbw&feature=endscreen) ، وقد بث كلامه في قناة وصال، بعنوان: عدنان إبراهيم يكذب على البخاري، والبراك يفضحه.

(٨٥) ينظر: (عدنان إبراهيم بين العلم والتعالم)، للباحث ساعد بن عمر غازي، مقالة على شبكة طريق السنة على شبكة المعلومات (http://sunnahway.net/node/1990).

(٨٦) ينظر: علوم الحديث (ص: ٤١ - ٤٢).

٢. ذكر الحديث الذي رواه أحمد في المسند عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري»(٨٧)، ورده بكل فجاجة زاعمًا أنه يصادم قوله تعالى: ﭽﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﭼ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن قوله في ذلك: (لا يجوز هذا العبث، نسئ لصورة النبي من أجل شيخ - أي شيخًا صحح هذا الحديث - .. أنصفوا رسول الله من أنفسكم، أنصفوه من علمائكم، من مواريثكم هذه الرثة،.. نحن الآن في عصر العولمة، العالم أصبح مفتوحًا ومكشوفًا، لا شيء يُدس، ولا شيء يخبأ، أُحرجنا، هناك رجال دين نصارى وغير نصارى يُحرجوننا من كتبنا، يقول: هذا في مسلم، وهذا في البخاري، وهذا في أحمد. فماذا تفعل؟ تدافع باستماتة عن كل ما في البخاري، وعن كل ما في مسلم. الصحيحان( يقولها بتهكم)!!. تريد أن تذبح دينك أنت حرٌّ، ولكننا لن نسلك هذه الخطة الغبية، هذه خطة غبية، نحن نحاكم إلى كتاب الله، هذه خطة إلهية، كتاب الله حاكم على الجميع ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال:﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾)[النحل: ٨٩]، قالوا: لا، لم يبين أكثر الأشياء نحتاج إلى السنة. ثم قال: هذا كذب، الله قال: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺﭼ، كيف تقولون: لا يبين؟!. يلعبون بالنصوص) (٨٨). ولو رجع عدنان إلى كتب العلماء دون أن يركن إلى ذهنه الكليل، وذوقه العليل، لوجد فيها ما يرفع عن نفسه الجهل، فمعنى الحديث: أي جعل الله تعالى كسبي ومعاشي من الغنيمة وهي لا تنال إلا بالجهاد ومن خالف ما جئت به ناله الذل بالأسر والرق أو فرض الجزية عليه.قال المهلب: وفيه أن الرسول ﷺ خص بإحلال الغنائم وأن رزقه منها بخلاف ما كانت الأنبياء قبله عليه، وخص بالنصر على من خالفه، ونصر بالرعب وجعلت كلمة الله هي العليا، ومن اتبعها هم الأعلون(٨٩).

ويقول الحافظ ابن رجب: - في الحديث - "إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسعي في طلب الدنيا، ولا بجمعها واكتنازها، ولا الاجتهاد في السعي في أسبابها وإنما بعثه داعيا إلى توحيده بالسيف، ومن لازم ذلك أن يقتل أعداءه الممتنعين عن قبول التوحيد"(٩٠).

---

(٨٧) رواه أحمد (٥١١٤) ، وأبو داود(٤٠٣١) ، والبخاري(٤/٤٩) تعليقا. وإسناده حسن ، قال الذهبي: إسناده صالح ، كذا في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٩) ، إرواء الغليل (٥/ ١٠٩).

(٨٨) ينظر: (http://www.youtube.com/watch) وهو مقطع بصوته وصورته بعنوان: عدنان يكذب السنة. والرد عليه للشيخ محمد حسان بعنوان: الرد المدمر على إنكار عدنان إبراهيم حجية السنة (http://www.youtube.com/watch?v).

(٨٩) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٠٣).

(٩٠) ينظر: الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: بعثت بالسيف بين يدي الساعة (ص: ٢٣).

ويقول الشيخ عطية صقر: "قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وحديث «إنما أنا رحمة مهداة» رواه الحاكم والطبراني، وما يماثله من نصوص وأحداث تدل على رقة قلبه وعظيم رحمته...ومعنى قوله ﷺ الذي رواه أحمد بسند صحيح «جُعل رزقي تحت ظل رمحي» أن رزقه من الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من الحروب التي كان يباشر أكثرها بنفسه، وكفاية رئيس الدولة توفر من الخزينة العامة بمواردها المتعددة، ومنها الغنائم، وهو مبدأ إسلامي أقره الصحابة لأبى بكر وعمر والخلفاء.

ويقول الشيخ جاد الحق: "حديث «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» هو حديث صحيح لكن ما مدلوله وهل تؤخذ ألفاظه هكذا وحدها دون النظر إلى الأحاديث الأخرى وإلى سير الدعوة منذ بدأت"(٩١).

قلت: والحاصل أن الذي قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هو سبحانه الذي قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩]، وأن المبعوث رحمة للعالمين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو القائل: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» متفق عليه، وقال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

خليق أن يرد على عدنان بما رد به الإمام الخطابي على أسلافه بقوله: "تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال: كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الشفاء وما ألجأه إلى ذلك، قال: وهذا سؤال جاهل أو متجاهل"(٩٢).

## المبحث الثالث

## موقف عدنان إبراهيم من أحاديث الصحيحين، ومناقشته في ذلك

بالرغم من الموقف المشين الذي يقفه عدنان إبراهيم من نصوص السنة النبوية عمومًا، ولَهَجِه دومًا بأن في القرآن كفاية وغنية عن ما ورد السنة، مشايعًا في ذلك طائفة القرآنيين، إذ كثيرًا ما يُصرّح بأنه يكفينا القرآن، إلا أن له خصومة واضحة، ومشكلة ظاهرة مع أحاديث الصحيحين خصوصًا، وأظهرُ دليلٍ على هذا: إلقاؤه خطبة مفردة بعنوان: مشكلتي مع البخاري(٩٣). ناهيك عن غمزه ولمزه الدائم بأحاديثهما، وقد نال صحيح البخاري النصيب الأكبر من هذا النقد، وفي الوقت ذاته نجد أن عدنان

(٩١) ينظر: فتاوى دار الإفتاء المصرية (١٠/ ١٢٣) ، وينظر بمعناها فتوى مماثلة لشيخ الأزهر الأسبق جاد الحق في فتاوى دار الإفتاء المصرية (٧/ ٣٥٩).

(٩٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥١).

(٩٣) تنظر على هذا الرابط: (http://www.youtube.com/watch?NR=1&v).

حاطب ليل سريع الاحتجاج بأحاديث ضعيفة وواهية، بل بأحاديث لا خطام لها ولا زمام على ما يريد تقريره وإثباته من قضايا ومسائل، ومن ذلك أنه كثيرًا ما يذكر عند طعنه في مروان بن الحكم أن النبي ﷺ قال عنه: «الوزغ ابن الوزغ». والحديث أخرجه الحاكم (٤ / ٤٧٩) من طريق ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف، فذكره . قال الحاكم: صحيح الإسناد ورده الذهبي بقوله: قلت: لا والله، وميناء كذبه أبو حاتم. قال الألباني في "الضعيفة"(٣٤٨): موضوع. وقال ابن معين في كتاب "التاريخ والعلل" (٢/١٣): ليس بثقة ولا مأمون، وربما قال: من ميناء أبعده الله ؟![٩٤]. فعدنان لا يعنيه أن يستدل بأحاديث موضوعة مكذوبة على النبي ﷺ، وفي مقابل ذلك يرد الأحاديث الصحيحة، ولو كانت في البخاري ومسلم، بعقله وذوقه ويحكم عليها بالوضع والكذب على رسول الله ﷺ، وهذا التناقض يشي بتحكيم الهوى، وتنحية المنهج العلمي الحديثي عن طرحه، ولا عجب ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، فهو عريٌّ عن التحقيق العلمي، وقصارى ما يأتي به هو ترديد شبهات وشنشنات قديمة فاه بها غيره - كما مضت الإشارة إلى هذا المعنى.

وإن استقصاء سقطات وعثراته المتعلقة بأحاديث الصحيحين في هذه الدراسة الموجزة من الصعوبة بمكان، وحسبي أن أمثِّل على ما ذكرت ببعض الأمثلة؛ لتدل على ما وراءها، وقبلها أفرد مطلبًا مستقلا لمناقشته في خطبته الموشومة، الموسومة ب(مشكلتي مع البخاري)، ولذا سيكون هذا المبحث في مطلبين:

**المطلب الأول: وقفة مع خطبة( مشكلتي مع البخاري) لعدنان إبراهيم:**

هذه الخطبة استغرقت زهاء (ساعة واثنتين وعشرين دقيقة )، وكان مما جاء فيها ما يأتي:

١. استهل خطبته بتلاوة الآية الكريمة:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]. ثم ذكر مقولة الإمام الشافعي رحمه الله:" أبى الله أن يتم إلا كتابه"، وفي رواية" أبى الله ألا يُصح إلا كتابه".

٢. ثم ذكر قصة وقعت في مصر، خلاصتها:أن مدققًا لغويًا رُفع إلى المحكمة بسبب أخطاء وقع فيها أثناء كتابته للقرآن، فدافع عن نفسه بلهجته المصرية، بقوله: (هوا إيه ! أنا غلطت في البخاري!!)، فقال - منكرًا على الرجل-: أن يُغلط في كتاب الله أمرٌ محتمل لكن لا يُغلط في البخاري.

٣. شرع بعد ذلك ينعى على عوام الأمة وخاصتهم إجلالهم لصحيح البخاري، ومما قال: "هذا منطق سائد وشائع، ولا عجب من مثقف غير متخصص في العلوم الشرعية، قضى حياته كلها وهو يسمع ليل نهار - إذا سمع البخاري وكتابه - سمع معه ألفاظ العصمة والقداسة والتمام،

(٩٤) ينظر: (عدنان إبراهيم بين العلم والتعالم)، للباحث ساعد بن عمر غازي، وينظر: كلامه الذي مضى في التمهيد، في عدم أهلية عبد الله بن عمر للخلافة ، ونعته له - عامله الله بعدله - بأنه (نسونجي)، حيث أراد إثبات هذا من خلال احتجاجه بعبارة الذهبي في سير أعلام النبلاء!!. فأين التحقيق والتحرير المدعى؟! أم هي العصبية والهوى.

وأجمعت الأمة، واتفقت الأمة، وأطبقت الأمة، وأجمع الفقهاء والعلماء، كما يرى أشرس الهجوم وأعنفه وأضراه يُشن على كل من توسل له نفسه أن يشكك في حرف فضلاً في أن يشكك في جملة في البخاري، فالبخاري في حمى العصمة، في حمى المحظوظية، لا يجوز أن يتطرق إليه أحد بترديد أو ارتياب أو تشكيك ؛ لأنه البخاري، وكفى".

٤. ثم رجع ونكث ما بنى من عبارات فضفاضة سابقة، وقرر ما يعرفه صغار طلاب العلم فضلاً عن الكبار والعلماء بأنه يُقِرُّ بأن صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله، وكان مما قال: "نؤمن بلا شك بأنه أصح الكتب بعد كتاب الله، ولكن هذه الكلمة لا تعني بأن كل ما فيه صحيح. نعم أصح الكتب وفيه أغلاط يسيرة، نعم مواضع الغلط فيه يسيرة جدًا بالنسبة لمواضع الصحة، فجملة ما فيه صحيح، وفيه مواضع يسيرة انتقدت عليه ولا تزال، وهذا شيء طبيعي، ولا أدري كيف يُصرُّ علماء كثر عبر العصور والقرون على عكس هذا الفهم، وأن كل ما فيه صحيح، وأن الخطأ لا يتطرق إليه، على أنه جهد بشر يُذكر ويُشكر، أين هذا الفهم من فهم أبي عبد الله الشافعي، وأين هذا الفهم من ميزان القرآن﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، استحفظ الله الأحبار والرهبان على التوراة والإنجيل فوقع فيها التحريف، كما استحفظنا على السنة فوقع فيها خلط وخبط كما وقع في التوراة والإنجيل، أما الكتاب الأعز فإن الله لم يستحفظه أحدًا.

٥. ثم قال - وهو يرد على شخص نسبه للعلماء يزعم أنه يقول: إن صحيح البخاري كتاب معصوم: من قال لك إن الأمة أجمعت على صحة ما في الصحيح؟؟ هذا لا يتم، ولن يتم، ومحال أن يتم إلا إذا كانت الأمة كل الأمة هي فقط أهل السنة والجماعة، وهذا غير صحيح، في الأمة: زيود، إخواننا الشيعة الزيدية، وإخواننا الشيعة الإمامية، وإخواننا أهل الإعتزال، وإخواننا الإباضية، وكل هؤلاء لا يلتزمون بصحة كل ما في البخاري، بل ينتقدون فيه مئات المواضع ويردونها، فليست أمة محمد هي أهل السنة والجماعة فقط، وإن كان أكثر أمة محمد هم أهل السنة والجماعة، وكل أهل من أمة محمد، ومن أهل التوحيد والعصمة، فالقول: أجمعت الأمة لن أقول كاذب، ولكنه غلط صراح مفضوح .

٦. ثم عاد إلى سابق أمره، وناقض نفسه، وقال في آخر خطبته ما نصه: إن في البخاري مئات الأحاديث التي لا تصح!! [٩٥].

(٩٥) كانت النية أن أستوعب الرد على جهالات عدنان إبراهيم في تلك الخطبة العجيبة التي خالف بتطويلها منهج النبي ﷺ في تقصير الخطبة ، كما خالف أهل السنة بتقريراته المخالفة ، ولكن هالني ما سمعته فيها من مخالفات وسقطات ، تضيق هذه الدراسة عن استيعابها ، ولذا رأيت الاقتصار على ما ذكرت ، وسأرجئ الرد المفصل على هذه الخطبة في مقالة مستقلة بإذن الله تعالى.

**المطلب الثاني: نماذج من أحاديث الصحيحين التي ردها عدنان، ومناقشته في دعواه:**

إن المتتبع لخطب ومحاضرات ولقاءات عدنان إبراهيم يجد أنه قد أطلق لسانه في عدد غير قليلٍ من أحاديث الصحيحين، أجزم أنه لا تقل عن (٤٠) حديثًا، وإن استيعاب كلامه، ومناقشته والرد عليه فيما قاله حولها من الصعوبة بمكان في هذا المكان، وحسبي أن أمثل لها بعدة أمثلة، لتدل على ما سواها، وشابهها، ثم أناقشه في اثنين منها فقط، فمن الأحاديث التي ردها في الصحيحين ما يأتي:

١. ردُّه لحديث: «أن الشمس تسجد تحت العرش»، والحديث في صحيح البخاري.

٢. ردُّه لحديث: «فُقدت أمة من بني إسرائيل لا يدرى ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت»، والحديث في الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه.

٣. ردُّه للحديث الذي فيه سن عائشة حين زواج النبي ﷺ منها, والحديث في الصحيحين.

٤. ردُّه لأحاديث المسيح الدجال، منها: أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور»، والحديث في صحيح البخاري عن ابن عمر. وزعم أن عقيدة المسيح الدجّال خرافة!!وأنها: (أساطير وميثولوجيا).

٥. ردُّه لأحاديث الدابة والدخان، ومنها حديث «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»، والحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٦. ردُّه لأحاديث سحر النبي ﷺ، ومنها حديث سحر النبي ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، والحديث في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها.

٧. ردُّه لأحاديث حد السرقة: ومنها قوله ﷺ: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا»، والحديث في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها.

٨. ردُّه لأحاديث حد الردة، ومنها قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»، والحديث في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٩. ردُّه لأحاديث حد الرجم للزاني المحصن، ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: (... فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف)، والحديث في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

١٠. عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»(٩٦). فهذا الحديث في الصحيحين، ومع ذلك يرده عدنان إبراهيم مقلدًا فيه غيره، فهو يتبجح في غير ما موقع وقناة بأنه لا يؤمن بعقيدة نزول المسيح عيسى بن مريم، بل يراها من عقائد النصارى، إذ يقول:أنا لا أصدق بهذه العقيدة ؛ لأنها مناقضة للقرآن الكريم بشكل واضح، وعودة عيسى عقيدة نصرانية، وحتى اليهود يتبنونها، ولكن على أنه الدجال، أو عدو المسيح، ونحن لا نؤمن بهذه الفكرة، وبهذه الفرية؛ لأنها تناقض كتاب الله(٩٧).

١١. قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»(٩٨). وقد رد عدنان هذا الحديث، وعده مخالفاً للقرآن، وقال: سيأتي من يقول: ولكن الله عز وجل كان قد أنزل قوله تبارك وتعالى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فلماذا لم يعصمه من السم؟! لماذا مات نبيكم مسموماً؟؟. إذا هذا - أي الحديث - يتناقض مع ظاهر القرآن الكريم.. انتبهوا الآن إلى الدس والحيلة الشيطانية، التي لا يدري إلا الله من الذي باء بإثمها من الرواة، فإن كان ذلك كذلك، فعليه من الله ما يستحق. وهذا ماسيثير الجامدين أيضًا. مقدسي كل شيء في البخاري، لماذا اختار الذي وضع هذا الحديث (الصحيح - قالها متهكمًا) أن يكون النبي مات بانقطاع أبهره؟! لماذا الأبهر بالذات( الوتين)!!. حتى يبرهن لنا أن نبينا كان - كذاباً -، يقولون ربكم هو الذي قال على لسان محمدكم (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) [الحاقة: ٤٤ – ٤٧]، والمعنى: أن محمدًا لو كذب علي لقطعت منه الوتين، وتأتي النصوص الصحيحة( قالها متهكمًا) تثبت أن النبي مات بأن قطع منه الوتين، وهذه ميتة توعد الله بها محمدًا لو كان كاذبًا...) (٩٩).

أما الحديثان اللذان سأناقشه فيهما، فهما كما يأتي:

**الحديث الأول:**

ردُّه للحديث الذي رواه البخاري عن عبيد بن حنين، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قال النبي ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى

(٩٦) رواه أحمد(٧٢٦٩) ، والحميدي (١٠٩٧) ، وابن أبي شيبة( ١٤٤/١٥)، والبخاري (٢٤٧٦) ، ومسلم (١٥٥) (٢٤٢) ، والترمذي (٢٢٣٣) ، وابن ماجه (٤٠٧٨).

(٩٧) ينظر كلامه على هذا الرابط (http://www.youtube.com/watch?v)، وقد قاله في حلقة اتجاهات في قناة روتانا خليجية.

(٩٨) رواه البخاري (٤٤٢٨).

(٩٩) ينظر هذا الرابط (http://www.youtube.com/watch?NR)، وقد سُمي المقطع: عدنان إبراهيم الرسول لم يمت بالسم، ويرد حديث البخاري.

شفاء»[١٠٠]. لقد تفلسف جدًا عدنان في حديث الذبابة، انتهى فيه إلى رده إن لم تثبته التجارب العلمية المعاصرة بكلام متهافت متناقض، ليس وراءه سوى التشغيب والتشكيك في الصحيح، مما أجزم أنه يتمحل توهين وزعزعة مكانة الصحيح في نفوس العامة بمناسبة، وبغير مناسبة، وهذا نص كلامه: "هذا الحديث المخرج في صحيح البخاري من حديث التابعي عبيد بن حنين، وهذا الحديث فرد وغريب جدًا ؛ لأنه لم يروه عن أبي هريرة إلا عبيد بن حنين، وليس له إلا هذا الحديث، فهذا التابعي لم يرو من السنة كلها إلا هذا الحديث!! وهذا الحديث نموذجي للحديث الفرد والغريب، على أني لن أخوض الآن في التفرقة النسبية بين الغريب والفرد. وهذا الحديث من باب طبه، وقد كان الزاد( الطعام) في وقته قليلًا، فمن باب استصلاح أزوادهم ذكر لهم هذا الشأن على أنا أشرنا إلى أن في الحديث مغمزًا على أنه في البخاري، لكن القضية أصبحت واضحة، ليس البخاري منزّلاً، ليس هناك مشكلة أن يكون في البخاري، والحديث متفردٌ فيه، فيه غرابة، وهو أقرب بأن يكون ضعيفًا، فالحديث في الصحيح، وفيه ناحية لا تكون عن تجربة، وإنما عن وحي، فمن أين عرف عليه الصلاة والسلام أن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر دواء؟فإن ثبت هذا تجريبيًا، فهذا من باب أعلام نبوته، وأنه رسول من عند الله، فهذه حقيقة جرثومية دقيقة جدًا، وبعض الأبحاث تقول ثبت، ولكننا لا ندري، ولم نستوثق حتى الآن. وليس لدينا ثقة مطلقة بكل ما يُنسب لما يُسمى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. نحن نريد الأمر أن يكون على وجهه وأن يُحكَّم عالميًا. في الدوائر العلمية على مستوى العالم، ويُعترف به، أما أن نظل نردد هكذا.. فلا نريد أن نجعل من أنفسنا موطن تندر من الآخرين، ونحن موطن نظر وترقب"[١٠١].

**وللرد عليه يقال:**

قال: وهو يذكر الحديث: «في إحدى جناحية الداء»، ثم غلط نفسه، وقال: الصواب: أحد جناحيه، لأنه مذكر - أي الجناح -، وهو يتعالم بهذا، فبعض ألفاظ الحديث كما عند البخاري جاءت هكذا «إحدى جناحية»، وله وجه في العربية. قال ابن حجر في فتح الباري(١٠/ ٢٥١): "قوله: «فإن في إحدى جناحية» في رواية أبي داود «فإن في أحد» والجناح يذكر ويؤنث، وقيل: أنث باعتبار اليد، وجزم الصغاني بأنه لا يؤنث، وصوّب رواية أحد".

---

(١٠٠) هذا الحديث يرويه عن أبي هريرة مرفوعًا خمسة أنفس ، رواه أحمد (٩١٦٨) ، والبخاري(٣٣٢٠) ، وابن ماجه(٣٥٠٥) ، والبزار(٨٧٨٣) وابن الجارود (٥٥) ، والطحاوي (٣٢٩١) ، والبيهقي (٢٥٢/١)، والبغوي (٢٨١٤) من طريق عبيد بن حنين عن أبي هريرة ، ورواه أحمد (٧١٤١) ، وأبو داود(٣٨٤٤) ، وابن خزيمة(١٠٥) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار(٣٢٩٣) من طريق ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ، ورواه أحمد (٧٥٧٢) ، وإسحاق بن راهويه (١٢٥) من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أبي هريرة ، ورواه البزار( ٨٩٢٩) من حديث القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة ، ورواه أحمد (٩٠٣٦) ، والبزار(٩٨٧٣) ، والطحاوي شرح مشكل الآثار(٣٢٩٤) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٣٩٨)من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة. وجاء من غير حديث أبي هريرة: فرواه البزار (٧٣٢٣) ، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٣٥) من حديث أنس بن مالك.ورواه أبو داود الطيالسي (٢٣٠٢)، وأحمد (١١١٨٩) ، والنسائي( ١٧٨/٧)، وأبو يعلى (٩٨٦) ، وابن حبان (١٢٤٧) ، وابن عبد البر في التمهيد(٣٣٧/١) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٢٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري. قال ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٣٣٧): وروي هذا الحديث من وجوه كثيرة عن أبي سعيد وأبي هريرة كلها ثابتة.

(١٠١) ينظر: (http://www.youtube.com/watch) وهو مقطع بصوته وصورته بعنوان: عدنان يكذب السنة.

وقال العيني في عمدة القاري (١٥/ ٢٠١): "قوله: «فإن في إحدى جناحية»، الجناح حقيقة للطائر، وإذا استعمل في غيره يكون بطريق الاستعارة، قال الله تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯﭼ[الإسراء: ٢٤]. وفي غالب النسخ: فإن في أحد جناحيه داء والآخر شفاء، بتذكير: أحد، ووجه تأنيثها باعتبار أن جناح الطائر يده، والتأنيث باعتبار اليد".

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (٥/ ٣١٥): "والجناح يذكر ويؤنث فإنهم قالوا: في جمعه أجنحة وأجنح فأجنحة جمع المذكر كقذال وأقذلة، وأجنح جمع المؤنث كشمال وأشمل. والحديث هنا جاء على التأنيث وحذف حرف الجر في قوله والأخرى، وفيه شاهد لمن يجيز العطف على معمولي عاملين كالأخفش". قلت: فلا وجه بعد ذلك لتحذلق عدنان وتعالمه، وقد ثبت الوجهان، ولكلٍ منهما توجيه في العربية.

ذكر أن حديث الذباب من أفراد عبيد بن حنين، وهذا من جهله أو مغالطته، كما رأيت في تخريج الحديث.

قال ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٣٣٧): وروي هذا الحديث من وجوه كثيرة عن أبي سعيد وأبي هريرة كلها ثابتة.

أنه حكّم الاكتشافات العلمية التجريبية البشرية المظنونة في النصوص القطعية من كلام خير البرية ﷺ، واعتبر بأنه لا عبرة بالحديث وإن صح إن لم تسنده تلك النظريات الأرضية، بل ويعترف بها الغربيون كما في قوله:"نحن نريد الأمر أن يكون على وجهه وأن يحكم عالميًا. في الدوائر العلمية على مستوى العالم ويُعترف به".

اتكأ في توهين الحديث، وتفريغه من دلالته إلى عدة أمور لا تثبت على ساق عند أهل العلم:

أن الراوي له عبيد بن حنيف لم يرو من السنة كلها إلا هذا الحديث. والأمر ليس كما زعم، قال ابن حجر في فتح الباري(١٠/٢٥٠): وما لعُبيد في البخاري سوى هذا الحديث أورده في موضعين.قلت: بل له في الصحيح ثلاثة أحاديث: وهي حديث إيلاء النبي ﷺ من نسائه يرويه عن ابن عباس، وله هذا الحديث، وحديث «إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده».

قال أبو نصر الكلاباذي في رجال صحيح البخاري(٢/ ٤٩٩): "روى في أول الهجرة والتفسير والصلاة واللباس وآخر الطب". وعبيد روى له الجماعة، وله جملة صالحة من الأحاديث التي يرويها كما في تهذيب الكمال للمزي (١٩/ ١٩٩).

قلت: ولو صدق في دعواه من أن عبيدًا ليس له من الحديث إلا هذا، فلا يضيره، ولا تُعل الأحاديث بهذا لو كان يعقل ما يقول، فكم من حديث لم يروه إلا راوٍ واحد، وهو في أعلى درجات الصحة، مثل حديث النيات الوارد في الصحيحين، كما لا يخفى.

قال ابن الصلاح: قد خرّج البخاري في صحيحه حديث جماعة ليس لهم غير راوٍ واحد ... وكذلك خرّج مسلم حديث قوم لا راوي لهم غير واحد، وذلك مصير منهما إلى أن الراوي قد يخرج عن كونه مجهولًا مردودًا برواية واحد عنه[١٠٢].

أن هذا الحديث من الغرائب والأفراد. والنظريات والمكتشفات العلمية لم تثبت ماجاء فيه حتى الآن. ثم يقول: "وبعض الأبحاث تقول ثبت، ولكننا لا ندري، ولم نستوثق حتى الآن. وليس لدينا ثقة مطلقة بكل ما ينسب لما يسمى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة".

ثم أظهر مكنون نفسه، وما تنطوي عليه من استخفاف بأحاديث الصحيح، إذ صرّح بتوهين الحديث بقوله "أشرنا إلى أن في الحديث مغمزًا على أنه في البخاري، لكن القضية أصبحت واضحة، ليس البخاري منزّلًا، ليس هناك مشكلة أن يكون في البخاري، والحديث متفردٌ فيه، فيه غرابة، وهو أقرب بأن يكون ضعيفًا".

**الحديث الثاني:**

ردُّه لحديث: «إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، والحديث في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟ قال: «ويلك، وما أعددت لها». قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «إنك مع من أحببت». فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم». ففرحنا يومئذ فرحا شديدا، فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني، فقال: «إن أخر هذا، فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»[١٠٣]. وقد استشكل عدنان هذا الحديث، ورده مكذبًا له، ولو رجع لكتب أهل العلم باحثًا عن الحق لوجد إجابات شافية لاستشكالاته، فعدنان إبراهيم انتقد الحديث، وادعى أنه كذب, بدعوى مخالفته القطعية للواقع ؛ لأن ذلك الغلام لو عمر مائة سنة بعد ذلك الحديث , فقد وقع تكذيب هذا الخبر بعدم قيام الساعة بعد شيخوخته , بل بعد موته, وحتى اليوم .

**وللرد عليه يقال:**

أ. متى سيظهر للعقلاء تكذيب الواقع لهذا الخبر التكذيب القطعي؟ فسيقال: بعد هرم الغلام, أو: بعد موت الغلام دون أن تقوم الساعة, فيقال: ولنفترض أن النبي ﷺ قال هذا الكلام في آخر سنة قبل حجة الوداع, يعني قبل موته ﷺ بأشهر فقط, يعني في سنة عشر من الهجرة. فستكون سنة (١١٠) هي آخر سنة يتبين فيها كذب هذا الخبر. لكن الواقع أن البخاري ومسلما قد صححا هذا الحديث, بعد مرور هذا الأمد بنحو مائة وأربعين سنة. أي عندما صحح البخاري ومسلم هذا الحديث كان قد مر على ظهور كذبه (في رأي عدنان) أكثر من قرن, ومع ذلك صححاه! وليس هذا فقط, بل صححه جمع من أهل العلم, ورووه في كتبهم. وقبلهم رواه أئمة التابعين وأتباع

---

(١٠٢) ينظر: مقدمة ابن الصلاح (ص: ١٠١).

(١٠٣) رواه أحمد (١٢٩٩٣) ، والبخاري(٥٨١٥) ، ومسلم(٢٩٥٣) من طريق همام عن قتادة عن أنس بن مالك به.

التابعين, رغم مخالفته القطعية للواقع!! ورغم وضوح كذبه للأعمى!!. فإما أنهم جميعا مجانين, إذ كيف يصححون ما يظهر كذبه لأغبى الخلق وأعمى الناس عن الواقع؟!. وإما أنهم لم يجدوا فيه ما يخالف الواقع, ولذلك صححوه. ولا يرد هنا احتمال فوات هذا الأمر عنهم, ولا يحتمل أن يكونوا قد غفلوا عن هذا الأمر الواضح؛ لأنه أمر في غاية الوضوح, ولأنه لو أصيب أحدهم بالعمى والغباء في هذا الحديث, فلا يمكن عقلا أن يتغابى المحدثون كلهم ويتعاموا عن هذا الأمر الواضح ممن رواه معتقدا صحته. ولذا: فمن أراد التشكيك في هذا الحديث بهذا الأمر الواضح, فعليه أن يعلم بأنه بتشكيكه هذا قد حكم على البخاري ومسلم بغباء مفرط, يصل أقصى حدود البلاهة, بل بالجنون؛ لأن إدراك عدم قيام الساعة بعد موت هذا الغلام لا يحتاج إلا شخصا له أدنى درجات العقل وإدراك الحس. فإن كان المشكك يعتقد أن البخاري ومسلما وغيرهم من أئمة الحديث ليسوا مجانين, فعليه أن يقرر أن لهم تفسيرا للحديث لا يتعارض مع الواقع, ولذلك صححوا الحديث.

ب. قد يسوغ لعدنان أن يستضعف هذا التوجيه للحديث, ولكن لا يحق له بحال أن يوهم أو يتوهم أن البخاري ومسلما، ومن صحح الحديث كانوا غافلين عن هذا النقد الواضح, كأنه هو الوحيد الذي اكتشف أن القيامة لم تقم, رغم موت الغلام منذ قرون!

ت. روى البخاري، ومسلم عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: "كان رجال من الأعراب جفاة، يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»، قال هشام: يعني موتهم"[١٠٤]. قلت: فلو سلمنا جدلًا بأن البخاري لا يعي من الكلام شيئا ولا يدرك أن الساعة لم تقم بعد موت الغلام! -كما زعم عدنان بلازم قوله- فقد بين له هشام بن عروة هذا المعنى الواضح, وهو أن معنى الحديث: لن يهرم ذلك الغلام حتى يموت السائل, والموت هو ساعة كل إنسان. وكان هذا المعنى مفهوما عند هشام بن عروة, ومفهوما عند البخاري وعند مسلم أيضًا, فلا يمكن المزايدة عليهم في إدراك هذا المعنى.

ث. روى البخاري، ومسلم عن عبد الله بن عمر، قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم، قام النبي ﷺ، فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة، لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ، إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض» يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن"[١٠٥]. وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما توفي سنة (٧٣هـ), أي:أنه رضي الله عنهما قد فهم هذا الفهم الصحيح من الحديث قبل أن يُقطع بمجيء الوقت المحدد حسب ذلك المعنى الذي اعتبره عدنان معنى قاطعا في الحديث. فهذا الصحابي الجليل فهم مراد النبي ﷺ,

(١٠٤) رواه البخاري( ٦٥١١ ) ، ومسلم ( ٢٩٥٢ ).

(١٠٥) رواه البخاري( ٦٠١ ) ، ومسلم ( ٢٥٣٧ ).

رغم وقوع الغلط في فهمه منذ زمنه وفي حياته . حيث فهم رضي الله عنهما أنه ﷺ لا يعني به إلا موت جيله وأصحابه, لا أنه ميعاد لقيام الساعة الكبرى.

ج. يقال: إن المعنى الخاطئ الذي يتوهم من يسمع كلام عدنان أنه معنى الحديث هو أول من اكتشفه, قد تبين أنه معنى قديم جدا, ولكنه معنى خطأ, ونبه على خطئه الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة من بعدهم!! ولذلك صحح البخاري ومسلم الحديث, بناء على معناه الصحيح, لا على معناه الخطأ الذي نفاه الأئمة عن الحديث, ونزهوا كلام النبي ﷺ عنه, وفهمه الصحابة الفهم الصحيح قبل مجيء الموعد المضروب فيه, مما يعني أن كلام النبي ﷺ كان مفهوما عندهم, بغير حاجة إلى تأويل أدركوه من خلال الواقع.

ح. يتضح مما سبق أمران:

الأول: أن معنى الحديث ليس فيه مخالفة للواقع كما ادعى عدنان, فالمقصود بالساعة ساعة السائل, وهي ساعة موته.

والثاني: أن هذا المعنى لم نتأول به نحن الحديث للدفاع عن الصحيحين, ولا تعسفنا في تفسيره لكي لا نخطئ الشيخين (البخاري ومسلم ), كما يوهمه كلام عدنان, بل كان معروفا عند الصحابة والتابعين وتابعيهم, وعند الشيخين (البخاري ومسلم), ولذلك صححوه.

خ. ولكي لا يبقى في نفس عدنان، ومن اغتر بكلامه حرج حول هذا الحديث، يقال: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فلماذا أجاب النبي ﷺ بهذا الجواب؟ الجواب: أن الأعراب كانوا يسألون عن موعد الساعة, وكان النبي ﷺ يريد أن يلفت انتباههم إلى أن معرفة موعد الساعة لا ينفعهم في شيء, وإنما ينفع المرء عمله, ولذلك قال ﷺ لذلك الأعرابي الذي سأله - كما في حديث أنس الذي يحتج به- : «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». فهو ﷺ يقول له: إن كان موعدها قريبا أو بعيدا, ماذا ينفعك؟ فماذا سوف تستفيد إن كان موعدها بعيدا, إن أسأت العمل؟! وماذا ينقصك إن كانت قريبة: إن أحسنت العمل؟! ثم أكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ», أي : لو كانت الساعة بعد عشرة آلاف سنة, فإنك يا أيها السائل لن تفوق في العمر عمر هذا الغلام الصغير, فسوف تموت, وهذه هي ساعتك. هذا هو جواب النبي ﷺ, وقد فهمه علماء الصحابة كذلك, وفهمه علماء التابعين ومن بعدهم كذلك أيضا؛ لأن السياق يدل عليه؛ ولأن غياب علم الساعة عن كل الخلق من حقائق القرآن والسنة المشهورة المعلومة, وأنه من خصائص علم الله تعالى وحده الذي لا يشركه فيه أحد, وهذا كله مما يدركه جهلاء المسلمين, فضلا عن علمائهم. والخلاصة: أن هذا الحديث صحيح لا شك في صحته, ومعناه الصحيح الذي لا يعارض القرآن ولا الواقع معنى واضح, ولم يفهمه بالمعنى الذي ذكره عدنان إلا

أصحاب الغلط منذ حياة الصحابة رضي الله عنهم, ونبه الصحابة فمن بعدهم على خطأ هذا الفهم, الذي ما زال عدنان يكرره[١٠٦].

د. وأختم المقام بأن علماء الإسلام كانوا قد اجتهدوا في بيان وجه الحديث، وردوا على المشككين فيه بأجوبة قبل أن يُخلق عدنان، ومن أجوبة العلماء المحققين ما يأتي:

١) قال القاضي عياض: "معناه وتأويله الذي يرفع أشكاله ويشهد بصدقه ﷺ على كل حال ما جاء في أول الحديث الآخر كان رجال من الأعراب جفاة يسألون النبي ﷺ متى الساعة وكان ينظر إلى أصغرهم يقول: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم» يعني موتكم بهذا فسر الحديث من سلف من أئمتنا كقوله من مات فقد قامت قيامته"[١٠٧].

٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فصل في الأحاديث التي سئل عنها رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «إن يعش هذا الغلام فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» المراد بذلك «ساعة القرن» وهي موتهم؛ فإن في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول: «إن يعش هذا الغلام لم يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم» قال هشام: يعني موتهم فهذا يبين تلك الأحاديث. وقد يراد بالقيامة الموت، وأن من مات فقد قامت قيامته كما قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أيها الناس إنكم تقولون: القيامة، القيامة؛ فإن من مات قامت قيامته، وليس واحد من هذين النوعين منافيا لما أخبر الله به من «القيامة الكبرى» التي يقوم فيها الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة بعد أن تعاد الأرواح إلى الأجساد. وإنما ينكر هذا أهل الزندقة من الفلاسفة ونحوهم"[١٠٨].

٣) وقال الحافظ ابن كثير: "وهذه الروايات تدل على تعداد هذا السؤال والجواب، وليس المراد تحديد وقت الساعة العظمى، إلى وقت هرم ذاك المشار إليه، وإنما المراد أن ساعتهم وهو انقراض قرنهم وعصرهم قصاراه أنهى إلى مدة عمر ذلك الغلام، كما تقدم . وفي الحديث : «تسألوني عن الساعة، فإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة»، ويؤيد ذلك رواية عائشة : «قامت عليكم ساعتكم»، وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة فعالم البروج قريب من عالم يوم القيامة، وفيه من الدنيا أيضاً، ولكن هو أشبه بالآخرة، ثم إذا تناهت المدة المضروبة للدنيا، أمر الله بقيام الساعة،

---

(١٠٦) جميع ما سبق من مناقشة حول هذا الحديث مستفاد من مقالة للدكتور حاتم الشريف بعنوان (حاتم الشريف يكشف بعض أخطاء عدنان إبراهيم في تعامله مع الصحيحين)، منشورة في موقع صيد الفوائد (http://www.saaid.net/bahoth/175.htm).

(١٠٧) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٣٥٩).

(١٠٨) ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ٨٧).

فيجمع الأولون والآخرون لميقات يوم معلوم، كما سيأتي بيان ذلك من الكتاب والسنّة وبالله المستعان"[١٠٩].

٤) قال الحافظ ابن حجر: وقال الإسماعيلي بعد أن قرر أن المراد بالساعة ساعة الذين كانوا حاضرين عند النبي ﷺ، وأن المراد موتهم، وأنه أطلق على يوم موتهم اسم الساعة لإفضائه بهم إلى أمور الآخرة، ويؤيد ذلك أن الله استأثر بعلم وقت قيام الساعة العظمى كما دلت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة. قال: ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «حتى تقوم الساعة» المبالغة في تقريب قيام الساعة لا التحديد، كما قال في الحديث الآخر: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ولم يرد أنها تقوم عند بلوغ المذكور الهرم. قال: وهذا عمل شائع للعرب يستعمل للمبالغة عند تفخيم الأمر وعند تحقيره وعند تقريب الشيء وعند تبعيده. وقال الداوودي: المحفوظ أنه ﷺ قال ذلك للذين خاطبهم بقوله: «تأتيكم ساعتكم»، يعني بذلك موتهم. قال الحافظ: وكأنه أشار إلى حديث عائشة[١١٠].

**الخاتمة:**

الحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، فقد توقفت عن الكتابة حول هذا الموضوع، وما فرغت من جميع ما نويت كتابته ومناقشته، فطبيعة هذه الدراسات والمؤتمرات لا تحتمل أكثر من هذا، ويكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق، بيد أن كشف عوار فكر عدنان إبراهيم، ومناقشته في سائر أطروحاته يستوجب دراسات موسعة، ولا عجب، فإن له مئات الساعات الصوتية من الخطب والمحاضرات التي ملأها بالشبهات والتجاوزات والانحرافات، وما ذكرته هنا إنما هو شذرات يسيرة حول جزئية واحدة من جزئيات علم الحديث، وهي المتعلقة بالصحيحين، وسعيه الحثيث لإضعاف مكانتهما في النفوس، ولعلي أقتصر في المقدمة على ذكر نوعين من المؤلفات والمقالات التي لها تعلق بموضوع الدراسة، لعل مريد الاستزادة، وطالب الاستفادة يجد فيهما بغيته، ويحصل منهما طلبته، وهما:

**المؤلفات التي عنيت بالذب عن الصحيحين قديمًا وحديثًا:**

ذلك أن خصوم الصحيحين صنوف وأضرب قبل أن ينشأ عدنان إبراهيم، ويردد ما سبقه به أولئك، ومن المصنفات في هذا الباب ما يأتي:

١) البيان والتوضيح لمن أُخرج له في الصحيح ومُسَّ بضرب من التجريح، لأبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت٨٢٦هـ). (مطبوع)

٢) مكانة الصحيحين للدكتور ملا خاطر، ط الأولى القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٤٠٢ هـ.

٣) مكانة الصحيحين والدفاع عن صحيح مسلم، ونقض قول ابن دحية الكلبي ومن قلَّده في تضعيف صيام الست من شوال، للدكتور عبد العزيز العتيبي، دار غراس للنشر.

---

(١٠٩) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٢٨).

(١١٠) ينظر: فتح الباري(١٠/ ٥٥٦).

٤) أقامت كلية الشريعة في الجامعة الأردنية بمشاركة جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث مؤتمر "الانتصار للصحيحين" كما نشرته جريدة الغد الأردنية في : ٣٠/ ٧/ ٢٠١٠. وقدمت فيه أبحاث كثيرة، منشورٌ كثيرٌ منها على شبكة المعلومات.

٥) الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما للدكتور ملا خاطر، (تحت الطبع).

٦) رجال الصحيحين في ميزان أئمة الجرح والتعديل - دراسة استيعابية - رسالة دكتوراه بدار العلوم للدكتور على عبد الباسط مزيد.

٧) رسالة في ذكر أقوام من رجال الصحيحين ضعفهم النسائي، أو ذكرهم في "الضعفاء والمتروكين" وسئل عنهم الدَّارَقُطْنِيّ فأجاب فيهم، واستدرك في أجوبته على النسائي في أكثرهم، حيث قوَّى ما يقرب من اثنين وعشرين، وليّن تسعة أشخاص. وقد طُبع بتحقيق علي حسن عبد الحميد.

٨) أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين للشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي بحث منشور على شبكة المعلومات (http://sunnahway.net/node/1770).

**المقالات والصوتيات التي عنيت بالرد على عدنان إبراهيم:**

**المقالات:**

١) طليعة القول القويم في الرد على عدنان إبراهيم [الشيخ عدنان البخاري].

٢) تحذير الأنام من تطاول الأقزام على ثوابت الإسلام [دار الكتاب والسنة,خان يونس فلسطين].

٣) معاوية رضي الله عنه [د. لطف الله خوجه].

٤) "عدنان إبراهيم" بين العلم والتعالم [ساعد عمر غازي].

٥) إذا جاز تحكيم العقل في فروع الدين جاز في أصوله ردّ على عدنان إبراهيم[عبد الله الفيفي].

٦) تقويض فِكر عدنان إبراهيم [عبدالله الفيفي].

٧) الرد على عدنان إبراهيم في اتهامه معاويةرضي الله عنه [يزيد محمد سيف القطان].

٨) احذروا عدنان إبراهيم[أحمد الرواس].

٩) دفاعاً عن أبي هريرة ومعاوية[محمد أبو خطّاب].

١٠) تعليق على كلام الدكتور عدنان إبراهيم حول حد الردة [عبد الله الشهري].

١١) مصباح الظلام البهيم في كشف ضلالات المدعوّ (عدنان إبراهيم) [علي الحلبي].

١٢) عدنان إبراهيم والتقنع بقناع السنة [الشيخ عبدالعزيز الريس].

١٣) مقالات: بيان حال خطيب النمسا [طارق الحمودي].

١٤) العلاقة النبوية ببني أمية (رد على صاحب مقال إسلام بلا إسلامويّة) [دمشقية].

١٥) ابن تيمية ودماء المبتدعة من المسلمين![سلطان العميري].

١٦) ملاحظات على كلام د.عدنان إبراهيم على أقسام التوحيد عند ابن تيمية [عايد بن محمد].

١٧) عدنان إبراهيم وصحابة النبي الكريم [عبدالملك بن عبدالله العبدالكريم].

١٨) عدنان إبراهيم ..أين الخلل؟ [بدر العامر].

١٩) عدنان إبراهيم ..والمسيح الدجال [بدر العامر].
٢٠) نصب المنجنيق في نسف شبهات عدنان إبراهيم [سعد بن ضيدان السبيعي].
٢١) عدنان إبراهيم والعودة إلى المربع الأول [صالح الحساب الغامدي].
٢٢) حقيقة الدكتور عدنان إبراهيم المتشيع [داود العتيبي].
٢٣) الرد على عدنان إبراهيم في سبه للصحابة بالوحي والعقل والمنطق والتاريخ [أمير الأمين].
٢٤) الدفاع عن معاوية رضي الله عنه والرّد على عدنان إبراهيم [وليد المصباحي].
٢٥) هذا هو عدنان إبراهيم يا سلمان العودة باختصار [الشيخ عبد الرحمن دمشقية].

**المرئيّات والصوتيات:**

١) تفاصيل هروب عدنان إبراهيم من مناظرة أهل السنة.
٢) أصل الانحراف عند عدنان إبراهيم - الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف.
٣) التحذير من مسلك المُتكلّم عدنان إبراهيم - الشيخ عبد الرحيم الطحان.
٤) الرّد المُسدد على مُنكر خبر الواحد - الشيخ عبد الرحيم الطحّان.
٥) تحذير من أوهام العقلاني عدنان إبراهيم - الشيخ عاطف الفيومي.
٦) كرامات وخوارق الدكتور العقلاني عدنان إبراهيم.
٧) معجزات وفتوحات عدنان إبراهيم.
٨) أرواح أو ملائكة توبّخ عدنان إبراهيم.
٩) عدنان إبراهيم يشتم رجلاً يصلي في مسجده.
١٠) كانوا يخططون لاغتيال عدنان إبراهيم منذ كان عمره ١١ عاما (كذبة صلعاء).
١١) اليهود والنصارى يدخلون الجنة عند عدنان إبراهيم !! .
١٢) عدنان إبراهيم رافضي بثوب أهل السنة - الشيخ سعد البريك.
١٣) ردود الشيخ عثمان الخميس على عدنان إبراهيم.
١٤) ردّ العلامة أبي إسحاق الحويني على الطاعن في صحّة أحاديث البخاري.
١٥) مناقشة لشبهات عدنان إبراهيم للشيخين: عثمان الخميس وأسامة الكندري.
١٦) صد الهجوم عن صحابة الرسول - الشيخ حاي بن سالم الحاي.
١٧) حقيقة عدنان إبراهيم - الشيخ محمد الداهوم.
١٨) تفنيد شُبُهات عدنان إبراهيم - الشيخ د. محمد البراك.
١٩) الدكتور عبد المجيد المبارك يتحدث بشكل رائع عن عدنان إبراهيم.
٢٠) سلسلة بيان حال خطيب النمسا عدنان إبراهيم - طارق الحمودي.
٢١) الرد على افتراءات عدنان إبراهيم - الشيخ عبد الرحمن دمشقية.
٢٢) ردود الشيخ دمشقيّة على الكبيسي وعدنان إبراهيم حول معاوية رضي الله عنه.
٢٣) تهافت العقلانية - الشيخ عبد الرحمن المحمود.
٢٤) مقاطع منوعة من يوتيوب طريق السنة.

**وبعد:**

فإن جميع ما ذكرته من مقالات، وصوتيات، ومرئيات مجموع في موقع (طريق السنة)، بعنوان(جامع الردود على عدنان إبراهيم) ورابطه على شبكة المعلومات(http://sunnahway.net/node/1127)، وبالرغم من هذه الجهود، وغيرها كثيرٌ مما لم أشر إليه، إلا أن الحاجة ماسة إلى دراسات أكاديمية معمقة في الرد على عدنان إبراهيم. أسأل الله أن يهديه لمعرفة السنة ولزومها، وأن يكفي شباب المسلمين وعامتهم شر شبهاته، وأن يجعلنا من الذابين عن دينه، والمجلين لسنة نبيه والمدافعين عنها بكل غالٍ ونفيس.



# المستشرقون " الشكاكون" الجدد: التعريف بهم، وبمنهج البحث لديهم، وعرض أهم شبهاتهم ضد السنة النبوية وكيفية الرد عليه

د. محمد سالم الشغيبي الشهري



**تمهيد:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين:

كان القرن التاسع عشر ميلادي البداية الحقيقية للاهتمام العلمي في الغرب بالحديث الشريف ودراسة مصنفاته. وكانت مجموعة من المستشرقين المهتمين بتاريخ نشأة الإسلام في ذلك القرن قد التفتوا الى كتب الحديث سعيا وراء معرفة تفاصيل أكثر عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، والبحث عن مصادر تاريخية لسيرته بجانب القرآن الكريم. كما نرى ذلك جليا في كتب غوساتف فيل (Gustav Weil, 1808-1889)، والويس شبرنجر (Aloys Sprenger, 1819-1905).[١] لقيت أيضا مصنفات الحديث اهتماما آخر من مجموعة من المستشرقين الذين تخصصوا بدراسة الفقه الاسلامي ومصادره وتطوره، بعدما لاحظوا مكانة السنة النبوية في الإسلام.[٢]

لم يظهر للحديث دراسات مستقلة ومستفيضة في المراحل الأولى للدراسات الاستشراقية حول الإسلام. بل كان النقاش حوله ضمن نقاشات عامة مختصة بالتاريخ الإسلامي، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك النظام القضائي في الإسلام.[٣] ولكن منذ عام ١٨٩٠م إلى يومنا هذا، أصبح الحديث حقلا معرفيا مستقلا في الدراسات الغربية للإسلام. وقد استفتح هذه الفترة اغنتس غولدتسيهر (Ignaz Goldziher, 1850-1921) بدراسة مستقلة حول الحديث الشريف وتاريخه وصحته والتي وضعها في المجلد الثاني لكتابه "دراسات محمدية" والذي صدر عام ١٨٩٠م.[٤] هذ الدراسة مهدت الطريق لكتابات متلاحقة ومختصة تتعلق بقضايا عدة حول الحديث وتأريخه.[٥] أغلب هذه الكتابات

---

[١] انظر: Aloys Sprenger: "On the Origin and Progress of Writing down Historical Facts among the Musulmans", *Journal of the Asiatic Society of Bengal*, 25 (1856): pp. 375-81; Gustav Weil, *Mohammed der Prophet, sein Leben und seine Lehre* (Stuttgart: Verlag der J. B. Metzler"schen Buchhandlung, 1843).

[٢] انظر: Harald Motzki (2002), *The Origins of the Islamic Jurisprudence: Meccan Fiqh before the Classical Schools,* Leiden, Brill, p. 2.

[٣] انظر: Harald Motzki (2004) *Hadith: Origins and Developments*, Aldershot: Ashgate Publishin, p. 18.

[٤] لقد تم إصدار النسخة الإنجليزية لهذا الكتاب في عام ١٩٧٠.

[٥] مثل: Christiaan Snouck Hurgronje (1916), *Mohammedanism; Lectures on Its Origin, Its Religious and Political Growth, and Its Present State*، New York: G. P. Putnam's Sons. و D. S. Margoliouth, "On Moslem Traditon", *The Muslim World*, 2 (1912),

اعتمدت بشكل كبير على ما توصل إليه غولدتسيهر في أبحاثه ولم يكن فيها أي تطور في المنهج البحثي أو النتائج، بل تأكيد لنتائج غولدتسيهر. بقي الحال هكذا حتى عام ١٩٥٠م، عندما أصدر جوزيف شاخت (Josef Schacht, 1902-1967) كتابه حول مصادر الفقه الإسلامي سماه "أصول الفقه المحمدي".[٦] شاخت في هذا الكتاب أكد ما توصل إليه غولدتسيهر من نتائج في بحثه حول الحديث، وأيضا انتقده في بعض المواضع وخاصة في منهجية بحثه التي استطاعت فقط معرفة كون بعض الاحاديث صحيحة أو لا وليس كلها. وهذا في رأيه ما يعيب دراسات غولدتسيهر وهو غياب منهجية عملية يسهل من خلالها دراسة كل حديث وتُمكِّن من تحديد زمن ظهوره بشكل أقرب إلى الصحة. لذا عمل في كتابه هذا على إيجاد نظرية أكثر دقة في تحديد التسلسل الزمني للأحاديث لمعرفة متى نشأت الأحاديث ومن أنشأها، على اعتبار – كما يزعم- أن أغلبها نشأت في القرن الثاني نتيجة لحركة الوضع وعوامل تاريخية وسياسية أخرى ولا تمت بصلة مباشرة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. تُعتبر دراسات غولدتسيهر وشاخت حجر الزاوية للدراسات الغربية الحديثة عموما حول الاسلام وبشكل أخص حول الحديث الشريف، وكان لها أثر كبير في أبحاث ومنهجية من تلاهم من جيل المستشرقين.[٧] فأغلب أبحاث المستشرقين اللاحقة والتي تختص بالحديث وقضاياه لا تبتعد كثيرا عن دائرة ومنهج النقد لنصوص السنة والسيرة النبوية والتي رسم معالمها كلا من هذين المستشرقين.

من ناحية طبيعة هذه الدراسات الاستشراقية التي درست كتب السنة النبوية، فكما أشرنا سابقا أن المستشرقين في البداية اتجهوا للأحاديث ليستعينوا بها في مشروعهم والذي يهدف إلى إعادة بنية السيرة النبوية وفقا للمنهج العلمي الحديث. فالأحاديث تمثل لهم مصادر ووثائق تأريخية يمكن الاستفادة منها إلى حد ما في دراساتهم التاريخية حول نشأة الإسلام وحياة نبيه صلى الله عليه وسلم والمجتمع الذي عاش فيه والقرون الأولى التي تلته. لذا، قاموا بجمع مجموعة من المعلومات التاريخية حول الحقبة الزمنية التي نشأ فيها الاسلام وأحداث السيرة وتحليلها من أجل الإجابة عن أسئلة مثل: ماذا حدث فعلا ذلك الوقت؟ ولماذا؟ (what really happened? and why?).[٨] لهذا السبب كانت الأحاديث مهمة بالنسبة لهم لكي يدرسوها ويقرروا مدى فائدتها كمصدر تاريخي يمكن الوثوق به للاستفادة منها في مشاريعهم الاكاديمية. للمؤرخ الغربي الناقد، إذا كان الحديث لا يمكن أن يدل على أنه صادر من النبي صلى الله عليه وسلم، يبقى الاستفادة منه ممكنا كمصدر يدل على نظريات وحركات فكرية واجتماعية صاحبت التطورات التي حصلت للمجتمع المسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.[٩] فهم لم يهتموا إلا بمدى صحة وموثوقية نصوص السنة ولم يعنهم أبدا حجيتها وسلطتها

---

Johann Fueck, "The Role of Traditionalism in Islam", in *Hadith: Origins and Developments*, ed. Harald Motzki و 113-121. (Aldershot: Ashgate Publishing, 2004), 100

[٦] Joseph Schacht (1967), *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, Oxford: Clarendon Press.

[٧] انظر: Motzki, *Hadith*, xxi, xxiv.

[٨] انظر: Edgar Krentz (2002), *The Historical-Critical Method*, Philadelphia: Wipf & Stock Publishers, p.35.

[٩] انظر: Jonathan Brown (2009*), Hadith: Muhammad's Legacy in the Medieval and Modern World*, Oxford: Onewrold Publications, pp.204-205.

التشريعية إلا في نطاق ضيق. إذا باختصار يمكننا القول أن منهجية البحث التي اتبعها المستشرقون في دراستهم لمصادر الحديث ومصنفاته هي منهج النقد التاريخي والذي قام في الأصل على مبدأ الشك المنهجي والذي اتخذه علماء الغرب مسلكا علميا للبحث في النصوص الدينية والتاريخية في أوروبا في مطلع عصر التنوير. وهذا الشك مفاده عدم الاستسلام للرواية التقليدية للمؤسسة الرسمية لأي دين حول تاريخ وصحة نصوصه الدينية المقدسة، بل لابد من الشك فيها حتى يتبين العكس. ففي حالة الأحاديث، فإن المستشرقين يشكون في مصداقية الرواية الاسلامية وما قاله المحدثون من أن الأحاديث قد تم حفظها والتيقن من صحتها وصونها من عوامل الوضع والتحريف، وأن ما تحتويه كتب الحديث يمثل محتوى تاريخي وديني موثوق به لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته. ولذلك كانت نتائج هذه المنهجية الاستشراقية مخالفة في مجملها لما يعتقده غالب المسلمين حول صحة الأحاديث. فدراساتهم في العموم تثير الشك والارتياب في مصدرية الحديث وكون كل ما في كتب السنة يصح نسبتة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. بيد أن هذا الشكك الإستشراقي في صحة الأحاديث لم يكن حكما مطلقا وقاطعا على كل حديث أو رواية وردت في المصنفات الحديثية، كما دلت عليه دراسات كثير من أبرز المستشرقين كإغناتس غولدتسيهر وجوزيف شاخت) و ج. هـ أ يونبل (G. H. A. Junbul, d. 2010.) فهؤلاء شككوا في موثوقية عدة أحاديث مفردة قاموا بدراستها وبالتالي قاموا بتعميم النتيجة على ما تحتويه كتب الحديث بشكل إجمالي، وعلى الرغم من ذلك فقد أشاروا إلى صحة عدد من الأحاديث أو بعض أنواعها.[١٠] أيضا لم يشكوا بشكل كبير في الخطوط العريضة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم، ووجود القرآن في عهده، وكذلك نشأة الإسلام كما أشارت إليها كتب السنة والسيرة. وسار على هذا الاتجاه أغلب المستشرقين.[١١]

لكن في العقود الثلاثة الأخيرة ظهر اتجاه آخر من الدراسات الغربية والتي قامت بتوسيع دائرة الشك وتعميقه لتصل إلى مراحل جوهرية تخص تاريخ نشأة الإسلام ، والقرآن الكريم والنبي وسنته. فهؤلاء المستشرقون قد انتقدوا نتائج دراسات من سبقهم من زملائهم المستشرقين والذين اعتمدوا في دراساتهم على المصادر الإسلامية واقتنعوا بما تحكيه الروايات الإسلامية حول السيرة النبوية في إطارها التاريخي العام وتاريخ الفترة الأولى من الإسلام، دون النظر بعمق إلى حقائق تأريخية و أدلة خارجية محايدة أخرى. بناء على هذه الأدلة ، رأوا أنه يجب دراسة أصول الإسلام ونشأته من جديد بعيدا وبطريقة علمية مختلفة عمن سبقهم. في الواقع عند تحليل دراسات هؤلاء المستشرقين نجد أنهم ينطلقون من دراسات من سبقهم من الغربيين ومن نفس دائرة الشك حول الروايات الإسلامية، ولكنهم كانوا أكثر شكا من غيرهم ورأوا أن بدراساتهم الجديدة يكتشفون أصول الإسلام الخفية، ويزيحوا الستار عن حقيقة الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم. لذا قد يجدر تسميتهم ب"الشكاكون الجدد" وخاصة أنهم في أبحاثهم توصلوا إلى نتائج مختلفة جذريا عن ما تحتويه المصادر الإسلامية بل و أغلب ما توصل إليه زملائهم المستشرقون من قبل.

---

[١٠] المصدر السابق.

[١١] المصدر السابق، ص: ٢٢٣.

ولكن: من هؤلاء المستشرقون؟ وما هي منهجيتهم في دراسة الإسلام؟ وما موقفهم من نصوص السنة النبوية؟ وما هي نتائجهم التي توصلوا إليها؟ و ما أثرها؟ وكيف يمكن الرد عليها بشكل علمي؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سيحاول هذا البحث بإيجاز الإجابة عليها بإذن الله تعالى.

**"الشكاكون الجدد" وآراؤهم حول الأحاديث النبوية:**

منذ عام ١٩٧٧م ظهرت سلسلة من الدراسات الأكاديمية والتي تطالب بإعادة النظر في كيفية دراسة الإسلام والمصنفات الإسلامية القديمة في الغرب، ومحاولة كشف الحقائق التأريخية حول ظهور الإسلام، ومدى صحة المصادر الإسلامية كالأحاديث جملة وتفصيلا. ولتحقيق ذلك فهم يطالبون بتطبيق منهج النقد التاريخي (Historical-Critical Method) تطبيقا كاملا ومتسقا في دراسة التاريخ الإسلامي المبكر. ويرون أن كل المصادر الإسلامية يجب تنحيتها تنحية كاملة وعدم الاعتماد عليها بحجة أنها متحيزة وليس فيها مصداقية يمكن الاعتماد عليها. بالنسبة لهم لا يمكن الاعتماد على الأحاديث وذلك لأسباب رئيسة من أهمها: أنها كتبت ودونت بشكل متأخر بعد القرن الأول، وليس هناك أي وثيقة حديثية ترجع للقرن الأول أبدا يمكن الرجوع إليها اليوم، هذا يعني أن لدى المسلمين آنذاك وقت كاف لكتابة وتدوين ما شاءوا حول الإسلام وسيرة نبيهم. وهذا في زعمهم دليل كاف لصرف النظر عن أدلة الأحاديث وعدم الاعتماد عليها، والبحث عن أدلة أخرى بعيدة عن المصادر الإسلامية.

المستشرق الذي تزعم هذه الفئة من المستشرقين والذين يسمون في الغرب بـ"Rivisionists" أو "العلماء الشكاكون" - كما يسميهم الباحث الكندي هيرت بيرغ- هو المؤرخ الأمريكي جون ونسبره ( John Wansborugh, 1929-2002) والذي قدم إلى انجلترا ودرس في جامعة لندن. كان يؤكد في أبحاثه على نقد الروايات الحديثية حول ظهور الإسلام وحياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). نشر في السبعينات من القرن الماضي كتابه الدراسات القرآنية (Quranic Studies). و ملخص نتائجه هو: أن القرآن الكريم تم تأليفه ونظمه بعد ٢٠٠ سنة من التأريخ الذي حدده المسلمون، وان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) شخصية وهمية ليست حقيقية ابتكرها المسلمون العرب في غرب الجزيرة العربية بعد احتكاكهم بالأمم المجاورة وباليهود والنصارى.[١٢] لقد اعتمد في كتابه هذا على نقد وتحليل آيات القرآن الكريم ولغته حسب منهج نقد الانجيل، متجاهلا التفاسير الإسلامية والتاريخ او أي مصدر إسلامي، واصفا أحاديث كيفية نزول وكتابة و جمع القرآن وأحاديث تفسيره بالموضوعة والملفقة والتي زورها المسلمون لتلائم معتقدهم حول القرآن الكريم. لقد سبب هذا الكتاب ضجة في أوساط الأكاديميين خاصة في الغرب، ورأى معظمهم آنذاك ان نظرية ونسبره حول القرآن الكريم والنبي محمد جاءت متطرفة ومبالغ فيها.[١٣]

---

[١٢] انظر: John Wansbrough (1977), *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*, Oxford: Oxford University Press, 45.

[١٣] انظر: Carool Kersten, "Review of *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation* by John Wansbrough," *The American Journal of Islamic Social Sciences* 23 (2004):118.

أثرت أفكار ونسبره على بعض المستشرقين وخاصة بعض طلابه الذين واصلوا أبحاثه وطوروا نظرياته خاصة حول الحديث الشريف. قبل أن ننتقل إلى الإشارة إلى بعض أعمال من تأثر بونسبره، يجدر أن نشير إلى أن من أبرز من تأثر بكتابه "الدراسات القرآنية" من المسلمين المفكر المصري نصر حامد أبو زيد، وهذا كان واضحا في أراءه بشأن تأريخية القرآن الكريم.[١٤]

من أشهر طلاب ونسبره الذين آمنوا بنظرياته وطوروها والذين أصبحوا فيما بعد من أبرز المستشرقين المعاصرين هما مايكل كوك (Michael Allan Cook, b. 1940) وباتريشا كرونا (Patricia Crone, b. 1945). كلاهما يؤمنان بوجوب إعادة كتابة التاريخ الإسلامي المبكر وذلك بدراسة المصادر التاريخية القديمة الغير إسلامية، كتلك التي كتبها نصارى عاشوا في زمن الفتوحات الإسلامية. بعد دراسة هذه المصادر في كتابهما الهاجريون (Hagarism)، قررا أن الإسلام جاء وتطور على أيدي عرب من طائفة يهودية مسيحية كانت في جزيرة العرب، ولكونهم من أتباع و أحفاد إبراهيم (عليه السلام) رأوا أن لهم حق في الأرض المقدسة بفلسطين، لذا كانت الهجرة إلى هناك وليست كما يقول المسلمون أنها كانت من مكة إلى المدينة. وقد تحققت هذه الهجرة – بزعمهم- على يد رئيس هذه الطائفة عمر بن الخطاب وكان النبي محمد حيا ذلك الوقت![١٥] هذا بلا شك تاريخ مغاير لما ورد في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه كما جاء في كتب الحديث. طبعا هذه النتيجة الغريبة بناء على تحليل بعض الأجزاء المتفرقة القليلة لمخطوطات نصرانية قديمة أشارت إلى الإسلام.

كرونا في دراسة أخرى تبنت نظرية شاخت من ناحية الإسناد ونظريته حولها (القذف الخلف) والتي مفادها أن المحدثين اخترعوا أسانيد ورواة لأحاديثهم الموضوعة وأرجعوها في الزمن إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقالت أن هذا ينطبق على كل إسناد في كتب الحديث والسير بلا استثناء، مما يجعل الباحث يشك بشكل كامل في صدق وصحة هذه الأحاديث. ولذا لا يمكن أن تخبرنا هذه الأحاديث – في زعمها- عن إي شيء تاريخي وحقيقي عن الإسلام في القرن الأول الهجري. فهي تعتقد أن هذه الأحاديث تعبر عن ماذا يعني النبي لهم، وليس بأنها صدرت منه ورويت عنه جيل عبر جيل.[١٦]

لكن كيف أتت هذه الأحاديث؟ ولماذا؟ يؤكد كل من كوك وكرونا أن جذور الأحاديث "تفسيرية" (exegetical)، بمعنى أن الأحاديث كان يختلقها علماء المسلمين لأجل شرح آيات القرآن وما غمض من أحكامه وتعابيره، لأن المسلمين الأوائل – في زعمهم- اختلفوا في معاني الآيات القرآنية لذا اضطر هؤلاء العلماء ليؤيدوا كلامهم بأحاديث نسبوها للنبي، ليدعم كل منهم رأيه.[١٧]

---

[١٤] http://en.wikipedia.org/wiki/John_Wansbrough

[١٥] انظر: Patricia Crone and M.A. Cook (1980), *Hagarism: The Making of the Islamic World*, Cambridge: Cambridge University Press, p. 85.

[١٦] انظر: Patricia Crone (2002), *Roman, Provincial and Islamic Law: The Origins of the Islamic Patronate* Cambridge: Cambridge University Press, p.34.

[١٧] المصدر السابق، أيضا: *Hagarism,* pp. 44-48.

على خطى ونسبره وكوك وكرونا، اتخذ مجموعة أخرى من الشكاكين المعاصرين أسلوب نقدي آخر عند نقدهم للأحاديث، كأمثال جوديث كورين (Judith Koren) و يهودا نيفو (Yehuda Nevo). القاعدة المنهجية التي سار كل منهما عليه في تحليلهم للتاريخ الإسلامي المبكر هو أن نصوص الأحاديث والسيرة النبوية يجب أن تفحص ويتأكد من موثوقيتها بمقارنتها بمصادر مادية ملموسة، وذلك عن طريق دراسة النقوش والآثار، والنقود القديمة' فإذا تعارضت نتائج دراسة هذه الماديات مع ما تشير إليه الأحاديث والسيرة، فيؤخذ بنتائج الأول. من ضمن الأمثلة التي أيدوا بها منهجهم كان فيما يتعلق بقضية وجود ذكر النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) في أي نقش يرجع تأريخه لما قبل سنة ٧١ للهجرة، فعلى زعمهم، فإن أول ظهور للفظ (محمد رسول الله) كان على عملة ساسانية في عهد خالد بن عبدالله ويرجع تأريخها لسنة ٧١ هـ. فهم يرمون من ذلك بأنه إذا صحت دلائل هذه النقوشات وغيرها من آثار من عدم وجود ما يشير إلى النبي محمد قبل هذه الحقبة التاريخية فهذا يدل على أن ما ذُكر عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته في القرن الأول في المصنفات الحديثية غير تأريخي، و أن هذه الأحاديث إنما نمت وتطورت نتيجة لاختلافات سياسية ودينية حصلت بين أفراد الجيل الأول من المسلمين.

هذا باختصار أهم معالم أصول الشك لدى هذه الفئة المعاصرة من المستشرقين، والخطوط العريضة للمنهجية البحث لديهم في دراسة الأحاديث وروايات السيرة النبوية ونتائجها. ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

١. أن كل الأحاديث الموجودة في كتب السنة والسيرة النبوية هي في الأصل إما أن تكون قد نشأت من محاولات الجيل الأول لتفسير القرآن واستيضاح معانيه وأحكامه، أو نتيجة للاختلافات السياسية والدينية للجيل الأول. لذلك لا يمكن الاعتماد عليها مطلقا ولا يمكن أن تشكل مادة تأريخية حقيقة يمكن إن تخبرنا عن نشأة الإسلام وحياة النبي محمد.

٢. نتيجة لما سبق وجب النظر في مصادر تأريخية أخرى شريطة أن لا تكون إسلامية، مثل كتابات غير المسلمين الذي عاشوا في القرن الأول من الإسلام، ودراسة الآثار المتبقية والتي يرجع تأريخها إلى حقبة العصور الإسلامية الأولى من نقوش و عملات إلخ، وذلك لإعادة اكتشاف الحقيقة التاريخية عن الإسلام وعن محمد (عليه السلام) بعيدا عن ما تحكيه المصادر الإسلامية المتحيزة.

٣. النتيجة الحتمية المترتبة على هذه المناهج والأرآء بلا شك متطرفة للغاية، وهي أن أحداث النبوة والتأريخ الإسلامي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لم تحدث أصلا، بل واحتمال كبير بأن شخصية النبي محمد وهمية اخترعها المسلمون الأوائل وأن القرآن ما هو إلا من تأليف العرب الأوائل.

يتبين من الأمور السابقة الفرق الكبير بين ما يعتقده المسلمون وبين نظريات هؤلاء الشكاكون الجدد، بل بينهم وبين زملائهم المستشرقين الآخرين. إننا نجد، على عكس الشكاكين الجدد، أن بين المسلمين

وبين المستشرقين الآخرين رغم شكهم في موثوقية كتب السنة في الإجمال فواصل مشتركة تجمعهم في عدة نقاط أساسية، منها:

١. أن النبي محمد (عليه السلام) ولد في مكة، ونشأ بها وهناك أخبر الناس بأن الوحي بدأ يتنزل عليه.

٢. أن المشركين ووثني العرب اضطهدوا محمد (عليه السلام).

٣. انتقل أو هاجر محمد (عليه السلام) من مكة إلى المدينة حيث أسس مجتمعا إسلاميا جديدا.

٤. أن أبو بكر خلف النبي بعد وفاته (عليه السلام) في قيادة الأمة الإسلامية، ومن ثم بقية الخلفاء عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم).

**صدى هذه الآراء وتأثيرها:**

في الواقع أن آراء هذه الطائفة من المفكرين الغربيين الجدد قوبلت بشيء من الاستهجان، واحيانا الغضب، وعدم الترحاب في أوساط كثير من الأكاديميين في الغرب، وذلك لتجاهلها أساسيات البحث العلمي الرصين. فمثلا سبّبَ كتاب الدراسات القرآنية لجون ونسبره موجة من الامتعاض بين زملائه المستشرقين فضلا عن العلماء المسلمين، وذلك لغرابة ما جاء به، ورأوا أنه تجاهل التأريخ تماما في كتابه.[١٨] لم تحظ أيضا دراسات كل من مايكل كوك وباتريشا كرونا بكثير من التأييد العلمي والقراءة الواسعة من قبل المستشرقين ما عدا القلة منهم، ممن يسير على خطى شيخهم الأكبر ونسبره. يرى كثير من المراجعين والمعلقين الأكاديميين في الغرب من أمثال: ستيفن همبريز (Steven Humphreys) و ديفيد وينز (David Waines) أن كتب هؤلاء وخاصة (الهاجريون) أنها ضد الاسلام وضد العرب، وهناك تحامل و تحيز وسوء استعمال للنصوص الغير إسلامية في هذا الكتاب فقط لإثبات نظرية غير منطقية وغير متزنة. ايضا وصف الكتاب بان نتائجه مرفوضة بشكل عام ونظرياته بنيت على أدلة هزيلة وعلى التخمين، وفيها نوع من التناقض.[١٩]

على الرغم من هذا النقد اللاذع من هؤلاء الغربيين و غيرهم[٢٠] نجد أن في الآونة الأخيرة أصبح لهذه النظريات صدى و أثر بين الناس وخاصة بين المسلمين- و اخص منهم من يعيش في الغرب- وبدا لها نوع من الانتشار في اوروبا، وذلك كله عن طريق:

[١٨] انظر: Stephen Humphreys (1991), *Islamic History, A Framework for Inquiry,* Princeton, N.J.: Princeton University Press, pp. 84-85

[١٩] انظر: David Waines (1995). *Introduction to Islam,* Cambridge, UK: Cambridge University Press, pp. 273-74.

[٢٠] انظر مثلا: Gordon Newby (1988). *A History of the Jews of Arabia*. Los Angeles, California: University of California Press. p. 110

**الأول، الإعلام الغربي:**

في السنتين الأخيرتين كانت هناك عدة برامج وثائقية حول القرآن والإسلام، وكلها للأسف تعرض مادتها العلمية بشكل مضلل حيث أن من يشاهدها من غير المسلمين تتولد لديه أفكار محرفة وغير حقيقية حول القرآن والإسلام والنبي محمد عليه الصلاة السلام. أما بالنسبة للمسلمين، فهناك فئة معينة وخاصة الشباب الذي نشأ في المجتمعات الغربية وهو غير مسلح بالعلم الشرعي فمثل هذه البرامج قد تولد لديهم شيء من الحيرة والشك. أقرب مثال على ذلك، هو الفيلم الوثائقي الأخير الذي عرضته القناة الرابعة البريطانية في ٢٠١٢/٨/٢٨ بعنوان: الإسلام، القصة الغير مروية أو الغير مخبر عنها (Islam: The Untold Story). المقصود من هذا الوثائقي التحقق من أصول الإسلام وكيف ظهر، وحقيقة القرآن والنبي محمد، وبعض معالم الجزيرة العربية كمكة المكرمة، والمدينة. هذا الفيلم شكك في أصول وصحة الرواية الإسلامية حول ظهور الإسلام في مكة ونزل القرآن على رسول الله، بل وشكك في الروايات الحديثية وقال إن الأدلة العلمية التأريخية تقول عكس ما تشير إليه حول الإسلام والقرآن والرسول. تسبب هذا الفيلم بإغضاب الجالية المسلمة في بريطانيا مما سبب مظاهرة أمام مبني البي بي سي والتي أرادت استضافة مقدم الوثائقي المؤرخ توم هولاند (Tom Holland) والحوار معه وفتح هذا الحوار أمام الجمهور، ولكن هذا الحوار لم يتم خوفا على سلامة المؤرخ هولاند. الغريب في الأمر أن توم هولاند هو أحد تلامذة باتريشا كرونا، وقد تبنى في برنامجه هذا أفكار معلمته كرونا ومايكل كوك في كتابهما الهاجريون، وايضا اعتمد فيه على بعض نظريات ونسبره التي أودعها في أبحاثه. ما يثير الاهتمام هنا أيضا هو أن بعض المسلمين طرح تساؤلات عدة للأئمة المساجد حول ما أثير في البرنامج، وتساؤلات تدل على حيرة وقلق، والمحزن أن الغالبية لم يعرف كيف يجيب على مثل هذه الشبهات التي أثارها مثل هذا البرنامج من أرآء.[٢١] هذا يدل على خطورة الإعلام في نشر الأفكار المضللة والغير معروفة حول الإسلام والسنة النبوية، ويقوم ببثها في الناس للتأثير عليهم وعلى معتقداتهم.[٢٢]

**الثاني: الجهات التنصيرية:**

لاشك بأن كثير من المؤسسات التنصيرية التي تمارس نشاطها بين المسلمين منذ وقت الاستعمار الغربي لكثير من بلاد المسلمين إلى يومنا هذا تبث كثير من الشبهات حول السنة النبوية في المجتمعات الإسلامية، وهذ الشبهات في الغالب هي من نتاج العمل الإستشراقي القديم والحديث حول الإسلام و مصادره الدينية والتاريخية. في الوقت المعاصر أصبح الهجوم على السنة والثوابت الدينية متنوع الأشكال والمصادر. ما يهمنا هنا هو كيف استغل المبشرون آراء المستشرقين الشكاكين المعاصرين أتباع مدرسة ونسبره والقيام بنشرها بين المسلمين سواء في الغرب أو في الشرق. هذه النظريات الحديثة حول أصول الحديث النبوي وتأريخانيتها تشكل في الواقع تحديا جديدا للمسلمين وعلمائهم وذلك لأنها مبنية على مناهج بحث جديدة تعتمد على مصادر غير إسلامية وعلى دراسات للنقود والآثار وغيرها، وهذا أمر

[٢١] انظر: http://islamclass.wordpress.com/2012/09/02/reviews-of-hagarism-by-patricia-crone-and-michael-cook/

[٢٢] علي إبراهيم النملة (٢٠١٠)، المستشرقون والسنة والسيرة في المراجع العربية، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ص ٣٧-٣٩.

شبه جديد على الدراسات الإسلامية في العالم الإسلامي. وهذا هو العامل الذي حفز كثير من المنصرين وغيرهم من المتهجمين على الإسلام كالملاحدة في بلاد المسلمين من تبني مثل هذه النظريات والسعي وراء بثها سواء عبر مواقعهم الإلكترونية، أو عن طريق البرامج الإذاعية أو المرئية، والقيام أيضا بترجمة هذه الشبهات إلى عدة لغات في العالم الإسلامي كالعربية والأردو والمالاوية الخ.[٢٣]

من أشهر المواقع الإلكترونية التي تتبنى هذه الشبهات وتتحدى بها المُسّلمات لدى المسلمين حول السنة النبوية موقع Answering Islam والذي دائما ما يناقش قضايا إسلامية من وجهة نظر أستشراقية. وهو يُعد من أخطر المواقع وأشدها تأثيرا، وهو ينشر الشبهات والضلالات حول السنة النبوية بعدة لغات منها العربية، ويناقش كذلك أغلب المسائل المستجدة حول الإسلام.[٢٤]

باختصار إن هذه الأفكار الاستشراقية الشاكة في أصول السنة النبوية ما زالت تغذي كثيرا من البرامج الإعلامية و المواقع الإلكترونية التنصيرية المعادية للإسلام والتي مهمتها تشويه الإسلام في أعين المسلمين والتشكيك في أصول دينهم.

**كيفية الرد العلمي على شبهات المشككين:**

لا يمكن طبعا الرد على الشبهات والنظريات الخاصة بهذه المدرسة الاستشراقية الجديدة بطريقة تقليدية أو من نفس المصادر الإسلامية المكتوبة وإن كان بإمكاننا فعل ذلك بسهولة، ولكن سيكون الرد أقوى إذا كان بنفس الأدوات العلمية التي استخدمها رواد هذه المدرسة أنفسهم، وذلك من باب قرع الحجة بالحجة، واستخدام نفس منطق الخصم. سنتكيء في الرد عليهم على مصادر وشواهد تأريخية و أهمها ما يلي:

**أولا: مصادر تاريخية خارجية:**

ويقصد بها الوثائق التاريخية القديمة الغير إسلامية والتي كتبها غير المسلمين من نصارى ويهود الذين عاشوا في الفترة النبوية، واحتكوا بالمسلمين خلال الفتوحات الإسلامية خلال القرن الأول هجري. وهي وثائق أغلبها كُتب بلغة غير عربية كالسيريانية والعبرية. بالنظر في ما وصل إلينا من مخطوطات غير عربية تعود إلى القرن الأول الهجري وقام بعض الباحثين الغربيين بتحقيقها ونشرها باللغة الإنجليزية، وفحص ما احتوت عليه نجد بسهولة أدلة واضحة تساند ما يعتقده المسلمون وما كتبه العلماء الأوائل عن الإسلام ونبيه وسنته عليه الصلاة والسلام. فمثلا في بعض كتابات النصارى القديمة حول النبي عليه السلام و المسلمين نجد فيها شواهد تؤكد بأن محمد عليه الصلاة والسلام لم يكن يمثل للمسلمين نبياً فقط بل مشرعا وقائدا للمسلمين، وأن أوامره وتعاليمه محور حياتهم الدينية وكانت الأجيال الأولى من المسلمين متمسكين بها. خير دليل على ذلك ما كتبه بالسيريانية يوحنا ابن الفنقي

---

[٢٣] انظر: http://www.quadrant.org.au/magazine/issue/2012/7-8/the-revisionist-case-that-muhammad-did-not-exist/page:printable انظر أيضا: http://www.mohammedamin.com/Reviews/Quranic-Studies-Sources-and-Methods-of-Scriptural-Interpretation.html

[٢٤] www.**answering-islam**.org

(John bar Penkaye)، الراهب السوري الذي عاش في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وتوفي سنة ٨٦ هـ، حول تغطية احداث سنة ٦٧ للهجرة في كتابه خلاصة تاريخ العالم ( Summary of World History). قال في المجلد الخامس عشر واصفا العرب:

تلقى العرب – كما قلت- من الرجل [محمد] الذي كان مرشدهم، أمرا في صالح النصارى والرهبان... وكانوا متمسكين جدا بسنة قائدهم محمد..[٢٥]

أيضا ما كتبه يوحنا الدمشقي (توفي سنة ١٣١هـ) عن المحرمات التي بلغها النبي محمد لأصحابه للابتعاد عنها. يقول: إن محمد أمرهم [أي اتباعه] بأن يختتنوا، وكذلك النساء، ونهاهم أن يسبتوا أو يتم تعميدهم [أي كالنصارى]، وأوصاهم أن لا يأكلوا الأشياء المنهي عنها في الشريعة والامتناع عنها، وشرب الخمر منهي عنه تماما...[٢٦]

شاهد آخر هو ما وجد في الكتابات التاريخية لديونيزوس المؤرخ النصراني وأحد بطاركة الكنيسة اليعقوبية في سوريا ذلك الوقت، وقد توفي في سنة ٢٣٣ هـ لقد أُشتهر ديونزوس بكتابه ( The Zuquin Chronicler) وهو عمل تأريخي كبير مقصده منه هو تدوين أحداث العالم منذ بدء الخليقة إلى سنة ١٥٨ هـ قام في عمله هذا بتضمين كتابات من سبقه من الرهبان والمؤرخين الذين كتبوا حول نفس الموضوع. ما يهمنا هو الملاحظات التي دونت في كتابه حول المسلمين وتأريخهم حتى سنة ٩٨ هـ. تذكر بعض الملاحظات بأن "محمد أعطى (قوانينا) للعرب" و في مكان آخر يؤكد بأن أي أمر أو نهي يعطيه محمد عليه السلام لأتباعه فإنهم "يتمسكون به بشدة ويقولون هذا تعين بأمر من نبي ورسول الله الذي عُهد إليه من الله"[٢٧]

هذه العبارات التأريخية المكتوبة بأيدي غير المسلمين لتؤيد وبقوة الرواية الإسلامية المثبته في كتب الحديث عن النبي محمد عليه السلام وأهمية سنته وسيرته لأصحابه الذين تمسكوا بها وساروا عليها وبلغوها لمن بعدهم، كما لاحظه غير المسلمين آنذاك. وفيه دلالة واضحة بأن النبي محمد شخصية حقيقة تاريخية لا كما يزعم المضللون من المستشرقين. الجدير بالذكر أن هذه الشهادات التأريخية جاءت في كتب تحمل النبرة العدوانية وغير المنصفة للإسلام ونبيه.[٢٨]

---

[٢٥] انظر كتابه الصادر باللغة الإنجليزية: John bar Penkay, *Ktaba Rrish melle* [Summary of World History], book 15, [online version: http://www.tertullian.org/fathers/john_bar_penkaye_history_15_trans.htm#Book14]. نص ما قاله باللغة الإنجليزية: "They [Arabs] had received, as I said, from the man who was their guide [Muhammad], an order in favour of the Christians and the monks...they were so attached to the tradition of Muhammad who was their leader..."

[٢٦] عبارته مترجمة باللغة الإنجليزية هي: "He [Muhammad] prescribed that they be circumcised, women as well, and he commanded neither to observe the Sabbath nor to be baptised, to eat those things forbidden in the law and to abstain from others. Drinking of wine he forbade absolutely" انظر: *John of Damascus on Islam: The 'Heresy of the Ishmaelites'* (Leiden: Brill, 1972), 139.

[٢٧] انظر: Dionysius of Tel-Mahre, *The Zuqnin Chronicle*, translated by Witold Witakowski (Uppsala: Studia Semitica Upsaliensia, 1987), 149-50.

[٢٨] انظر: http://www.islamic-awareness.org/History/Islam/Inscriptions/earlysaw.html

**ثانياً: الآثار والنقود والنقوش التأريخية:**

للأسف أن هؤلاء المستشرقين ينتقوا من الأدلة التأريخية ما يناسب نظرياتهم ويهملوا ويتركوا الكثير منها التي تناقض معتقداتهم ومنهجيتهم العلمية، ولا يشيروا إليها حتى مجرد إشارة ناهيك عن تحليلها والاستفادة منها. فمثلا ما يعتقده ونسبره بأن القرآن من تأليف العرب وتم تأليف في نهاية القرن الثاني ولم يكن له وجود في القرن الأول، يكذبه معلم تأريخي بارز الا وهو ما كتب من آيات حول قبة الصخرة في المسجد الأقصى في داخلها وخارجها والتي أمر ببنائها عبد الملك بن مروان وانتهى العمل منها سنة ٧٢ هـ، أي في القرن الأول. فقد كتبت الآيات التالية: (﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بَغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾) [آل عمران، ١٨-١٩]. وفي أعلى القبة من الداخل نجد آية الكرسي التي تبدأ بقوله تعالى ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم)) وتتكرر عبارات: الله لا إله إلا هو الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ، محمد رسول الله فوق أقواس المثمن الأوسط من القبة من الخارج.[٢٩]

من الشواهد أيضا أن هناك معالم أثرية نُقش عليها اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الطريق الذي يربط دمشق بالقدس. ففي أحدها قد كُتب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له. محمد رسول الله. وقد أرجع علماء الآثار زمن هذا النقش إلى سنة ٦٥ تقريبا. أيضا هناك درهم تم صكه سنة ٦٦ هـ منقوش عليها "محمد رسول الله".[٣٠]

مثل هذه النقوش والآثار وغيرها التي لا يتسع المجال لذكرها كشواهد القبور التي كُتب عليها بعض الآيات القرآنية والأحاديث والتي تعود للقرن الأول جميعا تدل دلالة واضحة على وجود شخص النبي صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين واهمية تمسكهم بتعاليمه وعلى أهمية كذلك ذكر وظيفته الربانية مقرونة باسمه دائما كنبي ورسول.

قبل الانتقال إلى الخاتمة، اود أن الفت انتباه القاريء إلى أن هذه المعالم والآثار التي استدللت بها هنا إنما هي شواهد تاريخية يمكن لغير المسلمين كالمستشرقن زيارتها ودراستها، وإلا أكبر شاهد لدينا هي المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهي كما هو معروف شرعا لا يمكن لغير المسلم دخولهما.

**الخاتمة:**

تمثل هذه الشبهات الجديدة والتي تتبع منهجية النقد التأريخي لنصوص الكتاب والسنة النبوية والتي تعتمد أيضا على مصادر غير إسلامية وتستخدم علم الآثار وغيرها من علوم حديثة تحديا معاصرا للمسلمين وعلمائهم وخاصة المختصين في الحديث وعلومه. ويؤكد هذا التحدي من كون هذه الشبهات

---

[٢٩] انظر مقالة الدكتور سليمان البدور (الدلالات التوحيدية في بناء قبة الصخرة المشرفة) في الموقع الإلكتروني التالي: *www.alqudsforever.com*

[٣٠] انظر: http://www.islamic-awareness.org/History/Islam/Inscriptions/earlysaw.html

لم تصبح على ضعفها حبيسة الكتب بل أصبح يروج لها في شتى وسائل الإعلام المقروء منها والمرئي، والهدف من ذلك هو نشرها لتصل أكبر شريحة من المسلمين ولتسهم في تشكيكهم في أصول وثوابت دينهم وفي سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام. بل و اصبحت تُستغل من جهات تنصيرية تعمل ليلا ونهارا لمحاربة الإسلام. على علماء الحديث أن يتصدوا لها وفقا لمنهج البحث العلمي الحديث، و أن يتسلحوا بالعلوم والمعارف الجديدة ليكونوا أكثرا إقناعا وتأثيرا. ولقد رأينا أن بإمكاننا استخدام مثل هذه المعارف للرد على مثل هذه الشبهات والأفكار الضالة، وتسخيرها لخدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.



# فتح الرحمن في رد الشبهات عن
# خال المؤمنين الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

**د. محمد سيد أحمد شحاته**

أستاذ الحديث وعلومه المساعد (مشارك) بجامعة الأزهر كلية أصول الدين أسيوط

وحالياً بجامعة المجمعة كلية التربية بالزلفي

بالمملكة العربية السعودية



## الْمُقَدِّمَةُ:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَسْتَهْدِيه وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْـدُ:

فقد تعرضت السنة النبوية الشريفة للطعون والشبهات من الحاقدين والحاسدين منذ العصور الأولى للإسلام، وذلك بالطعن في الصحابة حيناً، وفي السنة حيناً آخر، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وتشكيكهم في أهم مصادر شريعتهم.

والطاعنون في السنة قديماً وحديثاً لا دراية عندهم، ولا علم لديهم بفن الحديث، فهم جاهلون أو متجاهلون، فينبغي أن يسلموا لأهل التخصص، ولكن ماذا تصنع مع أناس ملأ الحقد قلوبهم.

وقد صل الأمر بأعداء الإسلام إلى النيل من الصحابة الكرام، الذين عاينوا الوحي والتنزيل، ونقلوا الأحاديث مشافهة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد صوب هؤلاء سهامهم نحو الصحابة جميعاً، فلم يسلم من شبهاتهم الا عدد قليل، ومن الذين حاول هؤلاء النيل منهم، والتشكيك في إسلامه أحد كُتّاب الوحي الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، وخليفة المسلمين، وكاتب وحي رب العالمين، وغرض هؤلاء من النيل منه إسقاط رواياته وروايات من ناصروه، بل واتهام كتاب الوحي، والتشكيك في كل أمير وخليفة للمسلمين، وفي كل فاتح ومجاهد، ولا يكاد يوجد صحابي ناله من الطعن ما نال معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- خاصة من الشيعة الذين صوبوا سهامهم نحوه، وراحوا يكيلون له الاتهامات تلو الاتهامات.

ولكنا نؤكد لكل طاعن ونقول له : لو أن الأقلام كل الأقلام ظلت تكتب منذ بدأت الطعن في الصحابة، إلى أن تهمد للناس على ظهر الأرض حركة، فإنهم لن ينزلوهم عن المرتبة التي بوأهم الله إياها، وما حال هؤلاء الطاعنين إلا كما قال الأعشى:

**كناطح صخرة يوماً ليفلقها    فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل**[1]

هذا وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي على النحو التالي: مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة : أهمية الموضوع وخطة الدراسة.

الفصل الأول: الترجمة لمعاوية رضي الله عنه، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه .

المبحث الثاني: إسلامه .

المبحث الثالث: مناقبه.

المبحث الرابع : خلافته للمسلمين .

المبحث الخامس: وفاته.

الفصل الثاني: أهم ما أثير حوله من شبهات والرد عليها، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خطورة الوقيعة في معاوية.

المبحث الثاني: أهم الشبهات التي أثيرت حوله والرد عليها وجاءت كالتالي:

الشبهة الأولى: الطعن عليه في صحة إسلامه.

الشبهة الثانية: أنه ارتكب بعض الكبائر.

الشبهة الثالثة. قالوا: هناك بعض الأحاديث تحط من قدر معاوية رضي الله عنه.

الشبهة الرابعة: ما نسب لبعض الأئمة أنه قال: لا يصح في فضل معاوية شيء.

الشبهة الخامسة: ذكروا بعض الأحاديث تدل على أن معاوية ومن معه أهل بغي.

الشبهة السادسة: طلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه للخلافة وأنه أخذها قهراً.

الشبهة السابعة: أنه سب علياً رضي الله عنه.

الشبهة الثامنة: الطعن عليه بأنه قد دس على الحسن من سمه.

الشبهة التاسعة: أن معاوية أراد أن ينقل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام.

الخاتمة: أهم نتائج البحث.

---

(١) الأغاني ٩/ ١٧٨.

## الفصل الأول

## الترجمة لمعاوية رضي الله عنه

يجدر بي أن أعرف بهذا الصحابي الجليل، وأبين فضله، وأذكر ترجمته، قبل ذكر الشبهات حتى تظهر مكانته، والترجمة على النحو التالي:

**المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.**

خال المؤمنين، وكاتب وحي رسول الله رب العالمين صلى الله عليه وسلم، أمير المؤمنين ملك الإسلام، أبو عبدالرحمن مُعاوية بن أبي سُفيان . صَخْر بن حَرْب . بن أُمَيَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف بن قُصي بن كِلاب القرشي الأمويُ(٢) المكي، يلتقي نسبُه مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم في عبدِ مَناف، وَأُمُّهُ: هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيْعَةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ.

مولده:وُلد معاوية رضي الله عنه قبل البعثة بخمس سنين على الأشهر، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة(٣).

**المبحث الثاني: إسلامه**

اختلف في إسلامه إلى قولين:

القول الأول: أنه أسلم بعد الحديبية، وقبل عمرة القضاء.

القول الثاني: أنه أسلم عام الفتح.

فقد حكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية، وكتم إسلامه، حتى أظهره عام الفتح، فإنه كان في عمرة القضاء مسلماً. قال الحافظ ابن حجر: "وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج:"فعلناها، وهذا يومئذ كافر"(٤)، ويحتمل إن ثبت الأول أن يكون سعد أطلق ذلك بحسب ما استصحب من حاله، ولم يطلع على أنه كان أسلم لإخفائه لإسلامه".

---

(٢) بضم الألف وفتح الميم وكسر الواو هذه النسبة الى أمية، والمشهور بهذه النسبة جموع كثيرة، منهم بنو أمية بن عبدشمس ابن عبد مناف بن قصي الذين ولوا الخلافة وهم ينتسبون الى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفيهم كثرة من الخلفاء والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فمنهم ابو أمية عمرو بن سعيد بن العاص الأموي القرشي.(الأنساب للسمعاني ٣٤٨/١).

(٣)أسد الغابة ٤ / ٣٨٥، تهذيب الكمال: ١٣٤٣، سير أعلام النبلاء ٣ /١١٩، البداية والنهاية ٨ / ٢٠ و١١٧، الاصابة ٣ / ٤٣٣، تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٠٧، تاريخ الخلفاء: ١٩٤.

(٤) أخرجه: مسلم باب التمتع بالعمرة إلى الحج ٢/ ٨٩٨ ح ( ١٢٢٥ ) من حديث غنيم بن قيس قال: سألت سعد بن أبي وقاص ﷺ عن المتعة ؟ فقال: فعلناه، وهذا يومئذ كافر بالعرش -يعني بيوت مكة- قوله: ( وهذا يومئذ كافر بالعرش ) أما العرش فبضم العين والراء، وهي بيوت مكة, قال أبو عبيدة: سميت بيوت مكة عرشاً لأنها عيدان تنصب ويظلل بها ... وأما قوله: وهذا، فالإشارة بهذا إلى معاوية بن أبي سفيان، وفي المراد بالكفر هنا وجهان: أحدهما: ما قاله المازري وغيره: المراد وهو مقيم في بيوت مكة. قال ثعلب: يقال: اكتفر الرجل إذا لزم الكفور وهي القرى، والوجه الثاني: المراد الكفر بالله تعالى، والمراد أنا تمتعنا ومعاوية يومئذ كافر على دين الجاهلية مقيم بمكة، وهذا اختيار القاضي عياض وغيره، وهو الصحيح المختار.

وروي عنه أنه كان يقول: "لقد أسلمت قبل عمرة القضية، ولكني كنت أخاف أن أخرج إلى المدينة لأن أمي كانت تقول: "إن خرجت قطعنا عنك القوت"(٥).

قال الحافظ ابن حجر: "يمكن الجمع بأنه كان أسلم خفية، وكان يكتم إسلامه، ولم يتمكن من إظهاره إلا يوم الفتح، وقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من ترجمة معاوية تصريح معاوية بأنه أسلم بين الحديبية والقضية، وأنه كان يخفي إسلامه خوفاً من أبويه، وكان النبي صلى الله عليه وسلملما دخل في عمرة القضية مكة خرج أكثر أهلها عنها حتى لا ينظرونه وأصحابه يطوفون بالبيت(٦)، فلعل معاوية كان ممن تخلف بمكة لسبب اقتضاه"(٧).

**والراجح:**

أنه أسلم قبل الفتح، وكان يكتم إسلامه، حتى أظهره عام الفتح، ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم: فَعَلْنَاهَا وَهَذَا يَوْمَئِذٍ كَافِرٌ بِالْعُرُشِ، يَعْنِي بُيُوتَ مَكَّةَ، ومعاوية رضي الله عنه لم يُعرف عنه قبل الإسلام أذىً للنبي صلى الله عليه وسلم، لا بيد، ولا بلسان.

وبعد إسلام أبيه أبي سفيان رضي الله عن انتقلَ وأهله إلى المدينة، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلمبين معاوية والحُتات ابن يزيد المُجاشِعي(٨)، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عن معاوية راضٍ(٩).

**المبحث الثالث: مناقبه.**

له مناقب لاتحصى ويصعب حصرها لذا فإني سأكتفي بذكر بعضها:

**(١) كَاتَبُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى وَحْيِ اللَّهِ تعالى وَهُوَ الْقُرْآنُ بِأَمْرِ اللَّهِ تعالى .**

لا خلاف بين أحد من أهل العلم في كون معاوية رضي الله عنه أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلموالقارئلكتب الحديث والعقيدة، والمطالعلكتب السيروالمغازي، والذي يفتش في بطون الكتب لا يجد أحداً خالف في هذا الأمر(١٠).

---

(٥)الطبقات لابن سعد (٧/ ٤٠٦، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٨/ ١٧٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٢١).

(٦)تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٣٣٩).

(٧) فتح الباري ٣/ ٥٦٦.

(٨) حتات بْن يَزِيدَ بْن علقمة بْن حوي بْن سفيان بْن مجاشع بْن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مَالِك بْن زَيْد مناة بْن تميم، التميمي الدارمي. قدم عَلَى النَّبِيّ ﷺ في وفد بني تميم، مع عطارد بْن حاجب، والأقرع بْن حابس، وغيرهما، فأسلموا، وآخى رَسُول اللَّهِ ﷺ بينه وبين معاوية بْن أَبِي سفيان، ولما اجتمعت الخلافة لمعاوية، قدم عليه الحتات، وجارية بْن قدامة، والأحنف ابْن قيس، وكلاهما من تميم، وكان الحتات عثمانيًا، وكان جارية والأحنف من أصحاب علي، فأعطاهما معاوية أكثر مما أعطى الحتات، فرجع إليه، وقال: فضلت علي محرقًا ومخذلًا! قال: اشتريت منهما دينهما، ووكلتك إِلَى هواك في عثمان، قال: وأنا أيضًا فاشتر مني ديني، مات في خلافة معاوية.( أسد الغابة ط الفكر (١/ ٤٥٤) ت(١٠٧٨).

(٩)أسد الغابة ٣٨٥/٤، سير أعلام النبلاء ١١٩/٣، البداية والنهاية ٢٠/٨ و١١٧، الاصابة ٣ / ٤٣٣.

(١٠) الإستنفار للذب عن الصحابة الأخيار (ص: ٢٠).

قيل لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: "مَا تَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيمَنْ قَالَ: لَا أَقُولُ: "إِنَّ مُعَاوِيَةَ كَاتِبُ الْوَحْيِ"، وَلَا أَقُولُ: "إِنَّهُ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ أَخَذَهَا بِالسَّيْفِ غَصْبًا؟" قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: "هَذَا قَوْلُ سَوْءٍ رَدِيءٌ، يُجَانَبُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَلَا يُجَالَسُونَ، وَنُبَيِّنُ أَمْرَهُمْ لِلنَّاسِ"(١١)، ومعاوية كان من كتاب الوحي لمصلحة رآها صلى الله عليه وسلم.

**(٢) صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم**، وهو أمر معلوم معروف.

**(٣) دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم دعوات منها:**

أَنْ يَقِيَهِ الْعَذَابَ , وَدَعَا لَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَيُمَكِّنَ لَهُ فِي الْبِلَادِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وقد جاءت أحاديث تدل على دعاء النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَهُ منها:

(أ) عن وحشي أن معاوية كان رديف النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "مَا يَلِينِي مِنْكَ؟" قَالَ: بَطْنِي , قَالَ: "اللَّهُمَّ امْلَأْهُ حِلْمًا وَعِلْمًا"(١٢).

(ب) عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَتَسَحَّرُ فَقَالَ: "هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ" وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمُعَاوِيَةَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ، وَقِهِ الْعَذَابَ"(١٣).

(ج) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا وَاهْدِ بِهِ".(١٤). فهذه دعوات كثيرة نالها معاوية.

**(٤) صَاهَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم.**

بِأَنْ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ أُخْتَ مُعَاوِيَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا , فَصَارَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَارَ هُوَ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَنْزَلُ اللَّهُ تعالى فِيهِمْ (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الممتحنة: ١: ٧].نعم والله قدير والله غفور رحيم، فهذه منزلة لا تنكر، ومكانة لا تجحد، وبشارة لمعاوية.

---

(١١) السنة لأبي بكر بن الخلال (٢/ ٤٣٤) ح(٦٥٩).

(١٢)أخرجه: ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٨٨)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٣١)، وابن بشران في أماليه٢/٢٨٩ ح(١٥٣٢)، وهذا سند ضعيف. قالصالح جزرة: لا يشتغل بوحشي، ولا بأبيه".(سير أعلام النبلاء(٣/ ١٢٧).

(١٣) أخرجه: أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ ح (١٧١٩٢)، وابن خزيمة في كتاب الصيام باب ذكر الدليل أن السحور قد يقع عليه اسم الغداء٣/ ٢١٤ ح (١٩٣٨)، وقال الألباني: "هذا إسناد حسن في الشواهد، رجاله ثقات, غير الحارث بن زياد؛ فإنه مجهول لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يذكر له راوياً غير يونس هذا، وعليه؛ فقول الحافظ فيه: "لين الحديث "! ليس على الجادة.ثم إنه ليس يخفى أن إخراج ابن خزيمة لحديثه في "الصحيح " يعني أنه ثقة عنده، إلا أنه قد عرف بالتساهل في التصحيح والتوثيق- كتلميذه ابن حبان، فلا أقل من أن يصلح للاستشهاد به، وهذا هو الذي مال إليه من قوى هذا الحديث". (سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٦٨٨).

(١٤) أخرجه: الترمذي في - كتاب المناقب - باب مناقب معاوية بن أبي سفيان - ٥/ ٦٨٧ ح (٣٨٤٢) وقال: حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وأحمد بن حنبل في المسند ٤/ ٢١٦ ح (١٧٩٢٦)، وقال الإرناؤوط: على شرط الشيخين، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣٢٧)، وابن أبي خيثمة في تاريخه الكبير (١/ ٣٤٩) ت(١٢٣٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٥٨) ح(١١٢٩)، وأبو بكر بن الخلال في السنة (٢/ ٤٥٠) ح(٦٩٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٠٥) ح(٦٥٦)، وفي مسند الشاميين (١/ ١٨١) ح(٣١١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٣٥٨)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ١٤٦).

**(٥) ممن لا يخزيهم الله.**

فهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تعالى: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) [التحريم: ٨] فَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لَهُ أَنْ لَا يُخْزِيَهُ لِأَنَّهُ مِمَّنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم(١٥).

**(٦) رُوِي له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاث وستون (١٦٣) حديثًا، وروى عنه الصحابة والتابعون.**

حَدَّثَ عَنِ: النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَتَبَ لَهُ مَرَّاتٍ يَسِيْرَةً.وَحَدَّثَ أَيْضاً عَنْ: أُخْتِهِ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ أُمِّ حَبِيْبَةَ، وَعَنْ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ.رَوَى عَنْهُ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيْدُ بنُ المسيِّبِ، وَأَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ، وَأَبُو إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَعُرْوَةُ ابنُ الزُّبَيْرِ، وَسَالِمُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وَمُحَمَّدُ بنُ سِيْرِيْنَ، وَوَالِدُ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، وَخَلْقٌ سِوَاهُم.وَحَدَّثَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضاً: جَرِيْرُ بنُ عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو سَعِيْدٍ، وَالنُّعْمَانُ بنُ بَشِيْرٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ.(١٦).

**(٧) أحد الخلفاء الاثني عشر.**

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: "انْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعِي أَبِي، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً"، فَقَالَ كَلِمَةً صَمَّنِيهَا(١٧) النَّاسُ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: "كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ"(١٨).

وبالتأمل في الحديث بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثنَي عشر وُصِفوا بأنهم يتولون الخلافة , وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم، ولا يزال أمر الناس ماضيًا وصالحًا في عهدهم، وكل هذا الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الشيعة الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتَوَلَّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي وابنه الحسن - رضي الله عنهما -.

وليس في الحديث تسميةلهؤلاء الأئمة, بل نبوة منه صلى الله عليه وسلم بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصور هؤلاء, وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة.

ولهذا قال ابن تيمية: "إن الإسلام وشرائعه في بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: (لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش). ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن".(١٩).

---

(١٥) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٣١).

(١٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠)، والسنة لأبي بكر بن الخلال (٢/ ٤٣٥) ح(٦٦٣).

(١٧) (صمنيها) أَيْ شَغَلوني عَنْ سَمَاعِها، فكَأَنَّهم جَعَلوني أَصَمَّ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٤).

(١٨) أخرجه: البخاري في كتاب الأحكام باب الاستخلاف، (٩/ ٨١) (٧٢٢٢)، ومسلم في كتاب الإمارة بَابُ النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ، وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ (٣/ ١٤٥٣) ح(١٨٢١)، واللفظ لمسلم.

(١٩) منهاج السنة (٤/ ٢٠٦).

قال ابن حجر: "وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنْ يَكُونَ الِاثْنَا عَشَرَ فِي مُدَّةِ عِزَّةِ الْخِلَافَةِ، وَقُوَّةِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتِقَامَةِ أُمُورِهِ، وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِالْخِلَافَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ:"كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ"، وَهَذَا قَدْ وُجِدَ فِيمَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِلَى أَنِ اضْطَرَبَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْفِتْنَةُ زَمَنَ الْوَلِيدِ ابْنِ يَزِيدَ، فَاتَّصَلَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ قَامَتِ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، فَاسْتَأْصَلُوا أَمْرَهُمْ، وَهَذَا الْعَدَدُ مَوْجُودٌ صَحِيحٌ إِذَا اعْتُبِرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِ نَبِيِّهِ"(٢٠).

فقد أكد الحافظان ابن تيمية، وابن حجر على أن هؤلاء الخلفاء كانوا متتابعين، ولا شك أن معاوية كان منهم، وهذا من أعلام النبوة.

**(٨) أول من ركب البحر، فنال دعوة النبي صلى الله عليه وسلم التي ثبتت في أحاديث منها:**

(أ) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ , أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، وَهُوَ فِي سَاحِلِ حِمْصَ فِي بِنَاءٍ لَهُ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَرَامٍ قَالَ عَمْرٌو: فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ هَذَا الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا(٢١) قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: أَنْتِ فِيهِمْ قَالَ: أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ , أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا"(٢٢).

(ب) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّ حَرَامٍ، وَهِيَ خَالَةُ أَنَسٍ، قَالَتْ: أَتَانَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ عِنْدَنَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: "أُرِيتُ قَوْمًا مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ ظَهْرَ الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ"، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "فَإِنَّكِ مِنْهُمْ"، قَالَتْ: ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ أَيْضًا وَهُوَ يَضْحَكُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: "أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ"، قَالَ: فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بَعْدُ، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَهَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ قُرِّبَتْ لَهَا بَغْلَةٌ فَرَكِبَتْهَا فَصَرَعَتْهَا، فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا(٢٣).

قَوْله (مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّة): أي رَأَى الْغُزَاة فِي الْبَحْر مِنْ أُمَّته مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّة فِي الْجَنَّة، وَرُؤْيَاهُ صلى الله عليه وسلم وَحْي، وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى فِي صِفَة أَهْل الْجَنَّة: (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) (الصافات: ٤٤)، والأسرة، وَهُوَ جمع سَرِير، قَالَ أَبُو عمر: "أَرَادَ أَنه رأى الْغُزَاة فِي الْبَحْر على الأسرة فِي الْجنَّة، ورؤيا الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام، وَحي يشْهد لَهُ قَوْله تَعَالَى: (على الأرائك متكئون) (يس: ٦٥)"(٢٤).

---

(٢٠) فتح الباري (١٣/ ٢١٢).

(٢١) "قد أوجبوا" قال ابن حجر: أى فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة، قال المهلب وفى الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر، ومنقبه لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر. فتح البارى ٦/ ١٢٠ -١٢١ رقم ٢٩٢٤.

(٢٢) أخرجه البخارى كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل فى قتال الروم (٤/ ٤٢) ح(٢٩٢٤).

(٢٣) أخرجه: البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم (٤/ ١٨) ح(٢٧٩٩)، ومسلم في كتاب الإمارة بَابُ فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ(٣/ ١٥١٩) ح(١٩١٢).

(٢٤)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٣٢).

وَبِه جزم ابْن بطال حَيْثُ قَالَ: "إِنَّمَا رَآهُمْ ملوكاً على الأسرة فِي الْجنَّة فِي رُؤْيَاهُ(٢٥)، وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: يحْتَمل أَن يكون خَبرا عَن حَالهم فِي غزوهم أَيْضاً(٢٦).

وَفِيهِ فَضْلٌ لِمُعَاوِيَةَ ﷺ إِذْ جَعَلَ مَنْ غَزَا تَحْتَ رَايَتِهِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَحْيٌ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) فأجابه ابنه (قال يا أبت افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)(الصافات: ١٠٢)، وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ(٢٧).

فهذه منقبة عظيمة لمعاوية حيث جاء أنه مغفور له، وأن منزلته في الجنة كمنزلة الملوك على الأسرة.

**(٩) كان من المجاهدين.**

فكان يغزو الروم في كل سنة مرتين، مرة في الصيف، ومرة في الشتاء، ويأمر رجلًا من قومه فيحج بالناس، وحج هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين(٢٨).

**(١٠) من الملوك الذين تحبهم رعيتهم.**

ومعاوية رضي الله عنه كان من أحسن الناس سيرة في ولايته، وكانت رعيته تحبه وهو يحبهم، ويصلون عليه، وهو يصلي عليهم(٢٩).

قال قبيصة بن جابر: "ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً، ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية. وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً شديداً، فقيل له لو سطوت عليه؟ فقال: إني لاستحي من الله أن يضيقَ حلمي عن ذنب أحد رعيتي".

وفي رواية قال له رجل: "يا أمير المؤمنين ما أحلمك؟"، فقال: "إني لأستحي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي"(٣٠).

**(١١) تولى الإمارة في عهد عمر وعثمان .**

مكث معاوية رضي الله عنه عشرين سنة أميرًا على الشام في خلافة عمر وخلافة عثمان رضي الله عنهما، ثم خليفةً للمسلمين مثلَها(٣١).

**(١٢) فتح معاوية رضي الله عنه قيسارية (٣٢)، وقبرص.**

(٢٥) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٥/ ١٠).

(٢٦)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٢/ ٥٧)، وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤/ ٨٦).

(٢٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٣٥)، والاستذكار (٥/ ١٢٨).

(٢٨)تاريخ الطبري (٥/ ٢٤٠).

(٢٩) جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (ص: ٦٠) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (٢/ ٥٥٠).

(٣٠) البداية والنهاية ١٣٨/٨.

(٣١) البدء والتاريخ (٥/ ١٠٨)، تاريخ ابن خلدون (٣/ ٥).

(٣٢) قيسارية: بالفتح، ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثم ياء مشددة: ...وهي: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم، وهي كرسيّ ملك بني سلجوق ملوك الروم (معجم البلدان (٤/ ٤٢١).

فيسنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٣٣)، وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص(٣٤).

**(١٣) معاوية رضي الله عنه كان عالمًا ورعًا عدلًا .**

لكنه دون الخلفاء الراشدين في العلم والورع والعدل، كما ترى من التفاوت بين الملائكة والأنبياء، وإمارته كانت صحيحة بإجماع الصحابة، وتسليم الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه(٣٥).

**(١٤) بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلمبأنخلافته ملك ورحمة.**

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: "كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فَقَالَ: "يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فِي الْأُمَرَاءِ؟"، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: "أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ،" فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ "ثُمَّ سَكَتَ(٣٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فكانت نبوّةُ النبي صلى الله عليه وسلمنبوّة ورحمة، وكانت خلافةُ الخلفاء الراشدين خلافةَ نبوّةٍ ورحمة، وكانت إمارةُ معاوية مُلكًا ورحمة، وبعده وقع مُلكٌ عَضُوض، وكان عليّ بن أبي طالب لما رجع من صِفّين يقول: "لا تسبّوا معاوية، فلو قد مات معاوية لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها"(٣٧).

---

(٣٣) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣٨١)رقم(٥٢٤).

(٣٤) مسند الشاميين للطبراني (٢/ ١٢٠) رقم (١٠٢٩).

(٣٥) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية (ص: ٧٨).

(٣٦) أخرجه: أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٥٥) ح(١٨٤٠٦)، والبزار في مسنده البحر الزخار (٧/ ٢٢٣) ح(٢٧٩٦)، وقال الهيثمي: في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥/ ١٨٩) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي تَرْجَمَةِ النُّعْمَانِ، وَالْبَزَّارُ أَتَمُّ مِنْهُ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِبَعْضِهِ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ". وقال الأرناؤوط: حسن.

(٣٧) جامع المسائل (١٥٤/٥)، وانظر هذا الأثر في السنة لعبد الله بن أحمد (٥٥٠/٢) ح(١٢٨٣)عن الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ يَقُولُ: «لَا تَكْرَهُوا إِمَارَةَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى جَمَاجِمِ الرِّجَالِ تَنْدُرُ عَنْ كَوَاهِلِهَا كَأَنَّهَا الْحَنْظَلُ إِلَّا أَنْ يُفَارِقَكُمْ مُعَاوِيَةُ».

أقول: والأثر هنا ضعيف فيه الحارث ابن عبد الله الأعور الهمداني بسكون الميم الحوتي بضم المهملة وبالمثناة [فوق] الكوفي أبو زهير صاحب علي كذبه الشعبي في رأيه ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف وليس له عند النسائي سوى حديثين مات في خلافة ابن الزبير [وهو من الثانية] (تقريب التهذيب (ص: ١٤٦)ت(١٠٢٩). ولكنه يقبل هنا في مثل هذا، لا سيما والرواية في الفضائل ةالحارث شيعي، والله أعلم.

وقال أيضًا - رحمه الله -: "وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ، وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ... وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنْ الرَّحْمَةِ وَالْحِلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكِ غَيْرِهِ".(٣٨).

وقال: "فإن معاوية ثبت بالتواتر: أنه أمَّره النبى صلى الله عليه وسلم، كما أمَّر غيره، وجاهد معه، وكان أمينًا له بالوحى، وما اتهمه النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابة الوحى، وولاه عمر بن الخطاب الذى كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه فى ولايته"(٣٩).

هذا وما ذكرته من فضائل لمعاوية غيض من فيض، قليل من كثير، وإلا ففضائله يحتاج ذكرها إلى مؤلف مستقل.

**المبحث الرابع: خلافته للمسلمين.**

خلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين(٤٠).

وبتنازل الحسن بن علي -رضي الله عنهما- اكتملت عوامل تولي معاوية ﷺ الخلافة، وتهيأت له جميع أسبابها، فبويع أميرًا للمؤمنين عام واحد وأربعين للهجرة (٤١هـ)، وسمي هذا العام بعام الجماعة، وسجل في ذاكرة الأمه عام الجماعة، وأصبح هذا الحدث من مفاخرها التي تزهو بها على مر العصور، وتوالي الدهور، فقد التقت الأمة على زعامة معاوية، ورضيت به أميرًا عليها، وابتهج خيار المسلمين بهذه الوحدة الجامعة، بعد الفرقة المشتتة، وكان الفضل في ذلك لله تعالى ثم للسيد الكبير صاحب المشروع الإصلاحي العظيم الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، ويُعد عام الجماعة من علامة نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفضيلة باهرة من فضائل الحسن. ويكفي معاوية رضي الله عنه فخرًا أن كل الصحابة الأحياء في عهده بايعوه، فقد أجمعت الأمة على معاوية، وبايعه علماء الصحابة والتابعين، وعدوا خلافته شرعية ورضوا إمامته، ورأوا أنه خير من يلي أمر المسلمين، ويقوم به خير قيام في تلك المرحلة.

رُوي عن الأوزاعي أنه قال: "أدركت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سميت بأضعاف مضاعفة"، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله، ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله منهم: المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن

---

(٣٨) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٨).

(٣٩) الفتاوى (٤/ ٤٧٢).

(٤٠) العواصم من القواصم (ص: ١٧٤).

عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز في أشباه له، لم ينزعوا يده عن مجامعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم"(٤١).

وقال ابن حزم: "فبويع الحسن ثم سلّم الأمر إلى معاوية، وفي بقايا الصحابة مَن هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته"(٤٢).

فالصحابة لم يبايعوا معاوية رضي الله عنه إلا وقد رأوا فيه شروط الإمامة متوفرة، ومنها العدالة، فمن يطعن في عدالة معاوية وإمامته فقد طعن في عدالة هؤلاء الصحابة جميعهم وخوّنهم وتنقَّصَهم.

فمن رضيه هؤلاء لدينهم ودنياهم ألا نقبله ونرضى به نحن؟!! ومن قال: "لعلهم بايعوا خوفًا"، فقد اتهمهم بالجبن، وعدم الصدع بالحق، وهم القوم المعلوم من سيرتهم الشجاعة والشهامة، وعدم الخوف في الله لومة لائم، وانتهى عهد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بتنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنه(٤٣)، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً (٤٤).

**المبحث الخامس: وفاته.**

توفي معاوية رضي الله عنه بدمشق في رجب سنة ستين (٦٠هـ)، أغمي عليه ثم أفاق فقال لأهله: "اتقوا الله فإن الله تعالى يقي من اتقاه، ولا يقي من لا يتقي"(٤٥)، ثم مات - رحمه الله -، وقد أوصى أن يكفن في ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلمالذي كساه إياه، وكان مدخرًا عنده لهذا اليوم.(٤٦).

**عُمْر معاوية رضي الله عنه عند وفاته:**

توفي معاوية على القول الراجح: وهو ابن ثمان وسبعين سنة(٤٧). بدليل قول ابن حجر: إن مولده كان قبل البعثة بخمس سنوات على الأشهر(٤٨)، وكما هو معروف فإن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة، وبذلك يكون مولد معاوية قبل الهجرة بثمان عشرة سنة، ولما كانت وفاته سنة ستين، فهذا يعني أن عمره عند وفاته كان ثمان وسبعين سنة(٤٩).

---

(٤١) البداية والنهاية (١١/ ٤٣٤، ٤٣٥).

(٤٢) الفصل في الملل والنحل (٥/ ٦).

(٤٣) انظر: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص ٩٦).

(٤٤) تاريخ الطبري (٦/ ٢٤٣).

(٤٥) تاريخ أبي زرعة ص١٨.

(٤٦) انظر: سير أعلام النبلاء ٣ / ١١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣٣.

(٤٧) تاريخ الطبري (٦/ ٢٤٣).

(٤٨) الإصابة (٦/ ١٥١).

(٤٩) تاريخ الطبري (٦/ ٢٤٣).

## الفصل الثاني

## أهم الشبهات التي أثيرت حوله

نالت سهام النقد من هذا الصحابي الجليل لا سيما من الشيعة الذين ناصبوه العداء، وحاولوا النيل منه ومن كل من ناصره، وقبل ذكر شبهاتهم أبين في البداية خطورة الوقيعة في معاوية رضي الله عنه، ثم أذكر أهم ما أثير حوله من شبهات.

### المبحث الأول: خطورة الوقيعة في معاوية رضي الله عنه.

الوقيعة في معاوية لا تعنى معاوية وحده، بل تعنى التشكيك في جميع الصحابة الذين ارتضوه خليفة لهم، بل والتشكيك في مروياته ومروياتهم.ليس ذلك فحسب بل والتشكيك في الأئمة الحفاظ الذين أدخلوا أحاديثه في تصانيفهم، وهؤلاء الأئمة كانوا على طبقات متتابعة، بل وبين بعضهم أزمان متباعدة، فكأنه يقع في أئمة المسلمين جيلاً بعد جيل، يقول القاسمي: "الوقيعة في معاوية تستلزم رفض مرويه، بل ومروي كل من أقام معه في بلدته، أو قاتل تحت رايته من الصحابة والتابعين، ولو بعد مبايعة الحسن له، وهذا اللازم باطل لأنه خلاف إجماع أهل السنة، ...فمن استجاز الوقيعة في معاوية فقد أزرى بكثير من الصحابة الذين فتحوا معه بلاد السواحل، وغزوا عاصمة الروم وغيرها، وأزرى بخيار التابعين، ومن بعدهم كمالك والشافعي وأبي حنيفة وابن أبي شيبة والحاكم ..ومن بعدهم من رواة الأخبار وحفاظ الآثار، فإن هؤلاء رووا عن معاوية ومن كان معه من الصحابة....فالإعراض عن أخبارهم بحجة أنهم والوا الإمام الباغي على الإمام الحق هدم لجانب كبير من السنة لا غنى بها عن أحد، وشذوذ غير معقول"(٥٠).

فالذين يطعنون في معاوية رضي الله عنه إنما يريدون رد جميع مروياته، ومرويات من ناصره، إذ كيف نقبل روايات أقوام ساقطي العدالة؟!!، بل يريدون التشكيك في مجتمع الصحابة في ذلك الوقت، إذ كيف يرضى المسلمون في هذا الوقت بحكم رجل كافر؟!، هذا غرضهم وتلك غايتهم يريدون الإجهاز على السنة بالتشكيك في رواتها، وهؤلاء بسبهم هذا تكثر ذنوبهم، ويرفع الله لمعاوية درجته .

قال الإمام الشَّافِعِي: "مَا أَرَى النَّاسَ ابْتُلُوا بِشَتْمِ أَصْحَابِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم إلا لِيَزِيدَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ثَوَابًا عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِمْ"(٥١).

وقَالَتْ عَائِشَةُ: "أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ"(٥٢).قَالَ الْقَاضِي: "أَمَّا الْأَمْرُ بِالِاسْتِغْفَارِ الَّذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ قوله تعالى:(والذين جاؤا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

---

(٥٠) نقد النصائح الكافية ص٧١.

(٥١) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري (ص: ٤٢٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨/ ١٥٤٨) رقم (٢٨٢٠)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٣١٧).

(٥٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير (٤/ ٢٣١٧) ح(٣٠٢٢).

الذين سبقونا بالإيمان)(الحشر: ١٠)، وبهذا احتج مالك فى أنه لاحق فِي الْفَيْءِ لِمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَهُ لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ والله أعلم"(٥٣).

فلا يجوز الطعنُ في آحادهم، فكيف بمن له فضائل ثابتة . خاصة وعامة . مثلَ معاوية رضي الله عنه؟ .وبسبب ثبوت هذه الفضائل وغيرها عن السلف، فقد نهوا نهيًا شديدًا عن التكلم في معاوية رضي الله عنه وبقية الصحابة -رضي الله عنهم-، وعَدّوا ذلك من الكبائر.

وكان بعض السلف يجعل حب معاوية رضي الله عنه ميزانًا للسنة.قال الربيع بن نافع: "معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه".(٥٤).

وبعضهم يجعل الصحابة باب الإسلام، ومعاوية باب الصحابة.وسُئل أبوعبد الرحمن النسائي عن معاويةَ بن أبي سفيان صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "إنما الإسلام كدارٍ لها بابٌ، فبابُ الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابةَ إنما أرادَ الإسلام، كمن نَقرَ البابَ إنما يريدُ دخولَ الدار؛ فمن أراد معاويةَ فإنما أراد الصحابة"(٥٥).

وبعضهم جعله ميزاناً لاختبار الإيمان.وقال الإمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: "معاوية عندنا مِحْنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزَرًا اتهمناه على القوم"، يعني الصحابة(٥٦).

وقد صدق في ذلك - رحمه الله -، فإنه ما من رجل يتجرأ ويطعن في معاوية رضي الله عنه إلا تجرأ على غيره من الصحابة - رضي الله عنهم -....والسبب في ذلك أن من تجرأ على معاوية ري الله عنه، فإنه يكون قد أزال هيبة الصحابة من قلبه، فيقع فيهم.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "وَإِذَا ظَهَرَ أَنَّ حُبَّ الصَّحَابَةِ مِنَ الْإِيمَانِ فَحُبُّهُمْ أَنْ يَعْتَقِدَ فَضَائِلَهُمْ، وَيَعْتَرِفَ لَهُمْ بِهَا، وَيَعْرِفَ لِكُلِّ ذِي حَقٍ مِنْهُمْ حَقَّهُ، وَلِكُلِّ ذِي غِنَاءٍ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ غِنَاؤُهُ، وَلِكُلِّ ذِي مَنْزِلَةٍ عِنْدَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلممَنْزِلَتَهُ، وَيَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ، وَيَدْعُوَ بِالْخَيْرِ لَهُمْ، وَيَقْتَدِيَ بِمَا جَاءَ فِي أَبْوَابِ الدِّينِ عَنْهُمْ وَلَا يَتْبَعُ زَلَّاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَلَا يَتَعَمَّدُ تَهْجِينَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِبَثِّ مَا لَا يَحْسُنُ عَنْهُ وَيَسْكُتَ عَمَّا لَا يَقَعُ ضَرُورَةٌ إِلَى الْخَوْضِ فِيهِ فِيما كَانَ بَيْنَهُمْ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ"(٥٧).وقال الميموني: "سمعت أحمد يقول: "ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية"(٥٨).بل إن أبا زرعة جعل من ينتقص الصحابة مجرد الانتقاص متهماً في إسلامه.

---

(٥٣)مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٦/ ٢٨٦)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٥٨).

(٥٤) البداية والنهاية (٨/ ١٣٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢٠٩).

(٥٥) تاريخ دمشق ٧١/ ١٧٥، وانظر: تهذيب الكمال ١/ ٣٣٩.

(٥٦) البداية والنهاية ٨/ ١٣٩، وتاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٩).

(٥٧) شعب الإيمان (٣/ ٩٤).

(٥٨) السنة للخلال (١/ ٤٣٢) والصارم المسلول (٥٧٠).

وروى الخطيب البغدادي عن أبى زرعة الرازى -رحمه الله- أنه قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلمعندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبْطِلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أوْلى وهم زنادقة"(٥٩).

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط إلا إنسانًا شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطًا"(٦٠).ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): لقد فضلت اليهود والنصارى على الرافضة من الشيعة بخصلة حيث سئلت اليهود من خير أهل ملتكم. قالوا: "أصحاب موسى"، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم. قالوا: "حواري عيسى"، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم قالوا:"أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم"(٦١).

ورغم كل هذا الإثم الواقع على من سب الصحابة أو سب واحد منهم إلا أن الشيعة ومن لف لفهم وقعوا في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان، وأثاروا شبهات حوله أذكرها، وأذكر الرد عليها في المبحث القادم. **المبحث الثاني: الشبهات التي أثيرت حول معاوية رضي الله عنه.**

كما ذكرت من قبل يعد معاوية رضي الله عنه من أكثر الصحابة الذين أثيرت حولهم شبهات لذا اقتصرت على أكثر الشبهات شهرة وتعد من أقوى الشبهات من وجهة نظر الخصم .

**الشبهة الأولى: الطعن عليه في صحة إسلامه:**

فقد ألف أحدهم وهو بنى نيازى عز الدين كتاباً أسماه (دين السلطان) يعنى بالسطان معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، وهذا الكتاب كتبه عن هوى، وخطته يد أثيمة، وهو كتاب ملأه بالكذب والتحريف والتزوير يقول في كتابه هذا: "والتاريخ الإسلامى يحدثنا أن معاوية كان من دهاة العرب ... فأعاد عقلية الجاهلية بتوقيفه أحكام القرآن، من خلال فتح باب الروايات بالأحاديث المفتراة لتحل محل القرآن، وقد وجد كثيراً من المساعدين من بين أصحاب المصالح من علماء السوء، والحساد، والمنافقين من أعداء الإسلام"(٦٢)، فهو يزعم أن معاوية أوقف أحكام القرآن، ليس ذلك فحسب بل جعل العمل في زمانه بالأحاديث الموضوعة المكذوبة.

**الجواب عن الشبهة:**

من الثابت أنه لم تعرف عن معاوية رضي الله عنه دخلة فى إيمانه، ولا ريبة فى إخلاصه لإسلامه، ولا فى إمارته، يقول القاضى أبو بكر بن العربى مبيناً ما اجتمع فى معاوية من خصال الخير: "معاوية اجتمعت فيه خصال : وهى أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها، لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية

(٥٩) الكفاية في علم الرواية، ص: ٩٧. والعواصم من القواصم ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٤)، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٦٠٨).

(٦٠) أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٤١/٢٣٨٥) وهو في الصارم المسلول (٥٧١).

(٦١) منهاج السنة النبوية ٨/١.

(٦٢) دين السلطان ص٣٦،٣٧.

البيضة وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق، فعمر لا يجمع له هذه الولاية إلا بعد ثقته في دينه وعلمه.

وقد شهد له فى صحيح الحديث بالصحبة والفقه، فيما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن أبى مليكه قال : "أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس فقال: دعه؛ فإنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى رواية أخرى قيل لابن عباس : "هل لك فى أمير المؤمنين معاوية ؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال : إنه فقيه"(٦٣).

يقول ابن العربى : "وشهد بخلافته فى حديث أم حرام رضى الله عنها، فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها القيلولة، ثم استيقظ وهو يضحك؛ لأنه رأى ناساً من أمته غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج البحر –أي وسطه ومعظمه– ملوكاً على الأسرة. ثم وضع رأسه، فنام واستيقظ، وقد رأى مثل الرؤيا الأولى، فقالت له أم حرام: "ادع الله أن يجعلنى منهم"، فقال، "أنت من الأولين"، فركبت أم حرام البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر. فهلكت"(٦٤).

ويؤكد هذا الحافظ ابن كثير فيقول: يعنى بالأول جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة (٢٧هـ) أيام عثمان بن عفان، بقيادة معاوية، عقب إنشائه الأسطول الإسلامى الأول فى التاريخ، وكانت معهم أم حرام فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت، ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم، وماتت أم حرام فى سبيل الله , وقبرها بقبرص إلى اليوم.

قال ابن كثير: "ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد بن معاوية فى غزوة القسطنطينية، قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة(٦٥) فى الشهادة لسيدنا معاوية، وابنه يزيد بالفضل، والمغفرة والجنة؛ بل إن أيامه كانت من أفضل أيام الأمة الإسلامية، وكثير من العلماء جعل عدل معاوية يفوق عدل عمر بن عبد العزيز، وشبهوه بالمهدي.

يقول الإمام ابن تيمية : "لم يكن من ملوك المسلمين ملك خيراً من معاوية، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيراً منهم فى زمن معاوية، إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده، وإذا نسبت إلى أيام أبى بكر وعمر ظهر التفاضل....وروى عن مجاهد قال : "لو أدركتم معاوية لقلتم:"هذا المهدي"(٦٦)، وقال الأعمش عندما ذكروا عمر بن عبدالعزيز وعدله: "فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: فى حلمه ؟ قال : لا والله، بل فى عدله(٦٧).

---

(٦٣) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية ﷺ ٣/ ١٣٧٣ ح (٣٥٥٤).

(٦٤) سبق تخريجه وهو صحيح متفق عليه، وانظر النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص: ٣٢٥).

(٦٥) البداية والنهاية ٢٢٩/٨، وينظر: النهاية فى الفتن والملاحم ١٧/١، وفتح البارى ٢٣/٦، ١٢٠.

(٦٦) أخرجه: الخلال في السنة (٢/ ٤٣٧) رقم(٦٦٨).

(٦٧) أخرجه: الخلال في السنة (٢/ ٤٣٧) رقم(٦٦٧)، وانظر:منهاج السنة ١٨٥/٣.

وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة المولى تعالى لدعاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلملهذا الخليفة الصالح يوم قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعله هادياً، مهدياً، واهد به"(٦٨).

وبعض المؤرخين يرى أن دولته ينبغي أن تلحق بالخلافة الراشدة، يقول ابن خلدون: "إن دولة معاوية وأخباره كان ينبغى أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين وأخبارهم، فهو تاليهم فى الفضل والعدالة والصحبة"(٦٩).

وقد مر ذكر فضائل لا تعد ولا تحصى لمعاوية رضي الله عنه لا تدل على إسلامه فحسب، بل على علو منزلته ورسوخ قدم، فكيف يجرؤ هؤلاء الحاقدون على الطعن فيه؟ ولكن ماذا نقول لأناس ملأ الحقد والحسد قلوبهم، فأعماهم عن الحق رغم ظهوره ووضوحه، وأصمهم عن سماعه.

**الشبهة الثانية: أنه ارتكب عدداً من الكبائر منها:**

**(١) حملت إليه الخمر، بل وشرب الخمر**، ورووا روايات وهي:

الأولى:قال أبو نعيم: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى السُّدِّيُّ، ثنا أَبُو تُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ بُرْدَةَ بْنِ سُفْيَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: " غَزَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ، وَمُعَاوِيَةُ أَمِيرٌ عَلَى الشَّامِ، فَمَرَّتْ بِهِ رَوَايَا خَمْرٍ تُحْمَلُ لِمُعَاوِيَةَ، وَبُرٌّ فَقَامَ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِرُمْحِهِ، فَنَقَرَ كُلَّ رَاوِيَةٍ مِنْهَا، فَنَاوَشَهُ غِلْمَانُهُ حَتَّى بَلَغَ مَثْأَنَةَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ، فَقَالَ: كَذَبَ وَاللهِ، مَا ذَهَبَ عَقْلِي، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلمنَهَانَا أَنْ نُدْخِلَ بُطُونَنَا، وَأَسْقِيَتَنَا، وَأَحْلِفُ بِاللهِ لَئِنْ أَنَا بَقِيَتُ حَتَّى أَرَى فِي مُعَاوِيَةَ مَا سَمِعْتُ مِنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، لَأَبْقُرَنَّ بَطْنَهُ وَلَأَمُوتَنَّ دُونَهُ "(٧٠).

**الرد على الرواية:**

هذه الرواية ضعيفة توجد بها أكثر من علة.

الأولى: فيها إسماعيل بن موسى الفزاري صدوق يخطئ رمي بالرفض(٧١)، فهو يجمع بين ضعفين الأول الخطأ، والثاني الرفض، ورواية أمثاله مردودة في مثل هذا.

الثانية: محمد ابن إسحاق صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، وهو أيضاً جمع بين ضعقين التدليس وهنا لم يصرح بالسماع، الثاني الاتهام بالتشيع.

---

(٦٨) أخرجه الترمذى فى سننه كتاب المناقب، باب مناقب لمعاوية بن أبى سفيانﷺ٦٤٥/٥رقم ٣٨٤٢ من حديث عبد الرحمن بن عميرة ﷺ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب.

(٦٩) تاريخ ابن خلدون ٤٥٨/٢.

(٧٠) أخرجه: أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٢٨)برقم(٤٦١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ٤٢٠).

(٧١) تقريب التهذيب ص١١٠ ت (٤٩٢).

الثالثة: بريدة أو يزيد بن سفيان ليس بالقوي، وفيه رفض(٧٢)، وهو أيضاً جمع بين ضعفين ليس بالقوي، والثاني الرفض.

قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف من أجل يزيد بن سفيان(٧٣).

فهؤلاء ثلاثة في الإسناد اتهموا بالتشيع، والرفض، فكيف يقبل مثل هذا من هؤلاء؟.

الرابعة: في السند محمد بن كعب القرظي لم يدرك الواقعة لأنه ولد في آخر خلافة علي(٧٤).

فكيف يحتج بمثل هذه الروايات على إلصاق تهمة من أصعب التهم بصحابي جليل مثل معاوية؟ فهذه تهمة لا أساس لها، وسيأتي مزيد رد عند الجواب عن الرواية التالية.

**الرواية الثانية التي استدلوا بها:**

قال الشاشي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، نا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنِ ابْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، مَرَّتْ عَلَيْهِ قِطَارَةٌ وَهُوَ بِالشَّامِ تَحْمِلُ الْخَمْرَ فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ أَزَيْتٌ؟ قِيلَ: لَا بَلْ خَمْرٌ تُبَاعُ لِفُلَانٍ , فَأَخَذَ شَفْرَةً مِنَ السُّوقِ فَقَامَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَذَرْ مِنْهَا رَاوِيَةً إِلَّا بَقَرَهَا، وَأَبُو هُرَيْرَةَ إِذْ ذَاكَ بِالشَّامِ فَأَرْسَلَ فُلَانٌ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَلَا تُمْسِكُ عَنَّا أَخَاكَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ: إِمَّا بِالْغَدَوَاتِ فَيَغْدُو إِلَى السُّوقِ فَيُفْسِدُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مَتَاجِرَهُمْ، وَإِمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَقْعُدُ بِالْمَسْجِدِ لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ إِلَّا شَتْمُ أَعْرَاضِنَا وَعَيْبُنَا فَأَمْسِكْ عَنَّا أَخَاكَ، فَأَقْبَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَمْشِي حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا عُبَادَةُ مَا لَكَ وَلِمُعَاوِيَةَ؟ ذَرْهُ وَمَا حَمَلَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) [البقرة: ١٣٤] قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ بَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ نَقُولَ فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُنَا فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ فَنَمْنَعَهُ مَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَهْلَنَا وَلَنَا الْجَنَّةُ , وَمَنْ وَفَّى وَفَّى اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ بِمَا بَايَعَ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ , فَلَا يُكَلِّمُهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بِشَيْءٍ، فَكَتَبَ فُلَانٌ إِلَى عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قَدْ أَفْسَدَ عَلَيَّ الشَّامَ وَأَهْلَهُ , فَإِمَّا أَنْ يَكُفَّ عَنَّا عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ , وَإِمَّا أَنْ أُخَلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ، فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى فُلَانٍ أَدْخِلْهُ إِلَى دَارِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ , فَبَعَثَ بِهِ فُلَانٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ الدَّارَ وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ السَّابِقِينَ بِعَيْنِهِ وَمِنَ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْقَوْمَ مُتَوَافِرِينَ فَلَمْ يَهُمَّ عُثْمَانُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ قَاعِدٌ فِي جَانِبِ الدَّارِ , فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَنَا وَلَكَ يَا عُبَادَةُ؟ فَقَامَ عُبَادَةُ قَائِمًا وَانْتَصَبَ لَهُمْ فِي الدَّارِ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمأَبَا الْقَاسِمِ يَقُولُ: "سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا

(٧٢) تقريب التهذيب ص ١٢١ ت(٦٦١).

(٧٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٦٤/٤)ت(٥١٥٢).

(٧٤) تقريب التهذيب ص ٥٠٤ ت(٦٢٥٧).

تُنْكِرُونَ وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ , فَلَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ، فَلَا تَضِلُّوا بِرَبِّكُمْ" . فَوَالَّذِي نَفْسُ عُبَادَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ فُلَانًا لَمِنْ أُولَئِكَ فَمَا رَاجَعَهُ عُثْمَانُ بِحَرْفٍ(٧٥).

**الرد على الرواية:**

١- هذه الرواية أيضاً بها أكثر من علة :

الأولى : هذه الرواية موجودة في مسند أحمد بدون ذكر قصة الخمر، وبدون ذكر حوار عبادة مع أبي هريرة، وبدون ذكر معاوية(٧٦).

الثانية: الرواية مرسلة، فالحادثة حدثت في الشام، وعبيدة بن رفاعة تابعي مدني(٧٧)، لا تعرف له رواية ولا سماع عن عبادة، ولا عن أبي هريرة، فهذا مرسل خفي ضعيف حتى يصرح بالتحديث هذا المُرسِل.

الثالثة: هناك رواية للبيهقي في دلائل النبوة عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ قَالَ: قَدِمَتْ رَوَايَا خَمْرٍ، فَأَتَاهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَحَرَّقَهَا وَقَالَ: إِنَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلمعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ فِي اللهِ لَا تَأْخُذُنَا فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرِبَ بِمَا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَلَنَا الْجَنَّةُ. فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمبَايَعْنَاهُ عَلَيْهَا(٧٨) . وقال ابن كثير: "وَهَذَا إِسْنَادٌ جيدٌ قَوِيٌّ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ"(٧٩).فهذه الرواية فيها زيادات ليست عند البيهقي مما يؤكد ضعفها.

٢- الرواية فيها ما يجاب به من وجوه:

الأول: الرواية فيها أن الذين كانوا يبيعون الخمر ويشترونه من أهل الذمة، وهذا واضح من قول معاوية كما في نص الرواية: "فيفسد على أهل الذمة متاجرهم".

الثاني: ما حدث اجتهاد من عبادة بن الصامت في حمله الحديث عن معاوية.

الثالث: لا يوجد في الحديث ما يثبت أن الخمر كانت لمعاوية بدليل قوله في الرواية أيضاً: "خمر تباع لفلان".

٣- لو صح هذا الخبر لكان فيه طعن في عثمان إذ كيف يبلغه عن معاوية أنه يتاجر في الخمر، فلا يعاقبه، بل ويجعله والياً على الشام.

---

(٧٥) أخرجه الشاشي في المسند (٣/ ١٧٣) ح(١٢٥٨).

(٧٦) أخرجه: أحمد في مسنده ٤٢٨/٣٧ ح(٢٢٧٦٩)، وقال الشيخ : شعيب إسناد ضعيف، والبزار في مسنده ١٦٤/٧ ح(٢٧٣١)، والدولابي في الكنى والأسماء ٤/١ح(٥)، والطبراني في الأوسط ١٩٠/٣ ح(٢٨٩٤)، وقال الألباني : ضعيف. السلسلة الضعيفة ٥٢٨/٣.

(٧٧) تهذيب التهذيب ٦٥/٧ ت(١٣٣).

(٧٨) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٥١).

(٧٩) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٢٠٣).

٤- لو حدث هذا من معاوية لما قبله الصحابة والتابعون بل الثابت أنهم قبلوه خليفة لهم ولم ينزعوا يداً من طاعة.

٥- هذا فيه طعن في الصحابة جميعاً، إذ كيف يسكتون عن النهي عن المنكر؟، وهذا ما فضلت به الأمة على من سواها من الأمم.

**أما اتهامه بشرب الخمر:**

فقد ذكروا حديثاً في مسند أحمد، عن عَبْد اللَّهِ بْن بُرَيْدَةَ قَالَ:"دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَجْلَسَنَا عَلَى الْفُرُشِ، ثُمَّ أُتِينَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلْنَا، ثُمَّ أُتِينَا بِالشَّرَابِ، فَشَرِبَ مُعَاوِيَةُ، ثُمَّ نَاوَلَ أَبِي، ثُمَّ قَالَ: مَا شَرِبْتُهُ مُنْذُ حَرَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ مُعَاوِيَةُ: كُنْتُ أَجْمَلَ شَبَابِ قُرَيْشٍ، وَأَجْوَدَهُ ثَغْرًا، وَمَا شَيْءٌ كُنْتُ أَجِدُ لَهُ لَذَّةً كَمَا كُنْتُ أَجِدُهُ وَأَنَا شَابٌّ غَيْرُ اللَّبَنِ أَوْ إِنْسَانٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يُحَدِّثُنِي"(٨٠).

**الرد على الرواية:**

يمكن الرد بأن الرواية منكرة سنداً ومتناً.

أما نكارة السند: ففي الرواية زيد بن الحباب يخطئ في الحديث(٨١)، وهو هنا أخطأ، فأتي بزيادة ليست عند ابن أبي شيبة، بل هو منكر إذ ليس بالإمكان أن يتفرد راو بحديث مرفوع، وقد اختل في زيد شرطان:

الأول: هو من الطبقة التي تلي تابعي التابعين.

الثاني: أنه ليس من جبال الحفاظ، فضلاً عن أنه من طبقة بعد أتباع التابعين.

وأما نكارة المتن :فمن الواضح أن سياق القصة هكذا ناقص، وهو محذوف،والله أعلم به.

أما الرواية عند ابن أبي شيبة في المصنف فلا إشكال ولا خطأ فيها.

والرواية لفظها عن عبد الله بن بريدة قَالَ : "دَخَلْت أَنَا وَأَبِي عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَجْلَسَ أَبِي عَلَى السَّرِيرِ، وَأُتِيَ بِالطَّعَامِ، فَطَعِمنَا، وَأَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: "مَا شَيْءٌ كُنْت أَسْتَلِذُّهُ وَأَنَا شَابٌّ فَآخُذُهُ الْيَوْمَ إلاَّ اللَّبَنَ، فَإِنِّي آخُذُهُ كَمَا كُنْت آخُذُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ"(٨٢).

لذا حكم عليها الإمام أحمد نفسه بذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: قال وكيع: يقولون: سليمان أصحهما حديثا قال عبد الله: قال أبي:"عبد الله بن بريدة الذي روى عنه حسين بن واقد ما أنكرها، وأبو المنيب أيضا يقول: كأنها [الزيادة المخالفة] من قبل هؤلاء"(٨٣).

---

(٨٠) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٥ :٢٦) ح(٢٢٩٤١)، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي، أقول: بل إسناده لين ؛ فزيد بن الحباب في حفظه ضعف، ومثله حسين بن واقد.

(٨١) تقريب التهذيب (ص: ٢٢٢) ت(٢١٢٤).

(٨٢) مُصنف ابن أبي شيبة كتاب الأمراء باب ما ذكر من حديث الأمراء ١٨٨/٦ ح (٣٠٥٦٠).

وهذه الزيادة المشكلة في المتن (ما شربته منذ...) والتي نجدها في مسند أحمد،ولا نجدها في مصنف ابن أبي شيبة، وهي مروية عنده بنفس الطريق(٨٤).

ولهذا استغرب الهيثمي هذه الزيادة، فلم يذكرها في مجمع الزوائد، وإنما قال: "وفي كلام معاوية شيء تركته"(٨٥). بل وبوب على هذه الرواية بقوله:"باب ما جاء في اللبن"، فالمشروب كان لبناً وهو الصحيح، أما الرواية الأخرى، فالراوي أخطأ فيها.

وقوله (ما شربته منذ..) هذا من كلام معاوية، وليس من كلام عبد الله بن بريدة وهكذا جعله جميع الحفاظ في مسند معاوية مثل ابن كثير في جامع المسانيد(٨٦) والإمام أحمد في المسند في مسند معاوية.

وقوله (ما شربته) يعني المسكر، وهذا استطراد من معاوية لا علاقة له بما قبله وما بعده. مما يدل على سقوط كلام متعلق بالشراب المحرم.

ثم إن مما يتبادر للذهن أن الشراب هو اللبن بدليل أن معاوية في سنه هذه لا يفضل عليه غيره كما في آخر الخبر، والله أعلم،ولا يعقل أن لا تتضمن الرواية عدم كرهية بريدة أو إنكاره ذلك لو كان خمرا كما يزعمون، وإن آخر ما يمكن أن يفهم هو أن معاوية شرب الخمر. كيف وهو ينص في الخبر ذاته على أنه لم يشربها قط منذ أن حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاوية هو راو حديث جلد الشارب ثلاثا ثم قتله في الرابعة(٨٧).

ومن شدته في مسألة المسكر أنه أمر بقتل السكران إذا قتل، مع أن بعضهم لا يوقعه(٨٨)، والإشكال هو أن معاوية لما ناول بريدة الشراب، قال: ما شربته منذ حرمه النبيصلى الله عليه وسلم، فظن بعضهم أن الضمير هنا يعود على الشراب الذي ناوله لبريدة، وهذا غلط شديد جدا لأن الضمير هنا لا يعود على ذلك الشراب بل هو ضمير في مكان شيء ظاهر يقول فيه النحويون: أضمر في مقام الإظهار أي أنه جاء بالضمير عوضاًعن الاسم الظاهر، والعرب تستعمل هذا كثيراً، إذا أرادت أن تتكلم عن شيء تستشنعه وتستقذره وتستحيي من التلفظ به، تأتي بالضمير ولا تأتي بالظاهر وهذا من جمال لغة العرب.

وهذا دليل على فضله ومبالغته في التحرز من الخمر، فالذي يستشنع مجرد النطق باسم الخمر، كيف يشربه؟.

---

(٨٣) العلل ومعرفة الرجال ٢٢/٢ رقم (١٤٢٠).

(٨٤) مصنف ابن أبي شيبة كتاب الأمراء باب ما ذكر من حديث الأمراء ١٨٨/٦ رقم(٣٠٥٦٠).

(٨٥) مجمع الزوائد ٤٢/٥.

(٨٦) جامع المسانيد والسنن (١/ ٤٧١) ح(٩٣٧).

(٨٧) أخرجه: الترمذي كتاب الحدود باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه ومن عاد في الرابعة فاقتلوه(٤/ ٤٨) ح(١٤٤٤)، وابن حبان كتب الحدود باب حد الشرب (١٠/ ٢٩٥) ح(٤٤٤٦)، والحديث صححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠٢) ح(٢٣٨١).

(٨٨) المجموع شرح المهذب (١٨/ ٣٥٣).

فمعاوية لما رأى شرابا على مائدته، ذكره ذلك بالشراب الذي كانوا عليه في الجاهلية لا يفارق موائدهم ألا وهو الخمر، وكيف أنهم استبدلوه باللبن، فالمناسبة قوية للغاية.

ورواية ابن شيبة لا تترك شكا لأحد، فإن معاوية يقول: إنه لا يشرب في يومه ذاك إلا اللبن. فالشراب كان لبنا لا غير، فلو نظر الناظر في الروايتين، تبين له صدق ما قلت.(٨٩).

**ونخلص مما سبق بالآتي:**

(١) أن الرواية ضعيفة سنداً ومتناً.

(٢) أن المشروب كان لبناً.

(٣) لو كان المشروب خمراً ما تناوله بريدة.

(٤) قوله: ما شربته... من قول معاوية فدل على أن الشراب لم يكن خمراً.

(٥) معاوية هو من روى قتل شارب الخمر بعد الرابعة، فهل يروي شيئاً ويخالفه؟.

(٦) معاوية ممن يرى أنه لو قتل السكران يقتل، فهذا تشدد منه يدل على عدم وقوعه منه.

(٧) السبب في ذكر الخمر هو أن اللبن على المائدة ذكره بالخمر الذي كان يوضع على المائدة.

(٨) لو ثبت أنه شربه، والصحابة وكبار التابعين سكتوا لكان القدح موجهاً إليهم أيضاً، إذ كيف يسكتون عن إنكار المنكر؟، ولكن المعلوم من سيرتهم أنه لا يسكتون عن إنكار المنكر، بل وتغييره.

**الكبيرة الثانية التي اتهموه بها: أنه باع الأصنام.**

روى البلاذري من طريق جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل قَالَ: "كنت مع مسروق بالسلسلة، فمرت به سفائن فيها أصنام من صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها" فقالوا: "بعث بها مُعَاوِيَة إلى أرض السند والهند تباع له"، فَقَالَ مسروق: "لو أعلم أنّهم يقتلونني لغرّقتها، ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني، واللَّه ما أدري أي الرجلين مُعَاوِيَة، أرجل قد يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا أم رجل زين له سوء عمله."(٩٠).

**الرد على الرواية.**

هذه الرواية ضعيفة من ناحية السند ومن ناحية المتن.

أما السند ففيها سليمان بن مهران الأعمش ثقة حافظ إلا أنه يدلس(٩١)، وهو هنا دلس واسقط الواسطة بينه وبين أبي وائل، ونبه الإمام أحمد على أن الواسطة قد يكون شيعياً يكره معاوية.

(٨٩) أحاديث يحتج بها الشيعة (ص: ٢٥١).

(٩٠) أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ١٣٠) رقم(٣٧٧).

(٩١) تقريب التهذيب ص٢٥٤ ت(٢٦١٥).

قال الخلال: "قال مهنا: سألت أحمد، عن حديث الأعمش، عن أبي وائل، أن معاوية لعب بالأصنام فقال: ما أغلظ أهل الكوفة على أصحاب رسول الله، ولم يصح الحديث، وقال:"تكلم به رجل من الشيعة"(٩٢).

وهذا قاله الإمام أحمد في حق من قال: "إن معاوية لعب بالأصنام"فكيف بمن قال إن معاوية يبيعها!!

هذا لا ريب أنه من أبطل الباطل وأكذب الكذب!!(٩٣).

والعجب أن رواية اللعب بالأصنام سندها نفس سند رواية بيع الأصنام، مما يدل على أن الواضع واحد، والهدف واحد وهو الصاق التهم بالأبرياء.

أما من ناحية المتن فهذا متن بين النكارة إذ كيف يبيع معاوية الأصنام والصحابة والتابعون يسكتون عن هذا، ولا ينكرون المنكر، فهذا يقدح فيهم أيضاً، ولكن هم من عرفنا تاريخهم وصدعهم بالحق وإنكارهم للمنكر، ثم كيف يسكت المعارضون لمعاوية عن كل هذه الأفعال، ولا نجدها عند واحد من مؤرخي الشيعة،اللهم إلا هذه الرواية الضعيفة التي جاءت عند البلاذري.

**الكبيرة الثالثة التي نسبوها إليه : أنه قتل بعض الصحابة والتابعين.**

فقالوا: قتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد(٩٤).

قال الطبري: "خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه، وفيها انصرف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد من بلاد الروم إلى حمص، فدس ابن أثال النصراني إليه شربةً مسمومةً . فيما قيل . فشربها فقتلته".

ثم روى الطبري من طريق عمر بن شبه، عن علي بن محمد المدائني، عن مسلمة بن محارب أن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عظم شأنه بالشام، ومال إليه أهلها، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه، فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله، وضمن له إن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص.

فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص منصرفًا من بلاد الروم دس إليه ابن أثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه، فشربها فمات بحمص، فوفى له معاوية ما ضمن له، وولاه خراج حمص، ووضع عنه خراجه(٩٥).

---

٩٢) المنتخب من العلل١/٢٢٧.

(٩٣) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٤٢).

(٩٤)عَبْد الرَّحْمَن بْن خَالِد بْن الْوَلِيد بْن الْمُغيرَة بْن عَبْد اللَّه بْن عمر بْن مَخْزُوم بْن يقظة بْن مرّة بْن كَعْب بْن لؤَي بْن غَالب لَهُ صُحْبَة مَاتَ بحمص سنة سِتّ وَأَرْبَعين قبل سعيد بن الْعَاصِ.( الثقات لابن حبان (٣/ ٢٥٠) ت(٨١٩)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ١٨٤٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٢٩) ت(١٤٠٢) أسد الغابة (٣/ ٤٣٦) ت(٣٢٩٣).

**الرد على الشبهة:**

أولا: هذا الخبر لا يصح فيه أكثر من علة.

(١) فيه مسلمة بن محارب، وهو الزيادي فيه جهالة(٩٦).

(٢) مسلمة بن محارب لم يدرك القصة، وهو لا يروي عن معاوية ﵁ إلا بواسطة(٩٧) مما يدل على أن القصة منقطعة السند.

(٣) في السند علي بن محمد المدائني الأنباري قال فيه ابن عدي: "ليس بالقوي في الحديث , وهو صاحب أخبار, قَلَّ ما له من الروايات المسندة"(٩٨).

لذا رواها الطبري بصيغة التمريض قال: "فيما قيل".

قال ابن كثير: "وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَصِحُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(٩٩).

ثانيًا: هذه الروايات بالإضافة إلى ضعف سندها يوجد اختلاف في متنها مع مخالفة الواقع الملموس، فمعاوية رضي الله عنه بيده عزل الأمراء أو توليتهم كما هو معروف، وليس بالصعوبة على معاوية أن يطلب من عبد الرحمن بن خالد أن يتنحى عن قيادة الصوائف على الثغر الرومي، وتكون النتيجة أن يهمل عبد الرحمن بن خالد، ثم لا يكون له أي مكانة يُخشى منها.

وقد ورد أن معاوية رضي الله عنه عزله وولى بدلًا منه سفيان بن عوف الغامدي على إحدي الصوائف(١٠٠)، وهذا لا يشكل صعوبة على معاوية، بل إن معاوية كان يعزل عن الإمارة من هو أعظم وأقوى من عبدالرحمن ابن خالد.

ثالثًا: كيف يقوم معاوية بقتله وقد ذكر في غزوة البحر سنة ٤٨هـ أنه كان قائد أهل مصر عقبة ابن عامر الجهني، وعلى أهل المدينة المنذر بن زهير، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، فكيف يرضى معاوية أن يكون ولد عبد الرحمن بن خالد قائدًا كبيرًا من بعد أبيه هذا من ناحية(١٠١).

---

(٩٥) تاريخ الطبري ٢٢٧/٥، المنتظم لابن الجوزي ٢١٧/٥، الكامل لابن الأثير ٥١/٣.

(٩٦) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٦٦/٨ ت(١٢١٥)، الثقات لابن حبان ٤٥٢/٥ ت(٥٦٧٨)، التاريخ الكبير للبخاري ٣٨٧/٧ ت(١٦٨٥).

(٩٧) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٦٦/٨ ت(١٢١٥)، الثقات لابن حبان ٤٥٢/٥ ت(٥٦٧٨)، التاريخ الكبير للبخاري ٣٨٧/٧ ت(١٦٨٥).

(٩٨) الكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ٢١٣) ت(١٣٦٦).

(٩٩) البداية والنهاية (١١/ ١٧٤).

(١٠٠) تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ١٨٥).

(١٠١)البداية والنهاية (١٩/ ٩)، المعرفة والتاريخ (١/ ٣٧١).

ومن ناحية أخرى كيف يرضى أن يقوم ولده خالد بقيادة الجيش لمعاوية إن كان معاوية قاتلَ أبيه، وهل يمكن أن يخفى على ولده هذا الأمر وهو أقرب الناس إليه؟(١٠٢).

**الشبهة الثالثة: ذكروا بعض الأحاديث يدعون فيها أنها تحط من قدر معاوية منها:**

الحديث الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً(١٠٣)، وَقَالَ: "اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ" قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: "اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ" قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: "لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ"(١٠٤).فقالوا: "هنا دعا عليه بأن لا يشبع الله له بطناً".

**الجواب عن هذه الشبهة:**

هذا الحديث يذكره أهل السنة في فضائل معاوية رضي الله عنه، ولكن هناك من قد أعمى الله قلبه عن هذه الحقيقة، فراح يزعم أن الحديث فيه سب وشتم، وتقليل من شأن معاوية.

يقول الشيخ الألباني: "قد يستغل بعض الفرق حديث: (اللهم لا تشبع بطنه) ليتخذوا منه مطعنا في معاوية رضي الله عنه، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك(١٠٥).

وقد ذكر العلماء أقوالاً كثيرة في بيان معنى الحديث يمكن أن ألخصها فيما يلي:

(١) أن يكون من باب القول السابق على اللسان من غير قصد إلى وقوعه، ولا رغبة إلى الله سبحانه في استجابته، فيكون مما جرى على اللسان بلا قصد، كقوله : تربت يمينك.

(٢) وإما أن تكون عقوبة له لتأخره عن الاستجابة.

قال النووي: أَمَّا دُعَاؤُهُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَنْ لَا يَشْبَعَ حِينَ تَأَخَّرَ فَفِيهِ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ جَرَى عَلَى اللِّسَانِ بِلَا قَصْدٍ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ عُقُوبَةٌ لَهُ لِتَأَخُّرِهِ (١٠٦).

(٣) بعض العلماء جعل هذا الحديث منمناقب معاوية رضي الله عنه؛لأنهفيالحقيقةيصيردعاء له.

---

(١٠٢) انظر: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين صلى الله عليه وسلم كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٤٧)، والدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ٤٢٢/١، و

(١٠٣) حَطْأَةً بِفَتْحِ الْحَاءِ وَإِسْكَانِ الطَّاءِ بَعْدَهَا هَمْزَةٌ وَهُوَ الضَّرْبُ بِالْيَدِ مَبْسُوطَةٍ بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بِابْنِ عَبَّاسٍ مُلَاطَفَةً وَتَأْنِيسًا.( شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٦).

(١٠٤) أخرجه: مسلم في كتاب البر والصلة باب من لعنه النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة (٤/ ٢٠١٠) ح(٢٦٠٤)، وأحمد في "المسند"١ / ٢٤٠، ٢٩١، ٣٣٥، ٣٣٨، من طريق: شعبة وأبي عوانة، عَن أبي حمزة به، دون قوله: لا أشبع الله بطنه، وزاد في رواية، وكان كاتبه، والطيالسي في مسنده (٤/ ٤٦٤) ح(٢٨٦٩) .

(١٠٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٦٥).

(١٠٦) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٦).

**وإليك أقوالهم:**

(أ) قال النووي: خَافَ صلى الله عليه وسلم أن يصادف شئ مِنْ ذَلِكَ إِجَابَةً، فَسَأَلَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ رَحْمَةً وَكَفَّارَةً وَقُرْبَةً وَطَهُورًا وَأَجْرًا، وَإِنَّمَا كَانَ يَقَعُ هَذَا مِنْهُ فِي النَّادِرِ وَالشَّاذِّ مِنَ الْأَزْمَانِ، وَلَمْ يَكُنْ صلى الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا مُنْتَقِمًا لِنَفْسِهِ(١٠٧).

وقال أيضاً: ".. وَقَدْ فَهِمَ مُسْلِمٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ، فَلِهَذَا أَدْخَلَهُ فِي هَذَا الباب(البر والصة)، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه فِي الْحَقِيقَةِ يَصِيرُ دُعَاءً (١٠٨).

(ب) قال الحافظ ابن عساكر: "..وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس"(١٠٩).

(ت) قَالَ السُّيُوطِيُّ، والشَّافِعِيُّ: أَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ مُعَاوِيَةَ ﵁ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ(١١٠).

فانظر وفقك الله فهنا أدخل مسلم الحديث في البر والصلة، فكيف يكون ثمة بر أو صلة وهو يدعوا عليه لا له، وهذا ما فهموه من الحديث.

(ث) وقال ابن كثير: "وَقَدِ انْتَفَعَ مُعَاوِيَةُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، أَمَّا في دنياه، فإنه لما صار إِلَى الشَّامِ أَمِيرًا، كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فَيَأْكُلُ مِنْهَا، وَيَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ أَكَلَاتٍ بِلَحْمٍ، وَمِنَ الْحَلْوَى وَالْفَاكِهَةِ شَيْئًا كَثِيرًا وَيَقُولُ: والله ما أشبع وإنما أعيا، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ وَمَعِدَةٌ يَرْغَبُ فِيهَا كُلُّ الْمُلُوكِ.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَقَدِ أَتْبَعَ مُسْلِمٌ هَذَا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وَغَيْرُهُمَا مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ".

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : "اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا عَبْدٍ سَبَبْتُهُ ، أَوْ جَلَدْتُهُ ، أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَهْلًا فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً وَقُرْبَةً تقرّبه بِهَا عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١١١).

فَرَكَّبَ مُسْلِمٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ وَهَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةً لِمُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يُورِدْ لَهُ غَيْرَ ذَلِكَ"(١١٢).

وهنا أكد ابن كثير أن الحديث له لاعليه لذا راح يأتي بالشواهد التي تبين انتفاعه بالدعاء.

---

(١٠٧) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٢).

(١٠٨) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٥٦).

(١٠٩) تاريخ دمشق لابن عساكر(٥٩/ ١٠٦).

(١١٠) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/ ٨).

(١١١) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥) باب ح (٩٥) ص (٢٠٠٩) عن أنس بن مالك.

(١١٢) البداية والنهاية (٨/ ١٢٨).

قلت: ومما يؤيد انتفاعه –إن شاء الله - بهذه الدعوة في الأخرة ما جاء عند الطيالسي : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بِنْ فَارِسٍ، الرَّاوِي عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ، مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: لَا أَشْبَعَ اللَّهُ بَطْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى لَا يَكُونَ مِمَّنْ يَجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "أَطْوَلُ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(١١٣).

**الحديث الثاني: الذي زعموا أن فيه تقليلاً من شأن معاوية.**

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ"، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ، ثُمَّ قَالَ: "تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي، اعْتَدِّي عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي"، قَالَتْ: فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ" فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: "انْكِحِي أُسَامَةَ"، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ(١١٤).قالوا: "هنا وصفه بأنه صعلوك، وهذا تحقير له".

**الجواب عن الحديث:**

ينبغي أن ننظر أولاً في سبب ورود هذا القول، إنها استشارة زوجية ينبغي فيها المصارحة، بل ويجوز فيها الغيبة كما بين النووي جَوَازُ وَصْفِ الْإِنْسَانِ بِعَيْبٍ فِيهِ لِلتَّعْرِيفِ أَوْ مَصْلَحَةٍ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ لَا عَلَى قَصْدِ التَّنْقِيصِ، وَهَذَا أَحَدُ وُجُوهِ الْغِيبَةِ الْمُبَاحَةِ، وَهِيَ سِتَّةُ مَوَاضِعَ يُبَاحُ فِيهَا ذِكْرُ الْإِنْسَانِ بِعَيْبِهِ وَنَقْصِهِ وَمَا يَكْرَهُهُ(١١٥).

قال النووي: "... وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ بِمَا فِيهِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ، وَطَلَبِ النَّصِيحَةِ، وَلَا يَكُونُ هَذَا مِنَ الْغِيبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، بَلْ مِنَ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْغِيبَةَ تُبَاحُ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ أَحَدُهَا الِاسْتِنْصَاحُ ..... ولَمَّا كَانَ أبو الجهم كَثِيرَ الْحَمْلِ لِلْعَصَا، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ قَلِيلَ الْمَالِ جِدًّا جَازَ إِطْلَاقُ هَذَا اللَّفْظِ عَلَيْهِمَا مَجَازًا، فَفِي هَذَا جَوَازُ اسْتِعْمَالِ مِثْلِهِ فِي نَحْوِ هَذَا.

(وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ) هُوَ بِضَمِّ الصَّادِ وَفِي هَذَا جَوَازُ ذِكْرِهِ بِمَا فِيهِ لِلنَّصِيحَةِ(١١٦).

(فَصُعْلُوكٌ) : بِالضَّمِّ، فَقِيرٌ(١١٧) (لَا مَالَ لَهُ) : صِفَةٌ كَاشِفَةٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةٍ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، حَتَّى قَالَ فِي حَقِّهِ: "إِنَّهُ صُعْلُوكٌ، وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

---

(١١٣) مسند أبي داود الطيالسي (٤/ ٤٦٤) ح(٢٨٦٩)، وأخرجه: الترمذي كتاب صفة القيامة باب (٣٧) (٤/ ٦٤٩) ح(٢٤٧٨)، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، وابن ماجه كتاب الأطعمة باب الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ، وَكَرَاهَةِ الشِّبَعِ (٢/ ١١١٢)ح(٣٣٥١)، كلهم عن ابن عمر، وقال الشيخ الألباني : حسن.

(١١٤) أخرجه: مسلم في كتاب الطلاق بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا (٢/ ١١١٤) ح(١٤٨٠).

(١١٥) شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٢).

(١١٦) شرح النووي على مسلم (١٠/ ٩٧: ٩٨ باختصار).

نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) [النور: ٣٣]، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، وَفِيهِ تَصْرِيحٌ مِنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى جَوَازِ ذِكْرِ عَيْبٍ فِي الزَّوْجِ لِتَحْتَرِزَ الزَّوْجَةُ مِنْهُ، لِئَلَّا تَقَعَ الزَّوْجَةُ فِي الْمَشَقَّةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي الْمَرْأَةِ عَيْبٌ جَازَ ذِكْرُهُ لِئَلَّا يَقَعَ الزَّوْجُ فِي مَشَقَّةٍ"(١١٨).

فالواضح أن معاوية كان فقيراً قليل المال، وهذا لا يعيبه في دينه ولا في خلقه، ولذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حالة معاوية رضي الله عنه المالية لهذه المرأة حتى تقرر مصيرها في حق من تتزوجه، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصد سب معاوية، والولوج في هذا منزلق خطير حيث إن من يريد الحط من قدر معاوية رضي الله عنه، فإنه يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاشاه أن يريد ما فهمه هؤلاء الحاقدون الطاعنون في الصحابة، وإنما أراد فقط أن يبين حالة معاوية وقتئذ، وكما هو معلوم أن الفقر لا يعاب به المسلم، وإنما يذكر لمن يريد التزوج منها، لمصلحة لا تخفى، والله أعلم.

**الشبهة الرابعة: ما نسب لبعض الأئمة أنه قال: "لا يصح في فضل معاوية شيء".**

قال الحاكم: سمعتُ أَبَا الْعَبَّاس مُحَمَّد بْن يَعْقُوب بْن يُوسُف – الأصم-(١١٩)يَقُولُ: سمعتُ أبي(١٢٠) يَقُولُ سمعتُ إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الْحَنْظَلِي (ابن راهوية)(١٢١)يَقُولُ: "لَا يَصح فِي فضل مُعَاوِيَة حَدِيث".(١٢٢).

**الرد على هذا القول:**

(١) هذا القول عن ابن راهويه باطل ولم يثبت عنه، وهُوَ أَثَرٌ لا يَصِحُّ؛ سَنَدًا ومَتْنًا.

فأمَّا سَنَدًا : ففيه يعقوب بن يوسف بن معقل أبو الفضل النيسابوري -والد الأصم- لم يوثقه أحد(١٢٣)!، وذكره الذهبي في السير،ولم يذكر فيه أيضاً جرحاً ولا تعديلاً(١٢٤).

وبهذا فإن هذا القول ضعيف لم يثبت عن إسحاق بن راهويه رحمه الله، وحاشا الإمام إسحاق من ذلك القول(١٢٥).

وقد ضعفه الشوكاني(١٢٦)، وابن الجوزي(١٢٧)، والسيوطي(١٢٨)، وابن عراق(١٢٩).

---

(١١٧) ص ع ل ك: (الصُّعْلُوكُ) الْفَقِيرُ وَ(التَّصَعْلُكُ) الْفَقْرُ. (مختار الصحاح (ص: ١٧٦).

(١١٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢١٧٦).

(١١٩)سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥٢) ت(٢٥٨)،شذرات الذهب - ابن العماد (٢/ ٣٧٠)، طبقات الشافعيين (ص: ٢٧٠)، تاريخ نيسابور (ص: ١١١) ت(٢٣٤٠)، الوافي بالوفيات (٩/ ١٦٩).

(١٢٠)تاريخ الإسلام (٦/ ٦٤٣) ت(٤٧٩)، تاريخ نيسابور (ص: ٦٠) ت(١١٩٧).

١٢١) ميزان الاعتدال (١/ ١٨٢) ت(٧٣٣).

(١٢٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٠٦/٥٩)، وانظر: الفوائد المجموعة (ص: ٤٠٧)، الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٤).

(١٢٣) تاريخ بغداد (١٤|٢٨٦).

(١٢٤) سير أعلام النبلاء(١٥|٤٥٣).

(١٢٥) الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان للشنقيطي(ص: ٢٢) بتصرف.

(١٢٦)الفوائد المجموعة (ص: ٤٠٧) رقم(١٥٥).

(١٢٧)الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٤).

وأما متناً فقد سبق ذكر أكثر من حديث يدل على فضل معاوية ﷺ، وقد رأينا أن هناك من الأئمة من ذكر أحاديث في فضل معاوية مصححًا لها.

لذلك قال الشوكاني: "قد ذكر الترمذي في الباب الذي ذكره في مناقب معاوية من سننه ما هو معروف فليراجع، وأما هذه الأكاذيب المذكورة هنا، فأمرها بين"(١٣٠).

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه بابًا قاله فيه: "بَاب ذِكْرِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه"، أورد فيه ثلاثة أحاديث تدل على فقهه(١٣١).

قال ابن حجر: "تَنْبِيهٌ عَبَّرَ الْبُخَارِيُّ فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ بِقَوْلِهِ: ذِكْرُ، وَلَمْ يَقُلْ فَضِيلَة، وَلَا منقبة لكَون الْفَضِيلَة لاتؤخذ من حَدِيث الْبَاب لَان ظَاهر شَهَادَة ابن عَبَّاسٍ لَهُ بِالْفِقْهِ وَالصُّحْبَةِ دَالَّةٌ عَلَى الْفَضْلِ الْكثير، وَقد صنف ابن أَبِي عَاصِمٍ جُزْءًا فِي مَنَاقِبِهِ، وَكَذَلِكَ أَبُو عُمَرَ غُلَامُ ثَعْلَبٍ، وَأَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ، وَأَوْرَدَ ابن الْجَوْزِيّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرُوهَا، ثُمَّ سَاقَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: "لَمْ يَصِحَّ فِي فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ شَيْءٌ"، فَهَذِهِ النُّكْتَةُ فِي عُدُولِ الْبُخَارِيّ عَنِ التَّصْرِيحِ بِلَفْظِ مَنْقَبَةٍ اعْتِمَادًا عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ لَكِنْ بدقيق نظره استنبط مَا يدْفع بِهِ رُؤُوس الرَّوَافِضِ .... وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضَائِلِ مُعَاوِيَةَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَكِنْ لَيْسَ فِيهَا مَا يَصِحُّ مِنْ طَرِيقِ الْإِسْنَادِ وَبِذَلِكَ جَزَمَ إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه، وَالنَّسَائِيّ، وَغَيرهمَا، وَالله اعْلَم(١٣٢).

وقد وقفت على مصنف للشيخ الشنقيطي اسمه الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان، ذكر فيه جملة من الأحاديث في فضله رضي الله عنه.

(٢) على فرض صحة ما ذُكر عن بعض الأئمة من أنه لا يصح شيء في فضل معاوية ﷺ، فإنهم رحمهم الله لا ريب أنهم يرون أن معاوية داخل في عموم النصوص التي جاءت في فضل الصحابة - رضي الله عنهم -. فمرادهم لا يصح حديث في فضله بخصوصه أما على سبيل العموم فنعم.

فالمراد لم يرد في فضل معاوية بخصوصه .قال ابن القيم: "وَمُرَادُهُ وَمُرَادُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَمْ يَصِحُّ حَدِيثٌ فِي مَنَاقِبِهِ بِخُصُوصِهِ، وَإِلا فَمَا صَحَّ عِنْدَهُمْ فِي مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْعُمُومِ وَمَنَاقِبِ قُرَيْشٍ فَمُعَاوِيَةُ رضي الله عنه دَاخِلٌ فِيهِ"(١٣٣).

(٣) أو المراد أنه لايصح أي لا يصل إلى درجة الصحيح، وإنما يصل إلى درجة الحسن.

---

(١٢٨) اللآلئ المصنوعة (١/ ٣٨٨).

(١٢٩) تنزيه الشريعة (٢/٧).

(١٣٠) الفوائد المجموعة (ص: ٤٠٧).

(١٣١) أخرجه: البخارى كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر معاوية ﷺ ٣/ ١٣٧٣ ح (٣٥٥٤).

(١٣٢) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٠٤).

(١٣٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف = نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول (ص: ١١٦).

**الشبهة الخامسة: بعض الأحاديث التي قالوا إنها تدل على أن معاوية ومن معه أهل بغي.**

ذكروا أحاديث قالوا: إن فيها دلالة على أن معاوية ومن معه أهل بغي، ومن هذه الأحاديث:

**الحديث الأول:** عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ، فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ، يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ"(١٣٤)، فقالوا: "إن الفرقة المارقة فرقة معاوية ومن معه".

**الجواب عن هذه الرواية.**

أقرر أولاً: أن فهم العلماء يختلف عن فهم الجهلة، وأن الفهم لأجل طلب الحق يختلف عن الفهم لأجل الهوى الذي نهينا عن اتباعه.

ثانياً: ينبغي أن نفهم من هذه الأحاديث أن هذه أحداث أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستقع، فلا بد أن تقع كما أخبر، ومع إخباره بوقوعها لم يرد فيها أن أحد الفريقين كانوا أهل كفر أو فسوق أو عصيان، غاية ما فيها أن أحد الطائفتين على الحق لا غير.

قال النووي: هَذِهِ الرواية صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ عَلِيًّا ﷺكَانَ هُوَ الْمُصِيبَ الْمُحِقَّ وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه كَانُوا بُغَاةً مُتَأَوِّلِينَ وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطَّائِفَتَيْنِ مُؤْمِنُونَ لَا يَخْرُجُونَ بِالْقِتَالِ عَنِ الْإِيمَانِ وَلَا يَفْسُقُونَ وَهَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مُوَافِقِينَا(١٣٥).

فعلي ومعاوية -رضي الله عنهما- كانا يسعيان إلى الحق ولا شيء سوى ذلك، لكن عليًا كان هو الأقرب إلى الحق، ومعاوية كان مجتهداً في طلب الحق فإن أخطأ فله أجر، فلا ينبغي أن يتخذ هذا ذريعة للطعن فيه أو التنقص منه.

**الحديث الثاني:**"وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ" قَالَ: فَجَعَلَ عَمَّارٌ يَقُولُ:"أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنَ الْفِتَنِ"(١٣٦)، قالوا: "فمن قتل عمار إلا من مع معاوية".

**الجواب عن الرواية.**

هذه الرواية تؤكد ما ذكرت من قبل، فلم تنف الإيمان عن أحد الفريقين، أو تثبت لأحدهما الخروج منه.

قال ابن حجر: "فَإِنْ قِيلَ كَانَ قَتْلُهُ بِصِفِّينَ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ، وَالَّذِينَ قَتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الدُّعَاءُ إِلَى النَّارِ؟.

(١٣٤) أخرجه: مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٦) ح(١٠٦٤) .

(١٣٥) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٦٧).

(١٣٦) أخرجه: البخاري في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد (١/ ٩٧) ح(٤٤٧)، وفي كتاب الجهاد والسير باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله(٤/ ٢١) ح(٢٨١٢)، عن ابن عباس، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ (٤/ ٢٢٣٥) ح(٢٩١٥) عن أبي سعيد الخدري وفي نفس الكتاب والباب (٤/ ٢٢٣٦) ح(٢٩١٦) عن أم سلمة.

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِمْ فِي اتِّبَاعِ ظُنُونِهِمْ، فَالْمُرَادُ بِالدُّعَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ الدُّعَاءُ إِلَى سَبَبِهَا وَهُوَ طَاعَةُ الْإِمَامِ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ، وَهُوَ الْإِمَامُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةُ إِذْ ذَاكَ، وَكَانُواهُمْ يَدْعُونَ إِلَى خِلَافِ ذَلِكَ لَكِنَّهُمْ معذورون للتأويل الَّذِي ظهر لَهُم"(١٣٧).

فمن في منزلة معاوية ومن معه لا يخرج إلى القتل إلا مع غلبة ظنه أنه على الحق.

قال النووي: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: "هَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ عَلِيًّا ﷺكَانَ مُحِقًّا مُصِيبًا وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى بُغَاةٌ لَكِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ لِذَلِكِ .... وَفِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَوْجُهٍ مِنْهَا أَنَّ عَمَّارًا يَمُوتُ قَتِيلًا، وَأَنَّهُ يَقْتُلُهُ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّهُمْ بُغَاةٌ، وَأَنَّ الصَّحَابَةَ يُقَاتِلُونَ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِرْقَتَيْنِ بَاغِيَةٍ وَغَيْرِهَا، وَكُلُّ هَذَا قَدْ وَقَعَ مِثْلُ فَلَقِ الصُّبْحِ صَلَّى اللَّهُ وسلم على رسوله الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلاوحى يُوحَى"(١٣٨).

وقال العراقي: "مَذْهَب أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْفِئَةَ الْمُقَاتِلَةَ لِعَلِيٍّ هِيَ الْبَاغِيَةُ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَأَوِّلَةً طَالِبَةً لِلْحَقِّ فِي ظَنِّهَا غَيْرَ مَذْمُومَةٍ بَلْ مَأْجُورَةٍ عَلَى الِاجْتِهَادِ، وَلَا سِيَّمَا الصَّحَابَةُ مِنْهُمْ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ تَحْسِينُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَأَنْ يُتَأَوَّلَ لَهُمْ مَا فَعَلُوهُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِفَضْلِهِمْ، وَمَا عَهِدْنَاهُ مِنْ حُسْنِ مَقْصِدِهِمْ، ثُمَّ إنَّ عَدَالَتَهُمْ قَطْعِيَّةٌ لَا تَزُولُ بِمُلَابَسَةِ شَيْءٍ مِنْ الْفِتَنِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ".(١٣٩).

أقول: "فلا نقص يلحق أحدهما، فكل منهما متأول تأويلاً غير قطعي البطلان، وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغي لا فسق به لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه".

وهذه الأحاديث تتحدث عن أحداث ستكون بعد موته صلى الله عليه وسلم، فهي من أعلام نبوته، فوقعت هذه الأحداث كما أخبر، وأنت ترى أنه صلى الله عليه وسلم لم ينف عن الفريقين الإسلام ولا الإيمان، ولم ينسب إلى فرقة منهما الكفر ولا الفسوق ولا العصيان، ونحن آمنا بهذه الأحاديث ولا نثبت لأي من الفريقين ما لم يثبته رسولنا الكريم الذي صدق فيما أخبر.

**الشبهة السادسة: طلب معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما– الخلافة وأخذها قهراً.**

فقد أخذوا مما شجر بينه وبين على رضى الله عن الجميع مطعناً يطعنون به في سيدنا معاوية، وحاولوا تصوير أن ما فعله منذ مقتل عثمان ﷺإنما كان من أجل طمعه في الخلافة.

فنراهم يقولون: "إنه أخذ الخلافة قهراً، ونال الخلافة بالخديعة والسياسة واصطناع الرجال، بل وبحد السيف"(١٤٠).

ويمكن أن يجاب عن هذه الشبهة بما يأتي:

(١٣٧) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤٢).

(١٣٨) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٠).

(١٣٩) طرح التثريب في شرح التقريب (٧/ ٢٧٨).

(١٤٠) انظر: الخلافة في الحضارة الإسلامية ص ٨٣، ومعاوية أمام محكمة الجزاء ص٧١.

**(١) أن الخلاف من البداية لم يكن من أجل الخلافة.**

فقد شاع بين الناس قديمًا وحديثًا أن الخلاف بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج معاوية على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام.

لكن الصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل ايقاع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء.

فقد كان رأيُ معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان، ثم يدخلوا بعد ذلك في البيعة.

يقول إمام الحرمين الجويني: "إن معاوية وإن قاتل عليًا، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنًا منه أنه مصيب، وكان مخطئًا"(١٤١)، وهذا ما فهمه إمام الحرمين، وأما شيخ الإسلام فيقول: "ومُعَاوِيَةُ لَمْ يَدَّعِ الْخِلَافَةَ؛ وَلَمْ يُبَايَعْ لَهُ بِهَا حَيْنَ قَاتَلَ عَلِيًّا، وَلَمْ يُقَاتِلْ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةٌ، وَلَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْخِلَافَةَ، وَيُقِرُّونَ لَهُ بِذَلِك، وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ يُقِرُّ بِذَلِك لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْهُ"(١٤٢)، بل إنه فهم أهل السنة والجماعة، قال ابن حجر الهيتمي: "..ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه، فامتنع علي ظناً منه أن تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي يؤدي إلى اضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام سيما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها، فرأى علي رضي الله عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة، ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها، ويتم له انتظام شملها، واتفاق كلمة المسلمين، ثم بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ويسلمهم إليهم، ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على علي ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، وأيضا فالذين تمالؤا على قتل عثمان كانوا جموعاً كثيرة كما علم من قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم، جمع من أهل مصر قيل: سبعمائة، وقيل: ألف، وقيل: خمسمائة، وجمع من الكوفة، وجمع من البصرة، وغيرهم قدموا كلهم المدينة، وجرى منهم ما جرى، بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف، فهذا هو الحامل لعلي رضي الله عنه على الكف عن تسليمهم لتعذره.

ويحتمل أن علياً رضي الله عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه رضي الله عنه لإنكارهم عليه أموراً كجعله مروان ابن عمه كاتباً له، ورده إلى المدينة بعد أن طرده

(١٤١) لمع الأدلة (ص ١١٥).

(١٤٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

النبي صلى الله عليه وسلممنها(١٤٣)، وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال، ... ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه جهلاً منهم وخطأ، والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أتلفه في حال الحرب عن تأويل، دماً كان أو مالاً كما هو المرجح من قول الشافعي وبه قال جماعة آخرون من العلماء(١٤٤).

وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه، فإن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة، وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم، ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة، وإيضاح الحق لهم، وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهداً، لأن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد، ولا ينافي هذا ما هو المقرر في مذهب الشافعي رحمه الله من أن من لهم شوكة دون تأويل لا يضمنون ما أتلفوه في حال القتال كالبغاة لأن قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لم يكن في قتال، فإنه لم يقاتل بل نهى عن القتال حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه لما أراده قال له عثمان: "عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك إنما تراد نفسي وسأقي المسلمين بنفسي" كما أخرجه ابن عبد البر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة(١٤٥).

**(٢) أن معاوية لم يكن في أيام علي خليفة.**

من اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضاً أن معاوية رضي الله عنه لم يكن في أيام علي خليفة، وإنما كان من الملوك، وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده، وأما علي رضي الله عنه، فكان له أجران أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته(١٤٦).

**(٣) الخلاف في إمامة معاوية بعد موت علي.**

اختلفوا في إمامة معاوية بعد موت علي رضي الله عنهما، فقيل: صار إماماً وخليفة لأن البيعة قد تمت له، وقيل: لم يصر إماماً لحديث:"الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِك"(١٤٧)، وقد انقضت الثلاثون بوفاة علي، وأنت خبير أن الثلاثين لم تتم بموت علي، وبيانه أنه توفي في رمضان سنة أربعين

---

(١٤٣) رجال صحيح البخاري للكلاباذي(٢/ ٧١٥) ت(١١٨٧)، وذكر ابن عبد البر أن الذي طرد من المدينة هو الحكم وليس مروان، غاية الأمر أن مروان خرج مع أبيه إلى الطائف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٥٩) ت(٥٢٩)، وانظر: أسد الغابة ط العلمية (٢/ ٤٨).

وهذا ما دلت عليه النصوص، ففي المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٤٨) ح(١٢٧٢٤) بسنده عن ابن عباس : قال : إنما كان نفي النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص من المدينة إلى الطائف بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته إذا هو إنسان يطلع عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( الوزغ الوزغ ) فنظر، فإذا هو الحكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ( أخرج لا تساكني بالمدينة ما بقيت ) فنفاه إلى الطائف.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه ملك بن سليمان ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.(مجمع الزوائد (٨/ ٨٥).

(١٤٤) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤/ ١٢٣)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٢٣٠).

(١٤٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٦٢٢)، والرواية في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٨/ ٧٣) برقم (٤٣٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَحْصُورًا فِي الدَّارِ مَعَ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَرَمَوْا رَجُلًا مِنَّا، فَقَتَلُوهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! طَابَ الضِّرَابُ، قَتَلُوا مِنَّا رَجُلًا، فَقَالَ رَضِيَ الله عَنه: عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَمَا رَمَيْتَ بِسَيْفِكَ، فَإِنَّمَا تُرَادُ نَفْسِي، وَسَأَقِي الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِي، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْه: فَرَمَيْتُ بِسَيْفِي فَمَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ حَتَّى السَّاعَةَ..

(١٤٦) أخرجه: مسلم في: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ... رضي الله عنه (٤/ ١٨٧١) ح(٢٤٠٤).

(١٤٧) أخرجه: أبو داود في كتاب السنة باب في الخلفاء-٦٢٢/٢ ح(٤٦٤٦)، والترمذي في – كتب الفتن – باب ماجاء في الخلفاء- ٤/ ٥٠٣ (٢٢٢٦)، وقال: حسن، وأحمد في المسند ٢٢١/٥ ح (٢١٩٧٨) كلهم عن سفينة.

من الهجرة، والأكثرون على أن وفاته سابع عشر، ووفاة النبي ثاني عشر ربيع الأول فبينهما دون الثلاثين بنحو ستة أشهر، وتمت الثلاثين بمدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

فإذا تقرر ذلك فالذي ينبغي ...أن يحمل قول من قال بإمامة معاوية عند وفاة علي على ما تقرر من وفاته بنحو نصف سنة لما سلم له الحسن الخلافة، والمانعون لإمامته يقولون: لا يعتد بتسليم الحسن الأمر إليه لأنه لم يسلمه إليه إلا للضرورة لعلمه بأنه أعني معاوية لا يسلم الأمر للحسن، وأنه قاصد للقتال والسفك إن لم يسلم الحسن الأمر إليه، فلم يترك الأمر إليه إلا صوناً لدماء المسلمين(١٤٨).

**(٤) نزول الحسن عن الخلافة كان باختياره:**

ولك رد ما وجه به هؤلاء ما ذكر بأن الحسن كان هو الإمام الحق والخليفة الصدق، وكان معه من العدة والعدد ما يقاوم به من مع معاوية، فلم يكن نزوله عن الخلافة وتسليمه الأمر لمعاوية اضطرارياً بل كان اختيارياً كما يدل عليه ما جاء في قصة نزوله من أنه اشترط عليه شروطاً كثيرة فالتزمها ووفى له بها، وأيضا ففي صحيح البخاري أن معاوية هو السائل للحسن في الصلح(١٤٩).

ومما يدل على ما ذكرته حديث البخاري عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: أَخْرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلمذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ:"ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ"(١٥٠)، فانظر إلى ترجيه الإصلاح به، وهو لا يترجى إلا الأمر الحق الموافق للواقع بترجيه الإصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة، وإلا لو كان الحسن باقياً على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله إصلاح، ولم يحمد الحسن على ذلك، ولم يترج مجرد النزول من غير أن يترتب عليه فائدته الشرعية ووجوب طاعته على الكافة وهي استقلال المنزول له بالأمر، وصحة خلافته، ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة، وقيامه بأمور المسلمين، فكان ترجيه لوقوع الإصلاح بين أولئك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن فيه دلالة أي دلالة على صحة ما فعله الحسن، وعلى أنه مختار فيه، وعلى أن تلك الفوائد الشرعية، وهي صحة خلافة معاوية وقيامه بأمور المسلمين

---

(١٤٨) أخرجه: مسلم في: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ... رضي الله عنه (٤/ ١٨٧١) ح(٢٤٠٤).

(١٤٩) أخرجه: البخاري في –كتاب الصلح– باب قول النبي ﷺ للحسن إن ابني هذا سيدا – ٩٦٢/٢ ح(٢٥٥٧).

عن الحسن قال: "استقبل والله الحسن بن علي بن معاوية بكتائب أمثال الجبال"، فقال عمرو بن العاص: "إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان الله خير الرجلين -: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله ابن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها . قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال فمن لي بهذا ؟ قالا: نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول:"إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" قال لي علي ابن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث. وانظر: الأحاديث (٣٤٣٠)، (٣٥٣٦)، (٦٦٩٢) .

(١٥٠) أخرجه: البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٨/٣ ح(٣٤٣٠).

وتصرفه فيها بسائر ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح، فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ،وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق.

كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلمأنه قال لمعاوية:"اللهم اجعله هادياً مهدياً"(١٥١).

وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله يقول: "اللهم علم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب"(١٥٢).

**(٥) صرحت الأخبار بأن معاوية سيملك.**

قد قال معاوية: "ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله:"يا معاوية إذا ملكت فأحسن"(١٥٣)، فتأمل دعاء النبي له في الحديث الأول بأن الله يجعله هادياً مهدياً، فهو مما يحتج به على فضل معاوية وأنه لا ذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنها كانت مبنية على اجتهاد، وأنه لم يكن له إلا أجر واحد لأن المجتهد إذا أخطأ لا ملام عليه، ولا ذم يلحقه بسبب ذلك لأنه معذور ولذا كتب له أجر.

وتأمل أنه أخبر معاوية بأنه يملك، وأمره بالإحسان تجد في الحديث إشارة إلى صحة خلافته، وأنها حق بعد تمامها له بنزول الحسن له عنها، فإن أمره بالإحسان المترتب على الملك يدل على أحقية ملكه وخلافته، وصحة تصرفه، ونفوذ أفعاله من حيث صحة الخلافة له من حيث التغلب لأن المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر، ولا يؤمر بالإحسان فيما تغلب عليه، بل إنما يستحق الزجر والمقت والإعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله.

فلو كان معاوية متغلباً لأشار له النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك أو صرح له به، فلما لم يشر له فضلاً عن أن يصرح إلا بما يدل على حقية ما هو عليه علمنا أنه بعد نزول الحسن له خليفة حق وإمام صدق ويشير إلى ذلك كلام الإمام أحمد، فقد أخرج البيهقي، وابن عساكر عن إبراهيم بن سويد

---

(١٥١) أخرجه: الترمذي في – كتاب المناقب – باب مناقب معاوية بن أبي سفيان – ٦٨٧/٥ ح(٣٨٤٢) وقال: حسن غريب، وقال الشيخ الألباني : صحيح، وأحمد بن حنبل في المسند ٢١٦/٤ ح(١٧٩٢٦).

(١٥٢) سبق تخريجه، وهو في أحمد في المسند ٤/ ١٢٧ ح (١٧١٩٢) بسند حسن.

(١٥٣) أخرجه: أحمد في المسند (٢٨/ ١٢٩) ح(١٦٩٣٣)من طريق أَبُ أُمَيَّة عَمْرُو بْن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي، يُحَدِّثُ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ، أَخَذَ الْإِدَاوَةَ بَعْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا، وَاشْتَكَى أَبُو هُرَيْرَةَ، فَبَيْنَا هُوَ يُوَضِّئُ رَسُولَ اللهِ ﷺرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: " يَا مُعَاوِيَةُ، إِنْ وُلِّيتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْدِلْ "، قَالَ: فَمَازِلْتُ أَظُنُّ أَنِّي مُبْتَلًى بِعَمَلٍلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى ابْتُلِيتُ.وقال الشيخ شعيب: رجاله ثقات رجال الصحيح غير أن جد عمرو بن يحيى- وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص- لم يتبين لنا سماعه من معاوية.

وأخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الأمراء باب مَا ذُكِرَ مِنْ حَدِيثِ الْأُمَرَاءِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ (٦/ ٢٠٧) ح(٣٠٧١٥)، والطبراني في "الكبير" ١٩/ ٣٦١ ت(٨٥٠)، والبيهقي في "الدلائل" ٤٤٦/٦ من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن عبد الملك بن عمير قال: قَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا زِلْتُ أَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ مُنْذُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مُعَاوِيَةُ , إِنْ مَلَكْتَ فَأَحْسِنْ»

وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٨٦/٥، وقال: رواه أحمد، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى عن سعيد، عن معاوية، فوصله، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني باختصار عن عبد الملك بن عمير، عن معاوية، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، وهو ضعيف، وقد وثِّق.مجمع الزوائد (٥/ ٣٣٨) ح(٨٩٥٢).

الأرمني قال: قلت لأحمد ابن حنبل من الخلفاء قال: "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قلت: فمعاوية؟ قال: لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي(١٥٤). فأفهم كلامه أن معاوية بعد زمان علي أي: وبعد نزول الحسن له أحق الناس بالخلافة.....

وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه .. فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فإنه لم يصدر إلا عن قوم حمقى جهلاء أغبياء لا يبالي الله بهم في أي واد هلكوا فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض في تنقيص أولئك الأئمة الأعيان.(١٥٥).

**الشبهة السابعة: ذكروا أنه سب علياً رضي الله عنه، واستدلوا على ذلك بما يلي:**

الرواية الأولى: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "أن معاويةَ بن أبي سفيان أَمَرَ سعداً، فقال: ما يمنعُك أن تَسُبَّ أبا تُراب ؟ فقال: أَمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلن أسُبَّه، لأَنْ تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إِلَيَّ من حُمْر النَّعَم، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول له - وقد خَلّفه في بعض مغازيه - فقال له عليٌّ: يا رسول الله، خَلَّفْتَني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نُبُوَّةَ بعدي، وسمعتُه يقول يوم خيبرَ: لأُعْطِيَنَّ الرَّايةَ غداً رجلاً يُحبُّ الله ورسولَه، ويُحبُّه الله ورسولُه، قال: فتطاولنا، فقال: ادُعوا لي علياً، فأُتِيَ به أَرْمَدَ، فَبَصَقَ في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: (نَدْعُ أَبْنَاءَنا وَأَبْنَاءَكُمْ) [آل عمران: ٦١] دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمةَ وحَسَناً وحُسَيْناً، فقال: "اللهم هؤلاء أهلي"(١٥٦).

**الرد على هذه الرواية:**

قال الإمام المازري: "مذهب أفاضل العلماء أن ما وقع من الأحاديث القادحة في عدالة بعض الصحابة والمضيفة إليهم ما لا يليق بهم، فإنها ترد ولا تقبل إذا كان رواتها غير ثقات، فإن أحب بعض العلماء تأويلها قطعاً للشغب ترك ورأيه، وإن رواها الثقات تأولت على الوجه اللائق بهم إذا أمكن التأويل، ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله، ولا بدّ أن نتأول قول معاوية حينما قال لسعد كما في صحيح مسلم:"ما منعك أن تسب أبا تراب".

والتأويل يكون على النحو التالي:

(١) إما بأن المراد بالسب إظهار خطأ اجتهاده وصواب اجتهادنا.

---

(١٥٤) تاريخ دمشق ٦/ ٤٢٢.

(١٥٥) الصواعق المحرقة ٢/ ٦٢٢: ٦٣٠، وانظر: معارج القبول ٣/ ١٠١٧، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٦٨.

(١٥٦) أخرجه: مسلم في: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ... ﷺ (٤/ ١٨٧١) ح(٢٤٠٤).

فهو يريد بالسب التفنيد للمذهب والرأي، وقد يسمى ذلك في العرف سباً، فمن الممكن أن يريد معاوية من سعد بقوله (ما منعك أن تسب أبا تراب) أي: تظهر للناس خطأه في رأيه، وأن رأينا وما نحن عليه أسد وأصوب، هذا مما لا يمكن أحد أن يمنع من احتمال قوله له (١٥٧).

(٢) وإما بأنه سمع قوما يسبونه فأراد كفهم عن سبه بإظهار فضله على لسان سعد.

وقد يكون معاوية رأى سعداً بين قوم يسبونه ولا يمكن الإنكار عليهم فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب، لتستخرج منه مثل ما استخرج مما حكاه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون له حجة على من يسب، حتى ينضاف إليه من غوغاء عنده فيحصل على المراد على لسان غيره من الصحابة(١٥٨).

(٣) جاء على سبيلالسؤال .

أي سأله عن السبب المانع عنه وتكنيه رضي الله عنه بأبي تراب ليس طعنا فإنه كان يجب أن يكنى به.

فنقول: ليس فيه تصريح بأنه أمره بسبه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، وقد يسأل عن مثل هذا السؤال من يستجيز سب المسؤول عنه، ويسأل عنه من لا يستجيزه(١٥٩).

قال الإمام النووي: "...وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول: هل امتنعت تورعاً أو خوفاً، أو غير ذلك؟، فإن كان تورعاً وإجلالاً له، فأنت مصيب محسن"(١٦٠).

(٤) أو أنه قال ذلك على سبيل المداعبة.

ويحتمل أن أن معاوية إنما قال ذلك على سبيل المداعبة لسعد، وأراد من ذلك استظهار بعض فضائل علي رضي الله عنه فإن معاوية رضي الله عنه كان رجلاً فطناً ذكياً، يحب مطارحة الرجال واستخراج ما عندهم، فأراد أن يعرف ما عند سعد في علي رضي الله عنهما، فألقى سؤاله بهذا الأسلوب المثير، وهذا مثل قوله رضي الله عنه لابن عباس: "أنت على ملة علي؟ فقال له ابن عباس: ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ".(١٦١) فظاهر أن قول معاوية هنا لابن عباس جاء على سبيل المداعبة، فكذلك قوله لسعد هو من هذا الباب، وأما ما ادعى الروافض من الأمر بالسب فحاشا معاوية رضي الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك(١٦٢).

إن معاوية رضي الله عنه كان رجلًا ذكيًا، مشهورًا بالعقل والدهاء، فلو أراد حمل الناس على سب علي رضي الله عنه وحاشاه من ذلك . أفكان يطلب ذلك من مثل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو من هو في الفضل والورع؟ مع عدم دخوله في الفتنة أصلًا!! فهذا لا يفعله أقل الناس عقلًا وتدبيرًا، فكيف بمعاوية؟!!............

(١٥٧) المعلم بفوائد مسلم: ٣/ ١٤١.

(١٥٨) المعلم بفوائد مسلم: ٣/ ١٤١.

(١٥٩) المعلم بفوائد مسلم: ٣/ ١٤١.

(١٦٠) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/١٧٥-١٧٦.

(١٦١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٥٥/١)، والصغرى (ص١٤٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤/١).

(١٦٢) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال (ص: ٢٤٦).

إن ما ادعاه الشيعة من الأمر بالسبّ، حاشا معاوية رضي الله عنه أن يصدر منه مثل ذلك، والمانع من هذا عدة أمور:

الأول: أن معاوية نفسه ما كان يسب عليًا رضي الله عنه، فكيف يأمر غيرَه بسبه؟ بل كان معظمًا له معترفًا له بالفضل والسبق إلى الإسلام.

قال ابن كثير: "وقد ورد من غير وجه: أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية، فقالوا له: هل تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني...".(١٦٣).

ونقل ابن كثير أيضاً عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: "لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك! إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل، والفقه، والعلم".(١٦٤).

فهل يسوغ في عقل ودين أن يسب معاوية علياً بل ويحمل الناس على سبه وهو يعتقد فيه هذا؟!!.

الثاني: أنه لا يعرف بنقل صحيح أن معاوية رضي الله عنه تعرض لعلي رضي الله عنه بسب أو شتم أثناء حربه له في حياته، فهل من المعقول أن يسبه بعد انتهاء حربه معه ووفاته؟، فهذا من أبعد ما يكون عند أهل العقول، وأبعد منه أن يحمل الناس على سبه وشتمه.

الثالث: أن معاوية رضي الله عنه انفرد بالخلافة بعد تنازل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - له واجتمعت عليه الكلمة والقلوب، ودانت له الأمصار بالملك، فأي نفع له في سبِّ علي رضي الله عنه ؟!.

بل الحكمة وحسن السياسة تقتضي عدم ذلك، لما فيه من تهدئة النفوس وتسكين الأمور، ومثل هذا لا يخفى على معاوية رضي الله عنه الذي شهدت له الأمة بحسن السياسة والتدبير.

الرابع: أنه كان بين معاوية رضي الله عنه بعد استقلاله بالخلافة وأبناء علي -رضي الله عنهم- من الألفة والتقارب.

ومن ذلك: أن الحسن والحسين وفدا على معاوية فأجازهما بمائتي ألف. وقال لهما: "ما أجاز بهما أحد قبلي"، فقال له الحسين: "ولم تعط أحداً أفضل منا".(١٦٥).

ودخل مرة الحسن على معاوية، فقال له: "مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر له بثلاثمائة ألف".(١٦٦).

---

(١٦٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٢/٨).

(١٦٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٢/٨).

(١٦٥) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٨/٨).

(١٦٦) البداية والنهاية لابن كثير (١٤٠/٨).

وهذا مما يقطع بكذب ما ادُّعِيَ في حق معاوية من حمله الناس على سبِّ علي -رضي الله عنهما- ، إذ كيف يحصل هذا مع ما بينه وبين أولاده من هذه الألفة والمودة والاحتفاء والتكريم.

الخامس: ماذا يمكن أن يقال في إجماع المسلمين على أنه لا يجوز لعن المسلم على التعيين؟ هل يكون هذا الحكم غائبًا عن معاوية رضي الله عنه؟(١٦٧).

لا سيما وقد اشتهر بأنه كان فقيهاً عالماً.

وقد قام ابن الوزير اليمانى من الشيعة الزيدية، بتتبع أحاديثه، فوجد أن ما صح عنه من أحاديث الأحكام ثلاثون حديثاً كلها صحيحة مروية من طرق أخرى ليس فيها معاوية، كما لم يصح أى حديث عنه، فيه طعن فى على بن أبى طالب .رضى الله تعالى عنهم جميعاً، ولعل فى هذا ما يدمغ أولئك الطاعنين(١٦٨).

**تنبيه:**

كلمة "أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا" هي من كلام بكير لا من كلام سعد، إذ لو كانت من كلام سعد لقال: "أمرني معاوية". فيكون قد روى بالمعنى وتصرف بالألفاظ. فقد جاء الحديث عند الحاكم عن بكير بن مسمار قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما-: "ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟"، فهذا إسناد متصل؛ وليس فيه لفظ الأمر(١٦٩).

**الرواية الثانية:**

قال ابن سعد: "أخبرنا علي بن محمد، عن لوط بن يحيي، قال: كان الولاة من بني أمية قبل عمر ابن عبد العزيز يشتمون رجلًا رضي الله عنه، فلما ولي هو. عمر بن عبد العزيز. أمسك عن ذلك، فقال كثير عزة الخزاعي:

| | |
|---|---|
| **وَلِيتَ فلم تشتمْ عليًّا ولم تُخِفْ** | **بَرِيًّا ولم تتبِعْ مقالةَ مجرمِ** |
| **تكلمتَ بالحق المبين وإنما** | **تبين آيات الهدى بالتكلمِ** |
| **فصدَّقت معروف الذي قلتَ بالذي** | **فعلتَ فأضحى راضيًا كلُّ مسلمِ" (١٧٠).** |

**الجواب عن الأثر:**

---

(١٦٧) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال (ص: ٢٤٨)، وانظر: معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٣٢).

(١٦٨) مع الاثني عشرية في الأصول والفروع٣/١٩٣.

(١٦٩) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٢٩).

(١٧٠) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٩٤، أنساب الأشراف للبلاذري (٨/ ١٦١)، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٩٢/٥٠، وهناك إسناد آخر في حلية الأولياء ٣٢٢/٥ فيه خالد بن يزيد أمير العراق ليس بالقوي، ولا يتابع على حديث(الجرح والتعديل ٣٥٩/٣ت(١٦٢٤)، الكامل لابن عدي ٤٢٧/٣ت(٥٧٨) لسان الميزان ٣٤٨/٣ت(٢٩١٣).

إن هذا الأثر واهٍ، فعلي بن محمد هو المدائني ليس بالقوي في الحديث، فهو ضعيف(١٧١) وشيخه لوط ابن يحيى، واهٍ بمرة، قال عنه يحي بن معين: "ليس بثقة"، وقال أبو حاتم: "متروك الحديث"، وقال الدارقطني: "أخباري ضعيف"، ووصفه في الميزان: "أخباري تالف لا يوثق به، وعامة روايته عن الضعفاء والهلكى والمجاهيل"(١٧٢).

ومما يؤيد ضعف الرواية أن الشاعر الذي قال الأبيات كثير عزة(١٧٣) شيعي غال يؤمن برجعة علي.

ولقد اتهم الشيعة معاوية بحمل الناس على سب علي - رضي الله عنهما - ولعنه فوق منابر المساجد، وهذه الدعوى لا أساس لها من الصحة.

إن التاريخ الصحيح يؤكد خلاف ما ذكره هؤلاء، من احترام وتقدير معاوية رضي الله عنه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأهل بيته الأطهار - رضي الله عنهم -، فحكاية لعن علي على منابر بني أمية لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا مع طبيعة المتخاصمين.

وقد ثبت هذا في حق معاوية رضي الله عنه كما أنه من أبعد المحال على من كانت هذه سيرته، أن يحمل الناس على لعن علي رضي الله عنه على المنابر، وهو من هو في الفضل، ومن علم سيرة معاوية رضي الله عنه في الملك، وما اشتهر به من الحلم والصفح، وحسن السياسة للرعية ظهر له أن ذلك من أكبر الكذب عليه، فقد بلغ معاوية رضي الله عنه في الحلم مضرب الأمثال، وقدوة الأجيال.(١٧٤).

فهذا الأخبار وأمثالها من روايات الشيعة الذين يريدون النيل من الصحابة الكرام، ومن المعلوم عند المحدثين أن أمثال هذه الروايات لا تقبل لا سيما إذا كان الراوي ضعيفاً، فتعد روايته عند ذلك من المنكر الضعيف الذي خالف المعروف الصحيح، فهي روايات ضعيفة روج لها الشيعة، وتبعهم في ذلك من في قلبه مرض.

**الشبهة الثامنة: الطعن عليه بأنه قد دس على الحسن من سمه.**

هذه شبهة لا تصح أجاب عنها العلماء، قال ابن العربي: قلنا: "هذا محال من وجهين:- أحدهما: انه ما كان ليتقى من الحسن بأساً، وقد سلم الأمر".

فهذه هذه الحادثة قصة دس السم من قبل معاوية للحسن –لا- تستسيغها العقول –إلا- في حالة واحدة فقط؛ وهي كون الحسن بن علي - رضي الله عنهما - رفض الصلح مع معاوية رضي الله

---

(١٧١) انظر الكامل لابن عدي ٣٦٣/٦ت(١٣٦٦)، وميزان الاعتدال ١٥٣/٣ ت(٥٩٢١)، ولسان الميزا ١٤/٦ ت(٥٤٧٠).

(١٧٢) الكامل ٢٤١/٧ت(١٦٢١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤٧)، والميزان (٣/ ٤١٩)، لسان الميزان ٢٣٠/٦ ت(٦٢٤٨).

(١٧٣) انظر ترجمته في تاريخ الإسلام ١٤٤/٣ ت(٢١٧).

(١٧٤) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٢٧).

عنه وأصر على القتال، ولكن الذي حدث أن الحسن صالح معاوية رضي الله عنهما، وسلم له بالخلافة طواعية وبايعه عليها، فعلى أي شيء يقدم معاوية على سم الحسن رضي الله عنهما .

الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه الا الله، فكيف تحملونه بغير بينه على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل بين أيدي قول ذوي أهواء؟، وفي حال فتنة وعصبية ينسب كل واحد إلى صاحبه مالا ينبغي، فلا يقبل منها الا الصافي، ولا يسمع فيها الا من العدل الصميم(١٧٥).

الثالث: إن الذي نُقِلَ لنا عن حادثة سم الحسن بن علي رضي الله عنهما روايات متضاربة ضعيفة، بعضها يقول: إن الذي دس السم له هي زوجته(١٧٦)، وبعضها يقول: إن أباها الأشعث بن قيس هو الذي أمرها بذلك، وبعضها يتهم معاوية رضي الله عنه بأن أوعز إلى بعض خدمه فسمّه، وبعضها يتهم ابنه يزيد(١٧٧).

وهذا التضارب في حادثة كهذه، يضعف هذه النقول؛ لأنها يعزوها النقل الثابت بذلك، والرافضة . خيبهم الله . لم يعجبهم من هؤلاء إلا الصحابي الجليل معاوية ﷺيلصقون به التهمة، مع أنه أبعد هؤلاء عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن: "لم يثبت ذلك ببينة شرعية، ولا إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به. وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم".

قال: "وقد رأينا في زماننا من يقال عنه سم ومات مسموما من الأتراك وغيرهم. ويختلف الناس في ذلك حتى في نفس الموضع الذي مات فيه والقلعة التي مات فيها، فتجد كلا منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر".

وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام(١٧٨).

وقال ابن كثير - رحمه الله -: "وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمّي الحسن وأنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: "إنا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟". وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى"(١٧٩).

فالروايات ضعيفة محكوم عليها بالاضطراب، فالحاصل أن الحسن مات مسموماً، ولكن لم يسمه معاوية، ولم يعرف من سمه.

---

(١٧٥) العواصم من القواصم ٢٢١/١.

(١٧٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٨٩)، تاريخ الإسلام (٤/ ٤٠).البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

(١٧٧) انظر: البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

(١٧٨) منهاج السنة (٤/ ٤٦٩، وانظر: المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٦٦).

(١٧٩) البداية والنهاية (٨/ ٤٣).

**الشبهة التاسعة: أن معاوية أراد أن ينقل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام.**

قال الطبري في تاريخه: ذكر إراده معاويه نقل المنبر من المدينة، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: وفي هَذِهِ السنة أمر معاويه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يحمل إِلَى الشام، فحرك، فكسفت الشمس حَتَّى رئيت النجوم بادية يَوْمَئِذٍ، فأعظم الناس ذَلِكَ، فَقَالَ: لم أرد حمله، إنما خفت أن يكون قَدْ أرض، فنظرت إِلَيْهِ ثُمَّ كساه يومئذ.

وذكر مُحَمَّد بن عُمَرَ، أنه حدثه بِذَلِكَ خَالِد بن الْقَاسِم، عن شعيب بن عَمْرو الأموي.قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بن سعيد بن دينار، عن أبيه، قال:قَالَ مُعَاوِيَة: إني رأيت أن منبر رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يتركان بِالْمَدِينَةِ، وهم قتلة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَان وأعداؤه، فلما قدم طلب العصا وَهِيَ عِنْدَ سعد القرظ، فجاءه أَبُو هُرَيْرَةَ وجابر بن عَبْدِ اللَّهِ، فقالا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نذكرك اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن تفعل هَذَا، فإن هَذَا لا يصلح، تخرج منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتخرج عصاه إِلَى الشام، فانقل المسجد، فأقصر وزاد فِيهِ ست درجات، فهو اليوم ثماني درجات، واعتذر إِلَى النَّاسِ مما صنع.[(١٨٠)]

**الجواب عن الشبهة:**

يجاب عن الشبهة بما يلي:

(١) هذا الخبر لم يرد بإسناد صحيح، فالراوي لهذا الخبر محمد بن عمر الواقدي متروك الحديث(١٨١).

(٢) الصحيح أن معاوية عمل على إصلاح المنبر بزيادة درجاته، ولم يعمل على افساده ولا نقله، كما نقل ذلك عبد الرزاق في مصنفه والفاكهي في أخبار مكة.

قَالَ عَطَاءٌ: "مَا جَلَسَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى مِنْبَرٍ حَتَّى مَاتَ يَعْنِي يَوْمَ الْفِطْرِ وَإِنَّمَا كَانُوا يَخْطُبُونَ قِيَامًا لَا يَجْلِسُونَ " قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْبَرٌ إِلَّا مِنْبَرُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَاءَ مُعَاوِيَةُ أَوْ حَجَّ بِمِنْبَرٍ، فَلَمْ يَزَالُوا يَخْطُبُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ بَعْدَهُ وَقَالَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ: أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ عَلَى مِنْبَرٍ بِمَكَّةَ: مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، جَاءَ بِمِنْبَرٍ مِنَ الشَّامِ صَغِيرٍ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، وَإِنَّمَا كَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْوُلَاةُ فِيهِ يَخْطُبُونَ قِيَامًا عَلَى أَرْجُلِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَيْرَهُ فِي وَجْهِ الْكَعْبَةِ وَفِي الْحِجْرِ(١٨٢).

(١٨٠) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ٢٢٨)، الكامل في التاريخ (٣/ ٦١)، النجوم الزاهرة (١/ ١٣٨).

(١٨١) تقريب التهذيب ص٤٩٨ ت(٦١٧٥).

(١٨٢) أخبار مكة للفاكهي (٣/ ٤٣) ح(١٧٩١)، وهناك شاهد عند عبد الرزاق عن صالح مولى التوأمة أخرجه في مصنفه كتاب الجمعة باب منبر النبي صلى الله عليه وسلم ١٨٢/٣ ح(٥٢٤٤).

(٣) كسوف الشمس على افتراض وقوعه، لم يكن نتيجة لتحريك المنبر، بل هذه آية من آيات الله، حدث مثلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا"(١٨٣).

(٤) إن دين معاوية رضي الله عنه، وعدالته، وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمنعه مِن حَمْل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام وهو يعلم قوله صلى الله عليه وسلم: "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ"(١٨٤).

(٥) في هذه القصة المكذوبة اتهام لمعاوية رضي الله عنه ببغض أهل المدينة (الأنصار) لكونهم قتلة عثمان ابن عفان ري الله عنه.

وإن تقريب معاوية للأنصار وتوليته إياهم في مناصب هامة وحساسة يَرُدّ هذه الفِرْيَة، ومن الشواهد على ذلك:

- توليته فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه قضاء دمشق، وتوليته إياه منصب أمير البحرية الإسلامية في مصر(١٨٥).

- تعيينه النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه أميرًا على الكوفة(١٨٦).

- تعيينه مسلمة بن مخلد الأنصاري رضي الله عنه أميرًا على مصر والمغرب معًا(١٨٧).

- تعيينه رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه أميرًا على طرابلس(١٨٨)(١٨٩).

فمعاوية لم يرد نقل المنبر، وإنما أراد عمارة بيوت الله بزيادة بعض درجات المنبر، وهو بهذا مجتهد، وهذا ما فعله بعض الخلفاء والملوك الذين جاءوا بعده، وهو يعلم منزلة الأنصار لذلك اتخذ منهم الملوك والأمراء.

فرضي الله عنه وأرضاه.

وهنا توقف القلم عن الكتابة بعدما نزف حبراً، وظل ينقل الشبهات آسفاً، ويكتب الرد متباهياً فخوراً فلم ترد شبهة إلا وتبين ضلالها وبطلانها، ولله الحمد والمنة.

---

(١٨٣) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف باب الصدقة في كسوف الشمس ٣٤/٢ ح(١٠٤٣)، ومسلم في كتاب الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف: الصلاة جامعة ٢؟٦١٨ ح(٩١٠) عن عائشة.

(١٨٤) صحيح البخاري في كتاب التطوع باب فضل ما بين القبر والمنبر (١/ ٣٩٩) ح( ١١٣٧)، ومسلم في كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣) ح(١٣٩٠).

(١٨٥) طبقات ابن سعد ٤٠١/٧، والتاريخ الكبير للبخاري ١٢٤/٧ ت(٥٥٦)، والاستيعاب ١٩٧/٣، وأسد الغابة ١٨٢/٤، وتهذيب الكمال ١٠٩٥/٢.

(١٨٦) طبقات ابن سعد ٥٣/٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٦٠/٥.

(١٨٧) التاريخ الكبير للبخاري ٣٨٧/٧ ت(١٦٨٢)، والاستيعاب ٤٦٣/٣، تاريخ الإسلام ٢٤٢/٥ ت(١٠٠)، الإصابة ٤١٨/٣ ت(٧٩٨٩).

(١٨٨) تاريخ الإسلام ١٧/٤، والإصابة ٤١٦/٢ت(٢٧٠٥).

(١٨٩) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين ﷺ كشف شبهات ورد مفتريات (ص: ٢٨٣).

**الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، فبذلك أكون قد عرضت لأهم الشبهات حول هذا الصحابي الجليل، ورددت عليها، وبينت زيفها، وتجلت النتائج التالية:

(١) إن منزلة معاوية ومكانته ثابته بالنصوص الصحيحة.

(٢) إن مذهب السلف قاطبة قبول مرويات معاوية ومن معه.

(٣) إن الغرض من النيل من معاوية هو النيل من جميع الصحابة.

(٤) إن الشبهات التي أثيرت حوله شبهات باطلة .

(٥) إن أدلة مثيري الشبهات قد تبين بطلانها إما بضعف سندها، وإما بتأويلها، وإما بعدم فهم من أثارها وجهله بالدليل.

(٦) إن قبول مروي معاوية ومن معه لا يلحقهم بالمهاجرين أو الأنصار، فإن رفع التفاضل بينهم جهل محض، وضلال بين.



# الطعن في رجال الحديث: أبو هريرة وعائشة رضي الله عنهما أنموذجاً

**د. محمد علي طاهر**

الأستاذ المساعد بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية كلية الشريعة بورتسودان

رئيس قسم الفقه والأصول بالكلية.

مدير مركز خدمة المجتمع، فرع بورتسودان



**المقدمة:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، القائل في سنته الغراء: (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)(١)، وبعد:

إن اعتقاد أهل السنة في الصحابة يمثل الركيزة الرئيسية لدراسة علم الحديث، ولا بد أن يحصل الانحراف والتشويه لهذا العلم إذا درس بمعزل عن العقيدة، وذلك لأن بعض الطوائف قد ضلت ضلالاً مبيناً من هذا الجانب، لهذا نجد عامة كتب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة تبين فضل الصحابة ومكانتهم بشكل جلي.

تلاقت الرافضة مع العلمانية فترى الهجمات الشرسة المتواترة على رجال الحديث بما لا تخطؤه العين، وأن الإنسان ليفاجئ بما لم يخطر ببال ولا يقع في خيال، عندما يسمع بالهجوم على أبى هريرة أو عائشة رضي الله عنهما ، وإن خطورة هذا الهجوم عليهما أو على رواية أو روايتين بالبخاري أو مسلم لظاهر الوضوح أنه إسقاط لعدالة الصحابة -رضي الله عنهم- وبالتالي الطعن في إسناد الأحاديث على وجه العموم والبخاري ومسلم اللذين تلقتهما الأمة بالقبول على وجه الخصوص وذلك ضرب في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

**أسباب اختيار الموضوع:**

وقد دعاني إلى اختيار هذا الموضوع عدد من الأمور، أبرزها:

١. ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (من رَدَّ عن عرضِ أخيهِ ردَّ اللهُ عن وجهِهِ النَّارَ يومَ القيامةِ)(٢) فإذا كان هذا الأجر العظيم مترتب على الذب عن عرض مسلمٍ واحد فما بالك بالذب عن

---

(١)صحيح البخاري، المناقب (٣٤٧٠)،صحيح مسلم، فضائل الصحابة (٢٥٤١)، سنن الترمذي المناقب (٣٨٦١)، سنن أبو داود السنة (٤٦٥٨)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٦١)، مسند أحمد بن حنبل (٥٥/٣).

(٢) رواه الترمذي( ١٩٣٥) من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - ، باب حرمة المسلم على المسلم (ص: ٨) وقال: هذا حَديثٌ حسنٌ ، وأحمد(٢٧١٣٠)،البيهقي في(شعب الايمان)(٧٦٣٥) .

من أثنى الله عليهم في كتابه العزيز فيفتري عليهم الأفاكون بالكذب فيغتر الجهلة بكلامهم فيستبيحوا النيل من أعراض الأخيار.

٢. تعرض أبا هريرة و عائشة رضي الله عنهما ، لهجمات مسعورة أكثر من غيرهما.

٣ـ أنهما من المكثرين للرواية في كتب السنة الصحيحة والتي تحتوى أحكام شريعتنا وعقيدتنا ومذهبنا السني... كما ذكر ذلك الإمام السيوطي(٣) في ألفيته:

وَالْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ *** أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ

وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ *** وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ(٤)

٤. الفائدة العلمية التي تعود على الباحث من دراسة هذا الموضوع.

٥- فتح المجال لكتابة المزيد من الدراسات والأبحاث حول الدفاع عن رجال الحديث ورواته.

لهذه الإعتبارات وغيرها جاء الدفاع والذب عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

**خطة البحث:**

وقد آثرت أن أكتب عن هذا الموضوع متوخيا الخطة التالية:

أما المقدمة فاشتملت على : أهمية الموضوع، وسبب الاختيار ، وخطة البحث

المبحث الأول : فضل أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما وثناء العلماء عليهما:

المطلب الأول: فضل أبي هريرة رضي الله عنه وثناء العلماء عليه.

المطلب الثاني: فضل عائشة رضي الله عنها وثناء العلماء عليها.

المبحث الثاني : قبول العلماء مرويات أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

المبحث الثالث: الشبهات الباطلة التي أثيرت حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما وأسبابها.

المطلب الأول: الشبهات الباطلة التي أثيرت حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما:

المطلب الثاني : أسباب إثارة الشبهات حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

---

(٣)هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد أبو الفضل جلال الدين الخضري السيوطي، أحد العلماء الأثبات والمبرزين في التفسير والحديث والفقه وغيرها. من مصنفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإتقان في علوم القرآن، ألفية السيوطي في الحديث. توفي سنة ٩١١ هـ انظر: حسن المحاضرة ١ \ ٣٣٥، شذرات الذهب ٨ \ ٥٢، هدية العارفين ٥ \ ٥٣٤..

(٤)ألفية السيوطي في علم الحديث للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي(١ / ٤٢) المكتبة الشاملة.

## المبحث الأول

## فضل أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما وثناء العلماء عليهما.

### المطلب الاول: فضل أبي هريرة رضي الله عنه وثناء العلماء عليه

#### فضل أبي هريرة رضي الله عنه:

اختلف في اسمه اختلافا كثيرا ، وصحح النووي في تهذيب الأسماء واللغات أن اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، ينتسب إلى قبيلة دوس الأزديه اليمانية ، سمي بأبي هريرة ، لأنه كان يحمل هرة معه ، أسلم سنة ٧ هـ ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أكثر الصحابة حفظا للحديث ، ولي إمرة المدينة ، ثم البحرين ، وتوفي سنة ٥٧ هـ ، وقيل غير ذلك .(٥)، وأياً كان اسمه فقد غلبت كنيته (أبو هريرة) على اسمه، وأصبح لا يعرف إلا بها، ولا تنصرف عند إطلاقها إلى إليه.

وكانت وفاته بالمدينة، وقيل: بالعقيق، فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع، وكان من المشيعين له رضى الله عنه: عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما.(٦)

أسلم عام خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة، وشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك قد حاز فضل الجهاد في سبيل الله تعالى إلى جانب شرف الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ صحبه منذ ذلك اليوم إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، وهي مدة تزيد على أربع سنين ، لازمه فيها ملازمة تامة تفرغ فيها للأخذ عنه، والتعلم منه.

#### ثناء العلماء على أبي هريرة رضي الله عنه:

كل ما جاء من ثناء على الصحابة ، فأبي هريرة داخل فيه، وجاء عن جماعة من العلماء الثناء عليه على سبيل الخصوص، ومن ذلك:

قال الأعمش(٧) عن أبي صالح قال:(كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة)(٨).

---

(٥)الحاكم: المستدرك ٥٠٧/٣، والإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٢٠٢/٤، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢

، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ٢٠٥/٤، دار النشر:دار الجيل ، سنة النشر:١٤١٢ الطبعة:الأولى

البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٨/ ١١١)،الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ \ ٢٧٠.

(٦)الحاكم: المستدرك ٥٠٨/٣، وسير أعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٢٦٢/٢-٦٢٧،تحقيق : شعيب الارنؤوط ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، وابن حجر: الإصابة٢١٠/٤.

(٧)سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي الأعمش ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع كان يدلس قال ابن سعد : صاحب قرآن وفرائض وعلم بالحديث ، ولما قرئ على الزهري من علم العمش قال : والله إن هذا لعلم ، ما كنت أرى أحدا يعلم هذا . ولد يوم مقتل الحسين بن علي وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة وقبل سنة سبع . انظر التهذيب ٤ : ٢٢٢ والتاريخ الكبير ٢ : ٢ : ٣٧ والجرح والتعديل ٢ : ١ : ١٤٦ والطبقات الكبرى ٦ : ٣٤٢ والتقريب ١ : ٣٣١ والخلاصة ١٣١ والجمع بين رجال الصحيحين ١٧٩ والتذكرة ١ : ١٥٤ والوفيات ٢ : ٤٠٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٣ والإعلان بالتوبيخ ٦٦ والأعلام ٣ : ١٩٨ والمغني في الضعفاء ١ : ٢٨٣ والصغير ١٦٩ وصفة الصفوة ٣ : ٦٥ ..

وقال الشافعي: (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.)(٩).

وقال الحافظ ابن عبد البر(١٠)-رحمه الله-:( وكان أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لانشغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بحوائطهم، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه حريص على العلم والحديث)(١١). وقال البخاري(١٢): (روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره.)(١٣). وقال الذهبي(١٤):(سيد الحفاظ الأثبات.)(١٥).

وقال ابن كثير(١٦): (وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم.) (١٧).

وقد قسم ابن القيم(١٨)-رحمه الله- في إعلام الموقعين: أئمة الفتوى من الصحابة إلى مكثرين ومتوسطين ومقلين، وذكر في المتوسطين في الفتوى أبا هريرة. (١٩)

وكفى بشهادة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ومن تلاهم من أعلام علماء الأمة على كثرة روايته وحفظه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(٨)الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢٠٥/٤.

(٩)تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٦/١، و الإصابة لابن حجر ٢٠٥/٤.

(١٠)هو : الإمام أبو عمريوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي ، أحد العلماء المشاهير ، ألف عدة كتب مفيدة كالتمهيد والاستذكار والاستيعاب ، وجامع بيان العلم وفضله . توفي سنة (٤٦٣ هـ) وعمره (٩٥) سنة . انظر: شذرات الذهب (٣ \ ٣١٤) ، ووفيات الأعيان (٢ \ ٣٤٨)

(١١)الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٢٠٨/٤-٢٠٩.

(١٢)هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، الجعفي، البخاري . ، رحل في طلب الحديث ، صنف كتابه الصحيح في ست عشرة سنة وقد أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه ، وقد أثنى عليه الأئمة والعلماء وهو صاحب الجامع الصحيح . ولد سنة ١٩٤ هـ، وتوفي في سنة ٢٥٦ هـ . انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ١، ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٢، ص ٣٩١ ..

(١٣)التاريخ الكبير للبخاري ١٨٦/١..

(١٤)هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله الذهبي. عالم جليل، عني بالقراءات من صغره، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأكثر من التصنيف. من آثاره: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال في نقد الرجال. توفي سنة ٧٤٨ هـ انظر: فوات الوفيات والذيل عليها ٣ \ ٣١٥، غاية النهاية ٢ \ ١٧١. وانظر: تذكرة الحفاظ ١ \ ٩٤.

(١٥) سير أعلام النبلاء . تح الأرنؤوط (٢/ ٥٧٨).

(١٦)هو الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي حافظ ، مفسر ،مؤرخ ،ولد في قرية من أعمال بصرى في الشام سنة ٧٠١هجرية ، وله مؤلفات جليلة ، أشهرها :البداية والنهاية ،تفسير القرآن العظيم، توفي بدمشق سنة ٧٧٤هجرية .انظر. [شذرات الذهب ٦ / ٢٣١ ، والنجوم الزاهرة ١١ / ١٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٢ / ١٢٥] .

(١٧)(البداية والنهاية لابن كثير(٨/ ١١٨)).

(١٨)هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي . شمس الدين من أهل دمشق . ولد سنة ٦٩١ من أركان الإصلاح الإسلامي ، واحد من كبار الفقهاء . تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له ولم يخرج عن شيء من أقواله ، وقد سجن معه بدمشق . كتب بخطه كثيرا وألف كثيرا . من تصانيفه : ( ( الطرق الحكمية ) ) ؛ و ( ( مفتاح دار السعادة ) ) ؛ ، و ( ( الفروسية ) ) ؛ و ( ( مدارج السالكين ) توفي سنة ٧٥١ [ الأعلام ٦ / ٢٨١ ؛ والدار الكامنة ٣ / ٤٠٠ ؛ وجلاء العينين ص٢٠ ].

(١٩)إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ١٢).

## المطلب الثاني: فضل عائشة رضي الله عنها وثناء العلماء عليها

### فضل عائشة رضي الله عنها:

هي أم المؤمنين،عائشة  بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، بن كعب بن لؤي ; القرشية التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر. (٢٠)

أورد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أكثر من خمسة وعشرين نصًا في فضائلها رضي الله عنها وأرضاها، بينما سجل الحافظ الذهبي ترجمتها في كتابه الموسوعة (سير أعلام النبلاء) في سبع وستين صفحة. ومن فضائلها رضي الله عنها:

١- أنَّها أحبُّ الناس للنبي  صلى الله عليه وسلم

عن عمرو بن العاص: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استعمله على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قلت: من الرجال؟قال: "أبوها"(٢١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)(٢٢).

٢-علم عائشة رضي الله عنها:

لقد كان أهل العلم يقصدونها للأخذ من علمها الغزير، فأصبحت بذلك نبراساً منيراً لأهل العلم وطلابه ،عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً(٢٣).

٣-جبريل يُقرؤ عائشة السلام :

ففي الصحيحين أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام". فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا نرى"(٢٤).

٤-رب السموات السبع يبرئ عائشة رضي الله عنها :

---

(٢٠)سير أعلام النبلاء للذهبي(٢/ ١٣٥).

(٢١) رواه البخاري، صحيح البخاري المناقب (٣٤٦٢),صحيح مسلم فضائل الصحابة ، (٢٣٨٤),سنن الترمذي المناقب (٣٨٨٥),مسند أحمد بن حنبل (٢٠٣/٤).

(٢٢) أخرجه مسلم في كتاب الصحابة ١٢ باب فضائل خديجة ٧٠ / ٢٤٣١ والبخاري حديث رقم (١٦٠٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩ / ٢٤٣ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢٣) رواه الترمذي في المناقب ٢٤٣/٣ .

(٢٤) الحديث عن عائشة رضي الله عنها بألفاظ مقاربة في: البخاري ٢٩/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي...، باب فضل عائشة...)، ٤٤/٨ (كتاب الأدب، باب من دعا صاحبه فنقص عن اسمه حرفاً)، مسلم ١٨٩٥/٤، ١٨٩٦ (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة).

قد نزلت آيات براءتها لَمَّا رماها أهل الإفك، فبرأها الله من فوق سبع سماوات، وجعلها من الطيبات ، وبذلك قد حازت فضل أمهات المؤمنين وقد قال الله تعالى: { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }(٢٥) إلى جانب شرف الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ مات ورأسه الشريف بين سحرها ونحرها، وريقُه الشريف قد خالط ريقها،و قُبض ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في بيتها وهو راضٍ عنها.

**ثناء العلماء على عائشة رضي الله عنها:**

قد نالت عائشة رضي الله عنها ثناء الصحابة رضي الله عنهم عليها، فعنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة(٢٦).

قال الذهبي: (ولا أعلم في أمه محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا في النساء مطلقا، أمرأة أعلم منها.)(٢٧).

قال ابن كثير: (فإنه لم يكن في الأمم مثل عائشة في حفظها وعلمها وفصاحتها وعقلها، ولم يكن الرسول يحب أحدا من نسائه كمحبته إياها ونزلت براءتها من فوق سبع سموات وروت بعده عنه عليه السلام) (٢٨).

وقال الزُّهري(٢٩) (لو جُمعَ علمُ عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان عِلم عائشة أفضل)(٣٠).

وقال عطاء بن أبي رباح(٣١): (كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس، أحسن الناس رأياً في العامة.)(٣٢).

---

(٢٥) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٢٦)رواه البخاري، صحيح البخاري . حسب ترقيم فتح الباري (١/ ٩٢( باب إذا لم يجد ماء ، ولا ترابا، ٤٧٦٦..

(٢٧)سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٤٠).

(٢٨)البداية والنهاية لابن كثير(٣/ ١٥٩).

(٢٩)هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعا ، وقال الليث : ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه . . . توفي سنة خمس وعشرين ومائة وقيل أقل ، انظر التاريخ الكبير ١ : ١ : ٢٢٠ والحلية ٣ : ٣٦٠ والبداية ٩ : ٣٤٠ وتذكرة الحفاظ ١ : ١٠٨ ووفيات الأعيان ٣ : ٣١٧ والتهذيب ٩ : ٤٤٥ وتاريخ الإسلام ٥ : ١٣٦ والتاريخ الصغير ١٤٣ .

(٣٠)البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٩٩(.

(٣١)هو : عطاء بن يسار أخ لسليمان مولى ميمونة . روى : عن أبي أيوب ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وأسامة بن زيد . وروى عنه : زيد بن أسلم ، وصفوان بن سليم، وعمرو بن دينار. قال أبو داود : سمع عطاء من ابن مسعود . ويقال : إنه مات سنة ١٠٣ هـ ، وقيل : قبل المائة . انظر: طبقات ابن سعد ( ٥ / ١٧٣ ) ، وتهذيب التهذيب ( ٧ / ٢١٧ ) ، وسير أعلام النبلاء ( ٤ / ٤٤٨ ) .

(٣٢)البداية والنهاية لابن كثير(٨/ ٩٩(.

وقد قسم ابن القيم أئمة الفتوى من الصحابة إلى مكثرين ومتوسطين ومقلين، وذكر في المكثرين في الفتوى عائشة ، فقال:المكثرون من الفتيا: والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة وكان المكثرون منهم سبعة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر)(٣٣).

## المبحث الثاني

## قبول العلماء مرويات أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما

أجمع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً طيلة أربعة عشر قرناً وزيادة على قبول مرويات أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما، وأثبتها علماء الحديث في دواوين السّنّة، ومنهم الأئمة الستّة، البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه.

لقد ثبتت العدالة لأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما بتعديل الله عزوجل العام لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم وتعديل النبي صلى الله عليه وسلم لهم، بالآيات والأحاديث السابقة غيرها مما لم نذكره هنا خشية الإطالة، وذلك لما كانوا عليه من صدق الإيمان وحسن الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما قاموا به من جهود وتضحيات، لنصرة الإسلام وإعلاء كلمته.

قال الخطيب: على أنه لو لم يرد من الله عزوجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرنا لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم(٣٤).

ولم يثبت من خلال سيرتهما ما ينافي ذلك من ردة أو كذب، أو نفاق، أو غير ذلك، مما نعيذه بالله تعالى منه، ومما يؤكد ذلك: رواية من ذكرنا قبل قليل من الصحابة والتابعين الذي بلغ عددهم المئات عنه.

كما أن العدالة تثبت عند علماء الجرح والتعديل للراوي من غيرالصحابة رضي الله عنهم، برواية عدلين عنه وتوثيقهم له، ومنهم من اكتفى بتعديل واحد له.

فكيف بمن روى عنه أكثر من عشرين صحابياً، ومئات من ثقات التابعين رضي الله عنهم، ووثقوه، من ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما من قوله لأبي هريرة: "أنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحفظنا لحديثه"(٣٥) وقول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: "لا أشك أن أبا هريرة سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع". وما ورد في عائشة عن أبي موسى أنه

(٣٣)إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١٢/١).

(٣٤)الخطيب: الكفاية ٩٤..

(٣٥)مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢) قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه :)( إسناده صحيح على شرط مسلم.)

قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حديث قط، فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علماً(٣٦).

وقد أشاد بروايتهما الإمام السيوطي في ألفيته وعدهما من السبعة المكثرين من رواية الحديث فقال رحمه الله :

**والْمُكْثِرُونَ فِي رِوَايَةِ الأَثَرْ *** أَبُو هُرَيْرَةَ يَلِيهِ ابْنُ عُمَرْ**

**وَأَنَسٌ وَالْبَحْرُ كَالْخُدْرِيِّ *** وَجَابِرٌ وَزَوْجَةُ النَّبِيِّ(٣٧)**

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا، كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث(٣٨).

لهذا كله أجمع العلماء من المحدثين وغيرهم على تعديلهما، وقبول مروياتهما، وعليه فلا التفات إلى التشكيك ممن رددوا مفترياتهم من الجاهلين بسيرتهما والمستخفين بشرف صحبتهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

## المبحث الثالث

## الشبهات الباطلة التي أثيرت حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما وأسبابها

### المطلب الأول: الشبهات الباطلة التي أثيرت حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

لم تمنع صحبة أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمتهما له، وحملهما لسنته ، ولا ثناء الصحابة رضي الله عنهم، وإشادة من بعدهم من علماء الأمة من تابعين وغيرهم بهما ، لم يمنع ذلك كله أصحاب الأهواء من التقول عليهما ، وإثارة بعض الشبهات الباطلة حولهما، وكان منها ما استهدف بعض رواياتهما ، وقد ردّ عليها العلماء من قدامى ومحدثين بما أبان ريفها وبطلانها، ومنها ما استهدف شخصهما ، وسنحاول الرد على هذا النوع من الشبهات وتفنيده بما يسر الله تعالى لنا من شواهد وأدلة.

قال فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر ردا على من طعن في الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه: ( هذه الشبهات التي أثيرت حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما من أبطل الباطل

(٣٦) رواه الترمذي ٢٤٣/٣ ، الأحكام الشرعية الكبرى لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي(٤/ ٤٠٦)، المحقق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة مكتبة الرشد - السعودية / الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣٧)ألفية السيوطي في علم الحديث للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي(١ / ٤٢) المكتبة الشاملة.

(٣٨) انظر منظومة مصباح الراوي في علم الحديث (ص: ١١٠).

وأقبح ما يكون من الكلام ، وإنَّها . والله! . لإحدى الكبر أن يأتي آت في القرن الخامس عشر فيتفوَّه في صحابي جليل بما لم يسبقه إليه بشر، وإنَّ ذلك لبهتان عظيم وإفك مبين! .) (٣٩)

وهذا القدح الخطير في أبي هريرة وعائشة طعن في الصحيحين ، وهي وسيلة سيئة إلى غاية سيئة، فأبو هريرة وعائشة بريئان مما رميا به من الكذب، وصحيح البخاري خال مما زعم وجوده فيه من الموضوع المكذوب على النبي ، وقد قال الحافظ ابن حجر في الفتح عن رجل من الحنفية قدح في حديث المصراة بأنَّه من رواية أبي هريرة وأنَّه لم يكن كابن مسعود وغيره من فقهاء الصحابة، فلا يؤخذ بما رواه مخالفاً للقياس الجلي، قال: (( وهو كلام آذى قائله به نفسه، وفي حكايته غنى عن تكلف الرد عليه )) (٤٠)، وكلام هذا الحنفي في أبي هريرة أسهل بكثير من كلام الطاعنين فيه وفي عائشة في هذا العصر.

**الشبهة الأولى: كثرة رواياته**

يرى البعض أن كثرة رواياته مع قصر مدة صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر يدعو إلى الشك في صحتها.

ويجاب على هذه الشبهة من وجوه:

١ - إن كثرة روايات كثرة نسبية وليست كثرة مطلقة إذ أنه أكثر من روي عنه من الصحابة رضي الله عنهم، لا أكثر من يحفظ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما يؤكد هذا اعترافه رضي الله عنه بأن ما كان عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما من حديث أكثر مما كان عنده، لأن عبد الله كما قال: كان يكتب، وهو لا يكتب ، ففي صحيح البخاري : أن أبا هريرة كان يقول :( ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ، ولا أكتب)(٤١).

وإن عدم كثرة الرواية عمن عداه ممن طالت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر نسبي، ويرجع بعض أسبابها إلى وفاة بعضهم المبكرة، إذا أن منهم من توفي، في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من توفي بعد وفاته بقليل، كما أن منهم من كان مقلاً للرواية لا يحدث إلا إذا سئل. (٤٢)

٢ - إن قصر صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قصر نسبي: أي بالنسبة لمن طالت صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، كالعشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم من السابقين الأولين من الصحابة

---

(٣٩) انظر الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النِّساء على الرِّجال للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ص٥ المكتبة الشاملة.

(٤٠)الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٦٤/٤).

(٤١)رواه البخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم ١ \ ٣٦ ..

(٤٢) انظر أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه دراسة حديثة تاريخية هادفة للدكتور حارث سليمان الضاري ص٣٣، المكتبة الشاملة.

رضي الله عنهم، وإلا فإنها في الواقع ليست قصيرة كما يتوهم، إذ زادت على أربع سنين كما تقدم ، وهي مدة كافية لجمعه ما جمع.

٣- إن الصحابة كانوا مشغولين بأمور الدعوة، والقيام بالمهمات التي كان يكلفهم بها النبي صلى الله عليه وسلم، كالخروج في السرايا والغزوات، وتبليغ العلم، ونقل الكتب إلى الملوك والأمراء المجاورين للجزيرة العربية، وما تتطلبه مثل هذه المهمات من سفر وغياب عن مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يدوم غيابهم أياماً أو أشهراً ، كما أن منهم من لم يكن يساكن النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

لهذه الأسباب وغيره لم تتيسر الملازمة التامة لكثير ممن طالت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تيسرت لأبي هريرة رضي الله عنه، ويشهد لذلك ما روى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ( أن أبا هريرة رضي الله عنه قال إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة أعي حين ينسون وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء) (٤٣).

٤- حرصه على العلم والتحصيل ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالحفظ، شهد له بالحفظ النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قلت : يا نبي الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث"(٤٤).

٥- أسئلته للنبي صلى الله عليه وسلم: عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رجل لابن عمر: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عمر: أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجئ به، ولكنه اجترأ وجبنا(٤٥).

(٤٣)صحيح البخاري باب الطيب(٥ / ٢٠٤).

(٤٤)صحيح البخاري باب العلم ١٩٣/١,مسند أحمد بن حنبل (٣٧٣/٢).

(٤٥)أخرجه الحاكم في " المستدرك " ٣ / ٥١٠ وذكره الحافظ في " الاصابة " ١٢ / ٧٦ كما أخرجه الدارقطني، من طريق عبد الواحد بن زياد، عن الاعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة، وذكر قول أبي هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. وحذيفة: هو ابن اليمان رضي الله عنه وقوله: جبنا، أي هبنا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم.

٦ - روايته عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم: ثبتت الرواية لأبي هريرة رضي الله عنه عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم، كأبي بكر، وعمر، والفضل ابن العباس، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة، وسهل بن سعد الساعدي، ونضرة بن أبي نضرة وغيرهم.

إلى جانب ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، وكان يروي أحياناً عمن هو أقل منه رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى عن سهل سعد الساعدي رضي الله عنه أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يشهرن أحدكم على أخيه السيف لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من حفر النار"(٤٦).

٧- تأخر وفاته وحاجة الناس إلى علمه، وكثرة الرواة عنه: كان أبو هريرة رضي الله عنه من القلائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين امتد بهم العمر إلى ما بعد سنة خمسين من الهجرة ، حيث روى عنه نحو ثمانية وعشرين من كبار الصحابة وصغارهم.

وقال الحاكم: بلغ عدد من روى عن أبي هريرة من الصحابة ثمانية وعشرين رجلاً، فأما التابعون فليس فيهم أجل ولا أشهر ولا أشرف وأعلم من أصحاب أبي هريرة، وذكرهم في هذا الموضع يطول لكثرتهم.(٤٧)

ومما لا شك فيه أن مثل هذا العدد الوفير قد ساعد كثيراً على نقل مروياته وإبقائها حية ومتداولة بين أكبر عدد من الرواة والنقلة، حتى دونت مع غيرها من الروايات الحديثة الأخرى في كتب الحديث وأسفاره، بخلاف غيره من الصحابة الذين قلت الرواية عنهم، لتقدم وفياتهم عنه نسبياً، أو لتحرج بعضهم عن الرواية، أو لغير ذلك مما أسلفنا من أسباب. (٤٨)

٨- تعدد طرق رواياته: لقد أسهم طرق بعض رواياته إلى حد ما في زيادة عدد ما نسب إليه من روايات، ومن يطلع على رواياته في مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، التي بلغ عددها بشرح الشيخ: أحمد محمد شاكر رحمه الله (٣٨٤٨) رواية يرى أن ما يقرب من ثلثها قد تكررت روايتها فيه، لزيادة راو أو تغير صيغة أداء في السند، أو زيادة لفظ في المتن، فأدى ذلك إلى عد الرواية الواحدة في الواقع: روايتين أو أكثر حسب عدد تكررها، وهذا ما فعله المرقمون لمسند أحمد، وهم معذورون في ذلك، لأسباب فنية حديثة معروفة لدى أهل هذا العلم (٤٩).

٩ - مشاركة كثير من الصحابة له فيما روى من روايات:

---

(٤٦)المستدرك للحاكم (٣/ ٥١٣) وقال:( قال أبو هريرة : سمعته من سهل بن سعد الساعدي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.)

(٤٧)المستدرك للحاكم (٣/ ٥١٣.

(٤٨) انظر أبو هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه دراسة حديثة تاريخية هادفة تأليف الدكتور حارث سليمان الضاريص٤٤.

(٤٩) المرجع السابق.

إن من يطلع على كتب الحديث المعتمدة والمتداولة اليوم بين المسلمين، ويتتبع فيها روايات أبي هريرة رضي الله عنه، يجد أن أكثرها قد شاركه في روايتها صحابي أو أكثر، ولا سيما التي كانت مثار اعتراض أو طعن من قبل أهل الأهواء والبدع، وغيرهم ممن لا خبرة لهم بما تصح به الأحاديث، وما لا تصح.

**الشبهة الثانية: استدراك بعض الصحابة عليه**

ذهب البعض ممن لا خبرة لهم بطبيعة استدراك بعض الصحابة رضي الله عنهم على بعض، إلى القول: بضعف ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أو ضعف ما استدرك عليه خاصة، وذلك لأنه قد استدرك عليه من قبل عائشة وابن عمر رضي الله عنهما. ويجاب عن هذه الشبهة بما يأتي:

١ - إن استدراك عائشة وابن عمر رضي الله عنهما عليه كان من الأمور التي اقتضتها الطبيعة العلمية، والمذاكرة التي كانت تحصل بين الصحابة رضي الله عنهم أحياناً، إذ قد استدرك أكثر من صحابي على غيره رواية أو مسألة علمية، فأقنع صاحبه بها، أو اقتنع هو بما عند صاحبه فيها، وهذا أمر معروف عند العلماء، ولا سيما المحدثين منهم، وهو لا يؤثر في عدالة المستدرك عليه ولا في أمانته، كما لا تؤثر مخالفة الثقة لثقة مثله: في عدالتهما، أو فيما يرويان من روايات.

وكان استدراك عائشة وابن عمر رضي الله عنهما على أبي هريرة يسير في هذا الإطار.

٢- إن استدراك عائشة رضي الله عنها عليه مستفاد مما روي أنها دعت أبا هريرة، فقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم، هل سمعت إلا ما سمعنا، وهل رأيت إلا ما رأينا؟ قال : يا أماه إنه كان يشغلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرآة والمكحلة والتصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني والله ما كان يشغلني عنه شئ.) (٥٠)

وبهذا يتضح أن استدراكها ما هو إلا تساؤل أرادت منه الجواب عليه، فلما أجابها بما أجابها به، عرفت أن عنده ما ليس عندها، وأنه قد سمع ما لم تسمعه، ورأى ما لم تره، نظراً لملازمته التامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وانشغالها رضي الله عنهما بما تنشغل به النساء المتزوجات عادة.
٣ - وأما استدراك ابن عمر رضي الله عنهما عليه، فهو اعتراضه عليه في حديث (اتباع الجنازة) وهو ما روي أنه مرّ بأبي هريرة رضي الله عنه، وهو يحدث عن النبي صلى الله عليه سلم: "من تبع جنازة فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أحد" فقال ابن عمر: يا أبا هريرة: انظر ما تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق إلى عائشة رضي الله عنها، فقال لها يا أم المؤمنين أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من تبع جنازة، فصلى عليها فله قيراط، وإن شهد دفنها فله قيراطان؟" فقالت: اللهم نعم ، فقال ابن عمر: يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلمنا بحديثه(٥١).

---

(٥٠)الحاكم: المستدرك ٥٠٩/٣، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي عليه ويراد بالاستدراك هنا: الاعتراض، لا الاستدراك الاصطلاحي، وهو استدراك إمام على إمام: أحاديث لم يخرجها في كتابه، مع وجود شرطه فيها، وذلك مثل ما فعل الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

(٥١)مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٢) قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه :)( إسناده صحيح على شرط مسلم.)

٤ - لم يكن أبو هريرة رضي الله عنه هو الصحابي الوحيد الذي استدرك عليه من قبل بعض إخوانه من الصحابة، وإنما قد استدرك على غيره، فقد استدركت عائشة رضي الله عنها على ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، كما استدرك بعضهم عليها، وهو أمر معروف عند العلماء كما أسلفنا ليس هذا موضع بسطه.

ومما تقدم يتأكد لنا: أن استدراك بعض الصحابة على بعض لم يترتب عليه تكذيب للمستدرك عليه، ولا خدش لعدالته، أو انتقاص لأمانته، كما توهم الجاهلون ذلك.

**الشبهة الثالثة: كتمانه لبعض ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**

من الشبه التي أثارها بعض أهل الأهواء: أن كتم بعض ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يعد كتماناً للوحي الذي أمر الله تعالى رسوله بتبليغه للناس، مستندين في ذلك إلى ما صح عنه أنه قال:(حَفِظْت وِعَاءَيْنِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) (٥٢).

هذا ويجاب على هذه البشهة بما يأتي:

١ - لقد أراد أبو هريرة رضي الله عنه: بالوعاءين وما في معناهما، قسمين أو مجموعتين من الأحاديث: أحدهما وهو الأكثر ما رواه للناس ونشره بينهم، وهو ما يجب تبليغه لهم، ولا يجوز كتمانه عنهم، والثاني وهو الأقل، ولعله لا يتجاوز الحديث أو الحديثين كثيراً، هو الذي أخفاه ولم يروه للناس، وذلك مما لا يطلب العمل به، أو مما قد يثير فتنة، أويترتب عليه اتكال، أو يلحق منه أذى، أو تكذيب لمن يرويه، أو غير ذلك، قال الذهبي: هذا على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع، أو المدح أو الذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فإنه لا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى..

وقال ابن كثير: وهذا الوعاء الذي كان لا يظهره هو الفتن والملاحم وما وقع بين الناس من الحروب والقتال، وما سيقع، وهذه لو أخبر بها قبل كونها، لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه.

٢- لم يكن أبو هريرة رضي الله عنه الصحابي الوحيد الذي كتم بعض ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ ثبت أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كتموا بعض ما رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث، وكان منهم: معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقد روى مسلم عنه قال: "كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار، قال: فقال: "يا معاذ تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا

(٥٢)صحيح البخاري باب حفظ العلم (١ / ١٢٢).

يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس، قال: لا تبشرهم فيتكلوا"(٥٣).

ومنهم: عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فقد صح عنه أنه قال في مرض موته: ما من حديث سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار"(٥٤). قال القاضي عياض(٥٥): "ومثل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو ما تحتمله عقول العامة أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه"(٥٦).

٣ - دعوة كبار الصحابة رضي الله عنهم إلى الإقلال من رواية الحديث، وحثهم على ذلك، لأسباب رأوها داعية للإقلال من روايته. وصح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "حدثوا بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"(٥٧). كما صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٥٨).

وبهذا يبدو جلياً أن ما أخفاه أبو هريرة لا يخرج عن الأسباب التي أخفى من أجلها بعض الصحابة رضي الله عنهم ما أخفوه من روايات، وأنه لم يكن كتماناً لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغه للناس كما توهم الواهمون.

**الشبهة الرابعة: أنه كان يمالئ بني أمية، ويضع لمعاوية رضي عنه أحاديث في ذم علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

وهو ادعاء لا دليل عليه، ولا أساس له من الصحة، للأمور الآتية:

١ - لم يرد في كتب الحديث المعتمدة عند جمهور المسلمين من صحاح وغيرها شئ من الأحاديث المدعى وضعها فيما نعلم، وعلى المدعي أن يثبت ما ادعاه إن كان صادقاً، وأنى له ذلك؟.

٢ - كيف يكتشف هؤلاء المرجفون وضع أبي هريرة للحديث، ولم يكتشف ذلك الرواة عنه من الصحابة وعدول التابعين، ومن تلاهم من علماء الجرح والتعديل، الذين لم يجاملوا أحداً على حساب دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

---

(٥٣) صحيح البخاري وقد ترجم له بقوله:((باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٢٧٠١)،صحيح مسلم الإيمان (٣٠).

(٥٤)صحيح مسلم باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، (١/ ٤١(.

(٥٥) هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة ، كان إماما في علوم كثيرة ، من مصنفاته : الشفا وترتيب المدارك في الفقه وكتاب العقيدة وغيرها ، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ينظر وفيات الأعيان ٣\٤٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٠\٢١٢ ، البداية والنهاية ١٢\٢٤١ .

(٥٦) انظر إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للعلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (١/ ١٩١).

(٥٧)صحيح البخاري كتاب (العلم) باب (من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا)، حديث رقم(١٢٧)..

(٥٨)صحيح مسلم (٨/١(باب النهى عن الحديث بكل ما سمع.).

٣ - كيف يضع الحديث وهو من رواة حديث: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(٥٩) الذي شاركه في روايته نحو أربعين صحابي.

٤- روت كتب الحديث المعتمدة كثيراً من الروايات الصحيحة والحسنة عن أبي هريرة في مناقب آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم، وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر حديث الراية ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه " . قال سهيل: أحسبه خيبر، قال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى يومئذ، فدعا عليا فبعثه، ثم قال: " اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت " (٦٠ ، في حين لم ترو هذه الكتب عنه شيئاً في فضل معاوية رضي الله، أو غيره من بني أمية فيما أعلم.

٥ - لم يمل في الخلاف الذي حصل بين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى أحد منهما، وقد اعتزل الفتنة التي نشأت عن الخلاف بينهما مع من اعتزلها من الصحابة رضي الله عنهم، وسكن المدينة بعد عودته من البحرين قبل سنة أربع وعشرين من الهجرة، وبقي فيها إلى أن توفي بعد سنة خمسين من الهجرة كما أسلفنا، ومع ذلك لم يسلم من افتراء المفترين وتزوير المبطلين، الذين قوّلوه ما لم يقله.

**المطلب الثاني: أسباب إثارة الشبهات حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.**

أثيرت الشبهات حول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما ضمن الحملة العامة على الصحابة رضي الله عنهم، وعلى الرواة منهم خاصة، من قبل فئات وأشتات من الناس، من زنادقة ومبتدعة وغيرهم، وقد تلقف ما روي عن هذه الفئات: أعداء الإسلام والحانقون عليه من ملاحدة ومستشرقين، وغيرهم ممن هالهم بناء الإسلام المتين، وخدمة أبنائه له وحرصهم عليه.

وقد أضافوا إلى شبهات أسلافهم ما دفعهم إليه حقدهم الموروث وفهمهم المنحرف، وأخذ يردد شبهات هؤلاء وأولئك، بعض المعاصرين من المحسوبين على هذه الأمة، بدوافع شتى تعود في معظمها إلى الهوى والجهل وقد نالا رضي الله عنهما النصيب الأوفر من تلك الحملة الظالمة، والخائنة لأسباب أهمها:

١ - كونهما أكثر من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً.

٢- أهمية ما اشتملت عليه أحاديثهما، وشمولها لأغلب أمور الدين من عقائد وعبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق وغير ذلك.

٣- روايته لكثير من الأحاديث المتعلقة ببعض القضايا الخلافية، التي اعتمد عليها الجمهور في خلافهم مع غيرهم وكانت الحجة فيها لهم.

---

(٥٩)صحيح البخاري الجنائز (١٢٢٩)،صحيح مسلم مقدمة (٤).

(٦٠)شعب الإيمان للإمام البخاري (١/ ١٧١) ، وقد رواه أكثر الرواة عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

٤ - رواية أئمة المحدثين لأحاديثهما في كتبهم وفي مقدمتهم الإمامان البخاري ومسلم. وأهم ما يقصدون إليه:

أولاً: التشكك فيها.

ثانياً: التشكيك في رواياتهما.

ثالثاً: التشكيك في الكتب التي أخرجت هذه الروايات، وهذا غاية ما يسعى إليه أعداء السنة والمشايعون لهم قديما وحديثاً.

وصحيح البخاري هو أصح الكتب المدونة في حديث رسول الله ، ولم أسمع قبل هذا الكلام عن أحد من أهل العلم دعوى أن في صحيح البخاري شيئاً موضوعاً مكذوباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن الجهابذة النّقّاد من العلماء غربلوا أحاديثه للوقوف على علة لبعض الأحاديث فيه، وكان كل ما اجتمع لهم من ذلك شيئاً يسيراً، ولم يُسَلَّم لهم ذلك الانتقاد إلاّ في شيء نادر، وقد ذكرت خلاصة ذلك في مقدمة كتابي (عشرون حديثاً من صحيح البخاري) المطبوع قبل خمسة وثلاثين عاماً(٦١).

٥ – البغض الدفين المتأصل في الرافضة لأم المؤمنين عائشة ولأبيها رضي الله عنهما ، فقد امتلأت كتب الشيعة الروافض بالروايات والأقوال السقيمة التي تنال من إيمان وأخلاق عائشة رضي الله وعفتها وطهارتها، وصدق إتباعها للنبي صلى الله عليه وسلم، فأسقطوا بذلك عدالتها وطعنوا في مروياتها(٦٢).

**الخاتمة:**

أحسب أن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله تعالى وتسديده، وهو للفضل أهل، وقد بان لنا من خلال هذه الدراسة لحياة أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما: أنهما قد اتسما بسمات بارزة أسهمت في رفع مكانتهما وانتشار علمهما، وقد تجلت تلك السمات بأمور أهمها:

١ - إسلامهما وصحبتهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وملازمتهما له فيها، وجمعه لكثير من العلم وأنواع الهدي والمعرفة بفضل تلك الملازمة.

٢ - حبهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرصهما على اتباعه وتأسيه به، قولاً وعملاً سلوكاً، بدى منهما ذلك في أكثر من جانب من جوانب السلوك والعمل.

٣ – كثرة رواياتهما وصحتها، وجودة حفظهما، وتمام ضبطهما لها.

---

(٦١) انظر الدفاع عن الصحابي أبي بكرة ومروياته والاستدلال لمنع ولاية النِّساء على الرِّجال تأليف عبد المحسن بن حمد العباد البدر٥١ المكتبة الشاملة..

(٦٢)قال بتكفيرها كل من: محمد بن حسين الشيرازي القمي في (كتابه الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ص ٦١٥) ، محمد باقر المجلسي في كتابه :حق اليقين ص٥١٩- فارسي- وقد قام بترجمته ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة ص٥٣)، حسين آل عصفور البحريني في كتابه (محاسن الاعتقاد في أصول الدين، طبعة مؤسسة مجمع البحوث العلمية بالبحرين ١٤١٣هـ، ص ١٥٧).

٤- ثبوت عدالة الصحبة لهما، وكذلك عدالة الرواية حيث روى عنهما كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وأشاد بعضهم بحفظهما وعلمهما، كما روى عنهما مئات التابعين، وأشادوا بهما ووثقوهما، ووثقهما كذلك من جاء بعدهم من علماء الأمة ممن يعتد بأقوالهم، ويرجع إليهم في هذا الأمر.

٥- حبهما لآل البيت رضي الله عنهم، وروايتهما لكثير من مناقبهم وفضائلهم، وعدم ثبوب ما يدل على عدم رضاهم عنهما كما يشاع زوراً.

٦ - ثبوت بطلان ما أثير حولهما من شبهات زائفة، وبيان أهم الأسباب الكامنة وراء إثارة تلك الشبهات والمزاعم الباطلة.



# أهمية معرفة مناهج المحدثين لطلاب الحديث
## منهج الإمام أبي داود في سننه نموذجاً

**د. مشاعل بنت راشد بن محمد الدباس**
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب جامعة الأميرة نورة بالرياض
وعضو في الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها



**المقدمة:**

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به طالب العلم، بعد كتاب الله تعالى؛ هو علم الحديث الشريف، ولذا عني المسلمون منذ فجر الإسلام بضبط السنة النبوية، وتحقيق أسانيدها ومتونها، فقام الصحابة -رضي الله عنهم- بهذه المهمة على أكمل وجهٍ، وكذا من جاء بعدهم من أئمة الحديث.

**أسباب اختيار هذا الموضوع:**

أهمية معرفة مناهج المحدثين:

لمناهج العلماء أهمية كبيرة للدارس في كتب السنة وعلومها يمكن تلخيصها فيما يلي:

١-الوقوف على درجة صحة الحديث ومعرفة نوعه والنظر في سنده ومتنه حتى يتمكن الدارس للسنة وعلومها من الاحتجاج به وإضافة الدليل المعتبر على المسألة التي يدرسها.

٢-التسهيل على طالب علم السنة لكي يتمكن من تناول الحديث من موضوعه الخاص حيث أن جل كتب الحديث تبعت منهج جمع الحديث حسب التبويب الفقهي.

٣- الوقوف على ألوان متعددة ومختلفة من مناهج العلماء لعقد المقارنة بينها وذلك توسيعا لمداركه واستخداما لها في أبحاثه .

٤- تنمية مدارك الدارس عند وقوفه على المناهج المتبعة عند المحدثين ليستفيد في حياته العلمية ويبدع في استخدام الطرق والمناهج الأكثر نفعا والتي تتلاءم من حيث الأسلوب مع واقع الطالب ليستخدم أيسرها وأسهلها.

ولقد اخترت دراسة منهج الإمام أبي داود في سننه هذا الكتاب لعدة أسباب أهمها ما يلي:

١. كون هذا الكتاب يشتمل على حديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، ومما لا شك فيه أن دراسة حديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، والاشتغال به، ومعرفة صحيحه من سقيمة؛ من العلم النافع.

٢. كون هذا الكتاب أحد الكتب الستة المشهورة، بل لأهمها وأصحها بعد الصحيحين وهو ((سنن أبي داود))، وهو كتاب لم يُصنف مثله، لما حصل لمؤلفه أبي داود -رحمه الله- من التميّز في الجمع والاستقصاء لأحاديث الأحكام، وأصول المسائل، مع حسن العرض والترتيب والتبويب، كما أوضح ذلك مؤلفه -رحمه الله- في رسالته لأهل مكة، حيث قال: (هو كتاب لا ترد عليك سنة رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم بإسناد صالح إلا وهي فيه)[١].

٣. ولمكانة الأمام أبي داود -رحمه الله تعالى- العلمية وإمامة في الحديث ′قال الحافظ الذهبي: (كان -رحمه الله- رأساً في الحديث، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع، حتى إنه كان يُشبَّه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل)[٢].

**خطة البحث:**

قسمت البحث إلى: مقدمة، تمهيد، فصلين ومباحث وخاتمة.

تمهيد:

معنى المنهج في اللغة، وفي اصطلاح المحدثين.

أهمية وفوائد معرفة مناهج المحدثين.

الفصل الأول: ترجمة الإمام أبي داود، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ونسبته. ولادته، ومكانها.

المبحث الثاني: نشأته العلمية، ورحلاته. وثناء الأئمة عليه.

المبحث الثالث: عقيدته، وفقهه، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: بعض أقواله، ومواقفه النبيلة.

المبحث الخامس: شيوخه. وتلاميذه.

المبحث السادس: كتبه، ومصنفاته.

المبحث السابع: وفاته.

الفصل الثاني: التعريف بكتابه السنن، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: معنى السنن عموماً.

المبحث الثاني: تسميته وموضوعه، وتاريخ تأليفه.

المبحث الثالث: ثناء الأئمة عليه، ومكانته بين الأصول.

المبحث الرابع: عدد أحاديثه.

---

(١) رسالة أبي داود لأهل مكة، ص(٢٤).

(٢) العبر (٦١/٢).

المبحث الخامس: درجة أحاديثه، ونهجه وشرط مؤلفه فيه.

المبحث السادس: روايات السنن.

المبحث السابع: شروحه المطبوعة والمخطوطة.

خاتمة.

**التمهيد:**

معنى المنهج في اللغة: هو الطريق الواضح وفي قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا}[٤٣]، وفي اصطلاح المحدثين: هو الطريق الذي سلكه علماء الحديث في مصنفاتهم من حيث الترتيب والتبويب وعرض الأحاديث.

**أهمية معرفة مناهج المحدثين:**

لمناهج العلماء أهمية كبيرة للدارس في كتب السنة وعلومها منها:

١. معرفة مضامين الكتاب ومحتوياته.

٢. معرفة اصطلاحات المحدثين العلمية في كتبهم.

٣. الوقوف على درجة صحة الحديث ومعرفة نوعه والنظر في سنده ومتنه.

٤. التسهيل على طالب علم السنةتخريج الحديث من مصادره.

٥. الوقوف على ألوان متعددة ومختلفة من مناهج العلماء لعقد المقارنة بينها وذلك توسيعا لمدارك طالب العلم واستخداما لها في أبحاثه.

٦. تنمية مدارك الدارس عند وقوفه على المناهج المتبعة عند المحدثين ليستفيد في حياته العلمية ويبدع في استخدام الطرق والمناهج الأكثر نفعا والتي تتلاءم من حيث الأسلوب مع واقع الطالب ليستخدم أيسرها وأسهله.

## الفصل الأول

## ترجمة الإمام أبي داود

### المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ونسبته

١) اسمه:

هو سليمان بن الأشعث، اتفق العلماء على اسمه واسم أبيه واختلفوا في أسماء أجداده، فقال تلميذاه أبو بكر بن داسة، وأبو عبيد الآجري: (هو سليمان ابن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد)[(٥)]، وزاد

---

٣ سورة المائدة (٤٨)

٤ مختار الصحاح(٦٨٨/١).

(٥) تهذيب الكمال (٣٥٥/١١)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣).

ابن حبان[٦]، والخطيب[٧]، وابن ماكولا[٨]، وابن عساكر[٩]، وأبو طاهر السلفي: (ابن عمرو بن عمران)، وقال أبو طاهر السلفي بعد إيراده نسبه: (وهذا القول في نسبه أمثل، والقلب إليه أميل)[١٠]، وقال ابن أبي حاتم: (هو سليمان بن الأشعث بن شداد ابن عمرو بن عامر)[١١].

والصواب: ما قاله الأكثرية ولا سيما وأن منهم تلميذاه أبو بكر بن داسة، راوي السنن عنه، وأبو عبيد الآجري، والله أعلم.

٢) كنيته:

اشتهر بكنيته (أبو داود). واتفق العلماء على ذلك، كابن أبي حاتم[١٢]، وابن حبان[١٣]، والخطيب[١٤]، وابن عساكر[١٥]، والمزي[١٦] والذهبي[١٧]، وابن حجر[١٨]، وغيرهم.

٣) نسبته:

لأبي داود نسبتان:

١- نسبة إلى القبيلة: وهي (الأزدي)، وهي قبيلة عربية.

والأَزْد، بفتح الألف، وسكون الزاء، نسبة إلى ابن الغوث ابن نَبْت ابن مالك بن أزد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب ابن قحطان[١٩].فأبو داود من قبيلة عربية عريقة.

٢- نسبة إلى البلد: وهو إقليم سِجِسْتَان، بكسر أوله، وثانيه، ثم سين مهملة ساكنة، وتاء مثناة من فوق وآخره نون[٢٠].

فيقال له: السِّجستاني، وإقليم سجستان إقليم واسع يحيط به مما يلي الشمال خراسان، ومن الغرب إقليم كِرْمان، والسند في شرقه، ويقع إقليم مُكران في جنوبه[٢١]، قال السمعاني: (السجستاني نسبة

---

(٦) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).

(٧) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).

(٨) انظر: الإكمال (٢٩٥/١).

(٩) انظر: المعجم المشتمل (١٣٢).

(١٠) في مقدمته على سنن أبي داود، مطبوعة في آخر مختصر المنذري (١٤٣/٨).

(١١) الجرح والتعديل (١٠١/٤).

(١٢) انظر: الجرح والتعديل (١٠١/٤).

(١٣) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).

(١٤) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).

(١٥) انظر: المعجم المشتمل (٣٨٧/١٣٢).

(١٦) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(١٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٣).

(١٨) انظر: التقريب (٢٥٠).

(١٩) انظر: الأنساب (١٢٠٨).

(٢٠) انظر: معجم البلدان (١٠/٣).

(٢١) انظر: معجم البلدان (٣/ ١ ٩٠)، وتقويم البلدان (٣٤٠)، وأطلس العالم (٦٩).

إلى سجستان، وهي إحدى البلاد المعروفة بكابل)[٢٢]، وقد فتح سجستان الربيع بن زياد الحارثي سنة ٣٠ هـ صلحاً لبعضها، وعنوة لبعضها[٢٣]، وذكر الذهبي: أنها كانت من البلدان التي لها رواية وأثر[٢٤].

وذكر الحاكم: أن لأبي داود ولسلفه إلى عصره عُقَداً وأملاكاً، وأوقافاً بها[٢٥].

٤) ولادته، ومكانها:

ولد أبو داود بسجستان، سنة (٢٠٢هـ)، قال أبو عبيد الآجري سمعت سليمان بن الأشعث يقول: (ولدت سنة اثنين ومائتين)[٢٦]، وقال أبو عبد الله الحاكم: (سليمان بن الأشعث، مولده بسجستان، له ولسلفه إلى عصره عقد وأملاك، وأوقاف، خرج منها في طلب الحديث إلى البصرة فسكنها)[٢٧].

**المبحث الثاني: نشأته العلمية، ورحلاته**

**نشأته:**

لم تذكر مصادر ترجمته عن تفاصيل نشأته، وأحوال أسرته، وأثرهما في حياته العلمية إلا بعض المقتطفات اليسيرة.

فذكر أن لأبي داود أخاً يقال له: محمد بن الأشعث، أسن منه بقليل كان رفيقاً له في الرحلة، يروي عن أصحاب شعبة، وروى عنه ابن أخيه أبو بكر بن أبي داود، ومات كهلاً قبل أبي داود بمدة[٢٨]، كما أن لأبي داود ابناً وهو عبد الله بن سليمان وهو من تلاميذه[٢٩]، كما ذكر أن لأبي داود جداً وهو عمران، كما قال الحافظ ابن حجر: (يقال أن جده عمران قتل مع علي رضي الله عنه بصفين)[٣٠].

**رحلاته:**

لقد طاف البلدان لطلب العلم وسماع الحديث وجمعه، حيث بدأ رحلاته في وقت مبكر من عمره، فرحل إلى بغداد سنة (٢٢٠هـ)[٣١]. ورحل إلى البصرة، قال أبو داود: (دخلت البصرة وهم يقولون: أمس مات عثمان بن الهيثم المؤذن، فسمعت من أبي عمر الضرير مجلساً واحداً)[٣٢]، قال الذهبي: (قلت: مات أبو عمر الضرير في شعبان سنة عشرين، ومات عثمان قبله بشهر)[٣٣]، وقال أبو داود: (وتبعت

---

(٢٢) الأنساب (١٢٠٨).

(٢٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٠٧/٩٥).

(٢٤) انظر: الأمصار ذوات الآثار (٢٢٤).

(٢٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

(٢٦) تهذيب الكمال (٣٦٣/١١)، تذكرة الحفاظ (٥٩١/٢).

(٢٧) سير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

(٢٨) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣)، والثقات (١٤٩/٩).

(٢٩) انظر: تاريخ بغداد (٤٦٤/٩).

(٣٠) تهذيب التهذيب (١٦٩/٤).

(٣١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣)، تذكرة الحفاظ (٥٩١/٢)، تاريخ بغداد (٥٦/٥).

(٣٢) تاريخ بغداد (٥٦/٩)، سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣)

(٣٣) سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

عمر بن حفص بن غياث إلى منزله ولم أسمع منه شيئاً، ورأيت خالد بن خداش ولم أسمع منه شيئاً، وسمعت سعيد بن سليمان مجلساً واحداً، ومن عاصم بن علي مجلساً واحداً)[٣٤].

ورحل إلى الكوفة وسمع من الحسن بن الربيع، وأحمد بن يونس وغيرهما[٣٥]، ورحل إلى مكة فسمع من القعنبي، وسليمان بن حرب[٣٦]، ورحل إلى الشام وسمع من: الربيع بن نافع الحلبي، وحيوة ابن شريح الحمصي، وأبي جعفر النفيلي، وأحمد بن أبي شعيب، وهشام بن عمار، وصفوان بن صالح، وغيرهم[٣٧]، ورحل إلى مصر وسمع من أحمد بن صالح وغيره[٣٨]، ورحل إلى نيسابور وسمع من إسحاق بن منصور[٣٩].

وكان أكثر رحلاته إلى بغداد حيث توافر العلماء بها، وفي مقدمتهم إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل الذي لازمه وأخذ عنه الحديث والفقه، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم.

قال أبو داود: (أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث، ولا أكثر جمعاً له من ابن معين، ولا أورع ولا أعرفَ في فقه الحديث من أحمد، وأعلمهم بعلله من علي ابن المديني، ورأيت إسحاق على حفظه ومعرفته يقدم أحمد بن حنبل ويعترف له)[٤٠].

واستقر أبو داود في بغداد مدة صنف فيها كتابه السنن عرضه على الإمام أحمد فاستحسنه وأجازه[٤١]، ثم خرج من بغداد إلى البصرة سنة (٢٧١) بطلب من الأمير أبي أحمد الموفق، فنزلها واستوطنها إلى أن مات بها سنة (٢٧٥) رحمه الله تعالى[٤٢].

وقال إبراهيم الحربي: (ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد)[٤٣].وقال الحافظ ابن حجر: (ثقة حافظ، مصنف السنن وغيرها، من كبار العلماء[٤٤].

**ثناء الأئمة عليه:**

اتفق العلماء على توثيقه ووصفه بالحفظ والإتقان، والدين والورع، قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، ممن جمع وصنف، وذب عن السنن وقمع من خالفها وانتحل ضدها)(٤٥).

---

(٣٤) تاريخ بغداد (٥٦/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٣٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٣٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٤/١٣).

(٣٧) انظر: المرجع السابق(٢٠٤/١٣).

(٣٨) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٣، ٢٢٦)، وتذكرة الحفاظ (٧٧٠/٢).

(٣٩) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣).

(٤٠) سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣).

(٤١) انظر: طبقات الحنابلة (١٦٠/١).

(٤٢) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١٦/١٣، ٢٢١).

(٤٣) البداية والنهاية (٥٩/١١).

(٤٤) التقريب (٢٥٠).

وقال الحاكم أبو عبد الله: (كان أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة)[٤٦].وقال أبو بكر الخلال: (أبو داود الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه رجل إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعها أحد في زمانه، رجل ورع مقدم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً[٤٧]، وكان أبو داود يذكره)[٤٨]، وقال أحمد بن ياسين الهروي: (أبو داود السجستاني كان أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم وعلله وسنده، في أعلى درجات النسك، والعفاف، والصلاح، والورع، من فرسان الحديث)[٤٩]، وقال مسلمة بن قاسم: (كان ثقة زاهداً عارفاً للحديث إمام عصره في ذلك)[٥٠]، وقال الحافظ الذهبي: (كان – رحمه الله - رأساً في الحديث، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة، وصلاح وورع، حتى إنه كان يُشبَّه بشيخه الإمام أحمد بن حنبل)[٥١].

**المبحث الثالث: عقيدته**

كان أبو داود –رحمه الله– على العقيدة السلفية، والدعوة إلى الكتاب والسنة، متبعاً لأهل السنة والجماعة، ذاباً عن السنن، راداً على من خالفها، قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا، ممن جمع وصنف، وذب عن السنن وقمع من خالفها وانتحل ضدها)[٥٢].

ولعل ملازمته للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، والأخذ عنه، كان له أعظم الأثر في ذلك، قال الذهبي: (وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول، وكان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها وترك الخوض في مضائق الكلام)[٥٣].

كما أن مؤلفاته تدل على عقيدته مثل: كتاب (الرد على أهل القدر)، وكتاب (البعث والنشور)، وكتاب (أخبار الخوارج)، وكتاب السنة الموجود في كتابه (السنن) المشتمل على أبواب من أبرزها: باب لزوم السنة، وباب فضل أصحاب رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، وباب النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، وباب رد الإرجاء، وباب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وباب في القدر، وباب في الرد على الجهمية، وغير ذلك.

(٤٥) الثقات (٢٨٢/٨).

(٤٦) تهذيب الكمال (٣٦٦/١١).

(٤٧) سيأتي الكلام على الحديث في المبحث التاسع: تلاميذه.

(٤٨) تاريخ بغداد (٥٧/٩)، وتهذيب الكمال (٣٦٤/١١).

(٤٩) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٩٥/٢).

(٥٠) التهذيب لابن حجر (١٧٣/٤).

(٥١) العبر (٦١/٢).

(٥٢) الثقات (٢٨٢/٨).

(٥٣) سير أعلام النبلاء (٢١٦/١٣).

**فقهه، ومذهبه الفقهي:**

كان الإمام أبو داود بجانب كونه محدثاً، متقناً، فقيهاً، قال الذهبي: (كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحاب أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الفروع والأصول)(٥٤).

**مذهبه الفقهي:**

ذكره ابن أبي يعلى الفراء في طبقات الحنابلة، في الطبقة الأولى من أصحاب أحمد[٥٥]، وكذلك الشيرازي جعله من فقهاء الحنابلة، ومن تلاميذ الإمام أحمد في كتابه (طبقات الفقهاء)[٥٦].

وجعله أبو عاصم العبادي، وابن باطيش، والسبكي من طبقات الشافعية وتعقبهم الداوودي في ذلك، حيث قال: (أخذ علم الحديث عن الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وبأولهما تفقه ولازمه مدة، وكان من نجباء أصحابه، ومن جلة فقهاء زمانه، ومع ذلك فقد ذكره في طبقات الشافعية، أبو عاصم العبادي، وابن باطيش، وتبعهما التاج السبكي، ولم يذكر لذلك دليلاً، ولذا تعقب بأنه حنبلي، ودليل ذلك مسائله عن الإمام أحمد، وقد ذكره القاضي أبو الحسين بن الفراء في الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة [٥٧]، وهو من كبار الطبقة الحادية عشر)[٥٨].

يتبين مما سبق أن الإمام أبي داود لم يكن له مذهب فقهي محدد، بل كان رحمه الله من مجتهدي المحدثين، إلا أنه تأثر كثيرا بالإمام أحمد بن حنبل، فقال الذهبي: "وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد، لازم مجلسه مدة، وسأله عن دقاق المسائل في الفروع والأصول"[٥٩]، و مع ذلك لم يكن أبو داود من المقلدين، بل له اجتهادات قد يخالف فيها الإمام أحمد، ومن أجل ذلك تردد فيه أهل العلم هل هو حنبلي المذهب أم شافعي، ولعل ذلك راجع لاجتهاد أبي داود وعدم تعصبه لمذهب، أو قول معين.

**المبحث الرابع: بعض أقواله، ومواقفه النبيلة**

كان أبو داود بجانب كونه إماماً محدثاً فقيهاً، يتصف بالنسك والزهد والورع، وأقواله ومواقفه تدل على ذلك، فمن أقواله: (من اقتصر على لباس دون، ومطعم دون أراح جسده)[٦٠]، و(الشهوة الخفية حب الرئاسة)[٦١].

(٥٤) سير أعلام النبلاء (٢١٥/١٣).

(٥٥) انظر: طبقات الحنابلة (١٥٩/١).

(٥٦) انظر: طبقات الفقهاء (١٧١).

(٥٧) انظر: طبقات الحنابلة (١٦٢/١).

(٥٨) طبقات المفسرين (١٢٠٧/١).

٥٩(٥٩) سير أعلام النبلاء (٢١٥/١٣).

(٦٠) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٠/٢٢).

(٦١) تاريخ بغداد (٥٨/٩).

**ومن مواقفه:**

ما رواه خادمه أبو بكر بن جابر قال: (كنت معه ببغداد، فصلينا المغرب إذ قُرِع الباب، ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد يستأذن، فدخلت إلى أبي داود فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل، وقعد ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟!. فقال: خلال ثلاث، فقال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة، فتتخذها وطناً، ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض، فتعمر بك، فإنها قد خربت وانقطع عنها الناس، لما جرى عليها من محنة الزنج، فقال: هذه واحدة، هات الثانية. قال: وتروي لأولادي كتاب "السنن"، فقال: نعم. هات الثالثة، وتفرد لهم مجلساً للرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة، قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس شريفهم ووضيعهم في العلم سواء. قال جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك، ويضرب بينهم وبين الناس ستر، فيسمعون مع العامة)(٦٢)وقال أبو بكر بن داسة: (كان لأبي داود كم واسع، وكم ضيق، فقيل له: يرحمك الله، ما هذا؟ قال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه)[٦٣].

**المبحث الخامس: شيوخه**

لقي أبو داود –رحمه الله تعالى– كثيراً من علماء عصره، وتلقى منهم العلم والحديث. حتى شارك الإمامين البخاري ومسلماً في كثير من شيوخهما، كالإمام أحمد، وإسحاق بن راهوية، وابن أبي شيبة، وغيرهم[٦٤].

وأخذ الحديث وفقهه وعلله من كبار الأئمة؛ فقد قال أبو داود: (أدركت من أهل الحديث من أدركت، لم يكن فيهم أحفظ للحديث ولا أكثر جمعاً له من ابن معين، ولا أورع ولا أعرف في فقه الحديث من أحمد، وأعلمهم بعلله من علي ابن المديني، ورأيت إسحاق على حفظه ومعرفة يقدم أحمد بن حنبل ويعترف له)[٦٥].

وقد ذكر العلماء شيوخ أبي داود –رحمه الله تعالى– كالإمام المزي في تهذيب الكمال[٦٦] فقد ذكر أكثر من مائة وسبعين شيخاً، ومع ذلك لم يستوعبهم جميعاً، فقد استدرك عليه الحافظ ابن حجر فقال: (شيوخه في السنن، وغيرها نحو من ثلاث مائة شيخ، لم يستوعبهم المؤلف، ولأجل ذا اختصرهم)[٦٧].

وقد ألف الجياني كتاباً مفرداً في شيوخ أبي داود واسمه (تسمية شيوخ أبي داود)

(٦٢) طبقات الحنابلة (١٦٢/١).

(٦٣) تاريخ بغداد (٥٨/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢١٧/١٣).

(٦٤) انظر: الإمام أبو داود السجستاني، وكتابه السنن للشيخ عبد الله البراك (١٤).

(٦٥) سير أعلام النبلاء (٢١٨/١٣). وانظر: المبحث الثالث.

(٦٦) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(٦٧) تهذيب التهذيب (١٧٢/٤).

واستخرج فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح البراك من كتاب (المعجم المشتمل بأسماء شيوخ الأئمة النبل) لابن عساكر، شيوخ أبي داود الذين أخرج لهم في السنن مرتبين على الحروف، فبلغ عددهم واحداً وعشرين وأربع مائة شيخ[٦٨].

**ومن أبرز شيوخه:**

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، ومسدد بن مسرهد، وعبد الله بن مسلمة القعنبي[٦٩].

**تلاميذه:**

اشتهر أبو داود في عصره بالعلم، وجمع الحديث، وعلو الإسناد، حتى أخذ عنه الأئمة، فقد أخذ عنه شيخه الإمام أحمد بن حنبل وروى عنه حديثاً فرداً[٧٠]، قال أبو بكر الخلال: (سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً، وكان أبو داود يذكره)[٧١]. وكثر تلاميذه، فذكر المزي بعضهم في تهذيب الكمال[٧٢] فبلغ خمسة وأربعين تلميذاً، وذكر بعضهم الخطيب البغدادي[٧٣].والذهبي[٧٤]، وابن حجر[٧٥] وغيرهم.

**ومن أبرز تلاميذه:**

الإمام الترمذي، والنسائي -على الصحيح- وابن الأعرابي، وابن العبد، واللؤلؤي، وأبو بكر بن داسة، وهؤلاء الأربعة هم أبرز رواة سننه، وروى عنه ابنه أبو بكر عبد الله، والآجري، وأبو عوانة الاسفراييني، وأبو بكر الخلال، وأبو بشر الدولابي، وأبو بكر أحمد بن سليمان النجاد وغيرهم، قال ابن كثير: (وأحمد بن سليمان النجاد،، هو آخر من روى عنه في الدنيا)[٧٦].

**المبحث السادس: كتبه ومصنفاته**

وصف العلماء الإمام أبا داود بأنه ممن جمع وصنف الكتب وذبَّ عن السنة، قال ابن حبان: (أبو داود أحد أئمة الدنيا... ممن جمع وصنف، وذبَّ عن السنن، وقمع من خالفها وانتحل ضدها)[٧٧]، وقال الحافظ ابن حجر: (مصنف السنن وغيرها)[٧٨].

---

(٦٨) انظر: كتاب الإمام أبو داود وكتابه السنن، للشيخ عبد الله البراك (١٧).

(٦٩) انظر: تهذيب الكمال (٣٥٦/١١).

(٧٠) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥٩/١١): (الحديث الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمام أحمد بن حنبل، هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة، عن أبي معشر الدارمي، عن أبيه (أن رسول الله سئل عن العتيرة فحسنها).

قال الذهبي: (هذا حديث منكر، تكلم في ابن قيس من أجله). انظر: السير (٢١١/١٣).

(٧١) تاريخ بغداد (٥٧/٩)، وتهذيب الكمال (٣٦٤/١١).

(٧٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٦٠/١١).

(٧٣) انظر: تاريخ بغداد (٥٥/٩).

(٧٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٥/١٣).

(٧٥) انظر: تهذيب الكمال (١٧٣/٤).

(٧٦) البداية والنهاية (٥٩/١١).

(٧٧) انظر: الثقات (٢٨٢/٨).

**ومن كتبه رحمه الله تعالى:**

١- كتاب السنن، وسيأتي الكلام عنه -إن شاء الله- مفصلاً في الفصل الثاني: التعريف بكتابه السنن.

٢- المراسيل، وطبع بمصر سنة ١٣١٠هـ محذوف الأسانيد. وطبع سنة ١٤٠٨هـ، دار الرسالة بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

٣- مسائل أبي داود للإمام أحمد، طبع سنة (١٣٥٣هـ) بتحقيق الشيخ محمد رشيد رضا.

٤- رسالة أبي داود لأهل مكة في وصف سننه، طبع ببيروت، سنة (١٣٩٤هـ) بتحقيق محمد بن لطفي الصباغ.

٥- الرواة من الأخوة والأخوات لأبي داود، طبع سنة ١٤٠٨هـ، بتحقيق الدكتور باسم الجوابرة.

٦- سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود في الجرح والتعديل، وقد وجد من الكتاب (الجزء الثالث، والرابع، والخامس).

وطبع الجزء الثالث في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية سنة (١٣٩٩هـ) بتحقيق: محمد بن علي العمري، وطبع مرة أخرى ،وفيه الجزء الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، بتحقيق: عبد العليم البستوي.

٧- الزهد، طبع سنة (١٤١٤هـ) بمصر، دار المشكاة بتحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

٨- (الناسخ) أو (الناسخ والمنسوخ).

ذكره المزي[٧٩]، والذهبي[٨٠]، وابن حجر[٨١]، والسيوطي[٨٢]، والكتاني[٨٣]، وقال: (أنه في الناسخ والمنسوخ من الحديث).

وقال ابن خير الإشبيلي (ناسخ القرآن ومنسوخه)[٨٤].

٩- (القدر) أو (الرد على أهل القدر)، ذكره المزي[٨٥]، وابن حجر[٨٦]، والسيوطي[٨٧]، وسزكين[٨٨].

١٠- (مسند حديث مالك) أو (مسند مالك) أو (حديث مالك) ذكره المزي[٨٩]، وابن حجر[٩٠].

---

(٧٨) انظر: التقريب (٢٥٠)

(٧٩) انظر: تهذيب الكمال (١٤٩/١).

(٨٠) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٩/١٣).

(٨١) انظر: التهذيب (٦/١).

(٨٢) انظر: طبقات الحفاظ (٢٦١).

(٨٣)انظر: الرسالة المستطرفة (٨٠).

(٨٤) فهرست ما رواه عن شيوخه (٤٧).

(٨٥) انظر: تهذيب الكمال (١٤٩/١).

(٨٦) انظر: التهذيب (٦/١).

(٨٧) انظر: طبقات الحفاظ (٢٦١).

(٨٨) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٦/١).

١١- (فضائل الأنصار) ذكره المزي[٩١]

١٢- (دلائل النبوة) ذكره ابن حجر في التهذيب[٩٢]، وفي الفتح[٩٣] وسماه (أعلام النبوة).

١٣- (الدعاء) أو (الدعوات) ذكره ابن حجر[٩٤]، وحاجي خليفة[٩٥].

١٤- (ابتداء الوحي).

١٥- (أخبار الخوارج). ذكرهما ابن حجر[٩٦].

١٦- (الملاحم). ذكره الكتاني(٩٧)، وحاجي خليفة[٩٨].

١٧- (كتاب في الرجال). ذكره سزكين[٩٩].

١٨- (السنن التي تفرد بها أهل بلدة) أو (التفرد) أو (التفرد في السنن). ذكره المزي[١٠٠]، وابن حجر[١٠١]، والكتاني[١٠٢]، وحاجي خليفة[١٠٣].

١٩- (معرفة الأوقات) ذكره السيوطي(١٠٤)، وحاجي خليفة(١٠٥).

٢٠- (أسئلة للإمام أحمد بن حنبل في الرواة الثقات) مخطوط بالظاهرية(١٠٦).

**المبحث السابع: وفاته**

توفي الإمام أبو داود –رحمه الله– بعد عمر مليء بالعلم، والتعليم، والتصنيف، ونشر السنة، وقمع البدع، سنة ٢٧٥هـ، في يوم الجمعة السادس من شهر شوال بالبصرة، وله (٧٣) سنة، وهذا التاريخ

(٨٩) انظر: تهذيب الكمال (١/١٥٠).

(٩٠) انظر: التهذيب (١/٦).

(٩١) انظر: تهذيب الكمال (١/١٥٠).

(٩٢) انظر: التهذيب (١/٦).

(٩٣) انظر: فتح الباري (٣/٩).

(٩٤) انظر: التهذيب (١/٦).

(٩٥) انظر: كشف الظنون (٢/١٤١٧).

(٩٦) انظر: التهذيب (١/٦).

(٩٧) انظر: الرسالة المستطرفة (٤٩).

(٩٨) انظر: كشف الظنون (٢/١٤١٧).

(٩٩) انظر: تاريخ التراث العربي (١/٢٩٦).

(١٠٠) انظر: تهذيب الكمال (١/١٥٠).

(١٠١) انظر: التهذيب (١/٦).

(١٠٢) انظر: الرسالة المستطرفة (١١٤).

(١٠٣) انظر: كشف الظنون (٢/١٤٠٥).

(١٠٤) انظر: تدريب الراوي (٢/٣٦٣).

(١٠٥) انظر:كشف الظنون (٢/١٧٣٩).

(١٠٦) انظر: فهرست مخطوطات الظاهرية، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٦١).

نص عليه تلميذه أبو عبيد الآجري(١٠٧)، وتبعه الأئمة، كالخطيب البغدادي(١٠٨)، وابن عساكر(١٠٩)، والمزي(١١٠)، والذهبي(١١١)، وابن حجر(١١٢)، وغيرهم، وخالف في ذلك الحافظ ابن زبر، فقال: إنه توفي في سنة ثلاث وسبعين وتبعه ابن الأثير(١١٣)، وقد رد ابن عساكر على ابن زبر في تاريخ دمشق ووهمه، وقال: (الصواب أن وفاته سنة: ٢٧٥هـ)(١١٤).

والصواب: ما قاله الأكثرية، ولا سيما أن منهم تلميذه أبو عبيد الآجري.

وأوصى –رحمه الله– أن يغسله الحسن بن المثنى فإن اتفق، وإلا انظروا في كتاب سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد في الغسل، فعملوا به(١١٥).

## الفصل الثاني

## التعريف بكتابه السنن

### المبحث الأول: معنى السنن عموماً

كتاب السنن عند أهل الحديث: هو الكتاب الذي يجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مرتبة على الأبواب الفقهية، كالطهارة، والصلاة، والزكاة، ونحوها(١١٦). مثل سنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه.

وأما ما شمل جميع أقسام الحديث: أي أحاديث العقائد، والفقه، والرقاق، وأحاديث المناقب، وغيرها، فيسمى الجوامع مثل: صحيح البخاري، ومسلم، وقد ألحق بعض أهل العلم بهما (جامع الترمذي) على خلافٍ في ذلك.

قال الخطابي: (كان تصنيف علماء الحديث قبل زمان أبي داود: الجوامع والمسانيد ونحوهما، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً، فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفائها، ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من تلك الأحاديث الطويلة، ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود)(١١٧).

---

(١٠٧) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩).

(١٠٨) انظر: تاريخ بغداد (٥٩/٩).

(١٠٩) انظر: المعجم المشتمل لابن عساكر (١٣٢).

(١١٠) انظر: تهذيب الكمال (١٦٧/١١).

(١١١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣).

(١١٢) انظر: التهذيب (١٧٣/٤).

(١١٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٣٥٠/٦).

(١١٤) تاريخ دمشق (٥٤٦/٧)

(١١٥) انظر: التهذيب (١٧٣/٤).

(١١٦) انظر: الرسالة المستطرفة (٣٢، ٤٢).

(١١٧) معالم السنن (١١/١).

وأما كتب السنة في جانب الاعتقاد، فالمراد بها ما يقابل البدعة مثل كتاب السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، وغيرهما(١١٨).

**المبحث الثاني: تسميته، وموضوعه، وتاريخ تأليفه**

**تسميته:**

أجمع العلماء على تسميته (السنن) لأن أبا داود سماه (السنن) في رسالته إلى أهل مكة حيث قال: (فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن)[١١٩]، وقال في موضع آخر: (والأحاديث التي وضعتها في كتاب (السنن) أكثرها مشاهير)[١٢٠].

**موضوعه:**

ذكر أبو داود في رسالته إلى أهل مكة أن كتابه السنن يشتمل على سنة رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلم، وقال في وصفه: (وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن رسول الله صلى الله وسلم عليه وسلمبإسناد صالح إلا وهي فيه)[١٢١].

ثم بين أنه اقتصر على الأحكام فقط حيث قال: (لم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام، ولم أضف إليه كتاب الزهد، وفضائل الأعمال، وغيرها)[١٢٢].

وقال الإمام الخطابي: (قد جمع أبو داود في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم، وأمهات السنن، وأحكام الفقه، ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه، ولا متأخراً لحقه فيه)[١٢٣].

**تاريخ تأليفه:**

لم أقف على نص قاطع يكشف عن تاريخ تأليفه للسنن، وإنما جاء عن الخطيب أنه قال: (ويقال: إنه صنفه قديماً، وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه)[١٢٤].

والإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – توفي سنة (٢٤١هـ)، ففي قول الخطيب دليل على أن أبا داود صنف كتابه السنن قبل سنة (٢٤١هـ).

ولاشك أن الإمام أبا داود ظل يجمع كتابه السنن في أثناء رحلاته التي قام بها إلى الشام، ومصر، والحجاز، وخراسان، وغيرها.

---

(١١٨) انظر: كتاب الإمام أبو داود، وكتابه السنن (٤٥).

(١١٩) رسالة أبي داود لأهل مكة (٢٤).

(١٢٠) المرجع السابق (٢٩).

(١٢١) المرجع السابق (٢٨).

(١٢٢) المرجع السابق (٣٣).

(١٢٣) معالم السنن (١٣/١).

(١٢٤) تاريخ بغداد (٩/ ٥٦).

فقد روى محمد بن صالح الهاشمي عن أبي داود أنه قال: (أقمت بطرسوس عشرين سنة، كتبت المسند، فكتبت أربعة آلاف حديثاً)[(١٢٥)]. ولعله أراد بالمسند كتابه السنن، والله أعلم.

وبعد أن انتهى أبو داود من تأليف كتابه قام بتدريسه إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

قال تلميذه أبو الحسن ابن العبد: (سمعت كتاب السنن من أبي داود ست مرار، بقيت من المرة السادسة بقية،لم يتمه بالبصرة سنة إحدى، واثنتين، وثلاث، وأربع، وخمس وسبعين ومئتين، وفيها مات)[(١٢٦)].

**المبحث الثالث: ثناء الأئمة عليه، ومكانته بين الأصول**

**ثناء الأئمة عليه:**

بلغ سنن أبي داود منزلة عالية بين أهل العلم من عصره إلى يومنا هذا فقد أثنى عليه الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله تعالى– فقد عرضه أبو داود عليه فاستجاده واستحسنه[(١٢٧)].

وقال أبو زكريا الساجي: (كتاب الله أصل الإسلام، وكتاب السنن لأبي داود عهد الإسلام)[(١٢٨)].

وقال الإمام النووي: (ينبغي للمشتغل بالفقه وبغيره الاعتناء بسنن أبي داود، لمعرفته التامة، فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه، مع سهولة تناوله،وتلخيص أحاديثه،وبراعة مصنفة، واعتنائه بتهذيبه)[(١٢٩)].

وقال ابن الأعرابي، تلميذ أبي داود: (لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله، ثم هذا الكتاب، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة)[(١٣٠)].

وقال الإمام الخطابي: (اعلموا رحمكم الله، أن كتاب السنن لأبي داود، كتاب شريف، لم يصنف في علم الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من الناس كافة، فصار حكماً بين فرق العلماء، وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم)[(١٣١)].

---

(١٢٥) مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

(١٢٦) مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

(١٢٧) تاريخ بغداد (٥٦/٩).

(١٢٨) انظر: تذكرة الحفاظ(١٦٩/٢). ومقدمة أبي طاهر السلفي (١٤٨/٨).

(١٢٩) مقدمة بذل المجهود (١/ ٥٤).

(١٣٠) معالم السنن (١٢/١).

(١٣١) المصدر السابق (١٠/١).

**مكانته بين الأصول:**

جعل كثير من العلماء "سنن أبي داود" في المرتبة الثالثة بين كتب الأصول، أي بعد الصحيحين، قال الحافظ ابن منده: (الذين خرجوا وميزوا الثابت من المعلول، والخطأ من الصواب: البخاري، ومسلم، ثم أبو داود، والنسائي)[١٣٢].

وقال الحافظ الذهبي: (انحطت رتبة "جامع الترمذي" عن "سنن أبي داود" "والنسائي"، لإخراجه حديث المصلوب، والكلبي، وغيرهما)[١٣٣].

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة: (واعلم أن رئيس هؤلاء الطائفة وقدوتهم بعد الإمام مالك، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ويليه في الرتبة " كتاب مسلم " ويليهما أبو داود)[١٣٤].

وقال الكاندهلوي: (إن "صحيح البخاري" أعلى رتبة في الصحة وغيرها عند الجمهور، ثم " الصحيح للإمام مسلم "، ثم " السنن للإمام أبي داود)[١٣٥]؛ بل إن هناك من أهل العلم من جعل سنن أبي داود موازٍ للصحيحين[١٣٦]، وهذا قول مردود لتباين المناهج والشروط التي اشترطها كل واحد منهم.

ومن أهل العلم من قدم "سنن الترمذي" على "سنن أبي داود" كالحازمي حيث قال: (وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ من شرط أبي داود)[١٣٧].

والذي استقر عليه العمل هو وضع سنن أبي داود في المرتبة الثالثة بين كتب الأصول أي في مرتبة بعد الصحيحين، ومقدم على كتب السنن، وجرى على ذلك من رتب رجال الكتب الستة مثل تهذيب الكمال، وغيره.

**المبحث الرابع: عدد أحاديثه**

قدّر أبو داود عدد الأحاديث التي في كتابه السنن في رسالته إلى أهل مكة فقال: (ولعل في كتابي من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ونحو ستمائة من المراسيل)[١٣٨].

وقال تلميذه ابن داسة، سمعت أبا داود يقول: (كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب – يعني كتاب السنن – جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث)[١٣٩].

وخالف في هذا العدد تلميذه أبو الحسن ابن العبد فقال: (كتاب أبي داود ستة آلاف حديث، منها أربعة آلاف، وألفان مكرر)[١٤٠].

---

(١٣٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/١٣).

(١٣٣) انظر: تدريب الراوي (١٧١/١).

(١٣٤) انظر: مفتاح السعادة (٢/ ١٣٠، ١٣٥).

(١٣٥) لامع الدراري على جامع البخاري (١٣٧/١).

(١٣٦) انظر: فهرست ابن خير (١٠٧)، وتدريب الراوي (١٦٨/١).

(١٣٧) شروط الأئمة (٥٧).

(١٣٨) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٣٢)

(١٣٩) تاريخ بغداد (٥٧/٩).

وأما عددها في بعض ما طبع من سنن أبي داود فهو كما يلي:

١) في مختصر سنن أبي داود للمنذري (٥١١٣) حديثاً.

٢) في الطبعة التي مع عون المعبود بعناية محمد عبد الرحمن عثمان (٥٢٥٢) حديثاً.

٣) في طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، وطبعة عبيد الدعاس، وعادل السيد (٥٢٧٤) حديثاً.

**ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى أسباب منها:**

١- أن أبا داود لم يخرج الكتاب مرة واحدة على وجه واحد، بل مكث يزيد فيه وينقص بحسب ما يظهر له.

٢- اختلاف المحققين في منهج العد، فبعضهم يعد المتابعات ويجعل رقماً لكل طريق، وبعضهم يعد المكرر، وبعضهم يعد أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وكبار التابعين، ونحو ذلك.

### المبحث الخامس: درجة أحاديثه، وشرط مؤلفه فيه

ذكر العلماء أن كتاب سنن أبي داود هو مظنة الحديث الحسن[١٤١]، وقد بين أبو داود في رسالته إلى أهل مكة درجة أحاديث كتابه وشرطه في إخراجها ومن ذلك:

قوله: (أنه ليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء)[١٤٢].

وقال أيضاً: (وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر)[١٤٣].

وقال أيضاً: (وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد بينته)[١٤٤].

وقال أيضاً: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض)[١٤٥].

وذكر أيضاً: أنه يذكر أصح ما في الباب[١٤٦].

وروى تلميذه ابن داسة عن أبي داود أنه قال: (كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة ألف، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب –يعني السنن– جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مائة حديث، ذكر الصحيح وما يشبهه ويقاربه)[١٤٧].

---

(١٤٠) مقدمة رسالة أبي داود لأهل مكة (١٧).

(١٤١) انظر: علوم الحديث لابن صلاح (٣٣)، والتقريب للنووي (٢٥)، واختصار علوم الحديث لابن كثير (٣٠).

(١٤٢) رسالة أبي داود إلى أهل مكة (٢٦).

(١٤٣) المصدر السابق (٢٦).

(١٤٤) المصدر السابق (٢٧).

(١٤٥) انظر: المصدر السابق (٢٨).

(١٤٦) المصدر السابق (٢٤).

(١٤٧) تاريخ بغداد (٥٧/٩).

واختلف العلماء، في المراد بقول أبي داود: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح). أي في الأحاديث التي سكت عنها أبو داود على قولين:

**القول الأول:**

وهو أن المراد بقول أبي داود: (وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح) أي صالح للاحتجاج.

وإليه ذهب العراقي[١٤٨]، والحافظ الذهبي[١٤٩]، وابن حجر[١٥٠].

وقال الحافظ ابن حجر: (في قول أبي داود: " وما كان فيه وهن شديد بينته، ما يفهم أن الذي يكون فيه وهن غير شديد أنه لا يبينه، ... ومن هنا يتبين أن جميع ما سكت عليه أبو داود لا يكون من قبيل الحسن الاصطلاحي، بل هو على أقسام:

١- منه ما هو في الصحيحين، أو على شرط الصحة.

٢- ومنه ما هو من قبيل الحسن لذاته.

٣- ومنه ما هو من قبيل الحسن إذا اعتضد، وهذان القسمان كثير في كتابه جداً.

٤- ومنه ما هو ضعيف، لكنه من رواية من لم يجمع على تركه غالباً، وكل هذه الأقسام عنده تصلح للاحتجاج بها.

كما نقل ابن منده عنه أنه يخرج الحديث الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره، وأنه أقوى عنده من رأي الرجال)(١٥١).

**القول الثاني:**

ما ذهب إليه ابن الصلاح في أن ما سكت عنه أبو داود، وليس في أحد الصحيحين، ولا نص على صحته أحد ممن يميز بين الصحيح والحسن، فإنه من الحسن عند أبي داود[١٥٢].

**والصواب:**

القول الأول –والله أعلم– وقد أجاب على القول الثاني الشيخ أحمد شاكر حيث قال: (إن ابن الصلاح يحكم بحسن الأحاديث التي سكت عنها أبو داود، ولعله سكت عن أحاديث في السنن وضعفها في شيء من أقواله الأخرى، كإجاباته للآجري، فلا يصح إذاً أن يكون ما سكت عنه في السنن، وضعفه في موضع آخر من كلامه حسناً، بل يكون عنده ضعيفاً، وإنما لجأ إلى هذا، اتباعاً لقاعدته التي سار

---

(١٤٨) انظر: شرح ألفيه العراقي (١/٩٧).

(١٤٩) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢١٤).

(١٥٠) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/٤٣٥).

(١٥١) المرجع السابق (١/٤٣٥).

(١٥٢) علوم الحديث لابن الصلاح (٣٣).

عليها: من أنه لا يجوز للمتأخرين التجاسر على الحكم بصحة حديث لم يوجد في أحد الصحيحين، أو ينص أحد من أئمة الحديث على صحته)[١٥٣].

**المبحث السادس: روايات السنن**

قال ابن كثير: (الروايات عن أبي داود بكتابه السنن كثيرة جداً، ويوجد في بعضها من الكلام، بل الأحاديث ما ليس في الأخرى)[١٥٤].

**ومن أشهر الروايات ما يلي:**

١- رواية اللؤلؤي:

وهو الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي البصري، أبو علي، المتوفى سنة (٣٣٣هـ)[١٥٥]، روى ابن نقطة، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي رواية اللؤلؤي قال: كان أبو علي اللؤلؤي قد قرأ هذا الكتاب على أبي داود عشرين مرة، وكان يسمى وراقه، والوراق عندهم القارئ، وكان هو القارئ[١٥٦]، وروى عن اللؤلؤي القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، واشتهرت روايات اللؤلؤي من طريقه.

ورواية اللؤلؤي من أصح الروايات، لأنها من آخر ما أملى أبو داود وعليها مات[١٥٧]، وقد اعتمد شمس الحق العظيم آبادي هذه النسخة في شرحه للسنن المسمى (عون المعبود) حيث قال: ( فنسخة السنن من رواية اللؤلؤي هي الرائجة في ديارنا الهندية وبلاد الحجاز، وبلاد المشرق من العرب بل أكثر البلاد، وهي المفهومة من السنن لأبي داود عند الإطلاق، وهذه النسخة هي التي لخصها المنذري، وخرج أحاديثها، وعلى هذه النسخة شرح لابن رسلان، وللحافظ العراقي، وحاشية لابن القيم والسندي، والسيوطي، وغيرهم، وهذه الرواية هي المرادة في قول صاحب (المنتقى) وصاحب (جامع الأصول) وصاحب (نصب الراية) وصاحب (المشكاة) وصاحب (بلوغ المرام) وغيرهم من المحدثين حيث يقولون: أخرجه أبو داود، وأخذ هذه النسخة ابن عساكر في كتابه :الإشراف على معرفة الأطراف)[١٥٨]، وقال أيضاً: ( وكذلك المزي في " تحفة الأشراف "، فقد جعلها الأصل في كتابه، فإن كان الحديث فيها سكت عنه، وإن كان في غيرها من الروايات نبه على ذلك)[١٥٩].

٢- رواية ابن داسة:

---

(١٥٣) الباعث الحثيث (٣١).

(١٥٤) اختصار علوم الحديث (٣٠).

(١٥٥) سير أعلام النبلاء (٣٠٧/١٥).

(١٥٦) التقييد (٣٣/١).

(١٥٧) انظر: الحطة في ذكر الصحاح الستة (٢١٦)، وعون المعبود (٢٠١/١٤).

(١٥٨) عون المعبود (٢٠٢/١٤).

(١٥٩) عون المعبود (٢٠٥/١٤).

وهو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق بن داسة التمار البصري، المتوفى سنة (٣٤٦هـ)[١٦٠]. روى السنن عن أبي داود، ورواها عنه -أيضاً- أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن شيخ ابن عبد البر، وأبو سليمان الخطابي، وغيرهم[١٦١]، ولهذه الرواية مزية: وهي أنها أكمل الروايات، وفيها زيادات على رواية اللؤلؤي، قال القاسم بن جعفر الهاشمي الراوي عن اللؤلؤي: (إن الزيادة التي في رواية ابن داسة حذفها أبو داود آخراً لشيء كان يريبه في إسناده فلذلك تفاوتا)[١٦٢].

وذكر صاحب (عون المعبود) أنها المشهورة في بلاد المغرب، وأنه ظفر بنسخة واحدة منها، وقابلها بعشر نسخ من رواية اللؤلؤي، ونبه على زيادتها من الروايات على نسخة اللؤلؤي، في مواضعها من شرحه، وقال: (شرح الخطابي المسمى "معالم السنن " على رواية ابن داسة، لأنه تلميذه)[١٦٣].

٣- رواية ابن الأعرابي:

وهو الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن زياد البصري، المعروف بابن الأعرابي، روى السنن عن أبي داود، وروى عنه أبو بكر ابن المقرئ، وأبو عبد الله بن منده، ومحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، توفي سنة (٣٤١هـ)[١٦٤]، وقد سقط من روايته للسنن عن أبي داود كتاب الفتن، والملاحم، والحروف، والخاتم، ونحو النصف من كتاب اللباس، وفاته من كتاب الوضوء، والصلاة، والنكاح، أوراق كثيرة[١٦٥]، ومع هذا النقص فإن لابن الأعرابي زيادات في المتن والسند، قال شمس الحق العظيم آبادي: (مع نقصها ففي هذه النسخة –أيضاً- بعض الأحاديث الذي ليس في رواية اللؤلؤي، ويذكر الحافظ المزي روايته في الأطراف)[١٦٦].

٤- رواية ابن العبد:

وهو أبو الحسن على بن الحسن بن العبد، أبو الحسن الوراق، المتوفى سنة (٣٢٨هـ)، سمع السنن من أبي داود ست مرار[١٦٧]. وروى عنه الدارقطني، والحسين بن محمد بن سليمان الكاتب[١٦٨]، ولهذه الرواية مزية وهي أن فيها كلاماً لأبي داود في الجرح والتعديل.

---

(١٦٠) تذكرة الحفاظ (٨٦٣/٣).

(١٦١) سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١٥).

(١٦٢) التقييد (٣٣/١).

(١٦٣) عون المعبود (٢٠٢/١٤، ٢٠٣).

(١٦٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠٧/١٥).

(١٦٥) انظر: فهرسن ابن خير (١٠٥، ١٠٦)، والحطة (٢١٦).

(١٦٦) عون المعبود (٢٠٣/١٤).

(١٦٧) انظر: مقدمة رسالة أبي داود إلى أهل مكة (١٧).

(١٦٨) انظر: تاريخ بغداد (٣٨٢/١١).

قال ابن حجر: (فإنه في رواية أبي الحسن ابن العبد عنه كلام على جماعة من الرواة والأسانيد، ما ليس في رواية اللؤلؤي، وإن كانت روايته أشهر)[١٦٩]، ولرواية ابن العبد ذكر في تحفة الأشراف للمزي، وفتح الباري[١٧٠].

٥- رواية الرملي:

هو الإمام أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرَّمْلي، ورَّاق أبي داود، روى عن: أبي داود، وعباس بن الوليد البيروتي، وروى عنه: أبو حفص بن شاهين، وأبو العباس عبد الله بن موسى الهاشمي، توفي سنة(٣٢٠)[١٧١]، وروايته تقارب رواية ابن داسة، إلا أن المزي لم يذكرها في تحفة الأشراف[١٧٢].

٦- رواية أبي سالم: محمد بن سعيد الجلودي، وقد أثبت الذهبي روايته للسنن[١٧٣].

٧- رواية أبي عمرو أحمد بن علي الحسن البصري.

٨- رواية أبي أسامة محمد بن عبد الملك بن زيد الرواس.

٩- رواية أبي الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغدادي.

وهؤلاء الثلاثة أثبت روايتهم للسنن الذهبي[١٧٤]، وابن حجر[١٧٥].

**المبحث السابع: شروحه المطبوعة، والمخطوطة**

اعتنى العلماء بكتاب السنن لأبي داود فمنهم من شرحه، ومنهم من اختصره، ومنهم من علّق عليه.

ومن أهم الشروح، والمختصرات، والتعليقات ما يلي:

١- شرح الإمام الخطابي.

واسمه: (معالم السنن) وهو من أقدم الشروح وأنفعها، وقد طبع -فيما أعلم- ثلاث طبعات فيما وقفت عليه: الأولى: مفرداً سنة (١٣٥٢هـ) بحلب بعناية الشيخ محمد راغب الطباخ، والثانية: مع " مختصر المنذري " و "تهذيب ابن القيم " بتحقيق الشيخين أحمد شاكر، وحامد الفقي عام (١٣٦٧هـ) في ثمانية أجزاء، وقد طبع في آخر كلا الطبعتين " مقدمة الحافظ أبي طاهر السلفي على معالم السنن ". والثالثة: طبعة عزت عبيد دعاس بحلب عام ١٣٨٨هـ.

٢- شرح الإمام الحافظ محمد بن محمد بن عبد الملك القرطبي (ت٣٣٠هـ).

(١٦٩) النكت على كتاب ابن الصلاح (٤٤١/١).
(١٧٠) انظر: عون المعبود(٢٠٣/١٤).
(١٧١) انظر: تاريخ بغداد (٣٩٥/٦).
(١٧٢) انظر: عون المعبود (٢٠٣/١٤)، والحطة (٢١٦).
(١٧٣) انظر: تذكرة الحفاظ (٥٩٢/٢).
(١٧٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٥/١٣).
(١٧٥) انظر: التهذيب (١٧٠/٤).

ذكره محمد الدمشقي في نموذج الأعمال الخيرية ص(٦٢٤).

٣- شرح العلامة الشيخ شمس الحق العظيم أبي الطيب آبادي المتوفى (١٣٢٩هـ).

وسماه "غاية المقصود في حلّ سنن أبي داود " لكنه لم يتمه، وقد طبع جزء منه في ثلاث مجلدات، تحتوي على شرح كتاب الطهارة، وبعض أبواب الصلاة، بتحقيق الشيخين: محمد عزيز شمس، وأبي القاسم الأعظمي.

٤-شرح سنن أبي داود للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٥هـ

وقد شرح جزءً منه ولم يكمله، وقد طبع الكتاب في ستة مجلدات بتحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري سنة (١٤٢٠هـ).

٥- شرح الشيخ أبي عبد الرحمن شرف الحق.

المشهور بمحمد أشرف ابن أمير العظيم آبادي المسمى (عون المعبود على سنن أبي داود) ألفه بطلب من شيخه العلامة شمس الحق العظيم آبادي صاحب " غاية المقصود"؛ وقد طبع طبعتين: الأولى في دلهي سنة (١٣٢٢هـ) في أربع مجلدات كبار، أثبت في أعلى الصفحات " سنن أبي داود ". والثانية: طبع في القاهرة سنة (١٣٨٨هـ)، وجُعل في الأعلى " سنن أبي داود " وفي الأسفل " عون المعبود " في أربعة عشر جزءاً، نشره محمد عبد المحسن السلفي بالمدينة، بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن محمد عثمان.

٦-شرح المحدث خليل أحمد السهارنفوري.

واسمه: " بذل المجهود في حل أبي داود " وقد طبع في مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ بالهند سنة (١٣٩٢هـ)، مع تعليق الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وتقديم فضيلة الأستاذ أبي الحسن الندوي، في عشرين مجلداً.

٧-شرح الشيخ محمود بن محمد خطاب السبكي.

واسمه (المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود) وصل فيه إلى كتاب الحج، وقد طبع بمطبعة الاستقامة بمصر سنة (١٣٥٢هـ). في عشر مجلدات، وبعد أن توفي مؤلفه سنة (١٣٥٢هـ) أكمله ابنه الشيخ أمين السبكي فوصل في شرحه إلى باب في تعظيم الزنى، وسماه: (فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المودود) وقد طبع في أربعة مجلدات وقد طبع عام (١٣٨٤) ثم توقف الكتاب.

٨-شرح الحافظ السيوطي.

واسمه (مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود)(١٧٦). وقد اختصره على بن سليمان الدمنتي، واسمه (درجات مرقاة الصعود) وقد طبع المختصر بالقاهرة سنة (١٢٩٨هـ).

٩- شرح ابن رسلان الرملي.

---

(١٧٦) انظر: غاية المقصود (٤٦/١).

وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

١٠- شرح الشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي المدني سماه (فتح الودود على سنن أبي داود)(١٧٧).

١١-شرح الإمام المنذري.

سماه: (العدّ المورود في حواشي سنن أبي داود)(١٧٨).

١٢- شرح الإمام النووي.

سماه (الإيجاز) لم يكمله وصل فيه إلى أثناء الوضوء(١٧٩).

١٣- شرح الحافظ مغلطاي، ولم يكمله(١٨٠).

١٤- شرح ابن الملقن.

وهو شرح لزوائد أبي داود، وهو في مجلدين(١٨١).

١٥- شرح الحافظ أبي زرعة العراقي.

إلا أنه لم يكمله(١٨٢).

١٦- شرح الحافظ أبي محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي.

سماه: " انتحاء السنن، واقتفاء السنن "(١٨٣).

١٧- شرح الإمام عمرو بن رسلان بن نصر البلقيني(١٨٤).

١٨- حاشية أبي الحسنات محمد بن عبد الله الفنجابي.

واسمها: عون الودود شرح سنن أبي داود، وهي مطبوعة في مجلدين بالهامش على "سنن أبي داود " في لكنهؤ الهند سنة (١٣١٨هـ).

١٩- وعلق عليه الشيخ فخر الحسن الكنجوهي، وسماه "التعليق المحمود" وقد طبع بالهند(١٨٥).

---

(١٧٧) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٤/١) وغاية المقصود (٤٧/١).

(١٧٨) انظر: تاريخ التراث العربي (٢٩٣/١).

(١٧٩) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة النووي للسخاوي (٥٥).

(١٨٠) انظر: كشف الظنون (١٠٠٥/٢).

(١٨١) انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١٠٢/٦)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٥٦/٤).

(١٨٢) انظر: غاية المقصود (٤٥/١).

(١٨٣) انظر: كشف الظنون (١٠٦/٢).

(١٨٤) انظر: تاريخ التراث الإسلامي (٢٩٣/١).

(١٨٥) انظر: الإمام أبو داود، وكتابه السنن، للشيخ عبد الله البراك (٧١).

**الخاتمة:**

اختم البحث بخاتمة أبين فيها خلاصة البحث، كالتالي:

١. إن الإمام أبو داود هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ولد بسجستان سنة (٢٠٢)، وتوفي سنة (٢٧٥)، اتفق العلماء على توثيقه، ووصفه بالحفظ والإتقان، والدين،والورع، وكان محدثاً وفقيهاً. ومن كبار العلماء، متبعاً لأهل السنة والجماعة، ذاباً عن السنن، راداً على من خالفها، رحمه الله.

٢. بلغ كتاب السنن لأبي داود مكانةً عاليةً بين أهل العلم، فقد أثنى عليه الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- فقد عرضه عليه أبو داود فاستجاده وأستحسنه.

٣. أستقر العمل على أن منزلة كتاب السنن لأبي داود بين كتب الأصول، في المرتبة الثالثة بعد الصحيحين، ومقدم على كتب السنن الأخرى.

٤. وذكر العلماء أن سنن أبي داود هي مظنة الحديث الحسن فهو لم يلتزم إخراج الصحيح وحده، بل ذكر الصحيح، والحسن، والضعيف، فإن كان الضعف شديداً بينه، وإلا سكت عنه، وما سكت عنه: منه الصحيح، ومنه الحسن، ومنه الضعيف المحتمل.

٥. لكتاب سنن أبي داود روايات عن أبي داود كثيرةً جداً، ويوجد في بعضه من الكلام، بل من الأحاديث ما ليس في الأخرى، ومن أشهرها رواية اللؤلؤي، وراية ابن داسة، ورواية ابن الأعرابي، ورواية ابن العبد.

٦. اعتنى العلماء بكتاب السنن لأبي داود منهم من شرحه، ومنهم من اختصره، ومنهم من علق عليه.

وفي الختام أوصي طلاب العلم بالعناية بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بها والدعوة إليها وخدمة كتب الحديث وتحقيقها ومعرفة مناهج المحدثين والإستفادة منها.



# الفكر الحداثي ورجال أهل الحديث: مفارقة أوليّة

**واعـر آسيا**

أستاذة وباحثة جامعية

قسم الفلسفة - كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

القطب الجامعي البوني جامعة باجي مختار-عنابه-الجزائر



**مقدمة:**

إنّ الدين الإسلامي هو آخر الأديان السماوية التي عرفها الكائن البشري منذ أن وضع رجلاه على سطح المعمورة، وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده إذ يقول جلّ جلاله: {إنّ الدين عند الله الإسلام} سورة آل عمران: ١٩، كما يقول أيضاً عزّ من قائل: {إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ و أنتم مسلمون} سورة البقرة: ١٣١، و قولهأيضاً: {اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتيورضيت لكم الإسلام ديناً}سورة المائدة: ٤،وغير ذلك من الآيات التي تنوّه أنّ الدين الإسلامي هو الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده و للإنسانية جمعاء.

و إنّا لنستقي مبادئ و تعاليم هذا الدين الحنيف من مصدرين أساسيين هما كتاب الله - القرآن الكريم-، و سنة نبيه محمد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم الذي أدى الأمانة و بلّغ الرسالة على أكمل و أحسن وجه و دليلنا على ذلك هذا الحشد و الكم الهائل الذي يزداد يوما عن يوم باعتناقه للدين الإسلامي و إن كان هذا يدلّ على شيء فإنّما يدلّ على المعتقد الحق الصادق الذي وافق الفطرة الإنسانية السليمة و عقلها السوي.

ومع نزول أوّل آية بدأت مساعي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في هدي الأمة إلى نور الحق؛ ثمّ تبعه في ذلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ و هذا في جمع كلّ ما ورد عنه صلّى الله عليه و سلّم من قول أو فعل أو تقرير و جمع كل هذا و حفظ في مؤلفات –فبعد القرآن الكريم– و كتب الصحّاح للبخاري و مسلم نجد العديد من الإسهامات في تفسير القرآن الكريم، وفي كتب الحديث الشريفهذه المؤلفات و المجهودات التي ما زلنا نحتفظ بها إلى يومنا هذا؛ والتي لطالما نُظر إليها بطابع التقديس، هذا الطابع الذي لم يبق على ما هو عليه، فرفضته بعض العقول العربية الإسلامية ونادت بضرورة إعادة النظر إليه وبضرورة إعادة قراءته من جديد بحجة تطور و تقدم الأوضاع التي باتت تفرض تطبيق منهج الفكر الحداثي الذي استشكله ووضعه الفكر الغربي؛ وهنا نجد أنفسنا أمام قضية تطرح نفسها و بقوّة: إلى أي مدى يكون إعادة النظر في التراث الإسلامي –القرآن الكريم و كتب الصحاح– ناجعاً، ثمّ ما النتائج المترتبة عن ذلك؟

إنّ دراستنا هذه قد بحثت في هذه القضية، من باب البحث في ما مدى صلاحية الفكر الحداثي في الأحاديث النبوية الشريفة التي اجتهد في و ضعها وفي تصنيفها رجال أهل الحديث، ولتحليل هذا اعتمدنا: مقدمة، ثلاث مباحث، وخاتمة.

أمّا المقدمة: فكانت كتوطئة لطرح الإشكال.

المبحث الأوّل: تناولنا فيه إحاطة بما جاء به الفكر الحداثي.

المبحث الثاني: تناولنا فيه التعرف على رجال أهل الحديث، من هم، منهجهم في جمع الأحاديث، وأهم كتب الحديث.

المبحث الثالث: تناولنا فيه تحليل المفارقة الكامنة بين الممارسات الفكرية في تراث الفكر الإسلامي وبين ما ابتدعه الفكر الغربي في ما أسماه بالفكر الحداثي ليتبين التنافر الحاد الكامن بين الاتجاهين.

الخاتمة: توصلنا فيها إلى أهم النتائج.

## المبحث الأوّل

## الفكر الحداثي

الحداثة لغةهي مصدر فعل حدث، و جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ "الحديث نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه هو، فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه؛ والحدوث كون شيء لم يكن و أحدثه الله فحدث، وحدث أمر أي وقع، ومحدثات الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، وفي الحديث: إياكم ومحدثات الأمور، جمع محدثة، بالفتح، وهي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنّة ولا إجماع؛ و في حديث المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، والحدث الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد و لا معروف في السنة و المحدث يروى بكسر الدال و فتحها على الفاعل و المفعول(١).

أمّا اصطلاحا فهو مصطلح يحمل أبعادا فلسفية و ايديولوجية. "إنّ مصطلح محدث أو حديث له تاريخ طويل بحثه "هانز روبرت ياوس"(٢) وكان مصطلح -Modern-بصورته اللاّتينية -Modernus- قد استخدم لأوّل مرّةفي أواخر القرن الخامس لتمييز الحاضر الذي أصبح مسيحيا على المستوى الرسمي  عن الماضي الروماني الوثني؛ و يعبر مصطلح -Modern– عن الوعي بحقبة تتصل بالماضي ويعد نتيجة للانتقال من القديم إلى الجديد، كما يقصر بعض الكتاب مفهوم الحداثة –Modernity– على عصر النهضة، ولقد ظهر مصطلح "حديث" في فترات تكوّن فيها الوعي بحقبة جديدة من خلال

(١)– ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله العلي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، د-ط، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص ٧٩٦.

(٢)– يعد ياوس مؤرخا و ناقدا أدبيا ألمانيا شهيرا في مجال " جماليات المتلقي" وهو نوع من النقد يتمثل بنقد رد فعل القارئ في هذه البلاد..

علاقة متجددة بالقدماء في أوروبا حيث يكون التراث نموذجا يُعادُ إحياؤه عن طريق نوع من المحاكاة(٣).

و يرتكز مصطلح الحداثة أساسا على أحداث ووقائع تميّزت بها حقبة تاريخية معينة في حيز جغرافي محدد، بل ترتكز أساسا على تلك التحولات التّي مسّت أوروبا الغربية في جل جوانبها الاقتصادية، الاجتماعية، العلمية، الفكرية، السياسية، إنّه مصطلح ليس بحديث العهد، إذا ما كنا نعتبر أنّ هذا المصطلح عبارة عن ممارسة اجتماعية و نمطا من الحياة يقوم على أساس التفكير و الابتكار، سيما تلك اللحظات التّي يتّم فيها إبداع منطق جديد يبلور كلّ شيء إلى منحي فكري مخالف عن سابقه.

و يعرّفها كانطفي مستهل إجابته عن ماهي الأنوار؟: "أنّها خروج الإنسان من حالة الوصاية التّي تتمثّل في عجزه من استخدام فكره دون توصية من غيره، إنّها مرحلة يكسّر فيها الإنسان كلّ القيود الخارجية التّي تكبّل تفكيره و يتحرر منها لينتقل إلى دائرة إعمال العقل و فقط، و شعارها "أقدم على استخدام فكرك"(٤)، ومن تعريف كانط يمكن أن نستنبط أهم الدعائم الأساسية التي يقوم عليها الفكر الحداثي و المتمثّلة في:

**أ- العقل أو العقلانية:**

إحكام العقل، في كل ما يحيط به فلا يقبل إلا ما يقبله العقل، و يرفض كلّ ما يرفضه العقل، و بالتّالي يكون العقل أداة الحكم على كل شيء؛ و هنا نجد مبالغة في تمجيد العقل و تقديسه.

**ب- الحرية:**

أن تكون الحرية مطلقة، بعيدة عن كلّ قيد، إنّها حرية التفكير في كل شيء، و الحكم عليه بسلطان العقل و الفكر، حرية التعبير عن كل شيء بأي عبارة، حرية البحث في كل شيء و كل مجال بلا ضابط، إنّها حرية غير مشروطة، أفكر في ما أشاء و بالطريقة التي أشاء دون أي رقيب أو ممارسة لأي نوع من أنواع السلطات.

**ج- العلمانية:**

إنّ هذا التحرر الذي يعتمده الفكر الحداثي إنّما كانت أصوله مستمدة مما عرفه تاريخ الفكر الغربي في -الثورة على الكنيسة- والدعوة إلى التحرر الفكري من سيطرتها، ومن نفوذ رجال الدين واحتكارهم للعلم والمعرفة.

---

(٣)– من مقال ليوجنهابرماس تحت عنوان " الحداثة مشروع لم يكتمل بعد"، لمرجع بيتر بروكو، الحداثة و ما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب...، مراجعة: جابر عصفور، ط١، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٥م، ص ٢١٩.

(٤)–Emmanuel Kant- "Réponse à la question" "Qu'est ce que les lumières?" 1784

إنّ مدلول المصطلح الحداثي قائم أساسا على ما تميزت به الثقافة الأنجلو أمريكية والأوروبية في القرن العشرين(٥)، وهو يعبر عن الاعتقاد العقلاني في الأفكار العلمية والفلسفية والسياسية والإبستيمولوجية للأنوار، وبالتالي الاعتقاد في أفكار التقدم و الحقيقة و الحرية(٦). ورغم أنّ العديد من الدراسات التي أدلت بدلوها في هذا المجال تتفق في أنّ الفكر الحداثي ومابعده كان محور ما يدور حوله الفكر الغربي سواء في تاريخه أم في حاضره، محللّة تلك المناقشات والانتقادات التي كانت حولالإيديولوجيات لمفكريهم، فترة بعد فترة و مرحلة بعد مرحلة؛ لم يلبث أن لقي هذا النهج رواجا في حقل الخطاب المعرفي الإسلامي، الذي رأى أنه بات لزاما تتبع هذا النهج وإسقاطه في الفكر العربي والإسلامي، وهذا إذا كان هذا الأخير يطمح لمواكبة التقدم والتطور نابذا للجمود والركود والتخلف(٧).

وراح المصطلح يُتداول في الفكر العربي دون تحديد لماهيته، فهذا يرى أنّ الفكر الحداثي ليس وليد العقل الغربي، وإنّما كان منذ أن نشط العقل العربي بإنتاجه الفذ –كان هذا موقف محمد أركون وغيره- و آخر يؤسس لحداثة إسلامية أصيلة –كان هذا موقف طه عبد الرحمن(٨)– و ثالث يدع إلى ضرورة تجسيد الفكر الحداثي الغربي هذا إذا كنا نطمع في اللّحاق بالركب الحضاري الغربي أمّا إذا كان طابعنا الجمود والركود والتخلف والفشل فلندع هذا التفكير وننكب على انتقاده و رفضه –كان هذا موقف كلّمن: فتحي التركي، ومحمد أركون وغيرهما- و في كلّ الأحوال نلحظ تأثر ملحوظ بالممارسة الفكرية للآخر -الغربي- و بما أنتجه من فكر؛ سواء بالزحف الفكري والتبعية المطلقة منهجا وفكرا نتيجة للانبهار به أم بتغيير مساره والدعوة إلى تقويم ذلك الاعوجاج في المنهج بحجة ما يخدم فكرنا ومصالحنا . فإلى أي مدى يصح إرساء دعائم هذا الفكر في فكرنا نحن و في تراثنا نحن؟

## المبحث الثاني

## رجال أهل الحديث

الحديث لغة هو الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتي على القليل و الكثير، ومصدر حدّث إنّما هو التحديث، فأمّا الحديث فليس بمصدر و قوله تعالى:{وأمّا بنعمة ربك فحدث} سورة الضحى: ١١، أي بلّغ ما أرسلت به، وحدّث بالنبوّة التي آتاك الله، و هي أجّل النعم(٩).

أمّا اصطلاحا فهو كلّ ما ورد عن النبي صلّى الله عليه و سلّم من قول، فعل، تقرير، أمر، نهي، إلخ) ولقد قام بتصنيف كلّ هذا رجالا في الاختصاص، عُرفوا في تاريخ الفكر الإسلامي برجال أهل الحديث، فمن هم؟

---

(٥)– بيتر بروكر، الحداثة و ما بعد الحداثة، م س، ص ٥.

(٦)– مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، تر: ادريس كثير، عز الدين الخطابي، ط١، دار ما بعد الحداثث، فاس، ٢٠٠١م، ص ٢٥.

(٧)– أنظر في هذا عبد الله الغدامي، الموقف من الحداثة، ط٢، جدّة، ١٤٠٦هـ / أيضا: فتحي التريكي، فلسفة الحداثة، د-ط، مركز الإنماء القومي، تونس، ١٩٨٩م.

(٨)– طه عبد الرحمن، روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية-، ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦م.

(٩)– ابن منظور، لسان العرب، م س، ج٩، ص٧٩٧.

لقد ثبت بالأدلة الصريحة و القاطعة (١٠)، أنّ أهل الحدبث طائفة قديمة من يوم النبوة، كان أوّلهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وهذا لأنّ ما غاب عنّا أو كان قبلنا فلا يعرف إلاّ بالخبر عنه، وخبر التواتر يوجب العلم الضروري، فصحّ ضرورة أنّ وجود طائفة أهل الحديث قد كانت منذ يوم النبوّة وقبل حدوث سائر الفرق الإسلامية، وهذا ما ثبت أوّلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ثم لمن بعدهم، ثمّ لمن بعدهم من الذين يكونون على ما عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في عهد النبي صلّى الله عليه و سلّم؛ ثمّ في كلّ عصر و هكذا خلفا بعد خلف، مسلسلا غير منقطع وبالصفة المذكورة إلى قيام الساعة.

و قد كان الصحابة رضي الله عنهم أوّل من لُقبوا بأهل الحديث في عصرهم و هذا نتيجة اجتهادهم في حفظ الحديث و تبليغه وإتباعه في جميع الأمور كبيرا أو صغيرا من الأصول والفروع، و قد كان يقال لهم أهل الحديث في حياتهم و بعد مماتهم، و كان هنا ابتداء اسم أهل الحديث من الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك قبل ولادة الأئمة الأربعة فضلا عن ظهور المذاهب المقلدة، وبقية الفرق الإسلامية، فعلم إذن من هذه التصريحات أنّ الصحابة هم أوّل من لُقبوا بأهل الحديث، وأنّ التابعين رضي الله عنهم و تابع التابعين كانوا يذكرونهم بأهل الحديث؛ و لم يزل هذا الاسم الشريف متسلسلا في طائفة أهل الحديث خلفا بعد خلف إلى يومنا هذا و بقاهم الله إلى آخر الدهر على الحق(١١)؛ هذا الحق الذي يُشهد لهم بأنّهم قائمون على ما وصفهم به من زمن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في كلّ وقت وزمان خلفا بعد خلف منصورين إلى قيام الساعة، وهذا جليّ في قوله صلّى الله عليه و سلّم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"(١٢).

إنّهم بعد صحابة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و على رأسهم الخلفاء الراشدون، سادة التابعين: وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب (تبعد٩٠هـ)، علي بن الحسين زين العابدين (ت٩٣هـ)، محمد بن الحنفية (ت بعد٨٠هـ)، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت٩٤هـ أو بعدها)، سالم بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت٩٤هـ)، سالم بن عبد الله بن عمر (ت١٠٦هـ)، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٦هـ)، الحسن البصري (ت١١٠هـ)، محمد بن سيرين (ت١١٠هـ)، عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ)، محمد بن شهاب الزهري (ت١٢٥هـ).

ثمّ أتباع التابعين و على رأسهم: مالك(ت١٧٩هـ)، والأوزاعي (ت١٥٧هـ)، سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ)، سفيان بن سعيد الثوري (ت١٩٨هـ)، وإسماعيل بن علية (ت١٩٣هـ)، والليث بن سعد (ت١٧٥هـ).

---

(١٠)– هذه الأدلة التي بحث فيها و حلّلها : أحمد بن محمد الدهلوي المدني، في كتابه –تاريخ أهل الحديث، تعيين الفرقة الناجية و أنّها طائفة أهل الحديث– تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط١، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ ص ص ٢١-١٣٠.

(١١)– أحمد بن محمد الدهلوي المدني، تاريخ أهل الحديث، م س، ص ٢٢-٢٧.

(١٢)– البخاري ٢٥٠/١٣ و مسلم ١٠٣٧.

ثمّ أتباع هؤلاء، وعلى رأسهم: عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ)، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، و عبد الرحمن ابن مهدي (ت١٩٨هـ)، يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ)، عفّان بن مسلم (ت٢١٩هـ).

ثمّ تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم، وعلى رأسهم: الإمام أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ)، يحي بن معين (ت٢٣٣هـ)، علي بن المديني (٢٣٤هـ).

ثمّ تلاميذهم: كالبخاري (ت٢٥٦هـ)، مسلم (ت٢٦١هـ)، أبي حاتم (ت٢٧٧هـ)،أبي زُرعة(ت٢٦٤هـ)، أبي داود (ت٢٧٥هـ)، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، النسائي (٣٠٣هـ).

ثمّ من جرى مجراهم في الأجيال بعدهم: كابن جرير (٣١٠هـ)، ابن خزيمة (ت٣١١هـ)، والدارقطني (ت٣٨٥هـ)، والخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، وابن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ)، عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ)، وابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، ابن تيمية (ت٧٤٨هـ)، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وأقران هؤلاء في عصورهم ومن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب و السنةإلى يومناهذا(١٣).

لقد عني الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالأحاديث النبوية الشريفة لمنزلتها ومكانتها في الدين الإسلامي الحنيف، فحرصوا كلّ الحرص على الإحاطة والعناية بها، فحافظوا عليها قولا و فعلا، وعملوا على نقلها جيلا بعد جيل مستخدمين في كلّ مرة المنهج الذي يرونه الأنجع و الأنسب، إذ كانوا رضوان الله عليهم أجمعين إذا عُرض لهم أمر طلبوا حكمه: في كتاب الله، فإن لم يجدوه فمن السنّة النبوية، و إن لم يجدوه اجتهدوا في حدود القرآن و السنّة و أصولها و يمكن أن نشير إلى المناهج التي اعتمدت في الكتب الستّ و هي:

**١ - منهج الإمام البخاري: (١٩٤- ٢٥٦هـ)**

هو الإمام أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة؛ يعد البخاري أمير المؤمنين في الحديث و لقد عمل جاهدا في التحري عن الرواة، و التوثيق من صحّة المرويات، و بذل فيها أقصى ما وصل إليه الجهد الإنساني، إذ وازن بين المرويات، و محّصها، و تخير منها ما تركن إليه نفسه حتى صار كتابه إلى الحالة التي هو عليها تحريا و تنقيحا؛ و أهم الشروط التي و ضعها في الصحيح، والذي قرره أئمة الحديث أيضاأن يكون الراوي: مسلما، عاقلا، صادقا، غير مدلّس ولا مختلط، متصفا بصفات العدل، ضابطا لما يرويه، متحفظا عليه، سليم الذهن و الحواس التي لابدّ منها في السماع والضبط، قليل الوهم و الغلط، سليم الاعتقاد، أن يكون إسنادهمتصلا فلا إرسال فيه، ولا انقطاع، ولا إعضال، وأن يكون متن الحديث غير شاذ ولا معلل.

(١٣)– من مطوية لربيع المدخلي، بعنوان : أتعلم من هم أهل الحديث، منقول من أئمة الجرح و التعديل هم حماة الدين من كيد الملحدين و ضلال المبتدعين و إفك الكذابين، تنسيق أبو عمران الأثري.

فإذا اجتمعت هذه الشروط في الحديث كان صحيحا، يعني في نسبته إلى قائله و ترجح ترجحا قويا في صدق هذه النسبة يكاد يصل عند أهل هذا الفن المتمرسين فيه إلى حدّ العلم و اليقين(١٤).

**٢- منهج الإمام مسلم: (٢٠٦-٢٦١هـ)**

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ابن ورد بن كوشاذ القشيري نسبا، النيسابوري بلدا صاحب الصحيح؛ الذي استنبط العلماء منه أهم الشروط و الأسس التي اعتمدها في وضعه لصحيحه هذا، والمتمثل في أنّه لا يُخرّج الأحاديث إلاّ عن العدول الضابطين، الموثوق بصدقهم وأمانتهم، وحفظهم ويقظتهم وعدم غفلتهم، كما يخرج عمن دون ذلك من الرواة، وأنّه لا يخرّج في كتابه بالأصالة إلاّ الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة إلى النبي صلّى الله عليه و سلّم؛ هذا فضلا عن أنّه كان قد اجتهد في البحث و في التحري عن الرّجال و التمحيص للمرويات؛ والموازنة بينها، والتدقيق في تحرير الألفاظ، والإشارة إلى الفروق بينها حتى جاء صحيحه على الهيئة الكاملة، التي ينشدها أهل البحث والمعرفة(١٥).

لذا يُعتبر كتب الصحّاح -للبخاري و مسلم-أصّح الكتب التي كانت في الحديث النبوي الشريف، تليها السنن الأربعة لأبي داود (٢٠٢-٢٧٥هـ)، والترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، والنسائي (٢١٥-٣٠٣هـ)، وابن ماجه (٢٠٩- ٢٧٩هـ) على وجه التغليب.

إنّ المتأمل في المجهود الذي بذله رجال أهل الحديث في جمعهم للأحاديث و ترتيبها و تصنيفها ليعلم حق اليقين أنّ هذا المجهود صادق النية غايته الوحيدة هي إعلام الآخر بما ورد عن نبينا محمد صلّى الله عليه و سلّم حتى نتبع خطاه و نسير على هديه؛ فهذه الشروط التي و ضعوها في تصانيفهم، سواء لفرز الأحاديث الصحيحة من غيرها أم بالإحاطة بجامع الأحاديث تقتضي الوثوق التام بهذا المجهود الجبار المبذول من هؤلاء جمبعا رضي الله عنهم، ثمّ اليقين المطلق بأنّ هذا ما كان من نبينا محمد خير و سيد البشرية صلّى الله عليه و سلّم.

## المبحث الثالث

## تحليل المفـارقة

إنّ أساس المشكل الذي نبحث و نتحرى عنه يكمن بالدرجة الأولى في المزاوجة بين المبحثين السابقين، إذ ألّحت بعض الدراسات المعاصرة على اعتماد المنهج الحداثي في تحليلنا للتراث الإسلامي لا لشيء إلاّ للحاق بالتطور والتقدم التقني وبالتالي اللّحاق بالركب الحضاري، فدعا هؤلاء إلى استبدال المنهج وطريقة التحليل والتفكير للخروج بنتائج لم يعهدها تاريخ الفكر الإسلامي من قبل ورغم أنّ هذه القضية قد أثيرت في الأزمنة القريبة أيام طه حسين و أحمد أمين إلاّ أنّنا نرى أنّه أبرز من أعلن هذا صراحة هو المفكر الجزائري محمد أركون فكيف كان ذلك و هل هو محق في دعوته هذه أم أنّها مجرد ترهات انتشرت هنا و هناك؟

---

(١٤)– محمد محمد أبو شهبة، في رحاب الكتب الصحاح الستة، د-ط، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٥٧- ١٠٢.

(١٥)– المرجع نفسه ، ص ص ١٠٣- ١٢٠..

**أ- دعوة محمد أركون إلى إعادة قراءة التراث الإسلامي باعتماد المنهج الحداثي:**

دعا محمد أركون إلى ضرورة إعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة جديدة، وهذا بتجاوز القراءات الكلاسيكية التي بات لزاما طرح منهجها واستبداله بالمنهج المتبع في الدراسات الحداثية.

يذهب "أركون" إلى ضرورة تغيير منحى اتجاه الاجتهاد في الفكر الإسلامي، ويلّح على ضرورة نقد العقل الإسلامي، هذا النقد الذي يعتبره امتدادا للاجتهاد السابق و قطيعة معه في نفس الوقت، وإذا أردنا أن نحدّد النقد الذي يعنيه و يعمل على إرساء أسسه في هذا المجال هو ذلك النقد المنفتح على آخر مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع، سيما الوقوف على فهم المدلولات التي يستخدمها الفكر الحداثي: كالأسطورة، المخيال الاجتماعي...إلخ) من المصطلحات الواجب وضعها في سياقها حتّى يتسن الفهم الصحيح لأية ممارسة فكرية قد وظفتها في تحليلها، إضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار تلك الحقائق السوسيولوجية التي لها دور أساس في تاريخ المجتمعات وحياتها أكبر من ذلك الدور الذي تمثله الحقيقة ذاتها(١٦)؛ و يشير هاشم صالح في مقدمة -من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي- إلى أنّ الحقائق التّي أشار إليها "أركون" إنّما هي حقائق موضوعية قد أثبتها علماء الأنتروبولوجيا والتاريخ "ككلود ليفي ستروس، جان بيير فرنان، بيير بورديو،...إالخ) وغيرهم. فالبحث العلمي قد تقدّم وتطور ولم يعد كما كان عليه في الأزمنة الغابرة، إذ أصبحت الدراسات الحديثة تأخذ في إعادة الاعتبار للإنسان والمجتمع بشكل متكامل، أي بكلا بعديه المادي والروحي، وهو بذلك يتجاوز الروحانية الصرفة و المادية الصرفة في آن معا.

و يضيف أيضا أنّ نقد العقل الإسلامي الذي يدعُ إليه "أركون "لا يعني أبدا القيام بعمل سلبي أو تدميري كما لا يعني إطلاقا المس بالتجربة الروحية الكبرى للإسلام الحنيف، إنّما هو نقد التجسيد التاريخي و التطبيقي للمبادئ المثالية الروحية الأمر الذي يؤول إلى أنّ التركيبات الثيولوجية الإسلامية: من تفسير، فقه، حديث، علم الكلام،...إلخ) هي في حقيقتها من صنع البشر و بالتالي من حق الذات البشرية أن تخضعها للبحث و الدراسة التاريخية.؛ فدراسة "أركون"تحررنا من التصورات الضيقة والموروثة بصفتها حقائق لا تقبل النقاش، وتفتح المجال لتصور جديد عن الإسلام والتراث، وهذا ما يهدف إليه في نقده للعقل الإسلامي أي العمل على تجديد الفكر العربي الإسلامي كي يصبح أكثر قدرة على مواجهة المشاكل الاجتماعية الحالية .

و لقدألّح "محمد أركون" في غير واحد من مصادره إلى قضية يعتبرها من الأهمية بمكان ألا وهي ضرورة تغيير المناهج المتّبعة في دراسات الفكر الإسلامي وفي كلّ مجالات المعرفة التّي يبحث فيها العقل العربي، لأنّ العلم قد تطوّر و تقدّم ومن غير المنطقي أن نبقي على نفس المنهج الكلاسيكي الذي اعتمده الفكر منذ بداياته الأولى.

---

(١٦)– محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، تر: هاشم صالح، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩١م، من مقدمة المترجم هاشم صالح.

لذا أشار إلى مجموع المناهج الحديثة الواجب إتباعها، والتّي كانت منطلق دراساته أيضا أين وصل به الأمر إلى نتائج لم يسبق لأي كان قد وصل إليها من قبل، من هذه المناهج نذكر: المناهج التّي تعتمدها المدرسة التاريخية الجديدة والذي في مجمله هو منهج اكتشاف وإبداع، إتباع المنهج التفكيكي الذي يضفي إلى نتائج فريدة من نوعها، تجاوز الأدبيات الهرطقية والثيولوجية، سيما التنبه إلى أمر يعد بمثابة مشكلة المشاكل في كلّ لغة بشرية، خاصّة في الخطاب الديني باللّغة العربية ألا و هي مشكلة ما سمّاه -بمنظومة الدلالات الحافة أو المحيطة-le systeme de connotation-أو ما يصطلح عليه بعلم الألسنيات الذي يرى أنّه بات لزاما الإحاطة بعلم الألسنيات الحديث حتّى تتّم المناقشات الفعّالة والمثمرة التّي تخدم الفكر لا أن تحيد عن الطريق وتنعت الآخر بأقبح الأوصاف نتيجة الجهل والتعصب، فلا بدّ من التنبه إلى مشكلة المشاكل في كلّ لغة بشرية و خاصة في الخطاب الديني باللّغة العربية، فلا يحق لأحد، وخاصة إذا كان عالما راسخا في العلوم الدينية أن يتدخل في تعقيب أو مناقشة، فضلا عن أن يكفّر الآخرين، إذا لم يحط علما بما يقصده علماء الألسنيات المحدثون بمفهوم: منظومات الدلالات الحافة أو المحيطة أو الثانوية؛ و يحيل القارئ ليطلع على هذا العلم من خلال مصادر أجنبية(١٧).

يرى محمد أركون أنّ التراث الإسلامي و يقصد به –السنّة الأصيلة الخام-"لم تعالج قط مسائله ضمن إطار التحليل والفهم الأنتروبولوجي؛ صحيح أنّ أهمية تتبع الأحداث من حيث التسلسل التاريخي لدرس عملية تطورها و لتحديد السياق الذي انبثقت منها لها قيمتها، إلا أنّ الهدف الأساسي من البحث ينبغي أن يرتكز حول المنشأ التاريخي للوعي الإسلامي وتشكلّ بنيته المشتركة عبر عملية الخلق الجماعي للظاهرة المدروسة، سواء أكان ذلك قرآنا أم حديثا(١٨)، فيفصل في دراسته بين مرحلة النقل الشفهي وبين مرحلة كتابة المخطوط هذا الأخير الذي تعدد و لم يكن واحدا، وهذا بتعدد التراثات الاجتماعية والثقافية من سنّة، شيعة، خوارج،...إلخ)، هذا التمييز بين المرحلتين يتجاوب مع التحليل الأنتروبولوجي الذي يحلّل التنافس القائم بين العقل الشفهي والعقل الكتابي، لتدعم مجموعات كتب الحديث المصحف القرآني في عملية نشر الكتابة وبالتالي نشر الكتاب بصفة وسيلة للتمثيل الإيديولوجي، والهيمنة السياسية و الثقافية للشعوب والقبائل التي لا كتابة لها(١٩).

كما يرى أنّ "قضية مغامرات المعنى الحاصلة عن هذا التنافس العنيد لم يفكر فيها قط من قبل رجال الدين بل على العكس يسوغون ثيولوجيا وثقافيا ضرورة تصفية كلّ مقاومة لمجتمع الجاهلية تقف ضدّ توسع وانتشار "الحقيقة" المتضمنة في المصحف، هذه الحقيقة المشروحة في مجلّدات أخرى (ويقصد بها التفاسير ) بواسطة الأئمة المأذونين المفوضين لكن مأذونين من قبل من؟(٢٠).

(١٧)–يحيل أركون القارئ إلى –cathrinekerbrat- orecchioni : la connotation, presseuniversitaire de lyon.1977.

(١٨)– محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، ط٢، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٨.

(١٩)– محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، م س ، ص ٢٠.

(٢٠)– المرجع نفسه، ص، ٢١-٢٢.

و على هذا النهج الحداثي المزعوم سار محمد أركون وراح يواصل ممارسته الفكربة دون كلل أو ملل، معتبرا و متعجبا في نفس الوقت كيف لدراسات في مجال الحديث و علومه بقيت متشبته بالطرح القديم الكلاسيكي، ذلك أنّ هذه الدراسات -حسب رأيه لم تعد لتلقى الهدف المنشود منها الآن- "فإنّه لمن الغريب أن نلاحظ أن الفكر الإسلامي قد بقي حتّى اليوم يعيش على أفكار ابن حجر العسقلاني (مات عام ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) و أسلافه بخصوص موضوع الصحابة. هذا على الرغم من أن هؤلاء يحتلون موقعا مفتاحيا و أساسيا قيما يتعلق بنقل النصوص المؤسسة للإسلام ولكل تراثه، ولكننا نلاحظ أن تراجم "كتاب الرجال لابن حجر تصور لنا شخصيات مثالية ترتفع بالمخيال الإسلامي الشائع و تجيشه و تذكر (تقنّع، تحجب) في ذات الوقت الحقيقة التاريخية المتعلقة بكل شخصية من الشخصيات المترجم لها. لقد آن الأوان لكي نفتح هذه الأضبارة الشائكة على مصراعيها (كليّا). إننا لا نستطيع أن نكتفي بمفهوم "العدالة" الذي بلوره المحدّثون (أصحاب الحديث) وإنّما ينبغي إعادة تفحص كل "الإسنادات" ليس فقط عن طريق تطبيق المنهجية الوضعية للمؤرخ الحديث الذي لا يهتم إلا بالمعطيات و الأحداث التّي يمكن تحديدها بدقة و يرمي كل ما عداها في ساحة المزيج المعقد الغامض للخرافات و الأساطير الشعبية. وإنّما نريد على العكس أن نبين كيف أنّ العناصر الأسطورية الزائدة المضافة على سير الصحابة من أجل تشكيل شخصيات نموذجية مقدسّة كانت قد دعمت "حقيقة" المعلومات التأسيسية المكونة لكل التراث الإسلامي بشكل أقوى مما فعلته المعطيات والأحداث التاريخية الواقعية التّي حصلت بالفعل(٢١)؛ وبهذا يرى محمد أركون أنّ التاريخ الإسلامي، تاريخ مزور ملفق من وقائع حقيقية وخيالات لعبت دورًا في نسج أحداثه، أمّا الشخصيات فإنّ المخيال أو الأسطورة لعبت دورا كبيرا في نسج حياتهم التّي بدت مثالية بالنسبة لعالم البشر، ونتاج هذا الخيال هو الذي حجب حقيقة الصحابة وقنّع صورتهم الحقيقية، وأظهرهم في صورة العدول. الأمر الذي يراه زيادة على الحقيقة، هذا ما يبنغي كشفه وذلك بنبذ كلّ هذه الزيادات التّي أنتجها المخيال ليظهر الصحابة ثم أهل الحديث بعدهم بصورتهم الحقيقية التّي تلتق فيها فكرة العدالة التّي بلورها المحدثون بل ادعوها للصحابة.

أمّا عن السيرة فيراها محمد أركون عبارة عن مجموعة من الحكايات الشعبية و رواتها و كتابها قاموا بعملية تدليس و تمويه في التاريخ؛ أظهروا السيرة بمواقفها المتعددة في صورة درامية مؤثرة لتحرك العقلية الإسلامية و تنشطها إذ يدعو للتأمل لنتأمل، بادئ ذي بدء بخطاب السيرة (أي سيرة النبي بالحالة التّي وصلتنا عليها و كما كان قد شكلّها ابن اسحاق الذي عاش بين عامي (٨٥-١٥١هـ/٧٠١-٧٦٧م.).

كانت الخصائص الشكلية و اللّغوية لسيرة ابن إسحاق قد استخرجت من قبل، إنّه أي ابن إسحاقيتمرس ويختبئ وراء المشروعيات أو السيادات التّي تفوقه و تتجاوزه. ولهذا السبب فهو يستخدم العبارات التالية: زعموا، فيما ذكر لي، فيما بلغني... لقد وقع ابن إسحاق تحت ضغط و تأثير الحكايات

(٢١)–محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، م س، ص ص ٢٩٠-٢٩١.

الشعبية المنقولة عن طريق القصّاصين والوعاظ وحكايات الأولياء والصلحاء والإستشهادات الشعرية. كما أنّه أسهم في عملية التمويه والتعميه الموضوعية ضد الجاهلية التّي كان القرآن قد افتتحها. لقد موّهت الجاهلية أو قدّمت بشكل سلبي من أجل تبيان الحقيقة الساطعة للإسلام بشكل أفضل أنّه يلحُ عن طريق النوادر و الحكايات الملائمة على أهمية العلائم والقيم والرموز المشكلة للهوية الإسلامية الجديدة إنّه يشكل صورة رمزية ومثالية مقدسة عن طريق ذكر المعجزات والأعمال الخارقة وأشجار الأنساب والأوضاع الدرامية... إن هذه الصورة المثالية موجهة لملازمة المخيال الجماعي وتحريكه وتنشيطه أكثر مما هي موجهة لتركيب (أو كتابة) سيرة إنسان يدعوه غالبا برسول الله في حين أن القرآن قد ألحّ على البعد الإنساني البحث لشخصيته ولكن يمكننا أن نذهب بعيدًا أكثر في تحليل القصة أو السيرة عن طريق تبياننا لحقيقة أنها تكرر إنتاج أو توليد الممارسة المعروفة في علم الدلالات بالتلاعب –la manipulation–نقصد بالتلاعب هنا عمليات الإقناع و الكفاءة (أو المقدرة على الاختراع و الكينونة) والاستخدام (أي تحويل الأوضاع من حالة إلى أخرى) والإقرار أو التصديق (أي التوصل إلى العلمية التأويلية التّي أصبحت ممكنة عن طريق التلاعب بالحكاية السردية في مرحلتها الأولى البدائية؛ ثم يضيف قائلا إنّ "هذا التلاعب يتمثل في المرور من حالة الكلام الشفوي إلى حالة النص المكتوب، ثم أعلن شكه المطلق في القرآن وهو بصدد تشكيكه في السيرة فيقول مصورًا عملية التلاعب "لقد حصلت هذه الظاهرة في وقت مبكر جدا بالنسبة للقرآن"(٢٢).

و هكذا يواصل محمد أركون إسهاماته الفكرية وهو يطلب في كلّ مرّة بألاّ نسئ فهمه وبألاّ نسئ فهم مترجمه- هاشم صالح أيضاً- لأنهما وكما يقول قد "تعاونا تعاون الأخوين على البرّ و التقوى وكلمة الحق، وقد قصدا إحياء الاجتهاد في الفكر الإسلامي المعاصر"(٢٣)،لذا دعا أيضا مترجمه أن يكثر من الشروح والتعليق لتصل الفكرة الأركونية كما هي وليصل المغزى منها أيضا كما أراد له أن يكون. ويطلب أيضاً من قارئه أو حتّى من الذي يضع إسهاماته محك النظر و يعطي لنفسه حق الرد عليه أنّى يتسنى له ذلك إلاّ بعد أن يحيط بمختلف ما طرأ على العلوم الاجتماعية و الإنسانية، كما يحيط بعلم الألسنيات الحديث حتّى يفهمه فيكون له الحق بذلك في الرّد، أماّ أن تأتي الانتقادات والردود من كلّ صوب و هي جاهلة بالأسس التّي أقام عليه مشروعه هذا -فهذا عين الظلم- ولا غرابة أن ينظم كواحد لشهداء الفكر الذين كانوا ضحايا لمعتقدات دغمائية وجزّ بهم جانبا واتهموا وكفّروا وهم في حقيقة الأمر قد أتو بالحقيقة التّي يعجز الآخر عن فهمها بل يعجز حتّى أن يتدارك مستواها(٢٤).

**نتائج إسقاط عُدّة الفكر الحداثي على التراث الإسلامي:**

تتواصل الدراسات التي تلّح على ضرورة توظيف عدّة الفكر الحداثي في الفكر الإسلامي؛ غافلين عن أنّ هذا النهج الذي ارتضوه بديلا، نهج معوَجُ هزيل لا يليق أبدا بالبحث في تراثنا الإسلامي، بل مفارقة

(٢٢)–محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، م س، ص ص ٨٢-٨٥

(٢٣)–محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، م س، ص ص ١٠.

(٢٤)– المرجع نفسه، ص ٩ .

صارخة بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، ولا ندري كيف غاب هذا عن هؤلاء رغم أنّه بين وواضح جلي، و نشير إلى ذلك في مايلي:

❖ نقابل دعوة كل من يلّح بضرورة إسقاط ما أنتجه العقل الغربي من مناهج علمية وممارسات فكرية في تراثنا الإسلامي بقوله صلّى الله عليه و سلّم: "نظّر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها، فأداها كما سمعها"(٢٥)؛ و نفهم من هذا الحديث أنّ كلّ تلك الدعوة بتطبيق المناهج الحديثة: من منهج الألسنيات أو الأنثروبولوجيا وغيرها بهدف القراءة الجديدة للأحاديث النبوية الشريفة وبدعوة الكشف عن حقائقها، لهي دعوة باطلة؛ فهذه المناهج -مناهج الفكر الحداثي- غير صالحة تماما ونحن في غنى تام عنها، يكفي التمعن في: الحديث الشريف أعلاه و بالضبط في: أداها كما سمعها، يعني دون أي تغيير أو تلبيس.

❖ يعترف محمد أركون عن مساعي الحداثة وهذا منذ القرن السادس عشر الميلادي، على أنها سعت إلى تحقيق ما دعاه الباحث مارسيل غوشيه "بالخروج من الدين"(٢٦)، هذا الأخير الذي لم يتحقق سوى مع الدين المسيحي الذي استطاع أن يحتل الموقع التاريخي المتمثل في كونها "دين الخروج من الدين"، و بغض النظر عن ما أعقبه محمد أركون من نقد و تعقيب حول الفكرة، إلاّ أننا نرى أنّه إذا كان من مساعي الفكر الحداثي الخروج من الدين، -الدين المسيحي المحرّف- فمساعي أهل الحديث هي الدعوة الصريحة وبالحسنى إلى الاهتداء لمعالم الدين الحق وهو الدين الإسلامي.

❖ لم نجن من الفكر الحداثي سوى ثمار الشك و الطعن في أصول الفكر الإسلامي وفي مصادره، طعن في شخص الرسول صلّى الله عليه و سلّم وفي صحابته رضوان الله عليهم أجمعين وإيهام الآخر أنها شخصيات خرافية وهمية نتيجة لدراسات ذاتية خرجت من الموضوعية، ونحن نرى أنّ هؤلاء-رواد الفكر الحداثي- هم من كانوا موهومين مختلطين في فكرهم نتيجة لانبهارهم بالفكر الغربي و السعي لتتبع تعاليمه الفكرية.

❖ يدع محمد أركون من خلال اعتماده الفكر الحداثي إلى ضرورة إعادة تفحص كلّ الإسنادات لإظهار الحقيقة التي انحجبت وراء المخيال و الأسطورة الأمر الذي أدى إلى حدوث تلفيق وزور في التاريخ وآن الأوان أن ننزع الحجب وأنسجة الضلالات لنبدي التاريخ كما كان على صورته الحقيقية، ومنه إلى تاريخ آخر للفكر الإسلامي، وهنا نتساءل هل أدت دعوة انتهاج الفكر الحداثي إلى الطعن في تاريخ وتراث بأكمله، أتحول التاريخ العريق إلى تاريخ مزور منبوذ في سبيل الفكر الحداثي.

---

(٢٥)– حديث متواتر، مروي عن بضعة و عشرين صحابيا، نقلا عن أحمد بن محمد الدهلوي، تاريخ أهل الحديث، ص٢٢.

(٢٦)– محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر: هاشم صالح، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٣٧.

❖ إنّ الدعوة إلى إعادة النظر و التفحص في الإسنادات عامة و في ما أتى به ابن حجر العسقلاني خاصة هي دعوة لنبذ كلّ مؤلّفات الحديث الشريف، فماذا بقي بعد ذلك، أنشكك في ما أتى به ابن حجر العسقلاني وهو الذي اجتهد في مؤلفه" فتح الباري في شرح صحيح البخاري" وهو في خمسة عشر مجلّدا، و يعتبر أفضل شرح و أعم نفعا لصحيح البخاري والذي يعتبر ثان كتاب بعد كتاب الله تعالى، أين اجتهد هو الآخر -البخاري- و رأينا كيف تشدّد في تأليف لصحيحه وفي جمعه للأحاديث الصحيحة، فضلا عن ما كان من حرص شديد من الصحابة في رصد كلّ ما يصدر عنه صلّى الله عليه وسلّم فتأمّل قول عمر رضي الله عنه حين قالّ: "كنت أنا و جار لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ينزل يوما و أنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...إلى آخر الحديث(٢٧)؛ إنّاًنلمس من هذا كم كان حرص الصحابة رضوان الله عليهم في ترقب و حفظ كلّ ما يصدر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فكيف نأتي الآن و باسم الحداثة نعيد النظر والفحص في عمل هؤلاء، الذين نراهم قد كانوا أشدّ من حرص و تفحص دينه.

❖ إنّ أوّل ما نلحظ ونحن نتمعن في إلحاح رواد الحداثة -في الفكر الإسلامي، على ضرورة اعتماد المناهج العلمية الحديثة و توظيفها في الفكر الإسلامي –كتاب و سنة– يتبين أنّ هؤلاء وبطريق غير مباشر يلّحون على ضرورة تهميش ما وصلنا من فكر ومن حكم لما يزيد عن أربعة عشرة قرنا، ويصرون على طرحه جانبا وإعادة النظر فيه من جديد إنّها دعوة إلى الرمي بتاريخ وبحضارة كاملين عرفهما تاريخ الفكر الإنساني و شهد لهما بطرازفريد من نوعه.

❖ يُلّحُ محمد أركون على طرح الأفكار الكلاسيكية واستعاضتها بأفكار حداثية تخدم زمننا المعاصر و لا يكون هذا إلاّ بتطبيق مناهج البحث الحديثة في دراسة الفكر الإسلامي؛ وهنا يقع أركون في متاهات وتهافت منقطع النظير، إنّه ينادي بتطبيق المناهج الغربية وإسقاطها على الفكر الإسلامي لبلوغ حقائقه المعرفية، ألم يتساءل إن كانت فعلا هذه المناهج تجدي نفعا في الفكر الإسلامي أم لا؛ إذ ليس بالضرورة أن تكون النتائج واحدة عند تطبيقنا للمناهج الواحدة فممكن جدّا ما يكون صالحا في الفكر الغربي -و كلنا يعلم أنّ ديانته قد لاقت ما لاقت من التحريف و الاعتداء حتى أصبح كتابهم المقدس كتابا مدنس-؛ألّا يكون صالحا في فكرنا الإسلامي.

❖ يعتمد أركون المنهج الغربي الحديث في دراسته للفكر الإسلامي، ويستورد كلّ ما كان من نتاج العقل الغربي كنتاج مشال فوكو في أركيولوجيا المعرفة، ونظرية " الفعل التواصلي أو الفعالية التواصلية" في علم اللّغة لهابرماز، واعتماد البحث الذي قدّمه الباحث الأمريكي دفيدس بروز

(٢٧)– رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، حديث رقم ٣١، ج١، ص ٥٥، ط٤، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

في إعادة النظر في سور القرآن الكريم وأعمال بريستيد، و بييربورديو، وكلود لفيستروس وغيرهم ...إلخ) و يفرض رأيه في اعتبارها المناهج الصحيحة و السليمة لإرساء مشروع فكري إسلامي جديد ونكون بذلك قد اقتحمنا مجال اللاّ مفكر فيه وهنا نتساءل هل يبقى التراث الإسلامي لامفكرا فيه طالما لم يعتمد المناهج الغربية التي قال بها هؤلاء؟

❖ إنّ التراث الإسلامي الذي أسهمت فيه عقولا فذّة، كان يهدف إلى غاية وحيدة تتمثل في تبيان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهذا حتى لن يحيد الفرد المسلم عن الطريق الحق؛ ورغم هذا لم يسلم هذا الأخير من محاولات لتغيير صورته وإظهاره على غير حقيقته، لكن محاولات تأبى في كلّ مر׳ بالفشل لأنّ الله تعالى قد تعهد بحفظ الدين الإسلامي من كيد الكائدين، وهذا في قوله تعالى: {إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون}سورة الحجر: ٩.

❖ في نهاية المطاف يمكن أن نقول إنّ محمد أركون قد وصل بمنهجه هذا إلى حقائق نراها خطيرة، بل تضرب العقيدة الإسلامية في صميمها كيف وهو يحيل المقدس إلى لا مقدس بل إلى مدنس بإديولوجيات ومفاهيم ذاتية، ولو نتأمل الدراسة الأركونية جيّدا نراها أنّها تحوّل وبكلّ سهولة سكينة الإيمان إلى شكوك عارمة و تخلع عن الوحي صفاءه و نقائه، بل تحوّل المؤمن إلى مرتد يّظلّ الطريق.

**الخـاتمة:**

كانت دراستنا هذه غيض من فيض ممّا كان في جعبة المفارقة القائمة بين الفكر الحداثي ورجال أهل الحديث، دراسة قمنا بها و حسبنا أن تكون ممهدة لدراسات وأبحاث أخرى في الحقل المعرفي نفسهللخطاب الإسلامي، و يمكن أن نحصر أهم النتائج التي توصلنا إليها في مايلي:

- استشكل العقل الغربي الفكر الحداثي لضرورة ألحها وضعه المعرفي و الثقافي، كما ألحتها جميع الأوضاع المحيطة به من أوضاع: اقتصادية،اجتماعية، سياسية، فكرية...إلخ.
- ما إن تلفظ اللسان الغربي بمصطلح الحداثة، حتى هرعت العقول العربية و الإسلامية تجهد نفسها على قدم و ساق في إرساء تعاليم الفكر الحداثي –من عقلانية، وحرية وتحرر في التفكير، العلمانية، الشك المطلق في التراث، و إعادة فحصه من جديد، العمل على نقده أيضا حتى نبرز الحقائق المخفية منذ أزمنة غابرة و نخرجها للنور- كلّ هذا عملوا على الإشادة به والدعوة إلىإسقاطه في الفكر العربي الإسلامي خاصة على أصوله -القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة-.
- لم ينتبه رواد الفكر الحداثي، إلى أنّ ما أتى به الغرب من فكر يخدم مصالحهم هم وبالمقابل يهدم مصالح الفكر الإسلامي، فالإعادة في فحص الإسنادات وكتب الصحاح هي هدم صريح لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف وضرب العقيدة الإسلامية في صميمها.

- لم يكن هذا سوى نتيجة للزحف الفكري والاجترار الثقافي الذي امتازت به ثلّة من العقول العربية و الإسلامية نتيجة انبهارها بالآخر –الغربي– فإلى متى يستمر هذا الاجترار الفكري؟ وإلى متى يتتبع العقل العربي العقل الغربي في كلّ ما يقول به ويعمل لأجله؟



# المحور الرابع

## التحديات المعاصرة على أهل السنة والجماعة:

## دولاً وأقليات

# نحو منهجية لعلاج شبهات منكري السنة وآثارها: دولة ليبيا نموذجاً

**د. أسامة مصطفى التريكي**
الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية
ليبيا



**المقدمة**

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

حركة إنكار السنة النبوية -الأصل الثاني في الإسلام- حركة قديمة جديدة استعملت أساليب كثيرة وقام عليها عدة طوائف من غير المسلمين وممن ينتسبون للإسلام، ولكن -ولله الحمد- تصدى لها علماء السنة في جميع العصور وأزالوا شبهات منكري السنة وعالجوا آثارها على المجتمع.

ولكن ما يلاحظه الباحث في مجال الدفاع عن السنة هو عدم وضوح المنهجية في علاج شبهات منكري السنة بحيث يستطيع طلاب العلوم الشرعية في الجامعات والكليات السير عليها وتطويرها، كما أن الآثار الخطيرة المترتبة على هذه الشبهات من الشك في السنة النبوية ومصنفاتها والاستهزاء بالسنة وأهلها وظهور الطوائف المعادية للسنة تحتاج لمنهج واضح لعلاجها.

ومن خلال هذا البحث أسعى لإبراز ملامح منهجية لعلاج شبهات منكري السنة فقمت بتقسيم البحث لثلاث مباحث الأول للتعريف بمنكري السنة وشبهاتهم، والمبحث الثاني لكشف أساليب منكري السنة في نشر وتسويق شبهاتهم، والثالث في الأسس المنهجية في علاج تلك الشبهات.

## المبحث الأول

## منكرو السنة وشبهاتهم

### تعريف منكري السنّة:

هم طائفة (تتخذ من نصوص الأحاديث النبوية موقف الرفض، أقلّهم تشدداً يرفض بعضها، والغلاة منهم يرفضونها إجمالا وتفصيلا، وبين الفريقين درجات)[1]، ولا يعتمدون في رفضهم للأحاديث على قواعد علم الحديث المعروفة، بل يتبعون ما تمليه عليهم أهواءهم واتجاهاتهم الفكرية الخاصة.

---

[1] عادل محمد عبد العزيز الغرياني، **الجذور التاريخية لمنكري السنة وأماكن انتشارهم**، (مجلة قسم القرآن والسنة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ٢٠٠٥م)، العدد ٢، ص١٣٤.

**أنواع منكري السنة:**

يمكننا تقسيم الطاعنين في السنة من المعاصرين إلى ثلاثة أقسام رئيسة، وهناك من ذكر تقسيمات أخرى[٢]، وهذه الأقسام الثلاثة كالآتي:

١. المنكرون للسنة جملة وتفصيلا.

وعلى رأسهم من يسمون أنفسهم (القرآنيون)، ويضم إليهم في الطعن في السنة الطوائف المعادية للإسلام كله، وعلى رأسهم المستشرقون، والقاديانيون، والليبراليون، والشيوعيون وغيرهم، وممن تصدى للرد عليهم خادم حسين إلهي بخش في كتابه ***القرآنيون وشبهاتهم حول السنّة*** وغيره[٣].

٢. أصحاب الفكر الاعتزالي المقدِّس للعقل:

بعض من يوصف بأنه (مفكر) ينتمي لهذا التيار، وتناولهم بالرد كثير ممن ألف في الدفاع عن السنة النبوية[٤]، وهم يتفقون مع فرقة المعتزلة المنقرضة في أصلهم الفاسد في تقديم عقولهم وأفكارهم على النصوص الشرعية، بل كثير منهم يردّون الأحاديث بأدنى شبهة تطرأ على مخيلتهم، وقد استفادوا شبهاتهم حول الأحاديث من أسلافهم المعتزلة ومن كتابات المستشرقين، وزادوا من عقولهم ما لم يخطر ببال أسلافهم، وهم درجات متفاوتة في ردّهم للسنة.

٣. متعصبة المذاهب والأحزاب.

هؤلاء فقهاء ودعاة ضَعُف تمسّكهم بالسنّة، وفي سبيل نصر مذاهبهم أو آراء أحزابهم وزعمائهم قاموا بردّ أحاديث وسنن ثابتة بشبهات متهافتة، وقد ذكر لهم صاحب كتاب ***زوابع في وجه السنة*** عدة أمثلة لتحريف الأحاديث النبوية[٥]، ولكنّ كثيرا منهم لا يفعلون ذلك عن تأصيل وقواعد واضحة كالآخرين، وإن كانوا يستعينون بشبهات غيرهم أحيانا.

**شبهات منكري السنة:**

تعددت شبهات منكري السنة وتطورت بشكل كبير منذ ظهورها في زمن المعتزلة والرافضة ثم المستشرقين والآن على يد منكري السنة المعاصرين وتنقسم شبهات منكري السنة إلى قسمين رئيسين:

---

[٢] ينظر عادل الغرياني، **الجذور التاريخية لمنكري السنة وأماكن انتشارهم**، ص١٣٥

[٣] ينظر خادم حسين إلهي بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنّة**، (السعودية: مكتبة الصديق، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) وصلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السُنّة قديما وحديثا**، (الرياض: دار عالم الكتب)، ص٦٩-١٠١، وعادل الغرياني، **الجذور التاريخية لمنكري السنة وأماكن انتشارهم**، ص١٤٤-١٦٥

[٤] ينظر علي بن حسن الحلبي، **العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون**، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص٥١-٧٥ وصلاح الدين مقبول، **زوابع في وجه السنة**، ص١١١-٢٨٣ ومحمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم**، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٤٧٥-٤٨٢، وشفيق بن عبد الله شقير، **موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية على تفسير المنار**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

[٥] ينظر صلاح الدين مقبول، **زوابع في وجه السنة**، ص٢٩٧-٣٨٢

١- شبهات عامة: حول السنة بشكل عام وحجيتها وقواعدها وسأذكر في هذا البحث أهم هذه الشبهات باختصار.

٢- شبهات خاصة: حول مصنفات أو مصنفين في السنة أو أحاديث معينة، وأهم هذه المصنفات والأحاديث المتهجم عليها صحيح الإمام البخاري وأحاديثه وذلك لمنزلته العظيمة في مصنفات السنة، ولكن هذا القسم واسع جدا ولا يمكن حصره لأن الأحاديث والمصنفات كثيرة وكل من يطلع على حديث لا يتفق مع آرائه أو قناعته الشخصية قد يشكك فيه ويدّعي أن هذا الحديث لا يصح، ولهذا لن أذكر هذه الشبهات في هذا البحث المختصر ولكن سأستعين ببعض الأمثلة منها للتوضيح.

**أهم الشبهات العامة لمنكري السنة:**

من خلال دراسة كتابات منكري السنة بأنواعهم نجد أن أهم الشبه العامة التي يدورون حولها هي:

١- شبه حول تعريف السنة: زعموا أن السنة تختلف عن الحديث وأنها تعني سنة الله أو الطريقة وبعضهم قال أن أصلها من ( مشناة) اليهود[٦].

٢- شبه حول كتابة السنة: وزعموا أنها لم تكتب بسبب النهي النبوي عن كتابتها إلا في وقت متأخر، أوصله بعضهم إلى مائة وخمسين عاما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] وردّ العلماء بالتفصيل على هذه الشبه[٨].

٣- شبهات حول الوضع في الحديث: فزعموا أن الوضع والكذب غلب على السنة ورواتها بدليل العدد الهائل من الأحاديث وبسبب مسايرة الحكام وكثرة الطوائف وغيرها من الأسباب[٩]، وردود العلماء مفصلة حول هذه الشبه[١٠].

٤- شبهة الاكتفاء بالقرآن العظيم وعدم الحاجة للسنة، وقد رد عليها كثير من العلماء[١١].

---

[٦] ينظر عماد السيد الشربيني، **السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والردّ عليها**، (المنصورة: دار اليقين، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج١ص ٢٣-٣٠ و٥٠-٣٥.

[٧] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٧، ومحمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ج١ ص٧٢.

[٨] ينظر عماد السيد الشربيني، **السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والردّ عليها**، ج١ص٣٤٦-٣٧٠، والمعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص٣٨-٧٣ و عبد الرزاق حمزة، **ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية**، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٨هـ) ص٢٤-٥٤.

[٩] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٨-٩، والصديق بشير نصر، **ضوابط الرواية عند المحدّثين**، ليبيا:كلية الدعوة الإسلامية، **ط١**، ١٩٩٢م، ص٣٤٠-٣٤٢.

[١٠] محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢ ص٥٩٥، وعماد الشربيني، **السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والردّ عليها**، ج١ص٣٩٥-٤٣٩.

[١١] ينظر خادم حسين، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص٢١٠-٢١٣، وعماد الشربيني، **السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والردّ عليها**، ج١ص١٩٠-٢٠٢.

هذه باختصار أشهر الشبه التي يذكرها منكرو السنة، ويوجد غيرها، وليس المراد من هذا البحث حصرها وإنما ذكر بعضها على سبيل التوضيح.

**إنكار السنة في ليبيا خلال حقبة القذافي:**

تُعدُّ دولة ليبيا من أكثر الدول المسلمة التي عانت من شبهات إنكار السنة؛ بسبب تبني الحاكم السابق لليبيا معمر القذافي[١٢] لفكرة إنكار السنة وأنها ليست من الإسلام[١٣] وطبعه لأشهر كتبهم وهو كتاب ***البيان بالقرآن***[١٤] لمصطفى كمال المهدوي[١٥] وغيره من الكتب[١٦]، ولإلغائه قسم الأحاديث النبوية من مناهج التربية الإسلامية في المدارس الليبية، وادعائه النبوة[١٧]، ومنعه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٨]، ووصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ساعي بريد لا يُقتدى به[١٩]، وتسميته لأتباع السنة بالزنادقة[٢٠]! وغيرها من محاولات الطعن في السنة وأهلها.

وكل هذا ترك آثارا على المجتمع والأفراد توجب على العلماء والدعاة والأكاديميين وضع منهجية للإصلاح وإعادة الهيبة للسنة النبوية ومصنفاتها ورواتها، وتأسيس جيل يحب السنة النبوية كما يحب صاحبها صلى الله عليه وسلم ويدافع عنها ويرفع رايتها عالية خفاقة فوق جبل من الإيمان واليقين بنصر الله سبحانه وتعالى.

## المبحث الثاني

## أساليب منكري السنة في تسويق شبههم

يُعدُّ الإلمام بأساليب نشر شبه منكري السنة السابقة وتسويقها بين المسلمين أساسا لوضع منهجية لعلاج هذه الشبه والقضاء عليها، ومن خلال تتبع كتابات منكري السنة والردود عليها نجد أنهم

---

[١٢] معمر القذافي ولد عام ١٩٤٢م وهو ضابط في الجيش الليبي استولى على الحكم في ليبيا إثر انقلاب عسكري سنة ١٩٦٩م، على الملك إدريس السنوسي واستمر في الحكم إلى أن تمت الإطاحة به في ثورة شعبية عارمة وقتل في ٢٠/١٠/٢٠١١م.

[١٣] في أشهر كتبه **الكتاب الأخضر** يقول القذافي أن: (القرآن شريعة المجتمع) دون أن يضيف إليه السنة النبوية بل يصرح في خطاباته بالاستهزاء والتشكيك بها وينشر ذلك في المدارس والجامعات الليبية.

[١٤] طبع هذا الكتاب في جزأين بـ ٨٥٣ صفحة من قبل مطبعة ليبية حكومية وهي الدر الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان - مصراته سنة ١٩٩٠م بالاشتراك مع دار الآفاق المغربية – الدار البيضاء.

[١٥] مستشار ليبي معاصر ينكر حجية السنة ، ويدّعي البعض أن له دورا كبيرا في زرع فكرة إنكار السنة لدى القذافي.

[١٦] ذكر أحمد منصور المصري - وهو من منكري السنة (القرآنيين) في موقعه أهل القرآن أن القذافي طبع له بعض الكتب تحت اسم مستعار.

[١٧] حيث سألته صحفية بقولها : يا رسول الله ، أكنت راعي غنم؟ فأجابها القذافي: بلى، فلم يكن هناك نبي لم يفعل ذلك . ميريلا بيانكو، **القذافي رسول الصحراء**، دار الشورى بيروت، ١٩٧٣م.

[١٨] أخبرنا بذلك والدي الشيخ مصطفى التريكي – رحمه الله – أن القذافي جعل من ضمن الشروط ليسمح لوالدي بإلقاء الدروس مرة أخرى في التلفاز وغيره أن يترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن القذافي كان يستنكر في خطاباته أن يصلي المسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يُذكر بينما لا يقولون شيئا عندما يذكر الله أمامهم!

[١٩] يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا بالقرآن الكريم فهو كساعي البريد لا يصح أن نقتدي به في أفعاله وأقواله.

[٢٠] وهذا يشمل عند القذافي وأعوانه كل من تمسك بالسنة النبوية سواء كان من الجماعات المتطرفة أو غيرهم.

يستخدمون عدة أساليب للوصول لغايتهم السيئة، ولكل أسلوب من هذه الأساليب أمثلة من كتبهم هم أنفسهم ولكن وجدتُ أن ذكر الأمثلة بالتفصيل والردود عليها سيطيل البحث جدا فحاولت الاختصار ما استطعت لذلك سبيلا:

1. **الخيانة العلمية:**

من أهم شروط البحث العلمي توفر الأمانة العلمية لدى الباحث، والأمانة العلمية هي (التزام نقل النصوص كما هي من مصادرها بدون زيادة أو نقصان أو تحريف أو تبديل في نصوصها أو معانيها، والتجرُّد في فهمها وتوثيقها بنسبتها إلى أصحابها)[21]، وتُعَدُّ الخيانة العلمية من أسوأ أساليب منكري السنة، وللخيانة العلمية عند منكري السنة صور كثيرة منها:

- **تحريف وبتر النصوص:** كتحريف لفظ الحديث النبوي، مثل ما فعل صحفي يدعى إسلام البحيري في معرض طعنه في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة وعمرها تسع سنوات[22]، أو تحريف معنى الحديث، كتحريف جمال البنا[23] لمعنى حديث {قَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطِيبًا فَأَشَارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ فَقَالَ: **هُنَا الْفِتْنَةُ** - ثَلاثًا - **مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**}[24]، ومن التحريف كذلك تحريفهم لكلام أهل العلم، ومن أوضحها ما قام به جمال البنا[25] من تحريف بشع لكلام الإمام ابن تيمية حول صحيح البخاري[26].

- **بَتْر النصوص:** ومن أفظع أمثلتها ذكر جمال البنا للنفي وبتره للاستثناء في قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: ٢٦، ٢٧] مستدلا بذلك على إنكار معرفة الرسل والأنبياء بالغيب مطلقا وعلى تكذيب كل الأحاديث النبوية عن الغيب في

---

[21] يوسف المرعشلي، **أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات**، (بيروت: دار المعرفة، ط1، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٧٧.

[22] ينظر مقال (زواج النبي صلى الله عليه وسلم من عائشة وهي بنت ٩ سنين كذبة كبيرة في كتب الحديث) وهي عبارة عن مقال لصحفي يدُعى إسلام البحيري منشور في جريدة "اليوم السابع" الإلكترونية في ٢٠٠٨/٧/١٥ ونقله كاملا جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٧٩. والمقال منشور على موقع جريدة "اليوم السابع" الإلكترونية على هذا الرابط:
http://www.youm7.com/News.asp?NewsID=35802&SecID=125&IssueID=24

[23] جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص١١٨الهامش.

[24] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فرض الخمس ح(٣١٠٤).

[25] هو جمال بن أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي المصري، ولد سنة ١٩٢٠م في المحمودية بمحافظة البحيرة بمصر[25]، توفي هذه السنة ٢٠١٣ ولم يُعرف عنه أنه درَس العلوم الشرعية، بل حصل على شهادة التجارة المتوسطة، ومن آرائه المنحرفة: أن المرأة أحق بالإمامة من الرجال إذا كانت أعلم بالقرآن كما يرى أن الحجاب ليس فرضا على المرأة وأن القرآن الكريم خص به نساء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الارتداد من الإسلام إلى اليهودية أو المسيحية لا يلزم عليه حد القتل وله مؤلفات كثيرة حول الإسلام وحول العمل النقابي.

ينظر في التعريف به موقع الموسوعة الحرة (ويكبيديا) وحول آرائه موقع العربية نت: بتاريخ ٠٩/٣/ ٢٠٠٦م بعنوان: جمال البنا: فصل الجنسين عملية وحشية وإمامة المرأة جائزة والحجاب غير شرعي والزواج صحيح دون شهود وولي
http://www.alarabiya.net/articles/2006/03/09/21816.html

[26] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٢٢-٢٣ وقارنه بكلام ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ج١٨ص١٧-١٩.

صحيح البخاري وغيره[٢٧]. ومنها ما قام به "أبو رية" من بتر وتحريف لكلام السيد رشيد رضا[٢٨]، كما وضحه الشيخ السباعي[٢٩].

- **الكذب في قضايا علمية** : ومن أمثلة الكذب الصريح ما قاله متولي إبراهيم[٣٠] من نفي تصريحَ الإمام الزهري بالسماع في أربعين طريقا[٣١] لحديث: {**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ**}[٣٢]

- **نسبة النقل لغير صاحبه:** من أمثلته ما فعلته الصحفية العلمانية خديجة البيطار[٣٣] من نسبة حديث مطعون فيه للبخاري كذبا وزورا[٣٤]

٢. **الاستدلال بمصادر غير موثوقة مع طعنهم في المصادر الموثوقة:**

مما يظهر تناقض منكري السنة وتخبطهم الواضح احتجاجهم بمصادر غير موثوقة مع طعنهم في المصادر الموثوقة ، وتمثلت ذلك في الآتي:

- **الاستدلال بالأحاديث والآثار الموضوعة والضعيفة:** فتجدهم يقيمون حرباً شعواء على الأحاديث الصحيحة، ويشككون فيها لأبسط شبهة تخطر على عقولهم، وفي ذات الوقت لا يستحون من الاستدلال بأحاديث موضوعة أو ضعيفة، ومن أمثلة ذلك: طعن جمال البنا في حديث البخاري {**لا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الذُّلَّ**}[٣٥]، معتمدا على حديث: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قَبّل اليد الذي مجلتها المسحاة[٣٦] وهو حديث باطل موضوع، كما

---

[٢٧] جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٨٧، **والسنة ودورها في الفقه الجديد**، ص٢٥٠.

[٢٨] محمود "أبو رية"، **أضواء على السنة المحمدية**، ص١٩٢

[٢٩] مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٣٦٥.

[٣٠] ذكرت بعض المواقع أن متولي إبراهيم، حاصل على درجتي الليسانس في اللغة العربية والشريعة من جامعة الأزهر، وتم اعتقاله بسبب ما في كتاباته من إنكار المعلوم من الدين بالضرورة كآرائه حول حكم الردة في الإسلام وجواز زواج المسلمة من الكتابي، وأن له كتابا بعنوان **بطلان عقيدة الإكراه في الدين** صدر في ٢٠٠٣م، وهو كتاب أوصت إدارة البحوث في الأزهر التابعة لمجمع البحوث الإسلامية بمصادرته في ٢٠٠٤/٨/١٨ لمخالفته للشريعة الإسلامية.

ينظر موقع المبادرة المصرية للحقوق الشخصية http://eipr.org/pressrelease/2006/04/23/95 وتقرير الحرية الدينية الدولي لعام ٢٠٠٧ بموقع السفارة الأمريكية في القاهرة على الشبكة العالمية : http://cairo.usembassy.gov/pa/ar_rfr07.htm

[٣١] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٧١.

[٣٢] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة ح(١٣٩٩وفيه تصريح الزهري بالسماع وينظر تفصيل طرق الحديث عند المزي، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق عبد الصمد شرف الدين**، بيروت: المكتب الإسلامي، **ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م**، ج٨ ص١٢١-١٢٣.

[٣٣] خديجة البيطار، **البخاري كان بينه وبين الحق حجاب**، مقال في جريدة الأحداث المغربية، ٢٣ /٢٠٠٢/٣م، نقلا من الحسن العلمي، **الغارة على السنة النبوية**، (مصر: مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص٤٧.

[٣٤] البخاري، **صحيح البخاري**،كتاب الفتن، ح(٧١١٧).

[٣٥] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحرث والمزارعة، ح(٢٣٢١).

[٣٦] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٣١٧.

قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي [٣٧]. وذكر العلامة المعلمي أكثر من ثمانية مواضع احتج فيها "أبو رية" بأحاديث موضوعة مكذوبة[٣٨].

- **الاستدلال بكتب وكُتّاب غير موثوقين**.: رغم أن منكري السنة يطعنون في أصح كتب الحديث النبوي وأشهرها فإنهم لا يتحرجون من الاستدلال بكتب القصاصين والكذابين والماجنين بل والكتب المكذوبة؛ لموافقتها لأهوائهم، وعلى رأس هؤلاء اليهودي جولد تسيهر الذي اعتمد في أحد كتبه ضد السنة على أكثر من ٢٠ كتاباً ليست من كتب الحديث وأغلب قصصها ورواياتها عن مجاهيل وكذابين ودون أسانيد[٣٩]، ومن ذلك أيضا استدلال إسماعيل الكردي[٤٠] بكتاب *نهج البلاغة*[٤١] مع طعنه في الصحيحين، ومن ذلك أيضا إحالة أبي رية إلى كلام جولد تسيهر اليهودي وغيره من المستشرقين للطعن في الإسلام[٤٢]، وفي نفس الكتاب يطعن أبورية - دون دليل - في كعب الأحبار التابعي الثقة[٤٣] بقوله: (اليهودي الذي أظهر إسلامه خداعاً وطوى قلبه على يهوديته)[٤٤].

٣. **المبالغة والتهويل:**

يعتمد منكرو السنة كثيراً على أسلوب المبالغة والتهويل لقلة ما يجدونه من نصوص وشبهات تخدم فكرهم المنحرف، فإذا ظفروا بنص أو قصة قاموا بتضخيمها وبنوا عليها نظريات وخيالات لينسفوا بها النصوص الصحيحة والقواعد التي أسسها العلماء على عشرات النصوص، ومن صور مبالغاتهم:

---

[٣٧] لفظ الحديث: عن أنس بن مالك قال: {أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك فاستقبله سعد بن معاذ الأنصاري، فصافحه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: **ما هذا الذي أكنبت يداك**؟ فقال: يا رسول الله اضرب بالمر والمسحاة في نفقة عيالي، قال: فقبّل النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: **هذه يد لا تمسها النار أبدا**} رواه الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج٨ ص٣١٨ وعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أبو الفرج، **الموضوعات**، تحقيق عبد الرحمن عثمان، (المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ج٢ ص٢٥١.

[٣٨] المعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص٣٠٣، الفهرس.

[٣٩] ينظر الصديق نصر، **ضوابط الرواية عند المحدّثين**، ص٣٠٦-٣٠٧.

[٤٠] إسماعيل الكردي كاتب سوري معاصر متخصص في اللغة العربية وصاحب دار الأوائل ومديرها العام التي ينشر بها كتبه وما وافق أفكاره، ينظر خالد بن منصور الدريس، **نقد الأسس النظرية لشبهة محاكمة الأحاديث النبوية بعرضها على العلم المادي**، بحث منشور في كتاب الوقائع لندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، (الشارقة:كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ص ١١٢٣.

[٤١] إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين، دمشق: دار الأوائل، **ط١، ٢٠٠٢م**، ص٣٣٤، ولبيان بطلان نسبة كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينظر كلام الإمام الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق على البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ج٣،ص١٢٤، و **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٤هـ/١٩٩٦م، ج١٧،ص٥٨٩.

[٤٢] محمود "أبو رية"، **أضواء على السنة المحمدية**، ص١٦٤، وينظر المعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص١٤١و ١٧٧.

[٤٣] ينظر ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، أبو الفضل، شهاب الدين، **تقريب التهذيب**، (تحقيق محمد عوّامة، حلب: دار الرشيد، ط٤، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٤٦١.

[٤٤] محمود "أبو رية"، **أضواء على السنة المحمدية**، ص١٨٠ وينظر المعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص١٧٧.

- **المبالغة في تضخيم الأخطاء وإغفال الصواب:** إن وجود الأخطاء والنقص أمر لا ينكره أحد بل هو من طبيعة البشر، ولكن منكري السنة يضخمون الأخطاء ويتغافلون عن الصواب لينالوا مآربهم في التشكيك في السنة النبوية، ومن أمثلة ذلك: ذكرهم للأحاديث التي انتقدها المحدثون وغيرهم في صحيح البخاري وتكرار الكلام عليها وجمع أي نقد بحق أو باطل للتهويل، كفعل إسماعيل الكردي وجمال البنا[٤٥]، حتى يصوروا أن الأحاديث المنتقدة كثيرة جداً وأن هناك شكّاً عاماً بين العلماء في صحيح البخاري، والأمر بعكس ذلك، بل معظم العلماء الذين انتقدوا أحاديث في البخاري هم ممن يشهدون للبخاري بحيازة قصب السبق في الحديث ويعترفون بأن كتابه أصح الكتب، كما أن الأحاديث المنتقدة نسبتها صغيرة جداً بجانب أحاديث صحيح البخاري التي أجمع العلماء على صحتها فإذا نظرنا للأسانيد المنتقدة في صحيح البخاري فهي كما ذكر أحد أكثر العلماء اختصاصا بالصحيح وهو الحافظ ابن حجر أنها أقل من ثمانين حديثا[٤٦] وأحاديث البخاري سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة تسعون حديثا بالمكرر كما حرره ابن حجر[٤٧]، أي ما يقرب من ١% من أسانيد البخاري وأكثر هذه الانتقادات غير مؤثرة على صحة متون الأحاديث بل المتون المنتقدة في صحيح البخاري أقل بكثير من ذلك، ومتون البخاري عددها ٢٦٠٢ حديثاً بغير المكرر حسب تحرير ابن حجر[٤٨]، ومعظم الانتقادات إن لم تكن كلها غير مسلّمة لأصحابها.

- **المبالغة في ذم مخالفهم:** نجد منكري السنة يبالغون في ذم من خالف أفكارهم المنحرفة ولو كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان لدى أعداء السنة حجة ودليل لما احتاجوا لاستخدام هذا الأسلوب البذيء في عرض القضايا العلمية، ومن أوضح الأمثلة على هذا الأسلوب: ما كتبته الصحفية خديجة البيطار في ذم ولعن الإمام البخاري في إحدى الصحف العلمانية المغربية ثم في كتاب أصدرته[٤٩] ومن ذلك أيضاً طعون عدو السنة أبي رية في الصحابي الجليل أبى هريرة ورواياته في الصحيحين وغيرهما، فبلغ به التهجم والسب لهذا الصحابي درجة لم يبلغها كل من طعن في هذا الصحابي قبله حتى من الرافضة والمستشرقين[٥٠].

---

[٤٥] إسماعيل الكردي، **نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث**، ص٤٧-٤٩، وجمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص١٦-٣١.

[٤٦] ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،(راجعه قصي محب الدين الخطيب، القاهرة: دار الريان، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٤.

[٤٧] ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري**، ص٤٩٢.

[٤٨] ابن حجر العسقلاني، **هدي الساري**، ص٥٠١.

[٤٩] ينظر الحسن العلمي، **الغارة على السنة النبوية**، ص١٥-٨٠، والمكي اقلاينة، **التطاول على صحيح البخاري في العصر الحاضر**، دراسة نقدية لكتاب "في نقد البخاري..". بحث منشور في كتاب الوقائع لندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم ، الشارقة:كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ج٢ ص٩٦٨-٩٨١.

[٥٠] ينظر مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها**، ص٣٢٠، بل ألّف أبو رية كتاباً كاملاً في سبّ الصحابي الجليل أبى هريرة رضي الله عنه والطعن عليه وهو كتابُ كذبٍ وافتراء سماه - استهزاء - **شيخُ المَضِيرة أبو هريرة**.

٤. **البعد عن الموضوعية وعن الإنصاف في النقد:**

(الموضوعية والتجرّد والبعد عن الهوى والميل والتعصب والتحيّز والمبالغات من أهم شروط الباحث)[٥١] ولطالما تباكى منكرو السنة على الموضوعية والتجرد واتهموا غيرهم بانعدام الموضوعية وبالانحياز، وغالباً ما يقصدون بالموضوعية والتجرد أن يتجرد المسلم من إيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتسليمه لأوامر الشرع الإلهي، وأن يتعامل بطريقة الملحدين المكذبين للرسل مع نصوص الكتاب والسنة، وهذه الموضوعية المزعومة إلى جانب أنها كفر ومخالفة لفطرة البشر فكذلك هي بعيدة عن الموضوعية؛ لأن الملحد أو المادي أو المشكك في الإسلام- كما يظهر من كتاباتهم - هو إنسان تسيطر عليه عقيدة الجحود والتكذيب والإنكار وعبادة الهوى، وكل اختياراته وتعاملاته مع النصوص الشرعية من خلال هذه العقيدة، فهو ليس موضوعياً أو محايداً يبحث عن الحق كما يزعم، بل هو يحاول أن يطعن في كل ما جاء من ربه وخالقه ويَرُدّ ويشكك في نصوص الكتاب والسنة، وتتفاوت درجات منكري السنة المعاصرين في التعامل بهذا الأسلوب، وتتمثل أشكال البعد عن الموضوعية والإنصاف في الآتي:

- **الطعن في النيات والمقاصد دون دليل:** مما وَرِثه منكرو السنة من أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم الطعن في النيات وسوء الظن بعلماء المسلمين، فقد دأب المستشرقون على رأسهم جولد تسهير في بحوثهم على (سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده، [و]سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم)[٥٢]، ولهذا نجد منكري السنة المعاصرين يتهمون البخاري وغيره من العلماء الذين نصروا الإسلام في الدنيا كلها بتهم عظيمة بمجرد شبهات أو حتى دون شبهات أصلا، ومن ذلك: تصريح بعض أعداء السنة (بأن البخاري فارسي، ووضع الأحاديث لهدم الإسلام انتقاماً لقضاء الإسلام على الإمبراطورية الفارسية)[٥٣]، ومن ذلك اتهام منكري السنة لعلماء الحديث بوضع الأحاديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أي دليل[٥٤]، وهذه من كبائر الافتراءات على المحدّثين التي أخذوها من المستشرقين أمثال كولسون وكارل بروكلمان وشيخهم جولد تسيهر[٥٥]، وهو ما يُعرف عند المستشرقين بنظرية التطور الديني، وهى من خزعبلاتهم، حيث قلَبوا الحقائق وزعموا أن

---

[٥١] يوسف المرعشلي، **أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات**، ص٧٦.

[٥٢] مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها**، ص١٨٨.

[٥٣] عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، **دفع الشبهات عن السنة والرسول**، (مصر: مكتبة الإيمان، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٢٥٥.

[٥٤] ينظر جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص١٠.

[٥٥] ينظر الخير آبادي، محمد أبو الليث، شمس الدين، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ص٦٤-٦٥.

الأحاديث النبوية تم وضعها وفقا للآراء الفقهية بدل أن يأخذ العلماء آراءهم الفقهية من الأحاديث كما هو ثابت عنهم، ولم يأت هؤلاء المفترون بدليل واحد صحيح على هذا[٥٦].

- **سطحية النقد**: إن الكثير من انتقادات منكري السنة تتصف بالسطحية وانعدام العمق والبحث العلمي الجاد، ولشدة هذه السطحية وظهورها في طرحهم للقضايا يترجح أن غالبها متعمد، فهم يعرفون جيداً أن التعمق في بحث ودراسة المسائل من جوانبها كلها سيؤدي في النهاية لفضح باطلهم وبيان فساد دعوتهم، وقد وقفتُ على أمثلة كثيرة لهذه السطحية، ومن ذلك: توجيههم الطعن في الإمام البخاري ونيته لمجرد روايته أحاديث باطلة في نظرهم وفي ذات الوقت لا يتطرقون لعشرات الأئمة قبل البخاري وفي عصره وبعد عصره الذين رووا نفس تلك الأحاديث بأسانيد مماثلة أو مختلفة، مما يثبت أن الإمام البخاري لم يخترع تلك الأحاديث أو ينفرد بها عن علماء الأمة، وهذا الأسلوب الماكر نفسه استخدمه أبو رية في طعنه في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، فمعظم أحاديث أبي هريرة رواها صحابة آخرون عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أثبت ذلك الشيخ محمد ضياء الرحمن الأعظمي في دراسة له[٥٧]، ومن بُعدهم عن الموضوعية أيضا أنهم يضعفون أحاديث صحيحة بحجة أنهم لم يجدوا عبق النبوة يفوح منها[٥٨]، أو أنهم لم يشعروا بأريحية واهتزاز عند سماعها[٥٩].

- **الكيل بمكيالين**: استخدم منكرو السنة أسلوب الكيل بمكيالين في كثير من طعونهم ودعاويهم، فهم يمنعون أمراً ما ويطعنون فيه ثم في موضع آخر يعملون به إذا كان في صالحهم، وفي الأغلب تكون المواضع متباعدة حتى لا يُكتشف تناقضهم واضطرابهم، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب: إنكار جمال البنا لوجود الحديث المتواتر[٦٠] مع ادعائه تواتر روايات النهي عن كتابه الحديث[٦١] لموافقتها لهواه رغم أن معظمها لا يثبت[٦٢].

- **التحاكم للمفاهيم الغربية في الحكم على السنة**: من الأساليب التي يخالف بها منكرو السنة الموضوعية والإنصاف أنهم يحكمون على الأحاديث النبوية بناء على معاييرهم الشخصية التابعة للعقلية الغربية المعاصرة الكافرة أصلا بدين الإسلام، وذلك لأن منكري السنة

---

[٥٦] ينظر فتح البيانوني، **مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث**، بحث منشور في كتاب الوقائع لندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، (الشارقة:كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ج٢ ص٨٩٤، وأبو الليث، **اتجاهات في دراسات السنة: قديمها وحديثها**، ص٥٨-٦٥ وص٨٢-٨٣.

[٥٧] محمد ضياء الرحمن الأعظمي، **الصحابي الجليل أبو هريرة في ضوء مروياته**، (المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨هـ) ص٦٨.

[٥٨] جمال البنا، **تجريد البخاري ومسلم**، ص٨

[٥٩] المعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص ١٦

[٦٠] جمال البنا، **السنة ودورها في الفقه الجديد**، ص١٥٨.

[٦١] جمال البنا، **السنة ودورها في الفقه الجديد**، ص١٦-١٨

[٦٢] نعمان جغيم، نموذج من الدراسات المعاصرة المنحرفة حول السنة: "السنة ودورها في الفقه الجديد"، بحث منشور في كتاب الوقائع لندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم ، الشارقة:كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١١٤٤-١١٤٥.

يُقَدِّسون كل ما يأتي من الغربيين بسبب فتنتهم بالتطور المادي الذي بلغه الغربيون، وهذا قد غرّ كثيرا من المسلمين، ولكن منكري السنة وصل بهم الأمر إلى الطعن في دينهم ومبادئهم إذا خالفت المفاهيم الغربية، وكل من درس طعونهم في السنة النبوية رأى بوضوح سيطرة التقليد الأعمى للمستشرقين على منكري السنة، فكيف يحاكمون الوحي المعصوم إلى عقلية متقلبة تتغير حسب الحاجة التي تفرضها الشهوات والشبهات؟، ومن الأمثلة الواضحة في تحاكم منكري السنة للمفاهيم الغربية: استبعاد أحد منكري السنة المعاصرين (حديثَ {**إِنَّا وَاللَّهِ لا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ أو حَرَصَ عَلَيْهِ**}[٦٣] لمنافاته لممارسات الديمقراطية التي تقوم على ترشيح بعض الناس لأنفسهم ليكونوا نواباً)[٦٤]، والأسوأ من ذلك أن زميله جمال البنا رَدَّ على طعنه في الحديث وقبِله بنفس الفلسفة ولأنه يوافق بعض النظم الانتخابية الحديثة[٦٥]، فالبنا وصاحبه يعتمدون في إثبات أو نفي الحديث النبوي على آخر ما وصلهم من الغربيين، ومن الأمثلة أيضا طعن بعض منكري السنة في كثير من الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالأمور المادية بحجة أنها تخالف النظريات والاكتشافات العلمية الغربية، ومن ذلك طعنهم في حديث {**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً**} [٦٦]، وحديث {**الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ**}[٦٧] وغيرها، وقد رد عليهم كثير من المتخصصين[٦٨].

- **التظاهر بالدفاع عن القرآن الكريم مع التمهيد للطعن فيه**: من أساليب منكري السنة أنهم يطعنون في السنة النبوية بدعوى التمسك بالقرآن الكريم والدفاع عنه ضد الأحاديث التي تخالف آياته، والحقيقة أن تلك الأحاديث الصحيحة لا تخالف آيات القرآن ولكن تخالف فهمهم السقيم لآيات القرآن الكريم، والمتعمق في دراسة شبهات منكري السنة سيصل إلى نتيجة خطيرة مفادها أن الكثير من منكري السنة يمهّدون - وقد يشيرون أحياناً - للطعن في القرآن العظيم نفسه، ولعل كثيراً من هؤلاء المنكرين لا يصرح بالطعن في القرآن الكريم خوفاً من انفضاح كفرهم أمام المسلمين ونفورهم عنهم وهذا سيؤدي لفشل منكري السنة في تحقيق أهدافهم من إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكم في عقيدتهم ليتم القضاء على الأمة الإسلامية التي يخشى الكفار بكل طوائفهم رجوعها لدينها ومجدها السابق، ومن الأمثلة التي ذكرها العلماء بخصوص هذا الأمر الخطير: أن أبا رية أحال إلى كتب اليهود والنصارى التي تطعن في القرآن والسنة معا، فقال: (ومن شاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي فليرجع إلى التفسير والحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال

---

[٦٣] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، ح(٧١٤٩) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة، ح(٤٦٩٤).

[٦٤] جمال البنا، **السنة ودورها في الفقه الجديد**، ص٢٤٢.

[٦٥] جمال البنا، **السنة ودورها في الفقه الجديد**، ص٢٤٣.

[٦٦] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الخلق، ح(٣٣٢٠).

[٦٧] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الطب، ح(٥٦٨٧) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، ح(٥٧٢٨).

[٦٨] ينظر خالد الدريس، **نقد الأسس النظرية لشبهة محاكمة الأحاديث النبوية بعرضها على العلم المادي**، ص١١٣٤.

جلد تسيهر وفون كريمر وغيرهما)[٦٩]، وعلّق المعلمي على هذه العبارة الخطيرة بقوله: (قوله "في الدين الإسلامي" لها مغزاها، فأبو رية - كما تعطيه هذه الكلمة والله أعلم - يرى في القرآن نحو ما جهر به في الحديث، وتقديمه لجولد زيهز اليهودي يؤيد ما قدمته ..، وكُتُب جلد زيهر في الطعن في الإسلام والقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم معروفة، وقد أحالك أبو رية عليها، والله المستعان)[٧٠].

## المبحث الثالث

## معالم منهجية لعلاج شبهات منكري السنة

من خلال المبحث السابق ومعرفتنا بالأساليب التي سلكها منكرو السنة لنشر شبههم تتضح لنا معالم المنهجية التي ينبغي اعتمادها لعلاج شبهات منكري السنة ووقف انتشارها بين المسلمين، وسأقسمها إلى جانب نظري وآخر عملي.

أما **الجانب النظري** فيمكننا تلخيصه في النقاط الآتية:

١. مراجعة كافة النصوص التي يستدل بها منكرو السنة للتأكد كم صحتها ودراستها في مصادرها وفهم العبارات الواردة حسب سياقها.

٢. تقييم المصادر التي يعتمدها منكرو السنة وبيان مدى صحتها سواء الكتب أو الأشخاص أو الأحاديث والآثار وإلزامهم بالرجوع لأهل الاختصاص في دراسة السنة النبوية.

٣. عدم التسليم لمبالغاتهم وتهويلاتهم وجعل الأساس في الحوار هو الحقائق العلمية والدليل الواضح، وهذا مما يتفق عليه كل المتخصصين والأكاديميين.

٤. الرجوع عند الحكم على الأحاديث للقواعد العلمية التي وضعها المحدّثون في النقد والتي أثبتت صحتها وأنها هي الأصدق والأقرب للصواب ولا يصح بحال من الأحوال التحاكم في تقييم السنة النبوية لعقول منكري السنة المشبعة بالمفاهيم الغربية بنظرياتها المتقلبة والمبنية على إنكار الغيبيات وتقديس الماديات.

٥. يجب تنبيه المسلمين لخطورة أخذ العلم والنقد من غير المتخصصين والتركيز على أن كل منكري السنة ليسوا من المتخصصين في دراسة السنة النبوية وليس هذا من من قبيل الشخصنة وترك الحوار العلمي بل هو من باب احترام التخصص، فلا يمكن أن يأتي مهندس كهربائي ويطعن في جهود الأطباء ويشكك في معلومات دقيقة لديهم ثم يقول لا تنظروا للمتكلم بل انظروا للكلام فقط.

---

[٦٩] محمود "أبو رية"، **أضواء على السنة المحمدية**، ص١٦٤

[٧٠] المعلمي، **الأنوار الكاشفة**، ص١٤١.

٦. التمييز بين منكري السنة عند الحوار والرد، فهم أنواع ودرجات، فمنهم من ينكرها بالكلية ومنهم من ينكرها جزئيا وهكذا،كما ذكرنا في المبحث الأول، وهذا مهم لمعرفة القواسم والأرضية المشتركة إن وجدت للاحتجاج وإلزام الطرف الآخر، كما أنه من الإنصاف والعدل الذي ندعوهم إليه، فنحن أولى بتطبيقه.

أما **الجانب العملي** في العلاج فيتمثل في الآتي:

١. ضرورة الاهتمام بتدريس مادة الشبهات المعاصرة حول السنة النبوية في السنوات الأخيرة من المرحلة الجامعية لطلاب العلوم الشرعية وفق منهج المحدثين في الرد على هذه الشبهات الذي هو أفضل المناهج وأسلمها، مع الحرص على دراسة تطبيقية تحت إشراف المتخصصين.

٢. السعي من خلال وسائل الإعلام المختلفة في بيان مزايا منهج المحدثين في نقد السنة وانحراف المناهج الأخرى قديمها وحديثها، وكشف الشبهات التي تثار في تلك الوسائل لتحصين المسلمين ضدها.

٣. الاستفادة من التجارب القديمة والحديثة للمحدّثين في مقاومة أعداء السنة وعقد اللقاءات والزيارات العلمية بين أهل العلم المتخصصين لتبادل المعلومات ووضع منهجية واستراتيجية للدفاع عن السنة النبوية.

٤. إنشاء مراكز علمية ذات مستوى عالٍ لمكافحة الغزو الفكري الذي يشكك في السُنّة النبوية وإصدار مجلات متخصصة في هذا الجانب.

٥. يجب على وزارات الإعلام في بلاد المسلمين عدم الإفساح للكتب التي تتناول الإسلام بالدراسة إلا بشروط، وبعد عرضه على العلماء لإقراره، خاصة إذا كان الكاتب لا خلفية شرعية له.

**الخاتمة:**

حاولت من خلال هذا البحث أن أتلمس ملامح لمنهجية تعالج شبهات إنكار السنة وآثارها الخطيرة على المسلمين، ولعلها تكون خطوة تعقبها خطوات قادمة يتم بها تيسير الدفاع عن السنة النبوية وإغلاق جميع الطرق على أعدئها فلا تقوم لهم قائمة ولا يجدون شبهة يتعلقون بها وليس ذلك على الله بعزيز.



# جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة ودورها في مواجهة التحديات المعاصرة

**د. حسن بن راضي بن سعد الصاعدي**
عضو هيئة التدريس بكلية الحديث الشريف
بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة



**المقدمة:**

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، أحمده على نعمه التي لا تزال تترى، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن عناية المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بالسنة النبوية جاءت من علمهم بمكانتها من الدين، وأنها مبينة لكتاب الله ومفسرة له، وأنها شريعة ووحي، وأنهم مأمورون بالاعتصام والتمسك بها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا أبدًا ما أخذتم بهما، وعملتم فيهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض. أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٦٨٦)، والحاكم في المستدرك (٩٣/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٧).

وقد كانت جهودهم في حفظها ونشرها متنوعة في أبواب شتى: في تدوينها، وفي الرحلة في طلبها، وفي العناية بحفظها وتدارسها، وفي التثبت والاحتياط عند تحملها وعند أدائها وفي نقد الرواة وكشف الكذابين منهم، ولقد كان للخلفاء والملوك والأمراء جهود في هذا الجانب، وفي هذا البحث: أبين جانبًا من جهود الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية في العناية بالسنة النبوية.

**توطئة:**

يزخر التأريخ الإسلامي على مر الدهور بمظاهر تشجيع الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء للعلم والعلماء، وقد أفردت بعض البحوث في ذلك[١].

---

[١] انظر: مدونة الأستاذ خليل الزركاني.

وفي التاريخ الحديث: فإن المتأمل في سيرة جلالة الملك عبدالعزيز – رحمه الله- يجد أنه كان حريصًا على الالتزام بالكتاب والسنة وإقامة دولته على وفق الشريعة الإسلامية المستمدة من هذه الأصلين العظيمين.

وكانت خطبته دائما تركز على هذا المبدأ العظيم.

وقد اعتنى -رحمه الله- بنشر السنة وتكريم أهلها ومصاحبتهم في الحضر والسفر[٢]. وسار أبناء الملك عبدالعزيز على هذا النهج القويم، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك. ومن ذلك (جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة) التي أفردت الكلام عليها في هذا البحث.

**خطة البحث:**

قسمت البحث إلى مقدمة وتوطئة وفصلين

الفصل الأول: في الكلام على جائزة نايف

وتحته أربعة عشر مبحثا

المبحث الأول: اسم الجائزة.

المبحث الثاني: راعيها.

المبحث الثالث: تاريخ إنشائها.

المبحث الرابع: أهدافها.

المبحث الخامس: فروعها.

المبحث السادس: موضوعاتها.

المبحث السابع: مقدارها.

المبحث الثامن: الهيئة العليا للجائزة.

المبحث التاسع: الجهة المنظمة لها.

المبحث العاشر: المشرف العام عليها.

المبحث الحادي عشر: الأمانة العامة للجائزة.

المبحث الثاني عشر: اللجنة العلمية لها.

المبحث الثالث عشر: اللجان الأخرى.

المبحث الرابع عشر: المكافآت.

والفصل الثاني: في دور الجائزة في مواجهة التحديات المعاصرة.

ثم ذكرت خاتمة للبحث.

---

[٢] انظر: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ص ٣١٧، وكتاب: الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز ٢/٥٣٠، وعناية عبدالعزيز بالسنة.

## الفصل الأول

## الكلام على الجائزة

وتحته المباحث التالية:

**المبحث الأول: اسم الجائزة.**

جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة.

**المبحث الثاني: راعيها**

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آلي سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية، ولي في مدينة الطائف عام ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٤م و تلقى تعليمه في مدرسة الأمراء ثم درس على أيدي كبار العلماء و المشايخ وواصل اطلاعه في الشئون السياسية و الدبلوماسية و الأمنية.

وتوفي خارج المملكة يوم السبت ١٤٣٣/٧/٢٦هـ، وصلي عليه بعد صلاة المغرب من يوم الأحد ١٤٣٣/٧/٢٧هـ في المسجد الحرام بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

**المبحث الثالث: تاريخ إنشائها**

صدر الأمر السامي الكريم بتاريخ ١٤٢٣/٥/٢٩هـ بالموافقة على تبني صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله جائزة عالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة بناء على رغبته الذي اختار المدينة المنورة مقرا للجائزة.

**المبحث الرابع: أهدافها**

١- تشجيع البحث العلمي في مجال السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢- إذكاء روح التنافس العلمي بين الباحثين في كافة أنحاء العالم.

٣- الإسهام في دراسة الواقع المعاصر للعالم الإسلامي واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاته بما يعود بالنفع على المسلمين حاضرا ومستقبلا.

٤- إثراء الساحة الإسلامية بالبحوث العلمية المؤصلة.

٥- إبراز محاسن الدين الإسلامي الحنيف وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٦- الإسهام في التقدم والرقى الحضاري للبشرية.

**المبحث الخامس: فروعها**

للجائزة فرعان:

الفرع الأول : السنة النبوية.

الفرع الثاني : الدراسات الإسلامية المعاصرة .

وتتولى اللجنة العلمية للجائزة تحديد التخصصات التي تندرج تحت كل فرع من هذين الفرعين, وكذلك الموضوعات التي يتم طرحها للتنافس في كل فرع ولكل دورة من دورات الجائزة .

ثم ضم إليها جائزتان أخريان:

الأولى: جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود التقديرية لخدمة السنة النبوية.

الثانية: مسابقة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود لحفظ الحديث النبوي.

**المبحث السادس: موضوعاتها**

يطرح في كل دورة من دورات الجائزة ولكل فرع في فرعيها موضوعات في تخصصات مختلفة ويكون هناك فائز واحد في كل موضوع فيكون مجموع الفائزين أربعة و إذا لم تستحق الجائزة في موضوع من الموضوعات المطروحة حجبت في تلك الدورة .

وقد صدر عن اللجنة المنظمة للجائزة في يوم السبت ٢٥ محرم ١٤٣٤هـ الموافق ل ٢٠١٢/١٢/٨م التقرير التالي فيما يتعلق بدورات الجائزة ونشرته في موقعها الرسمي:

تنظيم الجائزة: تنظم الجائزة مرة واحدة كل عام ويتم الإعلان عن موضوعات الجائزة في فرعيها قبل وقت كاف ومن خلال وسائل الاتصال على مستوى الجائزة .

شروط البحث والترشيح:

- أن يتناول البحث واحدا من الموضوعات المحددة في الإعلان للجائزة .
- أن يكون متصفا بالاصالة والعمق ودقة التوثيق وسلامة المنهج .
- أن يكون مكتوباً بلغة عربية صحيحة.
- أن يقدم في الموعد المحدد لتقديم البحوث.
- أن يجتاز التحكيم وفقا للضوابط التي تضعها اللجنة العلمية.
- أن تقدم سبع نسخ من البحث مع نسخة إلكترونية على قرص مرن وكذلك السيرة الذاتية للباحث وصورتين شمسيتين له.
- ألا يكون البحث المرشح فائزا بجائزة من قبل.
- البحوث المقدمة إلى الجائزة لا ترد إلى أصحابها سواء فازت أو لم تفز .
- الالتزام بجميع الشروط والضوابط التي تضعها اللجنة العلمية للجائزة.

الدورة الأولى للجائزة

موضوعات الجائزة في دورتها الأولى:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية

الموضوع الأول :عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان " دراسة حديثية فقهية "

الموضوع الثاني: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية " الأسس والأهداف والوسائل والآثار

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة :

الموضوع الأول: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام

الموضوع الثاني: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر

الأمانة تستقبل أعمال الدورة الأولى:

وعقب إعلان موضوعات الدورة الأولى استقبلت الأمانة العامة العديد من الأعمال والبحوث المشاركة في الدورة الأولى وتم تخصيص قاعة مناسبة لحفظها وروعي في تصنيفها وترتيبها الوسائل الحديثة لمثل هذه الأعمال حتى لا تكون عرضة للضياع والتلف ،ووصل عدد الأبحاث المقدمة (٤١٥) بحثا تم استبعاد (١٧٤) بحثا في المرحلة الأولى لعدم استيفائها الشروط المعلنة للجائزة.

وفي المرحلة الثانية كلفت الأمانة العامة عددا من أساتذة الجامعات لتتولى لجنة الفحص الأولى وتولت فحص الأبحاث المقدمة للأمانة العامة وهل هي مستوفية لشروط البحث العلمي، واستبعدت اللجنة (١٣٣) بحثا وأجازت (١٠٨) بحثا.

وفي المرحلة الثالثة قامت الأمانة العامة بإرسال الأبحاث المجازة إلى لجنة التحكيم النهائية وهم من العلماء البارزين على الساحة العلمية من داخل المملكة وخارجها وعددهم اثنا عشر محكما بواقع ثلاث محكمين في كل موضوع

ولضمان تحقيق الموضوعية والدقة في عملية التحكيم قامت الأمانة بإرسال الأبحاث إلى لجان التحكيم وفق آلية معينة باستخدام الرموز والأرقام السرية لهذه الأبحاث دون تضمين هذه الأبحاث أية معلومات شخصية عن الباحث

وفي يوم السبت الموافق ٣ محرم ١٤٢٦هـ أعلن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة أسماء الفائزين بالجائزة في دورتها الأولى حيث فاز في فرع السنة النبوية في الموضوع الأول (عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان) مناصفة كل من الأستاذة / فاطمة صالح الجارد - سعودية الجنسية والدكتور/ حكمت بشير ياسين - عراقي الجنسية , وفاز في الموضوع الثاني ) فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية ) الدكتورة /رقية طه جابر العلواني - بحرينية الجنسية. أما في الفرع الثاني المخصص للدراسات الإسلامية المعاصرة فقد فاز في الموضوع الأول ) المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام ) الدكتورة راوية احمد الظهار - سعودية الجنسية وفاز في الموضوع الثاني (منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ) الشيخ/ عدنان بن محمد العرعور - سوري الجنسية

وكُرم الفائزون بجائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة في دورتها الأولى في حفل شرَّفه نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في المدينة المنورة بتاريخ ١٤٢٦/٣/١٥هـ وحضره أصحاب السمو وعدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة من داخل المملكة وخارجها.

الدورة الثانية للجائزة

موضوعات الجائزة في دورتها الثانية:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية

الموضوع الأول: التكفير في ضوء السنة النبوية.

الموضوع الثاني: حقوق المرأة في السنة النبوية.

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة

الموضوع الأول: الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة: ( عرض ونقد( الموضوع الثاني: الجهاد في الإسلام ) :مفهومه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافهاالأمانة تستقبل أعمال الدورة الثانية

وعقب إعلان موضوعات الدورة الثانية استقبلت الأمانة العامة العديد من الأعمال والبحوث المشاركة في الدورة الثانية وتم تخصيص قاعة مناسبة لحفظها وروعي في تصنيفها وترتيبها الوسائل الحديثة لمثل هذه الأعمال حتى لا تكون عرضة للضياع والتلف ، ووصل عدد الأبحاث المقدمة (٣٠٦) بحثا تم استبعاد (٧٩) بحثا في المرحلة الأولى لعدم استيفائها الشروط المعلنة للجائزة - .وفي المرحلة الثانية كلفت الأمانة العامة عددا من أساتذة الجامعات لتتولى لجنة الفحص الأولى وتولت فحص الأبحاث المقدمة للأمانة العامة وهل هي مستوفية لشروط البحث العلمي، واستبعدت اللجنة (١١٢) بحثا وأجازت (١١٥) بحثا.

وفي المرحلة الثالثة قامت الأمانة العامة بإرسال الأبحاث المجازة إلى لجنة التحكيم الأولية ثم إلى لجنة التحكيم النهائية وهم من العلماء البارزين على الساحة العلمية من داخل المملكة وخارجها وعددهم اثنا عشر محكما بواقع ثلاث محكمين في كل موضوع، ولضمان تحقيق الموضوعية والدقة في عملية التحكيم قامت الأمانة بإرسال الأبحاث إلى لجان التحكيم وفق آلية معينة باستخدام الرموز والأرقام السرية لهذه الأبحاث دون تضمين هذه الأبحاث أية معلومات شخصية عن الباحث.

وفي يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ أعلن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة أسماء الفائزين بالجائزة في دورتها الثانية حيث فاز في فرع السنة النبوية في الموضوع الأول (التكفير في ضوء السنة النبوية) الأستاذ الدكتور /باسم فيصل

الجوابرة - أردني الجنسية, وفاز في الموضوع الثاني (حقوق المرأة في السنة النبوية) الدكتورة/ نوال بنت عبد العزيز العيد - سعودية الجنسية.

أما في الفرع الثاني المخصص للدراسات الإسلامية المعاصرة فقد فاز في الموضوع الأول) الإسلام في المناهج الغربية .. عرض ونقد ) الدكتور/ محمد وقيع الله أحمد - سوداني الجنسية وحجبت جائزة الموضوع الثاني ( الجهاد في سبيل الله .. مفهومه, وضوابطه ,وأنواعه, وأهدافه

وكُرم الفائزون بالجائزة في دورتها الثانية في حفل شرَّفه نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في مدينة الرياض بتاريخ ١٤٢٧/١١/١٢هـ وحضره أصحاب السمو وعدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة من داخل المملكة وخارجها.

الدورة الثالثة للجائزة

موضوعات الجائزة في دورتها الثالثة:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية

الموضوع الأول: التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية.

الموضوع الثاني : مصادر السيرة بين المحدثين والمؤرخين.

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة

الموضوع الأول: تجديد الدين (مفهومه وضوابطه وآثاره(

الموضوع الثاني: الفتوى (أهميتها وضوابطها وآثارها.(

الأمانة تستقبل أعمال الدورة الثالثة

وفي الدورة الثالثة للجائزة استقبلت الجائزة (٤١٣) بحثا وأجازت (٢٣٠) بحثا واستبعدت (١٨٣) بحثا وشكلت عدة لجان لهذه الدورة فأجازت لجنة الفحص الأولي (١٤٣) بحثا واستبعدت (٨٧) بحثا ورشحت الجائزة بعد ذلك لجنتين للتحكيم الأولي وأجازت (٣٢) بحثا تم إرسالها إلى لجنة التحكيم النهائية.

و أعلن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة في الرابع عشر من شهر رمضان للعام ١٤٢٨هـ الفائزين بالجائزة في دورتها الثالثة , حيث فاز في موضوع (مصادر السيرة بين المحدثين والمؤرخين) (مناصفة): الدكتور/ عبد الرزاق إسماعيل هرماس - من دولة المغرب والدكتور/ ياسر أحمد نور - من دولة مصر وفاز في موضوع (تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره) .. الدكتور/ محمد حسانين حسن - من دولة مصر وفاز في موضوع) الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها ) .. (مناصفة): الدكتور/ محمد يسري إبراهيم - من دولة مصر, والدكتور/ عبدالرحمن بن محمد الدخيل - من المملكة العربية السعودية أما موضوع التعامل مع غير المسلمين

في السنة النبوية) فقد حجبت الجائزة وهو مطروح في الدورة الخامسة للجائزة. وكُرم الفائزون بالجائزة في دورتها الثالثة في حفل شرَّفه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في المدينة المنورة يوم السبت ٢٠ رمضان ١٤٢٩هـ وحضره أصحاب السمو وعدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة من داخل المملكة وخارجها. الدورة الرابعة للجائزة

موضوعات الجائزة في دورتها الرابعة:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية:

الموضوع الأول :الوسطية في الإسلام ودلالتها من السنة النبوية.

الموضوع الثاني :محمد رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة

الموضوع الأول : العمل الإغاثي الإسلامي: دراسة تأصيلية معاصرة.

الموضوع الثاني : حرية الرأي في الإسلام

الأمانة تستقبل أعمال الدورة الرابعة:

وفي الدورة الرابعة للجائزة استقبلت أمانة الجائزة (٣٨٤) بحثا من العديد من دول العالم وأجازت (١٨٧) بحثا واستبعدت (١٩٧) بحثا لعدم التزامها بشروط الجائزة المعلنة وشكلت عدة لجان لهذه الدورة واستبعدت لجنة الفحص الأولي (١٦٦) بحثا ورشحت الجائزة بعد ذلك لجنتين للتحكيم الأولي وأجازت (٢١) بحثا تم إرسالها إلى لجنة التحكيم النهائية.

وأعلن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة في ٨ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ الفائزين بالجائزة في دورتها الرابعة , حيث فاز في فرع الدراسات الإسلامية المعاصرة في الموضوع الأول: العمل الإغاثي في الإسلام (دراسة تأصيلية معاصرة ) الدكتور / عبدالقادر عبد الكريم جوندل - باكستاني الجنسية، كما فاز في الموضوع الثاني: حرية الرأي في الإسلام الدكتور/ محمد بن سعود البشر - سعودي الجنسية، كما أعلن سموه عن موضوعات الجائزة في فرعيها في دورتها السابعة. وقد حجبت الجائزة في موضوعي الفرع الأول (السنة النبوية) لأن البحوث المقدمة لم ترق لمستوى الجائزة .

وكُرم الفائزون بالجائزة في دورتها الرابعة في حفل شرَّفه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله في مدينة الرياض يوم الأربعاء ٦ محرم ١٤٣١هـ وحضره أصحاب السمو وعدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة من داخل المملكة وخارجها.

الدورة الخامسة للجائزة موضوعات الجائزة في دورتها الخامسة:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية:

الموضوع الأول :مكانة الصحابة وأثرهم في حفظ السنة النبوية وواجب الأمة نحوهم.

الموضوع الثاني: التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية.

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة

الموضوع الأول: الاستثمار المالي في الإسلام.

الموضوع الثاني :الجهاد في الإسلام ..مفهومه وضوابطه وأنواعه وأهدافه.

الأمانة تستقبل أعمال الدورة الخامسة

وفي الدورة الرابعة للجائزة استقبلت أمانة الجائزة (٣٦٥) بحثا في موضوعات الجائزة بفرعيها للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، والتي عرضت على لجنة الفرز التي قبلت بدورها (١١٣) بحثا، تم عرضها بعد ذلك على لجنة الفحص الأولى، وبعد مناقشتها في ضوء شروط منح الجائزة تم اختيار (٢٥ (بحثا أحيلت على لجنة المحكمين النهائية<

وأعلن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز رحمه الله خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة في ٢٢ ذو القعدة1431 هـ الفائزين بالجائزة في دورتها الخامسة, حيث فاز في فرع السنة النبوية في الموضوع الأول )مكانة الصحابة وأثرهم في حفظ السنة النبوية وواجب الأمة نحوهم (الأستاذ الدكتور الشيخ خليل بن إبراهيم ملاً خاطر (سوري الجنسية مقيم في المملكة العربية السعودية، وفاز في الموضوع الثاني (التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية) مناصفة الشيخ عبدالرحمن العقل سعودي الجنسية، والشيخ فتحي الموصلي عراقي الجنسية مقيم في مملكة البحرين الشقيقة، باشتراك مع الشيخ عبدالحق التركماني سويدي الجنسية مقيم في بلده. أما في فرع (الدراسات الإسلامية المعاصرة) في الموضوع الأول :الاستثمار المالي في الإسلام، الموضوع الثاني: الجهاد في الإسلام (مفهومه وضوابطه وأنواعه وأهدافه) فقد تم حجب جائزة هذا الفرع لعدم ارتقاء البحوث التي قدمت لنيل جائزة موضوعي الفرع. كما تم الإعلان عن موضوعات الجائزة في دورتها الثامنة وكُرم الفائزون بالجائزة في دورتها الخامسة في حفل شرفه نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله، صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز مساء يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٥ مايو ٢٠١١ م بالمدينة المنورة، بحضور عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والفضيلة والمعالي ورجال الفكر والأدب والثقافة.

الدورة السادسة للجائزة

موضوعات الجائزة في دورتها السادسة:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية:

الموضوع الأول : الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية

الموضوع الثاني :القيم الحضارية في السنة النبوية

الموضوعات المختارة للدراسات الإسلامية المعاصرة

الموضوع الأول : حماية البيئة في الإسلام.

الموضوع الثاني : السلام في الإسلام(المبادئ والمفاهيم، والتطبيق

الأمانة تستقبل أعمال الدورة السادسة:

استقبلت الأمانة العامة للجائزة في دورتها السادسة (٣٢٢) بحثاً في موضوعات الجائزة بفرعيها للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، والتي عرضت على لجنة الفرز التي قبلت بدورها (١٢٥) بحثا تم عرضها بعد ذلك على لجنة الفحص الأولى، وبعد مناقشتها في ضوء شروط منح الجائزة تم اختيار (٢٢) بحثا أحيلت على لجنة المحكمين النهائية؛ وهم من أبرز العلماء على الساحة العلمية داخل وخارج المملكة وعددهم اثنا عشر محكما بواقع ثلاث محكمين في كل موضوع، ولضمان تحقيق الموضوعية والدقة أثناء التحكيم تم إرسال الأبحاث إلى لجان التحكيم باستخدام الرموز والأرقام السرية للأبحاث دون تضمينها أي معلومات تدل على شخصية الباحث. وبتاريخ ١٤٣٣/٦/٢٨هـ أعلن صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبدالعزيز المشرف العام على الجائزة خلال اجتماع الهيئة العليا للجائزة الفائزين بالجائزة في دورتها السادسة حيث فاز في فرع السنة النبوية في الموضوع الأول (الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية) الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن معلا اللويحق - سعودي الجنسية وفاز في الموضوع الثاني (القيم الحضارية في السنة النبوية (مشاركة كل من الأستاذ الدكتور موفق بن سالم الجوادي والدكتور عبدالستار بن جاسم الحياني من العراق. أما في الفرع الثاني المخصص للدراسات الإسلامية المعاصرة فقد فاز في الموضوع الأول (حماية البيئة في الإسلام) الأستاذ الدكتور راغب السرجاني مصري الجنسية وحجبت جائزة الموضوع الثاني (السلام في الإسلام.. المبادئ والمفاهيم، والتطبيق ) لأن البحوث المقدمة لم ترق لمستوى الجائزة.

وبمشيئة الله سيكُرم الفائزون بالجائزة في دورتها السادسة في حفل يشرَّفه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع حفظه الله في مدينة الرياض في النصف الثاني من شهر محرم ١٤٣٤هـ وبحضور أصحاب السمو وعدد كبير من العلماء والشخصيات البارزة من داخل المملكة وخارجها.

السيرة الذاتية للفائزين في الدورة السادسة

الفائز بفرع السنة النبوية في الموضوع الأول (الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية

الاسم: عبد الرحمن بن معلا بن معيض اللويحق.

تاريخ الميلاد: ١٣٨٤/٥/٢٩هـ.

التخصص: الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة.

المراحل الدراسية العليا:

البكالوريوس :جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، القسم العام

الماجستير: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية {قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة} عام ١٤١٢هـ عنوان الرسالة: "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية".

التقدير :ممتاز

الدكتوراه: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية {قسم الثقافة الإسلامية, بكلية الشريعة}عام ١٤١٨هـ عنوان الرسالة: "مشكلة الغلو في الدين: الأسباب،الآثار،العلاج". التقدير: مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات.

المؤلفات والبحوث:

١- "الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة " صادر عن مؤسسة الرسالة، بيروت،مجلد واحد.

٢- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، الأسباب، الآثار، العلاج" ثلاث مجلدات.

٣- تحقيق تفسير ابن سعدي –رحمه الله– "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان".

البحوث:

-بحث: "الخطاب الإسلامي ومعالجته لقضايا التطرف والغلو".

-بحث: "مظاهر الغلو المعاصر".

-بحث: "مشكلة الغلو نظرة شرعية شاملة".

-بحث: "الفقه وأصوله في وضع السياسات العامة".

-بحث "الإسلام و الإرهاب متناقضان".

–بحث: "توظيف المصطلح في الصراع الحضاري: مصطلح الإرهاب أنموذجاً".

-بحث: "الجذور الدينية للإرهاب".

الندوات والمؤتمرات:

ملتقى الأئمة والخطباء في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٤هـ تنظيم: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف الدعوة والإرشاد.

-ملتقى الدعاة في إسبانيا عام ١٤١٨هـ تنظيم:{ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف الدعوة والإرشاد

-ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي في بروكسل { بلجيكا } عام ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م.

-دورة الأئمة والدعاة في استراليا عام ١٤٢٠هـ تنظيم :جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

-ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي في كوبنهاجن { الدنمارك { عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م.

-ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي في جوهانسبرج{جنوب أفريقيا} ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢م.

-ندوة (ظاهرة الإرهاب (المقامة ضمن الفعاليات الثقافية للمعرض الدولي للكتاب في صنعاء ، اليمن 1424هـ

-اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري المنعقد في مكة المكرمة عام1424 هـ

-المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب, والذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

-المؤتمر الثاني عشر لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت, المنعقد في عام1425 هـ - ٢٠٠٤م.

–عضو في مجموعة البحث العلمي (الإرهاب) في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

–عضو اللجنة التحضيرية لندوات (الإسلام والأمن) في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

-عضو الهيئة الاستشارية لمجلة دراسات (دورية علمية محكمة) الصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

-فعاليات الدورة التدريبية حول (الإرهاب) التي أقامتها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بمقر الأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب بالعاصمة التونسية عام ١٤٢٩هـ

-الملتقى العلمي لدراسة وبحث ظاهرة الإرهاب في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي نظمته الأمانة العامة لمجلس التعاون بالتعاون مع جامعة: نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض ٢٠٠٩م.

الجوائز:

- حائز على جائزة المدينة المنورة للبحث العلمي عام ١٤١٨هـ عن بحثه "الغلو في الدين"

-حاز على الجائزة الثانية للمؤتمر الوطني المؤتمر الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات) المنعقد في الرياض عام1430 هـ في جامعة الملك سعود.

الوظائف والأعمال:

-عين معيداً بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٦- ١٤١٢هـ.

-عين محاضراً بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٢1418 -هـ.

-عين أستاذاً مساعداً بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٨هـ

-عين أستاذاً مساعداً معاراً في جامعة الأمير: سلطان بن عبد العزيز الأهلية - .أمين مجلس الجامعة في جامعة الأمير سلطان منذ شوال ١٤٢٧هـ -أستاذ مشارك بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود من عام1425 :هـ ومعار إلى جامعة الأمير سلطان.

-عضو اللجنة التحضيرية العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب, الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في الفترةمن:١-١٤٢٥/٣/٣هـ الموافق:٢٠-٢٠٠٤/٤/٢٣م.

-عضو لجنة الدراسات الإسلامية في جائزة: (الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود) العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة 1425هـ.

-يعمل مستشاراً في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، وعضواً في اللجنة العلمية للمركز منذ عام 1425هـ.

الفائز(مشاركة) في فرع السنة النبوية في الموضوع الثاني (القيم الحضارية في السنة النبوية

•الاسم: الأستاذ الدكتور موفق سالم مصطفى الجوادي

الجنسية: عراقي.

•مكان وتاريخ الميلاد: الموصل – جمهورية العراق ١٩٥٨م

•التخصص: التاريخ الإسلامي – الحضارة الإسلامية.

•العمل الحالي: أستاذ بكلية الآداب – جامعة الموصل.

•الشهادات العلمية: بكالوريوس تاريخ كلية التربية جامعة الموصل1980 م، ماجستير التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٩٧م، دكتوراه التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة الموصل١٩٩٧م.
•المرتبة العلمية: أستاذ

• الخبرات والأنشطة العلمية

-البحوث: عشرات البحوث والدراسات في المجلات العربية.

-الجوائز: الجائزة الثانية لمسابقة نائب رئيس الجمهورية للبحث العلمي- العلوم الإنسانية ٢٠٠٧م.

-الكتب المؤلفة والمنشورة:

١. العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول.
٢. الأمين الخليفة المفترى عليه.
٣. خطط بغداد في معجم البلدان.
٤. العامة والسلطة في بغداد ١٤٥ -٣٣٤هـ

٥. نهج الحكومة / نصوص في الحكمة الإسلامية
٦. هكذا تكلم يحيى بن معاذ الرازي.
٧. الإمام سفيان الثوري / دراسة تاريخية.
٨. مدخل إلى الثقافة الإسلامية، بالاشتراك مع الدكتور عماد الدين خليل.
٩. أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية
١٠. فقه السيرة النبوية.
١١. محمد نبي الرحمة، بالاشتراك مع الدكتور عبد الستار جاسم الحياني.
١٢. القول الجلي من كلام عمر وعلي (رضي الله عنهما).
١٣. إشكالية العلاقة بين المثقف والسلطة في الحضارة الإسلامية.

الفائز (مشاركة) في فرع السنة النبوية في الموضوع الثاني (القيم الحضارية في السنة النبوية) الاسم: عبد الستار جاسم محمد عبد الرحمن الحياني.

•الجنسية: عراقي.

•مكان وتاريخ الميلاد: الموصل – جمهورية العراق ١٩٦٧م.

•التخصص: العلوم الإسلامية –كلية العلوم الإسلامية.

•العمل الحالي: عضو هيئة التدريس بكلية الإمام الأعظم بنينوي.

•الشهادات العلمية: بكالوريوس العلوم الإسلامية جامعة بغداد ١٩٨٩م. ماجستير السنة النبوية جامعة الدول العربية ببغداد ٢٠٠١م. دكتوراه التاريخ العربي والتراث العلمي ببغداد ٢٠٠٥م.

•المرتبة العلمية: أستاذ مشارك.

•الخبرات والأنشطة العلمية:

١. كتاب الحياة التعبدية للرسول الراشدين وخلفائه، بيروت- دار ابن كثير ٢٠٠٦م.
٢. كتاب محمد نبي الرحمة محمد نبي الرحمة، بالاشتراك مع الدكتور موفق سالم نوري.
٣. كتاب الحياة التعبدية لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم طبع في بيروت ٢٠٠٩م.
٤. كتاب الحياة التعبدية لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
٥. بحث "وسائل تأثير الخطيب ونجاحه في مجتمعه" سنة ٢٠٠٧.
٦. بحث "دور العلماء في إنقاذ الأمة أوقات المحنة" أبو بكر أنموذجاً أيام الردة-٢٠٠٨ م.
٧. بحث "التعايش في المنظور الإسلامي" صلح الحديبية أنموذجاً ٢٠٠٩م.
٨. مجلة بحث" آلات النبي مركز وبحوث دراسات الإسلامية.
٩. منح إجازة قراءة حفص عن عاصم من الشيخ معن عبد الخالق ٢٠٠٢م
١٠. منح إجازة علمية للعلوم الشرعية من الشيخ محمود اليوسفي ٢٠٠٨م. الفائز في فرع الدراسات الإسلامية المعاصرة في الموضوع الأول (حماية البيئة في الإسلام).

الاسم: الأستاذ الدكتور راغب السرجاني.

مكان وتاريخ الميلاد: جمهورية مصر العربية عام ١٩٦٤م.

التخصص: دكتوراه في جراحة المسالك البولية والكلى.

العمل الحالي: أستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة.

الشهادات العلمية: الماجستير في جراحة المسالك البولية،والدكتورة في جراحة المسالك البولية والكلى.

المرتبة العلمية: أستاذ الخبرات والأنشطة العلمية:

- صَدَرَله حتى الآن 25 كتابًا في التاريخ والفكر الإسلامي؛ هي:

١. ماذا قدم المسلمون للعالم: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، الحائز على جائزة مبارك للدارسات الإسلامية عام ٢٠٠٩م.
٢. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، الحائز على جائزة المركز الأول في مسابقة البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة عام ٢٠٠٧م.
٣. قصة التتار من البداية إلى عين جالوت.
٤. قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي.
٥. العلم وبناء الأمم : دراسة تأصيلية في بناء الدولة وتنميتها.
٦. قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية.
٧. فلسطين: واجبات الأمة.
٨. وشهد شاهد من أهلها.
٩. رحماء بينهم: قصة التكافل والإغاثة في الحضارة.
١٠. بين التاريخ والواقع: أربعة أجزاء.
١١. أمة لن تموت.
١٢. رسالة إلى شباب الأمة.
١٣. كيف تحافظ على صلاة الفجر.
١٤. كيف تحفظ القرآن الكريم.
١٥. القراءة منهج حياة.
١٦. المقاطعة: فريضة شرعية وضرورة قومية.
١٧. أخي الطبيب قاطع.
١٨. أنت وفلسطين.
١٩. فلسطين لن تضيع.. كيف؟
٢٠. لسنا في زمان أبرهة.

٢١. إلا تنصروه.

٢٢. التعذيب في سجون الحرية.

٢٣. رمضان وبناء الأمة.

٢٤. الحج ليس للحجاج فقط.

٢٥. من يشتري الجنة؟

-يقدّم عدة برامج وحوارات على الفضائيات والإذاعات المختلفة؛ منها: اقرأ، الرسالة، الحوار، الناس، القدس، المستقبل، العربية، الجزيرة، الجزيرة مباشر، والسودان، وإذاعة أم القيوين، وإذاعة القرآن الكريم بفلسطين والأردن ولبنان والسودان والإمارات، وغيرها.

-له مئات المحاضرات والأشرطة الإسلامية؛ يتحدث فيها عن السيرة النبوية والصحابة، وتاريخ الأندلس، وقصة التتار، وغير ذلك.

**قاعدة البيانات:**

قامت الأمانة بمشروع متميز يصب في أهداف الجائزة ويوفر عليها وعلى المهتمين الوقت والجهد خدمة للسنة النبوية والقائمين على تدريسها والاهتمام بها حيث تم عمل قاعدة عريضة للبيانات خاصة بالعلماء المتخصصين في السنة والدراسات الإسلامية المعاصرة من داخل المملكة وخارجها لحصرهم حيث تمت المخاطبة والمتابعة والتوثيق لهذه البيانات، والمشروع سيستمر في تحديث المعلومات عن كل عضو متخصص , وقد اقترح أعضاء اللجنة العلمية أن تستفيد الجامعات السعودية من تلك البيانات التي أعدت وبذل فيها الجهد.

**المبحث السابع: مقدارها**

يقدم لكل فائز من الفائزين في أحد موضوعات الجائزة ما يلي:

١) شهادة استحقاق.

٢) درع يحمل شعار الجائزة.

٣) مبلغ نقدي مقداره (٥٠٠,٠٠٠ريال ) خمس مائة ألف ريال.

**المبحث الثامن: الهيئة العليا للجائزة**

يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود راعي الجائزة أو من ينيبه , وتضم في عضويتها في دورتها الثالثة كل من :

١. صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف بن عبدالعزيز (نائبا للرئيس ومشرفا عاما على الجائزة).

٢. صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز (نائبا للمشرف العام).

٣. صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف بن عبدالعزيز.

٤. صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن نايف بن عبدالعزيز.
٥. صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود بن نايف بن عبدالعزيز.
٦. صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن نايف بن عبدالعزيز.
٧. معالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد (إمام الحرم المكي الشريف ورئيس المجلس الأعلى للقضاء).
٨. معالي الشيخ عبدالله بن منيع (المستشار في الديوان الملكي عضو هيئة كبار العلماء).
٩. معالي الدكتور عبدالله بن عمر نصيف (نائب رئيس مجلس الشورى سابقا).
١٠. معالي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو (رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي).
١١. فضيلة الشيخ أصغر علي إمام (الأمين العام لجمعية أهل الحديث في الهند).
١٢. فضيلة الدكتور أبو بكر عبدالله دكوري (مستشار رئيس جمهورية بوركينا فاسو الإسلامية).
١٣. فضيلة الدكتور عادل المعاودة (عضو مجلس النواب البحريني).
١٤. معالي الدكتور ساعد العرابي الحارثي (مستشار سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية أمين عام الجائزة).
١٥. معالي الدكتور محمد بن علي العقلا (مدير الجامعة الإسلامية).
١٦. سعادة الدكتور زين العابدين الركابي (الباحث والمفكر الإسلامي).

**المبحث التاسع: الجهة المنظمة لها**

الأمانة العامة للجائزة.

**المبحث العاشر: المشرف العام عليها**

صاحب السمو الملكي الأمير: سعود بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود أمير المنطقة الشرقية.

**المبحث الحادي عشر: الأمانة العامة للجائزة.**

يكون للجائزة أمانة عامة تتولى جميع الأمور العلمية والمالية والإدارية ويعمل عدد من الموظفين المتفرغين ويكون مقرها في المدينة المنورة وترتبط مباشرة بسمو المشرف العام على الجائزة.

**المبحث الثاني عشر: اللجنة العلمية لها**

تؤلف من سمو المشرف العام على الجائزة بناء على ترشيح من الأمين العام كل أربعة سنوات قابلة للتجديد وتضم مجموعة من العلماء والباحثين المشتغلين بالدراسات والبحوث الإسلامية ذات الصلة بفروع الجائزة.

**المبحث الثالث عشر: اللجان الأخرى**

تؤلف لجان فرعية وتحدد مهامها حسب الحاجة وذلك بقرار من المشرف العام على الجائزة بناء على اقتراح الأمين العام .

**المبحث الرابع عشر: المكافآت**

سوف يتم صرف مكأفاة الجائزة والعاملين عليها من الحساب الخاص بصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ابتغاء وجه الله تعالى رحمه الله رحمة واسعة.

## الفصل الثاني

## دور الجائزة في مواجهة التحديات المعاصرة

لا تزال السنة النبوية تواجه كثيرا من التحديات التي تحاول الطعن فيها وكذا التشكيك فيها، وفي المبعوث بها صلى الله عليه وسلم وفي شريعته وفي نقلة الشريعة.

وإن من سبل المواجهة والوقوف أمام هذه التحديات المتكررة والحملات الشرسة إنشاء مراكز متخصصة في السنة النبوية وبفضل الله وبحمده تم إنشاء كثير من المؤسسات والجمعيات التي تعنى بهذا الجانب.

ومنها (جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات المعاصرة). ولعل من الممكن إبراز دور هذه الجائزة في مواجهة تلك التحديات في الجوانب التالية:

١- أن موضوع الجائزة هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم حفظا وتأليفا فيها.

٢- كونها جهة رسمية معززة من الحكومة السعودية ويرعاها ولي عهد البلاد – رحمه الله- والآن يرعاها أبناؤه من بعده وفقهم الله لكل خير.

٣- أن من أهدافها نشر السنة والذب عنها والتشجيع على حفظها والتأليف فيها والدعوة للمشاركة في بحوثها على مستوى العالم.

٤- عالجت الجائزة خلال دوراتها الثمانية كما تقدم بعض القضايا التي تثار زورًا ضد شريعة النبي صلى الله عليه وسلم كحقوق الإنسان وحقوق المرأة، والجهاد والحدود وغير ذلك.

وفي كلمة لسمو الأمير سعود بن نايف الأمين العام للجائزة نشرت في موقع الجائزة الرسمي دلائل شاهدة على ذلك حيث قال: إن الجائزة توجت مسيرتها بوثباتها البناءة وتنوع موضوعات أبحاثها ومواكبتها لواقع العصر ومتغيراته عبر دوراتها المتوالية لتصبح رافداً من روافد العلوم الإسلامية ومنهلاً عذبا لإحياء السنة والاهتمام بالمصدر الثاني من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل، ونشر السنة النبوية وعلومها وبث روح البحث والتنافس بين علماء المسلمين خدمة للدين عقيدة وشريعة وحفزا

وتشجيعا للعلم والعلماء إضافة إلى الرد على ما يثار من شبهات حولها ومعالجة ما يستجد من قضايا علمية وفكرية واجتماعية في وقتنا الحاضر.

**خاتمة**

وقد تيسر بحمد لله جمع مادة هذا البحث وترتيبها وعرضها على وجه يخدم المقصد منه، وهو دور جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات المعاصرة في مواجهة التحديات ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث في النقاط التالية:

- أن عناية المسلمين بالسنة النبوية جاءت من علمهم بمكانتها من الدين.
- عالمية جائزة نايف بن عبدالعزيز حيث ضمت في هيئتها العلمية لفيف من علماء المسلمين.
- دور الجائزة البارز في مواجهة التحديات المعاصرة وغير ذلك مما تجده في ثنايا البحث.

وبعد فإن المسلم وخصوصا طالب العلم يحمل أمانة عظيمة لا ينبغي له أن يتخلى عنها أو يقصر فيها ألا وهي حفظ السنة وتعليمها والذب عنها والدعوة إليها وربط الناس بها وإخراج تراثها المتفرق في بطون الكتب، والقيام بهذه الأمانة العظيمة يوجب على طالب العلم التعاون على الحق والاجتماع عليه والتواصي بذلك.



# دور الجامعات السعودية للعناية بالسنة النبوية: جامعة الملك سعود أنموذجاً من خلال كرسي المهندس عبد المحسن بن محمد الدريس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

**د. رانيا نظمي**

أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود

قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية



**المقدمة:**

يعد برنامج الكراسي البحثية في جامعة الملك سعود تحقيقاً لرؤية خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين حفظهما الله نحو تطوير التعليم العالي ولا سيما في مجال البحث العلمي وتعزيزا نحو التحول إلى مجتمع المعرفة واستثمار الاقتصاد المعرفي في مجالات التطوير والبحث العلمي حيث يساهم هذا البرنامج في نمو المملكة مكانة عالمية مميزة في الابداع والابتكار فضلاً عن تعزيز الشراكة المجتمعة ونقصد بكراسي البحث بأنه مرئية علمية تسند لباحث متميز في مجال تخصصه على الصعيد الوطني والدولي ويزخر رصيده البحثي بمساهمات توعية وكمية عالية وهذه الكراسي أربع سنوات.

وانطلاقا من هذا الدور الايجابي أتقدم بهذه الورقةعن دور الجامعات السعودية للعناية بالسنة النبوية –جامعة الملك سعود أنموذجا من خلال كرسي المهندس عبد المحسن بن محمد الدر يس للسيرة النبوية ودراساتها المعاصرة

في الدفاع عن السنة النبوية وإثراء المكتبة البحثية والمجالات التطبيقية من خلال تفعيل إستراتيجية الكرسي نحو الريادة والتميز في مجال الدراسات النبوية المعاصرة وفي خدمة السيرة النبوية وتطبيقاتها في واقعها المعاصر. الذي نحن بحاجة إلى تحقيق أبرز القيم الأخلاقية والعلاقات الإنسانية في السيرة النبوية.

**الدراسات السابقة:**

لا توجد دراسة سابقة حول الكراسي البحثية ودور الجامعات من خلال السيرة النبوية ولكن هناك بعض الدراسات التي تبرزها جهود الجامعة في خدمة ا السنة بتطبيق برامجها وتقدم مقرراتها سواء على مستوى البكلوريوس أو الدراسات العليا.

مثل دراسة جهود الجامعة الإسلامية في خدمة السنة النبوية من خلال الحديث الشريف

والدراسات الإسلامية إعداد إبراهيم على بن عيد العبيد.

واقتصرت على نبذة موجزة عن الجامعة الإسلامية ونشأة كلية الحديث وأهدافها وأقسامها ومهامها العلمية، وجهود كلية الحديث في التعليم والخطط والبرامج في مرحلة البكالوريوس والدراسات العليا ثم يتناول الدراسة جهود كلية في خدمة البحث العلمي ويشمل على أبحاث المؤتمرات والندوات وأبحاث الترقيات وأهم الرسائل العلمية في هذا المجال والواقع أن أهم محور تعرضت له الدراسة هو أهم آثار الخرجين في بلدانهم بعد الدراسة الأكاديمية.

وأثناء بحثي حاولت أن أمضي على سبيل المثال لا الحصر لبعض الجامعات السعودية التي اهتمت بدراسة السنة النبوية من خلال الكراسي البحثية ففي جامعة الإمام:

١- كرسي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان لدراسة فقه السنة.

٢- وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كرسي يوسف عبد اللطيف جميل للتطبيقات الخلاصة في الطب النبوي.

٣- وفي جامعة طيبة كرسي المعلم محمد عوض بن لادن لأبحاث الإعجاز العلمي في الطب النبوي المتكامل وكرسي السيرة النبوية ثم اعتماده من خلال منظور حضاري شامل ومتكامل في ضوء مناهج ورد العلوم الاجتماعية والإنسانية ويهدف إلى إفادة هذه المناهج لدراسة السنة النبوية.

٤- وكرسي الشيخ صالح عبد الله كامل لا صح الصحيح في الحديث الشريف.

ولأن ورقتي هي رؤية موجزة للتعريف بكرسي السيرة النبوية ودراساتها المعاصرة فسوف أوجز في سطور ما يلي:

**التعريف بالكرسي:**

هو برنامج علمي يعني بالدراسات المتخصصة والبحوث العلمية وصياغة الرؤى والخطط الإستراتيجية للتعريف الشامل بالسيرة النبوية وتيسير سبل الإقتداء بالرسول rفي مختلف جوانب الحياة إضافة إلى تقديم الدعم العلمي والمادي للباحثين في السيرة النبوية لتحقيق أهداف الكرسي.

**الرؤية:**

تحقيق الريادة والتميز محليا وعالميا في خدمة السيرة النبوية ودراساتها المعاصرة.

**الرسالة:**

خدمة السيرة النبوية وإبراز مواطن القدوة الحسنة من الأخلاق النبوية في واقعنا المعاصر من خلال الدراسات والأبحاث والمناشط العلمية المتنوعة والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.

**الأهداف:**

١. التعريف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله باللغات العالمية.

٢. تقديم الاستشارات والإجابة عن التساؤلات المثارة حول السيرة النبوية.

٣. إبراز القيم الأخلاقية والعلاقات الإنسانية في السيرة النبوية.

٤. إظهار الصورة الحقيقة لشخصية الرسول صلى الله علية وسلم وآل بيته وصحابته بعيداً عن المغالطات أو المبالغات.

٥. الإفادة من السيرة النبوية في معالجة المشكلات البشرية المعاصرة.

٦. تطوير وسائل عرض السيرة النبوية واستخدام التقنيات المعاصرة لإبرازها والتعريف بها.

٧. رصد الصعوبات التي تواجه التعريف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عند غير المسلمين وتقديم الحلول المناسبة لها .

**الوسائل:**

١ - دعم ونشر البحوث والدراسات المتعلقة بالسيرة النبوية وتيسير سبل الإفادة منها في الواقع المعاصر والعمل على نشرها في المجلات العربية والعالمية المحكمة.

٢ - إنشاء موقع للسيرة النبوية على شبكة الإنترنت يلبي احتياجات الدارسين والباحثين والمهتمين ويجيب عن أبرز التساؤلات المثارة حول السيرة النبوية ، ودعم المتميز من المواقع القائمة حاليا.

٣ - إقامة المعارض والمسابقات وتقديم الجوائز وتكريم العلماء الذين بذلوا جهوداً متميزة في خدمة السيرة النبوية .

٤ - تنظيم المؤتمرات والندوات والدورات وورش العمل حول السيرة النبوية.

٥ - تقديم منح للدراسات العليا في السيرة النبوية واستقطاب الباحثين المتميزين للتخصص في هذا المجال.

٦ - التعاون مع الكراسي العلمية وأقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية والباحثين المتميزين لخدمة السيرة النبوية وتشجيع البحوث والدراسات المقدمة حولها.

٦ - تقييم المقررات الدراسية في السيرة النبوية وتقديم الاستشارات في ذلك.

**المشروعات والبرامج:**

- إصدار سلسلة مطبوعات معاصرة عن السيرة النبوية بلغات متعددة تبرز القيم الأخلاقية والعلاقات الإنسانية في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.
- عقد مؤتمر علمي حول السيرة النبوية ووسائل عرضها في العصر الحديث.
- إقامة ملتقى دوري للمتخصصين في السيرة النبوية لمناقشة المستجدات وتقديم المقترحات

العلمية لخدمة السيرة النبوية.

- إقامة دورات تدريبية للمتخصصين والمهتمين حول وسائل تقديم السيرة النبوية وكيفية الاستفادة منها في الواقع المعاصر على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.
- تأليف مقرر دراسي جامعي للسيرة النبوية بأسلوب أكاديمي معاصر وإتاحة الفرصة لتدريسه من قبل الجامعات الراغبة.
- مقر الكرسي:

قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية جامعة الملك سعود.

أستاذ الكرسي والمشرف عليه: أ.د. عادل بن علي الشدي.

المستشارون:

١- معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء.
٢- معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
٣- معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد المطلق المستشار في الديوان الملكي وعضو هيئة كبار العلماء.

الباحثون:

١- د. تيسير بن سعد أبو حيمد.
٢- أ. سطام بن صالح النمي.
٣- أ. سلطان بن سعد السيف.
٤- د. بدرية بنت محمد الفوزان.

جهات التعاون:

١- معهد الدراسات الغربية في واشنطن – الولايات المتحدة الأمريكية.
٢- جامعة سيدي محمد بن عبد الله في المملكة المغربية.
٣- الجامعة الإسلامية بماليزيا.
٤- كلية الأديان بجامعة هارفارد –بوسطن– الولايات المتحدة.
٥- مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون – واشنطن – الولايات المتحدة.
٦- جامعة أكسفورد – لندن.
٧- قسم الثقافة الدينية الإسلامية بجامعة فيينا.
٨- الأكاديمية الإسلامية المفتوحة

**أولاً: الكتب المؤلفة و المترجمة**

١- القيم الحضارية في السيرة النبوية، د. محمد بن عبد الله السحيم.
٢- السيرة النبوية، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري.
٣- القيم التربوية في السيرة النبوية، أ. د مهدي أحمد رزق الله.
٤- ٤٠ مجلساً في صحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، سيرته–أخلاقه–شمائله، أ. د. عادل بن علي الشدي.
٥- الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في المرآة الغربية، د. عبد الراضي عبدالمحسن رضوان.
٦- الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، فريق علمي بإشراف: أ. د عادل بن علي الشدي، وعضوية د. أحمد بن عثمان المزيد ود. محمد الدويش وخالد روشه.
٧- الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باللغة الإنجليزية، د. راغب السرجيني.
٨- الدولة الإسلامية في العهد النبوي، د. تيسير بن سعد أبو حيمد.
٩- الاضطهاد والهجرة والتنمية في ضوء السيرة النبوية، أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.
١٠-العالمية والدولة المحمدية، أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.
١١-المعايشون للمصطفى صلى الله عليه وسلم، أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.
١٢-إنا فتحنا لك فتحاً مبينا، أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.
١٣-رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة، أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري.
١٤-حاجات البشرية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أ.د عادل بن علي الشدي د.عبد الرزاق معاشي.
١٥-الآثار التربوية لدراسة سير زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم على الطالبة الجامعية، د. بدرية بنت محمد الفوزان.
١٦-دراسات في السيرة النبوية، الفريق العلمي بالكرسي.

**ثانياً: البحوث**

١- خطاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ( الأسلوب والمضامين).
٢- الرسول الأعظم لدى الإسلام والغرب.
٣- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بين كيرجما لاهوتات الكنائس الغربية وعقلانية اللاهوت الليبرالي.
٤- جهود المملكة العربية السعودية في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه.
٥- أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم.
٦- نحو منهج جديد في تقديم السيرة النبوية.
٧- أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم.
٨- بناء الجسور بين الثقافات من خلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٩- الأسطورة والتاريخانية في جدليات الغرب القروسطية ضد رسول الإسلام.

١٠- تدريس السيرة النبوية في الغرب: الواقع والتطلعات.

**إعداد المؤتمرات والدورات والمحاضرات:**

١- الملتقى الأول للسيرة النبوية: من ١٢/ ٣/ ٣٣ ١٤هـ إلى ١٦ /٣/١٤٣٣هـ.

٢- وسائل عملية في تربية الأبناء في السيرة النبوية: ١٤٣٢/٤/١٥هـ.

٣- كيف نقدم سيرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين بالتعاون مع الهيئة العالمية للتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته: ١٤٣٢/٤/١٨هـ.

٤- دورة عن وسائل التعريف بنبي الرحمة: ١٤٣٢/١٠/٩هـ.

٥- الوصية النبوية الشاملة، أ. د عادل الشدي.

٦- تربية البنات والبنين من هدي سيد المرسلين أ.د عادل الشدي.

٧- الوصية النبوية الشاملة أ.د عادل الشدي.

٨- نحو نصرة عملية للرسول صلى الله عليه وسلم، أ.د عادل الشدي.

٩- تجربة المركز العالمي لتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته، أ.د عادل الشدي.

١٠-السيرة النبوية – د. إبراهيم الفارس.

**المطبوعات:**

١- نبذة تعريفية عن الكرسي (الرؤية ، الرسالة ، الأهداف ، الوسائل ، المشروعات والبرامج).

٢- عشر إضاءات حول ما قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية.

٣- معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم للجيران.

٤- معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين.

٥- حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته.

٦- المرأة في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

٧- معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأطفال.

٨- النبي صلى الله عليه وسلم والعناية بالبيئة.

٩- النبي صلى الله عليه وسلم والرفق بالحيوان.

١٠-نشرة الملتقى الأول في السيرة النبوية.

١١-خلق الأمانة مع مبلغ الرسالة صلى الله عليه وسلم.

١٢-من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم.

١٣-وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٤-العدل قيمة كبرى في سيرته صلى الله عليه وسلم.

١٥-خلق الكرم عند النبي صلى الله عليه وسلم.

١٦-فضيلة العفو في السيرة النبوية.

**إنجازات نوعية :(هي مذكورة لكن من باب التأكيد عليها لأهميتها ) :**

١/ مقرر دراسات في السيرة النبوية ضمن سلة مواد الإعداد العام بجامعة الملك سعود والحصول على الموافقة عليه والبداية في تدريسه تجريبيا هذا الفصل الدراسي .

٢/ مسابقة (السراج المنير) لطلاب وطالبات السنة التحضيرية وإدراج أسئلتها في ثلاث مقررات رئيسية من مقررات السنة التحضيرية لتنمية مهارة التفكير والإبداع والتلخيص لدى الطلاب والطالبات وتمت موافقة عمادة السنة التحضيرية على إدراج أسئلة الكرسي ضمن تلك المقررات للفصل الأول من العام الجامعي الحالي ١٤٣٢-١٤٣٣هـ .

٣/ تدشين الموقع الالكتروني للكرسي باللغة الانجليزية بالإضافة للعربية حسب النموذج الجديد المعتمد من عمادة التعاملات الإلكترونية والاتصالات.

٤/أستاذ الكرسي هو الأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي وذلك بناء على المفاهمة التي تمت بين الأستاذ الدكتور علي الغامدي وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي والأستاذ الدكتور عادل الشدي .

٥/ نيل الكرسي جائزة التميز (المركز الأول ) من بين الكراسي الإنسانية .

٦/ الانتهاء من تأليف المادة العلمية لمقرر ١٠٩سلم (دراسات في السيرة النبوية ) وهو تحت المراجعة النهائية .

٧/ الانتهاء من تجريب مقرر ١٠٩سلم دراسات في السيرة النبوية ضمن سلة مقررات الإعداد العام بالجامعة ، ورفع التقارير الخاصة بذلك .

٨/ نيل الكرسي التكريم من جامعة القاهرة على هامش ندوة " ندوة استراتيجيات التعامل مع الإساءة للأنبياء عليهم السلام ) بمناسبة فوز الكتاب الذي أصدره بعنوان : (الرسول الأعظم في مراءاة الغرب) بجائزة مسابقة " كيف نفهم الغرب " التي نظمته جامعة القاهرة .

**عرض لأبرز الإصدارات الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم:**

أهداف الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم:اشراف الدكتور عادل الشدي –د/احمد المزيد وتحريرد/محمد الدويش والاستاذ خالد السيد روسه

- الهدف استحضار خطاب غير المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وغير اتباعه ضمن حقهم أن يعرضوا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ويتعرفوا على شخصية بعيداً عن المصادر غير العلمية.

- الكتاب يقدم صورة متكاملة عن شخصية محمد بكافة جوانبها من خلال المصادر الموثوقة لتجيب على سؤال كثير من الناس في الموقف الحالي من محمد صلى الله عليه وسلم.

- وتشمل محاور الموسوعة: حول نشأته وعناصر أثرت في شخصيته وبشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم

رفعه تواضعه- رحمته صبره كرمه وجوده عدله وشجاعته حلمه ووفائه بالعهد.

محمد والآخرون تعامله مع الأبناء وصحابته مع المرأة مع الأطفال مع قرانه مع جيرانه مع المنافقين مع الحيوان.

محمد في السلم والحرب: وأخلاقه في الحرب رسالة ومعاملة الأسرى وتعامله مع أعدائه.

مراحل التميز الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والحضاري والديني وعلى المستوى الإنساني في رسالته. ولعلنا في نهاية هذا الطرح الموجز حول الموسوعة نشير إلى انها تعد للقاري صورة متكاملة من شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وتناول إبعادها وجوانبها من خلال المصادر العلمية والموسوعة لتجيب على أسئلة كثير من الناس في العالم المعاصر من محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ومن يكون؟ وأشار المؤلفين لهذه الموسوعة أنهم عند كتابة الموضوعات التي طرحت في الموسوعة هو استحضارهم لخطاب غير المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أو غير اتباعه ويشيرون انه من حقهم معرفة حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ويتعرفون على شخصية بعيداً عن المصادر غير العلمية.

**الموسوعة الميسرة في التعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم:**

إشراف د/ عادل الشدي./ د/ احمد عثمان المزيد.

وتحرير د: محمد الدوش وأ/ خالد السيد

إصدار مجموعة المطويات تتحدث عن فضائل السيرة النبوية (العقود- معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للجيران- وفاء النبي الرسول- تواضع النبي--خلق الامانة من مبلغ الرسالة- الرفق بالحيوان- العدل قيمه كبري في سيرته-الكرم- - العناية بالبيئة- معاملة الأطفال- المرأة في حياة الرسول- معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين.

ولنعرض علي سبيل المثال لا الحصر نموذج لهذه المطويات

حقيقة موقف الفيلسوف القرشي قوليز من رسول الله ورسالته.تحتوي علي ما اضاءات مما قدمه نبينا محمد صلي الله عليه وسلم للبشرية

والواقع الكتاب يضع الضوء حول القيم التربوية التي حصل بها السيرة النبوية في حياة الفرد والمجتمع والأمة الإنسانية لأنها قيم ايجابية ودافعية وثانيه الأصول والمقاصد ومرنه التطبيق التي يساير حاجيات الإنسان في كل زمان ومكان لأنها مضبوطة بضوابط الهدى النبوي المستحدث من الهدى القرآني الذي يؤدي بالمتعلم المستهدف بالتربية إلى السلوكيات الإيمانية المحمودة في المواقف والأحوال المختلفة التى يتفاعل فيها مع دينه وأسرته ومجتمعه في ضوء معايير تربطها الجماعة لتنشئة أبنائها ولقد كان للقيم التربوية أثر عظيم في الشخصية الإسلامية والقويمة التي تمثل اثارها في الصحابة والتابعين وتابعي التابعين

واهتم المؤلف في المقدمة بوضع المصطلحات الهامة في الكتاب والمعاني اللفظ يتم والتربويين وتأصيلها شرعاً من خلال السنة النبوية.

ثم تحدث عن خصائص القيم التربوية الدينية ومن الديانة- الوضوح- الوسطية- الوقعة العالمية والإنسانية- الشمولية والتكاملية الايجابية- التكيف والمرونة).

ثم مجالات القيم التربوية في السيرة النبوية مثال لبعثة ورسائل لتنمية الايمان. والقيم التربوية الاجتماعية في السيرة النبوية من خلال الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية معالم القيم للأدب في السيرة النبوية من أدب السلوك الاجتماعي كالاكل والملبس والطريقة والتعامل العامر مع الخليفة واداب السلام والمجالس وغيرها.

ولعلنا في نهاية العرض نقول لهذا العمل الذي تزداد الحاجة اليوم إلى أبرز جانب القيم الأخلاقية في السيرة النبوية بالنظر إلى طغيان الحياة المادية بما يحمله من فتن الشهوات والشبهات في حياة الشباب والبنات على وجه الخصوص وسائر أفراد المجتمعات بشكل عام مما يجعل المربيين والمربيات أمام تحديات غير مسبوقة في محاولاتهم لبناء التحصين الذاتي وتعزيز الجانب القيمي والأخلاقي أثناء تدريبهم للأجيال.

ولذا فهذه الدراسة وضعت الجانب القيمي التربوي في السيرة النبوية التي تميز بالثراء الصالحة لكل زمان ومكان.

ومن الاصدارات (اربعيين مجلساً في صحبة الحبيب )سيرته واخلاقه وشمائله. د/ عادل الشدي.

وبعد هذا الكتاب قراءة لسيرته الشريفة وهذه الأسمى بأسلوب مبسط وميسر والإلمام بحياته وبيان لهدية وعبادته واجتهاده وتتبع أهم غزواته ومعايشه مواقف جليلة جعل منها النبي صلى الله عليه وسلم مصدرا أشعاع حضاري لكل من يبحث عن نظام معيشة متكامل وبعد ذلك استعراض لعدد من أقوال سيرته وسنته صلى الله عليه وسلم وعبر عن احترامهم له ثم سلسلة مؤلفات د. عبد العزيز إبراهيم العمري (أستاذ السيرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تقع في خمسة أقسام.

القسم الأول(علم السيرة النبوية العالم والمصطفى والوحي) ويتلخص في السيرة النبوية علم بذاته ومفتاح لعلوم متعددة من خلاله يتعلم المسلم الأخلاق وتطبيقها والعقيدة وأصولها والأحكام الشرعية والآداب المرعية والعدل والنظم الإسلامية وسياستها الشرعية والحقائق عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولابد أن يتعلمها المسلم من كثير من الحقائق الجغرافية لبلاد العرب عموماً والحجاز خصوصا وسائر العالم الذي ارتبطت به احداث السيرة وماله صلة بعصر النبوة يعيشها لعلمه وعقله وروحه ووجدانه كأنما يشاهد مجالسه ومن يحق به من الصحابة ومن يسمع آيات الله من فيه صلي الله عليه

وسلم يرى عطفه وشفقته مع شجاعته. وكما يرى معرفة أهل الديانات السماوية ببعثته وما جاء به وانتظارهم له صلى الله عليه وسلم.

القسم الثاني(الاضطهاد والهجرة والتنمية ويتحدث فيه عن أذى المشركون للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في محاولة لصدهم عن دين الله ضمن الأبطال وكانوا أمثلة للمسلمين غير الزمان في التحمل والشهادة في سبيل الله رجالاً ونساءً.

وكان صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويضرب لهم الأمثلة في اتباع الأنبياء السابقين وينزل الآيات عن الأمم السابقة ونصر الله للمؤمنين فيفتح أمامهم باب الأمل وجاء الإسلام إلى المجتمعات البشرية ليحيها بطاعة الله وتوحيده وليرفع كرامتها ويعزز النظام والحقوق ويزيد الانتاج ويحمي البيئة والأرض من الفساد ويقدم نموذجاً للمدينة التي نظمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمختلف التشريعات والأعمال المدنية متشابه أهلها للارتقاء والعطاء بدلاً من الاعتماد على الآخرين أو التشاؤم والسلبية فتمت وتغيرت احوالها.

القسم الثالث:(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) ويتحدث فيه عن وثيقة المدينة معاهدة مدنية لتنظيم عادل ومسؤولية اجتماعية ومرضية نظامية موثقة يرجع إليها تشبه بعض الانظمة في الدول الحديثة التي تتيح حرمة الدين وعدم الإكراه عليه مع التزام بالأمن والنظام والمشترك والمسؤولية الجماعية فكانت اساساً في قيام دولة المدينة النبوية وتركيز المسؤولية معها بيد الرسول صلى الله عليه وسلم أعدل الناس أبرز أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مقاومة للشرك مليئة بالجهاد بمفهومه الشامل ومنه قتال المشركين بعد مرحلة الإذن بالقتال وبلغت غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه ما يزيد على السنين وكان للجهاد والمغازي في ايامه أعظم اسباب التمكين له صلى الله عليه وسلم والإعداد للانطلاقة الكبرى للفتوح الإسلامية لمنع الظلم عن الناس وسماح كلمة الحق مع التأكيد على أنه لا إكراه في الدين.

القسم الرابع: (العالمية والدولة الإنسانية) ويتحدث فيه عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للعالمية ذلك من حرص من بداية دعواته على الاتصال بالقبائل وتعد حجه الوداع دستوراً للانسانية والتأكيد على المساواة في بناء المجتمع البشري وتنظيم حياتها المدنية القائمة على الأ الأسس الصحيحة وكان التنظيم النبوي لأعمال الإدارة وترتيب الدولة ووظائفها وما حمله من أمثلة في افدارة والسياسة والمالية والعسكرية والاجتماعية حيث جمع صلى الله عليه وسلم بين الدين والدنيا.

قامت دولته على السلام والعدل والامان لمن تحت لوائها مسلمين وغيرهم واتسعت رسالته روح حتى شملت بلاد العرب قاطبة وامتدت لعلاقات خارجية مع القبائل العربية والدول المجاورة.

القسم الخامس:(المعايشون للمصطفى صلى الله عليه وسلم) كان واضحاً من الحوار الذي دار في سقفه بني مساعد احترام الأنصار للمهاجرين والمهاجرين للانصار وتبادل الآراء وحرصهم على استتباب الأمن ومن المعايشة للرسول صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ومعظمهن من قريش وكانت

منهن صفية وأصلها من يهود العرب ثم أسلمت ومنهن مارية القبطية من مصر. وقد أسلمت وحسن إسلامها واما بنات النبيصلى الله عليه وسلم ولدن وعشن وتربين معه فكن من أوائل المؤمنات والمصدقات به عشن معه في أمن المدينة بعد الهجرة في كنف أزواجهن.

وقد فارقت الحياة في حياته عدا فاطمة رضي الله عنها وكانت أسرع اهله لحاقا به بعد وفاته ومن أبرز الإصدارات لكرسي السيرة القيم الحضارية في رسالة خير البشرية صلى الله عليه وسلم د: محمد بن عبد الله بن صالح العثيم.

وبعد هذا الكتاب توظيف القيم الحضارية في السنة النبوية وابرز القيم التي تقدمه ابرز مقومات الغايات والجوانب المادية والمعنوية. التي جاء الإسلام بالدعوة إليها ودلت عليها نصوص السنة المطهرة ولذا قسم الباحث دراسة إلى القيم العلمية (العلم – الدين- الإتقان).

القيم الاجتماعية (الوسيطة- العناية بالمرأة الحب- الرحمة- السلام- الخلق- النظافة).

القيم الإدارية:(الشمول للمبادئ والعقائد- ضمان الحقوق- تنمية المال والمحافظة عليه- العدل- القوة- احتمال المخالف وكذلك كتاب الرسول الأعظم في مرآة الغرب د/عبد الراضي محمد عبد المحسن. جامعة القاهرة وهو يتميز بأنه ينقل النصوص بالانجليزية أو الفرنسية ويترجمها ويعد هذا الكتاب أسهاماً من إسهامات الكرسي في أبرز مسيرة الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وممارسة عملية للتواصل الحضاري بين الأمم والشعوب وترجع هذه الأقوال إلى:

أن ما نعلمه ونجزم به من منطلق ايماننا وعقائدنا الإسلامية حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكامنه وفضله. واختار الله تعالى من بين سائر البشرية ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ولكن هذه الشهادات المنصفة تساق بالدرجة الأولى لغير المسلمين ليعترفوا على موقف نحبه ونحترمه، من الكرسي الذي لم يمنعهم عدم إسلامهم من الشهادة بالحق حول ما عرفوه من سيرة هذا النبي الكريم.

والأمر الثاني أن هذه الشهادات قد نصت بعض المفاهيم المخالفة للعقيدة الإسلامية وبعض المعلومات الخاطئة حول أحكام في الشريعة وبعض الروايات الضعيفة في أحداث معين من السيرة النبوية وهذا أمر متوقع يرجع الي الخلفية الدينية والثقافية المغايرة للإسلام ولم يكن المقصود من هذه الدراسة العلمية التعليق على هذه القضايا لأنه سيخرج البحث عن مقصوده الأساسي وهو إثبات قوة المنصفيين وقوة صحتهم فيما ذهبوا إليه من عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وتميز منجزاته وأخلاقه العالية ويعده عن مايتهمه به أعداؤه من التهم الباطلة التي تنافي الخلق الكريم ويشمل على المبحث الأول. الرسول الأعظم بين الإسلام والغرب ويتناول اقرار المتصفين الغربيين له بالعظمة مع بيان جوانب تلك العظمة ومعاييرها وأسباب استحقاقه لها صلى الله عليه وسلم.

**المبحث الثاني:** شمائل الرسول الأعظم ويرصد المناصب والشمائل التي أثبتها المنصفون الغربيون لرسول الله صلى الله عليه وسلم

**المبحث الثالث:** تصحيح المفاهيم المغلوطة المنارة حول نبي الإسلام في الغرب وهو يتتبع جهود المنصفين في نقد المخطئين الذين رسموا صورة شائنة لرسول الإسلام ذات مفردات بغيضه مغلوطه. واعتمد على ترجمة النصوص من لغاتها الأصلية الدينية الانجليزية- الفرنسية الألمانية.

وترجم إلى اللغة الفرنسية Cequele Prophete Mohamed Apporte Al,humanite حاجات البشرية رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم. وبالانجليزية The Weeds of Humanity in the Mission Prophet muhamed.

وأخيرا لا نسعى سوى ان نربط بين إستراتيجية الكرسي في وضع برنامج علمي يعني بالدراسات المتخصصة والبحوث العلمية وصياغة الرؤية الشاملة التعريف بالسيرة النبوية وتيسير سبل الافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في مختلف جوانب حياته من خلال دعم وسائل النشر وتقدم المشروعات والبرامج والإصدارات بلغات متعددة تبرز القيم الأخلاقية والعلاقات الإنسانية في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وربط ذلك بفكرة عوامل نجاح الكرسي البحثية في جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية من خلال.

- توفير الدعم المالي.
- ارتباط موضوع الكرسي بحا جة المجتمع.
- وجود أهداف بناءة ومحددة. يمكن قياسها وتطبيقها.
- تنوع الأنشطة من خلال التأليف والترجمة والتعاون الدولي.
- المشاركة المجتمعية مع المؤسسات المحلية والعالمية التي تعمل في مجال الكرسي.
- تحقيق مؤشرات الأداء التي تقررها ا رسالة الجامعة في البحث العلمي.

**أبرز النتائج:**

- ضرورة وجود كفاءات وعقول من اجل إنجاح الكرسي البحثي وذلك باقتراح بنك للأفكار بين الكراسي البحثية ذات الموضوع الواحد للخروج برؤية مشتركة وان اختلفت استراتيجيات التطبيق .

- وجود خطة عمل سنوية واضحة للكراسي البحثية وإستراتيجية مسبقة.

- ربط الكراسي البحثية بالمؤتمرات موضوع الكرسي والمشاركة فيها من ابرز القنوات للتعريف بوظيفة الكراسي البحثية.

- ضرورة العمل بمصفوفة تكون هناك جهة مرجعية تنسق متخصصة في موضوع كراسي البحث موجودة في الجامعات السعودية لحين ان كراسي السنة والسيرة النبوية تكون تحت مصفوفة واحدة حتى لا تكرر الجهود الصادرة من هذه الكراسي.وتكون تكاملية ولا تعتمد علي تكرار الموضوعات البحثية

- يعقد مؤتمر دولي تطويري لأبحاث السنة النبوية تحت مظلة الكراسي البحثية المهتمة بموضوعات السنة النبوية.
- استقطاب فريق عمل متعدد الكوادر الأكاديمية من مختلف الجامعات العربية والعالمية.
- تفريغ مشرفي الكراسي عن الأعباء الإدارية والأكاديمية من أجل انشاء منظومة تطويرية تهتم في تحقيق الزيادة العالمية في بناء مجتمع المعرفة والاقتصاد المعرفي وتعكس الرؤى الايجابي نحو التطبيق في معالجة قضايا التنمية ويسهم في البحث العلمي لان الهدف الرئيسي من الكراسي البحثية في الجامعات السعودية الابداع

البحثي الفعال والاعتماد علي خدمة المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي من خلال التطبيق الفعال للدراسات والأبحاث التي تقدم من قبل الكراسي البحثية ولذا من وجهة نظري ان الكرسي البحثي يجمع مابين وظيفة مراكز البحوث والدور الأكاديمي للدراسات الجامعية



# مشاكل يواجهها دارسوا الحديث والسنة: دراسة نموذجية بربوع نيجيريا

**زبير أبو بكر ماداكي**

طالب الدكتوراه قسم القرآن والسنة،كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية،

الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.



## الملخّص:

نيجيريا دولة مستقلة وهي واقعة في الغرب الأفريقي، ودخل الإسلام إليها في القرن الحادي عشر الميلادي كما قيل، واعتنق كثير من أهلها الدين الإسلام، لاسيما أهل شمالها وغربها، وعكف كثير من أهلها على تعلم الإسلام وعلومه حتى برع بعضهم وأصبحوا علماء أجلاء متفننين، منهم؛ فقهاء ومحدّثون ومفسرون ولغويون، وأوجد بعضهم مصنفات ومؤلفات مختلفة، ولكن ميل هؤلاء إلى الفقه أكثر من تفسير أو حديث، فأصبحت كتب دراسة الحديث محجورة وسوقها متروكة وبضاعتها مزجاة ! ولذلك قل من يعتني بالحديث وعلومه بله تطبيقه واستعماله، وحتى يرى بعض العوام أن ما يهتم به الطالب هو الفقه والتفسير المعقول وخصوصاً الإشاري منه، لا الحديث كأنه لا أهمية له في هذه الآونة.

ولذلك، يهدف هذا البحث بتناول البيئة النيجيرية مختصرة، ويبحث عن الكتب الدراسية الحديثية والمنهج المتبع في دراستها في الدهاليز التعليمية والمدارس الإسلامية والحلقات العلمية في المساجد قديما وحديثاً، ويختم البحث بالملاحظة العامة عن المشاكل التي يواجهها دارسوا الأحاديث النبوية الشريفة في نيجيريا مع بيان طرق حلها.

فالبحث مشتمل على المقدمة عن نيجيريا، وثلاثة مباحث عن الكتب الدراسية الحديثية في الدهاليز التعليمية، والمدارس الإسلامية النظامية، والحلقات العلمية في المساجد، وفي الختام مشاكل وحلول.

## المقدمة:

كثيرا ما يطلق على غربي ووسط أفريقيا اسم بلاد السودان، تمتد من حدود الصحراء الكبرى شمالاً إلى ما يعرف بنطاق الغابات الوسطى جنوباً، ومن تلال الحبشة شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً، وهي منطقة واسعة وفيها قامت ممالك وولايات الكثيرة في مختلف الأزمان كمملكة غَانَا[١]وصُنْغَي[٢] ومَالِي[٣] وكَانِمْ[٤] ثم الأخير الدولة الُفودِيّية[٥] في بلاد هَوْسَا[٦] في نيجيريا.[٧]

ودولة نيجيريا لم تكن معروفة بهذا الاسم وبهذا الشكل الموجود اليوم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حيث شكلها المستعمرون، وكانت تقع في المنطقة التي كان العرب يطلقون عليها بلاد السودان أو التُّكْرُور، كما ذكر ذلك محمد بَلْلُو في كتابه.[٨]

فالموجود في نيجيريا قبل القرن التاسع عشر الميلادي إذاً هو عدة ولايات وممالك موزّعة، تختلف في حجمها وقوّتها، وقد تختلف في عاداتها وتقاليدها، وبعضها مستقلة بنفسها وبعضها مرتبطة بأخرى إما بسبب إتحاد اللغة أو وسيلة من سائل التجارة كولايات هوسا.

دخل الإسلام إلى تلك الولايات فيما بين القرْن الحادي عشر والرابع عشر الميلادي كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين.[٩] وتتلمذ النيجيريون على أيد الوافدين من العلماء الأجلاء، واشتهر من بينهم الشيخ عثمان بن فودي وأخيه الشقيق عبد الله بن فودى، ومحمد بللو بن عثمان، والشيخ مصطفى غوني والشيخ أمين الألكنامي وغيرهم كثير، ممن تعلموا وعلموا، وألفوا وصنفوا وأنتجوا مصنفات وملخصات اسلامية.[١٠]

## المبحث الأول

## الكتب الدراسية الحديثية في مدارس الدهاليز التعليمية

بعد أن أتقن النيجيري الكتابة والقراءة وقرأ القرآن من أوله إلى آخره في الكتَّاب، يصرف همه على قدر استطاعته إلى دراسة الكتب العلمية على العلماء بحضور دهاليزهم، ويجرى الدرس على الدوريات، ويخصص لكل كتاب أو طالب خمس عشرة دقيقة أو ثلاثين، ويهتمون بالمتن دون الشرح إلا للاستشهاد، ومما يدرس في فن الحديث ومصطلحه على المنهج المتبع هي:

١- كشف الغمة عن جميع الأمة للشيخ عبد الوهاب الشعراني المصري، وهو كتاب حوى أحاديث الشريعة وآثارها وما يتعلق بأمر أو نهي أو مكارم الأخلاق، ومستمده من موطإ مالك ومسند سنيد بن داود والكتب الستة، ومسانيد أبي حنيفة وأحمد والشافعي، وصحيح الحاكم وابن خزيمة وابن حبان، والأحاديث المختارة للمقدسي، وغيرها، ذكر ذلك صاحب الكتاب في مقدمته.[١١] وهي مرتبة على الأبواب الفقهية.

٢- لباب الحديث لمحمد بن عمر النووي البنتني، وهو كتاب جامع للأخبار النبوية والآثار المروية بدون الأسانيد في أربعين بابا وفي كل باب عشرة أحاديث،[١٢] وسرد الأحاديث بدون ذكر الصحابي ولا راو الحديث.

٣- مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية للسيد أحمد الهاشمي، ويشتمل على ٢٠٠٠ حديث مرتبة على حروف الهجاء ومنتخبة من الكتب الستة والجامع الصغير والكبير للسيوطي، والترغيب والترهيب للمنذري، وغيرها،[١٣] وهي أحاديث بدون أسانيد.

٤- بغية المسلمين وكفاية الواعظين والمتعظين للحاج عثمان بن أبي بكر البمكي، جمع أحاديثه للترغيب والترهيب من كتب كثيرة،[١٤] أمثال: الكتب الستة، والدارقطني والبيهقي والطبراني والديلمي، ونزهة المجالس وكتاب الكبائر للذهبي، وإحياء علوم

الدين للغزالي، وغيرها من كتب الأخبار، ولذلك اشتمل الكتاب على أحاديث وأخبار غير صحيحة.

٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور بصحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأحاديث البخاري مسندة إلا التعليقات، واتفق المحدثون على صحته،[١٥] ولكن دراستها في دهاليز نيجيريا نادرة جدا.

٦- موطأ مالك للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، وهو من أوائل ما كُتب في الحديث المسند، ورتبه على الأبواب الفقهية ولكن امتلأه بفتاوى كثيرة.[١٦]

٧- ألفية السيوطي في علم الحديث لعبد الرحمن السيوطي، وهي منظومة في ألف بيت في مصطلح الحديث.[١٧]

ومن هذه الكتب أيضا، إحياء علوم الدين للغزالي، والشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (٤٧٦-٥٤٤هـ)، ودرة الناصحين في الوعظ والإرشاد لعثمان بن حسن بن أحمد الخوبري، وكتاب الكبائر لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تدرس هذه الكتب في الدهاليز وتُعتبر كتب للأحاديث، إما في السيرة النبوية أو في الترغيب والترهيب أو في الرقائق.

وأما صحيح مسلم وباقي كتب السنن وغيرها فنادرة جدا، ولا تكاد تجد من يدرّسها في تلك الدهاليز إلا قليلا، وكذلك بعض الشروح كتنوير الحوالك شرح على موطإ مالك لجلال الدين السيوطي، وإرشاد الساري على صحيح البخاري للقسطلاني، وتنقيح القول الحثيث على لباب الحديث للسيوطي أيضا، فهي موجودة ومنتشرة ولكن لا تدرس إلا نادرا أيضا، وإنما يعتمد على المتن أكثر بكثير من الشرح.

## المبحث الثاني

## الحلقات العلمية في المساجد

وهذه الحلقات إنما تقام في أغلب الأحول بعد صلاة الصبح، أو بعد صلاة العصر، أو بين المغرب والعشاء في مساجد نيجيريا، ويتولاها المثقفون الذين جمعوا بين الثقافتين الدهليزية والحلقات العلمية خارج الوطن، فيعقدون حلقات في المساجد، وتدرس فيها الكتب الحديثية مع الشرح والتوضيح بلسان قومهم، ومن الكتب الدراسية فيها:

١- صحيح البخاري، وقد سبق البيان عنه.

٢- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، والصحيح أنه يلي صحيح البخاري في الصحة، وقد أحسن مسلم ترتيبه وسياقة الأحاديث فيه وأجاد.[١٨]

٣- السنن الأربعة وهم: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)؛ وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)؛ وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣)؛ وأبو عبد الله بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٧٣هـ).[١٩] وهذه السنن الأربعة فقد تلقتها العلماء بالقبول، وكتبهم مرتبة على الأبواب الفقهية ولهذا اعتنى بها العلماء فتدرس مع ما سبق على الترتيب اللائق.

٤- موطأ مالك، وقد سبق البيان عنه، وأهميته عندهم في الدراسة والتدريس لم تكن كالكتب السابقة الذكر.

٥- رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين لمحي الدين يحي بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، واستسقى النووي كتابه هذا من أربعة عشر كتاب حديث، ذكرها علي بن حسن عبد الحميد في تحقيقه إياه.[٢٠]

٦- بلوغ المرام من أدلة الأحكام لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، وهو من أجود الكتب التي جمعت الأحاديث الخاصة بالأحكام الشرعية وأمور الشريعة الفقهية، ومستمده من الكتب الستة وغيرها وهي مبيّنة في خطبته للكتاب[٢١]، وقد أحسن فيه وأجاد.

٧- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام لأبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٦٠٠هـ)، وهو مختصر لجملة أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الإمامان: البخاري ومسلم[٢٢].

٨- الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، وهو مشتمل على ٤١٧ حديثا على طريقة أهل الحديث، وكلها أحاديث في هدي الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢٣]

٩- الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، والكتاب مؤلف على طريقة أهل الحديث من سياق كل حديث بإسناده، وفيه ١٣٣٢ حديثا في هدي النبي صلى الله عليه وسلم[٢٤].

١٠- الأربعون النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، وأصل الكتاب إملاء من ابن الصلاح لستة وعشرين حديثا التي عليها مدار الإسلام، فزاد النووي عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً ومأخوذة من الكتب الستة.[٢٥]

١١- بغية كل مسلم من صحيح الإمام مسلم لمحمد بن محمد بن عبد الله المراكشي، وترتيبه على نفس ما في صحيح مسلم، ويذكر الصحابي فقط ثم يذكر حديثه، وفي أغلب الأحيان مباشرة يأتي بعده بروايات متعددة كما فعل مسلم في صحيحه.[٢٦]

وهذه هي غالب الكتب الحديثية التي تدرس في أغلب الحلقات العلمية في مساجد نيجيريا، وفيها من علم الحديث والسنة ما يكفي المسلم النيجيري وغيره في تقويم عبادته ومعاملته لو كانوا يهتمون بها حقيقة الاهتمام.

## المبحث الثالث

## المدارس الإسلامية النظامية غير الحكومية

وهي التي يؤسسها الأفراد والمجتمعات المختلفة بمختلف مواقعها أو أغراضها، فتخصص الحصص على النظام المعهود، وتعقد للصغار غالبا بعد العصر إلى المغرب، وللنساء منتصف النهار أو بعد الظهر إلى العصر، وللكبار بعد المغرب أو العشاء غالباً، وتدرس فيها هذه الكتب الحديثية المختصرة وهي:

١- الأربعون النووية، وسبق البيان عنه.

٢- الفواكه الشهية في أحاديث الصحيحة لعبد القادر إسماعيل الكنوي، وهي أجزاء في قصار الأحاديث من الصحيحين، يذكر الصحابي ومن أخرج الحديث فقط.[٢٧]

٣- سعادة المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لأمين إبراهيم دَوْراوا، وهو في أجزاء أيضا وفي كل جزء ما يزيد على خمسين حديثا.[٢٨]

٤- زاد الزوجين في أحاديث سيد الثقلين لمحمد السنوسي بن موسى، وهو كتاب في قصار الأحاديث في أجزاء، وفي كل جزء مائة وعشرين حديثا مستاقاة من الصحيحين.[٢٩]

٥- الحق المبين في أحاديث الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم لأبي مصطفى محمد بن عبد الله، وهي معدة لتلاميذ المدارس أيضا ومشتملة على أربعين حديثا في كل جزء، ومستمدة من الكتب الستة.[٣٠]

٦- أسوة حسنة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد عمر إبراهيم غُمَو، والكتاب في أجزاء صغار وفي كل جزء أربعون ونيف حديث، ومأخوذة من الصحيحين أيضا ومعدة لتلاميذ المدارس الابتدائية.[٣١]

٧- الأحاديث النبوية تتعلق بالعقيدة الإسلامية لجبريل محمد بوتشي، وهو جزء واحد ومستاق من الصحيحين، ويشتمل على أربعين حديثا في العقيدة فقط.[٣٢]

٨- أحاديث مختارة للمدارس الإسلامية لأبي إبراهيم زبير أبو بكر ماداكي، وهي في خمسة أجزاء، ففي كل جزء ما يزيد على مائة حديث منقسمة إلى ثلاث فترات الدراسة، وأحاديث الأجزاء صحيحة وحسنة فقط، ومنتخبة من الجامع الصغير للسيوطي.[٣٣]

وهذه الكتب من المختصرات الحديثية التي تدرس في جل المدارس الإسلامية النظامية غير الحكومية في نيجيريا، ليحفظها التلاميذ والطلاب بسهولة مع ترجمة معانيها بلغتهم، وذلك ليسهل لهم استمرار التعمق في دراسة أي حديث فيما بعد كالمتخصصين إن شاؤا، وليتميزوا منذ النشئ بين الصحيح والسقيم على الأقل، ولذا كانت هذه الأحاديث قصارا ومقبولة أو من الصحيحين أو كتب الستة مراعاة للأوضاع النيجيرية واحترازا وتخوفا من الإتيان بالضعيف أو الموضوع، وذلك أيضا لأهمية التي أولاها المجتمع النيجيري لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه المطهرة، ولأن الغرض الحقيقي في تأسيس مثل هذه المدارس الإسلامية التمكن من الحصول على المعلومات الإسلامية الجيّدة المستقيمة، ولا توجد ذلك إلا بدراسة الكتاب والسنة الصحيحة وما والاهما على المنهج الصحيح المرضي لدى علماء الأمة.

**الخاتمة في المشاكل وحلولها:**

كل من أنصف النظر في واقع الحديث ودارسه في ربوعنا النيجيري، يفهم بأن هناك مشاكل كثيرة تعتري هذا المصدر الثاني من مصادر التشريع وتعتري كذلك من يهتم بها، ويلزمنا أن نذكر بعض هذه المشاكل وطريقة حلها بالاختصار لطبيعة الحال، فنقول:

**أولا:** عدم اعتبار بعض العلماء بأن الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فتراهم يعتمدون فقط على أقوال الفقهاء واللغويين على أنها حجة معتبرة بعد كتاب الله تعالى، فهذه فتنة خطيرة تؤدي إلى إبطال الأمور كلها، لأن الله تعالى قد قرن طاعته بطاعة رسوله في غير ما آية ولم يقترنها الفقهاء أو اللغويين، فواجب على كل مسلم اعتبار حديثه وسنته بالمرتبة التالية بعد كتاب الله تعالى، ولا يجهل هذا إلا من لا نصيب له من العلم الصحيح.

**ثانيا:** عدم تفريق بعضهم بين الحديث المقبول وبين المردود، فهؤلاء النفر من الناس يقبلون كل ما قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغض النظر عن كونه صحيحا أو موضوعا، وهذا مصيبة كبرى أيضاً، وليس كل ما قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صحيحا، وقد وجد قوم وضّاعون الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع أحاديث مكذوبة وقد اعترف بعضهم بهذا، ولذا فلا بد من التفريق بين المقبول والمردود الذي لا يعمل به من الأحاديث الموضوعة، وهذا من أهمية علم الرواية التي قل الاهتمام بها في ربوع نيجيريا.

**ثالثا:** وهناك أخباريون وقصاصون الذين كانوا يبثون قصصا واهية وأخبارا باطلة وحكايات غريبة على أنها مأخوذة من أحاديث وأخبار صحيحة، ولكن الأمر ليس كذلك، فهذا الصنف من الناس قد أفسدوا عقائد الآخرين فأصبحوا معتمدين على ما حذر عنه كثير من العلماء من الاعتماد والإصغاء إلى هؤلاء الكذابين وقصصهم، لأن كثيرا منها غير ثابتة، وقد أنتج هذا لهؤلاء القوم التخبط في الظلمات التي بعضها فوق بعض إذا أخرجوا أيديهم لم يكادوا يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ! فلا بد إذاً على علماء الأمة المحمدية أن يفهموا هؤلاء بمنهج ذوي الأباب في أمور القصة والأخبار، وليس

كل ما قيل بمقبول عند الراسخين في العلم، وليتصدوا أيضا في مواجهة تحديات هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة ليفهم الجميع حقيقة الأمر.

**رابعا:** رفض بعضهم الحديث أو تضعيفه إذا خالف مذهبه أو عقله أو رأيه، وكأنهم لم يعلموا بأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم وبيانه مقدم حتما على قول أحد من الناس مهما بلغ علمه وورعه وثقافته، وهذا هو حقيقة الإيمان به؛ تصديقه بكل ما أخبر وطاعته فيما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

**خامسا:** قلة عدم علماء الجرح والتعديل في ربوعنا أو عدم العكوف بالبحث والمراجعة على ما كتبوه من العلوم المهمة صيانة لأحاديث نبي هذه الأمة، مما أدي بالكثير من طلبة الحديث إلى الركود وعدم مراجعة ما قد حصلوا عليه أولاً حتى يذهب الجميع، وهذا مما يأسف به المتأمل في واقع الحديث وعلومه.

**سادسا:** قصور بعضهم عن اضطلاع كتب شروح الأحاديث النبوية الشريفة، واهتمامهم بمعاني المفردات فقط، مما يسبب عدم حقيقة فهم الحديث وما يستنبط منه، فيقرأ الحديث وتحفظ ترجمته من دون فهم مراده، وهذه علة قادحة، فأصبح كثير من الأحاديث تحفظ ولا تعرف أحكامها ولا تحاول ذلك، عجبا، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ! والحال هذه أن نبينا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس ليطاع بإذن الله تعالى، وكيف يطاع إذا لم يفهم كلامه ومراده على الأقل ؟ إذا، فلا بد من البحث عن المراد بالحديث عند من يعرف ذلك، لا يتكل على اللغة فقط بل على الرواية والدراية، بهذا وذاك تستقيم أحوالنا إن شاء الله.

**سابعا:** استغراب العوام وغيرهم بعض ما يقوم به المتجددون من محاولة تطبيق أو تجديد سنة ما، فيُستهزؤ بهم ويتغامزون، لماذا ؟ لأنهم يريدون أن يحيوا سنة نبيهم قد أميتت ونسيت، ولا غرو في ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين ذلك في غير ما حديث، وذلك أيضا من أشراط الساعة التي تظهر بعده، فعلى العاقلين أن لا يلتفتوا إلى أمثال هؤلاء، بل طوبى لهم إذا كانوا غرباء، وويل لهؤلاء إذا لم يعوفوا درجة نبيهم وحرمة سنته وحقيقة طاعته. ولهذا فيتصدى لهؤلاء المستهزئين بالوعظ والإرشاد والتحذير، ويضل الله الظالمين ويهدي الله من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذا غيض من فيض من هذه المشاكل التي تواجهها السنة النبوية ويواجهها دارسوها في كل وقت في ربوعنا النيجيري.

وخلاصة القول: إن الأحاديث النبوية كانت ذات أهمية في مدارس نيجيريا بكل أنواعها كما رأينا خلال إيراد بعض الكتب الدراسية في هذه المدارس، وإن كان في بعضها ما كان من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكذلك مما سبق نفهم بأن النيجيريين إنما يهتمون بمتون الأحاديث أكثر من اهتمامهم بأسانيدها ورواياتها، وهذا مما أدى ببعضهم إلى التمسك بكل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحا أو سقيما، ولكن بالتدرج والتجديدات التي تطرأ حينا بعد آخر تقضى على مثل هذه المشاكل

كما حاول بعض النيجيريين ايجاد مختصرات وملخصات حديثية صحيحة لتقويم وجهة دراسة السنة المحمدية في ربوع نيجيريا، وهو سعي مشكور ومقبول، وبه يقضوا على جميع التحديات التي تواجهها السنة أو يواجهها دارسوها في كل مكان إن أحسنوا استعماله وأتقنوا منهجه وأخلصوا النية.



# التحدّيات المعاصرة للسنة النبوية وموقف علماء الهند منها


**سيد عبد الماجد الغوري**

الباحث في معهد دراسات الحديث النبوي

المحاضر في قسم الكتاب والسنة

الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا)





**ملخص البحث:**

لقد ظهر قديماً العديدُ منالفِرَق والطوائف مثل "الخوارج" و"الجهمية" والرافضة" و"المعتزلة"...، التي ذهبت إلىإنكار السنة النبوية وقيمتها التشريعية بدوافع مختلفة وأغراض متعددة، ولكن لم يُكتَب لها البقاء لطويل الأمد حيث انتهى وجودها بنهاية القرن الثالث الهجري. ولكن استيقظت تلك الفتنةُ من جديد في هذا العصر مِن قبيل بعض عَبِيد الفكر الغربي، الذين حاولوا اغتيال السنة النبوية والإجهازَ عليها، بكلِّ ما استطاعوا من قُوَّة، وما مَلَكوا من حيلة،فمِنهم مَن تولَّوا حملات التشكيك في ثبوت السنة، أو في الرواة المشاهير كأبي هريرة ﷺ.ومِنهم مَن حَمَلوا لواءَ الطَّعنِ في حُجِّيَّتها ومصدريتها لتشريع الإسلام وتوجيهه زعماً منهم أنهم استغنوا بالقرآن الكريم عنها!.وقد ظهرت تلك الفتنة في بلاد القارة الهندية إبان الاستعمار البريطانيونشطت فيها بدعم كامل منه، ووقف عليها بالمرصاد علماءُ هذه البلاد الغيورين على السنة النبوية، وقاوموها مقاومةً شديدةً، وبذلوا في القضاء عليها جهوداً كبيرة، التي أثمرت فيما بعد نتائجَ طيبةً حيثُ خفَّ تأثيرهاإلى حدّ كبير. وهذا البحث الذي في صدد تعريف تلك الفتنةيشتمل علىمبحثَين،أولهما: في تاريخ "فتنة إنكار السنة" في القارة الهندية وأبرز أصحابها.والثاني: في تعريف جهود علماء الهند في الدفاع عن السنة والرد على منكريها من خلال الكتابة والتأليف.والخاتمة، التي تشتمل على أهم نتائج البحث وتوصيات الباحث.


## المبحث الأول

### "فتنة إنكار السنة" في القارة الهندية، تاريخها وأصحابها:

إنّ الهند واحدة من تلك البلدان السعيدة التي انتشر فيها الإسلام في عصر مبكّر، وتمتَّع بعض مناطقها في القرن الثاني والثالث الهجري بحكم عربي الذي كان خاضعاً للخلافة الأموية ثم العباسية، وفي عهد

هذا الحكم لقد توافد إلى هذه البلاد الكثيرُ من رواة الحديث، ونشروا فيها الحديث والسنة، حتى أصبحت لبعض مناطقها شهرةٌ واسعةٌ في ذلك، مثل: "دِيْبَل" و"مُلْتان"و"منصورة" وغيرها، التي يذكرها المؤرخون في كتبهم بسبب كثرةعناية أهلها بالحديث والسنة نشراً وتدريساً.

واستمرّ الأمر في نشر الحديث والسنة في هذه البلاد عن طريق المحدثِّين العرب إلى أنْ انقطع ذلك الحكم عن مناطقها، ثم فتر النشاط في ذلك، ولم يزل الأمر هكذا حتى القرن العاشر الهجري، الذي نبغ في هذه البلاد محدِّث كبير وعالم جليل،وهو الشيخ عبد الحقّ الدِّهْلَوي (ت١٠٥٢هـ)، الذي أول من قام في هذه البلاد بتدريس الحديث النبوي من الأصول الستة، وأدخلها لأول مرة في المنهج التعليمي السائد وقتئذ في شمالي الهند[١]. ثم أكرم الله - سبحانه وتعالى - هذه البلادَ بعالم فذّ، وعَلَم شامخ في الحديث النبوي، وهو الإمام شاه وليِّ الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، الذي أجمع العلماء والمؤرِّخون[٢] على أنه رائد النهضة الحديثية في هذه البلاد، وكان - رحمه الله تعالى - قد وقف حياتَه كلها في نشر الحديث النبوي في هذه البلاد تدريساً وتأليفاً، حتى تكوَّنت من جهوده المباركة في ذلك مدرسةٌ حديثية كبيرة تخرَّجت فيها نخبة مباركة من المحدِّثين الذين لهم دور عظيم في خدمة الحديث النبوي في هذه البلاد، وقامت بجهودهم نهضةٌ حديثيةٌ في هذه البلاد لا تزال تُؤتي أُكُلَها.

ولم تَعرِف الهندُ في هذه الحقبة الطويلة من تاريخها الإسلامي أيةَ فتنةٍ سعت إلىإنكار السنة النبوية والتشكيك في حجيتها، بل الأمرُ كان عكس ذلك تماماً،حيث كانت هناك خدمات جليلة وجهود مشكورة في نشر السنة بشتى الطرق والوسائل، والتي غنية عن التعريف بها هنا. فلذلك من السهل للباحث تحديدُ الفترة التي ظهرت فيها هذه الفتنة في هذه البلاد بأنها أواخر القرن الثالث الهجري، عندما نشب الاستعمار البريطاني براثنه في هذه البلاد،وسيطر المنصِّرون عليها تحت رعاية الحكومة البريطانية، "فتأثَّر كثير من مؤيّديها بحملاتهم التنصيرية، وظهرت آثارها في كتاباتهم إما بحُسن نية لأنهم ما عرفوا غير ذلك، وإما بخطة مدبَّرة من جهة الاستعمار لتمزيق صفوف المسلمين وتشتيت وحدتهم. فهبَّت في هذه البلاد عواصف إلحادية عديدة، بعضها أشدّ من بعضٍ، فكان المستفيد الأول منها الاستعمار البريطاني في تحقيق أهدافه الخبيثة ضد الإسلام"[٣]، فنشأ تحت رعايته العديد من الطوائفوالجماعات المنحرفة عن عقيدة الإسلام مثل: "البِدَعِيّة"(أي: البريلوية) و"الإلحادية"، وكذلك الطوائف الخارجة عن الإسلام مثل: "القاديانية"، والحركات المشكِّكة في السُّنّة مثل:"العصرانية" و"العقلانية" و"القرآنيين" وغيرها، التي سأتحدَّث عن كل منها بالتفصيل في هذا المبحث، الذييشتمل

[١] انظر للاطلاع على مساهمته في خدمة الحديث في هذه البلاد "**الشيخ عبد الحق الدهلوي وإسهامه في الحديث النبوي**" للباحث، المنشور في مجلة "الحديث" (الصادر عن معهد دراسات الحديث النبوي بسلانجور في ماليزيا)، العدد الرابع، السنة الثانية، صفر ١٤٣٤هـ/٢٠١٢، ص١٠٧، ١٣١.

[٢] من أمثال: الأمير صديق حسن خان القنوجي في كتابَيْه "**الحطة في ذكر الصحاح الستة**"، ص٢٥٦ و٢٥٧، و"**أبجد العلوم**"، ص٧٠٩، والشيخ عبد الحي الحسني، في كتابه "**نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**"، ج٦، ص٨٥٦.

[٣] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩١.

على مطلبَين، أولهما في تعريف الاتجاهات والجماعات التي أثارت الشكوك والشبهات حول السنة دون إنكارها الصريح، والثاني في تعريف تلك الفِرَق والحركات التي ذهبت إلى إنكار السنة وحجيتها كلياً.

**المطلب الأول: الاتجاهات والجماعات التي أثارت الشكوك والشبهات حول السنة:**

**( أ )المدرسة العصرانية:**

وهي الحركة التي سعت إلى تطويع مبادئ الدين لقِيَم الحضارة الغربية ومفاهيمها، وإخضاعه لتصوراتها ووجهة نظرها في شؤون الحياة[٤]، وكان أشهر أصحاب هذا الاتجاه: السيد أحمد خان وأتباعه في الهند[٥]، والذين سأتحدث عنهم.

يُعتبَر السيدُ أحمد خان (١٢٣٢-١٣١٥هـ/١٨٩٨م) رائدَهذه المدرسة في العالم الإسلامي، وكان نموذجاً كاملاً لها،وكان لشخصيته نفوذ كبير وتأثير واسع في الهند، إذ هو رائد النهضة التعليمية بين المسلمين في الهند، ومؤسس أول جامعة عصرية لهم التي اشتهرت بـ"جامعة عليكره الإسلامية"، والتي تُعَدّ اليوم في كبرى الجامعات الهندية. فلذلك عدَّه الدكتور أحمد أمين (ت١٣٧٣هـ) في زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ووصفه بأنه: "في الهند أشبه بالشيخ محمد عبده في مصر"[٦] في إصلاح العقلية بالتثقيف والتهذيب. أما من ناحية تضلُّعه من العلوم الشرعية وتديُّنه فيقول المؤرخ الشيخ عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): "هو ما أتقن فناً، وتصانيفُه شاهدة على ما قلتُه، فإنْ رأيت مصنَّفاته علمت أنه كان كبيرَ العقل، قليل العلم، ومع ذلككان - سامحه الله تعالى- قليل العمل، لا يصلِّي ولا يصوم غالباً"[٧].

وكان السيدخان معجباً جداً بنهضة الغرب في مجال العلم، ولكنه في الوقت نفسه كان شديد المخالفة مع التبشير النصراني في الأمور الدينية، الذي كان يبيض ويفرخ في القارة الهندية في ظلّ الاستعمار،فقد كتب كثيراً ضد أعداء الإسلام دفاعاً عنه، لكنه انبهر أخيراً أمام الحملات النصرانية المدبّرة، ولجأ إلى تأويل النصوص، ورأي الاعتماد على المنطق والبرهان، "وأخذ يفسِّر القرآن ويدعو إلى أنّ القرآن إذا فُهِم فهماً صحيحاً؛ اتَّفق مع العقل، وأنّ النظر الصحيح فيه يُوجِب الاعتماد على روحه، أكثر من الاعتماد على حرفيته، وأنه يجب أن يُفسَّر على ضوء العقل والضمير"[٨]، فأقدم على تفسير القرآن متخذاً عقله هو أساساً لهذا التفسير، غير ملتزِمٍ للألفاظ ودلالته، ولا لما أجمع عليه علماء المسلمين على مرّ الزمن، وأوَّل النصوصَ التي لم توافق طبيعته وعقليته تأويلاً لا تتحمَّله اللغة العربية وقواعدها، فأنكر المعجزات،والجنةَ والنار والملائكة والجنّ، وأنكرالأحاديثَ النبوية الصحيحة التي خالفت عقله حسب زعمه، فقبل ما شاء منها ورفض ما شاء منها، وأخذ يشتم الأئمةَ الفقهاء،

---

[٤] محمد سعيد بسطامي، **مفهوم تجديد الدين**، ص٩٦، ٩٧.

[٥] محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨١.

[٦] أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، ص١٢١.

[٧] عبد الحي ا لحسني ، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، (١١٧٥/٨).

[٨] أحمد أمين، زعماء **الإصلاح في العصر الحديث**، ص١٣٠، ١٣١.

ويستهزئ بالمحدِّثين وبالشعائر الإسلامية، وقرَّر أن القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول ألفاظه من عنده[٩].

وهذه الأفكار قد هيَّجت الرأيَ العام المسلم ضد السيد أحمد خان، وزاد تشديد النكير عليه من العلماء حتى حكموه بكفره، وحذَّروا الناسَ من أن يقعوا فريسةً لعقليته المعاصرة، ونتيجةً لذلك ابتعد المسلمون عن قبول أفكاره، ولم يستفيدوا حقَّ الاستفادة مما كان يقترحه لهم حول الإسهام في التعليم الإنجليزي المعاصر لمسايرة ركب الحياة زمن الاستعمار.

**موقف السيد أحمد خان من السنة:**

لقد ظهر موقف السيد أحمد خان من السنة من خلال مقالاته التي كان يكتبها في مجلات مختلفة، والتي قام بجمعها وترتيبها الأستاذ محمد إسماعيل في مجلدين، وأنقل هنا مما جاء فيها من آرائه حول السنة، وهو يتدرَّج من خلالها إلى التشكيك في السنة:

١) أنه شكَّك في كيفية تدوين السنة،فقال في إحدى مقالاته: "ظلّت الروايات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة، غير أننا لا نستطيع أن نغضّ الطرف عن الكيفية التي دُوِّنت بها تلك الكتب، التي كان مبناها روايات الذاكرة... والبُعْدُ الزمني بين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين تدوين الأحاديث يفتح البابَ على مصراعيه ليدخل إليها ما ليس منها"[١٠].

ويقول في مكان آخر: "أن السنة لم تُدوَّن في العهد النبوي، بل دُوِّنت في القرن الثاني من الهجرة في عصر مضطرب بالصراعات السياسية والاختلافات الدينية، مما كان له أثرُه في كثرة الأحاديث الموضوعة"[١١].

ويقول: "إنَّ ما دُوِّن في كتب الحديث إنما هو ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي الصادر من شَفَتَيْه صلى الله عليه وسلم والمعبّر به، من وفاقٍ أو خلافٍ، وليس من العجب أن يُخطئ أحد الرواة في فهم الحديث، مما يكون سبباً في ضياع المفهوم الصحيح"[١٢].

وبناءاً على رأيه ذلك،فقد وضع قاعدةً في عدم اتِّباع المسلمين تلك الأحكام التي استُنبطت من تلك الأحاديث، فقال: "إن الأحكام المستنبطة من السنة بوجهٍ عامٍّ أحكام لا يجب على المسلمين اتباعها، وأنّ ما استخرجه العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية، لا نصية فيها ولا حتمية، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده صلى الله عليه وسلم"[١٣].

---

[٩] انظر: عبد المنعم النمر، **كفاح المسلمين في تحرير الهند**، ص٤٤، ٤٥. صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[١٠] السيد أحمد خان، **مقالات سَرْسَيِّد**، (٣٢/١).

[١١] المرجع السابق: (٤٩/١).

[١٢] المرجع السابق: (٢٣/١).

[١٣] المرجع السابق: (٦٩/١).

٢) أوّل تأويلاتٍ عقليةً واهنةً في الغيبيات الواردة في الأحاديث النبوية[١٤].

٣) عاتب أئمةَ الحديث على أنهم لم يُفصِحوا متونَ السنة، بل جلُّ نقدِهم كان للسند ورجاله، وقال: "إنّ مساعي المحدِّثين لم تتجاوز توثيق الرواة أو جرحهم، بعد أن مضى على وفاتهم زمنٌ طويل، ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم، بحيث يكون هو العمدةُ في قبول الحديث وردّه، فإن لم يكن هذا الأمر مستحيلاً، فلا يخلو أن يكون في غاية الصعوبة[١٥].

٤) أنكر الأمورَ الخارقة للعادة، الواردة في السنة النبوية بحجة أنها مخالفةٌ للقوانين الطبيعية والخلف غير واردٍ في القوانين الطبيعية[١٦].

٥) أنكر كلَّ ما ورد في السنة من الأحاديث في الجنّ[١٧].

وكانت هذه بعض آراء السيد أحمد خان في السنة، والتي أثار من خلالها الشبهات حولها،وقد ردَّ عليها الكثيرُ من علماء الهند في كتبهم، كما سيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني.

وبعد وفاة السيد أحمد خان حمل لواءَ أفكاره تلميذُه "مولوي جِراغ علي" (١٨٤٤-١٨٩٥م)، الذي تأثَّر كثيراً بأفكاره الغربية والغريبة عن الإسلام.وكانت لهذا الرجل صلات وطيدة بـ"مزرا غلام أحمد القادياني" مؤسِّس طائفة "القاديانية"، بل كان من مساعديه في تأليف كتاب "براهين أحمدية" الذي يعتبره القاديانيون كتاباً مقدّساً عندهم[١٨]. وكان لـ"جراغ علي" دور كبير في ترسيخ أُسُس أفكار السيد أحمد خان، التي دافع عنها ودعا إليها طول حياته، وحاول صبغ الإسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه السيد خان، فأوَّل نصوصَ الإسلام بما يتلاءم مع الحياة الغربية[١٩].

ومن موقفه من السنة: أنه أوَّل كلمةَ الجهاد، وطعن في الأحاديث التي تحثّ عليه[٢٠]. وكان يقول: "إن الأحاديث لم يصح منها إلا القليل"[٢١]. وكذلك من أقواله في الحديث النبوي: "إنَّ معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة إليها لتمييز الحديث صحيحه من سقيمه؛ لأن الحديث في حدّ ذاته شيءٌ لا يمكن الاعتمادُ عليه"[٢٢].

فكانت أفكار السيد أحمد خان وأفكارُ تلميذه هذا، قد مهّدت الطريقَ لتأسيس حركة "أهل القرآن" التي سأتحدَّث عنها في المطلب الآتي؛ وذلك لأجل مكانة الأول العلمية المرموقة في الأوساط المسلمة في الهند، فتأثَّر بأفكاره في التشكيك في السنة النبوية، بعضُ أدعياء العلم،ثم تعدَّى ذلك إلى

---

[١٤] المرجع السابق: (١٢٨/١).

[١٥] المرجع السابق: (٤٩/١).

[١٦] المرجع السابق: (٣٢/١).

[١٧] المرجع السابق: (٨١/١).

[١٨] أبو الحسن علي الحسني الندوي، **القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي**، ص١٧٧.

[١٩] انظر: محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨٦.

[٢٠] جراغ علي، **تحقيق الجهاد**، ترجمة: غلام حسين وعبد الغفور، ص١٨٥، ٢٢١.

[٢١] جراغ علي، **تحقيق الجهاد**، ص١٢١.

[٢٢] جراغ علي ونواب يار جنغ، **أعظم كلام**، ترجمة: مولانا عبد الحق، (٢٠/١).

صفوف المسلمين، واستفحل بمرور الزمن، حتى نادوا بكفاية القرآن في أمور الدين، وأنه لا حاجة إلى السنة إلا فيما يوفق هواهم[٢٣]، كما سيأتي الحديث عنهموعن موقفهم من السنة في المطلب الآتي.

**( ب ) المدرسة العقلانية:**

وهي التوجُّه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يُلائِم مع المفاهيم المستقرّة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسةِ تفاوُتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي ردّ ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل[٢٤]. ويصح إطلاق هذه المدرسة على مدرسة الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣ﻫ) في مصر[٢٥]، التي من أبرز خرِّيجيها: المؤرخ الكاتب الدكتور أحمد أمين (ت١٣٧٣ﻫ)، وإسماعيل أدهم (ت١٣٥٩ﻫ)، ومحمود أبو رية (ت١٩٧٠م)، وغيرهم، الذين أثاروا الشكوك حول السنة بعدم أهليتها لتساير مع العصر في نظرهم.

وأما أصحاب هذه المدرسة في الهند فهم إنْ لم يذهبوا قطّ إلى إنكار السنة مذهب محمود أبي ريه وأمثاله، ولكنهم أدلوا بين الحين والآخر آراءاً غريبةً تؤدِّي إلى التشكيك في السنة والاستخاف منها كما سأشير إلى بعض منها،والتي ما زالت خفيةً على الكثيرين.

**موقف هذه المدرسة من السنة:**

وكان من أبرز أصحاب هذه المدرسة في القارة الهندية: الأستاذ أبو الأعلى المودودي ثم بعض المتأثرين به أمثال الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي والأستاذ جاويد أحمد الغامدي، فها هو موقفهم من السنة أبيِّنه فيما يلي مع تقديم نبذة من تراجمهم قبل ذلك:

**الأستاذ أبو الأعلى المودودي (١٣٢١-١٣٩٩ﻫ):**

كان من طليعة المفكرين والمؤلِّفين الإسلامين في هذا العصر. وُلد مدينة "أَوْرَنْغَ آباد" بالهند. تلقَّى الدراسة البدائية في البيت. اتَّجه إلى الصحافة في عنفوان شبابه وعمل بها مدةً. أنشأ الجماعة الإسلامية في عام ١٩٤١م، وانتخب أميراً لها. ومع إعلان قيام دولة باكستان في سنة ١٩٤٧م، انتقل مع زملائه إلى لاهور، واستقر هناك. مُنح جائزةَ الملك فيصل العالمية تقديراً لجهوده في خدمة الإسلام. توفي بنيويورك. بلغ عدد مؤلفاته (١٢٠) مصنفاً ما بين كتاب ورسالة، ومن أبرزها: "تفهيم القرآن"، و"الجهاد في سبيل الله"، و"المصطلحات الأربعة في القرآن"، و"الحجاب"، و"مبادئ الإسلام"، و"الربا"، والقرآن والحديث"، و"مكانة السنة التشريعية"[٢٦].

---

[٢٣] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[٢٤] سلمان بن فهد العودة، **في حوار هادئ مع محمد الغزالي**، ص٩.

[٢٥] محمد أبو الليث الخيرآبادي، **اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها**، ص٨١.

[٢٦] انظر: محمد خير رمضان يوسف، **تتمة الأعلام للزركلي**، (٧٣/١).

ولا مجالَ للإنكار أنَّ الأستاذ المودودي كان أحدَ أقطاب الفكر الإسلامي وكبار المؤلفين الإسلاميين في هذا العصر، لقد أثرى المكتبةَ الإسلامية بعطاءاته العلمية الجمة في مجال الفكر والدعوة، وتأثَّر بها الكثير من الكُتَّاب الإسلاميين من أمثال الشهيد سيد قطب (ت١٣٨٥هـ) وغيره، ولكنه - للأسف - دخل خلال كتاباته في بعض المواضع الشائكة التي لم يكن يُحسِنها، فوقع في الأخطاء والزّلاّت، مع أنه - رحمه الله تعالى - من الذين دافعوا عن السنة النبوية دفاعاً مستميتاًعندما أنكرها "القرآنييون"، وردَّ عليهم ردوداً علميةً قويةً، ولكنه بنفسه لم يسلم من إثارة بعض التأويلات العقلية حول السنة، ومنها بعضُ هذه الأحاديث الصحيحة التي لم يوافق عقله فرفضها بغضِّ النظر عما ورد فيها من أقوال كبار علماء الحديث:

١ ) حديث الكذبات الثلاث: وهو الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[٢٧] عن أبي هريرة رضي الله عنهأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيْمُ النبيُّ- عَلَيْهِ السَّلاَمُ - قَطُّ إلاَّ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: "إِنِّيْ سَقِيْمٌ"، وَقَوْلُهُ: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هذا"،وَوَاحِدَةً فِيْ شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: "إنَّ هَذا الْجَبَّارَ، إنْ يَعْلَمَ أَنَّكِ امْرَأَتِيْ، يَغْلِبُنِيْ عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيْهِ أَنَّكِ أُخْتِيْ، فَإِنَّكِ أُخْتِيْ فِي الإِسْلاَمِ..."».

وردَّ الأستاذ المودودي هذا الحديثَ بكل قناعة في كتابه "تفهيم القرآن" لدى تفسير الآية ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] فقال: "ولسُوء الحظِّ ورد في إحدى الروايات أنّ إبراهيم - عليه السلام - كذب في حياته ثلاث كذبات: إحداها قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]، والثانية قوله: ﴿إِنِّيْ سَقِيْمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، والثالثة قوله في سارة: "إنها أختي"، وهي لم تُذكَر في القرآن، بل ورد ذكرُها في باب الولادة من الإنجيل"[٢٨]، ثم أطال الأستاذ كلامه حول هذا الحديث محكِّماً عقله في نقده، ورماه بأنه رواية إسرائيلية مهملة لاغية خرقاء[٢٩].

٢ ) حديث سليمان عليه السَّلام: "لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِيْ": الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[٣٠] عن أبي هريرة رضي الله عنهعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِيْنَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِساً يُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُه: إنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئاً إلاَّ وَاحِداً سَاقِطاً إِحْدَى شِقَّيْهِ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوْا فِي سَبِيْلِ اللهِ».

ويقول الأستاذ المودودي في هذا الحديث: "هذا الحديثُ أورده الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، وكتاب الجهاد، وكتاب الأيمان والنذور. واختلفت الروايات في تعيين عدد نساء سليمان - عليه

[٢٧] مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، ص١٠٤١، برقم (٢٣٧١).

[٢٨] أبو الأعلى المودودي، **تفهيم القرآن**، (١٦٨/٣، ١٦٧).

[٢٩] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٦٧، ١٧٦.

[٣٠] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **الصحيح الجامع**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾، ص٦٣٠، رقم الحديث (٣٤٢٤).

السلام - ما بين ستين وسبعين وتسعين وتسع وتسعين ومئة. وأسانيدُ هذه الروايات متعددة، وما وصل إلى المحدِّثين من هذه الأسانيد المتعددة يصعب القول فيه بأنه لا أصل له قطعاً. بل يظهر إما أنه وقعت زلّةٌ في فهم أبي هريرة رضي الله عنه(راوي هذا الحديث) لكلام النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنه لم يستطع أن يسمع الحديثَبكامله"[31].

ثم أعطى الأستاذ المودودي الحديثَ صيغةً جديدةً، وصهره في قالب جديد من عنده فقال: "يمكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ سليمان - عليه السلام - كانت عنده نساء كثيرات، عددُهن على ما تقول اليهود (ستين وسبعين وتسعين وتسع وتسعين ومئة)، ففهم أبو هريرة رضي الله عنهأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم"[32].

ثم أتى الأستاذ إلى الشبهة الأخيرة، وهي استحالة طواف سليمان - عليه السلام - على نسائه في الليلة الواحدة وقال: "وكذلك يمكن أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن كلامَ سليمان - عليه السلام - أنه يطوف على نسائه، ويولد من كل منهن مجاهدٌ، ففهم أبو هريرة رضي الله عنهأنه قال: إنه يطوف عليهن في الليلة الواحدة"[33].

ثم جاء الأستاذ يبرهن على سقوط هذا الحديث من درجة الاعتبار، مغمضاً عينيه من أقوال أئمة الحديث في تأويله، فقال: "توجد مثل هذه الأمثلة لسوء الفهم في روايات عديدة، ربما وضّحته روايات أخرى، وبعضها تبقى غامضةً. ووقوعُ مثلِ هذا، في الروايات الشفوية ليس من العجب في شيء..."[34].

فالأستاذ المودودي من خلال كلامه هذا، فقد ردَّد نفسَ الشبهات التييُثيرها منكرو السنة، وسايَر ركبهم أحياناً في بعض الأحيان[35].

٣ ) حديث "الجَسَّاسة": الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه[36]، وروتْه فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدِّث الناسَ عن الدَّجّال، كما سمعه من تميم بن أوس الدَّاري (ت٤٠هـ) الذي كان نصرانياً ثم جاء فأسلم، وحدَّث النبيَّ صلى الله عليه وسلم بحديثٍ يُوافِق ما كان يحدِّث صلى الله عليه وسلم أصحابَه عن الدجال وصفتِه، كما رُوي عنهصلى الله عليه وسلم: «وحَدَّثَني (أي تميم) حَدِيثاً وافَقَ الَّذِيْ كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيْحِ الدَّجّالِ ...»، والحديثُ طويلٌعند مسلم في صحيحه.

[31] أبو الأعلى المودودي، **الرسائل والمسائل**، (٣٢/٢).
[32] المرجع السابق: (٣٢/٢).
[33] المرجع السابق: (٣٢/٢).
[34] المرجع السابق: (٣٢/٢).
[35] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٨٤، ١٨٦.
[36] مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، ص١٢٧٥، ١٢٧٧، برقم (٢٩٤٢).

وهذا الحديثُ مع صحته لم يوافق عقلَ الأستاذ المودودي فذهب إلى التشكيك في صحته، وما جاء فيه عن الدجال، فقال ردّاً على سؤال وُجِّه إليه: "هذا المسيح الدجال وغيره من الأساطير، التي ليست لها أية حيثية شرعية، وأيضاً لسنا في حاجة إلى البحث عن مثل هذه الأشياء، والإسلامُ ليس مسئولاً عما اشتهر بين العامة من الناس من هذه الأمور"[37]. وكذلك قال في ردّهعلى سؤال آخر عن حديث الدجال: "إن الأمر الذي تحققتُ في أنه أسطورة، هو ذلك الوهم الذي يؤكِّد أن الدجال محبوس في مكان ما"[38]. وكذلك قال في أحد الردود على الأسئلة الموجَّهة إليه: "وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال مختلفة بهذا الصدد في الأحاديث، يُنبئ اختلافَ محتوياته - ويترشَّح من أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً - عن أنه لم يقله بناءً على الوحي، بل قاله على الظنّ والقياس"[39].

ومما جاء في كلام الأستاذ المودودي حول حديث "الجساسة"، يظهر منه جلياً تشكيكُه في هذا الحديث، حيث إنه في رأيه من الأساطير، وأنه ليس مما أُوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل قاله على الظنّ والقياس. مع أنّ الحديث صحيحٌ، وإخراجُ الإمامِ مسلمٍ له في الصحيح كافٍ في الحكم عليه بالصحة ووجوب قبوله ، لما علم من مكانة أحاديث "الصحيح" وتلقّي الأمة لها بالقبول ، كما أن رجال هذا الحديث كلهم ثقات عدول لا مطعن في واحد منهم.

<u>الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي (١٩٠٤-١٩٩٧م):</u>

هو العالم المفسِّر المؤلِّف. وُلد في قرية "بَمْهُوْر" من مديرية "أعظم كره" في شمالي الهند. درس في "مدرسة الإصلاح" ونُسب إليها، ثم لازم مؤسِّسَها العلامة المفسِّر الشيخ حميد الدين الفَرَاهِي (ت١٩٣٠م) وتخرَّج عليه في علوم القرآن. انضمَّ إلى "الجماعة الإسلامية" لمؤسّسها الأستاذ المودودي، وتقلَّب فيها مناصب مهمة، وكان من الأعضاء المتحمسين لها، بل كان يُعتبَر الرجلَ الثاني فيها بعد المودودي، إلا أنه اعتزل عنها، وانقطع إلى التأليف والتصنيف. وله مؤلفات عديدة، ومن أشهرها "تدبُّر القرآن" بالأردية في مجلدات ضخام[40].

وأما موقفه من السنة فهو يظهر جلياً مما أبداه من آرائه حول السنة التي تخالف إجماع الأمة، فأورد من خلالهاالشبهات حول بعض الأحاديث التي يأباها العقل العام في أول وهلة على زعمه، ومنها هذان الحديثان:

١ ) حديث معاريض إبراهيم عليه السَّلام، الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[41] عن أبي هريرة رضي الله عنهعن النبي صلى الله عليه وسلم.وورد هذا الحديث في حديث الشفاعة الطويل حين

---

[37] أبو الأعلى المودودي، **الرسائل والمسائل**، (٤٦/١).

[38] المرجع السابق، (٤٧/١).

[39] المرجع السابق، (٤٧/١، ٥٠).

[40] الجهني، مانع حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بزيادة من الباحث.

[41] البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ...) ، ص٦٠٩، برقم (٣٣٤٠)، ومسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منْزلةً فيها، ص١٠٣، برقم (١٩٤).

يأتي الناسُ إبراهيمَ - عليه السَّلام - للشفاعة فيقول لهم: "إنَّ رَبِّيْ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ... ، وإِنِّيْ قَدْ كُنْتُ كَذِبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ... اذْهَبُوْا إِلَى غَيْرِيْ".

٢ ) وحديث "لَطَم موسى ملكَ الموتِ فقفأ عينَه"، الذي أخرجه البخاري في صحيحه[٤٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُرْسِلَ ملكُ الموتِ إلى موسى - عليه السَّلام - فلمَّا جاءه صَكَّه، فرَجَع إلى ربِّه فقال: أرسلتَني إلى عبدٍ لا يُريد الموتَ. قال: ارجِعْ إليه، فقل له يضع يدَه على مَتْن ثَوْرٍ، فله بما غَطَّتْ يَدُه بكل شَعَرَةٍ سَنَةٌ. قال: أي ربّ ثم ماذا؟، قال: ثم الموتُ. قال: فالآنَ. قال: فسأل اللهَ أن يُدْنِيَه من الأرض المقدَّسة رميةً بحَجَرٍ". قال أبو هريرة ﷺ: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جَانِبِ الطَّرِيْقِتَحْتَ الْكَثِيْبِ الأَحْمَر».

فهذان من الأحاديث التي حاول الجهمية والمعتزلة قديماً التشكيكَ فيها وأنكروها[٤٣]، وقد ذهب الأستاذ الإصلاحي مذهب هؤلاء في ذلك، وتردَّد في قبولهما بحجة أن العقل العام يأباه!، فقد ردَّ عليه الشيخ محمد إسماعيل السلفي (ت١٣٨٧هـ) فقال: "فليعلم الإصلاحي أن الأنبياء - عليهم السلام - تمرّ بهم مثلَ هذه المراحل في حياتهم، التي تتسامى عن (العقل العام)، فمن بدأ يكيل مثل هذه الأمور بمكيال (العقل العام) يبوء بالخيبة، ولا يتمتَّع بالراحة والاطمئنان إلا أن ينكرها، ويوفِّر للعقل بذلك متاعاً زائفاً من الثقة والاعتماد..."[٤٤].

**الأستاذ جاويد أحمد الغامدي (من مواليد ١٩٥١م):**

هو باحث إسلامي معروف في باكستان، من كبار تلامذة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وقد تأثَّر بأفكاره، وأخذ على عاتقه نشرها، وأصدر لأجل ذلك مجلةً بالأردوية باسم "إشراق" والأخرى بالإنكليزية، وأسَّس مركزاً علمياً باسم " معهد الْمَوْرِد للعلوم الإسلامية"، ويقوم من خلاله بتعليم الشباب المثقَّف العلوم الدينية بعقلية متفتِّحة ومنهج عقليّ منحرف، وكان لأفكاره تأثير محدود في باكستان، ولكنه منذ بدأ يدير حركةً فكريةً عبر وسائل الإعلام الإلكترونية الشعبية في باكستان، ويظهر على القنوات الفضائية؛ استغلَّالفُرَصَ، وبدأ يبثّ من خلالها سموم أفكاره بأسلوب لَبِق جذّاب مما ترك تأثيراً كبيراً في الطبقة المثقفة لا سيما الشباب. وله العديد من الكتب باللغة الأردوية والإنكليزية في ترويج أفكاره[٤٥].

[٤٢] البخاري، **الجامعالصحيح**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده، ص٢٦٢، برقم (٣٤٠٧)، ومسلم في **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ص١٠٤٣، برقم (٢٣٧٢).

[٤٣] انظر: صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٢٣٢.

[٤٤] محمد إسماعيل السلفي، **موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي**، ص١٢٧، ١٢٨.

[٤٥] انظر لترجمته: en.wikipedia.org/wiki/Javed_ Ahmed_ Ghamidi

وأما موقفه من السنة فإنه جعل تصوُّرَها في إطار محدود، يعني السُّنَن عنده هي التي وُجد في شريعة إبراهيم - عليه السلام - ونفَّذها النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أفراد أمته بعد إجراء بعض التعديلات كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِاتَّبِعْمِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمَشْرِكِيْنَ﴾[النحل: ١٢٣][٤٦].

لقد ظهر حديثاً العديد منالكتب بالأردوية للرد على أفكار الغامدي وتحذير المسلمين منها، ومن أهمّها ما ألَّفه الأستاذ محمد رفيق في سلسلته باسم: "ما هو مذهب الغامدي؟"، و"جاويد الغامدي وفتنة إنكار الحديث"، و"دراسة نقدية وتحليلية لفتنة الغامدي" وغيرها.

**( ج )المدرسة البِدْعِيَّة:**

التي تمثِّلها جماعة "البَرَيْلَوِيَّة"، وهي جماعة صوفية بدعية خرافية، تنتمي إلى الشيخ أحمد رضا خان البريلوي (ت١٣٤٠هـ)، نشأت في الهند أيام الاستعمار البريطاني بدعمٍ كامل منه[٤٧]. اشتهرت هذه الجماعة بالغلوّ الشديد في الأنبياء والأولياء، وقد رَدَّ على معتقداتها الباطلة الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه "البريلوية: عقائد وتاريخ".

**موقف هذه الجماعة عن السنة:**

ليس موقف هذه الجماعة من السنة النبوية إنكارها الصريح لها أو استخفافها الشنيع منها، مثل مواقف جماعات وحركات أخرى من السنة، التي سبق الحديثُ عن بعضها آنفاً. بل من موقف هذه الجماعة من السنة: مخالفتها لِما جاء في الأحاديث النبوية الصحيحة من التحذير من الابتداع في الدين، وكذلك اتكاء هذه الجماعة على السنة لترويج بِدَعها ومعتقداتها الباطلة[٤٨].

يتبيَّن مما سبق في هذا المطلب: أن المنتمين إلى إحدى هذه المدارس الثلاثة لم يكونوامنكرين للسنة إنكاراً صريحاً، بل كان من مذهبهم تقديم عقولهم في فهم السنة النبوية، فكانوا يقبلونها ما وافقتها، ويردّونها ما لم تُوافِقها، أو يؤوِّلونها بتأويلات واهنة تُخالِف مذهبَ الجمهور، أو يُخالفون الأحاديث الصحيحة في نشر بِدَعهم وخرافاتهم،مما أدَّى ذلك كله إلى الاستخفاف من السنة النبوية لدى عامة الناس.

**المطلب الثاني: الفِرَق والجماعات التي ذهبت إلى إنكار حجية السنة كلياً:**

وهذا الاتجاه -في الحقيقة - ليس بجديد، بل هوعميق الجذور في التاريخ، ولكن معالمه قد اندرست مع تعاقُب الأزمان، ولكن في العصر الأخير نشطت هذه الفتنة من جديد في بعض بلدان العالم الإسلامي والعربي تحت رعاية الاستعمارات الأجنبية، متاثرةً بأفكار العصرانيّين ودراسات المستشرقين، كما ظهرتبقوة ونشاط في القارة الهندية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، في صورة فِرَق مثل

---

[٤٦] حافظ محمد زبير وحافظ طاهر إسلام عسكري، **أفكار غامدي دراسة وتحليل**، ص٣٥.

[٤٧] وأتباع هذه الجماعة يتبعون المذهب الحنفي، وهو في براءة من معتقداتهم الخرافية وأفعالهم المخالفة لأهل السنة.

[٤٨] انظر: إحسان إلهي ظهير، **البريلوية: عقائد وتاريخ**، ص١٠٢.

"القاديانية" ثم "أهل القرآن"، واتخذت فيها شكلاً منظماً،والتي سأتحدَّث عنها بشيء من التفصيل في هذا المطلب.

**( أ ) القاديانية[٤٩]:**

كانت حركة السيد أحمد خان العصرانية قد مهَّدت لظهور "القاديانية" بما بثّته من الأفكار المنحرفة. فاستغلَّ الاستعمارُ البريطاني هذه الظروفَ فصنعوا "الحركة القاديانية"، واختار لها رجلاً من أسرة عريقة في العُمالة[٥٠]، والذي كان يُدعَى"المِيْرزا غُلام أحمد القادِيَاني[٥١]" (١٨٣٩-١٩٠٨م)، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن وموالاتها للاستعمار البريطاني، فنشأ - غلام أحمد - منذ صِغره وفياً للاستعمار ومطيعاً وموالياً له، وبقي على ذلك طول حياته[٥٢].فنشأت هذه الطائفة سنة ١٩٠٠م في بلاد الهند بدعم كامل وتخطيط مدبَّر من الاستعمار البريطاني، ونشطت في القارة الهندية وخارجها.وقد أعلن المؤتمر الإسلامي (الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة) في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، كُفْرَ هذه الطائفةِ وخروجَها عن الإسلام[٥٣].

**موقف القاديانة من السنة:**

طعن مؤسِّس هذه الطائفة غلام أحمد في جميع الأحاديث الواردة في فضل الجهاد، وأنكر رفعَ عيسى عليه السلام، وحرَّف الأحاديثَ الواردة في هذا الشأن، ثم ادَّعى النبوةَ، وأنكر جميع تلك الأحاديث التي كانت تفنِّد دعواه الباطلة، وتكشف عن زيغها وانحرافها، وتُظهِر سُخفها وهرائها[٥٤].

**( ب ) أهل القرآن:**

لقد تأثَّر بفكرة السيد أحمد خان في إنكار السنة لأجل مكانته العلمية الكبيرة في الأوساط المسلمة في الهند، بعضُ أدعياء العلم وجهلاء الدين وضعفاء العقيدة، وكان على رأسهم "مولوي جراغ علي" كما أسلفتُ، وكان لأفكارهما حول السنة تأثير كبير وبعيد، فإنها مهَّدتْ الطريقَ أمام "القرآنيين" ليُعلنوا عن خبايا نفوسهم من إنكار السنة كلها، وأخذوا يدعون إليها كحركة علمية ثقافية تقدُّمية، فاغترَّ بالانضمام إليها بعضُ البُلَه ومَن لا صلةَ لهم بالعلوم الدينية من العامة والمثقَّفين[٥٥]، فيزعُمون أن القرآن الكريم يكفي لكل ضرورة، ولكل حكم ومسألة، وأنّ عقلهم وفهمهم يكفي لتفسيره وشرحه، ويريدون بذلك القضاء على ثروة الأحاديث والفقه، وأن تحلّ محلَّها اجتهاداتهم واستنباطاتهم، فتُصبح هذه الاجتهاداتُ الصورةَ الصحيحة للقرآن الكريم، وثروةً موثوقةً لتعاليم الإسلام الصحيحة[٥٦].

---

[٤٩] وهي تعُرَف كذلك بـ"الأحمدية" و"المرزائية"، ولكنها مشهورة بـ"القاديانة" أكثر من أسماء أخرى لها.

[٥٠] الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (٤١٨/١).

[٥١] الذي يُنسَب إلى مقاطعة "قاديان" الواقعة في ولاية بنجاب في الهند.

[٥٢] أبو الحسن الندوي، **القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض وعلمي**، ص١٦٧.

[٥٣] الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (٤١٨/١).

[٥٤] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٢.

[٥٥] خادم حسين إلهى بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص١٠٠،

[٥٦] سيد سليمان الندوي، مقدمته لـ"**تدوين الحديث**" للشيخ مناظر أحسن الكيلاني، ص٢٣.

ثم تعدَّى ذلك إلى صفوف المسلمين، واستفحل بمرور الزمن، حتى نادوا بكفاية القرآن في أمور الدين، وأنه لا حاجة إلى السنة إلا فيما يوافق هواهم[٥٧]، وما أنْ حلَّ القرن الرابع عشر الهجري حتى ظهرت طائفة "القرآنيين" باسم "أهل القرآن والذكر"، وكان للاستعمار البريطاني دور كبير في تقويتها ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغريبة عن الإسلام، وقد وجد الاستعمار لتحقيق هذا الهدفِ أفراداً عُرف فيهم الانحراف عن الدين؛ ليكونوا عملاءاً له، ينشرون هذه الأفكار بين المسلمين، ويخدمون الأهداف المشبوهة للاستعمار[٥٨]. فبرز في سنة ١٩٠٢م مولوي عبد الله جَكْرَالَوِيّ (ت١٩١٤م)[٥٩]، وبدأ نشاطَه الهدّام لإنكار السنة كلها، وفي نفس الفترة ظهرت شخصية أخرى في شمال شرقي الهند وهو مُحِبّ الحقّ العظيم آبادي[٦٠]، وشارك مع جكرالوي في تأسيس حركة "أهل القرآن"، ثم انضمَّ إليها أشخاص آخرون، الذين ازدهرت على أيديهم هذه الحركة في هذه البلاد، وهم: أحمد الدين الأَمْرَتْسَرِيّ(١٨٦١-١٩٣٦م)[٦١]، والحافظ أسلم الجيراجفوري (١٨٨٠-١٩٥٥م)[٦٢]، وغلام أحمد برويز (١٩٠٣-١٩٨٥م)[٦٣]، الذين كانوا رؤوسَ هذه الفتنة في بلاد الهند[٦٤].

**موقف هذه الحركة من السنة:**

أما الشُّبَه التي أثارها منكرو السنة من القرآنيين في شبه القارة الهندية فهي تتلخَّص في نقاط تالية:

١) عدمُ كتابة الحديث في عصر الرسولصلى الله عليه وسلم، ولا في عصر الخلفاء الأربعة.

٢) إن الصحابة أدركوا حقيقة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة سُنَنه؛ لذلك نهوا عن كتابتها.

٣) إن الأحاديث جُمعت أول مرةٍ بعد مئة سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم فقدت تلك المجموعات،وتمَّ جمعُها مرةً ثانيةً من أفواه الناس في القرن الثالث الهجري.

٤) إن الأحاديث الموضوعة اختلطت بالأحاديث الصحيحة اختلاطاً لا يمكن بعده التمييز بين الصحيح والموضوع.

٥) إن المعايير التي اختارها المحدِّثون لنقد الحديث لم تكن كافيةً لمعرفة الصحيح من الموضوع لكون كلِّها تدور حول نقد السند ورجاله، أما المتن فلم يحظ باهتمام المحدِّثين[٦٥].

---

[٥٧] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٤.

[٥٨] محمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً**، ص٤٥٧، ٤٥٨، بتصرف وزيادة.

[٥٩] انظر: خادم حسين إلہی بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص٢٥، ٣٢.

[٦٠] صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص٩٨.

[٦١] انظر: خادم حسين إلہی بخش، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، ص٣٣، ٣٩.

[٦٢] انظر: المرجع السابق، ص٤١، ٤٥.

[٦٣] انظر: المرجع السابق، ص٥٤.

[٦٤] أبو الأعلى المودودي، **مكانة السنة التشريعية**، ص١٦.

[٦٥] محمد لقمان السلفي، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً**، ص٤٥٨، ٤٥٩، بتصرف يسير.

وهذه بعضُ أشهر الشبهات التي أثارها القرآنييون حول السنة في أساليب مختلطة، ويصوغونها اليوم في عبارات متنوعة في كل مكان، وهي في الحقيقة مأخوذة من كتب المعتزلة والمستشرقين، وقد ردَّ علماء الهند على تلك الشبهات في مؤلَّفاتهم مثل الأستاذ أبي الأعلى المودودي في كتابه "القرآن والحديث" والأستاذ افتخار أحمد بلخي في كتابه "فتنة إنكار الحديث في الماضي والحاضر" والدكتور خادم حسين إلهي بخش في كتابه "القرآنيين وشبهاتهم حول السنة"، فأشبعوا ردودهم بحثاً وتمحيصاً، وأثبتوا بأدلة واضحة وبراهين صريحة أن تلك الشبهات لا تمتّ إلى الصحة بأية صلة.

ومما سبق في هذا المطلب يتضح منه: أنَّ فرقة"القاديانية" قد ذهبت إلى إنكار السنة كلياً، ولكن إنكار هذه الفرقة للسنة لا يعني شيئاًلكونها قد انفصلت انفصالاً تاماً من بين الصفّ الإسلامي،كما أنَّ عداوتها لدين الإسلام معلومة لدى الجميع.أما حركة "القرآنيين" مع انتمائها إلى الإسلام فقد ذهب أصحابها في إنكار السنة إلى أبعد حدود لم يذهب إليها أحدٌ من قبل؛وذلك لأن مُنكرِي السنة قديماً وحديثاً كانوا يأخذون بالسنة العملية المتواترة، كالصَّلاة وهيئاتها وركعاتها، والزَّكاة والحجّ، وما شاكَلَ ذلك من الأمور التي تناقَلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقلاً عملياً، ولكن "القرآنيين" أنكروا حتى هذا الجزءَ المتواتر العملي من الإسلام، وقالوا: "لم يبيّن لنا القرآنُ الأمورَ الجزئية إلا قليلاً، وقد تطرَّق في أغلب الأحيان للكليات، فمثلاً أمر اللهُ - سبحانه وتعالى - بإقامة الصلاة، ولم يبيّن لنا مقدارَها، فإن كان الله - سبحانه وتعالى - يريد أن نصلّي كما يُصَلُّون؛ لذكره في آية واحدة مثلاً: صَلُّوا الظهر، والعصر، والعشاء أربعاً، والفجرَ ركعتين، والمغربَ ثلاثاً.

ولا يُمكِن القول بأنَّ مثل هذا التفصيل يزيد في حجم القرآن؛ لأن القرآن الكريم كرَّر الأمرَ بإقامة الصلاة مرات عديدة، فكان يمكن الاكتفاء بذكر إقامة الصلاة مرةً أو مرتين، ثم تذكر التفصيلات لإقامة الصلاة بدلاً عن التكرار، وكذلك الزكاة وهلمّ جراً"[٦٦].

ومن هنا يتضح جلياً: أنَّ "القرآنيين" قد فاقوا جميع منكري السنة قديماً وحديثاً، ووصلوا في رفض السنة إلى نقطة جعلتْ "النبيَّ صلى الله عليه وسلم" مثلَ سائر الناس، وعدَّته في صفوفهم، ونسبوا أنه ليس هناك بون شاسع بين إنكار "الرسول" وإنكار "أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم"[٦٧].

## المبحث الثاني

## جهود علماء الهند في الدفاع عن السنة والردّ على منكريها من خلال الكتابة والتأليف

لم يكن علماء المسلمين في بلاد الهند مكتوفي الأيدي عن " فتنة إنكار السنة"، التي ظهرت فيها في صورة مختلف تلكالاتِّجاهات والجماعات والفِرَق والطوائف، بل حسَّ هؤلاء بخطورة تلك الفتنة قبل تفاقُم أمرها واستفحالها، فشمّرواعن ساق الجدِّ، وقاموا في وُجوه أصحاب تلك الفتنة، فصمدوا لهم، وبذلوا في سبيل مقاومتهم، وكبحِ جِماحهم، والدفاعِ عن بَيْضَة الإسلام والمسلمين، النفسَ والنفيسَ، الغالي

[٦٦] غلام أحمد برويز، **مقام حديث**، ص٦٧، ٦٨.

[٦٧] محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي**، ص٢٨، ٤١، و صلاح الدين مقبول أحمد، **زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً**، ص١٠١.

والثمين، وكان مِن أثر ذلك أنَّ بعض تلك الفِتَن لم يَبْقَ لها من الأثر ما يزيد على أثر بعد عين، فصارت كجسم هامد ليست لها حُشاشة ولا روح.لقد قام هؤلاء العلماء بالردّ على تلك الفتنة وأصحابها تارةً عن طريق المناظرات، وأخرى عن الطريقالكتابة والتأليف، فألّفوا الكثيرَ من الكتب القيمة باللغة العربية والأردوية، والتي يزيد عددها - حسب استقراء الباحث - أكثر من خمسين كتاباً، وأقتصر فيما يأتي على تعريف بعض أهمّ الكتب منها، التي كان لها - ولم يزل - أثر كبير في إخماد نيران تلك الفتنة:

**١ - الشيخ مُناظِر أحسن الكيلاني(١٨٩٢ - ١٩٥٦م):**

هو العلامة البحاثة، الكاتب المؤلف، وأحد أشهر علماء الهند، ومن كبار الخبراء في مجال التربية والتعليم في وقته. وُلد بقرية "كيلان" في ولاية "بِهار" وتوفي بها. أكمل دراسته كلها في "دارالعلوم ديوبند"، ثم درَّس فيها مدةً، ثم دُعي إلى الجامعة العثمانية بحيدرآباد (الدَّكَنْ) حيث عيِّن أستاذاً في قسم الدراسات الإسلامية ثم رئيساً له. وله كتب قيمة بالأردوية ألَّفها في مختلف الموضوعات الدينية والعلمية والتاريخية والتعليمية، ومن أشهرها: "تدوين القرآن" و"تدوين الفقه"و "تدوين الحديث" و"النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم" و"الاقتصاد الإسلامي"[٦٨].

ألف الشيخ الكيلاني كتابه الشهير المسمَّى بـ"تدوين الحديث" قبل أكثر من سبعين عاماً حين استشعر بخطر تفاقُم المحاولات القديمة الجديدة لإقصاء السنة النبوية من حياة المسلمين بحُجَج واهية وأدلة باطلة، والتي أنكرت جمعَ الحديثِ وتدوينه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأثارت الشبهات حوله بعدم حجيته، فألَّف هذا الكتابَ في تعريف علم الحديث وأهميته وتاريخه وبداية كتابته ونهايته وتدوينه في غاية التحقيق، وفي أسلوب أدبي رفيع سهل يفهمه كل من حصل على شيء من الثقافة العامة. وقد ترك هذا الكتابُ أثره الحميد في الساحة الثقافية الهندية، وحُمد عمله لأنه أدَّى رسالةً مهمة في الحفاظ على المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، كما كان - هذا الكتاب - مصدراً ملهماً لكثير من الدراسات التي جاءت بعده وتناولت موضوعَه باللغتين الأردوية والإنكليزية. ونظراً لقيمة هذا الكتاب العلمية فقد قام الدكتور عبد الرزاق إسكندر بنقله إلى العربية، ثم راجعه المحدِّث المحقِّق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت١٤١٧هـ) ثم تلميذه العلامة المحقِّق الشيخ محمد عوامة مراجعةً دقيقة، وطُبع أخيراً بعناية المؤرِّخ المحقِّق الدكتور بشار عواد معروف[٦٩].

**٢ - الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (١٣١٧-١٣٩٤هـ):**

هو المحدِّث المفسِّر، وأحد العلماء المكثرين من التأليف في القرآن والحديث. وُلد في "بهوفال". درس في "مدرسة مظاهر العلوم" في سهارنفور ثم في "دارالعلوم ديوبند". ثم درَّس مدةً في "المدرسة الأمينية" بدهلي، ثم في "دار العلوم ديوبند"، ثم هاجر إلى باكستان حيث عكف على التدريس في عدة جامعات ومدارس دينية مع اشتغاله بالتصنيف والتأليف، ولم يزل كذلك حتى وفاته[٧٠].ومن أشهر مؤلفاته:

[٦٨] انظر: محمد أكبر شاه البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص١٩٦.

[٦٩] في دار الغرب الإسلامي ببيروت عام ٢٠٠٤م، في (٣٨٢) صفحة.

[٧٠] البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٢١٥،٢٢٠.

"معارف القرآن"، و"تحفة القارئ بحل أبواب البخاري"، والتعليق الصبيح على مشكاة المصابيح"، ومنحة المغيث شرح ألفية العراقي في الحديث"، و"حجيت حديث" وغيرها.

لقد أَلّف الشيخ كتاباً قيماً بالأردوية باسم "حجيتِ حديث" واعتنى فيه بذكر العوامل والأسباب التي دفعت الناسَ إلى إنكار السنة النبوية، ثم بيَّن نتائجه المؤثِّرة في الأمة، ثم قدَّم أهمَّ الشبهات التي أثارتها هذه الفتنة حول السنة، واستدلَّ في الردّ عليها بكثير من آي القرآن الكريم الدالة على أهمية اتّباع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحيث أصبحت ردوده ضربةً قاسيةً على الذين يدّعون بالاكتفاء بالقرآن الكريم فقط للاحتجاج والعمل دون السنة النبوية[٧١].

### ٣ - الأستاذ أبو الأعلى المودودي(١٣٢١-١٣٩٩هـ)

قد سبقت ترجمته في المبحث الأول فلا داعي لإعادتها هنا،لقد دافع - رحمه الله تعالى - عن الإسلام و كلّ ما يتصل به دفاعاً قوياً في جميع كتاباته ومؤلَّفاته، وكافَحَ بالردّ على منكري السنة لا سيما " القرآنيين" بالردِّ عليهم بالطُّرق التوعوية والمحاضرات والردود العلمية عبر المطبوعات، وردَّ بحزم على كل الشُّبهات حول السنة، ومن أشهر ما كتبه في ذلك"الحديث والقرآن" و"مكانة السنة التشريعية"، فالأولُ عبارةٌ عن مجموعة مقالاته بالأردوية، التي دَّبج يراعه في مختلف أعداد مجلة "ترجمان القرآن" رداً على "القرآنييِّن" وشبهاتهم، من أمثال مولوي أسلم جيراجفوري وغلام أحمد برويز، لقد دحض من خلالها أباطيلهم في إنكار حجية السنة، وأثبت حجيتها من القرآن الكريم نفسه، وعضد كلامَه في ذلك بكثير من الدلائل العقلية والتاريخية،ولذلك يُعتبَر هذا الكتاب مرجعاً جيداً لمن يريد التعمُّق في هذا الموضوع[٧٢].

وأما الكتاب الثاني فألَّفه كذلك باللغة الأردوية باسم "سُنَّتْ كِيْ آيئني حَيْثِيَتْ" (مكانة السنة التشريعية)، وهو كذلك مجموعة من مقالاته التي كتبها في مجلة "ترجمان القرآن"، وذبَّ فيه عن السنة ذباً قوياً، وبيَّن حجيتها بدلائل ساطعة وحجج قاطعة، واستعرض منكري السنة استعراضاً دقيقاً، وكشف عن الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، وأثبت بشواهد تاريخية بأنهم لم يرفعوا نعرات إنكارهم للسنة إلا خدمةً للاستعمار وتأثُّراً بالاستشراق. كما ردَّ على جميع شبهاتهم التي أثاروها في إنكار السنة رداً علمياً وتحقيقياً قلما يوجد مثله في المؤلفات الأخرى التي أُلِّفت في هذا الموضوع[٧٣].

### ٤ - الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي(١٣١٩ - ١٤١٢هـ):

أحد أجلة علماء الحديث، ومن كبار المحقِّقين الضليعين لكتبه في عصره. وُلد في بلدة "مئو" وتوفي بها. أكمل دراسته في "دارالعلوم ديوبند". أنشأ في مسقط رأسه معهداً لتخصيص الطلاب في علم الحديث النبوي، ودرَّس فيه حتى وفاته. وله إسهام كبير في خدمة الحديث تحقيقاً وتأليفاً، ومن أشهر مؤلَّفاته:

[٧١] طُبع هذا الكتاب في لاهور بباكستان في (١٨٤) صفحة.

[٧٢] طُبع هذا الكتاب في مكتبة شِراغ بكراتشي في باكستان عام ١٩٥٤م، في (١٥٠) صفحة.

[٧٣] طُبع هذا الكتاب في إسلامك ببليكيشنز بلاهو في باكستان عام ١٩٦٣م في (٣٩٢) صفحة.

"الحاوي على رجال الطحاوي"، و"نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث"، ومن تحقيقاته لكتب الحديث: "مصنَّف عبد الرزاق" و"مسند الحميدي" وغيرها[٧٤].

يُعتبر المحدِّث الأعظمي من علماء هذه البلاد الأوائل الذين أدلوا دلوَه في هذه المعركة دفاعاً عن السنة، فقد ظهر له العديد من كتابات قيمة ومؤلفات علمية هامّة في الرد على طوائف وفِرَق منكري السنة، ومن أهمِّها وأجلِّها كتابه "نصرة الحديث في الرد على منكري الحديث"، الذي ألَّفهباالأردويةردّاً على أحد منكري السنة، الذي كتب رسالةً باسم "لماذا أنكرتُ الحديث"، دون أن يُفصِح اسمَه، بل تقنَّع بلقب كريم "حقّ غو" (ومعناه: قائل الحقِّ)، فردَّ عليه المحدِّث الأعظمي من خلال هذا الكتاب، وجمع فيه الكثيرَ الطيّب من أخبار كتابة السنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فمن بعده، ومن الشواهد الدالة على حافظة الصحابة فمن بعدهم، وسيلان أذهانهم وجودة قرائحهم. وبعد ذلك أتبع الشيخُ بالرد التفصيلي على أقوال خصمه وتفنيد أدلته، فأزال سائرَ ما أثاره ذلك الشقي من شبهات حول السنة بدلائل قوية وحجج دامغة من الكتاب والسنة. وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في تخفيف نشاط تلك الفتنة في الأوساط العلمية في هذه البلاد، ونظراً للأهمية هذا الكتاب وقيمته العلمية فقد نُقل إلى العربية، وطُبع بمقدمة الشيخ محمد عوامه[٧٥].

### ٥ - الشيخ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي(من مواليد عام ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م)

هو المؤلف المحقّق، ومن كبار علماء الحديث في العصر الحاضر، وأحد أبرز من دافع فيه عن السنة النبوية في مؤلَّفاته ومقالاته وبحوثه. وُلد في بلدة "مئو" من مديرية "أعظم كره" في الهند، ودرس في"دار العلوم ديوبند"، ثم التحق بجامعة الأزهر، وتخرَّج فيها من كلية أصول الدين بشهادة الليسانس، ثم نال الدكتوراه من جامعة كامبريدج في بريطانية. وعمل أستاذاً للحديث وعلومه في جامعة هارفارد، ثم في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم في جامعة الملك سعود بالرياض. ودُعي أستاذاً زائراً في عديد من الجامعات العالمية في الغرب. وله خدمات جليلة في مجال الحديث، ومن أشهر مؤلَّفاته فيه: "دراسات في الحديث وتاريخ تدوينه"، و"منهج النقد عند المحدِّثين"، ومن تحقيقاته: "صحيح ابن خزيمة"، و"موطأ الإمام مالك"، وغيرها. مُنح "جائزةَ الملك فيصل العالمية" في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، اعترافاً وتقديراً بإسهامه الجليل في هذا المجال[٧٦].

لا شكَّ أنَّ كتابه "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" من أهمِّ الكتب التي ظهرت في الدفاع عن السنة النبوية، وما زال له أثر كبير في إزالة الشبهات المثارة حول تدوين السنة وحجيتها، لقد استهدف المؤلف في هذا الكتاب المستشرقين والمستغربين على وجه خاصّ، ومن المستشرقين "شاخت" على الأخص، فأبرز فيه مكانةَ السنة النبوية في الإسلام، وتحدّث عن كتابة السنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بأقلام الصحابة ﷺ، وأزال الكثيرَ من الشبهات والشكوك التي أثارها المستشرقون حول

---

[٧٤] سيد عبد الماجد الغوري، **أعلام المحدثين في الهند في القرن الرابع عشر الهجري**، ص١٣٤، ١٥١.

[٧٥] في دار رحاب طيبة بالمدينة المنورة.

[٧٦] من "**الموسوعة العربية العالمية**"، (٢٨٩/٢)، بتصرف وزيادات كثيرة من الباحث.

الأسانيد بإثباتأن استعمال الأسانيد قد بدأ في وقت مبكّر من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وبحث مدى إمكانية الوثوق بكتب السنة النبوية.واستعرض أهمَّ إشكالات واعتراضات بعض المعاصرين من الهنود وغيرهم في حجية السنة النبوية، وردَّ عليها في أسلوبٍ علميٍ راقٍ، وقد نال هذا الكتاب إعجاباً شديداً في الحلقات العلمية، حتى عُدَّ في أوثق وأقوى الكتب في هذا الموضوع، واستحقَّ به المؤلّف لجائزة الملك فيصل العالمية[٧٧].

**٦ - الشيخ محمد سرفراز خان صَفْدَرْ (ت١٤٣٠هـ):**

هو المحدِّث الفقيه، الداعية المؤلف، وأحد مشاهير علماء باكستان. وُلد في قرية "جيران دهكي" من مديرية "مانسهره هزاره" الواقعة اليوم في باكستان. أكمل دراستَه الشرعية في دار العلوم ديوبند، ثم قام بالتدريس في عدة مدارس دينية في باكستان وتخرَّج عليه آلاف من العلماء. ألَّف العديد من الكتب في الدفاع عن الإسلام والسنة والمذهب الحنفي[٧٨].

وله كتاب قيم في الرد على منكري السنة من طائفة " القرآنيين"، ألَّفه بالأردوية باسم "إنكار حديث كى نتائج" (نتائج إنكار الحديث)، ومما يتميّز به هذا الكتاب من بين الكتب الكثيرة في هذا الموضوع أنَّ مؤلّفه - رحمه الله تعالى - قبل أن يخوض في صلب البحث للردّ على شبهات وأباطيل منكري السنة؛ تحدَّث في مستهلّ الكتاب عن أهمّ جوانب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي أسوة حسنة لأمته، ثم ذكر بعضَ الشبهات المثارة حول إنكار السنة وحجيتها، فردَّ على كل منها رداً مؤثّراً ومُفحماً بالدلائل القوية، في ضوء ما كتبه هؤلاء من مقالات وكتب حول إنكار السنة[٧٩].

**٧ - الأستاذ افتخار أحمد بلخي:**

لم أعثر على شيء من ترجمته غير أنه كان أستاذاً جامعياً، وعاش في باكستان بعد استقلالها عن الهند كجمهورية إسلامية مستقلة.

وله كتاب قيم ضخم في تاريخ فتنة إنكار السنة، ألفه بالأردوية باسم "فتنة انكار حديث كا منظروبس منظر" (فتنة إنكار الحديث في الماضي والحاضر)، وقسَّممحتوياته في ثلاثة أبواب، استعرض في الأول تاريخ هذه الفتنة، وذكر بعضَ من ذهبوا في بداياتها إلى التشكيك في ثبوت السنة النبوية دون إنكارها الصريح أمثال: السيد أحمد خان ومولوي شراغ علي وعبد الله جكرالوي وأحمد الدين الأمرتسري وغيرهم. وعرض في الباب الثاني جميعَ تلك المحاولات التي ظهرت من قبل طائفة " القرآنيين" في إنكار السنة والاكتفاء بالقرآن احتجاجاً وعملاً به، وردَّ على اعتراضاتهم في السنة بدلائل مقنعة وفي أسلوب علمي جاد. أما الباب الثالث ففضح فيه الكثيرَ من أسرار طائفة " القرآنيين" وغيرها من الطوائف بأنها من خلال اتّكائها على القرآن، وانتمائها إلى الإسلام تشوّه صورتَه، وتتلاعب مع شعائره، موالاةً لأعدائه ومداراةً لهم. ولم يكتف المؤلف الفاضل في هذا الكتاب على تاريخ هذه الفتنة في القارة

[٧٧] طُبع هذا الكتاب مراراً في المكتب الإسلامي ببيروت في جزئين.

[٧٨] البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٥١٠.

[٧٩] طُبع هذا الكتاب في أنجمن إسلامية بغُوْجرانواله في باكستان عام ١٩٨٣، في (١٧٨) صفحة.

الهندية والرد على اعتراضات وشبهات أصحابها فقط، بل قدَّم حلولاً ناجعةً للباحثين في مجال السنة لمقاومة هذه الفتنة والقضاء عليها[٨٠].

**٨ - القاضي محمد تقي العثماني (من مواليد عام ١٣٦٢هـ):**

هو العالم الفقيه، المؤلفالمكثر، وأحد كبار الخبراء في الاقتصاد الإسلامي. وُلد في "ديوبند" في الهند، وهاجر مع والده المفتي الشيخ محمد شفيع العثماني - المفتي العام لجمهورية باكستان سابقاً - إلى باكستان ودرس هناك في المدرسة التي أسَّسها والده حتى تخرَّج فيها. ثم درس الحقوقَ والقانون الشرعي ونال فيه درجة الماجستير من جامعة كراتشي، ثم سلك في مجال التدريس ولم يزل يعمل فيه إلى جانب اشتغاله بالتأليف والتصنيف.عمل قاضياًللتمييز الشرعي بالمحكمة العليا بباكستان. وهو عضوٌ في مجمع الفقه الإسلامي في كل من جدة ومكة المكرمة. وله مؤلفات قيمة في مختلف موضوعات دينية وشرعية، ومن أهمِّها: "تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" في مجلدات كبار[٨١].

وله تأليف قيم في إثبات حجية الحديث، كتبه أصلاً بالإنكليزية ليتقدَّم به إلى ندوة عالمية حول ختم النبوة، التي عُقدت في شيكاغو بأمريكا في عام ١٩٨٩م. وهو مطبوعٌ بالأردوية باسم "حجيت حديث"، عرَّف فيه المؤلِّف السنةَ ومكانتها، وتحدَّث عن ضرورة اتِّباعها ثم عن أهميتها في التشريع الإسلامي، ثم تكلَّم عن الوحي وأقسامه بأن السنة كذلك وحي من الله لكنها غير متلوّ، ثم تحدَّث عن جمع الحديث وتدوينه في عهد مبكّر، وكذلك أزال بعضَ الشبهات التي أُثيرت حوله، وكلُّ ذلك في منهج علمي قويموأسلوب عصري رصين كما هو المعهود به في سائر مؤلفاته وكتبه، ولهذا الكتاب فضل كبير في إزالة كثير من الشبهات العالقة بأذهان المثقَّفين حول جمع الأحاديث وتدوينها في عصر مبكّر[٨٢].

**٩ - الشيخ الدكتور خادم حسين إلهي بخش (من مواليد عام ١٩٥٣م):**

هو الباحث المتخصص في المذاهب الفكرية المعاصرة والغزو الفكري والأديان والفِرَق الإسلامية وغير الإسلامية. وُلد في قرية "بستي ملانة" من مضافات "دَيْرَة غازي خان" في ولاية بنجاب في باكستان. تلقَّى العلمَ في إحدى المدارس الدينية التقليدية في قريته، ثم رحل إلى المدينة المنورة وواصل هناك دراسته المتوسطة والثانوية في دار الحديث، ثم الليسانس في الجامعة الإسلامية، ثم انتقل إلى مكة المكرمة حيث أكمل دراسته في جامعة أم القرى، ونال درجة الماجستير ثم الدكتوراه في العقيدة الإسلامية. مارس التدريسَ في جامعة أم القرى - فرع الطائف - مدةً طويلةً، وهو الآن عضو في هيئة التدريس في كلية التربية قسم الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الطائف. وله كتب وأبحاث منشورة، منها:

---

[٨٠] طُبع هذا الكتاب في مكتبة شِراغ بكراتشي في باكستان عام ١٩٥٤م، في ثلاثة أجزاء في (١٢٣٠)

[٨١] سيد أحمد زكريا الغوري الندوي، **مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**، (١٥٠/١).

[٨٢] نُقل هذا الكتاب إلى الأردوية، وطُبع مرات في إدارة إسلاميات بكراتشي.

"القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" و"أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية"[٨٣].

يُعَدّ الدكتور خادم حسين في أبرز العلماء الذين دافعوا عن السنة في هذا العصر، وذلك من خلال كتابه القيم المفيد "القرآنييون وشبهاتهم حول السنة"، الذي فضح فيه عن كثير من حقائق فرقة "القرآنيين". والكتابُ في الأصل رسالته الجامعية التينال بها على درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة.وهو يُعتبَر بحقٍ من أقوى الكتب التي دافعت عن السنة وردّت على منكريها في هذا العصر. وزَّع المؤلف موضوعات هذا الكتاب في بابين، تحدَّث في الأول عن تاريخ فكرة إنكار السنة قديماً وحديثاً، فسلَّط الضوءَ على تاريخ فرقة "القرآنيين" في القارة الهندية ببيان نشأتهم وتراجم أهمِّ دُعاتهم، وذَكَر فِرَقَهم المعاصرة، مع الإشارة إلى موقف الدولة والعلماء والشعب من أفكار القرآنيين. وبيَّن فيه الأصولَ التاريخية لفكر القرآنيين. وخصَّص البابَ الثاني لدارسة أفكارهموشبهاتهم حول السنة وآرائهم الاعتقادية والتشريعية، وناقشها مناقشةً جيدةً في أسلوب علمي رصين[٨٤].

**١٠ - الشيخ الدكتور محمد لقمان السلفي(من مواليد عام ١٩٤٣م)[٨٥]:**

هو العالم الباحث المؤلِّف، ومن علماء جماعة "أهل الحديث" النشيطين. وُلد في بلدة "جَنْدَنْبارَة" بمديرية "جَمْبارَنْ" الشَّرقية في ولاية "بِهار" بشمال شرقي الهند. تلقَّى العلمَفي مدرسة دينية في بلدته التي كانت تابعةً لـ"دارالعلوم ديوبند" الشهيرة، حيث درس مبادئ علوم الشريعة. ثم انتقل منها إلى "دارالعلوم الأحمدية السلفية" التابعة لجماعة "أهل الحديث". ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخرَّج فيها بشهادة الليسانس، ثم نال شهادة الماجستير في الحديثمن المعهد العالي للقضاة ثم الدكتوراه في الحديثمن كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ثم تولَّى بعض المناصب المهمة في السعودية. وله عدة كتب في الحديث وغيرها، ومنها: "السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والردُّ على منكريها"، و"اهتمام المحدِّثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحضُ مزاعم المستشرقين وأتباعهم".

أما الكتاب الأول المسمَّى بـ"السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والردُّ على منكريها" فهو عبارةٌ عن رسالةٍ جامعيةٍ قدَّمها المؤلف إلى المعهد العالي للقضاء بالرياض لنيل شهادة الماجستير في الحديث، فهو يحتوي على أربعة أبواب تسبقها مقدمةٌ، عرض فيها تعريفاً جامعاً للسنة من حيث اللغة والاصطلاح، ثم ذكر إطلاقات لها. ثم بيَّن مكانةَ السنة في التشريع الإسلامي. وأثبت في الباب الأول إثبات حجية السنة مستدلاً بعديد من الآيات في القرآن الكريم ثم بالأحاديث النبوية، ثم بأقوال الأئمة في إجماعهم على اعتبار السنة حجةً.وخصَّ الباب الثاني ببيان منْزلة السنة من القرآن وأهميتها كمفسِّرة وشارحة

---

[٨٣] انظر لترجمته www.eltwhed.com/vb/showthread.php?6519 بعنوان: "لقاء المنتدى مع الشيخ د. خادم حسين إلهي بخش حول المذاهب الفكرية".

[٨٤] طُبع في مكتبة الصديق بالطائف عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، في (٤٨٢) صفحة.

[٨٥] محمد إسحاق بهتي، **قافلة حديث**، ص٥٩١.

له. وعرَّف في الباب الثالث ببعض أنواع الحديث ذات صلة بموضوع الكتاب، مثل "خبر الواحد" والحديث المرسَل"، و"الرواية بالمعنى". وأما الباب الرابع فتناول فيه فتنة إنكار السنة،وألقى الضوء على كتابة السنة وتدوينها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم في عهد الصحابة فالتابعين، ثم تحدَّث عن جهود المحدِّثين في حفظ السنة ودورهم في التصنيف في علوم الحديث، ثم جهودهم لمقاومة الوضع، وإلى غير ذلك من مباحث قيمة. ثم درس فتنةَ إنكار السنة في القرن الثاني الهجري والأسباب التي دعت المنكرين إلى ذلك دراسةً علميةً، وردَّ من خلالها على بعض شبهم،ثم تحدَّث عن مؤامرات المستشرقين في تشكيك في صحة الحديث النبوي، والأسباب التي دعتهم إلى ذلك، ثم قام بالرد على بعض شبهاتهم. ثم أطال البحث عن المستشرقين المسلمين الذين وُلدوا في البلاد الإسلامية ولكن عقولهم وقلوبهم تربَّت في الغرب ونمت أعوادهم مائلةً إليه، فعرَّف ببعضهم بذكر أسمائهم، وردَّ على شبههم. وخصهم بالذكر الأستاذ أحمد أمين، ومحمود أبي رية وغيرهما[٨٦].

وأما كتابه الثاني المسمَّى بـ"اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحضُ مزاعم المستشرقين وأتباعهم" فهو كذلك رسالة جامعية له، قدَّمها إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الدكتوراه في الحديث. ركَّز فيه المؤلفعنايته على دراسة اهتمام المحدِّثين بنقد الحديث من حيث الإسناد ثم المتن، لكون هذا الموضوع من تلك الموضوعات التي أكثر فيها المستشرقون وغيرهم الشبهات والشكوك، فناقشه المؤلف مناقشةً علميةً في ضوء الأدلة الواضحة، وبالأخص شبهة عدم اهتمام المحدِّثين بنقد المتن، وأكثر فيه من ذكر الأمثلة مستخرجاً إياها من بطون الكتب الأصلية في السنة النبوية للاستدلال على أنَّ المحدِّثين عُنوا بنقد المتن تماماً كما عُنوا بنقد السند، كما أثبت أن القواعد النقدية والآراء المدوَّنة في الكتب حول الرجال وُجدت مبادئها منذ عهد الصحابة والتابعين.ثم ردَّ على شبهات المستشرقين ومنكري السنة (من الهند وغيرها من البلدان) حول نقد المتن رداً علمياً، ثم ختم الكتاب بتقديم بعض اقتراحاته المفيدة لتعليم الأجيال الناشئة السنةَ النبوية وعلومها[٨٧].

**١٠ - الشيخ الدكتور محمد أبو الليث الخيرآبادي (من مواليد عام ١٩٥٣م):**

هو المؤلِّف المحقِّق، وأحد العلماء المتضلعين من علم الحديث. وُلد ببلدة "خيرآباد" التابعة لمديرية "أعظم كره"، ودرس في "دارالعلوم ديوبند"، ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتخرَّج فيها بشهادة الليسانس، ثم حصل على الماجستير فالدكتوراه في الحديث النبوي من جامعة أم القرى بمكة المكرمة. عُيّن أستاذاً للحديث وعلومه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ولم يزل فيها. ومن مؤلفاته: "علوم الحديث: أصيلها ومعاصرها"، و"تخريج الحديث: نشأته ومنهجيته"، و"اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها"[٨٨].

---

[٨٦] طُبع هذا الكتاب في دار الوعي عام ١٤٢٠هـ.

[٨٧] طُبع هذا الكتاب في دار الوعي بالرياض، عام ١٤٢٠هـ، في (٥٩٩) صفحة.

[٨٨] انظر ترجمته في آخر مؤلَّفاته المذكورة.

يُعتبَر كتابه "اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها" من الكتب الجيدة في هذا الموضوع، اعتنى فيه بتعريف الفِرَق والحركات والاتجاهات القديمة والحديثة التي أنكرت السنة كلياً، أو ذهبت إلى التشكيك في حجيتها، مثلاً من الاتِّجاهات القديمة الممتدة: اتِّجاهُ جمهور المسلمين قديمهم وحديثهم نحو السنة، واتِّجاهُ القرآنيِّين في عصر الإمام الشافعي، واتِّجاهُ الخوارج والشيعة وفِرَقِ المعتزلة نحو السنة. ومن الاتِّجاهات الحديثة نحو السنة مثل: اتِّجاه المستشرقين والمستغربين، واتِّجاه المدرسة العصرانيةوالمدرسة العقلانية ونحوهما، واتِّجاه إنكار السنة في الهند وفي مختلف بلدان العالم الإسلامي والعربي، واتِّجاه تقسيمها إلى تشريعية وغير تشريعية، وغير ذلك من المباحث القيمة التي تناولها الكتابُ بالعرض والنقد في أسلوبٍ علميٍّ جادٍّ[٨٩].

**١٢ - الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد(من مواليد عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م)[٩٠]:**

هو المؤلِّف المحقِّق، الباحث المترجِم. وُلد في قرية "أونَرْ هوا" من مديرية "غُوْندا" في ولاية "أترابرديش". درس في الجامعة السلفية ببنارس وحصل منها على شهادتَي العالمية والفضيلة. ثم التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتخرَّج فيها من كلية الحديث الشريف بشهادة الليسانس. ويعمل الآن داعيةً في الكويت إلى جانب اشتغاله بالتحقيق والتأليف.وله عدة كتب في الحديث النبوي من التأليف والتحقيق ومنها: "زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً".

خصَّ المؤلف الكتابَ المذكوربتعريف موقف بعض كبار المؤلِّفين الإسلاميين المعاصرين من العلماء والدعاة والمفكرين من السنة النبوية سواء أكانوا من الهند أو غيرها من بلدان أخرى، وتحدَّث فيه عما ذهبوا إليه في التشكيك في ثبوت السنة، أو إنكارها في العقيدة والعمل، وإهمال تطبيقها، والإقدام على تحريفها عن ألفاظها ومعانيها، وتأويلها حسب الأهواء، وحملِها على غير محملها خلاف ما ذهب إليه السلف الصالح، وذلك مع تقديم نماذج شبهاتهم وآرائهم حول السنة من كتبهم ومؤلفاتهم، ثم الرد على أهوائهم وآرائهم رداً مفحماً بالدلائل القوية من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة والعلماء، ولكن لم يسلم المؤلِّففي هذا الكتاب من تعصُّبه المقيت لجماعة "أهل الحديث" المشهورة بالدعوة إلى نبذ التقليد للمذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، والتتطاوُل والهجوم على أئمتها، حيث إنه عَدَّ في هذا الكتاب بعضَ العلماء المقلِّدين - لا سيما الأحناف -في المستخفين من السنة، فذكر منهم الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، اللذين لا تخفى مكانتها في الحديث النبوي لدى كل من له أدنى ممارسة به[٩١].

---

[٨٩] طُبع في دار الشاكر بسلانجور في ماليزيا عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، في (٢٢٥) صفحة، ثم في مؤسسة الرسالة بيروت عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م في (٢١٦) صفحة.

[٩٠] انظر: محمد إسحاق بهي، **دبستان حديث**، ص٦٢٣، ٦٣٤. وعبد الجبار بن عبد الرحمن الفريوائي، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، ص٢٩٨ بتصرف وزيادة.

[٩١] طُبع هذا الكتاب في دار عالم الكتب بالرياض في (٥٠٢) صفحة.

**الخاتمة:**

يُستنتَج مما جاء في هذا البحث: أن السنة النبوية قد تعرَّضت لكثير منالهجمات والأخطار في الماضي والحاضر، ومن أشدّها وأضرّها ما عُرف في التاريخ بـ"فتنة إنكار السنة"، التي تهدم كيانَها من أُسُسه وقواعده؛ لأن أصحاب هذه الفتنة يدعون إلى الاكتفاء بأحد مصدرَي التشريع الإسلامي وهو "القرآن الكريم"، والاستغناء عن المصدر الثاني وهو "السنة النبوية المطهَّرة" بحجة أنَّ القرآن منقول إلينا بالتواتر القطعي الثبوت، بينما "السنة" ظنية الثبوت، ومن ثم لا يجوز الاحتجاج بها.

فالسنّة النبوية أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، وإنّ حمايتها، والدفاعَ عنها، ونشرَها وإحياءها؛ واجبٌ شرعيٌّ عليهم جميعاً، لذلك فقد وقف علماءُ الإسلام في كل عصر ومصر لأعداء السنة بالمرصاد، وسدّوا عليهم كل منافذ الدَّسّ والتحريف، ومنهم العلماء الغيورون على السنة النبوية من القارة الهندية، الذين قاوموا تلك الفتنة منذ ظهورها فيها إبّان الاستعمار البريطاني، وقاموا بالرد على أصحابها من خلال كتبهم ومؤلَّفاتهم، التي كان لها دور كبير في تحذير الناس من التأثر بها، ونتيجةً لتلك الجهود المباركة قد خفَّ نشاط تلك الفتنة في بلاد القارة الهندية إلى حدّما، ولكن مع ذلك يُسمَع صداها بين الحين والآخر، ويُلاحَظ نشاطها علنياً عبر وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، فلذلك لا بُدَّ من بذل الجهود المزيدة على القضاء على تلك الفتنة باستئصالها من جذورها.



# جهود ديوان الوقف السني العراقي في خدمة السنة النبوية


أ.د. شاكر محمود عبد السعدي

د. عامر شاكر عبد الجنابي

ديوان الوقف السني في العراق




## المقدمة:

### أهمية البحث:

لا نبعد اذا قلنا ان الشريعة الاسلامية الغراء معادلة إلهية لأن القرآن الكريم مع السنة النبوية الشريفة يساوي الشريعة الإسلامية .وقد كانت السنة النبوية وسوف تبقى إلى قيام الساعة-على الرغم من المحاولات البائسة والنوايا المغرضة والتحديات التي تعرضت لها السنة النبوية من اعداء الاسلام باسلوب رخيص وهابط- معينا لا ينضب رواؤه وسراجا لا يطفأ ضياؤه يستنبط الفقهاء منها أحكام الانسان بمقتضى عنصريه المادي والروحي، وثمة أدلة بالغة السدادة والرجحان على وجوب الأخذ بالسنة كقوله تعالى: ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) سورة النجم ٣-٤، وقوله تعالى :((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)) سورة الحشر٧ ، ستبقى السنة النبوية محفوظة بفضل الله تعالى الذي تعهد بحفظ الشريعة السمحاء كما ورد في قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ )) سورة الحجر ٩، ثم بهمة العلماء الغيارى والباحثين المجدين فضلا عن المؤسسات الاسلامية التي تعمل جاهدة من أجل الدعوة إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والتصدي للتحديات التي تحاول النيل من السنة النبوية.

### أهداف البحث:

كان من المؤمل أن نخوض في جهود ديوان الوقف السني في خدمة السنة النبوية إلا أننا بعد الشروع بجمع المادة تبين لنا أن صفحات البحث لا يسعها أن تفي بحق هذه الجهود؛ فلذا ارتأينا أن نقصر الحديث على كلية الإمام الأعظم الجامعة وهي إحدى الدوائر التابعة إلى ديوان الوقف السني، فلذا يهدف البحث إلى كشف النقاب عن جهود الكلية في خدمة السنة النبوية والتصدي للتحديات المعاصرة التي تعترض طريقها.

أما خطة البحث فهي كما يأتي:

المقدمة: وتضمنت بيانا لأهمية الموضوع وطريقة دراسته.

التمهيد: نبذة مختصرة عن نشأة كلية الإمام الأعظم الجامعة.

المبحث الأول: جهود الكلية في مجال التدريس.

المبحث الثاني: جهود الكلية في مجال الكتب والبحوث والرسائل الجامعية.

المبحث الثالث: جهود الكلية في مجالات أخرى.

الخاتمة: فيها مجمل لنتائج البحث ويعقبها قائمة المصادر والمراجع.

**التمهيد:**

**نبذة مختصرة عن نشأة كلية الإمام الأعظم الجامعة[1]**

تعد كلية الإمام الأعظم الجامعة واحدة من الكليات العريقة الممتدة الجذور في تأسيسه ، والحديثة المعاصرة في معاودة دورها الرائد لطلاب العلوم الإسلامية في العراق وغيره من أبناء العالم الإسلامي.

ففي سنة٤٥٩هـ-١٠٦٧م تم انشاء مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعإلى، وهي أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العرا ، وأصبحت محط أنظار العلماء وطلاب العلوم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، وظلت متواصلة في عطائها العلمي عبر القرون اللاحقة.

وفي سنة١٩٦٧م أسست كلية الإمام الأعظم من جديد، وأصبحت تابعة إلى وزارة الأوقاف الدينية[2] لتعاود المسيرة، ثم جرت بعد ذلك تغييرات لسنا بصدد الخوض فيها.

تقع الكلية في مركز محافظة بغداد مدينة السلام (في الجانب الشرقي منها) الرصافة (وتحديداً في منطقة الأعظمية جوار جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان الكوفي) رحمه الله تعإلى (وبعض أقسام الكلية الأخرى انتقلت إلى بناية جديدة اعدت للكلية في منطقة -سبع أبكار- في بغداد.

تضم الكلية أقساماً علمية عدة وهي-:

قسم الدعوة والخطابة والفكر، قسم أصول الدي ، قسم علوم القران والحديث والتلاوة، قسم الفقه وأصوله، قسم القراءات القرآني، قسم اللغة العربية، فضلا عن وجود قسم للدراسات العليا لمرحلتي الماجستير والدكتوراه في بعض أقسام الكلية.

للكلية فروع كثيرة موزعة في محافظات العراق، في الأنبار والقائم ونينوى وكركوك وسامراء والبصرة وغيرها

ومدة الدراسة في الكلية أربع سنوات يمنح بعدها الخريج شهادة البكالوريوس في العلوم الاسلامية التي تؤهله للعمل في مجال الدعوة الاسلامية والإمامة والخطابة والتدريس في المدارس الدينية والثانوية العامة والقضاء والمحاماة، وتهدف الكلية إلى إعداد أئمة وخطباء ومدرسين متخصصين في مجالات الدعوة الاسلامية والخطابة وعلوم القرآن والحديث والتلاوة والقراءات القرآنية واللغة العربية بما ينسجم

---

[1] المعلومات الواردة هنا مستقاة من دليل كلية الامام الاعظم : إعداد قسم الاعلام والعلاقات العامة في الكلية ، ط١_٢٠٠٧م

[2] المعلومات الواردة هنا مستقاة من دليل كلية الامام الاعظم : إعداد قسم الاعلام والعلاقات العامة في الكلية ، ط١_٢٠٠٧م، وينظر الدكتور احمد عبد الغفور السامرائي رئيس ديوان الوقف السني عهد النهضة والابداع : اعداد المكتب الاعلامي في الديوان ص ٧٢.

وأهداف الدين الاسلامي الحنيف بعيداً عن الغلو والتطرف والفئوية والطائفية بما يرسخ الإيمان في النفوس ويقوم السلوك.

إن هذه الكلية بثوابتها الأصيلة وسعيها الطموح، وتطلعاتها للخير تمد أواصر العلاقة الوطيدة مع أخواتها من الجامعات العراقية والعربية والاسلامية، فكونت لها علاقات ثقافية متينة مع عدد من الجامعات العربية والاسلامية، وهي تسعى إلى الانضمام إلى عضوية اتحاد اكثر من (242) جامعة في العالم الاسلامي ويمثل أكثر من ٦٠ دولة.

تسعى الكلية جاهدة لتحقيق اهدافها بخطى واثقة لتؤكد دورها المطلوب في المجتمع من خلال التوعية الدينية، والرسالة الاسلامية التي ينهل الجميع منها اساتذةً وطلاباً بعد أن أخذت تدق ركائز تقاليدها الجامعية ركيزة أثر أخرى ... وإيماناً من الكلية بأهمية السنة النبوية ومكانتها في الإسلام بعدها مصدراً هاماً من مصادر التشريع الاسلامي ترى ضرورة تظافر الجهود للإفادة من السنة النبوية لمواجهة المشكلات المعاصرة في حياة المسلمين اليوم.

فالأمة الاسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى هدي المصطفى فلن يصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها، فالأمة اليوم على مفترق طرق تتلمس مخرجا مما تعانيه من أزمات ومشكلات، وما تفتقر اليه من حاجات وتوظيف للقدرات والامكانات.

فلذا أخذت الكلية على عاتقها الاهتمام بالسيرة النبوية والتقيد بهذه السيرة المعطاء الخالدة والالتزام بها، وعدم الانخراط بمدمرات الأخلاق ومحبطات الأعمال التي تنسينا أنفسنا، وذلك من خلال البحث في مجالات السيرة النبوية المختلفة التي سيكشف هذا البحث عنها في مباحثه التي سترد ان شاء الله تعالى.

## المبحث الاول

## جهود الكلية في مجال التدريس

عمدت عمادة الكلية إلى تدريس مادة (السيرة النبوية) وجعلتها ضمن المقررات الدراسية في المراحل الدراسية في أغلب الأقسام العلمية التابعة إلى الكلية حرصا منها في التصدي للتحديات المعاصرة، التي تريد النيل من السنة النبوية وصاحبها رسول الله ليتمكن أعداء الدين الإسلامي بعد ذلك من النيل من الإسلام من خلال التشكيك في الوحي السماوي، ولعل هذا الاهتمام بتدريس السيرة النبوية متأت من نظرة الكلية إلى ضرورة تدريس هذه المادة الدراسية التي تعدها مهمة لتهيئة طالب العلوم الشرعية لفهم العقيدة الاسلامية بطريقة عملية، من خلال السلوك العملي للنبي محمد عبر سيرته العطرة في مواقفه الثابتة إزاء المحن والابتلاءات أو المساومات العقدية لرد الشبهات وإثبات الحق لا سيما في الامور الغيبية[١] فضلا عن استنباط الأحكام الشرعية واكتساب الأخلاق الفاضلة، وفهم مراحل الدعوة وطبيعتها وملابساتها من خلال الاطلاع على السيرة النبوية.

ولايفوتنا أن نذكر ان لتدريس السيرة النبوية فوائد جمة ودروساً مهمة في حياة الامة نذكر منها-[٣]:

- محبة النبي محمد وآل بيته الأطها ، وصحابته الأخيار واحترامهم وإجلاله دون تفريق فيما بينه ، وبذلك يحصن الدارس نفسه وفكره وعقله وقلبه من الطائفية البغيضة والأفكار الدخيلة، لذا ينبغي على دارس السيرة الوقوف على الدروس والعبر المستفادة، لا على مجرد الأحداث والوقائع، وهذا من واجب مدرس السيرة ليجعل من طلابه دعاة مخلصين لهذا الدين العظيم يقومون بواجبهم إزاء وطنهم ومجتمعهم بما يجنبهم المزالق الخطيرة.

- تكوين ملكة الفقه السياسي من خلال سيرته في تعامله سلماً وحرباً وجهاداً ودعوة وفقهاً وتخطيطاً وقادة وفهماً.

- تعد السيرة النبوية مدخلاً مهماً للثقافة العسكرية في ادارة الصراع والبراعة في احتواء الازمات بمعرفة عوامل النصر واسباب الهزيمة مع المحافظة على الاسس الاخلاقية العالية في سياسة التمكين لهذه الامة واعادة عزها وبحكم شرع ربها[٤]

وليس هذا فحسب بل لقد ارتأت الكلية تدريس مادة الحديث النبوي وعلومه، لكونه من أشرف العلوم وأفضلها بعد كتاب الله تعالى فهو المصدر الثاني للتشريع، به فصلت النصوص القرآنية وعرفت مقاصدها، وبه تمت النعمة وكملت الشريعة، فلذا القي الحديث النبوي الشريف عناية كبيرة من لدن اساتذة الكلية حفظاً وتدويناً ودراسة، بل أصبح شرح غريب الحديث علما قائماً بذاته يدرس في كلية الإمام الأعظم وله أساتذة متخصصون وخصصت له ساعات تدريسية في المناهج الدراسية[٥].

وقد تنوعت موضوعات الأحاديث التي أقرت في المنهج، وذلك من أجل اطلاع الطلبة على كثير من موضوعات السنة النبوية فضلا عن كونها شاملة لنواحي الحياة مما لها علاقة بواقعن ، لاسيما تلك التي فهمت خطأ أو اثير حولها الشبهات ليتمكن الطالب من مواكبة عصره كما يعينه ذلك في خدمة دينه[٦].

وعلى الرغم من صعوبة دراسة علم الحديث . كما أقر بذلك العلماء[٧] إلا أن الكلية بحثت عن وسائل تيسر فهمه، وتوضح غوامضه، وذلك من الافادة من طرق التعليم الحديثة ووسائله في تذليل تلك الصعوبات، فلذا لقي هذا التوجه رغبة من أساتذة الكلية واستحساناً من خلال تطبيق طرق التدريس الحديثة أثناء تدريس الطلبة، لأن طريقة التدريس القديمة لم تعد مجدية اليوم، بل استطاع مدرسو مادة علوم الحديث من مواكبة العصر باستخدام الطرق الحديثة من خلال ممارجتها بالعلوم الشرعية الأخرى . فلم يعد مصطلح الحديث مجرد قواعد ونظريات جامدة يحفظها الطالب ولايفهم منها شيئاً.

---

[٣] ينظر دراسة السيرة النبوية :د. محمد مسعد ياقوت على الموقع www.yakototeeb.com

[٤] ينظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل : محمد علي الصابوني : ٧ وينظر تدريس السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي في الكليات الاسلامية وحاجة المجتمع اليها : د.محمد صالح السامرائي :١٦٦، ينظر القراءة الحديثة في السنة النبوية : محمد عبد الفتاح الخطيب ٢ / ٢٧٧

[٥] ينظر تدريس الحديث النبوي الشريف وعلومه : هاني مكي حسين الكبيسي ، ٢٠٤ وما بعدها.

[٦] ينظر علوم الحديث : لابن الصلاح ، تحقيق د. نور الدين عتر ص ٥

[٧] ينظر دليل كلية الامام الاعظم : ٣٩ وما بعدها،

ومن أجل إتمام الفائدة لا بد من الوقوف على الساعات المخصصة لدراسة السيرة النبوية والحديث النبوي من خلال ذكر الأقسام العلمية التي تقوم بدراستهما مع ذكر المصادر المعتمدة في التدريس.

أ _ مادة السيرة النبوية : تدرس هذه المادة بواقع ساعتين أسبوعياً في كل من الأقسام العلمية الآتية:

- قسم الدعوة والخطابة والفكر في المرحلتين الأولى والثانية والمصدر المعتمد للدراسة، الرحيق المختوم (للمبار كفوري الكتاب باكمله . فضلا عن السيرة النبوية للدكتور مصطفى سعيد الخن.
- قسم الفقه وأصوله : تدرس هذه المادة في المرحلة الاولى والمصدر المعتمد فقه السيرة النبوية د . محمود سعيد رمضان البوطي
- قسم علوم القرآن والحديث والتلاوة وقسم القراءات القرآنية وقسم اللغة العربية :تدرس هذه المادة في هذه الأقسام. في المرحلة الاولى والمصدر المعتمد هو الرحيق المختوم أيضاً.

ب_ مادة الحديث النبوي وعلومه : تدرس هذه المادة في الأقسام العلمية الآتية كما في الجدول المبين:

| القسم | المرحلة | المادة | عدد الساعات | المصدر المعتمد |
|---|---|---|---|---|
| الدعوة والخطابة والفكر | الاولى | الحديث النبوي | ٢ | دراسات في الحديث النبوي د .نور الدين عتر |
| | الثانية | علوم الحديث والحفظ | ٢ | تيسير مصطلح الحديث :الطحان |
| | الثالثة | الحديث النبوي | ٢ | صحيح مسلم شرح النووي ج٩ - ج١٠ |
| | الرابعة | الحديث النبوي | ٢ | صحيح مسلم ج١١-ج١٢ |
| قسم الفقه واصوله | الاولى | احاديث الاحكام والحفظ | ٢ | دراسات في الحديث النبوي د . نورالدين عتر مع حفظ خمسين حديثاً من الكتاب نفسه |
| | الثانية | علوم الحديث والحفظ | ٢ | تيسير مصطلح الحديث مع حفظ خمسين حديثا مختاراً |
| | الثالثة | احاديث الاحكام والحفظ | ٢ | صحيح مسلم شرح النووي ج٩-ج١٠ |
| | الرابعة | احاديث الاحكام والحفظ | ٢ | صحيح مسلم شرح النووي ج١١-ج١٢ |
| قسم علوم القرآن | الاولى | علوم الحديث | ٢ | تيسير مصطلح الحديث الطحان |
| | | حديث وحفظ | ٢ | دراسة في الحديث النبوي د .نور الدين عتر .حفظ خمسين حديث مختارة من الكتاب نفسه. |

| | الثانية | علوم الحديث | ٢ | نزهة النظر :لابن حجر العسقلاني |
|---|---|---|---|---|
| | | حديث وحفظ | ٢ | اعلام الانام شرح سبل السلام : د . نور الدين عتر |
| | الثالثة | حديث وحفظ | ٢ | صحيح مسلم شرح النووي ج٩ - ج١٠ |
| | الرابعة | حديث وحفظ | ٢ | صحيح مسلم شرح النووي ج١١ - ج١٢ |
| | | مناهج المحدثين | ٢ | اعلام المحدثين :محمد ابو شبة |
| قسم القراءات القرآنية | الاولى | مصطلح الحديث | ٢ | تيسير مصطلح الحديث مع حفظ عشرين حديثا |
| | الثانية | حديث وحفظ | ٢ | دراسة في الحديث النبوي د .نور الدين عتر مع حفظ خمسين حديثاً مختارة |
| قسم اللغة العربية | الثانية | علوم الحديث | ٢ | تيسير مصطلح الحديث الطحان |
| | الثالثة | حديث وحفظ | ٢ | دراسة في الحديث النبوي د .نور الدين عتر حفظ خمسين حديث مختارة |

## المبحث الثاني

## جهود الكلية في مجال الكتب والبحوث والرسائل الجامعية

لا نبالغ إذا قلنا إن الكتاب والمناهج الدراسية في العالم الاسلامي وعلى وجه الخصوص في العالم العربي يحتل أهمية كبيرة في تشكيل ثقافة الطلاب ووعيهم، وتتزايد تلك الأهمية في الوقت الحاضر الذي يشهد هجمة قوية على المناهج والمقررات الدراسية الاسلامية لاسيما تلك التي تدرس باللغة العربية وتتهمها بأنها تدعو إلى العنف والتطرف، ويعد تدريس هذه المواد باللغة العربية من أهم القضايا التي تشغل أساتذة التربية، بعدها اللغة التي تعبر عن هوية العروبة والإسلام، وتمثل حمايتها واجبا على الجميع لوقف زحف اللغات الاجنبية في مناهجنا الدراسية، فلذا نرى أن مسألة الغزو الثقافي والاعلامي من أول المسائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديداً فقد وعت الدول الغربية العظمى إلى خطر يهدد قوتها ويقض مضاجعه ، فبدأت بوضع وتكريس كافة امكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد، وتنبهت للطرق الأسهل والأسرع فتوجهت للفكر العربي من خلال أعلام صنعته لغرض تغريب هذا الفكر وجعله أسيراً لمن يقرأه ويسمعه ويراه، ولم تسلم مصادر السنة النبوية شأنها شأن مصادر الشريعة الإسلامية الأخرى من هذه التحديات بوصفها البديل والمثل الكامل لما تحتاجه الأمة في معركة الذات وصيانة الهوية فقد تزاحمت عليها المناهج والفلسفات . ومن ذلك محاولات الملاحدة والعلمانيين لتشويه السنة النبوية

وتحريف دلالاتها ومقاصدها[٨] فضلاً عما تتعرض له من عدوان مادي من أعدائها في أعز ممتلكاتها وأقطارها حتى صارت كالقصعة تتداعى عليها القوى الغازية من هنا وهناك.

ومن هذا الذي تقدم وإيماناً من كلية الإمام الأعظم من أن السنة النبوية هي الصورة الناصعة بين يدي الباحثين عن المخرج من كل أزمات الأمة في مختلف الميادين فالأمة اليوم وأجيالها المعاصرة أحوج ما تكون إلى السنة النبوية، وفي هذا بيان لبطلان قول من قال، علم الفقه والحديث علم نضج واحترق بل هما علمان تدعو الحاجة إلى بذل المزيد من الجهود لخدمتهما والافادة منهما في حل المشكلات في كل العصور[٩].

من أجل هذا كله تظافرت جهود السادة أعضاء الهيئة التدريسية في الكلية في تأليف الكتب ونشر البحوث العلمية الرصينة فضلا عن الرسائل العلمية لطلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، كل هذا من أجل خدمة السنة النبوية والتصدي لما تواجهه من تحديات معاصرة تقدم ذكرها .ومن الكتب المطبوعة في مطبعة ديوان الوقف السني التي تناولت السنة النبوية والحديث النبوي الشريف-:

- أحاديث حقوق الفرد والمجتمع في الكتب والسنة د .صفاء جعفر علوان
- أحكام المزرعة في السنة النبوية د .هتيمي احمد ابراهيم التميمي
- أساليب النبي في تغيير المنكر مهند غانم العبيدي
- اقتباس الشعراء من الحديث النبوي أ.د .سامي مكي العاني
- تفسير القران بالسنة النبوية د .عبد المجيد محمد احمد
- دروس من القران والسنة النبوية الشيخ جاسم محمد الجبوري
- الحرب النفسية المضادة للرسول د .جاسم محمد هذال الجبوري
- سيرة رسول الله باللغة الكردية عجيب عبد الله محيي

أما البحوث العلمية لأساتذة كلية الإمام الأعظم فهي كثيرة لاسيما تلك التي تتعلق بالسنة النبوية والحديث النبوي الشري ، وهذه البحوث نشرت في مجلة كلية الإمام الأعظم وهي مجلة علمية محكمة تهتم بنشر دراسات علمية متنوع ، وذلك بهدف ديمومة التواصل في مجالات العلم، وتعبيراً عن التحدي الفكري الذي امتازت به بغداد في مواجهة الهجمات العدوانية التي تستهدف أصالتها وقيادتها لركب الحضارة في غابر التاريخ وحاضره.

إن هذه البحوث العلمية المنشورة يؤكد أصحابها رفضهم لمحاولات التجهيل والتضلي ، وإصرارهم على الحضور في ميادين الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وتذكيرهم بالواجبات الملقاة على

[٨] ينظر أثر التخطيط النبوي في بناء المجتمع المدني : د . محمد صالح السامرائي ص ١٢

[٩] ينظر ينظر المنثور من القواعد : الزركشي ،٧٢

عواتقهم في التصدي لكل المحاولات البائسة التي تريد النيل من السنة النبوية الشريفة بعد الأخذ بالأسباب الموصلة إلى هذه الغاية السامية النبيلة

لقد اصدرت المجلة أكثر من خمسة عشر من أعدادها العلمية، ومن هذه البحوث التي تخص السنة النبوية والحديث الشريف:

- أثر خطب الرسول محمد في كتب تفسير القرآن الكريم : أ .م. د .صديق خليل صالح بحث منشور في العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الثاني للكلية ص٧٠ .
- الحديث النبوي من المصادر الأساسية لتفسير القرآن الكريم د .خالد شاكر الكبيسي ص 8، العدد السادس ٢٠٠٨ م.
- دور السيرة النبوية في رقي الأمم عبد الرحمن إبراهيم حمد الفنطوسي ص77العدد الخاص بالمؤتمر السادس ٢٠١٢م.
- العراق في السنة النبوية د .ياسر عواد إبراهيم الكبيسي ص47العدد العاشر – أيلول – ٢٠٠٨ م.
- معالم العناية بالسنة النبوية في فتاوى الشيخ عبد الكريم الدبان أ.م . د .مكي حسين حمدان الكبيسي العدد -1 أب -٢٠٠٥م.
- بناء المنهج العلمي في السنة النبوية عبد الوهاب أحمد حسن العدد الرابع عشر ٢٠١٢م.
- التعايش مع غير المسلمين في ضوء السنة النبوية الشريفة رضوان عزالدين صالح ص١٨٥ كانون الاول ٢٠٠٨م عدد خاص في المؤتمر العلمي الرابع.

وليس هذا فحسب بل اننا نجد مشاركة واسعة من لدن طلبة الدراسة العليا في الكلية في دراسة السنة النبوية والبحث فيها إذ أن الضرورة اليوم تقضي إعادة النظر في دراسة السنة النبوية بما يتناسب مع قوة الهجمة الضالة عليها، بوصف السنة النبوية تخصص دقيق في الدراسات العليا لتخريج المتخصصين والمفكرين في هذ المجال الذين يتصدون للوقوف بوجه التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية ومقومات الدين الإسلامية بصورة مقنعة وموجهة.

فلذا كثرت الرسائل الجامعية التي تناولت السنة النبوية والحديث النبوي الشريف بالدراسة والتحليل .لتسلط الضوء بالبحث على كل تحدٍ وكل شبهة تروم النيل من المصدر الثاني للتشريع الاسلامي وحسبنا أن نذكر أبرزها وأهمها-:

- أحاديث خوف النبي على أمته من خلال السنة النبوية سردار رحمه أمين إبراهيم ، دكتوراه حديث ، باشراف أ . د . زياد محمود رشيد.
- أحاديث استنهاض الهمم في الكتب التسعة – دراسة وتحليل طالب الماجستير حميد عبد مكي ، ٢٠٠٩ م تخصص حديث.

- أحاديث حرمة دم المسلم في الكتب التسعة – دراسة تحليلية رسالة ماجستير محمود ادهام نايف ، تخصص حديث بإشراف أ.م .د .داود سلمان صالح ، ٢٠١١م

- أخلاق المقاتلين في السنة النبوية صلاح الدين فليح حسن ، ماجستير حديث باشراف د .أحمد حسن الطه ، ٢٠٠٥م

- أخلاقيات النظام السياسي في السنة النبوية ومقارنتها بالنظم السياسية الوضعية ، أحمد سلمان عبيد دكتوراه فكر إسلامي بأشراف أ.د.مظفر شاكر الحياني ، ٢٠١٠م.

- أسباب النصر في السنة النبوية ، أيوب حميد لطيف ماجستير حديث بإشراف أ.د .زياد محمود رشيد ٢٠٠٧م.

- البناء الحضاري في الحديث النبوي الشريف، عثمان عبد العزيز محمود ماجستير حديث بإشراف أ.م. د خالد شاكر عواد ٢٠١١م.

- القوة المعنوية في السنة النبوية– دراسة وتحليل، إسماعيل خليل إبراهيم ماجستير حديث بإشراف أ.م .د .مكي حسين حمدان الكبيسي ٢٠٠٦م.

## المبحث الثالث

## جهود الكلية في مجالات أخرى

أ _ الاحتفال بالمناسبات الاسلامية:

لم تدع كلية الامام الاعظم مجالا من المجالات التعليمية والثقافية والفكرية إلا وحاولت أن تفيد منه في خدمة السنة النبوية مسلطة الضوء على ما يحاك ضدها من دعوات هدامة وبالوقت نفسه جاهدة من أجل الوصول إلى كل ما تستطيع فعله للتصدي والوقوف ضد هذه الهجمات؛ وذلك من خلال الاقتداء برسول الله والتأسي بسنته العطرة وسيرته المباركة لكونهما الشرح النظري والتطبيق العملي لكتاب الله تعإلى فلذا نجد الكلية تقيم احتفالات سنوية بمناسبة مولد سيد الكائنات محمد تحت شعار: محمد رسول الله سراج هذه الامة، وقد ألقيت في الحفل مجموعة من الكلمات والقصائد الشعرية والأناشيد الإسلامية ابتهاجاً بهذه المناسبة التي حضرها كبار المسؤولين في ديوان الوقف السني وشخصيات أخرى من مؤسسات الدولة وعلى هامش الاحتفال تم إهداء نسخ من المصحف الكريم للسادة الحضور .

ومن الجدير بالذكر أن الاحتفال بالمولد النبوي لايقتصر على عمادة الكلية بل شمل كل فروعها في المحافظات الأخرى ، ولم يدع القائمون على هذه الاحتفالات هذه المناسبة تمر دون أن يقفوا على حث الحاضرين بضرورة الالتزام بالسنة النبوية والاطلاع على السيرة المباركة لرسول الله التي حفظها لنا السلف الصالح رضي الله عنهم من ألفها إلى يائها، من المولد إلى الوفاة، وهذا كله مدون في كتب السيرة في حلقات متصلة مروية بأسانيدها الصحاح[١٠] ولعل اختيار شعار الاحتفال: محمد رسول الله سراج هذه الامة، كان

[١٠] ينظر دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة : لابي بكر احمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨ هـ.

مقصودا من القائمين على الاحتفال الذين يريدون من المحتفلين أن ياخذوا بسنة رسول الله الأسوة الحسنة ويقتبسوا النور من هذه السيرة الجامعة لحياتنا وأنفسنا ولبيوتنا وأسرنا، لابنائنا وبناتنا، لمجتمعاتنا، لحكامنا ومحكومينا، نأخذ من هذه السيرة هدياً وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى هامش الاحتفال أقامت الكلية مسابقة علمية بعنوان: إشراقات المولد النبوي الشريف، بالتعاون مع دائرة الاحتفالات الدينية والمولد النبوي الشريف، وشملت المسابقة تقديم مجموعة من البحوث في سيرة النبي الأكرم وتم تكريم أصحاب البحوث الثلاثة الأفضل، وقد حضر المسابقة جمع من العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات، وفي الختام تعهد القائمون على المسابقة تكرار التجربة في ذكرى المولد من كل عام.

وعلى الصعيد نفسه أقامت الكلية احتفالا سنويا بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية المطهرة تحت عنوان (الهجرة وصناعة الأمل) وتم إلقاء الكلمات التي سلطت الضوء على الهجرة وما لقيه المهاجرون من صحابة رسول الله من ظلم واعتداء وتعذيب من مشركي قريش آنذاك فضلا عن الحديث عن تعرض السنة النبوية قديما وحديثا لهجمات بعض المستشرقين المتعصبين من دعاة التبشير والاستعمار، ابتغاء الفتنة وابتغاء هــدم الركن الثاني للتشريع، وتابعهم على ذلك بعض المؤلفين من أبناء أمتنا، اغتراراً بما يفقهه أولئك المستشرقون على بحوثهم من زخارف علمية لا تثبت أمام النقد العلمي النزيه أو اندفاعا وراء ميول نفسية وشبهات فكرية لم يحاولوا تمحيصها على ضوء ما بين أيديهم من تراث السلف وبحوث العلماء الراسخين ومما جاء في كلمات المشاركين أن الغاية من الاحتفال بالهجرة لم تكن عرضاً تاريخياً لمجرياتها بل لتسليط الضوء على الدروس والعبر المستفادة من الهجرة المتمثلة بالنقاط الآتية:-

- الثقة بالله، والأخذ بالأسباب، التخطيط، استثمار الطاقات الشابة، اتخاذ الحيطة والحذر، الكتمان.

- ومن أهم هذ الدروس التي تم تاكيدها درس في بناء الرجال أمام تحديات أعداء الإسلام؛ إذ أن التربية الحقة هي التربية بالمواقف التي يفتضح عندها كل كاذب ومدعي، ولقد أجرى الله تعإلى سلسلة من البلايا والمحن على الأصحاب اختباراً وتمييزاً واصطفاءً للصفوة المختارة التي تقوم على أكتافها دعائم دولة الاسلام وكانت هذه المحن حلقات متصلة ببعضها البعض[١١]

ب _المعارض الدعوية :

- معرض مصور للسنة النبوية.

قد عرفت الأوساط الثقافية في هذا العصر مزيداً من الوسائل التعليمية والتوضيحية التي تقرب الفكرة للدارسين أو المتلقين بصورة عامة سواء من ذلك الوسائل الفنية من رسوم واحصائيات وجداول بيانات أو الوسائل التقنية كالمذياع والتلفاز والحاسوب والشبكة العنكبوتية وغيرها.

[١١] ينظر المستفاد من السنة النبوية : د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٠٧ _ ١١٠

ولا شك أن في استعمال هذه الوسائل ما يشد انتباه الدارس، ويقرب إليه المعاني ويساعده على فهمها، ويثير فيه روح التأمل والبحث والتحليل والاستنباط وغير ذلك.

فلذا أقيم في الكلية معرضا للفكر الاسلامي المصور كان عرضاً للسيرة النبوية التي جاءت في كتاب ابن هشام، إذ استضافت الكلية الشيخ محمود الفلاحي مدير قسم الإرشاد الإسلامي في ديوان الوقف السني لإقامة هذا المعرض الذي ضم أكثر من خمسين لوحة تناولت سيرة النبي ونسبه وأزواجه وغزواته وأعماله الأخرى. كل ذلك من أجل كشف هذه السيرة العظيمة لسيدنا محمد أمام الناس بطريقة فنية جميلة ومعبرة.

- معرض الكتاب.

أقام قسم اللغة العربية في كلية الإمام الاعظم بالتعاون مع مركز الصادق للنشر والإعلام معرض الكتاب الأول تحت شعار: (خير جليس في الزمان كتاب) للمدة من 5-7/3/2013 م وقد تضمن المعرض كتباً كثيرة تخص العلوم الشرعية ممثلة بعلوم القرآن والحديث الشريف والسنة النبوية والفقه الاسلامي واللغة العربية وعلومها[١٢]، ولا شك أن هذا المعرض يسهم إسهاما كبيراً في نشر الوعي بين الأساتذة الكلية وطلبتها من خلال الاطلاع على الحديث من مصادر الشريعة الاسلامية وكتب اللغة العربية وعلومها ليتمكنوا من الاطلاع على ما هو جديد من هذه الاصدارات العربية والإسلامية داخل العراق وخارجه بغية الافادة منها في الرد على أعداء الاسلام والتصدي لطروحاتهم المسيئة لصاحب السيرة العطرة سيدنا محمدصلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة، ومن الأمور الجديرة بالذكر أن الكلية جعلت شعار حفل تخرج احدى دورات طلبتها الخريجين تحت شعار : نصرة الرسول الأعظم، وهذا دليل آخر يؤكد بوضوح حرص الكلية على خدمة السنة النبوية وحفظها والدفاع عنها بكل الامكانيات المتاحة لها[١٣].

**الخاتمة:**

لكل مطاف نهاي ، ونهاية مطافنا في جولتنا مع جهود كلية الإمام الأعظم في خدمة السنة النبوية تتلخص بأهم النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- للوقف السني العراقي جهود كبيرة في خدمة السنة النبوية لا يمكن حصرها في صفحات قليلة، بل تحتاج إلى عمل كبير من لدن الباحثين؛ ولعل هذا متأتٍ من أن اغلب المؤسسات التابعة لديوان الوقف لها خدمات جليلة في خدمة السنة النبوية كل حسب اختصاصه.
- تعد كلية الإمام الأعظم الجامعة من المؤسسات الفاعلة في ديوان الوقف السني فضلا عن كونها واحدة من الكليات العريقة الممتدة الجذور في تأسيسها، والحديثة المعاصرة في معاودة دورها الرائد لطلاب العلوم الإسلامية في العراق وغيره من أبناء العالم الإسلامي.

[١٢] ينظر الموقع الالكتروني لكلية الامام الاعظم الجامعة – قسم الاعلام

[١٣] ينظر المسيرة التاريخية للدكتور احمد عبد الغفور السامرائي : اعداد الشيخ محمود الفلاحي ، ٤١

- لقد أخذت الكلية على عاتقها الاهتمام بالسيرة النبوية والتقيد بهذه السيرة المعطاء الخالدة والالتزام بها، وعدم الانخراط بمدمرات الأخلاق ومحبطات الأعمال التي تنسينا أنفسنا، وذلك من خلال البحث في مجالات السيرة النبوية المختلفة.
- عمدت عمادة الكلية إلى تدريس مادة السيرة النبوية وجعلتها ضمن المقررات الدراسية في المراحل الدراسية في أغلب الاقسام العلمية التابعة إلى الكلية حرصا منها في التصدي للتحديات المعاصرة، التي تريد النيل من السنة النبوية وصاحبها رسول الله، ولتدريس السنة النبوية فوائد جمة ودروس مهمة في حياة الامة تم ذكرها في أثناء البحث.
- تظافرت جهود السادة أعضاء الهيئة التدريسية في الكلية في تأليف الكتب ونشر البحوث العلمية الرصينة فضلا عن الرسائل العلمية لطلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، كل هذا من أجل خدمة السنة النبوية والتصدي لما تواجهه من تحديات معاصرة تقدم ذكرها.
- ومن المجالات الأخرى التي أفادت منها الكلية في خدمة السنة النبوية في الاحتفالات في المناسبات الاسلامية كالاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف فضلا عن الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية المباركة مستلهمةً منهما الدروس والعبر التي يمكن من خلالها التصدي لما يحاك من مؤامرات ضد المصدر الثاني للتشريع الاسلامي.
- وليس هذا فحسب بل اننا نجد أن الكلية قد أقامت معارض كثيرة حرصا منها على خدمة السنة النبوية مثل المعرض الفكري المصور للسنة النبوية لابن هشام ومعرض الكتاب السنوي.



# مقررات السنة النبوية وعلومها في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: دراسة وصفية

**د. شمس الدين يابي**

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية



**مقدمة:**

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

لقيت السنة النبوية الشريفة اهتماماً بالغاً من المسلمين، وقام السلف الصالح –رحمهم الله-؛ من عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم، من أهل القرون المفضّلة؛ بواجبهم ومسؤوليتهم العظيمة اتجاه العناية بالحديث والحفاظ عليه؛ أيما عناية، وعلى أكمل صورة؛ فقد بذلوا الغالي والرخيص، وأفنوا سني أعمارهم في ذلك.

فدوّنوا الأحاديث النبوية وحققوها ونقّحوها وميّزوا الصحيح منها من الضعيف في جهود جبارة لم تشهد مثلها جهود في أي علم من العلوم الأخرى في التدقيق والتمحيص والدراسة؛ فوصلت إلينا السنة النبوية كاملة منقحة محققة من حيث الأسانيد أوالمتون، ولم تتوقف هذه الجهود حتى يومنا هذا؛ فكلما تطورت العلوم وتوسعت المعارف قيّض الله سبحانه وتعالى لها علماء مخلصين لخدمة دينه والدفاع عنها، وتفعيله في الحياة الإنسانية للبشر وللمسلمين بشكل خاص.

وقد تأسست الجامعات الإسلامية والمعاهد ودور العلم لتقوم بدورها في دراسة هذا الدين بمختلف جوانبه وتخصصاته، وقد تخصصت بعض الجامعات في العالم الإسلامي في الدراسات الشرعية وركّزت عليها باعتبارها منهج حياة؛ وذلك من أجل تطبيقها عمليا وتنظيم حياة المجتمع الإسلامي وفق الأسس التي رسمها النبي ﷺ في القرآن الكريم وسنته النبوية المطهرة.

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠-٧١.

ومن بين تلك الجامعات التي ظهرت في خدمة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (أوسيم) حيث تأسست أساساً لتحقيق هذا الغرض السامي، وفق أسس علمية عصرية تتناسب والمرحلة الزمنية التي تمر بها البشرية من انفتاح وتواصل بين الحضارات الإنسانية بكل أشكالها، ولأجل تحصين المسلمين بالعلم الشرعي والمعرفة الإسلامية الصحيحة؛ في ظل التحديات المعاصرة والمؤثرات الخارجية التي تواجه المسلمين في عصر العولمة الذي يعد من أخطر العصور وأعقدها بالنسبة للأمة الإسلامية بحيث جندت إمكانيات وطاقات هائلة من أعدائها لغرض طمس هويتها وإظهارها بمظر المتخلف عن الركب العلمي الذي يسير بالبشرية نحو التقدم والتطور العلمي.

فبدأت هذه الجامعة بوضع العلوم الشرعية والعلم الديني عملياً في الحياة العصرية، وربطه بالمعارف الحديثة التي تخدم البشرية؛ فجعلت الطالب للعلوم الشرعية على معرفة ودراية بعلوم العصر والتكنولوجيا الحديثة ليجعل العلم الديني هو مصدر إلهام وتقويم للتطور العلمي بكل فروعه ومجالاته، وليكون قادراً على مواجهة تحديات العولمة ومتطلبات الحياة العصرية والتفاعل فيها وتقديم ما يتعلمه من علم شرعي عمليا من التكنولوجيا والعلوم الحديثة.

وفي هذا البحث المتواضع سأحاول بإذن الله تعالى ببيان تاريخ مختصر عن هذه الجامعة الفتية من حيث النشأة وعن تطورها، وكذا نبذة مختصرة عن كلية دراسات القرآن والسنة، وعن برامجها الدراسية؛ مع التركيز على دراسة السنة النبوية التي تميزت بها هذه الجامعة من خلال الكلية، والبرامج في ذلك؛ حيث وضع فيها برنامج خاص (بكالوريوس) عن دراسات السنة مع إدارة المعلومات إضافة إلى تدريس السنة في جميع البرامج والتخصصات الأخرى حتى العلمية منها.

فأراد الباحث في هذا الموضوع إظهار مدى اهتمام جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (أوسيم) في عظيم عنايتها بالسنة النبوية وعلومها، فكان هذا البحث الموسوم بـ(مقررات السنة النبوية وعلومها في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: دراسة وصفية) لتقديمها إلى مؤتمر السنة النبوية والتحديات المعاصرة بجامعة ملايا، في محور دور المؤسسات الأكاديمية و التعليمية في التصدي للأفكار الهدامة البعيدة عن المنهج النبوي.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة؛ على النحو الآتي:

المبحث الأول: جامعة العلوم الإسلامية الماليزية في سطور.

المبحث الثاني: نبذة عن كلية دراسات القرآن والسنة.

المبحث الثالث: رؤية عامة لمقررات السنة النبوية وعلومها في كلية القرآن والسنة.

المبحث الرابع: رؤية نقدية لمحتوى الخطط الدراسية.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

## المبحث الأول

## جامعة العلوم الإسلامية الماليزية: النشأة والتطور

تمت الموافقة رسميا على تأسيس جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (أوسيم)، وكانت تسمّى سابقا اختصارا بـ (كويم) في اجتماع مجلس الوزراء بتاريخ 11يونيو ١٩٩٧م، وتم الإعلان عنها رسمياً في ١٣ مارس ١٩٩٨م. وفكرة إنشاء الجامعة جاءت من قبل وزير التربية والتعليم آنذاك داتوك سيري نجيب تون رزاق (رئيس وزراء ماليزيا حاليا). وبدأت الجامعة استخدام اسمها الجديد رسميا ابتداء من اليوم الأول من شهر فبراير ٢٠٠٧م. وهي تمثل الجامعة الحكومية الأولى التي أسستها الحكومة الماليزية في مطلع القرن الحادي والعشرين، كما تعد الجامعة الثانية عشرة من بين الجامعات الحكومية في الدولة.

والغاية الأسمى من تأسيس الجامعة هي رفع مستوى التعليم الإسلامي وإدراجه في تيار التعليم الرئيسي للدولة والذي يقوم على استخدام وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجال الأكاديمي، وخاصة في مجالي التدريس والبحث العلمي. ولتحقيق تلك الأمنية النبيلة، تؤكد الجامعة على ضرورة إتقان اللغتين وهما العربية والإنجليزية في عملية التنمية الأكاديمية والشخصية لدى طلابها، بجانب اللغة الوطنية الملايوية كلغة إدارية في الجامعة.

وقد انطلقت الجامعة في مسيرتها العلمية في العام الدراسي ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م، حيث استخدمت عند انطلاقها جزءاً من مبنى كلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الوطنية الماليزية ببانغي، بولاية سلانغور، ثم انتقلت بعدها إلى مبنى المعهد المهني لبيت المال التخصصي في كولا لمبور العاصمة، وبدأت مرحلتها الأولى بثلاث كليات هي: كلية الشريعة والقضاء، وكلية دراسات القرآن والسنة، وكلية الدعوة والإدارة.

وقد بدأ الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠٠٠/٢٠٠١م بدفعة أولى من الطلبة وعددهم ٢٥٥ طالباً وطالبة في الكليات الثلاث، وفي العام الدراسي ٢٠٠١/٢٠٠٢م تم تسجيل الدفعة الثانية وكان عددهم ٥٥٦ طالباً وطالبة وقد شجعت هذه الزيادة في عدد طلبة الجامعة إلى استئجار جزءاً من مبنى المجلس البلدي لمنطقة أمبانج جايا في منطقة باندان إينده في كولالمبور، ووقد انتقلت الجامعة إدارة وتدريساً إلى هذا المبنى بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢١م.

ولغرض الوصول إلى الأهداف المرجوة من تأسيسها وجعلها جامعة إسلامية متميزة في ماليزيا، تم إنشاء كلية جديدة في سنة ٢٠٠٢م وهي كلية الاقتصاد والمعاملات، حيث بدأت هذه الكلية مسيرتها العلمية في العام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣م بدفعة أولى من الطلبة، وكان عددهم ١٠٣ طالب وطالبة.

وفي نفس الوقت، فقد خططت الجامعة لإنشاء عدة كليات ومراكز استجابة لحاجات الدولة إلى الأيدي العاملة المتقنة، لذا أنشأت الجامعة كلية الطب والعلوم الصحية في ٢٦ يناير ٢٠٠٤م لتخريج الأطباء وما يتعلق بالمجالات الطبية، والمنهج المتبع في برنامج بكالوريوس الطب والجراحة في

هذه الجامعة هو منهج جامعة الأزهر، ومدة الدراسة فيها ست سنوات بتفرغ كلي. وفي العام الدراسي ٢٠٠٥م تم افتتاح كلية العلوم والتكنولوجيا، وكلية اللغات الرئيسة، وبرنامج التمهيدي لطلاب العلوم والقانون، ثم افتتحت في العام ٢٠٠٦م كلية طب الأسنان، ليصبح بذلك عدد كليات الجامعة ثمانية كليات.

وبالإضافة إلى ذلك، أنشأت الجامعة مركزا باسم : "INFAD" وهو مركز لإدارة الفتاوى العالمية وأبحاثها، وتشكيل هذا المركز يتماشى مع مشروع الجامعة وهو توفير عدة مراكز للتنمية الشاملة، ويتوافق أيضا مع شعار الجامعة نفسها، وهو الإهتمام بالقضايا الإسلامية المستجدة، واستعادة التراث العلمي للإسلام، ويتفق مع البيئة الراهنة وآخر ما توصلت إليه أحدث التكنولوجيا والتقنيات.

وخلال الفترة من مشروع تطوير المرحلة الأولى للبنايات، فقد تم تحويل الكليات المتواجدة بالمكان المؤقت في العاصمة كوالالمبور إلى الحرم الجامعي الدائم بنيلاي في يوليو عام ٢٠٠٥م.

ومع إطلالة عام ٢٠٠٧م شهدت الجامعة حدثاً تاريخياً هاماً وذلك بتغيير اسم الجامعة ليصبح جامعة العلوم الإسلامية الماليزية لتصبح في مصاف الجامعات الحكومية الماليزية العريقة.

وفي ٢٥ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م، كان يوما تاريخيا لجميع الموظفين بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية، حيث افتتح سعادة المعالي داتوء سري/ عبد الله أحمد بدوي -رئيس الوزراء الماليزي- الحرم الجامعي الرئيس الدائم للجامعة، ويُعدّ هذا الإفتتاح تحقيقا لحلم الدولة ورغبتها لإنشاء جامعة إسلامية متقدمة، والتي ستصبح فعالة لدفع التنمية الاقتصادية وتنمية تفكير المجتمع وفقا لتعاليم الدين الإسلامي.

**أهداف الجامعة :**

تفتح جامعة العلوم الإسلامية الماليزية مجالاً رحباً لطلبة المدارس الدينية لمواصلة دراستهم ورفع مستواهم العلمي، فقد وضعت لها جملة من الأهداف لتحقيق هذا المطلب منها:

أ. الارتقاء بالتربية الإسلامية وتفعيلها في المجتمع لكونها من الاهتمامات الأساسية للحكومة المركزية في البلاد.

ب. تمكين الطلبة الخريجين منها من التوفيق بين النظرية والتطبيق في كل المجالات العلمية.

ج. إعداد قيادات فكرية وعلمية متشبعة بالتربية الإسلامية المتكاملة قادرة على قيادة المجتمع الماليزي نحو التنمية الوطنية الشاملة.

د. إحياء ودراسة التراث الإسلامي والعلوم الإسلامية بما يتلائم ومتطلبات العصر الحديث.

هـ. إعداد كوادر بشرية قادرة على فهم الإسلام فهماًًًًًً دقيقاً وتأدية واجباتها محلياً وعالمياً.

**-أسس التدريس ومجالاته في الجامعة.**

إن الفكرة الأساسية في التعليم بالجامعة تقوم على الدمج والتكامل المعرفي بين العلوم النقلية والعقلية في جميع البرامج الدراسية المقدمة فيها، لذلك فهي متيمزة عن غيرها من الجامعات في جميع مجالات التعليم تحقيقاً للأهداف المنشودة من إنشائها.

أما لغة التدريس في الجامعة فهي:

اللغة العربية واللغة الإنجليزية، فأما العربية تكون لغة التدريس للدراسات الإسلامية خاصة، لكي يكون الطلبة على مستوى عال من الاستيعاب والتمكن من العلوم المدروسة جميعاً وذلك من خلال لغة كل علم من تلك العلوم، لا سيما العلوم الشرعية المتمثلة في القرآن والسنة والفقه وغيرها من العلوم الشرعية، وذلك لتحقيق التكامل في عملية التعليم والتعلم في الجامعة. وهناك اللغة الماليزية والتي تعتبر اللغة الرسمية للجامعة في الشؤون الإدارية.

**-برامج الجامعة الأكاديمية:**

تقدم الجامعة برامجها الأكاديمية من خلال الكليات الآتية:

1. الشريعة والقانون.
2. دراسات القران والسنة.
3. القيادة والإدارة الإسلامية.
٤. الاقتصاد والمعاملات.
٥. العلوم والتكنولوجيا
٦. الطب والجراحة.
٧. اللغات الرئيسة.
٨. طب الأسنان.

## المبحث الثاني

## نبذة عن كلية دراسات القرآن والسنة

تعد كلية دراسات القرآن والسنة من أوَّل الكليات تأسيسًا في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (أوسيم) في عام ٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م، ومن أهم الأهداف التي أسست من أجلها هو رفع مستوى التخصص في دراسات القرآن والسنة وجعلها ضمن التخصصات الرئيسية على صعيد التربية الوطنية.

**رؤية ورسالة الكلية**

الرؤية: الحفاظ على القرآن والسنة في إخراج الإنسان المستمد والقائم على التربية الإسلامية والتكنولوجيا الحديثة التي يمكن أن يسهم في تطوير المجتمع، والوطن والعالم أجمع.

الرسالة:

أ. إجراء بحوث لاستكشاف المشاكل والتحديات التي تواجه المسلمين، وإيجاد حل مستمد من القرآن والسنة لتحسين نوعية الحياة وتطوير المسلمين لكي يصبحوا أمة متقدمة حديثة ذو تقوى.

ب. تخريج طلاب على مستوى عال من المعرفة، ذو تطلعات مستقبلية، وعلى أخلاق حسنة مع القيادة والقدرة التنافسية العالية في جميع المجالات لقيادة الأمة وفقا لتطلعات وتنمية البلد على مستوى العالم كله وعلى مستوى العالم الإسلامي على وجه الخصوص، وتشكيل نوعية خريجين ذو الجودة العالية لديهم أفكار بناءة ومبتكرة في طرق العرض مع تطوير الخبرة وفهم المجتمع اتجاه القرآن والسنة.

ج. تشكيل القوى العاملة ذو الشخصية الحسنة، التي لديها القيم الأخلاقية العالية، والكفاءة والمهارة الاحترافية الفعالة لدفع التنمية، وذات قدرة تنافسية عالية مع قيادة عصرية للمجتمع المسلم في جميع المجالات المشاركة .

د. نشر وتطوير معرفة الدين الإسلامي لجميع الناس من خلال جهود خدمة المجتمع لزيادة وعيهم لحرمة الإسلام وتقواهم لله عز وجل.

هـ. الدعم والتشجيع في جعل جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) مؤسسة تعليمية بحثية عالمية في العلوم الإسلامية، ومعروفة على جميع المستويات سواء كانت محلية أو إقليمية أو عالمية.

**-أهداف الكلية.**

١. تخريج كوادر علمية متخصصة في دراسات القرآن والسنة وعلى قدر من المعرفة بها قادرين على استنباط الأحكام والمعارف من مصادرها الأصلية القرآن والسنة.

٢. إعداد كوادر مثقفة بالفكر الإسلامي الأصيل الذي يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق المستندة إلى القرآن والسنة لتأصيل الفكر الإسلامي استناداً إليها.

٣. تخريج كوادر بشرية مؤهلة وقادرة على تأدية واجباتها في المجتمع في مجال دراسات القرآن والسنة، والعلوم الحديثة والتكنولوجيا، وذلك في جميع المجالات التعليمية والوظيفية والاجتماعية.

**-البرامج الدراسية في الكلية:**

وقد كرست الكلية - من خلال أعضاء هيئة التدريس فيها وخبراتهم من داخل البلاد وخارجها - جهودها في سبيل تطوير البرامج الدراسية والإبداع فيها بما يتناسب عصر العولمة. فإن الكلية تقدم برامج علمية مختلفة، ومن هذه البرامج التي تقدمها الكلية ما يلي:

١-الإجازة العالية في دراسات القرآن والسنة مع مرتبة الشرف

٢-الإجازة العالية في دراسات القرآن مع "ملتيميديا" مع مرتبة الشرف

٣-الإجازة العالية في دراسات السنة مع إدارة المعلومات مع مرتبة الشرف

٤-الإجازة العالية في دراسات القرآن والسنة مع مرتبة الشرف في دار القرآن، جاكيم.

كما تقدم الكلية برنامجي في قسم الدراسات العليا، وهما:

١-ماجستير في دراسات القرآن والسنة.

٢- دكتوراه في مجال دراسات القرآن والسنة.

وذلك عن طريق كتابة البحث العلمي، على أن يكون المتقدم مستوفيًا لشروط القبول المذكورة في دليل الكلية.

ويتضح لنا بعد هذه النبذة المختصرة عن الجامعة وعن كلية دراسات القرآن والسنة مدى اهتمام الجامعة بالدراسات الشرعية ومصادرها الأصلية المتمثلة بالقرآن والسنة، حيث أدخلتها في جميع برامجها الدراسية حتى في العلوم والاقتصاد والطب وكافة المجالات لتعريف الطلبة بأهمية القرآن الكريم والسنة النبوية، ومحاولة دفعهم نحو البحث العلمي وتطبيق ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية عملياً في كل مجالات العلم، والبحث في الإعجاز العلمي فيما من خلال التجربة العلمية التي يعيشونها في دراساتهم العلمية المتنوعة.

**-الهيئة التدريسية بالكلية:**

تضم الكلية بين جنباتها مجموعة كبيرة من الأساتذة ذوي الخبرة الأكاديمية في تخصص السنة النبوية، سواء أكانوا من خريجي الجامعات المحلية أو من الجامعات الخارجية، وسواء أكانوا من أبناء البلد أو من خارجها، وهنا أذكر بعضا منهم:

١-فضيلة الدكتور نجم بن عبد الرحمن خلف. (أستاذ مشارك)

٢- فضيلة الدكتور محمد مستقيم بن زريف. (أستاذ مشارك)

٣-فضيلة الدكتور محمد فوزي محمد أمين. (أستاذ مشارك)

٤-فضيلة الدكتور عادل بن عبد العزيز الغرياني. (أستاذ مشارك)

٥-فضيلة الدكتور مصطفى محمد أبو زيد. (أستاذ مشارك)

٦-فضيلة الدكتور ساجدة حلمي سمارة. (أستاذ مساعد)

٧-فضيلة الدكتور إروان سنتري. (أستاذ مساعد)

٨-الدكتور سامر ناجح سمارة. (أستاذ مشارك)

٩-الدكتور كبيرو غوجي. (أستاذ مساعد)

وغيرهم من الأساتذة المتخصصين في السنة النبوية وعلومها الذين يبلغ عددهم جميعا ٢٥ محاضرا ومحاضرة.

## المبحث الثالث

## رؤية عامة لمقررات السنة النبوية وعلومها في كلية القرآن والسنة

كما اطلعنا على مجال تركيز اهتمام الجامعة والكلية نجد أن جلّ اهتمامهما بالقرآن والسنة؛ حيث

جعلت الكلية مدار أهدافها هو دراسة وتفعيل القرآن والسنة في الحياة والمجتمع، وربطها بالواقع المعاصر والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في مجال دراستها، فكان للسنة النبوية اهتماماً خاصاً حيث تم إنشاء برنامج علمي (بكالوريوس) يعنى بدراستها مع القرآن الكريم تحت عنوان دراسات القرآن والسنة، وبرنامج متخصص (بكالوريوس) فيها تحت عنوان دراسات السنة وإدارة المعلومات وسأبين باختصار هذين البرنامجين مع التركيز على مجال السنة النبوية فيهما، وفي الكليات الأخرى حيث تدرس مواد من السنة النبوية في الكليات العلمية في الجامعة.

**المطلب الأول: برنامج بكالوريوس دراسات القرآن والسنة .**

نظرة عامة عن البرنامج:

أسس هذا البرنامج استناداً للأسباب التالية:

١. لم يطرح هذا البرنامج على مستوى الإجازة العالية في الجامعات الحكومية الماليزية من قبل بل كان ضمن الدراسات الإسلامية العامة، وطرح في هذه الجامعة كتخصص مستقل وعلى مستوى الإجازة العالية لأول مرة.

٢. تلبية لطموحات المجتمع والحكومة في ماليزيا للارتقاء بمستوى الدراسات القرآنية والسنة والثقافة الإسلامية، وبسب إقبال المجتمع الماليزي على ذلك، اقتضت الحاجة إلى إنشاء هذا البرنامج.

٣. لظهور بعض الأفكار والأعمال المخالفة للسنة النبوية المطهرة وإنكار البعض لحجية السنة في المجتمع الماليزي، دعت الحاجة إلى إنشاء هذا البرنامج للوقوف بوجه هذه الأفكار وتصحيحها وفق السنة الصحيحة التي تعد المصدر الثاني للتشريع في الإسلام.

**-أهداف البرنامج:**

١. إعداد جيل من الدراسين قادرين على فهم واستعاب الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية المتمثلة بالقرآن والسنة النبوية.

٢. إعداد جيل متفهم للفكر الإسلامي في العقيدة والشريعة والأخلاق بناءً على أسس تقوم على القرآن والسنة، مع فهم التيارات الفكرية المعاصرة.

٣. رفد المجتمع بكوادر كفوءة للقيام بأعباء التربية، والعمل الإداري، وفق الأسس الإسلامية الصحيحة بطريقة علمية تنسجم وروح العصر.

١. تحليل محتوى برنامج دراسات القرآن والسنة وللمواد التي تدرس فيه:

| نوع المادة | اسم المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ١.مواد<br>متطلبات<br>جامعية | أ. مادتي الحضارة الإسلامية والآسيوية<br>١. الحضارة الإسلامية والآسيوية<br>٢. التعايش في المجتمع المتنوع الأعراق | <br>٢<br>٢ |

| نوع المواد | المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| | ب. مواد في الدراسات العامة | |
| | ١. المدخل إلى تكنولوجيا المعلومات | ٢ |
| | ٢. الفكر النقدي والإبداعي | ٢ |
| | ٣. المدخل إلى علم العلاقات والاتصالات | ٢ |
| | ٤. مبادىء الإدارة النوعية | ٢ |
| | *٥. مناهج البحث العلمي* | ٢ |
| | ٦. حلقة دراسية | ١ |
| | ٧. محادثة حرة | ١ |
| | ج- المهارات اللغوية العربية | |
| | ١. مهارة القراءة | ٢ |
| | ٢. مهارة المحادثة والخطابة | ٢ |
| | ٣. مهارة الكتابة | ٢ |
| | ٤. مهارة الاستماع والفهم | ٢ |
| | ٥. العربية الاتصالية | ٢ |
| | د- المهارات اللغوية الإنجليزية | ٢ |
| | ١. اللغة الإنجليزية ١ | ٢ |
| | ٢. اللغة الإنجليزية ٢ | ٢ |
| | ٣. اللغة الإنجليزية للدراسات الإسلامية ١ | ٢ |
| | ٤. اللغة الإنجليزية للدراسات الإسلامية ٢ | ٣ |
| | هـ- مادة واحدة من المواد اللاصفية | |
| | د. مادة إضافية | |
| | ١. الحلقة الدراسية | ٢ |
| | ٢. محادثة حرة | ٢ |
| | مجموع الوحدات | ٣٧ |

| نوع المواد | المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ٢.مواد أساسية لبرنامج دراسات القرآن والسنة | ج - مواد إجبارية للدراسات الإسلامية | |
| | ١. العقيدة الإسلامية | ٢ |
| | ٢. الأخلاق والتصوف | ٢ |
| | ٣. فقه العبادات والمناكحات | ٢ |
| | ٤. فقه المعاملات والجنايات | ٢ |
| | ٥. أصول فقه ١ | ٢ |
| | ٦. علوم القرآن | ٢ |
| | ٧. علوم الحديث | ٢ |
| | ٨. المدخل إلى علم القراءات والتحفيظ | ٢ |
| | ٩. مناهج الدعوة | ٢ |

| | | |
|---|---|---|
| | ١٠. الفكر الإسلامي المعاصر | ٢ |
| | ١١. سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم | ٢ |
| | ١٢. تاريخ التشريع | ٢ |
| | ١٣. نظام القوانين الماليزية | ٢ |
| | مجموع الوحدات | ٢٦ |

| نوع المادة | المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ٣.مواد تخصص برنامج دراسات القرآن والسنة | ١. تفسير آيات الأحكام | ٣ |
| | ٢. حديث الأحكام | ٣ |
| | ٣. دراسة القراءات | ٣ |
| | ٤. موقف المستشرقين من القرآن والسنة | ٣ |
| | ٥. علم رجال الحديث | ٣ |
| | ٦. علم التخريج | ٣ |
| | ٧. السنة والبدعة والخرافة | ٣ |
| | ٨. تفسير ١ | ٣ |
| | ٩. حديث ١ | ٣ |
| | ١٠. تفسير ٢ | ٣ |
| | ١١. حديث ٢ | ٣ |
| | ١٢. دراسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة | ٣ |
| | ١٣. البحث العلمي | ٣ |
| | ١٤. حفظ القرآن الكريم | ٣ |
| | ١٥. التفسير العلمي | ٣ |
| | ١٦. الترنم | ٣ |
| | ١٧.دراسة القرآن والحديث في عصر التكنولوجيا | ٣ |
| | ١٨. تطبيقات نظام بريل للمكفوفين في دراسة | ٣ |
| | القرآن والسنة | ٦ |
| | ١٩. البحث العملي | |
| | مجموع الوحدات | ٦٠ |
| ٤.مواد إختيارية | ١. الإسلام والقضايا المعاصرة | ٣ |
| | ٢. أخلاق العمل الإسلامية | ٣ |
| | ٣. أدب الاختلاف | ٣ |
| | ٤. السياسة الشرعية | ٣ |
| | ٥. القواعد الفقهية | ٣ |
| | ٦. الفقه المعاصر | ٣ |
| | ٧. الأدب الإنجليزي | ٣ |
| | ٨. الكتابة الابداعية | ٣ |

| | ٩. اللغة الإنجليزية ٣ | ٣ |
|---|---|---|
| | مجموع الوحدات | ٢٧ |

وفيما يلي وصف لبعض المواد في السنة النبوية وعلومها والتي تدرس في هذا البرنامج وهي كمايلي:

١. الحديث ١

تتناول هذه المادة أحاديث مختارة متعلقة بالعلم والإيمان والتوحيد والأخلاق والرق والتربية والاعتصام والفتن، اعتماداً على المصادر الحديثية الأصلية.

٢. الحديث ٢

تتناول هذه المادة أحاديث مختارة مما يتعلق بالقيادة والاقتصاد والعلوم والطب وخلق العالم وخلق الإنسان، اعتماداً على المصادر الحديثية الأصلية والكتب العلمية للعلماء المسلمين التي درست هذه الأحاديث كل في مجاله سواء من ناحية الاستدلال أو الإعجاز.

٣. دراسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة

هذه المادة تدرس تاريخ ظهور الأحاديث الموضوعة، وتبحث في الأحاديث الضعيفة وتحليل أراء العلماء في حكم الرواية والعمل فيها. وتدرس أمثلة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة وأثرها السلبي على الأمة الإسلامية.

٤. السنة والبدعة والخرافة

تقوم هذه المادة بتعريف السنة وأنواعها وتعريف البدعة والخرافة والفرق بينهما وتاريخ نشأة البدعة ومصادرها. وتحلل آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي ترد على البدعة. وتناقش أعراف الملايويين، وما يعتريها من بدع ومخالفات للسنة ومحاولة نقدها وتصحيحها في المجتمع المحلي.

٥. موقف المستشرقين من القرآن والسنة

تتناول هذه المادة تاريخ ظهور المستشرقين وأهدافهم بإيجاز. وتناقش أيضاً موقفهم من الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وآرائهم وموقفهم من القرآن والسنة مع الأمثلة والقضايا والشبهات التي يثيرونها وردّها.

٦. علم رجال الحديث

تبحث هذه المادة في تعريف السند و الإسناد والتجريح والتعديل وتاريخها ونشأة وتطور هذا العلم، ومعرفة أحوال الرواة، ومعرفة لطائف الإسناد، ودراسة السند العالي والنازل، والمسلسل ورواية الأكابر عن الأصاغر ورواية الآباء عن الأبناء ورواية الأبناء عن الأباء، والحديث الصحيح والضعيف وما يتعلق بهما من مباحث لها علاقة بردّ رواية الراوي وقبولها. وتتعرض أيضا لألفاظ التجريح والتعديل، وشروط المعدل وغيرها.

٧. علم التخريج

هذه المادة تساعد الطلبة على البحث وتخريج الحديث وتعيين المصادر الأصلية من غير الأصلية للحديث ورتبته من حيث الصحة والضعف وغيرهما. وهذا لتوجيه الاحتجاج بالحديث في القضيا المعاصرة وغيرها.

٨. حديث الأحكام

تدرس هذه المادة الأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالطهارة والعبادات والجنايات والمناكحات وتركز المناقشة على اختلاف آراء العلماء وحججهم استنادا إلى الأحاديث النبوية.

٩. علوم الحديث

تحتوي هذه المادة على موضوعات أساسية في علوم الحديث منها: معنى الحديث وأنواعه وأقسامه، والحديث من ناحية الدراية والرواية، والحديث القدسي، وتاريخ رواية الحديث، وعلم الجرح والتعديل، والأحاديث الموضوعة، وتخريج الحديث، وعلاقة الحديث بالقرآن، موكانة الحديث النبوي في الشريعة الإسلامية، وتعريف موجز بالكتب الستة: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجه).

١٠. سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

تدرس هذه المادة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على ضوء القرآن والسنة، ويكون التركيز على دراسة شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام من النواحى التالية: الرسول كإنسان، كرسول، كقائد، كزوج، كأب، وكصديق، وذلك ليكون صلى الله عليه وسلم خير قدوة لبناء الإنسان الكامل وتكوين المجتمع الفاضل. إضافة إلى ذلك تتناول المادة تاريخ العرب قبل الإسلام، وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، والسابقون الأولون، وموقف قريش من الدعوة الجديدة، وسياسة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مواجهة التحديات، والهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة، وميلاد الدولة الإسلامية فى المدينة، وعلاقة المسلمين باليهود وبالقبائل العربية الأخرى ومناقشة صحيفة المدينة المنورة.

١١. تطبيقات نظام بريل للمكفوفين في دراسات القرآن والسنة

تتناول هذه المادة دراسة عن النظرية المتعلقة بنظام بريل للمكفوفين والتدريب عليه. وتتضمن هذه النظرية عدة أمور متعلقة بحركات اليد والعين أثناء الطباعة، ومقدار سرعة الطباعة. والتدريب في هذه المادة يكون بشكل مستمر حتى يتمكن الدارس من إتقان المهارات المتعلقة بالنظام. وقراءة بريل للمكفوفين تطبق في تلاوة الآيات القرآنية و وقرآءة نصوص السنة النبوية في مستوى المدارس الأساسية والمتوسطة والعالية. والحاجة إلى تعليم هذه المادة تكمن في:

أ. أهميتها في جانب تعليم القرآن والسنة وتعلمهما خصوصاً لدى المكفوفين.

ب. قلة في عدد المسلمين الماهرين بنظام بريل للمكفوفين.

ت. كونها جزء من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث لا يوجد حتى الآن بديل لنظام بريل لكونه واسطة جيدة في تعليم المكفوفين وتعلمهم في ماليزيا.

ث. تزوّد طلبة كلية دراسات القرآن والسنة بمهارات إضافية في ميدان التعليم المعاصر، من خلال تمكنهم على مهارة النظام بشكل تكنيكي و تنفيذي.

١٢. دراسة القرآن والحديث في عصر تكنولوجيا المعلومات.

تناقش هذه المادة القضايا الأساسية المتعلقة بالمناهج في دراسة القرآن والسنة كما لدى العلماء في كتبهم. وفيها تعريف بمناهج وتاريخ العلماء البارزين في مجال القرآن والسنة، مع التركيز على القضايا المتعلقة بهما في العصر الحاضر وكيفية معالجتها.

**المطلب الثاني: برنامج دراسات السنة وإدارة المعلومات.**

الأسس التي يقوم عليها هذا البرنامج مايلي:

١. أن مجال دراسة السنة له علاقة قريبة بإدارة المعلومات، ولكن لم يسبق تقديمهما من أي المعاهد العامة للتعليم العالي بماليزيا، وإن كان الطلب في هذا المجال كبيراً. إذ أن مجال دراسة السنة كمصدر رئيسي في دراسة الإسلام، ويتكون من المجالات الأساسية للدراسة كالحديث، والسيرة، والتاريخ، وغيرها مما يحتوي على معلومات وبينات متعلقة بالدراسة (كالتراجم، والجغرافية، والقضاء وغيرها. وهي في غاية الأهمية في فهم الإسلام ودراسة حضارته. أما مجال إدارة المعلومات فيتركز في الجانب التقليدي على إدارة البينات والمعلومات العامة. لذا ينبغي إيجاد برامج خاصة تجمع بين الجانبين، للحصول على مهارات علمية وعملية في المعارف الإسلامية والإدارة المكتبية التي نحتاج إليها في مختلف المؤسسات والمعاهد الأكاديمية والإدارة وغيرها.

٢. الحاجة الماسة إلى خريجين ماهرين في مجال المعلومات الإسلامية والإدارة المكتبية، لا سيما في عصر تطور تقنية المعلومات والمعارف، حيث لا توجد أي معاهد عالية للعلوم حالياً تقدم مثل هذا البرنامج ونحوه. ولذلك تعتبر كلية دراسات القرآن والسنة في جامعة العلوم الإسلاميةسباقة في ذلك، وهذه المحاولة تعتبر أول محاولة في إعداد طاقات بشرية وعمال ماهرين في هذين المجالين في آن واحد.

٣. توسيع مجال التخصصات الدراسية في دراسة القرآن والسنة أكثر من شكلها التقليدي والتراثي إلى المجال العملي التطبيقي لكي تتماشى وغاية الحكومة من إنشاء كلية دراسات القرآن والسنة في هذه الجامعة.

٤.الحاجة الحالية إلى طاقات ماهرة عاملة في مجالي المعلومات الإسلامية والإدارة المكتبية لبناء المجتمع الوطني ليتماشى مع النمو الاقتصادي للبلاد والعالم، وتطور المكتبات والمعاهد المعتمدة على المعلومات والمعارف.

٥. قدمت كلية دراسات القرآن والسنة هذا البرنامج، لغرض تسهيل الحصول على العمل للخريجين من هذه الكلية حيث يتنافس جميع الطلبة بينهم عليها. وتستطيع كلية دراسات القرآن والسنة أن تنافس بقية الكليات الأخرى في الجامعة من خلال تقديم برنامج مختلف عن طريق الدمج بين الدراسة التراثية والتكنولوجيا الحديثة، وذلك لمواجهة تحديات العصر والمنافسات الكبيرة على فرص العمل وفتح أفاق مستقبلية للطلبة في الحصول على فرص عمل مناسبة.

**-أهداف البرنامج:**

من أهم الأهداف التي أسس من أجلها هذا البرنامج مايلي:

١. أن يقدم للمجتمع خريجين ماهرين في مجال دراسة القرآن والسنة وفي نفس الوقت ماهرين في مجال إدارة المعلومات على شكل يجمع بين الجانب النظري والعملي، حتى يتمكن هؤلاء الخريجون من العمل في المؤسسات التي تعتمد على المعارف وإدارة المعلومات كالمكتبات والدوائر الخدمية وغيرها.

٢. لتلبية الطلب المتزايد من قبل المجتمع على خريجين جامعيين في الدراسات الإسلامية متمكنين في استخدام التكنولوجيا الحديثة في وظائفهم اليومية. ووظائف خريجي الدراسات الإسلامية في عصرنا الحاضر لاتتعلق بالتعليم الديني فقط بل تعد موظفين ماهرين في الإدارة التدبيرية. ولذلك ينبغي تزويد الطلبة بمختلف المعارف والمهارات في التكنولوجيا الحديثة المتعلقة بالبرنامج المذكور حتي يتأهل الخريجون لخدمة المجتمع والبلاد. وويؤدوا مسؤولياتهم بأمانة وإتقان.

٣. إعطاء فرص إضافية لخريجي الدراسات الإسلامية التراثية كدراسات القرآن والسنة حتى يتفقهوا في مجال تخصصهم وتمكنهم على المنافسة في سوق العمل في الوقت الحاضر من خلال مهارتهم في التكنولوجيا القائمة على المعلومات والمعارف. وكذلك لتصحيح نظرة المجتمع إلى خريجي الدراسات الإسلامية وإسهامهم في بناء البلاد.

٤. تمكن الطلبة في مجال التكنولوجيا الحديثة بجانب الدراسات الإسلامية وإدارة المعلومات تفتح لهم بعد تخرجهم السبيل إلى مجال التجارة خصوصاً فيما له علاقة بإدارة المعلومات الإسلامية.

٥. إن هذا البرنامج يمكن أن يسهم في سد الحاجة إلى موظفين ذوي خلفية في الدراسات الإسلامية وإدارة المعلومات نتيجة لظهور النهضة الإسلامية الحديثة وفق منهج الوسطية.

٦. وتطمح الجامعة من خريجي هذا البرنامج أن يسهموا بقوة وإتقان في تطوير مجال المعلومات وإدارتها ومصادرها المتعلقة بالدراسات الإسلامية في مختلف المؤسسات، كالمكتبات ومراكز المعارف، ومختلف المنظمات الحكومية والخاصة التي تعتمد في عملها على المعلومات والبرمجة الحاسوبية وإدارة الإعلام. كما يمكنهم العمل مجال التجارة المتعلقة بالمعلومات الإسلامية اعتماداً على التكنولوجيا الحديثة التي يكتسبون المهارة بها من خلال هذا البرنامج. وبهذه العلوم والمعارف يستطيعوا أن يروجوا لإنتاجهم أو سلعهم أو خدماتهم للمجتمع بأفضل الوسائل، مما يخفف اعتمادهم الكبير على التوظيف والعمل لدى الحكومة.

ويقدم هذا البرنامج مواد متكاملة في مجالي الدراسات الإسلامية والحديثية بشكل خاص ومجال التكنولوجيا الحديثة وإدارة المعلومات وكما يلي:

-المواد التي تقدم في هذا البرنامج:

فيما يلي تحليل لمحتوى برنامج السنة وإدارة المعلومات

| نوع المادة | اسم المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ١. مواد إجبارية جامعية | أ. مادتي الحضارة الإسلامية والآسيوية | |
| | ١. الحضارة الإسلامية والآسيوية | ٢ |
| | ٢. التعايش في المجتمع المتنوع الأعراق | ٢ |
| | ب. مواد في الدراسات العامة | |
| | ١. المدخل إلى تكنولوجيا المعلومات | ٢ |
| | ٢. الفكر النقدي والإبداعي | ٢ |
| | ٣. المدخل إلى علم العلاقات والاتصالات | ٢ |
| | ٤. مبادىء الإدارة النوعية | ٢ |
| | ٥. مناهج البحث العلمي | ٢ |
| | ٦. حلقة دراسية | ١ |
| | ٧. محادثة حرة | ١ |
| | جـ- المهارات اللغوية العربية | |
| | ١. مهارة القراءة | ٢ |
| | ٢. مهارة المحادثة والخطابة | ٢ |
| | ٣. مهارة الكتابة | ٢ |
| | ٤. مهارة الاستماع والفهم | ٢ |
| | ٥. العربية الاتصالية | ٢ |
| | د- المهارات اللغوية الإنجليزية | ٢ |
| | ١. اللغة الإنجليزية ١ | ٢ |
| | ٢. اللغة الإنجليزية ٢ | ٢ |
| | ٣. اللغة الإنجليزية للدراسات الإسلامية ١ | ٢ |
| | ٤. اللغة الإنجليزية للدراسات الإسلامية ٢ | ٣ |
| | هـ- مادة واحدة من المواد اللاصفية | |
| | جـ - مواد إجبارية للدراسات الإسلامية | |
| | ١. العقيدة الإسلامية | ٢ |
| | ٢. الأخلاق والتصوف | ٢ |
| | ٣. أصول فقه ١ | ٢ |
| | ٤. علوم القرآن | ٢ |

| | | |
|---|---|---|
| | ٥. علوم الحديث | ٢ |
| | ٦. سيرة الرسول | ٢ |
| | مجموع الوحدات | ٤٩ |

| نوع المواد | المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ٢.مواد تخصص دراسات السنة وإدارة المعلومات | **مواد دراسات السنة** | |
| | تفسير آيات الأحكام | ٣ |
| | أحاديث الأحكام | ٣ |
| | موقف المشتشرقين من القرآن والسنة | ٣ |
| | علم رجال الحديث | ٣ |
| | علم التخريج | ٣ |
| | دراسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة | ٣ |
| | تطبيقات بريل للمكفوفين في القرآن والسنة | ٣ |
| | دراسة القرآن والسنة في عصر التكنولوجيا | ٣ |
| | تاريخ تنظيم المكتبات الإسلامية | ٣ |
| | مصادر البحث في الدراسات الإسلامية | ٣ |
| | مدخل لدراسة المخطوطات الملايوية والإسلامية | ٣ |
| | دراسة ونقد المخطوطات الملايوية والإسلامية | ٣ |
| | الحديث كمصدر للأحكام | ٣ |
| | البحث العلمي | ٣ |
| | البحث العملي /والتجاري | ٦ |
| | **مواد إدارة المعلومات** | ٣ |
| | الخدمات والتسهيلات للمعلومات | ٣ |
| | نظام استرجاع المعلومات | ٣ |
| | تكنولوجيا إدارة شبكة المعلومات | ٣ |
| | الدراسات الاستراتيجية في المعلومات | ٣ |
| | إدارة العلوم | ٣ |
| | المكتبات الرقمية ومصادر المعلومات | ٣ |
| | نظام استرجاع المعلومات | ٣ |
| | تكنولوجيا إدارة شبكة المعلومات | ٣ |
| | مدخل لتنظيم البيانات المركزية | ٣ |
| | تعامل الانسان مع الكمبيوتر | |
| | مجموع الوحدات | ٨٤ |

| نوع المادة | المادة | الوحدات |
|---|---|---|
| ٤.مواد إختيارية | ١. الإسلام والقضايا المعاصرة | ٣ |
| | ٢. أخلاق العمل الإسلامية | ٣ |
| | ٣. أدب الاختلاف | ٣ |
| | ٤. السياسة الشرعية | ٣ |
| | مجموع الوحدات | ٢٧ |

وأدناه توصيف لبعض المواد في السنة النبوية التي لم يرد وصفها في البرنامج السابق، وتدرس في برنامج السنة وإدارة المعلومات:

١. الحديث كمصدر للأحكام

تركز هذه المادة على دراسة الأمور الأساسية والأصولية في دراسة الحديث دراسة تحليلية ونقدية وقضية حجية السنة كمصدر رئيسي في الإسلام، وكونها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم. وهذه المادة مهمة لمواجهة المنكرين للسنة كليا أو جزئيا. وهي تبين أوجه حجية السنة بالبراهين من القرآن والسنة والعقل، وبيان الجذور التاريخية لظهور حركة المنكرين السنة في العالم الإسلامي من خلال التعرف على بعض زعماءهم ومناهجهم وأدلتهم تكميلا للمادة. وتتكلم أيضاً عن حجية حديث الآحاد وفق آراء العلماء. ومنهج المادة هو منهج التحليل والنقد، وذلك لتدريب الطلبة على مهارة المناظرة.

**-مواد في السنة النبوية لطلبة الكليات العلمية (كلية الطب والعلوم الصحية وكلية طب الأسنان):**

بالإضافة لهذه البرامج التي تقدمها كلية دراسات القرآن والسنة بشكل متخصص، تقدم الجامعة أيضاً مواد من السنة النبوية الشريفة للكليات العلمية مثل كلية الطب والعلوم الصحية وكلية طب الأسنان، ومن هذه المواد مايلي:

١. حفظ القرآن الكريم

تدرس هذه المادة في كل فصل دراسي لطلبة كلية الطب وطب الأسنان ولمدة الدراسة كاملة ويحفظ فيها مابين خمسة إلى ستة أجزاء من القرآن الكريم.

٢. الحديث ١

تتضمن هذه المادة دراسة في الحديث النبوي الشريف من خلال تعريف الحديث النبوي الشريف وأقسامه ومصطلحاته، وأشهر الكتب فيه، ودراسة نماذج من الأحاديث النبوية الشريفة في مواضيع الأخلاق والعقيدة والعلم والطب، في كتب شروح الحديث على اختلاف مذاهبها، وبيان معاني الأحاديث والفوائد والأحكام المستنبطة منها وذكر الآيات التي تعززها، ويلزم الطلاب بحفظ بعض الأحاديث.

٣. الحديث ٢

تتضمن هذه المادة دراسة جملة مختارة من الأحاديث النبوية الشريفة، التي ترتبط بالعلم والتي تعزز المعرفة بالإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية الشريفة، أو ما يرتبط منها بالعلوم المعاصرة، وما يحث عليها لزيادة ثقافة طالب الطب بالسنة النبوية والارتباط الكبير بينها وبين العلم في كل عصر وزمان.

٤. الإعجاز العلمي والطبي في القرآن الكريم والسنة

تقوم هذه المادة على دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وتدرس معنى الإعجاز ووجوهه في القرآن والسنة، ودراسة آيات مختارة من القرآن الكريم منها ما يتعلق بأصول نشأة الإنسان ومراحل تكوينه، وآية النحل وسر الإعجاز فيها، وسر تحريم بعض الأطعمة كالخنزير والميتة، والخمر.

وحديث الذبابة والداء والدواء، وحديث مراحل خلق الإنسان ونفخ الروح فيه، وحديث التداوي بالعسل، وحديث مفاصل الإنسان، وحديث عجب الذنب.

كل هذه المواد التي لها العلاقة الوثيقة بالنسة النبوية وعلومها تدرس باللغة العربية وغيرها كذلك من المواد الشرعية، وبالإضافة لهذه المواد تدرس مادة اللغة العربية بمهاراتها المختلفة لطلبة كلية الطب وطب الأسنان لتقوية مهارتهم اللغوية وملكتهم على فهم النصوص الشرعية والدراسات الإسلامية من مصادرها الأصلية.

## المبحث الرابع

## رؤية نقدية لمحتوى الخطط الدراسية

تعتبر هذه البرامج و الخطط الدراسية جديدة في محتواها وتصميمها؛ وخصوصاً في مجال الدراسات الشرعية حيث يتم الربط فيها بين العلوم الحديثة الطبيعية والعلوم الشرعية؛ لغرض تفعيل العلوم الشرعية وخصوصاً السنة النبوية الشريفة في الحياة العملية للطالب والمجتمع، وفي نفس الوقت خلق فرص وسوق عمل لخريجي الدراسات الشرعية في مختلف الدوائر الحكومية أو الشركات وغيرها من التي تتعامل بالطرق الإسلامية في إدارة أعمالها، حيث يتمكن هؤلاء الخريجون من إدارة التكنولوجيا الحديثة مع التمكّن من الشريعة الإسلامية بشكل عام والقرآن والسنة بشكل خاص.

**المطلب الأول: أهم المآخذ على هذه الخطط الدراسية .**

١. مواجهة الطلبة لبعض الصعوبات في دراسة السنة النبوية، وخصوصاً مسألة اللغة العربية حيث تدرس كل المواد الشرعية باللغة العربية.

٢. اعتماد بعض الكتب في السنة النبوية كمقررات منهجية، والتي تكون أعلى من مستوى الطالب اللغوي والعلمي.

٣. صعوبة فهم بعض النصوص في السنة النبوية وغيرها لضعف اللغة، أو اعتماد الترجمة في بعض الأحيان مما يجعل الطالب يتكل عليها.

٤. البيئة والظروف المحلية وصعوبة تفعيل السنة النبوية بالشكل المطلوب، وبسبب بعض الأعراف والتقاليد.

٥. بعض المقررات تدرّس في خلال فصل دراسي واحد كمثل علوم الحديث، والتخريج؛ وهذا لا يكفي لفهم المادة، فهذه المواد تحتاج إلى زيادة عدد ساعات التدريس؛ لأنها مواد نظرية وتطبيقية.

**المطلب الثاني: أهم مزايا هذه البرامج الدراسية .**

ومن أهم المزايا التي تتميز بها هذه الخطط الدراسية مايلي:

١. إن جامعة العلوم الإسلامية الماليزية تعد الجامعة الأولى في منطقة جنوب شرق آسيا والتي تقدم مثل هذه البرامج الدراسية المختلطة بين المواد الشرعية وبين المواد العلمية.

٢. طرح مواد جديدة مثل دراسات برايل، ومادة المخطوطات الإسلامية، ومادة البدعة والخرافة.

٣. محاولة تفعيل السنة النبوية في المجتمع الماليزي المسلم والدفع نحو الالتزام بتعليم السنة النبوية المطهرة.

٤. دراسة الأحاديث الشائعة في المجتمع ومحاولة تنقيتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة من خلال إشاعة روح التحري والدقة في استعمال الحديث الصحيح والابتعاد عن غيره.

٥. ربط المواد الحديثية بكل التخصصات الشرعية في الجامعة.

٦. تثقيف طلبة التخصصات العلمية كالطب وطب الأسنان والصيدلة والهندسة والعلوم، بمواد شرعية، وذلك من خلال تدريس أربع مواد قرآنية وحديثية.

**المطلب الثالث: أهم الصعوبات والتحديات في هذه البرامج الدراسية .**

أما الصعوبات والتحديات التي تواجه الجامعة والكلية في هذه الخطط الدراسية فأهمها مايلي:

١. ضعف تصميم المناهج والمقررات في السنة النبوية للناطقين بغير اللغة العربية.

٢. قلة الهيئة التدريسية المتخصّصة في طرق وأساليب تدريس السنة النبوية وعلومها.

٣. قلة المصادر التراثية القديمة في السنة النبوية في مكتبة الجامعة.

٤. قلة اهتمام المتخصصين في الدراسات الشرعية بالحديث النبوي.

٥. قلة الدورات التدريبية والتنشيطية للكادر التدريسي في الجامعة بما يتلائم وتخصص كل محاضر.

٦. مستوى بعض المواد التي تدرس يكون في بعض الأحيان أعلى من مستوى الطلبة، مثل مادة موقف المستشرقين من القرآن والسنة.

٧. ضعف المستوى العلمي للطلاب عامة.

**المطلب الرابع: أهم الخبرات والمكتسبات.**

من أهم الخبرات التي اكتسبتها الجامعة والكلية من خلال هذه البرامج الدراسية فكما يلي:

١. إنشاء معمل خاص للدراسة التطبيقية لمادة تخريج الحديث وعلم الرجال.

٢. ربط طرق تدريس السنة النبوية بالتقنيات التربوية الحديثة، وعلوم التكنولوجيا.

٣. دراسة الأحاديث النبوية الشائعة في المجتمع الماليزي سواء على لسان الأئمة والخطباء أم على لسان العامة المسلمين في المجتمع الماليزي من أجل تنقيتها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي درج الناس عليها، من خلال إجراء البحوث والدراسات التطبيقية والميدانية على الظواهر الاجتماعية السائدة والمساجد في ماليزيا.

٤. تواصل الجامعة مع المجتمع لتقديم السنة النبوية بشكلها الصحيح وصورتها النقية وتطبيقها في المجتمع، ومحاربة الظواهر المخالفة لها، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات والدورات للأئمة والخطباء والدعاة في ماليزيا وبلدان جنوب شرق آسيا، وتثقيفهم بالسنة النبوية الصحيحة وإرشادهم إلى كيفية تفعيلها في المجتمع.

٥. أقامت الجامعة دورات شرعية للأئمة والخطباء والدعاة من دول الأقليات المسلمة مثل الصين في مجال السنة النبوية والعلوم الشرعية الأخرى لتعليمهم المنهج الصحيح في العلم والدعوة وإطلاعهم على العلوم الشرعية الصحيحة ومنهجها السليم.

٦. أنشأت الجامعة مركزا لدراسات القرآن والسنة ومن أهم أدوارها دراسة المخطوطات الخاصة بالسنة النبوية.

٧. عقد مؤتمر عالمي في السنة النبوية وعلومها بشكل تتابعي مع مؤتمر العالمي للقرآن.

٨. استقطاب الكلية مدرسين أكفاء من خيرة الأساتذة من داخل ماليزيا أو من خارجها.

٩. أصبح خريجو هذه الكلية مطلوبين في سوق العمل؛ استنادا لما يملكونه من قدرات علمية شرعية بجانب التخصص العلمي من تكنولوجيا وغيرها.

**الخاتمة:**

وهنا ألخص أهم نتائج البحث على النحو التالي:

١- إن الفكرة الأساسية في التعليم بالجامعة تقوم على الدمج والتكامل المعرفي بين العلوم النقلية والعقلية في جميع البرامج الدراسية المقدمة فيها، لذلك فهي متيمزة عن غيرها من الجامعات في جميع مجالات التعليم.

٢-تعتبر جامعة العلوم الإسلامية الماليزية (أوسيم) من الجامعات الإسلامية المتميزة في ماليزيا حيث تدرس كل المواد الشرعية فيها باللغة العربية.

٣-بيان مدى اهتمام الجامعة في مواجهة التحديات المعاصرة للسنة النبوية، بطرحها برامج دراسية متخصصة في السنة وعلومها، وكذا تكثيف مواد السنة وجعلها من متطلبات الجامعة.

٤-أنها تقدم برامج دراسية قادرة على مواكبة التطور العلمي في عصر العولمة والتكنولوجيا، بحيث يكون لدى الخريجين قدرة على العمل في مختلف ميادين العمل؛ استناداً لما يحملونه من معرفة بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة والعلوم الشرعية.

٥-كما أنها تعد رائدة في مجال طرحها مواد شرعية جديدة لفئات متميزة لا توجد في الجامعات الإسلامية الأخرى مثل مادة تطبيقات نظام بريل للمكفوفين في دراسات القرآن والسنة، وكذلك مادة المخطوطات الإسلامية، ومادة موقف المستشرقين من القرآن والسنة؛ ليكونوا مساهمين في تعليم و بناء مجتمع إسلامي حضاري.



# جهود المنظمات والهيئات في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

**د. محمد بن حسن زاهر الشهري**

الأستاذ المساعد في الحديث وعلومه بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الباحة



**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على السراج المنير الذي أنار الله به القلوب بعد ظلمتها، وأحياها بعد مواتها، وهداها بعد ضلالتها، وأسعدها بعد شقاوتها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾(١).

فهذه وريقات مختصرة سطرت فيها إسهام المقصّر، أكتبها بمداد القلوب والعيون، كيف لا والكلام عن خير من وطئت قدمه أديم الأرض والسماء.

أُسهم في الدفاع عن خير البشر، خير من مشى على الأرض، خير من طلعت عليه الشمس، كم شفى قلباً ملتاعاً، وكم هدى من أوشك على الهلاك والضياع.

لم يحب الناسُ بشراً كما أحبوا المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فالنفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، وعلى قدر الإحسان تكون المحبة ، لذا جاءت محبة المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم محبة ليس لها حدود، لأنه - صلى الله عليه وسلم - أحسن لهم جميعاً ، حيث أنار لهم الطريق إلى الله، وأخرجهم من ظلمات الكفر والغواية إلى نور الإيمان والهداية؛ لذا أحبوه أكثر من أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأمهاتهم، يفتدونه بمهجهم دفاعاً عنه وذبّاً عن جنابه الشريف.

ألا يستحق من هذا قدره، ومن أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، أنَّ نذبّ عنه وندافع عن مقامه وجنابه، فصلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار عدد ما ذكره الذاكرون وما غفل عنه الغافلون.

**علاقة البحث بالمؤتمر:**

لا يخفى على كل مسلم ما للنبي صلى الله عليه وسلم من المحبة في قلوب المسلمين بل هو واجب لا يكتمل إيمان المسلم إلا بمحبته فعن أنس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن

---

(١) الأحزاب ( ٤٥، ٤٦ ).

أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٢]، ومن موجبات محبته الذبّ والدفاع عنه، ونظراً للهجمات التي تعرضت لها شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الصحف الغربية من خلال ما نشر من رسوم تسيء له، فقد هبت الأمة أفراداً وجماعات لنصرته ومن ذلك إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية ، ومنها هذا المؤتمر المبارك.

لذا ومن منطلق الدفاع عنه صلى الله عليه وسلم فقد قامت بعض المنظمات والهيئات ببعض المشاريع التي فيها نصرة له ودفاعاً عنه صلى الله عليه وسلم، وقد رأيت أن أقدم في هذا المؤتمر المبارك بحثاً مختصراً عن (جهود هذه المنظمات والهيئات في النصرة له صلى الله عليه وسلم).

**أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١ - استنهاض الأمة وحثها على مواجهة الحملات الشرسة التي تقوم بها بعض الصحف الغربية؛ من خلال الرسوم التي تسيء إلى جناب النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - المساهمة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه والذبّ عن مقامه وجنابه، من خلال مجالات متعددة كل حسب استطاعته، ومنها مشاركتي بهذا البحث اليسير.

٣ - محاولة إبراز مكانة النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أمته وأتباعه، وأنه مقدّمٌ عندهم على النفْس والنفيس والولد والوالد.

٤ - حث الأمة على الإقتداء بسنته ومنهجه صلى الله عليه وسلم، فما تجرأ الأعداء على نبينا إلا لما رأوا بُعْد الأمة عن منهجه وطريقه صلى الله عليه وسلم.

٥ - الحرص الدائم والمستمر على إقامة العديد من الندوات والمؤتمرات التي تبرز مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند أمته وغيرها من الأمم من خلال عرض سنته وسيرته وجهاده، ووجوب المشاركة فيها.

٦ - تنويع المساهمات والمشاركات التي تسهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرض آدابه وسنته وجوانب من حياته المشرقة وسيرته العطرة؛ لتصل لكافة أصقاع الأرض.

**هدف البحث:**

يهدف البحث إلى المشاركة الفاعلة والإسهام البنّاء في الدفاع عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، واستعراض جهود المنظمات والهيئات العالمية التي أنشئت خصيصاً بعد صدور الرسوم التي فيها إساءة بالغة بجناب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بهدف الذبّ عنه والدفاع عن مقامه صلى الله عليه وسلم وما قامت به تلك المنظمات والهيئات، ومحاولة طرح بعض المقترحات العلمية والعملية التي تساعدها في الاستمرار في مشروعها المبارك نصرة لنبينا ودفاعا عنه صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه البخاري (ح١٥)

**خطة البحث:**

يشتمل البحث على قسمين:

القسم الأول: يحتوي على المقدمة، وعلاقة البحث بالمؤتمر ، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهدف البحث.

القسم الثاني: تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمنظمات والهيئات وفيها أربعة مطالب:

المطلب الأول: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء.

المطلب الثاني: الهيئة العالمية للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته.

المطلب الثالث: البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع: منظمة النصرة العالمية.

الفصل الثاني: مجالات المنظمات والهيئات في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهود المشتركة في مجالات النصرة بين المنظمات والهيئات.

المطلب الثاني: ما انفردت به بعض المنظمات والهيئات في مجالات النصرة.

المطلب الثالث : مقترحات علمية وعملية لتطوير جهود تلك المنظمات.

الخاتمة وفيها أهم النتائج ثم المراجع .

**تمهيد: التعريف بالهيئة:**

هيَّأَ يهيِّئ، تَهيئةً وتهييئًا، فهو مُهيِّئ، والمفعول مُهيَّأ.

الهَيْئَةُ والهِيئةُ: بالفتح والكسر حال الشيء وكيفِيَّتُه [٣]. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ [٤].

**والهيئات** كما عرفها د أحمد مختار عبد الحميد:

هي منظَّمة أو جماعة من النّاس تقوم بعمل خاصّ مثل: "الهيئة البرلمانية ، هيئة تحرير المجلة ، هيئة الأمم المتحدة" [٥].

**التعريف بالمنظمة:**

نظَّمَ ينظِّم، تنظيمًا، فهو مُنظِّم، والمفعول منظَّم [٦].

نظَّم الأشياءَ: نظَمها، رتَّبها، وضمّ بعضها إلى بعضٍ في صورةٍ منسَّقة.

(٣) لسان العرب ١ /١٨٨

(٤) المائدة ١١٠

(٥) معجم اللغة العربية المعاصر ٣ / ٢٣٨٠

(٦) لسان العرب ١٢ /٥٧٨

**والمنظمة** كما عرفها د أحمد مختار عبد الحميد:

هي هيئة مؤلَّفة تختصُّ بأعمال معيَّنة تستعين على إنجازها بالمختصّين وتشتمل على مبادئ أساسيَّة يلتزم بها أعضاؤها [٧].

ومن خلال هذين التعريفين يتبين لنا أن المنظمة والهيئة بمعنى واحد فهي جماعة من الناس معيَّنة لهم هدف خاص ومبادئ أساسية يلتزمون بها.

## الفصل الأول

## التعريف بالمنظمات والهيئات

### المطلب الأول: اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء [٨].

**التعريف بها:**

هي هيئة عالمية مستقلة، تختص في أساليب التعريف بخاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - ورسالته؛ كما تعمل على نصرته ، ودحض الشبهات التي تثار حوله ، والذب عن حياض رسالته.

**من أهداف اللجنة:**

١ - التعريف بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالته .

٢ - تفنيد كل ما يثار حوله - صلى الله عليه وسلم - من أخطاء ومغالطات.

٣ - إيجاد مرجعية إسلامية تستطيع مخاطبة شعوب العالم على مختلف مستوياتهم ولغاتهم باستخدام أفضل الأساليب الدعوية المتاحة.

٤ - توحيد وتنسيق الجهود بين المؤسسات الإسلامية والدعاة على مستوى العالم في هذا المجال الدعوي الهام.

**متى أنشئت اللجنة:**

أنشئت اللجنة في أعقاب الحملة الشرسة التي قام بها بعض المتعصبين في الغرب في نشر صور تسيء لجناب النبي صلى الله عليه وسلم ومقامه الشريف ، وتفنيد كل ما يثار حوله صلى الله عليه وسلم بجميع اللغات المتاحة. وقد أسست في ميرلاند الأمريكية ومقرها واشنطن ، ومشرفها العام الأستاذ سليمان بن حمد البطحي.

---

(٧) معجم اللغة العربية المعاصر ٣ / ٢٢٣٥، ٢٢٣٦

(٨) رابط الموقع في الشبكة العنكبوتية http://www.nusrah.com/ar/about-committee/

**ما قدمته اللجنة من مشاريع:**

على الرغم من قصر عمر اللجنة ؛ إلا أنها بحمد الله تم إنجاز بعض الأهداف التي ستمهد بإذن الله لإنجاز الأهداف الأخرى على المدى البعيد:

١ - إنشاء موقع على شبكة الإنترنت حتى الآن بخمس لغات ([٩]) ويحتوي على معلومات عن اللجنة ، ويستقبل من خلالها المشاركات والمقالات والمؤلفات الخاصة والردود على بعض الشبهات المثارة كما يتم من خلالها توزيع نشرة إلكترونية تُعدها اللجنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى منتدى حواري. وإنشاء حساب للجنة في شبكات التواصل الاجتماعي ( التويتر والفيس بوك )

٢ - تم عقد عدة مؤتمرات في لندن وكندا ولبنان والخروج بعدة توصيات للأفراد والجماعات الإسلامية للمساهمة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال مجالات متعددة - كل حسب استطاعته- دون التقيد بأعمال ونشاطات اللجنة ، وقد شارك في هذه المؤتمرات نخبة من العلماء والدعاة من أماكن مختلفة من العالم ، على الرغم من اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم جمعهم هدف واحد هو نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - تم إعادة تحرير ومراجعة كتاب السيرة للشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - "النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين" فيما يقارب ٥٠٠ صفحة باللغة الإنجليزية ، وستقوم اللجنة بمشيئة الله بطباعته وتوزيعه بعد الانتهاء منه على الجامعات والمراكز الأكاديمية ومراكز الاستشراق حول العالم.

٤ - إصدار نشرة شهرية باللغة الإنجليزية تُعرّف بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وترد على بعض الافتراءات بعنوان "الرسالة الخاتمة."

٥ - إصدار كتاب بعنوان "رسالة إلى البشرية" بعدة لغات تعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وتذب عنه.

٦ - أتاحت اللجنة أيضاً عبر موقعها الرسمي إنزال كتب الكترونية تهتم في هذا الجانب ([١٠]).

٧ - إصدار دليل صغير بعدة لغات بعنوان "١٠٠ وسيلة لنصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم" بحيث يستطيع كل مسلم أن يجد وسيلة ينصر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد وُزّع منه أكثر من مائتي ألف نسخة.

---

(٩) الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية والفلبينية (www.nusrah.com)، ()www.nusrah.com.

(١٠) مثل: كتاب " الشهد المصفّى من سيرة بضعة المصطفى" بحث مقدم في سيرة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - لمؤلفه همام بن محمد الجرف, وكتاب القيادة عند محمد للدكتور سعيد بن صالح الرقية , وكتاب لماذا تكرهون محمد ؟ ومحمد يحب المسيح لمؤلفه يوسف إبراهيم الساحر, وكتاب ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت لمؤله أبو خليفة علي بن محمد القضيبي
/http://www.nusrah.com/ar/ebooks

٨ - طباعة نصف مليون نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وهي ترجمة حديثة قامت اللجنة بمراجعتها وإعادة تحريرها بحيث تناسب غير المسلم الغربي ، يتم توزيعها في أمريكا الشمالية وبعض الدول الأوربية ، كما يجري حالياً ترجمته إلى اللغة الفرنسية.

٩ - قامت اللجنة في موقعها عبر نافذة ( الوسائط المتعددة ) بإنتاج أفلام قصيرة توضح فيها مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند كل المسلمين باختلاف جنسياتهم وأوطانهم، كما قامت بنقل صوتي لكل المؤتمرات التي أقامتها اللجنة. ووضعت روابط لبعض المحاضرات والمناظرات للعديد من الدعاة والمفكرين الذين يبرزون مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة [(١١)].

١٠ - أتاحت اللجنة عبر موقعها الرسمي نشر كافة المقالات التي تتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته [(١٢)]، والبيانات التي تختص بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عن جنابه في كافة أنحاء العالم [(١٣)].

١١ - أتاحت أيضاً عبر موقعها الرسمي نشر التقارير الخاصة التي تبرز آخر نتائج الملاحقات القانونية للّجنة في مجالات الملاحقات القضائية عبر فريقها القانوني، والمطالبة بقانون دولي يجرّم الإساءة إلى المقدسات الدينية، وإقامة الحملات التي تدعو إلى المقاطعات لبعض شركات الدول التي تتبنى الإساءة لمشاعر المسلمين في كل العالم بالتنقص من مقام نبيهم صلى الله عليه وسلم [(١٤)].

١٢ - جمعت اللجنة عبر نافذة في موقعها الرسمي تحت مسمى( ماذا قالوا ) بالمقالات المنصفة التي كتبها غير المسلمين في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم [(١٥)]. كما جمعت شبهات المشككين في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والرد عليها [(١٦)].

ولقد تمت معظم هذه الجهود -ولله الحمد- بالتعاون مع بعض المؤسسات واللجان العاملة في الحقل الدعوي وهو ما تحرص اللجنة دائماً على تحقيقه من خلال العمل المشترك قدر المستطاع.

(١١) مثل فلم: أحبه أكثر منك , نبي الرحمة , مريم أنا أحب عيسى عليه السلام. http://www.nusrah.com/ar/multimedia

(١٢) /http://www.nusrah.com/ar/articles

(١٣) /http://www.nusrah.com/ar/press-releases

(١٤) /http://www.nusrah.com/ar/special-reports

(١٥) مثال ما قاله: مهاتما غاندي، ود. هاينز كونج، وتوماس كارليل، , والقس لوزن وغيرهم من المنصفين.
ttp://www.nusrah.com/ar/reflections

(١٦) /http://www.nusrah.com/ar/misconceptions

**المطلب الثاني: الهيئة العالمية للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته [(١٧)].**

**التعريف بها:**

هي هيئة عالمية تهدف إلى التعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم وتقديم سيرته وأخلاقه وإنجازاته إلى الناس كافة، بصورة واضحة قائمة على الحقائق الموثقة، والأرقام المحددة والحوار الهادف. وقد تأسست عام ١٤٢٧ هـ.

**مقرها ولمن تتبع:**

الهيئة إحدى الهيئات المستقلة ذات الشخصية الاعتبارية المنبثقة من رابطة العالم الإسلامي، ومقرها المملكة العربية السعودية مدينة الرياض. وتضم جمعيتها العمومية شخصيات هامة من بينهم بعض أصحاب السمو الأمراء، وبعض أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ، والعديد من رجال الأعمال ووجهاء المجتمع ، ويتولى رئاستها معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ويتولى أمانتها العامة معالي الدكتور عادل بن علي الشدي.

**من أهداف الهيئة:**

١ - تعريف غير المسلمين بالرسول صلى الله عليه وسلم.
٢ - تصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
٣ - إبراز سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته ومآثره وخلقه وهديه ومنهاجه في حل مشكلات البشرية.
٤ - تفنيد الإدعاءات الباطلة التي تستهدف تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم.
٥ - تزويد الباحثين ووسائل الإعلام العالمية بمادة علمية ميسرة باللغات المختلفة حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته.
٦ - التنسيق بين الجهود المبذولة في هذا المجال.

**الداعمين للهيئة:**

حظيت الهيئة بدعم كبير من ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين ، ومن كبار العلماء وعلى رأسهم سماحة المفتي العام للملكة العربية السعودية ، ومن الوجهاء والمثقفين والأكاديميين ورجال الأعمال وسائر فئات المجتمع في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص ، وفي سائر دول العالم الإسلامي ، ومن ذلك إشادة قادة منظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمرهم المنعقد في داكار بالسنغال في شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٩هـ بإنشاء الهيئة ودعوتهم الدول الأعضاء لدعمها.

---

(١٧) رابط الموقع في الشبكة العنكبوتية http://mercyprophet.org/mul/ar/node/2457

**ما قدمته الهيئة من مشاريع:**

١ - تأليف الكتب والنشرات والمطويات بلغات مختلفة لمخاطبة غير المسلمين وتعريفهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته [١٨].

٢ - رصد الحملات التي تستهدف شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواجهتها بالوسائل المشروعة [١٩].

٣ - إنشاء موقع على شبكة المعلومات الدولية ( الإنترنت ) باللغات العالمية الرئيسية[٢٠] للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ، وإبطال الإدعاءات والتشويهات التي تستهدف شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم [٢١]. وإنشاء حساب للهيئة في شبكات التواصل الاجتماعي ( التويتر والفيس بوك ) وموقع على اليوتيوب.

٤ - تنظيم مسابقات للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته [٢٢].

٥ - إنتاج البرامج الإعلامية التي تساهم في تحقيق أهداف المركز ، ونشرها في وسائل الإعلام [٢٣].

٦ - استكتاب العلماء للرد على أي مغالطات وسائل الإعلام تستهدف الرسول صلى الله عليه وسلم [٢٤].

٧ - تشجيع الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تسهم في تحقيق أهداف المركز.

٨ - إيفاد الوفود واستقبالهم لمناقشة القضايا المتعلقة بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته.

٩ - تنظيم الندوات والمؤتمرات والدورات والمعارض [٢٥] في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، والمشاركة فيها للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته[٢٦].

---

(١٨) http://mercyprophet.org/mul/ar/booklist

(١٩) http://mercyprophet.org/mul/ar/taxonomy/term/132

(٢٠) قامت الهيئة بترجمة موقعها باللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والتركية والبرتغالية والألمانية والصينية والروسية والأيغورية ؛ لتصل إلى أكثر أهل الأرض.

(٢١) http://mercyprophet.org/mul/ar/

(٢٢) وقد خاطبتُ الهيئة عبر البريد الإلكتروني وأفادوني: بأن الهيئة نظمت أربع مسابقات دولية حول السيرة النبوية والتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٣) http://mercyprophet.org/mul/ar/newflash

(٢٤) http://mercyprophet.org/mul/ar/taxonomy/term/62

(٢٥) وقد خاطبتُ الهيئة عبر البريد الإلكتروني وأفادوني: بأنها أقامت سلسلة من المعارض الدائمة والمتنقلة للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم شملت عدة دول أوروبية كان منها معرضان دائمان في بريطانيا وإسبانيا ، وآخران متنقلان في الدنمارك وسويسرا.

(٢٦) أفادوني بآخر المشاريع التي قاموا بها ومنها: تنظيم عشر ندوات ومؤتمرين وعقد أكثر من أربعين دورة لتأهيل الإئمة ورؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية والدعاة على الطرق المثلى للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم , وتنظيم ومتابعة القوافل الدعوية , وقد كانت لهذه الدورات والقوافل الدعوية آثار طيبة منها على سبيل المثال إسلام ٦٠٠ شخص في (التوغو) بعد عقد دورة وتسيير قافلة دعوية ، وقد شملت الهيئة بأنشطتها ستا وعشرين بلدا أكثرها في أوربا وأمريكا الجنوبية ؛ من بينها بريطانيا وفرنسا والسويد والدنمارك، والبرازيل والبيرو وغيرها.

١٠ - عملت الهيئة خدمة رسائل الجوال النصية أطلقت عليه اسم ( خدمة جوال نبي الرحمة ) لنشر ثقافة النصرة لأكبر شرائح المجتمع المسلم [٢٧].

١١ - تقدم الهيئة تقارير سنوية عن الإنجازات التي تقوم بها خلال العالم ؛ عبر موقعها الرسمي في الشبكة [٢٨].

**المطلب الثالث: البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم [٢٩].**

**التعريف بالبرنامج:**

خاطبتُ البرنامج عبر بريده الكتروني وطلبت منهم تزويدي بمعلومات إضافية عن ما هو موجود في الموقع الرسمي، ومن خلال ردهم عليّ عرفت أن البرنامج هو الهيئة العالمية للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته الذي سبق تعريفه في المطلب الثاني، واكتفي في تعريف البرنامج بالخطاب الذي تم إرساله لي فقد ورد فيه ما يلي:

( الهيئة تم تأسيسها في عام ١٤٢٧هـ كبرنامج للتعريف بالنبي - صلى الله عليه وسلم - تابع لرابطة العالم الإسلامي، ثم في ١٤٣٠ هـ تحول إلى مركز عالمي للتعريف بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بعدما حقق حضوراً طيباً، وأقام جملة من المناشط الهامة خصوصاً في أوروبا، كان منها على سبيل المثال: عقد ندوة يوماً كاملاً في مجلس اللوردات البريطاني وكانت هذه أول مرة يتم فيها مثل ذلك، ثم مؤتمر في لندن، وغير ذلك،

ثم في شعبان ١٤٣١هـ، صادق المجلس التأسيسي للرابطة على تحويل المركز إلى هيئة عالمية للتعريف بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ونصرته، وصدر نظام أساس جديد للهيئة مُقر من المجلس التأسيسي للرابطة، وتشكلت باقي هيئات الهيئة التي ينص عليها النظام).

وبهذا الخطاب رأيت أن أكتفي بالتعريف الذي ورد في الهيئة العالمية حيث أنها منبثقة من البرنامج العالمي، إلا أن الموقع الرسمي للبرنامج قد تميز بترجمة موقعه إلى (١٩) لغة عالمية [٣٠]. بينما موقع الهيئة ترجم إلى ١٠ لغات فقط [٣١]. فجزاهم الله خيراً على هذا المجهود الرائع.

**المطلب الرابع: منظمة النصرة العالمية [٣٢].**

---

http://mercyprophet.org/mul/ar/image/tid/94

(٢٧)http://mercyprophet.org/mul/ar/node/1734

(٢٨)http://mercyprophet.org/mul/ar/taxonomy/term/148

(٢٩) رابط الموقع في الشبكة العنكبوتية http://www.islamhouse.com/ip/191023

(٣٠) قام البرنامج بترجمة موقعه باللغة التركية - الفرنسية - الصينية - البنغالية - الكردية - الإنجليزية - التايلندية - الإيغورية - المليالمية- الفيتنامية - الروسية - الإندونيسية - البوسنية - الفارسية - الطاجيكية - الأزبكية - الألمانية- الهولندية - الألبانية.

(٣١) قامت الهيئة بترجمة موقعها باللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والتركية والبرتغالية والألمانية والصينية والروسية والأيغورية ؛ لتصل إلى أكثر أهل الأرض.

(٣٢) رابط الموقع الرسمي للمنظمة http://www.islamhouse.com/pg/9207/videos/1

**التعريف بالمنظمة:**

هي منظمة أهلية عالمية مستقلة غير ربحية ، تهدف للتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وإيصال رسالته الحضارية لشعوب الأرض بمختلف الوسائل الإعلامية ، وتسعى لتنسيق وتكامل جهود المسلمين الفردية والمؤسسية العاملة في هذا المجال ، وتمد جسور التواصل والحوار الإيجابي مع غير المسلمين وفق الأسس القائمة على العدل والإنصاف.

رئيس المنظمة الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي ، وأمينها العام الدكتور سالم طعمه الشمري.

**أهداف المنظمة:**

١ - التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ومكانته العظيمة ورسالته الحضارية والرد على الشبهات.

٢ - استثمار قدرات الأمة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ - وضع وتنفيذ الخطط والآليات العملية لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤ - ترسيخ مبدأ الحوار الإيجابي القائم على العدل مع الناس كافة.

**ما قدمته المنظمة من مشاريع:**

١ - الدراسات والبحوث والترجمة: ويعني هذا المجال بحصر وترجمة وإعداد الدراسات والبحوث اللازمة لبلورة وتنفيذ برامج ومشاريع المنظمة. وذلك باستكتاب العلماء والمفكرين والدعاة بما يخدم مشاريع المنظمة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣).

٢ - البرامج والمشاريع الإعلامية: ويعني هذا المجال ببلورة وصياغة البرامج والمشاريع الإعلامية المتخصصة التي تحقق رسالة المؤسسة (٣٤).

٣ - البرامج والمشاريع الثقافية: ويعني هذا المجال ببلورة وصياغة البرامج والمشاريع الثقافية المتخصصة التي تحقق رسالة المنظمة.

٤ - العلاقات والتواصل: ويعني هذا المجال بالأنشطة والبرامج الخاصة ببناء وتقوية العلاقات مع الأفراد والمؤسسات المعنية بالمنظمة.

٥ - تنمية الموارد والاستثمار: ويعني هذا المجال بزيادة وتنمية وتنويع مصادر الموارد المالية للمنظمة وبما يحقق لها درجة عالية من الاعتماد على الذات.

٦ - الإدارة والبناء المؤسسي: ويعني هذا المجال بتطوير النظم واللوائح والإجراءات والسياسات والهيكل التنظيمي وما تتطلبه من موارد مالية وبشرية متفرغة ومتطوعة لتنفيذ برامج ومشاريع المنظمة.

---

(٣٣) http://www.nusrah.org/Pages/articles/

(٣٤) http://www.nusrah.org/Pages/projects/

## الفصل الثاني

## مجالات المنظمات والهيئات في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم

### المطلب الأول: الجهود المشتركة في مجالات النصرة بين المنظمات والهيئات.

من خلال استعراض جهود الهيئات والمنظمات عبر مواقعها الرسمية في الشبكة العنكبوتية ، وما وصلني من بعضها عند استكتابها ، ومقارنة بعضها ببعض اتضح لي أنها اشتركت جهودها في النقاط التالية:

١ - حرصت الهيئات والمنظمات على إنشاء مواقع في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ليسهل الوصول إلى الرسالة التي قامت عليها تلك الهيئات والمنظمات.

٢ - استكتاب العلماء والدعاة والمفكرين للمشاركة في واجب النصرة من خلال كتابة المقالات والنشرات التي تذبّ عن جناب النبي صلى الله عليه وسلم ومقامه الشريف.

٣ - الدعوة إلى إقامة الندوات والمؤتمرات ، وإيفاد الوفود واستقبالهم، وحضور النخبة من علماء الأمة ودعاتها ومفكريها من أماكن مختلفة من العالم يجمعهم نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه.

٤ - كتابة النشرات والبحوث ومخاطبة غير المسلمين من خلاله ؛ لتعريفهم برسول الرحمة صلى الله عليه وسلم وسيرته المباركة.

### المطلب الثاني: ما انفردت به بعض المنظمات والهيئات في مجالات النصرة.

رغم الجهود الكبيرة التي قامت بها الهيئات والمنظمات في مجالات نصرة النبي صلى الله عليه وسلم التي خصصْتُ الكتابة عنها في بحثي هذا؛ إلا أن بعضها انفردت بمجالات تتميز بها عن غيرها في مجالات نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والذبّ عن جنابه الشريف، فبعد استقرائي لجهود الهيئات والمنظمات التي قمت بدراستها - أنموذجا - رأيت أن **"اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياءصلى الله عليه وسلم "** هي الأكثر حظاً في هذا المجال عن غيرها من الهيئات والمنظمات نظراً لتتعدد مجالاتها المبتكرة في نصرة جناب النبي صلى الله عليه وسلم ، والذب عنه وعن رسالته الخالدة.

وأيضاً تميّزَ " البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم " بترجمة موقعه الرسمي لـ(١٩) لغة عالمية لتسهيل رسالتها لأكبر سكان الأرض فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الجهود العظيمة [٣٥].

### ما انفردت به اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء عن غيرها:

١ - ترجمة اللجنة بعض كتب السيرة مثل كتاب الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - "النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين" إلى اللغة الإنجليزية والقيام بطباعته وتوزيعه على الجامعات

(٣٥) قام البرنامج بترجمة موقعه باللغة التركية - الفرنسية - الصينية - البنغالية - الكردية - الإنجليزية - التايلندية - الإيغورية - المليالمية- الفيتنامية - الروسية - الإندونيسية - البوسنية - الفارسية - الطاجيكية - الأزبكية - الألمانية- الهولندية - الألبانية.

والمراكز الأكاديمية ومراكز الإستشراق حول العالم ، وإصدار كتاب بعنوان" رسالة إلى البشرية " بعدة لغات تعرّف بالنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وتذبّ عن مقامه الشريف.

٢ - أصدرت اللجنة نشرة شهرية باللغة الإنجليزية تُعرّف بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وترد على بعض الافتراءات بعنوان "الرسالة الخاتمة."

٣ - أصدرت اللجنة دليلاً صغيراً بعدة لغات بعنوان "١٠٠ وسيلة لنصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم" بحيث يستطيع كل مسلم أن يجد وسيلة ينصر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد وُزّع منه أكثر من مائتي ألف نسخة.

٤ - طبعة اللجنة نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية وهي ترجمة حديثة قامت بمراجعتها وإعادة تحريرها بحيث تناسب غير المسلم من الغرب ، يتم توزيعها في أمريكا الشمالية وبعض الدول الأوربية ، كما يجري حالياً ترجمته إلى اللغة الفرنسية.

٥ - قامت اللجنة بإنتاج أفلام قصيرة توضح فيها مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند كل المسلمين باختلاف جنسياتهم وأوطانهم، كما قامت بنقل صوتي لكل المؤتمرات التي أقامتها اللجنة. ووضعت روابط لبعض المحاضرات والمناظرات للعديد من الدعاة والمفكرين الذين يبرزون مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة [(٣٦)].

٦ - أتاحت أيضاً عبر موقعها الرسمي نشر التقارير الخاصة التي تبرز آخر نتائج الملاحقات القانونية للّجنة في مجالات الملاحقات القضائية عبر فريقها القانوني، والمطالبة بقانون دولي يجرّم الإساءة إلى المقدسات الدينية، وإقامة الحملات التي تدعو إلى المقاطعات لبعض شركات الدول التي تتبنى الإساءة لمشاعر المسلمين في كل العالم بالتنقص من مقام نبيهم صلى الله عليه وسلم [(٣٧)].

هذا ما انفردت به اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء عن بقية الهيئات والمنظمات في انتظار مزيدا من الجهد المميز لهذا المنظمة في مجالات نصرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

**المطلب الثالث : مقترحات علمية وعملية لتطوير جهود تلك المنظمات.**

رغم الجهود الكبيرة التي تقوم بها الهيئات والمنظمات العالمية في النصرة ، إلا أنه يبقى عملاً بشرياً يعتريه النقص، ومن خلال هذا المطلب استعرض هذه المقترحات العملية والعلمية التي قد تسهم بجانب يسير من الأفكار التي أرجو أن تستفيد منها الهيئات والمنظمات في النصرة ومنها:

١ - تفعيل مواقع التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدة لغات لتصل إلى شريحة كبيرة من العالم.

٢ – استمرار تنظيم إقامة المؤتمرات والندوات في نصرة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان منهجه وشمائله.

---

(٣٦) مثل فلم: أحبه أكثر منك , نبي الرحمة , مريم أنا أحب عيسى عليه السلام.

http://www.nusrah.com/ar/multimedia

(٣٧) http://www.nusrah.com/ar/special-reports/

٣ – وضع نماذج مختصرة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وسيرته العطرة في لوحات الكترونية في الأماكن والأسواق العامة والمطارات ومحطات القطارات ، بلغات مختلفة ؛ حتى تبقى سنته وسيرته صلى الله عليه وسلم في الأذهان.

٤ – فتح قنوات فضائية وبلغات مختلفه تعرض سنن النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وسيرته، وتدفع الشبهات التي يتطرقها المستشرقون والحاقدون على الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، والاقتراح على مدراء القنوات الفضائية ورؤساء تحرير الصحف تخصيص أوقات وزوايا في وسائلهم للتعريف بسنن النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه.

٥ – السعي في التنسيق مع وزارات التربية والتعليم ووزارات التعليم العالي في جميع الدول الإسلامية في وضع السيرة النبوية مقرراً دراسياً، وفي جميع المراحل بأسلوب يناسب كافة المراحل العمرية.

٦ – إقامة حملات مستمرة ومتنوعة من محاضرات ومسابقات وبرامج تبرز سنن النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته، ويستخدم فيها الأساليب العصرية في العرض والطرح.

٧ – تواصل الهيئات والمنظمات وتعاونها مع هيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي لإبراز الإعجاز النبوي في مجالاته المختلفة العلمية، والطبية، والإجتماعية والتشريعية.. وغيرها.

٨ – إنشاء مركز تتعاون فيه كافة الهيئات والمنظمات لدراسة سنن النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وسيرته ومعجزاته من خلال الكتب الموثوقة المصنفة في هذا العلم لتتظافر الجهود وتتوحد الطاقات في مواجهة الحملات الشرسة على نبينا صلى الله عليه وسلم.

٩ – إنشاء مكتبة الكترونية عبر المواقع الرسمية للهيئات والمنظمات تحتوي على الكتب المقروءة والمحاضرات المسموعة التي تعرض سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه وشمائله وسيرته العطرة، والحرص على الكتب التي تناسب جميع أفراد الأسرة وبلغات عالمية.

١٠ – العمل على ترتيب معرض كتاب دولي مستمر تتعاون فيها الهيئات والمنظمات عن كتب السنة والسيرة والآداب والشمائل النبوية لمختلف الأعمار واللغات ، مع ترتيب أنشطة متنوعة أخرى على هامشه ، وأن يكون متنقلاً بين بلدان العالم.

١١ – إنشاء مجلة علمية تقوم بتحكيم البحوث التي تتناول سنن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله.

١٢ – التنسيق مع وزارات التعليم العالي في جميع الدول الإسلامية ؛ لتقوم بإنشاء كراسي لدراسات السنة النبوية في الجامعات الغربية المشهورة ليتسنى للغرب معرفة سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وسيرته.

١٣ – إقامة مجمع لترجمة وطباعة كتب السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – وتبني طباعة الرسائل الجامعية في هذا التخصص.

١٤ – الحرص على إصدار مجلة شهرية تحتوي على سنن النبي صلى الله عليه وسلم وهديه القولي والعملي وسيرته المباركة.

١٥ – دعم مشروع رسائل الجوال المؤثرة، وتُنتقى بعناية لحث الناس على الإقتداء به صلى الله عليه وسلم.

١٦ – إقامة وقف عالمي أو على مستويات محلية ليكون داعماً للبرامج والأنشطة التي تتعلق بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، لضمان استمرارها.

١٧ – التعاون لإنشاء مركزاً علمياً يقوم بتحقيق المخطوطات المتعلقة بالسنة النبوية والسيرة ويمكن الإستفادة من كتاب "مخطوطات السيرة" الذي أصدرته مؤسسة آل البيت.

١٨ – إنشاء مواقع عبر الشبكة خاصة بعرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم باللغات العالمية.

**الخاتمة:**

بعد استعراض جهود الهيئات والمنظمات العالمية في مجال نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والتعريف بها، وما اشتركت فيه الهيئات والمنظمات من أعمال، وما انفردت به، ينبغي على الأمة الإسلامية أن تعود إلى الله في أقوالها وأعمالها ومواقفها أفراداً وجماعات حكاماً ودولاً ، فمن خلال العودة إلى الله يُستنزل النصر قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٣٨] وما تكالبت علينا الأمم الأخرى إلا لبعدنا عن كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم قال -صلى الله عليه وسلم-: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)[٣٩].



(٣٨) سورة محمد آية ٧

(٣٩) أخرجه مالك في الموطأ رقم (١٥٩٤).

# قسم الحسبة التابع للمجلس الإسلامي بولاية نجري سمبيلن: تحديات وحلول من السنة النبوية

**محمد عارف بن موسى**

**وليد محمد سعيد**

**د. كبيرو غوجي**

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

**نور سعادة موسى**

جامعة ملايا



**ملخص البحث:**

فرض الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأمة الإسلامية وجعله شرطاً للخيرية فقال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..الآية} [آل عمران: ١١٠]، كما وجهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى قواعد لتطبيق هذا الأمر، فقال صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [رواه مسلم، رقم: ١٧٥]، فكان من الأهمية بمكان اتباع المنهج النبوي في القيام بهذه الفريضة للوصول إلى ما تصبو إليه الشريعة الغراء من المصالح ودفع ما قد يعتري الأمة من المفاسد. وقد ثارت بعض القضايا في الآونة الأخيرة ولا تزال ثائرة في الوسط الإجتماعي بين مؤيد ومعارض فيما يتعلق بالأسلوب الذي تتبعه أقسام الحسبة بماليزيا في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن الناس من يرى أن قسم الحسبة لا يقوم بدوره كما ينبغي، ويوجه الإتهام إلى هذه الطائفة بأنها لا تقوم بدورها حسب الضوابط الشرعية، بينما يبرر من ينتمي إلى هذا القسم ذلك التقصير بالعوامل الأخرى الخارجة عن نطاق صلاحيتهم. فيهدف هذا البحث إلى معرفة تلك العوامل التي تتمثل في العقبات والتحديات التي يواجهها قسم الحسبة ومن ثم البحث عن الحلول المناسبة من المنهج النبوي بما يتلائم مع الواقع الدعوي في ماليزيا لتطوير جهود قسم الحسبة وبالتالي تطبيق المنهج النبوي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

## مقدمة:

تعد الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الشرائع التي اختص بها الله عز وجل هذه الأمة المحمدية، ووصفها بالفلاح فقال في محكم تنزيله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومن كبير مَنّ الله عز وجل علينا

أن هيأ لنا في هذه البلاد من يقوم بهذا الدور العظيم بشكل رسمي وقانوني. وهي أقسام الحسبة المنتشرة في أنحاء البلاد، تسعى لقمع المنكرات أو الحد منها على أقل تقدير.

ولا يخلو جهد وعمل من نواقص –والكمال لله وحده– فقد وجه الإتهام إلى هذه الطائفة بأنها لا تقوم بدورها على الوجه الصحيح الذي ينبغي أن تكون عليه من الناحية الشرعية، فكان من الإنصاف أن نعرف ما هي التحديات والعقبات التي يواجهها المحتسب وخصوصاً في قسم الحسبة التابع للمجلس الإسلامي بولاية نجري سمبيلن قبل أن نحكم على تلك الجهود التي يقومون بها، فمن هذا المنطلق سيقوم الباحث بسرد التحديات والعوائق التي يمر بها قسم الحسبة ومن ثم محاولة طرح بعض الأفكار من السنة النبوية كحلول لهذه العوائق.

### ١- التعريف بقسم الحسبة التابع للمجلس الإسلامي بولاية نجري سمبيلن

الحسبة في مفهومها العام تشمل كل أمر بمعروف ونهي عن منكر، فالمحتسب في حكم الولاية الإسلامية يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر بدا له، سواء كان المنكر في باب الآداب والأخلاق، أو في باب المعاملات التجارية، أو في باب السياسة، أو في غيرها من الأمور التي تخص المجتمع المسلم. لكن بما أن نطاق الحسبة واسع لا سيما في الوقت الراهن الذي تعددت فيه المجالات وكثرت فيه الاتجاهات، فتعسر إيجاد جهة معينة تقوم بكل جوانب الحسبة، مما أدى إلى تقسيم تلك الأدوار إلى جهات مختصة، كل جهة تقوم فقط بالدور الذي يتعلق بها. فعلى سبيل المثال، فالشرطة تقوم بمحاربة الجنايات، والقبض على المخالفين، والتحقيق معهم، بينما تقوم المحاكم بإصدار الحكم عليهم، وقسم الحسبة يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحد من المخالفات الشرعية فيما يتعلق بالمسلمين، وكذلك القطاعات الأخرى المتعلقة بالحسبة.

#### أ- تاريخ تأسيس قسم الحسبة في ولاية نجري سمبيلن[١]

يعتبر المجلس الإسلامي بولاية نجري سمبيلن (MAINS) والذي يترأسه سلطان الولاية، المنظمة الإسلامية الكبرى التي تقوم بالمحافظة على شعار الإسلام، وإدارة شؤون المسلمين في الولاية، والتي يتفرع منها عدة أقسام هي قسم الشؤون الإسلامية، والمحكمة الشرعية، وقسم الإفتاء، وبيت المال، وبعض المؤسسات والشركات كالمستشفى التخصصي، وعيادة النور الطبية، والمركز الاستشاري، ومركز إدارة أموال الزكاة. ثم يتفرع من قسم الشؤون الإسلامية مراكز وأقسام أخرى هي قسم الحسبة (BPAINS) الذي هو مجال بحثنا، وقسم الخدمات الإدارية، وقسم الدعوة، وقسم التربية، وقسم المقاضاة، وقسم البحوث، وقسم إدارة الأحكام الشرعية، وسبع مكاتب في مناطق متفرقة من الولاية كفروع لقسم الشؤون الإسلامية بالولاية. فقسم الحسبة تابع لقسم الشؤون الإسلامية، وقسم الشؤون الإسلامية تابع للمجلس الإسلامي بالولاية.

---

١ لقاء أجري مع أحمد حسيني بن مصطفى، رئيس قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن بتاريخ: ١٤ أبريل عام ٢٠١٠م.

أسس هذا القسم في أوائل عام ١٩٨٦م بوعي من الحكومة، وأيضاً تحت ضغوط من المجتمع الإسلامي الذي كان يسعى إلى إيجاد بيئة إسلامية نظيفة من شوائب المنكرات، فأسس قسم وسمي في بادئ الأمر بقسم المقاضاة (Bahagian Pendakwa)، ووضع تحت قسم كبير القضاة (Kadi Besar). وفي عام ١٩٩٦م غير اسمه إلى قسم المقاضاة والوقاية (Bahagian Pendakwa dan Pencegahan)، ولم يلبث هذا القسم إلا أن انفصل إلى قسمين متفرقين في عام ٢٠٠٢م هما قسم المقاضاة وقسم الحسبة. يقوم قسم الحسبة بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتحقق من المخالفات والمنكرات التي تدخل تحت أحكام الجنايات الشرعية، أو المدونة في دستور القوانين الوضعية للولاية. وله الأحقية لتعيين من يساعدهم في القيام بهذا الدور.

بالرغم من عزل هذان القسمان عن بعض من الناحية الإدارية، إلا أنه لا يمكن الفصل بينهما من الناحية العملية التطبيقية، إذ أن كلاً منهما بحاجة إلى الآخر، فقسم الحسبة يقوم بمحاربة المنكرات ومحاولة الحد منها، والقبض على مرتكبيها، بينما يقوم قسم المقاضاة برفع القضايا للمحكمة تجاه المخالفين كما هو مكتوب في قانون الجنايات الشرعية لولاية نجري سمبيلن ١٩٩٢م.

### ب- أهداف تأسيس القسم[٢]

هناك بعض الأمور التي كان يرجى تحقيقها والوصول إليها من خلال تأسيس هذا القسم وهي كالآتي:

أولاً: رفع شعار الإسلام، وتمكين الأحكام الشرعية وتطبيقها، إلى جانب المحافظة على أمن وسلامة المجتمع المسلم، وتطبيق العدالة في الولاية.

ثانياً: النهي عن المنكرات الموجودة في الولاية.

ثالثاً: المنع من دخول الغزو الفكري مثل الصهيونية، والشيوعية وتسربها إلى المجتمع المسلم في الولاية.

رابعاً: الدفاع عن العقيدة الصحيحة والشريعة الغراء، ورد العقائد الفاسدة.

خامساً: اتخاذ الإجراءات اللازمة تجاه مرتكبي المنكرات والمخالفات الشرعية بناء على قانون الجناية الشرعية لنجري سمبيلن ١٩٩٢م.

سادساً: بث الوعي في المجتمع المسلم بولاية نجري سمبيلن فيما يتعلق بالمنكرات، والمعاصي، والجنايات الشرعية.

## ج- الهيكل التنظيمي للقسم[٣]

يتكون هذا القسم من مجموعة من الموظفين يترأسهم رئيس المحتسبين برتبة (S48)، ويقوم بشكل مباشر في تولي إدارة شؤون القسم، بما فيها تقسيم الأدوار والعمليات، ويقوم بمساعدة الرئيس موظف

٢ مطوية بعنوان: Unit Pendakwaan dan Pencegahan, Panduan Kerja bagi Unit Pendakwaan dan Pencegahan، ص١.

٣ لقاء أجري مع السيد أحمد حسيني بن مصطفى، رئيس قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن بتاريخ: ١٤ أبريل ٢٠١٠.

برتبة (S44)، واثنان برتبة (S41)، ويتم تعيين هؤلاء عن طريق المجلس الإسلامي (MAINS) باستشارة رئيس قسم الشؤون الإسلامية بالولاية.

في بادئ الأمر، تم تعيين سبعة من المحتسبين – بالإضافة إلى ما سبق ذكره - في كل محافظة، لكن قُلِّل من هذا العدد إلى أن بقي محتسب واحد فقط يقوم بتلقي الشكاوى من عوام الناس وجمع المعلومات بخصوص المنكرات المرتكبة في المنطقة ومن ثم تبليغها للمركز الرئيسي بمنطقة سرمبان.

**٢- أدوار المحتسبين[٤]**

يقوم المحتسبون في هذا القسم بدورهم استناداً إلى القوانين الثابتة من قبل القسم، والتي تبين أدوارهم، وهي كما يلي:

أولاً: القيام بجولات، واتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع حصول المنكرات أو التقليل منها في مناطق ولاية نجري سمبيلن.

ثانياً: التحقق والتثبت، ومحاولة الحصول على المعلومات الأولية، عن المنكرات الحاصلة، والنشاطات المحرمة، المذكورة في قانون الجنايات الشرعية لنجري سمبيلن ١٩٩٢م.

ثالثاً: الإشراف على التحقيقات الأولية مع مرتكب المنكر أو الجناية الشرعية.

رابعاً: القيام بعمليات الهجوم و القبض على مرتكبي المنكرات.

خامساً: الحصول على معلومات المخبرين، والمرتكبين للمنكرات الشرعية.

سادساً: المساهمة بالحضور إلى المحكمة الشرعية والشهادة في المحاكمات.

إلى جانب تلك الأدوار، فإن المحتسب مسئول أيضاً عن كل البيانات المتعلقة بالعمليات والتحقيقات، والمعلومات السابقة المتعلقة بنشاطات المحتسبين. هذا القسم أيضاً يقوم في بعض عملياته بالتعاون مع الشرطة، وهيئة مكافحة المخدرات الوطنية، وقسم الجوازات، والأفراد من المتطوعين، وغيرهم في مكافحة الجنايات المختلفة. كما أن المحتسبين في هذا القسم ملزمين بحضور بعض الدورات التي ينظمها قسم الشؤون الإسلامية الماليزية (JAKIM)، في فترات معينة لاستيفاء الشروط التي تؤهلهم لدور الاحتساب٥.

**٣- العوائق التحديات التي يواجهها قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن**

لا يكاد يخلو عمل وجهد شريف من تحديات وعوائق تقف في وجه من يقوم به، فهذه سنة الله تعالى في من سلك طريق الإيمان، وانتهج بنهج نبيه صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [ العنكبوت: ٢-٣ ].

---

٤ مطوية بعنوان: Unit Pendakwaan dan Pencegahan, Panduan Kerja bagi Unit Pendakwaan dan Pencegahan، ص١.

٥ لقاء أجري مع السيد أحمد حسيني بن مصطفى، رئيس قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن بتاريخ: ١٤ أبريل عام ٢٠١٠.

يمكن تقسيم العوائق التي يواجهها المحتسبين في القسم إلى نوعين: العوائق الداخلية والعوائق الخارجية، وسيأتي تفصيلهما في الآتيين:

## أ- العوائق والتحديات الداخلية[٦]

وهي العوائق والتحديات التي يكون منشئها من القسم ذاته سواء كان من أعضاء القسم أنفسهم أو الجهة العليا التي ينتمي إليها هذا القسم، وسواء كانت التحديات من الناحية الإدارية أو المادية، وهي كالآتي:

أولاً: قلة الموظفين والمحتسبين المعينين من قبل الحكومة

هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي يواجهها القسم في القيام بعمليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك لأن مثل هذا العمل يحتاج إلى عدد كبير من المحتسبين نظراً لكثرة البلاغات وانتشار المعاصي في الأماكن المختلفة، إلى جانب الدور الإداري الذي يقوم به المحتسب في حفظ وتسجيل المعلومات. بينما تتكون المجموعة المسئولة عن القيام بالعمليات من عدد يسير لا يتجاوز غالباً عشرة أشخاص في الفترة الواحدة. ويقوم القسم أيضاً بنظام التناوب، إذ يقوم بتلقي الشكاوى والمعلومات إلى جانب القيام بالأعمال الإدارية في الفترة الصباحية مجموعة قليلة من الموظفين، ثم يأتي بدلاً منهم مجموعة أخرى تقوم بنفس الدور في الفترة المسائية ما عدا الأعمال الإدارية، فإنها تنتهي بانتهاء الدوام الرسمي في ماليزيا وهي الساعة الخامسة مساء. كل هذا الدور يقوم به عدد يسير من المحتسبين، يستمر غالباً حتى الساعة الخامسة وأحياناً إلى الساعة العاشرة صباحاً، والذي يؤدي إلى انتهاك قدرات المحتسبين واستنفاذ طاقاتهم، وهذا يؤثر نفسياً بشكل سلبي على أداء المحتسب في قيامه بواجباته وقد يتعدى أثره على المخالفين.

ويفتح القسم أيضا المجال لمن يريد المساهمة من المتطوعين للمشاركة، إلا أن مساهمة المتطوعين محدودة ومتعلقة بوقت الفراغ الذي يملكه المتطوع.

متى أدرك المسلمون أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الله عز وجل علق خيرية هذه الأمة بتطبيق هذه الشريعة، لاستطعنا أن نتجاوز هذه المشكلة، والنبي ﷺ قال: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[٧]، وإن كانت الفرضية على وجه الكفاية فإن تكثيف الجهود وإشراك المجتمع المحيط في قمع المنكرات سيخفف العبء الذي يتحمله المحتسب على وجه الولاية الرسمية. ولنا في رسول الله وصحابته الكرام أسوة حسنة، فقد كان النبي ﷺ أشد الناس غضباً عند ارتكاب محارم الله حتى يحمر وجهه ويبدو عرقه، وكان الصحابة كذلك

---

٦ المصدر السابق.

٧ رواه مسلم في صحيحه، ج١، ص٢١١. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، ط٩، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

فكان عندهم مجلس التحكيم الذي يقوم بدوره بشكل شامل في محاربة المنكرات وإقامة العقوبات على المخالفين.

ثانياً: قلة الدعم المادي من الجهات المسئولة

تعتبر هذه المشكلة من العوائق الكبيرة أيضاً، حيث تقف في وجه أعضاء القسم وتعيق من القيام بدور الحسبة بشكل فعال ومؤثر في الولاية. فالأموال التي تصرف من قبل المجلس الإسلامي وحكومة الولاية للقسم قليلة جداً، بل إن التسهيلات الأساسية أيضاً لا تكفي لتغطية متطلبات العمليات، بما في ذلك من المواصلات المناسبة كالسيارات وغيرها. حيث لا يملك القسم إلا سيارتين رسميتين من نوع (فان)، لا تكفي إلا لأربع عشرة شخصاً في وقت واحد، بينما عدد الأعضاء في القسم أكثر من الثلاثين مما يصعِّب من مهمة المحتسبين في العمليات الخاصة التي يشارك فيها معظم أعضاء القسم.

لحل هذه المشكلة، يقوم بعض الأعضاء من خلال جهود فردية بالتطوع بسياراتهم الخاصة لاستعمالها في هذه العمليات. وإن كان القسم يغطي تكاليف المسير من دفع قيمة الوقود ورسوم الطريق، إلا أن الخسائر المادية التي قد تسببها الاشتباكات بين المحتسبين والمخالفين، أو ما يحصل في الطريق من أضرار فإن القسم لا يتحملها بل تكون على عاتق المحتسب فحسب.

ثالثاً: عدم توفر الأهلية لبعض المحتسبين

هذه المشكلة ناتجة بشكل عام عن المشكلة السابقة وهي قلة الدعم المادي للقسم. وذلك لأن الرواتب التي تصرف على المحتسبين قليلة إذا ما قورنت بالجهد الذي يبذله المحتسب، ناهيك عن دوره المهم في الإسلام للقضاء على المنكرات أو على أقل تقدير التقليل منها. فأدنى المؤهلات التي يلزمها القسم لقبول المحتسب هي حصوله على شهادة الثانوية العامة (SPM)، فهذا الشرط اليسير إلى جانب قلة الرواتب وكثرة الأعمال أدى إلى عدم رغبة الكثير ممن يمتلكون المؤهلات العالية كالبكالوريوس إلى الإقبال على هذا العمل الشريف. بل إن الكثير منهم إذا حصل على وظيفة أخرى يترك هذه الوظيفة إلى غيرها. طبعاً، ليست المؤهلات الأكاديمية والشهادات الدراسية هي المعيار الحقيقي والوحيد لتقويم دور المحتسب وإمكانياته، إذ أن المعيار الحقيقي لتحديد المستحق لهذا الدور هو التقوى، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [ الحجرات: ١٣ ]، لكن على أقل تقدير يمكن من خلال المؤهلات معرفة مدى استيعاب المحتسب لأصول الدين وقواعده العامة بالإضافة إلى ضوابط الحسبة في الشريعة الإسلامية ومقدماتها، مثل حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشروط المحتسب، وشروط المحتسب فيه، وشروط المنكر الذي يراد تغييره، وحكم التجسس، وآداب التعامل مع المخالفين، وما إلى ذلك من الضوابط والقواعد والتي تنعكس على أداء المحتسب لهذا العمل الشريف. كل هذه الضوابط إن لم تكن متوفرة في المحتسب فستؤدي إلى ارتكاب مخالفات شرعية أخرى أثناء القيام بهذه الأمانة. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري من ذلك لما طلب منه أن يستعمله فضرب بيده على منكبه ثم قال: « يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي

وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[٨]. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يول أبا ذر لضعفه عن أداء هذه الأمانة وعدم توفر الأهلية لديه. ولا يأذنها إلا لمن أخذها بحقها، وأداها على الوجه الذي ينبغي أن تكون عليه.

ومن المصادفات التي حصلت أثناء مشاركة الباحث في إحدى العمليات الليلية، عُثِرَ على مجموعة من الشباب المخنثين، كانوا متشبهين بهيئة النساء في لباسهم وتصرفاتهم، وهو منكر نهى الشارع عنه، فأراد أحد المحتسبين القبض عليهم لردعهم وعقوبتهم، فأثناء مطاردته لأحد هؤلاء الشباب، قام أحدهم بتجاوز الشارع العام غير مكترث بمرور سيارة مسرعة كادت تهلك هذا الشاب لولا عناية الله تعالى به.

فمثل هذا الموقف يبين مدى قلة فهم المحتسب لهذه الأمانة العظيمة، إذ الموقف يحتاج فيه لفقه إنكار المنكر، وتقدير الأهم فالمهم، والأخذ بأخف الضررين، إذ لا يجب إنكار المنكر إن أدى إلى منكر أعظم منه، فكون المسلم يتسبب في موت مسلم أو إهدار دمه أعظم من منكر تشبه الرجال بالنساء. وكذلك ينبغي أن يكون المحتسب على قدر كبير من الصبر والرفق بالمخالفين، وأن يتق الله في هذه الأمانة التي سيسأل عنها يوم القيامة.

**ب- العوائق والتحديات الخارجية**

وهي العوائق والتحديات الناتجة عن العوامل الخارجية مثل خطورة الدور الذي يقوم به المحتسب، وقلة الوعي والوازع الديني لدى بعض الناس، ومدى فهم واستيعاب المجتمع لدور المحتسب، واختلاف الديانات والأعراق في ماليزيا، وتفصيلاتها كالآتي:

أولاً: خطورة الدور الذي يقوم به المحتسب والذي قد يهدد حياته أو أسرته بالخطر.

العمليات التي يقوم بها المحتسبين غالباً ما يكون لها انطباع خاص من الطرف الآخر، إما أن يكون انطباع إيجابي أو سلبي. أما الانطباع الإيجابي فهو أن يستسلم المخالف لأعضاء القسم، ويعترف بخطئه، ويتعاون معهم في تقديم المعلومات، والذهاب معهم إلى المركز لاتخاذ الإجراءات اللازمة، ويتعهد بالتوبة و إصلاح نفسه، وهذا غالباً ما يكون في قضايا الخلوة المحرمة والزنا التي لا يكون عدد المخالفين فيها كبيراً. أما الانطباع السلبي فهو أن يلقى المحتسب ردة فعل سلبية من قبل المخالفين، إما بمحاولة الهروب، أو عدم التعاون مع المحتسب في تقديم المعلومات اللازمة، و قد تصل أحياناً لدرجة المقاومة بالسلاح، أو إرسال رسائل التهديد والتخويف، وهذا بلا شك قد يهدد حياة المحتسب بالخطر. وهذا غالباً ما يحصل في العمليات الخاصة في مراكز الدعارة، والنوادي الليلية، ومحلات المقامرة التي يكون لها علاقة بعصابات معينة تترصد تحركات المحتسب، وتتوعده بالشر إن لم يبتعد عن طريقهم.

---

٨ رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم ٤٦٩٦، انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار المعرفة، ط٩، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١٢، ص٤١٤.

ومما يُذكر من القصص التي وقعت لبعض المحتسبين بالقسم[٩]، أنه بعد أن تم القبض على أحد المخالفين، وأفرج عنه بكفالة، جاء أخوه إلى القسم وهو يبحث عن المحتسب الذي تولى القبض على أخيه، وأشار له بحدوث مالا يحمد عقباه إن استمر هذا المحتسب في مضايقة من ينتسب إلى عصابته.

وعُثِرَ كذلك عند أحد المخالفين الذين كانت له سابقة في هذا القسم على هاتف محمول فيه صورة عدد من المحتسبين في هذا القسم، عُلِمَ فيما بعد بأن هذا الشخص كان ينوي الانتقام من هؤلاء المحتسبين. فمثل هذه التهديدات لا توجه إلى المحتسب فحسب، بل أحيانا تتجاوز إلى أفراد الأسرة من الوالدين والزوجة والأبناء. وهذا مما لا يحتمله الكثير من الناس.

ثانياً: قلة الوعي والوازع الديني لدى بعض الناس

قلة الوعي والوازع الديني عند بعض أفراد المجتمع تجاه دور المحتسب يعيق من مهمة القسم، إذ تكثر البلاغات الكاذبة والتي يكون منشؤها غالباً العلاقات الشخصية، ومحاولة الانتقام من الغير عن طريق الإساءة في السمعة الحسنة، والطعن في العرض والكرامة، والحقد من قبل من ضَعُفَت نفوسهم وقل الوعي الديني لديهم، فيتلقى القسم بلاغات وشكاوى إما أن تكون لغرض خبيث، أو أن المُبَلِّغ لم يتخذ فيها الإجراءات اللازمة من التثبت والتحري من صحة الخبر - كما نوهنا سابقاً - والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [ الحجرات: ٦ ]، وغالباً ما تكون أيضاً في قضايا الزنا والخلوة المحرمة، لأن غيرها من القضايا، يقوم القسم بتكليف من يقوم بالتحري والتثبت من وقوع المنكر كما هو حاصل في قضايا شرب الخمر والمقامرات وتجمعات العقائد المنحرفة.

أما المحتسب فهو ملزم باتخاذ الخطوات اللازمة تجاه كل البلاغات إذا وُجِدَت المعلومات المتعلقة بالقضية، كما هو مذكور في ضوابط القسم. ومن هذا القبيل ما حصل في ليلة من الليالي، حيث قامت إمرأة بتقديم بلاغ بأن زوجها مختل بإمرأة في بيت من البيوت، وهي مؤكدة بأنهما غير متزوجان، فبعد أن قام المحتسب بالحصول على المعلومات المتعلقة بتفاصيل القضية، انطلقت المجموعة المرابطة في تلك الليلة إلى عنوان المنزل المذكور، وبعد طرق الباب ومحاولات لإيقاظ صاحب المنزل، تسور أحد المحتسبين عن طريق بيت الجيران، ونجح في الوصول إلى بوابة المنزل، وبعد طرق الباب عدة مرات استيقظ صاحب البيت وأبدى تعاونه مع الأعضاء وقدم المستندات المتعلقة، وتبين للأعضاء بعد الاستفسار والتثبت بأن الرجل قد تزوج بها شرعيا!

فهذا مثال واحد لقضايا تكررت كثيراً، كان الدافع فيها الحقد والكراهية، أو النية الصادقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع عدم العلم بالضوابط الشرعية لذلك.

فكان من اللازم أن تقام ندوات ومؤتمرات ومحاضرات عامة يوضح من خلالها قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الواقع الماليزي، وتعريف المجتمع بشكل أكبر بدور قسم الحسبة

---

٩ مقابلة أجريت مع سنوسي بن شمس الدين، أحد المحتسبين بقسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن في ٣٠ أغسطس ٢٠١٢

والضوابط التي يسيرون عليها مع التركيز على جانب الترهيب من المجازفة في أعراض الناس، وأن الأصل أن المسلم يستر أخاه المسلم كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: « من ستر أخاه المسلم في الدنيا، ستره الله يوم القيامة »[١٠].

ثالثاً: المجتمعات متعددة الأعراق والديانات المختلفة

اختلاف الديانات والأعراق الذي يعيشه المجتمع الماليزي يعد من التحديات التي يواجهها قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن، وذلك لأن القوانين تنص بأن سلطة قسم الحسبة تنفذ على المسلمين ولا تتعدى إلى غيرهم، مما أدى إلى عدم خضوع غير المسلمين لتلك القوانين وعدم التزامهم بها، فبمجرد أن يثبت المخالف أنه غير مسلم يفرج عنه ولا يعاقب، بينما المسلم تطبق عليه العقوبات كما هو منصوص عليه في قانون الولاية.

ليست القضية هي عدم المساواة في تطبيق العقوبات على غير المسلمين بارتكابهم المخالفات الشرعية عند المسلمين، ولكن المشكلة أن المفاسد تعم الجميع، المسلم وغير المسلم، فغير المسلم قد يعمل ويتصرف بما يحلو له من التصرفات اللا أخلاقية ويلبس ما يشاء من الملابس الخليعة، ولا يتعرض له قسم الحسبة بشئ لأنه ليس ملزم بالانقياد للضوابط الإسلامية، وهو يعرض صورة سلبية للمجتمع المسلم وخصوصاً الشباب والأطفال مما قد يؤدي إلى الانحلال الخلقي.

فيرى الباحث أن العائق هنا بسبب ربط تلك المخالفات بالشريعة الإسلامية بشكل مباشر دون محاولة ربطها بالعواقب والمآلآت التي تضر بالسلوكيات والأخلاقيات العامة التي يرفضها المسلم وغير المسلم من باب المصالح والمفاسد. وهذا لا يتنافى مع الشريعة الغراء، فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث لذلك فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وفي رواية: «صالح الأخلاق»[١١]. ولا يشك مسلم بأن كل ما جاء به الإسلام من شرائع فيها من مصالح للبشرية وإن خفت حكمتها ولم تظهر.

ففي ظل تعدد الديانات والأعراق التي تختلف بسببها العادات والتقاليد، فكان من الأنسب سلوك الطريق الوسط، والبحث عن نقاط الالتقاء، بتغيير المسميات مع إبقاء المفاهيم والأسس ثابتة حفاظاً للمصلحة العامة. وعلى سبيل المثال، نجد في الدول الأوروبية مع أنهم يجيزون شرب الخمر، لكنهم يقرون بمفاسده وأضراره الجسيمة، وإلا لم يعاقبوا من يقود السيارة تحت تأثير الخمر. فمتى ما استطعنا أن نثبت أضرار تلك المنكرات ومن ثم نقنن العقوبات التي تشمل الجميع بناء على تلك الأضرار، استطعنا أن نطبق الشريعة الإسلامية بشكل غير مباشر.

رابعاً: اقتصار تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي على المنكر على طبقة معينة من المجتمع

---

١٠ رواه أحمد، ج٤، ص٦٢ و ج٥، ص٣٧٥، وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ج٥، ص٤٤٨.

١١ رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: ٢٧٣، و ابن سعد في الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٢، و الحاكم في المستدرك، ٢ج، ص٦١٣، و أحمد، ج٢، ص٣١٨، وقال الحاكم : "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي

وقد صححه الألباني وقال: "وهذا إسناد حسن". انظر: ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، ج١، ص٤٥.

من العوائق التي تقف في وجه المحتسب عند قيامه بهذا الدور، هي أن الصلاحية لمحاربة المنكرات قاصرة على طبقة معينة من المجتمع دون غيرهم، فلا تطبق العقوبات ولا تنفذ ضدهم بينما تنفذ بسبب مخالفات أقل من ذلك على غيرهم من العوام. فهذه المعاملة الخاصة تعطي صورة سلبية لمن لا يدرك حقيقة الأمر بأن قسم الحسبة ليس له سلطان ولا يلام المحتسبين على ذلك، فهم يسيرون وفق ضوابط وأوامر لا يستطيعون تجاوزها أو الخروج عنها، والمصلحة تقتضي السكوت وإلا لأعدم القسم من الوجود!

بينما نرى النبي صلى الله عليه وسلم قد وضع قاعدة للعدل لم نر لها مثيلاً في تاريخ البشرية، كما روت عائشة رضي الله عنها أن قريشاً قد أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله » ثم قام فاختطب فقال: « إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[١٢].

ومن جانب آخر نجد أن الجهات المختصة لازالت تصدر التصاريح لبيع الخمور، وفتح النوادي الليلية التي يعرف أنها تكون مركزاً لارتكاب المعاصي والمنكرات، فما الفائدة من إيجاد قسم للحسبة إذا كانت الأمور مصرح بها.

## الخاتمة ونتائج البحث

من خلال ما تقدم من العرض السريع للتحديات والعوائق التي يواجهها قسم الحسبة بولاية نجري سمبيلن نخلص إلى أن هذا القسم يلعب دوراً مهماً في الحفاظ على بيئة سليمة من شوائب المنكرات و يشكل عاملاً مهماً للحد من انتشار العادات والتقاليد السيئة في المجتمع الماليزي المسلم، وينبغي إبقاء هذا القسم لكي يقوم بدوره.



١٢ رواه البخاري في كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع، رقم: ٦٤٠٥، ومسلم في كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، رقم: ١٦٨٨. انظر: مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، ج٥ص١١٤.

# أهل السنة والتحدي الرافضي

**أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري**
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة القصيم



**المقدمة:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وبعد:

لا يخفى على المتابع للأحداث والمتأمل في وقائع التاريخ والناظر في مراجع طائفة الرافضة ومصادرهم أهمية هذا الموضوع، وأن من أخطر التحديات التي تواجه الأمة من الداخل هو التحدي الرافضي، بل لم يستطع العدو الخارجي أن ينال من الأمة ما نال إلا بواسطة عون وعين ودعم ومساندة وتآمر «الرافضة»، وهذا ما يثبته التاريخ والواقع .

ومن يتأمل ما جرى ويجري على الأمة من الفتن والشرور يدرك أن سببه الأول الكيد الرافضي، وقد شهد الباحثون المحققون بأن الرفض كان «بوابة الزنادقة»، وأن مذهبهم -كما يقول الإمام الغزالي- «ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض» .

وقد اتخذوا وسائل شتى للتسلل إلى معاقل الأمة، حتى قال العارفون بمذهبهم بأن لهم وسائل في المكر والكيد لا تدري اليهود بعشرها، واستقر عند أهل العلم أن التشيع كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله.

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهذا بيانها:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع ومنهج البحث.
المبحث الأول: في التعريف بأهل السنة، ونشأتهم، ومصادرهم في التلقي، وأصول اعتقادهم. ا
لمبحث الثاني: في التعريف بالرافضة، ونشأتهم، وجذورهم، وفرقهم .
المبحث الثالث: التحديات التي تواجه أهل السنة من قبل الرافضة.
المبحث الرابع: سبل مواجهة التحدي الرافضي.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

واعتمدت في هذه الدراسة على المصادر الأصلية، وتوخيت الموضوعية، وأن أقدم الحقيقة بدون تقليل أو تهويل، وأقرن الحقائق بأدلتها وبيانها من مصادرها المعتمدة لدى مدعي التشيع في عصرنا ، وقد اخترت لهذا البحث عنوان «أهل السنة والتحدي الرافضي» وأعني بالتحدي مكر

الروافض وكيدهم، وإنما اخترت لفظ «التحدي» موافقة لعنوان المؤتمر ومحاوره، وكان الأولى استخدام أحد لفظي «المكر» أو «الكيد» فهما من ألفاظ القرآن البالغة الدلالة، ولأن التحدي في الأصل يعني «طلب المباراة في أمر»[١]، والروافض لا يصلون إلى مقام أهل السنة في مناظرة أو مماراة، فلا يستوي الحق والباطل كما لا يستوي الليل والنهار، ولأن الله لا يهدي القوم الظالمين، قال ابن جرير - عند تفسير قوله تعالى: {واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ}-: «والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة، لأن أهل الباطل حجتهم داحضة»[٢].

والمنتسبون للتشيع في عصرنا ثلاث فرق:

**الأولى:** الزيدية، وهم ليسوا بروافض، ولا يدخلون في نطاق هذه الدراسة باستثناء من انتسب إليهم وليس منهم، وهم الجارودية أتباع أبي الجارود الأعمى الرافضي، ومن بقي على مذهبه اليوم من غلاة الزيدية الذين جمعوا بين المذهب الجارودي والتأثر بالنحلة الإمامية الاثني عشرية.

**الثانية:** الإسماعيلية والذين يلقبون بـ«الباطنية» و«السبعية»، وهؤلاء أيضًا رافضة، لكنهم مفرطون في باطنيتهم، ويحجرون على الناس، بل وعلى عوام أتباعهم الاطلاع على كتبهم الخاصة، ولذا قال أحد الباطنيين المعاصرين بأن لنا كتبًا لا يطلع عليها غيرنا، ولا نسمح بقراءتها لسوانا .

**الثالثة:** وهي الأكثر اليوم عددًا، والأعظم خطرًا، وهي التي انفتحت على جميع فرق الغلاة، وقطعت شوطًا بعيدًا في التعاون مع المستعمر، والإصرار على اعتناق مبادئ غلاة الرافضة، حتى قال الممقاني - أكبر شيوخهم في علم الرجال في هذا العصر -: «إن القدماء - يعني من الشيعة - كانوا يعدون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلوًا وارتفاعًا، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال كما لا يخفى على من أحاط خبرًا بكلماتهم »[٣] ، ثم وضعوا لأول مرة في تاريخهم «مبدأ عموم ولاية الفقيه» ونقلوا جميع أعماله الخطيرة والدموية إلى من يسمونه «الولي الفقيه» وهو المرشد الذي لا تتحرك الدولة إلا بأمره، ولا تسير إلا وفق فتواه ، فأخرجوا مهديهم متمثلا في عشرات المعممين، واستحوذوا على لقب التشيع كذبًا وانتحالا .

وقد أصبح لقب «الشيعة» اليوم إذا أطلق - في نظر كثير من الباحثين- لا ينصرف إلا إليهم، وما سواهم زيدية وإسماعيلية .

(١) انظر: «المعجم الوسيط» (١٦٢/١) .

(٢) «تفسير الطبري» (٢٩/٣) ط. دار الكتب العلمية .

(٣) «تنقيح المقال» ٢٣/٣، وراجع ما ذكره محب الدين الخطيب في ذلك في حاشية المنتقى: ص ١٩٣.

## المبحث الأول

## أهل السنة

**أولاً: تعريفهم:**

أهل السنة: هم المتبعون للسنة المتمسكون بها، وهم: الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول ابن حزم(٤): «وأهل السنة ... أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة(٥)؛ فإنهم الصحابة رضي الله عنهم ومن سلك نهجهم من خيار التابعين -رحمة الله عليهم-، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها -رحمة الله عليهم-(٦).

والسبب في تسميتهم بأهل السنة هو كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(٧): «وإنما سموا أهل السنة لاتباعهم سنته صلى الله عليه وسلم»(٨).

وكذلك يرجع أبو المظفر الإسفراييني(٩) سبب تسميتهم بأهل السنة إلى اتباعهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيقول: «وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر تبعًا لسنته من هؤلاء؛ ولهذا سُمّوا بأهل السنة».

ثم قال لما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»(١٠): «وهذه الصفة تقررت لأهل السنة، لأنهم ينقلون الأخبار والآثار عن الرسول صلى الله

---

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، فقيه أديب أصولي محدث، حافظ متكلم، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ أو ٣٨٣هـ، وتوفي في الأندلس سنة ٤٥٦هـ، ومن جملة مؤلفاته: «المحلى» و«الفصل» وغيرهما. انظر: المقري: «نفح الطيب»: (٢٨٣/٢ – ٢٨٩)، وانظر: «الأعلام»: (٥٩/٥).

(٥) يقول ابن تيمية: «البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله». انظر: «الفتاوى»: (١٠٧/٤، ١٠٨)، وانظر في موضوع البدعة: «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة، «الاعتصام» للشاطبي، «البدعة تحديدها وموقف الإسلام» للدكتور عزت عطية.

(٦) «الفصل»: (١٠٧/٢)، وانظر: ابن الجوزي: «تلبيس إبليس»: ص ١٦.

(٧) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي، قال الذهبي: كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، اثني عليه الموافق والمخالف، وسارت في تصانيفه الركبان، لعلها ثلاثمائة مجلد، ومن مؤلفاته: «مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» في ٣٧ مجلد، وغيرها كان مولده بحران سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: الذهبي: «تذكرة الحفاظ»: (١٤٩٦/٤ – ١٤٩٨)، ابن كثير: «البداية والنهاية»: (١٣٢/١٤ – ١٤١).

(٨) المنتقى ص ١٨٩.

(٩) أبو المظفر شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، الإمام الأصولي الفقيه المفسر، له تصانيف، منها: «التفسير الكبير» و«التبصير في الدين»، توفي عام ٤٧١هـ. انظر: «طبقات الشافعية»: (١١/٥)، «الأعلام»: (٢٦٠/٣).

(١٠) هذا جزء من حديث رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: (٢٩٧/٧ رقم ٢٦٤٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي بعض نسخ الترمذي: حديث غريب. قال الصدر المناوي: وفيه عبدالرحمن بن زياد الأفريقي؛ قال الذهبي: ضعفوه. «فيض القدير»: (٣٤٧/٥). قال المباركفوري: (فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب). «تحفة الأحوذي»: (٤٠٠/٧)، ورواه الحاكم في «مستدركه» وذكر أن هذا الحديث روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد تفرد به عبد الرحمن بن زياد الأفريقي فلا تقوم به الحجة، ووافقه الذهبي. انظر: «المستدرك»: (١٢٨/١، ١٢٩).

عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، ولا يدخل في تلك الجملة من يطعن في الصحابة من الخوارج والروافض»[١١].

ويطلق على أهل السنة: الجماعة[١٢]:

فيقال: أهل السنة والجماعة، وقد ورد تفسير الجماعة في بعض الأحاديث بأنها: جماعة المسلمين التي هي على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ ففي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم... الحديث»[١٣] فبيّن أن المراد بالجماعة: جماعة المسلمين[١٤].

وعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم الله حينما سئل عن الفرقة الناجية من هي؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[١٥]. وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً تفسير لمفهوم الجماعة حيث قال: «...الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»[١٦].

---

(١١) الإسفراييني: «التبصير في الدين»: ص ١٦٧.

(١٢) الجماعة في اللغة: قال عنها صاحب المحكم: (الجماعة، والجميع والمجمع والمجمعة كالجمع، وقد يستعملون ذلك في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر وجماعة النبات، والجمع وجمعه جمع: المجتمعون). «المحكم» لابن سيدة: جـ١ مادة جمع.

والجمع كالمنع تأليف: المفرق. «تاج العروس»: جـ٥ مادة جمع. والجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء. «معجم مقاييس اللغة»: جـ١ مادة جمع، وجامعت الرجل على الأمر مجامعة وجماعاً إذا مالأته عليه، والجمعة مشتقة من اجتماع الناس فيها للصلاة، ونادوا الصلاة جامعة: أي اجتمعوا لها، وفلاة مجمعة: يجتمع فيه القوم، ولا يفترقون خوف الضلال. «جمهرة اللغة» لابن دريد: جـ٢ مادة جمع.

(١٣) رواه البخاري: (٩٣/٨)، مسلم: (٢٠/٦).

(١٤) وعلى هذا التعريف للجماعة اقتصرت (دائرة المعارف الإسلامية) ونبهت إلى ملاحظة التفريق بين (الإجماع) الذي يعني اتفاق فقهاء الإسلام في عصر من العصور.. وبين (الجماعة) التي هي جماعة المسلمين المخالفة للمارقين والخارجين. انظر: «دائرة المعارف الإسلامية»: (٩٤/٧).

(١٥)هذا جزء من حديث رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: (٢٩٧/٧ رقم ٢٦٤٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي بعض نسخ الترمذي: حديث غريب. قال الصدر المناوي: وفيه عبدالرحمن بن زياد الأفريقي؛ قال الذهبي: ضعفوه. «فيض القدير»: (٣٤٧/٥). قال المباركفوري: (فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب). «تحفة الأحوذي»: (٤٠٠/٧)، ورواه الحاكم في «مستدركه» وذكر أن هذا الحديث روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد تفرد به عبدالرحمن بن زياد الأفريقي فلا تقوم به الحجة، ووافقه الذهبي. انظر: «المستدرك»: (١٢٨/١، ١٢٩).

وقد قال الشاطبي عن هذا الحديث: (فأجاب صلى الله عليه وسلم بأن الفرقة الناجية من اتصف بأوصافه عليه الصلاة والسلام وأوصاف أصحابه، وكان ذلك معلوماً عندهم غير خفي فاكتفوا به، وربما يحتاج إلى تفسيره بالنسبة إلى من بعد تلك الأزمان. وحاصل الأمر أن الصحابة كانوا مقتدين به، مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم، وأثنى عليهم متبوعهم محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما خُلقه صلى الله عليه وسلم القرآن.. فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة، وجاءت السنّة مبينة له، فالمتبع للسنّة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية.. وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا عليه وأصحابي». فالكتاب والسنة هما الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما، هذا هو الوصف الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو معنى ما جاء في الرواية الأخرى من قوله: «وهي الجماعة»، لأن الجماعة في وقت الإخبار كانوا على ذلك الوصف) «الاعتصام»: (٢٥٢/٢).

(١٦) رواه اللالكائي بسنده عن ابن مسعود في كتاب السنّة، باب سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على اتباع الجماعة والسواد الأعظم. انظر: اللالكائي: «كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنّة»: ص ٩ (مخطوط)، وانظر: «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة: ص ٢٢، و«إغاثة اللهفان» لابن القيم: (٧٠/١).

ويأخذ أبو شامة[١٧] بهذا التفسير ويؤكده، فيقول: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا نظرة إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[١٨].

فالجماعة – هنا – تعني موافقة الحق.

ومن الملاحظ أن «لفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات»[١٩]، ثم خص بقضايا العقيدة ولا سيما المسائل التي خالف فيها أهل البدع.

كذلك نجد لفظ الجماعة يعني: حسب ما جاء عن ابن مسعود – موافقة الحق على وجه العموم، ثم نراه ي صص بمسائل العقيدة التي انحرف عنها المبتدعة؛ فنجد الإمام أبا حنيفة يعرف الجماعة على هذا الوجه؛ فيقول – رحمه الله -: «الجماعة: أن تفضل أبا بكر وعمر، وعليّاً، وعثمان[٢٠]، ولا تنتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تكفر الناس بالذنوب وتصلي على من يقول لا إله إلا الله وخلف من قال: لا إله إلا الله، وتمسح على الخفين..»[٢١]، ونجد فيما بين أيدينا من مصادر عدة تعاريف للجماعة تعرف بها من خلال بعض مبادئها وأصولها، فكما عرف أبو حنيفة الجماعة ببعض أصولها نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يجعل الالتزام بمصادر أهل السنة في التلقي هو الفيصل بين أهل السنة والجماعة ومن عداهم، فيقول: «فمن قال بالكتاب والسنّة والإجماع كان من أهل السنّة والجماعة»[٢٢]، ويقول: «لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة... وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال.. مما له تعلق بالدين»[٢٣].

ولما كان من «أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة.. بخلاف أهل الأهواء الذين يرون القتال للأئمة من أصول دينهم»[٢٤]، نجد من يفسر الجماعة بأنها جماعة المسلمين

---

(١٧) عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة، محدث حافظ مؤرخ مفسر فقيه أصولي متكلم مقرئ نحوي، ولد بدمشق سنة ٥٩٩هـ، وبها منشأه ووفاته سنة ٦٦٥هـ، ومن آثاره: كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين»، و«الباعث على إنكار البدع والحوادث» وغيرهما. انظر: ابن كثير: «البداية»: (٢٥٠/١٣)، «شذرات الذهب»: (٣١٨/٥)، «الأعلام»: (٧٠/٤).

(١٨) أبو شامة: «الباعث»: ص ٢٢.

(١٩) ابن تيمية: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» بتحقيق: صلاح الدين المنجد: ص ٧٧.

(٢٠) قال شارح الطحاوية: «روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنّة» «شرح الطحاوية»: ص ٤٨٦، وانظر: الخطابي: «معالم السنن»: (٣٠٢/٤، ٣٠٣)، ملا علي القاري: «شرح الفقه الأكبر»: ص ١١٩.
وقال ابن تيمية: «وهذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها» «الفتاوى»: (١٥٣/٣).

(٢١) ابن عبد البر: «الانتقاء»: ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢٢) «الفتاوى»: (٣٤٦/٣).

(٢٣) المصدر السابق: (١٥٧/٣).

(٢٤) ابن تيمية: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»: ص ٢٠.

إذا اجتمعوا على أمير[٢٥]. وبهذا المعنى روى الطبري بسنده أن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد قال: «فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة»[٢٦].

ومن أصول أهل السنّة الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق والتنازع، وفي المعنى روى البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[٢٧].

قال ابن حجر[٢٨]: قوله «فإني أكره الاختلاف» أي: الذي يؤدي إلى النزاع. قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك «حتى يكون الناس جماعة»[٢٩].

وبهذا المعنى سمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية – رضي الله عنهما – عام «الجماعة»، قال ابن بطال[٣٠]: «سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب»[٣١].

أما سبب تسمية أهل السنّة بالجماعة، فيرى عبد القاهر البغدادي[٣٢] – رحمه الله – أن «أهل السنّة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير، فهم إذاً أهل الجماعة القائمون بالحق والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض، وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية؛ حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا..»[٣٣].

ويقول ابن تيمية – كما مر -: «وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين؛ و«الإجماع» هو الأصل الثالث

---

(٢٥) الشاطبي: «الاعتصام»: (٢/٢٦٤)، وانظر: الخطابي: «معالم السنن»: (٤/٣١١).

(٢٦) «تاريخ الطبري»: (٢/٤٤٧).

(٢٧) «صحيح البخاري» مع «فتح الباري»: (٧/٧١).

(٢٨) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، حافظ الإسلام في عصره.. وتصانيفه كثيرة جليلة منها «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، و«لسان الميزان»، و«تهذيب التهذيب» وغيرها. توفي سنة ٨٥٢هـ وكان مولده سنة ٧٧٣هـ انظر «الضوء اللامع»: (٢/٣٦)، «البدر الطالع»: (١/٨٧)، «الأعلام»: (١/١٧٣).

(٢٩) «فتح الباري»: (٧/٧٣).

(٣٠) أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري القرطبي المالكي محدث فقيه، توفي سنة ٤٤٩هـ، من آثاره: «شرح الجامع الصحيح للبخاري» في عدة أسفار، و«الاعتصام في الحديث». ابن بشكوال: «الصلة»: ص ٤١٤، «معجم المؤلفين»: (٧/٨٧).

(٣١) «فتح الباري»: (١٣/٦٣)، وانظر: «تاريخ خليفة بن خياط»: ص ٢٠٣، الخطابي: «معالم السنن»: (٤/٣١١).

(٣٢) عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التميمي الإسفراييني أبو منصور، كان صدر الإسلام في عصره يدرس في سبعة عشر فنّاً، توفي في إسفرائين سنة ٤٢٩هـ، ومن آثاره: «أصول الدين» و«الفرق بين الفرق»، انظر: السبكي: «طبقات الشافعية»: (٥/١٣٦ – ١٤٥)، القفطي: «إنباه الرواة»: (٢/١٨٥، ١٨٦)، السيوطي: «بغية الوعاة»: (٢/١٠٥).

(٣٣) البغدادي: «الفرق بين الفرق»: ص ٣٦١.

الذي يعتمد عليه في العلم والدين. وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة . يعني الكتاب والسنّة والإجماع . جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال.. مما له تعلق بالدين»[٣٤].

فابن تيمية –هنا– يلحظ في التسمية بالجماعة معنى الاجتماع، وعدم الفرقة، وأن الإجماع أصل من أصول أهل السنّة، وأنهم اجتمعوا على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه السلف الصالح، وبهذه الأصول يزنون ما عليه الناس.

وملخص القول: أن الجماعة تعني الحق من الاعتقاد أو أصحاب الاعتقاد الحق، وقد يعبر عن معنى الجماعة بأصل من أصولها[٣٥]؛ -كما رأينا- فهي بهذا توافق السنة، وعلى هذا يمكن أن يقال: إن لفظ السنّة والجماعة إذا افترقا اجتمعا في المعنى، وإذا اجتمعا افترقا؛ فإذا افترقا بأن ذكر أحدهما فقط دخل فيه الآخر، وصار معناهما واحدًا، ولهذا كثيراً ما يستخدم لفظ «أهل السنة» فقط ويؤدي الدلالة والتعريف للفظين. أما إذا ذكرا معاً افترقا وصار لكل واحد منهما معنى يخصه، يفسر ذلك شارح الطحاوية[٣٦] –رحمه الله– بقوله: «السنّة: طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[٣٧].

فعلى هذا تأخذ السنّة معنى الاعتقاد الحق –كما هو مصطلح المتأخرين– أو الاتجاه الحق في الاعتقاد وغيره –كما هو مفهوم السنّة عند السلف– وتأخذ الجماعة معنى أصحاب ذلك الاعتقاد أو الاتجاه الصحيح.

وعلى العموم فإن لفظ «أهل السنة والجماعة» يعطي المعنى والتعريف لأصحاب ذلك الاتجاه بلا فصل بين اللفظين في المعنى، حتى أصبح كأنه مصطلح واحد، فقد صار مصطلحاً شائعاً يؤدي المعنى بغير بحث تفصيلي عن معنى الكلمتين، كما أنه قد يكتفى بأحد اللفظين فيؤدي المعنى

---

(٣٤) «الفتاوى»: (١٥٧/٣).

(٣٥) في «الاعتصام» للشاطبي وردت خمسة أقوال في معنى الجماعة الواردة في بعض الأحاديث وهي لا تخرج في الغالب عن عموم ما سبق. يقول: اختلف الناس في معنى الجماعة.. على خمسة أقوال:

١- أنها السواد الأعظم.

٢- أنها جماعة العلماء المجتهدين.

٣- أن الجماعة هم الصحابة على الخصوص.

٤- أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا اجتمعوا على أمر.

٥- أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

وبيّن بعد كل قول من هذه الأقوال من قال به، وأوضح خروج أهل البدع عن مدلول كل قول من هذه الأقوال. انظر: «الاعتصام»: (٢٦٠/٢ – ٢٦٥).

(٣٦) شارح الطحاوية غير معروف الاسم في الطبعة الأولى للكتاب، فلما قام الشيخ أحمد شاكر بتحقيقه استظهر أن شارح الطحاوية هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، وذلك اعتمادًا على ما أرشده إليه الشيخ محمد نصيف – رحمه الله – من أن السيد مرتضى الزبيدي نقل من هذا الكتاب قطعة في «شرح الإحياء»: (١٤٦/٢)، وعزاها إلى ابن أبي العز المذكور.

(٣٧) «شرح الطحاوية»: ص ٤٣٠، وانظر: «الدين الخالص»: (٤٤/٣).

بانفراد[٣٨]، وإنما حللنا هذين المصطلحين لأن ذلك من متطلبات وضرورات البحث – ولهذا نجد كثيراً من أصحاب المقالات والفرق لا يعرفون به لشيوعه وذيوعه، ولهذا لما سئل الإمام مالك –رحمه الله– عن السنّة قال: «هي ما لا اسم له غير السنّة، وتلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ...﴾[٣٩]»[٤٠].

ولما سئل –أيضًا– عن أهل السنة قال: «أهل السنّة الذين ليس لهم لقب يعرفون به؛ لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»[٤١].

فأهل السنّة ليس لهم لقب يعرفون به لأنهم الأصل الذي انشق عنه كل المخالفين، والمخالف هو الذي سرعان ما يشتهر ببدعته حينما يتنكب السبيل، والأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه؛ إنما الذي يحتاج لاسم هو الفرع المنشق، وأهل السنّة هم أصحاب الطريق الوسط السائرون على الصراط المستقيم المخالفون لأهل البدع[٤٢].

**ثانيًا: نشأتهم:**

وأعني بالنشأة: بداية التمييز باسم السنّة والجماعة، كدلالة على اتجاه معين، واعتقاد متميز.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وطريقتهم –أي أهل السنّة– هي دين الإسلام، لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة[٤٣]، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنّة والجماعة»[٤٤].

---

(٣٨) وقد جاء في حديث لأبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤخذ منه أن الجماعة ترادف السنّة ونصه: (.. وأما ترك السنة فالخروج عن الجماعة). رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ورواه الحاكم بنحوه عن أبي هريرة في «المستدرك»: (١١٩/١ – ١٢٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، انظر «المسند»: (٩٨/١٢ – ١٠١).

(٣٩) الأنعام: آية ١٥٣.

(٤٠) «الاعتصام» للشاطبي: (٥٨/١).

(٤١) «الانتقاء» لابن عبدالبر: ص ٣٥.

(٤٢) مما يجدر التنبيه عليه أنه بعد تعدد الفرق وظهور الاتجاهات الكلامية، أصبح مصطلح أهل السنّة يطلق في بعض الأحيان على فرق لا تمثل الاتجاه السني كل التمثيل، ولكن يطلق عليها (أهل السنة) لأنها قالت بأقوال أهل السنة في بعض مسائل العقيدة، لا لأنها تمثل أهل السنة في كل شيء.

فيطلق لفظ (أهل السنة) ويراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة فيدخل في ذلك.. جميع الطوائف إلا الرافضة.

وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنّة. انظر: «منهاج السنة» لابن تيمية: (١٦٣/٢) بتحقيق: رشاد سالم.

(٤٣) انظر: أبو داود في أول كتاب (السنة). «عون المعبود»: (٣٤١/١٢، ٣٤٢، رقم ٤٥٧٣)، والدارمي: (٢٤١/٢)، وأحمد: (١٠٢/٤)، والحاكم: (١٢٨/١)، والآجري في «الشريعة»: ص ١٨.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. «المستدرك»: (١٢٨/١)، وقال المقبلي: (حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها). «العلم الشامخ»: ص ٤١٤، وقال ابن تيمية: (الحديث – يعني حديث افتراق الأمة – صحيح مشهور في السنن والمسانيد..) «الفتاوى»: (٣٤٥/٣). وقد استشكل بعض الأئمة لفظة «كلها في النار إلا واحدة» قال الشوكاني: (أما زيادة كونها في النار إلا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين؛ بل قال ابن حزم: أنها موضوعة).

فهذا يدل على أن التميز باسم أهل السنّة والجماعة حصل لما حدث الافتراق الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قبل ذلك الافتراق لم يكن قد ظهر شيء من تلك المصطلحات: التسنن أو التشيع.. كان الإسلام والمسلمون هو الاسم والمسمى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾(٤٥).

أما تحديد بداية هذا التميز، فيرى –بحق– الدكتور مصطفى حلمي أن أصول التاريخ الإسلامي لم تعين السَّنة التي ظهر فيها هذا المصطلح(٤٦).

«كان المسلمون على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، فلما قتل عثمان بن عفان – رضي الله تعالى عنه وأرضاه – ووقعت الفتنة فاقتتل المسلمون بصفين، مرقت المارقة(٤٧) التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تمرق مارقة على حين فرقة

---

وقد ناقش الألباني كلام الشوكاني هذا، فقال: (.. فإني لا أعلم أحداً من المحدثين المتقدمين ضعف هذه الزيادة، بل إن الجماعة قد صححوها.. وأما ابن حزم فلا أدري أين ذكر ذلك؟ وأول ما يتبادر للذهن أنه في كتاب «الفصل» وقد رجعت إليه، وقلبت مظانه فلم أعثر عليه، ثم إن النقل عنه مختلف، فابن الوزير قال عنه: لا يصح والشوكاني قال عنه: أنها موضوعة، وشتان بين النقلين) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١٨/٣، ١٩).

وقد رجعت لكتاب «الفصل»، فوجدت النص الذي شك فيه الألباني – وفقه الله – في مبحث (الكلام فيمن يكفر ولا يكفر) جـ٤ ص ١٦ حيث قال ابن حزم: (ذكروا حديثاً عن رسول الله ﷺ أن «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة»، وحديث آخر: «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة»، قال أبو محمد: هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به) ومع أن ابن حزم يحكم بعدم صحة هذا الحديث إلا أنه يحتج في إبطال القياس بحديث «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيحلون الحرام، ويحرمون الحلال». «ملخص إبطال القياس» لابن حزم: ص ٦٩ بتحقيق: سعيد الأفغاني.

وقد قال الألباني في رد كلام ابن حزم: (فإن صح ذلك عن ابن حزم – وهو صحيح كما بينا – فهو مردود من وجهين:

الأول: أن النقد العلمي الحديثي قد دل على صحة هذه الزيادة فلا عبرة بقول من ضعفها.

الثاني: أن الذين صححوها أكثر وأعلم بالحديث من ابن حزم؛ لا سيما وهو معروف عند أهل العلم بتشدده في النقد، فلا ينبغي أن يحتج به إذا تفرد عند عدم المخالفة، فكيف إذا خالف؟) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: (١٩/٣). وقد استشكل بعضهم هذه الزيادة من ناحية المعنى حيث إن هذه الأمة خير الأمم وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة؛ مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الشعر الأسود، فكيف يتمشى هذا؟! وقد رفع هذا الإشكال وأجاب عليه العلامة المقبلي في «العلم الشامخ»: ص ٤١٤ مما لا مجال لذكره.

ومما ينبغي ذكره أن أحاديث افتراق الأمة منها: ما لا نص فيه على الهالك؛ وهذه قد أخرجها أكثر المحدثين، منهم أصحاب السنن إلا النسائي وغيرهم، ومنها: ما فيه بيان أن واحدة منها ناجية، والباقين هلكى؛ وهذه لم يخرجها من أصحاب السنن إلا أبا داود، وقد أخرجها أحمد وغيره – كما سبق -، ومنها: ما تحكم بنجاة كل الفرق سوى واحدة؛ وهي الزنادقة، وقد حكم عليها بالوضع. انظر: «كشف الخفاء»: (٣٦٩/١)، «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»: ص ١٦١.

(٤٤) ابن تيمية: «الفتاوى»: (١٥٩/٣).

(٤٥) آل عمران: آية ١٩.

(٤٦) «نظام الخلافة في الفكر الإسلامي»: ص ٢٨٤.

(٤٧) المارقة: لقب يطلق على الخوارج، والخوارج: هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد التحكيم، فقاتلهم علي يوم النهروان، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة؛ ففي «الصحيحين» عشرة أحاديث فيهم، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها. «شرح الطحاوية»: ص ٥٣٠. وساقها جميعها ابن القيم في «تهذيب السنن»: (١٤٨/٧ – ١٥٣)، وانظر: في عقائدهم وفرقهم «الفرق بين الفرق»: ص ٧٢ وما بعدها، «الملل والنحل»: (١٤٦/١) وما بعدها، «الفصل»: (٢٩/٥) وما بعدها.

من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[٤٨]، وكان مروقها لما حكم الحكمان وافترق الناس على غير اتفاق»[٤٩].

وهذا أول صدع في وحدة العقيدة في الجماعة المسلمة، فقد كانت الجماعة محافظة على وحدتها في العقيدة، فحركة الخوارج تعتبر أقدم انشقاق ديني حدث في صفوفها[٥٠]. ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدعة التشيع[٥١] كالغلاة المدعين الألوهية في علي، والمدعين النص على علي رضي الله عنه، السابين لأبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– فعاقب أمير المؤمنين علي –رضي الله تعالى عنه– الطائفتين «الخوارج ومبتدعة التشيع»، قاتل المارقين، وأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الألوهية([٥٢]).

وأما السبَّابة الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء[٥٣] الذي بلغه ذلك عنه، وقيل: إنه أراد قتله فهرب منه..

وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر، فروي عنه أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري، وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» وروي هذا عنه من ثمانين وجهًا([٥٤])، فهاتان البدعتان: بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة[٥٥].

ولا شك أن هذا الابتداع لم يؤثر – في البداية – في الغالبية العظمى والقاعدة العريضة من المسلمين؛ وهم من التزم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزم الجماعة.. «أهل السنّة والجماعة»، فلم يكونوا بحاجة في بادئ الأمر إلى التميز؛ ذلك أنهم الأصل الذي انشق عنه المخالفون، والأصل ليس بحاجة إلى ما يميزه؛ إنما الذي يحتاج لاسم هو الفرع المنشق الذي سرعان ما يشتهر ببدعته حينما يتنكب السبيل، وقد مر بنا قول الإمام مالك – رحمه الله – حينما سئل عن أهل السنة فأجاب: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي».

---

(٤٨) انظر: «صحيح مسلم» (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: (١٦٨/٧).

(٤٩) ابن تيمية: «منهاج السنّة»: (٢١٨/١، ٢١٩).

(٥٠) دلت بعض الأحاديث على أن بذرة الخوارج وجدت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في قصة الرجل الذي قال للرسول ﷺ وهو يوزع بعض الغنائم: (اعدل يا محمد..). انظر: الحديث في ذلك في «صحيح البخاري» (مع فتح الباري): (٢٩٠/١٢)، و«صحيح مسلم» (بشرح النووي): (١٦٥/٧، ١٦٦).

(٥١) يرى ابن حزم أن فرقة الشيعة منفصلة عن الخوارج. ابن حزم: «رسالة الرد على الكندي الفيلسوف» (ضمن مجموع): ص ٢٢٧.

(٥٢) بعد أن استتابهم ثلاثة أيام فلم يرجعوا، وقتْل هؤلاء واجب بالاتفاق، لكن في جواز تحريقهم خلاف. فعلي رضي الله عنه رأى تحريقهم وخالفه ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك. انظر: ابن تيمية: «منهاج السنة»: (٢١٩/١).

(٥٣) يعني: عبدالله بن سبأ، وسيأتي الحديث عنه في مبحث نشأة الشيعة.

(٥٤) وانظر من الروايات في هذا المعنى: «صحيح البخاري» (مع فتح الباري) (٢٠/٧)، مسند الإمام أحمد (بتحقيق أحمد شاكر) رقم ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٧١، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ١٠٥٤ جـ٢ ص ١٤٨، ١٤٩، ١٦١، ١٦٤، ٢٣٣.

(٥٥) ابن تيمية: «منهاج السنّة»: (٢١٩/١، ٢٢٠) بتحقيق رشاد سالم.

من هنا نوافق الدكتور مصطفى حلمي في قوله: «إن أهل السنّة والجماعة هم الامتداد الطَبِعِيّ للمسلمين الأوائل الذين تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، ولا نستطيع أن نحدد لهم بداية نقف عندها كما نفعل مع باقي الفرق، والسؤال عن نشأة أهل السّنة والجماعة ليس له موضع، كما هو الحال إذا تساءلنا عن منشأ الفرق الأخرى»[٥٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومذهب أهل السنّة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنّة والجماعة.. وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنّة.. فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً؛ بل إن السنّة كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة.. وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر[٥٧] فصار إماماً من أئمة السنّة، وعلماً من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيًا»[٥٨].

ولهذا نرى الإمام اللالكائي[٥٩] – رحمه الله – يفتتح كتابه القيّم: «شرح أو حجج أُصول اعتقاد أهل السنّة»([٦٠]) بذكر أئمة السنّة الذين ترسموا بالإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبدأ بذكر أبي بكر والخلفاء الثلاثة بعده، وبقية أئمة العلم والدين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى زمنه – رحمه الله -، وقد ذكر كثيرًا من أئمة أهل السنّة في معظم الأمصار الإسلامية[٦١]، وكذلك نرى البغدادي وهو يشير إلى مواجهة أهل السنّة لطلائع البدع يبتدئ بذكر أئمة السنّة من الصحابة والتابعين لهم ممن واجه الابتداع «لحدوثه في حياته»[٦٢] فيقول: «فأول متكلميهم من الصحابة عليّ بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة

(٥٦) «نظام الخلافة في الفكر الإسلامي»: ص ٢٩٢.

(٥٧) «منهاج السنة»: (٤٨٢/٢، ٤٨٣)، بتحقيق: الدكتور رشاد سالم.

(٥٨) المصدر السابق: (٤٨٦/٢).

(٥٩) هو الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الحافظ الفقيه، محدث بغداد، قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ وصنف كتاباً في السنّة، وكتاباً في رجال الصحيحين، وكتاباً في السنن، وتوفي في رمضان سنة ٤١٨هـ. انظر: الخطيب البغدادي: «تاريخ بغداد»: (٧٠/١٤، ٧١)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (١٠٨٣/٣).

(٦٠) وهو (مخطوط) يوجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة في ألمانيا، ونسخة في الهند. انظر: «تاريخ التراث» لفؤاد سزكين: (١٩٤/٢)، «فهرس المخطوطات» للألباني: ص ٣٨٤.

(٦١) انظر: «كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنة»: ص١ وما بعدها (مخطوط).

(٦٢) ذكر البغدادي أئمة السنّة من الصحابة الذين حدثت البدعة وظهرت الفرقة وهم أحياء، فواجهوا المبتدعة، وناظروا المبتدعين وحاولوا إرجاعهم إلى السنّة والصراط المستقيم، ولهذا لم يذكر أبا بكر وعمر وعثمان الذين لم يحدث الابتداع والافتراق في حياتهم ومن ماثلهم من الصحابة. من هنا أرى أن د. علي سامي النشار لم يعبر التعبير السليم في قوله: (ويرى أهل السنّة والجماعة أن سند مذهبهم إنما يعود إلى علي بن أبي طالب، ويعتبرونه أول متكلمهم..) «نشأة الفكر الفلسفي»: (٢٤٤/١) – وذلك اعتماداً على ما قاله البغدادي على الرغم من أن كلام البغدادي لا يوحي بذلك، وما أدري كيف تجرأ النشار على هذا الحكم من غير بينة. وقد تابعه على هذا الخطأ د. جلال محمد موسى، حيث يقول: (ويرى أهل السنّة أن سند مذهبهم إنما يعود إلى علي بن أبي طالب..) انظر: «نشأة الأشعرية»: ص ٢٠ وهو رأي غريب.. ويبدو أنهما أخذا كلام البغدادي على وجه غير سليم.

والاستطاعة والقدر، ثم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهني([٦٣]) في نفيه القدر، ثم يتدرج البغدادي من عبدالله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز فزيد بن علي وكذلك الشعبي والزهري، ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق ويذكر أن له كتاب «الرد على القدرية»، وكتاب «الرد على الخوارج» و«رسالة في الرد على الغلاة من الروافض»[٦٤].

من هنا نقول أن السؤال عن نشأة مذهب أهل السنّة كما يُسأل عن نشأة سائر الفرق لا مكان له، لأن مذهبهم هو مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، لكن السؤال ينبغي أن يتوجه إلى بداية التسمي بذلك الاسم لا نشأة المسمى وهو المذهب وأهله، ومن الخطأ الخلط في ذلك.

إن الأصل في التسمي بأهل السنّة هو ما ورد من النصوص التي تأمر باتباع السنّة، ولزوم الجماعة، فالتسمية مأثورة في السنّة وواردة في كلام السلف، إنما قصدنا ببداية التسمي هو متى بدأ إطلاق هذه التسمية على الاتجاه المتبع للسنّة والملتزم للجماعة، وهو مبحث ليس ذا أهمية كبيرة وإنما طرقناه لأنه كثيرًا ما يخلط بين الحديث عن بداية التسمية ونشأة المسمى وهو المذهب أو أهله، وحتى رأينا من يتحدث عن السنّة كأنها فرقة أو طائفة طارئة في الإسلام[٦٥]، كسائر الفرق الأُخرى التي انشقت عنها.

**ثالثًا: مصادرهم:**

قال الإمام البيهقي[٦٦] :«فأما أهل السنّة فمعولهم فيما يعتقدون الكتاب والسنّة» وقدوتهم العملية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام أحمد: «أصول السنّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع»([٦٧]).

وكثير من طوائف البدع يدعون الرجوع إلى الكتاب والسنّة لكن الادعاء غير الواقع ذلك أنهم اختلقوا كثيرًا من الأحاديث فسَّروا في ضوئها كتاب الله.. وتأولوا كثيرًا من آيات الله على غير وجهها، فنتج عن تفسيرهم المنحرف وتأويلهم المتعسف قرآن آخر غير الذي في أيدي المسلمين.

وبعض أهل البدع يركن في تلقي عقيدته إلى العقل ولا يعول على النصوص أو يلتفت إليها[٦٨].

---

(٦٣) معبد بن عبدالله بن عويم الجهني البصري – قال الذهبي: (صدوق في نفسه ولكنه سنّ سنة سيئة فكان أول من تكلم في القدر. و نهى الحسن الناس عن مجالسته وقال: هو ضال مضل) – قتله الحجاج صبرًا لخروجه مع ابن الأشعث سنة ٨٠هـ انظر: «ميزان الاعتدال»: (١٤١/٤)، البخاري في كتاب «الضعفاء الصغير»: ص ١١٠، الرازي: «الجرح والتعديل»: (٢٨٠/٨).

(٦٤) «الفرق بين الفرق»: ص ٣٦٣.

(٦٥) يشير الأستاذ أنور الجندي إلى (الدعاوى الباطلة التي يدعيها بعض الجاهلين أو المتجاهلين من أن السنّة فرقة أو طائفة طارئة ويرد على هذا ويبين أن: السنة ليست مذهباً معيناً بين المذاهب وليس طرفاً من الأطراف ويسميها: «مدرسة الأصالة الإسلامية» التي تجمع خير ما في الفرق وتحكم بينها، ويورد في هذا كلاماً لابن القيم في أن: أهل السنّة ليسوا مع هؤلاء وليسوا مع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم، فمذهبهم حق جميع الطوائف بعضه إلى بعض). انظر: «المؤامرة على الإسلام» أنور الجندي: ص ٢٦٦.

(٦٦) البيهقي: «مناقب الشافعي»: ص ٤٦٢.

(٦٧) «كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنّة»: ص ٢٠ (مخطوط).

انظر: «طبقات الحنابلة»: (٢٤١/١، ٢٤٦)، «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد»: ص ١٩.

وتنفرد طائفة الشيعة بأنها تتلقى السنّة من أئمة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فالسنّة عندهم هي قول «المعصوم»، والمعصوم ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب .كما هو اعتقاد أهل السنّة . بل ادعوا العصمة لآخرين تختلف أعدادهم وأعيانهم باختلاف الفرق الشيعية.

أما أهل السنّة فالمصدر الأول في التلقي عندهم هو كتاب الله، وقد أجمعوا على حفظ الله له من النقص والزيادة والتحريف على ما هو صريح قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٦٩) وسلكوا في تفسير كتاب الله المسلك الشرعي وابتعدوا عن التأويلات البعيدة.. والتكلفات الغريبة على ما لا تسيغه بلاغة القرآن وأسرار الشريعة ولغة العرب.

وقالوا: «وأحسن الطرق في التفسير تفسير القرآن بالقرآن، وإلا فبالسنّة، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة، وإلا فبما أجمع التابعون عليه»(٧٠).

وحذروا من قبول المرويات الضعيفة في التفسير فقالوا: «يجب الحذر من الضعيف والموضوع فإنه كثير»(٧١)، «والمنقولات التي يحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره»(٧٢).

والمصدر الثاني «السنّة»، وهي المبينة للكتاب؛ إذ هي سنّة المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لأحد عصمة بعده صلى الله عليه وسلم.

وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم ما جاء به صلى الله عليه وسلم ونقلوه إلى الأمة.

ويتمثل وجود السنّة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومثل المسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد وغيره، إلى غير ذلك من مدونات الحديث النبوي والتي هي أشهر من أن يعرف بها.

وهناك مدونات خاصة بالعقيدة اقتصر جامعوا أحاديثها على مسائل الاعتقاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في عقائد أهل السنّة مثل حماد بن سلمة(٧٣)، وعبدالرحمن بن مهدي(٧٤)، وعبدالله بن عبد الرحمن الدارمي(٧٥)، وعثمان بن سعيد الدارمي(٧٦) وغيرهم في طبقتهم.

---

(٦٨) وإذا انحرف بعض المنتسبين لأهل السنّة وسلك هذا المسلك فلا يحتج بذلك على أهل السنّة، فليس الانتماء لأهل السنّة بالوراثة والنسب أو الادعاء والتسمي ولكنه ما صدقه الواقع وحققه العمل. والقدوة في ذلك رسول الله ﷺ. ورصيد التجربة المثلى في هذا مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم.

(٦٩) الحجر: آية ٩.

(٧٠) راجع في هذا الموضوع مقدمة التفسير لابن تيمية في «الفتاوى»: (٣٦٣/١٣) وما بعدها.

(٧١) انظر الزركشي، «البرهان»: (١٥٦/٢).

(٧٢) ابن تيمية «الفتاوى»: (٣٤٦/١٣).

ومثل ما بوب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم مما يتعلق بالعقيدة.

ومثل مصنفات الأثرم(٧٧) وعبد الله بن أحمد(٧٨)، وأبي بكر الخلال(٧٩) وأبي القاسم الطبراني(٨٠)، وأبي الشيخ الأصبهاني(٨١)، وأبي بكر الآجري(٨٢)، وأبي الحسن الدارقطني(٨٣) وأبي عبد الله

---

(٧٣) الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار البصري، قال الذهبي: هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة. وقال البيهقي: هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره. توفي سنة سبع وستين ومائة وقد قارب الثمانين. انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٢٠٢/١ – ٢٠٣)، و«تهذيب التهذيب»: (١٤/٣).

(٧٤) عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبري البصري اللؤلؤي الحافظ الإمام العلم، قال علي بن المديني: أعلم الناس بالحديث عبدالرحمن بن مهدي، وقال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في الدنيا، وقال ابن حبان: كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث وأبى الرواية إلا عن الثقات، ولد سنة ١٣٥هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ انظر: «تهذيب التهذيب»: (٢٧٩/٦)، «حلية الأولياء»: ص ٣٧٩ وما بعدها.

(٧٥) الإمام الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي صاحب المسند العالي الذي في طبقة مسند عبد بن حميد، حدث عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، صنف «المسند» و«التفسير» وكتاب «الجامع»، وتوفي سنة ٢٥٥هـ وكان مولده سنة ١٨١هـ انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٣٥٤/٢) وما بعدها، «تهذيب التهذيب»: (٢٩٤/٥ – ٢٩٦)، وانظر: فؤاد سيزكين: (١٧٢/١).

(٧٦) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني الدارمي، أبو سعيد الحافظ محدث هراة وأحد الأعلام الثقات، ومن مصنفاته «كتاب في الرد على الجهمية» و«كتاب في الرد على بشر المريسي» و«مسند كبير» وتوفي سنة ٢٨٠هـ، وكان مولده سنة ٢٠٠هـ وانظر: «طبقات الشافعية»: (٣٠٢/٢) وما بعدها، «مرآة الجنان»: (١٩٣/٢)، وانظر: «تاريخ التراث»: (٣٧٠/٢ – ٣٧١).

(٧٧) الحافظ الكبير العلامة أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الإسكافي صاحب الإمام أحمد، حدث عنه النسائي في السنن وغيره، قال الذهبي: صنف التصانيف.. له كتاب في العلل وله كتاب نفيس في السنن يدل على إمامته وسعة حفظه، وله كتاب «التاريخ».. وتوفي بعد الستين ومائتين. انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٥٧٠/٢، ٥٧١)، «تاريخ بغداد»: (١١٠ – ١١٢)، «شذرات الذهب»: (١٤١/٢، ١٤٢)، وانظر: «تاريخ التراث»: (٢٠٩/٢).

(٧٨) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي الإمام الحافظ الحجة.. من تصانيفه كتاب «السنة»، و«فضائل عثمان بن عفان» وغيرهما، توفي سنة ٢٩٠هـ وكان مولده سنة ٢١٣هـ انظر: «طبقات الحنابلة»: (١٨٠/١) وما بعدها، «تهذيب التهذيب»: (١٤١/٥ – ١٤٣)، «تاريخ التراث»: (٢٠٠/٢).

(٧٩) الفقيه العلامة المحدث أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال، صنف كتاب «السنة» في ثلاثة مجلدات وكتاب «العلل» في عدة مجلدات وكتاب «الجامع» وهو كبير جدّاً.. توفي سنة ٣١١هـ وكانت ولادته سنة ٢٣٤ أو ٢٣٥هـ، انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٧٨٦/٣)، «البداية والنهاية»: (١٤٨/١١)، «تاريخ بغداد»: (٣١٢/٥، ٣١٣)، «تاريخ التراث»: (٢١٢/٢ – ٢١٣).

(٨٠) الحافظ الإمام الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، صنف «المعجم الكبير»، و«المعجم الأوسط»، و«المعجم الصغير»، وله كتاب «السنة»، وكتاب «دلائل النبوة»، وكتاب «الرد على الجهمية» وله تفسير كبير وآثار كثيرة. توفي سنة ٣٦٠هـ، وكان مولده سنة ٢٦٠هـ انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٩١٢/٣) وما بعدها، «وفيات الأعيان»: (٤٠٧/٢)، «النجوم الزاهرة»: (٥٩/٤، ٦٠)، «تاريخ التراث»: (٢١٨/١).

(٨١) حافظ أصبهان الإمام أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان الأنصاري يعرف بأبي الشيخ كان مفسراً مشهورًا ومحدثاً ثقة.. من مؤلفاته كتاب «العظمة» أو «عظمة الله ومخلوقاته»، وكتاب «النوادر والنتف»، و«أخلاق النبي ﷺ»، و«عوالي حديث أبي الشيخ»، و«أحاديث أبي الزبير» وغيرها. توفي سنة ٣٦٩هـ، وكان مولده سنة ٢٧٤هـ، انظر: «طبقات الحفاظ»: (٩٤٥/٣)، «النجوم الزاهرة»: (١٣٦/٤)، «شذرات الذهب»: (٦٨/٣)، «تاريخ التراث»: (٣٢٦/١).

(٨٢) الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب «الشريعة»، و«التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» وغيرهما، توفي سنة ٣٦٠هـ انظر: «تذكرة الحفاظ»: (٣٩٦/٣)، «تاريخ بغداد»: (٢٤٣/٢)، «البداية والنهاية»: (٢٧٠/١١)، «تاريخ التراث»: (٣١٤/١).

(٨٣) الإمام شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الحافظ الشهير صاحب السنن، قال القاضي أبو الطيب الطبري: الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث، ومن آثاره: «كتاب الصفات» أو «أحاديث الصفات»، و«أحاديث النزول»، «فضائل الصحابة

بن منده[٨٤]، وأبي القاسم اللالكائي[٨٥]، وأبي عبدالله بن بطه[٨٦]، وأبي عمر الطلمنكي[٨٧] وأبي نعيم الأصبهاني[٨٨]، وأبي ذر الهروي[٨٩]، وأبي بكر البيهقي[٩٠] [٩١] وغيرهم.

وقد سمى كثير منهم "مدوناتهم" في هذا الباب باسم السنّة أي كتاب «السنّة»[٩٢].

---

ومناقبهم»، «كتاب فيه ما ورد من النصوص المتعلقة برؤية الباري» وغيرها، توفي سنة ٣٨٥، وكان مولده سنة ٣٠٦هـ أو ٣٠٥هـ «تاريخ بغداد»: (٣٤/١٢) وما بعدها، وانظر: «تذكرة الحفاظ»: (٩٩١/٣)، «غاية النهاية»: ص ٥٥٨، ٥٥٩، «تاريخ التراث»: (٥٠٩/١).

(٨٤) الإمام الحافظ محدث العصر أبو عبدالله محمد بن الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصفهاني، تلقى العلم عن ١٧٠٠ شيخ في أقطار العالم الإسلامي، ومن آثاره: «الرد على الجهمية»، و«كتاب التوحيد ومعرف أسماء الله وصفاته»، و«معرفة الصحابة» وغيرها، ولد سنة ٣١٠هـ وقيل غير ذلك، توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. انظر: «تذكرة الحفاظ»: (١٠٣١/٣)، و«تاريخ التراث»: (٣٥٣/١) وما بعدها، «الوافي بالوفيات»: (١٩٠/٢ – ١٩١)، «لسان الميزان»: (٧٠/٥ – ٧٢).

(٨٥) ومضت ترجمته ص ٤١.

(٨٦) عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد صاحب رسول الله ﷺ أبو عبدالله العكبري المعروف بابن بطة، ومن آثاره: «الإبانة الكبيرة»، و«الإبانة الصغيرة»، «السنن والمناسك» وغيرها، توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان مولده سنة ٣٠٤، انظر: «طبقات الحنابلة»: (١٣٤/٢ – ١٥٣)، وانظر: «المنهج الأحمد»: ص ٦٩ – ٧٣ (وسماه فيه عبدالله).

(٨٧) الحافظ الإمام المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى المعافري الأندلسي الطلمنكي نسبة إلى "طلمنكة" من ثغر الأندلس الشرقي.. وهو عالم أهل قرطبة، روى عنه أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم وغيرهما، قال ابن بشكوال:.. وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع. ومن آثاره: «الدليل إلى معرفة الأصول»، و«فضائل مالك»، و«رجال الموطأ» وغيرها، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان مولده سنة ٣٣٩هـ انظر: «الديباج المذهب»: ص ٣٩ – ٤٠، و«طبقات الحفاظ»: (١٠٩٨/٣)، و«بغية الملتمس»: ص ١٥١، و«شذرات الذهب»: (٢٤٣/٣ – ٢٤٤).

(٨٨) الحافظ الكبير محدث العصر أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، من آثاره: «حلية الأولياء»، وكتاب «المعتقد»، و«فضائل الصحابة»، وكتاب «دلائل النبوة» وغيرها، توفي ٤٣٠هـ وكانت ولادته سنة ٣٣٦هـ أو ٣٣٤هـ انظر: «تذكرة الحفاظ»: (١٠٩٢/٣)، «لسان الميزان»: (٢٠١/١ – ٢٠٢)، «البداية والنهاية»: (٤٥/١٢).

(٨٩) الإمام العلامة الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري الهروي، ومن آثاره: كتاب «السنة والصفات»، وكتاب «الجامع»، وكتاب «فضائل القرآن»، و«دلائل النبوة» وغيرها، توفي في سنة ٤٣٤هـ، انظر:«تذكرة الحفاظ»: (١١٠٣/٣)، «تاريخ التراث»: (٣٨٨/١).

(٩٠) الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، قال الذهبي: عمل كتباً لم يسبق إلى تحريرها منها: «الأسماء والصفات» وهو مجلدان، و«السنن الكبير» عشر مجلدات، و«السنن والآثار»، و«شعب الإيمان»، و«دلائل النبوة»، و«السنن الكبير» عشر مجلدات، و«السنن والآثار»، و«شعب الإيمان»، و«دلائل النبوة»، و«السنن الصغيرة»، و«البعث والمعتقد».. وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ، وكان مولده في سنة ٣٨٤. انظر: «تذكرة الحفاظ»: (١١٣٢/٣)، وانظر: «طبقات الشافعية»: (٨/٤ – ١٦)، «مرآة الجنان»: (٨١/٣ – ٨٢)، «شذرات الذهب»: (٣٠٤/٣، ٣٠٥).

(٩١) ابن تيمية: «عقيدة أهل السنّة» تعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي: ص ١٩ – ٢٠.

(٩٢) وممن سمى كتابه باسم السنّة: ابن شيبة أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، توفي سنة ٢٢٥هـ، وأبو بكر الأثرم (المتقدم ذكره) وأبو داود السجستاني (صاحب السنن)، وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم البصري توفي سنة ٢٧٥هـ، وأبو بكر أحمد بن علي سعيد المروزي توفي سنة ٢٩٢هـ، وأبو بكر الخلال (المتقدم ذكره)، وأبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال توفي سنة ٣٤٩هـ، وأبو القاسم الطبراني (السابق ذكره)، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان ويقال ابن حبان توفي سنة ٤٣٤هـ، وأبو ذر الهروي (السابق ذكره) وغيرهم، وقد يسمون تلك المصنفات بأسماء أخرى... انظر: ابن تيمية، «الفتوى الحموية الكبرى»، بتحقيق محمد عبدالرزاق حمزة: ص ١٧ – ٢٠، «منهاج السنّة»، بتحقيق محمد رشاد سالم: (٢٨٣/٢)، السفاريني: «لوامع الأنوار البهية»: (٢١/١، ٢٢)، «الرسالة المستطرفة»: (ص ٢٩– ٣٠)، وانظر: علي سامي النشار مقدمة «عقائد السلف»: (ص ٥– ٧).

وأقول – مع بالغ الأسف – إن هذه المدونات المهمة لم تأخذ العناية من المؤسسات التعليمية والباحثين في مجال العقائد الإسلامية، وأصبح اعتماد كثير من المؤسسات الثقافية في العالم الإسلامي على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأفكار الغريبة والآراء الدخيلة، مع

ومما تنبغي الإشارة إليه والتنبيه عليه أنه – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -: «قد يقع في هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة. وقد يروي كثير من الناس في الصفات وسار أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٩٣].

وقد أقام الله سبحانه من يحفظ سنّة نبيه ويعنى بتمييز صحيحها من غيره ويضع المقاييس والضوابط لذلك، وقامت دراسات دقيقة ومحكمة لمتون الأحاديث وأسانيدها حتى أصبحت هناك إمكانية لمعرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها، واطمأن المسلمون على سنّة نبيهم حتى إن الخليفة هارون الرشيد رد على أحد الزنادقة حين تحداه بقوله: «فأين أنت عن ألف حديث وضعتها ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» فكان جواب الرشيد لهذا الزنديق: «فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً فيخرجانها حرفًا حرفًا»[٩٤].

ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه لعرفوا أنه قد حرف عن موضعه، كما وقع مثل ذلك للإمام محمد ابن إسماعيل البخاري حين ورد إلى بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها فقال: لا أعرف هذه ولكن حدثني فلان، ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح وردّ كل متن إلى سنده[٩٥].

ولقد اعترف «الشيعة» بتثبيت أئمة السنّة في رواية الحديث، جاء في كتاب «السرائر» - وهو من كتبهم المعتبرة ([٩٦] – ما نصه: عن بعض أصحابنا يرفعه إلى أبي عبد الله – يعنون: جعفر الصادق – وفيه قال – أي راوي الحديث يسأل أبا عبد الله -: «هؤلاء – يعني بهم أئمة السنّة – يأتون بالحديث مستويًا كما يسمعونه، وإنا ربما قدّمنا وأخرنا وزدنا ونقصنا»[٩٧].

فهذا إقرار منهم بخيانتهم في نقل النصوص، وأمانة أهل السنّة ودقتهم في ذلك.

---

= أن الواجب الشرعي والمنهج العلمي يقتضي أن نرجع إلى الأصول قبل كل شيء، وإنه لمن الضروري العناية بهذه الأصول وإخراج هذه الكنوز وتحقيقها، تلك التي قد ضاع بعضها وبعضها قابع في مراكز المخطوطات في العالم وقليل منها بين أيدي الناس...

(٩٣) ابن تيمية: «عقيدة أهل السنّة» بتعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي: ص ٢٠.

(٩٤) ياقوت الحموي «معجم الأدباء»: (جـ١/ ٢١٢ – ٢١٣).

(٩٥) انظر ابن حجر: «هدي الساري»: ص ٤٨٦، ابن خلدون، «المقدمة»: (٩/٣، ١٠) قال الصنعاني في «توضيح الأفكار» عن قصة البخاري مع علماء الحديث في بغداد، (وهي مشهورة أخرجها ابن عدي عن مشائخ البخاري، وأخرجها أبو بكر الخطيب في «التاريخ» في غير موضع وساقها الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح بإسناده). «توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار» (ص ١٠٣ – ١٠٤).

(٩٦) «البحار»: (١/ ٣٣)، ووصفوا مؤلف السرائر بـ «الإمامة العلامة حبر العلماء والفقهاء وفخر الملة والحق والدين شيخ الفقهاء رئيس المذهب الفاضل الكامل عين الأعيان ونادرة الزمان..» انظر: «منتهى المقال»: ص ٢٦، «المقابس»: ص ١٥، عن مقدمة «البحار»: (جـ١/ص ١٦٣). (قال صاحب البحار: «كتاب السرائر لا يخفي الوثوق عليه وعلى مؤلفه على أصحاب السرائر».

(٩٧) ابن إدريس: «السرائر»: ص ٤٧٦.

وجهود أئمة السنّة لا تحتاج لهذا الاعتراف، ولكن أوردنا هذا الاعتراف لأنه صادر من "المخالف" وإنصاف المخالف أشد وقعاً في النفس من إنصاف الموافق.. ولأن في هذا وأمثاله ما "يلجم" محاربي السنّة من الروافض المعاصرين من "كتبهم".

رابعًا: أصول اعتقادهم:

أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

- فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته .

- والإيمان بالملائكة يتضمن الإيمان بوجودهم، والإيمان باسم من علم اسمه كجبريل، والإيمان بصفة من علم وصفه كجبريل أيضًا، والإيمان بأعمالهم ووظائفهم مثل عمل جبريل ينزل بالوحي، ومالك خازن النار.

- الإيمان بالكتب يتضمن تصديق كونها من عند الله وتصديق ما أخبرت به، والإيمان بأسماء ما علم منها كالتوراة، وما لم يعلم فيؤمن به إجمالا، والتزام أحكامها إذا لم تنسخ .

- والإيمان بالرسل يتضمن الإيمان بأنهم صادقون في رسالتهم، وبأسماء من علمت أسماؤه منهم، وما لم يعلم فيؤمن به إجمالا، وتصديق ما أخبروا به والتزام أحكام شرائعهم غير المنسوخة، والشرائع السابقة كلها منسوخة بشريعة محمد ﷺ .

- والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت.

- والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل شيء واقع بقضاء الله وقدره ([٩٨]) .

ويجمع ذلك الأصول الثلاثة التي بعث بها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وهي: التوحيد والشريعة واليوم الآخر.

فالأصل الأول: التوحيد، يتضمن معرفة المعبود بربويته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

والأصل الثاني: الشريعة، يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله ويرضاه، وهو تعريف الطريق الموصل إليه .

والأصل الثالث: اليوم الآخر، يتضمن الإيمان بالجنة والنار والثواب والعقاب ([٩٩]) .

ويدل على ذلك كثير من آيات القرآن، يجمعها قول الله تعالى: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } [البقرة:١٧٧] ، وقوله

(٩٨) ابن عثيمين: «مجموع الفتاوى»:(٤/٢٦٠) .

(٩٩) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٩/٩٥-٩٦)، «شرح الطحاوية» (ص٢) .

سبحانه: { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥] .

وأهل السنة هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ .

فَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «الْجَهْمِيَّةِ»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «الْمُشَبِّهَةِ» .

وَهُمْ وَسَطٌ فِي: بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ «الْقَدَرِيَّةِ» ، و«الْجَبْرِيَّةِ» .

وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» ، وَبَيْنَ «الْوَعِيدِيَّةِ» مِنَ «الْقَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي: بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ «الْحَرُورِيَّةِ» و«الْمُعْتَزِلَةِ» ، وَبَيْنَ «الْمُرْجِئَةِ» و«الْجَهْمِيَّةِ» .

وَفِي: أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّوَافِضِ» ، وَبَيْنَ «الْخَوَارِجِ» (١٠٠) .

## المبحث الثاني

## الرافضة

### أولا: تعريف الرافضة :

الرفض في اللغة هو: الترك، يقال: رفضت الشيء: أي تركته (١٠١) .

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: «والرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونهم وينتقصونهم» (١٠٢) .

وقال عبد الله بن أحمد -رحمهما الله تعالى-: «سألت أبي من الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما-» (١٠٣) .

وقال الإمام أبوالقاسم التيمي الملقب بـ«قوام السنة» في تعريفهم: «وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ورضي عن محبهما» (١٠٤) .

ويلقبون بـ«الجعفرية»، وبـ «الإمامية الإثني عشرية»، وبـ«الرافضة»، ويرى بعض الباحثين أن مصطلح «الشيعة» إذا أُطلق فلا ينصرف إلا إليهم، وغيرهم إما إسماعيلية[١٠٥] أو زيدية.

---

(١٠٠) انظر: «العقيدة الواسطية» لابن تيمية (ص٤٧-٤٨) .

(١٠١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (٣٣٢/٢)، «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤٢٢/٢) .

(١٠٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلي (٣٣/١) .

(١٠٣) أخرجه الخلال في «السنة» رقم (٧٧٧) وقال المحقق: «إسناده صحيح» .

(١٠٤) «الحجة في بيان المحجة» ٤٧٨/٢.

(١٠٥) يدخل في لقب «الرافضة» الإسماعيلية والاثنا عشرية، ولكن غلب اسم الشيعة والرافضة على الاثني عشرية، كما غلب لقب «الباطنية» على الإسماعيلية، وقد محيت هذه الفوارق في عصرنا .

وأقول بهذا الرأي لأن مصادر الشيعة الاثني عشرية في التلقي قد استوعبت كثيرًا من الآراء والأصول التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى, فأصبحت بذلك الوجه المعبر للشيعة، والعبرة بالمعتقد لا بالاسم [١٠٦].

وهم يسمون بالإمامية؛ لأنهم قالوا بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان[١٠٧], فالإمامية علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان, وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي، وساقها إلى الرضا علي بن موسى. ويسمون بالاثني عشرية، لأنهم يقولون بأن الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم اثنا عشر إماماً[١٠٨] وهم: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والمهدي المنتظر[١٠٩].

ويسمون بـ "الجعفرية" نسبة إلى جعفر الصادق – إمامهم السادس كما يقولون – وهو من باب التسمية للعام باسم الخاص. روى الكشي أن شيعة الصادق في الكوفة سموا بالجعفرية[١١٠].

وأما تسميتهم بـ «الرافضة»، فقد ورد في (البحار) للمجلسي – وهو أحد مراجعهم الحديثية المتأخرة – أربعة أحاديث في مدح التسمية بـ «الرافضة» [١١١], وكأنهم أرادوا تطييب نفوس أتباعهم بتحسين هذا الاسم لهم. ولكن في هذه الأحاديث ما يفيد أن الناس بدأوا يسمونهم بالرافضة من باب الذم لا المدح. ولا تجيب هذه المصادر الشيعية عن سبب تسمية الناس لهم بهذا الاسم على سبيل الذم والسب لهم[١١٢]، ولكن كتب الفرق غير الشيعية تذكر أن ذلك لأسباب تتعلق بموقفهم من خلافة

---

(١٠٦) انظر: «أصول مذهب الشيعة» (١/١١٤-١١٥) .

(١٠٧) و(٣) «أوائل المقالات» المفيد: ص ٤٤.

(١٠٨) المصدر السابق: ص ٤٥.

(١٠٩) «الشيعة في الميزان» محمد جواد مغنية: ص ٣٤.

(١١٠) «الرجال»: ص ٦٥ طبعة بمبي ١٣١٧هـ

(١١١) وهذه الأحاديث المزعومة موجودة في باب سموه (باب فضل الرافضة ومدح التسمية بها) في كتابهم «البحار» ومنها: عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك, اسم سمينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا, قال: وما هو؟ قال: الرافضة، فقال جعفر: (إن سبعين رجلاً من عسكر موسى عليه السلام، لم يكن في قوم موسى أشد اجتهاداً وأشد حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة, فأوحى الله إلى موسى أن أثبتُ لهم هذا الاسم في التوراة فإني نحلتهم, وذلك اسم قد نحلكموه الله) «البحار» المجلسي: (٦٨/٩٦-٩٧).

(١١٢) هناك رواية شيعية تفيد أن اسم الرافضة أطلقته فرقة شيعية غالية على فرقة شيعية معتدلة, قال سعد القمي: (لما توفي أبو جعفر الباقر افترقت فرقته فرقتين: فرقة منها قالت بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن بن حسين بن علي بن أبي طالب.. وكان المغيرة بن سعيد قال بهذا القول لما توفي أبو جعفر محمد بن علي وأظهر المقالة بذلك, فتبرئت منه الشيعة . شيعة جعفر بن محمد . ورفضوه ولعنوه, فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذي سماهم بهذا الاسم) «المقالات والفرق»: (ص ٧٦- ٧٧), وقد قال أحد الشيعة المعاصرين عن هذه الرواية: (إنها ضعيفة لا تصمد للنقد لأن رفض الشيعة المعتدلين للمغيرة أمر طبعي لأنه من الغلاة, فلا موجب لحنق الشيعة من تسمية أطلقها عليهم أحد الغلاة، ولا موجب أيضاً لأن يستحل السلطان دماء الشيعة..) عبدالله فياض: «تاريخ الإمامية»: ص ٧٥.

الشـيخين ورفضـهم لهـا، يقـول أبـو الحسـن الأشـعري: «وإنمـا سـموا رافضـة لرفضـهم إمامـة أبي بكـر وعمر»[١١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نقله لرأي الأشعري هذا: «قلت: الصحيح أنهم سموا رافضة لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما خرج بالكوفة أيام هشام بن عبدالملك»[١١٤]. وهذا الرأي لابن تيمية يعود لرأي الأشعري لأنهم ما رفضوا زيداً إلا لما أظهر مقالته في الشيخين ومذهبه في خلافتهما، فالقول بأنهم سموا رافضة لرفضهم زيداً أو لرفضهم مذهبه ومقالته مؤداه – في نظري – واحد.

ولكـن شـيخ الإسـلام راعى في التصـويب والتفريـق المسـألة التاريخيـة لظهـور لقـب الرافضـة وارتباطه بتلك الحقبة.

**ثانيًا: نشأتهم :**

الـذي أراه أن الشـيعة باعتبارهـا عقيـدة لـم تولـد فجـأة، بـل إنهـا أخـذت أطـوارًا زمنيـة.. ولكـن طلائـع العقيدة الشيعية، وجذورها الأولى ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامة علي – كما مر نقله – وهذه عقيدة «النص على علي بالإمامة» وهي أساس التشيع، وقالت: إن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه والصحابة – كما قال النوبختي وغيره – وهذه هي عقيدة الشيعة في الصحابة، وذكـرت أنـه لمـا بلغـه نعي علي بالمدائن قـال للـذي نعـاه: «كـذبت، لـو جئتنـا بدماغـه في سـبعين صـرة، وأقمـت على قتلـه سـبعين عـدلاً لعلمنـا أنـه لـم يمـت ولـم يقتـل، ولا يمـوت حتى يملـك الأرض»، وهـذه عقيدة الغيبة والمهدية .

وأمـا عقيـدة الشـيعة في أن الرسـول صلى الله عليـه وسـلم اسـتودع عليًّا شـيئًا غير ما في أيـدي النـاس، فقد وجدت هذه المقالة أيضًا في عهد علي رضي الله عنه، وسئل عن ذلك فنفى هذه الدعوى نفيًا قاطعًا كما جاء في صحيح البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه[١١٥].

هـذه بعـض أصـول الشـيعة، وقـد وجـدت إثر مقتـل عثمـان وفي عهـد علي ولـم تأخـذ مكانهـا في نفوس فرقة معينة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه, ولكن ما تلا

---

(١١٣) «مقالات الإسلاميين»: (٨٩/١) وانظر في سبب التسمية بالرافضة أيضاً: الشهرستاني «الملل والنحل»: (١٥٥/١)، «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»: ص ٧٧، الإسفراييني: «التبصير في الدين»: ص ٣٤، وهناك رأي يقول: (إنما سموا الروافض لكونهم رفضوا الدين) هامش «مقالات الإسلاميين»: (٨٩/١).

(١١٤) «منهاج السنّة»: (١٣٠/٢) الطبعة الأميرية.

(١١٥) «صحيح البخاري» كتاب العلم، باب كتابة العلم: (١/ ٣٦)، وورد الحديث بلفظ آخر عن أبي جحيفة: قال: سألت عليّاً رضي الله عنه: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال ابن عيينة مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن، ألا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة، قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر» «صحيح البخاري» كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر: (٤٧/٨).

ذلك من أحداث هيأ جوّاً صالحاً لظهور هذه العقائد كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي ومقتل الحسين، كل هذه الأحداث هيأت جوّاً صالحاً لدخول الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته. ولم يكن استعمال «الشيعة» في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم، ولم يختص إطلاقها بعلي رضي الله عنه، ويدل على ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم من إطلاق اسم الشيعة على كل من أتباع علي وأتباع معاوية ومما جاء فيها: «هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما...» ومنها: «وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبدالله بن قيس ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص...» ومنها: «فإذا توفي أحد الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه...» ومنها: «وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلاً يرضون عدله»[١١٦].

فاسم الشيعة لم يتحدد بفئة معينة إلى ذلك الوقت. وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية حديثاً في صحيح مسلم وفيه قول «حكيم بن أفلح»: لأني نهيتها – يعني عائشة – أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا»[١١٧]، وأخذ من هذا دلالة تاريخية على عدم اختصاص علي باسم الشيعة في ذلك الوقت[١١٨].

ويستدل د. علي النشار ببعض النصوص التي تفيد عدم اختصاص علي باسم الشيعة في عهد خلافته ومنها قول معاوية لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن: «أمعن حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة»[١١٩].

لكن بعد مقتل الحسين رأينا بدء التجمع الفعلي لمن يدعون التشيع للأخذ بثأر الحسين.. يقول المسعودي[١٢٠]: «وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة في الكوفة»[١٢١]، وتكونت حركة "التوابين" ثم حركة المختار "الكيسانية"، وبدأت الشيعة تتكون وتضع أصول مذهبها، وتستدل له.. وبعدما كانت الآراء الشيعية تطارد وجدت بعد هذه الأحداث الجو الذي تنمو فيه تحت ستار التشيع لآل البيت، وملخص القول أن بعض الأصول العقدية للشيعة ظهر على يد ابن سبأ في عهد علي، ولكنها لم تأخذ صفة الجماعة أو اسم التشيع، وبعد توالي الأحداث التي ذكرنا، ولا سيما بعد مقتل الحسين بدأت الشيعة كفرقة، وانطلقت لتأسيس مذهبها على أصول معينة، وبالتالي وجد أن الآراء التي نادى بها ابن

---

(١١٦) الدينوري: «الأخبار الطوال»: (ص ١٩٤ – ١٩٦)، «تاريخ الطبري»: (٥/٥٣ – ٥٤)، محمد حميد الله: «مجموعة الوثائق السياسية»: (ص ٢٨١ -٢٨٢).

(١١٧) هذا جزء من حديث طويل في «صحيح مسلم» في باب جامع الصلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، (٢/١٦٨ -١٧٠).

(١١٨) انظر: «منهاج السنة»: (٢/٦٧) تحقيق د. رشاد سالم.

(١١٩) النشار: «نشأة الفكر الفلسفي»: (٢/٣٣).

(١٢٠) علي بن الحسين بن علي أبو الحسن المسعودي، المؤرخ، قال ابن شاكر الكتبي: (كان إخبارياً علامة، صاحب غرائب وملح ونوادر)، قال ابن حجر: (وكتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزليّاً). مات في مصر سنة ٤٣٦هـ ، ومن مصنفاته: «مروج الذهب»، «التنبيه والإشراف» وغيرهما. انظر: ابن شاكر الكتبي: «فوات الوفيات»: (٣/١٢ -١٣)، ابن حجر: «لسان الميزان»: (٤/٢٢٤ -٢٢٥). وانظر: عباس القمي: «الكنى والألقاب»: (٣/١٦٠).

(١٢١) المسعودي: «مروج الذهب»: (٣/١٠٠).

سبأ أخذت مكانًا لها في المناخ الفكري للشيعة، ولذلك قال بعض الباحثين: إن دم الحسين هو البذرة الأولى للتشيع كعقيدة .

**ثالثًا: جذورهم:**

لقد جمع التشيع خلال مسيرته الفكرية وأطواره العقدية منذ نشأته الأولى على يد السبئية وصولا إلى نظرية «ولاية الفقيه» الخمينية عقائد متباينة وملل متضاربة، يجمعها الغلو والانحراف عن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية .

فمنها: أن التشيع ذو صبغة يهودية وذلك باعتبار أن ابن سبأ كان أول من قال بالنص والوصية، والرجعة، وابن سبأ يهودي، كما أقرت بذلك مصادرهم (١٢٢)، وباعتبار وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة، كما أشار ابن حزم إلى شيء من ذلك حينما قال: «سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين.. إن إلياس -عليه السلام -، وفنحاس بن العازار بن هارون - عليه السلام - أحياء إلى اليوم» (١٢٣) .

ومنها: أن في التشيع نزعة فارسية، وذلك أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم – ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى (١٢٤) .

وأيضًا فإن العرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى (١٢٥) ، وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

---

(١٢٢) انظر: القمي/ المقالات والفرق ص: ٢٠ النوبختي/ فرق الشيعة ص: ٢٢، رجال الكشي ص: ١٠٨.

(١٢٣) الفصل: ٣٧/٥، وانظر: منهاج السنة: ٦/١، العقيدة والشريعة ص ٢١٥ جولد تسيهر.

(١٢٤) ابن حزم/ الفصل: ٢٧٣/٢، وانظر: المقريزي/ الخطط: ٣٦٢/٢.

(١٢٥) انظر: محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٧/١، أحمد أمين/ فجر الإسلام: ص٢٧٧، عرفان عبد الحميد/ دراسات في الفرق: ٢٣، فلهوزن/ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: ص ١٦٨، فلوتن/ السيادة العربية: ص ٧٦.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس» [١٢٦] .

وحينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنه - ابنه يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم [١٢٧] .

وتلمح الأصل الفارسي أيضًا في روايات عديدة عند الاثني عشرية، تفرد سلمان الفارسي رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا» [١٢٨] .

بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتأليه سلمان، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي» [١٢٩] .

بل نلحظ أن هناك اتجاهًا داخل الدوائر الشيعية لتعظيم بعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو «أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي» قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»[١٣٠]، واعتبروا يوم مقتل عمر رضي الله عنه على يد هذا المجوسي عيدًا من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك [١٣١] ، كما يعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس[١٣٢]، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس [١٣٣] .

ويضيف بعض الباحثين أن المذهب الشيعي كان مباءة ومستقرًّا للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية وغيرها[١٣٤] .

---

(١٢٦) محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٨/١.

(١٢٧) انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد: تاريخ اليعقوبي: ٢٤٧/٢، صحيح الكافي: ٥٣/١. وانظر في أثر ذلك: سميرة الليثي/ الزندقة والشعوبية: ص ٥٦، عبد الله الغريب/ وجاء دور المحبوس: ص ٧٧، النشار/ نشأة الفكر الفلسفي: ١١/٢، عبد الرزاق الحصان/ المهدي والمهدوية: ص ٨٢، رونلدسن/ عقيدة الشيعة: ص١٠١.

(١٢٨) رجال الكشي: ص ١٥، وانظر: رجال الكشي: ص١٦- ١٩ .

(١٢٩) مقالات الإسلاميين: ٨٠/١.

(١٣٠) انظر: عباس القمي/ الكنى والألقاب: ٥٥/٢.

(١٣١) انظر: الأنوار النعمانية: ١٠٨/١.

(١٣٢) انظر: الأعلمي/ مقتبس الأثر: ٢٩/٢٠٢-٢٠٣، المجلسي/ بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز: ٤١٩/٩٨، وانظر: وسائل الشيعة، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: ٣٤٦/٧.

(١٣٣) انظر: بحار الأنوار: ١٠٨/٤٨.

(١٣٤) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ٣٧/١، فجر الإسلام: ص ٢٧٧ .

ويذكر صاحب مختصر التحفة: «أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس»، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف [١٣٥].

كما يؤكد بعض العلماء المعاصرين أنه تتبع مذاهب الشيعة فوجد عندها كل المذاهب والأديان التي جاء الإسلام لمحاربتها [١٣٦].

لقد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام، وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة ، ولهذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: «وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها...»، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[١٣٧].

**رابعًا: فرقهم:**

ذكر الباحثون أن الشيعة فرق كثيرة بلغت في قول بعض الشيعة ثلاثًا وسبعين فرقة، وذكر المقريزي بانها وصلت إلى ثلاثين فرقة، وهي ترجع اليوم إلى ثلاث فرق: الزيدية، والإسماعيلية، والاثني عشرية، والاثنا عشرية هي التي تسمى بالشيعة في عصرنا، كما تسمى بالإمامية .

والاثنا عشرية امتداد للشيعة الإمامية (بمعناها العام) وفصيلة من فضائلها.. بل فرقة واحدة من خمس عشرة فرقة انقسمت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري [١٣٨] سنة (٢٦٠هـ) ومع ذلك فقد انبثق من الاثني عشرية فرق كثيرة.

يقول الأستاذ محمود الملاح وهو من المعنيين بتتبع هذه الفرقة: «وفي عصرنا هذا نجد الاثني عشرية منقسمة إلى:

أصولية وأخبارية وشيخية [١٣٩]، وكشفية [١٤٠]، وركنية [١٤١]، وكريمخانية [١٤٢]، وقزلباشية [١٤٣] ، وكلها داخلة في المجموعة الاثني عشرية وأصولها مبثوثة في كتب الاثني عشرية، وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضًا» [١٤٤].

---

(١٣٥) انظر: مختصر التحفة ص ٢٩٨ وما بعدها.

(١٣٦) انظر: بركات عبد الفتاح/ الواحدانية: ص ١٢٥.

(١٣٧) منهاج السنة: ١٤٧/٤، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»: ١٥١/٨، وفي صحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» رقم (٢٦٦٩)، المسند ٤٥٠/٢-٥١١، ٥٢٧.

(١٣٨) انظر: القمي/ فرق الشيعة: ص ١٢٠ وما بعدها.

(١٣٩) الشيخية: وقد يقال لها: الأحمدية، هم أتباع الشيخ أحمد الإحسائي المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤١هـ، وهو من شيوخ الاثني عشرية.

وقد قال الألوسي - رحمه الله - (عن الإحسائي وأتباعه): «ترشح كلماتهم بأنهم يعتقدون في أمير المؤمنين علي على نحو ما يعتقده الفلاسفة في العقل الأول»، كما نسب إليه القول بالحلول، وتأليه الأئمة، وإنكار المعاد الجسماني، وأن من أصول الدين الاعتقاد بالرجل الكامل

وزاد بعض الباحثين من الشيعة [١٤٥] أسماء أخرى هي: القرتية [١٤٦]، البابية [١٤٧]، والكوهرية [١٤٨]، وزاد بعضهم أيضاً النوربخشية [١٤٩]، ثم إنه كما يقول الألوسي: «ولا يبعد أن تظهر فرق أخرى من الإمامية بعد» [١٥٠] نسأل الله تعالى العافية.

---

وهو المتمثل في شخصه، وقد اختلف الشيعة الاثنا عشرية في شأنه بين مادح كالخوانساري في روضات الجنات: ٩٤/١، وقادح مثل محمد ممهدي القزويني في كتابه: ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية، ومتوقف مثل علي البلادي في أنوار البدرين ص ٤٠٨، ومنهم من زعم التوسط في شأنه فقال: «..اختلف الناس فيه بين من يقول بركنيته وبين من يقول بكفره، والتوسط خير الأمور، والحق أنه من أكابر علماء الإمامية» - ثم امتدحه بجملة كلمات - إلى أن قال: «نعم له كلمات في مؤلفاته بجملة -كذا- متشابهة لا يجوز من أجلها التهجم والجرأة على تفكيره». (محمد حسين آل كاشف الغطا/ (حاشية) المصدر السابق ص ٤٠٨-٤٠٩). وهذا الاختلاف قد يدل على أن الكثير من الاثني عشرية تهون عندهم عظائم هذا الرجل وضلالاته.. (انظر في مذهب الشيخية: الألوسي/ نهج السلامة: ص ١٨-١٩(مخطوط)، مختصر التحفة: ص ٢٢، الأعلمي الحائري/ مقتبس الأثر: ١٣٦/٢٠، محمد حسن آل الطلقاني/ الشيخية نشأتها وتطورها، مجلة العرفان مجلد ٣٣ ص ١٩٩، أعيان الشيعة: ٣٩٠/٨، محسن عبد الحميد/ حقيقة البابية والبهائية ص :٣٦، مصطفى عمران/ تهافت البابية والبهائية ص ٣٤، جولد تسيهر/ العقيدة والشريعة: ص٢٧٠، مبارك إسماعيل/ التيارات الفكرية ص ١١٠.

(١٤٠) الكشفية: هم أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي المتوفى سنة ١٢٥٩هـ تلميذ الإحسائي (مؤسس الشيخية) والقائم مقامه من بعده، والآخذ بنهجه مع زيادة في الغلو والتطرف، وسيمت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من الكشف والإلهام. يقول الشيخ الألوسي عن الكشفية: «الكشفية لقب لقبهم به بعض وزراء الزوراء (علي رضا باشا) أعلى الله درجته، وهم أصحاب السيد كاظم الحسيني الرشتي وهو تلميذ الإحسائي وخريجه، لكن خالفه في بعض المسائل، وكلماته ترشح بما هو أدهى وأمر مما ترشح به كلمات شيخه، حتى إن الاثني عشرية يعدونه من الغلاة وهو يبرأ مما تشعر به ظواهر كلماته، وقد عاشرته كثيرًا فلم أدرك منه ما يقول فيه مكفروه من علماء الاثني عشرية، نعم عنده على التحقيق غير ما عندهم في الأئمة وغيرهم مما يتعلق بالمبدأ والمعاد.. ولا أظن مخالفاته لشيخه تجعله وأصحابه القائلين بقوله فرقة غير الشيخية» (نهج السلامة ص١٩)، ومنهم من اعتبره فرقة مستقلة لتصريحه بذلك في قوله في كتابه (دليل الحيران ص ١٣٦) : «هذا مسلك لم يسبقني إليه أحد قبلي» (انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين ص٣٤) ولذلك يعتبره محمد حسين آل كاشف الغطا هو الذي خرج عن الجادة القويمة، وزاغ زيغًا عظيمًا، وأنه أدخل على الشيعة الإمامية أشد فتنة وأعظم بلية، ومنه وأتباعه نشأت بلية البابية بخلاف شيخه الإحسائي: (محمد حسين آل كاشف الغطا/ حاشية علي أنوار البدرين ص ٤٠٨-٤٠٩، وانظر في الكشفية أيضاً: مصطفى عمران/ تهافت البابية ص ٣٧- ٣٩، آل طعمة/ مدينة الحسين، وفيه بحث مطول عن الكشفية من كتب زعيمها وتلامذته ص ٢٤ وما بعدها، عبد الرزاق الحسين / البابيون والبهائيون ص ١٠).

(١٤١) الركنية: أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرماني، من تلامذه الرشتي وعلى مذهبه، سميت بذلك؛ لقولها بالركن والشيعي الكامل، واعتباره من أصول الدين والمتمثل في شخص زعيمهم. (انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين ص ٥٦).

ومنهم من يعتبر الركنية والكشفية من ألقاب الشيخية والجميع فرقة واحدة. (انظر: مجلة العرفان مجلد ٣٣ ص١٩٩، محمد آل الطلقاني/ الشيخية ص ٢٧٤).

(١٤٢) كريمخانية: هم أتباع محمد الفجري الكرماني كريمخان، وهو على مذهب الشيخية ولذلك قال فيه الحائري: «رئيس الطائفة الشيخية» (متقبس الأثر: ٢٧٤/٢٤-٢٧٥) .

(١٤٣) القزلباشية: هم صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قنلسوة يلبسونها كشعار لهم وقد وصفها بعضهم بقوله: «لقد أمر حيدر ابن جنيد الصفوي أتباعه بأن ترتفع من وسط عمامتهم، ذات الأكوار العديدة قطعة مدببة على هيئة الهرم مقسمة من قمتها إلى إطرافها إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الاثني عشر، ومن هنا سمي الصوفية من أتباع الصفويين بالقزلباش اتصالاً بهذا الشعار الاثني عشري الأحمر» . وقد زعم محسن الأمين أن القزلباش لقب للاثني عشرية في بعض البلدان - كما مر- ولعله أراد التستر على كثرة فرق طائفته وانقساماتها كعادته.

(انظر: مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي: ص٤٠٥-٤٠٦، أعيان الشيعة: ٢٣/١، ٢٤) .

(١٤٤) الآراء الصريحة: ص٨١ .

(١٤٥) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٥-٥٦.

(١٤٦) القرتية: أصحاب امرأة اسمها هند، وكنيتها أم سلمة، ولقبها قرة العين، لقبها بذلك كاظم الرشتي في مراسلاته إذ كانت من أصحابه، وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة أشياء منها: التكاليف، فقيل: إنها كانت تقول بحل الفروج ورفع التكاليف بالكلية. قال الألوسي (أبو الثنا): «وأنا لم أحس منها بشيء من ذلك مع أنها حبست في بيتي نحو شهرين.. والذي تحقق عندي أن

ومن خلال تتبعي لنصوص الاثني عشرية التي تنسبها للأئمة وترويها في كتبها المعتمدة وجدت أنها تحمل في ثناياها بذور نحل مختلفة وأهواء متباينة.. يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة، بغيته ومرامه... فهي قد اتسعت بحكم معتقد التقية، وكثرة الكذب والافتراء على الأئمة، وانضواء الملحدين والمتآمرين في صفوفهم، وعجز شيوخ الشيعة عن تنقية المذهب مما علق به من كيد الملحدين عبر القرون، وفقدان الموازين الصحيحة الثابتة لتمحيص الروايات وتحقيقها، اتسعت بسبب ذلك وغيره لاحتواء تلك البذور السامة وذلك الركام الهائل من الأخبار المظلمة.

أما الحديث المفصل عن كل فرقة بذاتها فهذا موضوع يطول الحديث فيه.

ولعلنا نكتفي بالحديث عن افتراق الشيعة إلى أصولية وأخبارية؛ لأن الأصولية هي أساس المذهب الاثني عشري، وتمثل الأكثرية، ويقابلها الإخبارية، وإن كانت أقل منها، أما ما سواها من فرق فهي ليست بذلك الحجم الذي تمثله الأصولية.. ولذلك اكتفينا بالتعريف الموجز عنها في الهوامش السابقة.

كما أن الخلاف الأصولي الأخباري يمثل خلافًا في بنية المذهب الاثني عشري، فهو خلاف بين رجال الشيعة الذين جمعوا تراث المذهب الاثني عشري؛ فتجد الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة، والكاشاني صاحب الوافي، والنوري الطبرسي صاحب مستدرك الوسائل كلهم أخبارية مع أنهم مصنفو مصادرهم المعتمدة في الرواية عندهم. بل يعتبرون ابن بابويه صاحب «من لا يحضره الفقيه» أحد

البابية والقرتية طائفة تعتقد في الأئمة نحو اعتقاد الكشفية فيهم، ويزعمون انتهاء التكليف بالصلوات الخمس وأن الوحي غير منقطع» (نهج السلامة: ص٢١، وانظر عن القرتية: آل طعمة/ مدينة الحسين ص٥٦، ٢٣٩، وما بعدها، وغالب الكتب التي ألفت في البابية تحدثت عن هذه المرأة وأتباعها (انظر مراجع هامش (٤) من هذه الصفحة).

(١٤٧) البابية: أتباع الباب ميرزا علي محمد الشيرازي ١٢٣٥-١٢٦٥هـ وهو من الإمامية الاثني عشرية، ادعى أنه الباب للإمام الذي ينتظرونه، وأنه وحده الناطق عنه، ثم ادعى أنه هو إمامهم الغائب، ثم زعم أن الله - سبحانه - قد حل فيه، وله ضروب من الكفر والضلال. (انظر في مذهب البابية: محسن عبد الحميد/ حقيقة البابية والبهائية، مصطفى عمران/ تهافت البابية والبهائية، محمود الملاح/ البابية والبهائية، إحسان إلهي ظهير/ البابية).

(١٤٨) الكوهرية: هم أتباع الآخوند ملا حسن كوهر المروجون لنحلته في كربلاء حتى اليوم (آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٥) وكان للكشفية أثر بليغ في ظهورها (المصدر السابق ص ٢٣٩) يؤلهون الأئمة ويقولون بنفي العقاب عن مرتكب المعاصي (انظر: المصدر السابق ص ٥٣-٥٤) .

(١٤٩) النوربخشية: نسبة إلى محمد نوربخش القوهستاني يكنى بأبي القاسم (المولود سنة ٧٩٥هـ، والمتوفى سنة ٨٦٩هـ) يدعي الاثنا عشرية أنها فرقة من فرقهم، وهي توجد في وديان هملايا، وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينية، وقد ادعى المهدية لنفسه، وطبق الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة في اسم المهدي وكنيته على شخصه، وأنكر مهدي الشيعة وانفصل عنها، وبهذا رأى بعضهم أنه ليس من فرق الاثني عشرية، بل هو من الصوفية أصحاب وحدة الوجود. (إحسان إلهي ظهير/ الشيعة ص: ٣١٦).

ولكن لا يمنع هذا أن يكون من الاثني عشرية في الأصل وادعى دعوى المهدية، وأخذ بروايات أهل السنة لانطباقها عليه، لأنه كان يقول بالأئمة الاثني عشر، ولهذا اكتفى في يوم بيعته بالمهدية بقبول اثني عشر تيمناً بعدد الأئمة (الشيبي/ الفكر الشيعي: ص ٣٣٢).

كما زار - عندما قدم العراق - العتبات الشيعية المقدسة (المصدر السابق ص ٣٣٣)، أما المنزع الصوفي فإن الصلة بين التصوف والتشيع قائمة ووثيقة. (انظر في مذهب هذه الطائفة: الشيعة والتشيع: ص ٣١٤، مصطفى الشيبي/ الشيعي: ص ٣٢٨ وما بعدها) .

١٥٠ أبو الثناء الألوسي/ نهج السلامة: ص٢٢.

مصادرهم الأربعة المتقدمة هو رئيس الأخباريين [(١٥١)] ، ويقابلهم الطوسي صاحب الاستبصار والتهذيب، والمرتضى المنسوب له (أو لأخيه) نهج البلاغة وغيرهما وهما من الأصوليين..

فإذن الخلاف بين الأصوليين والأخباريين هو خلاف بين أركان المذهب ومشيدي بنائه، فلنتوقف للتعريف بهاتين الفرقتين:

فالأخباريون يمنعون الاجتهاد، ويعملون بأخبارهم، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة [(١٥٢)] كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ويقتصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار وينكرون الإجماع (ودليل العقل) [(١٥٣)] ، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه، ولا يرون صحته، ويقابلهم الأصوليون أو المجتهدون، وهم القائلون بالاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام الكتاب والسنة والإجماع وليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة.. ويمثلون الأكثرية [(١٥٤)] .

لكن شيخهم الأنصاري يكشف - حسب ما ينقله عن محققهم غلام رضا القمي - أن الأخباريين لا يعتمدون في الأدلة الشرعية إلا على أخبار الشيعة فقط، ويقبلونها على علاتها بلا تفريق بين صحيحها وسقيمها. يقول ما نصه: «ويعجبني في بيان وجه تسمية هذه الفرقة (الأخباريين) المرموقة بالأخبارية وهو أحد أمرين:

الأول: كونهم عاملين بتمام الأقسام من الأخبار من الصحيح والحسن والموثق والضعيف من غير أنها يفرقوا بينها في مقام العمل في قبال المجتهدين.

الثاني: أنهم لما أنكروا الأدلة الثلاثة بما فيها القرآن الكريم وخصوا الدليل بالواحد منها، أعني الأخبار فلذلك سموا بالاسم المذكور» [(١٥٥)] .

فهم هنا استجابوا لأساطيرهم التي تقول بنقص القرآن فأعرضوا عن كتاب الله في مقام الاحتجاج، واعتمدوا على تلك الأساطير، فهم بهذا أخرجوا أنفسهم عن دائرة الإسلام، ومع ذلك فإن جملة من شيوخ الشيعة تدعي مع هذا الكفر البواح الذي أعلنته طائفة الأخبارية أن الخلاف بين الأصولين والأخبارين «يتقصر على بعض الوجوه البسيطة ككل خلاف يحدث بين أبناء الطائفة الواحدة تبعًا لاختلاف الرأي والنظر» [(١٥٦)] .

---

(١٥١) انظر: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ٤، كما أنك تلاحظ أن من شيوخ الأخبارية من ظهر واشتهر عندهم كمحمد حسين آل كائف الغطا صاحب أصل الشيعة وأصولها، وأيضاً تلاحظ كثرة الأخبارين في بعض الجهات مثل البحرين.. كما أن من كبار شيوخ الطائفة الأصولية الذين يمثلون الكثرة الغالبة.. محسن الحكيم، وشريعت مداري، والخوئي، والخميني وغيرهم .

(١٥٢) وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه .

(١٥٣) انظر: العقل عند الشيعة الإمامية، رشدي عليان.

(١٥٤) انظر: حسن الأمين/ دائرة المعارف: ص ١٠٧، عز الدين/ بحر العلوم/ التقليد في الشريعة: ص ٩٢، فرج العمران/ الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ١٩.

(١٥٥) القلائد على الفرائد، حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري، مبحث حجة القطع. انظر: التقليد في الشريعة الإسلامية: ص ٩٣.

(١٥٦) التقليد: ص ٩٢، وانظر: البحراني/ الحدائق ١/١٦٩-١٧٠.

وقال صاحب «الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة»: «إني بحسب تتبعي وفحصي كتب الأصوليين والأخباريين لم أجد فرقًا بين هاتين الطائفتين إلا في بعض الأمور الجزئية التي لا توجب تشنيعًا ولا قدحًا» (١٥٧) .

فهل هم إذن وجهان لعملة واحدة؟!

ولقد حاول بعض الشيعة المعاصرين أن يخفف من وقع الكلمة السابقة حول عملهم بالأخبار وردهم للقرآن، فقال: «كيف ينكر الأخباريون وهم المسلمين دليليه الكتاب» (١٥٨)، ثم التمس لذلك مخرجًا بما ذكره شيخهم الاستراباذي من «أن القرآن ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية» (١٥٩) .. فلا يجوز فهمه والعمل به إلا بمقتضى أخبارهم (١٦٠).

فكأن نهاية القولين واحدة، لأن أخبارهم قد حرفت معاني القرآن، وصرفتها عن مدلولها - كما سيأتي – ولا سيما وهذه الطائفة لا تفرق بين صحيح الأخبار وباطلها.

أما بداية افتراق الاثني عشرية إلى: أصولية، وأخبارية فيذكر البحراني أن شيخهم محمد أمين الاستراباذي المتوفى سنة ١٠٣٣هـ »هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة.. إلى أخباري ومجتهد» (١٦١).

ومنهم من يذكر أنه أقدم من ذلك وأن الاستراباذي هو الذي جدده (١٦٢) .

هذا وقد جرى بين هاتين الفرقتين ردود ومنازعات وتكفير وتشنيع حتى إن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر (١٦٣) ، وكان من شيوخ طائفة الأخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه (١٦٤) .

وقد كفر الاستراباذي (الأخباري) بعض الأصوليين ونسبهم إلى تخريب الدين (١٦٥) - على حد تعبيره - كما نسب الكاشاني (الأخباري) صاحب الوافي - إلى أحد مصادرهم الثمانية - جمعاً من علمائهم إلى الكفر (١٦٦)..ورد عليه بعضهم بأن له من المقالات التي جرى فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة ما

---

(١٥٧) فرج العمران/ الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة ص: ٢-٣.

(١٥٨) عز الدين/ التقليد: ص ٩٣.

(١٥٩) الفوائد المدنية: ص٤٧-٤٨، التقليد ص ٩٤، الحدائق: ١٦٩/١.

(١٦٠) الفوائد المدنية: ص٤٧-٤٨، التقليد ص ٩٤، الحدائق: ١٦٩/١.

(١٦١) لؤلؤة البحرين: ص١١٧.

(١٦٢) انظر: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ٤.

(١٦٣) انظر: محمد جواد مغنية/ مع علماء النجف: ص ٧٤.

(١٦٤) محمد آل الطلقاني/ الشيخة: ص ٩.

(١٦٥) انظر: لؤلؤة البحرين/ للبحراني: ص ١١٨.

(١٦٦) انظر: لؤلؤة البحرين/ للبحراني: ص ١٢١.

يوجب الكفر كقوله بوحدة الوجود [١٦٧] ، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً كما كان أسلافهم من قبل، كما صورته جملة من رواياتهم مع أن الطائفتين كلاهما من الاثني عشرية.

أما عناصر الخلاف بين الفريقين فقد ألف في شأنها شيخهم جعفر كاشف الغطا كتاباً بعنوان: «الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخبارين» [١٦٨] أنهى فيه عناصر الخلاف إلى ثمانين، بينما نرى شيخهم البحراني يحاول أن يقلل من مسائل الخلاف بينهما فيهبط بها ليقصرها على ثمان [١٦٩] أو أقل [١٧٠] ؛ لأنه يرى أن هذا الخلاف يؤدي إلى القدح في شيوخ الطرفين وفتح باب الطعن والتشنيع على الشيعة [١٧١]. ومن بعده محسن الأمين الذي جعلها خمسًا [١٧٢] ، وصنف ثالث توسط فجعلها ثلاثاً وأربعين [١٧٣] أو أربعين [١٧٤] أو تسعاً وعشرين [١٧٥] .

والتقليل من الخلاف يعود إلى أنهم يرجعون بعض المسائل إلى بعض، أو يحكمون بأن الأمر فيه خلاف عند هؤلاء وهؤلاء، فلا يعتبر حينئذ خلافًا بين طرفين، أو أن الخلاف ليس بخلاف حقيقي كخلافهم حول الإجماع الذي يثبته الأصوليون وينكره الأخباريون، ولكن شيخهم البحراني يعتبر هذا ليس بخلاف ثابت؛ لأن الإجماع وإن ذكره المجتهدون (الأصوليون) في المكتب الأصولية وعدوه في جملة الأدلة.. إلا أنك تراهم في مقام التحقيق في الكتب الاستدلالية يناقشون في ثبوته وحصوله وينازعون في تحققه ووجود مدلوله حتى يضمحل أثره بالكلية [١٧٦] .

وليس الغرض هنا بسط مسائل الخلاف بينهم [١٧٧] وإنما الإشارة إلى انقسام الشيعة على نفسها إلى حزبين متعاديين متنازعين في أصول الاستدلال وغيرها، وإن حاول بعضهم أن يخفف من هذا، وهنا أشير إلى أن الخلاف الذي وقع بين هاتين الفرقتين من الاثني عشرية قد كشف أموراً كثيرة من حقائق المذهب بحكم ارتفاع التقية في صولة النزاع، وما كانت لتبين لو لم يكن هذا الخلاف.

---

(١٦٧) وهو البحراني/ انظر لؤلؤة البحرين: ص١٢١.

(١٦٨) طبع في طهران عام ١٣١٦هـ، انظر: الذريعة من ٣٧/٧-٣٨.

(١٦٩) انظر: عز الدين بحر العلوم/ التقليد: ص ٩٥.

(١٧٠) لأني رجعت إليها في الحدائق فلم أجده أثبت أكثر من أربعة فروق، وانظر الحدائق: ١٦٧/١وما بعدها.

(١٧١) الحدائق: ١٦٧/١.

(١٧٢) انظر: أعيان الشيعة: ٤٥٣/١٧-٤٥٨.

(١٧٣) وهو شيخهم عبد الله بن صالح البحراني في كتابه منية الممارسين، (انظر: الحدائق ١٦٧/١).

(١٧٤) وهو شيخهم عدبالله السماهيجي (انظر: روضات الجنات ٣٦/١).

(١٧٥) وهو: الخوانساري. انظر: المصدر السابق ٣٦/١ وما بعدها.

(١٧٦) الحدائق: ١٦٨/١.

(١٧٧) انظر هذه المسائل في: مقتبس الأثر للحائري: ٢٩٦/٣ وما بعدها، الخوانساري/ روضات الجنات: ٣٦/١، البحراني/ الحدائق: ١٦٧/١ وما بعدها، الكشكول: ٣٨٦/٢-٣٨٩، محمد صادق بحر العلوم/ دليل القضاء الشرعي أصوله وفروعه: ٢٢/٣-٢٦، محسن الأمين/ أعيان الشيعة: ٤٥٣/١٧-٤٥٨، عز الدين بحر العلوم/ التقليد ص: ٩٥ وما بعدها، الغريفي/ الاجتهاد والفتوى: ص ٩٩.

هذا وقد ذكر بعضهم بأن أهم النقاط التي جرى فيها الخلاف هي أربع، إحداها: تنويع الحديث إلى صحيح، وحسن، وموثق، وضعيف، حيث قرره الأصوليون ومنعه الأخباريون، والثانية: مسألة التقليد فالأصوليون لا يجوزون تقليد الميت، ولكن الأخباريين يجوزونه، وثالثها، ورابعها: الإجماع والعقل حيث قال الأصوليون بالاحتجاج بهما بعد الكتاب والسنة، ومنع ممن ذلك الأخباريون (انظر: الغريفي/ الاجتهاد والفتوى: ص ٩٩).

وإن دراسة واعية متأنية للخلف بين الطرفين لتكشف الكثير من أسرار المذهب .

## المبحث الثالث

## التحديات التي تواجه أهل السنة من قبل الرافضة

التحديات التي واجهت وتواجه أهل السنة من قبل الرافضة في مراحل التاريخ المختلفة وحقبه المتطاولة.. موضوع واسع كبير، بل موضوعات متعددة، وجوانب مختلفة تقتضي رسائل عديدة، وتستدعي جهودًا كبيرة، وإن مراجعة الأحداث التاريخية - مثلاً - التي جرت في العراق في القرن الرابع والخامس وما بعدها والتي كان للشيعة فيها دور وأثر لموضوع واسع، فيكف بدراسة ذلك في العالم الإسلامي، وإن رصد حركات الشيعة المتزايدة في الواقع المعاصر في مختلف أصقاع العالم الإسلامي وما تحدثه من آثار ليحتاج إلى دراسات ميدانية وصلات واسعة، ورحلات متعددة.

وشيء من ذلك لا يمكن تحقيقه في بحث موجز ينشر في مؤتمر. لهذه الأسباب سنكتفي بالإشارة الدالة، واللمحة المعبرة، والكلمة الموجزة، ونكتفي بالجزء عن الكل، وبالمثال الواحد مثلاً في بلد واحد وزمن واحد عن الاستقصاء والتفصيل. ولعلي أحاول أن أذكر أبرز التحديات وفق المجالات التالية حتى لا يتشعب بنا الحديث:

١-المجال العقدي والفكري.
٢- السياسي.
٣- الاجتماعي.
٤- الاقتصادي.

وهذا مجرد تقسيم لتوضيح هذه التحديات، وإلا فإنها مترابطة ومتصلة الحلقات. ذلك أن شؤم البدعة خطير على الأمة، يؤثر في جميع جوانب حياتها، ومن يدرس تاريخ هذه الأمة، والاتجاهات البدعية التي ظهرت يجد أثرها السلبي على الدولة الإسلامية كلها، استمع - مثلاً - لما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية عن أسباب سقوط الدولة الأموية يقول - رحمه الله -: «إن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل» [(١٧٨)] وغيره من الأسباب [(١٧٩)] . وقال: «وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسول صلى الله عليه وسلم انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم» [(١٨٠)] .

وهذا التفسير الإسلامي لأحداث التاريخ يخالف ما درج عليه جملة من المؤرخين الذين لا يفسرون أحداث التاريخ إلا بأسبابه مادية بحتة، وهو من العلم الذي لا يفقهه إلا أهل الإيمان.

(١٧٨) يعني الجعد بن درهم أول من أحدث مقالة التعطيل لأسماء الله وصفاته.

(١٧٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٨٢/١٣.

(١٨٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٧٧/١٣.

والرافضة لا يواجهون الأمة ظاهرًا، ولا يكشفون حقيقة اعتقادهم، ولكنهم يتلونون تلون الحرباء، ولهم وسائل ماكرة وأساليب خفية خادعة تخفى على من لا يعرف حقيقة أمرهم وطبيعة كيدهم، حتى وصفها صاحب «مختصر التحفة الاثني عشرية» بأنها كثيرة جدًّا لا تدري اليهود بعشرها[١٨١]، ولقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بكشف كثير من مكائدهم في كتابه العظيم «منهاج السنّة» ولا سيما في المجلد الأخير منه[١٨٢].

أما عملية كشف الوسائل التي يستخدمها الروافض، فقد تولى شرحها علامة الهند شاه عبدالعزيز الدهلوي[١٨٣] في كتابه «التحفة الاثني عشرية» الذي ألفه بالفارسية، ونقله إلى العربية الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي والكتاب المعرب لا يزال مخطوطاً[١٨٤] ولكن مختصره للشيخ الألوسي مطبوع ومشهور، وقد حوى جزءاً من تلك الوسائل.

وكذلك فعل – شيخ العلماء الأعلام فريد دهره ووحيد عصره – كما يصفه الألوسي[١٨٥] الشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي المكي[١٨٦]، فأماط اللثام عن كثير من تلك الوسائل والمعابر التي يتقنع بها الروافض، وذلك في كتابه «الصواقع المحرقة»، وقد اختصره الشيخ محمود الألوسي وسماه «السيوف المشرقة في مختصر الصواقع المحرقة»، والشيخ السويدي -رحمه الله- قد كشف أيضًا مجموعة من تلك المحاولات الرافضية في رسالة له بعنوان «نقض عقائد الشيعة» لا تزال مخطوطة لم تطبع[١٨٧].

والموضوع بحاجة إلى دراسة وعناية ولا يكفي هذا الحيز له، وحسبنا أن نشير إلى شيء من وسائلهم ونؤكد في البداية على أهمية الدراسة الواعية المستوفية لهذه المسألة وإبراز هذه الوسائل بالأرقام والوقائع، وذلك لمواجهة مسيرة المكر الباطني والكيد الرافضي .

**أولا: المجال العقدي والفكري**

وهو موضوع واسع كبير، نشير فيما يلي إلى بعض معالمه:

**١- إحداث الشرك في أمة محمد ﷺ:**

لقد كان لعقيدتهم في الإمامة والإمام الأثر الواضح في إحداث "الشرك" و"الشركيات في العالم الإسلامي"، بل قرر طائفة من أهل العلم أن الشيعة هم أول من أحدث الشرك وعبادة القبور في الأمة

---

(١٨١) «مختصر التحفة الاثني عشرية»: ص ٢٥.

(١٨٢) من الطبعة الأميرية سنة ١٣٢٢هـ.

(١٨٣) هو: عبدالعزيز بن أحمد (ولي الله) بن عبدالرحيم العمري الفاروقي الملقب سراج الهند، توفي عام ١٢٣٩هـ ومن مؤلفاته، «فتح العزيز» في التفسير ولم يتمه و«بستان المحدثين» و«التحفة الاثني عشرية»، انظر: «الأعلام»: (جـ٤/ ص ١٣٨).

(١٨٤) يوجد منه نسخة في مكتبة "الأوقاف" ببغداد برقم (٥٠٣٥)، وأخرى برقم (٦٨١٢)، انظر فهرس مكتبة الأوقاف ببغداد.

(١٨٥) مقدمة «السيوف المشرقة» (مخطوط).

(١٨٦) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر العربية.

(١٨٧) يوجد منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (١٣٧٨٥/١) مجاميع.

المحمدية، فقد تحول غلو الشيعة في أئمتها إلى غلو في قبورها، ووضعوا روايات لمساندة مسيرتهم الوثنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً. فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد» [(١٨٨)] .

واليوم أصبحت مشاهد الشيعة ومزاراتها موطنًا للشرك، وعبادة غير الله سبحانه.. وتحدث الكثير ممن زار ديار الشيعة عن هذه المظاهر الشوكية، وقد سرى هذا "البلاء" إلى بعض ديار السنة. والرافضة هم الأصل فيه، وكتبهم تشهد له وتؤيده.

ولا حاجة بنا إلى استعراض أسماء المشاهد وأماكنها، وصور ما يجري فيها لشهرة ذلك وذيوعه.

**٢- الصد عن دين الله:**

كان الاتجاه الرافضي - بكل شذوذه وضلالاته التي مرَّ ذكرها - ولا يزال مصحوباً بدعاية كبيرة من شيوخ الروافض الذين يبحثون عن تكثير سوادهم بأي وسيلة.

وكانت هذه الدعاية مرتكزة على أكذوبة كبرى أتقن الشيعة اللعب فيها وخداع أتباعهم، والجهلة من أتباع المسلمين بها.. هذه الأكذوبة تقول بأن شذوذ الشيعة هذا مؤيد بروايات عند أهل السنة.. ولذلك يكثر قولهم: لا خلاف بين السنة والشيعة من هذا المنطلق.

وما أكثر ما نقرأ في كتبهم مثل هذا الاتجاه في الاستدلال والاحتجاج من طريق من يسمونهم بالعامة [(١٨٩)] .

وهذه "الأكذوبة" قد انخدع بها من أزاغ الله قلبه فظن أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون ورأوا ذلك فاسداً في العقل فخرجوا من الإسلام إلى مهاوي الإلحاد والزندقة، ولهذا كان غلاتهم طاعنين في دين الإسلام بالكلية باليد واللسان كالخرمية [(١٩٠)] أتباع بابك الخرمي، وقرامطة [(١٩١)] البحرين أتباع أبي سعيد الجنابي وغيرهم [(١٩٢)] .

---

(١٨٨) انظر: الرد على الأخنائي: ص٤٧.

(١٨٩) لا يخلو - غالباً – كتاب من كتبهم المتأخرة والمعاصرة من هذا الأسلوب، ومن أشدها غلواً وأعظمها كذباً كتاب «غاية المرام» وهو كله قائم على هذا المسلك، وهو بكذبه الجلي الواضح عار على الشيعة إلى الأبد ، ومع ذلك يعده أحد مراجعهم في هذا العصر موضع الفخر (محسن العاملي/ الشيعة: ص١٢٤، وانظر: ملحق الوثائق والنصوص من رسالة فكرة التقريب).

(١٩٠) الخرمية: فرقتان: فرقة منهم كانوا قبل دولة الإسلام وهم أتباع مزدك الإباحي دعاة الاشتراك في الأموال والأبضاع، الذين أفسدوا بلاد الفرس فقضى عليهم أنو شروان الملك الساساني الملقب بالعادل والذي توفي قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والفرقة الثانية من الخرمية ظهروا في دولة الإسلام كالبابكية أتباع بابك الخرمي الذي ظهر بناحية أذربيجان، وكثر أتباعه، وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه إسحاق وصالب "بسر من رأى" في أيام المعتصم سنة ٢٢٣هـ.

ولاشك في أن إظهار بدعة الرفض على أنها الإسلام هو من أعظم أسباب الصد عن سبيل الله، إذ كيف يقبل عاقل خرافة الغيبة والرجعة والطعن في الصحابة والتأويلات الباطنية؟!

ولا يبعد اليوم أن إقامة دولة الآيات في إيران وسيلة لهذا الغرض لمواجهة تطلعات المسلمين لعودة الخلافة ووحدة الأمة، وللحد من انتشار مظاهر الصحوة الإسلامية في العالم.. فإن إقامة دولة تشوه الإسلام، وتعطي صورة مخالفة لتطلعات المسلمين وآمالهم من شأنه أن يحبط الآمال ويطفئ وقدة التطلعات وشعلة الحماس في شباب المسلمين.

والمستعمر الكافر معنيّ بمعرفة هذه الاتجاهات البدعية.. على يد ثلة ممن يسمون "بالمستشرقين" والذين يعمل معظمهم كمستشارين في وزارات الخارجية، وبالتالي فإن سياسات الدول الكبرى تتخذ منهجها من تقارير المستشرقين المبنية على دراسة تاريخية وطائفية لأمة الإسلام.. والمستعمر الكافر لم ينس تاريخه معنا، كما شهدت بذلك مواقفة وأقوال بعض قادته، وكما كشف ذلك بعض الأوربيين الذين دخلوا في الإسلام كالأستاذ محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق" [(١٩٣)] .

وسواء كان قيام دولة الآيات، أو تصاعد المد الشيعي في العالم الإسلامي مقصوداً للعدو الكافر أو غير مقصود فإنه بلا شك له آثاره في الصد عن سبيل الله، وظهور الزندقة المقنعة التي ينخدع بها المسلمون، وهذا هو الداء الأكبر، وهذا ما يتضح بالمسألة التالية:

### ٣- ظهور فرق الزندقة والإلحاد:

---

ولا شك في أن الخرمية الذين ظهروا في الإسلام هم امتداد للديانة الفارسية القديمة "المزدكية" الأولى، وهم الذين زادوا في انحراف التشيع، ولذلك قال النوبختي الشيعي: ومنهم كان بدء الغلو في القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وإنهم أنبياء وإنهم رسل، وقالوا بالتناسخ وإبطال القيامة، (انظر: النوبختي/ فرق الشيعة ص٣٦، ابن النديم/ الفهرست: ص٣٤٢-٣٤٤، الإسفراييني/ التبصير في الدين: ص٧٩-٨٠، الملطي/ التنبيه والرد: ص٢٢، الغزالي/ فضائح الباطنية: ص١٤ وما بعدها).

(١٩١) القرامطة: إحدى فرق الإسماعيلية التي سبق التعريف بها ص: ٩٧. وهم يسمون بالقرامطة نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في بداية أمرهم (فضائح الباطنية: ص١٢).

(١٩٢) انظر: منهاج السنة: ١١٤/١.

(١٩٣) وقد تحدث عن ذلك في فصل بعنوان "شبح الحروب الصليبية" وقال: "إن الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوربة من الإسلام لبضعة قرن تتلو" (الإسلام على مفترق الطرق: ص٥٥). وقال: "لقد استفادت أوربا أكثر مما استفاد العالم الإسلامي منها، ولكنها لم تعترف بهذا الجميل وذلك بأن تنقص من بغضائها للإسلام، بل كان الأمر على العكس، فإن تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة، ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذكرت كلمة مسلم. ولقد دخلت في الأمثال السائرة عندهم حتى نزلت في قلب كل أوربي رجلاً أو امرأة". (المصدر السابق: ص٥٩-٦٠).

ويقول بأن هذه المشاعر العدائية ظلت حية بعد جميع أدوار التبادل الثقافي واستمرت في تطور رغم أن الشعور الديني الذي كان سبب هذا العداء قد أخلى مكانه. ويقول بأن هذا ليس بغريب إذ إنه من المقرر في علم النفس أن الإنسان قد يفقد جميع الاعتقادات الدينية في تلقنها في أثناء طفولته، بينما تظل عنده بعض الخرافات الخاصة تتحدى كل تعليل عقلي (المصدر السابق: ص٦٠-٦١).

وأقول: إن مقررات علم النفس هذه إنما تنطبق على أديان أوروبا لا دين الفطرة دين الإسلام.

يذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - أن مبدأ ضلال الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الزنادقة الملاحدة المنافقين تصديق الرافضة في أكاذيبهم التي يذكرونها في تفسير القرآن والحديث [(١٩٤)] .

وكان أئمة العبيديين إنما يقيمون مبدأ دعواهم بالأكاذيب التي اختلقتها الرافضة ليستجيب لهم بذلك الشيعة الضلال، ثم ينقلون الرجل من القدح في الصحابة إلى القدح في علي ثم في الإلهية كما رتبه لهم صاحب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم، ولهذا كان الرفض أعظم باب ودهليز إلى الكفر والإلحاد [(١٩٥)] .

«فالرافضة هم الباب لهؤلاء الملحدين منهم يدخلون إلى سائر أصناف الإلحاد في أسماء الله، وآيات كتابه المبين، كما قرر ذلك رؤوس الملاحدة من القرامطة والباطنية وغيرهم من المنافقين» [(١٩٦)] .

بل إن روايات الاثني عشرية وأحاديثها التي يزعمون تلقيها عن آل البيت هي المناخ الملائم، والتربة الصالحة لظهور الأفكار الغالية وخروج الفرق الملحدة، لأنها جمعت "حثالة" آراء وأقوال الفرق الشيعية الشاذة بمختلف اتجاهاتها، والتي فرقت الأمة وأفسدت عليها أمرها، والتي وصلتنا أقوالها بواسطة كتب الفرق والمقالات، ثم وجدنا روايات الاثني عشرية تشهد لهذه الاتجاهات وتؤيدها.

ومن هنا انبثق من الاثني عشرية فرق كثيرة اشتهر غلوها وكفرها كالشيخية والكشفية والبابية والبهائية وغيرها، وقد قال صاحب المنتقى بأن «الرفض مأوى شر الطوائف...» [(١٩٧)] .

ثم ذكر جملة من فرق الزندقة والإلحاد الذين يعيشون تحت مظلة الرفض، ولذا قال الغزالي: «إن مذهب الباطنية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض» [(١٩٨)] .

فهم كفرة يتظاهرون بالتشيع.. ويبدو أن هؤلاء يشكلون السواد الأعظم منهم حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «كثيرًا من أئمة الرافضة وعامتهم زنادقة وملاحدة ليس لهم غرض في العلم ولا في الدين» [(١٩٩)] .

فجو التشيع مناخ خصب لمختلف النحل والأهواء، وقد سجل محب الدين الخطيب أن التشيع كان عاملاً من عوامل انتشار الشيوعية والبهائية في إيران [(٢٠٠)] .

**٤- محاولة إضلال المسلمين في سنة نبيهم:**

ومن التحدي الرافضي أن طائفة منهم اندسوا في رجال الحديث وحاولوا إدخال بعض الروايات التي تخدم التشيع.. حتى وُجدت مادة من هذه اللون في معاجم أهل السنة ودواوين الحديث عندهم، لكن

(١٩٤) منهاج السنة: ٣/٤.

(١٩٥) منهاج السنة: ٣/٤.

(١٩٦) منهاج السنة: ٣/١.

(١٩٧) انظر: المنتقى: ص٧٧.

(١٩٨) فضائح الباطنية: ص٣٧.

(١٩٩) منهاج السنة: ٧٠/٤.

(٢٠٠) الخطوط العريضة: ص٤٤-٤٥.

تنبه لذلك رجال الحديث فبينوا الحق وكشفوا الكيد الرافضي، وقد بين الشيخ السويدي هذا الأثر الذي تركه هؤلاء الروافض حينما قال: «إن بعض علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين وحفظوا أسانيد أهل السنة الصحيحة، وتحلوا في الظاهر بحلي التقوى والورع بحيث كانوا يعدون من محدثي أهل السنة، فكانوا يروون الأحاديث صحاحاً وحساناً، ثم أدرجوا في تلك الأحاديث موضوعات مطابقة لمذهبهم، وقد ضل بذلك كثير من خواص أهل السنة، فضلاً عن العوام ولكن قيض الله - بفضله - أئمة الحديث فأدركوا الموضوعات فنصوا على وضعها فتبين حالها حينئذ والحمد لله على ذلك.

وقد أقرت طائفة منهم بالوضع بعدما انكشف حالهم»، ثم قال السويدي: «وتلك الأحاديث الموضوعة إلى الآن موجودة في المعاجم والمصنفات وقد تمسك بها أكثر التفضيلية [٢٠١] والمتشيعة» [٢٠٢].

ويقول الألوسي بأن ممن يستخدم هذه الوسيلة جابر الجعفي [٢٠٣]، وذكر ابن القيم أن الحافظ أبا يعلى قال في كتابه الإرشاد: «وضعت الرافضة من فضائل علي رضي الله عنه وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث»، وعقب على ذلك ابن القيم بقوله: «ولا نستبعد هذا؛ فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال» [٢٠٤].

دخولهم في مذهب أهل السنة - في الظاهر - للإضلال:

ومن الآثار الفكرية التي تركها الكيد الرافضي هو ما وقع بسبب قيام طائفة من شيوخهم بالدخول في مذهب أهل السنة في الظاهر وتلقبوا بالحنفي والشافعي زيادة في الإضلال، وألفوا مصنفات تؤيد المذهب الرافضي [٢٠٥].

كما قام بعض شيوخهم المتسترين بالانتساب للسنة بابتداع بعض الأفكار المشابهة للفكر الشيعي وطرحها في الوسط الإسلامي.. ويرى الشيخ محمد أبو زهرة بأن الطوفي نجم الدين (المتوفى سنة ٧١٦هـ) قد تعمد الترويج للمذهب الشيعي بهذه الوسيلة في بحثه عن المصلحة الذي قرر فيه بأن

---

(٢٠١) التفضيلية أو المفضلة هم الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر من الزيدية وغيرهم. (انظر: التسعينية لابن تيمية: ص٤٠).

(٢٠٢) السويدي/ نقض عقائد الشيعة (مخطوط غير مرقم الصفحات، وبالعد ينظر ص٢٥-٢٦، وانظر: الألوسي/ السيوف المشرقة: ص٥٠ (مخطوط)، ومختصر التحفة: ص٣٢.

(٢٠٣) السيوف المشرقة: ص٥٠.

(٢٠٤) المنار المنيف: ص١١٦.

(٢٠٥) ولهم في ذلك مسالك مختلفة كشفها صاحب التحفة الاثني عشرية: فهم قد يؤلفون كتاباً في فضائل الخلفاء الأربعة، فإذا جاءوا لذكر فضائل علي ضمنوه ما يؤيد مذهب الرفض من دعوة النص، والقدح في الصحابة (انظر: تفصيل ذلك في التحفة الاثني عشرية/ الورقة: ٤٦ مخطوط).

ويؤلفون كتاباً في فقه بعض المذاهب ينشرونها في الأوساط التي لا تعتنق هذا المذهب، ويضمنون هذا المهذب شناعات عظيمة مثل: الأخذ بالقياس مع رد الأحاديث، أو إقرار بعض الفواحش، ويشير صاحب التحفة في هذا الصدد إلى كتاب ألفوه ونسبوه للإمام مالك وهو: "المختصر" وضعوا فيه على الإمام جواز اللواط بالعبيد. (انظر: تفصيل ذلك في المصدر السابق/ الورقة ٤٥ ب).

وقد يؤلفون كتباً يزعمون فيها أنهم كانوا على مذهب أهل السنة ثم تبين لهم بطلانه فرجعوا (مثل كتابهم "لماذا اخترت مذهب الشيعة" والذي نسبوه لمن أسموه مرعي الأنطاكي). ولهم مسالك بسطها يحتاج لمؤلف مستقل.

المصلحة تقدم على النص؛ لأن هذا مسلك شيعي حيث عند الشيعة أن للإمام أن يخصص أو ينسخ النص بعد وفاة الرسول ﷺ .

فالطوفي قد أتى بالفكرة كلها، وإن لم يذكر كلمة الإمام وأبدلها بالمصلحة ليروج القول وينشر الفكرة، ثم يقرر أبو زهرة بأن الطوفي في تهوينه في شأن النص ونشر فكرة نسخه أو تخصيصه بالمصالح المرسلة قد أراد تهوين القدسية التي تعطيها الجماعة الإسلامية لنصوص الشارع [٢٠٦] .

بل إن الروافض استغلوا التشابه في أسماء بعض أعلامهم مع أعلام أهل السنة وقاموا بدس فكري رخيص يضلل الباحثين عن الحق.. حيث ينظرون في أسماء المعتبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب لأسندوا حديث رواية ذلك الشيعي أو قوله إليه.

ومن ذلك محمد بن جرير الطبري الإمام السني المشهور صاحب التفسير والتاريخ، فإنه يوافقه في هذا الاسم محمد بن جرير بن رستم الطبري من شيوخهم [٢٠٧]، وكلاهما في بغداد، وفي عصر واحد، بل كانت وفاتهما في سنة واحدة، وهي سنة (٣١٠هـ).

وقد استغل الروافض هذا التشابه فنسبوا للإمام ابن جرير بعض ما يؤيد مذهبهم مثل: كتاب المسترشد في الإمامة [٢٠٨] مع أنه لهذا الرافضي [٢٠٩] ، وهم إلى اليوم يسندون بعض الأخبار التي تؤيد مذهبهم إلى ابن جرير الطبري الإمام [٢١٠] .

ولقد ألحق صنيع الروافض هذا - أيضاً - الأذى بالإمام الطبري في حياته وقد أشار ابن كثير إلى أن بعض العوام اتهمه بالرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد [٢١١]، وقد نسب إليه كتاب عن حديث غدير خم يقع في مجلدين، ونسب إليه القول بجواز المسح على القدمين في الوضوء[٢١٢].

ويبدو أن هذه المحاولة من الروافض قد انكشف أمرها لبعض علماء السنة من قديم، فقد قال ابن كثير: ومن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيعي وإليه ينسب ذلك، وينزهون أبا جعفر من هذه الصفات [٢١٣] .

وهذا القول الذي نسبه ابن كثير لبعض أهل العلم هو عين الحقيقة كما تبين ذلك من خلال كتب التراجم، ومن خلال آثارهما، وأين الثرى من الثريا..؟ فالفرق بين آثار الرجلين لا يقاس [٢١٤]، وعقيدة

---

(٢٠٦) انظر: ابن حنبل: ص٣٢٦، وقد ترجم أبو زهرة للطوفي، وأثبت أنه من الشيعة (المصدر السابق: ص٣٢٤-٣٢٥). وقد اعتمد أبو زهرة في حكمه على الطوفي بما جاء عنه في طبقات الحنابلة لأبي يعلى.

(٢٠٧) وله مصنفات في مذهب الرفض مثل: المسترشد في الإمامة، ونور المعجزات في مناقب الأئمة الاثني عشر (انظر في ترجمته: جامع الرواة: ٨٢/٢-٨٣، بحار الأنوار: ١٧٧/١، تنقيح المقال: ٩١/٢، وانظر: ابن حجر/ لسان الميزان: ١٠٣/٥).

(٢٠٨) انظر: ابن النديم/ الفهرست: ص٣٣٥.

(٢٠٩) انظر: طبقات أعلام الشيعة في المائة الرابعة: ص٢٥٢، ابن شهراشوب/ معالم العلماء: ص١٠٦.

(٢١٠) انظر: الأميني النجفي/ الغدير: ٢١٤/١-٢١٦.

(٢١١) انظر: البداية والنهاية: ١٤٦/١١.

(٢١٢) انظر: البداية والنهاية: ١٤٦/١١.

(٢١٣) انظر: البداية والنهاية: ١٤٦/١١.

الإمام ابن جرير لا تلتقي مع الرفض بوجه [٢١٥] ، فهو أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وهناك رافضي آخر يدعى بأبي جعفر الطبري [٢١٦]، وهو غير الأول، وإن كان الأستاذ فؤاد سزكين قد خلط بينهما [٢١٧] رغم أنه يفصلهما عن بعض أكثر من قرنين، وقد نشرت - لهذا الرافضي الأخير - جريدة المدينة المنورة حكاية موضوعة بعنوان: «عقد الزهراء» وما كانت لتأخذ طريقها للنشر لولا استغلال الروافض للتشابه في الأسماء [٢١٨] .

ومثل ابن جرير آخرون [٢١٩] ، والمقام لا يحتمل البسط، فإن هذا الأمر يستحق دراسة خاصة.

**٥- نشر الرفض في العالم الإسلامي:**

مما يبين مدى الأثر الرافضي في نشر عقائدهم في أوساط المسلمين ما سجل في نصوصهم القديمة من أنه لم يقبل فكرتهم إلا أهل مدينة واحدة هي الكوفة.

قال أبو عبد الله: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة» [٢٢٠] .

فالتشيع لم يجد موطناً في بلاد الإسلام إلا في الكوفة لبعدها عن العلم وأهله، وهذا من آثار ابن سبأ، فقد كان له نشاط مبكر في الكوفة، وما غادرها حتى ترك فيها خلية تعمل على نهجه[٢٢١].

---

(٢١٤) انظر أيضاً في التفرقة بين الرجلين مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد التاسع: ص٣٤٥.

(٢١٥) انظر - مثلاً - جزء في الاعتقاد لابن جرير الطبري: ص٦-٧.

(٢١٦) وهو أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن علي الطبري، من علماء الإمامية في القرن السادس (انظر: طبقات أعلام الشيعة (في القرن السادس) ص٢٤٢، ٢٧٨).

(٢١٧) فنسب كتاب بشارة المصطفى للأول (ابن رستم) في حين أنه للأخير (ابن أبي القاسم) (انظر: تاريخ التراث: ٢٦٠).

(٢١٨) جريدة المدينة/ عدد (٤٦٢١) الثلاثاء ٢٤ رجب ١٣٩٩هـ، ص: ٧، اختيار محمد سالم محمد، نقلاً عن كتاب بشارة المصطفى، وكتاب "بشارة المصطفى" هذا قد تناهى في الغلو، ففيه تأويل الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر (ص٢٣٨)، وفيه قوله بأن من شك في تقديم علي وتفضيله ووجوب طاعته، وولايته محكوم بكفره وإن أظهر الإسلام (ص٥١).

(٢١٩) كابن قتيبة؛ فإنهما رجلان: أحدهما عبد الله بن قتيبة رافضي غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتاباً وسماه بالمعارف قصداً للإضلال. انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص٣٢، مختصر الصواقع ص٥١ (مخطوط)، والسويدي/ نقض عقائد الشيعة: ص٢٥ (مخطوط).

وقد احتار الباحثون في نسبة كتاب الإمامة والسياسة إلى ابن قتيبة السني لما فيه من أباطيل، وحاول بعضهم التعرف على المؤلف فلم يفلح حتى قال: «لقد حاولت كثيراً أن أتعرف على شخصية المؤلف الحقيقي لكتاب الإمامة والسياسة ولكني لم أعثر على شيء» (عبد الله عسيلان/ الإمامة والسياسة: ص٢٠).

بل قد طرح افتراض أن يكون المؤلف من أتباع الإمام مالك (المصدر السابق ص: ٢٠) رغم أن الكتاب فيه المسحة الرافضية جلية واضحة، حيث الطعن في الصحابة ودعوى أن علياً رفض بيعة أبي بكر لأنه - كما يزعم - أحق بالأمر، وقد ساق د. عبد الله عسيلان أمثلة لذلك من الكتاب المذكور (المصدر السابق: ص١٧، ١٨، ١٩)، وغاب عنه وعن الكثيرين الدسائس الرافضية، وأن ابن قتيبة رجلان، وكتاب الإمامة والسياسة هو لذلك الرافضي، بل لم أر من نبه على ذلك مع أهميته.

(٢٢٠) بحار الأنوار: ٢٠٩/٦٠، ٢٥٩/١٠٠، وعزاه إلى بصائر الدرجات.

(٢٢١) انظر: سليمان العودة/ عبد الله بن سبأ: ص٤٩.

وقد لاحظ شيخ الكوفة وعالمها أبو إسحاق السبيعي ت١٢٧هـ التغير الذي طرأ على هذه البلدة، فقد غادر الكوفة وهم على السنة، لا يشك أحد منهم في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، ولكنه حينما عاد إليها وجد فيها ما ينكر من القول بالرفض .

ثم ما لبث أن سرى داء الرفض إلى العالم الإسلامي حتى يذكر بعض الباحثين بأن الشيعة يشكلون عشرة في المائة من مجموع المسلمين اليوم [٢٢٢] .

ودعاة التشيع في العصر يشكون خلايا سرية نشطة تسرح في العالم الإسلامي لنشر الرفض بموجب خطة مدروسة، وتموين مالي من الحوزات العلمية التي تستمد رصيدها المالي من عرق وجهد أولئك الأتباع الأغرار الذين خدرت أفكارهم، وشحنت عواطفهم بتلك الدعوى الجميلة الخادعة «حب آل البيت» والتي ليس لشيوخ الشيعة نصيب منها إلا الاسم والدعوى، فاستولوا على الأموال الكبيرة باسم خمس الإمام، وهذه الخلايا السرية تتخذ شعارات أشبه ما تكون بشعارات الماسونية فهي تارة ترفع شعار «التقريب بين المذاهب الإسلامية» [٢٢٣] وأخرى باسم «جمعية أهل البيت» [٢٢٤] .

وبعد قيام دولة الآيات في إيران تحولت السفارات للحكومة الإيرانية إلى مراكز للدعوة إلى الرفض، واستغلوا المراكز الإسلامية، والمساجد ولا سيما في أيام الجمع للدعوة للاتجاه الرافضي.

وقد نشرت مجلة المجتمع تحقيقًا عما يجري من نشاط رافضي في أوربا قالت فيه: «تحولت السفارات والقنصليات الإيرانية في أوربا إلى مراكز لنشر عقيدتهم في أوساط المسلمين (لا الكفار) المقيمين في أوربا، وتؤكد ذلك عشرات بل مئات وآلاف الكتيبات والمنشورات الخاصة بالفكر الشيعي، وتوزيع هذه الكتيبات على المسلمين الأوربيين في أماكن تجمعهم وخاصة عند أبواب المساجد، أو في البريد، أو من خلال وسائل أخرى.. وحتى المراكز الثقافية والمكتبات تبدو وكأنها أقيمت من أجل نشر دعوة التشيع دعوة التشيع الإيراني بين الأقلية المسلمة في أوربا، فبالإضافة إلى ما تحتويه هذه المكتبات من كتب ونشرات حول الثورة الإيرانية ومنهجها العقائدي.. نجد أن القائمين على هذه المكتبات ينظمون دروساً وندوات تتعلق في معظمها بالقضية العقدية» .

ثم أشارت المجلة إلى أسماء بعض المكتبات في أوربا والتي تقوم بتنظيم محاضرات عقدية في فكر الثورة الإيرانية أيام الخميس والسبت من كل أسبوع، وتوزع خلال ذلك المجلات والكتيبات والتسجيلات الصوتية.. ويُدعى إلى حضور هذه المحاضرات المسلمون كوسيلة من وسائل نشر المنهج الشيعي على الطريقة الإيرانية.

كما بدأت المراكز الإيرانية بدفع بعض الشباب الذين غررت بهم وجعلتهم عملاء للمنهجية الإيرانية إلى بعض مساجد المسلمين للاتصال بالمصلين وخاصة أيام الجمع، حيث يتواجد عدد كبير من المسلمين في صلاة الجمعة.. وأشارت المجلة إلى أن هذه الاتصالات غالباً من تؤدي إلى وقوع بعض

---

(٢٢٢) روم لاندو/ الإسلام والعرب: ص٩٥.

(٢٢٣) انظر: فكرة التقريب ص٥١١.

(٢٢٤) انظر: فكرة التقريب ص٥١٤.

المصادمات والفتن داخل المسجد، وقدمت لذلك بعض الأمثلة، كما أشارت إلى أن هذه النشاطات الإيرانية بما تحدثه من فتن سيكون لها آثارها السلبية على المسلمين (٢٢٥) .

ونشاط «الروافض» متعدد الوجوه، متنوع الوسائل لا يراعى فيه مبدأ كحال أهل السنة، لأن الروافض يرون في «التقية» تسعة أعشار الدين. وقد اعترف بعض علمائهم المعاصرين من حيث لا يدري أن التقية عندهم هي - كما يقول بالحرف الواحد - «الغاية تبرر الواسطة» (٢٢٦) يعني في سبيل الغاية التي تنشدها استخدم أي وسيلة، أي هي «الميكافيلية» (٢٢٧) التي اعتمدها الذين لا دين لهم في تحقيق أهدافهم.. أما في الإسلام فإن الغاية لا تبرر ولا تبيح الوسيلة المحرمة.

ولذلك فإن وسائل الروافض لنشر مذهبهم قد اكتست بألوان من الخداع والتغرير راح ضحيتها جملة من القبائل المسلمة والأفراد المسلمين.. فقد دفعوا مجموعة من شيوخ القبائل إلى اعتناق الرفض عن طريق إغرائهم بالمتعة (٢٢٨) .

وقد قدّم الحيدري في «عنوان المجد» بيانًا خطيرًا بالقبائل السنية التي ترفضت بجهود الروافض وخداعهم فقال: «وأما العشائر العظام في العراق الذين ترفضوا من قريب فكثيرون، منهم ربيعة.. ترفضوا منذ سبعين سنة، وتميم وهي عشيرة عظيمة ترفضوا في نواحي العراق منذ ستين سنة بسبب تردد شياطين الرافضة إليهم. والخزاعل ترفضوا منذ أكثر من مائة وخمسين سنة وهي عشيرة عظيمة من بني خزاعة فحرفت وسميت خزاعل.. وعشيرة زبيد وهي كثيرة القبائل وقد ترفضت منذ ستين سنة بتردد الرافضة إليهم وعدم العلماء عندهم.

ومن العشائر المترفضة بنو عمير وهم بطن من تميم، والخزرج وهم بطن من بني مزيقيا من الأزد، وشمرطوكه وهي كثيرة، والدوار، والدفافعة.

ومن المترفضة عشائر العمارة آل محمد وهي لكثرتها لا تحصى وترفضوا من قريب، وعشيرة بني لام وهي كثيرة العدد، وعشائر الديوانية، وهم خمس عشائر: آل أقرع، آل بدير، وعفج، والجبور، وجليحة، والأقرع ست عشرة قبيلة، وكل قبيلة كثيرة العدد، وآل بدير ثلاث عشرة قبيلة وهي أيضًا كثيرة العدد، وعفج ثماني قبائل كثيرة العدد، وجليحة أربع قبائل كثيرة الأعداد، والجبور كذلك. ومن

---

(٢٢٥) انظر: مجلة المجتمع، العدد: ٧٦٠، السنة السابعة عشرة ١٥ رجب ١٤٠٦هـ.

(٢٢٦) محمد جواد مغنية/ الشيعة في الميزان: ص٤٩.

(٢٢٧) أسلوب في المعاملات يتسم بالخداع والمراوغة والغدر والأنانية مبنى على مبدأ "الغاية تبرر الواسطة" وهو ينسب إلى المفكر الإيطالي (نيكولا ماكيافلي ١٤٦٩-١٥٢٧م) رائد هذا المبدأ، والذي سجله في كتابه "الأمير" وقدمه لأحد ملوك "أوربا" في القرون الوسطى. (انظر: أحمد عطية/ القاموس السياسي: ص١١٠٥-١١٠٦).

٢٢٨ في سنة ١٣٢٦هـ كشف الشيخ العلامة محمد كامل الرافعي في رسالة أرسلها من بغداد لصديقه الشيخ رشيد رضا، ونشرتها مجلة المنار في المجلد السادس عشر، كشف أثناء سياحته في تلك الديار ما يقوم به علماء الشيعة من دعوة الأعراب إلى التشيع واستعانتهم في ذلك بإحلال متعة النكاح لمشايخ قبائلهم الذين يرغبون الاستمتاع بكثير من النساء في كل وقت.

وقد نشرت الرسالة في مجلة المنار ولم يفصح عن اسم كاتبها في أول الأمر، ثم بيّن الشيخ رشيد فيما بعد اسم كاتب الرسالة، حيث أشار إلى ذلك في المجلد (٢٩)، وقال بأننا لم ننشر اسم الكاتب حينذاك لئلا تؤذيه الحكومة الحميدية كما هو معلوم من حالها (انظر: مجلة المنار، المجلد (٢٩)، وانظر أيضاً: المجلد: الثاني ص٦٨٧).

عشائر العراق العظيمة المترفضة منذ مائة سنة فأقل عشيرة كعب وهي عشيرة عظمية ذات بطون كثيرة..» [٢٢٩] .

وهكذا مضى الحيدري على هذا المنوال يذكر قبائل أهل السنة التي اعتنقت الرفض في غفلة من أهل السنة، ولأنهم انخدعوا بأقاويل الروافض: دعونا نلتق ونتعاون، وهيا إلى الوحدة والتقارب، والمذهب الشيعي لا يعدو الخلاف بينه وبين أهل السنة الخلاف بين المذاهب السنية نفسها، فهيأ أهل السنة بسكوتهم الأرضية لشيوخ الرافضة لنشر مذهبهم، وإلا لو أعلن الحق وبُيّن لما انخدع بالرفض أحد.

وهم لا يزالون إلى اليوم ينشرون معتقدهم على كل المستويات.

ولهم اهتمامات بالاتصال ببعض رؤساء الدول الذين يتوسمون فيهم الاستجابة لمذهبهم، كما فعل قديماً ابن المطهر الحلي مع خدا [٢٣٠] بنده، وقد كان لذلك آثاره المعروفة تاريخياً، وكما فعلوا حديثاً مع الزعيم الليبي، حيث بدت من الأخير بوادر الاتجاه الرافضي في الرأي والولاء.

كما قاموا بشراء بعض أصحاب الأقلام والعقول الخاوية من الإيمان واستكتبوها للدعاية للتشيع والتقديم لكتب الشيعة [٢٣١] .

ويقومون بانتقاء الأذكياء من الطلاب والطالبات في العالم الإسلامي ويعطونهم منحاً دراسية في قم ليغسلوا أدمغتهم ويربوهم على الرفض حتى يعودا لبلدانهم ناشرين للرفض داعين له.

يقول شيخ الأزهر: «الأنباء التي تصلني من كافة أنحاء العالم الإسلامي تدل على أن هذه الحركة الإيرانية الخومينية الآن تنشر العنف، وتحاول أن تستقطب الشباب بوجه خاص في كثير من البلدان الإسلامية بالإغراءات المتعددة المالية والدراسية في إيران وغير ذلك من السبل بقصد إحداث الفرقة باستقطاب هؤلاء الشباب، ودفعهم إلى إثارة الخلافات في بلادهم وبين شعوبهم.. وأعتقد أنه على

---

(٢٢٩) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد: ص١١٢-١١٨.

(٢٣٠) خدا (بالفارسية) الله. وبنده: عبد. أي عبد الله.

وخدا بنده هو الثامن من ملوك الإيلخانية، والسادس من ذرية جنكيز خان واسمه الحقيقي الجايتو بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. قال ابن كثير: "أقام سنة على السنة، ثم تحول إلى الرفض وأقام شعائره في بلاده". (البداية والنهاية: ٧٧/١٤) ذلك أنه كان حديث عهد بدين الإسلام، ولا معرفة له بالعقيدة الإسلامية، وتاريخ الإسلام، فالتقى بابن المطهر الحلي فزين له مذهب الرافضة الباطل، فدخل فيه جميع عشائره وقبائله وأتباعه.

وقد صنف ابن المطهر تصانيف كثيرة كنهج الحق، ومنهاج الكرامة وغيرهما لدعوة السلطان المذكور، وإغرائه بالتمسك بالمذهب الرافضي.

قال ابن كثير: «وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام فأراح الله منه البلاد والعباد». وقصم عمره وهو ابن ست وثلاثين سنة. وبعدما توفي السلطان المذكور تاب انه في سنة ٧١٠هـ من الرفض ورجع عن هذه العقيدة الخبيثة بإرشاد أهل السنة، وأبعد الروافض، فهرب الحلي إلى الحلة وسائر علمائهم (انظر: التحفة الاثني عشرية/ الورقة ٤٣ "مخطوط" وتعليقات محب الدين الخطيب على المنتقى ص١٨-١٩).

(٢٣١) كما ترى ذلك في بعض كتبهم التي ترسل للعالم الإسلامي للدعاية للتشيع، ويستكتب فيها أمثال هؤلاء كما في كتاب "أصل الشيعة"، و"عقائد الإمامية" وغيرهما.

الشعوب الإسلامية أن تكون حذرة فيما تساق إليه بواسطة الخمينية أو غيرها، فهي حركة من الحركات الموفدة لتفتيت الأمة الإسلامية وبث الصراع والخلاف فيما بينها» (٢٣٢) .

ظهور اتجاه رافضي عند بعض الكتاب المنتسبين للسنة:

وظهر في كتابات بعض المفكرين من المنتسبين لأهل السنة "لوثات" من الفكر الرافضي، وبرزت كتابات لهؤلاء متأثرة بالشبهات التي يثيرها "الروافض" في أمر الإمامة والصحابة، والمطالع لما يكتبه ثلة من المفكرين والأدباء حول تاريخ صد الإسلام، أو "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" أو "مسائل الإمامة والخلافة" يدرك مدى تأثير الكيد الرافضي في تحوير الحقائق أمام هؤلاء.

وأنا لا أشك أن هناك من هذا الصنف «زمرة» مرتزقة قد أغراها بريق المال ودفعها «متاع الغرور» لتقول ما قالت، ولتكتب ما سطرت، والروافض يدفعون المال «للرموز المشهورة» حتى يكتبوا للناس ما يتفق والمذهب الرافضي ومن قديم قال بعض السلف: لو أردت أن يملؤوا داري ورِقًا وأكذب على عليٍّ لفعلوا، والله لا كذبت عليه أبدًا (٢٣٣) .

فكيف اليوم وقد كثر المال في أيديهم، وقلت الأمانة في نفوس الكثيرين وغرتهم الدنيا وغرهم بالله الغرور (٢٣٤) .

وإذا أردت مثالاً على هذا التأثر الفكري بالمنهج الرافضي فإليك ذلك: هذا د. علي سامي النشار صاحب كتاب «شهداء الإسلام في عصر النبوة» يكتب كتابًا باسم «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» ويضع فيه ما تقر به عيون الروافض فيكفر فيه بعض صحابة رسول الله ﷺ فيقول مثلاً عن معاوية رضي الله عنه: «ومهما قيل في معاوية، ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر، وبعض أهل السنة من وضعه في نسق صحابة رسول الله، فإن الرجل لم يؤمن أبدًا بالإسلام، ولقد كان يطلق نفثاته على الإسلام كثيراً ولكنه لم يستطع أكثر من هذا» (٢٣٥) .

فانظر إلى عظيم افترائه.. وهل يعهد مثل هذا القول إلا من الروافض وأشباههم.. وكيف يتفوه مسلم بهذه المقالة في صحابي جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شهد معه غزوة حنين (٢٣٦) ، وكان أمينًا عنده يكتب له الوحي، وكان متولياً على المسلمين أربعين سنة نائباً ومستقلاً يقيم معهم شعائر الإسلام (٢٣٧)؟

---

(٢٣٢) أخبار اليوم، العدد: (٢١٦٠) السنة ٤٢، السبت ١١ رجب ١٤٠٦هـ.

(٢٣٣) وهو الشعبي. انظر: السنة للإمام عبد الله بن أحمد: ٥٤٩/٢.

(٢٣٤) على حد المثل القائل: "كل إناء بما فيه ينضح" والقائل: "رمتني بدائها وانسلت" يتهم رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت محمد جواد مغنية الأستاذ محمد حسين هيكل بأنه قد حذف في الطبعة الثانية لكتابه: "حياة محمد" نصاً من نصوص مقابل ٥٠٠ جنيه. كل ذلك لأن هيكل حذف نصاً موضوعاً تبين له ضعفه فتدراكه في طبعة تالية فأول هذا الرافضي بمقتضى صنيع قومه وما يفعلون، فانظر وتعجب (انظر: محمد جواد مغنية/ الشيعة في الميزان: ص١٨ "الهامش").

(٢٣٥) نشأة الفكر الفلسفي: ١٩/٢.

(٢٣٦) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٥٨/٤.

(٢٣٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٧٢/٤.

ثم هو يفتري على أهل السنة حين يزعم أن القول بصحبة معاوية هو قول للبعض من أهل السنة، وكأن الأكثرية على مذهبه، وهذا كذب واختلاق كمسلك الروافض في الكذب، فإن إيمان معاوية رضي الله عنه ثابت بالنقل المتواتر وإجماع أهل العلم على ذلك (٢٣٨).

وقال أيضًا عن أبيه (أبي سفيان بن حرب): «ولقد كان أبو سفيان زنديقًا أي ممن يؤمنون بالمجوسية الفارسية» (٢٣٩)، مع أن أبا سفيان قد استعمله النبي ﷺ نائبًا له، وتوفي النبي ﷺ وأبو سفيان عامله في نجران، فكيف يكون زنديقًا والنبي ﷺ يأتمنه على أحوال المسلمين في العلم والعمل؟!(٢٤٠).

ويوافق أهل الرفض في قولهم بأن قلة من الصحابة كانوا يرون الحق لعلي، وأن الأمر قد نزع منه.. يقول: «وقد أحسَّ قلة من خلص الصحابة أن الأمر نزع من علي للمرة الثالثة، وأنه إذا كان الأمر قد سلب منه أولاً لكي يعطى للصاحب الأول، ثم يأخذ منه ثانياً لكي يعطى للصاحب الثاني فقد أخذ منه ثالثاً لكي يعطى لشيخ متهاوٍ متهالك لا يحسن الأمر ولا يقيم العدل يترك الأمر لبقايا قريش الضالة» (٢٤١)، وهو يقصد بهذا الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي اتفق الصحابة على خلافته.. فكأنه يزري بهم جميعًا بهذه الفرية.

ويقول عن الرافضة التي تتسمى بالاثني عشرية والتي قالت كل ما مضى من كفر وشنيعة، واستفاض ذمهم ومقتهم في كلام أئمة الإسلام. يقول: «إن الأفكار الفلسفية للشيعة الاثني عشرية هي في مجموعها إسلامية بحتة» (٢٤٢).

فانظر إلى هذه المفارقات الغريبة وتعجب (٢٤٣).

ويقول - وكأنه المتحدث أحد الروافض - بأن شيعة علي الذين أحبوه عن يقين وإيمان، وساروا في ركب الإمام وهم على إيمان مطلق بأنه الأثر الباقي لحقيقة الإسلام الكبرى، وبجانب هذا «العثمانية» و«الأموية» الذين كرهوا الإسلام أشد الكراهية، وامتلأت صدورهم بالحقد الدفين نحو رسول الله وآله وأصحابه (٢٤٤).

وبعد، فهذا مثال واحد أكتفي به، لأن هذه المسألة تستحق دراسة نقدية مستقلة.

---

(٢٣٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٧٧/٤.

(٢٣٩) نشأة الفكر الفلسفي: ٣١/٢.

(٢٤٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٥٤/٤، ٦٦/٣٥.

(٢٤١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢٢٨/١.

(٢٤٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٣/١.

(٢٤٣) حدثني د. محمد رشاد سالم - رحمه الله - أنه طرأ على حياة الرجل بسبب: علاقة مصاهرة مع زوجة كافرة مشبوهة، وسفر لأوربا بإلزام عبد الناصر، ووضع مالي سيء ما كان له أثره على فكره ونهجه، ولا يستكثر مثل هذا على من ينال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٤٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١:/٢٢٨-٢٢٩.

**٦- تشويه تاريخ المسلمين:**

للرافضة كتابات في التاريخ تعمدوا الإساءة فيها لتاريخ الأمة الإسلامية كما في روايات وأخبار الكلبي [٢٤٥] ، وأبي مخنف [٢٤٦] ، ونصر بن مزاحم المنقري [٢٤٧] ، والتي توجد حتى عند الطبري في تاريخه، لكن الطبري يذكرها مسندة لهؤلاء فيعرف أهل العلم حالها [٢٤٨] .

وكما في كتابات المسعودي في مروج الذهب، واليعقوبي في تاريخه.. وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب في حاشية العواصم إلى أن التدوين التاريخي إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع الباطنية والشعوبية المتلفعة برداء التشيع دور في طمس معالم الخير فيه وتسويد صفحاته الناصعة[٢٤٩] .

ويظهر هذا الكيد لمن تدبر كتاب العواصم من القواصم لابن العربي مع الحاشية الممتازة التي وضعها عليه العلامة محب الدين الخطيب.

لقد سوّد شيوخ الروافض آلاف الصفحات بسب أفضل قرن عرفته البشرية، وصرفوا أوقاتهم وجهودهم لتشويه تاريخ المسلمين.

وكانت هذه المادة «الرافضية» الكبيرة والتي تجدها في كتب التاريخ التي وضعها الروافض، أو شاركوا في بعض أخبارها، وتراها في كتب الحديث عندهم كالكافي، والبحار، وفي ما كتب شيوخهم في القديم كإحقاق الحق، وفي الحديث ككتاب الغدير.

هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائهة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم.

---

(٢٤٥) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، قال ابن حبان: كان الكلبي سبئياً من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا، توفي سنة ١٤٦هـ ميزان الاعتدال: ٥٥٨/٣، وانظر: ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل: ٢٧٠/٧-٢٧١، تهذيب التهذيب: ١٧٨/٩).

(٢٤٦) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي (أبو مخنف) من أهل الكوفة، قال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، توفي سنة (١٥٧هـ)، له تصانيف كثيرة منها: "الردة"، و"الجمل"، و"صفين" وغيرها.

(انظر: ميزان الاعتدال: ٤١٩/٣-٤٢٠، الأعلام للزركلي ١١٠/٦-١١١).

(٢٤٧) نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي، قال الذهبي: «رافضي جلد تركوه»، توفي سنة ٢١٢هـ، ومن كتبه: وقعة صفين، وهو مطبوع، والجمل، ومقتل الحسين.

(انظر: ميزان الاعتدال: ٢٥٣/٤، العقيلي/ الضعفاء الكبير ٣٠/٤، ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل: ٤٦٨/٨، لسان الميزان: ١٥٧/٦، الأعلام: ٣٥٠/٨).

(٢٤٨) انظر: روايات الكلبي في تاريخ الطبري: ٣٥٥/١، ٢٣٧/٢، ٢٣٨، ٢٧٢، ٣٧٠، ٤٦٥، ١٦٨/٣، ٢٧٤، ٢٨٦، ٤٢٥، ١٠٨/٤، ٣٦٨، ٤٤٩/٥، ١٠٣/٦، ٣٤٩، ٣٦٤.

وروايات أبي مخنف وهي كثيرة جداً في أكثر من ٣٠٠ موضع. وقال المستشرق بل A.Bel في دائرة المعارف الإسلامية: ٣٩٩/١: صنف (يعني أبا مخنف) ٣٢ رسالة في التاريخ، عن حوادث مختلفة وقعت في إبان القرن الأول للهجرة، وقد حفظ لنا الطبري معظمها في تاريخه، أما المصنفات التي وصلت إلينا منسوبة إليه فهي من وضع المتأخرين. (انظر: الأعلام: ١١١/٦- الهامش).

وروايات نصر بن مزاحم: ٤٥٨/٤، ٤٦٥، ٤٨٥، ٤٨٧. (انظر: فهارس الطبري التي وضعها أبو الفضل إبراهيم في ج١٠ من التاريخ).

(٢٤٩) انظر: العواصم من القواصم (الحاشية) ص:١٧٧.

وجاء ذلك الجيل المهزوم روحياً، والذي يرى في الغرب قدوته وأمثولته من المستغربين فتلقف ما كتبته الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله.. وتبنى أفكارهم ونشر شبهاتهم في ديار المسلمين.

وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافاتهم، وكان الرفض هو الأصل في هذا الشر كله.

وإن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالشيعة لهي موضوع هام يستحق الدراسة والتتبع.. ولا يمكن بحال أن نخوض غماره في هذا البحث لضيق المجال، وحسبنا أن نشير إليه وننبه عليه.

لقد بدأت استفادة العدو الكافر من شبهات الروافض وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ وقت ليس بالقريب.

ففي عصر الإمام ابن حزم ت٤٥٦هـ كان النصارى يتخذون من فرية الروافض حول كتاب الله سبحانه حجة لهم في مجادلة أهل الإسلام، وقد أجاب ابن حزم عن ذلك بكل حزم فأبان أنه لا عبرة بأقوال هذه الفئة، لأن الروافض ليسوا من المسلمين [٢٥٠] .

**٧- أثرهم في الأدب العربي:**

لم يسلم الأدب ودولة الشعر والنثر من تأثير أهل التشيع فيه، وقد ترك التشيع بصماته «السوداء» على الأدب العربي.. وقد استغل «شعراء» الشيعة وخطباؤها ما يسمى بمحن آل البيت في إثارة عواطف الناس واستجاشة مشاعرهم وإلهاب العواطف والنفوس، وتحريكها ضد الأمة ودينها.

وتلمس في بعض ما وصلنا من «أدب» بعض الاتجاهات العقدية عند الشيعة، وتلمح المبالغة في تصوير ما جرى على أهل البيت من محن، واستغلال ذلك في نشر التشيع، والطعن في الصحابة رضوان الله عليه.

وقد أجهد رواد التشيع أنفسهم في نشر الخرافات والأساطير عن أئمتهم في ثوب قصصي مثير، أو في خطبة أو في شعر مبالغ في الغلو في مدح الأئمة.

ولقد تأثرت عقائد العامة وتصوراتهم، حتى أثر ذلك على عقيدة التوحيد عندهم فاتخذوا من الأئمة أرباباً من دون الله.

يقول الأستاذ محمد سيد كيلاني: «فترى أن التشيع قد أخرج لوناً من الأدب كان سبباً في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط، وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين» [٢٥١] .

(٢٥٠) الفصل: ٢/٢١٣.

(٢٥١) أثر التشيع في الأدب العربي/ محمد سيد كيلاني: ص٤٣، دار الكتاب العربي بمصر.

ويكفي هذا مطالعة القصيدة المشهورة والمعتمدة عندهم وهي «القصيدة الأزرية» [٢٥٢].

كما اتخذوا من حرفة الأدب وسيلة للنيل من الأمة بالإساءة لسمعة خلفائها، وتشويه صورة المجتمع المسلم، حيث نجد تضخيم الجانب الهزلي والمنحرف والضال في المجتمع، بل تصوير المجتمع وخليفته بصورة هابطة كما فعلوا مع الخليفة هارون الرشيد وأخباره مع أبي نواس، وهو الخليفة الذي يغزو عاماً ويحج عاماً، كما وجدوا في الأدب متنفساً لهم، حيث ترتفع التقية في جو العاطفة والخيال.. فيصبوا أحقادهم وكرههم للخليفة والأمة في قصة أو شعر أو مثل أو خطبة.. ويكفي كمثال على ذلك كله الاطلاع على كتاب الأغاني للرافضي أبي الفرج الأصفهاني.

**ثانيًا: المجال السياسي**

الشيعة - كما تؤكد أصولهم - لا يؤمنون بشرعية أي دولة في العالم الإسلامي، ويرون أن الخليفة على العالم الإسلامي طاغوت، ودولته غير شرعية، ولا يستثنون من ذلك إلا خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخلافة الحسن، ويقولون في رواياتهم: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت» [٢٥٣].

ولهذا وجد العدو المتربص بالأمة المسلمة ضالته المنشودة في الشيعة، وحقق الكثير من أغراضه بواسطتها، لوجود هذه العقيدة التي من ثمارها فقدان الولاء والطاعة، وإضمار العداء والكراهية للأمير والمأمورين من المسلمين.

ولذا كانت الزمر الرافضية أداة مطيعة بيد العدو، ومركباً ذلولاً سخره للوصول إلى مآربه.

وكانت عقيدة التقية تيسر للعناصر الشيعية إحكام الخطط، وترتيب المؤامرات، فهم أشبه ما يكونون بخلية سرية ماسونية تلبس للأمة المسلمة رداء الإسلام، وترتدي ثوب المودة والطاعة لإمام المسلمين في الظاهر، وتعمل على الكيد له وللأمة في الباطن، فقد قالوا: «خالطوهم بالبرانية وظاهروهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية» [٢٥٤].

ولقد كان الشيعة في مختلف فترات التاريخ موضع استغلال من الملحدين يسخرونهم في خدمة أغراضهم وتنفيذ مخططاتهم، وقد انضم رؤوس الزنادقة إلى ركب التشيع حتى يمكنهم الاستفادة من

---

(٢٥٢) وتسمى القصيدة الهائية لشيخهم محمد كاظم الأزري المتوفى سنة ١٢١١هـ (الذريعة: ١٣٥/١٧)، وللأستاذ محمود الملاح نقد لهذه القصيدة سماه "الرزية في القصيدة الأزرية" ذكر أنه قدم لها شيخهم محمد رضا المظفر، وقال - نقلاً عن المظفر -: إن شيخهم صاحب الجواهر (وهو محمد بن حسن بن باقر النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، والجواهر هو شرح "شرائع الإسلام" من كتبهم المعتمدة في الفقه. انظر: محمد جواد مغنية/ مقدمته لـ "شرائع الإسلام") كان يتمنى أن تكتب في ديوان أعماله "القصيدة الأزرية" مكان كتابه "جواهر الكلام" ثم ذكر بعض أبياتها وهي تعج بالكفر الصريح، كقوله عن علي:

وهو الآية في المحيط في الكون ففي عين كل شيء تراها

وقوله:

كل ما في القضاء من كائنات أنت مولى بقائها وفناها

(انظر: الرزية في القصيدة الأزرية: ص٣٣-٣٥).

(٢٥٣) انظر: الغيبة للنعماني، باب في أن كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت، ص٧.

(٢٥٤) أصول الكافي: ٢٢٠/٢، و"البرانية" هي العلانية، و"الجوانية" هي السر والباطني. (هامش الكافي: ٢٢٠/٢-٢٢١).

أولئك الرعاع، ولذا ذكر شيخ الإسلام «أن أكثر معتنقي التشيع لا يعتقدون دين الإسلام، إنما يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة وجهلهم ليتوسلوا بهم إلى أغراضهم»[(٢٥٥)].

وقد شهدت الوقائع والأحداث أن التشيع كان مأوى لكل من يريد الكيد للإسلام وأهله.

لقد وجدت طوائف من الفرس الذين قضى المسلمون على دولتهم في سبع نسين في التشيع ضالتهم المنشودة، كذلك وجد يهود الفرصة سانحة لتحقيق أهدافهم عن طريق التشيع.

وإلى اليوم يتستر بالتشيع أعداء الإسلام والمتآمرين على أهله.. وقد برزت أثناء الخلاف بين الفصائل الشيعية المنبثقة من الاثني عشرية «اعترافات» من القوم أنفسهم تصدق هذا القول.. فقد نقل أحد الباحثين الشيعة بأن السفير الروسي في إيران - كنياز دكوركي كان يحضر دروس شيخهم الرشتي[(٢٥٦)] صاحب الكشفية إحدى فرق الاثني عشرية والتي يلقبها في كربلاء باسم مستعار هو «الشيخ عيسى اللنكراني» وقد كشفت ذلك مجلة الشرق التي أصدرتها وزارة الخارجية الروسية (السوفياتية) لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥م[(٢٥٧)].

كم كان الجنرال الانكليزي المتقاعد جعيفر عليخان (ويبدو أنه اتخذ هذا الاسم للتمويه) كان يتزيا بالزي الشيعي ويحضر هو الآخر دروس كاظم الرشتي[(٢٥٨)].

ويعلل الباحث الشيعي هذه الظاهرة بأن الأعداء كانوا على علم مسبق بأن سكان هذين القطرين - العراق وإيران - من المحبين لأهل البيت فجاءوهم من الناحية العقائدية[(٢٥٩)].. فأشاعوا بينهم - كما يقول - من خلال المذهب الكشفي الغلو في الأئمة وجعلهم شركاء لله في خلقه ورزقه.. ونفي العقاب عن كل مرتكتب معصية صغيرة كانت أو كبيرة[(٢٦٠)].

ثم يقول: «وهكذا وجد الاستعمار في هذه الديار العربية المسلمة أرضاً خصبة لغرس شجرة العقيدة الحنظلية»[(٢٦١)].

وأقول: ومن قبل كان للاتجاه الصفوي دوره الخطير في بذر أصول الغلو على يد ثلة من شيوخ السوء أمثال المجلسي والجزائري والكاشاني وغيرهم.

وهذا العدو الذي لبس ثوب التشيع زروا، واندس في صفوف الشيعة قد يجد المكانة الرفيعة بينهم، كيف وعقيدتهم في الإجماع تجعل لقول الفئة المجهولة، ورأي الشخص المجهول الأحقية على غيره على احتمال أن يكون هذا المجهول هو المهدي[٢٦٢].

---

(٢٥٥) انظر: منهاج السنة: ٤٨/٢.

(٢٥٦) انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي: ٦٧/٦، وانظر: أحسن الوديعة: ٧٢/١.

(٢٥٧) انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٣.

(٢٥٨) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٣.

(٢٥٩) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٣.

(٢٦٠) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٤.

(٢٦١) انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٤.

هذا ومن يتتبع أحداث التاريخ وملاحمه يرى أن معول مدعي التشيع كان من أخطر المعاول التي أتت على الدولة الإسلامية من أطرافها، ذلك أنهم مع المسلمين في الظاهر، وهم من أعظم الأعداء لهم في الباطن، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة، ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كان من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة» (٢٦٣) .

ولأنهم يرون أن المسلمين أكفر من اليهود والنصارى، فهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين، ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين وسادات المتقين ٢٦٤ .

وقال شيخ الإسلام: «فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين» (٢٦٥) .

فقد شهد الناس أنه لما دخل هولاكوا ملك الكفار الترك الشام سنة ٦٥٨هـ كانت الرافضة الذين كانوا بالشام من أعظم الناس أنصاراً وأعواناً على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين، وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكو إلى العراق وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله، فكان وزير الخليفة ابن العلقمي والرافضة هم بطانته الذين عاونوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها (٢٦٦) .

وقبل ذلك كانت إعانتهم لجد هولاكو هو جنكيز خان، فإن الرافضة أعانته على المسلمين.

وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى يناصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى إنهم لما انكسر المسلمون سنة غازان (٢٦٧) سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد، وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية

---

(٢٦٢) وهو لا يعدم حينئذ شيئاً من شهواته التي كان يمارسها قبل دخوله في الاتجاه الشيعي، فالشهوات الجنسية تتحقق له عن طريق المتعة وعارية الفرج واللواط بالنساء المقررة في شرعتهم.

والتكاليف الشريعة قد تخف بجمع الصلوات.. وقد تسقط بحب آل البيت.

والجهاد معطل حتى يخرج المنتظر فلا خوف على النفس ، وإن وصل إلى مرحلة الآية والحجة والمرجعية فالذهب الرنان يبذل تحت قديمه باسم الخمس.

و"البابوية" أو التقديس والتعظيم يناله باسم النيابة عن المنتظر.

فماذا يضيره حينئذ أن يندس في صفوفهم، ويعمل لقومه بين ظرانيهم متستراً بزي رجال الدين المتوشحين بالسواد عندهم، وقد ينتسب إلى العترة ليجد الحظوة.

(٢٦٣) منهاج السنة: ٢٤٣/٣.

(٢٦٤) منهاج السنة: ١١٠/٤.

(٢٦٥) منهاج السنة: ٣٨/٣.

(٢٦٦) وسيأتي تفصيل بعض أحداثها في آخر هذا المبحث.

(٢٦٧) هو أخو خدابنده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في: البداية والنهاية لابن كثير: ٦/١٤.

الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى بقبرص وغيرها، فهذا وأمثاله قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه [(٢٦٨)] .

وقال: «وكذلك كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم» [(٢٦٩)] .

والحديث في هذا الباب ممتد، وقد حفلت كتب التاريخ بتصوير أحداثه المريرة.

وإذا كان هذا تأثير الشيعة الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية، فإن تأثير دول الشيعة التي قامت أشد، ولهذا قال شيخ الإسلام عن دولة بني بويه [(٢٧٠)] بأن هذه الدولة قد انتظمت أصناف المذاهب المذمومة: قوم منهم زنادقة، وفيهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة، ومعتزلة، ورافضة.

وقد حصل لأهل الإسلام والسنة في أيامهم من الوهن ما لم يعرف، حتى استولى النصارى على ثغور الإسلام، وانتشرت القرامطة في أرض مصر والمغرب والمشرق وغير ذلك، وجرت حوادث كثيرة [(٢٧١)].

وقال عن دولة خدا بنده: «وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدا بنده الذي صنف له هذا الكتاب [(٢٧٢)] كيف ظهر فيهم من الشر الذي لو دام وقوي أبطلوا به عامة شرائع الإسلام لكن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» [(٢٧٣)] ، وكذلك كان الأمر أشد في الدولة الصفوية من بعد شيخ الإسلام.

وإلى اليوم يجري الأثر الرافضي في أرض المسلمين فساداً من دولة الآيات في إيران، ومن منظماتهم في لبنان [(٢٧٤)] ، وفي خلاياهم في دول الخليج وغيرها.

ويذكر إحسان إلهي ظهير أن انفصال باكستان الشرقية كان وراءه الكيد الرافضي، حيث قال: «وهاهي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة يحيى خان في أيدي الهندوس» [(٢٧٥)] .

وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية [(٢٧٦)] ؛ لأنها تحد من شهواتهم التي يمارسونها باسم المتعة، وتعاقبهم على جرائمهم التي يستسهلون ارتكابها بحجة أن حب علي لا تضر معه سيئة.

---

(٢٦٨) منهاج السنة: ٢٤٤/٣، وانظر: ص٣٨-٣٩من نفس الجزء، وانظر: ج٤ ص١١٠-١١١، والمنتقى: ص ٣٢٩-٣٣٢، وتعليقات محب الدين الخطيب في هذا الموضوع.

(٢٦٩) منهج السنة: ١١٠/٤.

(٢٧٠) وقد ظهرت في العراق وقسم من إيران سنة ٣٣٤، وانقرضت سنة ٤٣٧هـ، والاثنا عشرية تعدها من دولها. (انظر: الشيعة في التاريخ ص٩٨، والشيعة في الميزان: ص١٣٨-١٤٨).

(٢٧١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٢/٤.

(٢٧٢) يعني كتاب «منهاج الكرامة» الذي وضعه ابن المطهر الحلي ورد عليه شيخ الإسلام في منهاج السنة.

(٢٧٣) منهاج السنة: ٢٤٤/٣.

(٢٧٤) انظر: أمل والمخيمات الفلسطينية للدكتور محمد الغريب.

(٢٧٥) الشيعة والسنة: ص١١.

وبعد.. هذه إشارات لقضايا كبيرة، شرحها ودراستها يحتاج لمؤلفات. وحسبي أن أختار مثالين منها للوقوف عندها قليلاً لأخذ العبرة:

الأول: يتصل بتأثير الشيعة داخل الدولة الإسلامية، وسأتوقف عند حادثة ابن العلقمي وتآمره لإسقاط الدولة الإسلامية.

والثاني: في تأثير دول الشيعة على المسلمين، وسأتوقف عند الدولة الصفوية.

**مؤامرة ابن العلقمي الرافضي:**

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم، وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد دولة الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس.. حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين، وضعفتهم:

قال ابن كثير: «وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في أخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف» (٢٧٧).

المرحلة الثانية: مكاتبة التتار: يقول ابن كثير: «ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال» (٢٧٨) .

المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس:

فقد نهى العامة عن قتالهم (٢٧٩) وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والأمراء والأعيان.. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومعن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتر. وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم على المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه

---

(٢٧٦) انظر: مظالم الشيعة: ص ٩-١٠، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية لأنها ستكون على مذهب أهل السنة. (الأنباء الكويتية في ١٩٧٩/٥/١م).

(٢٧٧) البداية والنهاية: ٢٠٢/١٣.

(٢٧٨) البداية والنهاية: ٢٠٢/١٣.

(٢٧٩) منهاج السنة: ٣٨/٣.

قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الدين الطوسي [٢٨٠].

ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي [٢٨١].

وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير في الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون موالياً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين [٢٨٢]؟

وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد [٢٨٣].

وكان هدف ابن العلقمي «أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يعطل المساجد والمدارس، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بهذا مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شعور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده»[٢٨٤].

فتأمل هذه الحادثة الكبرى والخيانة العظمى، واعتبر بطيبة بعض أهل السنة إلى حد الغفلة بتقريب أعدى أعدائهم، وعظيم حقد هؤلاء الروافض وغلهم على أهل السنة، فهذا الرافضي كان وزيراً للمستعصم أربع عشرة سنة، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة ما لم يحصل لغيره من الوزراء، فلم يجد هذا التسامح والتقدير في إزالة الحقد والغل الذي يحمله لأهل السنة، وقد كشف متأخروا الرافضة القناع عن قلوبهم، وباحوا بالسر المكنون فعدوا جريمة ابن العلقمي والنصير الطوسي في قتل المسلمين من عظيم مناقبهما عندهم. فقال الخميني في الإشادة بما حققه نصير الطوسي: «.. ويشعر الناس (يعني شيعته) بالخسارة.. بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام» [٢٨٥].

والخدمات التي يعني هنا هي ما كشفها الخوانساري من قبله في قوله في ترجمة النصير الطوسي: «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم.. هولاكو خان.. ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح

---

(٢٨٠) وكان النصير عند هولاكوا قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية (ابن كثير/ البداية والنهاية: (٢٠١/١٣) .

(٢٨١) البداية والنهاية: ٢٠١/١٣-٢٠٢.

(٢٨٢) منهاج السنة: ٣٨/٣.

(٢٨٣) البداية والنهاية: ٢٠٣/١٣.

(٢٨٤) البداية والنهاية: ٢٠٢/١٣-٢٠٣.

(٢٨٥) الحكومة الإسلامية: ص١٢٨.

البلاد.. بإبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار» [٢٨٦] .

فهم يعدون تدبيره لإيقاع القتل العام بالمسلمين، من أعظم مناقبه، وهذا القتل هو الطريق عندهم لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، ويرون مصير المسلمين الذي استشهدوا في هذه "الكارثة" إلى النار، ومعنى هذا أن هولاكو الوثني وهو الذي يصفه بالمؤيد، وجنده هم عندهم من أصحاب الجنة؛ لأنهم شفوا غيظ هؤلاء الروافض من المسلمين، فانظر إلى عظيم هذا الحقد!! حتى صار قتل المسلمين من أغلى أمانيهم.. وصار الكفار عندهم أقرب إليهم من أمة الإسلام.

هذه قصة ابن العلقمي أوردتها معظم كتب التاريخ [٢٨٧] ، وأقرتها كتب الرافضة، وأشادت بها.. ومع ذلك فقد حاول الراوفض المعاصرين توهين القصة والطعن في ثبوتها، وحجته أن الذين ذكروا الحادثة غير معاصرين للواقعة، وحينما جاء على من ذكر الحادثة من معاصريها مثل: أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ) كان جوابه عن ذلك بأنه وإن عاصر الحادثة معاصرة زمانية، لكنه من دمشق فلم تتوفر فيه المعاصرة المكانية [٢٨٨] .

وهي محاولة لرد ما استفاض أمره عند المؤرخين، كمحاولتهم في إنكار وجود ابن سبأ، وقد بحثت في كتب التاريخ فوجدت شهادة هامة لأحد كبار المؤرخين تتوفر فيه ثلاث صفات: الأولى: أن الشيعة يعدونه من رجالهم، والثانية: أنه من بغداد، والثالثة: أنه متوفى سنة ٦٧٤هـ.

فهو شيعي بغدادي معاصر للحادثة؛ ذلك هو الإمام الفقيه علي بن أنجب المعروف بابن الساعي الذي شهد بجريمة ابن العلقمي فقال: «... وفي أيامه (يعني المستعصم) استولت التتار على بغداد، وقتلوا الخليفة، وبه انقضت الدولة العباسية من أرض العراق، وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي كان رافضيًّا»، ثم ساق القصة [٢٨٩] وابن الساعي هذا ذكره محسن الأمين من رجال الشيعة فقال: «"علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي له أخبار الخلفاء ت٦٧٤هـ» [٢٩٠] .

ويكفي دلالة على صلة الروافض بنكبة المسلمين وتمني حصول أمثالها هذا التشفي الذي صدر على ألسنة شيوخهم المتأخرين والمعاصرين كالخوانساري، والخميني وأمثالهما.

---

(٢٨٦) روضات الجنات: ٦/٣٠٠-٣٠١، وانظر أيضاً في ثناء الروافض على النصير الطوسي النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل: ٣/٤٨٣، القمي/ الكنى والألقاب: ١/٣٥٦.

(٢٨٧) وانظر أيضاً في قصة تآمره: ابن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات: ٢/٣١٣، الذهبي/ العبر: ٥/٢٢٥، السبكي/ طبقات الشافعية: ٨/٢٦٢-٢٦٣ وغيرها.

(٢٨٨) انظر: محمد الشيخ الساعدي/ مؤيد الدين بن العلقمي وأسرار سقوط الدولة العباسية، وقد ساعدت جامعة بغداد على نشر الكتاب.

(٢٨٩) مختصر أخبار الخلفاء: ص١٣٦-١٣٧.

(٢٩٠) أعيان الشيعة: ١/٣٠٥.

**الدولة الصفوية [٢٩١]:**

في الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي فرض التشيع الاثني عشري على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران.. وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق [٢٩٢] ، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر [٢٩٣] .

ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: "بيش باد كم باد".. هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم [٢٩٤] ، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض فوراً بقوة السلاح.

ويروى عنه أنه عندما فتح تبريز في بداية أمره وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة، أشار عليه بعض شيوخهم أن يتريث، لأن ثلثي سكان المدنية من أهل السنة، وأنهم لا يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة على المنابر، ولكنه أجابهم:«إذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فلا أبقي منهم أحدًا حيًّا» [٢٩٥] .

ومن ناحية أخرى اتخذ مسألة قتل الحسين وسيلة للتأثير النفسي، بالإضافة إلى أسلوب التهديد والإرهاب فأمر بتنظيم الاحتفال بذكر مقتل الحسين على النحو الذي يتبع الآن عندهم [٢٩٦]، وأضاف إليه فيما يقال مجالس التعزية.

وهي التي يسمونها الآن «الشبيه» ويجرى فيها تمثيل مقتل الحسين.. فكان لهذا أثره على أولئك الأعاجم حتى رأى بعضهم أنه من أهل العوامل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرهما يؤدي إلى تغلغل في العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة [٢٩٧] .

ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار.

---

(٢٩١) استمر ملك الدولة الصفوية من سنة ١٩٠٥إلى سنة ١١٤٨هـ (مغنية/ الشيعة في الميزان: ص١٨٢).

(٢٩٢) علي الوردي/ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ص٥٦.

(٢٩٣) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٤١٣.

(٢٩٤) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٥٨.

(٢٩٥) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٥٨، وانظر: تاريخ الصفويين: ص٥٥.

(٢٩٦) الشيبي/ الفكر الشيعي: ص٤١٥.

(٢٩٧) الوردي/ لمحات اجتماعية: ص٥٩.

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي [٢٩٨] ، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني الذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة، فاستحدث هذا الكركي بدعاً جديدة في التشيع، فكان منها: «التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم. وقد ألف فيها رسالة سنة (٩٣٣هـ) [٢٩٩] ، كما ألف رسالة في تجويز السجود للعبد [٣٠٠] ، وذلك مسايرة للسلطان إسماعيل الصفوي الذي كان يغلو فيه أصحابه حتى إنهم يعبدونه ويسجدون له[٣٠١].

وكانت بدعه الكثيرة في المذهب الشيعي داعية للمصنفين من غير الشيعة إلى تلقيبه بمخترع الشيعة [٣٠٢] ، وقد ألف رسالة في لعن الشيخين - رضي الله عنهما - سماها «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت» [٣٠٣] .

ويقال: إنه هو الذي شرع السب في المساجد أيام الجمع [٣٠٤] .

كذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه «حق اليقين» كان سببًا في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين»[٣٠٥] .

والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب، لا بالفكر والإقناع.

ثم نشأ الجيل اللاحق في جو المآتم الحسينية السنوية التي طورها الصفويون ليمتلئ الناشئ بتأثيرها حقدًا وغيظًا حتى لا يكاد يستمع بسبب ذلك إلى حجة أو برهان.

وكان لكتاب المجلسي «بحار الأنوار» أثره في إشاعة الغلو بين الشيعة، حيث «جاء قراء التعزية، وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منه ما يروق لهم وبذا ملؤوا أذهان العامة بالغلو والخرافة».

وقد كان هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي طبعت على نطاق واسع في العهد القاجاري، وقد وردت منه إلى العراق نسخ كثيرة مما أدى إلى انتشار معلوماته الغثة في أوساط الشعب العراقي على منوال ما حدث في إيران [٣٠٦] .

كذلك لا ينسى الجانب الآخر من آثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها [٣٠٧] .

---

(٢٩٨) علي بن هلال الكركي، هلك سنة (٩٤٨هـ).

(٢٩٩) الفكر الشيعي: ص٤١٦ عن ترجمته في روضات الجنات ص٤٠٤.

(٣٠٠) لمحات اجتماعية: ص٦٣.

(٣٠١) ولذا قال الحيدري بأن إسماعيل خرج عن جادة الرفض، وادعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره (عنوان المجد: ص١١٦-١١٧).

(٣٠٢) النواقض/ الورقة: ٩٨ب.

(٣٠٣) الفكر الشيعي: ص٤١٦.

(٣٠٤) الفكر الشيعي: ص٤١٦.

(٣٠٥) دونلد سن/ عقيدة الشيعة: ص٣٠٢.

(٣٠٦) لمحات اجتماعية: ص٧٧-٧٨.

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال..

ومن كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية (الخالدة) والمهمة في هذا الموضوع، والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله - رحمه الله -: «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة» (٣٠٨).

ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم (٣٠٩).

## ثالثًا: المجال الاجتماعي

وهو باب واسع سأشير لبعض معالمه.

أولاً: علاقتهم مع المسلمين:

الشيعة يعيشون مع المسلمين، ويحملون الهوية الإسلامية، ولا يوجد تمييز لهم عن غيرهم، والأصل في علاقة المسلمين الحب والمودة والتكافل والإيثار.

والإسلام أرسى دعائم الود بين المسلم وأخيه، وقدم جيل الصحابة رضوان الله عليهم أعظم صور المحبة والوفاء امتثالاً لهدي القرآن والسنة، ولا شك في أن صورة التلاحم تلك كانت هدفاً من أهداف العدو المتربص بالأمة.

وكانت مؤامراته في تقويض البناء المتماسك كثيرة.. ولقد اندس هؤلاء في التشيع وأعملوا من خلاله الهدم والتخريب لهذا الأساس المتين في المجتمع الإسلامي.

ولهذا كان من الشائع والمستفيض أن علاقة الشيعي مع غيره مبنية على حب الإيذاء بأي وسيلة، واتخاذ ذلك قربة عند الله.

وإن إضمار العداء والكره من صفاتهم.

وإن عدم الوفاء ومراعاة الحقوق من طبيعتهم.

وإن الغدر والخيانة والمكر والخديعة من أعمالهم المعروفة عنهم، والتي تصل إلى حد القتل.

قال شيخ الإسلام: «وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق؛ فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالاً ولا

---

(٣٠٧) انظر تفاصيل ذلك في: تاريخ الصفويين ص٩٣ وما بعدها، وانظر: حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري: ص١١٧.

(٣٠٨) منهاج السنة: ٢٤٣/٣.

(٣٠٩) منهاج السنة: ٢٤٥/٣.

يترك شراً يقدر عليه إلا فعله بهم، وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه..» [(٣١٠)].

وقد قدّم العلامة الشوكاني مشاهدات شخصية من خلال معايشته للرافضة في اليمن، وكشف من خلال ذلك أموراً عجيبة وأكد أنه «لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة» [(٣١١)].

وبيّن حقيقة ذلك بالتجربة العملية مع هذه الطائفة فقال: «وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًّا يخلص المودة لغير رافضي، وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخول، وتودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا والله أعلم أنهم لما تجرّؤا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهون ما دونه» [(٣١٢)].

وقد أشار الشوكاني -رحمه الله- إلى أنهم لا يتورعون من اقتراف أي جريمة في المجتمع الإسلامي، ولا يتنزهون عن فعل أي محرم، فقال: وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلاً رافضيًّا يتنزه عن محرمات الدين كائناً من كان ولا تغترَّ بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف ناراً ولا يرجو جنة.

ثم استشهد على ذلك ببعض مشاهداته الشخصية فقال: «وقد رأيت منهم من كان مؤذنًا ملازمًا للجماعات فانكشف سارقًا، وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حسن وهدي عجيب وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منه كيف يكون مثله رافضيًّا ثم سمعت بعد ذلك عنه بأمور تقشعر لها الجلود وترجف منها القلوب»، ثم ذكر رجلاً ثالثاً كان به رفض يسير ثم تطور به الرفض حتى ألف في مثالب جماعة من الصحابة. قال الشوكاني: «وكنت أعرف عنه في مبادئ أمره صلابة وعفة، فقلت: إذا كان ولابد من رافضي عفيف فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر، نسأل الله الستر والسلامة» [(٣١٣)].

---

(٣١٠) منهاج السنة: ٣/٢٦٠.

(٣١١) أدب الطلب: ص٧٠-٧١.

(٣١٢) أدب الطلب: ص٧١.

(٣١٣) أدب الطلب: ص٧٣.

ثم قال - رحمه الله -: «وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدرون على ظلمه كائناً من كان فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفى مدعيه إحالة منكره على الاستقرار والتتبع فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه» [٣١٤] .

هذه «مشاهدات» مهمة سجلها الشوكاني، وبيّن كيف يفعل «الرفض» بصاحبه وأثر ذلك في علاقته مع المسلمين، لأنه يقيم مع هذه «الفئة» من الرافضة في اليمن والتي خرجت من نطاق الزيدية إلى الرفض كما هو معروف عن الجارودية [٣١٥] .

هذه الشهادة من الشوكاني قد يقول قائل: إنها من خصم للرافضة، فلا تؤخذ عليهم.. والحقيقة أن أهل السنة أعدل وأنصف وأتقى من الوقوع في ظلم هذه الطوائف والكذب عليها، كما أثبتت ذلك الوقائع «بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا ما يعترفون هم به ويقولون: أنتم تتصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا» [٣١٦].

وقد وقفت على نص مهم في الكافي للكليني يشهد لكلام الشوكاني ويعترف بصدق ما قاله، والاعتراف سيد الأدلة.. ويبيّن طبيعة الرافضي في علاقاته مع الناس.

جاء في الكافي أن أحد الشيعة ويسمى عبد الله بن كيسان قال لإمامهم: «إني.. نشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت [٣١٧]، وحسن الخلق، وكثرة أمانة، ثم أفتشه فأتبينه من عدواتكم (يعني من أهل السنة) وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة [٣١٨] ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم» [٣١٩] .

فهذه الرواية تعترف لأهل السنة بحسن الخلق، وكثرة الأمانة وحسن السمت، بينما تصف الرافضة بضد هذه الأوصاف.

وفي خبر أخر في الكافي أن رجلاً شكا لإمامه ما يجده في أصحابه من الرافضة من «النزق والحدّة والطيش» وأنه يغتم لذلك غماً شديداً، بينما يرى من خالفهم من أهل السنة حسن السمت، قال إمامهم: لا تقل حسن السمت، فإن السمت سمت الطريق [٣٢٠] ، ولكن قل: حسن السيما؛ فإن الله

(٣١٤) أدب الطلب: ص٧٤.

(٣١٥) الزيدية الجارودية: هي وإن تسمت بالزيدية فهي رافضة تكفر صحابة رسول الله ﷺ . ولذلك فإن شيخ الإمامية «المفيد» في كتابه «أوائل المقالات» أخرج الزيدية من دائرة التشيع واستثنى منهم «الجارودية» لأنهم على مذهبه.

(٣١٦) منهاج السنة: ٣٩/٣.

(٣١٧) هيئة أهل الخير/ هامش الكافي: ٤/٢.

(٣١٨) الزعارة: سوء الخلق، وفي بضع النسخ (للكافي) الدعارة: وهو الفساد والفسوق والخبث.

(٣١٩) أصول الكافي: ٤/٢، تفسير نور الثقلين: ٤٧/٤.

(٣٢٠) من المعلوم في اللغة أن السمت يطلق على الوقار والهيئة، كما يطلق على الطريق. قال في المصباح: «السمت الطريق، والقصد، والسكينة والوقار والهيئة».

عز وجل يقول: {سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح ٢٩] قال: قلت: فأراه حسن السيما وله وقار فأغتم ذلك [٣٢١] .

وهذا شيعي ثالث يقال له عبد الله بن أبي يعفور لا ينقضي عجبه من ذلك البون الواسع بين أخلاق أهل السنة وبين خلق شيعته.. ويرفع ذلك لإمامه فيقول: «إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانًا وفلانًا [٣٢٢] لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم (يعني الرافضة) ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق، قال: فاستوى أبو عبد الله جالسًا فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء. قال: نعم»[٣٢٣].

وهذا الجواب الذي ينفي العتب والذم عنهم، وان اقترفوا الموبقات هو الذي أدى بهم إلى هذا الدرك الهابط من التعامل والتساهل في ارتكاب المنكرات، لأن الدين عندهم «ولاية الإمام» وحب علي حسنة لا يضر معها سيئة، وما لم يصلح هذا الأساس فستبقى هذه «الخصيصة فيهم».

ومن الملاحظ أن كتبهم تقرر مبدأ الغيلة، وتصفية الخصوم بهذا الأسلوب وتشترط أن يأمن الشيعي الضرر عليه.

تقول كتب الشيعة: عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: «حلال الدم، ولكن أتقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل» [٣٢٤] .

وفي رجال الكشي يحكي أحد الشيعة لإمامه كيف استطاع أن يقتل مجموعة من مخالفيه فيقول: «منهم من كنت أصعد سطحه بسلّم حتى أقتله، ومنهم من دعوته بالليل على بابه فإذا خرج عليّ قتلته، ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لي قتلته» [٣٢٥] ، وذكر أنه قتل بهذه الطريقة ثلاثة عشر مسلمًا، لأنه يزعم أنهم يتبرأون من علي [٣٢٦] .

ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري أنه في إخبارهم «أن عليّ بن يقطين [٣٢٧] وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، فأمر غلمانه وهدموا أسقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم

---

(٣٢١) أصول الكافي: ١١/٢، وقد كان جواب إمامهم على هذه الشكاوى بالاعتراف بها وتعليلها بطبيعة الطينة التي خلق منها كل فريق. وهو يؤكد الأمر ولا ينفيه. وانظر ما سبق في عقيدتهم في الطينة: ص(٩٥٦) وما بعدها.

(٣٢٢) المراد بفلان وفلان أبي بكر وعمر كما قاله شراح الكافي، وهذا إشارة لأهل السنة.

(٣٢٣) أصول الكافي: ٣٧٥/١.

(٣٢٤) ابن بابويه/ علل الشرائع: ص٢٠٠، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٤٦٣/١٨، المجلسي/ بحار الأنوار: ٢٣١/٢٧.

(٣٢٥) رجال الكشي: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣٢٦) رجال الكشي: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣٢٧) وقد وصفه الجزائري بأنه من خواص الشيعة (الأنوار النعمانية: ٣٠٨/٢) وقد ذكر الطبري أنه قتل على الزندقة .

(ع) فكتب إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم. وحيث إنك لم تتقدم إليّ فكفر عن كل رجل قتلت منهم بتيس، والتيس [٣٢٨] خير منه»[٣٢٩].

فانظر كيف يعيشون وسط المسلمين وهم يتحينون أدنى فرصة للقتل. وهذه اعترافاتهم تشهد بآثارهم السوداء.. وإمامه هنا يقره على قتل خمسمائة مسلم لمجرد أنهم ليسوا بروافض، ويأمره بالتكفير بتيس، لأنه لم يستأذنه قبل ذلك.. فالشيعي إذا استأذن إمامه أو نائبه وهو الفقيه فليفعل كما يريد، وإن لم يستأذن فالأمر لا يعدو ذبح تيس.

وقد علق شيخهم الجزائري على دية التيس بقوله: «فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد، فإن ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي، فإنهما ثمانمأة – كذا - درهم، وحالهم في الآخرة أخس وأنجس» [٣٣٠].

وهذا قول من الشناعة بمكان، ولا يحتاج إلى تعليق فهو ينطق بنفسه على حقدهم على أهل السنة، وأنهم أكفر عندهم من المجوس.

**ثانياً: الفتن الداخلية:**

وهي فتنتهم التي يثيرونها بسبب سبهم للصحابة عبر مآتمهم السنوية، فمنذ أن اخترع البويهيون إقامة المآتم بذكرى مقتل الحسين وذلك في بغداد في القرن الرابع الهجري، والشيعة تثير في هذه الذكرى السنوية فتناً لا حدود لها.. وينشب صراع عنيف بين السنة والشيعة بسبب تجرؤ الروافض على شتم الصحابة رضوان الله عليهم، وقد بدأت فتنة في سنة ٣٣٨هـ، وذلك لأول في تاريخ بغداد [٣٣١]، ثم توالت الفتن بينهما بعد ذلك [٣٣٢]، وقتل فيها خلق كثير من المسلمين، ولا تزال لهذه البدعة آثارها في العالم الإسلامي الذي يوجد فيه شيعة.

فكم أزهقت من أرواح، وكم زرعت من أحقاد، وكم أحدثت من فرقة وفتن ومحن ومع ذلك كله فإنه شيخ الشيعة اليوم الخميني يذكي أوار هذه الفتنة ويقول: «في تلفزيون إيران بالحرف الواحد»: «إن شعار الفرقة الناجية وعلامتهم الخاصة من أول الإسلام إلى يومنا هذا إقامة المآتم»[٣٣٣].

ويقول: «إن البكاء على سيد الشهداء (ع) وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام عن أربعة عشر قرنًا» [٣٣٤].

---

(٣٢٨) التيس من المعز.

(٣٢٩) الأنوار النعمانية: ٣٠٨/٢.

(٣٣٠) الأنوار النعمانية: ٣٠٨/٢.

(٣٣١) عبد الرزاق الحصان/ المهدي والمهدوية: ص٧٤.

(٣٣٢) انظر - مثلاً - حوادث سنة ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٦، ٥١٠... إلخ في البداية والنهاية وغيرها من كتب التاريخ.

(٣٣٣) نقل ذلك العالم السني الإيراني محمد ضيائي في مجلة "المجتمع" العدد (٥٨٩)، السنة الثالثة عشرة، في ١٨ ذي الحجة ١٤٠٢هـ.

٣٣٤ جريدة «الاطلاعات» العدد (١٥٩٠١) في تاريخ ١٣٩٩/٨/١٦هـ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم صفحة الغلاف).

ويقول بعض شيوخهم: إن إقامة المآتم من تعظيم شعائر الله .

والحسين رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم.. وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء.. وقتله مصيبة عظيمة، والله سبحانه قد شرع الاسترجاع عند المصيبة (٣٣٥).. وليس ما تفعله الرافضة من الإسلام في شيء، إنما غرض المخترعين لهذه البدعة، والمشجعين عليها، هو إشغال أمة الإسلام في نفسها حتى لا تتفرغ لنشر دين الله في الأرض.

**ثالثًا: الإباحية:**

ومن آثارهم في المجال الاجتماعي، تلك الإباحية التي يدعون إليها، ويسهلون أسبابها ويمارسونها وسط المجتمع الإسلامي باسم عارية الفرج (٣٣٦) ، أو التي يسمونها بالمتعة والتي يقارفون باسمها الزنا، لأن متعتهم تعني الاتفاق السري (٣٣٧)، على فعل الفاحشة مع أي امرأة تتفق لهم ولو كانت من المومسات (٣٣٨) ، أو من ذوات الأزواج (٣٣٩) ، ولذلك قالوا: ممكن أن يتفق معها على يوم أو مرة أو مرتين (٣٤٠) ، وقد صرح بعضهم للشيخ محمد نصيف بأنه يجري عندهم استعمال المتعة الدورية بحيلة وضعها شيوخهم (٣٤١) .

---

(٣٣٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٥١١/٤.

(٣٣٦) جاء في كتبهم: «عن الحسن العطار قال: سالت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج قال: لا بأس». (وسائل الشيعة: ٥٣٦/٧-٥٣٧، تهذيب الأحكام للطوسي: ١٨٥/٢، والاستبصار ١٤١/٣).

(٣٣٧) قال الطوسي: «يجوز أن يتمتع بها من غير إذن أبيها وبلا شهود، ولا إعلان». (النهاية: ص٤٩٠).

(٣٣٨) قال الطوسي: لا بأس أن يتمتع الرجل بالفاجرة (النهاية: ص٤٩٠)، وقال الخميني: يجوز التمتع بالزانية. (تحرير الوسيلة: ٢٩٢/٢)، وجاء في أخبارهم "عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحل أن أتزوجها متعة؟ قال: فقال: رفعت راية؟ قلت: لا لو رفعت راية أخذها السلطان، قال: نعم تزوجها متعة، قال: ثم أصغى إلى بعض مواليه فأسر إليه شيئاً، فلقيت مولاه فقلت له: ما قال لك؟ فقال: إنما قال لي: ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء إنما يخرجها من حرام إلى حلال (وسائل الشيعة: ٤٥٥/١٤، تهذيب الأحكام: ٢٤٩/٢).

(٣٣٩) جاء في أخبارهم: عن محمد بن عبد الله الأشعري قال: قلت للرضاع: الرجل يتزوج بالمرأة فيقع في قلبه لها زوجاً، فقال: وما عليه.. (وسائل الشيعة: ٤٥٧/١٤، عن تهذيب الأحكام: ١٨٧/٢)، وقيل له (أي جعفر كما يزعمون) إن فلاناً تزوج امرأة متعة، فقيل له إن لها زوجاً، فسألها، فقال أبو عبد الله (ع): ولم سألها؟ (الموضع نفسه من المصدرين السابقين)، ولذا قال شيخهم الطوسي: "وليس على الرجل أن يسألها هل لها زوج أم لا" (النهاية: ص٤٩٠).

(٣٤٠) انظر: النهاية للطوسي: ص٤٩١، الخميني/ تحرير الوسيلة: ٢٩٠/٢، وجاء في أخبارهم عن خلف بن حماد، قال: أرسلت إلى أبي الحسن (ع) كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ فقال: نعم. (فروع الكافي: ٤٦/٢، وسائل الشيعة: ٤٧٩/١٤).

(٣٤١) المتعة الدورية أن يستمتع جماعة بامرأة واحدة ويقرروا الدورة والنوبة لكل منهم (انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٢٧) وانظر ما ذكره الشيخ العاني عن شيوع استعمالها في بعض مدارس مدراس النجف (الذريعة لإزالة شبه كتاب الشيعة ص٤٥-٤٦) وقد استطاع الشيخ محمد نصيف رحمه الله أن يكتشف إقرار شيوخ الشيعة بأمر المتعة الدورية في حوار له مع شيخهم أحمد سرحان، حيث قال نصيف للشيعي: إن أهل السنة ثبت عندهم نسخ المتعة، ولم يثبت عند الشيعة ذلك، لكني لم أعرف دليلكم على جواز المتعة الدورية، فأجاب الشيعي بأن المتمتع بالمرأة يعقد عليها بعد نهاية متعته منها عقد زواج دائم ثم يطلقها قبل الدخول فتصبح لا عدة عليها، فيتمتع بها آخر ويفعل كالأول.. فتدور المرأة على مجموعة من الرجال بهذه الطريقة بلا عدة. (انظر: مجلة الفتح العدد ٨٤٥، الصادر في رجب سنة ١٣٦٦هـ).

ولذا قال الألوسي: «من نظر إلى أحوال الرافضة في المتعة في هذا الزمان لا يحتاج في حكمه عليهم بالزنا إلى برهان، فإن المرأة الواحدة تزني بعشرين رجلاً في يوم وليلة، وتقول: إنها متمتعة، وقد هيئت عندهم أسواق عديدة للمتعة توقف فيها النساء ولهن قوادون يأتون بالرجال إلى النساء وبالنساء إلى الرجال، فيختارون ما يرضون ويعينون أجرة الزنا، ويأخذون بأيديهن إلى لعنة الله تعالى وغضبه..» [٣٤٢].

ثم ذكر رحمه الله بعض تفاصيل وحكايات ما يجري هنالك [٣٤٣].

وهذه الفاحشة يدفعون إليها النساء والرجال دفعاً بالتهديد والترغيب فهم يعدونها من أفضل أعمالهم [٣٤٤] ، والذي يتنزه عنها فالويل له يوم القيامة [٣٤٥] .

كذلك يبيح شيوخهم اللواط بالنساء حتى قال شيخهم الخميني «والأقوى والأظهر جواز وطئ الزوجة مع الدبر» [٣٤٦] . فأين هذا الهبوط من قول ابن نجيم: «استحلال اللواطة بزوجته كفر عند الجمهور» [٣٤٧].

فهذه الصور بمجموعها لا تبعد عن إباحية الخرمية من أتباع مزدك وبابك، وقد لا تقل عن «إباحية أوربا».

وقد استغلوا هذه الفوضى الأخلاقية في إغراء طلاب المتعة الرخيصة في اعتناق مذهبهم كما سلف.

بل جاء في أخبارهم ما يبيح الزنا الصريح إذا كان بأجرة «عن عبد الرحمن ابن كثير عن أبي عبد الله قال: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إني زنيت فطهرني فأمر بها أن ترجم فأخبر بذلك أمير المؤمنين (ع) فقال: كيف زنيت؟ قالت: مررت بالبادية فأصابني عطش شديد فاستقيت أعرابياً فأبى أن

(٣٤٢) كشف غياهب الجهالات/ الورقة ٣ (مخطوط).

(٣٤٣) كشف غياهب الجهالات/ الورقة ٣ (مخطوط).

(٣٤٤) جاءت عندهم أخبار كثيرة في اعتبارها أعظم عبادة، حتى قالوا في حديثهم الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تمتع مرة فدرجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات فدرجته كدرجة علي، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي (تفسير منهج صادقين: ص٣٥٦).

بل لم يدعوا باباً من أبواب الإغراء بالفاحشة إلا وفتحوه، ومن يقرأ أخبارهم في ذلك يجزم بأن واضعها من الإباحيين الذين يريدون أن يتمتعوا بنساء المسلمين، ومما قالوه: إذا تزوجها متعة "لم يكلمها كلمة إلا كتب الله لها بها حسنة، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة - إلى أن يقول -: فإذا اغتسل غفر الله له.. بعدد الشعر(وسائل الشيعة: ٤٤٢/١٤، من لا يحضره الفقيه: ١٥١/٢).

وزعموا أن امرأة كانت ترد الخطاب لأنها لا رغبة لها في الزواج ولكنها أرسلت لابن عم لها لتتزوجه متعة رغبة في عصيان عمر كما تقول الرواية... فهي تفضل الزنا على شرعة الزواج.

(انظر: أخبارهم في فضل المتعة المزعوم في وسائل الشيعة، باب استحباب المتعة: ٤٤٢/١٤ وما بعدها).

(٣٤٥) من رواياتهم في ذلك أن من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع "يعني مقطوع الأنف والأذن" (تفسير منهج الصادقين: ص٣٥٦).

(٣٤٦) تحرير الوسيلة: ٢٤١/٢.

(٣٤٧) الأشباه والنظائر: ص١٩١.

يسقيني إلا أن أمكنه من نفسي، فلما أجهدني العطش وخفت على نفسي سقاني فأمكنته من نفسي فقال أمير المؤمنين: تزويج وربّ الكعبة» (٣٤٨) .

وهم لا يخصون إباحيتهم ببني قومهم، بل يوصي إمامهم بأن يعرض التمتع على نساء أهل السنة (٣٤٩) ، ونساء اليهود والنصارى (٣٥٠) .

فإباحيتهم شاملة لا تذر مجتمعًا أتت عليه إلا أفسدته.. فهم "زناة" يعيشون بين المسلمين، ويحملون اسم الإسلام، ويسعون في الأرض فسادًا وأقوالهم تشهد على آثارهم.

**رابعًا: المجال الاقتصادي**

لقد كان للتشيع أثره في المجال الاقتصادي في حياة المسلمين في صور عديدة، ومن ذلك: قامت الرموز الشيعية في قديم الزمان بأخذ أموال المسلمين بدعوى خادعة ما أنزل الله بها من سلطان وهو حق آل البيت.. حيث توظف هذه الأموال في تحقيق رغباتها وتستغلها للتآمر ضد الأمة والكيد لها.

استمع لهذا الإقرار الخطير:

قالت كتب الشيعة: «مات أبو الحسن (ع) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، وكان أحد القوام عثمان بن عيسى وكان يكون بمصر وكان عنده مال كثير وست جواري. قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهن وفي المال. فكتب إليه: أن أباك لم يمت، فكتب إليه: إن أبي قد مات وقد اقتسمنا ميراثه وقد صحت الأخبار بموته. فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات فليس لك من ذلك شيء، وإن كان مات فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وقد أعتقت الجواري وتزوجتهن» (٣٥١) .

هذا النص مأخوذ من كتب الاثني عشرية، وندع الجانب الذي وضعوا من أجله النص وهو الاستدلال على بطلان الوقف بما قاله إمامهم الرضا ونأخذ منه ما يكشف لنا عما يدور في الخفاء من التكالب وراء جمع المال، وأن أولئك الذين راحوا يجوبون الأمصار كل يدعو لإمام من الأئمة إنما كان غرضهم الاستئثار بأكبر قدر من المال.

فكانوا يحققون من وراء تلك الدعوات المزعومة للأئمة المال الوفير الذي تتداوله تلك العناصر السرية فيما بينها.

---

(٣٤٨) فروع الكافي: ٤٨/٢، وسائل الشيعة: ٤٧١/١٤-٤٧٢.

(٣٤٩) انظر: وسائل الشيعة: ٤٥٢/١٤، وفروع الكافي: ٤٤/٢.

(٣٥٠) انظر: وسائل الشيعة: ٤٥٢/١٤ ، تهذيب الأحكام: ١٨٨/٢، من لا يحضره الفقيه: ١٤٨/٢.

(٣٥١) الإمامة/ علي بن الحسين بن بابويه (والد الصدوق) ص٧٥، وانظر: رجال الكشي: ص٤٩٣ رقم ٩٤٦، وص ٥٩٨ رقم ١١٢٠، بحار الأنوار: ٢٥٣/٤٨، الطوسي/ الغيبة: ص٤٣.

والمتأمل للحركات الشيعية الكثيرة التي ظهرت في تاريخ الأمة المسلمة وكانت من أقوى العوامل التي شغلت الأمة عن أعدائها، وصرفت جهودها عن بناء الدولة الإسلامية الكبرى، المتأمل لهذه الحركات وكثرتها وقوتها لا ينبغي أن يفوته أن المادة الممولة لهذه الحركات هي ما أخذ من أولئك الأتباع الأغرار باسم آل البيت وحقهم من الخمس.

بل إن الحركات الشيعية في العالم الإسلامي إلى اليوم إنما تمول من هذا المورد، وآيات الشيعة يعتبرون من كبار الرأسماليين في العالم، ومنصب الآية والمرجع منصب تهفو إليه القلوب وتتطلع له الأنظار، لأنه مصب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

وهذا الجانب التمويلي هو الذي غذى ويغذي دور النشر التي تقذف سنوياً بمئات النشرات والكتب والمراجع المليئة بما هو ضد الأمة ودينها.

وهذا المال المتدفق على الآيات والمراجع من أولئك الأتباع المخدوعين هو الذي جعل أمر الشيعة يكبر وخطرهم يعظم، وأصبح هؤلاء الآيات أو المراجع يوجهون فتاواهم على رغبات رجل الشارع، بل ويكتمون الحقيقة مجاراة لهم .

وقد اهتم شيوخ التشيع بالقضية المالية التي يسلبونها باسم الخمس وأولوها عناية غير عادية، واعتبروا من يستحل منعهم درهمًا منها في عداد الكافرين [٣٥٢] .

والمطالع لكتب الفقه الإسلامي لا يجد فيها كتابًا مستقلاً بعنوان «الخمس» وإنما يلاحظ الحديث عن خمس الغنائم في كتاب الجهاد، وفي كتاب الزكاة يوجد حديث عن خمس الركاز والمعدن.

ولكن الأمر مختلف عند هؤلاء، فالخمس له كتاب مستقل، حيث أوجبوا على أتباعهم "فيما يفضل عن مؤنة السنل من أرباح التجارات، ومن سائر التكسبات من الصناعات، والزراعات، والإيجارات، حتى الخياطة، والكتابة، والنجارة، والصيد، وحيازة المباحات، وأجرة العبادات الاستيجارية من الحج والصوم والصلاة - كذا - والزيارات وتعليم الأطفال وغير ذلك من الأعمال التي لها أجرة [٣٥٣]، وقالوا: بل الأحوط ثبوته في مطلق الفائدة، وإن لم تحصل بالاكتساب كالهبة والهدية، والجائزة، والمال الموصى به ونحوها [٣٥٤].. كما جعلوا الأحوط إخراج خمس رأس المال وكذا في الآلات المحتاج إليها في كسبه مثل: آلات النجارة للنجار، وآلات النساجة للنساج، وآلات الزراعة للزراع، وهكذا فالأحوط خمسها أيضًا أولاً [٣٥٥]، حتى قالوا: «لو زاد ما اشتراه وادخره للمؤنة من مثل الحنطة

---

(٣٥٢) حيث قالوا: «ومن منع منه درهماً أو أقل كان مندرجاً في الظالمين لهم (أي لأهل البيت بزعمهم) والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلاً لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال (ع): من أكل من مال اليتيم درهماً ونحن اليتيم...» (اليزدي/ العروة الوثقى وبهامشها تعليقات مراجعهم في هذا العصر٢/٣٦٦).

قال د. علي السالوس في السخرية بهذا المبدأ: «إن مسلمي اليوم إن أردوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر، فعليهم أن يجعلوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا به إلى علماء الجعفرية». علي السالوس/ أثر الإمامة في الفقه الجعفري ص ٣٩٤ (الهامش).

(٣٥٣) العروة الوثقى: ٢/٣٨٩.

(٣٥٤) العروة الوثقى: ٢/٣٨٩.

(٣٥٥) العروة الوثقى: ٢/٣٩٤-٣٩٥.

والشعير ونحوها مما يصرف عينه فيها يجب إخراج خمسه عند تمام الحول.. ولو استغنى عن الفرش والأواني والألبسة والعبد والفرس والكتب وما كان مبناه على بقاء عينه فالأحوط إخراج الخمس..» [٣٥٦].

وهذا المال المتدفق يصرف لمن؟

قالوا بأنه في زمن الغيبة يدفع للفقيه الشيعي [٣٥٧].

فمخرجو الخمس الآن يعطونه فقهاءهم، فقد قرر شيخوهم أن الخمس يقسم «ستة أسهم: سهم لله، وسهم للنبي ﷺ، وسهم للإمام، وهذه الثلاثة الآن لصاحب الزمان» [٣٥٨]. (مهديهم المنتظر) وهو غائب ولن يرجع من غيبته لأنه لم يولد أصلاً. فاستحق نصيبه حينئذ الفقيه الشيعي، حيث قالوا بأن «النصف من الخمس الذي للإمام (ع) أمره في زمان الغيبة راجع إلى نائبه وهو المجتهد الجامع للشرائط» [٣٥٩].

والثلاثة الأسهم الأخرى «للأيتام والمساكين وأبناء السبيل» [٣٦٠]، قالوا: بشرط الإيمان[٣٦١] في هؤلاء، أي: بشرط أن يكونوا روافض لأن اسم الإيمان مختص بهم كما يفترون. وهذا النصف الآخر الذي قرروا صرفه لهؤلاء الأصناف الثلاثة قالوا فيه: "الأحوط فيه أيضاً الدفع إلى المجتهد» [٣٦٢].

فأصبحت النتيجة أنه يصرف لشيوخهم الروافض لينفقوا منه على أنفسهم، وعلى الأصناف الثلاثة المذكورة، جاء في كتاب النور الساطع:«أن الفقيه يأخذ نصف الخمس لنفسه، ويقسم النصف الآخر منه على قدر الكفاية، فإن فضل كان له، وإن أعوز أتمه من نصيبه» [٣٦٣].

قال الدكتور علي السالوس: «ومن واقع الجعفرية في هذا الأيام نجد أن من أراد أن يحج يقوم كل ممتلكاته جميعاً ثم يدفع خمس قيمتها إلى الفقهاء الذين أفتوا بوجوب هذا الخمس وعدم قبول حج من لم يدفع، واستحل هؤلاء الفقهاء أموال الناس بالباطل» [٣٦٤].

قلت: ولعل هذا هو أحد العوامل في حرص حكومة الآيات على زيادة حصتهم من عدد الحجاج في كل عام.

هذا الاعتقاد في الخمس هو أثر من آثار عقيدة الإمام عندهم، وأن المال كله للإمام والذي وضعه زنادقة العصور القديمة واستمر العمل به إلى اليوم.. مع أن مسألة الخمس بدعة ابتدعها هؤلاء

---

(٣٥٦) العروة الوثقى: ٢/٣٩٥-٣٩٦.

(٣٥٧) انظر: علي كاشف الغطا/ النور الساطع «وجوب دفع الخمس للفقيه زمن الغيبة»: ١/٤٣٩.

(٣٥٨) العروة الوثقى: ٢/٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٨.

(٣٥٩) العروة الوثقى: ٢/٤٠٥، هدية العباد: ص١٧٩.

(٣٦٠) العروة الوثقى: ٢/٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٩.

(٣٦١) العروة الوثقى: ٢/٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٩.

(٣٦٢) العروة الوثقى: ٢/٤٠٥، هدية العباد: ص١٧٩.

(٣٦٣) النور الساطع: ١/٤٣٩.

(٣٦٤) أثر الإمامة في الفقه الجعفري: ص٣٩١.

لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفائه الراشدين حتى أمير المؤمنين علي الذي يدعون التشيع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما تقوله الرافضة من أن خمس مكاسب المسلمين يؤخذ منهم، ويصرف إلى من يرونه هو نائب الإمام المعصوم أو إلى غيره، فهذا قول لم يقله أحد من الصحابة لا علي ولا غيره، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من القرابة لا بني هاشم ولا غيرهم.

وكل من نقل هذا عن علي أو علماء أهل بيته كالحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد فقد كذب عليهم، فإن هذا خلاف المتواتر من سيرة علي رضي الله عنه، فإنه قد تولى الخلافة أربع سنين وبعض أخرى، ولم يأخذ من المسلمين من أموالهم شيئاً، بل لم يكن في ولايته قط خمس مقسوم.

وأما المسلمون فما خمس لا هو ولا غيره أموالهم، وأما الكفار فمتى غنمت منهم أموال خمست بالكتاب والسنة، ولكن في عهده لم يتفرغ المسلمون لقتال الكفار بسبب ما وقع بينهم من الفتنة والاختلاف.

وكذلك من المعلوم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخمس أموال المسلمين، ولا طلب أحداً قط من المسلمين بخمس ماله..» [٣٦٥].

وهذه الأموال التي يأخذها شيوخ الشيعة باسم فريضة إسلامية وحق من حقوق آل البيت، وهي تتدفق اليوم عليهم كالسيل من كل قطر، هي من أكبر العوامل على بقاء خرافة الاثني عشرية إلى اليوم، وإليها يعزى هذا النشاط في حماس شيوخهم في الدفاع عن مذهبهم، لأنهم يرون فيمن يمس مذهبهم، أنه يحاول قطع هذه الأموال التي تجري عليهم.

ولهذا قال د. علي السالوس: «وأعتقد أنه لولا هذه الأموال لما ظل الخلاف قائماً بين الجعفرية وسائر الأمة الإسلامية إلى هذا الحد، فكثير من فقهائهم يحرصون على إذكاء هذا الخلاف حرصهم على هذه الأموال» [٣٦٦].

ومن آثارهم الظاهرة أيضًا: أنهم في البلدان التي يتواجدون فيها يحاولون السيطرة على معظم الأعمال التجارية والشركات ومواد التموين، حتى يتحكموا بأقوات الناس وضرورياتهم، والواقع أكبر شاهد [٣٦٧].

هذا ومن الصور الأخرى الظاهرة في تأثير الشيعة على اقتصاد الأمة أن تلك الزمر الشيعية كانت تشكل خلايا مخربة لاقتصاد الدولة الإسلامية وشعوبها، ذلك أن مال المسلمين عندهم لا حرمة له، يجوز أخذه ولا شبهة في ذلك.

---

(٣٦٥) منهاج السنة: ١٥٤/٣.

(٣٦٦) أثر الإمامة: ص٤٠٨.

(٣٦٧) انظر في ذلك: «وجاء دور المجوس» ص٣١٢ وما بعدها.

بل إن أحاديثهم تأمرهم بذلك كما جاء في أخبارهم «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»[(٣٦٨)].

وقال أبو عبد الله - كما يفترون -: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[(٣٦٩)].

وشيوخهم توسعوا في معنى «الناصبي» ليشمل ما عدا الجعفرية[(٣٧٠)].

وجاء في كتب الفقه عندهم «إذا أغار المسلمون على الكفار فأخذوا أموالهم فالأحوط بل الأقوى إخراج خمسها من حيث كونها غنيمة ولو في زمن الغيبة وكذا إذا أخذوا بالسرقة والغيلة»[(٣٧١)]، و«لو أخذوا منهم بالربا أو بالدعوى بالباطلة فالأقوى إلحاقه بالفوائد المكتسبة فيعتبر فيه الزيادة من مؤنة السنة وإن كان الأحوط إخراج خمسه مطلقًا»[(٣٧٢)].

ومفهوم الكافر عند الاثني عشرية يشمل معظم المسلمين، بل جميعهم ما عدا طائفتهم، وهذا يعني أنهم يبيحون الاستيلاء على أموال المسلمين بالإغارة، والسرقة، والغيلة، ويستحلون أخذ أموالهم عن طريق الربا والدعاوى الباطلة، وهذا تترجمه الأحداث التاريخية التي جرت منهم.. كما يصدقه واقع دولة الآيات اليوم في «اللصوصية» التي يمارسونها في الخليج وتهديدهم لحرية الملاحة فيه، واستيلائهم على بعض البواخر المارة بمياه الخليج.. واعتبارها غنائم وهي ملك للمسلمين.

هذه آثارهم وسلبياتهم فهل لهم شيء من الإيجابيات في تاريخ هذه الأمة؟

إن الإجابة العليمة الدقيقة تقتضي تقصي أحوالهم، ودراسة سيرهم، ومعرفة تفاصيل تاريخهم.. وقد كفانا علماء الإسلام مؤنة ذلك، فشهدوا بأنه «لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي، وأكثر ما نجد الرافضي إما في الزنادقة المنافقين الملحدين، وإما في جهال ليس لهم علم بالمنقولات ولا بالمعقولات، قد نشأوا بالبوادي والجبال، وتحيزوا عن المسلمين فلم يجالسوا أهل العمل والدين، وإما في ذوي الأهواء ممن قد حصل له بذلك رياسة ومال، أو له نسب يتعصب له كفعل أهل الجاهلية، وأما من هو عند المسلمين من أهل العلم والدين فليس في هؤلاء رافضي»[(٣٧٣)].

ولكن لهم مصنفات في التفسير والحديث والفقه، إلا يعتبر ذلك منهم إضافة أثر حميد للفكر الإسلامي؟ وأقول: إن المتأمل لهذه المدونات يرى أن الصالح في هذه المصنفات هو مما أخذوه عن أهل

---

(٣٦٨) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ٣٨٤/١، ابن إدريس/ السرائر: ص٤٨٤، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٣٤٠/٦.

(٣٦٩) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ٤٨/٢، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٦٠/١١.

(٣٧٠) وقد نصوا في أخبارهم على أن النصب هو تقديم أبي بكر وعمر على علي. (انظر: السرائر: ص٤٧١، وسائل الشيعة: ٣٤١/٦-٣٤٢، بشارة المصطفى: ص٥١، وراجع أيضاً: المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، المسألة السادسة: ص١٣٨ وما بعدها).

(٣٧١) اليزدي/ العروة الوثقى (وبهامشه تعليقات مراجع الشيعة في العصر الحاضر) ٣٦٧/٢-٣٦٨.

(٣٧٢) اليزدي/ العروة الوثقى: ص٣٦٨، وانظر أيضًا: (شريعتمداري)/ هداية العباد: ص١٦٨.

(٣٧٣) منهاج السنة: ٢٢٣/١.

السنة «فمن صنف منهم في تفسير القرآن فمن تفاسير أهل السنة يأخذ»[٣٧٤]، وإذا نقل من قومه أتى بظلمات بعضها فوق بعض كما في تفسير القمي والبرهان وغيرهما.

«وأما في الحديث فهم من أبعد الناس عن معرفته لا إسناده ولا متنه.. وأي كتاب وجدوا فيه ما يوافق هواهم نقلوه من غير معرفة بالحديث»[٣٧٥].

وأما في الفقه فهم من أبعد الناس عن الفقه، وما في كتبهم من «إفادة» فهي ليس من شيوخهم؛ إذ هم عيال على أهل السنة في هذا الجانب، وقد كشف شيخ الإسلام - رحمه الله - كيف يسرقون «المادة العلمية» من فقهاء المسلمين فقال: «وإذا صنف واحد منهم كتابا في الخلاف وأصول الفقه كالموسوي وغيره؛ فإذا كانت المسألة فيها نزاع بين العلماء أخذوا حجة من يوافقهم، واحتجوا مما احتج به أولئك، وأجابوا عما يعارضهم بما يجيب به أولئك، فيظن الجاهل أن هذا قد صنف كتاباً عظيماً في الخلاف والفقه والأصول، ولا يدري الجاهل أن عامته استعارة من كلام علماء أهل السنة الذين يكفرونهم ويعادونهم، وما انفردوا به فلا يساوي مداده، فإن المداد ينفع ولا يضر، وهذا يضر ولا ينفع»[٣٧٦].

## المبحث الرابع

## سبل مواجهة التحدي الرافضي

فإن المتأمل للتاريخ والواقع يدرك أبعاد الخطر الشيعي الرافضي، فقد استطاعوا تاريخيًّا أن يقيموا دولاً كالدولة البويهية، والعبيدية، والصفوية وغيرها، وتمكنوا في عصرنا أن يقوضوا كما هو معلوم دولتين قويتين: دولة الشاة، ودولة صدام، وأن يسيطروا على دولتين مهمتين: سوريا ولبنان، وهم الآن يحاولون استغلال الأحداث الجارية في مصر تحت ستار التصوف وبعض الحركات الإسلامية، وكذلك الأحداث القائمة في اليمن بواسطة الحوثية، وهم وراء ما جرى ويجري في البحرين والقطيف كما هو معلوم، ولهم خططهم الخطيرة والقوية والبعيدة المدى في الخليج، بل والعالم كله في آسيا، وأفريقيا، وأوروبا .

ومن كلمات شيخ الإسلام ابن تيمية (الخالدة) والمهمة في هذا الموضوع، والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها أحداث التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله -رحمه الله - : «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه ، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من

(٣٧٤) منهاج السنة: ٣/٢٤٦.

(٣٧٥) منهاج السنة: ٣/٢٤٦.

(٣٧٦) منهاج السنة: ٣/٢٤٦.

الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة» [٣٧٧]، ثم يقول: «ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن إنما تخرج عنهم» [٣٧٨].

ويقول أيضًا - رحمه الله -: «إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة، ومن انضوى إليهم وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كان من جهتهم، وعلم أن أصلهم ومادتهم منافقون ... وبهم تسترت الزنادقة» [٣٧٩].

فلا بد من مواجهة هذا الكيد بقوة، وتصميم، وتخطيط بعيد عن ردود الأفعال الوقتية، فهم اليوم يتنادون سرًّا وعلانية، ويُحكمون خططهم، ويشكلون خلاياهم، ويُعدون عدَّتهم، وينوعون وجوههم، ويتسللون لواذًا إلى الوظائف المؤثرة، ويستخدمون بعض الرموز الجاهلة بأهدافهم، ويسعون إلى بث الفرقة، وبعث العنصريات، ويعملون على إيجاد سبل العداء بين الحاكم والمحكوم، وإحداث النزاع بين فصائل الشعوب ومناطقها وطوائفها ومذاهبها ونحلها، ونشر الفتنة بكل سبيل، ويذكر بعض مراجعهم بأن إحداث الثورات المسلحة داخل الدول هو الأساس لظهور المهدي المنتظر [٣٨٠].

وفي بداية الثورة أقيم احتفال كبير رسمي في عبدان في ١٩٧٩/٣/١٧ تأييدًا لثورة الخميني ألقى د.محمد مهدي صادقي (من مشايخهم) خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة قوله: «لنا خطوتان مباركتان:

الأولى:أن نبني الجمهورية الإسلامية في إيران ونزيل الكوارث والعراقيل التي تحول بيننا وبين تحقيق أمنيتنا وهي الجمهورية الإسلامية.

الثانية: بعد ما كمل الأمر وبعدما قمنا وثبتنا على أقدامنا سوف ينتقل المجاهدون المسلمون إلى القدس وإلى مكة وإلى أفغانستان وإلى مختلف البلاد لنحقق أمنية الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه، إن الحكم إلا لله الحق فهو خير الفاصلين» [٣٨١].

ويقول الخميني: «إننا نريد أن نصدر ثورتنا الإسلامية إلى كافة البلاد الإسلامية» [٣٨٢].

وقد أكد الدستور الإيراني هذه الحقيقة حيث ورد فيه ما يلي: «أنه ينبغي أن تعد الظروف لاستمرارية هذه الثورة داخل البلاد وخارجها»، وكذلك المادة الثانية التي تحدد أسس الدولة وفيها: «الإيمان بالإمامة والقيادة المستمرة، ودورها الأساس في استمرار الثورة التي أحدثها الإسلام».

فكلمة: استمرار الثورة تعني: قتال كل من لم يكن شيعيا حتى يتشيع، إذ الإسلام عند الشيعة الاثني عشرية هو دين الإمامية.

---

(٣٧٧) منهاج السنة: ٣٧٢/٦ .

(٣٧٨) المصدر السابق: ٣٧٦/٦-٣٧٧ .

(٣٧٩) المصدر السابق: ٦/ ٣٧٠ .

(٣٨٠) انظر: «في انتظار الإمام» (ص٦٩-٧٠) .

(٣٨١) «وجاء دور المجوس» ص٣٤٤-٣٤٧، بواسطة «أصول مذهب الشيعة » (١١٧/٣) .

(٣٨٢) خطاب الخميني حول مسألة تحرير القدس والمهدي المنتظر: (١٠) .

وورد في المادة الثانية كذلك: «في مجال بناء القوات المسلحة للبلاد وتجهيزها، يتركز الاهتمام على جعل الإيمان والعقيدة أساسًا وقاعدة لذلك، وهكذا يصار إلى جعل بنية جيش الجمهورية الإسلامية وقوات حرس الثورة على أساس الهدف المذكور، ولا تلتزم هذه القوات المسلحة بمسؤولية الحماية وحراسة الحدود فحسب، بل تحمل أيضا أعباء رسالتها الإلهية، وهي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل بسط حاكمية القانون الإلهي في العالم **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال:٦٠]»[٣٨٣].

وهذا يعني أن الحكومة الشيعية الإيرانية تتعهد بتصدير الثورة ضد الأمة بكاملها.

هذا كان في بداية الثورة حيث كانوا يريدون تصدير الثورة ولكن ذلك أثار عليهم أهل السنة فغيروا خطتهم وقرروا تصدير الدعوة والعقيدة أولا حتى تكون هي الأرضية الممهدة لتصدير الثورة فيما بعد وهذا ما تؤكده الوثيقة المسربة التي ترجمت تحت عنوان «بروتوكولات حكماء قم» وظهر فيها التخطيط ومدته خمسون عاما لتصدير العقيدة ثم بعدها يتم تصدير الثورة.

فهي دولة اتخذت التشيع عقيدة تنشرها وتتبنى قضاياها بصورة معلنة مسخرة كل إمكاناتها لنصرتها ونصرة أهلها.

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

لذا لا بد من وضع استراتيجية نافعة ينظر فيها وفي تطبيقها إلى مبدأ المصالح والمفاسد لئلا يترتب على سوء التطبيق فتن تحول دون الاستمرار بهذه المهمة العظيمة الشريفة، فهم يخشون من الحق وظهوره، ويعملون على منعه بكل الوسائل، وهذه أهم سبل مواجهتهم ودعوتهم :

**١- منهج الدعوة المباشر:**

يحسن في العمل الدعوي المباشر معهم بيان الحق لهم بدون مهاجمة مذهبهم، كما قد يستنبط من قوله سبحانه: **﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾** [النحل:١٠٨]، وكما يوحي بذلك حديث معاذ حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن [٣٨٤] وأخبره بحالهم ومذهبهم وأنه سيأتي قومًا من أهل الكتاب، ثم بين منهج الدعوة باستعمال أسلوب التدرج، لكنه لم يأمره بمهاجمة ديانتهم، بل أمره بدعوتهم إلى الحق من التوحيد، وأركان الإسلام .

فإذا بين لهؤلاء الرافضة الحق عرفوا حينئذ ما هم عليه من باطل، وبضدها تتميز الأشياء، والضد يظهر حسنه الضد، وهذا لا يمنع من نقد مذهبهم نقدا علمياً مصحوباً بدعوتهم في مجال آخر.

وقد حدثني الإمام العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في منزله أكثر من مرة لأنني طلبت منه أن يعيد عليَّ هذا الحديث، وقد قلت له : بأنني سأرويه عنك، يقول - رحمه الله -: كنت في

---

(٣٨٣) الدستور لجمهورية إيران الإسلامية: ص١٦، منشورات مؤسسة الشهيد، وانظر: الطبعة الأخرى من الدستور، التي أصدرتها وزارة الإرشاد الإيرانية: ص١٠.

(٣٨٤) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) .

البقيع ورأيت ما يفعله (الشيعة) حول القبور فاتجهت إلى دليلهم كما يعبر الشيخ، وقلت له: ألا تنهى هؤلاء عن هذه الأعمال التي توقعهم بالشرك بالله - عزَّ وجل -، فردَّ عليّ قائلاً : هؤلاء عوام، والعوام لا يفهمون .

يقول الشيخ في هذه الأثناء: استوقفني أحد كبار علماء إيران ليس في العلم الشرعي ولكن في غيره ، فقال لي: يا شيخ (قلت له: أيعرف أنك ابن عثيمين؟ قال : نعم) هؤلاء (يعني الملالي) قبل الثورة ليس لهم أي قيمة وعموم الناس اليوم ولا سيما طبقة المثقفين غير مقتنعين بما يقولون، ثم قال: والله يا شيخ لو وجهت إليهم إذاعة بالفارسية تبين الحق للناس ولا تهاجم المذهب لما بقى على مذهبهم أحد . (فكيف لو وجهت لهم فضائيات؟!) .

**٢- الدراسات العلمية:**

من المهم إعداد الدراسات والبحوث العلمية التي تتناول معتقداتهم ومصادرهم وأهدافهم وجميع ما يتعلق بشأنهم، لأن أكثر أتباعهم في غفلة عن المسائل الخطرة في نحلتهم، وهذا عن طريق التواصل مع المتخصصين المتميزين في الكتابة عن التشيع لكتابة الأبحاث المتخصصة التي تكشف بطلان هذه العقيدة، والتواصل أيضًا مع المثقفين من السنة لكتابة الأبحاث التي تكشف حقيقة النظام السياسي في إيران والاضطهاد الواقع على أهل السنة .

**٣- البراهين العقلية والأدلة المتفق عليها:**

إقامة الحجة عليهم بالبراهين العقلية، والأدلة المعلومة الضرورية المتفق عليها، وقد سلك شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المنهج، وفي مؤتمر النجف أقر شيوخ الشيعة جميعًا بالحق لما أقام عليهم الحجة علامة العراق عبد الله السويدي وذلك أمام الملك نادر شاه في القرن الثاني عشر، وفي مصر عاد الناس إلى السنة أفواجًا بعد قرابة ثلاثة قرون من حكم الروافض بتأثير العلماء، ووقفة صلاح الدين الأيوبي .

وأذكر أنني التقيت بأحد مثقفي الشيعة ووجهت إليه مجموعة من الأسئلة والإيرادات انتهى به الأمر إلى أن اغرورقت عيناه بالدموع، وقال في النهاية : ما حال أبي وأمي؟ وقد التقيت بأحد علمائهم في مكة ، وجرى بيني وبينه حوار انتهى بإذعانه للحق والشواهد في ذلك كثيرة .

**٤- المناهج الدراسية :**

إن من المهم الاستفادة من المناهج الدراسية في بيان الحق لهم بدون مواجهة ظاهرة لهم ، أو مهاجمة لمذهبهم صريحة، ولا سيما في مناهج المدارس الابتدائية، والمتوسطة، فقد قال علماء التربية والاجتماع كم من أحداث وقعت في التاريخ، وأثرت في سير المجتمع تكمن بواعثها في مؤثرات منزلية، ومدرسية، والمراجع لمناهج الدراسة في إيران والمطبقة على الشيعة وأهل السنة سواء يجد أنها تحولت لديهم إلى صياغة لفكر الناشئة مما يحول بينهم وبين الحق ، حتى بلغ الحال بهم أن حولوا الأسئلة النحوية إلى تعليمات عقدية لناشئتهم ، بينما هم يعترضون في المناهج لدينا على مسائل عقدية ثابتة، أو حوادث تاريخية واقعة، ولا يترددون في مخاطبة أصحاب القرار بذلك .

ولابد من حث جميع الجامعات على تدريس عقائد هذه الطائفة كمتطلب جامعي، إذ لا يوجد في المناهج الجامعية في كثير من الجامعات مقررات تكفي لفهم عقيدة الشيعة وبيان بطلانها مما يجعل أبناءنا وبناتنا غير محصنين ضد هذه العقيدة التي يتدسس بها الشيعة إليهم من خلال العواطف مستغلين روايات تاريخية لا تصح وذلك عبر القنوات والشبكة العنكبوتية والاتصال المباشر.ولهذا فلا بد من إعداد منهج خاص بعقائد هذه الطائفة وبيان بطلانها بالأسلوب العلمي الهادئ.ويوضع كتاب يشتمل على عقيدة الشيعة الاثني عشرية يعرض أهم عقائدها وأساليبها والرد على شبهاتها.

**٥- النشاط الإعلامي :**

لا بد من الاستفادة من الفضائيات؛ لبيان الحق لهم، ودعوتهم، وهذا يحتاج إلى دعم بعدد من الفضائيات وبعدد من اللغات خاصة الفارسية والأردية والعربية، ومع الأسف فإن للرافضة عددًا كبيرًا من الفضائيات تنشر فتنهم وضلالهم، ولا يوجد ما يواجهها ولا بعشر عددها، وإلا فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه، ولابد من توجيه القنوات التلفزيونية والإذاعات الرسمية لإعداد برامج عن عظم حق الصحابة وحب النبي ﷺ وبراءة أهل بيت النبوة من البدع ونحو ذلك .

كما أنه من المهم تصنيف نشرات، ومطويات، وتسجيل أشرطة، والمشاركة في فضائيات، وصحف، ودوريات، وإذاعات وذلك وفق منهج دعوي متخصص يوجه إليهم، ويبين الحق لهم بدون إثارة، أو هجوم، أو مواجهة، أو نقد للمذهب بالاسم ... وقد ثبت في حالات كثيرة رجوعهم إلى الحق بعد قراءة كتاب ، أو مطوية ، أو سماع شريط ، أو مشاهدة حلقة في فضائية .

**٦- التجارب :**

الاستفادة من التجارب التاريخية والواقعية في دعوتهم . ويوجد في تراثهم ما يكشف «الثغرات المهمة في مذهبهم» للتأثير عليهم؛ لأنهم كما يعترفون «مبتلون بالنزق، وقلة الكتمان»، وقد رجع منهم كما تقول نصوصهم ما يزيد على الثلثين في المائة الثالثة بسبب شكهم في عقيدة الغيبة كما أن في الوقائع التاريخية ما يبعث الأمل ، ويشحذ الهمة للسعي في هذا السبيل من تجربة صلاح الدين الأيوبي وعلماء عصره الناجحة في محو آثار الرفض من أرض مصر بعد أن حكمها الروافض الباطنية قرابة ثلاثة قرون، وكذا تجربة نادر شاه والدور الذي قام به عبدالله السويدي في إذعان الروافض للحق، إلى تجارب أخرى كثيرة فردية وجماعية جاء على ذكر بعضها كتاب (مسألة التقريب) وقد أخبرني غير واحد من علماء الشيعة بأنهم اهتدوا بسبب قراءة كتاب من كتب أهل السنة، وقد حدثني المهندس طارق العيسى ود/ مجيد خليفة والشيخ أبو المنتصر البلوشي أن أحد مراجعهم الكبار وهو آية الله حسين المؤيد هداه الله إلى الحق، بسبب قراءته لكتاب «أصول مذهب الشيعة» حين جاء به أحد أتباعه يطلب منه الرد عليه .

**٧- الدورات :**

عقد الدورات للعناصر المختارة، يوضع لها مناهجها، ويختار لها مراجعها، وينتخب أساتذتها، بحيث تعقد دورات خاصة بالمهتدين الدعاة يكون لها الصفة الحوارية للإفادة والاستفادة، ودورة أخرى للدعاة العاملين بالمنهج الحواري أيضًا للتعريف بهذه الطائفة وبيان بطلان عقائدها، ويجب أن يكون أئمة المساجد ومدراء المدارس ومعلموها على وعي كامل بهذه الفرقة وعقيدتها ولعل ذلك لا يتحقق إلا بعقد دورات ولقاءات مع أئمة المساجد ومدراء المدارس ومعلميها.

**٨- التأهيل :**

تأهيل نخب من طلاب العلم للدعوة والحوار والتأليف والمشاركة في الفضائيات، وللأسف فإن الذي يقوم بهذه المهمة هم شيوخ الروافض، فإن لهم مراكز متخصصة تدرب الدعاة وتبعثهم إلى العالم الإسلامي ليقوموا بمهمة الدعوة وفق مراحل مدروسة، وتحت مظلات مختلفة طبية، واجتماعية، ومصرفية، واقتصادية، وتربوية، وسياحية ... إلخ .

والاهتمام بفتح عدة معاهد في البلدان الإسلامية لإعداد الدعاة المؤهلين لبيان فساد التشيع، وإقامة معاهد بعد المرحلة الثانوية لإعداد الدعاة الملمين بعقائد المخالفين المدربين على الحوار مع المخالف، وتفتح هذه المعاهد في عدة دول وتصرف للدارسين بها مكافآت كحافز للالتحاق بهذه المعاهد، ثم ينتقى المتميزون منهم بعد التخرج لرعايتهم والاستفادة منهم، ويشرف على هذه المعاهد أشخاص من نفس البلدان التي تقام فيها، وتعد المناهج لتكون شاملة لكل الجوانب العلمية الدينية ليكون خريجوها على مستوى عال من الوعي.

**٩- الاستفادة من الأعلام المهتدين :**

الاستفادة من (الآيات)، والأعلام في المذهب الشيعي الذين اهتدوا إلى الحق، بنشر كتبهم، وترجمة ما لم يترجم منها، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق .

هناك كتب ألفها باحثون شيعة مهتدون إيرانيون وغير إيرانيين، وقد كان لهذه الكتب أثر كبير في أوساط الشيعة، وقد توقف طبعها إما لمحاربة المتطرفين لها، وإما لأسباب أخرى، فيعاد طبع هذه الكتب وتوزع بيعًا وإهداء.

**١٠- البعد عن وهم التقريب:**

هناك وهم كبير تم بناؤه وتشييده من قبل شيوخ الشيعة وساعدهم في ذلك بعض الغافلين أو المغفلين من عموم المسلمين وهو أنه لا خلاف بين السنة والشيعة، وبعض أهل السنة يردد هذا القول بغية جمع الشمل ودرء الفرقة بزعمه، ويردده شيوخ الشيعة وفق فهم لهم بل مكر منهم ومؤامرة خطيرة جرت على أيديهم، وهو أنهم يزعمون في مصادرهم ومقرراتهم أن مصادر أهل السنة تشهد بصحة مذهبهم، ويذكرون نصوصًا مكذوبة أو محرفة، أو بعيدة عن تأويلاتهم الفاسدة، وإلا فإن أصول دينهم

تقوم على مخالفة عموم المسلمين، فهم يأمرون أتباعهم بذلك، فيقولون: «ما خالف العامة ففيه الرشاد» [٣٨٥] .

**١١- مراكز علمية :**

إنشاء مراكز علمية تعنى بدراسة التشيع وفرقه ومصادره ومناهجه وعقائده وتاريخه وواقعه، تضم مجموعة من المختصين، والباحثين، والمهتمين بأمر التشيع والتيارات الباطنية تقوم برصد أنشطتهم من حركات، وأحزاب، ومراكز، وجمعيات، ومذاهب، ومواقع، ومنتديات، وفضائيات، ودعاة، ورسائل ونشرات، ومجلات، ومقررات .

**١٢- مكتبة متخصصة :**

إنشاء مكتبة علمية متكاملة تضم مصادرهم، وإصداراتهم الورقية والالكترونية ودورياتهم، وصحفهم، ومجلاتهم، ومناهجهم، ومقرراتهم ... إلخ .

**١٣- منع أسباب انتشار ضلالهم:**

ومن أهمها:

أ- قطع الشريان المادي وهو الخمس المالي، بالحجة والبرهان، والقوة والسلطان (وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) وذلك لأن الخمس له تأثيره الخطير في بقاء بنيانهم وامتداد ضلالاهم وانتشار مذهبهم، ولذلك قال د/ علي السالوس: بأنه لولا هذا الخمس لما بقى الخلاف بين السنة والشيعة[٣٨٦] .

ب- منع المدد المعنوي والعاطفي في المآتم والمجالس، ولذلك قال الخميني في التلفزيون الإيراني: بأن هذه المآتم هي التي حفظت مذهبهم طيلة أربعة عشر قرنًا .

**١٤- التوعية العامة :**

وذلك عن طريق ما يلي:

أ- توزيع كتب تكشف بطلان عقائد هذه الطائفة على جميع أئمة المساجد والعاملين في ميدان الدعوة وغيرهم، فهناك كتب عدة قد تصدت لهذه العقيدة وحاورتها حوارًا عقليًّا كشفت عن بطلانها وأبانت عن ضلالها بأسلوب هادئ، فتوزيع هذه الكتب على أئمة المساجد ومعلمي المدارس ومدراء الإدارات والعاملين في ميدان الدعوة عن طريق المؤسسات الدعوية، وإعداد مسابقات لتلخيص تلك الكتب وإعطاء الجوائز لأفضل تلخيص، سوف يساعد على وقف المد الشيعي وتعريف الناس بخطره .

---

(٣٨٥) الكليني/ أصول الكافي: ٦٧/١-٦٨، ابن بابويه القمي/ من لا يحضره الفقيه: ٥/٣، الطوسي/ التهذيب: ٣٠١/٦، الطبرسي/ الاحتجاج ص ١٩٤، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٧٥/١٨-٧٦.

(٣٨٦) انظر: «البدعة المالية» للمؤلف .

ب- نشر ثقافة المحبة بين الآل والصحابة، وإبراز تسمية آل البيت أسماء أبنائهم بأسماء كبار الصحابة، كتسمية علي رضي الله عنه بعض أبنائه بأبي بكر وعمر وعثمان، وإظهار جانب الصلات والمصاهرات بينهما كزواج عمر رضي الله عنه من ابنة علي رضي الله عنه .

ج- توجيه أئمة المساجد بإعداد خطب عن الأمور التي تسد الباب على هذه العقيدة الشيعية، وينبغي أن تعد خطب عن القضايا العقدية التي خالف فيها الشيعة عموم الأمة بأسلوب يكشف الحق ولا يجرح ولا يثير، ولكنها تكون بمثابة دروس علمية تلقى طوال العام بحيث تكوِّن قناعة متكاملة في أذهان الناس عن صحة عقيدة أهل السنة والجماعة وبطلان عقائد المخالفين لها.

فإن خطب الجمعة يحضرها جميع أفراد المجتمع ويمكن من خلالها المشاركة في تحصين الأمة.

د- إنشاء دوريات (صحف، مجلات) في الداخل وفي البلدان الإسلامية للاهتمام بفضح المخطط الشيعي وبيان فساده، والدوريات هي الإصدارات التي يتكرر إصدارها بصفة دورية ابتداء من الصحف اليومية وانتهاء بالمجلات السنوية، فتنشأ في عدة بلدان بأسماء وبلغات مختلفة ويشرف عليها أشخاص من نفس بلد المنشأ وتعنى هذه الدوريات بتتبع الفكر الشيعي وتوابعه ومخططاته مع التثقيف المستمر عن هذه النحلة. ولا يكتفى بإنشاء الدوريات بل يتواصل مع المشرفين على الدوريات القائمة ليكون موضوع رصد التشيع والتحذير منه جزءا من أهدافها، ولابد من دعم هذه الدوريات بشراء كمية كبيرة من إصداراتها ونحو ذلك .

هـ- التواصل مع الجمعيات الإسلامية في العالم الإسلام، فهو مملوء بالجمعيات والجماعات الإسلامية فيتواصل مع المعتدل منها، وتحث لجعل هذا الموضوع ضمن اهتماماتها حماية للأمة من خطر هذه النحلة .

و- إنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية للرصد والتحذير والدفاع والدعوة والتواصل، فإن لها تأثيرًا كبيرًا جدًّا.

### ١٥- دعم أهل السنة في إيران:

التواصل مع أهل السنة في إيران وإقامة المشاريع وفتح معاهد لهم، فأهل السنة في إيران لم يلقوا من إخوانهم أهل السنة خارج إيران طيلة السنوات السابقة أي عناية تذكر مع أن التواصل معهم مهم جدًّا على الصعيدين الديني والسياسي .

فينبغي أن يتواصل مع الشخصيات البارزة في أهل السنة، ويتم من خلال المؤسسات العلمية قبول طلاب للدراسة في الجامعات من سنة إيران مع رعايتهم أثناء وجودهم بدورات مكثفة عن دين الشيعة وشبهاته وبيان بطلانها، وتقديم الدعم لمشاريع علمية كبناء الجامعات والمعاهد إضافة إلى بناء المساجد والأوقاف .

## الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث الموجز وقبل أن نرفع القلم نوجز أهم نتائجه وتوصياته في الجمل التالية:

١- أهل السنة هم الصحابة والتابعون ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والمعوَّل فيما يعتقدون الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأصولهم في الاعتقاد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهم وسط في باب الاعتقاد بين الفرق، كما أن الإسلام وسط بين الملل، وهم أهل الإسلام والإسلام اسمهم، لكن لما حدث الافتراق والابتداع لقبوا بـ«أهل السنة والجماعة» لاتباعهم السنة واجتماعهم على الحق، فهم أهل الحق، وهم الأصل الذي من خرج عنه خرج من السنة إلى البدعة، ومن الجماعة إلى الفرقة.

٢- الروافض هم الذين يسبون أصحاب رسول الله ﷺ، وسموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر أو لرفضهم زيد بن علي أو لرفضهم الدين، وهي متلازمة، وأسلاف الروافض هم السبئية الأولى، وقد نشأوا بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه ، بمكر وكيد من ابن سبأ اليهودي وأعضاء خليته، بمشاركة وتآمر الفرس المجوس، فلم يجدوا وسيلة تمكنهم من تحقيق أهدافهم سوى التقنع بستار التشيع، وكان دم الحسين هو البذرة الأولى للتشيع كعقيدة، ثم عاثوا في الأرض فسادًا، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا، وصاروا مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله من الزنادقة.

٣- للروافض وسائل كثيرة لغزو الأمة من داخلها، منها الظاهر ومنها الباطن، حتى قال العارفون بحالهم من أهل العلم والتحقيق بأن لهم وسائل في المكر والكيد لا تدري اليهود بعشرها، ولا تصل الشياطين إلى خبثها.

٤- يواجه أهل السنة تحديات كثيرة، وفي اعتقادي أن أخطر ما يواجه أهل السنة من الداخل هم الروافض، فهم أصل الفتن والشرور التي تعصف بأهل الإسلام، شهد بذلك التاريخ والواقع، في الماضي والحاضر.

٥- تتنوع هذه التحديات وتشمل مختلف المجالات العقدية والفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كلها تهدف إلى التبشير بالرفض والكيد لأهل السنة والتآمر مع أعداء الأمة.

٦- لابد من وضع استراتيجية محددة الأهداف واضحة المعالم، وفق خطط مدروسة ومناهج شاملة لمواجهة هذه التحديات، تستخدم فيها كافة الوسائل المتاحة، يقوم على إعدادها ومتابعتها والإشراف عليها نخبة من العلماء والباحثين والدعاة المتخصصين في عقائد الشيعة.



# التحديات المعاصرة على أهل السنة والجماعة دولاً وأقليات

**د. نورة بنت فهد إبراهيم العيد**
الأستاذ المشارك بجامعة الاميرة نورة بنت عبد الرحمن
المملكة العربية السعودية



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن بسنته واهتدى بهدية واقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن السنة هي الجنة الحصينة لمن تدرعها، والشرعة المعينة لمن تشرعها، درعها صافٍ، وظلها ضاف، وبيانها وافٍ، وبرهانها شافٍ، وهي الكافلة بالاستقامة، والكافية في السلامة، والسلم إلى درجات المقامة، والوسيلة إلى الموافاة بصروف الكرامة، حافظها محفوظ، وملاحظها ملحوظ، والمقتدي بها على صراط مستقيم، والمهتدي بمعالمها صائر إلى محل النعيم المقيم، ولقد تواصلت النصوص الشرعية وأقوال الصحابة والتابعين المرضية على الترغيب فيها، والحث على التمسك بها، فمن الكتاب قوله تبارك وتعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب:٢١]، وقال أيضاً: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:٣١].

وهذا لا شك أنه في الاتباع المطلق، وذلك بأن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعاً مطلقاً، لا يُقيد بفرض مثلاً، بل اتباع في الفريضة وفي النافلة وفي العادات؛ فالإنسان كلما ازداد اقتداؤه بالنبي عليه الصلاة والسلام في جميع موارده ومصادره وأحواله، كان ذلك علامة على رسوخ المحبة في قلبه.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا [النور:٥٤]، وقال أيضاً: وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [الأعراف:١٥٨].

ومن السنة: ما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه؛ كأنه منذر جيش يقول

صبحكم ومساكم، ويقول: أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.[١]

ولا شك أن قول النبي عليه الصلاة والسلام: (خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم) ينبغي أن يكون شعاراً لكل مسلم، فكل مسلم لابد أن يرفع هذا الشعار في كل أحواله وفي كل ما يعرض له من مسائل يشك فيها أو يرتاب فيها، فيسأل نفسه: هل هذا يوافق هدي النبي صلى الله عليه وسلم أم يصادمه؟ بحيث تحسم له كثير من الأمور التي يتشكك فيها أو يرتاب في الإقدام عليها، فهذا هو المخرج مما وصل إليه المسلمون، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو أمماً وشعوباً، فإنهم محتاجون إلى هذا لكي يعودوا إلى ما كانوا عليه من العز والتمكين، فعليهم أن يرفعوا هذا الشعار من جديد: (خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم)، وكل ما خالفه فهو شر كما قال: (وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)، ومن ثمَّ كان صلى الله عليه وسلم دائماً ما يستفتح خطبه بهذه الخطبة -خطبة الحاجة- التي تتضمن هذا الشعار المقدس: (وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم).

وروى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ فقال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها -يعني: ليلها أبيض كنهارها- لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين». [٢].

إذاً: النبي صلى الله عليه وسلم يخبر مسبقاً بما وقعت فيه هذه الأمة بالفعل من افتراقها إلى الفرق المعروفة، ولهذا قال: (من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)، ووصف الداء ثم وصف الدواء، فأخبر بالداء، وهو داء الفرقة، ثم لم يدعنا حتى وصف لنا العلاج الذي نداوي به هذا الداء وهو السنة؛ فإن السنة هي التي تجمع المختلفين، والعلاج ينبغي أن يكون على معتقد سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذلك قال: (ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ).

وقوله: (بالنواجذ)؛ فيه كناية عن شدة التمسك بها؛ ولذلك يُربط في تسمية أهل السنة لفظ (السنة) بلفظ (الجماعة) فيقال: (أهل السنة والجماعة)؛ لأن السنة تجمع وتؤلف القلوب، أما البدع فيقال: أهل البدع والافتراق، فطريق الحق واحد، والباطل هو الذي يتعدد.

و(الجماعة)، يعني: التي تجتمع على السنة في مقابلة البدع فإنها كثيرة الافتراق، فهي التي تشتت الأمة، فهذا أيضاً دواء لكل أدوائنا، وخاصة داء الفرقة والاختلاف الكثير، ولذا قال: (ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)

---

[١] أخرجه مسلم (٤٣) (٨٦٧) .

[٢] أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، ورواه الترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أما أقوال الصحابة والتابعين في الحث على السنة فما أكثرها! منها: ما رواه الدارمي [٣]عن الزهري رحمه الله قال: (كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة).

وعن هشام بن عروة عن أبيه رحمه الله قال: «السنن السنن! فإن السنن قوام الدين».[٤]

وعن الأوزاعي رحمه الله قال: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله». [٥]

فمتى ما حافظ المسلم على السنة محافظته على الطعام والشراب الذي به قوام البدن أو أشد غمرته يقول الإمام ابن قدامة رحمه الله: «وفي اتباع السنة بركة موافقة الشرع، ورضا الرب سبحانه وتعالى، ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودعة البدن، وترغيم الشيطان، وسلوك الصراط المستقيم».[٦]

وقال ابن حبان رحمه الله تعالى في مقدمة صحيحه[٧]: «وإن في لزوم سنته عليه الصلاة والسلام تمام السلامة، وجماع الكرامة، لا تطفأ سرجها، ولا تدحض حجتها، من لزمها عُصم، ومن خالفها ندم؛ إذ هي الحصن الحصين والركن الركين الذي بان فضله، ومتن حبله، ومن تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل».

## الفصل الأول

### المبحث الأول :تعريف السنة لغة واصطلاحا:

السنة في اللغة تعني: السيرة والطريقة والطبيعة حسنة كانت أو قبيحة. وهي مشتقة من مادة: « سن يسن ويسن سنا، فهو مسنون. وسن الأمر: بينه.

يقول ابن فارس:« السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنا، إذا أرسلته إرسالا، ثم اشتق منه رجل مسنون الوجه، كأن اللحم قد سن على وجهه. ومما اشتق منه السنة، وهي السيرة، وسنة الرسول ﷺ سيرته، قال الهذلي:

فأوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يسيرها فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنت سِرْتَها

---

[٣] سنن الدارمي (٩٧ ) , وسنده صحيح .

[٤] أخرجه المروزي في « السنة» (١١٠ ), والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٢١) , وسنده صحيح .

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤٨), وأبو نعيم الأصبهاني في « حلية الأولياء » (٦/ ١٤٢) , والبيهقي في «شعب الإيمان » (٢٦٧١-٢٦٩٦) , وسنده صحيح .

[٦] ذم الموسوسين (ص/٤١) .

[٧] ص: ١٠٢ .

وإنما سميت بذلك؛ لأنها تجري جريا، ومن ذلك قولهم: ماض على سننك وسننك، أي وجهك، وجاءت الريح سنائن إذا جاءت على طريقة واحدة[٨].

وقال الجوهري: «السنن: الطريقة، يقال، استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على سننك وسننك، أي على وجهك، وجاء من الخيل سنن لا يرد وجهه، وتنح عن سنن الخيل، أي عن وجهه، وعن سنن الطريق وسننه وسننه ثلاث لغات.. والسنة: السيرة ... والسنة أيضا: ضرب من تمر المدينة، وسنة الوجه صورته، قال ذو الرمة:

تُرِيَكَ سُنَّةَ وجهٍ غيرَ مُقْرِفَةٍ ... مَلْساَء ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

ومما قاله الفيروزابادي في معاني السنة لغة: «سنن المنطق: حسنه..والأمر: بينه.. والسيرة والطبيعة، وتمر بالمدينة، ومن الله: حكمه وأمره ونهيه»[٩].

ويضيف العلامة ابن منظور معاني أخرى إلى السنة في اللغة، ومنها: «السنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة..والأصل منها الطريقة والسيرة.. وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق» [١٠].

وهي تأني لعدة معان، منها:

١- الطريقة المسلوكة، سواء أكانت محمود أم مذمومة. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[١١]

ومنه حديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع»[١٢].

٢- السيرة، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيرته التي كان يتحراها. فما ثبت عنه من قول، أو فعل، أو وصف، أو تقرير، قيل له سنة. يقول ابن الأثير: "وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها. والأصل منها: السيرة والطريقة".[١٣]

٣- العادة. ومنه قوله عز وجل: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧] ؛ أي: هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم، بخروج الرسول من بين أظهرهم، يأتيهم العذاب.[١٤]

---

[٨] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦٠/٣) (مادة: سنن).

[٩] القاموس المحيط للفيروزابادي (٣٣٧/٤) (مادة: السنّ).

[١٠] لسان العرب لابن منظور (٢٢٢/٢) (مادة: سنن).

[١١] أخرجه مسلم (١٠١٧) .

[١٢] أخرجه البخاري (٣٤٥٦ )، ومسلم (٢٦٦٩ ) .

[١٣] النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٩.

[١٤] تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤.

قال ابن رجب : «والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون: من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة»[١٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : «السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه؛ بأنه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسول الله ﷺ، أو فُعِل في زمانه، أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه، لعدم المقتضى حينئذٍ لفعله، أو وجود المانع منه»[١٦]،

**ثانيا: السنة اصطلاحا**

عرفت السنة بعدة تعاريف في الاصطلاح، وذلك حسبما تضاف إليه من علوم.

فالسنة عند المحدثين هي: «ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية»[١٧].

وأما تعريف السنة عند الأصوليين: فهي ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فعله، أو قرر عليه.[١٨]

ويعرف الفقهاء السنة بأنها :«ترادف المستحب، وهو ما في فعله ثواب وفي تركه ملامة وعتاب ولا عقاب»[١٩].

ومن عرفها بهذا التعريف نظر إلى تعريف السنة باعتبار الثمرة.

والمتأمل في التعريف السابق للسنة يجد أنه يتضمن عدة أمور هي:

أ- كل ما نسب وأضيف إلى النبي ﷺ داخل في السنة، وليس هنالك مجال لاختزاله أو تبعيضه أو الانتقاء منه.

ب- أن السنة المأمورين باتباعها هي المنسوبة إلى النبي ﷺ وليست لغيره من البشر.

ج- أن السنة تشمل أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وجميع أوصاف الخير والكمال الخلقية والخلقية.

د- أن السنة تشتمل أيضا على منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، وسبيله الأقوم في الهداية والبلاغ.

هـ - أن السنة عند الدعاة تعني وجوب التمسك بها، واتباعها والتأسي بالنبي ﷺ في دعوته واطراح ما عدا ذلك من الطرق والسنن المبتدعة.

---

[١٥] جامع العلوم والحكم، ١٢٠/١.

[١٦] مجموع فتاوى ابن تيمية، ٣١٧/٢١.

[١٧] فتح المغيث للسخاوي (٦/١).

[١٨] انظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ الشنقيطي ص٩٥.

[١٩] أنيس الفقهاء لقاسم القونوي ص (١٠٦).

**المبحث الثاني: منزلة السنة من الدين.**

أجمع فقهاء المسلمين قديماً وحديثاً من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا إلا من شذَّ من بعض الطوائف على الاحتجاج بها وعدِّها المصدر الثاني للدين بعد القرآن الكريم، فيجب اتباعها، وتحرم مخالفتها. وقد تضافرت الأدلة القطعية على ذلك، فأوجب الله سبحانه على الناس طاعة رسوله ﷺ وبيَّنَ أنه ﷺ هو المبيّن لما أنزل من القرآن، وذلك بعد أن عصمه من الخطأ والهوى في كل أمر من الأمور﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ [النجم:٣-٥]. كما عصمه من الناس حين أمره بتبليغ ما أنزل إليه قال تعالى: يٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ )[المائدة الآية:٦٧].

وقد جاءت النصوص القرآنية الكثيرة المؤكدة لهذه المصدرية، كقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) [الحشر: ٧]، وقوله سبحانه (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ) [المائدة:٩٢].

والأدلة على وجوب اتباع السُّنَّة كثيرة جدًا ومتنوّعة من الكتاب والسنة وإجماع السلف :

فمن القرآن الكريم[٢٠]:

١- الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم قال -تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٢- ترتيب الوعيد على من يخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم, قال -تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٣- نفي الخيار عن المؤمنين إذا صدر حكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال -تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٤- الأمر بالرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عند النزاع، قال -تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

٥- جعل الرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عند النزاع من موجبات الإيمان ولوازمه، قال -تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [ آل عمران: ٣١ ].

وقال جل شأنه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب : ٢١ )

(٢٠) انظر الرسالة ص(٧٩، ٨٤) ومجموع الفتاوى (٨٣/١٩) وإعلام الموقعين (٤٩/١، ٥٠) (٢٨٩/٢، ٢٩٠).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة: هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسِّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٢١].

ومن السنة:

ما رواه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفينّ أحدكم متّكئاً على أريكته يأتيه أمرٌ مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[٢٢].

وعن المقدام بن معديكرب أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا وإنّ ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرَّم الله»[٢٣].

قوله صلى الله عليه وسلم: «فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذ»[٢٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم, فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه, وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[٢٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه»[٢٦].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[٢٧].

ومن أقوال السلف:

قول حسّان بن عطيّة: «كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسّنّة كما ينزل عليه بالقرآن»[٢٨].

وعن الأوزاعي قال: قال أيوب السختياني: «إذا حدّثت الرجل بالسنّة فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن، فاعلم أنّه ضالّ»[٢٩].

وقال الأوزاعي، ومكحول، ويحيى بن كثير وغيرهم: «القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى الكتاب، والسنّة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب قاضياً على السنّة»[٣٠].

---

[٢١] تفسير ابن كثير ص (١٤٨٧).

[٢٢] أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٢٣] أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢٤) أخرجه أبو داود والترمذي، وقد تقدم.

(٢٥) أخرجه البخاري (٧٢٨٨).

(٢٦) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) ونحوه عند الترمذي (٢٦٦٣، ٢٦٦٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة (١٢، ١٣).

(٢٧) أخرجه ابن ماجه (١٢) والترمذي (٢٦٦٤) وقال: حسن غريب.

[٢٨] أخرجه الدارمي (٥٩٤)، والخطيب في الكفاية ص (٤٨)، وابن عبد البر في الجامع (١٩١/١).

[٢٩] أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث، ص (٦٥)، والخطيب في الكفاية ص (٤٩).

وقال الفضل بن زياد: «سمعتُ أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – وسئل عن الحديث الذي روي أنّ السنة قاضية على الكتاب، فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن السنّة تفسّر الكتاب، وتعرِّف الكتاب وتبيّنه» [٣١].

وقال الحافظ ابن عبد البر: «البيان منه ﷺ على ضربين: الأول: بيان المجمل في الكتاب العزيز كالصلوات الخمس في مواقيتها، وسجودها، وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه للزكاة وحدها ووقتها وما الذي تؤخذ منه الأموال، وبيان مناسك الحج... الثاني: زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وكتحريم الحُمُر الأهليّة، وكل ذي ناب من السِّباع إلى أشياء يطول ذكرها...» [٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :«وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب أتباعها، وقد يكون من سنته ما يظن أنه مخالف لظاهر القرآن وزيادة عليه كالسنة المفسرة لنصاب السرقة، والموجبة لرجم الزاني المحصن فهذه السنة أيضا مما يجب أتباعه عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين إلا من نازع في ذلك من الخوارج المارقين » [٣٣].

يقول الشوكاني رحمه الله: «إنّ ثبوت حجيّة السّنّة المطهّرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظّ له في الإسلام» [٣٤].

فالسنة بهذا الاعتبار هي «أحد قسمي الوحي الإلهي الذي أنزل على رسول الله ﷺ، والقسم الآخر من الوحي هو القرآن الكريم الذي هو كلام الله رب العالمين، منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود» [٣٥].

ويؤكِّد ذلك كلّه قول الإمام الشافعي رحمه الله: «فكلّ من قبل عن الله فرائضه قبل عن رسول الله سنّته، بفرض الله طاعة رسول الله ﷺ على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل، لما افترض الله من طاعته» [٣٦].

قال الإمام الشافعي: "لم أسمع أحدًا نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم- يخالف في أن فرض الله- عز وجل- اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه؛ بأن الله- عز وجل- لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم, وأن ما سواهما تبع لهما, وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه

---

[٣٠] أخرجه الدارمي (٥٩٣).

[٣١] أخرجه الخطيب في الكفاية ص (٤٧)، وابن عبد البر في الجامع (١٩١/٢).

[٣٢] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٩٠/٢).

[٣٣] "مجموع الفتاوى"(٨٥/١٩) .

[٣٤] إرشاد الفحول للشوكاني ص (٢٩).

[٣٥] تدوين السنة النبوية، د. محمد مطر الزهراني ص (١٩).

[٣٦] الرسالة للإمام الشافعي ص (٣٣).

وسلم، إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى"[٣٧].

وقال أيضًا: "ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحدًا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبل خبره وانتهى إليه وأثبت ذلك سُنَّة"[٣٨].

وقال- رحمه الله: "إذا وجدتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سُنَّة فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد"[٣٩].

قال الإمام ابن حزم : «في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يجتنب في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذ منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحج من وقت الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها وبمزدلفة، ورمي الجمار، وصفة الإحرام وما يجتنب فيه، وقطع يد السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المآكل، وصفة الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا والأقضية والتداعي، والأيمان والأحباس والعمرى، والصدقات وسائر أنواع الفقه؟ وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم , وكذلك الإجماع إنما هو على مسائل يسيرة... فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرا بإجماع الأمة» أهـ.

فتبين مما سبق وجوب الاحتجاج بالسنة والعمل بها، وأنها كالقرآن في وجوب الطاعة والاتباع، وأن المستغني عنها هو مستغن في الحقيقة عن القرآن، وأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله، وعصيانه عصيان لله تعالى، وأن العصمة من الانحراف والضلال إنما هو بالتمسك بالقرآن والسنة جميعا.

**المبحث الثالث: وجوب نشر السنة وخدمتها.**

قد تقدم بيان ما للسنة النبوية من مكانة في التشريع الإسلامي، لذا فمن واجب الأمة المسلمة حفظها والعمل بها ونشرها وخدمتها بكل الوسائل والإمكانات المشروعة المتاحة.

وقد ثبت الحث على تبليغ السنة من خلال نصوص صريحة من الكتاب والسنة فمن الكتاب العزيز, قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ }( البقرة/الآية رقم ١٥٩) .

---

(٣٧) جماع العلم ص(٣).

(٣٨) مفتاح الجنة, ص(٣٤)

(٣٩) مفتاح الجنة ص(٧٧).

قال القرطبي [٤٠] :« هذه الآية هي التي أراد أبو هريرة رضي الله عنه في قوله: لولا آية في كتاب الله تعالى ما حدثتكم حديثا. وبها استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة ».

أما من السنة, فقد تواترت الأحاديث التي تنص على الحث على تبليغها:

١ – منها , ما رواه البخاري [٤١]عن أبي بكرة، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قعد على بعيره، وأمسك إنسان بخطامه - أو بزمامه - قال: «أي يوم هذا»...الحديث وفيه قال: « ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه».

٢- عَنْ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقُلْنَا: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِشَيْءٍ سَأَلَهُ عَنْهُ. فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: أَجَلْ، سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:« نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[٤٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ" [٤٣]

قال ابن حجر رحمه الله (فيه الحث على تبليغ العلم، وأن الفهم ليس شرطا في الأداء) .[٤٤]

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله :«وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره، وإلا فهو شريك في الإثم، ومعلوم أن الإنسان لايولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها . إلى أن قال . فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السوادي المكتنف ببلده، ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم، وهكذا إلى أقصى العالم », [٤٥]

## الفصل الثاني

### المبحث الأول: عناية الدول الإسلامية بالسنة النبوية .

#### أ- عناية الدول الإسلامية بالسنة النبوية عموما :

[٤٠] الجامع لأحكام القرآن/سورة البقرة/الآية رقم ١٥٩

[٤١] في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رب مبلغ أوعى من سامع» (٦٧), ومسلم (٢٩ ) (١٦٧٩) . وأخرجه البخاري (١٠٤), ومسلم (٤٤٦) (١٣٥٤) عن أبي شريح , والبخاري (١٧٣٩) ابن عباس رضي الله عنهما نحوه .

[٤٢] أخرجه أحمد (١٨٣/٥) , والترمذي (٢٦٥٦)،. وقال : حديث حسن.

[٤٣] أخرجه أحمد (٤٣٧/١). وابن حبان (٦٩) الترمذي (٢٦٥٨) , وقال: هذا حديث حسن صحيح.

[٤٤] «فتح الباري» (١/ ١٥٩).

[٤٥] «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٧٠ - ٣٧١) .

إن من نعم الله على الأمة أنه قد حظيت سنة النبي صلى الله علية وسلم باعتناء كبير، وأحصيت إحصاء دقيقا، ودونت بأدق التدوين، وقد قيّض الله - تعالى - في كل قرن لها رجالاً بذلوا من أجلها النفس والنفيس والغالي والرخيص، وركبوا من أجلها الصعب والذلول، وآثروا قطع المفاوز والقفار وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

قال سفيان الثوري: " الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض "[٤٦].

وقال يزيد بن زريع: " لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد "[٤٧].

وقد بذل الأئمة على مدار التاريخ منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم جهودًا عظيمة في ذلك كرواية السنة وجمعها، وتصنيفها، والتقعيد لها، وشرحها وتوضيحها، والتأليف في ذلك كله، فجزاهم الله خيرًا يجزى عالمًا عن علمه, وتمحورت جهودهم على محاور أربعة:

١-الحفظ في الصدور: فقد كان الصحابة –رضوان الله عليهم- يتلقون منه صلى الله عليه وسلم سنته فيعونها ويحفظونها في صدورهم، كما كانوا يحفظون القرآن، إلا أنهم في حفظها يتفاوتون، فمنهم من يحفظها بلفظها ومعناها فيؤديها كذلك، ومنهم من يحفظها بالمعنى، فيؤدي معناها بألفاظه هو، ومنهم من يزاوج بينهما، ويجمعهم جميعاً همٌّ واحد، ضعوه نصب أعينهم عند الأداء، وهو أن كل ماشك فيه، أولم يتحققه المتلقي، أو خاف أن يكون قد سها فيه، فإنه يسقطه، ولا يضيفه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يرويه، وبهذا طمأنت الأمة إلى أن كل ما وصلنا عنهم بطريقة مقبولة، مما أسندوه للمعصوم صلى الله عليه وسلم فهو حق، وصدق، لأنهم لا يستجيزون أن يقولوا عليه مالم يقل، لعلمهم بالوعيد الشديد الوارد في ذلك.

٢-الكتابة:

ثم جاء جيل تدوين السنة وكتابتها في دواوين الإسلام، فأعطوا السنة ما تستحقه من التعظيم والإجلال، والحفظ والصيانة، واعتنوا بها عناية فاقت كل عناية، فألفوا الدواوين كالصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد والأجزاء، واعتنوا بالحديث سنداً ومتناً، أما عنايتهم بالأسانيد فتظهر من تأليفهم كتب الرجال، وكتب العلل، وكتب المراسيل، وأما عنايتهم بالمتون فتظهر من تأليفهم شروح الحديث، وأسباب وروده، وغريبة، وناسخه ومنسوخة، وبيان مشكله، والجمع بين متعارضة.

٣-الرحلة في طلب الحديث: وهذه قد أبدعها المسلمون، فلم يكن في أمة من الأمم غير المسلمين، الاغتراب في جمع أقوال أنبيائهم، وتصنيفها، ومقارنتها وسماعها مرارا،

ومنها أنَّ بعضهم ربما سافر شهراً كاملاً لحديث واحدٍ من أحاديث رسول الله ﷺ ، قال الإمام البخاري رحمه الله :" ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديثٍ واحد"[٤٨].

---

([٤٦]) شرف أصحاب الحديث – ٤٤.

([٤٧]) المصدر نفسه.

وقال الذهبي :" قال مالك : بلغني أن سعيد بن المسيِّب قال : إنْ كنتُ لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد " [٤٩] .

ومن جهودهم في حفظها شدة تثبتهم ، حتى قال أبو الزناد :" أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث؛ يقال : ليس من أهله" [٥٠] .

٤-المذاكرة: فقد كانوا يذاكرون الحديث، ويراجعون محفوظهم منه، وينشرونه بينهم، فكان الحاضر يخبر الغائب، والذاكر ينبه الناسي، فانتشرت السنة بينهم بالمذاكرة،

يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله :" كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة، فما عرفوا أخذنا ،وما تركوا تركنا" [٥١] .

**أما حديثا:** فيتواصل الاهتمام بها وتتقدم الوسائل وتستجد التقنيات، ويسخر أهل الإسلام ما يستجد من تلكم الوسائل لخدمة دين الله عز وجل وتيسيره للعالمين، وذلك في كل عصر بحسبه، وتنال السنة النبوية من ذلك النصيب الأوفر؛ بدأً من حفظها في الصحف والأوراق ومروراً بتزيينها بالنقط والتشكيل، وما تبع ذلك من مراحل استجدت فيها تقنيات استدعت أن تسخر لخدمة هذا النور والهدى والحكمة، إلى أن جاء عصر الطباعة؛ حيث كانت ثورة تقنية في نشر العلم النبوي وتيسير الحصول على مصادره، ثم ما تلا ذلك من الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة -مقروءة ومسموعة ومرئية- في إيصال هذا الخير ونشره.

ومع تقدم التقنية وظهور ما يعرف بعصر الحاسب الآلي، كان للسنة والسيرة النبوية من الخدمة من خلال أجهزة الحاسب وبرامجه، ومن خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) الجهود الكثيرة من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم- لجميع أمة الإسلام في أصقاع الأرض كلها، فتوافرت برامج موسوعية تتناول علوم الحديث رواية ودراية، وتتناول علم الرجال وجمع المصنفات فيهم في برامج تيسر سبل الوقوف على متن الخبر، وأقوال الأئمة في حاله، وكذا الوقوف على نقلة السنة النبوية ومعرفة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم.

أولاً: الانترنت: خُدمت السنة النبوية في الشبكة العنكبوتية خدمة كبيرة، من خلال تأسيس المواقع الإلكترونية وصفحات الفيس بوك وغرف المحادثة وغيرها، فثمة عشرات المواقع الالكترونية التي تخدم السنة النبوية بعلومها المختلفة، تحت إشراف أهل العلم والتخصص المعروفين حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملايين الناس في العالم، وعلى سبيل المثال شبكة السنة النبوية وعلومها، والتي بلغ عدد زوارها ملايين المسلمين، وهي شبكة تعنى بالسنة والسيرة النبوية، وعلوم الحديث كالمصطلح وعلم الرجال والجرح والتعديل والتخريج ودراسة الأسانيد، وكذلك الفتاوى الاستشارات

---

[٤٨] / صحيح البخاري (٤١/١) , وهو موصول في « مسند أحمد», وغيره .

٤٩ / تذكرة الحفاظ (٥٦/١) .

[٥٠] / صحيح مسلم (١٢/١) .

[٥١] / الجرح والتعديل (٢١/٢) .

الشرعية والتي يجيب عليها نخبة من أهل العلم المتخصصين، وقد ترجمت هذه الشبكة إلى عدة لغات عالمية.

ثانيًا: البرامج الالكترونية: عجّت الساحة الالكترونية بالبرامج الخادمة للسنة النبوية بعلومها ومجالاتها المختلفة، عن طريق شركات ومؤسسات تقنية معروفة، فعلى سبيل المثال أنتجت شركة حرف التقنية موسوعة الحديث الشريف، وموسوعة السيرة النبوية وبرنامج صفوة الأحاديث، وبيان فيما اتفق عليه الشيخان، ومركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي أنتجت المكتبة الألفية للسنة النبوية، والموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف، ومكتبة علوم الحديث وغيرها.

ثالثًا: إنشاء معاهد ومراكز خاصة بالسنة النبوية: مثل مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية، حيث يعنى هذا المركز بإعداد موسوعات في السنة النبوية وعلومها وكذلك السيرة النبوية وجمع المخطوطات والوثائق المتعلقة بالسنة النبوية وتحقيق بعضها، وترجمة بعض كتب السنة والسيرة النبوية إلى لغات أخرى، إضافة إلى مناصرة النبي صلى الله عليه وسلم ودفع الشبهات المثارة حول السنة والنبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: إنشاء كليات وأقسام علمية متخصصة بالسنة النبوية وعلومها، على أسس علمية، مثل كلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وفيها قسم فقه السنة ومصادرها وقسم علوم الحديث، وكذلك مثل قسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقسم السنة وعلومها بجامعة الملك خالد بأبها، وقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، وغيرها.

خامسًا: تأليف الكتب والمصنفات وكتابة المقالات والبحوث عن السنة النبوية وعلومها، وعن السيرة النبوية وشمائل النبي صلى الله عليه وسلم، ودفع الشبهات وردّ الأباطيل المثارة حول السنة والنبي صلى الله عليه وسلم،

سادسًا: القيام بالمشاريع العلمية التي تخدم السنة النبوية، عبر دراسات أكاديمية متخصصة مثل جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، والتي تهدف إلى تشجيع البحث العلمي للسنة النبوية والدراسات الإسلامية بعلومها وفنونها وموضوعاتها المختلفة، وقد أصدرت هذه الجائزة عشرات من البحوث والدراسات المتعلقة بالسنة النبوية من قبل الباحثين والمختصين لهذا العلم، من كثير من الدول الإسلامية.

**ب-جهود دولة ماليزيا في العناية بالسنة النبوية :**

ماليزيا هي دولة تقع في جنوب شرق آسيا مكونة من ١٣ ولاية وثلاثة أقاليم اتحادية، بمساحة كلية تبلغ ٣٢٩,٨٤٥ كم٢. العاصمة هي كوالالمبور، في حين أن بوتراجايا هي مقر الحكومة الاتحادية. يصل تعداد السكان إلى أكثر من ٢٨ مليون نسمة. ينقسم البلد إلى قسمين يفصل بينهما بحر الصين الجنوبي، هما شبه الجزيرة الماليزية وبورنيو الماليزية (المعروفة أيضاً باسم ماليزيا الشرقية). يحد ماليزيا كل من تايلند واندونيسيا وسنغافورة وسلطنة بروناي. تقع ماليزيا بالقرب من خط الاستواء ومناخها مداري. رأس

الهرم الماليزي هو يانغ دي بيرتوان اغونغ وهو ملك منتخب، بينما يترأس الحكومة رئيس الوزراء. تبنى الحكومة بشكل قريب جداً من نظام وستمنستر البرلماني.

= الإسلام هو الدين الرسمي في أغلب الولايات الماليزية وأكبر الأديان في ماليزيا، على الرغم من أن المجتمع الماليزي مجتمع متعدد الأديان. وفقاً لتعداد السكان والمساكن عام ٢٠٠٠، ما يقرب من ٦٠,٤% من السكان مسلمون، بينما تشكل البوذية ١٩,٢%، ٩,١% مسيحيون، الهندوس ٦,٣%، و ٢,٦% يمارس الكونفوشية والطاوية وغيرها من الديانات التقليدية الصينية. ما تبقى من الأديان، هي الإحيائية والدين الشعبي، والسيخية بينما أفاد ٠,٩ ٪ بأنهم إما ملحدون أو لم يقدموا أية معلومات.

تعتبر عرقية الملايو بأجمعها مسلمة كما هو محدد في المادة ١٦٠ من دستور ماليزيا.

كما هو الحال في البلدان الآسيوية الأخرى ذات الأغلبية المسلمة، الإسلام والدين عموماً أصبح أكثر جلاء منذ الثمانينيات والتسعينيات.[٥٢]

وفي السطور التالية نتعرف على واقع الدعوة الاسلامية في ماليزيا والمؤسسات الدعوية هناك، وكيفية تفعيل هذه المؤسسات من خلال التأهيل الشرعي

وأن الدولة تقوم بخدمة السنة بمختلف الوسائل من ذلك إصدار المجلات وعقد المؤتمرات, وإنشاء المدارس والجامعات والجمعيات التي يدرس فيها الحديث وعلومه مستخدمة في ذلك التقنية الحديثة أيضا , فلقد أثبتت التجربة الماليزية أن الإسلام لم يكن سبباً في تخلف المسلمين، مثلما عبّر عن ذلك الدكتور محاضير رئيس الوزراء الماليزي السابق بقوله: "الإسلام لا يشكل عقبة تحول دون التقدم والتطور والنمو، ولا يعوق اكتساب المهارات الإدارية العالية وتطبيقها في حيز الواقع، ولا يحرم مراكمة الثروة عن طريق القدرات التجارية والصناعية، ولا يمنع إعداد القوة الكفيلة بردع المعتدي، الذي يحاول التقوي على الضعفاء. إن نجاح المسلمين والأمة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة كفيل بإقناع غير المسلمين بالوجه الحقيقي للدين الإسلامي، أكثر من المواعظ والخطب، خاصة عندما يكون هناك تناقض بين الأقوال والأفعال".

ونستعرض جهود الدولة في نشر الدعوة من خلال عدة آليات :

**أولا: العناية بتطوير أداء الدعاة:**

فقد بدأ التليفزيون الماليزى مؤخراً بث برنامج «الإمام الشاب»، الذى يسعى لاختيار سوبر ستار الدعاة الماليزيين، أو أكثر الشباب المؤهَّلِين ليصبحوا أئمة فى المستقبل القريب.

المرحلة الأولى من البرنامج شملت اختيار ألف شاب تتراوح أعمارُهم بين ١٨ -٢٧ عامًا وخضعوا فيها لاختبارات توضح مدى قدرتهم على المشاركة فى البرنامج، وتضمنت اختبارات تلاوةُ آيات القرآن، والإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام فى جميع التخصصات. وتمت تصفية الألف شاب إلى ١٠

(٥٢) موقع ويكيبديا, http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A7

شباب فقط، باتوا يتنافسون على أصوات المشاهدين الماليزيين. الطريف أن الشباب العشرة تتنوع تخصصاتهم المهنية، فمن بينهم موظف بنك، ومزارع، وعالم دين، وبعض الطلاب الجامعيين.

وأوضح إزيلان باسار أن البرنامج يسعى لبيان واجبات الإمام المسلم العصرى ودوره الواسع فى الحياة، بدءاً من إمامة الصلاة انتهاءً بوضع الحلول للكثير من المشكلات الاجتماعية، التى باتت تواجه المسلمين الآن. أما جوانب المسابقة فتتضمنُ قيام المتسابقين بالعديد من الطقوس الدينية ومنها تغسيل الموتى، وفقًا للطقوس الإسلامية، وتقديم النصْح والمشورة للنساء، وغيرها من الواجبات التى تفيد المجتمع وتكرِّس المفهوم الصحيح للإسلام.[٥٣]

ونجد قناة الراديو (أي كي أي إم) ذات توجه إسلامي معتدل، فإلى جانب تشجيعها للفن الإسلامي وتقديم الأناشيد الإسلامية الماليزية، إلى جانب أناشيد تستوردها من مختلف دول العالم الإسلامي باللغتين الإنجليزية والعربية، فهي تشجع تعلم اللغة العربية أيضاً.[٥٤]

**ثانيا: مشروع الإسلام الحضاري:**

فقد طرح عبدالله أحمد بدوي -رئيس الوزراء الماليزي- ما يسمى بمشروع "الإسلام الحضاري" كمشروع تحديثي للدولة التي يدين أغلب سكانها بالإسلام. وقد برزت ماليزيا في السنوات الأخيرة كدولة آسيوية ناهضة على عدة أصعدة اقتصاديا وعلميا ومعنويا؛ فحازت ماليزيا لقب "نمر اقتصادي" ضمن مجموعة قليلة من دول آسيا، وعلى الصعيد العلمي والتكنولوجي تدرس ماليزيا إحياء برنامجها النووي المجمد منذ السبعينيات من القرن العشرين، خاصة أنها تمتلك التكنولوجيا القادرة على المضي فيه. وكانت ماليزيا قد أعلنت في نهاية أغسطس ٢٠٠٥ أنها تخطط لإرسال أول رائد فضاء للهبوط على سطح القمر بحلول عام ٢٠٢٠. ونشطت ماليزيا منذ عهد رئيس وزرائها السابق محاضير محمد لاحتلال موقع بارز في السياسة العالمية ضمن مجموعة دول عدم الانحياز والدول الإسلامية.[٥٥]

**ثالثا:دور المدارس والجامعات والجمعيات:**

عملت الدولة في نشر السنة من خلال تحديث منظومة التعليم , وذلك بإنشاء المدارس والجامعات على أحدث الطرز , مراعية فيها الالتزام بتعاليم الإسلام ,

وكذلك الجمعيات الخيرية مثل الجمعية الخيرية الإسلامية بماليزيا - بركيم

تعرف الجمعية الخيرية الإسلامية بماليزيا باسمهما المختصر (بركيم) وقد أسست منذ عام ١٩٦٠ عندما كان سمو تنكو عبد الرحمن بترا الحاج رئيساً لوزراء ماليزيا . وتعتبر (بركيم) المنظمة الإسلامية الوحيدة في ماليزيا التي تكرس جهودها لنشر الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين.ولا زالت

---

[٥٣] http://www.masress.com/almasryalyoum/103578

[٥٤] د. ليلي رامي , موقع المشرع الإسلامي , http://almoshrra.arabblogs.com/mon/archive/2008/2/480071.html

[٥٥] موقع المغني , http://www.almorni.com/index.php?option=com_content&task=view&id=166&Itemid=26

(بركيم) إلى اليوم . تحت قيادة تنكو عبد الرحمن . تعتبر المنظمة الإسلامية الوحيدة التي تعترف بها ماليزيا حكومة وشعباً، على أنها منظمة الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين.

وتمارس (بركيم) نشاط الدعوة من خلال أعمال البر والخدمات الاجتماعية المفيدة للناس، وتهدف من ذلك إلى إثارة الشعور بالاهتمام بالإسلام في محيط الطوائف غير المسلمة، وتحريك رغباتهم في الاتجاه إلى هذا الدين والتعرف عليه.

كما يقوم الدعاة المدربون من (بركيم) بزيارة غير المسلمين الذين يريدون التعرف على الإسلام، ويقدمون لهم ما يريدون من معلومات ويجيبون على استفساراتهم، وغالباً ما يكون الدعاة من نفس جنس الأشخاص الذين يزورونهم ويتحدثون بلغتهم كالصينيين والهنود وغيرهم من طوائف السكان في ماليزيا.

وعادة ينتهي الأمر بمثل هؤلاء الأشخاص غير المسلمين إلى التأثر بمبادئ الدين الإسلامي.

وتهدف الجمعية إلى جذب أجداد الماليزيين السابقين الذين يتبعون معتقدات أخرى إلى الإسلام، ومن ثم كان على جمعية (بركيم) أن تنهج منهج الحكمة في ممارسة الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين في ماليزيا لإقناعهم في النهاية باعتناق الإسلام، فيصبحون من الإخوة المسلمين الجدد على حد التعبير الشائع في ماليزيا.[٥٦]

ومن بين تلك المؤسسات تبرز جمعية (بركة الخيرية الإسلامية) التي بدأت في عام ١٩٧٢ م، وكان قد رأسها تنكو عبد الرحمن، وتصدر مجلة «نور الإسلام» باللغة الصينية صدر منها أكثر من ٥٠٠٠ عدد.

وتستهدف الجمعية دعوة غير المسلمين من الماليزيين، يغلب على الجمعية العقيدة الأشعرية، وللجمعية فرع خارجي اسمه (ريساب) يقوم بدعوة غير المسلمين والمسلمين في عدة دول، ولديهم حوالي (٥٦) فرعاً، ومن أنشطتهم القيام بإعداد الأئمة وتدريسهم بالجامعة الإسلامية بماليزيا.

أما جمعية (ابيهر) التي تسير على نهج الجماعة الإسلامية بباكستان، فتنشط في إعداد برامج الإغاثة والفصول الدراسية، ولديهم فرع خارجي اسمه (إسلامك أوت ريج).

وكذا جمعية (الخادم) التي يرأسها الشيخ محمد حسين يي عبد الله، وكان معتنقاً للعقيدة الطاوية إحدى فرق الكنفوشيوسية، ثم تحول إلى البوذية ثم اعتنق النصرانية، وصار مبشراً لها إلى أن مَنّ الله عليه باعتناق الإسلام منذ عام١٩٦٨م. ودرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ومن أنشطة الجمعية الزيارات والدروس للأطفال والكبار، ولديهم نشاطات اجتماعية وإنسانية وتربوية.

كما تبرز جمعية ومعهد «القبلة» التي يرأسها الشيخ إسماعيل العمر، ويدرس المعهد المنهج السلفي للطلاب.

---

[٥٦] مدونة منارة الهدى , http://manaratulhuda.blogspot.com/2010/11/blog-post_08.html

وغير ذلك الكثير من المؤسسات الدعوية التي تنتهج أساليب عدة في الدعوة. (٥٧)

= **لمحة تاريخية عن جامعة العلوم الإسلامية الماليزية:(٥٨)**

تعتبر جامعة العلوم الإسلامية من الجامعات المتميزة، في ماليزيا وبلاد الأعاجم الإسلامية حيث تدرس كل المواد الشرعية فيها باللغة العربية، وأنها تقدم برامج دراسية قادرة على مواكبة التطور العلمي في العصر الحاضر، ويكون لدى الخريجين قدرة على العمل في مختلف ميادين العمل استناداً لما يحملونه من معرفة بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة والعلوم الشرعية التي يجب على المسلم أن ينظم حياته وفق الشرع الإسلامي، كما أنها تعد رائدة في مجال التثقيف الإسلامي المتميز لطلبة العلوم الأخرى لكي يكونوا مستقيمين ويسهمون في بناء مجتمع إسلامي حضاري يتفاعل مع الحياة العصرية بما ينسجم وشرع الإسلام، ولجعلهم باحثين في ما يبين عظمة القرآن الكريم وإجازه الذي يتجدد كلما تجدد العلم وتطور، من خلال دراستهم للإعجاز القرآني والآيات التي تتضمن صوراً من ذلك الإعجاز ومن خلال التجربة العملية في الطب نحو العظمة الربانية في خلق الإنسان وغيرها مما يتفاعل معه طالب العلوم الطبية ليرى ويظهر عظمة الخالق في كل مايدرسه من علوم،

وقد انطلقت مسيرتها العلمية في العام الدراسي ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م، حيث استخدمت عند انطلاقها جزءاً من مبنى كلية الدراسات الإسلامية في الجامعة الوطنية الماليزية، ثم انتقلت بعدها إلى مبنى المعهد المهني لبيت المال التخصصي في كولا لمبور، وبدأت مرحلتها الأولى بثلاث كليات هي: كلية الشريعة والقضاء، وكلية دراسات القرآن والسنة، وكلية الدعوة والإدارة.

ومع إطلالة العام ٢٠٠٧م شهدت الجامعة حدثاً تاريخياً هاماً وذلك بتغيير اسم الجامعة ليصبح جامعة العلوم الإسلامية الماليزية لتصبح في مصاف الجامعات الحكومية الماليزية العريقة.

**أسس التدريس ومجالاته في الجامعة**

أما لغة التدريس في الجامعة فهي: اللغة الماليزية والتي تعتبر اللغة الرسمية للجامعة، واللغة العربية وهي لغة التدريس للدراسات الإسلامية، إلى جانب اللغة الإنجليزية، لكي يكون الطلبة على مستوى عال من الاستيعاب والتمكن من العلوم المدروسة جميعاً وذلك من خلال لغة كل علم من تلك العلوم، سيما العلوم الشرعية المتمثلة في القرآن والسنة والفقه وغيرها من العلوم الشرعية، وذلك لتحقيق التكامل في عملية التعليم والتعلم في الجامعة.

وبما أن الجامعة تعد إحدى المؤسسات التعليمية المتميزة في دراساتها الدينية والعلمية التي تقوم على التربية الإسلامية، فهي تسعى لأن يصل عدد طلابها إلى عشرة آلاف لتكون جامعة متمكنة في كل المجالات العلمية التي تقدمها، ولكي تخرج أجيالاً من الدارسين متمكنين من اللغة العربية

(٥٧) موقع رياض الدعاة alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=2133&issue=518

(٥٨) دراسة السنة النبوية في جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا، من إعداد الدكتور إحسان موسى حسن الربيعي .

والإنجليزية في جميع ميادين العلوم، وذلك ليتم الاعتراف بها كجامعة رصينة، في داخل البلاد وخارجها، مواكبة لأهداف الحكومة في إنشاء المراكز العلمية في البلاد.

**٤. أهداف الجامعة**

تفتح جامعة العلوم الإسلامية الماليزية مجالاً رحباً لطلبة المدارس الدينية لمواصلة دراستهم ورفع مستواهم العلمي، فقد وضعت لها جملة من الأهداف لتحقيق هذا المطلب منها:

أ-الارتقاء بالتربية الإسلامية وتفعيلها في المجتمع لكونها من الاهتمامات الأساسية للحكومة المركزية في البلاد.

ب- تمكين الطلبة الخريجين منها من التوفيق بين النظرية والتطبيق في كل المجالات العلمية.

ج-إعداد قيادات فكرية وعلمية متشبعة بالتربية الإسلامية المتكاملة قادرة على قيادة المجتمع الماليزي نحو التنمية الوطنية الشاملة.

د -إحياء ودراسة التراث الإسلامي والعلوم الإسلامية بما يتلائم ومتطلبات العصر الحديث.

هـ - إعداد كوادر بشرية قادرة على فهم الإسلام فهماً دقيقاً وتأدية واجباتها محلياً وعالمياً.

**نبذة عن كلية دراسات القرآن والسنة**

تحقيقاً لأهداف الجامعة أسست كلية دراسات القرآن والسنة في عام ٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م، وانطلقت مسيرتها العلمية ببرنامج واحد هو دراسات القرآن والسنة. وذلك من أجل إعداد خرجيين مؤهلين متخصصين في مجال دراسات القرآن والسنة، وأن تكون الكلية قادرة على تجسيد شعار الإسلام ورفع رايته، وفسح المجال أمام الباحثين والدارسين لنشر علوم القرآن والسنة في المجتمع والدولة.

إن مجال القرآن والسنة يعد من أهم المجالات في العلوم الإسلامية لأنها تعد دستوراً للمسلمين، لذلك لا بد من تفعيلها في حياتهم مواكبة لعصر التطور العلمي والتكنولوجي، ولبناء إنسان حضاري قادر على المساهمة بشكل فعال في تقدم الإنسانية.

**أهداف الكلية**

١. تخريج كوادر علمية متخصصة في دراسات القرآن والسنة وعلى قدر من المعرفة بها قادرين على استنباط الأحكام والمعارف من مصادرها الأصلية القرآن والسنة.

٢. إعداد كوادر مثقفة بالفكر الإسلامي الأصيل الذي يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق المستندة إلى القرآن والسنة لتأصيل الفكر الإسلامي استناداً إليها.

٣. تخريج كوادر بشرية مؤهلة وقادرة على تأدية واجباتها في المجتمع في مجال دراسات القرآن والسنة، والعلوم الحديثة والتكنولوجيا، وذلك في جميع المجالات التعليمية والوظيفية والاجتماعية.

**البرامج الدراسية في الكلية:**

للتوسع في مجالات البحث والدراسة في مجال القرآن والسنة، فإن الكلية تقدم برامج علمية مختلفة وهي:

١-الإجازة العالية في دراسات القرآن والسنة (مع مرتبة الشرف)

٢-الإجازة العالية في دراسات القرآن والملتيميديا (مع مرتبة الشرف)

٣-الإجازة العالية في دراسات السنة وإدارة المعلومات مع (مرتبة الشرف)

يتضح لنا بعد هذه النبذة المختصرة عن الجامعة وكلية دراسات القرآن والسنة مدى اهتمام الجامعة بالدراسات الشرعية ومصادرها الأصلية المتمثلة بالقرآن والسنة، حيث أدخلتها في جميع برامجها الدراسية حتى في العلوم والاقتصاد والطب وكافة المجالات لتعريف الطلبة بأهمية القرآن الكريم والسنة النبوية، ومحاولة دفعهم نحو البحث العلمي وتطبيق ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية عملياً في كل مجالات العلم والبحث في الإعجاز العلمي فيما من خلال التجربة العلمية التي يعيشونها في دراساتهم العلمية المتنوعة،

**دراسة السنة النبوية في كلية القرآن والسنة**

كما اطلعنا على مجال تركيز اهتمام الجامعة والكلية نجد أن جل اهتمامهما بالقرآن والسنة حيث جعلت الكلية مدار أهدافها هو دراسة وتفعيل القرآن والسنة في الحياة والمجتمع وربطها بالواقع المعاصر والاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في مجال دراستها، فكان للسنة النبوية اهتماماً خاصاً حيث تم إنشاء برنامج علمي يعنى بدراستها مع القرآن الكريم تحت عنوان **دراسات القرآن والسنة**، وبرنامج متخصص فيها تحت عنوان **دراسات السنة وإدارة المعلومات** وسأبين باختصار هذين البرنامجين مع التركيز على مجال السنة النبوية فيهما، وفي الكليات الأخرى حيث تدرس مواد من السنة النبوية في الكليات العلمية في الجامة.

**تحليل محتوى برنامج دراسات القرآن والسنة ولمواد التي تدرس فيه:**

**وفيما يلي وصف لبعض المواد في السنة النبوية والتي تدرس في هذا البرنامج وكمايلي:**

**١. الحديث ١**

تتناول هذه المادة أحاديث مختارة متعلقة بالعلم والإيمان والتوحيد والأخلاق والرق والتربية والاعتصام والفتن، اعتماداً على المصادر الحديثية الأصلية.

**٢. الحديث ٢**

تتناول هذه المادة أحاديث مختارة مما يتعلق بالقيادة والاقتصاد والعلوم والطب وخلق العالم وخلق الإنسان، اعتماداً على المصادر الحديثية الأصلية والكتب العلمية للعلماء المسلمين التي درست هذه الأحاديث كل في مجاله سواء من ناحية الاستدلال أو الإعجاز.

٣. **دراسة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**

هذه المادة تدرس تاريخ ظهور الأحاديث الموضوعة، وتبحث في الأحاديث الضعيفة وتحليل أراء العلماء في حكم الرواية والعمل فيها. وتدرس أمثلة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة وأثرها السلبي على الأمة الإسلامية.

٤. **السنة والبدعة والخرافة**

تقوم هذه المادة بتعريف السنة وأنواعها وتعريف البدعة والخرافة والفرق بينهما وتاريخ نشأة البدعة ومصادرها.وتحلل آيات القرآن الكريم والأحاديث التي ترد على البدعة. وتناقش أعراف الملايويين، وما يعتريها من بدع ومخالفات للسنة ومحاولة نقدها وتصحيحها في المجتمع.

٥. **موقف المستشرقين من القرآن والسنة**

تتناول هذه المادة تاريخ ظهور المستشرقين وأهدافهم بإيجاز. وتناقش أيضاً موقفهم من الإسلام والنبي محمد ﷺ وآرائهم وموقفهم من القرآن والسنة مع الأمثلة والقضايا التي يثيرونها.

٦. **علم رجال الحديث**

تبحث هذه المادة في تعريف السند و الإسناد والتجريح ومنهجه والتعديل وتاريخ علم السند والإسناد والجرح والتعديل ومعرفة السند العالي والنازل المسلسل ورواية الأكابر عن الأصاغر ورواية الآباء عن الأبناء ورواية الأبناء عن الأباء، والحديث وما يتعلق به. وتتعرض أيضا لتجريح وتعديل رواة الحديث وحكم تخريج الراوي وشروط المرجح والمعدل وغيرها.

٧. **علم التخريج**

هذه المادة تساعد الطلبة على البحث وتعيين المصادر الأصلية للحديث ورتبته من حيث الصحة والضعف وغيرهما. وهذا لتوجيه الاحتجاج بالحديث في القضيا المعاصرة وغيرها.

٨. **حديث الأحكام**

تدرس هذه المادة الأحاديث المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالطهارة والعبادات والجنايات والمناكحات وتركز المناقشة على اختلاف آراء العلماء وحججهم استنادا إلى الأحاديث النبوية.

٩. **علوم الحديث**

تحتوي هذه المادة على موضوعات أساسية في علوم الحديث منها: معنى الحديث وأنواعه وأقسامه ، والحديث من ناحية الدراية والرواية، والحديث القدسي، وتاريخ رواية الحديث، وعلم الجرح

والتعديل، والأحاديث الموضوعة، وتخريج الحديث، وعلاقة الحديث بالقرآن، موكانة الحديث النبوي في الشريعة الإسلامية، وتعريف موجز بالكتب الستة: ( صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن ابن ماجه ).

١٠. **سيرة الرسول ﷺ**

تدرس هذه المادة حياة الرسول ﷺ على ضوء القرآن والسنة، ويكون التركيز على دراسة شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام من النواحى التالية: الرسول كإنسان، كرسول، كقائد، كزوج، كأب، وكصديق، وذلك ليكون ﷺ خير قدوة لبناء الإنسان الكامل وتكوين المجتمع الفاضل. إضافة إلى ذلك تتناول المادة تاريخ العرب قبل الإسلام، وحياة الرسول ﷺ قبل البعثة، والسابقون الأولون، وموقف قريش من الدعوة الجديدة، وسياسة الرسول ﷺ فى مواجهة التحديات، والهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة، وميلاد الدولة الإسلامية فى المدينة، وعلاقة المسلمين باليهود وبالقبائل العربية الأخرى ومناقشة صحيفة المدينة المنورة.

هذه المواد التي تتعلق بالسنة النبوية في هذا البرنامج فهي تقدم فهماً شاملاً لما يتعلق بالسنة النبوية ودراستها بجانب المواد الأخرى لتؤسس طلبة يحملون ثقافة دينية عالية يستطيعون من خلالها التأثير في مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

وهناك **برنامجان آخران: هما برنامج دراسات السنة وإدارة المعلومات** , وبرنامج ثالث تقدمه كلية دراسات القرآن والسنة هو برنامج دراسات القرآن والملتي ميديا .

**رابعا: عقد المؤتمرات:**[٥٩]

لا شك أن عقد المؤتمرؤات يثري الحركة الدعوية ويلقح الفهوم , لذا اهتمت ماليويا بعقد المؤتمرات الداعمة للسنة, وكمثال ننظر لمؤتمرات ماليزيا لسنة ٢٠١٢

منها :

١-المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي: الواقع والتحديات

٢-مؤتمر رؤية مستقبلية للعمل المصرفي الإسلامي

٣-المؤتمر العالمي حول الإسلام في آسيا وأستراليا

٤-المؤتمر الدولي للإعجاز العددي في القرآن الكريم

٥-المؤتمر العالمي الأول لطلاب الدراسات العليا

٦-المؤتمر الدولي للاقتصاد الإسلامي والأعمال

(٥٩) موقع الضياء , http://diae.net/tags/%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A7-2012

٧-مؤتمر القيادة والتحول الاجتماعي في العالم الإسلامي

٨-المؤتمر الدولي الثاني في الشريعة والقانون

تنظم كلية الشريعة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية المؤتمر الدولي الثاني في الشريعة والقانون وذلك في الفترة ٦ – ٧ مارس ٢٠١٢ لأجل تناول قضايا القانون والأخلاق وحقوق الإنسان وعلاقة القانون بالمجتمع والعدالة والتطبيقات القانونية.

٩-المؤتمر الدولي للبحوث في الدراسات الإسلامية

وأقف قليلا مع مؤتمر وهو التراث النبوي في ماليزيا: وقد عقد المؤتمر في بوتراجايا بقاعة فندق بام كاردن ( IOI ) في يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٦ - ٢٧ / جمادى الآخرة / ١٤٢٨ هـ الموافق ١١ - ١٢ من/ تموز / ٢٠٠٧ م. أقامته كلية دراسات القرآن والسنة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية (USIM) مؤتمرها عن التراث النبوي التطبيقات والتحديات المعاصرة ، وجاءت الأبحاث مشتركة بثلاث لغات عالمية وهي العربية والملايوية والانكليزية, قال الدكتور عدنان محمد يوسف عميد الكلية ومدير المؤتمر عن سبب اختيار موضوع المؤتمر وعقده : « لقد قامت كليتنا في عام ٢٠٠٥ م بعقد مؤتمر عن القرآن الكريم والتحديات المعاصرة ، وفي هذا العام تم اختيار جانب السنة المطهرة تلبية لحاجات الأوساط العلمية للإجابة عن بعض القضايا التي طرأت على الساحة الحديثية من الاستهزاء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والاستخفاف بالسنة وهجرها وغير ذلك».

وقال : « إنَّ السنة مصدر هام لبناء الحضارة الإسلامية المنشودة كما حققها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام والسلف الصالح من بعدهم ، وهذا كله يتوافق مع توجه الحكومة الماليزية وشعبها المسلم لتفعيل السنة النبوية في مشروع الإسلام الحضاري الذي تتبناه هذه البلاد ، كما وأنَّ الأمل يحدونا من هذا المؤتمر وغيره بماليزيا لدفع الدراسات الحديثية نحو الأفضل ، والإستفادة من التقنيات الحديثة والخبرات العلمية المتعددة بما يتوافق مع عصر العولمة والمعلوماتية لخدمة السنة المطهرة ، وإننا بهذا الجمع من أصحاب الخبرات والعلماء في الحديث والأساتذة المختصين بالدراسات الإسلامية المشاركين في مؤتمرنا نحاول أن نضع استراتيجية في الذب عن السنة وتفعيل دورها في النهضة والبناء».

تقول الأستاذة رابعة العدوية بنت محمد رئيسة لجنة البحوث في المؤتمر: « لقد تسلمنا أكثر من ستين بحثاً ، وقد اشتركت منها خمسون فقط علماً أنَّ الأبحاث جميعها قد طبعت في كتاب خاص جاء بحدود ١٢٠٠ صفحة من حجم A4 ولغات ثلاث ، ومعظم البحوث جاءتنا من جامعات ماليزيا والمؤسسات الدينية الأخرى ، وأما المشاركون فهم أساتذة في الكليات والجامعات ، ومدرسون ومدرسات في المدارس والمعاهد الإسلامية ، كما أننا استقبلنا مشاركات خارجية من تايلند وسنغافورة والعراق وسوريا ، ...هذا وقد جاءت بحوث المؤتمر موزعة على محاوره التي تناقش موضوعات السنة تحدياتها المعاصرة ، وأهميتها في مشروع إسلام حضاري في ماليزيا ، وأثرها في الفكر الإسلامي المعاصر ،

وتطبيقاتها في بناء الإنسان المتكامل ، وأثر التكنولوجيا الحديثة في دراسة السنة وبحثها ، والآثار النبوية المكتشفة في العصر الحديث.[٦٠]

**خامسا:اصدار المجلات: من ذلك :«مجلة الحديث» ,** وهي مجلة علمية محكمة، تَصدُر مرتين في العام عن معهد دراسات الحديث النبوي (التابع للكلية الجامعية الإسلامية العالمية) في ولاية سلانجور بماليزيا، فقد صدرت لهذه المجلة حتى الآن ثلاثة أعداد، وها هي أبحاث تلك الأعداد حسب الترتيب التالي:بحوث العدد الأول : (السنة الأولى، العدد الأول، شعبان ١٤٣٢هـ/ يوليو ٢٠١١م)كلمة افتتاحية العدد الأول: رئيس التحريرأهمية الحديث النبوي في مواجهة تحديات العصر: الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي توظيف السنة النبوية في ضوء الواقع المعاصر: أ.د. محمد أبو الليث الخيرآباديالهدي النبوي: وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع: د. محمد عادل خانالسنة النبوية: أهميتها وواجب المسلمين نحوها: سيد عبد الماجد الغوري أسلوب تربية الطفل بالقدوة في ضوء السنة النبوية: نور ناجحان بنت جعفرالتعالُم: فتنة عظيمة: من نبوءات النبوة المحقَّقة: خديجة بنت سيد ممتاز الدينإسهام النساء في رواية السنة النبوية: د. محمد أكرم الندوي

بحوث العدد الثاني: (السنة الأولى، العدد الثاني، صفر ١٤٣٣هـ/ديسمبر ٢٠١١م)طرق جديدة لتقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة: أ.د. محمد أبو الليث الخيرآبادي مصطلح "ليّن الحديث" عند المحدِّثين: د. إروان سنتري ذو القواعدالحديث المكّي والمدني: معالم وضوابط: د. عبد الكريم توري المحدِّث الشيخ شبير أحمد العثماني وجهوده في الحديث النبوي: سيد عبد الماجد الغوري الحافظ سَمُّوية وكتابه "الفوائد": عبد الله خالد المباركفوري

العدد الثالث: (السنة الثانية، العدد الثالث، شعبان ١٤٣٣هـ/يونيو ٢٠١٢م)أساليب تربية الطفل بالحكمة في ضوء السنة النبوية: نور ناجحان بنت جعفر وحالم تاموري.النظرة التحويلية التوليدية وتطبيقاتها في نصوص السنة النبوية: د. أحمد كسار.الأدب النبوي: مزاياه وخصائصه: د. سيد أحمد الله بختياري.علم الحديث بين أهل السنة والشيعة: د. عبد الله محمد الحسبان.المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج وشروحه: دراسة منهجية: خديجة بنت سيد ممتاز الدين.الأمير صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في الحديث النبوي: سيد عبد الماجد الغوري.[٦١]

---

[٦٠] موقع البصائر , http://www.basaernews.com/news.php?id=5201

[٦١] http://www.ar4all.com/vb/showthread.php/17214-%D8%AA%D8%AD%D9%85%D9%8A%D9%84-%D8%A3%D8%B9%D8%AF%D8%A7%D8%AF-%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D9%85%D8%B9%D9%87%D8%AF-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%B2%D9%8A%D8%A7

**سادسا: الدعوة بالفنون:**

اسجاما مع إبداع العقل الماليزي , فقد ابنكر منهجا جديدا للدعوة , من حيث توظيف الفن للتعريف بالإسلام ونشر دعوة الحق , وذلك الدور قامت به مؤسسة «روستو» الماليزية، التي تأسست في عام ١٩٩٨م، حيث أخذت من الفنون الإسلامية والزخرفة وسيلة دعوية في أوساط الماليزيين

وتعد مؤسسة روستو من أبرز المؤسسات المدنية الفاعلة في الساحة الماليزية، وهي مؤسسة غير ربحية وتهدف المؤسسة إلى نشر رسالة الإسلام في أنحاء العالم، وتقوية إيمان المسلمين وإنعاش الفن الإسلامي. ونجحت «روستو» في نسخ وطباعة المصحف الشريف في ماليزيا، في بادرة هي الأولى من نوعها منذ سقوط ولاية ملاكا قبل ٥٠٠ سنة.

وتتركز جهود مؤسسة روستو على البحوث والدراسات المتعلقة بفن نسخ وزخرفة القرآن، وكذلك على حضارة الملايو والحضارة الإسلامية على النطاق العالمي، من خلال جمع وتصنيف رموز الملايو في ولايات ماليزيا، والتي قد تأثرت بشكل كبير بالحضارة الإسلامية.

ونشطت «مؤسسة روستو» منذ عام ١٩٩٨م بإقامة العديد من المعارض محليًّا ودوليًّا من أجل تعريف الناس بالفن الإسلامي. كما تمتلك المؤسسة معرضا ومركزا للإنتاج الفني يعرف بـ «مجمع حديقة سلانجور للفن الإسلامي». وتضم المؤسسة أكثر من ١١ قسما متعلقا بالفن الإسلامي بالإضافة إلى كلية للفن الإسلامي.

وفي عام٢٠٠٠م نجحت المؤسسة في إنتاج وتوزيع «القرآن مصحف ماليزيا» إلى العامة، وشجعت ردود الفعل الإيجابية لـ«القرآن مصحف ماليزيا» المؤسسة على إنتاج نسخة محسنة فنيًّا من المصحف، والتي سميت «القرآن مصحف ماليزيا»، طبعة عين التقوى والتي تم إنجازها في عام ٢٠٠٣م.

وفي إطار رسالة «روستو» لعرض الإسلام بأجمل الصور وأزهاها، وفي إطار التشارك الاجتماعي الذي يميز المجتمع الماليزي، تبنت المؤسسة تخريج خطاطات مسلمات إحياءً لسنة حضارية كانت منتشرة في بلاد الأندلس إبان عصرها الإسلامي، الممتد لثمانية قرون، حيث سجل المؤرخون وجود ٢٠ ألف خطاطة وكاتبة للقرآن.

وفي عام ٢٠٠٥ نجحت «روستو» في إصدار طبعة من القرآن الكريم مكتوبة بأيدي خطاطات نسخنها حسب الرسم العثماني، بالإضافة إلى زخرفتها من قبل فنانات دُربن على هذا العمل.

وتقوم «روستو» بإنتاج لوحات فنية إسلامية تُسوَّق بشكل واسع، تحمل أسماء الله الحسنى وآيات وأحاديث وأشعارًا ملايوية وحكمًا وأمثالا، بجانب عمل مجسمات منؤالخشب وغيره مستوحاة من الحروف العربية التي كتبت بها آيات كتاب الله، والتي يمكن أن تستوحى منها أشكال هندسية لعمائر وبنايات، أو عمل زخارف على قطع الأثاث المنزلي للاستغناء عن الرسوم المستوردة من خارج العالم الإسلامي.

ولتحقيق أهداف المؤسسة بإحياء ثقافة الفن الإسلامي بين الجيل الجديد من مسلمي البلاد أُسس «معهد روستو» ليكون مدرسة للفن، خرجت في أغسطس ٢٠٠٢م أول دفعة من حمَلة الدبلوم في الخط العربي والملايوي والزخرفة الإسلامية.

وتعد هذه أول تجربة مؤسسية دائمة تقام في ماليزيا، حيث كانت الدورات التي يقوم بها المتحف الإسلامي أو المركز الإسلامي أو غيره موسمية، ولا تؤدي إلى تخريج متخصصين، ثم إنها لم تكن تمنح شهادات تفيدهم وظيفيًّا.

ويخطط المعهد لرفع مستوى الشهادات وتنويع التخصصات داخل إطار الفن الإسلامي بما في ذلك العمارة.

ونظرا للتعدد الجغرافي والاثني والاختلافات الاجتماعية بين ولايات ماليزيا في العادات والمظاهر والفن والثقافة، طالب بعض الشخصيات من ولايات بينانغ وجوهور وسلانغور وبيراق «مؤسسة روستو» بتدريب فنانين من ولاياتهم يعملون على أعمال الزخرفة والخط في مشاريع تقوم بها الإدارات الدينية للولايات، وكلها تسعى لبناء ثقافة الخط العربي والملايوي في الولايات، في إطار ما لدى كل واحدة منها من تراث فني يختلف عن الأخرى، فالخلفيات الثقافية والفنية لولايتي جوهور وبينانغ . على سبيل المثال في الساحل الغربي تختلف عن تلك التي في الساحل الشرقي. [٦٢]

## المبحث الثاني:عناية الأقليات بالسنة النبوية.

### المطلب الأول: معنى الأقليات والمقصود بها.

- المقصود بالأقلّيات لغة واصطلاحًا.
- المقصود بالأقليات المسلمة.
-كيفية نشأة الأقليات المسلمة.

**المقصود بالأقلّيات لغة وإصطلاحًا:**

لغة: ترجع لفظة أقلية لغة إلى مادة قلل وبالرجوع لهذه المادة في المعاجم نجد أنها تنتظم ثلاثة معان: فمنها معنى القِلْة التي هي ضد الكثرة قال الله تعالى:" واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم" قال في اللسان :" القِلْة خلاف الكثرة"[٦٣]،

ومنها ذهاب البركة قال أبو عبيد في تفسير قول ابن مسعود "الربا وأن كثر فهو إلى قُل" قال: هو وإن كثر فليست له بركة"[٦٤]

---

[٦٢] موقع رياض الدعاة alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=2133&issue=518

[٦٣] لسان العرب١١/٥٦٣

[٦٤] الغريب لابن سلام ٩٢/٤

وكذلك قال الزمخشري: " القُل والقِلة كالذُّل والذِّلة يعني أنه ممحوق البركة"[٦٥] وقال في اللسان:"

وفي حديث ابن مسعود: الرِّبا، وإِن كَثُر، فهو إِلى قُلَ؛ معناه إِلى قِلَّة أَي أَنه وإِن كان زيادة في المال عاجلاً فإِنه يَؤُول إِلى النقص، كقوله: يمحَق الله الرِّبا ويُرْبي الصَّدَقات"[٦٦].

ومنها الضعة والدونية:

قال في اللسان :" القُل من الرجال: الخسيس الدين"[٦٧]

ومن الأشياء اللطيفة أن الاتجاهات المعاصرة في بيان مفهوم الأقلية وتعريفها تكاد تعود إلى هذه المعاني اللغوية، فمفهوم الأقلية له فيها ثلاثة اتجاهات:

اتجاه ينظر إلى العدد وبناء عليه ينظر إلى الأقلية على أنها الأقل عددا بالنسبة للجماعة الأخرى الأكثر عددا وانطلاقا من ذلك تعرف الأقلية أنها:" مجموعة من السكان لهم عادة جنسية الدولة غير أنهم يعيشون بذاتيتهم ويختلفون عن غالبية المواطنين في الجنس أو اللغة أو العقيدة أو الثقافة أو التاريخ أو العادات أو كل ذلك»، وأيضا الأقلية في هذا الاتجاه هي: «أي طائفة من البشر المنتمين إلى جنسية دولة بعينها متى تميز عن أغلبية المواطنين المكونين لعنصر السكان في الدولة المعنية من حيث العنصر أو الدين أو اللغة»[٦٨]،ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة صاحبة النفوذ والتأثير في المجتمع و اتجاه ينظر إلى القوة والسيطرة والتأثير وبناء عليه ينظر إلى الأقلية على أنها الجماعة الأضعف التي لا سيطرة لها في المجتمع بالنسبة لبقية الجماعة الأقوى التي يتكون منها المجتمع وانطلاقا من ذلك تعرف الأقلية أنها " مجموعة من الأشخاص في الدولة ليست لها السيطرة أو الهيمنة، تتمتع بجنسية الدولة إلا أنها تختلف من حيث الجنس أو الديانة أو اللغة عن باقي الشعب، وتصبو إلى حماية ثقافتها وتقاليدها ولغتها الخاصة"[٦٩] ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة هي الأكثر عددا في المجتمع، واتجاه ينظر إلى المكانة والرفعة والوجاهة وبناء عليه ينظر إلى الأقلية على أنها الجماعة المستضعفة مهضومة الحقوق التي ينظر إليها نظرة دونية وانطلاقا من ذلك تعرف الأقلية أنها "مجموعة من مواطني الدولة تختلف عن بقية مواطنيها من حيث الجنس أو الدين أو اللغة أو الثقافة تقبع في ذيل السلم الاجتماعي " ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة هي الأكثر من حيث العدد، وقد يظهر أن تكون النظرة إلى الأقلية من وجهة القوة والتأثير ومن وجهة المكانة متلازمة من حيث الواقع في أغلب الأحيان والأحوال للنظر إليها من ناحية العدد، إذ غالبا ما تكون الأكثرية العددية هي الأقوى صاحبة المكانة والوجاهة- إلا في القليل النادر-،

---

[٦٥] الفائق٣/٢٢٢

[٦٦] اللسان١١/٥٦٣

[٦٧] اللسان ١١/٥٦٤

[٦٨] الملف السياسي مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر عدد الجمعة ١٠ ذوالقعدة ١٤٢٤هـ - ٢ يناير٢٠٠٤- العدد ٦٥٩

[٦٩] المرجع السابق

وعلى ذلك فإنه يمكننا تعريف " الأقلية" : أنها مجموعة من مواطني الدولة- أية دولة- تشكل أقلية عددية بالنسبة لتعداد بقية المواطنين تتميز عنهم إما عرقيا أو قوميا أو دينيا أو ثقافيا أو لغويا أو كل ذلك ، وهي في الغالب الأعم تعاني من ضعف أو نقص في القوة أو المكانة تؤثر على وضعها السياسي والاجتماعي في المجتمع"

ومن البين أن هذا المعنى الاصطلاحي للأقليات لا وجود له إلا في ظل الوحدة السياسية التي يطلق عليها لفظ " دولة " والتي تفرض سلطانها على جميع القاطنين لإقليم هذه الدولة ، وأما خارج إطار الدولة القومية فلا معنى للحديث عن الأقليات ؛ فإن كل مجموعة عرقية أو لغوية أو دينية تكون وحدة مستقلة

**اصطلاحاً**: يطلق لفظ الأقلية على كل جماعة تعيش خارج حدود الدولة التي تنتمي إليها.بحيث يتمتع جميع أفراد الجماعة اليوم بما يسمى الجنسية.

يرى (القرضاوي) أن رواج هذه الكلمة في عصرنا "نتيجة لكثرة الهجرات وتقارب العالم بعضه مع بعض"[(٧٠)] ويعرفها كما يلي "كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار، تتميز عن أكثرية أهله في الدين، أو المذهب أوالعرق، أواللغة، أو نحو ذلك من الأساسيات التي تتميز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض."[(٧١)]

وقد بدأ ظهور هذا المصطلح في القرن الحالي، حيث لم يرد له ذكر في مصادر التاريخ، أو كتب الفقه.

**المقصود بالأقليات المسلمة:**

يقصد بالأقلية المسلمة: مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو الثقافة الغالبة، ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثله ومبادئه، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى علمنتهم وإبعادهم عن مثلهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

كذلك يمكن تعريف الأقلّيات المسلمة: بأنهم المسلمون الذين يعيشون في البلدان غير العضوة بمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعددهم حوالي (٤٥٠) مليون مسلم، يتوزعون على قارات العالم الست، أي ما يقرب من ثلث عدد المسلمين.

**كيفية نشأة الأقليات المسلمة**

**المتبع لنشأة الأقليات المسلمة أو الجاليات المسلمة يجد أن نشأتها كانت بواحدة من الطرق الآتية:**

١- اعتناق الإسلام: فإنه من الممكن أن تشكل الأقلية المسلمة في أي بقعة من بقاع الأرض إذا اعتنق بعض أهلها الإسلام.

---

(٧٠) يوسف القرضاوي : "في فقه الأقليات المسلمة "، مكتبة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ١٥.

(٧١) المرجع السابق ص ١٥

٢- هجرة بعض المسلمين إلى أرض غير مسلمة، كأوروبا وأمريكا وأستراليا وغيرها بدوافع سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

٣- احتلال أرض المسلمين من قبل دولة غير إسلامية فتحاول هذه الدولة المحتلة بطرق مختلفة طرد سكان الأرض الأصليين، أو أن يندمج هؤلاء المسلمون مع سكان البلد المحتل، كما حدث في شرق أوروبا والهند وفلسطين.

ويمكن أحياناً أن تتكون الأقلية الإسلامية من أكثر طريق واحد، كأن تتكون عن طريق الهجرة واعتناق الإسلام.

**المطلب الثاني: دور بعض دول شرق أسيا لنشر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

مما لا شك فيه أن الأقليات الإسلامية تشكل خط الدفاع الأول عن الوطن الإسلامي، كما يمكن لها أن تؤثر في الأحداث المختلفة في العالم إيجابيًا لخدمة قضايا الأمة، إذا أحسن التعامل معها، أو سلبًا إذا ما قصرنا في واجبنا- نحن المسلمين المقيمين في ديار الإسلام- نحوها, كذلك يمكن استثمار وجودها في الخارج كقوة فاعلة في الدعوة للإسلام ونشر دين الله.

وجدير بالذكر أن إحصائيات الأقليات تشير إلى أن عدد الأقليات يصل إلى ثلث الأمة الإسلامية البالغ عددها مليارا وأربعمائة مليون نسمة أو تزيد، والاحصائيات تشير إلى أن عدد الأقليات المسلمة قد يصل إلى (٤٥٠) مليون , وتعتبر قارة آسيا صاحبة النصيب الأكبر حيث يقدر عدد الأقليات المسلمة فيها بين ٢٥٠ مليونًا إلى ٣٠٠ مليون تليها قارة أفريقيا التي بها من أقليات أكثر من ١٥٠ مليونًا ثم أوروبا ثم أمريكا ثم استراليا.[٧٢]

وتشير المصادر التاريخية - الموثوق في صحتها - إلى أن دخول الإسلام إلى أرض الملايو -أرخبيل الملايو[٧٣]-كان في فجر الدعوة الإسلامية، إذ تُرجعه إلى القرن السابع الميلادي ٦٧٥ م[٧٤]

ومما يميز انتشار الإسلام في هذه البقاع، الطريقة التي انتشر بها، إذ دخل الناس فيه أفواجاً كثيفة عن رغبة ومحبة، بعيداً عن حدِّ السيف.

ويلاحظ أن هذه المنطقة لم يكن عهدها بالعرب بعد ظهور الإسلام، بل تؤكد الدراسات أنها كانت ذات صلة وثيقة بالعرب عن طريق الرحلات التجارية البحرية بين الصين والهند قبل ظهور الإسلام[٧٥]

---

[٧٢] http://www.islammemo.cc/nahn-we-el-gharb/2009/01/12/75052.html

[٧٣] هو عبارة عن مجموعة من الجزر تتكون منها كل من: أندونسيا، وماليزيا، والفلبين، وبروناي، وسنغافورة، وفطاني في جنوب تايلاند. وينتمي المسلمون من الأصل الملايوي إلى العرق الملايوي المنحدر من البروتو، وَ ديوتو. انظر عبد الرحمن شيك، «آفاق تعليم اللغة العربية ومعوقاته في جنوب شرقي آسيا»، إسلامية المعرفة، السنة ٣، العدد ١٢، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، ص. ١٦٠ وما بعدها.

[٧٤] رءوف شلبي، الإسلام في أرخبيل الملايو، دار القلم، الكويت، ص. ٨٩.

[٧٥] أحمد إبراهيم أبو شوك، «العرب والإسلام في جنوب شرق آسيا»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد ٨١، ٢٠٠٣.

لكن كانت هذه الجهة من أقل الجهات اعتناء بالحديث الشريف لغلبة الفقه والتصوف على أهلها ، ولكن نجد بفضل الله تعالى عدداً لا بأس به من المشتغلين بالحديث اليوم من مشايخ وأساتذة الجامعات والمعاهد الدينية. فمن العلماء الذين صنفوا شروحاً على كتب الحديث، وهم :

١- الشيخ وان علي بن عبد الرحمن كوتن الكلنتاني، له "الجوهر الموهوب ومنبهات القلوب" وهو شرح لباب الحديث للسيوطي، انتهى تصنيفه سنة ١٣٠٦هـ.

١- العلامة الشيخ محمد نووي بن عمر البنتني (ت ١٣١٤هـ/١٨٩٧م بمكة المكرمة)، ألف كثيراً من التصانيف المفيدة، وقيل : بلغت مصنفاته مائة كتاباً. له "تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث" للسيوطي. وذكر الشيخ البنتني في مقدمته السبب الباعث على تأليفه فقال : "فإن هذا الكتاب – أي لباب الحديث – كثير التحريف والتصريف لعدم الشرح عليه، ومع ذلك كثر تداول الناس من أهل الجاوه عليه، وإني لم أجد نسخة صحيحة فيه، ولم أقدر على تصحيحه واستيفاء مراده لقصوري إلا أن بعض الشر أهون من بعض".ا.هـ وقد نقل الكتاب إلى اللغة الملايوية الإندونيسية الأستاذ زيد حسين الحامد. وله أيضاً "نصائح العباد شرح المنبهات على الإستعداد ليوم المعاد" المنسوب إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني.

٢- الشيخ محمد إدريس بن عبد الرؤوف المربوي (١٣١٣-١٤١٠هـ/١٨٩٢-١٩٨٩م)، وقد حاز فضيلته على جائزة "مع الهجرة" الأولى للعام الهجري ١٤٠٨ هـ، وهو أول من حاز هذه الجائزة بعد إنشائها بماليزيا. وله "بحر الماذي لشرح مختصر صحيح الترمذي" في ٢٢ جزءاً. وهو من أكبر الشروح على كتب الحديث باللغة الملايوية. وقد طبع الكتاب طبعته الأولى في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م بإشراف مؤلفه نفسه. وله ايضاً "كتاب إيداغن كورو : صحيح البخاري ومسلم" في مجلدين، طبع طبعة ثانية سنة ١٣٥٥هـ بمصر، وترجمة "بلوغ المرام" مع التعليقات، مطبوع بمصر.

٣- الأستاذ الجليل مصطفى بن عبد الرحمن (ت ١٩٦٨م)، له شرح الأربعين النووية للإمام النووي باسم "حديث ٤٠ : ترجمهن دان شرحن"، وقد طبع الكتاب طبعته الأولى في مكتبة الراوي سنة ١٩٦٦م. و"ترجمهن مختصر ابن أبي جمرة" وهو ترجمة ملايوية لمختصر صحيح البخاري للإمام ابن أبي جمرة، وفيه تعليقات للمؤلف.

٤- الأستاذ الفاضل عبد الحليم الهادي (ت ١٩٨١م)، مدير دائرة المعارف الوطنية السابق وتلميذ العلامة المفتي الشيخ عبد الله فاهم، مفتي فينغ سابقاً. له "إلهام الباري شرح صحيح البخاري"، ولكن لم يكمله، ووصل فيه إلى كتاب الجنائز. وله أيضاً "شرح صحيح مسلم" وربما لم يكمله، و"تجذيب أطراف الحديث بشرح ما في كتاب مختار الأحاديث للشيخ محمد الهاشمي"، طبع سنة ١٩٥٧م، ولكن كتاب مختار الأحاديث فيه كثير من الأحاديث الموضوعة والواهية.

٥- الأستاذ عصبيرين يعقوب، له "شرح حديث أمفت فولوه" وهو شرح الأربعين النووية.

٦- الشيخ مختار بن أحمد بن محمد زين الكلنتاني، له "كنز الأمين في شرح الأربعين" للنووي.

٧- الأستاذ فوزي أوغ، له "حديث أمفت فولوه" مع الشرح.

٨- الشيخ السيد أحمد سميط، مفتي سنغافورا، له "كلية صبح" وهو شرح الأربعين النووية.

٩- الأستاذ أحمد حسن بندوغ الإندونيسي (١٨٨٧-١٩٥٨)، له ترجمة "بلوغ المرام" مع التعليقات.[٧٦]

**هذا على المستوى الفردي, أما على المستوى الدولي , فهذا استعراض سريع لجهود بعض هذه الدول في خدمة الإسلام :**

**١- كمبوتشيا:**[٧٧]

يتركز المسلمون **الكمبوديون** حاليًا في إقليم "فري تشامبيا" الشمالي، حيث يشكلون نحو ٤٠% من سكانه، و٢٠% من سكان إقليم فري تشيانغ المجاور، و١٥% من سكان إقليم كامبوت، وفي العاصمة فينوم بنة يعيش نحو ٣٠ ألف مسلم.

انتقل الإسلام إلى شبه جزيرة الهند الصينية عن طريق جماعات من الجاويين والهنود والتجار العرب ، ووصلهم الإسلام في القرن التاسع الهجري ، وانتشر بين جماعات تشام أيام ازدهار مملكتهم في القسم الجنوبي من الهند الصينية ، وعرفت بمملكة تشامبيا ، ولا تزال بعض المناطق تحمل اسم هذه الجماعات مثل منطقة كابمونج تشام وفي جنوبي كمبوتشيا حيث كانت تضم أكبر عدد من هذه الجماعات ، كما انتشر الإسلام بين الجماعات الجاوية التي تنتمي إلى العناصر الاندونيسية ، وتتحدث الجماعات المسلمة لغة الخمير وفي حديث لنائب وزير شئون مجلس الوزراء الكمبوجي ، أن بول بول يوت قتل أعداد كبيرة من المسلمين وطردهم من مواطنهم ، ولقد كان عدد المسلمين ١٨٠ ألف نسمة أصبح ١٥٠ ألف.[٧٨]

وهناك عدة هيئات ومنظمات إسلامية منها جمعية إحياء التراث الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية، وجامعة أم القرى، وفيما تقوم جمعية إحياء التراث بدور الكفالة للأيتام والفقراء، وتسعف هيئة الإغاثة بمساعداتها العاجلة نوائب الفيضان واحتياجات الأعياد، تركز جمعية أم القرى على نشر الوعي الديني.

---

[٧٦] http://www.d-alsonah.com/vb/showthread.php?2650-%CC%E5%E6%CF-%C7%E1%DA%E1%E3%C7%C1-%C7%E1%E3%D3%E1%E3%ED%E4-%DD%ED-%D4%D1%CD-%DF%CA%C8-%C7%E1%CD%CF%ED%CB-%C8%ED%E4-%C7%E1%DE%D1%E4-14-%C7%E1%E5%CC%D1%ED-%CD%CA%EC-%C3%E6%C7%C6%E1-%C7%E1%DE%D1%E4-15-%C7%E1%E5%CC%D1%ED

[٧٧] http://www.islammemo.cc/nahn-we-el-gharb/2011/11/23/138548.html

[٧٨] عرفت جمهورية كمبوتشيا قديماً بمملكة ( فاو – نان ) ، حيث كانت جماعات الخمير أهم الجماعات في تلك البلاد ، وإلى جانبهم جماعات تشام ، وغالبية جماعات تشام تعتنق الإسلام ، غير أن جماعات الخمير فرضت حضارتها ولغتها على المنطقة ، وظلت كمبوتشيا مملكة إلى أن احتلتها فرنسا ، ثم بدأت حركة تحريرها منذ سنة ١٣٦٩هـ وانفصلت عن النفوذ الفرنسي في سنة ١٣٧٣هـ ، وأصبحت جمهورية في سنة ١٣٧٦هـ ، وانتقل إليها الصراع الشيوعي ، فعزل الأمير سيهانوك عن حكم كمبوتشيا في سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م .

ولقد شيد المسلمون التشاميون ١٨٥ مسجداً ، ٩ منها في فينوم بنيه العاصمة ، و ٥٩ مسجداً في منطقة كامبونج تشام والمساجد الباقية موزعة على مناطق المسلمين بكمبوتشيا ، و ١٥٠ مدرسة إسلامية،

**وبعض المؤسسات الإسلامية منها:**

١-الهيئة الإسلامية.

٢-ومن الهيئات الإسلامية التي شكلها المسلمون الكمبوشيون في المنفى اتحاد الطلاب الكمبوتشيين ، وله فرع بالرياض وآخر في ماليزيا .

٣-الجمعية الإسلامية في فنوم بنه . [٧٩]

**٢-منغوليا :**[٨٠]

وصلها الإسلام عن طريق دروب التجارة القديمة وعن طريق عناصر القزاق والأويغور منذ عدة قرون ، ولقد أسهم في نشر الإسلام جوارها لمنطقة التركستان الشرقية .

ينتشر المسلمون في ولايات مختلفة من منغوليا أبرزها ولاية بايان أولغي ، وكينتاي ، ويقدر عدد المسلمين في منغوليا من القزاق بحوالي ١٣٠,٠٠٠ مسلم ، وينتشرون في الولايات السابقة بالإضافة إلى منطقة نالاي خان ، ولقد كان في منغوليا جماعات مسلمة من الصين من الويغور والدنغال ولكنها هاجرت إلى الصين في أحداث الحدود بين الاتحاد السوفيتي والصين سنة ١٩٦٠ م ، وبدأت هذه الجماعات تعود إلى منغوليا في الآونة الأخيرة ، ولا يعرف عدد المسلمين من هذه الجماعات ويمكن تقدير عدد المسلمين حالياً بحوالي ١٥٠ ألف نسمة .[٨١]

**٣-التبت :**[٨٢]

---

[٧٩] رابط الموضوع : http://www.assakina.com/politics/minorities/16293.html#ixzz2KiUKB5HK

[٨٠] دولة داخلية لا سواحل لها ، خضعت لحكم الصين منذ سنة ١٦٩١ م – وحتى ١٩١١ م ، ثم خضت لحكم السوفيت بين سنتي ١٩١٩ م – ١٩٢١ م ، ثم استقلت في ٥ / ١١ / ١٩٢١ م ، وظلت مرتبطة بالسوفيت حت الوقت الراهن ، تحدها الصين من الجنوب والشرق والغرب ، وتشترك في حدودها الغربية مع التركستان الشرقية ( سينكيانج ) الولاية الإسلامية الخاضعة للسلطات الصينية ، وتقع منغوليا في أقصى شمال الصين بين خطي طول ٩٠ْ شرقاً ، و ١٢٠ْ شرقاً ، وبين دائرتي عرض ٤٥ْ شمالاً . و ٥٠ْ شمالاً تقريباً ، وعاصمة منغوليا مدينة أولان باتور " باتور الحمراء " وسكان العاصمة حوالي ربع مليون نسمة ، ويتحدث المنغوليون لغتهم المعروفة بالهالها .

[٨١] http://www.assakina.com/politics/minorities/16281.html#ixzz2KiUVGX00

[٨٢] أطلق عليها الجغرافيون العرب القدامى التبت ولقبوا حكامها بالخواقين ، كتب عنها ابن خرداذبه وياقوت الحموي ، وغيرهما . وأطلق عليها الجغرافيون حديثاً التبت . والتبت قسمان خارجي وداخلي ، ويهمنا بهذا الصدد التبت الخارجية ، وهي منطقة معزولة وسط قارة آسيا ، معقدة التضاريس وعرة المسالك ، ظل الغموض يحيط بها فترة طويلة ، فأطلق عليها الجغرافيون الغربيون " قلب لآسيا الميت " وذلك بسبب ظروفها الطبيعية والبشرية .

كانت التبت تخضع لحكم الصين في فترات قوتها ، وتنفصل عنها في فترات ضعفها ، وبعد الحرب العالمية الأولى قوي الشعور القومي عند أهل التبت ، فانفصلت عن الصين ، وفي سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤ م استعادتها الصين وطردت حاكمها الدالاي لاما في سنة ١٣٧١هـ - ١٩٥١ م وأصبحت ولاية صينية .

وصلها الإسلام عن طريق جيرانها ، وسلك إليها من التركستان الشرقية ، التي تسمى الآن " بسنكيانج " وهذا محور امتد من وسط آسيا ، كما وصلها الإسلام عن طريق جارتها الغربية " كشمير " .

بنى المسلمون مسجدين في العاصمة ، أحدهما في حي خيالين ، والثاني في حي باجياو ، ويتولى المسجد الأول ٤ أئمة منهم الإمام حبيب ، وشيد المسجد الأول منذ أكثر من ٨٠٠ سنة ، وجدد في سنة ١٩٥٩ م ، وذلك عقب حريق أشعله أعداء الإسلام ، وأعيدت الصلاة بالمسجد سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م ، بعد سقوط عصابة الأربعة في الصين .

وهناك بعض المدارس الملحقة بالمساجد في مختلف أنحاء المدن. [٨٣]

**٤-تايوان -الصين الوطنية - :**

ظلت **تايوان** تتبع الصين حتى سنة ١٣٢٣هـ - ١٨٩٥م، ثم استولت عليها اليابان وفقاً لمعاهدة "سيمونسكي" وبعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية، عادت تايوان إلى الصين في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م ، وعندما زاد النفوذ الشيوعي الصيني بحيث سيطر عليها، هاجر إلى تايوان قسم من الجيش الصيني بقيادة الجنرال شيانج في سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م وتكونت جمهورية الصين الوطنية بزعامته.

وصلها الإسلام حديثا عندما هاجر إليها ٢٠ ألف مسلم من الصين الشيوعية في سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩ م ، في إبان سيطرة الحزب الشيوعي على الصين ، وازداد عدد المسلمين حتى وصل أكثر من ٥٠ ألفاً ، كما صرح بذلك الشيخ داوود تينج إمام مسجد تايبيه ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة تشنج – تشن وتقدرهم المصادر الغربية بـ ٤٠ ألف مسلم ، وهذا يخالف العدد الفعلي . ويقدر عدد المسلمين حالياً بحوالي ٦٠ ألف نسمة .

والمسلمون في الصين الوطنية في وضع جيد بسبب حرية العقيدة ، وينتشر المسلمون في تايبيه العاصمة ، وفي بعض المدن الأخرى في شوغلي ، وتايشنج وكاوثنج ، ويوجد مسجد رئيسي بالعاصمة، وبعض مساجد أخرى أيضاً ، كما توجد مساجد في تايشنج وكاوثنج .

وقد صدرت عدة تراجم لمعاني القرآن الكريم باللغة الصينية (ماندارين ) وتكرر طبع بعضها، ومنها ترجمة قام بها المرحوم الحاج خالد شيخ ، وطبعت سنة ١٣٨١هـ. ١٩٦١م وترجمة أخرى قام بها الحاج شيخ شاي وانج وطبعت في سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م ، هذا إلى جانب العديد من تراجم الكتب الإسلامية ، ويصدر المسلمون في تايبيه مجلة إسلامية شهرية بعنوان " المسلمون في الصين " تصدر بالعربية والصينية.

**كما أنشئت عدة هيئات إسلامية , منها :** الجمعية الإسلامية الصينية في تايبيه ، وتشرف على المساجد والتعليم الإسلامي إلا أن الحاجة ماسة لمدارس ابتدائية إسلامية ، فتعليم أبناء المسلمين قاصر على دروس دينية بالمساجد أو دراسات صيفية تعقد أثناء العطلة يتلقى فيها أبناء المسلمين مبادئ الإسلام ، وتقوم الجمعية الإسلامية الصينية بدراسة مشروع إنشاء مركز ثقافي إسلامي في

[٨٣] http://www.assakina.com/politics/minorities/16021.html#ixzz2KiV1b1k2

تايبيه، وإعادة بناء مساجد تايبيه ، وبعض المساجد في المدن الأخرى ، ويتبع الجمعية جمعية الشباب المسلم الصيني، وجمعية الثقافة الإسلامية الصينية ، وللجمعية عدة مشاريع منها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة مندرين الصينية ، وكذلك ترجمة بعض الكتب الإسلامية، وللجمعية مكتبة أطلق عليها المكتبة التذكارية للمرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز ، كما أنها ترسل بعثات إلى الدول العربية لتدعيم الإسلام وقد قامت وفود من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بزيارة تايوان لتفقد أحوال المسلمين بها بدعوة من الجمعية الإسلامية الصينية ، وزارت خلالها الجامع الأكبر في تايبيه ، كما زارت المسلمين في عدد من المدن الصينية . وفي تايوان جمعية الشباب المسلم الصيني وجمعية دار الثقافة الإسلامية ، وتصدر الجمعية الإسلامية الصينية مجلة موسمية أسمتها لسان الحق ، وجمعية المسلمين الصينية ، ورابطة المسلمين الصينيين ، والشيخ داوود دينجومين رئيس الجمعية الإسلامية الصينية عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

ويوجد بها ٥ مساجد، موزعة على مدن تايبيه العاصمة ، تايشنج، وكاوهيشيونج . ومن أبرز الأنشطة للدعوة في تايبيه ما يقوم به المجلس المحلي لمساجد تايوان .

وفي تايوان ١١ مؤسسة إسلامية معظمها في تايبه ، وهذه عناوين بعضها .

١-رابطة الشباب المسلم الصينية

٢-المؤسسة الثقافية والتعليمية الإسلامية الصينية

٣-الهيئة الإسلامية الصينية

٤-الجمعية الإسلامية الصينية

٥-جمعية المسلمين الصينيين –. [٨٤]

**٥-هونج كونج :[٨٥]**

وصل الإسلام هذه المنطقة مبكراً ، فقد وصل التجار العرب إلى جنوب شرقي الصين في وقت مبكر، ففي القرن الهجري الأول وصلت السفارات الإسلامية إلى كانتون المجاورة لهونج كونج ، وتوالت هجرة المسلمين إلى المنطقة ، فهاجر إليها مسلمون من جزر الهند الشرقية ومن الملايو ، ولا يمكن فصل تاريخ الإسلام في جنوب الصين عن تاريخه في منطقة هونج كونج ، وكانت ملجأ المسلمين الصينيين، في حالة اندلاع الانتفاضات بداخل الصين وهاجر إليها كثير من المسلمين أبان الانتفاضة الشيوعية بالصين ، ولم تغلق الحدود بينها وبين الصين الشعبية إلى سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، وهكذا وصلها المسلمون عن طريق الهجرة من المناطق المجاورة لها ، وعدد المسلمين بها حوالي ٢٥ ألف نسمة كما سبق .

---

[٨٤] http://www.assakina.com/politics/minorities/15991.html#ixzz2KiV6vDDk

[٨٥] مستعمرة بريطانية منذ سنة ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣ م ، وتمارس الآن قدراً من الاستقلال الذاتي . تتألف من عدة جزر صغيرة المساحة ، ويبلغ سكانها حوالي ٥,٦٩٤,٠٠٠ نسمة في سنة ١٤٠٨هـ ، والعاصمة مدينة فيكتوريا وسكانها حوالي مليون نسمة ، وتبلغ مساحة هونج كونج ١٠٣١ كيلو متر ، ولذلك تعتبر أكثر مناطق العالم ازدحاماً بالسكان .

وهناك عدد من الهيئات الإسلامية ، يضمها اتحاد المنظمات الإسلامية ، وتشرف هذه الهيئات على المساجد والتعليم الديني ، ويرأس اتحاد المنظمات الإسلامية حالياً السيد إدريس بيك ، وهو رئيس بلدية هونج كونج أيضاً ، وهناك عدد من المدارس الابتدائية الإسلامية ، وتوجد كلية هونج كونج الإسلامية ، وهي في مستوى المدارس الثانوية ، وتهتم مناهجها بالدراسات الإسلامية والعربية ، وسوف تطور إلى المستوى الجامعي ، ولكنها تعاني من قلة الكتب والمدرسين، ولقد احتفلت الهيئات الإسلامية بهونج كونج بمقدم القرن الهجري الخامس عشر فأقامت مخيم الندوة العالمية للشباب المسلم في أبريل سنة ١٩٨٠م، وشارك في هذا ممثلون عن المسلمين في اليابان وكوريا ، وتايوان، والصين الشعبية، والفيليين، وتايلاند، وعدد آخر من الأقليات المسلمة، وحضره عدد من المختصين بمعهد شئون الأقليات المسلمة بجامعة الملك عبد العزيز.

ويصدر المسلمون مجلة هونج كونج الإسلامية ، وتقيم الهيئات الإسلامية مسجد كولون وهو مشروع كبير يضم مسجداً ومركزاً إسلامياً بهونج كونج وتكاليفه ١٠ ملايين دولار ، ولقد أقيم مسجد كولون القديم في سنة ١٨٩٦م ، وحل محله المسجد الجديد ، وفي هونج كونج ٤ مساجد ، وفي البلاد إلى جانب هيئة الاتحاد الإسلامي توجد الجمعية الباكستانية الإسلامية ، والجمعية البهارية والجمعية الهندية الإسلامية ، وتشرف على كل الهيئات والجمعيات الإسلامية The Borad of trustees

وتتبلور الهيئات الإسلامية فيما يلي :

١-المركز الإسلامي بهونج كونج.

٢-شباب هونج كونج المسلم

٣-اتحاد الجمعيات الإسلامية

٤-الجمعية الإسلامية الدولية. [٨٦]

**٦- شبه الجزيرة الكورية :[٨٧]**

الوصول الفعلي للإسلام جاء أثناء الحرب الكورية الأخيرة ، بعد سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، فوصلت إلى كوريا الجنوبية قوات تركية ضمن قوات هيئة المم المتحدة ، وكان إمام هذه القوات الشيخ عبد الرحمن ، وشيدت القوات التركية مسجداً لتأدية شعائر الإسلام في سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م ، وكانت هذه البداية ، وأقبل الكوريون على اعتناق الإسلام ، فاعتنق ٤٠٠٠ كوري الإسلام ، ثم أخذ

---

[٨٦] http://www.assakina.com/politics/minorities/15940.html#ixzz2KiVDJKor

[٨٧] شبه جزيرة كوريا في شرقي قارة آسيا ، في غربها البحر الأصفر ، ويفصلها عن الصين ، وفي شرقها بحر اليابان ، وتشترك الحدود الشمالية والشمالية الغربية مع كل من الاتحاد السوفيتي والصين ، وتمتد أرض شبه الجزيرة الكورية بين دائرتي عرض ٣٣ْ و ٤٣ْ شمالي الدائرة الاستوائية ، كما تنحصر بين خطي الطول ١١ ْ – ١٢٤ْ و ٥١ ْ - ١٣٢ْ شرقي جرينتش . وقسمت شبه الجزيرة الكورية بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين تفصل بينهما منطقة محايدة قرب خط العرض ٣٨ْ ، كوريا الشمالية وتبلغ مساحتها ١٢٢,٣٧٠ كيلو متراً مربعاً وسكانه في سنة ١٤٠٨هـ ٢١,٨ مليون نسمة ، وعاصمتها بيونج يانج ، وكوريا الجنوبية مساحتها تقدر بحوالي ٩٨ ألف كيلو متر مربع ، وسكانها في سنة ١٤٠٨هـ حوالي ٤٢,٦ مليون نسمة ، وعاصمتها سيول ، وأهم المدن بوسان ( بوزان ) وتيجو ، وتنتشر الأقلية المسلمة بكوريا الجنوبية.

عدد المسلمين يتزايد ، وتكون الاتحاد الإسلامي الكوري في سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، وفي سنة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م أعيد تنظيم الاتحاد الإسلامي الكوري وانتخب صبري سوح رئيساً، وعبد العزيز كيم سكرتيراً، وبني مسجد مؤقت في سيول.

**مؤتمر الأقليات المسلمة بسيول :**

في سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٧٦م عقد مؤتمر الأقليات المسلمة بسيول ، واتخذ المركز الإسلامي مقراً له، وافتتح معهد اللغة العربية في نفس العام بالمركز الإسلامي بسيول ، وصدر أول كتاب عن المركز الإسلامي الكوري بعنوان " كيف تكون مسلماً ؟ " ، ثم تكونت أول جمعية إسلامية خيرية بكوريا، وأسس الاتحاد الإسلامي الكوري مسجداً صغيراً في مدينة بوسان حيث يوجد أكثر من ثلاثمائة مسلم، ونشط المركز الإسلامي الكوري في إصدار عدة كتيبات عن الإسلام باللغة الكورية .

وفي منتصف عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م احتفل الاتحاد الإسلامي الكوري بمرور ٢٥ عاماً على دخول الإسلام إلى كوريا الجنوبية ، وأصدر بهذه المناسبة كتيباً باللغات العربية ، والإنجليزية والتركية، ولقد أسس الاتحاد الإسلامي الكوري العديد من الهيئات الإسلامية منها :

١/ هيئة الدعوة .

٢/ اللجنة الشرعية للإنماء .

٣/ جمعية الشبان المسلمين .

٤/ جمعية الطلاب المسلمين .

عناوين بعض المؤسسات الإسلامية :

في كوريا الجنوبية ٤ مؤسسات إسلامية منها :

- الاتحاد الإسلامي الكوري – مسجد الصديق ص .ب . ١٢٧ شونجو – سيئول .
- الجمعية الخيرية الإسلامية – ص .ب . ٨٠٩٨ سيئول .
- جمعية الطلبة المسلمين – ص . ب ٢٨٦٥ .[٨٨]

**٧-بروناي :**

يعود تاريخ التعليم العربي في هذا البلد إلى عام ١٩٤١م عندما أنشأت أول مدرسة عربية في بوسر أولق وأن هذه المدرسة لم تبق مدة طويلة لتوغل الاستعمار الياباني في البلد.

ولم تقف الحكومة البروناوية عند هذا الحد فحسب بل تواصل جهودها لتثقيف أبنائها وتزويدهم بالثقافات الإسلامية والعربية، وذلك عن طريق الابتعاث بإرسال أبناء البلد إلى خارج الوطن ابتداءً من سنة ١٩٥٦ م إلى جامعة الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية وإلى بعض المعاهد الإسلامية في كلنتان، وكلانج سلانجور، وماليزيا.

---

[٨٨] http://www.assakina.com/politics/minorities/15089.html#ixzz2KiWW4DmZ

وتوجد حالياً مدرستان عربيتان ثانويتان في بروناي، إحداهما للبنين وأخرى للبنات. فمدرسة البنين تسمى "مدرسة حسن البلقية العربي الثانوية للبنين" التي افتتحت سنة ١٩٦٦م (واسمها الجديد معهد بروناي الإسلامي). أما مدرسة البنات فتسمى "مدرسة راج استري فنجيران أنق داميت العربية الثانوية للبنات" التي افتتحت سنة ١٩٦٧م.

وتهدف المدرسة العربية إلى العناية بتدريس المواد الإسلامية والعربية بجانب المواد العصرية التي تؤهل خريجيها مواصلة دراستهم في المرحلة التعليمية العليا في الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات العربية أو جامعة بروناي.

إن الهدف الأساسي من تعليم العربية في هذه المدارس تدريب الطلبة على تذوق لغة القرآن حتى يستطيعوا أن يتعمقوا في العلوم الإسلامية. المراكز التعليمية الإسلامية في بروناي دار السلام :

- جامعة بروناي (كلية الدراسات الإسلامية – قسم اللغة العربية).
- معهد المعلمين الديني.
- المعهد العالي للدراسات الإسلامية (قسم اللغة العربية).
- مدرسة حسن البلقية الثانوية العربية (معهد بروناي الإسلامي).
- المدرسة الدينية (العربية) الثانوية راج استري فانجيران انق داميت للبنات.
- معهد بروناي الإسلامي، توتونج.

أما على مستوى المعاهد العليا والجامعة، فيوجد معهدان وجامعة حيث تدرس فيها اللغة العربية: معهد المعلمين الديني (مكتب فركوروان أكام سري بكاون) الذي أنشئ عام ١٩٧٢م لتخريج مدرسي المواد الدينية واللغة العربية، والمعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي أنشىء عام ١٩٨٩م، وجامعة بروناي دار السلام التي يوجد فيها قسم الدراسات الإسلامية وتدرس فهيا اللغة العربية لطلابه

**٨-تايلاند :**

يزيد التعداد السكاني لـ "تايلاند" على خمس وأربعين مليون نسمة، يَدين أكثرهم بالبوذية الهندية، وتتراوح نسبة المسلمين هناك ما بين ١٠ - ١٥% من إجمالي عدد السكان. وترجع أصول معظمهم إلى منطقة "فطاني" التي عُرفَت تاريخياً بأنها كانت مملكة إسلامية مستقلة على الحدود الجنوبية لمملكة سيام التي تغير اسمها إلى تايلاند في منتصف القرن الماضي. وقد سعى المسلمون هناك إلى استعادة مملكتهم طوال العقود الماضية.

وفطاني: هي المنطقة الواقعة بين ماليزيا وتايلاند، ويرجع أصل سكانها إلى المجموعة الملايوية، ويتكلمون اللغة الملايوية ويكتبونها بأحرف عربية.

وتُحدد التقديرات السكانية عدد المسلمين في تايلاند بخمسة ملايين مسلم. وتبلغ نسبة المسلمين في فطاني أكثر من ٨٠ % ويزيد عدد سكان "فطاني" عن ٣,٥ مليون نسمة. كما يعيش عدد

كبير من المسلمين أيضاً في شمال تايلاند، وهم المسلمون من الأصل الصيني والبورمي. كما يعيش في وسط تايلاند المسلمون من الأصول الكمبودية والهندية والإندونيسية والعربية والإيرانية.

يذكر الفاكت بوك (موقع الاستخبارات الأمريكية) أن إجمالي عدد السكان حوالي ٤٥ مليون نسمة، ونِسَب توزُّع الأديان كالآتي: البوذية: ٩٤,٦ %، والمسلمون: ٤,٦ %، والصينيون: ٠,٧ %، والآخرون: ١,٠ %.

وتتوزع الأجناس كالآتي: التاي: ٧٥ %، والصينيون: ١٤ %، والآخرون: ١١ %.

أما اللغات فهي: التاي، الإنجليزية، لهجات قومية.

ويوجد في تايلاند حوالي ٢٥٠٠ مسجد ومصلى، ويوجد في بانكوك المركز الإسلامي الوحيد في تايلاند، ويوجد العديد من الجمعيات والهيئات الخيرية والمدارس الابتدائية الإسلامية. وبعض المدارس ملحقة بالمساجد، وهناك مدارس إسلامية صيفية.

وتتدخل الحكومة في الإشراف على التعليم الديني، وترغم المدارسَ الإسلامية على قبول غير المسلمين فيها وتفرض عليهم العلوم التايلاندية.

وتمت ترجمة معاني القرآن إلى لغة التاي، وفي جنوب تايلاند تُستخدَم التراجم المالیزية للكتب الإسلامية، كما طُبعَت نسخ عربية من القرآن الكريم في تايلاند، والحاجة ماسة لترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة التاي.

وفي تايلاند جريدتان إسلاميتان شهريتان:

إحداهما: تصدرها رابطة العالم الإسلامي وتسمى (الرابطة).

والثانية: كانت تسمى الجهاد، وقد توقفت.[٨٩]

ويتركز التعليم الإسلامي والعربي في تايلاند في الولايات الجنوبية المعروفة بـ"فطاني" التي يقطنها الملايويون. وأما المناطق الأخرى في تايلاند مثل المنطقة الوسطى وهي العاصمة "بانكوك" وما حولها والمنطقة الشمالية "شيانج ماي" فتوجد فيها أيضاً مؤسسات تعليمية إسلامية عربية ولكنها قليلة جداً، وتعتبر امتداداً طبيعياً لانتشار الإسلام واللغة العربية من المنطقة المركزية "فطاني".

اشتهرت "فطاني" بمراكز تعليم العلوم الإسلامية والعربية وبكبار العلماء الملايويين على مستوى أرخبيل الملايو. فكانت قبلة لطلاب العلم الوافدين من أنحاء العالم الملايوي، يفدون إلى هذه المراكز العليمية المعروفة بـ"فندق"، أي يكون التعليم على نظام الحلقات في المساجد برئاسة عالم يعرف بـ"توء كورو". حيث تخرّج فيه هذه "الفنادق" كبار العلماء وقادة الشعب المشهورين.

ومن أشهر العلماء البارزين في القرن التاسع عشر.

[٨٩] مجلة البيان العد ٢٧٧

١- الشيخ داود بن عبدالله بن إدريس الفطاني (١٧٦٩م-١٨٤٧م).

٢- الشيخ أحمد بن محمد زين بن مصطفى الفطاني (١٨٥٦م-١٩٠٨م).

٣- الشيخ زين العابدين بن محمد الفطاني.

٤- الشيخ محمد بن إسماعيل داود الفطاني.

ولكل من هؤلاء العلماء مؤلفات وكتب مترجمة في العلوم الإسلامية والعلوم العربية. وللعلماء و"الفنادق" أثر كبير في تشكيل الرأي العام، لأن العلماء قادة الشعب فيلتف الناس حولهم، وفي حالة الصراع مع الحكومة التايلاندية المستعمرة قاد العلماء المسيرة الشعبية ضد السلطات التايلاندية.

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت لحكومة التايلندية تنظر في أمر هذه"الفنادق" وإعادة تنظيمها باسم التطوير والتحسين. وطلبت أن تسجل جميع هذه المراكز التعليمية لدى السلطة. وقد انقسم المسلمون في هذا الأمر. كما طلبت الحكومة تحويل نظام "الفندق" إلى نظام "المدرسة"، بل أكثر من هذا، فرضت تعليم مادة اللغة التايلاندية في هذه المدارس الإسلامية العربية، مع منع بناء أي "فندق" جديد.

وقد بلغ عدد "الفنادق" المسجلة لدى الحكومة ٤٨٧، تحولت ٤٢٦ منها إلى نظام المدرسة ملبية النداء الحكومي للتطوير، كما توقفت أعداد كبيرة من مؤسسات النظام التعليمي التقليدي.

وفي الوقت الحالي يسير النظامان ("الفندق" و"المدرسة") جنباً إلى جنب في كثير ن المواقع التعليمية. والفرق بينهما أن الأول يعني الدراسة المفتوحة لمدى الحياة وأما الثاني فهو النظام التعليمي ذو المراحل المعروفة المحددة باختبارات تأهيلية ومناهج مدروسة. ومن أشهر "الفنادق" التي ما زالت تعمل حتى الآن:

١- فندق توء كورو برمين (الحاج أحمد إدريس).

٢- فندق توء كورو دالو (الحاج عبدالرحمن أرشادي).

٣- فندق توء كورو حاج أحمد فريكي.

٤- فندق توء كورو بابابيه (الحاج إدريس بن حاج وان علي باكوم).

وأما المدارس الإسلامية العربية فهي منتشرة في أرجاء فطاني وفي المنطقة الوسطى والمنطقة الشمالية، وبلغ عددها حالياً ٢٩١ مدرسة تشرف على هذه المدارس الإسلامية الأهلية أو الخاصة مجالس الشؤون الإسلامية والجمعيات الخيرية أو هيئات الأوقاف. وأما اتحاد المدارس الإسلامية الأهلية فيقوم بتنظيم مناهج هذه المدارس وتوحيدها.

وتدرّس في هذه المدارس المواد الدينية من (الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والأخلاق والسيرة النبوية) والعلوم العربية (الخط والإملاء والمطالعة والقواعد والإنشاء الأدب، والبلاغة، والنصوص) واللغة الملايوية؛ وكذلك اللغة التايلاندية.

وقد أسست الحكومة كلية الدراسات الإسلامية في جامعة سونجكلا ناكرين في فطاني لتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية. ولكن الغالبية العظمى من الطلبة المسلمين يكملون دراساتهم في بعض الجامعات العربية في السعوديةوالكويت ومصر.[٩٠]

**٩-سنغافورة :**

تقع **سنغافورة** في جنوب شرق آسيا، وهي عبارة عن أرخبيل (مجموعة) من الجزر بين ماليزيا وإندونيسيا ويتراوح عدد المسلمين في سنغافورة ما بين ٤٥٠ ألفا إلى ٥٠٠ ألف، وهو ما نسبته من ١٤% إلى ١٥% من إجمالي عدد السكان الذي يقدر بين ٣ و٤ ملايين نسمة، ويمثل الصينيون نسبة ٧٦,٧% من سكان هذا البلد، والملايو ١٤%، أما الهنود فتبلغ نسبتهم ٧,٩% والباقي (١,٤%) ينتمي إلى أعراق أخرى.[٩١]

وتُعتبر الأقلّية المسلمة في سنغافورة من أنشط الأقليات المسلمة في جنوب شرقي آسيا، وهي أسبق وجوداً من المجتمعات الأخرى التي يتكون منها المجتمع السنغافوري جعلت المصليات والمساجد مراكز إشعاع تعليم الإسلام وتعليم قراءة القرآن والتجويد. وكانت منطقة كمبونج وروتشو هي النقطة التي انطلق منها هذا النشاط. هذا بتأسيس أول المساجد والمدارس العربية في المنطقة:

- مسجد سلطان (عام ١٨٢٣م) في طريق نورث بريدج .
- مسجد حاجة فاطمة (عام ١٨٤٠م) في طريق جاوا .
- "مدرسة الصبيان" في شارع البصرة أول مدرسة في سنغافورة.
- "مدرسة السقاف العربية" (عام ١٩١٢م) في شارع السلطان.
- "مدرسة الجنيد الإسلامية" (عام ١٩٢٧م) في شارع فكتوريا .

ويوجد حالياً على أرض سنغافورة ثلاثة وثمانون مسجداً، وست وثلاثون مدرسة إسلامية. وأكبر المدارس وأشهرها خمس: مدرسة الجنيد الإسلامية، ومدرسة وأتنجونج الإسلامية، ومدرسة السقاف العربية، ومدرسة المعارف الإسلامية،ومعهد الإرشاد.

وتستغل هذه المراكز والمؤسسات التعليمية خير استغلال لجميع ألوان النشاط التعليمية والدعوية. ويشرف على هذه المؤسسات والمراكز المجلس الإسلامي السنغافوي. وكذلك تقدم الجمعيات مثل جمعية الدعوة الإسلامية، ومؤسسة "منداكي" بالإسهام الفعال في دفع عجلات نشر التعليم الإسلامي والعربي وتحسين مستوى الأداء والكفاءة في هذا المجال.

---

(٩٠) http://eiiit.org/resources/eiiit/eiiit/eiiit_article_read.asp?articleID=701

(٩١) http://www.al-jazirah.com/2006/20060409/fe4.htm

ويستقدمون الدعاة والعلماء من المناطق المجاورة (كإندونيسيا وماليزيا) لنشر الإسلام. من أمثال: - توان كورو وان عبد الله من ترنجانو.

- توان كورو حاج عبد اللطيف من مالاقا.
- كياي يونس بن عبد المجيد من باليمبانج سومطرة.
- كياي محمد فضل الله بن محمد سحيمي، وآخرون. (٩٢)

وقد ترجمت معاني القرآن الكريم وصدرت بعض الطبعات في سنغافورة باللغة الماليزية ، واللغة الجاوية ، وهذا إلى جانب ترجمة بعض التفاسير الخاصة بالقرآن الكريم والكتب الإسلامية باللغة الاندونيسية ، كما صدرت بعض الطبعات بلغة التاميل وباللغة الإنجليزية ، ويطبق المسلمون في تعاملهم الشريعة الإسلامية ، فلقد تأسست محاكم شرعية في سنة ١٣٧٨هـ ، ويشرف المجلس الإسلامي بسنغافورة على المساجد والأوقاف والمدارس الإسلامية والمحاكم الشرعية . (٩٣)

**١٠- اليابان :**

تقع اليابان شرقي القارة الآسيوية وهي عبارة عن أرخبيل من الجزر يجاورها من الغرب روسيا وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وتقع هذه الجزر في المحيط الهادي.

ويقدر عدد سكان اليابان ١٣٢,٦ مليون حسب آخر التقديرات.

وعدد المسلمين في اليابان حوالي مائة وخمسين ألف مسلم , أقل من ١% على دين الإسلام.

وينتشر المسلمون في اليابان من أقصى جزيرة في شمال اليابان"هوكايدو" إلى أقصى جزيرة صغيرة في جزر "أوكيناوا" جنوباً، قرب تايوان، ومن أقصى الشرق "طوكيو" إلى أقصى الغرب "كانازاوا" , فذكره . "شمياني توتوري".

وأول ياباني أسلم هو "عبدالحليم أفندي"، "أوسوتارا نودا" عام ١٨٩١م، وهو مراسل جريدة بيجي شيمبون. ودخل الإسلام نتيجة مناظرة، أجراها معه رئيس المسلمين في ليفربول السيد عبد الله كيليام أفندي؛ فبينما كان عبدالله كيليام أفندي في إسطنبول، تباحث مع عبدالحليم أفندي حول موافقة الدين الإسلامي للعقل والمنطق، وكان كلامه باللغة الإنجليزية، وسرد له البراهين العقلية، فوجدها عبدالحليم مقبولة، فهداه الله إلى الصراط المستقيم.

من أهم المؤسسات الإسلامية في اليابان:

١-المركز الإسلامي الياباني: وهو هيئة اعتبارية قانونية بدأت نواته عام ١٩٦٥م، وقد حصل على اعتراف الحكومة اليابانية وسُجّل لدى الحكومة عام ١٩٨٠م. ويقوم بمهمة تقديم الإسلام للشعب الياباني عامة ويدعو المسلمين في اليابان بالفكر والتوجيه والكتاب والتعليم ويتعاون مع كافة المسلمين في

(٩٢) http://irep.iium.edu.my/3627/1/arabic_in_singapore_arab_times.htm

(٩٣) http://www.assakina.com/politics/minorities/16354.html#ixzz2KiSpdjXH

اليابان أفراداً وجماعات ومن رسائل المركز المهمة إيجاد مناخ للتعاون والتعارف بين اليابان والعالم الإسلامي. ورفع المركز شعاراً هاماً مكوناً من ثلاث نقاط هي: (الدعوة، النشر، التنسيق). الجمعيات الإسلامية، منها:

١ - الجمعية الإسلامية اليابانية،

٢ - والمؤتمر الإسلامي الياباني.

٣ - الجمعية اليابانية الثقافية

٤ - جمعية الطلاب اليابانيين المسلمين.

٥ - جمعية مسلمي اليابان: وهذه الجمعية هي حصيلة الوجود الإسلامي للمسلمين اليابانيين حتى عام ١٩٥٣م، وهي أول جمعيَّة إسلاميَّة خالصة أسَّسها مسلمُو ما قبل الحرب العالمية الثانية، الذين عادوا بعد إسلامهم في إندونيسا وماليزيا والصين، وكذلك مَن بقي حيّاً من المسلمين الأوائل في اليابان .

٦ - الجمعيَّة الإسلاميَّة في "هوكايدو".

٧ - جمعيَّة المرأة المسلمة أوساكا وكيوتو.

ويذكر الدكتور السامرائي "مدير المركز الإسلامي في اليابان" أن هناك خمس ترجمات لمعاني القرآن الكريم باليابانية، واحدة فقط قام بها ثلاثة مسلمين في مكة المكرمة: أحدهم ياباني هو المرحوم عمر ميتا، والثاني باكستاني هو المرحوم عبد الرشيد أرشد، والثالث باكستاني أيضاً وهو المرحوم مصطفى كومورا.

وتبذل الجمعيات الإسلامية في اليابان جهوداً كبيرة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية من خلال بناء المدارس الإسلامية، والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية، كما أقامت رابطة العالم الإسلامي مركزاً إسلامياً في طوكيو.

**١١- الفلبّين** :[٩٤]

يقول الداعية عبد القادر عباس الثاني:[٩٥] بدأ الإسلام في الفلبين في أعقاب القرن السادس الهجري الموافق سنة ١٣٨٠ الميلادي في وقت اقتراب سقوط حكم الإسلام في الأندلس ولكن شاء الله أن يضيء نور الإسلام في الشرق، وكانت بداية الوصول عبر جزيرة صُوْلُوْ –إحدى جزر الفلبين- وحمل المسلمون من أهل هذه المنطقة مسؤولية الدعوة بمساعدة من وصل إليهم من الإخوة العرب التجار، فانتشر

---

[٩٤] http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=162613

[٩٥] من مندناو الفلبين من مواليد ١٩٧٩ ، خريج مركز زيد بن ثابت لتحفيظ القرآن الكريم التابع للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالسعودية ودرست بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سنة ٢٠٠٨م ، ولدت من أسرة مسلمة وأنا حاليا أعمل في مركز قطر الثقافي الإسلامي كداعية ومدرس للمسلمين الجدد

الإسلام في مِنْدَانَاوْ –جنوب الفلبين-. فالمسلمون في الفلبين هم أول مجتمع إنساني منظم في هذه الدولة؛ وذلك بسبب الإخوة العرب المسلمين التجار قبل غيرهم واستقرارهم بهذه المناطق.

والمناطق التي يكثر فيها المسلمون هي: في المناطق الجنوبية ومنها هذه الولايات: ١- لاناو الجنوبية، ٢-لاناو الشمالية، ٣- ماجندناو، ٤- كوتاباتو، ٥- سلطان قدارات، ٦- هُوْلُوْ، ٧- تاوي تاوي، ٨- باسيلان، ٩- زامبوانجا.

وأهل هذه المناطق هم الذين نشروا هداية الإسلام وتعاليمه الحنيفية، فقد كانت في هذه المناطق العديد من الممالك الإسلامية التي دافعت عن جميع الجزر ضد غزوات وأطماع المستعمرين، كما ساهمت هذه الممالك الإسلامية في تأصيل الوجود الإسلامي والحفاظ على العقيدة والهوية الإسلامية.

يعد المسلمون في الفلبين من الأقليات الإسلامية نتيجة الاستعمار الإسباني فالأمريكي فالياباني ثم الأمريكي للمرة الثانية منذ عام ١٥٢١م، حتى استقلت وانضمت إلى الأمم المتحدة في أكتوبر عام ١٩٤٥م كأحد دول قارة آسيا.

هناك الكثير والعديد من المراكز والجمعيات الإسلامية بعضها تعتبر مراكز كبيرة وبعضها صغيرة، منها: جمعية مسلمي الفلبين ومقرها في العاصمة (مانيلا)، مركز الشباب المسلم بالفلبين، وجمعية كامل الإسلام، وجمعية المؤتمر الإسلامي، وجمعية إقامة الإسلام في مدينة ماراوي، والنهضة الإسلامية، وجمعية نور الإسلام، وجمعية الدعوة الإسلامية في مدينة كُوْتَابَاتُوْ، وجمعية مسلمي صُوْلُو في مدينة سولو. وهناك مركز دار الهجرة، في مدينة باغيو، وهي إحدى المدن في شمال الفلبين. وهناك أيضاً مركزان كبيران لتحفيظ القرآن الكريم، مركز زيد بن ثابت في مدينة ماراوي، ومركز أُبي بن كعب في محافظة سلطان قدارات، وهي قريبة من مدينة كوتاباتو. وهذان المركزان مدعومان من قبل الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم ومقرها في جدة بالمملكة العربية السعودية، وقد تخرج منها المئات من حفظة كتاب الله.

وأما المعاهد والمدارس الإسلامية من المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، فكثيرة جداً - والحمد للوأما أبرز الدعاة والعلماء:

١- الدكتور/ عبد الله حاج علي منيب، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم العقيدة.

٢- الأخ الدكتور/ فاروق سعد الدين عبد الرشيد، مدرس في مركز دار الهجرة بمدينة باغيو، خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم الفقه.

٣- الدكتور/ محمد نذير إبل خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قسم الفقه.

٤- الداعية/ أبو محمد سرنجاني رئيس مركز الشباب المسلم بالفلبين.

٥- الداعية الدكتور/ أبوالخير تاراسون.

٦- فضيلة الشيخ/ عمر باَسِيْغَانْ، خريج جامعة الأزهر بالقاهرة، مفتي مدينة كوتاباتو.

٧- المربي المصلح القائد/ الحاج مراد إبراهيم.

٨- المربي المصلح/ غزالي جعفر.

٩- المربي المصلح/ مهاجر إقبال، وغير هؤلاء من الشخصيات الإسلامية المعروفة في البلاد.

**١٢- الصين الشعبية:**

يمكن تقدير حصة المسلمين بالنسبة لسكان الصين بين ١٠ % و ١٠,٧ % فيكون عدد المسلمين في الصين حسب تقدير سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م حوالي ١١٠ مليون نسمة .

وتتعدد طرق الدعوة إلى الإسلام في الصين من ذلك : التعليم, ففي الفترة بين سنتي ١٣٤٤هـ - ١٣٥٩ م / ١٩٢٥ م – ١٩٤٠ م – ازدهر التعليم الإسلامي ونشط المسلمون في بناء المدارس والمساجد وتكوين الهيئات الإسلامية ، وذلك بجهودهم الذاتية ، ومن بين المدارس التي أنشئت في هذه الفترة دار المعلمين ( تشندار ) في بجين ، والمدرسة الإسلامية في شنغهاي ، ومدرسة تنهوا في شنغهاي ، ومدرسة شمال الصين الغربي في بجين ، وكلية ( موش ) ، ودار المعلمين في مدينة نيج هيشا ثم مدرسة الهلال للبنات في بجين . وهناك العديد من المدارس الإسلامية المنتشرة في ربوع الصين نذكر بعضها . مدرسة الصراط المستقيم في هوهوت ، والمدرسة العربية الصينية في نينجيسيا في ولاية كانصو ، وكذلك المدرسة الإسلامية الليلية في كانصو ( لانزهو ) ، ومدرسة البنات العربية الإسلامية في نينجيسيا في كانصو ، ومدرسة مجمع مسجد لانزهو ، مدرسة البنات الإسلامية في هويهو في منغوليا الداخلية ، مدرسة للبنين والبنات في نانوا في منغوليا الداخلية ، وهناك العديد من المدارس الإسلامية المنتشرة في معظم مدن جنوب الصين.

ويوجد بالصين معاهد إسلامية تديرها الجمعية الإسلامية بالصين وهي :

١-معهدان في بجين .
٢-معهد في شنجهاي .
٣-معهد في نينجسيا .
٤-معهد في لانزهو .
٥-معهد في يوونان .
٦-معهد في تشينجاي .
٧-معهد في شينيانج .

مراحل التعليم الإسلامي بالصين :

ينقسم التعليم الإسلامي في الصين إلى المراحل التالية :

١/ المرحلة الابتدائية ويقتصر التعليم فيها على المدارس القرآنية الملحقة بالمساجد ، ويدرس فيها الطالب مبادئ اللغة العربية ، وقصار السور من القرآن الكريم .

٢/ المرحلة المتوسطة ويدرس الطالب فيها مبادئ النحو ، والبلاغة ، وبعض العلوم الدينية من الحديث والتفسير ، ومنهج هذه المرحلة في حاجة إلى التعديل .

٣/ المرحلة العالية . وفيها يدرس الطالب علوم الفقه ، والتفسير ، والتوحيد ، وبعض العلوم الأخرى ، ومدة هذه المرحلة طويلة وهدفها تخريج دعاة ومدرسين .

المنظمات الإسلامية :

من أقدمها جمعية التقدم الإسلامي، وكانت من أبرز الجمعيات ، وخشيت الحكومة نفوذها ، فشجعت قيام اتحاد المسلمين ومقره في شنغهاي، وكان مقر جمعية التقدم في بجين، وبلغ عدد فروعها ٣٠٠ فرع وكان لها العديد من المدارس.

- جمعية الأدب الإسلامي في الصين:

أنشئت على يد الحاج هلال الدين تشينج ، في سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥ م ، وكان مركزها بشنغهاي ، وكان هلال أشهر علماء الصين تلقى تعليمه الإسلامي بالأزهر ، وزار استنبول والهند ، وكان يجيد اللغتين العربية والأردية ، ومهمة هذه الجمعية تبسيط فهم العقيدة الإسلامية ، والنهوض بالتعليم الإسلامي ، ومساندة الأعمال الخيرية ، وترجمة معاني القرآن الكريم ، وأصدرت مجلة شهرية ، كما خصصت منحاً دراسية للطلاب المسلمين للدراسة في البلدان الإسلامية ، وأنشأت عدة مراكز تعليمية بالصين .

- الجمعية الإسلامية في الصين:

هيئة تكلفها الحكومة الصينية ، تأسست سنة ١٩٨٦ م ، وتقوم ببعض الأعمال الإسلامية ، ولكن هناك شعور مضاد لها ، ومقرها في بجين .

- الجمعية الاتحادية لعموم الصين :

أنشئت إبان الغزو الياباني للصين، لذا نالت تأييد السلطات، واتسع نفوذها، وفاقت سائر المنظمات، لهذا حاولت اليابان عمل تنظيم إسلامي مضاد ، فكونت اتحاد المسلمين الصينيين ، وكان مركزه في بجين، ونشطت هذه المنظمات الإسلامية في توثيق صلة المسلمين في الصين بالعالم الإسلامي، وهناك الجمعية الإسلامية لمقاطعة نينغيشيا ولا زالت الهيئات الإسلامية بالصين غير كافية ، وليس هناك توزيع جغرافي لها على مستوى المقاطعات ، وهذا سبب من أسباب عدم الإلمام بأحوال المسلمين في الصين.

الملتقى الإسلامي للدعوة في بجين :

عقد هذا الملتقى في الفترة من ١٣ / ٤ / ١٤٠٨هـ وهذا حدث تاريخي في الصين ، ولقد تعرف المؤتمر على المسلمين هناك وعلى مشاكلهم ولأول مرة ينفتح المسلمون في الصين على العالم الإسلامي .

المساجد :

كانت المساجد مراكز إشعاع لمختلف الأنشطة في المجتمع الإسلامي الصيني ، ولقد اشتهر تاريخ المسلمين بالصين بالهجرة الداخلية نتيجة أسباب عديدة ، فأينما حلوا كانوا يبنون المساجد كمراكز للعبادة والتعليم ، وازدهرت حركة إقامة المساجد أثناء الحكم الجمهوري في النصف الأول من القرن العشرين وألحقت بها المدارس ، وقد بلغ عدد المساجد في الصين في الإحصاء الذي تم في سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥ م ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م ( ٤٠٣٢٧ مسجداً )، هذا بخلاف مساجد التركستان الشرقية، وكانت المساجد موزعة على سائر الولايات الصينية

المجلات الإسلامية قبل الحكم الشيوعي :

أصدرت الجمعيات الإسلامية عدة مجلات في الفترة السابقة على الحكم الشيوعي، فأصدرت جمعية التقدم الإسلامي مجلة " المنبه الإسلامي "، وأصدرت الجمعيات الإسلامية الصينية الأخرى عدة مجلات كان منها مجلة ( نضارة الهلال ) صدرت في بجين، ومجلة " نور الإسلام " وصدرت في تينجان، ومجلة " العلوم الإسلامية " وصدرت في كانتون. وأرسلت جمعية التقدم الإسلامي أول بعثة من الطلاب المسلمين على نفقتها إلى الأزهر وكان عددهم خمسة طلاب، وكان من بينهم عبد الرحمن ناجونج، في سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م، ثم توالى إرسال البعثات بعد ذلك في السنوات التالية حتى بلغ عددهم ٣٥ مبعوثاً .

المطبوعات الإسلامية :

وعلى الرغم مما مر على المسلمين من أحداث في النصف الأول من القرن العشرين إلا أن هذه الفترة كانت من أخصب فترات نشاط الدعوة الإسلامية ، ففيها تم طبع القرآن الكريم بالعربية أربع مرات ، وأثمرت ظهور علماء مسلمين بالصين مثل الشيخ وانغ جينغ تشاي ، وعمل إماماً ومعلماً ، وأصدر مجلة " نور الإسلام " ، ومن جهوده ترجمة معاني القرآن الكريم في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥ م ، وكذلك أصدر القاموس العربي الصيني ، كما ترجم كتاب العمدة أحد كتب الفقه الشائعة بالصين ، وترجم إلى الصينية كتاب تاريخ التشريع الإسلامي ، وكتاب رسالة الإسلام في الصين ، ومن الذين أثروا حركة الترجمة للكتب الإسلامية في الصين الشيخ ماليانج ، والأستاذ محمد مكين ، وعمل الأخير أستاذاً بجامعة بكين ، ومن مؤلفاته " سيف محمد " عليه الصلاة والسلام ، وموجز شرح القرآن الكريم ، ورسالة التوحيد ، وحقيقة الدين الإسلامي .[٩٦]

**١/ الخاتمة**

وفيها بعض نتائج البحث ومنها:

١- السنة في اللغة تعني: السيرة والطريقة والطبيعة حسنة كانت أو قبيحة. , وفي الاصطلاح: هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية

[٩٦] http://www.assakina.com/politics/minorities/15769.html#ixzz2KiVywCtv

٢-أجمع فقهاء المسلمين قديماً وحديثاً من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا إلا من شذَّ من بعض الطوائف على الاحتجاج بها وعدِّها المصدر الثاني للدين بعد القرآن الكريم وقد تضافرت الأدلة القطعية على ذلك.

٣- نص العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة .

٤- بذل الأئمة على مدار التاريخ منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم جهودًا عظيمة لحفظ السنة منها: الحفظ في الصدور, والكتابة, والرحلة في طلب الحديث, والمذاكرة .

٥- أسهم الحاسب الآلي، في حفظ السنة والسيرة النبوية من الخدمة من خلال برامج موسوعية اشتملت على لآلاف الصفحات, وكذا من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم- . ٦- بذلت دولة ماليزيا جهودا في العناية بالسنة النبوية, ونشر الدعوة من خلال عدة آليات : مثل العناية بتطوير أداء الدعاة, ومشروع الإسلام الحضاري, وإنشاء جامعة العلوم الإسلامية الماليزية , حيث تعتبر من الجامعات المتميزة، إذ تقدم برامج دراسية قادرة على مواكبة التطور العلمي في العصر الحاضر،

٧-يطلق لفظ الأقلية على كل جماعة تعيش خارج حدود الدولة التي تنتمي إليها.بحيث يتمتع جميع أفراد الجماعة اليوم بما يسمى الجنسية.

٨-يقصد بالأقلية المسلمة: مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد، أو الثقافة الغالبة، ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثله ومبادئه، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى علمنتهم وإبعادهم عن مثلهم الدينية، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

٩-مما لا شك فيه أن الأقليات الإسلامية تشكل خط الدفاع الأول عن الوطن الإسلامي، إذا أحسن التعامل معها .

١٠-السنة النبوية هي التي توحد الفكر المتوازن الوسطي .

١١-الغفلة عن منهاج السنة النبوية أو تجاوزها أوردت فكراً متطرفاً هادماً لا يعرف البناء ولا الرحمة .

١٢-الأقليات في حاجة للدعم المادي والمعنوي من الدول الإسلامية حتى لا تذوب هويتها , وتسهم في التعريف بالإسلام .

١٣-دخول الإسلام لأرخبيل الملايو عن طريق الاحتكاك التجاري يدل على قوة الإسلام الذاتية , وأنه قائم بما أودعه الله من أحكام ومباديء تخاطب الفطرة البشرية دون وساطة .




تم بحمد الله

يبدأ هذا الكتاب ببيان أنواع التحديات المعاصرة وأشكالها التي مسّت شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال الرسوم المسيئة، وما تبعها من الأفلام وتمثيل الشخصية، ثم يطوي الكتاب بعض صفحاته لينتقل إلى التحديات المعاصرة التي تخص الحديث النبوي الشريف للطعن في نصوصه الوحيوية الثابتة، والتحديات التي طالت مكتبته العامرة بالمسانيد والسنن والصحاح والمعاجم والشروح والمصنفات الأخرى.

يتوسط الكتاب موضوع لا يقل أهمية عما سبقه، وهو التحديات التي تواجه أهل الحديث رجالاً ومؤسسات، من خلال علماء الحديث، والمؤسسات الأكاديمية والعلمية المختصة بالشأن الحديثي وعلوم السنة النبوية.

والصفحات الأخيرة من الكتاب تتعرض للتحديات المعاصرة التي تواجه أهل السنة والجماعة في الدول الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم، فتكشف جانباً مهماً منها، وهو عناية الدول الإسلامية بالسنة النبوية، وكذلك عناية الأقليات، كله مما يعمل عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لتصدي تلك التحديات، والرد عليها.


ISBN ٩٧٨٩٦٧٥٥٣٤٣٣١